

ناتج الأدب العربي

الجزء الرابع

الأدب في المغرب والأندلس

منذ الفتح الإسلامي

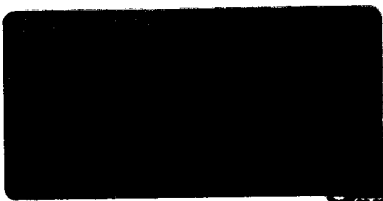
إلى آخر عصر ملوك الطوائف

(أواخر القرن الخامس للهجر - الحادي عشر للميلاد)

جامعة الكويت
إدارة المكتبات - قسم التزويد العربي
تم تسجيل رقم ١٩٨٥٨
تأليف: _____
مراجعة: _____

مؤلف

عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة
عضو المجمع العلمي العربي في دمشق
عضو جمعية البحوث الإسلامية في بومباي



دار العلم للملايين

ص.ب: ١٠٨٥ - بيروت
تلكس: ٢٣١٦٦ - لبنان

٢٣١٦٦

تأليف الأديب العربي
٤

دار العلم للملايين

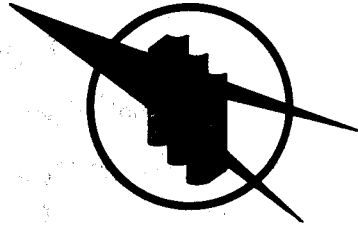
مؤسسة لتأليف والتحرير والنشر

شارع مكارم ياسين - خلف مكتبة المنلو

ص ب ١٠٨٥ - تلفون : ٢٠٤٤٤٥ - ٨١٦٦٣٩

رقب : ملايين - توكس : ٢٣١٦٦٠ ملايين

بيروت - لبنان



جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

أيار (مايو) ١٩٨٤

الكلمة الأولى

هذا هو الجزء الرابع من سلسلة « تاريخ الأدب العربي ». إنه يبدأ تاريخ الأدب العربي في المغرب (الشمال الغربي من قارة إفريقيا) والأندلس (الجنوب الغربي من قارة أوروبا). ثم هو يتناول الحقبة الممتدة من الفتح الإسلامي (القرن الأول للهجرة = أواخر القرن السابع للميلاد) إلى انتهاء عصر دُول ملوك الطوائف في الأندلس، ثم يستمر إلى مُنتهى القرن الخامس للهجرة (مطلع القرن الثاني عشر للميلاد). ذلك لأنّ نفرًا من الذين شهدوا عصر ملوك الطوائف طالت حياتهم بعد ذلك قليلاً أو كثيراً.

ثم يلي هذا الجزء :

الجزء الخامس، ويتناول تاريخ الأدب في عصر المرابطين والموحدين، في القرن السادس وبعض القرن السابع للهجرة، إلى نحو سنة ٦٤٠ (١٢٤٢ م).

الجزء السادس، ويتناول تاريخ الأدب في عصر بني نصر وينتهي بالفتح العثماني في المغرب (للجزائر) نحو ٩٣٢ للهجرة (١٥٢٥ م)، وإن لم يُشبه الفتح العثماني في المغرب ما كان من الفتح العثماني في المشرق.

وغنيّ عن البيان أن أقول هنا إنّ الأعصر الحضارية (والأعصر الأدبية) لا تنطبق في العادة على الأعصر السياسيّة.

وأنا لم أفصل تاريخ الأدب في المشرق من تاريخ الأدب في المغرب لأنّ الأدبين مختلفان، ولكنّ عمليّ هذا كان في سبيل التسهيل على نفسي في معالجة الموضوع. وعسى أن يُقيض الله لي فُسحة أستطيع أن أجمع في أثنائها تاريخ الأدب العربي (في المشرق وفي المغرب) في سلك واحد.

يجب ألا يستغرب القارئ إذا قلتُ له إنَّ الأدب الأندلسي (وخصوصاً في النثر) كان تقليدياً واضحاً للأدب الشرقي، إذ كان الأدب الشرقي هو المثال الذي اقتدى به المغاربة في إنشاء أدبهم. لا شك في أنَّ الموشح فنٌّ مغربي (أندلسي)، ولكنَّ خصائص مغربية كثيرة اجتمعت في الموشحات كانت مَشْرِقية في أصولها. ثمَّ لا نستطيع أن نُنكِر أنَّ السهولة في التركيب (إلى جانب ضعف كثير فيه) كانت أكثر في المغرب منها في المشرق. وكذلك لم يُرزق المغرب أدباء كباراً من نَجَر البُحْثريِّ والجاحظ والمُتنبِّي وأبي العلاء المعرِّيِّ وأمثالهم. ومع أنَّنا لا ندفعُ ابنَ هاني الأندلسيِّ وابنَ درَّاج القسطليِّ وابنَ زيدون عن مكان الصِّدارة في الشعر، فإنَّ المُعْجَبين بهؤلاء الشعراء قد لَقَّبوهم ألقاباً منها بُحْثريُّ الغرب أو مُتنبِّي الغرب. أما في الفلسفة فلا شك في أنَّ التقدم كان للمغاربة على المشاركة.

ثمَّ إنَّ أهل المغرب كانوا أكثرَ أَهْتماماً بأدب المشاركة من أهل المشرق بأدب المغاربة. ولقد استمرَّ ذلك إلى انتصاف القرن الحاضر الهجري. ولكنَّ أهل المشرق الآن يُكفِّرون عن ذلك الإهمال للتاريخ المغربي في أيامهم الماضية.

ولي في ختام هذه الكلمة الأولى من هذا الجزء رجاء إلى اخواننا في المغرب، هو أن يُدركوا تقصير المشاركة في الإحاطة بتاريخ المغرب وبالذِّقَّة في معرفة الأماكن وضبط الأعلام المغربية (فإنَّ هذه الأسماء لأعلام الأماكن والأشخاص كانت غريبة عن المشاركة مدَّة طويلة، بخلاف الأسماء لأعلام الأشخاص والأماكن في المشرق فإنَّها كانت دائماً جزءاً من ثقافة المغاربة). وأنا واثق من أنَّ في هذا الجزء أيضاً أخطاءً أو أوهاماً يسيرة أو غير يسيرة. فإذا وقعَ نظرُهم على شيءٍ مما ذكرتُ ثمَّ غَفَرُوا ذلك لنا أو كتبوا إليَّ به كُنْتُ لهم من الشاكرين.

ع. ف.

بيروت في خامس ربيع الأوَّل ١٤٠١

. ١٩٨١/١/١١

فهرس هذا الجزء

صفحة	سنة الوفاة بالمجري
الكلمة الأولى	٥
فهرست الموضوعات	٧
مقدمة	١٧
تاريخ الأدب العربي في المغرب: المغرب والمشرق - البربر - الفتح في المغرب وفي الأندلس - طبقات الناس - الأدب في هذه الفترة - عصر الولاة: معركة بلاط الشهداء - أحداث المغرب - العصبيات في الأندلس - سقوط	
الدولة الأموية في المشرق	٣٣
المظاهر الأدبية في عصر الولاة	٤٦
أبو الأجر الكلائي	١٣٨
عبد الرحمن بن زياد	١٦٢
بنو أمية في قرطبة: عصر الأمراء المتوارثين - عبد الرحمن الداخل - الخوارج في أقطار المغرب - الولاة المتوارثون - الحياة السياسية في المغرب كله: افريقية - ليبيا - المغرب الأوسط - المغرب الأقصى - الدولة الإدريسية - خصائص الأدب وأعلامه في	
عصر الأمراء المتوارثين - زرياب	٥٤
عبد الرحمن الداخل	١٧٢
حريش الكندي	١٨٦

٨٤.....	محمد بن بشير المعافري	١٩٨
٨٥.....	جودي بن عثمان	١٩٨
٨٦.....	الغازي بن قيس	١٩٩
٨٧.....	أبو الخشّي	
٨٨.....	الحكم الرضيّ	٢٠٦
٩٢.....	غريب الطليطي	٢٠٧
٩٣.....	شبطون	٢١٢
٩٤.....	إدريس الأصغر	٢١٣
٩٧.....	حسانة التميمية	٢٣٠
٩٨.....	يحيى بن يحيى الليثي	٢٣٤
٩٩.....	عبد الرحمن الأوسط	٢٣٨
١٠٢.....	عبد الله بن الشمّر	
١٠٤.....	عبد الملك بن حبيب	٢٣٨
١٠٦.....	عباس بن ناصح	٢٣٨
١٠٨.....	أفلاح بن عبد الوهاب	٢٤٠
١١٢.....	سحنون	٢٤٠
١١٤.....	عبيد الله بن قارلمان	٢٥٠
١١٥.....	يحيى بن حكم الغزال	٢٥٠
١٢١.....	ابن قطن المهري القيرواني	٢٥٦
١٢٢.....	مؤمن بن سعيد	٢٦٧
١٢٢.....	العتبي الشاعر	٢٧٠
١٢٦.....	وليد بن غانم	٢٧٢
١٢٩.....	عثمان بن المثنى	٢٧٣
١٣٠.....	الرازي المؤرخ	٢٧٣
١٣١.....	هاشم بن عبد العزيز	٢٧٣
١٣٥.....	عباس بن فرناس	٢٧٤
١٣٩.....	محمد البريدي	٢٧٦
١٤٠.....	بقيّ بن مخلد	٢٧٦

٢٨١	عبد الجبار السرقى	١٤٢.....
٢٨٣	تمام بن عامر	١٤٣.....
٢٨٤	سعيد بن جودي	١٤٤.....
٢٨٥	مجر بن سفيان	١٤٦.....
٢٨٦	ابن عبد السلام الحشنى	١٤٧.....
٢٩٥	عيسى بن مسكين	١٤٩.....
٢٩٥	مهرية الأغلبية	١٥٠.....
٢٩٦	بكر بن حماد	١٥١.....
٢٩٨	أبو اليسر الشيبانى	١٥٤.....
٢٩٩	مقدم بن المعافى	١٥٥.....
٣٠٠	الأمير عبد الله بن محمد	١٥٦.....
٣٠٧	محمد بن عاصم النحوى	١٥٩.....
٣٠٨	عبد الله بن المكفوف النحوى	١٦٠.....
٣١٨	أحمد بن إبراهيم اللؤلؤى	١٦٠.....
٣٢٠	أبو الأصمغ موسى بن محمد	١٦٢.....
٣٢٠	يزيد الفصيح	١٦٣.....

عصر الخلافة الأموية في قرطبة: رجال الدولة:
 غالب والمصحفي وابن أبي عامر - هشام بن الحكم
 وبدء الفتنة - خلفاء الفتنة - الدولة الفاطمية: الشيعة
 الفاطميون الاسماعيليون - المغرب الأوسط - ليبيا -
 الزهراء (في قرطبة) - الفقه - المذاهب الأخرى - أبو علي
 القالى - الجغرافية والتاريخ - علوم التعاليم - مظاهر
 الأدب وأعلامه في عصر الخلافة - النتاج الأدبي: الشعر - النثر

٣٢٨	ابن عبد ربّه	٢١٠.....
٣٣١	الحكم القرطبي النحوى	٢٢٢.....
	النقد	١٦٥.....
	القلفاط	٢٢٠.....

٢٢٤.....	خليل بن إسحاق	٣٣٢
٢٢٦.....	أبو العرب القيسي	٣٣٣
٢٢٩.....	عبد الله بن الناصر	٣٣٩
٢٣٢.....	قاسم بن أصبغ البياي	٣٤٠
٢٣٣.....	حفصة الحجارية	
٢٣٣.....	أبو الحزم جهور بن أبي عبدة	
٢٣٥.....	سعيد ابن عبد ربه	٣٤٢
٢٣٧.....	الداروني	٣٤٣
٢٣٨.....	الرازي المؤرخ أبو بكر أحمد بن محمد	٣٤٤
٢٤٢.....	أبو وهب العبّاسي	٣٤٤
٢٤٤.....	أحمد بن محمد بن أضحي	٣٤٥
٢٤٦.....	أبو القاسم الفزاري	٣٤٥
٢٤٨.....	ابن الوزان القيرواني النحوي	٣٤٦
٢٥٠.....	اسماعيل بن بدر	٣٥١
٢٥٣.....	ابن مغيث الأنصاري	٣٥٢
٢٥٤.....	وليد بن عيسى الطبيخي	٣٥٢
٢٥٧.....	منذر بن سعيد البلوطي	٣٥٥
٢٦١.....	محمد بن يحيى الرباحي	٣٥٨
٢٦٣.....	الحشني المؤرخ (محمد بن الحارث)	
٢٦٦.....	ابن هاني الأندلسي	٣٦٢
٢٧٧.....	أبو حنيفة النعمان المغربي	٣٦٣
٢٧٩.....	علي بن محمد الإيادي	٣٦٥
٢٨٣.....	ابن فرج الجياني	٣٦٦
٢٨٥.....	ابن القوطيّة	٣٦٧
٢٨٩.....	عريب بن سعد القرطبي	٣٧٠
٢٩٤.....	جعفر المصحفي	٣٧٢
٢٩٧.....	ابن أبي حنيفة النعمان المغربي	٣٧٤
٢٩٩.....	أحمد بن قرلمان	٣٧٧

أبو بكر الزبيدي	٣٧٩
٣٠٠.....	
ابن جلجل	٣٨٥
٣٠٤.....	
ابن أبي زيد القيرواني	٣٨٦
٣٠٧.....	
يحيى بن هذيل الكفيف	٣٨٩
٣٠٩.....	
أبو القاسم بن العريف النحوي	٣٩٠
٣١٢.....	
المنصور بن أبي عامر	٣٩٢
٣١٣.....	
عبد الملك بن شهيد	٣٩٣
٣١٨.....	
عبد الملك بن جهور	٣٩٣
٣٢١.....	
محمد بن الحسين الطنبلي	٣٩٤
٣٢٢.....	
أبو مروان الجزيري	٣٩٤
٣٢٤.....	
ابن أبي زمنين	٣٩٩
٣٢٦.....	
ابن القزّاز البربري	٤٠٠
٣٢٨.....	
ابن شخيص	٤٠٠
٣٢٩.....	
الطليق المرواني	٤٠٠
٣٣١.....	
عائشة بن أحمد القرطبية	٤٠٠
٣٣٤.....	
السرقسطي المعافري	٤٠٢
٣٣٥.....	
محمد بن مغيث المغربي	٤٠٣
٣٣٦.....	
ابن الفرضي	٤٠٣
٣٣٧.....	
يوسف بن هرون الرمادي	٤٠٣
٣٣٩.....	
عبد الكريم النهشلي	٤٠٥
٣٤٢.....	
عبد العزيز الحشني القيرواني	٤٠٦
٣٤٥.....	
سليمان المستعين	٤٠٧
٣٤٦.....	
أبو الحسن الكاتب المغربي	٤٠٨
٣٤٨.....	
مريم الشلبية	٤١٢
٣٥٠.....	
القزّاز النحوي القيرواني	٤١٢
٣٥١.....	
(الحصري صاحب زهر الآداب)	(٣٧٥)
٣٥٤.....	
محرز بن خلف	٤١٣
٣٥٧.....	
المستظهر المرواني	٤١٤

٤١٤	خلف بن أحمد السعدي	٣٦٠
٤١٥	زيادة الله الطنبلي	٣٦٠
٤١٧	صاعد البغدادي	٣٦٢
٤١٨	أحمد بن برد (الأكبر)	٣٦٥
	حسن بن مالك	٣٦٧
٤٢١	إبراهيم بن غانم الكاتب	٣٧٠
	أبو عبد الله بن الكتّاني	٣٧٢
٤٢٠	إسحاق بن إبراهيم	٣٧٣
(٤١٣)	الحصري (صاحب زهر الآداب)	٣٧٥
٤٢١	ابن درّاج القسطلّي	٣٧٧

عصر ملوك الطوائف: دويلات الأندلس -
في الشمال الافريقي - أوجه الحضارة - الثقافة
في الأندلس - الثقافة في المغرب الافريقي - الخصائص
الفنيّة عموماً - أغراض الشعر وفنونه -

النثر - النقد الأدبي ٣٨٥

نشأة الموشح وتعريفه: النظريات في نشأته -
فنّ التوشيح - نسق الموشحات - أجزاء الموشحة
وأسمائها - أعاريض الموشحة - الخرجة خاصّة -
الخصائص الأدبية في الموشح - أوائل الوشّاحين -

٤١٠	ضعف الموشح لغوياً - موقف النقاد من الموشح
٤٢٢	عبادة بن ماء السماء
٤٤٧	الرقبيقي القيرواني
٤٥١	أبو عامر بن شهيد
٤٥٤	ابن مغلس البلسني
٤٦١	ابن أبي الرجال
٤٦٢	ابن خلوف الحروري
٤٦٤	

٤٦٥.....	ابن الريبب القيرواني	٤٣٠
٤٦٩.....	أبو الفتوح الجرجاني	٤٣١
٤٧٠.....	آل عبّاد	
٤٧٠.....	أبو القاسم بن عبّاد	٤٣٣
٤٧٢.....	ابن الآبار الخولاني	٤٣٣
٤٧٣.....	أبو الحزم جهور	٤٣٥
٤٧٥.....	تمام بن غالب بن التيّاني	٤٣٦
٤٧٦.....	مكي بن أبي طالب	٤٣٧
٤٨٢.....	ابن الحنّاط الأعمى	٤٣٧
٤٨٧.....	أبو المغيرة بن حزم	٤٣٨
٤٩١.....	الأسعد بن بليطة	٤٤٠
٤٩٤.....	أبو الوليد إسماعيل بن محمد	٤٤٠
٤٩٧.....	أبو القاسم الافليبي	٤٤١
٤٩٨.....	أبو عمرو الداني	٤٤٤
٥٠٥.....	ابن الحنّاط الأندلسي	٤٤٧
٥٠٦.....	أمّ العلاء الحجازية	
٥٠٧.....	ابن البزلياني	٤٤٨
٥١٠.....	أحمد بن برد (الأصفر)	٤٥٠
٥١٤.....	ابن حصن الاشبيلي	٤٥٠
٥١٧.....	إسماعيل بن أحمد التجيبي البرقي	٤٥٠
٥٢١.....	ابن الحياط الربعي الصقلّي	
٥٢٤.....	محمد بن الحسين المغربي	٤٥٣
٥٢٦.....	عبد الملك بن غصن الحجازي	٤٥٤
٥٢٨.....	محمد بن عبد الواحد البغدادي	٤٥٥
٥٣٣.....	الحسن التجيبي القرطبي	٤٥٦

٥٣٤.....	ابن حزم الكبير	٤٥٦
٥٤٣.....	المرابطون في المغرب	
٥٥١.....	ابن رشيق	(٤٥٦)
٥٥٩.....	عبد الملك الطنبلي	٤٥٧
٥٦٠.....	ابن سيده	٤٥٨
٥٦٤.....	ابن شرف القيرواني أبو عبد الله	٤٦٠
٥٧٠.....	أبو حفص الهوزني	٤٦٠
٥٧٢.....	أبو إسحاق الالبيري	
٥٧٨.....	ابن مقانا	
٥٨١.....	المظفر بن الأفتس	٤٦٠
٥٨٢.....	صاعد الطليطي	٤٦٢
٥٨٤.....	ابن عبد البر الكبير	٤٦٣
٥٨٨.....	ابن زيدون	٤٦٣
٦٠٢.....	غانم المخزومي	
٦٠٥.....	أبو جعفر اللماي	٤٦٥
٦٠٧.....	أبو الحسن البلنوي	٤٦٥
٦١٠.....	الشقراطيسي	٤٦٦
٦١٥.....	ابن حيّان المؤرخ	٤٦٩
٦١٨.....	محمد بن خلصة	٤٧٠
٦٢٠.....	ابن الأجدابي	
٦٢٢.....	إدريس بن اليان	٤٧٠
٦٢٦.....	ابن عبد البر الصغير	٤٧٤
٦٣١.....	أبو الوليد الباجي	٤٦٤
٦٣٤.....	ابن خلّوف المغربي	٤٧٥
٦٣٦.....	الأعلم الشتمري	٤٧٦

٤٧٧	ابن عمّار	٦٣٨
	ابن ارفع رأسه	٦٤٦
٤٧٩	ابن فضال عليّ	٦٥٠
٤٨٠	ابن جاح البطليوسي	٦٥٢
٤٨٠	ابن الحدّاد الوادي آشي	٦٥٥
٤٨٠	ابن الدبّاغ	٦٥٩
٤٨٣	ابن وهبون	٦٦٣
٤٨٤	المعتصم بن صلاح	٦٦٦
	عبد العزيز بن أرقم	٦٧٠
٤٨٤	الراضي العبّادي	٦٧٦
	السميسر الالبيري	٦٨٠
	ابن غرسيه	٦٨٣
٤٨٤	ولادة الروانية	٦٩٩
٤٨٧	أبو عبيد البكري	٧٠٢
٤٨٧	ابن العسّال	٧٠٦
٤٨٨	أبو الحسن الحصري الضير	٧٠٧
٤٨٨	المعتمد بن عبّاد	٧١٣
٤٨٨	الحميدي	٧٢٣
	(محمد بن عبادة القرّاز)	(٧٤٤)
	ابن عبد الصمد	٧٢٥
٤٨٩	أبو مروان بن سراج	٧٣١
٤٨٩	أبو الوليد الوقشي	٧٣٣
٤٩٠	ابن البين البطليوسي	٧٣٥
	أبو عيسى بن لبّون	٧٣٦
٤٩٦	عبد الملك بن هذيل بن رزين	٧٣٨
	أبو إسحاق الودّانيّ	٧٤٢

مقدمة

هذا الجزء الرابع من « تاريخ الأدب العربي » (منذ الجاهلية إلى مطلع العصر العثماني في الشرق والغرب) يبدأ به تاريخ الأدب عندنا في المغرب (من قارة إفريقية وقارة أوروية). إنَّ هذا التفريق في الأجزاء بين أدب المشرق (في الأجزاء الثلاثة الأولى التي صدرت) وأدب المغرب (والأندلس) في الأجزاء الثلاثة الباقية - وهذا الجزء الرابع أولها - أمرٌ آليٌّ بَحْتُ حَمَلْتُ عليه محاولة السهولة في التأليف. ولا شك في أنني لم أعان في كتاب وضعته من قبل ما عانيته من المشاق في وضع هذا الجزء الرابع.

فمن المصاعب الأساسية قضيتان:

- تقليد المغاربة للمشاركة.

- كثرة اهتمام المغاربة بأدب المشاركة في مقابل اهتمام من المشاركة غير كافٍ بأدب المغاربة.

والمشهور في تاريخ الأدب أن الأندلسيين كانوا يُقلِّدون المشاركة (مما ترى الإشارات إليه في أماكن مختلفة من هذا الكتاب - كما تجد نقرأ من الأندلسيين يرون أن المشاركة كانوا مُقصرين عن الأندلسيين في ميادين كثيرة، وخصوصاً في الأدب). ولكن الواضح الجلي أن الأدب الأندلسي كان أحياناً أغنى في الأغراض (لاختلاف البيئة الطبيعية بين المغرب والمشرق) وأعذب في اللفظ. ولكن الأدب المغربي (وفيه أدب الأندلس أيضاً) كان نازلاً عن مستوى الأدب المشرقي في ناحيتين: في عمق التفكير وفي متانة الأسلوب. نحن لا نجد في الأدب الأندلسي كاتباً كالجاحظ ولا شاعراً كأبي العلاء المعري (في سعة الميدان الذي ورَّعا فيه جهودهما). وكذلك في

الأسلوب لا نرى تلك المتانة التي نعرفها للفرزدق، أو لجرير مع العذوبة أو لا نرى مثل أسلوب المتنبي والشريف الرضي. وذلك لبعد المغرب (الإفريقي) والأندلس (في المكان والزمان) عن بيئة اللسان العربي الأولى - في الدرجة الأولى - ثم لقرب الأندلس خاصة من لغات أعجمية وحضارات مختلفة، أكثر مما كنا نرى في المشرق. وكذلك لا يجوز أن ننسى أن سلطة الخلافة في المشرق كانت أكثر رسوخاً وأوسع أثراً فيما حولها من السلطة السياسية في الأندلس خاصة.

ثم تأتي المفضلة الثانية:

لا شك في أن المغاربة كانوا دائماً أكثر عناية بتاريخ المشرق وأدبه من المشاركة بتاريخ المغرب وأدبه. فلما أردت أن أقدم على هذا الخضم الواسع - ذلك الذي ترى جانباً منه في هذا الجزء من عدد التراجم وسعيتها واختارات الملحق بها - دعك من دراسة العصور - وقفت في كثير من الأحيان أمام جدار غفل (لا منفذ فيه): الأسماء الغريبة، وقد ألفتها في أثناء تلك المدة. ولكن بقي في الأسماء أشياء ترهق القوي الجليلد: أسماء كثيرة مثل: أبي عبد الله محمد وأبي محمد عبد الله - عشرات ومئات من مثل هذه الأسماء المكرورة في النسب الواحد وفي الأنساب المختلفة. أقول هذا وأنا واثق من أن إخواني في المغرب سيقعون على عدد من تلك الأخطاء، فأرجو ألا يضمنوا عليّ بالإشارة إليها، وأنا لهم شاكر على كل تصحيح أو تنقيح يقترحونه. وأما المشاكل العارضة - وفي هذا الجزء الرابع خاصة - فكان منها:

بدأت جمع المادة لهذه الأجزاء الثلاثة (من الرابع إلى السادس) منذ ثلاثين عاماً (منذ سنة ١٣٧١ للهجرة: عام ١٩٥١ م). ولقد اعتمدت في ذلك الحين (فيما كنت قد اعتمدته) «نفع الطيب» (طبع ليدن) و«الذخيرة» و«وفيات الأعيان» (طبع مصر)، إلى جانب عدد كبير من المصادر والمراجع. يجد القارئ جانباً منها (ذلك الجانب العام في جميع أصحاب التراجم - لا المصادر والمراجع الخاصة بأديب أديب) في قائمة ملحق بهذه المقدمة.

في تلك الأثناء (١٣٧١ - ١٤٠١ هـ = ١٩٥١ - ١٩٨١ م) ظهرت طبعات

جديدة لَكُتُبٍ كانت قد طُبِعَت من قبلُ وظَهَرَتْ كُتُبٌ جديدةٌ (مصادرٌ ومراجعٌ) فكنْتُ مُضْطَرّاً في مُعْظَمِ الأحيانِ إلى أنْ أُعيدَ النظرَ في عددٍ كبيرٍ من الصفحات التي كنتُ قد أنشأتها من قبلُ، بحسبِ ما كنتُ أرى من المادّة الجديدة أو القراءات الجديدة (ما أمكن) في تلك الطَبَعَاتِ الجديدةِ أو الدراسات الجديدة. ويقضي الحقُّ أنْ نشيرُ هنا إلى جُهودِ الدكتور إحسان عيّاس بالعناية بتاريخ الأندلس خاصة. فإِنَّه قد سَهَّلَ الوصولَ إلى ذخائرِ هذا التاريخ (في الأدبِ والفكر) تسهيلاً ظاهراً.

غيرَ أنْ في الأدبِ الأندلسي ثغرةٌ واسعة هي تلك الأسماء المتداخلة المتشابهة المتكرّرة، وقد أَشْرْتُ إلى هذه المُشكلة قبلَ أسطرٍ قليلة.

ولكن يبدو أنّي لم أكنْ وَحدي في مُعاناة هذه المُشكلة. إن الرجوعَ إلى فهرسٍ عددٍ من الكُتُبِ يُليقُك أحياناً أمامَ أسماء مفرّقة في الفهارس في غير مواضعها أو مجموعة في غير مواضعها. وربّما بحثتَ عن اسم في فهرس كتاب فلم تجده، مع أنّه واردٌ في عددٍ من صفحات ذلك الكتاب. وربّما كشفتَ عن اسم فرأيتَه مُثَبَّتاً في الفهرس مُشاراً إلى أنّه واقع في عددٍ من الصفحات ثمّ تقلّب تلك الصفحات فلا تجدُ لذلك الاسم أثراً. وفي اعتقادي أنّ هذا راجعٌ إلى أن نفراً من المؤلّفين أو من الناشرين يَعهَدون إلى طلابهم أو إلى أصدقائهم بجزءٍ من العمل الواجب عليهم هم أو يعهَدون إلى هؤلاء بذلك العمل كلّهُ.

ولعلّك واحد في كتابي هذا شيئاً قليلاً ممّا أشكو أنا الآن منه، ولكنّ مثل هذا الخطأ سيكون منّي أنا ولن يكون بطبيعة الحال مقصوداً. ولعلّي أكون على صواب إذا أنا قلت إنّ جميع الكتب الكبيرة لا تخلو من مثل ذلك.

وهناك مشكلة مزعجة في عمل الفهارس أحرص أنا على ألاّ أفرضها على قرّائي. يكتفي نفر كثيرون من ناشري الكتب الكبيرة بأن يذكر الصفحات التي ترد فيها أسماء الأعلام ورُوداً صريحاً: محمد بن عبد الله الفلاني ٨، ١٦، ٤٧، ٢١٠، ٢١١، ٢١٣، ٤٥٠، ٥٠٥، الخ (بلا تفريق بين الصفحات التي يرد فيها ذلك الاسم ورُوداً عارضاً أو ورُوداً مقصوداً). وربّما وجدت أنّ الصفحات ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١ الخ تتكلّم على ذلك الاسم الذي ذكر أنّه وارد في الصفحة ٤٧ صراحة أو أنّها

صفحات ورد لصاحب ذلك الاسم نصّ من آثاره. لا شكّ في أنّ هذا المنهج يسهّل العمل على مرتّب الفهارس - وخصوصاً إذا لم يكن مرتّب الفهارس هو ناشر الكتاب نفسه - وإليك المثل التالي:

في أثناء إعداد ترجمة الحِجاري صاحب المُسَهَّب رجعتُ إلى فهرس كتاب «المُغْرِب» فوجدت أن اسم الحِجاري هذا واردٌ في مائتي صفحة أو تزيد. نقلت هذه الصفحات على ثلاث بطاقات ثمّ مررتُ في تلك الصفحات واحدةً واحدةً فوجدتُ أن اسم الحِجاري قد ورد في معظم هذه الصفحات وروداً عارضاً لا يوجب حكماً ولا يُفيد بحثاً. وبعد تلك الرحلة الطويلة الشاقّة وجدتُ نحوَ عشرِ صَفَحاتٍ فيها شيء من النقد ثمّ بضعَ صفحاتٍ أخرى تتعلّق بحال الحِجاري.

وكذلك كان العملُ الآليُّ الذي قُمتُ به في هذا الجزء مُرهقاً جداً. إنّ تنضيدَ الحروف بالعقل الالكتروني (الكومبيوتر) - وخصوصاً في النصوص المشكولة - أمرٌ معقّد من ناحية ثمّ هو مُتعب في تصحيح «الملازم» من ناحية ثانية. كان المؤلّف من قبلُ يأتي إليه في اليوم بعد اليوم أو في الأسبوع بعد الأسبوع، ملزمةً واحدةً (ستّ عشرةً صفحةً) أو ثلاثُ ملازمٍ أو أربعٌ في الأكثر فيصحّحها على مهلٍ وبالتّائي، كلّ ذلك مع الحرّية في التبديل الضروريّ والتعديل والتذييل. أمّا الآن، وفي الوقت الذي أكتب فيه هذه الأسطر، فقد جاءني من ثلاث مطابعٍ خمسون ملزمةً (ثمانمائةً صفحةً)، ثمّ من كلّ مطبعةٍ رجاءٌ لطيفٌ بأنّ أُسرّع في التصحيح، لأنّ «الكومبيوتر» منتظر.

ثمّ إنّ «دار العلم للملايين» عهّدت - مشكورةً - إلى الأستاذ زهير فتح الله، وهو لي تلميذٌ قديم، ثمّ كان منذ ذلك الحين صديقاً أيضاً، بمعاونتي في التصحيح. ورأى الأستاذ زهير فتح الله ألاّ يقصّرَ واجبه على تصحيح الأخطاء المطبعية، بل حرصَ أيضاً على أن ينفيَ من هذا الكتاب ما أمكن من الهنات. ولقد اقترحَ عدداً من القراءات في عدد من الأحيان ثمّ عدداً من تفسير الأبيات أحياناً ممّا كان له وجه. ولقد كرّرتُ بصري في كلّ ما اقترحَ ثمّ قبلتُ أشياءً ممّا كان قد اقترحه. فله على جُهودِهِ كلّها شكرى الجزيل.

ثم إنَّ الجزأين الباقيين من هذه السلسلة سيُمثِّلان للطبع قريباً: إنَّ مادَّتَها كُلُّها موجودة، وقد جرى إعداد الجزء الخامس للطبع، ولكن يحتاجُ إلى أن أُمَرَّ عليه أنا ببصري مرَّةً أخرى.

والله من وراء القصد.

في السابع والعشرين من ربيع الأول ١٤٠١

١٩٨١/٢/٢.

عمر فروخ

مصادر ومراجع:

- ابن الأثير - الكامل في التاريخ لعز الدين أبي الحسن علي بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير، بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م.
- ابن الفرضي - تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، تأليف أبي الوليد عبد الله بن محمد بن نصر الأزدي، القاهرة (عزّت الحسيني) ١٩٥٤ م.
- ابن قنفذ - وفيات ابن قنفذ أو كتاب الوفيات لأبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني (عادل نويهض)، بيروت (منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع) ١٩٧١ م.
- الإحاطة في أخبار غرناطة للوزير لسان الدين بن الخطيب، المجلد الأول (محمد عبد الله عنان)، مصر (دار المعارف) ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥ م. جزءان، القاهرة.
- أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر لأحمد بن محمد السلفي (إحسان عباس)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٣ م.
- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها (أميليو لافوانتي أي الكانترا)، مدريد (رفا دنييرا) ١٨٦٧ م.
- الأدب المغربي، تأليف محمد بن تاويت ومحمد الصادق عفيفي، بيروت (مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني) ١٩٦٠ م.
- أزهار الرياض في أخبار عياض، تأليف شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (مصطفى السقا - إبراهيم الأبياري - عبد الحفيظ شلي)، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٩ م.

الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، تأليف سليمان الباروني، ؟ (المطبعة البارونية)؟.

إعتاب الكتاب، تأليف أبي عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي المعروف بابن الأبار (صالح الأشر)، دمشق (مطبوعات مجمع اللغة العربية) ١٣٨٠ هـ = ١٩٦١ م.

الأعلام للزركلي = الأعلام: قاموس تراجم، تأليف خير الدين الزركلي، الطبعة الثالثة، ؟ (؟) ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م. - الطبعة الرابعة، بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٧٩ م.

أعلام من طرابلس، تأليف علي مصطفى المصري، طرابلس - ليبيا (مكتبة دار الفكر) ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م.

أعلام الفكر الإسلامي

أعلام ليبيا، تأليف طاهر أحمد الزاوي (مكتبة الفرجاني، طرابلس - ليبيا) ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م.

أعمال الأعلام في من بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، تأليف لسان الدين بن الخطيب السلمي (إ. ليفي برونفسال) بيروت (دار المكشوف) ١٩٥٦ م.

أعيان الشيعة، تأليف محسن عبد الكريم الأمين، أجزاء كثيرة، دمشق وبيروت ١٩٣٦ م وما بعد.

إنباه الرواة على أنباه النحاة، تأليف جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، (محمد أبو الفضل إبراهيم)، القاهرة (مطبعة دار الكتب المصرية) ١٣٦٩ هـ = ١٩٥٠ م.

الأنموذج - شعراء القيروان من أنموذج الزمان، تأليف أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني (زين العابدين السنوسي)، تونس (دار المغرب العربي) ١٩٥١ م.

بالنشيا - تاريخ الفكر الأندلسي، تأليف أنخل جنثالث بالنشيا (نقله حسين مؤنس)، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٥٥ م.

برنامج شيوخ الرعيني وهو أبو الحسن علي بن محمد الرعيني الاشيلي (إبراهيم

شَبَّوح)، دمشق (وزارة الثقافة والإرشاد القومي - مطبوعات مديرية أحياء التراث القديم، رقم ٤) ١٣٨١ هـ = ١٩٦٢ م.

بروكلمن وملحقه Geschichte der Arabischen Litteratur, von Carl Brockelmann (mit Supplementbänden), Leiden (Brill) 1937-49.

بساط العقيق

البلغة

بغية الملتبس في تاريخ الأندلس: علمائها وأمرائها وشعرائها وذوي النباهة فيها
تمّ دخل إليها أو خرج عنها، ثمّ وشى به رياض الحميدي ونغم وألحم سدها وتمّ
أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبيّ (فرنسيسكو قوديره إي زيدن)، بحريط
(مطبع روخس) ١٨٨٤ م.

بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنحاة، تأليف جلال الدين عبد الرحمن السيوطي،
مصر (مطبعة السعادة) ١٣٢٦ هـ.

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي (ج. س. كولان
وإ. ليفي بروفنسال)، ليدن (بريل) ١٩٤٨ م، الجزء الثالث (إ. لافي
بروفنسال)، باريس (بولس كتنر) ١٩٣٠ م.

تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى الحسني الزبيدي (الأجزاء
١-١٨ تحقيق علماء كثيرين)، الكويت (مطبعة حكومة الكويت)
١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م وما بعد.

تاريخ الأدب الأندلسي: عصر سيادة قرطبة، تأليف احسان عباس، بيروت (دار
الثقافة) ١٩٦٠ و ١٩٦٩ م.

تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين، تأليف إحسان عباس، بيروت
(دار الثقافة) ١٩٦٢ م.

تاريخ الأدب الجزائري، تأليف محمد الطمار، الجزائر (الشركة الوطنية للنشر
والتوزيع) بلا تاريخ.

تاريخ الأدب العربي في صقلية، تأليف أمبرتو ريزيتانو، عمّان (الجامعة الأردنية) بلا تاريخ.

تاريخ افتتاح الأندلس، تأليف أبي بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية، مصر (مطبعة التوفيق) بلا تاريخ.

تاريخ إفريقية والمغرب: قطعة منه لأبي إسحق إبراهيم بن القاسم الرقيق (المنجي الكعبي)، تونس (رفيق السقطي)، ١٩٦٨ م.

تاريخ الجزائر العام، تأليف عبد الرحمن بن محمد الجيلاني، الجزائر (المطبعة العربية) ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٣ م.

تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس = ابن الفرضي.

تاريخ الفكر الأندلسي = بالنشيا.

تاريخ المن بالامامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين لعبد الملك ابن صاحب الصلاة (عبد الهادي التازي)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٥ م.

تاريخ النقد الأدبي عند العرب، تأليف إحسان عباس، بيروت (دار الأمانة) ١٩٧١ م.

تالي وفيات الأعيان، تأليف فضل الله بن أبي الفخر الصقاعي (جاكлин سوبله)، دمشق (المعهد الفرنسي) ١٩٧٤ م.

تراجم أغلبية للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض (استخرجها من «مدارك القاضي عياض» محمد الطالبي)، تونس (المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية) ١٩٦٨ م.

تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، تأليف محمد عبد الله عنان، القاهرة (مكتبة الخانجي) ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م.

تعريف الخلف برجال السلف، تأليف أبي القاسم محمد الحفناوي، الجزائر (مطبعة بيبير فونتانه الشرقية) ١٩٠٦ م.

التكملة لكتاب الصلة، تأليف أبي عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي المعروف بابن

الأبّار (الفريد بل وابن أبي شنب) - وهو القسم المفقود من طبعة قدره
 زيد بن (محرط ١٨٨٦ - ١٨٨٩ م) ومن طبعة فنزالش بلنسية (محرط ١٩١٥ م)،
 الجزائر (المطبعة الشرقية للأخوين فونطانا) ١٣٣٧ هـ = ١٩١٩ م.
 جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس لأبي عبد الله محمد بن فتوح الحميدي (محمد
 تاويت الطنجي)، القاهرة (مكتب نشر الثقافة الإسلامية) ١٩٥٢ م.
 جيش التوشيح، تصنيف لسان الدين بن الخطيب (جلال ناجي ومحمد ماضور)، تونس
 (مطبعة المنار) ١٩٦٧ م.
 الحلة السراء لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبّار
 (حسين مؤنس)، القاهرة (الشركة العربية للطباعة والنشر) ١٩٦٣ م.
 خريدة القصر وجريدة العصر، تأليف أبي عبد الله محمد بن محمد عماد الدين الكاتب
 الأصفهاني:

- (قسم المغرب) الجزء الأول.
- (قسم المغرب والأندلس) (آذرتاش آذرنوش)، تونس (الدار التونسية للنشر)
 ١٩٧١ - ١٩٧٢ م.
- (قسم الأندلس) (عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم)، القاهرة (دار نهضة مصر للطبع
 والنشر).
- دائرة المعارف الإسلامية (باللغة الانكليزية)، ليدن (بريل) ولندن (لوزاك)، الطبعة
 الأولى ١٩١٣ م؛ الطبعة الثانية ١٩٦٠ م.

درة الحجال
 دودو = كتب وشخصيات، تأليف أبي العيد دودو، الجزائر (الشركة الوطنية للنشر
 والتوزيع) ١٩٧٠ م.
 داية = تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، تأليف محمد رضوان الداية، بيروت (دار
 الأنوار) ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م.
 الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تأليف برهان الدين إبراهيم بن عليّ

بن محمد بن فرحون اليعمري، مصر (عبّاس بن عبد السلام بن شقرون (١٣٥١ هـ .
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تأليف أبي الحسن عليّ بن بسّام الشنتريني (إحسان
عبّاس)، بيروت (دار الثقافة) ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م .
الذريعة إلى تصانيف الشيعة، تأليف محمد محسن آغا بزرك، النجف طهران
١٣٥٥ هـ .

الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك
المراكشي (إحسان عبّاس)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٤ م .
رايات المبرزين، لأبي الحسن عليّ بن موسى بن سعيد (أميليو غارثيا غوميز)، مدريد
(معهد دون خوان الفلانسي)، ١٩٤٢ م .
الرحلة المغربية جدّو .

رحلة التجاني لأبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد التجاني (حسن حسني عبد الوهاب)،
تونس (المطبعة الرسمية)، ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م .
روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تأليف عليّ بن عبد الله
ابن أبي زرع الفاسي، فاس ١٣٠٣ هـ .

الزبيدي = طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي، (محمد أبو
الفضل إبراهيم)، القاهرة (دار المعارف) ١٩٧٣ م .
سركيس = معجم المطبوعات العربية والمعرّبة. جمعه ورتّبه يوسف اليان سركيس،
مصر (مطبعة سركيس) ١٣٤٦ هـ = ١٩٢٨ م .

شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح عبد الحيّ بن العماد الحنبليّ، بيروت
(المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع) بلا تاريخ (نسخة بالتصوير؟).
شهيرات النساء، تأليف حسن حسني عبد الوهاب، تونس (المطبعة التونسية)
١٣٥٣ هـ .

الصلة في تاريخ أئمة الأندلس لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (عزّت
العطّار الحسيني)، القاهرة (مكتبة الخانجي) ١٩٥٠ .

صلة الصلة لأبي جعفر أحمد بن الزبير، بيروت (مكتبة خيَّاط) بلا تاريخ (بالتصوير).
طبقات الأطباء = عيون الأنباء .

طبقات علماء إفريقية وتونس لأبي العرب محمد بن أحمد بن تميم القيرواني (علي الشابي - نعيم حسن اليافي)، تونس (الدار التونسية للنشر) ١٩٦٨ م.
الطَّمَار = تاريخ الأدب الجزائري .

العبر في خبر من غير لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (نفر من العلماء)،
الكويت ١٩٦٠ م .

العرب في صقلية، تأليف احسان عبّاس، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٩ م .
العربي = مجلّة العربي (الكويت) .

عنوان الأريب عمّا نشأ في المملكة التونسية من عالم وأديب، تأليف محمد النيفر،
تونس (المطبعة التونسية) ١٩٥١ م .

عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لأبي العبّاس أحمد بن
أحمد الغبريني (رابح بونار)، الجزائر (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع)
١٣٨٩ هـ = ١٩٧٠ م .

عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تأليف موقّق الدين أبي العبّاس أحمد بن القاسم بن
أي أصيبيعة، مصر (المطبعة الوهبية) ١٢٩٩ هـ = ١٨٨٢ م .

الفهرست = كتاب الفهرست لأبي الفرج محمد بن إسحاق النديم الورّاق البغدادي
(فلوغل)، بيروت (خيَّاط) ١٩٦٤ م (بالتصوير) .

فهرسة ابن خير أبي بكر محمد بن عمر بن خليفة الأموي الاشبيلي (فرنسيسكو قداره
زيد بن وخليان رباره طرّاغو)، طبعة جديدة منقحة (زهير فتح الله) .

بيروت (المكتب التجاري) - بغداد (مكتبة المثني) - القاهرة (مؤسسة الخانجي)،
١٢٨٢ هـ = ١٩٦٣ م (عن طبعة سرقسطة - إسبانية ١٨٩٣ م) .

فوات الوفيات لصالح الدين محمد بن شاكر الكتي، مصر ١٢٨٣ هـ .

القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مصر (المطبعة الحسينية المصرية) ١٣٤٤ هـ .

القدح المعلّى = اختصار القدح المعلّى في التاريخ المحلّى لأبي الحسن عليّ بن موسى بن سعيد، اختصره أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل (إبراهيم الأبياري)، القاهرة (الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية) ١٩٥٩ م .

قضاة الأندلس = تاريخ قضاة الأندلس: كتاب المرقبة العليا فيمن يستحقّ القضاء والفتيا لأبي الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي (إ. ليفي بروفنسال)، القاهرة (دار الكاتب المصري) ١٩٤٨ م .

القفطي = تاريخ الحكماء لأبي الحسن علي بن يوسف القفطي (يوليوس ليبيرت)، ليرينغ (ديترينغ) ١٩٠٣ م .

قلائد العقيان ومحاسن الأعيان لأبي نصر الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان القيسي (عبده سليمان الحرايري)، باريس؟ ١٢٧٧ هـ .

كتب وشخصيات = دودو .

المجمل في تاريخ الأدب التونسي، تأليف حسن حسني عبد الوهّاب، تونس (مكتبة المنار) ١٩٦٨ م .

المحمّدون من الشعراء وأشعارهم لأبي الحسن عليّ بن يوسف القفطي (حمد الجاسر)، الرياض (دار اليمامة) ١٩٧٠ م .

مختارات نيكل = مختارات من الشعر الأندلسي (جمعها المستشرق أ. ر. نيكل)، بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٤٩ م .

المرقبة العليا = قضاة الأندلس .

المسلمون في صقلية = المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، تأليف أحمد توفيق المدني، الجزائر (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع) ١٩٦٥ م .

المطرب من أشعار أهل المغرب لأبي الخطّاب عمر بن حسن بن دحية (إبراهيم الابياري وحامد عبد المجيد وأحمد أحمد البدوي)، القاهرة (المطبعة الأميرية)

١٩٥٤ م - .

المطمح = مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس لأبي نصر الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان القيسي، قسطنطينية (مطبعة الجوائب)، ١٣٠٢ هـ (١٣٠٣ هـ).

معالم الإيمان.

المعجب في تلخيص أخبار المغرب لأبي محمد عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي (دوزي)، أمستردام ١٩٦٨ م (بالتصوير؟).

مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق.

معجم الأدباء لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (أحمد فريد رفاعي)، القاهرة (مطبوعات دار المأمون) ١٩٣٦ م = ١٣٥٥ هـ.

معجم أعلام الجزائر.

المغرب في حلى المغرب، لنفر من المؤلفين آخرهم أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد العنسي (شوقي ضيف)، مصر (دار المعارف) ١٩٥٣ م.

المقتبس لحيّان بن خلف بن حيّان القرطبي:

- المقتبس في تاريخ رجال الأندلس (ملشور م. أنطونية)، باريس (بولس كتنر الكتي)، ١٩٣٧ م.

- المقتبس في أخبار بلد الأندلس (عبد الرحمن علي الحجي)، بيروت (دار الثقافة)، ١٩٦٥ م.

- المقتبس من أنباء أهل الأندلس (محمود علي مكّي)، بيروت (دار الكتاب العربي) ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م.

مقدّمة ابن خلدون، بيروت (المطبعة الأدبية)، ١٩٠٠ م؛ - بيروت (مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني) ١٩٦١ م.

الملحق = بروكلمن.

م م ع ع = مجلة مجمع اللغة العربي بدمشق.

المنّ بالإمامة = تاريخ المنّ بالإمامة.

المنتخب المدرسي، تأليف حسن حسني عبد الوهاب.
المنهل العذب من تاريخ طرابلس الغرب لأحمد بك، الأستانة (مطابع جمال أفندي)
١٣١٧ هـ.

النبوغ المغربي، تأليف عبد الله كنّون، بيروت (مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني)
١٩٦١ م.

النثر الفني في القرن الرابع، تأليف زكي مبارك، القاهرة (مطبعة دار الكتب
المصرية) ١٩٣٤ م.

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقرئ التلمساني (احسان
عبّاس)، بيروت (دار صادر) ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م.

نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، لأحمد النائب الأنصاري
(علي مصطفى المصري)، بيروت (منشورات المكتب التجاري)، ١٩٦٣ م.

نكت الهميان في نكت العميان لصلاح الدين بن أبيك الصفي (أحمد زكي
بك)، مصر (المطبعة الجمالية) ١٣٢٩ هـ = ١٩١١ م.

نيكل = Hispano-Arabic Poetry and its Relation with the Old
Provençal Troubadours, by A.R. Nykl, Baltimore 1946.

نيل الابتهاج بتطريز الديباج (بهاش الديباج المذهب).
الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أبيك الصفي (علماء مختلفون)، أماكن
مختلفة (مطابع مختلفة)، ١٩٣١ م وما بعد.

وفيات ابن قنفذ = ابن قنفذ.
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العبّاس شمس الدين أحمد بن محمد بن
خلّكان. (إحسان عبّاس)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٧٢ م.

تاريخ الأدب العربي في المغرب

المغرب هنا يُقال في مُقابل المشرق: إن مِصرَ والسودانَ (في قارة إفريقية) ثم الحجازَ والشامَ (في قارة آسية) وما وراء هذه شرقاً هو المشرق؛ أما ليبيا وما وراءها غرباً (في قارة إفريقية) ثم جزيرة سِقلية أو صِقلية وشبه جزيرة إبارية - الأندلسُ - (من القارة الأوروبية) فهي المغربُ.

وسكان المغرب في إفريقية وَحدة جنسية، على ذلك أجمع الدارسون. وقد عُرِفَ المغربُ عند أهلِهِ بِأَسْمِ بلادِ الأمازيغ (أي الوطنِ الحرِّ)، كما عُرِفَ سُكَّانُهُ بِأَسْمِ الإيمازيغين (أي الرجالِ الأحرار). غيرَ أنَّ تسميةَ سُكَّانِ المغربِ بالبربرِ تسميةٌ قديمةٌ عَرَفَها اليونانُ والرومانُ والأعرابيُّون^(١) وعَرَفَها العربُ وذكرَها أمروءُ القيسِ في شعرِهِ. أما وَجْهُ اشتقاقِ الكلمةِ «بربر» فقد غابَ - لِقدَمِهِ - عن رِوَاةِ اللُّغةِ وعُلَمَائِهَا.

والمغربُ في إفريقية وَحدةٌ جُغرافيَّةٌ، ولكنَّ هذه الوحدةَ خَضَعَتْ لِتَسْمِيَّاتٍ دالَّةٍ على أقطارِها. هذه التسمياتُ التي عَرَفَها العربُ منذُ الفتحِ كانتُ أربعاً:

- بَرَقَّةٌ وطرابُلُسُ (وهما اللَّتانِ تُعرَفانِ اليومَ باسمِ ليبيا). على أن بَرَقَّةً كانتِ في الأكثرِ تابعةً في تاريخِها لِمِصرَ، بينما طرابُلُسُ كانتِ في الأكثرِ تابعةً لِلْمَغْرِبِ الأدنى.

(١) الأعرابيُّون هم سُكَّانُ شبه جزيرة العربِ الأوَّلون - وأكثرهم البدو - وهم الذين كانوا قد خرجوا في موجاتٍ متباعدةٍ ثم استقروا في العراق وسورية ومصر والحِمْصَة وعرفوا في مساكنهم الجديدة باسمِ الأموريِّين أو الآراميين أو الكنعانيين أو البابليِّين أو العربِ أو غير ذلك. وكانت عادة المؤرِّخين المتأخِّرين أن يطلقوا على «الأعرابيين» اسم «ساميين»، نسبةً في ظَنِّهم إلى سام بن نوح والاسم «ساميون» خطأ ليس هنا محلُّ تبيانهِ. أمَّا الاسم «أعرابيُّون» فقد اقترحه الصديق الدكتور زكي عبد الرحمن النقَّاش - ولد ١٣١٣ (١٨٩٦ م) في كتابهِ «دور المروبة في تراثنا اللبناني» (١٩٧٤ م).

- المغرب الأدنى (وهو المعروف اليوم باسم تونس)، وكان الرومان يُطلقون عليه اسم «إفريقية».

- المغرب الأوسط (وهو الجانب الأوسط من المغرب كله، ولا نعرف له حدوداً معينة لا من الشرق ولا من الغرب).

- المغرب الأقصى، وهو الجزء الذي يقع بعد المغرب الأوسط ثم يمتد غرباً إلى البحر الأخضر (المحيط الأطلسي).

ويحسن أن نثبت هنا عدداً من الملاحظات تتعلق بالمغرب (في إفريقية) كله:
أ - إن هذه التسميات لا تدلّ على أقطار معينة، وإن كانت تشير إلى أجزاء المغرب بإضافة بعضها إلى بعض.

ب - ومع أن البربر وخذة جنسية في الأصل، فإنه قد طرأ عليهم جاليات وفاتحون (كما حدث في كل بقعة في العالم)، فإذا هم اليوم مزيج يغلب عليه العنصر البربري، إذ يبدو أن الجوالي كانت قليلة العدد بالإضافة إلى جمهور البربر، كما أن جيوش الفاتحين أيضاً لم تكن كثيرة العدد. ونحن نلاحظ اليوم أن البربر قبائل ذوو خصائص جنسية متفاوتة كما أن هذه القبائل تتكلم بضع لهجات. ويجب ألا ننسى أنه مرّ على المغرب كله فاتحون أو جاليات من الكنعانيين الأعرابيين الذين عرفهم اليونان باسم الفينيقيين ثم من اليونان والرومان ومن الجرمان (الفندال والقوط) الآريين، وأن المغرب كان يتلقى موجات زنجية من الجنوب.

ج - والاعتقاد السائد في المغرب إلى اليوم أن البربر قحطانيون من عرب الجنوب هاجروا إلى بلادهم الحالية من جنوبي شبه جزيرة العرب - ولا نعرف حكم التاريخ في ذلك.

د - كان معظم سواحل المغرب، قبل الفتح الإسلامي، خاضعاً للروم البيزنطيين؛ وهم الذين كانوا مُستولين على الشام (في المشرق) قبل الفتح الإسلامي في المشرق. وقبل الروم كان الرومان يُسيطرون على معظم سواحل

المغرب. فلما جاء الفتح الإسلامي كان للنصرانية بمذهبيها الأرثوذكسي (الرومي الشرقي) والكاثوليكي (الروماني الغربي) شيء من الانتشار. أما معظم البربر، على الساحل وفي الداخل، فكانوا على الوثنية. ولقد كانت المنازعات الدينية نائرة في المغرب كما كانت في ذلك الحين نائرة في المشرق.

وسكان المغرب أهل بدوة وأهل حضارة، فحياتهم من هذه الناحية شبيهة بحال العرب في شبه جزيرة العرب. على أن ظل الحضارة في المغرب أوسع فالعمران فيه أكثر وأقدم عهداً مما في شبه جزيرة العرب حيث نشأ الجنس العربي وتطورت اللغة العربية وجرى الأدب العربي على لسان أهله الأولين. وأما بدواة المغرب فتختلف أيضاً من بدواة المشرق في أمرين: إن البدو في المشرق دائمو الترحال يتنقلون بمواشيهم من مكان إلى مكان يتتبعون مساقط الغيث، حتى إذا جف الماء المتجمع في بقعة ونفذ عشبها ارتحلوا إلى مكان آخر. فبيوتهم من أجل ذلك خيام يحلونها معهم حيث ذهبوا. أما في المغرب فللبدو رحلتان: يرحلون في الشتاء إلى مكان ينزلون فيه، ثم يعودون في الصيف إلى مكانهم الأول، ولذلك تراههم في بعض الأحيان يقيمون بيوتاً من حجر. ثم هم فوق ذلك يربون الماشية ويزرعون الأرض معاً.

وكثير من عادات أهل المغرب الإفريقي في الحياة الاجتماعية كان يشبه عادات أهل المشرق من البدو، ولا يزال كذلك إلى حد كبير.

الأندلس

أما شبه جزيرة إبارية (إيبيرية، الأندلس: إسبانية والبرتغال) فتقع في الطرف الجنوبي الغربي من قارة أوروبا وتقابل المغرب الأقصى.

لما جاء الفتح الإسلامي كان أهل البلاد الأصليون يعيشون في الأكثر على الزراعة عيشة نكداء. أما الحكم فكان في يد القوط الغربيين، وهم جرمان طارئون على شبه الجزيرة. وكان الحكم القوطي في دوره الأخير ضعيفاً متفككاً فاسداً. وكان أهل البلاد الأصليون يعانون منه ظمأ وإرهاقاً.

وكانت النُصْرانية دينَ شبه الجزيرة الإيبيرية: كان الحكام القوط أنفسهم أريوسيين مُنشقين عن الكنيسة الكاثوليكية وعن عقيدة الروم الأرثوذكسية. وكان للكاثوليكية أتباع في البلاد التي كانت تحت سيطرة الرومان من قبل، كما كان لعقيدة الروم الأرثوذكس أتباع حيث كان للروم البيزنطيين سيطرة (على أجزاء من سواحل الجزيرة). ولم يكن النزاع الديني في إيبيرية أقل منه في المغرب الإفريقي ولا أقل مما كان في المشرق قبل الإسلام..

الفتح في المغرب وفي الأندلس

بعد أن فتح عمرو بن العاص مِصرَ سارَ في سَنَةِ ٢٢ (٦٤٣ م) وفتح بَرَقَةَ صلُحاً. وقبل أن تنتهي سَنَةُ ٢٣ كان العربُ قد فتحوا جميعَ ليبيا، في أيامِ عُمَرَ بنِ الخطَّابِ. وفي أول سَنَةِ ٢٧ (خريف ٦٤٧ م) أذنَ الخليفة عُثْمَانُ بنُ عفَّانَ لوالِيهِ على مِصرَ عبدِ الله بنِ أبي سَرحَ بأن يَسيرَ إلى فتح إفريقية (القطر التونسي). واستطاع العربُ في عامٍ واحدٍ أن يفتحوا القطرَ التونسي.

غيرَ أنَّ الفِتنَ التي حدثت في المَشرقِ في أيامِ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ ومحاولاتِ الرومِ في استردادِ ما كانوا قد خسروه في المَغرب - بعدَ أن توطَّدَ حُكْمُ العربِ في المَشرقِ - جعلتِ العربَ يَتَراجعونَ عن إفريقية وعن أجزاء من ليبيا مرَّةً بعدَ مرَّةٍ.

ولم يَثْبُتِ الحُكْمُ العربيُّ في المَغربِ إلَّا بعدَ الفتحِ الرابعِ، سَنَةِ ٤٦ (٦٦٦ م) بقيادة عُقْبَةَ بنِ نافعٍ. وفي سَنَةِ ٥٠ (٦٧٠ م) بنى عُقْبَةُ قَيْرَواناً (مُعسكرًا) وخطَّ فيه مسجداً (عينَ اتِّجاهه نحو القبلة، أي نحو مَكَّةَ)، فأصبحَ هذا المُعسكرُ معَ الأيامِ مركزاً مُهمّاً لتجمُّعِ الجيوشِ وللسُكنى. وسرعانَ ما أصبحَ هذا «القيروان» مدينةً عظيمةً مشهورةً ومركزاً من مراكزِ العلمِ والحضارةِ في العالمِ الإسلاميِّ.

وتابعَ عُقْبَةُ بنُ نافعٍ نفسه الفتحَ في المَغربِ حتَّى وَصَلَ إلى ساحلِ البحرِ، على البحرِ الأخضرِ (البحرِ الأطلسيِّ). غيرَ أنَّ عُقْبَةَ تَرَكَ الحَزْمَ وعادَ في عددٍ قليلٍ من أتباعه، فانتَهَزَ الرومُ والإفرنجُ فيه الفرصةَ وهاجموه عندَ تهوِّدَةٍ في بلادِ الزابِ،

جَنُوبَ جِبَالِ أَوْرَاسَ قَرِيباً مِنْ بَسْكَرَةَ (فِي الْمَغْرِبِ الْأَوْسَطِ) فَاسْتُشْهِدَ وَمَنْ مَعَهُ فِي
أَوَاخِرِ سَنَةِ ٦٣ (آبِ ٦٨٣).

وَقَضَى الْعَرَبُ عَشْرِينَ سَنَةً أُخْرَى أَوْ تَزِيدُ حَتَّى قَضَوْا عَلَى كُلِّ نَفُوذٍ لِلرُّومِ
وَلِلْإِفْرَنْجَةِ فِي الْمَغْرِبِ. عِنْدَئِذٍ اسْتَقَرَّ الْمَغْرِبُ إِلَى الْحُكْمِ الْعَرَبِيِّ وَبَدَأَ الْإِسْلَامُ يَنْتَشِرُ
فِيهِ.

وَفِي سَنَةِ ٨٦ (٧٠٥ م) جَاءَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى الْخِلَافَةِ فَفَصَلَ إِفْرِيقِيَّةَ
وَسَائِرَ الْمَغْرِبِ عَنِ وِلَايَةِ مِصْرَ وَوَلَّى عَلَيْهَا مُوسَى بْنَ نُصَيْرٍ.

الفتح في الأندلس

كَانَ فَتْحُ الْأَنْدَلُسِ اسْتِمْرَاراً لِحَرَكَةِ الْفَتْحِ الْعَامَّةِ لِنَشْرِ الدَّعْوَةِ. ثُمَّ كَانَ الْعَرَبُ
يَخَافُونَ أَنْ يَثْبِتَ الْقُوطُ وَالْإِفْرَنْجَةُ - وَمِنْ وَرَائِهِمُ الرُّومُ - عَلَى إِفْرِيقِيَّةٍ مِنْ جَدِيدٍ.

وَيَبْدُو أَنْ يُلْيَانَ كَانَ رَجُلًا مِنْ الْأَفَارِقَةِ وَزَوْجًا لِبِنْتِ غَيْطَشَةَ (مَلِكِ الْقُوطِ
الشَّرْعِيِّ الْخَلُوعِ) وَالْيَا مِنْ قَبْلِ الْقُوطِ عَلَى سَبْتَةٍ. وَكَذَلِكَ كَانَ نَاقِمًا عَلَى لُذْرَيْقِ مَلِكِ
الْقُوطِ الْمُغْتَصِبِ. وَقَامَ يُلْيَانُ بِمُفَاوَضَةِ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ لِتَسْهِيلِ فَتْحِ الْأَنْدَلُسِ عَلَى
الْعَرَبِ. وَبَعْدَ أَنْ أَرْسَلَ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ حَمَلَتَيْنِ اسْتِكْشَافِيَتَيْنِ فِي عَامَيْنِ مُتَوَالِيَيْنِ
بِقِيَادَةِ يُلْيَانَ (٩٠ هـ) ثُمَّ بِقِيَادَةِ مَوْلَاهُ طَرِيفٍ (٩١ هـ) أَرْسَلَ حَمَلَةً لِلْفَتْحِ (٩٢ هـ
= ٧١١ م) بِقِيَادَةِ مَوْلَاهُ طَارِقِ بْنِ زِيَادٍ.

نَزَلَ طَارِقُ بْنُ زِيَادٍ عَلَى الْبَرِّ الْإِسْبَانِيِّ ثُمَّ اخْتَارَ مَكَانَ الْمَعْرَكَةِ الْمُقْبِلَةِ فِي إِقْلِيمِ
الْبُحَيْرَةِ، عِنْدَ مَدِينَةِ لَكَّةَ مِنْ كُورَةِ شَذُونَةَ قَرِيباً مِنْ نَهْرِ لَكَّةَ. وَجَاءَ لُذْرَيْقُ بِجَيْشٍ
كَثِيفٍ لِلِقَاءِ الْعَرَبِ وَلَكِنَّهُ أَنْهَزَمَ لِإِبْرَاعَةِ الْخُطَةِ الَّتِي وَضَعَهَا طَارِقٌ وَلَآنَ نَفَرًا كَثِيرِينَ
مِنْ أَنْصَارِ لُذْرَيْقٍ خَذَلُوهُ فِي إِبَانِ الْمَعْرَكَةِ. وَلَمْ يَعْثُرْ أَحَدٌ بَعْدَ هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ عَلَى جُثَّةِ
لُذْرَيْقٍ.

وَقَسَمَ طَارِقُ الْجَيْشَ بَعْدَ مَعْرَكَةِ لَكَّةَ أَرْبَعَ فِرَقٍ سَارَتْ تَفْتَحُ فِي الْأَنْدَلُسِ يُبْسِرُ
وَسُهُولَةٍ لِأَنَّ الشَّعْبَ الْإِسْبَانِيَّ كَانَ يَتَلَقَّى الْعَرَبَ بِالْتَرَحُّابِ حُبًّا بِالتَّخَلُّصِ مِنْ ظُلْمِ
حُكَّامِهِ الْقُوطِ.

ووصلت أخبار الفتح هذه إلى موسى بن نصير فجمع جيشاً جديداً وسار به إلى الأندلس فالتقى بطارق عند مدينة طليطلة. وفي مدى عامين أثبت استطاع طارق وموسى أن يفتحاً فتح شبه جزيرة الأندلس إلا جانباً يسيراً منها (في الشمال الغربي). أما غنائم العرب في الأندلس فكانت عظيمة جداً أعظمها بلا ريب بلاد منحت العروبة والإسلام حضارة وثقافة وأدباً وفناً قل أن عرف العالم مثلها.

ولا نعلم السبب الذي من أجله أرسل الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦ هـ) إلى موسى بن نصير يدعو إلى الرجوع إلى دمشق. استخلف موسى بن نصير ابنه عبد العزيز على الأندلس وأسكنه في إشبيلية وأمره بمتابعة الجهاد لتوطيد الفتح، ثم قفل، في أواخر سنة ٩٥ (٧١٤ م)، ومعه طارق بن زياد والغنائم. وجاز موسى إلى إفريقية وعين ابنه مروان على طنجة وابن عبد الله على القيروان. ثم تابع سيره إلى المشرق، في أول سنة ٩٦ (أيلول - سبتمبر ٧١٤ م). فلما وصل إلى طبرية من أرض فلسطين وافاه رسول من سليمان بن عبد الملك - وهو بعد ولي للعهد - يطلب إليه أن يترث في السير حتى يكون قدومه على دمشق وسليمان خليفة، لأن الوليد كان مريضاً مرض الموت. غير أن موسى أعذ السير وفاءً للوليد الذي كان قد وجه الفتح إلى الأندلس فوصل إلى دمشق والوليد حي في الأغلب.

وجاء سليمان بن عبد الملك إلى الخلافة (٩٦ - ٩٩ هـ) فاتبع سياسة يمنية، خلافاً على أخيه وأبيه من قبل في اتباعها سياسة قيسية، فأساء إلى القيسيين ونكس القواد الذين فتحوا الفتح في المشرق ثم ألقى موسى بن نصير في السجن وأرسل محمد بن يزيد والياً على المغرب وأمره بأن يأخذ آل موسى بن نصير بالتعذيب والقتل وأن يغرّمهم ثلاثمائة ألف دينار. وقد كان سجن موسى بن نصير ومقتل ولديه عبد الله وعبد العزيز من الوصيات التي لصقت بسليمان بن عبد الملك أبد الدهر، ولم يكن لها تفسير أو تعليل سوى القسوة والفظاظة والحقد في قلب سليمان. وتوفي موسى بن نصير في الحجاز بائساً فقيراً ذليلاً (٩٨ = ٧١٦ م). أما طارق بن زياد فقضى بقية عمره خاملاً لا ندري كيف تقلب الدهر به. ثم توفي نحو سنة ١٠٢ (٧٢٠ م).

طبقات الناس (في الأندلس خاصة)

لَمَّا اسْتَتَبَّ الْفَتْحُ فِي الْأَنْدَلُسِ أَصْبَحَ النَّاسُ طَبَقَاتٍ (مِنْ حَيْثُ الْعَصَبِيَّةُ وَالِدِينُ):

١ - المسلمون:

(أ) العرب: الذين جاءوا إلى الأندلس من المشرق ونسلهم. فإذا كانوا قد جاءوا مَعَ طَارِقِ بْنِ زِيَادٍ أَوْ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ (فِي أَوَّلِ الْفَتْحِ) فَهَمَّ «الْبَلَدِيُّونَ». أَمَّا إِذَا كَانُوا قَدْ جَاءُوا مَعَ بَلْجٍ بْنِ بَشِيرٍ أَوْ عِيَاضِ الْقَشِيرِيِّ عَلَى رَأْسِ جُنْدٍ أَهْلِ الشَّامِ، فِي آخِرِ عَصْرِ الْوَلَاةِ، فَهَمَّ «الشَّامِيُّونَ».

(ب) البربر: أهل المغرب الذين انتقلوا إلى الأندلس مع الفتح أو بعده.

(ج) المولّدون أو الموالي: وهُم الذين اعتنقوا الإسلام من نصارى الأندلس.

٢ - غير المسلمين:

المُسْتَعْرَبُونَ: نصارى الأندلس الذين تعلّموا اللغة العربية فأصبحت لغتهم ينثرون فيها وينظّمون.

العجم: نصارى الأندلس الذين لم يتعلّموا اللغة العربية، وكانوا يتكلّمون لغة محلية هي مزيج تغلب عليه لاتينية متقهقرة.

الروم والإفرنج والقوط أسماء تدلّ على غير المسلمين من غير أهل الأندلس (الروم البيزنطيّون والإفرنجة البرابرة، الخ). وكانت هذه الألفاظ تُطلَقُ أيضاً على النصارى عامّة.

اليهود.

الأدب في هذه الفترة

لم يُؤثّر عن عصر الفتح في المغرب والأندلس (٢٣ - ٩٤ = ٦٤٤ - ٦٩٥ م)

أدبٌ، مع الإيقان بأنّ العرب كانوا في أثناء تلك الفتوح بحاجة إلى شعرٍ وخطابةٍ يستخدِمونها في حياتهم الحربية على الأقلّ. أما الشعرُ والنثر المرويان عن طارق بن زياد ففيهما موقفان: موقفٌ راجحٌ هو أن خطبة طارق^(١) والأبيات المنسوبة إليه منحوالةٌ كلّها. وهنالك موقفٌ مرجوحٌ (ضعيف) هو أن هذا النثر والشعر لطارق بن زياد نفسه.

وعلى كلّ، فإنّنا إذا ألفينا شيئاً من الشعر أو النثر - في هذه الفترة - فإنّه يكون قد جرى على لسانٍ عربيٍّ من جنودِ الفتح فيعدُّ حينئذٍ من أدبِ المشرق لا من أدبِ المغرب. من ذلك مثلاً أدبُ موسى بن نصير^(٢)، فموسى بن نصير كان عربياً فصيحاً بليغاً يُروى عنه شيءٌ من الشعر والنثر.

ويبدو أن البربر في المغرب قد بدأوا يتعلّمون القرآن والفقه والنحو منذ أيام

(١) تنسب إلى طارق بن زياد خطبة مشهورة مطلقها: «أيتها الناس، البحر من ورائكم والعدو من أمامكم؛ وليس لكم - والله - إلا الصدق والصبر.....».

طارق بن زياد بربري الأصل دخل في الإسلام وفي ولاء موسى بن نصير. ولما جاز طارق برجاله إلى الأندلس للفتح لم يكن قد مرّ على إسلامه وتعلّمه اللغة العربية إلا سنوات لا يزيدن على خمس، فليس من المعقول أن تكون تلك الخطبة من قوله. ثم إنّ في هذه الخطبة صناعةٌ هي أقرب إلى ما عرف في العصر العبّاسي. ولم ترد هذه الخطبة في مصدر نعرفه قبل نفع الطيب للمقري (ت ١٠٤١ = ١٦٣١ - ١٦٣٢ م). راجع الخطبة في نفع الطيب ١: ٢٤٠ - ٢٤١، رواها عن بعض المؤرخين.

وكذلك روي لطارق شيء من الشعر منه (نفع الطيب ١: ٢٦٥، عن «المسهب» (للحجاري) و«المغرب» (لابن اليسع).

ركبنا سفيناً بالمجاز مقبراً عسى أن يكون الله ممّا قد اشترى... وهذا أيضاً شعر منحول (راجع في طارق بن زياد، نفع الطيب ٢: ١٥٠ وما بعدها متفرّقا؛ وراجع في الشك في الشعر والنثر المرويّن لطارق بن زياد، «الأدب المغربي»، ص ١٠٠ - ١٠٣)؛ وراجع في إثبات هذا النثر وهذا الشعر لطارق بن زياد (ولأنداد طارق بن زياد): «النبوغ المغربي»، ص ٤١ - ٤٢ (من المقدمة)، ٤١ - ٤٢ (من متن الكتاب)، ٣٧٣ - ٣٧٤ (نص الخطبة).

(٢) ولد موسى بن نصير سنة ١٩ وتولّى المغرب سنة ٨٦ ثم عاد إلى المشرق سنة ٩٦. أما وفاته فكانت في الأغلب سنة ٩٩ (٧١٧ م). راجع، في الكلام على موسى بن نصير، وفيات الأعيان ٣: ١٩ - ٢٧، نفع الطيب ٢: ١٤٦ - ١٤٩، ١٥٥ - ١٥٦، ٢١٢ - ٢١٦، ٢١٨ - ٢٢٠، ٢٢٢ - ٢٢٧ ثم فيها يتعلّق ببلاغته وشعره ٢٥٠ وما بعدها.

عُقْبَةُ بْنُ نَافِعٍ (ت ٦٣) فَقَدَ تَرَكَ عُقْبَةً فِي الْبَرْبَرِ جَاعَةً مِنْهُمْ شَاكِرٌ صَاحِبُ الرِّبَاطِ يَعْلَمُونَ الْبَرْبَرَ الْقُرْآنَ وَأُمُورَ الْإِسْلَامِ. وَكَذَلِكَ فَعَلَ مُوسَى بْنُ نَصِيرٍ فَإِنَّهُ لَمَّا جَازَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ لِلْحَاقِ بِطَارِقِ تَرَكَ فِي الْمَغْرِبِ سَبْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ يَعْلَمُونَ الْبَرْبَرَ الْقُرْآنَ وَشَرَائِعَ الْإِسْلَامِ. وَقَدْ كَانَ الْمُنْذِرُ الْيَمَانِيُّ^(١) يُحَدِّثُ فِي إِفْرِيْقِيَةِ بِأَحَادِيثِ رَسُولِ اللَّهِ.

عصر الولاة (٩٢ - ١٣٨ هـ)

بَعْدَ مَقْتَلِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُوسَى، فِي مَطْلَعِ سَنَةِ ٩٨، بَقِيَتْ الْأَنْدَلُسُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ بِلَا وَالٍ، ثُمَّ قَدَّمَ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ أَيُّوبَ بْنَ حَبِيبٍ اللَّخْمِيَّ، ابْنَ أُخْتِ مُوسَى بْنِ نَصِيرٍ - وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا - لِيُؤَمِّمَهُمْ فِي صَلَاتِهِمْ. بَعْدَئِذٍ أَرْتَضَوْهُ وَالِيًا. غَيْرَ أَنَّ وَالِيَّ إِفْرِيْقِيَةَ مُحَمَّدَ بْنَ يَزِيدَ أَرْسَلَ الْحُرَّ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الثَّقَفِيَّ لِيَلِيَ الْأَنْدَلُسَ مَكَانَ أَيُّوبَ ابْنَ حَبِيبٍ، فِي السَّنَةِ نَفْسِهَا.

فِي أَيَّامِ الْحُرِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ تَحَوَّلَتِ الْعَاصِمَةُ مِنْ إِشْبِيلِيَّةَ إِلَى قُرْطُبَةَ لِأَنَّ إِشْبِيلِيَّةَ كَانَتْ مِيدَانًا وَاسِعًا لِنَشَاطِ الْإِسْبَانِ ضِدَّ الْحُكْمِ الْعَرَبِيِّ وَلِأَنَّ قُرْطُبَةَ أَقْرَبُ إِلَى طَرِيقِ الْقَوَافِلِ. وَمِنْذَ أَيَّامِ الْحُرِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَدَأَتْ غَزَوَاتُ الْعَرَبِ وَرَاءَ جِبَالِ الْبِرَانِسِ (فِي بِلَادِ الْإِفْرَنْجَةِ - فَرَنْسَةِ) لِأَنَّ الْبَابُوِيَّةَ وَمُلُوكَ أَوْرُوبَةَ كَانُوا قَدْ جَعَلُوا بِلَادَ الْإِفْرَنْجَةِ مَرْكَزًا يَمُونُونَ مِنْهُ الْإِسْبَانِ لِقِتَالِ الْعَرَبِ.

وَفِي سَنَةِ ٩٩ (٧١٧م) تُوُفِّيَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَخَلَفَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ. فَقَامَ عُمَرُ بِعَزْلِ مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ عَنِ إِفْرِيْقِيَةِ وَوَلَّى مَكَانَهُ إِسْمَاعِيلَ بْنَ أَبِي الْمُهَاجِرِ، كَمَا وَلَّى عَلَى الْأَنْدَلُسِ السَّمْعُ بْنَ مَالِكِ الْخَوْلَانِيَّ. وَكَانَ عُمَرُ قَدْ قَالَ لِلْسَّمْعِ أَنْ يَنْظُرَ فِي أُمُورِ الْأَنْدَلُسِ، فَإِذَا كَانَ فِيهَا خَطَرٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَلْيَقْفِلْهُمْ (يَرُدَّهُمْ) إِلَى إِفْرِيْقِيَةِ وَيَنْسَحِبْ مِنَ الْأَنْدَلُسِ. فَكَتَبَ السَّمْعُ إِلَى عُمَرَ بِأَنْ لَا خَطَرَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَأَنَّ

(١) الْمُنْذِرُ الْإِسْلَامِي. وَيَعْرِفُ أَيْضًا بِاسْمِ الْمُنْذِرِ الْإِفْرِيْقِيِّ لِأَنَّهُ سَكَنَ إِفْرِيْقِيَةَ (الاستقصا ١: ٤١؛ نفع الطيب ٢: ٢٣٣)؛ رَاجِعِ اسْتِعْرَاضَ أَقْوَالِ الْمُؤَرِّخِينَ فِي الْمُنْذِرِ فِي «المنهل العذب» ١: ٤١ - ٤٣.

أَحْوَالَهُمْ مُسْتَقَرَّةٌ. عندئذٍ أمر عُمرُ بالبقاء في الأندلس وبالقيام بِعَدَدٍ من الإصلاحات. وقام السماح بغزوتين إلى فرنسة، سَنَةَ ١٠٠ وسنة ١٠٢، فَقُتِلَ في الثانية منها فاستطاع أحدُ القادة في جيشه - وَهُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْغَافِقِيُّ - أَنْ يَنْسَحِبَ بِالْجَيْشِ بِمَهَارَةٍ فَائِثَةٍ. فَقَدَّمَهُ الْجَنْدُ وَجَعَلُوهُ وَالِيًا مُوقَّتًا عَلَى الْأَنْدَلُسِ.

وفي سنة ١٠١ (٧٢٠م) تُوُفِّيَ عُمرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وخلفه يزيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَوَلَّى يزيدُ على إفريقية يزيدَ بْنَ أَبِي مُسْلِمٍ. فَلَمَّا وَصَلَ يزيدُ بْنُ أَبِي مُسْلِمٍ إِلَى الْقَيْرَوَانِ (١٠٣ هـ) وَلَّى على الأندلس عَنبَسَةَ بْنَ سُحَيْمٍ الْكَلْبِيِّ. وغزا عنبسةُ فرنسة (١٠٥-١٠٧ هـ) فَصَعَّدَ في حَوْضِ نَهْرِ رُودَنَةِ (الرون) حَتَّى وَصَلَ إِلَى لُوكُسُوِي (في مقاطعة سَاوُونِ الْعُلْيَا)، وَهِيَ أَبْعَدُ نَقْطَةٍ وَصَلَ إِلَيْهَا الْعَرَبُ فِي فرنسة.

معركة بلاط الشهداء : في فرنسة

ومن وُلاَةِ الْأَنْدَلُسِ المشهورين عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْغَافِقِيُّ، تَوَلَّى الْأَنْدَلُسَ لِلْمَرَّةِ الثانيةِ سَنَةَ ١١٢ (٧٣٠م). قاد عبد الرحمن الغافقي جيشاً إلى فرنسة فَالتَقَى بَيْنَ مَدِينَةِ تُورٍ ومَدِينَةِ بَوَايْتِه (على نحو ٢٥٠ كيلو متراً من باريسَ جَنُوبًا)، بِالْحَاجِبِ (كَبِيرِ الْبَلَاطِ) قَارِلُهُ وَمَعَهُ جُمُوعٌ لَا تُحْصَى مِنْ جَمِيعِ أَقْطَارِ أوروْبَةِ (من النصارى ومن القبائل الجرمانية التي لم تَكُنْ بَعْدُ قد دخلتْ في النصرانية). وكان عددُ العربِ قليلاً جداً، فانهزموا وَقُتِلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْغَافِقِيُّ وكثيرون مَعَهُ، في شَوَالِ ١١٤ (أواخر ٧٣٢م). وتُعرفُ هذه المعركة باسم بَلَاطِ الشُّهَدَاءِ لكَثْرَةِ مَا اسْتُشْهِدَ فِيهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. وَبَعْدَ هذه المعركة سُمِّيَ قَارِلُهُ « شارل مارتل » (المِطْرَقَةُ).

فتنة ميسرة المضرى: في المغرب الأقصى:

في سنة ١١٥ وَلَّى هشامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ على إفريقية عُبيدَ اللَّهِ بنَ الْحَبَابِ. وقد حَدَّثَتْ في أيامه فَتْنَةٌ مَيْسَرَةُ الْمَضْرِيّ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنَ الْبَرْبَرِ تَقَبَّلَ دَعْوَةَ الصُّفْرِيَّةِ^(١) من الخوارج؛ فَأَرْسَلَ ابْنُ الْحَبَابِ على مضفرة جيشاً بقيادة خَالِدِ بْنِ حَبِيبٍ فانهزم

(١) الصفرية نسبة إلى زياد بن الأصفر، وقيل نسبة إلى عبد الله بن صفار (بفتح الصاد وتشديد الفاء).

مَضْفَرَةٌ ولم يَثْبُتْ، فَقَتَلَهُ أَصْحَابُهُ لِأَنَّهُ أَنَهَزَهُمْ ثُمَّ وَلَّوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ خَالِدَ بْنَ حُمَيْدٍ الزَّنَاقِيَّ وَكُرُّوا عَلَى جَيْشِ خَالِدِ بْنِ حَبِيبٍ، عَلَى ضِيفَانِ نَهْرِ الشَّلِيفِ، فَقُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَدَدٌ كَبِيرٌ حَتَّى عُرِفَتْ تِلْكَ الْمَعْرَكَةُ بِأَسْمِ غَزْوَةِ الْأَشْرَافِ.

وَأَسْتَمَرَ الْأَضْطِرَابُ فِي الْمَغْرِبِ وَتَغَلَّبَ الْبَرْبَرُ عَلَى الْأُمُورِ وَقَاتَلُوا الْعَرَبَ فَأَرْسَلَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ جَيْشًا كَبِيرًا بِقِيَادَةِ كُلْثُومِ بْنِ عِيَاضِ الْقُسَيْرِيِّ، وَعَلَى مُقَدِّمَةِ الْجَيْشِ بَلْجُ بْنُ بَشْرِ (ابْنُ أُخْتِ كُلْثُومِ بْنِ عِيَاضٍ). وَلَكِنَّ خَالِدَ بْنَ حُمَيْدٍ الزَّنَاقِيَّ تَغَلَّبَ عَلَى هَذَا الْجَيْشِ، عَلَى نَهْرِ سِباو (أَوَاخِرُ ١٢٣ هـ = خَرِيفُ ٧٤١ م)، وَقَدْ قُتِلَ كُلْثُومُ بْنُ عِيَاضٍ فِي الْمَعْرَكَةِ. ثُمَّ إِنَّ النِّزَاعَ بَيْنَ الْعَرَبِ وَالْبَرْبَرِ بَدَأَ فِي الْأَنْدَلُسِ وَكَادَ يَسْتَفْجِلُ، وَكَانَ أَمِيرَ الْأَنْدَلُسِ فِي ذَلِكَ الْحِينِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ قَطَنِ فَاسْتَقَدَّمَ بَلْجُ بْنُ بَشْرِ مِنَ الْمَغْرِبِ مَعَ عَشْرَةِ آلَافٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ (بَعْدَ أَنْهَزَامِهِمْ أَمَامَ الْخَوَارِجِ بِقِيَادَةِ خَالِدِ الزَّنَاقِيَّ).

بَعْدَ أَنْ تَغَلَّبَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ قَطَنِ، بِمَعُونَةِ بَلْجٍ وَأَهْلِ الشَّامِ، عَلَى الْبَرْبَرِ طَمَعَ بَلْجٌ بِالْوِلَايَةِ عَلَى الْأَنْدَلُسِ. ثُمَّ حَدَثَ نِزَاعٌ طَوِيلٌ وَقِتَالٌ بَيْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ قَطَنِ وَبَيْنَ بَلْجِ ابْنِ بَشْرِ قُتِلَ فِيهِ عَبْدُ الْمَلِكِ ثُمَّ قُتِلَ بَلْجٌ أَيْضًا (نَحْوَ سَنَةِ ١٢٣ = ٧٤١ م).

وَأَضْطَرَبَتِ الْأُمُورُ فِي الْأَنْدَلُسِ. ثُمَّ أَضْطَرَبَ أَمْرُ بَنِي أُمَيَّةَ فِي الْمَشْرِقِ فَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ سُلْطَةٌ لَا عَلَى الْمَغْرِبِ وَلَا عَلَى الْأَنْدَلُسِ، فَأَخَذَ أَهْلُ كُلِّ قَطْرِ يَتَدَبَّرُونَ أُمُورَهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ. وَأَنْقَسَمَ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ خَاصَّةً ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ مُتَنَاجِرَةً: الْبَرْبَرِ وَالْبَلَدِيِّينَ وَالشَّامِيِّينَ (رَاجِعْ، فَوْقَ، ص ٣٩).

فِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ تَوَلَّى الْأَنْدَلُسَ رَجُلٌ مِنَ الْيَمَانِيَةِ (عَرَبِ الْجَنُوبِ) أَسَمُهُ أَبُو الْخَطَّارِ حُسَامُ بْنُ ضِرَارِ الْكَلْبِيِّ. خَافَ أَبُو الْخَطَّارِ مِنْ تَجَمُّعِ الشَّامِيِّينَ حَوْلَ قُرْبَطَةَ فَفَرَّقَهُمْ: أَنْزَلَ أَهْلَ دِمَشْقَ فِي الْبَيْرَةِ (مَقَاطِعَةُ غَرْنَاطَةِ) لَشَبِّهِ الْبَيْرَةِ بِدِمَشْقَ وَسَمَّاها «دِمَشْقُ» - وَأَنْزَلَ أَهْلَ حِمَصَ فِي إِشْبِيلِيَّةَ، لَشَبِّهِ مَقَاطِعَةَ إِشْبِيلِيَّةَ بِحِمَصَ، وَسَمَّاها «حِمَصُ» - وَأَنْزَلَ أَهْلَ الْأُرْدُنِّ فِي مَقَاطِعَةُ رَيَّةَ (فِي أَرْضِ شَدُونَةَ وَمَالِقَةَ) وَسَمَّاها «الْأُرْدُنُّ» - وَأَنْزَلَ أَهْلَ فِلَسْطِينَ فِي شَدُونَةَ (وَهِيَ مَقَاطِعَةُ شَرِيشَ) وَسَمَّاها «فِلَسْطِينَ» - وَأَنْزَلَ أَهْلَ

مِصْر (وكانوا كثاراً) في مكانين: في مقاطعة باجة من جنوبي غربي الأندلس، وفي مقاطعة تدمير من جنوبي شرقي الأندلس - وأنزل أهل قنسرين في مقاطعة جيان وسماها « قنسرين ».

أحداث المغرب

في هذه الفترة (١٢٦ هـ = ٧٤٤م) تولى المغرب عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبدة بن عقبة بن نافع، وكان من الذين جاءوا مع بلج ثم جاز مع بلج إلى الأندلس ثم أخرجه أبو الخطار من الأندلس خوفاً منه ومن طموحه إلى السلطة. في هذه المدة اشتمل المغرب كله بفتن الخوارج من الصُفْريّة والإباضية، فيما بين طرابُلس الغرب والمحيط الأطلسي؛ ثم جعل بعض الخوارج يُقاتل بعضاً. واستطاع عبد الرحمن بن حبيب أن يضبط المغرب كله وأن يُخمد تلك الفتنة إلى حين.

العصبيّات في الأندلس (بين القيسية واليانية)

لم تخف نية أبي الخطار في تفريق أهل الشام على الصُميل بن حاتم قائد جند قنسرين، فلم يرّض أن ينتقل بمن معه من قرطبة إلى جيان. جمع الصُميل وجوه قومه القيسية وعرض عليهم خطته للتغلب على أبي الخطار. وقال لهم: إننا نحن القيسية قليلو العدد، بينما اليانية، قوم أبي الخطار، كثيرون ولكّهم منقسمون. والرأي أن نستميل منهم قوماً ليسوا على وفاق مع أبي الخطار ثم نُقدّم رجلاً منهم للولاية يكون له الاسم ولنا الرسم (الحكم الفعلي). فاستمال الصُميل بني لخم وبني جذام ثم جعل ثوابه بن سلامة الجذامي والي الأندلس. ووقعت الحرب بين الصُميل وبين أبي الخطار فانهزم أبو الخطار ووقع في الأسر فحبسه الصُميل. ونجا أبو الخطار من السجن ولكن لم يستطع أن يستعيد نفوذه السياسي.

توفي ثوابه بن سلامة فجأة فاتفق الصُميل مع اليانية على أن تتعاقب الولاية بين اليانيين والقيسيين: يكون الوالي في عام قيسياً وفي العام الذي يليه يانياً، وهكذا دواليك. ثم إنه أقنع اليانية بأن يكون البدء بقيسي لأن قيساً هي القبيلة التي ينتمي

إليها الرسول، ثم قَدِمَ للولاية يوسف بن عبد الرحمن الفهري، وكان رجلاً من نسل عُقْبَةَ بن نافع متقدماً في السن لَيْنَ العريكة ليس له أعداء. فقَبِلَ الجميعُ به وجَعَلَ الصُّمَيْلُ يَحْكُمُ من ورائه؛ ثم لم يَفِ الصُّمَيْلُ بما كان قد وعد الياينة به فظَلَّت الولاية بعد ذلك ليوسف الفهري اسماً وللصُّمَيْلِ فعلاً.

ثم وَقَعَ القتالُ بين الياينة بقيادة يحيى بن حُرَيْثٍ (ومَعَهُم أبو الخطار) والقيسية بقيادة الصُّمَيْلِ (ومَعَهُم يوسف الفهري)، في أوائل سنة ١٣٠ (أواخر ٧٤٧م) فَأَهْزَمَ الياينة وهرب ابن حُرَيْثٍ وأبو الخطار؛ ولكن جنود الصُّمَيْلِ أدركوها فَضَرَبَ الصُّمَيْلُ عُنُقَهُنَّ وَأَعْنَقَ نفرٍ آخرين من الأسرى الياينة.

وَوَقَعَتِ الْوَحْشَةُ بين يوسف الفهري والصُّمَيْلِ لَأَنَّ كُلَّ واحدٍ منها كان يخشى على نفوذه السياسي من الآخر.

سقوط الدولة الأموية في المشرق

كان لسقوط الدولة الأموية في المشرق (١٣٢ = ٧٤٩م) وقيام الدولة العباسية أثرٌ في المغرب وفي الأندلس: آنقسم أهلُ البلادِ فريقين؛ منهم مَنْ كان يرى الاستمرارَ في الولاءِ للأمويين، ومنهم من كان يرى مُناصرةَ العباسيين. وكذلك طَمِعَ كثيرون بأن يَسْتَبِدُّوا ببعضِ البقاعِ مُستقلين عن الدولتين. فَكَثُرَتِ الثَّوَرَاتُ في الأندلس والمغرب معاً. وتحركَ الخوارجُ في المغرب وكان أَكْثَرُهُم من البربر فَضَعُفَت سُلْطَةُ الْوَلَاةِ الْعَرَبِ عن ضَبْطِ البلاد. وفي المغرب الأدنى خاصةً (القطر التونسي) وَقَعَ النزاع بين آل عُقْبَةَ بن نافع على الحكم. وكذلك تحركَ الجَلَالِقَةُ (سُكَّانُ الجَانِبِ الشَّامِيِّ الغربي من إسبانية، وهو البقعة التي لم يَسْتَوْلِ عليها العرب) وجعلوا يُغَيِّرُونَ على أطراف الأندلس في الشمال فجلاً قسمٌ كبير من المسلمين عن تلك الأطراف.

المظاهر الأدبية في عصر الولاة

حلَّ العربُ لُغَتَهُمْ مَعَهُمْ إلى المغرب والأندلس فكانت تنتشرُ بآنتشارِ الإسلام؛ غير أن الحاجةَ ظَلَّتْ مُلِحَّةً إلى من يُعَلِّم البربرَ في المغرب والمُؤَلِّدين (المسلمين من الإسبان) في الأندلس أمورَ الدين واللُّغَةَ العربيَّة. أرسل عُمرُ بْنُ عَبْدِ العزیز عَشْرَةَ من التابعين (من أهل الجیل الذي تلا جیل أصحاب رسول الله) إلى المغرب لِيُفَقِّهُوا أهل المغرب في الدين؛ من هؤلاء حَبَّانُ بْنُ أَبِي جَبَلَةَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ نَافِعٍ وَسَعْدُ بْنُ مَسْعُودٍ التُّجِيبِيُّ. ونشأ في المغرب والأندلس طَبَقَةٌ من المُؤَدِّبين الذين كانوا يَعْلَمُونَ أبناءَ الخاصَّة في البيوت ويعلمون أبناءَ العامَّة في الجوامع والمساجد. ونحن نَعْرِفُ أن الغازی بن قیس^(١) - في مَطْلَعِ شبابه، قبلَ دخول عبد الرحمن بن مُعاوية إلى الأندلس (١٣٨ هـ = ٧٥٦م) - كان مُلتزماً للتأديب (التعليم) في قرطبة. بعدئذٍ رَحَلَ إلى المشرق وَلَقِيَ الإمامَ مالکَ بْنَ أنسٍ ونَفَرًا من شیوخ اللغة والنحو كالأصمعيّ (الزبيدي ٢٧٦ - ٢٧٧).

أما النَّزْرُ اليسيرُ الذي وَصَلَ إلینا من النثر والشعر في عصر الولاة (٩٣ - ١٣٨ هـ) فقد قاله مَشَارِقَةٌ من الطارئین على المغرب والأندلس. من ذلك مَثَلًا أن عُبيدةَ بْنَ عبد الرحمن تَوَلَّى إفريقيةَ والمغربَ سَنَةً ١١١ (٧٢٩م) بعدَ بِشْرِ بْنِ صَفْوَانَ فأخذ نَفَرًا من عُمَالِ بِشْرِ وَأَصْحَابِهِ وَأَسَاءَ إِلَيْهِمْ وَنَكَلَ بِهِمْ. وكان في هؤلاء أبو الخطَّارِ بْنُ ضِرَارٍ الْكَلْبِيُّ^(٢) - وكان شريفًا في قومه مَعَ فصاحةٍ وبراعةٍ؛ وكان قد

(١) راجع ترجمته، تحت، ص ٨٦.

(٢) القاموس ٢: ٢٢٢؛ وفي تاج العروس (الكويت) ١١: ١٩٩ «هو حسام بن ضرار بن سلامان بن خيثم بن ربيعة بن حصن بن ضمضم بن عدي بن جناب شاعر ولي الأندلس (في خلافة هشام بن عبد الملك) وأظهر العصية لليمانية على المضربة وقتله الصميل (بالتصغير) بن حاتم بن شمر (بفتح فكسر) بن =

وَالِي فِي إفريقية ولايات كثيرة في أيام بشر - فعزله عبدة ونكل به، فكتب أبو الخطار إلى الخليفة هشام بن عبد الملك بقصيدة منها^(١):

أفأنتم، بني مروان، قيساً دماءنا؛ وفي الله إن لم تُنصفوا حكم عدل^(٢).
 كأنكم لم تشهدوا مرج راھط ولم تعلموا من كان ثم له الفضل^(٣).
 تغافلتم عنا كأن لم نكن لكم صديقاً؛ وأنتم ما رعيتُم لها - فعل^(٤).

ومثل ذلك خبر عبدة الله بن الحنحباب^(٥):

كان الحنحباب (والد عبدة الله) مولى لبني سلول، وقد أغتقه رجل اسمه الحجاج السلولي. ونشأ عبدة الله بن الحنحباب فكان رئيساً نبيلاً وأميراً جليلاً بارعاً في الفصاحة والخطابة حافظاً لآيام العرب وأشعارها ووقائعها. ثم ترقّت به الحال فأصبح، في ربيع الآخر من سنة ١١٦ (٧٣٤م) والياً على إفريقية وعلى المغرب كله، وعلى الأندلس أيضاً فيما بعد. وهو الذي بني المسجد الجامع في تونس ودار الصناعة (لبناء السفن) فيها.

وورد على عبدة الله بن الحنحباب، في ذلك العام نفسه، عقبة بن الحجاج السلولي يهنئه بالولاية فأكرمه عبدة الله. فغيظ أبناء عبدة الله لأن أباهم والي إفريقية

= ذي الجوشن (بالفتح) الضابي. راجع أيضاً جذوة المقتبس ١٨٨؛ الحلة السراء ١: ٦١-٦٦؛ نفع الطيب ١: ٢٣٨ (قتل أبو الخطار سنة ١٢٩)، ٢: ٢٢-٢٦؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ١٣٤-١٣٥؛ الأعلام للزركلي ٢: ١٨٧ (١٧٥).

- (١) الحلة السراء ١: ٦٤، ٦٥؛ راجع البيان المغرب ١: ٥٠.
- (٢) - يا بني مروان، لقد جعلتم دماءنا فينا (غنيمة لبني قيس أعدائنا) سلطتم أعداءنا علينا.
- (٣) كأنكم نسيتم أننا نحن (اليانية من عرب الجنوب) كنّا حلفاءكم في معركة مرج راھط (٨٦ هـ)، وهي المعركة التي وقعت قرب دمشق وانتصر فيها مروان بن الحكم وأحلافه اليانية على الضحّاك بن قيس وقومه وكانوا من أتباع عبد الله بن الزبير منافس الأمويين في طلب الخلافة. في الأصل: «ثم» (بالتاء بنقطتين من فوقها) والأصح أن تكون «ثم» (بالتاء المنقوطة بثلاث نقط) هناك (في تلك المعركة).
- (٤) ما رعيتُم لنا فعل: لم تدركوا العمل الذي قمنا به في سبيلكم.
- (٥) البيان المغرب ١: ٥١-٥٣.

والمغرب يبالغ في إكرام رَجُلٍ من عُرْضِ الناسِ . فجمَعَ عبيدُ الله بن الحبّابِ الناسَ
وقام فيهم خطيباً فقال:

أُيُّها الناسُ: إِنَّ بَنِي هَؤُلَاءِ غَرَّتْهُمْ غِرَّةُ الشَّيْطَانِ لِعِزَّةِ السُّلْطَانِ^(١) فَأَرَادُوا أَمْرًا
أَخْرَجُ بِهِ عَنِ الْحَقِّ، وَأَنْكَرُوا مَا رَأَوْا مِنْ بَرِّي^(٢) . لَهَذَا الرَّجُلِ . وَإِنَّا أَخْبَرُكُمْ أَنَّهُ
مَوْلَايَ، وَأَنَّ أَبَاهُ أَعْتَقَ^(٣) أَيْ! وَأَنَا أَكْرَهُ كِتْمَانِ أَمْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ شَهِيدٌ عَلَيَّ بِهِ^(٤)!

وَفِي سَنَةِ ١٣٧ (٧٥٤م) ثَارَ الْحَبَّابُ بْنُ رَوَاحَةَ وَعَامَرُ بْنُ عَمْرٍو الْعَبْدَرِيُّ
وَحَاصِرَا الصُّمَيْلِ بْنِ حَاتِمٍ فِي سَرَقُوسْطَةَ وَضَيْقًا عَلَيْهِ الْحَصَارُ . وَاجْتَمَعَ أَقْوَامٌ مِنْ
أَنْصَارِ الصُّمَيْلِ لِنَجْدَتِهِ وَلَكِنْ لَمْ يَجِدُوا سَبِيلًا إِلَى الْوُصُولِ إِلَيْهِ وَالْحَصَارُ مَضْرُوبٌ
عَلَيْهِ . وَأَرَادُوا أَنْ يُبَشِّرُوهُ بِالنَّجْدَةِ وَيُشَدِّدُوا مِنْ عَزِيمَتِهِ فَاجْتَالُوا بِأَنْ رَمَوْا إِلَيْهِ، مِنْ
فَوْقِ السُّورِ، بِمِجَارَةٍ جَعَلُوا مَعَ كُلِّ حَجَرٍ مِنْهَا وَرَقَةً فِيهَا هَذَانِ الْبَيْتَانِ^(٥):

أَلَا أَبْشِرْ بِالسَّلَامَةِ، يَا جِدَارُ؛ أَتَاكَ الْفَوْثُ وَانْقَطَعَ الْحِصَارُ^(٦):

أَتَتْكَ بَنَاتُ أَعُوجَ مُلْجَبَاتٍ عَلَيْهَا الْأَكْرَمُونَ وَهُمْ نِزَارُ^(٧):

فَقُرِئَتِ الْآيَاتُ عَلَى الصُّمَيْلِ - وَكَانَ أُمِّيًّا لَا يَخْطُ وَلَا يَقْرَأُ الْخَطَّ - فَقَالَ لِمَنْ
حَوَّلَهُ: «أَبْشِرُوا، يَا قَوْمُ! فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَوْثُ، وَرَبُّ الْكَعْبَةِ^(٨)». ثُمَّ عُرِضَ عَلَى
الصُّمَيْلِ أَنْ يُنَاصِرَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ (الِدَاخِل) وَيُزَوِّجَهُ ابْنَتَهُ (تَمْكِينًا لِلتَّحَالُفِ بَيْنَهُمَا)

(١) خدعهم الشيطان بما أصبح لهم من عزّة (قوة) السلطان (الحكم).

(٢) البرّ: الطاعة والإحسان.

(٣) أعتق: حرّر (أنقذ من العبودية).

(٤) الله شهيد عليّ به: الله يعرفه ويوجب عليّ أن أكافئه فاعله.

(٥) أخبار مجموعة ٦٨.

(٦) الجدار كناية عن الحصار. أبشر بالسّلامة، يا جدار= ثق أن المحاصرين لم يخرقوك. الفوث: النجدة، المساعدة، الانتقاذ من البأس والضيق.

(٧) بنات أعوج: الخيل. كان أعوج حصاناً أصيلاً تنسب إليه الخيل الكريمة. نزار: عرب الشمال.

(٨) وَرَبُّ الْكَعْبَةِ= أقم (بصاحب) الكعبة: الله.

فقال: أروني^(١) في أمري. بعدئذ رجّع في قوله وقال: « تأملتُ الأمرَ فوجدته صعبُ المرام؛ فبارك الله لكما في رأيكما ومولاكما! فإن أحبَّ غير السلطان^(٢) فلهُ عندي أن يُواسيهُ يوسفُ ويزوجهُ ويخبوهُ. أنطلقا راشدين! » ولَمَّا عَزَمَ عبدُ الرحمنُ بنُ معاويةَ على الحرب قال يوسف بن عبد الرحمن الفهريُّ للصَّمِيلِ: « ما الرأي؟ » فقال له الصَّمِيلُ: « بادِرهُ الساعةَ، قبلَ أن يَسْتَفْجِلَ أمرُهُ »^(٣).

أبو الأجرِب الكِلابيّ

١ - هُوَ أبو الأجرِب جَعُونَةُ بنُ الصِّمَّة الكِلابي من العرب (البدو) الطارئين على الأندلس، كان يَزَحَلُ (حِيناً) وَيَحِلُّ (حِيناً) بأكنافِ قُرطبة. وقد كان فارساً شجاعاً حتّى سُمِّي « عنترة الأندلس ».

لا نعلم متى دخل أبو الأجرِب إلى الأندلس، ولكننا نعلم أنّه كان يهجو الصَّمِيلَ ابنَ حاتمِ الكِلابيّ حينما ثارتِ العَصِيَّةُ (الفِتنة والقتال) بينَ والي الأندلس أبي الحِطَّاءِ حسامِ بنِ ضِرارِ الكِلبي (وكان يَمِينياً من عَرَبِ الجَنُوب) والصَّمِيلِ قائدِ جُنْدِ قِيسِرينَ (جَيَّانَ)، وكان قِيسِيّاً (من عرب الشّمال)، سَنَةَ ١٢٦ (٧٤٤م). وكان أبو الأجرِب قِيسِيّاً كالصَّمِيلِ، ولكنَّ العَصِيَّةَ العربيّة لم تنقسم دائماً أنقساماً واضحاً، بل كان في كلِّ فريقٍ من المتنازعين عادةً جماعةٌ من عربِ الشّمالِ وجماعةٌ من عربِ الجَنُوبِ.

ظَفِرَ الصَّمِيلُ بأبي الأجرِب ثم عفا عنه فانقلبَ أبو الأجرِب يدحُ الصَّمِيلَ ويكثرُ حتّى كان مُعْظَمُ شعرِهِ في مديحِ الصَّمِيلِ. فأقسم الصَّمِيلُ ألا يرى أبا الأجرِب إلّا أعطاه (مالاً) - كما كان قد فَعَلَ هَرْمُ بنُ سِنانٍ معَ زُهَيْرِ بنِ أبي سُلَيمٍ -.

(١) رَوَى في الأمر: قلبه على وجهه وتأمله بأناة وصبر.

(٢) السلطان: الحكم. واساء: عزّاه؛ ساواه بنفسه. يوسف = يوسف بن عبد الرحمن الفهري أمير الأندلس (وكان الصمیل وزيراً لعبد الرحمن الفهري). يحويه: يعطيه (مالاً).

(٣) بادره: أسبقه (إلى القتال). استفحل الأمر (أصبح فعلاً) شديداً تصعب معالجته. وكانت وفاة الصمیل في سجن عبد الرحمن سنة ١٤٢ هـ. وكذلك قتل يوسف الفهري في السجن أيضاً سنة ١٤٢ هـ.

من أجل ذلك كان أبو الأجرَب يُعَبِّ لِقَاءَ الصُّمَيْل (يَلْقَاهُ فِي فترات مُتَبَاعِدَةٍ). ثم اقتصر على زيارته في العيدين فقط (عيد الفِطْرِ وعيد الأضحى).

وتُوفِّي أبو الأجرَب في أعقاب عَصْرِ الوُلاَةِ في الأندلس، قبل وقعة المَصَارَةِ (على ثلاثة وعشرين كيلو متراً غرب قُرطبة). وكانت وقعة المَصَارَةِ في التاسع من ذي الحِجَّة ١٣٨. (١٣ / ٥ / ٧٥٦م).

٢ - كان أبو الأجرَب جَعُونَةً من قُدَماءِ شعراء الأندلس، وكان من طبقة جَرِيرِ والفَرَزْدَقِ في المَشْرِقِ يجري على مذهب العَرَبِ (البدو) في الشِّعر لا على مذهب المُحدِّثين^(١). وكان أبو نواس يُعجَبُ به^(٢).

٣ - مختارات من شعره

- يبدو أنه لم يبق لنا من شعر أبي الأجرَب إلَّا هذان البيتان، وليس من المديح:

ولقد أراني من هَوَايَ بَمَنْزِلٍ عالٍ، ورأسي ذو غدائرَ أفرع^(٣)؛
والعيشُ أغيدُ ساقطُ أفنائه، والماءُ أطيبُه لنا والمرتع^(٤)!

٤ - ★★ جذوة المقتبس ١٧٧-١٧٨؛ (الدار المصرية) ١٨٩-١٩٠ (رقم ٢٦١)؛ بغية الملتبس ٢٤٤-٢٤٥؛ (رقم ٦٢٦)؛ المغرب ١: ١٣٢-١٣٣؛ نفع الطيب، راجع ٣: ١٧٧، ٢٢٥.

(١) راجع نفع الطيب ٣: ١٧٧.

(٢) راجع نفع الطيب ٣: ٢٢٥.

(٣) من هَوَايَ بَمَنْزِلٍ عالٍ: شاباً أتمتع بالهوى تمتعاً كاملاً. غدائر جمع غديرة: صغيرة (خصلة من الشعر). أفرع: طويل.

(٤) أغيد: جميل، ناعم. فيه سعة وطيب. ساقط أفنائه (أغصانه): أغصانه متدلّية مثقلة بالفاكهة، كناية عن طيب العيش. المرتع: المرعى - وأطيب المأكَل والمشرَب لنا (نحن الشباب).

عبد الرحمن بن زياد

١ - هو أبو خالد عبد الرحمن بن زياد بن أنعم المعافري الإفريقي، وُلِدَ في بَرْقَة (شرقي ليبيا اليوم)، سَنَةَ ٧٤ (٦٩٤م) وَهُوَ أَوَّلُ مولودٍ للمسلمين في إفريقية.

أخذ عبدُ الرحمن بنُ زيادٍ عن جماعةٍ من علماء المغرب وَرَحَلَ إلى المشرق مراراً: رحل مرّةً في أيام هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥) ومرّةً في أيام مروان بن محمد (١٢٧ - ١٣٢ هـ)، وقد ولّاه مروان بنُ محمد قضاء القيروان. وَرَحَلَ مرّةً أخرى في صدرِ الدولة العباسية وصَحِبَ أبا جعفر المنصورَ قبل أن يَلِيَ الخِلافة.

ولمّا سقطت الدولة الأموية وقامت الدولة العباسية، سَنَةَ ١٣٣ (٧٤٩م) كان الوالي على إفريقية، منذُ سَنَةِ ١٢٧، عبدُ الرحمن بنُ حبيب بن أبي عُبْدَةَ بنِ عُقْبَةَ بنِ نافع، فأقرّه أبو العباس السفّاحُ (١٣٢ - ١٣٦) عليها ثم أقرّه المنصورُ (١٣٦ - ١٥٨) أيضاً.

ثم حَدَّثَ ما حَمَلَ عبدُ الرحمن بنَ حبيبٍ على خَلْعِ طاعة المنصور، وَجَرَتْ أحوالٌ قُتِلَ فيها عبدُ الرحمن بنُ حبيبٍ (١٣٧ هـ)، فاستطاع ابنُه حبيبٌ، في حديثٍ طويل، أن يتولّى على إفريقية. ثم رأى، تأييداً لمركزه أن يَرْجِعَ بإفريقية إلى طاعة العباسيين فأرسل، في ذي الحِجَّة من سَنَةِ ١٣٧ (أواخر الربيع من عام ٧٥٥م)، إلى المنصور وفداً فيه عبدُ الرحمن بنُ زيادٍ (ابن الأثير ٥ : ٣١٤ - ٣١٥).

وَوَقَعَ عبدُ الرحمن بنُ زيادٍ في الأسر (لسبب لا نعرفه) ففداه المنصورُ وَرَدَّهُ إلى إفريقية وولّاه القضاء في القيروان. ويبدو أن مُدَّتَهُ في القضاء طالت حتّى جاء يزيدُ ابنُ حاتم والياً على إفريقية (١٥٤ - ١٧٠) فطَلَبَ منه إنفاذ حُكْمٍ على وجهٍ مُعيّن فلم يقبل عبدُ الرحمن فَعَزَلَهُ.

وكانت وفاة عبدِ الرحمن بنِ زيادٍ سَنَةَ ١٦٢ (٧٧٨م) في الأغلب (ابن الأثير ٦ : ٥٩؛ راجع البيان المغرب ١ : ٨٠)؛ وقيل سَنَةَ ١٥٦ (ابن الأثير ٦ : ١٢؛ شذرات الذهب ١ : ٢٤٠) أو سَنَةَ ١٥٧ (ابن الأثير ٦ : ١٢).

٢ - كان عبدُ الرحمن بنُ زيادٍ تَقِيًّا وَرِعًا وزاهداً واعظاً ومحدثاً، تولَّى القضاء فكان عادلاً في أحكامهِ صُلْباً في مسلكهِ. وكان أديباً بليغاً شاعراً.

وقد كان عبدُ الرحمن بنُ زياد بنُ أنعمٍ من العلماء، روى عنه الحديث جماعة (راجع تراجم أغلبية ٩، ٢٧، ٧١، ٧٧، ١٤٤ ثم ٤٣٦؛ نفع الطيب ١: ٢٧٨، ٢: ٥٧٥، ٣: ٥٨).

٣ - مختارات من آثاره

- لما كان عبدُ الرحمن بنُ زيادٍ في العراق اشتاق إلى القيروان فقال:

ذَكَرْتُ الْقَيْرَوَانَ فَهَاجَ شَوْقِي؛ وَأَيْنَ الْقَيْرَوَانُ مِنَ الْعِرَاقِ!
مَسِيرَةُ أَشْهُرٍ لِلْعَيْسِ نَصًّا عَلَى الْإِبِلِ الْمُضْمَرَةِ الْعِتَاقِ^(١).
فَأَبْلَغُ أَنْعَمًا وَبَنِي أَبِيهِ وَمَنْ يُرْجَى لَنَا وَلَهُ التَّلَاقِي:
بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ خَلَى سَبِيلِي وَجَدَّ بِنَا الْمَسِيرُ إِلَى مِزَاقٍ^(٢).

- كانت لعبدِ الرحمن بنِ زيادٍ أحاديثُ مرّت فيها الفِقرُ التالية:

أنا أوّلُ مولودٍ في الإسلامِ بإفريقية - إذا رأيتُ الهديةَ دخلتُ إلى القاضي من بابِ فأعلمُ أنّ الأمانةَ خرجت من كوةِ دارِهِ - ما أمرُّ كنتُ أراه ببابِ هشامٍ إلّا أرى اليومَ طرفاً منه بالقيروان - ما يُدركُ المالُ والشرفُ إلّا في صُحْبَتِكَ وصحبة من هو مثلك وإني تركتُ عجزوزاً (بالقيروان) وإني أُحِبُّ مُطالعتها^(٣).

(١) العيساء: الناقة. النَّص: حثّ الدابة على السير الشديد. المضمرّة = انضمام: النحيلة الخصر القادرة على الجري بسرعة ومدة طويلة. العتيق: الأصيل، الكريم.

(٢) خلى سبيلي: أخرجني من الأسر! سمح بعودتي إلى الوطن. ناقة مزاق: سريعة جداً (القاموس ٣: ٢٨٣). والملموح هنا أنّ «مزاق» اسم مكان.

(٣) ما أمر (من الظلم...). بباب هشام (بن عبد الملك) أي في الدولة الأموية. اليوم (أي في أيام الدولة العبّاسية) طرفاً (جانباً، قسماً، شيئاً منه). عجزوز (كناية عن أمه). المطالعة: النظر إلى الشيء باستمرار.

- ومن أحاديثه قوله:

أُسِرْتُ أنا وجماعةٌ معي. فَرُفِنَا إلى الطاغية. فَبَيْنَمَا نَحْنُ فِي حَبْسِهِ إِذْ غَشِيَهُ عَيْدٌ فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا فِيهِ مِنَ الْحَارِّ وَالْبَارِدِ مَا يَفُوقُ الْمِقْدَارَ^(١). فَبَيْنَمَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ خَطَرَتْ أَمْرًا نَفِيسَةً^(٢) عَلَى الطاغية فَأَخْبِرَتْ مُحْسِنَ صَنِيعِ الْمَلِكِ بِالْعَرَبِ. فَمَزَّقَتْ ثِيَابَهَا وَنَشَرَتْ شَعْرَهَا وَسَوَّدَتْ وَجْهَهَا وَأَقْبَلَتْ إِلَيْهِ بِمَنْظَرٍ شَاهٍ^(٣). فَقَالَ: مَا لَكَ؟ فَقَالَتْ: إِنَّ الْعَرَبَ قَتَلُوا ابْنِي وَزَوْجِي وَأَخِي وَأَيَّي، وَأَنْتَ تَفْعَلُ بِهِمْ الَّذِي رَأَيْتُ؟.....

٤ - ★ ★ طبقات علماء إفريقية وتونس ٩٥ - ١٠٥؛ تراجم أغلبية - راجع الفهرست ص ٤٣٦؛ ابن الأثير ٥: ٣١٥، ٦: ١٢، ٥٩؛ البيان المغرب ١: ٨٠؛ شذرات الذهب ١: ٢٤٠؛ عنوان الأريب ١: ١٩ - ٢٠؛ مجمل الأدب التونسي ٣٢ -؛ الأعلام للزركلي ٤: ٧٨ (٣: ٣٠٧).

-
- (١) الطاغية: الظالم (ملك الروم!). غشيه عيد: حلّ عيد من أعياد قومه. من (الطعام) الحارّ والبارد (من أنواع الطعام). ما يفوق (يزيد على) المقدار (الضروري).
- (٢) خطرت (جاءت تتبختر). نفيسة على الطاغية: عزيزة، ذات مكانة عنده.
- (٣) سَوَّدَتْ وَجْهَهَا: وضعت عليه لوناً أسود (كناية عن الحزن). شاه (مشوّه؟).

بنو أمية في قرطبة

تَنَقَّسُمُ الدَوْلَةُ الْأُمَوِيَّةُ فِي قُرْطُبَةَ حِقْبَتَيْنِ: حِقْبَةُ الْأُمَرَاءِ الْمُتَوَارِثِينَ، مِنْ سَنَةِ ١٣٨ إِلَى سَنَةِ ٣١٦ (٧٥٥ - ٩٢٩ م)، وَهَمُ الْأُمَرَاءُ الَّذِينَ حَكَمُوا الْأَنْدَلُسَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَسَمَّوْا بِأَسْمِ خَلِيفَةٍ؛ ثُمَّ حِقْبَةُ الْخُلَفَاءِ، مِنْ سَنَةِ ٣١٦ إِلَى سَنَةِ ٤٢٢ (٩٢٩ - ١٠٣١ م).

عصر الأمراء المتوارثين (١٣٨ - ٣١٦ هـ)

لَمَّا سَقَطَتِ الدَوْلَةُ الْأُمَوِيَّةُ فِي الْمَشْرِقِ (١٣٢ = ٧٤٩ م) تَتَبَعَ الْعَبَّاسِيُّونَ أُمَرَاءَ الْبَيْتِ الْأُمَوِيِّ الْمَالِكِ بِالْقَتْلِ. وَكَانَ مِنْ نَجَا مَنْ الْقَتْلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مُرْوَانَ فَاسْتَطَاعَ أَنْ يَصِلَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَأَنْ يَجْمَعَ حَوْلَهُ أَنْصَاراً مِنْهُمْ الصُّمَيْلُ بْنُ حَاتِمٍ. وَلَكِنْ قِتَالاً نَشَبَ بَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ الْفَهْرِيِّ أَنْتَصَرَ فِيهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُعَاوِيَةَ فَبُيِّعَ لَهُ بِالْإِمَارَةِ فِي قُرْطُبَةَ يَوْمَ عِيدِ الْأَضْحَى (الْعَاشِرِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ) ١٣٨ (١٣ / ٥ / ٧٥٦ م). ثُمَّ دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْفَهْرِيُّ فِي طَاعَةِ الْأَمِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ. وَقَدْ سُمِّيَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُعَاوِيَةَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ الدَّخَلِ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ دَخَلَ الْأَنْدَلُسَ مِنَ الْأُمَوِيِّينَ فِي أَحْوَالِ قَاسِيَةٍ جَدًّا.

حَاوَلَ الْخَلِيفَةُ الْعَبَّاسِيُّ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ (١٣٦ - ١٥٨) أَنْ يُثِيرَ فِي الْأَنْدَلُسِ فِتْنَةً عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّخَلِ، وَلَكِنْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الدَّخَلِ تَغَلَّبَ عَلَى تِلْكَ الْفِتْنَةِ وَشَيْكَأ. فَادْرَكَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ أَنَّ لَا فَائِدَةَ مِنْ مُقَاوَمَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّخَلِ وَسَمَّاهُ صَقْرَ قُرَيْشٍ إِعْجَاباً بِهِ وَبِمَقْدِرَتِهِ عَلَى الدَّخُولِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَالْأَسْتِيلَاءِ عَلَى الْمَلِكِ فِيهَا.

ثارت على عبد الرحمن الداخل فتنة كثيرة فتغلب عليها كلها، وقد قُتِل الصُمَيْلُ بْنُ حَاتِمٍ وعبدُ الرحمن الفِهْرِيُّ في فتنةٍ من تلك الفتن، سنة ١٤٢ (٧٥٩ م). وقَطَعَ عبدُ الرحمن الداخلُ صلته بإفريقية وتركها للمُتَنَازِعِينَ فيها. ثم إنه لم يُحاول أن يُعَيِّظَ العَبَّاسِيِّينَ فلم يَتَسَمَّ بالخِلافةِ أَحَتراماً لِحَقِّهِم فيها وتَجَنُّباً لِلنِّزَاعِ معهم.

الخوارج في أقطار المغرب

لَمَّا جَدَّ الأُمَوِيُّونَ فِي الْمَشْرِقِ فِي تَتَبُعِ الْخَوَارِجِ، انْتَقَلَ عَدَدٌ مِنْ فِرْقِ الْخَوَارِجِ إِلَى الْمَغْرِبِ كَالْأَزَارِقَةِ^(١) وَالصُّفَرِيَّةِ^(٢) وَالْإِبَاضِيَّةِ (وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى النِّشَاطِ السِّيَاسِيِّ لِلْخَوَارِجِ مُفَرَّقًا فِي أَمَاكِنِهِ). وَلَكِنْ لَا بَدَّ هُنَا مِنْ كَلِمَةٍ فِي «الْإِبَاضِيَّةِ» لَأَنَّهُمْ كَانُوا أَبْعَدَ أَثَرًا فِي تَارِيخِ الْمَغْرِبِ: مِنْ طَرَابُلُسَ (فِي غَرْبِ لِيْبِيَا) إِلَى الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى عَلَى شَاطِئِ الْمَهِيطِ الْأَخْضَرِ (الْأَطْلَنْطِيْقِيِّ). وَهُمْ وَحْدَهُمُ الَّذِينَ اسْتَطَاعُوا أَنْ يُؤَسِّسُوا دَوْلَةً بِالْمَعْنَى الْمَأْلُوفِ، هِيَ الدَّوْلَةُ الرُّسُتَمِيَّةُ.

الْإِبَاضِيَّةُ أَتْبَاعُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبَاضٍ^(٣) التَّمِيمِيِّ. وَهُوَ مِنَ التَّابَعِينَ (الَّذِينَ أَدْرَكَوا صَحَابَةَ رَسُولِ اللَّهِ وَلَمْ يَدْرِكُوا رَسُولَ اللَّهِ نَفْسَهُ). وَيَبْدُو أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ثُمَّ خَرَجَ

(١) الْأَزَارِقَةُ أَتْبَاعُ نَافِعِ بْنِ الْأَزْرَقِ (ت نحو ٦٥) كَانُوا كَثِيرِي التَّشَدُّدِ فِي كُلِّ شَيْءٍ: حَكَمُوا عَلَى مَخَالِفِهِمْ بِالْمَشْرِكِ وَاسْتَبَاحُوا قَتْلَ الْمُخَالِفِينَ لَهُمْ مَعَ نِسَائِهِمْ وَأَطْفَالِهِمْ (رَاجِعِ «الْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرْقِ» لِعَبْدِ الْقَاهِرِ الْبَغْدَادِيِّ، ص ٥٠ - ٥٤). قَالُوا: كُلُّ ذَنْبٍ صَاحِبِهِ مُشْرِكٌ.

(٢) الصُّفَرِيَّةُ هُمُ أَتْبَاعُ زِيَادِ بْنِ الْأَصْفَرِ، فِي الْمَشْهُورِ، يَتَشَدَّدُونَ كَالْأَزَارِقَةِ، وَلَكِنْ لَا يَقُولُونَ بِقَتْلِ النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ مِنْ مَخَالِفِهِمْ. (الْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرْقِ، ص ٥٤ - وما بعد).

(٣) رَاجِعِ تَرْجُمَةَ مَبْسُوطَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبَاضٍ: الْإِعْلَامُ لِلزُّرْكَانِ ٤: ١٨٤ - ١٨٦ (٦١ - ٦٢). وَفِي النِّشَاطِ السِّيَاسِيِّ لِلْمَذْهَبِ، رَاجِعِ «مُخْتَصَرُ تَارِيخِ الْإِبَاضِيَّةِ» وَفِي آرَاءِ الْإِبَاضِيَّةِ، رَاجِعِ الْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرْقِ ٦١ وما بعد.

وَيَبْدُو أَنَّ الصُّفَرِيَّةَ كَانُوا ذَوِي النِّشَاطِ الْمَلْحُوظِ فِي الْمَغْرِبِ كُلِّهِ مِنْذُ ظَهَرَتْ دَعْوَةُ الْخَوَارِجِ عَامَّةً، وَخُصُوصًا فِي قَبِيلَةِ بَرْغَوَاطَةَ، سَنَةِ ١٢٢ (ابْنُ عَدَارٍ ١: ٥٢، شَذَرَاتُ الذَّهَبِ ١: ١٦٠). وَاسْتَطَاعَ أَمِيرُ إِفْرِيقِيَّةِ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ الْخَزَاعِي (١٤٣ - ١٤٨)، فِي مَطْلَعِ إِمَارَتِهِ أَنْ يَهْزِمَ الْإِبَاضِيَّةَ فِي مَعْرَكَةٍ قَتَلَ فِيهَا زَعِيمَهُمْ أَبُو الْخَطَّابِ. فَلَمَّا عَلِمَ بِذَلِكَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ رَسْمِ الْإِبَاضِيِّ فَرَّ إِلَى نَوَاحِي تِهْرْتِ فَاخْتَطَبَهَا وَنَزَلَهَا (١٤٤ = ٧٦١ م). وَبِذَلِكَ انْتَقَلَ الْمَذْهَبُ الْإِبَاضِيُّ فِي الْمَغْرِبِ مِنْ حَرَكَةِ فِقْهِيَّةٍ إِلَى تَنْظِيمٍ سِيَاسِيٍّ، وَمِنْ جَاعَةٍ دِينِيَّةٍ إِلَى دَوْلَةٍ.

إلى الحِجَازِ لِيَشْتَرِكَ فِي قِتَالِ الْجَيْشِ الْأُمَوِيِّ، فَقَدْ كَانَ مُعَاوِيَةُ بْنُ يُزَيْدٍ قَدْ أَرْسَلَ مُسْلِمَ
أَبْنِ [عُقْبَةَ الْمُرِّي، سَنَةِ ٦٣، بِجَيْشٍ كَثِيفٍ لِقِتَالِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ خَلَعُوا
بَيْعَةَ بَنِي أُمَيَّةَ. وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبَاضٍ فِي أَيَّامِ مُعَاوِيَةَ (٤٠ - ٦٠ هـ) ثُمَّ بَقِيَ إِلَى
آخِرِ أَيَّامِ عَبْدِ الْمَلِكِ (ت ٨٦ = ٧٠٥ م).

وَالْإِبَاضِيَّةُ لَيْسُوا، عَلَى الْحَصْرِ، مِنَ الْخَوَارِجِ. وَيَبْدُو أَنَّ الَّذِي حَمَلَ الْمَوْرَخِينَ
وَالْفُقَهَاءَ عَلَى عَدْوِهِمْ فِي الْخَوَارِجِ أَمْرَانُ: عِدَاؤُهُمْ لِبَنِي أُمَيَّةَ ثُمَّ تَشَدُّدُهُمْ فِي عِدَدٍ مِنْ
مَسَائِلِ الْإِعْتِقَادِ وَالْعِبَادَةِ. فَهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ سَارَ مُدَيِّدَةً بِسِيرَةِ أَبِي
بَكْرٍ وَعُمَرَ ثُمَّ لَانَ لِقَوْمِهِ الْأُمَوِيِّينَ فِي إِعْطَائِهِمْ مِنَ الدُّنْيَا أَكْثَرَ تَمَّا يَسْتَحِقُّونَ وَفِي جَمْعِهِ
الْأَمْوَالِ وَفِي مُخَالَفَةِ عُمَرَ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ، ثُمَّ نَفَى أَبَا ذَرٍّ الْغِفَارِيَّ عَنِ الْمَدِينَةِ وَغَيْرِ
ذَلِكَ تَمَّا لَا يَجُوزُ فِي الْإِسْلَامِ. ثُمَّ آسَ تَمَّ عِدَاؤُهُمْ لِجَمِيعِ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ الَّذِينَ كَانَتْ
دَوْلَتُهُمْ دُنْيَوِيَّةً ظَالِمَةً. وَهُمْ يُجَلِّونَ الْإِمَامَ عَلِيًّا وَيُجَلِّونَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ. ثُمَّ إِنَّهُمْ
يَرَوْنَ أَنَّ الْخَوَارِجَ كَانُوا أَوَّلًا عَلَى الْحَقِّ ثُمَّ فَارَقُوهُ. وَهُمْ يَتَبَرَّأُونَ مِنْ نَافِعِ بْنِ الْأَزْرَقِ
وَأَتْبَاعِهِ.

وَبَعْدَ أَبِي إِبَاضٍ رَأْسَ الْحَرَكَةِ أَبُو الشَّعْثَاءِ جَابِرُ بْنُ يُزَيْدٍ الْأَزْدِيُّ (١٨ - ٩٣ هـ)،
وُلِدَ قَرَبَ نَزْوَى فِي عُثْمَانَ (بَضَمَ الْعَيْنَ وَاهَالَ الْمِيمَ: فِي الطَّرْفِ الْجَنُوبِيِّ الشَّرْقِيِّ مِنْ شِبْهِ
جَزِيرَةِ الْعَرَبِ). وَكَانَ عَالِمًا كَبِيرًا وَفَقِيهًا مُجْتَهِدًا. وَيَرَى سُلَيْمَانُ الْبَارُوْنِيُّ (مُخْتَصِرُ
تَارِيخِ الْإِبَاضِيَّةِ ٢٩) أَنَّ الْمَذْهَبَ كَانَ يُجِبُّ أَنْ يُنْسَبَ إِلَيْهِ لِأَنَّ ابْنَ إِبَاضٍ نَفَسَهُ كَانَ
لَا يَبْتَ أَمْرًا إِلَّا بِمَشُورَتِهِ وَرِضَاهُ! وَلِجَابِرٍ كِتَابٌ فِي الْفَقْهِ عُنْوَانُهُ «دِيَوَانُ جَابِرٍ»
فُقِدَ فِيهَا بَعْدُ.

وَمُنْذُ هَذَا الْحِينِ، فِي أَيَّامِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّخَلِ، كَانَتْ الْمَذَاهِبُ الْخَارِجِيَّةُ قَدْ
أَنْتَقَلَتْ إِلَى الْمَغْرِبِ وَأَخَذَتْ تُرْسِلُ جُذُورَهَا إِلَى كُلِّ جِهَةٍ. وَقَدْ شَجَّعَ عَلَى ذَلِكَ تَحْلِيُّ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّخَلِ عَنِ الْإِهْتِمَامِ بِشَأْنِ الْمَغْرِبِ لَكِي يَتَوَفَّرَ عَلَى الْإِهْتِمَامِ بِالْأَنْدَلُسِ
وَحَدَّهَا.

وَأَدْرَكَتِ الْخِلَافَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ ذَلِكَ فَجَعَلَتْ تُرْسِلُ إِلَى الْمَغْرِبِ وُلاَةً عَلَى أَقْطَارِهِ

ليملأوا الفراغ الذي أخذه سقوط الخلافة الأموية في المشرق وانصراف عبد الرحمن الداخل عن مشاكل المغرب.

والجدير بالذكر أن الإباضية الذين كانوا يميلون إلى العباسيين - إلى رجال البيت العباسي - أخذوا الآن يُقاومون الولاة العباسيين ويشورون عليهم.

لم يُحاول الأمير عبد الرحمن أن يُحارب الإسبان، ولا اتفق أن غزا الإيبان الأراضي الداخلة في حكم عبد الرحمن. ولكن لما غزا ملك الفرنجة شارلمان الأندلس (١٦١ هـ = ٧٧٨ م) تصدّى له عبد الرحمن وهزمه. ثم تقطّع جيش شارلمان في أثلة تلك الهزيمة في ممر رونسبالس (في الافرنسية: رونسفو) عبر جبال البرانس (البيرينية). ومن هذه الهزيمة نشأت الملحمة الفرنسية القديمة: أغنية رولان.

توفي عبد الرحمن الداخل (١٧٢ = ٧٨٨ م) فخلفه ابنه هشام الرضي، وقد نازعه أخواه سليمان وعبد الله الحكم ولكنه تغلب عليهما ثم أرضاهما بال دفعه إليهما فانتقلا إلى المغرب وصفا الحكم لهشام. وفي سنة ١٧٦ قام ملك جيليقية برمودة الأول بمهاجمة الأندلس، ولكن هشام الرضي هزمه. ثم تتابعت غزوات العرب إلى جيليقية.

وفي أيام هشام الرضي انتقل المذهب المالكي إلى الأندلس. والذي يلاحظ أن المذاهب الشيعية ومذاهب الخوارج التي كثر انتشارها كلها في المغرب لم ينتشر شيء منها في الأندلس.

وبعد هشام جاء ابنه الحكم، سنة ١٨٠ (٧٩٦ م). وأول ما اصطدم به الحكم سقوط مدينة برجلونة (برشلونة) في يد شارلمان (١٨٥ = ٨٠١ م). ثم كانت هيجتا الربض، وذلك أن الدعاة العباسيين ودعاة الفاطميين الشيعة انبثوا بين طبقات العامة في الربض (الضاحية الجنوبية من قرطبة) يثيرون النقمة على الحكم. ثم زادت النقمة على الحكم لأنه كان مُدفعاً في لذاته ظلاماً في فرض الضرائب وفي معاملة الناس. وقد كان آتخذ حرساً من النصارى وجعل لهم رئيساً منهم أيضاً هو ربيعة بن تيودولفو. فاجتمع الفقهاء - وأبرزهم يومذاك يحيى بن يحيى الليثي وطالوت بن

عبد الجبار - مع العامة وقاموا بهيكتين (ثورتين). فبعد الهيجة الأولى، سنة ١٨٩ (٨٠٧ م) قتل الحكم اثنين وسبعين رجلاً من رؤساء الفتنة. وبعد الهيجة الثانية، سنة ٢٠٢ (٨١٨ م)، أجلي عن الأندلس ستين ألفاً هاجروا إلى المغرب ومصر وجزيرة كريد. ومنذ ذلك الحين عرف الحكم باسم الحكم الربضي.

وفي تلك الأثناء، سنة ١٩١ (٨٠٧ م)، قام عمرو بن يوسف والي طليطلة بالقضاء على رؤساء الفتن في وقعة عرفت باسم وقعة الحفرة، لأنه كان يلتقي الضحايا في حفرة كبيرة وراء قصر طليطلة.

وبعد الحكم (ت ٢٠٦ = ٨٢٢ م) جاء ابنه عبد الرحمن الأوسط^(١)؛ وفي أيامه كان عام المجاعة (٢٠٧ هـ). وفي أيامه أيضاً كانت غزوة الجوس الأردمانيين (الشماليين من سكان دينا في شالي أوروبية، ومن الدغارك خاصة) فقد هاجم الجوس الأندلس بمجاعات كبيرة وعلى دفعات متلاحقة. ومع أن أهل الأندلس صدوا هؤلاء الجوس فقد قتل من المسلمين في الأندلس عدد كبير جداً. ثم كانت حركة الاستخفاف:

هذه الحركة نظمتها البابوية ودولة الإفرنجية (فرنسة) وكان رئيسها في الأندلس الراهب أولوغوس؛ وأما مؤولها فكان أبارو اليهودي. وكان مدار الحركة أن يقوم راهب أو رجل نصراني من العامة قرب الجامع أو في ساحة عامة ثم يشتتم محمداً. فكان عوام المسلمين يثورون إلى هذا «المستخف» فيضربونه أو يقتلونه. ولكن رجال الدين المسيحي في الأندلس نفسها شجبوا هذه الحركة الطائشة؛ ثم تمكن عبد الرحمن الأوسط بحكمته من تخفيف حدتها.

وكثرت الثروة في أيام عبد الرحمن الأوسط فأتسعت الحضارة وعم الترف فأقام عبد الرحمن بلاطاً جمع فيه أسباب الترف واللهو ثم استقدم زرياب مغني العراق وتلميذ إسحاق الموصلي كما نقل طراز الحياة العباسية إلى بلاط قرطبة.

(١) يقال لعبد الرحمن بن الحكم: عبد الرحمن الأوسط (الثاني) بالإضافة إلى عبد الرحمن بن معاوية الداخل (الأول) وإلى عبد الرحمن بن محمد الناصر (الثالث).

وفي أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ - ٢٧٣) تمّ القضاء على حركة الاستخفاف، ولكن ثارت فتنة أوسع مدى وأكثر خطراً هي ثورة عمر بن حفصون، وكان رجلاً يتظاهر بالإسلام فجمع حوله باسم الدين جموعاً من العامة، ومن ذوي الاتجاهات المختلفة وأستولى على رقعة واسعة من الأندلس وشغل الأمراء بحرب طويلة شديدة. وقد كانت البابوية ودولة الفرنجة وراء هذه الحركة أيضاً.

ثم جاء الأمير منذر بن محمد فبقي في الحكم سنتين. ثم خلفه أخوه الأمير عبد الله (٢٧٥ - ٣٠٠)، والأحوال مضطربة في كل مكان حتى بلغت الدولة الأموية في قرطبة دركة ضعفها. وبدأت الأندلس تتجزأ دويلات.

تنازع آل الحجاج وآل خلدون الحكم على إشبيلية وما حولها ثم استبدت بإمارة إشبيلية آل الحجاج ونزح آل خلدون إلى إفريقية (تونس)، سنة ٢٨٦ (٨٩٩ م). واستقل آل نجيب استقلالاً تاماً بسرقة قسطة وقلعة أيوب وما حولها، كما استولى بنو ذي النون على طليطلة.

ثم إن أمراء الأمويين أخذوا يتنازعون في سبيل التفرد بالحكم في قرطبة نفسها. فخاف الأمير عبد الله مغبة هذا النزاع وأراد أن يوطد الملك للعرب في الأندلس فقتل ابنين من أبنائه: محمداً ومطرفاً وعدداً من إخوته ثم جعل ولاية العهد لحفيده عبد الرحمن بن محمد المقتول وأحاطه بنفير من الرجال الذين كان يثق بهم.

وكانت وفاة الأمير عبد الله، سنة ٣٠٠ (٩١٢ م)، والضعف والاضطراب في ذروتها.

الحياة السياسية في المغرب كله

(في أثناء عصر الأمراء المتوارثين في قرطبة)

(١) في إفريقية: المغرب الأدنى (القطر التونسي)

أراد العباسيون أن يسيطروا نفوذهم على المغرب فأرسل أبو جعفر المنصور، في

سنة ١٤٤، محمد بن الأشعث والياً على القيروان، فقام ابن الأشعث بقتال أبي الخطاب عبد الأعلى، رئيس الخوارج فهزمه ودخل القيروان. وفي سنة ١٤٨ جاء الأغلب بن سالم التميمي لنشر الدعوة العباسية وقاتل الخوارج الصُفْرية مدة طويلة ثم أُصيب، في أثناء قتالهم، بسهم فمات متأثراً بذلك، سنة ١٥٠ (٧٦٧ م). وقد ظل الأمر في القيروان وما حولها مضطرباً بحركات الخوارج حتى قامت الدولة الأغلبية.

في سنة ١٨٣ استنجد محمد بن مقاتل العكّي بعامل الزاب (المغرب الأوسط) إبراهيم بن الأغلب، فأسرع إبراهيم إلى القيروان وأستطاع أن يُقرّ الأمن ويضبط الأمور. عندئذٍ أمر هرون الرشيد بعزل محمد بن مقاتل العكّي عن إفريقية وبتولية إبراهيم بن الأغلب عليها. واقترح إبراهيم بن الأغلب على هرون الرشيد أن يفوض إليه شيئاً من الاستقلال الداخلي فيتنازل عن مائة ألف دينار كانت ترد إليه من بغداد لإدارة إفريقية ثم يبعث هو من إفريقية إلى بغداد بِمائة ألف دينار في العام. فكتب الرشيد إلى إبراهيم بن الأغلب (١٨٤ = ٨٠٠ م) يُؤليه إفريقية على هذا الشرط. فأقام إبراهيم بن الأغلب دولة في القيروان اتسعت فيما بعد حتى امتدت من برقة (على حدود مصر) إلى وُلِّي على مقرّبة من فاس الحاضرة.

وفي أيام إبراهيم بن الأغلب رحل الإمام أبو سعيد سَخْنُون بن سعيد إلى المشرق (١٨٨ - ١٩١). فلما عاد ثبت مذهب الإمام مالك في المغرب.

ومن أشهر الأمراء الأغلبية زيادةُ الله بن إبراهيم بن الأغلب (٢٠١ - ٢٢٣ هـ) بعث القاضي أسد بن الفرات على رأس أسطول كبير ففتح جزيرة صقلية، سنة ٢١٢ (٨٢٧ م)، وقام بإصلاحات كثيرة.

وبنى إبراهيم الأصغر (٢٦١ - ٢٩٠)، تاسعُ الأمراء الأغلبية، مدينة رقادة ونقل العاصمة إليها من مدينة العباسية. وفي أيامه اتسع الفتح العربي في جزيرة صقلية ثم سار هو بنفسه على رأس جيش كبير للفتح في شبه جزيرة إيطاليا، فأصيب بسهم في أثناء حصار مدينة كسنتة (كوسنترا) فمات.

(٢) ليبيا

كانت ليبيا تابعة في إدارتها السياسية لإفريقية (القطر التونسي). في سنة ١٤٠ قاد عبد الملك بن أبي الجعد الورفجومي قبائل ورفجومة فاستولى على القيروان وقتل واليها حبيب بن عبد الرحمن. وفي السنة التالية جمع أبو الخطاب عبد الأعلى بن عبد الرحمن بن السمح الماعري، وكان من وجوه العرب، جموعاً من العرب والبربر وقصد طرابلس الغرب وأستولى عليها. ثم إنه سار إلى القيروان وأخرج منها قبائل ورفجومة وقتلهم. وفي هذا القتال سقط عبد الملك الورفجومي صريعاً.

وبلغ أبا الخطاب عبد الأعلى أن الخليفة أبا جعفر المنصور أرسل ولاية للاستيلاء على طرابلس الغرب فاستخلف على القيروان عبد الرحمن بن رستم الفارسي وعاد هو إلى طرابلس للدفاع عنها. فنشأت بذلك دويلة أئمة نفوسة الإباضييين (١٤٠ هـ) في الجانب الجبلي من الجنوب الغربي من ليبيا. (قبل قيام الدولة الإباضية في تيهرت من المغرب الأوسط: الجزائر اليوم).

وتاريخ ليبيا في هذه الحقبة ثورات متلاحقة وحروب. ومع أن الدولة الأغلبية قد استولت على ليبيا فإن قبائل هواره ونفوسة ولواتة وغيرها ظلت تآبى الخضوع للعباسيين وللأغالبة.

(٣) المغرب الأوسط (الجزائر)

كان المغرب الأوسط أيضاً مضطرباً بحركات الخوارج الصُفْرية والإباضية زمناً طويلاً. ثم لما قُتل أبو الخطاب عبد الأعلى الماعري في حرب الوالي العباسي محمد ابن الأشعث هرب عبد الرحمن بن رستم (خليفة أبي الخطاب على القيروان) إلى قبيلة لماية في جبل سوفجج (في المغرب الأوسط) فاجتمع عليه الإباضية فانتقل بهم وبين كان معه أيضاً إلى تيهرت المعروفة اليوم باسم تاقدمت. وبعد أميد طويل، في سنة ١٦٠ (٧٧٦ م) بايع الإباضية بالإمامة لعبد الرحمن بن رستم وأقاموا دولة

إِبَاضِيَّة، وصلت حدودُها شَرْقاً إلى طَرَابُلُس الغرب وقابس وجزيرة جربة. ولَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ رُسْتَمَ (١٧١ - ٢٨٧ م) بُويع بالإمامة بعده لابنُه عَبْدُ الْوَهَّابِ. ثُمَّ جَاءَ الْإِمَامُ أَفْلَحُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ فَحَكَمَ خَمْسِينَ سَنَةً (١٩٠ - ٢٤٠).

والإِبَاضِيَّة يَكْرَهُونَ أَنْ يَدْعُوَهُمُ النَّاسُ «خَوَارِجَ» لِأَنَّهُمْ يَسِيرُونَ فِي الْحُكْمِ وَالْحَيَاةِ بِحَسَبِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ وَلَكِنْ بِمَفْهُومِ الْأُتَمَّةِ الْإِبَاضِيَّةِ. وَمَعَ أَنَّ الْأُتَمَّةَ الْإِبَاضِيَّةَ كَانُوا يَتَوَالَوْنَ فِي الدَّوْلَةِ الرَّسْتَمِيَّةِ مِنَ الْأَبِّ إِلَى ابْنِهِ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا يَجِيئُونَ بِالانتخاب، أَوْ عَلَى الْأَصَحِّ بِمُوافَقَةِ أَهْلِ الْحِلِّ وَالْعَقْدِ، إِذْ كَانُوا لَا يُؤْمِنُونَ بِخِلَافَةٍ وَرَاثِيَّةٍ، وَإِنْ كَانَ نِظَامُ الْحُكْمِ فِي دَوْلَتِهِمْ - مِنَ النَّاحِيَةِ الْعَمَلِيَّةِ - خِلَافَةً وَرَاثِيَّةً كَمَا كَانَ الشَّأْنُ فِي الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ وَالدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ.

(٤) المغرب الأقصى

بعدَ قَتْلِ مَيْسَرَةَ الْمُضَفَّرِيِّ قَامَ بِأَمْرِ قَبِيلَةِ بَرْغَوَاطَةَ طَرِيفُ بْنُ صَالِحِ الْبَرْغَوَاطِيِّ فَتَنَّبَا لِأَتْبَاعِهِ، سَنَةَ ١٢٧، وَأَمَرَهُمْ بِخُرَافَاتٍ وَبِدَعٍ. وَبَعْدَ مَدَّةٍ طَوِيلَةٍ سَافَرَ إِلَى الْمَشْرِقِ وَانْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُ.

ثُمَّ اضْطَرَبَ الْأَمْرُ فِي الْمَغْرِبِ وَتَدَاوَلَ الْاِسْتِيلَاءُ عَلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَبِيبٍ ثُمَّ أَخُوهُ إِلْيَاسُ بْنُ حَبِيبٍ ثُمَّ حَبِيبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ. بَعْدَئِذٍ عَادَ الْإِبَاضِيَّةُ إِلَى الْقُوَّةِ لَمَّا اسْتَوْلَى أَبُو الْخَطَّابِ عَبْدُ الْأَعْلَى عَلَى طَرَابُلُسَ وَالْقَيْرَوَانَ وَالْمَغْرِبِ. ثُمَّ عَلَا أَمْرُ الصُّفَرِيَّةِ فِي آلِ مِدْرَارِ الْمَكْنَاسِيِّينَ بِنَاحِيَةِ الْمَغْرِبِ فَتَنَقَّضُوا طَاعَةَ الْعَرَبِ وَوَلَّوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ عَيْسَى بْنُ يَزِيدَ الْأَسْوَدَ مِنْ مَوَالِي الْعَرَبِ وَمِنْ رُؤُوسِ الْخَوَارِجِ وَاخْتَطَّوْا مَدِينَةَ سِجْلَمَاسَةَ، سَنَةَ ١٤٠. وَكَانَ مُلْكُ بَنِي مِدْرَارٍ فِي سِجْلَمَاسَةَ طَوِيلًا جَدًّا (١٤٠ - ٣٠٩) وَلَكِنْ كَثِيرَ الْاضْطِرَابِ.

الدولة الإدريسية

بعدَ مَعْرَكَةِ فَخٍّ (قُرْبَ مَكَّةَ، سَنَةَ ١٦٩) نَجَا إِدْرِيسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَوَصَلَ إِلَى الْمَغْرِبِ وَنَزَلَ فِي وَلَّيْلِي عِنْدَ أَمِيرِهَا إِسْحَقَ بْنِ

عبد الحميد الأوربي، سَنَة ١٧٢ (٧٨٨ م) فبايعته قبائلُ أَوْزْبَة على الإمارة. وغزا إدريسُ عدداً من القبائل - وكانت منها قبائلُ لم تكن قد دخلت في الإسلام بعدُ فأسلمت - ودخلت كلها في طاعته. ويُقال إنَّ هرونَ الرشيدَ لما علم بأمرِ إدريس في المغرب أرسلَ إليه من سقاهُ سمّاً فمات، سنة ١٧٧ (٧٩٣ م).

ولم يكن لإدريس ولدٌ، بل كانت له أمةٌ اسمُها كَنْزَة حاملٌ في شهرها السابع. فعهدَ البربرُ بالأمرِ إلى مولى لإدريسَ اسمه راشدٌ ريثما تضعُ كَنْزَة حملها. وولدتْ كَنْزَة غلاماً سُمِّيَ إدريسَ بأسمِ أبيه، وقامَ راشدٌ على تربيته وتثقيفه. ولما بلغ إدريسُ الحادية عشرةَ بُويجَ بالإمامةِ وأُجمعَ عليه أهلُ المغرب الأقصى، وأصبحَ يُعرفُ بأسمِ إدريسَ الأزهرِ أو إدريسَ الثاني.

ولما ضاقتْ مدينةُ وُلِّيَ بالدولة الجديدة خطَّ إدريسُ الثاني مدينةَ فاس، سَنَة ١٩٢. ولما تمَّ بناءُ فاسَ خطبَ إدريسُ خطبةً قال فيها:

..... اللَّهُمَّ، إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي مَا أَرَدْتُ بِنَاءَ هَذِهِ الْمَدِينَةِ مُبَاهَاةً وَلَا مَفَاخِرَةً وَلَا سُمْعَةً وَلَا مُكَابَرَةً، وَإِنَّا أَرَدْتُ أَنْ تُعْبَدَ فِيهَا وَيُتْلَى كِتَابُكَ وَتُقَامَ حُدُودُكَ^(١) وَشَرَائِعُ دِينِكَ وَسَنَةُ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. اللَّهُمَّ، وَفَقَّ سُكَّانُهَا وَقُطَّانُهَا لِلْخَيْرِ وَأَعْنَهُمْ عَلَيْهِ، وَاكْفِهِمْ مَوْنَةَ أَعْدَائِهِمْ، وَأَذْرِزْ عَلَيْهِمُ الرِّزْقَ، وَأَغْمِذْ عَنْهُمْ سَيْفَ الْفِتْنَةِ وَالشَّقَاقِ؛ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وبرز شيءٌ من المنافسة والعداوة بين إدريسَ الثاني والأغالبة (لأنَّ الأغالبة كانوا من أنصارِ العباسيين) ثمَّ استقرَّت الأمور بين الدولتين.

وبعدَ وفاةِ إدريسَ الثاني، سَنَة ٢١٣ (٨٢٨ م) خلفهُ أبْنُه مُحَمَّدٌ، ولكنَّ أولادَ إدريسَ تنازعوا وهاجَّتْ بَيْنَهُمُ الْفِتَنُ وتقاسموا الملكَ.

ومن محاسنِ مُلكِ الأدارسةِ في المغرب بناءُ جامعِ القُرَوَيْنِ، بنته أمُ البنينِ فاطمةُ بنتُ مُحَمَّدٍ الْفِهْرِيِّ من أهلِ الْقَيْرَوَانِ. وكان البدءُ ببناءِ هذا الجامع - الذي

(١) الحد: الحاجز (الفاصل) بين شيئين. حدود الله: نواحيه (الأعمال المحرمة).

أصبح أقدم الجامعات في العالم - سنة ٢٤٥ (٨٥٩ م).

ومن الدُولَات التي نشأت في المغرب الأقصى، في هذه الحِقْبَةِ، دُوْلَةُ بني مِدرار في سِجْلَاسَة في بلاد تافيلالت، شرقَ مدينة مَرَاكُشَ على بُعْدِ نحو ثلاثِمِائَةٍ وخمسين كيلومتراً، قريباً من الصحراء، وكانت دولةً إِبَاضِيَّةً صُفْريَّة. وأوَّلُ رُؤْسِهِ هذه الدُوْلَةُ أَبُو القاسم سَمْعُو المِكناسِيّ (١٥٥ - ١٦٧). ثُمَّ خَلَفَهُ أَبْنَاهُ إِيَّاسُ وَالْيَسْعُ. وفي أيام اليَسْعِ (١٧٤ - ٢٠٨) اتَّسَعَ مُلْكُ سِجْلَاسَة وَاسْتَبَحَرَ فِيهَا العُمَرَانُ.

خصائص الأدب وأعلامه

في عصر الأمراء المتوارثين

في هذه الفترة، في عصرِ الأمراء المتوارثين، من سنة ١٣٨ إلى سنة ٣١٦ (٧٥٦ - ٩٢٩ م)، تطوَّر الأدبُ في الأندلس وفي المغرب كُلِّهِ نظوْراً كبيراً: ترقى الشِعْرُ من الحماسة الجافية في الرَجَزِ إلى الوصف الجيِّد والأغراضِ الوجدانيَّة في الأوزانِ المطَّربة. ويُقال إنَّ التوشيحَ المُتَرْفَعُ نشأ في هذا الدورِ على يَدَيِّ مُقَدِّمِ بنِ مُعَاوِي القُبَيْرِيِّ (ت ٢٩٩ هـ) غيرَ أنَّ الخصائصَ العامَّةَ من الفنونِ والأغراضِ والأسلوبِ ظَلَّتْ كُلُّهَا مِشْرِقيَّةً. ثُمَّ لم يَصِلْ إِلَيْنَا مَوْشَحَاتٌ من نَظْمِ مُقَدِّمِ بنِ مُعَاوِي.

أما في الحِقْبَةِ الأولى من هذه الفترة، في بَقِيَّةِ القَرْنِ الثاني لِلهِجْرة، فقد كان الجانبُ الأَوْفَرُ من قائلي هذا الشِعْرِ والنَّشْرِ مِنَ المِشَارِقَةِ الذين طَرَأُوا هُمْ أَنْفُسُهُمْ على المغربِ والأندلسِ جُنوداً ووَلَاةً أو مِنْ أَوْلِيَّكَ الذين كان أسلافُهُمْ قد طَرَأُوا على المغربِ والأندلسِ. أمَّا الذين تَعَرَّبُوا مِنَ البَرْبَرِ وجعلُوا يَنْظِمُونَ وَيَنْثِرُونَ في هذه الفترة فكانوا لا يَزَالُونَ قَلِيلِينَ جِدًّا؛ وكانتْ خِصَائِصُهُمُ الأدبيةُ لا تَزَالُ ضَعِيفَةً غيرَ مَصْقُولَةٍ.

لأمراء البيتِ الأُمَوِيِّ في الأندلس - سواءً منهم مَنْ تَوَلَّى المُلْكَ وَمَنْ لم يَتَوَلَّهْ - شِعْرٌ بعضُهُ جيِّدٌ. وفي هذا الجزء نَفَرٌ منهم جميعاً خُصَّوا بِتَراجِمٍ مُستَقِلَّةٍ: عبدُ الرحمن الداخلُ (١٣٨ - ١٧٢) وأَبْنُهُ هِشَامٌ (وقد وُلِدَ في قُرْطُبَةِ سنة ١٣٨) وحفيدهُ الحَكَمُ

أَبْنُ هِشَامٍ (١٨٠ - ٢٠٦) وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطُ (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ) وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ (٢٧٥ - ٣٠٠) آخِرُ الْأُمَرَاءِ الْمُتَوَارِثِينَ.

ثُمَّ هُنَالِكَ آثَارُ أَدِيبَةٍ لِنَفَرٍ آخَرِينَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ جَاءُوا مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّخْلِيِّ أَوْ لَحِقُوا بِهِ بَعْدَ مُدِيدَةٍ مِنْهُمْ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُمَرَ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ (ت. نَحْوَ ١٦٠) وَمِنْهُمْ حَبِيبُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْوَلِيدِ (ت. ١٦٠) وَمِنْهُمْ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ بَشَرَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ بَشَرَ بْنِ مَرْوَانَ قَتَلَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ الْعَبَّاسِيُّ أَبَاهُ فَجَاءَ هُوَ وَقَصَدَ الْأَنْدَلُسَ فَدَخَلَهَا فِي صَدْرِ إِمَارَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّخْلِيِّ. وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ بَشَرَ هَذَا كَانَ شَاعِرًا رَوَى لَهُ أَبْنُ الْأَبَّارِ شَيْئًا مِنَ الرِّثَاءِ وَالْفَخْرِ وَمِنَ الْهَجَاءِ وَالْغَزْلِ. فَمِنْ غَزَلِهِ: (الْحَلَّةُ السَّيْرَاءُ ١: ٥٩):

وَيَنْفُسِي مَنْ عِنْدَهَا الْيَوْمَ قَلْبِي عَلِقْتُ فِي حَبَالِهَا مَعْمُودٌ^(١).
كُلَّمَا قُلْتُ قَدْ تَنَاهَيْتُ عَنْهَا عَادَنِي مِنْ غَرَامِهَا مَا يَعُودُ^(٢).
فَيَقْلِي مِنْ لَاعِجِ الْحُبِّ مِنْهَا كُلَّ يَوْمٍ سَقَمٌ وَحُزْنٌ جَدِيدٌ^(٣).

وَنَعُدُّ فِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ - مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْبَيْتِ الْأُمَوِيِّ - فِي الْأَنْدَلُسِ أَيْضًا إِبْرَاهِيمَ أَبْنَ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَرْزِينَ الْأَوْدِيِّ، وَهُوَ مِنَ الْمَوْلَدِينَ^(٤)، أَوْرَدَ لَهُ ابْنُ الْأَبَّارِ (الْحَلَّةُ السَّيْرَاءُ ١: ٨٨) شَيْئًا مِنَ الْغَزْلِ الرَّقِيقِ:

بِأَيِّ أَنْتَ مِنْ غَزَالٍ مَلِيحٍ لَيْسَ فِيهِ لِمَنْ تَأُولَ لَوْلَا^(٥).
رَوْضَةُ الْحُسْنِ فِيكَ تُزْهِى، وَلَكِنْ كُلَّ حَوْلٍ يَنْقَى رَبِيعُكَ حَوْلًا^(٦)!

- (١) معمود: مضروب بالمعمود (معدب).
- (٢) تناهى: (هنا): توقف، انتهى. تناهيت عنها: نسيت حبها. عادني: رجع إلي مرة بعد مرة.
- (٣) لاعج: حريق.
- (٤) المولد (في الأندلس) المسلم من الإنسان.
- (٥) تأول الكلام: نظر في باطنه (أشار إلى المقصود منه). ليس فيه «لولا»: ليس فيه ما يختلف الناس فيه، لا تختلف فيه الآراء.
- (٦) تزهى: تفتخر، تعجب (بالبناء للمجهول) بنفسها. الحول: العام، السنة. الربيع عندك (كرمك) يدوم طول العام.

ويبدو من مراجعة الحلة السيرة^(١) أن الشعراء والنائرين في إفريقية والمغرب من الطائرتين عليها كانوا غير قليلين؛ من هؤلاء الحسن بن حرب الكندي ويزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ثم ابن أخيه الفضل بن روح بن حاتم ثم عبدويه وسواهم.

من أوائل الأدباء والمترسلين في إفريقية خالد بن ربيعة الإفريقي^(٢) رحل إلى الشام في خلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥) وتشقّف بأشياء من اللغة والنحو والأدب وكان من أوائل الذين خدموا في ديوان الإنشاء في دمشق فنشأت بينه وبين عبد الحميد بن يحيى الكاتب (قتله العباسيون سنة ١٣٢) مودة. ويبدو أنه عاد إلى إفريقية بعد سقوط الدولة الأموية فاتصل بعبد الرحمن بن حبيب الفهري (ت ١٦٢) والي القيروان من قبل العباسيين فولاه عبد الرحمن شؤون ولايته في المغرب. وكان خالد بن ربيعة مترسلاً بليغاً له رسائل وله مجموع في الأدب نحو مائتي ورقة (ألف سطر). وكانت وفاته سنة ١٤٠.

وثار الحسن بن حرب الكندي على الأغلب بن سالم، في سنة ١٥٠ (٧٦٧ م) فكتب الأغلب إلى الحسن بن حرب يتهدّده:

ألا من مبلغ عني مقالاً يسير به إلى الحسن بن حرب.
فإن البغي أبعدُه وبال عليك، وقربه لك شرُّ قرب^(٣).
فإن لم تدعني لتتال سلماً وعفوي فأذن من طعني وضري^(٤)!
فردَّ الحسن بن حرب عليه بقوله^(٥):

-
- (١) راجع ١: ٦٩ - ٧٠، ٧٢: ٢، ٣٥٦؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ٢٩ - ٣٠.
(٢) الفهرست ١١٨؛ تاريخ إفريقية وتونس للريق القيرواني ١٣٤؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ٣٨ - ٣٩؛ الأعلام للزركلي ٢: ٣٣٦ (٢٩٥).
(٣) الوبال: الهلاك.
(٤) ادن: اقرب (فعل أمر). طعني (بالرمح) وضري (بالسيف): حربي، قتالي.
(٥) الحلة السيرة ١: ٧٠ - ٧٢؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ٢٩ - ٣٠. بين رواية الحلة السيرة (١): ٧٠ حاشية) ورواية مجمل تاريخ الأدب التونسي (ص ٣٠) خلاف غير قليل.

أَلَا قَوْلُوا لِأَغْلَبَ غَيْرِ سِرٍّ مُغْلَغَلَةً عَنْ الْحَسَنِ بْنِ حَرْبٍ^(١)
بَانَ الْمَوْتَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنِي؛ وَكَأْسُ الْمَوْتِ أَكْرَهُ كُلِّ شُرْبٍ.
رَوَيْدُكُمْ، فَيَوْمُكُمْ وَيَوْمِي، وَإِنْ بَعُدَا، مَصِيرُهُمَا لِقُرْبٍ!

ثُمَّ وَقَعَ الْقِتَالُ بَيْنَ الْأَغْلَبِ بْنِ سَالِمٍ وَالْحَسَنِ بْنِ حَرْبٍ فَقَتِلَ الْأَغْلَبُ، فِي شَهْرِ
شَعْبَانَ مِنْ تِلْكَ السَّنَةِ فَرثَاهُ الْحَكَمُ بْنُ ثَابِتِ السَّعْدِيِّ، وَهُوَ شَاعِرٌ مُجِيدٌ مِنْ نَسْلِ
الشَّاعِرِ الْجَاهِلِيِّ سَلَامَةَ بْنِ جَنْدَلٍ (ت ٣٢ قَبْلَ الْهِجْرَةِ) بِأَبْيَاتٍ جَيَادٍ مِنْهَا^(٢):

لَقَدْ أَفْسَدَ الْمَوْتُ الْحَيَاةَ بِأَغْلَبٍ غَدَاةٌ غَدَا لِلْمَوْتِ فِي الْحَرْبِ مُعْلَمًا^(٣).
تَبَدَّتْ لَهُ أُمُّ الْمَنَايَا فَأَقْصَدَتْ، إِذَا كَانَ يَلْقَى الْمَوْتَ فِي الْحَرْبِ صَمًّا^(٤).
أَخَا غَزَوَاتٍ مَا تَرَأَى جِيَادُهُ تُصْبِحُ عَنْهُ غَارَةٌ حَيْثُ يَمَّا^(٥).
أَتَتْهُ الْمَنَايَا فِي الْقَنَا فَأَخْزَمَتْهُ وَغَادَرَتْهُ فِي مُلْتَقَى الْخَيْلِ مُسْلِمًا^(٦).
كَأَنَّ عَلَى أَثْوَابِهِ مِنْ دِمَائِهِ عَبِيطًا، وَبِالْحَدَثَيْنِ وَالنَّحْرِ عِنْدَمَا^(٧).
فَبَاتَ شَهِيدًا نَالَ أَكْرَمَ مِيتَةٍ وَلَمْ يَنْجُ عُمُرًا أَنْ يَطُولَ وَيَسْقَمًا^(٨)!

(١) مغلغلة: رسالة..

(٢) الحلة السرياء ١: ٧١.

(٣) غداة = في الغداة (الصباح). غدا: خرج باكراً (كانت الحرب النبيلة تبدأ في الصباح، ولا تكون غداً في الليل). معلماً: كاشفاً عن وجهه (كان الفارس المشهور بشجاعته وكثرة من قتله في الحروب يتلثم حتى لا يعرفه غرماؤه فيثأروا منه) فخرج الأغلب معلماً لأنه لا يريد أن يتخفى عن غرماؤه ولأنه لا يبالي بالأعداء.

(٤) أم المنايا: الموت الشديد. أقصد الرجل خصمه: أصاب منه مقتلاً. صمم: قصد، سار إلى. ويبدو أن عجز هذا البيت جملة معترضة. والكلمتان «إذا كان» قراءة شخصية في مجمل تاريخ الأدب التونسي (!). وفي الحلة السرياء «ففي حين» (اجتهاداً من المحقق، لأن مكان الكلمتين محو في المخطوط).

(٥) «أخا» مفعول به من الفعل «أقصدت» (في البيت السابق). تصبح: تغزو القوم في الصباح. يم: قصد.

(٦) أتته المنايا (الموت) في القنا (قتلاً بالرمح) أخزمته (قتلته وهو في مقتبل عمره). غادرته: تركته. ملتقى الخيل: ميدان القتال. مسلماً: متروكاً (لا يدافع عنه أحد).

(٧) عبيط: دم مسفوح قريباً (من مدة يسيرة). النحر: بين الصدر والعنق. العندم: الدم الأحمر.

(٨) لم يشأ أن يطول عمره فتكثر حينئذ أسقامه (أمراضه وأوجاعه).

ثم قُتِلَ الحسنُ بنُ حربٍ في أواخرِ شعبانَ فجيءَ به إلى تُونِسَ فصُلِبَ يومَ السبتِ آخرَ يومٍ من شهرِ شعبانَ نفسه (١٥٠ هـ). ويبدو أنَّ الحَكَمَ بنَ ثابتِ السعديِّ لم يُعَمَّرَ بعدَ ذلك طويلاً، ولعلَّ موته كان في أواخرِ سنة ١٥٠ نفسها^(١).

ومن هؤلاء عبَدَوِيَّة، وهو عبدُ الله بنُ الجارودِ العبديُّ، أحدُ الثائرين في إفريقية، قاتَلَ الفضلَ بنَ رُوَح بنِ حاتمٍ والي القَيروانِ (١٧٧ - ١٧٨ هـ) وقتَله. وجَهَّزَ أبو عبدِ الله مالِكُ بنُ المُنذِرِ الكلبي والي ميلة جيشاً وقَاتَلَ ابنَ الجارودِ لِيَنَارَ بالفضلِ بنِ رُوَح، ولكنَّ مالِكاً قُتِلَ أيضاً في المَعركة. عِنْدَئِذٍ سَارَ العَلَاءُ بنُ سَعِيدِ بنِ مَرْوانِ المَهَلِّي والي الزاب لِيَقْتَالَ ابنَ الجارودِ، وَلَكِنْ يَبْدُو أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ بَيْنَ العَلَاءِ وَبَيْنَ ابنِ الجارودِ قتالٌ لأنَّ هروَنَ الرشيدَ كان قد استطاعَ أن يَسْتَمِيلَ ابنَ الجارودِ وَيَسْتَقْدِمَهُ إلى بَغدَادَ.

لَمَّا آلتَقَى مالِكُ بنُ المُنذِرِ بابنِ الجارودِ أَنهَزَمَ أصحابُ مالِكٍ فترجَلَ مالِكٌ عَنْ فَرَسِهِ ثُمَّ هَجَمَ فِي نَفَرٍ مِمَّنْ بَقِيَ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ وَهُوَ يَقُولُ (الحلة السراء ١ : ٨٧ - ٨٨):

يا موتُ، إِنِّي مالِكُ بنُ المُنذِرِ أَهْنِكَ حَشَوَ الْبَيْضِ وَالسَّوَرِ^(٢)؛
أَقْتُلْ مِنْ صَابِرٍ أَوْ لَمْ يَصْبِرِ كَأَنِّي أَفْعَلُ مَا لَمْ يُقْدِرِ^(٣).
فخَرَجَ إِلَيْهِ ابنُ الجارودِ وَهُوَ يَقُولُ^(٤):

إِلَيَّ فَادْنُ، مالِكُ بنُ مُنذِرٍ؛ أَنَا الَّذِي قَتَلْتُ رَبَّ الْمَنْبَرِ^(٥)،
جَرَعْتُه كَأَسِّ الْحَمَامِ الْأَخْمَرِ. فَأَصْبِرْ - سَتَلْقَاهُ - وَإِنْ لَمْ يَصْبِرِ^(٦)!

- (١) الحلة السراء ١ : ٧١؛ مجمل تاريخ الأدب الأندلسي ٣٠.
- (٢) هتك: شق، مرق، قطع. البيضة: الخوذة (إناء معدني) يضعها المحارب على رأسه. السور: الدرع. حشو البيض: الرؤوس. حشو السور: الأبدان.
- (٣) ما لم يقدر: ما لم يأت وقته بعد (أو ما لا يقدر عليه أحد).
- (٤) الحلة السراء ١ : ٨٧.
- (٥) ادن: اقترب (فعل أمر). رب المنبر: صاحب العرش (الملك).
- (٦) الحمام: الموت.

وَلَمَّا أَرَادَ الْعَلَاءُ بْنُ سَعِيدٍ أَنْ يَخْرُجَ لِقِتَالِ ابْنِ الْجَارُودِ كَتَبَ إِلَيْهِ يَقُولُ (الحلة السيرة ١ : ٨٧):

لَعْمُرُكَ، يَا عَبْدُوَيَّ، مَا كُنْتُ تَارِكًا دَمَ الْفَضْلِ أَوْ يَكْسُونِي التُّرْبَ نَائِرُ^(١).
نَذَرْتُ دَمِي فَانْظُرْ، إِذَا مَا لَقَيْتَنِي، عَلَى مَنْ بَكَاسِيهَا تَدُورُ الدَّوَابُّ^(٢).
سَتَعْلَمُ، إِنْ أَنْشَبْتُ فِيكَ مَخَالِي، إِلَى أَيِّ قَرْنٍ أَسْلَمْتُكَ الْمَقَادِرُ^(٣).
فَقَالَ عَبْدُوَيُّهُ بْنُ الْجَارُودِ يَرُدُّ عَلَى الْعَلَاءِ بْنِ سَعِيدٍ^(٤):

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ نَائِرٌ قَدْ قَتَلْتُهُ بِفَضْلِي؛ وَمَا يَنْفَكُ لِلْفَضْلِ نَائِرُ^(٥).
قَضَيْتُ لِنَفْسِي الشَّارَ فِي قَتْلِ مَالِكٍ؛ وَإِنِّي لَهَا قَتَلْتُ الْعَلَاءَ لِنَائِرُ^(٦).
فَمَا لِلْعَلَاءِ خَيْرَةٌ فِي لِقَائِنَا، وَلَيْسَ لَهُ فِي النَّاسِ - إِنْ فَرَّ - عَازِرُ^(٧)!

ثم هُنَالِكَ فِي هَذِهِ الْحِقْبَةِ، فِي إفريقية والمغرب أيضاً^(٨)، مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ بْنُ حَكِيمٍ الْعَمَكِيُّ، وَتَمَّامُ بْنُ تَمِيمٍ الدَّارِمِيُّ وَالْأَغْنَبُ بْنُ سَالِمٍ (ت ١٤٩) وابنه إبراهيمُ ابْنُ الْأَعْلَبِ المشهورُ وَيَحْيَى بْنُ الْفَضْلِ بْنِ الثُّعْمَانِ التَّمِيمِيِّ وَخُرَيْشُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَعِمْرَانُ بْنُ مُجَالِدٍ (تُوفِّيَ قَبِيلَ ٢٠٠) وَعَامِرُ بْنُ الْمَعْمَرِ بْنِ سِنَانِ التَّمِيمِيِّ وَحَمَزَةُ بْنُ السَّبَّالِ المعروفُ بِالْحَرُونَ وغيرهم. ثم هُنَالِكَ بُهْلُولُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْمَدَغَرِيُّ

- (١) ما كنت تاركاً دم الفضل (بن روح بن حاتم): لن أترك الأخذ بثأره. يكسوني التراب نائر: يقتلني نائر (أخذ بثأراً).
- (٢) نذرت دمي: أعلنت أنك ستقتلني. الدوائر: المصائب (الموت). دارت الدائرة بكأسها على الناس: ألماتهم واحداً بعد واحد.
- (٣) إن أنشبت فيك مخالي (أظافري): إذا تمكنت منك، إذا لقيتك. القرن: البطل الندي لغيره. - إذا ظفرت بك يدي ستعلم أنني شجاع قوي مثلك أو أكثر.
- (٤) الحلة السيرة ١ : ٨٦.
- (٥) انتقاماً لمقتل الفضل بن روح بن حاتم والي القيروان (أول ١٧٧ - أواسط ١٧٨ هـ).
- (٦) وسبقني هنالك ثمار ينتقمون لمقتله حتى يفنوا جميع الذين كانوا خصومه.
- (٧) مالك بن المنذر والعلاء بن سعيد (راجع الصفحة السابقة). - قتلت مالكا وأخذت على نفسي (عزمت) على قتل العلاء.
- (٨) ما له خيرة (بكسر ففتح): اختيار (لا بد له من أن يحاربنا).
- (٨) المجلة السيرة ١ : ٨٨. وما بعد.

(المضغري)، وَهُوَ مِنَ الْبَرْبَرِ، وَسَيَرِدُ ذِكْرُهُ فِي تَرْجَمَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ.
وَيَحْسُنُ أَنْ نُشِيرَ إِلَى أَنَّ دِرَاسَةَ الْفِقْهِ وَالنَّحْوِ قَدْ بَدَأَتْ فِي الْأَنْدَلُسِ وَفِي الْمَغْرِبِ
مِنْذَ هَذَا الطَّوَرِ الْبَاكِرِ.

وَكَذَلِكَ رُوِيَ لِرِجَالِ الْعُدُوَّةِ فِي إِفْرِيقِيَّةِ (الْقَطْرِ التُّونِسِيِّ) وَالْمَغْرِبِ شَعْرٌ وَنَثَرٌ مِمَّنْ
تَوَلَّوْا الْإِمَارَةَ فِي أَقْطَارِهِمْ وَمِمَّنْ لَمْ يَتَوَلَّوْهَا، وَمِنَ الَّذِينَ تَرَجَّعُوا أَنْسَابُهُمْ إِلَى الْعَرَبِ أَوْ
إِلَى الْبَرْبَرِ. وَيَبْدُو أَنَّ هَذَا الشَّعْرَ صَحِيحٌ وَلَكِنْ يَبْدُو عَلَيْهِ أَيْضاً تَقْلِيدٌ كَثِيرٌ لِلْمِشَارِقَةِ
وَأَكْثَرُهُ فِي الْحِمَاسَةِ وَالْفَخْرِ.

ثَارَ عِمْرَانُ بْنُ مُجَالِدٍ بْنِ يَزِيدَ الرَّبْعِيِّ^(١) عَلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ (١٤٠ - ١٩٦ هـ)
(هـ) وَهَاجَمَ الْقَيْرَوَانَ فَلَمْ يَسْتَطِعِ التَّغْلِبَ. ثُمَّ هَرَبَ إِلَى نَوَاحِي الزَّابِ^(٢) وَطَلَّبَ
الْأَمَانَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ فَأَمَّنَهُ إِبْرَاهِيمُ. ثُمَّ لَمَّا مَاتَ إِبْرَاهِيمُ وَخَلَفَهُ ابْنُهُ أَبُو الْعَبَّاسِ عَبْدُ اللَّهِ
(١٩٧ - ٢٠١ هـ) جَدَّدَ عِمْرَانُ طَلَبَ الْأَمَانِ فَأَجَابَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ إِلَى مَا طَلَّبَ وَلَكِنْ
عَادَ فَعَدَّرَ بِهِ وَقَتْلَهُ (نَحْو ١٩٨). وَلِعِمْرَانَ الرَّبْعِيُّ - وَهُوَ يُنَازِلُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ
حَوْلَ الْقَيْرَوَانِ - رَجَزٌ مِنْهُ:

يَا رُسُلَ الْمَوْتِ، أَنَا عِمْرَانُ، أَنَا الَّذِي أَتَمَّ لَهُ أَغْوَانُ^(٣).
تُضَنَّقُ مِنْ خِيفَتِي الْفُرْسَانُ يَضْحَكُ عَنْ أَيَّامِنَا الزَّمَانُ^(٤).
نَحْنُ ضَرَبْنَا النَّاسَ حَتَّى دَانُوا نَقْتُلُ أَهْلَ النُّكْتِ حَيْثُ كَانُوا^(٥)!

- (١) الْحَلَّةُ السَّيْرَاءُ ١: ١٠٤: كان عمران هذا من أصحاب إبراهيم بن الأغلب ثم ثار عليه.
- (٢) الزاب مقاطعة في الشمال الغربي من الجزائر اليوم وعاصمتها بسكرة (على نحو ثلاثمائة كيلومتر من مدينة الجزائر جنوباً في شرق).
- (٣) رسول الموت هو الذي يأتي إلى الإنسان الذي انتهت مدته في الأرض فيقبض روحه. والشاعر يقول إنه هو الذي يقبض الأرواح (يقتل الأعداء في المعارك) وإن ملك الموت يساعده في مهمته!
- (٤) يصعق: تصيبه الصاعقة، يسقط فاقدًا وعيه (يموت). يضحك عن أيامنا الزمان (يسر بنجاحنا في المعارك).
- (٥) ضربنا: قاتلنا. دانوا: اتبعوا الدين (أسلموا). أطاعوا. النكت: الإخلاف بالوعد.

وكان حمزة بن السبّال المعروف بالحرون^(١) أحد القوّادِ الرُّسُلِ الشُّجْعانِ في جُنْدِ إبراهيم بن الأُغلب. وقد قُتِلَ حمزةُ هذا في إحدى معاركه في تُونِسَ في صَفَرٍ من سَنَةِ ٢٠٩ (أيار - مايو ٨٢٣ م). ولحمزة رَجَزٌ جَيِّدٌ سَهْلٌ منه (في نُصْرَةِ إبراهيم بن الأُغلب):

إِنْ غَابَ إِبرَاهِيمُ عَنَّا أَوْ حَضَرَ فَإِنِّي أَنُصِّرُهُ فِيمَنْ نَصَرْتُ.
وَاللّهِ، لَا أَرْجِعُ إِلَّا بِظَفَرٍ؛ لَيْسَ يَمُوتُ الْمَرْءُ إِلَّا بِقَدَرٍ.
وَكُلٌّ مِنْ خَالَفَنَا فَقَدْ كَفَرَ!

ومن أمراء الأغالبة أبو محمدٍ زيادةُ الله بن إبراهيم (٢٠١ - ٢٢٣ هـ) تثقف باللغة والنحو وقال الشعر الجيّد^(٢).

لَمَّا اسْتَعْلَى الْجُنْدُ فِي الْقَيْرَوَانِ وَكَادَ الْأَمْرُ يُخْرُجُ مِنْ يَدِ زِيَادَةِ اللَّهِ، قَالَ زِيَادَةُ اللَّهِ يَصِفُ تِلْكَ الْحَالَ، كَيْفَ تَبَدَّلَتْ بَيْنَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ:

يَا وَبَحَ نَفْسِي حِينَ أَرْكَبُ غَادِيَا بِالْقَيْرَوَانِ تَحَالَفَنِي مُخْتَالَا،
فِي فِتْنَةٍ مِثْلَ النُّجُومِ طَوَالِمْ؛ وَتَحَالَفَنِي بَيْنَ النُّجُومِ هِلَالَا!
وَالْيَوْمَ أَرْكَبُ فِي الرُّعَاعِ وَلَا أَرَى إِلَّا الْعَبِيدَ وَمَعَشَرًا أَنْذَالَا.

وجاء إلى زيادةُ الله رسولٌ من المأمونِ العبّاسي يَحْمِلُ رِسَالَةَ يَطْلُبُ الْمَأْمُونُ فِيهَا مِنْ زِيَادَةِ اللَّهِ أَنْ يَخْطُبَ عَلَى مَنَابِرِ إِفْرِيقِيَّةَ (تُونِسَ) لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ بْنِ الْحُسَيْنِ وَالِي خُرَاسَانَ (أَنْ يَذْكُرَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ فِي خُطْبَةِ الْجُمُعَةِ) فَلَمْ يَرْضَ زِيَادَةُ اللَّهِ وَخَاطَبَ الرَّسُولَ بِقَوْلِهِ:

« قَدْ عَلِمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ طَاعَتِي لَهُ وَطَاعَةُ آبَائِي لِآبَائِهِ وَتَقَدَّمَ سَلَفِي فِي طَاعَتِهِمْ، ثُمَّ

(١) الحَلَّةُ السَّيْرَاءُ ١: ١٠٧ - ١٠٩.

(٢) الحَلَّةُ السَّيْرَاءُ ١: ١٦٣ - ١٧٦.

يَأْمُرُنِي الْآنَ بِالْدَعَاءِ لِعَبْدٍ خُرَاعَةٍ^(١). هَذَا، وَاللَّهِ، أَمْرٌ لَا يَكُونُ أَبَدًا.»

وَقَالَ زِيَادَةُ اللَّهِ فِي تَفَاحَةٍ بَيْنَ يَدَيْهِ ذَكَرْتُهُ بِحَبِيبِهِ:

وَلَا يَسَّةَ ثَوْبَ أَصْفَرٍ بِلَا جِسْمٍ تَمُّ بِأَنْفَاسِ الْحَبِيبِ لِمُشْتَمٍ^(٢).
تَجَمَّعَ مَعشُوقٌ لَدَيْهَا وَعَاشِقٌ، فَذُو نَظَرٍ يَرْنُو إِلَيْهَا وَذُو شَمٍّ^(٣).
سَأْفَنِيكَ أَوْ أَفْنِي عَلَيْكَ تَذَكُّرًا لِمَنْ أَنْتَ عِطْرٌ مِنْهُ فِي الرَّشْفِ وَاللَّشْمِ^(٤).
فَقَدْ هَجَّتْ فِي قَلْبِي لَطْفٌ لِتَذَكُّرِي، وَعُنْوَانُهُ فِي مُقْلَتِي دَمْعَةٌ تَهْمِي^(٥).
كَأَنِّي أَذْنِي - حِينَ أَدْنِيكَ - مَنْ بِهِ أَثَرَتْ اِشْتِيَاقِي فِي عِنَاقِي وَفِي ضَمٍّ^(٦).

وَمِنْ بَنِي الْأَغْلَبِ الَّذِينَ رَغِبُوا عَنِ الْمُلْكِ يَعْقُوبُ بْنُ الْمُضَاءِ فَقَدْ انْصَرَفَ إِلَى الزُّهْدِ وَنَزَعَ السَّوَادَ (تَرَكَ لُبْسَ الشَّيَابِ السُّودَ شِعَارَ الْعَبَّاسِيِّينَ وَشِعَارَ الدَّوْلَةِ). وَانْتَقَلَ يَعْقُوبُ إِلَى الْعِرَاقِ وَمَاتَ هُنَاكَ. وَلِيَعْقُوبَ هَذَا شِعْرٌ فِي الشَّيْبِ وَالشَّيَابِ يُخَاطَبُ فِي الْبَيْتِ الْأَخِيرِ مِنْهُ مَنْ قَالَ لَهُ: «قَدْ شَبْتُ»:

فَإِنْ تَكُ لِمَتِّي كُسَيْتُ بِيَاضًا وَبُدِّلَ لِي الْمَشِيبُ مِنَ الشَّيَابِ،
فَقَدْ عُمِّرْتُ ذَا فَرْعٍ أَثِيثٍ كَأَنَّ سَوَادَهُ حَنَكُ الْغُرَابِ.
فَلَا تَعْجَلْ، رُوَيْدَكَ، عَنْ قَرِيبٍ كَأَنَّكَ بِالْمَشِيبِ وَبِالْحِضَابِ.

ثُمَّ نَحْنُ نَشْمُ نَفْحَةً أُمُويَّةً مِنْ نَفْسِ جَرِيرٍ فِي آيَاتِ أَبِي الْعَبَّاسِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَغْلَبِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ (ت ٢٤٢ = ٨٥٦م) وَهُوَ يَفْتَخِرُ قَائِلًا (الْحِلَّةُ السَّيْرَاءُ ١: ١٧٠):

- (١) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُسَيْنِ فَارِسِيُّ النِّسْبِ مِنْ خُرَاسَانَ وَلَكِنْ يَنْتَسِبُ بِالْوَلَاءِ إِلَى بَنِي خُرَاعَةَ الْعَرَبِ.
- (٢) بِلَا جِسْمٍ، لِأَنَّ الْأَصْفَرَارَ فِي التَّفَاحَةِ جُزْءٌ مِنْهَا (وَلَا يُمْكِنُ تَبْدِيلُهُ كَالثَّوْبِ الْعَادِيِّ).
- (٣) تَجَمَّعَ مَعشُوقٌ لَدَيْهَا وَعَاشِقٌ (٤).
- (٤) سَأْفَنِيكَ بِكَثْرَةِ مَا أَشَمَّ مِنْكَ... (لَأَنَّكَ تَذَكَّرْتَنِي بِحَبِيبِي فَأَعَامَلْتُكَ كَمَا كُنْتُ أَوْدُ أَنْ أَعَامِلَهُ. أَوْ أَفْنِي عَلَيْكَ تَذَكُّرًا...: أَوْ أَذُوبُ أَنَا (أَمُوتُ) لِأَنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَصِلَ فَيْكَ إِلَى غَايَتِي مِنْ حَبِيبِي (سَيَكُونُ تَذَكُّرُكَ لِي بِالْحَبِيبِ، مَعَ حَرَمَانِي مِنْ لِقَائِهِ، سَبَبًا لِنَحْوِي أَوْ مَوْتِي).
- (٥) اللَّطْفُ: لَهَبُ النَّارِ. دَمْعِي الَّذِي يَهْمِي (يَتَسَاقَطُ) عُنْوَانُ (دَلِيلُ) عَلَيَّ مَا أَشْكُو مِنْ نَارِ الْبَعْدِ عَنِ الْحَبِيبِ.
- (٦) حِينَ أَمْسُكُكَ بِيَدِي وَأَدْنِيكَ (أَقْرَبُكَ مِنْ أَنْفِي) أَتَحَيَّلُ أَنَّنِي أَضَمَّ حَبِيبِي.

أليس أبي وَجْدِي أوطائي - وجدُّ أبي وعمَّاي - الرقابا؟
 ورثتُ الملكَ والسُّلطانَ عنهم فصِرتُ أعزَّ من وطىء التُّرابا.
 أنا الملكُ الَّذي أَسْمُو بنفسي فأبلغُ بالسُّموِّ بها السَّحابا.
 ولكنَّ التقليدَ والضعفَ باديانِ على هذه الأبيات بوضوح.

وإلى جانبِ الشعرِ في إفريقية (تونس) كانت الحركةُ العلميةُ في الفقه هي التي نقلتِ المغرب إلى المذهبِ المالكي وأثرت في مجرى تاريخه.

فمن أوائل الذين يُعدّون في هذا النطاقِ خالدُ بنُ أبي عمران التُّجيبِيّ، وُلِدَ في تُونِسَ وتلقَى العلمَ على أبيه وآخرينَ ثم رَحَلَ إلى الحِجازِ فَرَوَى عن نَفَرٍ من التابعين منهم القاسمُ بنُ مُحَمَّدٍ بنِ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ (٣٧ - ١٠٧ هـ) وعن سالمِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ بنِ الخطَّابِ (ت ١٠٦) وعن نافعِ مولى عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ بنِ الخطَّابِ (ت ١١٧) وعن سُلَيْمَانَ بنِ يَسَارٍ (ت ١٠٧). ثم عادَ خالدٌ إلى إفريقية في مطلعِ القرنِ الثاني للهجرة يَحْمِلُ فِقْهاً كثيراً ورواياتٍ (في الحديث) صحيحةً. وكان ثقةً فيما يروي ويقول. وتولّى خالدٌ قضاءَ إفريقية، وكانت وفاته سنة ١٢٧. ولم تقتصر روايةُ خالدٍ على الحديثِ والقراءة (قراءة القرآن الكريم) والفقه، بل كانت له رواياتٌ من التاريخ عن فتحِ إفريقية والمغربِ نرى كثيراً منها في كتاب «فتوح الشام» للواقدي وفي كتاب «فتوح مصر والمغرب» لابن عبد الحكم.

ومن حملةِ العلمِ في تونس أبو مُحَمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ فَرّوخِ الفارسيُّ من شيوخِ أهلِ إفريقية وفقيهُ القيروان. وُلِدَ سنة ١١٥ (٧٣٣ - ٧٣٤ م)، قيل في الأندلس، ثم سكن القيروان. رَحَلَ إلى المشرقِ فأخذ عن مالكِ بنِ أنسٍ في الحِجازِ ثم انتقل إلى العراقِ فَلَقِيَ في الكوفةَ أبا يحيى زكريّا بنَ أبي زائدةَ (ت نحو ١٤٨ = ٧٦٥ م) وسُفيانَ الثَّورِيَّ (ت ١٦١) وأخذَ عنهما كثيراً من الحديث، كما أخذَ عن أبي حنيفةٍ كثيراً من الفقه.

وعادَ عبدُ اللهِ بنُ فَرّوخِ إلى القيروان وأقرأ بها الحديثَ والفقه. وكانت له أيضاً

عنايةً بالتفسير. وعَرَضَ عليه رَوْحُ بْنُ حَاتِمٍ والي إفريقية (١٧١ - ١٧٤ هـ) القضاء في القيروان فأبى. ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ فَرْوَجَ ذهب إلى الحجّ. وفي أثناء عَوْدَتِهِ مرَّ بمَصْرَ فَنُوقِيَ بها، سَنَةَ ١٧٥ (٧٩١ - ٧٩٢ م) وَدُفِنَ فِي سَفْحِ جَبَلِ الْمُقَطَّمِ^(١).

ومن هؤلاء عليُّ بْنُ زِيَادٍ العَبْسِيُّ من أبناء تُونِسَ سَمِعَ الْمُوطَّأَ في المَدِينَةِ من الإمام مالك (ت ١٨٣). وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَدْخَلَ الْمُوطَّأَ إِلَى المَغْرِبِ.

ويجيءُ هنا أيضاً عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَانٍ اليَخْضِيُّ من أهل القَيْرَوَانِ رَحَلَ إِلَى الحِجَازِ وَأَخَذَ الحديثَ عن مالكٍ ثُمَّ دَخَلَ البَصْرَةَ والكوفةَ وتلقَى العربيَّةَ (النَّخَوَ) عن سَيِّوَيْهِ (ت ١٨٠) والكِسَائِي (ت ١٨٩)، ثُمَّ عادَ إِلَى القَيْرَوَانِ يَنْشُرُ مَا حَمَلَهُ مَعَهُ من العِلْمِ. وكانت وفاته في سَنَةِ ٢٢٦ (٨٤٠ - ٨٤١ م).

في القرن الثالث الهجري:

ويجسُنُ هنا، في استكمالِ صورةِ العصر، أن نذكرَ مُؤرِّخينَ أحدهما ابنُ سَلَامٍ بن عُمَرَ (أو عَمْرٍو)، وَهُوَ أَوَّلُ المؤرخين الإباضيين الذين نَعْرِفُهُم في المَغْرِبِ. بَلَغَ أَشَدَّهُ بَيْنَ سَنَةِ ٢٤٠ و ٢٦٠ (٨٥٤ - ٨٧٣ م) وكان كتابه في التاريخ يتعلّق بانتشار الإسلام في جبل نفوسة (جنوبي غربي ليبيا) بالإضافة إلى تراجمٍ نَفَرٍ من أئمة الإباضية الأولين كأبي الخطّاب عبد الأعلى (بُوعَ سَنَةِ ١٤٠) وأبي حاتم يعقوب بن حبيب (١٥٤ - ١٥٥ هـ) وبالإضافة إلى شيءٍ من صلة الإباضية في تيهرت (في الجزائر اليوم) بإخوانهم في المشرق. وكان ابنُ سَلَامٍ من كبار الإباضية في القطر التونسيّ (دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٢٧).

والمؤرِّخُ الثاني هو ابنُ الصغير مؤلّفُ تاريخٍ يتناولُ حياةَ الأئمةِ الرُستَميّين في تاهرت (وتلفظ أيضاً تيهرت وتيارت) نَقَلَ منه أبو القاسم بن إبراهيم البرّادي (ت بعد ٨١٠) وأحمد بن سعيد الشماخي في كتابه «السّير» (ت ٩٢٨). وكتابه في الأكثر

(١) طبقات علماء إفريقية وتونس ١٠٧ - ١١١، ١٧٣؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي لحسن حسني عبد الوهاب ٣٧ - ٣٨؛ الأعلام للزركلي ٤: ٢٥٢.

مجموع روايات أكثر منه تاريخاً سياسياً متصلاً. ولعل ابن الصغير قد بقي على قيد الحياة إلى سنة ٣١٠ (٩٢٢ م) أو إلى ما بعد ذلك بقليل.

وفي هذا القرن نجد الأدباء الذين وُلدوا في الأندلس والمغرب ونشأوا فيها وظلت معظم خصائص أدبهم مشرقية، من هؤلاء بنو أمية في الأندلس وكان من هؤلاء جميعاً: الأمير عبد الرحمن الأوسط وابنه الأمير محمد وحفيده الأمير عبد الله (ت ٣٠٠ هـ) ثم يعقوب بن الأمير عبد الرحمن الأوسط ومطرف بن الأمير محمد. وفي صف هؤلاء كلهم نجد في المغرب نفراً من الأدارسة ومن الأغلبية ونفراً من أهل المغرب كسليمان بن وانسوس الكناسي.

في هذا القرن نشأ نفراً من الذين يستحقون لقب شاعر. ومع أن خصائص هؤلاء الشعراء كانت لا تزال في الأكثر مشرقية، تجري في نطاق الشعر الجاهلي أو الشعر الأموي أو الشعر العباسي، فإن نفراً منهم قد خرج عن نطاق التقليد وعن شعر الحماسة إلى فنون منها الرثاء والوصف والغزل والخمر.

وإذا كان بعض الشعر في الأندلس قد فارق عدداً من خصائصه المشرقية، فإن النثر ظلّ أبداً مشرقياً، فإننا لم نر في النثر أجمع - في الخطابة والترسل والتأليف - ما رأيناه في الشعر كشأة الموشح مثلاً. ثم إن الشعر عند عدّه فناً وجدانياً شخصياً أكثر من النثر في العادة - قد تأثر بالبيئة الطبيعية والبيئة الاجتماعية في الأندلس إلى حد بعيد. أمّا النثر فلم يجز عليه مثل ذلك، إلا إذا نظرنا إلى عدد من الألفاظ والتراكيب التي جدت على لسان أهل الأندلس. غير أن مثل هذه الألفاظ والتراكيب تجد في البيئة الواحدة في العصور المختلفة فلا دخل كبيراً لها هنا في خصائص اللغة والأسلوب.

كان هشام بن عبد الرحمن الداخل (١٣٩ - ١٨٠ هـ) أول الأمراء الذين وُلدوا في الأندلس. أراد رجل يوماً أن يُغريه بشراء ضيعة تُباع في دين، فقال له هشام (قبل أن يتولى الخلافة):

«أنا أريد أمراً (الخلافة) إن بلغته غنيتُ عنها، وإن قطع بي دونه خسرْتُها.

وَلَا ضُنَاعُ رَجُلٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ اكْتِسَابِ ضَيْعَةٍ....» (الحلّة السبراء ١: ٤٢ - ٤٣):

الْبَذْلُ - لَا الْجَمْعُ - فِطْرَةُ الْكَرَمِ؛ فَلَا تُرْزِ بِي مَا لَمْ تُرْزِ شَيْمِي.
مُلْكُ الْوَرَى وَالْعِبَادِ قَاطِبَةً - لَا مُلْكُ بَعْضِ الضِّيَاعِ - مِنْ هِمَمِي! «

هذا النثر وهذا الشعرُ مشرقِيَّانِ في خصائصِهما.

وكان أبو القاسمِ المطرّفُ بنُ الأميرِ محمّد بن عبد الرحمن شاعراً مُجيداً وبارعاً في الغناء، وهو أشعرُ أولادِ الأميرِ محمّد، تُوفّي في إمارة أبيه (٢٣٨ - ٢٧٣)، وله من العُمُرِ أربعٌ وعشرون سنة. وفي شعره (الحلّة السبراء ١: ١٢٨ - ١٣٠) جدٌّ وهزلٌ فَمِنْ شِعْرِهِ يرثي أخاه عبد الرحمن:

أَخُ كَانَ؛ إِنْ لَمْ يُنْرَعْ النَّاسُ أَصْبَحَتْ مَوَاهِبُهُ لِلنَّاسِ وَهِيَ مَرَابِعٌ^(١).
كَثِيرٌ عَلَيْكَ الْحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ كَمَا كَثُرَتْ مِنْ رَاحَتِكَ الصَّنَائِعُ^(٢).
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ، إِنْ النَّدَى لَهُ زَوَالٌ وَإِنَّ السَّعْيَ بَعْدَكَ ضَائِعٌ^(٣).
وَقَالَ فِي الشَّيْبِ:

إِنَّ شَيْباً وَصْبَوَةً لَمُحَالٌ، قَدْ أَنَى أَنْ يَكُونَ عَنْهَا زَوَالٌ^(٤).
رَكِبَ الشَّيْبُ لِمَتِّي خَلَلَ الشَّعْرَ سِرَ لَوْقَتِ حَالَتُ بِهِ الْأَحْوَالُ^(٥).
فَرَعَ النَّفْسَ عَنْ مُزَاجٍ وَلَهْوٍ. تِلْكَ حَالٌ مَضَتْ وَجَاءَتْ حَالٌ^(٦).

- (١) إذا لم تكن الأرض خصبة (في عام ما) وهب الناس من الأموال ما يجعل حياتهم كلّها ربيعاً.
- (٢) كثر حزن الناس عليه بمقدار كثرة الصنائع (أوجه المعروف والكرم) على الناس.
- (٣) بعدك لن يكون ندى (كرم) ولن يبقى فائدة من السعي (قصد الكرماء للعطاء: لأنّه لن يبقى بعدك كرماء مثلك).
- (٤) وصبوة - مع صبوة (حب، ميل إلى اللهو). أنى: قرب، حان، وجب. عنها (عن الصبوة). زوال: (هنا) ترك (للصبوة).
- (٥) ركب الشيب لِمَتِّي (كثّر في مقدّمة رأسي) وتسربّ خلال (بين) سائر شعري. لوقت حالت به الأحوال: في وقت تبدّلت أحوال (من قوّة إلى ضعف، الخ).
- (٦) زع فعل أمر من وزع يزع (بمعنى نهى، زجر، منع) - يقول حسين مؤنس (بحقّ كتاب الحلّة السبراء ومعلّق حواشيه) أنّ هذا البيت يبدأ في الأصل (في المخطوط) بكلمة «فزع» فاختار هو أن يبدأها ويجعلها «فدع». ولا ريب في أنّه يدرك أن «فزع» (الفاء حرف عطف، و«زع» فعل أمر من وزع يزع) بمعنى فازجر (النفس عن...).

وقال في الخمر واللهم:

أشهى من الكأسِ حاملُ الكاسِ أرعاهُ ما طافَ حَوْلَ جُلّاسي.
يَثْقُلُ من أَجلِهِ الجليسُ ولو كان من النُكِّ آمنَ الناسُ^(١)!

ومن أمرائهم المتوارثين الشعراء أيضاً محمد بن عبد الرحمن تولى الإمارة أربعاً وثلاثين سنة (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ)، وتمتزج الحماسة في شعره بالفضل. من ذلك قوله (الحلة السراء ١: ١١٩ - ١٢٠):

قَفَلْتُ وَأَعْمَدْتُ السِوْفَ عن الحربِ، وَمَا أَغْمِدْتُ عَنِّي السِوْفَ من الحُبِّ^(٢)،
أَقْرُبُةً، هل لي إِلَيْكَ وَفَادَةٌ تَقَرُّ بَعَيْنِي أَوْ تَمْهَدُ من جَنِّي^(٣)؟
عَدائي عَدُوٌّ عن حَبِيبٍ فُزِرْتُهُ بجيشٍ تَضِيقُ الأرضَ عن عَرَضِهِ الرَّحْبِ^(٤).
إذا اسْوَدَّ من لَيْلِ الدُّرُوعِ تَبَلَّجَتْ أَسِنَّةُ فِيهِ عن الأَنْجَمِ الشُّهْبِ^(٥).
وله في الخمر (الحلة السراء ١: ١٢٠):

ذكر الصُّبُوحَ فَظَلَّ مُضْطَجِحاً يستعملُ الإبريقَ والقَدَحَ^(٦).
ما زال حَيّاً وهو يَشْرَبُهَا حتَّى أَمَاتَتْهُ الكُؤُوسُ ضُحَى.

في النقد والتقليد:

إنَّ الأحوالَ الاجتماعيةَ والخصائصَ الأدبيةَ لا تستقرُّ في الأعصرِ فجأةً، بل على

- (١) يثقل في نظري كلّ حاضر معنا، ولو كان ناسكاً شديد النك، لأنني أغار على هذا الساقى الجميل من كلّ إنسان.
- (٢) قفلت: رجعت (من الحرب منصوراً) وهادنت العدو، ولكن الحب لم يهادني (لم يغمد سيوفه عني).
- (٣) تقر بعيني: تقر بها عيني (أصبح مسروراً). تمهد من جني (تمهد الأرض لجني) تحملني مستريحاً.
- (٤) كنت مسروراً مع حبيبي فاعتدى عليّ عدوّ فتركت حبيبي لأقوم بغزوة على العدو كبيرة تضيق عنها الأرض.
- (٥) إذا ظهر هذا الجيش وكأنه قطعة سوداء كالليل (لكثرة ما فيه من الدروع، من الجنود) ظهرت فيه رؤوس الرماح (لكثرتها) كالأنجم الشهب (النجوم البيضاء) فأصبح كالنهار.
- (٦) الصبوح: شرب الخمر صباحاً. وكان مسروراً بشرب الخمر، فلما استمرّ شربه إلى الضحى (بعد أن تعلق الشمس فوق الأفق الشرقي) مات (غاب عن الوعي).

التدرج قليلا قليلا وشيئا بعد شيء. ثم يحسن أن نلاحظ أن أحوال الاجتماع وخصائص الأدب لا تغيب، عند الانتقال من عصر إلى عصر، مرة واحدة، بل تبقى منها بقايا راسبة في المجتمع وبادية إلى جانب الأحوال والخصائص الجديدة. ويجوز لنا أن نقول: إن في كل عصر رواسب من جميع العصور التي سبقتة مفرقة في نواحيه المختلفة.

ليس في ما لدينا من النتاج الأدبي في عصر الأمراء المتوارثين ما يدل على حركة للنقد، ولكن لعلنا نجد رأياً هنا ورأياً هناك، كما قال عبد الملك بن حبيب السلمي (ت ٢٣٨، راجع ترجمته):

والشعر لا يسلس إلا على فراغ قلب وآساع الخلق!

ومن وجوه النقد «المقياس» الذي نقيس به الشعر الجيد والشعر غير الجيد. إنه الإعجاب أول أسس النقد الفطري، في مقابل النقد العلمي الذي هو منهج ذو قواعد قائمة على الأسباب والنتائج بعد النظر في القطعة المعروضة للنقد. في النقد الفطري (في الاجتماع وفي الأدب) نُعجب بالرجل فنحب كل شيء يصدر منه. أما في النقد العلمي فإننا ننظر إلى القطعة بقطع النظر عن صاحبها. وقد ننقد قطعتين لأديب واحد، فتثبت إحداها على النقد وتسقط الثانية منها عند النظر.

والمعارضة (تقليد الشاعر لشاعر آخر) وجه من وجوه النقد الفطري. أليس هو مظهراً من مظاهر الإعجاب والحكم لشاعر بأنه أحسن؟

نجد ليحيى بن حكيم الغزال (ت ٢٥٠) قصيدة في الخمر عارض بها أبا نواس معارضة قريبة جداً، قيل إنها خدعت أدباء بغداد (راجع نفح الطيب ٢: ٢٦٠-٢٦١). من هذه القصيدة ليحيى الغزال:

فلما أتيت الحان ناديت ربّه فثار خفيف الروح نحو ندائي^(١).

(١) الحان: الحانة (دكان بيع الخمر).

قليلُ هجوع العين إلا تَعَلَّةٌ على وَجَلٍ مِنِّي ومن نُظْرَائِي^(١).
 فقلتُ: «أَذْقِيهَا». فلَمَّا أذاقَهَا طرَحْتُ إِلَيْهِ رِيْطِي وَرِدَائِي^(٢).
 وقلتُ: «أَعِزَّنِي بِذَلَّةٍ أُسْتَتِرُ بِهَا» بَدَلْتُ لَهُ فِيهَا طَلَاقَ نَسَائِي^(٣).
 إِنَّمَا لَا نُخْطِئُ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ نَفْسَ أَبِي نَوَاسٍ (ت ١٩٩ هـ) وَلَا أَلْفَاظَهُ
 وَتَرَائِكِيهِ. فَمِنْ مَدِيحِ أَبِي نَوَاسٍ لَهْرُونَ الرَّشِيدِ قَصِيدَةٌ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الْخَمْرِ مِنْهُ:
إِلَى بَيْتِ حَانَ لَا تَهَرُّ كِلَابُهُ عَلَيَّ وَلَا يُنْكِرُنَ طَوْلَ نَوَائِي^(٤).
 فَإِنْ تَكُنِ الصَّهْبَاءُ أَوْدَتَ بِنَالِدِي فَلَمْ تُوقِنِي أَكْرَمَتِي وَحَيَائِي^(٥).
 فَمَا رَمْتُهُ حَتَّى أَتَى دُونَ مَا حَوَتْ يَمِينِي حَتَّى رِيْطِي وَحِذَائِي^(٦)!
 لَمَّا أَخْرَجَ الْوَزِيرُ هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ مِنْ سِجْنِهِ لِيُسَاقَ إِلَى الْقَتْلِ (٢٧٣ هـ)
 كَتَبَ إِلَى جَارِيَةٍ لَهُ اسْمُهَا عَاجُ يَقُولُ (الحلة السراء ١: ١٤٠ - ١٤١):

وَإِنِّي عِدَانِي أَنْ أَزُورَكَ مُطْبِقٌ وَبَابٌ مَنِيْعٌ بِالْحَدِيدِ مُضَبَّبٌ^(٧).
 وَفِي النَّفْسِ أَشْيَاءُ أُبَيْتُ بِغَمِّهَا كَأَنِّي عَلَى جَرِّ الْغُضَا أَتَقَلَّبُ^(٨).
 وَكَمْ قَائِلٍ قَالَ: أَنْجُ، وَيَحْكُ سَالِمًا فِي الْأَرْضِ عَنْهُمْ مُسْتَرَادٌّ وَمَذْهَبٌ
 فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ الْفِرَارَ مَذَلَّةٌ وَنَفْسِي عَلَى الْأَسْوَأِ أَخْلَى وَأَطْيَبُ^(٩).

- (١) التعللة: (الشيء القليل)، ما يحاول الإنسان أن يكتفي به. الوجل: الخوف. النظراء: الأكفاء، المتساوون في المرتبة. (صاحب الحانة يكون غير مسلم. من أجل ذلك يخاف من المسلمين الآتين إليه لئلا يكونوا من رجال الشرطة المتخفين).
- (٢) الريطة: رداء من قطعة واحدة ومن نسج لِيْنِ نفيس غال (دفع ذلك ثمنًا للخمر).
- (٣) - أقسمت يميناً أن أطلق امرأتِي إِذَا لَمْ أَرِدْ لَهُ تِلْكَ الْبَذْلَةَ.
- (٤) هَرَّ الْكَلْبُ: نَبَحَ وَكَثُرَ عَنْ أَنْيَابِهِ. الثَّوَاءُ: الْمَكْتُ وَالْبَقَاءُ.
- (٥) أَوْدَتَ بِهِ الْأَحْدَاثُ: أَهْلَكَتْهُ. التَالِدُ: الْمَالُ الْقَدِيمُ (الموروث). وَفَاهَ الْأَمْرُ: مَنَعَهُ إِيَّاهُ أَوْ دَفَعَ الْأَمْرَ عَنْهُ، حَمَاهُ.
- (٦) رَمَتْ (بَكْسَرِ الرَّاءِ) أَرِيْمَ: تَرَكْتَ (غَادَرْتَ الْمَكَانَ). أَتَى دُونَ مَا حَوَتْ يَمِينِي: أَخَذَ مِنِّي كُلَّ مَا كُنْتُ أَمْلِكُ.
- (٧) عِدَانِي: شَغْلَنِي، مَنَعَنِي. مُطْبِقٌ: السَّجَنُ تَحْتَ الْأَرْضِ. مُضَبَّبٌ: مَقْفَلٌ بِضَبَّةٍ (بِفَتْحِ الضَّادِ): حَدِيدَةٌ عَرِيضَةٌ يَشُدُّ بِهَا الْبَابُ إِلَى الْجِدَارِ.
- (٨) الْغُضَا: شَجَرٌ شَدِيدُ الْاشْتِعَالِ وَالْحَرَارَةِ.
- (٩) الْأَسْوَاءُ جَمْعُ سُوءٍ (شَرٍّ).

سأرضي بحُكمِ الله في ما ينوبني، وما من قضاء الله للمرء مهرب^(١).
ففي هذه الأبيات نفسٌ جاهليٌّ عليه أثرُ النابغة.
وأحسنُ من أبياتِ هاشم بن عبد العزيز أبياتُ سوارِ بن حمْدونِ القيسي:
(ت ٢٧٧) قال (الحلة السراء ١: ١٥٠):

ولما رأونا راجعين إليهم تَوَلَّوْا سِرَاعاً خَوْفَ وَقَعِ الْمَنَاصِلِ^(٢).
لقد سَلَّ سَوَّارٌ عَلَيْكُمْ مُهَنِّدًا يَجُذُّ بِهِ الْهَامَاتِ جَذَّ الْمَفَاصِلِ^(٣).
به قتل الله الذين تحزَّبوا علينا وكانوا أهلَ إِفْكٍ وباطل.
ولكنَّ النفس لا يزال جاهليّاً برُغمِ الألفاظِ الإسلامية.

زرياب: الغناء

في سَنَةِ ٢٠٧ (٨٢٢ م)، في الأغلب، في مَطْلَعِ عَهْدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطِ
(٢٠٦ - ٢٣٨ هـ) أَنتَقَلَ زَرِيَابٌ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى قُرْطُبَةَ.

كان زَرِيَابٌ، وهو أبو الحسن عليُّ بنُ نافعٍ^(٤)، تلميذَ إِسْحَاقَ الموصليّ (ت ٢٣٥)،
مغنيّاً نابغاً وضارباً على العود قديراً، وَقَعَتْ وَخْشَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَسَاتِذِهِ إِسْحَاقَ فِي خَيْرِ
طَوِيلٍ (راجع نفع الطيب ٣: ١٢٢ وما بعد) فغادرَ بَغْدَادَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ. وَحَظِيَ
زَرِيَابُ عِنْدَ الْأَمِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطِ حَظَوَةً عَظِيمَةً وَعَلَتْ مَكَائِنُهُ فِي الْمَجْتَمَعِ
الْأَنْدَلُسِيِّ وَقَلَّدَهُ النَّاسُ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَمَطِ حَيَاتِهِ.

وفي الْأَنْدَلُسِ زَادَ زَرِيَابُ أَوْتَارَ عُوْدِهِ وَتَرَأَ خَامِساً وَسَطّاً (في المَكَانِ فِي الْقُوَّةِ)
وَسَمَّاهُ الْأَوْسَطَ وَجَعَلَهُ فِي وَسَطِ الْأَوْتَارِ الْأَرْبَعَةِ تَحْتَ الْمَثَلِثِ وَفَوْقَ الْمَثْنَى، وَاتَّخَذَ

(١) ناب: أصاب.

(٢) المناصل جمع منصل (بضم الميم والصاد): السيف.

(٣) جذ: قطع. الهامة: الرأس.

(٤) زرياب، تأليف محمود أحمد الحفني (في أعلام العرب، رقم ٥٤)، القاهرة (الدار المصرية للتأليف والترجمة) بلا تاريخ؛ نفع الطيب ٣: ١٢٢ - ١٣٥؛ الأعلام للزركلي ٥: ١٨٠ - ١٨١ (فيه شيء من التحقيق). مجلة «العربي» (الكويت) ٤ ٦٢١ ص ١٠٢.

مِضْرَابَ الْعُودِ (الرِيشَةُ الَّتِي يُعْزَفُ بِهَا) مِنَ الرِيشِ الْكِبَارِ فِي جَنَاحِ النِّسْرِ، بَدَلْ
قِطْعَةِ الْخَشَبِ الْمُرْهَفَةِ (الْمُرَقَّة)، لِأَنَّ قِطْعَةَ الْخَشَبِ الْمُرْهَفَةِ تَتَشَعَّثُ فَتُحْدِثُ عِنْدَ
الضَّرْبِ عِدَدًا مِنَ النِّقَرَاتِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ.

وَكَانَتْ وَفَاةُ زُرْيَابَ فِي الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ ٢٣٨ (١٣ / ٨ / ٨٥٢ م)
- قَبْلَ وَفَاةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطِ بِأَرْبَعِينَ يَوْمًا. وَقَدْ كَانَتْ مُدَّةُ زُرْيَابَ فِي
الْأَنْدَلُسِ قَرِيبَةً جِدًّا مِنْ مُدَّةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطِ عَلَى عَرْشِ الْأَنْدَلُسِ. وَخَلَفَ
زُرْيَابُ ثَمَانِيَةَ أَيْنِكَ وَبَنَتَيْنِ يَعْزِفُونَ الْغِنَاءَ. وَكَانَ أْبْرَعُ أَبْنَائِهِ فِي ذَلِكَ قَامِمٌ. وَكَانَتْ
حَمْدُونَةُ أْبْرَعِ أَوْلَادِ زُرْيَابَ فِي الْغِنَاءِ، وَلَكِنَّ عَلِيَّةَ عَاشَتْ طَوِيلًا بَعْدَ حَمْدُونَةَ فَأَخَذَ
النَّاسُ عَنْهَا مِنَ الْغِنَاءِ أَكْثَرَ تَمَّا أَخَذُوا عَنْ أُخْتِهَا وَإِخْوَتِهَا.
وَلَقَدْ كَانَ لِلْغِنَاءِ فِي الْأَنْدَلُسِ تَأْثِيرٌ كَبِيرٌ سَنَاهُ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى نَشْأَةِ فَنِّ التَّوْشِيحِ.

عبد الرحمن الداخل

- ١ - هُوَ أَبُو الْمُطَرِّفِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ،
وَأُمُّهُ بَرْبَرِيَّةٌ مِنْ سَبْيِ الْمَغْرِبِ تُسَمَّى رَاحَ أَوْ رَدَاحَ. وَكَانَ مَوْلَدُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي قَرْيَةٍ
تُدْعَى دِيرَ حَسَنَةَ قُرْبَ دِمَشْقَ، سَنَةَ ١١٣ (٧٣١ م)؛ وَقَدْ تُوُفِّيَ أَبُوهُ وَتَرَكَهُ صَغِيرًا.
أَسْتَطَاعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الدَّخِلُ أَنْ يَدْخُلَ الْأَنْدَلُسَ وَيُعِيدَ فِيهَا مُلْكَ بَنِي أُمَيَّةَ
الَّذِي سَقَطَ فِي الْمَشْرِقِ فَبُيْعَ لَهُ بِالْإِمَارَةِ فِي قَرْطَبَةَ يَوْمَ الْأَضْحَى مِنْ سَنَةِ ١٣٨
(الْجُمُعَةُ عَاشِرَ ذِي الْحِجَّةِ = ١٣ / ٥ / ٧٥٦ م). وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي عَاشِرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ
مِنْ سَنَةِ ١٧٢ (١٥ / ١١ / ٧٨٨ م) - رَاجِعَ أَحْدَاثَ حَيَاتِهِ السِّيَاسِيَّةِ، فَوْقَ، ص ٥٤.
٢ - كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الدَّخِلُ عُمَرَانِيًّا جَلِيلًا وَمُهَنْدِسًا بَارِعًا فَهُوَ مُصَمِّمُ جَامِعِ
قَرْطَبَةَ الشَّهِيرِ رَبَّابِ أَغْمِدَتِهِ الْكَثِيرَةِ عَلَى شَكْلِ يُمْكُنُ كُلَّ مُصَلٍّ أَنْ يَرَى الْإِمَامَ.
وَقَدْ كَانَ قَلْبُ الْجَامِعِ يَبْدُو وَكَأَنَّهُ غَابَةٌ مِنَ النَّخِيلِ.
لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّخِلِ شَعْرٌ كَثِيرٌ مَشْهُورٌ (الْبَيَانُ الْمَغْرِبُ ٢ : ٦٠)، وَلَكِنْ الَّذِي

وصل إلينا منه قليل جداً. وشعره الباقي لنا في الحنين إلى أرض المشرق وفي الحماسة والوصف؛ وهو شعرٌ وُجداني. وله أيضاً رَجَزٌ (راجع «أخبار مجموعة»، ص ١١٧ - ١١٨).

٣ - مختارات من شعره

- لما نزل الأمير عبد الرحمن بُنيّة الرُصافة (بقرطبة) نظر إلى نخلة فهاجت شَجْنَهُ (حزنه) وتذكّر وطنه فقال:

تبدّت لنا وسطَ الرُصافة نخلةٌ تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل^(١)
فقلتُ: شبيهي في التغرّب والنوى وطول التناي عن بني وعن أهلي.
نشأت بأرض أنت فيها غريبة؛ فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلي.
سقتك غواصي المزن في المنتأى الذي يسبح، ويستمرى السماكين بالوبل^(٢).

- وقال أيضاً في وصف هذه النخلة:

يا نخلُ، أنت فريدةٌ مثلي في الأرض نائيةٌ عن الأهل^(٣).
تبكي، وهل تبكي مُكمّمةً عجماء لم تجبل على جلي^(٤)؟
ولو أنّها عقلت إذا لبكت ماء الفرات ومنبت النخل^(٥).
لكنها حرّمت، وأخرجني بفضي بني العباس عن أهلي^(٦).

- (١) الرصافة = رصافة (مرقاً للسفن على النهر) قرطبة. تناءت: بعدت.
- (٢) غواصي: غيوم تأتي في الصباح. المزن: المطر. المنتأى: المكان البعيد. يسبح المطر: تساقط بحره واستمراره. يستمرى: يستحلب (يسب خروج اللبن من حرة الناقة أو البقرة) = يسب سقوط المطر. السماكين: نجمان في السماء. الوبل: المطر الشديد. يستمرى السماكين: (كتابة عن الإتيان بمطر كثير).
- (٣) فريدة: مفردة. ووحيدة وحدها.
- (٤) كمت (بالبناء للمجهول) النخلة أخرجت كلأها (بكسر الكاف): العذق (بكسر العين) الذي يكون فيه ثمرها. وكمت أيضاً: غطيت (بالبناء للمجهول) حتّى يصبح بلعها تمراً. تبكي (= كأنها تبكي). عجماء (لا تستطيع الكلام). لم تجبل على جلي (لم يجعل الله طبيعتها مثل طسغتي = طسعة سريده).
- (٥) لو كانت تغفل (لو كانت من البشر)... ماء (نهر الفرات) ومنبت النخل (بذات أنساء).
- (٦) حرمت بلاد الشام علي فتركها.

- ٤- صقر قریش، تألیف علی أدهم، القاهرة (مطبعة المقتطف والمقطم) ١٩٣٨ م.
- صقر قریش، تألیف عبد الرحمن كحيلة (أعلام العرب ٧٦)، القاهرة (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر) ١٩٦٨ م.
- ★★ أخبار مجموعة ٤٦ - ١٢٠؛ ابن الفرزي ١١؛ جذوة المقتبس ٩ - ١٠؛ (الدار المصرية) ٨ - ١٠؛ بغية الملتصم ٦٥؛ الحلة السراء ١: ٣٥ - ٤٢؛ نفع الطيب ١: ٢٨٢ - ٢٨٣، ٣٣٤ - ٣٣٢، ٥٤٥ - ٥٤٦، ٥٥٨ - ٥٦٣ (جامع قرطبة)، ٣: ٢٧ - ٥٨٠، ٥٥ - ٦٠؛ البيان المغرب ٢: ٤٤ - ٦٠؛ وسوى ذلك من كتب التاريخ العامة؛ نیکل ١٧ - ١٩؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ٨١ - ٨٢؛ الأعلام للزركلي ٤: ١١٣ - ١١٤ (٣: ٣٣٨).

خُرَيْشُ الْكِنْدِيِّ

- ١ - هو خُرَيْشُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خُرَيْشِ الْكِنْدِيِّ، وَهُوَ مِنَ الْعَرَبِ (البدو) الذين أَنتَقَلُوا إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ (تونس) قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ إِلَيْهَا الْمُسَوَّدَةُ (دُعَاةُ بَنِي الْعَبَّاسِ). وَخَلَعَ خُرَيْشُ طَاعَةَ بَنِي الْعَبَّاسِ وَالتَفَتَ حَوْلَهُ جَمْعٌ مِنَ الْعَرَبِ وَالْبُرْجَرِ فَحَدَّثَتْهُ نَفْسُهُ بِالثَّوْرَةِ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ وَالِى تُونِسَ مِنْ قَبْلِ هَرُونَ الرَّشِيدِ. فَبَعَثَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَغْلَبِ إِلَيْهِ عِمْرَانَ بْنَ مُجَالِدٍ فَلَقِيَهُ عِمْرَانُ فِي سَبْخَةِ تُونِسَ وَقَاتَلَهُ. فَانْهَزَمَ خُرَيْشٌ وَقُتِلَ هُوَ وَجَمَاعَاتٌ مِنْ أَتْبَاعِهِ، وَذَلِكَ سَنَةَ ١٨٦ (٨٠٢ م).
- ٢ - لخُرَيْشِ الْكِنْدِيِّ شَعْرٌ وَثَرٌ يَجْرِيَانِ عَلَى الْخِصَائِصِ الْمَشْرِقِيَّةِ.

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ

لَمَّا خَلَعَ خُرَيْشُ طَاعَةَ بَنِي الْعَبَّاسِ وَثَارَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ كَتَبَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ ابْنِ الْأَغْلَبِ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَقَمْتُ عَنِ الْخُرُوجِ قَبْلَ يَوْمِي هَذَا^(١) لِأَنِّي كُنْتُ أُنْتَظَرُ أَنْ تُفْنِيَكُمُ الْحَرْبُ^(٢). فَلَعَمْرِي، لَقَدْ أَرَانَا اللَّهَ فَيَكُمَا قَوَى بِهِ أَهْلَ دَعْوَةِ الْحَقِّ

(١) أَقَمْتُ عَنِ الْخُرُوجِ - تَرَكْتُ الْقِيَامَ بِثَوْرَةٍ قَبْلَ الْيَوْمِ.

(٢) أَنْ تُفْنِيَكُمُ الْحَرْبُ - أَنْ يَفْصَلَ بَيْنَ الْعَصَاةِ. يُقَاتَلُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ.

عليكم^(١). فلما وُلِّيتَ أنتَ وَعَلِمْتَ أَنَّهُمْ مَقْسُومُونَ بَيْنَ خَوْفٍ مِنْكَ وَرَجَاءٍ لَكَ عَرَفْتَ قَلَّةَ طَمَعِهِمْ فِيكَ^(٢). ولو كانَ أَحَدٌ مِمَّنْ وَلِيَ هَذَا الشَّعْرَ - مِمَّنْ لَا نَرَى طَاعَتَهُ - يَسْتَحِقُّ أَنْ نَرْضَى بِوَلَايَتِهِ لَكُنْتُ أَنْتَ..... وَلَسْتُ أَطْلُبُكَ^(٣) إِنْ خَرَجْتَ عَنِ الشَّعْرِ، فَلَا تُرْذُ أَنْ تَصَلِّيَ^(٤) بَحْرِي؛ وَلَيْكُنْ رَأْيُكَ طَلَبَ سَلَمِي. وَالسَّلَامُ.

فَارْجِعْ عَنِ الْغَرْبِ أَوْ أَلْقِ السَّلَامَ بِهِ لَا تَخْتَرِمَكَ الْمَنَايَا حِينَ تَلْقَانَا^(٥).
وَسَوْفَ تَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ يَسْمَعُ لِي إِذَا التَّقْتُ بَنَوَاحِي النَّحْصِ خَيْلَانَا^(٦).

٤ - ★ ★ الحلة السراء ١: ١٠١ - ١٠٤.

مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ الْمَعَاْفِرِيُّ

١ - هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ بْنِ بَشِيرٍ بْنِ شُرَاحِيلَ الْمَعَاْفِرِيِّ أَصْلُهُ مِنْ عَرَبٍ مِصْرَ الَّذِينَ جَاءُوا إِلَى الْأَنْدَلُسِ مَعَ بُلُجِّ بْنِ بَشِيرٍ وَنَزَلُوا فِي تَدْمِيرَ. وَقَدْ أَنْتَقَلَ سَلْفُهُ إِلَى بَاجَةَ (جَنُوبَ غَرْبِ الْأَنْدَلُسِ).

تَلَقَّى مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ الْعِلْمَ فِي قُرْطُبَةَ. ثُمَّ رَحَلَ فَسَمِعَ شَيْئاً مِنَ الْعِلْمِ فِي مِصْرَ. وَحَجَّ وَلَقِيَ مَالِكَ بْنَ أَنْسٍ فَقِيهَ الْمَدِينَةِ وَسَمِعَ مِنْهُ. ثُمَّ إِنَّهُ عَادَ إِلَى بَلَدِهِ بَاجَةَ. وَيَبْدُو أَنَّهُ جَاءَ إِلَى قُرْطُبَةَ بَعْدَ ذَلِكَ وَأَصْبَحَ كَاتِباً لِلْقَاضِي الْمُصْعَبِ بْنِ عِمْرَانَ، ثُمَّ عَادَ إِلَى بَاجَةَ بَعْدَ وَفَاةِ الْمُصْعَبِ.

وَأَسْتَدْعَى الْأَمِيرُ الْحَكَمُ بْنُ هَاشِمٍ (١٨٠ - ٢٠٦ هـ) مُحَمَّدَ بْنَ بَشِيرٍ وَعَرَضَ عَلَيْهِ الْقَضَاءَ فَأَبَى فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ ثُمَّ عَادَ فَقَبِلَ وَتَوَلَّى الصَّلَاةَ وَالْقَضَاءَ. ثُمَّ إِنَّ الْحَكَمَ عَزَلَ

(١) أَهْلُ دَعْوَةِ الْحَقِّ: بَنُو عَلِيٍّ مِنَ (الْإِدَارَةِ؟).

(٢) عَرَفْتَ قَلَّةَ طَمَعِهِمْ فِيكَ: ضَعْفُ أَمَلِهِمْ بِحَارِبَتِكَ وَالتَّغَلُّبِ عَلَيْكَ.

(٣) وَلَسْتُ أَطْلُبُكَ: لَا أَتَقَدَّمُ وَأَبْدَأُ بِقِتَالِكَ.

(٤) تَصَلِّيَ بَحْرِي: تَذَوَّقَ طَعْمَ حَرْبِي (وَهَزِيمَتِكَ).

(٥) اخْتَرَمْتَهُ الْمَنِيَّةَ (الْمَوْتَ): مَاتَ بَاكراً (شَابّاً).

(٦) الْفَحْصُ: كُلُّ مَوْضِعٍ يُسَكَنُ (فِي مَنْحَفِضٍ مِنَ الْأَرْضِ؟). وَفِي الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ عِدَدٌ مِنَ الْأَمَاكِنِ تَعْرِفُ

بِاسْمِ الْفَحْصِ، نَحْوُ فَحْصِ الْبَلُوطِ، الْخ. خَيْلَانَا: خَيْلِي (فِرْسَانِي، جُنُودِي) وَخَيْلِكَ.

محمد بن بشير، ولكن رده بعد مدة وجيزة إلى منصبه.

وكانت وفاة محمد بن بشير سنة ١٩٨ (٨١٣ - ٨١٤ م) في قرطبة.

٢ - كان محمد بن بشير من القضاة المتشددین في الحق حتى أنه رد شهادة الأمير الحكم بن هشام، كما كان قليل الاهتمام بأحوال الدنيا ثم لم يكن يبالي بنمذحه ولا بمن يذمه. وكان أدبياً له أبيات فيها شيء من الشكوى والنكته.

٣ - مختارات من شعره.

إنما * أزرى بقذري أنني لست من بابة هذا البلد^(١).

ليس منهم غير ذي مقلية لذوي الألباب أو ذي حسد^(٢).

يتحامون لقيائي مثلاً يتحامون لقاء الأسد.

مطلعي أثقل، في أغنيهم وعلى أنفسهم، من أحد^(٣).

لو رأوني وسط بحر لم يكن أحد يأخذ منهم بيدي^(٤).

★ بغية الملتبس ٥١ - ٥٣ (رقم ٦٩) قضاة الأندلس ٣٧ - ٥٣؛ المغرب ١٤٤: ١ - ١٤٥؛
التكملة ١: ٩٠؛ نفح الطيب ٢: ١٤٣ - ١٤٩؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢٧٧ (٥٢).

جودي بن عثمان

جودي بن عثمان العبسي الموروري، من مولدي الأندلس، ولد في طليطلة ثم سكن موزور، وكان مولى لآل طلحة العبسين.

ذهب جودي إلى غرناطة فدرس النحو ثم رحل إلى المشرق فلقى الكسائي (ت ١٨٨) والرؤاسي (ت ١٩٠) والفراء (ت ٢٠٧) وغيرهم. وهو أول من أدخل كتاب

(*) تروى للمؤمن بن سعيد (ت ٢٦٧ هـ - راجع تحت ص ١٢٣).

(١) أزرى: عاب (انخط بقذري، خفض منزلي). بابة: نوع، صنف، مستوى (أنا أعلى منهم منزلة).

(٢) مقلية: بغص.

(٣) أحد: جبل قرب المدينة.

(٤) ما كان أحد منهم يريد انتشالي (انقاذي).

الكِسَائِيَّ إلى الأندلس فنَقَلَ تعلِيمَ العربيةِ (النحو) من مذهبِ البَصْرِيِّينَ إلى مذهبِ الكوفِيِّينَ (راجع الجزء الثاني)، وخصوصاً مذهبَ سيبويه (ت ١٨٠). وكان أهلُ الأندلس من قبلُ يدرسون اللغةَ والنحو في النصوص من غير أن يكون لهم كُتُبٌ ذاتُ منهجٍ معيّنٍ (مقسّمة أبواباً وموضوعات). ثمَّ إنَّ جودي ألفَ كتاباً في النحو.

وكان جُودي لما عاد من المَشْرِقِ قد سكن في قرطبةَ وتصدّر فيها للتعليم، وكان يُؤدِّبُ أولادَ الأمراء المتوارثين.

وتوفي جودي بنُ عثمانَ في قرطبةَ سَنَةَ ١٩٨ هـ (٨١٣ - ٨١٤ م).

★ الزبيدي ٢٧٨ - ٢٧٩؛ معجم الأدباء ٧: ٢١٣ - ٢١٤؛ إنباه الرواة ١: ٢٧١ - ٢٧٢؛ بغية الوعاة ٢١٣ - ٢١٤؛ دائرة المعارف الإسلامية (ط ١) ٢: ٥٧٤ - ٥٧٥.

الغازي بن قيس

كان أبو محمدٍ الغازي بنُ قيسٍ مُولِداً من أهلِ الأندلس. ولَمَّا دَخَلَ عبدُ الرحمن ابنُ معاويةَ إلى الأندلس (سنة ١٣٨) كان الغازي بنُ قيسٍ يشتغلُ بالتأديب (التعليم) في قرطبة. ثمَّ إنّه رَحَلَ إلى المشرق ثمَّ عاد إلى الأندلس في أيام عبد الرحمن الداخل (١٣٨ - ١٧٢ هـ).

وأذركَ الغازي بنُ قيسٍ - في رحلته إلى المشرق - الأصمعي (ت ١٥٥) وروى عن الأوزاعي (ت ١٥٧) وشهدَ مالكَ بنَ أنسٍ (ت ١٧٩) وهو يُولِّفُ الموطأَ ورواه عنه وحَفِظَهُ وقيل إنَّ الغازي بنَ قيسٍ أولُ من أدخلَ كتابَ الموطأَ إلى الأندلس، كما أذركَ نافعَ بنَ عبدِ الرحمن و(ت ١٦٩) أحدَ القُرَّاء السبعة (للقُرآن الكريم) وقرأ عليه وأدخلَ قراءته إلى الأندلس.

ولَمَّا دخلَ الأميرُ عبدُ الرحمن إلى الأندلس (١٣٨ هـ) وجدَ فيها يحيى بنَ يزيدَ اللَّخْمِيَّ قاضياً فأثبتته على القضاء ولم يَغْزِلْهُ إلى أن مات (النباهي ٢١). فيقال إنَّ الأميرَ عبدَ الرحمن أراد أن يُعيِّنَ للقضاء الغازي بنَ قيسٍ فأبى الغازي فولَّى عبدَ الرحمن عندئذ معاويةَ بنَ صالحٍ الحَضْرَمِيَّ الحِمَصِيَّ (ت ١٦٨).

ثم إنَّ الأميرَ هشامَ بنَ عبدِ الرحمن (١٧٢ - ١٨٠ هـ) والأميرَ الحكمَ بنَ هشام (١٨٠ - ٢٠٦ هـ) جعلاه مؤدِّباً لأولادِهِما .

وكانت وفاةُ الغازي سَنَةَ ١٩٩ (٨١٤ م) وقد أَسَنَ في الغالب .

★★ الزبيدي ٢٨٦ - ٢٨٧ ، ابن الفرضي ١ : ٣٨٧ (رقم ١٠١٥) ؛ جذوة المقتبس ٣٠٥ (الدار المصرية) ٣٢٤ (رقم ٧٤٨) ؛ بغية الملتبس ٣٢٥ (رقم ١٢٧٢) ؛ بغية الوعاة ٣٧١ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ٣٠١ (١١٣) .

أبو المُخَشَّى

١ - هو أبو يحيى عاصمُ بنُ زبيد بن يحيى بن حنظلة بن علقمة بن عدي بن زيد التميمي العباديُّ المعروف بأبي المُخَشَّى ، دخل أبوه إلى الأندلس مع جُند الشام ، في أواخر سنة ١٢٣ (خريف ٧٤١ م) ، ثم نزل بقرية شَوْش .
ويبدو أن أبا المُخَشَّى نفسه قد وُلِدَ في الأندلس فنشأه أبوه على قول الشعر ، فشبَّ شاعراً وأنقطع إلى سليمان بن عبد الرحمن بن معاوية ، ومدحه مرَّةً بقصيدة منها :

وليس كمثل من إن سيم عرفاً يُقَلِّبُ مُقْلَةً فيها أزورارُ!

فغَيِظَ هشامُ بن عبد الرحمن من قول أبي المخشي - لأنَّه كان أحولَ ، كما كانت بينه وبين أخيه سليمانَ وَخْشَةً - فأمر بأبي المخشي فسُئِلَت عيناه . فنظم أبو المخشي قصيدةً جاء بها إلى الأمير عبد الرحمن ، فرقَّ له عبد الرحمن وأعطاه ألفي دينارٍ (ضعفَ ديةَ العينين) .

وكانت وفاة أبي المخشي في أيام الأمير الحكم بن هشام (١٨٠ - ٢٠٦ هـ) .

٢ - أبو المخشي من فحول الشعراء المتقدمين في الأندلس مقتدرٌ على قول الشعر ، بذوي الأسلوب واضح المعنى سهل الألفاظ والتراكيب . كان مداحاً كثير الفخر جسوراً على الأعراض . وقد هاجى شاعراً أسمه ابنُ هُبيرة (المغرب ٢ : ١٢٤) وكان هجاء كلِّ واحدٍ منها لخصمه مُقَدِّعاً . وهو حسنُ الوصف ، وقد اشتهر بقصيدة طويلة قالها في العمى بعد أن سَمَلَ هشامُ عينيه . وله رَجَزٌ أيضاً .

٣ - مختارات من شعره

مطلع القصيدة التي قالها أبو المخشى في العمى:

خَضَعْتُ أُمُّ بِنَاقِي لِلْعَدَى أَنْ قَضَى اللَّهُ قَضَاءً فَمَضَى.
وَرَأَتْ أَعْمَى ضَرِيرًا إِنَّمَا مَشِيَهُ فِي الْأَرْضِ لَمَسٌ بِالْعَصَا.
فَاسْتَكَانَتْ ثُمَّ قَالَتْ قَوْلَةً، وَهِيَ حَرَى، بَلَغَتْ مِنِّي الْمَدَى^(١).
فَفَوَّادِي قَرَحٌ مِنْ قَوْلِهَا: مَا مِنْ الْأَدْوَاءِ دَاءٌ كَالْعَمَى^(٢).
وَإِذَا نَالَ الْعَمَى ذَا بَصَرٍ كَانَ حَيًّا مِثْلَ مَيِّتٍ قَدْ ثَوَى^(٣).
وَكُلَّ أَنْ النَّاعِمَ الْمُرُورَ لَمْ يَكُ مُرُورًا إِذَا لَاحَ الرَّدَى^(٤).

- وقال في مقاساة الهموم:

وَهُمْ ضَافِنِي فِي جَوْفِ يَمٍّ كِلَا مَوْجِيْهَا عِنْدِي كَبِيرٌ^(٥).
فَبِتْنَا وَالْقُلُوبُ مُعَلَّقَاتٌ وَأَجْنِحَةُ الرِّيحِ بِنَا تَطِيرُ^(٦).

٤ - * * جذوة المقتبس ٣٧٧ (الدار المصرية) ٤٠١ - ٤٠٢ (رقم ٩٥٢ أو ٩٥٣)؛ بغية
الملتبس ٥١٣ (رقم ١٥٤٣)؛ المغرب ٢: ١٢٣ - ١٢٤؛ الذيل والتكملة ٥:
١٠٢ - ١٠٣؛ نفح الطيب ٤: ١٦٧؛ نيكل ١٩.

الحكم الربضي

١ - هو أبو العاصم الحكم الربضي بن هشام الرضي بن عبد الرحمن

- (١) استكان: خضع وذل. حرى: شديدة الحر (من الحزن). قوله بلغت مني المدى: أثرت في (أحزنتني كثيراً). المدى: الغاية.
- (٢) قرح = مقروح (فيه قرحة بالضم) مجروح.
- (٣) ثوى: مكث في الأرض، هلك.
- (٤) الردى: الموت.
- (٥) ضافني: نزل عندي ضيفاً. يم: بحر (من الهموم). كلا موجيها: موج اليم (البحر) وموج بحر الهموم (يبدو أن الشاعر كان يخاف ركوب البحر).
- (٦) بتنا: قضينا الليل (في بحر الماء). القلوب معلقات (مضطربات) بين الخوف والاطمئنان.

الداخل - وأُمّه أُمّ وَلَدِ أَسْمَها زُخْرَفُ - وَلِدَ سَنَةَ ١٥٤ (٧٧٠ م)، وهو الابن الثاني لهشام الرضي، قَدَّمَهُ أبوه على أخيه الْبَكْرِ عَبدِ الْمَلِكِ في ولايةِ الْعَهْد. بُويعَ بِالْحَكَمِ في رابعِ صَفَرِ ١٨٠ (١٨ / ٤ / ٧٩٦).

لَمَّا جَاءَ الْحَكَمُ إِلَى الْحَكَمِ نازَعَهُ أَخَوَاهُ سُلَيْمَانُ وَعَبْدُ اللَّهِ وَثَارَا عَلَيْهِ. أَمَّا سُلَيْمَانُ فَقُتِلَ (١٨٤ هـ). وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ فَلَمْ يَكُنْ صُلْبَ الْعُودِ كَأَخِيهِ سُلَيْمَانٍ، فَلَمَّا قُتِلَ سُلَيْمَانُ طَلَبَ عَبْدُ اللَّهِ الْأَمَانَ مِنْ أَخِيهِ الْحَكَمِ فَأَمَّنَهُ وَفَرَضَ عَلَيْهِ الْإِقَامَةَ فِي بَلَنْسِيَّةٍ، فَعُرِفَ مُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ بِالْبَلَنْسِيِّ. ثُمَّ اسْتَمَرَّ عَبْدُ اللَّهِ الْبَلَنْسِيُّ عَلَى الطَّاعَةِ فَكَانَ أَخُوَ الْحَكَمِ يُرْسِلُهُ لِإِخْضَاعِ النَّائِثِينَ أَوْ لَغَزْوِ بِلَادِ الْفَرَنْجَةِ (الإِسْبَانِ).

وَمُنْذُ مَطْلَعِ إِمَارَةِ الْحَكَمِ بَدَأَتْ عَلَيْهِ الثَّوَرَاتُ فِي سَرَقُوسْطَةَ وَطُلَيْطَلَةَ وَمَارِدَةَ وَغَيْرَهَا. وَلَكِنْ أَعْظَمَ الْفِتَنِ فِي أَيَّامِهِ كَانَتْ فِي رِبَاضِ قُرْطَبَةِ (الضَّاحِيَةِ الْجَنُوبِيَّةِ مِنْهَا) وَفِي طُلَيْطَلَةَ:

كَانَ هِشَامُ الرُّضِيُّ (وَالدُّ الْحَكَمِ) تَقِيًّا حَلِيمًا فَكَانَ لِلْفُقَهَاءِ فِي أَيَّامِهِ نَفُوذٌ كَبِيرٌ. أَمَّا الْحَكَمُ فَكَانَ أَيْضًا تَقِيًّا يُقَرِّبُ إِلَيْهِ الْعُلَمَاءَ وَالْفُقَهَاءَ، وَلَكِنَّهُ كَانَ حَازِمًا شَدِيدًا عَلَى الْمُخَالِفِينَ لَهُ قَاسِيًا فِي مُعَامَلَةِ خُصُومِهِ. فَاجْتَمَعَ عَمَّاهُ مَسْلَمَةُ وَأُمِّيَّةُ (أَبْنَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّخَلِ) وَالْفَقِيهَانِ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى اللَّيْثِيُّ وَطَالُوتُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ وَأَخَذُوا يُشِيرُونَ عَلَيْهِ الْعَامَّةَ. ثُمَّ نُقِلَ إِلَيْهِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَرِيدُونَ خَلْعَهُ. وَيَبْدُو أَنَّ الدُّعَاةَ الْفَاطِمِيَّينَ وَالدُّعَاةَ الْعَبَّاسِيَّينَ كَانُوا وَرَاءَ هَذِهِ الْحَرَكَةِ. فَلَمَّا حَدَّثَتِ الثَّوْرَةُ عَلَيْهِ بِرِبَاضِ قُرْطَبَةِ أَخْضَعَ النَّائِثِينَ بِقَسْوَةٍ وَأَمَرَ بِقَتْلِ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ مِنْ رُؤَسَائِهِمْ.

وَمِنْ أَخْطَاءِ الْحَكَمِ أَنَّهُ اتَّخَذَ بَعْدَ هَيْجَةِ الرِّبَاضِ الْأُولَى حَرَسًا مِنْ نَصَارَى الْأَنْدَلُسِ وَجَعَلَ الْقَائِدَ عَلَيْهِمُ الْقُومِسَ رِبِيعَةَ بْنَ تَبُودُولْفُو (النَّصْرَانِيَّ)، فَكَانَ هَؤُلَاءِ أَيْضًا يَكِيدُونَ لَهُ. فَحَدَّثَتْ فِي الرِّبَاضِ هَيْجَةٌ ثَانِيَةٌ (فِي رَمَضَانَ سَنَةِ ٢٠٢) فَكَانَ الْقَضَاءُ عَلَيْهَا أَشَدَّ قَسْوَةً إِذْ قَتَلَ الْحَكَمُ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ الرِّبَاضِ وَنَفَى آخَرِينَ عَنِ الْأَنْدَلُسِ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ عُرِفَ بِلقبِ «الرُّبِضِيِّ»:

وَكَذَلِكَ كَانَ أَهْلُ طُلَيْطَلَةَ كَثِيرًا فِي الْفِتَنِ فَدَبَّرَ الْحَكَمُ لَهُمْ مَكِيدَةً ثُمَّ أَوْقَعَ بِهِمُ (١٩١)

(هـ) وَقَعَةَ عُرِفَتْ بِاسْمِ يَوْمِ الْحُفْرَةِ.

وَكَثُرَتْ غَزَوَاتُ الْحَكَمِ لِلْبِلَادِ الَّتِي كَانَتْ بَاقِيَةً فِي يَدِ الْإِسْبَانِ. إِنَّ الْبَابُوتِيَّةَ وَالْإِفْرَنْجِيَّةَ وَصَلُوا أَيْدِيَهُمْ بِأَيْدِي نَصَارَى الْأَنْدَلُسِ وَأَخَذُوا يُهَاجِمُونَ الْبُلْدَانَ الْإِسْلَامِيَّةَ. وَكَانَ شَارْلَمَانُ مَلِكُ فَرَنْسَا وَإِمْبَرَاطُورُ الْغَرْبِ (ت ٨١٤ م = ١٩٩ هـ) يَقُودُ الْحَمَلَاتِ عَلَى شَمَالِي الْأَنْدَلُسِ بِنَفْسِهِ، فَكَانَ الْحَكَمُ يَرْسِلُ الْجِيُوشَ لَغَزْوِ الْبِلَادِ الْخَاضِعَةِ لِلْأَمْرَاءِ الْإِسْبَانِ أَوْ لِلْفِرَنْجَةِ فِي شَمَالِي الْأَنْدَلُسِ. وَفِي سَنَةِ ١٨٥ سَقَطَتْ بَرُشْلُونَةُ فِي يَدِ شَارْلَمَانَ.

وَكَانَتْ وَفَاةُ الْحَكَمِ فِي آخِرِ سَنَةِ ٢٠٦ هـ (رَبِيعِ ٨٢٢ م).

٢ - كَانَ الْحَكَمُ حَازِمًا، وَلَكِنْ حَزَمُهُ كَانَ يَبْلُغُ بِهِ أحيانًا إِلَى حَدِّ الْقَسْوَةِ. غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ عَادِلًا. وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ الْمُرْتَزَقَةَ مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ، مِنَ النَّصَارَى وَالْوَثْنِيِّينَ (مِنَ الْإِسْبَانِ وَالْفِرَنْجَةِ وَالْجُرْمَانِ وَسَوَاهِمَ) وَكَانَ يَسْمِيهِمْ «الْخُرْسَ» (لِعُجْمَتِهِمْ: لَجَهْلِهِمُ اللَّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ). وَلَمْ يَقْتَصِرْ اعْتِمَادُهُ عَلَى الْعَرَبِ، بَلْ قَرَّبَ إِلَيْهِ الْعَرَبَ وَالْبَرْبَرِ وَالْمَوْلُودِينَ (الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ الْأَصْلِيِّينَ) وَالصَّقَالِبَةَ (السَّلَافَ، سَكَانَ شَرْقِيَّ أَوْرُوبَةِ)، وَإِنْ كَانَتْ كَلِمَةُ «صَقَالِبَةَ» تُطْلَقُ فِي الْأَنْدَلُسِ عَلَى جَمِيعِ الْأَوْرُوبِيِّينَ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ دَخَلُوا فِي الْجَيْشِ الْأَنْدَلُسِيِّ خَاصَّةً. وَفِي أَيَّامِ الْحَكَمِ بَدَأَتْ الْعَصَبِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ تَضَعُفُ إِذْ كَثُرَ فِي أَيَّامِهِ اخْتِلَاطُ الْعَرَبِ بِالْمَوْلُودِينَ مِنْ طَرِيقِ الزَّوْاجِ.

وَكَانَ الْحَكَمُ «أَدِيبًا مُفْتَنًّا (كَثِيرَ التَّفَنُّنِ): خَطِيبًا مُفَوِّهًا وَشَاعِرًا مُجَوِّدًا تُحْذَرُ صَوَلَاتُهُ وَتُسْتَنْدَرُ أَيْيَاتُهُ» (الْحَلَّةُ السَّيْرَاءُ ١: ٤٣). وَمُعْظَمُ شِعْرِهِ الْحَمَاسَةُ وَالنَّسِيبُ وَالْوَصْفُ.

٣ - مَخْتَارَاتُ مِنْ شِعْرِهِ

لِلْحَكَمِ الرِّبْضِيُّ شَيْءٌ مِنَ النَّسِيبِ مِنْهُ:

ظَلَّ مِنْ فَرَطٍ حُبِّهِ مَمْلُوكًا وَلَقَدْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ مَلِكًا.

إِنْ بَكَى أَوْ شَكَا الهوى زِيدَ ظُلْمًا وَبُعَاداً يُدِنِي حِمَاماً وَشِكَاً^(١).
 تَرَكْتَهُ جَاذِرُ الْقَصْرِ صَبًّا مُسْتَهَاماً عَلَى الصَّعِيدِ تَرِيكاً^(٢).
 يَجْعَلُ الْحَدَّ مَائِلاً فَوْقَ تُرْبٍ وَهُوَ لَا يِرْتَضِي الْحَرِيرَ أَرِيكاً^(٣).
 هَكَذَا يَحْسُنُ التَذَلُّلُ بِالْحَرِّ إِذَا كَانَ فِي الْهَوَى مَمْلُوكاً .

وكانت له خمسُ جَوارٍ مُصْطَحَبَاتٍ مُتَفَقَاتٍ . وَلَعَلَّهُ أَغَارَهُنَّ يَوْماً فَاتَّقَفْنَ عَلَى أَنْ يُظْهَرْنَ لَهُ شَيْئاً مِنَ الدَّلَالِ وَالتَّمَنُّعِ، فقال:

قُضِبَ مِنَ الْبَانِ مَاسَتْ فَوْقَ كُثْبَانٍ وَلَئِنْ عَنِّي وَقَدْ أَزْمَعَنْ هِجْرَانِي^(٤).
 نَاشِدُهُنَّ بِحَقِّي فَاعْتَرَزَمَنْ عَلَى الدَّ عِصْيَانٍ حَتَّى حَلَا مِنْهُنَّ عِصْيَانِي^(٥).
 مَلَكَنَنِي مُلْكاً مَنْ ذَلَّتْ عِزَائِمُهُ لِلْحُبِّ ذُلٌّ أَسِيرٌ مُوْتَقٍ عَانَ^(٦).
 مَنْ لِي بِمُقْتَصِبَاتِ الرُّوحِ مِنْ بَدَنِي يَغْضِبُنَنِي فِي الْهَوَى عِزِّي وَسُلْطَانِي!

- وقال بعد أن قضى على الفتنة في الربض:

رَأَيْتُ صُدُوعَ الْأَرْضِ بِالسَّيْفِ رَاقِعاً، وَقَدْ مَآ لَأُمْتُ الشَّعْبِ مَذُ كُنْتُ يَافِعاً^(٧).
 فَسَائِلُ تُغُورِي هَلْ بِهَا الْيَوْمَ ثُغْرَةٌ أَبَادِرُهَا مُسْتَنْصِي السَّيْفِ دَارِعاً^(٨).

-
- (١) الحمام، الموت. وشيك: قريب.
 (٢) الجؤذر (بضم فسكون فضم): الغزال الصغير (الفتاة الجميلة). الصب: الحب. المستهام: الذي كاد يحين من شدة الحب. الصعيد: الأرض. التريك: عنقود (العنب) أو عذق (بكسر العين) النخل إذا جرد من ثمره (شيء متروك لا قيمة له).
 (٣) المائل (الواقف - الموضوع). الأريكة: الكرسي الفاخر، العرش.
 (٤) القضيب (كناية عن القامة الجميلة) البان: شجر أغصانه تامة الاستقامة. ماس: تقايل. الكتيب: تلة الرمل (كناية عن عجيبة المرأة أو رديها). ولّى: ذهب، انصرف، مال. أزمع: قصد.
 (٥) حلا منهن عصياني: أحببت عصيانهن لي.
 (٦) موثق: مقيد. العاني: الذليل، الأسير.
 (٧) الصدع (بالفتح): الشق. راب (أصلح الشق بالجمع بين جزئيه). لأم: راب. الشعب (بالفتح) الانفراج بين جبلين (الشق). اليافع: الذي لم يبلغ الحلم بعد.
 (٨) الثغر: المكان الذي يحشى مجيء العدو منه. ثغرة: انفراج في سياج ونحوه. نضا السيف: أخرجه من قرابه. الدارع لابس الدرع.

تُبَيِّنُكَ أَنِي لَمْ أَكُنْ فِي قِرَاعِهِمْ بَوَّانٍ، وَقَدْ مَأْ كُنْتُ بِالسَّيْفِ قَارِعاً (١).
وَأَنِّي إِذَا حَادُوا حِذَاراً مِنَ الرَّدَى فَلَسْتُ أَخَا حَيِّدٍ عَنِ الْمَوْتِ جَارِعاً (٢).
حَمَيْتُ ذِمَّارِي فَانْتَهَكْتُ ذِمَّارَهُمْ؛ وَمَنْ لَا يُحَامِ ظِلَّ خَزْيَانٍ ضَارِعاً (٣).
وَلَمَّا تَسَاقَيْنَا سِجَالَ حُرُوبِنَا سَقَيْتُهُمْ سَجَلًا مِنَ الْمَوْتِ نَاقِعاً (٤).
وَهَلْ زِدْتُ أَنْ وَقَيْتُهُمْ صَاعَ قَرْضِهِمْ فَلَاقُوا مَنَابِيا قُدِّرَتْ وَمَصَارِعاً (٥).
فَهَاكَ بِلَادِي، إِنِّي قَدْ تَرَكْتُهَا مِهَاداً وَلَمْ أَتْرُكْ عَلَيْهَا مُنَازِعاً (٦).

٤ - ★ ★ أخبار مجموعة ١٣٢ - ١٣٣؛ ابن الفرضي ١: ١٢؛ جذوة المقتبس ١١ (الدار المصرية) ١٠، الحلة السراء ١: ٤٣ - ٥٠؛ المغرب ١: ٣٨ - ٤٥؛ البيان المغرب ٢: ٦٨ - ٨٠؛ فوات الوفيات ١: ١٨٧ - ١٨٨؛ نفح الطيب ١: ٣٣٨ - ٣٤٤؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٣ - ٧٤؛ نيكل ١٩ - ٢١، مختارات ١١ - ١٢؛ الأعلام للزركلي ٢: ٢٩٧ (٢٦٧ - ٢٦٨).

غريب الطليطي

- ١ - هو أبو عبد الله غريب بن عبد الله الثَّقَفِي المعروف بالقرطبي (نفح الطيب ٤: ٣٣٢) والمشهور بالطليطي، كان ذا طُغْيَانٍ وذا استخفاف بالعمال (ولاة البلدان) أَسَدَ إِلَيْهِ أَهْلُ طُلَيْطَلَةَ أَمْرَهُمْ. ثُمَّ إِنَّهُ ثَارَ فِي قَرْطَبَةَ وَاسْتَفْجَلَ أَمْرَهُ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ (المقتبس ٧٦) سَنَةَ ٢٠٧ (٨٣٢ م).
- ٢ - غريب بن عبد الله شاعرٌ قديمٌ مشهورٌ الطريقة في الفضل والخير والزهد. وكان الناسُ يتداولون شيئاً من شعره.

-
- (١) القراع: الضرب بالسيف. الواي: الضعيف.
 - (٢) (إذا الملوك) حادوا (مالوا) حذار (حذر: خوف) الردى (الموت).
 - (٣) الذمار: ما تجب على الإنسان حمايته. الضارع: الضعيف.
 - (٤) السجل: الدلو العظيم. الناقع: (سم) شديد قاتل.
 - (٥) وقيتهم صاع قرضهم (دينهم - بفتح الدال): قاتلتهم قتالاً مثل قتالهم لي.
 - (٦) مهادا: مستوية، مستقرة، هادئة.

٣ - مختارات من شعره

- جاء في نفح الطيب (٤: ٣٣٢) من شعر غريب الطليطي:

أَيُّهَا الْآمِلُ مَا لَيْسَ لَهُ طَالَمَا غَرَّ جَهولًا أَمَلُهُ.
رُبَّ مَنْ بَاتَ يُمْنِي نَفْسَهُ خَانَهُ، دُونَ مُنَاهُ، أَجَلُهُ.
وَفَتَى بَكَرٍ فِي حَاجَاتِهِ عَاجِلًا، أَغْقَبَ رِيثًا عَجَلُهُ!
قَلَّ لِمَنْ مَثَلٌ فِي أَشْعَارِهِ: يَذْهَبُ الْمَرْءُ وَيَبْقَى مَثَلُهُ:
نَافِسَ الْمُحْسِنِ فِي إِحْسَانِهِ، فَسَيَكْفِيكَ مُسِينًا عَمَلُهُ!

٤ - * * المغرب ٢: ٢٣ - ٢٤؛ جذوة المقتبس ٣٠٧؛ بغية الملتبس ٤٢٨ (رقم ١٢٨١)؛
الذيل والتكملة ٥: ٩٩٥ (ص ٥٢٢)؛ نفح الطيب ٤: ٣٣٢؛ مجمل تاريخ الأدب
التونسي ٤٢.

شبطون

هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ زِيَادُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زِيَادِ اللَّخْمِيِّ الْمَعْرُوفُ بِشَبْطُونٍ، مِنْ
أَهْلِ قَرْطُبَةٍ، سَمِعَ مِنْ حَمِيهِ مَعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحِ الْحِمَصِيِّ (ت ١٥٨) ثُمَّ رَحَلَ إِلَى
الْمَشْرِقِ فَسَمِعَ الْمَوْطَأَ مِنَ الْإِمَامِ مَالِكٍ (ت ١٧٨) فِي الْمَدِينَةِ كَمَا سَمِعَ مِنْ سُفْيَانَ بْنِ
عُيَيْنَةَ (ت ١٩٨) فِي مَكَّةَ. وَسَمِعَ فِي مِصْرَ مِنَ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ (ت ١٧٥).

وَشَبْطُونٌ هُوَ الَّذِي أَدْخَلَ الْمَوْطَأَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ مُكَمَّلًا مُتَقَنًا وَنَشَرَ فِيهَا الْمَذْهَبَ
الْمَالِكِيَّ - وَقِيلَ أَوَّلُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ (ص ٨٦) الْغَازِي بْنُ قَيْسٍ (ت ١٩٩) - وَكَانَ
أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ يَتَفَقَّهُونَ مِنْ قَبْلُ عَلَى مَذْهَبِ أَبِي عَمْرٍو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَوْزَاعِيِّ
(٨٨ - ١٥٧ هـ)، أَوْ عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الْحَدِيثِ فِي الْأَصَحِّ.

وَأَبَى شَبْطُونٌ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ - فِي أَيَّامِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ (ت ١٨٠) - أَنْ
يَتَوَلَّى الْقَضَاءَ ثُمَّ تَوَلَّى - فِيمَا يَبْدُو - قَضَاءَ مَدِينَةِ طُلَيْطُلَةَ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ٢١٢
(٨٢٧ م) فِي الْأَغْلَبِ.

★ جذوة المقتبس ٢١١ (الدار المصرية) ٢٣٨ (رقم ٥٠٤)؛ بغية الملتبس ٣٠٤ (رقم ٨٤٤)؛
الديباج المذهب ١٢٧؛ نفح الطيب ٢: ٤٥-٤٦. شذرات الذهب ١: ٣٣٩-٣٤٠.

إدريس الأصغر

١ - في سنة ١٤٥ (٧٦٢ م) ثار محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب (وكان محمد يُلقَّب: النفس الزكية) في المدينة (الحجاز) على أبي جعفر المنصور العباسي وتسمّى «محمدًا المهديّ». ولكنه قُتِلَ وشيكًا. فثار أخوه إبراهيم في البصرة (العراق) في أواخر ١٤٥ (أوائل ٧٦٣ م) فقتل أيضاً.

وفي سنة ١٦٩ (٧٨٦ م) ثار الحسين بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب في المدينة في جماعة من أهله وأنصاره ولكنه انهزم في وقعة فحّ (على ثلاثة أميال من مكة) في تاسع ذي الحجة من سنة ١٦٩ (١٢ / ٦ / ٧٨٦ م) وقتل. وكان ثمن نجا من القتل في تلك المعركة إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى فهرب إلى المغرب الأقصى فنصره البربر واجتمعوا عليه وبايعوه في مدينة وُلِّيَ وهي قاعدة جبل زهرون (ولعلها المسماة اليوم «قصر فرعون»)، وذلك في رابع رَمَضان من سنة ١٧٢ (٦ / ٢ / ٧٨٩ م). واتخذ مستناراً مولى له اسمه راشد. ولما اتسع مُلك إدريس في المغرب غيظَ العباسيون فأرسلوا إليه سليمان بن جرير المعروف بالشماخ. فاتصل سليمان بإدريس ونال عنده مكانة ثم احتال في سمّه ب qarورة من طيب. وكانت وفاة إدريس في فاتح (أول) ربيع الآخر من سنة ١٧٧ (١٥ / ٧ / ٧٩٣).

وكان للمولى (الإمام الخليفة) إدريس جارية بربرية اسمها كنزة مات عنها وهي حُبلى. فقام راشد بتدبير أمر البلاد. وفي ثالث رَجَب من سنة ١٧٧ (١٤ / ١٠ / ٧٩٣ م) وضعت كنزة غلاماً سُمِّي إدريس وعُرف بإدريس الأصغر (أو الأزهر)، وقام راشد بتدبير أمر إدريس الأصغر. ويبدو أن العباسيين قد استطاعوا أن يدسوا إلى راشد من يقتله، سنة ١٨٦ هـ (٨٠٢ م) فقام بكفالة إدريس عندئذ أبو خالد يزيد ابن الياس العبدى.

ولما بَلَغَ إدريسُ الأصغرُ الحاديةَ عَشْرَةَ بايعه البربرُ خليفةً لأبيه، في غُرَّةِ ربيعِ الأولِ من سنة ١٨٨ (١٨ / ٢ / ٨٠٣ م).

وضاقتُ مدينةَ وَليلي بالناسِ فشرعَ إدريسُ الأصغرُ ببناءِ مدينةِ فاسَ في سنة ١٩٢ (٨٠٨ هـ) وجَعَلَهَا عُدْوَتَيْنِ (جانِبَيْنِ): عُدوةَ الأَنْدَلُسِيِّينَ نَزَلَ فِيهَا مِنْ وَفَدَ عَلَيْهِ مِنَ الأَنْدَلُسِ وَعُدوةَ القُرُوبِيِّينَ نَزَلَ فِيهَا مِنْ جَاءَ إِلَيْهِ مِنْ مَدِينَةِ القَيْرَوَانِ، وَبَنَى فِي كُلِّ عُدوةٍ جَامِعاً.

وما زال إدريسُ الأصغرُ جاداً في توسيعِ رُقعةِ ملكه وفي نشرِ العُمرانِ حتَّى كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي ثَانِي جُمَادَى الآخِرَةِ مِنْ سَنَةِ ٢١٣ (١٨ / ٨ / ٨٢٨ م) فِي إِبَّانِ شَبَابِهِ.

٢ - يبدو أن إدريسَ الأصغرَ كان كثيرَ الذكاءِ حتَّى اسْتَطَاعَ أَنْ يَتَشَقَّفَ وَيُخْطَبَ الخُطْبَ البليغةَ ويقولَ الشعرَ المتيَنَ في الحاديةَ عَشْرَةَ مِنَ العُمُرِ (ولعلَّ بعضَ ذلكِ منسوبٌ إليه). ثمَّ إِنَّهُ كَانَ قَدِيرًا جَوَادًا وَمُصْلِحًا عُمَرَانِيًّا. وَأَكْثَرُ شِعْرِ إدريسَ الأصغرِ يدورُ عَلَى الحماسةِ والفخرِ والأدبِ (الحكمة). وَأَمَّا نَثْرُهُ فمُخْطَبٌ فِيهَا التَّأَكُّيدُ عَلَى حَقِّ أَسْرَتِهِ فِي الْمُلْكِ لِصِلَتِهَا بِرَسُولِ اللَّهِ، وَفِيهَا أَشْيَاءٌ مِنَ النَّصْحِ الدِّينِيِّ وَالسِّيَاسَةِ الإِدَارِيَّةِ.

٣ - مَخْتَارَاتُ مِنْ آثَارِهِ

- لَمَّا فَرَعَ إدريسُ مِنْ بِنَاءِ مَدِينَةِ فاسَ وَحَضَرَتِ الْجُمُعَةُ الْأُولَى، خَطَبَ خُطْبَةً نَالَ فِي آخِرِهَا:

اللَّهُمَّ، إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي مَا أَرَدْتُ بِنَاءَ هَذِهِ الْمَدِينَةِ مُبَاهَاةً وَلَا مُفَاخَرَةً وَلَا رِيَاءً وَلَا سِمْعَةً وَلَا مُكَابَرَةً، وَإِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ تُعَبِّدَ بِهَا وَيُتْلَى بِهَا كِتَابُكَ وَتُقَامَ بِهَا حُدُودُكَ وَشَرَائِعُ دِينِكَ وَسُنَّةُ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا بَقِيَتْ الدُّنْيَا. اللَّهُمَّ، وَفَّقْ سُكَّانَهَا وَقُطَّانَهَا لِلْخَيْرِ وَأَعِزَّهُمْ عَلَيْهِ وَأَكْفِهِمْ مَوَوْنَةَ أَعْدَائِهِمْ وَأَذْرِزْ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ وَأَغْمِذْ عَنْهُمْ سَيْفَ الْفِتْنَةِ وَالشَّقَاقِ. إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

- قِيلَ لَمَّا بُويعَ إدريسُ الأصغرُ بالخِلافةِ خَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ:

الحمد لله أحمده وأستغفره وأستعين به وأتوكل عليه وأعوذ به من شر نفسي ومن شر كل ذي شر. وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله المبعوث إلى الثقلين^(١) بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً^(٢) صلى الله عليه وعلى آل بيته الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا^(٣). أيها الناس، إننا قد ولينا هذا الأمر الذي يُضاعف فيه للمُحسن الأجر و(يضاعف) على المسيء الوزر. ونحن، والحمد لله، على قصد^(٤)، فلا تمدوا الأعناق^(٥) إلى غيرنا فإن الذي تطلبونه من إقامة الحق إننا نجدونه عندنا.

- وقال إدريس الأصغر مخاطب البهلول بن عبد الواحد المذعري ويحذره من الخروج عن الطاعة ومن أن يسمع كلام إبراهيم بن الأغلب:

كأنك لم تسمع بمكر ابن أغلب وما قد رمى بالكيد كل بلاد.
ومن دون ما منتك نفسك خالياً ومناك إبراهيم خرط قتاد^(٦)!

- وكتب إلى إبراهيم بن الأغلب يدعوه إلى الطاعة:

أذكر إبراهيم حق محمد وعترته، والحق خير مَقول^(٧).
وأدعوه للأمر الذي فيه رُشدُه، وما هو - لولا رأيُه - بجهول.
فإن أثر الدنيا فإن أمامه زلازل يوم للعقاب طويل!

(١) الثقلان: الانس (بكسر الهمزة) والجن.

(٢) القرآن الكريم ٣٣: ٤٦، سورة الأحزاب.

(٣) القرآن الكريم ٣٣: ٣٣، سورة الأحزاب.

(٤) قصد: اعتدال.

(٥) مدّ عنقه: نظر إلى ما عند الآخرين، طمع، ثار.

(٦) القتاد: نبات له شوك قاس. الخرط: نزع الورق من الغصن بأن تمسك أعلى الغصن بيد ثم تحاول أن تجرد ورقه بالمرور بقبضتك عليه. دون ذلك خرط القتاد (أي مشقة عظيمة).

(٧) العترة: قوم الرجل وعشيرته.

٤ - * * كتب التاريخ عامة. وتحسن مراجعة تاريخ الطبري وتاريخ ابن الأثير (يهتدى بفهرسيها). ثم أنظر مقدّمة ابن خلدون ٣٨ وما بعد، ٤٠٢ س؛ الاستقصا في تاريخ المغرب الأقصى ١: ٧٠-٧١؛ الوافي بالوفيات ٨: ٣١٤-٣١٥، ٣١٨-٣١٩؛ الحلة السراء ١: ٥٠-٥٦؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ١٠٣١-١٠٣٢؛ الأعلام للزركلي ١: ٢٦٦ (٢٧٨).

حَسَّانَةُ التَّمِيمِيَّةِ

١ - هِيَ حَسَّانَةُ بِنْتُ أَبِي الْخَشْيِ الشَّاعِر (أنظر، فوق، ص ٨٧)، ماتَ أبوها في أيام الحَكَمِ الرَّبِيعِي (١٨٠-٢٠٦ هـ) فَوَفَدَتْ عَلَى الْحَكَمِ مُسْتَمِيعَةً لِفَضْلِهِ فَكُتِبَ الْحَكَمُ إِلَى عَامِلِهِ عَلَى الْبِيرَةِ بِأَن يُجَرِّيَ عَلَيْهَا رَاتِباً وَيُحْسِنَ إِلَيْهَا. وَكَانَتْ حَسَّانَةُ فِي ذَلِكَ الْحِينِ بِكَرّاً لَمَّا تَتَزَوَّجُ بَعْدُ.

وَلَمَّا جَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَكَمِ (٢٠٦-٢٣٨ هـ) كَانَ الْعَامِلَ عَلَى الْبِيرَةِ جَابِرُ بْنُ لَبِيدٍ، وَكَانَتْ حَسَّانَةُ فِيهَا يَبْدُو قَدْ تَزَوَّجَتْ قَبْلَ مَدَّةٍ وَرَزَقَتْ أَوْلَاداً ثُمَّ مَاتَ زَوْجُهَا. وَقَطَعَ جَابِرُ بْنُ لَبِيدٍ الرَاتِبَ الَّذِي كَانَ جَارِياً عَلَى حَسَّانَةَ فَجَاءَتْ حَسَّانَةُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ تَشْكُو إِلَيْهِ جَابِراً فَعَزَلَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَرَدَّ عَلَى حَسَّانَةَ مَا كَانَ جَارِياً عَلَيْهَا فِي أَيَّامِ أَبِيهِ الْحَكَمِ.

وَلَعَلَّ وَفَاةَ حَسَّانَةَ كَانَتْ نَحْوَ سَنَةِ ٢٣٠ (٨٤٤-٨٤٥ م).

٢ - كَانَتْ حَسَّانَةُ التَّمِيمِيَّةُ قَدْ تَأَدَّبَتْ وَتَعَلَّمَتِ الشَّعْرَ، وَشِعْرُهَا الْبَاقِي لَنَا مَشْرِقِي النَّهْجِ مَتِينُ الْأُسْلُوبِ وَفِيهِ شَيْءٌ مِنَ الرَّقَّةِ بَرُّغَمٍ أَنَّ مَا بَقِيَ مِنْهُ يَدُورُ حَوْلَ الْمَدِيحِ وَالْعِتَابِ وَالِاسْتِعْطَافِ.

٣ - مَخْتَارَاتُ مِنْ شِعْرِهَا

- لَمَّا وَفَدَتْ حَسَّانَةُ التَّمِيمِيَّةُ عَلَى الْحَكَمِ أَنْشَدَتْهُ:

إِنِّي إِلَيْكَ، أبا الْعَاصِي مُوجَّعَةٌ - أبا الْمُخَشْيِ سَقَتُهُ الْوَكَافَ الدِّيمُ-^(١)

(١) سَقَتُ الدِّيمِ (جمع ديمة: السحابة الممطرة) أبا الْخَشْيِ وَكَافاً: (مطرأ غزيراً).

قد كنتُ أرتعُ في نِعماء عاكفةً؛ فاليوم آوي إلى نُعماك، يا حَكَمُ!
أنتَ الإمامُ الذي أنقادَ الأنامُ له ومَلَكتَه مقاليدَ النهى الأُمُّ (١).
- ولها تُخاطبُ الحَكَمَ أيضاً تشكو إليه جابراً عاملَ البيرة:

إلى ذي الندى والمجدِ سارتُ ركائبي على شَحَطٍ تَصَلَّى بنارِ الهواجر (٢)
لِجَبْرٍ صَدْعِي، إِنَّهُ خَيْرُ جَابِرٍ، وَيَمْنَعُنِي من ذي الظُّلَمَةِ جَابِر (٣).
فإني وأطفالي بِقَبْضَةِ كَفِّهِ كذي الریش أضْحَى في مِخَالِبِ كاسِر (٤).
جديرٌ لِمِثْلِي أن يُقالَ مَرُوعَةٌ لموتِ أبي العاصي الذي كان ناصري.
سَقَاهُ الحبا! لو كان حياً لا أَعْتَدِي عليَّ زمانٌ باطشٌ بِطُشٍّ قادِر (٥).

٤ - * * نفح الطيب ٤: ١٦٧ - ١٦٨.

يحيى بن يحيى الليثي

هو أبو محمد يحيى بن يحيى بن كثير بن وسلاس بن شمال بن منغايا الليثي، من قبيلة مصمودة البربرية (في المغرب). أما نسبته إلى بني الليث فهي بالولاء.

دخل يحيى بن يحيى إلى الأندلس في مَطْلَعِ شَبَابِهِ فَسَمِعَ من يحيى بن مُضَرَّ القَيْسِيِّ الأَنْدَلِسِيِّ (ت ١٩٠) ومن شَبْطُونٍ (ت ٢١٢). ثُمَّ إِنَّهُ رَحَلَ إلى المَشْرِقِ - وكان عُمُرُهُ آنذاك ثَمَانِي وَعِشْرِينَ سَنَةً - فَسَمِعَ في مِصْرَ من الليث بن سعدٍ (ت ١٧٥) وسمع في مَكَّةَ من سَفِيانَ بن عُيَيْنَةَ (ت ١٩٨)، كما سمع في المدينة من الإمام مالك (ت ١٧٩).

ولما عاد يحيى بن يحيى الليثي إلى الأندلس، بعدَ وَفاةِ الإمام مالك، صارت إليه

- (١) مقاليد (مفاتيح) النهى (العقل).
- (٢) الندى: الكرم. الركائب جمع ركوب: الجمل أو الناقة يسافر الناس عليهما. الشحط: البعد. الهاجرة: نصف النهار. صلي بالنار يصلي: تعرّض لحرقها.
- (٣) لجبر صدعي: ليصلح أمري (جبر الصدع: جمع بين الشقين). جابر الأولى: المصلح. جابر الثانية (في القافية): حاكم البيرة الذي تشكو حسنة من سوء معاملته.
- (٤) ذو الریش: الطير الصغير. الكاسر: الطير الكاسر الذي يصطاد الطيور الصغيرة.
- (٥) الحيا: المطر.

رئاسة المذهب في الفقه فانتشر المذهب المالكي على يديه انتشاراً واسعاً وتفقه عليه جماعة لا يُحصون عدداً، وكان فقيه الأندلس غير مُنازع.

وكانت وفاة يحيى بن يحيى الليثي في ٢٢ من رَجَب ٢٣٤، وقيل ٢٣٣ (٨٤٨ م)، ودُفِنَ في مقبرة بني عامر في ظاهر قرطبة.

★ ★ ابن الفرضي ٢: ١٧٦-١٧٨ (رقم ١٥٥٦)؛ جذوة المقتبس ٢٥٩-٢٦١؛ (الدار المصرية) ٣٨٢-٣٨٤ (رقم ٩٠٩)؛ بغية الملتص ٤٩٥-٤٩٨؛ (رقم ١٤٩٧) المغرب ١: ١٦٣-١٦٥؛ وفيات الأعيان ٦: ١٤٣-١٤٤؛ الديباج المذهب ٣٥٠؛ ابن قنفذ ١٧٢؛ شذرات الذهب ١: ٣٣٩-٣٤٠؛ نفع الطيب ٢: ٩-١٢؛ بروكلمن ١: ١٧٦، الملحق ١: ٣٠٠-٣٠١؛ دائرة المعارف الإسلامية (ط ١) ٤: الأعلام للزركلي ٩: ٢٢٣-٢٢٤ (٨: ١٧٦).

عبد الرحمن الأوسط

١ - هو أبو المطرّف عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، وأمه اسمها حلاوة، وُلِدَ سَنَةَ ١٧٦ (٨٩٢ م) وبُوعَ بالإمارة سَنَةَ ٢٠٦ هـ (٨٥٢ م).

وكانت أيامه أيام ازدهار وترف: «لم يَلْقَ المسلمون معه بُساً ولم يَرَوْا يوماً عبوساً؛ وهو أول من جرى على سُنن الخلفاء في الزينة والشكل وترتيب الخدمة. ثم كسا الخلافة^(١) أُبَّهة الجلالة. وفي أيامه دخل الأندلس نفيسُ الغطاء وغرائبُ الأشياء، وسيق إليها ذلك من بغداد». وفي أيامه استبحرت الحضارة في الأندلس فأنصرف هو إلى الملذات واحتجب عن الناس وملأ قصره بأسباب اللّهُو وبالجواري والمغنين والمغنيات. وهو الذي استدعى زريابَ مُغنيَ العراق، من بغداد إلى الأندلس.

وكانت لعبد الرحمن الأوسط جارية تُسمّى طروب، وكان بها دَنفاً، فصَدَّت عنه وأغلقت على نفسها بيتاً فأمر بأن تُجَعَلَ على الباب خرائطُ (أوعية) مملوءةٌ بالدراهم

(١) في أيام عبد الرحمن الأوسط لم يكن الأمويّون قد تلقّبوا بالخلافة بعد. والنص هنا يذكر الخلافة على سبيل التجوُّز والتشبيه.

حَتَّى سَتَرَتْ تِلْكَ الْخَرَائِطُ الْبَابَ اسْتَرْضَاءً لَهَا وَاسْتَعْطَافاً. فَلَمَّا فَتَحَتْ طُرُوبُ
الْبَابِ وَأَخَذَتْ الْخَرَائِطَ وَجَدَتْ فِيهَا نَحْواً مِنْ عِشْرِينَ أَلْفاً. ثُمَّ أَمَرَ لَهَا أَيْضاً بِعَقْدِ
قِيمَتِهِ عَشْرَةَ أَلْفٍ دِينَارٍ.

وَتُوَفِّيَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطُ فِي الثَّلَاثِ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْ سَنَةِ ٢٣٨ (٨٥٢ م)
فَجَاءَهُ.

٢ - جَمَعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطُ فِي بِلَاطِهِ جَمَاعَةً مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْأَدْبَاءِ وَكَانَ
يُكْرِمُهُمْ وَيُحْسِنُ إِلَيْهِمْ. وَكَانَ هُوَ نَفْسُهُ شَاعِراً مُكْتَثِراً وَصَاحِبَ بَدِيعَةٍ. وَشِعْرُهُ
وُجْدَانِيٌّ يَدُورُ عَلَى الْوَصْفِ وَالْفَزْلِ. وَكَانَتْ لَهُ أَيْضاً تَوَاقِيعُ بَلِيغَةٌ.

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ

- لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطِ تَوَاقِيعُ بَلِيغَةٌ مِنْهَا:

مَنْ لَمْ يَعْرِفْ وَجْهَ مَطْلَبِهِ كَانَ الْحَرَمَانُ أَوَّلَى بِهِ.

- وَوَصَفَ مَرَّةً جَارِيَتَهُ طُرُوباً^(١) وَقَدْ لَبَسَتْ عِقْدًا أَهْدَاهَا إِيَّاهُ فَاسْتَكْثَرَ بَعْضُ
الْحَاضِرِينَ ثَمَنَهُ (عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ) فَقَالَ:

«إِنَّ لَابِسَهُ أَنْفُسُ مِنْهُ خَطَرًا وَأَرْفَعُ قَدْرًا. وَلَثْنُ رَاقٍ مِنْ هَذِهِ الْحَصْبَاءِ مَنَظَرُهَا
وَرُصِيفٌ فِي النَّفْسِ جَوْهَرُهَا، فَلَقَدْ بَرَأَ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ جَوْهَرًا يُغْشِي الْأَبْصَارَ وَيَذْهَبُ
بِالْأَلْبَابِ. وَهَلْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْ زَبَرٍ جَدِيهَا وَجَوْهَرٍ أَقْرُ لَعِينٍ وَأَجْمَعُ لَزَيْنٍ مِنْ
وَجْهِ أَكْمَلَ اللَّهُ فِيهِ الْحُسْنَ وَنُضْرَتَهُ وَأَلْقَى عَلَيْهِ الْجَمَالَ وَبَهْجَتَهُ!».

ثُمَّ أَلْتَفَتَ إِلَى الشَّاعِرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّمْرِ، وَكَانَ حَاضِرًا، فَقَالَ لَهُ: هَلْ يَحْضُرُكَ
شَيْءٌ فِي هَذَا الْمَعْنَى؟ فَأَنْشَدَ عَبْدُ اللَّهِ أَيْيَاتَهُ: أَتَقْرَنُ حَصْبَاءَ الْيَوَاقِيتِ وَالشُّذُرَ...

فَأَعْجَبَتْ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ الْأَمِيرَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطَ وَطَرِبَ لَهَا طَرَبًا شَدِيدًا ثُمَّ
أَنْشَدَ مُرْتَجِلًا:

(١) رَاجِعْ، فَوْقَ، ص ٩٩.

قريضك يا ابن الشَّمر عفى على الشعر
إذا شافهته الأذن أدى بسحره
وهل برا الرحمن من كل ما برا
ترى الورد فوق الياسمين بخدّها
فلو أنني ملكت قلبي وناظري
نظمتها منها على الجيد والنَّحر!

- وخرج إلى الغزو فطالت غيبته عن قرطبة وتذكر طروب، وكانت أعظم جواريه مكانة عنده ونفوذاً في بلاطه، وقيل إنها كانت قليلة الوفاء له حتى إنَّها شاركت في مؤامرة على خلعه. ومع ذلك فقد قال فيها:

فقدت الهوى مذ فقدت الحبيبا،
وإما بدت لي شمسُ النّها
فيا طولَ شوقي إلى وجهها،
ويا أحسنَ الخلق في مُقلتي
لئن حال دونك بُعدُ المزا
لقد أورتَ الشوقُ مني الضنى
عداني عنك مزارُ العبدى
كأئنَّ تخطَّيتُ من سَنَسَبِ
الأقي بوجهي حرَّ الهجـير
أريدُ بذاك ثوابَ الآله،
فما أقطع الليلَ إلّا نحيبا.
ر طالعةً ذكرّني طروباً.
ويا كبدًا أورتتها ندوبا^(٢)،
وأوفرهم في فؤادي نصيباً،
ر من بعد أن كنت مني قريباً
وأضرمَ في القلب مني لهيباً،
وقودي إليهم لهماً مهيباً^(٣)
وجاوزتُ بعدَ دروبٍ دروباً^(٤)،
إذا كاد منه الحصا أن يدوبا^(٥)
ومن غيره أبتغيه مُثيباً!

(١) فوف: لَوْن. التفويف: اجتماع الألوان متجاورة. المنور (بفتح الواو المشددة وكسرها): المتفتح بالأزهار.

(٢) الندوب: جمع ندبة: أثر الجرح الباقي.

(٣) اللهام: الجيش العظيم. مهيباً: يهابه الناس.

(٤) السبب: الأرض القاحلة الواسعة. الدرب: المرّ في الجبل.

(٥) الهجير: نصف النهار.

أَنَا ابْنُ الْهَشَامِيِّينَ مِنْ غَالِبٍ أَشْبُ حُرُوبًا وَأُطْفِي حُرُوبًا^(١)
سَمَوْتُ إِلَى الشَّرْكِ فِي جَحْفَلٍ مَلَأْتُ الْحُزْنَ بِهِ وَالسُّهُوبَا^(٢).

٤ - * * * المقتبس (راجع الفهرس فيه)؛ جذوة المقتبس ١١ (الدار المصرية) ١٠: الحلة
السيراء ١: ١١٣-١١٩؛ المغرب ١: ٤٥-٥١؛ البيان المغرب... أعمال
الأعلام ٢٢؛ نفح الطيب ١: ٣٤٤-٣٥٠؛ دائرة المعارف الإسلامية ١:
٨٢-٨٣؛ نيكل ٢١-٢٢؛ مختارات نيكل ١٤؛ الأعلام للزركلي ٤: ٧٦
(٣: ٣٠٥).

عبد الله بن الشمر

١ - هو عبدُ اللهِ بنُ الشَّمْرِ بنُ نُمَيْرِ القُرْطُبِيِّ، كان أبوه الشَّمْرُ من موالى بني
أُمَيَّةَ ومن أهل العلم بالعربية.

نشأ عبدُ اللهِ بنُ الشَّمْرِ جامعاً لكثيرٍ من الخِصال التي تُحِبُّهُ إلى الناس: لطيفَ
المعاشرَة جامعاً لفنونٍ من العلم والأدب. وقد صَحِبَ عبدُ الرحمن بنَ الحَكَمِ قبلَ أن
يَلِيَ عبدُ الرحمن الإمارةَ (سنة ٢٠٦ = ٨٢٢ م) ثمَّ بعدَ أن تولَّى الإمارة. وقد كان في
كُلِّ هذه الحِقْبَةِ نديماً لعبدِ الرحمن ومُنْجِماً له وشاعره (راجع نفح الطيب ٣: ٦١٣).

ولمَّا غزا عبدُ الرحمن بنُ الحَكَمِ أرضَ جِيلِيقِيَّةَ^(٣)، سَنَةَ ٢٢٥ (٨٤٠ م)، كان
عبدُ اللهِ بنُ الشَّمْرِ مَعَهُ. ثمَّ تُوُفِّيَ أبْنُ الشَّمْرِ بُعِيدَ ذَلِكَ.

٢ - كان عبدُ اللهِ بنُ الشَّمْرِ مُتَفَنِّناً في عددٍ من العلوم بارِعاً في التنجيم خاصَّةً
جَيِّدَ الشُّعْرِ مطبوعاً. وفنونُ شِعْرِهِ، فيما يبدو، المديحُ والعِتابُ والوصفُ والهجاء.

(١) الهشاميين: هاشم بن عبد شمس (في الجاهليين) وهشام بن عبد الملك الأموي.
وفي نسب قریش (والأمويون منهم) أجداد هم: لؤي بن غالب بن فهر بن مالك، وجده أيضاً هشام بن
عبد الرحمن الداخل.

(٢) الجحفل: الجيش العظيم: الحزن (بفتح الحاء وسكون الزاي): الأرض القاسية التي يصعب السير
فيها. السهب: الأرض المستوية التي يسهل السير فيها.

(٣) جيليقية: الطرف الشمالي الغربي من شبه جزيرة الأندلس.

٣ - مختارات من شعره

- خرج عبد الرحمن بن الحكم مرةً لصيد الغرائيق (والغرنوق طائرٌ مائي يُشبه الكركي)، وكان البردُ شديداً، فقال ابنُ الشَّمرِ، وكان معه:

ليتَ شعري أمنَ حديدٍ خلُقنا أم نُحِتْنَا من صَخْرَةٍ صَمَاءٍ؟
كلَّ عامٍ في الصيفِ نَحْنُ غُرَاةٌ، والغرائيقُ صيدُنا في الشتاءِ
إذ ترى الأرضَ - والجليدُ عليها واقعٌ - مثلَ شُقَّةٍ بيضاءِ.
وكأنَّ الأنوفَ تُجَدِّعُ مِنَّا بالمواصي لزُعْزُعٍ ورُخَاءِ^(١).
نطلبُ الموتَ والهلاكَ بالحِما ح، كأننا نشتا قُ وقتَ الفناءِ.

- جرى ذاتَ يومٍ حديثٌ طويلٌ بينَ عبدِ الرحمنِ بنِ مُحَمَّدٍ ووزيرِهِ في الموازنة بينِ جاريةٍ وعَقْدٍ من الجواهر (اللؤلؤ) كانت تلبسه، فطلبَ عبدُ الرحمنِ من ابنِ الشَّمرِ أن يقولَ شيئاً في هذا المعنى فقال:

أَتَقَرُّنُ حَصْبَاءَ الْيَوَاقِيتِ وَالشَّدْرِ إلى مَنْ تَعَالَى عَن سَنَا الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ^(٢)
إلى مَنْ بَرَتْ قَدَمًا يَدُ اللَّهِ خَلَقَهُ، ولم يكُ شيئاً غيرَهُ أبدأً يَبْرِي^(٣)
فَأَكْرِمُ بِهِ مِنْ صِنْفَةِ اللَّهِ جَوْهَرًا تضائلَ عنه جَوْهَرُ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ^(٤)!

٤ - * * أخبار مجموعة ١٣٦-١٣٨؛ ابن الغرضي ٢٦٨ رقم (٦٩١)؛ المقتبس ٦٥-٦٦، راجعُ الفهرست أيضاً؛ الحلة السراء ١: ١١٦-١١٨؛ المغرب ١: ١٢٤-١٢٧؛ البيان المغرب ٢: ٨٥-٩٢؛ نفح الطيب - راجعُ الفهرس ؛ نيكل ٢١؛ مختارات ١٣-١٤.

- (١) تجدد: تقطع. المواصي: جمع موسى: سكين حادة. الزعزع: الريح الشديدة. الرخاء: الريح اللينة. - إذا اشتدَّ البرد وتجمدت الأعضاء (كالأذن والأنف) يسهل انفصالها.
- (٢) قرن: جمع، (شبهه، وازن بين شيئين). الحصباء: الحصى، الحجارة الصغيرة. الشذرة: القطعة الصغيرة من الذهب، الحُرزة الصغيرة يفصل بها بين الحبتين من اللؤلؤ في العقد. السنا: ضوء البرق.
- (٣) برت - برأت: خلقت. ولم يكن غيره (أي الله) يبري (يرأ) شيئاً.
- (٤) الجواهر: اللؤلؤ.

عبد الملك بن حبيب

١ - هو أبو مروان عبدُ الملك بن حبيب^(١) السُّلَمي المِرداسي الإلبيري القرطبي الأندلسي، من موالي بني سُليم، وُلِدَ في حِصْنِ واطَ قُرْبَ غَرْنَاطَةَ (في كورة إلبيرة) بُعيد سنة ١٨٠ (٧٩٦ م).

عاش عبدُ الملك بن حبيب في صدرِ حياته مُدَّةً في إلبيرة وقرطبة وتَفَقَّه فيها ثم رَحَلَ إلى المَشْرِق فحجَّ ولَقِيَ نفراً من أصحاب مالِك بن أنسٍ ومن غيرهم: سَمِعَ من عبدِ الملك بن الماجشون (ت ٢١٢) وأسدِ السَّنَةِ أسد بن موسى الأموي (ت ٢١٢) وأصبغ بن الفرج (ت ٢٢٥) ومن إسماعيل بن أبي أُويس وعُبَيْدِ اللهِ بن موسى الكوفي وسواهم. ولا يُمكنُ أن يكون عبدُ الملك بن حبيب، الذي وُلِدَ سَنَةَ ١٨٠، قد لَقِيَ مالِك بن أنسٍ الذي تُوفِّي سَنَةَ ١٧٩، كما زعم نفرٌ من الذين ترجوا لعبدِ الملك بن حبيب!.

ولمَّا عاد عبدُ الملك بن حبيب إلى الأندلس سَكَنَ قُرطبةَ إلى أن تُوفِّي في رابعِ رَمَضانَ من سَنَةِ ٢٣٨ (١٨ / ٢ / ٨٥٣ م) في الأغلب. وكان قبلَ وفاته قد وَقَفَ جميعَ أملاكه على جامع قرطبة.

٢ - كان عبدُ الملك بن حبيب عالماً مشهوراً مُتَصَرِّفاً في عددٍ من فُنُونِ العلم من التفسير والحديث والفقه والتاريخ والشعر والطب والفلك. وقد عُرِفَ بلقب «عالم الأندلس»؛ ومنهم مَنْ يجعلُه صِنْواً لشبْطونٍ (راجع، فوق، ص ٩٣) فلقد كان له أثرٌ في انتقالِ أهلِ المَغْرِبِ والأندلس من مذهبِ أهلِ الحديثِ إلى مذهبِ الإمام مالِك.

وعبدُ الملك بن حبيب مُصَنِّفٌ مُكثِرٌ، فمن كتبه: كتاب مكارم الأخلاق - أصول الفرائض (إرث) - كتاب الورع - غريب الحديث - طبقات الفقهاء - تفسيرُ موطأ مالِك - الواضحة (شرح على موطأ الإمام مالِك) - «التاريخ»

(١) في البيان المغرب لابن عذاري (٢: ١١٠): «هو عبد الملك بن سليمان بن مروان بن جيهلة بن عباس بن مرداس السلمي، يكنى أبا هارون».

(وعنوانه طويل يُوجزُ محتوياته. كتابٌ في ابتداء خلق الدنيا وذكر ما خلق الله فيها من ابتداء خلق السموات وخلق البحار والجبال والجنة والنار وخلق آدمَ وحواءَ وما كان من شأنها معَ إبليسَ وعدّة الأنبياء نبيّاً نبياً إلى محمدٍ صلى الله عليه وسلّم وعليهم أجمعين وعدّة الكتب المنزلة وعدة الخلفاء إلى حين استفتاح الأندلس... وفي آخر الكتاب فصولٌ في الفقه والأخلاق والآداب وطائفة من الأشعار ثم فصل عن قضاة الأندلس).

والذي يبدو أنّ النسخة التي وصلت إلينا من هذا الكتاب الكبير هي من صنع ابن أبي الرقاع تلميذ عبد الملك بن حبيب أضاف فيها إلى ما كان قد رواه عن ابن حبيب أشياء كثيرة، من ذلك أنه استمرّ في سلسلة أمراء الأندلس إلى سنة ٢٧٤ هـ (٨٨٨ م)، بينما كانت وفاة عبد الملك بن حبيب سنة ٢٣٨ هـ (راجع بروكلمان ١: ١٥٦).

٣ - مختارات من شعره

- قال عبد الملك بن حبيب يشكو الدهر:

صَلَّاحُ أُمْرِي وَالَّذِي أُنْتَفِي هَيْنَ عَلَى الرَّحْمَنِ فِي قُدْرَتِهِ.
أَلْفٌ مِنَ الْبَيْضِ؛ وَأَقْلَلُ بِهَا لَعَالِي أَرْزَى عَلَى بُغْيَتِهِ^(١).
زُرْيَابُ يَأْخُذُهَا قَفْلَةً وَصَنَعَتِي أَشْرَفُ مِنْ صَنَعَتِهِ^(٢).

- وَكَتَبَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ الزَّجَّالِي رِسَالَةً خَتَمَهَا بِهَذِهِ الْأَيَّاتِ، وَهِيَ أَيْضاً فِي الشُّكُوى:

كَيْفَ يُطِيقُ الشَّعْرَ مَنْ أَصْبَحَتْ حَالَتُهُ الْيَوْمَ كَحَالِ الْفَرْقِ.
إِذَا قَرَضْتُ الشَّعْرَ أَوْ رُمْتُهُ حَالَتُ هُمُومِي دُونَهُ فَانْفَلَقَ.

(١) ألف من البيض: ألف درهم (من الفضة).

(٢) زرياب المغني (راجع ص ٨٠). يأخذها قفلة (يأخذ ألف درهم في غناء قفلة - نحو شطرين في آخر الأغنية).

والشعرُ لا يَسْلَسُ إِلَّا على فَرَاغِ قلبٍ واتَّساعِ الخُلُقِ.

- ٤ - * * ابن الفرضي ١ : ٣١٢ - ٣١٥ ؛ رقم (٨١٦) ؛ الزبيدي ٢٨٢ - ٢٨٣ ؛ جذوة المقتبس ٢٦٣ - ٢٦٥ (الدار المصرية) ٢٨٢ - ٢٨٤ (رقم ٦٢٨) بغية الملتبس ٣٦٤ (رقم ١٠٦٣) ؛ انباه الرواة ٢ : ٢٠٦ - ٢٠٧ ؛ المغرب ٢ : ٩٦ ؛ الديباج ١٥٤ ؛ بغية الوعاة ٣١٢ ؛ شذرات الذهب ٢ : ٩٠ ؛ نفح الطيب ١ : ٤٦ ثم ٢ : ٥ - ٨ ؛ بروكلمن ١ : ١٥٦ ، الملحق ١ : ٢٣١ ؛ ابن قنفذ ١٧١ ؛ المطمح ٣٦ - ٣٧ ؛ بالنشأ ١٩٤ - ١٩٥ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٧٧٥ ؛ الأعلام للزركلي ٤ : ٣٠٢ (١٥٧).

عبّاس بن ناصح

١ - هو أبو العلاء عبّاس بن ناصح الثَّقَفِيّ الجَزِيرِيُّ، نسبةً إلى الجزيرة الخضراء (جنوبيّ الأندلس). وقيل إنّ أباه ناصحاً كان عبداً لمُزاحمة بنت مُزاحم الثَّقَفِيّ الجَزِيرِيِّ (المغرب ١ : ٣٢٤).

وُلِدَ عبّاس بن ناصح في الجزيرة الخضراء ونشأ فيها. ثمّ إنّ جعل يتردّد على قُرْبُبة ويتّصل بالحكم بن هشام الرَبَضِيّ (١٨٠ - ٢٠٦ هـ) ويمدّحه. فولّاه الحكم القضاء على الجزيرة الخضراء^(١).

ورحّل عبّاس إلى المشرق، قيل ذهب ليرى أبا نُواسٍ وغيره من شعراء العراق^(٢). وقيل أرسله عبدُ الرحمن بن الحكم (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ) إلى العراق في التماس الكتب القديمة، فأثاه بالسند هِنْد^(٣) وغيره.

(١) نقل السيوطي (بغية الوعاة ٢٧٦) عن الزبيدي وابن الفرضي أن عباس بن ناصح ولي قضاء (القضاء في بلده و(في مدينة) شذونة. وفي المغرب (١ : ٣٢٤) : أنّ الزبيدي قال في كتابه «طبقات العلماء» إن عباس بن ناصح «ولي قضاء بلده مع شذوده»!

(٢) ابن الفرضي ١ : ٣٤١. ويذكر ابن الفرضي أيضاً (١ : ٣٤٠ - ٣٤١) أن ناصحاً رحل بابنه عباس، وهو صغير، إلى المشرق، فنشأ عباس في مصر وتردّد في الحجاز طالباً للغة العرب؛ ثمّ رحل به إلى العراق فلقني الأصمعيّ (ت ٢١٦ هـ). ورجع عباس إلى الأندلس، فلمّا سمع بذكر أبي نواس رحل إلى المشرق ثانية. ولا أرى هذه الروايات تتسق اتّساقاً معقولاً.

(٣) السندهند كتاب في الفلك والحساب (راجع تاريخ العلوم عند العرب، للمؤلف، ص ١٢٣ - ١٢٦).

وكانت وفاة عباس بن ناصح سنة ٢٣٨ (٨٥٢ - ٨٥٣ م) في الأغلب.

٢- كان عباس بن ناصح من ذوي الفصاحة علماً باللغة^(١) والنحو والفقه والحديث والتعاليم (العلوم العددية: الرياضيات وما يتصل بها)، ولكن غلب عليه الشعر، وكان شعره جزلاً متيناً يشبه ما ألفه قدماء الشعراء في المشرق.

٣- مختارات من آثاره

في الحلة السراء (١: ٤٨):

قال عثمان بن المثنى النخوي المؤدب: قديم بعد الوقعة علينا عباس بن ناصح قرطبة، أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم، فاستنشدني شعر الأمير الحكم في الهنيح (راجع، ص ٥٧)، فأنشدته إياه. فلما بلغت إلى قوله:

وهل زدت أن وفيتهم صاع قرضهم فلاقوا منايا قدّرت ومصارعا،

- قال عباس (بن ناصح):

.... لو أنّ الحكم يخشى الخصومة (يوم القيامة) بينه وبين أهل الربض لقام بمُذْرِهِ فيهم هذا البيت. وفي رواية: إذا كانت (تلك) الخصومة بينه وبين أهل الربض (عندي) جبرته (عطف عليه)، فإنّ هذا البيت ليحاججُ عنه يوم القيامة (لأنه نسب مقتل خصومه إلى انتهاء آجالهم لا إلى محاربته هو لهم).

- قال عباس بن ناصح في طول الحياة (بغية الوعاة ٢٧٦):

ما خير مُدّة عيش المرء لو جعلت كمدّة الدهر، والأيام تُفنيها^(٢)؟
فارغب بنفسك أن ترضى بغير رضا^(٣) وابتغ نجاتك بالدنيا وما فيها.

(١) ذكره الفيروزآبادي في «البلغة في تاريخ أئمة اللغة» (ص ١٠٣).

(٢) هذا البيت يفهم على معنيين: لا خير في مدّة، مهما تكن طويلة، ما دامت في آخر الأمر ستنتهي. - لا خير في طول الحياة، ولو كانت طول الدهر (بلا نهاية)، إذا فئت (إذا أصبح الإنسان عاجزاً عن التمتع بما فيها).

(٣) بغير رضا (وإن لم يكن في الحياة ما ليس يدعو إلى الرضا).

- وفي نفح الطيب (١: ٣٤٣) أَنَّ العَبَّاسَ الشَّاعِرَ سَمِعَ امْرَأَةً فِي مَدِينَةِ وَادِي
لِحَجَارَةٍ تَسْتَفِيتُ بِالْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ لِكَثْرَةِ اعْتِدَاءِ الْإِسْبَانِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ. فَلَمَّا عَادَ
عَبَّاسٌ إِلَى قُرْبَةِ دَخَلَ عَلَى الْحَكَمِ وَأَنْشَدَهُ قَصِيدَةً كَانَ قَدْ نَظَمَهَا فِي ذَلِكَ، مَطْلَعُهَا:

تَمَلَّمْتُ فِي وَادِي الْحِجَارَةِ مُسَهَرًا أُرَاعِي نَجُومًا مَا يُرْدَنَ تَغَوُّرًا^(١).
إِلَيْكَ، أبا العاصي، نَضَيْتُ مَطِيتِي تَسِيرُ بِهِمْ سَارِيًا وَمُهْجَرًا^(٢).
تَدَارِكُ نِسَاءَ الْعَالَمِينَ بِنُصْرَةٍ، فَإِنَّكَ أُخْرَى أَنْ تُغِيثَ وَتَنْصُرَا!

- وفي طبقات الزبيدي (ص ٢٨٦) أَنَّ أبا نَواَسٍ سَأَلَ عَبَّاسَ بْنَ نَاصِحٍ إِشَادَ
قَصِيدَةٍ فَأَنْشَدَهُ: فَادَتْ الْقَرِيضَ، مَنْ ذَا فَادَ^(٣)!

٤ - * * الزبيدي ٢٨٤ - ٢٨٦؛ ابن الفرضي ١: ٣٤٠ - ٣٤١ (رقم ٨٨١)؛ المغرب ١:
٤٥، ٣٢٤ - ٣٢٥؛ إنباه الرواة ٢: ٣٦٥ - ٣٦٧؛ بغية الوعاة ٢٧٦؛ نفح
الطيب ١: ٣٤٣، ٢: ٢٦١ - ٢٦٢، ٣: ٤٢٤ (الرقم في الفهرست يبدو أَنَّهُ
خطأ)، دائرة المعارف الإسلامية ١: ١٢.

أَفْلَحُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ

١ - هو أَبُو سَعِيدٍ أَفْلَحُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ رُسْتَمِ الْإِمَامِ الثَّالِثِ
فِي الدَّوْلَةِ الْإِبَاضِيَّةِ فِي تَيَهَّرَتْ بُوَيْعَ لَهُ بِالْإِمَامَةِ (سَنَةِ ١٩٠) يَوْمَ وَفَاةِ أَبِيهِ. وَمَعَ أَنَّهُ
كَانَ ذَا عَزْمٍ وَحَزْمٍ ضَابِطًا لِأُمُورِهِ فَقَدْ كَثُرَتْ عَلَيْهِ الْفِتَنُ وَالْحُرُوبُ. مِنْ أَشْهُرِ
حُرُوبِهِ وَأَكْبَرِهَا حَرْبُهُ مَعَ خَلْفِ بْنِ السَّمْعِ بْنِ أَبِي الْخَطَّابِ عَبْدِ الْأَعْلَى (وَكَانَ السَّمْعُ
هُوَ الْإِمَامُ الْأَوَّلَ بِطَرَابُلُسَ وَوَزِيرًا لِأَفْلَحَ ثُمَّ وَالِيَهُ عَلَى جَبَلِ نَقُوسَةَ). وَلَكِنْ خَلَفًا
طَمِعَ فِي الْإِمَامَةِ (الْعَامَّةِ) وَنَصَبَ الْحَرْبَ لِأَفْلَحَ. فَوَلَّى أَفْلَحُ عَلَى جَبَلِ نَقُوسَةَ أبا

- (١) مسهراً: مصاباً بهم يذهب بنومي. تغوّرت النجوم = غارت: غابت.
(٢) أبو العاصي كنية الحكم بن هشام الرضي. نضيت الثوب وأنضيته: أبليتته. المطية: الدابة. نضيت
مطيتي: أنضيت مطيتي بطول الطريق ووعورته.
الساري: المسافر في الليل. المهجر: السائر في المهجر (نصف النهار، في وقت الحر الشديد).
(٣) لم يذكر الزبيدي غير هذا الشطر، ويبدو أَنَّهُ مطلع القصيدة. فاد فلان فلاناً: أصاب فؤاده. فادَتْ
القرىض (الشعر): برعت فيه، بلغت فيه الغاية.

الحسن أيوب بن العباس. ويبدو أن أبا الحسن هذا تُوفِّيَ وشيكاً فولَّى أفلح بعده أبا عبيدة عبد الحميد الجناوي (الأزهار الرياضية ٢: ١٥٢) فحارب أبو عبيدة خلفاً وتغلَّب عليه في ثالثَ عشرَ رَجَبَ من سَنَةِ ٢٢١. وقد نصب الحرب أيضاً لأفلح رجلٌ يُعرَفُ بـابن فندين، كما كان عددٌ من القبائل يخرجُ عن طاعته مرةً بعدَ مرةً.

وكانت لأفلح صِلَاتٌ حسنةٌ بملوك السودان (الغربي) و بملوك الأندلس الذين عاصرَ منهم ثلاثةٌ هُمُ الحَكَمُ الأولُ (١٨٠ - ٢٠٦ هـ) وعبدُ الرحمن الأوسط ومحمدُ بن عبد الرحمن (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ). ولما بتى محمدُ بنُ إبراهيم بن الأغلِبِ قُرْبَ مَدِينَةِ تِهْرَتَ مَدِينَةَ سَمَّاها «العباسية» سارَ إليها أفلحُ وأخرَقَها، سَنَةَ ٢٢٧^(١) وكتبَ بذلك إلى الأمير عبد الرحمن الأوسط فأرسلَ إليه عبدُ الرحمن مائةَ ألفِ درهمٍ^(٢).

وكانت وفاةُ أفلحَ سَنَةَ ٢٤٠ (٨٥٥ م) بعد أن بقيَ في الإمامةَ خَسينَ سَنَةً.

٢ - كان أفلحُ بنُ عبد الوهَّابِ فقيهاً، كما كان أديباً له نثرٌ ونظم. ولم يكن في نثره ونظمه ابتكارٌ، بل كانت آثاره مجموعاً من الآراء العامة المعروفة السائدة، إلا أن سبكه لهذه الآراء والأقوال المعروفة كان سبكاً سائفاً جليلاً ذا أثرٍ في النفوس. وتكاد تكونُ جميعُ آرائه وتعاييره اقتباساً من القرآن والحديث. ولآثاره قيمةٌ واضحةٌ هي أنها تُمثِّلُ رأيَ الإباضية في الدين والأخلاق وفي المسلكِ العملي في الحياة.

٣ - مختارات من آثاره

- النصيحة العامة:

من أفلح بن عبد الوهَّابِ إلى مَنْ بَلَغَهُ كِتَابُنَا هَذَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. أَمَّا بَعْدُ، فَالْحَمْدُ

(١) في تاريخ ابن الأثير (٦: ٥١٩) أن هذه الحادثة كانت في سنة ٢٣٩ (نقلًا عن فتوح البلدان للبلاذري، ص ٢٣٤)، فتكون الحادثة حينئذ في أيام الأمير محمد.

(٢) يقول الباروني (الأزهار الرياضية ١٨٦ - ١٨٧) أن أفلح كان يهادي ملوك الأندلس بالمال، وأن أفلح لم يتقرَّب بإحراق العباسية تقريباً لملوك الأندلس، بل كان ملك الأندلس هو الذي تقرَّب من أفلح بالمال.

الله الذي هدانا للإسلام وأكرمنا بمحمدٍ عليه السلام. وأبقانا بعد تناسخ^(١) الأمم حتى أخرجنا في الأمة المكرمة التي جعلها أمةً وسطاً شاهدةً لنبيئها بالتبليغ ومصدقّةً لجميع الأنبياء وشاهدةً على جميع الأمم بالبلاغ من الأنبياء عليهم^(٢) السلام منّا من الله ورحمة. أرسل إلينا نبيّه محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ووعدّه بالنصر على الأعداء وضمن له الفلج والغلبة ووعدّه بالعصمة^(٣) وقال له عز وجل: «يا أيها الرسول، بلغ ما أنزل إليك من ربك. وإن لم تفعل فإبليت رسالتك. والله يعصمك من الناس»^(٤). فأدى ما أمره الله به ونصح لأمرته ودعا إلى سبيل ربّه وجاهد عدوّه وغلظ على الكفار ولان للمؤمنين، فكان لهم كما وصفه الله تعالى رؤوفاً رحيماً. حتى انقضت مدّته وفنيت أيامه واختار له ربّه ما عنده فقبضه^(٥) إليه محمود السني مشكور العمل صلى الله عليه وسلم. فلم تبق خصلة من خصال الخير الدالة على الرشد إلا دعا إليها وسنّها أو فرضها أو أوجبها، ولم تبق خصلة من خصال الشر الداغية إلى الهلكة إلا زجر عنها وأمر باجتنابها رحمةً من الله لعباده. فله الحمد على ذلك كثيراً. ثم أمر تعالى بالجهاد في سبيله والقيام بحقه والأخذ بأمره والانتفاء عما نهى عنه، وفرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإغاثة الملهوف والقيام مع المظلوم والقمع^(٦) للظالمين لكيلاً تقوم للشيطان دعوة ولا تثبت لأهل حزيه قدم ولا ينفذ لهم حكم....

- (١) تناسخ الأمم (هنا) تطوّر بعض الأمم من بعض وترقيها في سلم الحضارة.
- (٢) هذه الجملة مقتبسة من ثلاث آيات: من سورة البقرة (٢: ١٤٣) «وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً» ثم من سورة آل عمران (٣: ١١٠) «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون (بفتح الهاء) عن المنكر» ثم من سورة النساء (٤: ٤١) «فكيف إذا جئنا من كلّ أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً؟» - هذا مثال واحد، ومعظم جمل أفلح تشبه ذلك.
- (٣) العصمة (هنا): الحماية من الناس (دفع ضرر الناس عن الرسول)، راجع الآية المستشهد بها. الفلج الظفر.
- (٤) راجع سورة المائدة (٥: ٦٧).
- (٥) اختار له ربّه ما عنده (عند ربّه): فضّل له الحياة الأخرى على هذه الحياة الدنيا. قبضه إليه: توفاه (نقله من الحياة الدنيا إلى الحياة الأخرى).
- (٦) الملهوف: المظلوم الذي يطلب من الناس مساعدتهم. القمع: القهر والإذلال.

ثُمَّ أَحَذَّرَكُمْ أَهْلَ الْبِدْعِ الَّذِينَ لَمْ يَعْرِفُوا حَقًّا فَيَتَّبِعُوهُ وَلَمْ يَلْقُوا أَهْلَ الْعِلْمِ
فَيَقْتَسِمُوا مِنْهُمْ الدِّينَ. عَاشُوا مَعَ أَهْلِ الْجَهْلِ فَخَلَا بِهِمُ الشَّيْطَانُ وَنَفَخَ فِي قُلُوبِهِمُ
الْكِبْرَ وَأَوْزَرَهُمُ الْعُجْبَ فَاسْتَحْيَوْا^(١) أَنْ يَقُولُوا فِيمَا لَا يَعْلَمُونَ «لَا نَعْلَمُ». فَأَفْتَوْا
بِرَأْيِهِمْ^(٢) أَقْوَامًا جَهْلَةً لَا يَعْرِفُونَ مَا يُقَالُ لَهُمْ: قَلْدُوهُمْ^(٣) دِينَهُمْ وَأَلْزَمُوا أَنْفُسَهُمُ
الرَّأْيَ فَاتَّبَعُوهُمْ عَلَى بِدْعَتِهِمْ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ...
فَاخْذَرُوا، مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، مَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ وَمَنْ حَلَّ بِهِ هَذِهِ الْمَنْزِلَةُ وَرَضِيَهَا
لِنَفْسِهِ. وَاعْلَمُوا أَنَّ مَنْ كَانَ كَهَذَا فَقَدْ صَارَ مِنْ حِزْبِ الشَّيْطَانِ وَأَوْلِيَائِهِ....

هذا، وقد بِالْفَتْ إِيَّاكُمْ فِي النَّصِيحَةِ وَشَرَحْتُ لَكُمْ الْمَوْعِظَةَ وَرَضَيْتُ لَكُمْ بِمَا رَضَيْتُ
بِهِ لِنَفْسِي وَنَهَيْتُكُمْ عَمَّا أَنْهَى عَنْهُ نَفْسِي نَصِيحَةً لِلَّهِ وَاجْتِهَادًا فِي طَلَبِ رِضَائِهِ....

- فَضْلُ الْعِلْمِ. قَالَ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ:

فَضْلًا عَلَى النَّاسِ غِيَابًا وَحُضَارًا ^(٤) .	لِلَّهِ عُصْبَةُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّ لَهُمُ
وَالْجَهْلُ جَهْلٌ، كَفَى بِالْجَهْلِ إِذْ بَارَ ^(٥) .	الْعِلْمُ عِلْمٌ، كَفَى بِالْعِلْمِ مَكْرَمَةً.
عَنِ النَّبِيِّ رَوَيْنَا فِيهِ أَخْبَارًا ^(٦) .	لِلْعِلْمِ فَضْلٌ عَلَى الْأَعْمَالِ قَاطِبَةً؛
فِي الْعِلْمِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ أَخْطَارًا	يَقُولُ: طَالِبُ عِلْمٍ بَاتَ لَيْلَتُهُ
صَامَ النَّهَارَ وَأَخْيَا اللَّيْلَ إِسْهَارًا.	مِنْ عَابِدِ سَنَةِ اللَّهِ مُجْتَهِدًا
ثِيَابِهِمْ وَعَلَى الْقُرْطَاسِ أَسْطَارًا ^(٧) .	وَقَالَ: إِنَّ مِدَادَ الطَّالِبِينَ عَلَى

(١) الكبر: الجبر والتعظيم على الناس. العجب: الزهو (الافتخار) بالنفس. استحيًا: غلبه الحياء أو الخجل.

(٢) أفتى برأيه: فسر أمور الدين بعقله هو من غير رجوع إلى القرآن أو الحديث أو أعمال الصحابة.

(٣) الملموح هنا أن العامة من الناس تابعوا الفقهاء في الاعتقاد والعبادات. ويمكن أن تعني أن الفقهاء قلدوا العامة الدين (فرضوه عليهم - جعلوه كالقلادة في أعناقهم).

(٤) إنك تستفيد من العالم إذا حضرت عليه شخصيًا أو إذا قرأت في كتبه (ولو بعد موته).

(٥) الإدبار: تولي (ذهاب) النجاح والتوفيق عن الإنسان.

(٦) وصل إلينا عن النبي أحاديث في فضل العلم.

(٧) المداد: الحبر. الطالبون: طالبو العلم (التلاميذ). القرطاس: الورق. الأسطار: السطور.

- إِنَّ الْحَبْرَ سِوَاءٍ أَكْتَبَتْ بِهِ سَطُورًا مِنَ الْعِلْمِ أَوْ سَقَطَ عَلَى الثِّيَابِ خَطًا...

بمثل^(١) دم الشهداء المكرمين: لهم
أكرمهم من ذوي الفضل المبين، لهم
ولا تكن جامعاً للصحف تخزنها
فأطلب من العلم ما تقضى الفروض به
وأجعل لله، لا تجعله مفخرة،
مولاك يعلم ما تخفي الصدور، فلا
ولا تدهن إذا ما قلت مسألة،
وعاشر الناس - وانظر من تعاشره -
فربّ مكثّر صخب لا يزال يرى
فضل؛ فأكرم بأهل العلم أختياراً.
إرث النبوة في أيديهم صاراً^(٢).
كالعير يحمل بين العير أسفارا^(٣).
وأعمل بعلمك مضطراً ومختاراً^(٤).
ولا تراي به بذواً وأخضاراً^(٥).
يكن لك الحلم من مولاك غراراً^(٦).
أضرزت بالدين - إن داهنت - إضراراً^(٧).
قصداً، ولا تكثرن الصخب إكثاراً^(٨).
لنفسه قرناً السوء أشراراً.

٤ - * * - الأزهار الرياضية ٢: ١٦٦ - ٢٢٢؛ معجم أعلام الجزائر ١: ٣٤٢ (٢: ٥)؛
تاريخ الجزائر العام ١: ١٩٨؛ الطار ٣١.

سحنون

١ - هو أبو سعيد عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي، المعروف باسم
سحنون (بفتح السين أو بضمها)، وُلِدَ في القيروان في أول رَمَضان من سنة ١٦٠
(١١ / ٦ / ٧٧٧ م).

- (١) « مثل » فيها عيب (ينقص فيها مدّ: يجب أن يكون مكانها كلمة على وزن معنى أو رمى).
- (٢) في الحديث: العلماء ورثة الأنبياء.
- (٣) العير: الحمار. في القرآن الكريم: « كمثل الحمار يحمل أسفارا (٦٢: ٥، سورة الجمعة). يحمل كتباً ولا ينتفع بما فيها. العير (بالكسر): القافلة.
- (٤) ما تقضى الفروض به: ما يعلمك أمور الدين (أو: ما تقرأه في صلاتك، مثلاً). اعمل بعلمك مضطراً ومختاراً (في كلّ حال) في أمور الدين وفي غير أمور الدين.
- (٥) أخضار (المقصود جمع حضر ضدّ البدو).
- (٦) - إذا لم يعاقبك ربك اليوم على ذنب اقترفته فلا تغترّ بذلك وتقمضي في اقتراف ذلك الذنب تكراراً، فقد تعاقب على ذلك كلّ غداً.
- (٧) المداينة: المصانعة: (موافقة الناس على رأي أنت تعتقد في نفسك خلافه).
- (٨) عاشر الناس قصداً (باعتدال) لا تستكثر من الأصدقاء ولا تندفع في صداقة أحد بلا ضابط.

بدأ سحنونُ دراسته في تونسَ ثم رَحَلَ (١٨٨ هـ) إلى القاهرة فدرس على الفقيه المالكي أبي عبد الله عبد الرحمن بن خالدِ المُتقي (١٣٢ - ١٩١ هـ). وهو صاحبُ المدونة (في الفقه المالكي) أخذها عن مالك بن أنسٍ، ثم أخذها عنه سحنونُ. ودرَسَ سحنونُ على نفرٍ كثيرين أيضاً. وزار سحنونُ الشامَ ثم عاد إلى القيروان (١٩١ هـ = ٨٠٧ م) وبدأ نشرَ مذهبِ مالكٍ في المغرب.

وتولَّى سحنون قضاءَ القيروانِ في رَمَضان من سَنَةِ ٢٣٤ (نيسان - أبريل ٨٤٩ م) في أيامِ أبي العباسِ مُحَمَّد بنِ الأُغلب (٢٢٦ - ٢٤٢ هـ).

وكانت وفاةُ سحنونٍ في التاسع من رَمَضان من سَنَةِ ٢٤٠ (٧ / ٣ / ٨٥٥ م)، وقيل في رَجَب.

٢ - كان سحنونُ حافظاً للعلمِ ثِقَةً زاهداً في الدنيا مُتواضعاً سليمَ الصدرِ ولكن سديداً على أهلِ البدعِ. ولسحنونِ أثرٌ كبيرٌ في انتشارِ مذهبِ مالكٍ في المغرب. وكان سحنونُ مُصنِّفاً، له: المدونة في مذهبِ الإمامِ مالكٍ - كتاب الأُجوبة - كتاب آدابِ المعلمين (بروكلمن، الملحق ١ : ٣٠٠).

في وفيات الأعيان (١ : ٥٢٣) أن القائدَ القاضيَ أسدَ بنَ الفُراتِ (توفي في بلرمَ عاصمةِ صِقلية سَنَةِ ٢١٣ هـ) وكان قد رَحَلَ إلى مصرَ وسمع من عبد الرحمن بن القاسم وبدأ تأليفَ كتابٍ في مذهبِ الإمامِ مالك. وكان هذا الكتابُ يُعرفُ بِاسمِ «الأسدية». ثم إنَّ سحنوناً حرَّرَ هذا الكتابَ ونقَّحه وزاد فيه فأصبح عندنا يعرف اليوم باسم «المدونة».

وذكرَ ابنُ خلدونٍ (المقدمة ٨٠٧) أنَّ الناسَ اتَّبَعوا «مدونةَ سحنونٍ، على ما فيها من اختلاطِ المسائلِ في الأبواب، فكانت تُسمَّى المدونة والمُخلطة».

٣ - مختارات من آثاره

- لسحنونِ أقوالٌ حكيمةٌ منها:

أشقى الناسَ من باعَ آخرته بِدُنياه؛ وأشقى منه من باعَ آخرته بِدُنياه غيره

- أجزأ الناس على الفتيا أقلهم علماً؛ يكون عند الرجل بابٌ واحدٌ من العلم فيظنُّ أن الحقَّ كله فيه - من فقه الرجل مطعمه وملبسه ومدخله ومخرجه وصحبته لأهل الخير؛ وليست العبادة بمطاطاة الرأس .

- ٤ - المدونة الكبرى، القاهرة ١٣٢٤ - ١٣٢٥ هـ؛ القاهرة ١٩٠٥ - ١٩٠٦ م .
كتاب آداب المعلمين (تحرير حسن حسني عبد الوهاب)، تونس ١٩٣١ م .
* * * تراجم أغلبية ٨٦ - ١٣٦؛ علماء إفريقية وتونس ١٨٤ - ١٨٧؛ وفيات الأعيان ٣ : ١٨٠ - ١٨٢؛ ابن قنفذ ١٧٤؛ الديباج المذهب ١٦٠؛ بروكلمن ١ : ١٨٦، الملحق ١ : ٢٩٩ - ٣٠٠؛ دائرة المعارف الإسلامية (ط ١) ٤ : ٦٤ - ٦٥؛ مجلة العربي (٨ / ٦٥)، ص (١١١)؛ الأعلام للزركلي ٤ : ١٢٩ (٤ : ٥) .

عبيد الله بن قارلُمان^(١)

١ - هو عبيدُ الله بنُ قَرْلُمَان بنُ بدرٍ، كان مولى للأمير عبد الرحمن بن الحكم ابن هشام (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ) ومن نُدمانه. ولعلَّ وفاته كانت قبل انتصاف القرن الثالث (قبل ٨٤٦ م) .

٢ - عبيدُ الله بنُ قَرْلُمَان من الشعراء المتقدِّمين، وكان مُقلِّداً فيما يبدو، ولم يكن من فحول الشعراء .

٣ - مختارات من شعره

- جَلَسَ الأميرُ عبدُ الرحمن بنُ الحكم يوماً للفَصْدِ^(٢) وفرَّقَ على مَنْ حَضَرَهُ من مواليه ونُدمانه مبالغَ من المال . وكان ابنُ قارلُمان غائباً في بادِيَتِهِ (في ضيعة له قُرْبَ قُرْطُبَة)، فلَمَّا عَلِمَ بذلك أَسْرَعَ إلى قُرْطُبَة رجاء أن ينالَ ما ناله غيره لهذه المناسبة، وأنفَذَ إلى الأمير عبد الرحمن رُقعةً فيها الأبياتُ التالية:

(١) راجع في تخريج الأسم « قارلمان »، تحت: أحمد بن قارلمان (ت ٣٧٧ هـ) .

(٢) الفصد من وسائل الطب القديم: استخراج شيء من الدم من جسم الإنسان (في الربيع) تخفيفاً .

يَا مَلِكًا حَلَّ ذُرَى الْمَجْدِ وَعَمَّ بِالْإِنْعَامِ وَالرِّفْدِ^(١)،
 طَوْبَى لِمَنْ أَسْمَعْتَهُ دَعْوَةً فِي يَوْمِ إِجْاعِكَ لِلْفَضْدِ
 فَظَلَّ ذَاكَ الْيَوْمَ مِنْ قَضْفِهِ مُسْتَوِطِنًا فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ^(٢)،
 وَقَدْ عَدَانِي أَنْ أُرَى حَاضِرًا، جَدُّ مَتَى يُخْظِرُ الْوَرَى يُكْدِ^(٣)،
 فَأَتَتَعِشَ الْعَثْرَةَ مِنْ عَائِرٍ عَدَّتْ عَلَيْهِ أَنْجُمُ الْفُرْدِ^(٤)،
 وَأَمَنْنُ بِإِصْفَادِي عَطَاءً لَمْ يَزَلْ يَشْمَلُ أَهْلَ الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ^(٥)،

فَوَقَّعَ الْأَمِيرُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي أَسْفَلِ رُقْعَةٍ ابْنَ قَرْلُغَانَ: « مِنْ آثَرِ (فَضْلٍ) التَّضَجُّعِ
 فَلْيَرَضْ بِحَظِّهِ مِنَ النَّوْمِ ».

فَعَاوَدَهُ ابْنُ قَرْلُغَانَ بِرُقْعَةٍ أُخْرَى فِيهَا أَيْبَاتٌ مَطْلَعُهَا:

لَا نِصْتُ إِنْ كُنْتُ، يَا مَوْلَايَ، مَخْرُومًا.

فَأَمَرَ لَهُ الْأَمِيرُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِصَلَّةٍ.

٤ - * * أخبار مجموعة ١٣٩ - ١٤١؛ الحلة السرياء ١: ١١٨ - ١١٩.

يحيى بن حكم الغزال

١ - هو يحيى بن حكم البكري الجياني، أصله من جيان، وقد كان مولده في
 نحو سنة ١٥٤ (٧٧١ م)، وقيل في سنة ١٥٦؛ وكانت إقامته في قرطبة.
 كان يحيى بن حكم رجلاً فارحاً الطول قوي البنية جم النشاط جميلاً، ولقد

-
- (١) الرغد: العطاء. عمّ بالرغد: أعطى جميع الناس. في هذه الأبيات روايات مختلفة قليلاً أو كثيراً.
 (٢) القصف: اللهو.
 (٣) عداه: مرّ به، فاته. جدّ: حظّ. يحظي: يحمل (للناس) حظاً. يكدي: يبخل؛ وأكدى فلان فلاناً عن
 الشيء: ردّه عنه (يحظ ويكد مجزومتان باسم الشرط « متى »).
 (٤) أنهنني من عثري (غلطتي). عدت عليه: اعتدت عليه، ظلمته. أنجم الفرد (بضم الفاء) الأنجم التي
 تبدو وحدها متفرقة في أطراف السماء (راجع تاج العروس - الكويت ٨: ٤٨٣، ٤٨٧).
 (٥) الأصفاذ: العطاء.

احتفظ بنشاطه وجماله إلى زمن شيخوخته، فلُقّب من أجل ذلك كله بالفزال.
 من أشهر الأحداث في حياة يحيى بن حكيم أنّ عبد الرحمن الأوسط أرسله
 سفيراً إلى بلاد المجوس في (إحدى جُزُر الدانمارك)، نحو سنة ٢٠٥ (٨٢٠ - ٨٢١ م)
 فأظهر إعجاباً بالملكة «تود». ويبدو أيضاً أنه سَفَرَ إلى بِلَاطِ القُسطنطينية^(١).
 وقيل إنّ زريابَ لما جاء إلى قرطبة، سنة ٢١٧ (٨٣٢ م) نشأت بينه وبين يحيى بن
 حكيم نُفرةٌ فهجاه يحيى وأقذع في هجائه. ففضّيب عبد الرحمن الأوسط ونفَى يحيى
 عن بِلَاطه (وزعموا عن الأندلس) فذهب يحيى إلى العراق بُعيدَ وفاة أبي نواس (ت
 ١٩٩ = ٨١٤ م) وبقيَ هنالك نحو عَشْرِ سَنَوَاتٍ. ولكنَّ زَمَنَ إقامته في العراق وزَمَنَ
 سَفَارَتِهِ إلى بلادِ المجوس يتداخلان تداخلاً شديداً.

وتُوفِّيَ يحيى بن حكيم الفزال في مطلع ٢٥٠ (٨٦٤ م).

٢ - كان يحيى بن حكيم الفزال متعدّد نواحي الشخصية. وكان مُشاركاً في عددٍ
 من العلوم منها الفلسفة والفلك. وكذلك كان لبقاً حسنَ التحديثِ ممّا جعله ناجحاً
 في الحياة السياسية وفي السِّفارة.

وكذلك كان أديباً وشاعراً مطبوعاً صاحبَ بديهة وأبتكارٍ في المعاني، وإن كان
 في أسلوبه يَطْبُعُ على غرارِ المِشَارقةِ مَعَ قَلَّةِ عنايةٍ بالديباجة، إذا كانت الديباجةُ
 تحوّلُ بينه وبين كمالِ التعبيرِ عن المعنى (كما كان شأنُ ابن الرومي). وفنونُ شعره
 المدحُ والهجاء والغزل والمُجُونُ والخمرِيَّاتُ (وإن لم يكن يشربُ الخمر) والحكمةُ مَعَ

(١) صدر في سفارة الفزال هذه كتاب هو

The Poet and the Spae-Wife

An attempt to reconstruct al-Ghazal's embassy to the Vikings,

by W. E. D. Allen.

Dublin (Allen Figgis and Co. Ltd). 1960.

ومؤلفه لا يوافق المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال على رأيه في أن سفارة الفزال كانت إلى
 القسطنطينية، بل يرى أنها كانت إلى جزيرة إيرلندا، (غرب جزيرة انكلترا) حينما كانت إيرلندا
 تحت حكم الفايكنغ الشماليين. وأن هذه السفارة كانت بين الشهر الأول من عام ٨٤٥ للميلاد (شوال
 ٢٤٤) ومنتصف الصيف من ذلك العام (ص ٥٤).

شيء من التشاؤم. وله أيضاً قصصٌ، فقد نظّم أرجوزةً طويلة في فتح الأندلس وفي الوقائع التي دارت بين المسلمين وملوك النصارى. وشاعت هذه الأرجوزة بين الناس. (نفع الطيب ١: ٢٨٢)، ولكنها ضاعت فيما بعد^(١).

٣ - مختارات من شعره

- كان بعضُ أمراء الأندلس قد ولى يحيى الغزال قبضَ الأعشار (نصيب الدولة من المواسم) وخزنها. وبدأ قحطٌ في البلاد فباع يحيى الغزال الحبوب التي في الأهراء بالثمن الرائج فنَفَقَتْ بِسُرْعَةٍ. فغَضِبَ الأمير وطالب يحيى بثمان المثل (بعد ارتفاع الأسعار) فلم يستطع يحيى ذلك لأنَّ الفرق بين الثمن الذي باع به يحيى الحبوب والثمن الذي غلا كان ثلاثين ألفَ (درهم). فأمرَ الأميرُ بسجن يحيى الغزال وتقييده. فنظّم يحيى الغزال في سجنه قصيدةً يسطُر فيها القضية من وجهة نظره هو، فَرَضِيَ الأميرُ وأطلق سراحَ يحيى.

وفي المطرب أن الأميرَ الذي وقعت في أيامه هذه الحادثة هو عبدُ الرحمن ابنُ الحكم (٢٠٦-٢٣٨ هـ). لكنَّ مطلعَ القصيدة يدلُّ على أن شاعرَها كان في الخمسين من العمر (ويحيى الغزال كان في أيام عبد الرحمن بن الحكم في صدر شبابه)، إلا إذا قبلنا أن يكونَ المطلعُ تقليدياً عامّاً وليس تجريداً (خطابَ الشاعر نفسه). وفي ما يلي عددٌ من أبياتِ القصيدة المذكورة:

بعضَ تصاييكَ على زينب. لا خيرَ في الصبوة للأشيب^(٢).
أبعدَ خمسينَ تقضيتهَا وافيةً تصبو إلى الربرب^(٣)!
من مُبلغٍ عني إمامَ الهدى الوارثَ المجدَ أباً عن أب

(١) في جذوة المقتبس (ص ١٨٦) وبغية اللئس (ص ٢٥٨؛ راجع الأعلام للزركلي ٢: ١٧٠) أن حبيب بن أحمد الشطجيري (ت نحو ٤٣٠ هـ)، وهو أديب شاعر من أهل قرطبة جمع ديوان يحيى بن الحكم الغزال ورثبه على الحروف.

(٢) الصبوة: جهلة الشباب. التصاي: تكلف ذلك، التظاهر بالشباب.

(٣) الربرب: الغزال الصغير.

أَنْتِ إِذَا أَطْنَبَ مُدَّاحُهِ قَصَدْتُ فِي الْقَوْلِ فَلَمْ أَطْنَبْ^(١).
 لَا فَكَّ عَنِّي اللَّهُ إِنْ لَمْ تَكُنْ أَذْكَرْنَا مِنْ عُمَرَ الطَّيِّبِ^(٢)؛
 وَأَصْبَحَ الْمَشْرِقُ مِنْ شَوْقِهِ إِلَيْكَ قَدْ حَنَّ إِلَى الْمَغْرِبِ:
 مِنْبَرُهُ يَهْتِفُ مِنْ شَوْقِهِ إِلَيْكَ بِالسَّهْلِ وَبِالْمَرْحَبِ.
 أَطْرَبَهُ الْوَقْتُ الَّذِي قَدْ دَنَا، وَكَانَ مِنْ قَبْلِكَ لَمْ يَطْرَبِ.
 هَذَا بِهِ الْوَجْدُ، فَلَوْ مِنْبَرٌ طَارَ لَوَافِي خَطْفَةِ الْكُوكَبِ^(٣).
 إِلَى جَمِيلِ الْوَجْهِ ذِي هَيْبَةٍ لَيْسَتْ لِحَامِي الْغَابَةِ الْمُغْضَبِ^(٤).
 لَا يُمَكِّنُ النَّاطِرَ مِنْ رُؤْيَا إِلَّا التَّحَاخُفَ الْخَائِفِ الْمُذْنَبِ^(٥).
 إِنْ تُرِدِ الْمَالَ فَإِنِّي أَمْرُو لَمْ أَجْمَعْ الْمَالَ وَلَمْ أَكْسِبِ^(٦).
 إِذَا أَخَذْتَ الْحَقَّ مِنِّي فَلَا تَلْتَمِسِ الرِّيحَ وَلَا تَرْغَبِ^(٧).
 قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْنَا مَعَا إِنْ كَانَ رَأْسُ الْمَالِ لَمْ يَذْهَبِ^(٨)!

- لَمَّا كَانَ بِحِمْيَ بْنِ حَكَمٍ الْغَزَالُ فِي بِلَادِ الْجَوْسِ لَفَتَ نَظَرَ الْمَلِكَةِ «تُودَ» فَسَأَلَتْهُ يَوْمًا: كَمْ عُمْرُكَ؟ فَقَالَ لَهَا: عَشْرُونَ عَامًا! فَقَالَتْ لَهُ: وَلَكِنْ فِي رَأْسِكَ شَعْرًا أَبْيَضًا! فَأَنشَدَ مُرْتَجِلًا:

- (١) أطنب: بالغ، زاد على الحد المطلوب. قصد: اعتدل (جاء بالقصد: بالقدر المطلوب المعقول الكافي).
- (٢) لا فكَّ الله قيدي ولا أخرجني من السجن إن لم يكن فيك شيء من صفات عمر بن الخطاب.
- (٣) وافي: جاء إلى جوارك. خطفة (لمعة) الكوكب: بسرعة.
- (٤) حامي الغابة: الأسد. المغضب: الغضبان (في الحق).
- (٥) لا يستطيع أحد أن يطيل النظر إليه لهيبته.
- (٦) إذا كنت تريد مالاً فلا تطلبه مني، لأنني رجل لم أجمع في حياتي مالاً ولم أستطع أن أكسب من المال ما يبقى منه شيء للخزن.
- (٧) أنا أعطيتك جميع الثمن الذي بعته به الحبوب فلا تحاول أن تحصل مني على ربح (لأنني لا أملك مالاً).
- (٨) من حسن حظي وحظك أنني دفعت إليك ثمن الحبوب (كان بحمي الغزال معروفاً بالانهك في الشهوات وبالإسراف وكان من الممكن أن يتصرف بالثمن الأصلي فيضيع المال كله).

كُلِّفْتَ، يا قلبي، هوى مُتَعَبٍ غَالِبَتْ مِنْهُ الضَّيْفَمُ الْأَغْلَبَا (١).
 إِنِّي تَعَلَّقْتُ بِمَجُوسِيَّةٍ تَأَبَّى لَشَمْسِ الْحَسَنِ أَنْ تَغْرُبَا (٢).
 أَقْصَى بِلَادِ اللَّهِ فِي حَيْثُ لَا يُلْفِي إِلَيْهِ ذَاهِبٌ مَذْهَبَا.
 يَا تَوْدَ، يَا رُودَ الشَّبَابِ الَّتِي تَطْلُعُ مِنْ أَزْرَارِهَا الْكُوكِبَا (٣).
 يَا بَأَيِّ الشَّخْصِ الَّذِي لَا أَرَى أَحْلَى عَلَى قَلْبِي وَلَا أَعْذَبَا.
 إِنْ قُلْتُ يَوْمًا إِنْ عَيْنِي رَأَتْ مُشَبَّهَهُ لَمْ أَعُدْ أَنْ أَكْذَبَا (٤).
 قَالَتْ: «أَرَى فُؤْدِيهِ قَدْ نَوَّرَا»، دُعَابَةً تَوْجِبُ أَنْ أَدْعَبَا (٥).
 قُلْتُ لَهَا: «مَا بِالْه؟ إِنَّهُ قَدْ يُنْتَجِ الْمَهْرُ كَذَا أَشْهَبَا» (٦).
 فَاسْتَضَحَكْتَ عُجْبًا بِقَوْلِي لَهَا؛ وَإِنَّمَا قُلْتُ لَكِي تَعْجَبَا!
 - وَقَالَ فِي النِّسَاءِ:

قَالَتْ: «أَحِبُّكَ!» قُلْتُ: «كَاذِبَةٌ؛ غُرِّي بِذَا مِنْ لَيْسَ يَنْتَقِدُ.
 هَذَا كَلَامٌ لَسْتُ أَقْبَلُهُ؛ الشَّيْخُ لَيْسَ يُجِبُّهُ أَحَدُ».
 - وَقَالَ فِي الْخَمْرِ (وَتَجِدُ عَلَى قَوْلِهِ شَيْئًا مِنْ مَنْحَى أَبِي نَوَاسٍ):

وَلَمَّا رَأَيْتُ الشَّرْبَ أَكَدْتُ بِمَاؤُهُمْ تَأَبَّطْتُ زَقِّي وَأَحْتَسِبْتُ عَنَائِي (٧).
 فَلَمَّا أَتَيْتُ الْحَانَ نَادَيْتُ رَبَّهُ فَثَابَ خَفِيفَ الرُّوحِ نَحْوَ نَدَائِي (٨).

(١) الضيفم: الأسد.

(٢) تعلقت (أحببت) مجوسية (امرأة على دين المجوس - يقصد تود الدغاركية. ومع أن سكان الدغارك في ذلك الحين كانوا نصارى، فإن قسماً من سكان شمالي أوروبا كانوا لا يزالون في ذلك الحين على الوثنية. وكان العرب يسمونهم كلهم «مجوساً»).

(٣) الرود: الرأد، الرؤد (المرأة الشابة، اللينة). الأزرار: مدخل العنق من الثوب.

(٤) لم أعد: لم أتجاوز. لم أعد أن أكذب: ما عدوت (تجاوزت) الكذب (في قولي): كذبت.

(٥) الفود: الشعر عند الأذن. نور (الزهر) تفتح، كان أبيض.

(٦) نتج (بالبناء للمجهول) المهر (الحصان الصغير): ولد، ولدته أمه.

(٧) أكدت بماؤهم: قل مطرها (افتقروا، احتاجوا). الزق: وعاء للخمر. العناء: التعب.

احتسبت عنائي: جعلت تعمي احتساباً (في سبيل الله) - هنا: في سبيل إخواني.

(٨) الحانة محل بيع الخمر، جمعها حان. والشاعر يستعمل «الحان» هنا مكان الحانة. ثاب: أقبل.

قليل هجوع العين إلا تَمَلَّةٌ على وجل مني ومن نظرائي^(١)
 فقلت: «أذقنيها»، فلماً أذاقها طرحته إليه رَيطِي وردائي^(٢)
 وقلت: أعزني بذلة أستتر بها بذلت له فيها طلاق نسائي^(٣)
 فوالله ما برت يميني ولا وفّت له، غير أنني ضامن بوفائي^(٤)
 فأبّت إلى صحي ولم أكُ آيباً فكلّ يفتديني وحقّ فدائي^(٥)
 تداركت في شرب النبيذ خطائي وفارقت فيه شيمتي وحياتي^(٦)

- وقال يحيى بن الحكم الغزالي يصف أهوال بحر الشمال، ويخاطب رفيقاً له اسمه يحيى (أو هو يخاطب نفسه!):

قال لي يحيى، وصِرْ نا بين موج كالجبال،
 وتولّتنا رياحٌ من دبور وشمال^(٧)
 شقّت القلعين وأذ بَتّت عرى تلك الجبال^(٨)

- (١) التَمَلَّة = ما يتعلّل به الإنسان عن شيء يحتاج إليه: يغمّض عينيه ولكن لا ينام حتّى يتوهم فقط أنّه نائم فيدخل على نفسه شيئاً من الراحة. وجل: خوف. نظراء: أنداد، أمثال، أشباه، (كان يبيع الخمر ممنوعاً، ولذلك كان الخمارون يخافون من الذين يأتون إليهم لشراء الخمر لئلا يكونوا من رجال الشرطة. فكان إذا طرق أحد باب الحانة - وكانت الحانات سرّية - تتأوم صاحب الحانة حتّى يقوم القادم بمحركات ويقول أقوالاً تدلّ قطعاً على أنّه زبون وليس رجل شرطة).
- (٢) فلماً ذقت خمره وأعجبتني أعطيته ريطي (ثوبي الحرير) وردائي (ثوبي السايغ: الذي ألبسه فوق ثيابي الأخرى) ليعطيني بقيمتها خيراً.
- (٣) طلبت منه ثوباً رخيصاً أستتر به وحلفت له بالطلاق أنّي سأرده إليه.
- (٤) إلى الآن لم أردّ إليه ذلك الثوب، ولكنني عازم على رده. ما برت يميني: ما وفيت بيمينتي (بقسمي، بجلفي بالطلاق).
- (٥) فأبت: فرجعت (إلى أصحابي بخمر). ولم أكُ آيباً = ما كنت أظنّ أنني أستطيع أن أرجع إلى أصحابي بشيء من الخمر. يفتديني: يقول لي: فداك نفسي (بمدحني). وحقّ فدائي: كنت مستحقاً ذلك.
- (٦) أدركت: فعلت الأمر دراكاً (مرّات متوالية). فارقت: خالفت (فعلت غير ما تحبّز الأخلاق).
- (٧) الدبور: الريح الغربية (والمقصود هنا أنّها شديدة). الشمال (بفتح الشين): الريح الشمالية (المقصود: باردة وشديدة).
- (٨) القلع (بكسر القاف): شراع (بكسر الشين) السفينة. انبتت: تقطعت. العرى (جمع عروة بضمّ العين): (هنا) المكان الذي تربط به أشرعة السفينة بالسارية أو بجوانب المركب.

وتَطَّيْ مَلِكُ الْمَوْتِ إلَيْنَا عَنْ حِيَالٍ^(١).
 فرَأَيْنَا الْمَوْتَ رَأْيَ الْهَيْبَةِ حَالاً بَعْدَ حَالٍ:
 «لَمْ يَكُنْ لِلْقَوْمِ فِينَا، يَا رَفِيقِي، رَأْسُ مَالٍ^(٢)».
 - وقال في تَأْمَلِ النَّاسِ وَالنَّظَرَ إِلَى حَقِيقَتِهِمْ:

ومن أَنْعَامِ خَالِقِنَا عَلَيْنَا بَأْنَ ذُنُوبِنَا لَيْسَتْ تَفْجُحُ.
 فلو فَاحَتْ لِأَصْبَحْنَا هُرُوباً فُرَادَى بِالْفَلَا مَا نَسْتَرِيحُ^(٣)،
 وضَاقَ بِكُلِّ مُنْتَحِلٍ صِلَاحاً - لَنَتْنِ ذُنُوبِهِ - الْبَلَدُ الْفَسِيحُ^(٤).
 ٤- يحيى بن الحكم الغزال، تأليف محمد صالح البنداق (ت أوائل ١٩٨٠ م)، بيروت (دار
 الآفاق الجديدة) ١٩٧٩ م.

★★ المقتبس ١١-١٣، ٦٤-٦٦، ٦٩-٧٠، ١٣٤، ١٨١-١٨٢، ١٨٥-١٨٦، ١٩٤؛
 جذوة المقتبس ٣٥١-٣٥٣ (الدار المصرية) ٣٧٤-٣٧٥ (رقم ٨٨٧ أو ٨٨٨)؛ بغية
 الملتبس ٤٨٥-٤٨٦؛ (رقم ١٤٦٧)؛ المغرب ١: ٣٢٤-٣٢٥؛ البيان المغرب ٢: ٩٣؛
 نفح الطيب ٢: ٢٥٤-٢٦٢؛ نيكل ٢٤-٢٧، مختارات نيكل ٢٥-٢٦؛ بروكلمن،
 الملحق ١: ١٤٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٢: ١٠٣٨؛ الاعلام للزركلي ٩: ١٧٣ (٨):
 (١٤٣).

ابن قطن المهري القيرواني

هو أبو الوليد عبد الملك بن قطن المهري القيرواني^(٥) لَقِيَ جَاعَةً مِنْ عُلَاءِ اللِّغَةِ
 وَالنَّحْوِ مِنْهُمْ أَبُو مَالِكٍ أَمَانُ بْنُ الصَّمْصَامَةِ بْنِ الطَّرِمَاحِ الْأَعْرَابِيِّ وَأَبُو الْمُنَيْعِ
 الْأَعْرَابِيُّ ثُمَّ أَصْبَحَ شَيْخَ أَهْلِ اللِّغَةِ وَالْعَرَبِيَّةِ (النحو) فِي بَلَدِهِ وَزَمَانِهِ. لَهُ مِنَ الْكُتُبِ:

- (١) تَطَّى: مَشَى وَهُوَ يَتَبَخَّرُ وَيَجْرُكُ يَدَيْهِ (لِيلَفَت - بَفَتَحَ الْبَاءَ وَكَسَرَ الْفَاءَ - انْتَبَاهُنَا: لِيُخَفِّنَا). مَلِكُ الْمَوْتِ: عِزْرَائِيلُ. حِيَالٌ: جَانَتْ.
- (٢) الْقَوْمُ (هنا): أَصْحَابُ السَّفِينَةِ - لَمْ نَكُنْ أَنَا وَأَنْتَ عِنْدَ أَصْحَابِ السَّفِينَةِ «رَأْسُ مَالٍ» (شَيْئاً ثَمِيناً) بِحَافِظُونَ عَلَيْهِ.
- (٣) هُرُوباً فُرَادَى: هَارِبِينَ مُتَفَرِّقِينَ (يَهْرَبُ بَعْضُنَا مِنْ بَعْضٍ).
- (٤) مُنْتَحِلٌ صِلَاحاً: ذَلِكَ الَّذِي يَدَّعِي أَنَّهُ صَالِحٌ وَيَتَظَاهَرُ بِذَلِكَ.
- (٥) هُوَ غَيْرُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ قَطْنِ الْفَهْرِيِّ (ت ١٢٣) الَّذِي كَانَ وَالِيّاً عَلَى الْأَنْدَلُسِ.

تفسير مغازي الواقدي - الألفاظ - اشتقاق الأسماء (زاد فيه على ما كان قد جاء به قُطْرُب) (١). وكذلك كان خطيباً بليغاً وشاعراً عادياً وكاتباً متمندراً: كَتَبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ يوماً كتاباً وأطال فيه على غير فائدة فردّ عليه عبدُ الملكِ المَهْرِيُّ يقول: «خيرٌ من الإطالة السكوتُ، وفي القصْدِ إلى الحاجة قطعٌ لمسافة الإطالة».

وعُمَرَ عبدُ الملكِ بنُ قُطْرٍ المَهْرِيُّ طويلاً، وكانت وفاته لِعَشْرِ خَلَوْنَ من رَمَضانَ من سَنَةِ ٢٥٦ (١١/٨/٨٧٠ م).

★ الزبيدي ٢٤٩-٢٥٣؛ إنباه الرواة ٢: ٢٠٨-١١٢؛ الوافي بالوفيات ٦: ٩٤؛ بغية الوعاة ٣١٤؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ٧٦؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣٠٩ (١٦٢)؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ٦٠.

مؤمن بن سعيد

١- هو مؤمن بن سعيد بن إبراهيم بن قيس، كان جدّه إبراهيم مولى للأمير عبد الرحمن الداخل. رَحَلَ مؤمن بن سعيد إلى المَشْرِقَ فَلَقِيَ أبا تَمَّامٍ (ت ٢٣٢) وروى عنه شعره. فلَمَّا عاد إلى الأندلس جعل الناسُ يقرأون عليه شعرَ أبي تَمَّامٍ.

وكان مؤمن بن سعيد مُؤدِّباً لأولادِ أمراءِ قُرْطُبَةٍ. وكذلك اتَّصل بهاشم بن عبد العزيز وبغيره من رجال الدولة. ولكنَّ فَلَاتٍ لسانه أوقعتِ الوَحْشَةَ بينه وبين هؤلاء.

في سَنَةِ ٢٦٢ خرج القائدُ هاشمُ بن عبد العزيز لقتالِ الثائر عبدِ الرحمن بن مروانِ الجَلِيقِيِّ (وكان من الذين يَتَظاهرون في الأندلس بالإسلام) على غيرِ أَهْبَةِ صحيحةٍ ثمَّ أوغل في اللِّحاقِ بابنِ مروانَ فقتلَ عددٌ كبيرٌ من رجاله ووقع هو أسيراً في يدِ ابنِ مروانِ الجَلِيقِيِّ. فَسَمِتَ به مؤمن بن سعيدٍ وهجاه (من غيرِ ضَرُورةٍ تُوجِبُ ذلك سوى فُحْشِ لسانه). فلَمَّا خرج هاشمُ من الأسْرِ، بعدَ عامين، أوغَرَ صدرَ الأميرِ مُحَمَّدٍ على مؤمن بن سعيدٍ فغضب الأميرُ مُحَمَّدٌ على مؤمن بن سعيدٍ وحَبَسَهُ.

(١) راجع الجزء الثاني.

وظلَّ مؤمنٌ بن سعيدٍ في السجنِ حتَّى تُوفِّيَ في الرابعِ من رَجَبِ ٢٦٧
(٨٨١/٢/٩ م).

٢ - كان مؤمنٌ بن سعيدٍ شاعراً مشهوراً مُكثِّراً مُحسِّناً مطبوعاً، وكان فحلَّ شعراءِ قرطبةَ في زمانه. ولكنَّ شعره ضاع ولم يبقَ منه سوى تُتفٍ أكثرها في الهجاء. وكان مؤمن بن سعيد يُهاجي ثمانيةَ عشرَ شاعراً فيَعْلُوهم. من هؤلاء عبَّاسُ بنُ فِرْناسٍ وديكُ تيسرِ الجِنِّ (أحمدُ بن محمد الكتَّاني) والعُتبي. ولقد كان كثيرَ التهكُّمِ بالناسِ شديدَ الهجومِ على أغراضهم لا يهابُ سُوقةَ ولا وزيراً حتَّى سمَّاه الحِجاريَّ دُغبلَ الأندلس؛ لِسِدَّةِ هِجائه (راجع نفح ٣: ٥٣٨).

٣ - المختار من شعره

- قال مؤمنٌ بن سعيدٍ في الشكوى والنسيب:

حُرْمَتُكَ ما عدا نظراً مُضِيراً بقلبي بين أضلاعي مُقيم:
فَعَيْنِي منك في جَنَّتِ عَدْنٍ مُخَلَّدةٌ وقلبي في الجَحيمِ !

- وقال شامِتاً بهاشم بن عبد العزيز، عندَ أسرِهِ، يُخاطبُ أبا حَفْصٍ (ابن عمِّ هاشمٍ وعدوَّهُ):

تَصَبَّحَ، أبا حَفْصٍ، على أَسْرِ هاشمٍ ثلاثُ زُجاجاتٍ وخمسَ رَواطِمِ^(١)،
وُبُحٌّ بالذي قد كنتَ تُحْفِيهِ خَفِيَّةً، فقد قطعَ الرحمنُ دولةَ هاشمِ.

- ولمَّا صنعَ عبَّاسُ بن فِرْناسٍ لِنَفْسِهِ جَنَاحينَ وطارَ بها قالَ فيه مؤمن بن سعيد:

يَطُمُّ على العَنَقاءِ في طَيَرانِها إذا ما كسا جِثَّانَهُ ريشَ قَشَمِ^(٢).

(١) تصبَّح: اشرب الخمر صباحاً. ثلاث زجاجات (من خمر). خمس رواطم (لا تفهم في هذا البيت إلا إذا كانت كناية عن النكاح): مع خمس رواطم (؟ الرطوم: المرأة الضيقة....).

(٢) طم الطائر الشجرة: علاها (يطم على العنقاء في طيرانها: يزيد عليها في الطيران). القشم: النسر المسن (التام العمر القوي). العنقاء: طائر خرافي كبير قوي.

- وقال يشكو من أهل بلده. (تروى لمحمد بن بشير المعافري - ت ١٩٨ هـ - فوق، ص ٨٥):

إنما أزرى بقذري أنني لست من بابة هذا البلد^(١).
ليس منهم غير ذي مقلية لذوي الأبواب أو ذي حسد^(٢).
يتحامون لقائي مثلاً يتحامون لقضاء الأسد.
طلعت أثقل في أعينهم وعلى أنفسهم من أحد^(٣).
لو رأوني قمر بحر لم يكن أحد يأخذ منهم يدي^(٤).

٤ - * * المقتبس ١٢٢ وما بعد، ١٦٦ وما بعد؛ جذوة المقتبس ٣٣٠ (الدار المصرية)
٣٥١ (رقم ٨٢٦)؛ بغية الملتبس ٤٥٦ - ٤٥٧ (رقم ١٣٧٦)؛ الوافي بالوفيات
٩٩؛ بغية الوعاة ١٨٥؛ بروكلمن، الملحق ١: ٧٣٧؛ الأعلام للزركلي ٨:
٢٩١ (٧: ٣٣٤).

العتي الشاعر^(٥)

١ - هو محمد بن عبد العزيز العتي من شعراء دولة الأمير محمد (٢٣٨ - ٣٧٣ هـ) كان منقطعاً إلى الأمير القاسم بن محمد. فلما تولى الأمير عبد الله بن محمد الحكم (٢٧٥ - ٣٠٠ هـ) اتهم أخاه قاسماً بأنه يعمل على خلعه فأمر بسجنه. ومات الأمير القاسم في سجنه مسموماً. ولعل وفاة العتي الشاعر كانت نحو ٢٧٠ (٨٨٣ م).

(١) أزرى به الشيء: نقص من قدره، عابه. البابة: النوع، المستوى.

(٢) مقلية: بغض، كره.

(٣) أحد: جيل (قرب المدينة).

(٤) قمر بحر: في قمر بحر.

(٥) محمد بن عبد العزيز العتي الشاعر غير محمد بن أحمد بن عبد العزيز العتي (ت ٢٥٤ أو ٢٥٥) الفقيه (نفع الطيب ٢: ٥١، ٢١٥ - ٢١٦، ٦٢٧؛ شذرات الذهب ٢: ١٢٩؛ بروكلمن ١: ١٨٦، الملحق ٣٠٠ - ٣٠١؛ الأعلام للزركلي ٦: ١٩٧. وفي الوافي بالوفيات (٢: ٣٠): محمد بن أحمد بن عبد العزيز العتي المتوفى في عشر السنين بعد المائتين. وهنالك نفر آخرون أسماؤهم محمد بن أحمد بن عبد العزيز العتي (الذيل والتكملة ٤: ٦٨٣ - ٦٨٥) كلهم محدثون.

٢ - كان العُتبيُّ الشاعرُ من نُبهاء الشعراء مُنقطعاً إلى الأميرِ القاسمِ كما كان الشاعرُ مؤمنٌ بنُ سعيدٍ (ت ٢٦٧؛ راجع، ص ١٢٢) منقطعاً إلى أخيه الأميرِ مُسلمة. وكان بين الشاعرين مُهاجاةٌ. وللعُتبي، نثرٌ وشعر. ومن فنون شعره فخرٌ ومديحٌ وهجاءٌ ومجونٌ ووصفٌ وخر. ثم إنَّ ألفاظه جَزَلَةٌ وتراكيبه متينةٌ ونَفْسُهُ مَشْرِقيٌّ. وفي شعره شيءٌ من الصنّاعة.

٣ - مختارات من شعره

- قال مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْعُتْبِيُّ يمدح الأميرَ قاسمَ بْنَ مُحَمَّدٍ (١):

.... في جَنَّةٍ بِإِزاءِ النجمِ ساميةٍ أهدتُ لها طيِّبها جَنَّتُ رِضْوَانِ (٢).
وأوجِهَ كنجومَ الليلِ زاهرةٍ حُفَّتْ بيدرِ دُجَى من آلِ مَروانِ (٣).
أعلى قريشٍ محلًّا في أرومتِها، وجُودُهُ لِمَرْجِي جودِهِ دانِ (٤).
غَمَرُ النّوالِ له كَفَّانٍ قد حَوَّتا مِنَ المكارمِ ما لم تَحْوَ كَفَّانِ (٥).
أَغَرُّ أَشْبَهَ آبَاءَ له سَلَفُوا: جُوداً بِجودِ وإحساناً بإحسانِ (٦).
فَأَشْرَبَ على جِدَّةِ الدُّنيا وزَهْرَتِها وجُودَةَ العيشِ ما كَرَّ الجديدانِ (٧).

- وقال يمدح الأميرَ مُحَمَّداً (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ)، وذلك سنة ٢٦٤ هـ:

سائِلٌ بِماردةٍ سيوفُ مُحَمَّدٍ خَلَّينَ ماردةَ كأنَّ لم تَمُردِ (٨).

(١) قاسم بن محمد أخو الأمير عبد الله (٢٧٥٠ - ٣٠٠ هـ) اتهمه أخوه بأنه يكيد له فسجنه. ومات القاسم في السجن مسموماً.

(٢) رضوان: خازن الجنة.

(٣) حُفَّتْ: أحيطت. دجى (ظلام الليل).

(٤) الأرومة: الأصل. دان: قريب.

(٥) غمر: (الماء) الكثير. النوال: العطاء.

(٦) أغر: أبيض (كناية عن شرف الأصل).

(٧) الجديدان: الليل والنهار.

(٨) مرد، يمد (يفتح الرء وضماً): طغى وجاوز حدّه. يجانس الشاعر بين ماردة وتمرد.

غَمَطَتْ مَسَالَةَ الْأَمِيرِ وَهَيَّجَتْ حَرْباً أَبَاحَتْهَا لِكُلِّ مُهَنْدٍ (١).
يَتْرُكْنَ أَبْنَاءَ النِّفَاقِ كَأَنَّهُمْ بِالْقَاعِ صَرَغَى قَهْوَةً أَوْ مُرْقِدٍ (٢).
وَكَأَنَّ عَاكِفَةَ النُّسُورِ عَلَيْهِمْ أَبْنَاءَ حَامٍ يَعْكِفُونَ بِمَسْجِدٍ (٣).
قَضَتِ الصَّوَارِمُ بِالْحُتُوفِ عَلَيْهِمْ؛ وَإِذَا قَضَى بَقْضِيَّةً لَمْ يُرَدِّدْ (٤).
كَمْ خَائِنٍ مِنْهُمْ تَمْنَى - إِذْ رَأَى بِيضَ الصَّوَارِمِ - أَنَّهُ لَمْ يُوَلِّدْ!

٤ - * * * المقتبس ١٥٧-١٥٨، ٢٠١-٢١١، ٣٢٣-٣٢٤، ٣٣٦، ٣٥٩-٣٦٠؛
المغرب ١: ١٣٤؛ الحلة السيرة ١: ١٢٨، ١٤٧؛ البيان المغرب ٢: ١١٢،
١١٣

وليد بن غانم

١ - هو وليدُ بن عبد الرحمن بن عبد الحميد بن غانم، كان جدُّه عبد الحميد من
موالي عبد الرحمن الداخل ومن قُواده. وأمَّا أبوه عبد الرحمن فقد تولَّى الوزارة
والحِجَابَةَ لِلْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ (١٨٠ - ٢٠٦ هـ) ثمَّ لآبَنِهِ وَخَلِيفَتِهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطِ
(٢٠٦ - ٢٣٨ هـ). وكانت وفاة عبد الرحمن بن عبد الحميد في الحبس سنة ٢١٠
هـ (٥).

ويبدو أنَّ أسرة وليد بن غانم كانت قد انتقلت إلى كورة المُوسَّطَةِ (٦). وكان
قومه من أجناد الدولة.

-
- (١) غمط النعمة: كفرها ولم يشكرها. الأمير محمد منح أهل ماردة سلباً (عفواً وحس معاملته) فلم يقابلوا ذلك بالطاعة.
(٢) القاع: الأرض المنخفضة. قهوة: خر. المرقد: المهدر.
(٣) النُسُور السود (كأنهم من أبناء حام) تطيل المكث على جثثهم.
(٤) الحُتُف: الهلاك. وإذا قضى (الأمير محمد!).
(٥) راجع تعليقا لمحمود علي مكِّي (المقتبس ٤٥٠). فعلى هذا يجب أن يكون وليد بن غانم قد بلغ نحو سبعين سنة من العمر.
(٦) المقتبس ١٤١. المُوسَّطَةُ: كورة قريبة من كورة رية (المقتبس ٣٩٣). وه كورة رية التي منها مالقة «نفع الطيب ١: ٢٦٣» في جنوب الأندلس.

لا نَعْرِفُ شَيْئاً من أخبار وليد بن غانم قبل أن يتولَّى مَنْصِبَ صاحبِ المدينة للأَميرِ مُحَمَّدٍ (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ). ثم رُفِعَ إلى مَنْصِبِ الوزارة. وفي سَنَةِ ٢٦٣ هـ خرج تحت إمرة الأمير مُنذِرٍ^(١) لقتال عبد الرحمن بن مروان الجَلِيقِيّ^(٢). أمّا وفاته فكانت في شَعْبَانَ من سَنَةِ ٢٧٢ (مطلع عام ٨٨٦ م)^(٣).

٢ - كان وليدُ بنُ غانم « من المحكوم لهم بالتَّبَرُّيز في العقل والفضل وجودة الرأي وحسن السيرة وسداد المذهب » وفيّاً لأصدقائه. وكان أديباً مُرْسِلاً وبليغاً، وقيل إنَّ له شعراً. ونثره يتكشف عن متانة وفهم للغة مع إحاطة بعدد من وجوه المعرفة.

٣ - مختارات من آثاره

- خرج الوزيرُ هاشمُ بنُ عبد العزيز في حلةٍ على الثائر عبد الرحمن بن مروان الجَلِيقِيّ فهزّمه عبدُ الرحمن وأسرَه. ووصلَ الخبرُ إلى الأميرِ مُحَمَّدٍ فلام هاشماً ورماه بالعُجْز والطَّيش. وكان الوليدُ بنُ غانم في المجلس فدافع عن هاشم، وكان صديقاً له، فقال (المقتبس - مكّي - ص ١٧٨):

أصلح الله الأمير. إنّه لم يكن على هاشم التَّخْيِيرُ في الأمر ولا الخروجُ على القدر^(٤)، بل استفرغ نَصْحَهُ وأعملَ جُهدَه وحامى أَسْطَاعَتَه، فأسلمه الله بِخِذْلَانٍ مِنْ مَعَه ونُكُولٍ مِنْ أَطَافٍ بِهِ^(٥). فجوزي عن نفسه وولطانه خيراً! أصلح الله الأمير. إنّها كان هاشمُ عبدك ونَشْءُ صَنِيعَتِكَ وسيفاً من سيوفك وسَهْماً من سهامك،

(١) قبل أن يتولَّى الحكم.

(٢) عبد الرحمن بن مروان الجَلِيقِيّ من أهل ماردة (شمال غربي قرطبة بنحو مائة وستين كيلومتراً) ثار سنة ٢٥٤ هـ. وطالت فتنة ابن مروان الجَلِيقِيّ ووصل يده بألفونس الثالث ملك قشتالة. وظلَّ ابن مروان الجَلِيقِيّ ثائراً إلى أيام عبد الرحمن الناصر.

(٣) في المقتبس أن وفاته كانت ٢٩٢، ويبدو أنّه خطأ.

(٤) ما كان يستطيع أن يبدل القضاء والقدر.

(٥) الخذلان ترك نصرة الذي ينتظر منك النصرة. النكول: الرجوع عمّا يعد به الإنسان.

نَفَذَ أَمْرُكَ فِيهِ وَاسْتَقْدِمَ لِلدِّفَاعِ عَنْ سُلْطَانِكَ حَتَّى قُلَّ^(١) فِي مَرْضَاتِكَ. فَالْأَوَّلَى بِكَرَمِ الْأَمِيرِ وَشَرَفِ خَلِيقَتِهِ أَنْ يُحْسِنَ خِلَافَةَ هَاشِمٍ فِي عَقِبِهِ وَيَحْفَظَهُ فِي سَاقَتِهِ^(٢) وَيُهَوِّنَ عَلَيْهِ بَلَاءَهُ بِإِمْضَاءِ وَلَدِهِ عَلَى خِدْمَتِهِ وَخِلَافَتِهِ بِحَضْرَتِهِ^(٣) حَتَّى يَمُنَّ اللَّهُ تَعَالَى بِئِمْنِ الْأَمِيرِ فَيُطْلَقَ سَرَّاحَهُ وَيُقِيلَ عَثْرَتَهُ^(٤).

- وَبَلَغَ إِلَى هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَا قَالَهُ وَلِيدُ بْنُ غَانِمٍ فَكَتَبَ إِلَيْهِ فِشْكْرَهُ عَلَى وَفَائِهِ وَكَرَمِ أَخْلَاقِهِ. فَرَدَّ عَلَيْهِ وَلِيدٌ بِرِسَالَةٍ فِيهَا:

أَسْأَلُ اللَّهَ رَاغِباً إِلَيْهِ فَكَ أَسْرَكَ وَتَعَجَّلَ تَخْلِيصَكَ وَتَيْسِيرَ إِطْلَاقِكَ. وَرَدَّ كِتَابُكَ، يَا سَيِّدِي، فَسَكَنَ مِنْ حُرْقِي بِكَ وَأَطْفَأَ مِنْ غُلَّتِي^(٥) فِيكَ وَهَدَأَ مِنْ عَوِيلِي عَلَيْكَ. فَيَا لَهْفِي عَلَى فِرَاقِ غُرَّتِكَ وَفُقْدَانِ رُؤْيَتِكَ لَهْفًا مَا إِنْ يَنْقَطِعُ وَلَا يَنْصَرِمُ^(٦). وَلَئِنْ صِرْتَ - خَلَّصَكَ اللَّهُ - مِنْ حُكْمِ اللَّهِ إِلَى مَشِيئَتِهِ، وَمِنْ نَافِذِ أَمْرِهِ إِلَى سَابِقِ عِلْمِهِ^(٧)، لَمَا قَصَّرْتَ فِي الْمُحَامَاةِ عَنْ سُلْطَانِكَ وَدِينِكَ وَالتَّعَرُّضِ لِلشَّهَادَةِ بِمُجْهَدِكَ^(٨) فَمَا إِنْ تَجِدُ لِلْأَحْيَاكَ وَلَائِمِكَ خَلَّالًا فِي عِرْضِكَ وَحَزْمِكَ^(٩) وَلَا إِضَاعَةً فِي تَذْيِيرِكَ وَضَبْطِكَ.

٤ - ★ ★ المقتبس ١٤١ ، ١٧٣ - ١٧٥ ، ١٧٧ - ١٧٩ ، ٢٧١ ، ٣٨٨ - ٣٩٢ ،
٤٤٩ - ٤٥٠ : الحلة السراء ١ : ١٤١ ، ٢ : ٣٧٤ ؛ نفح الطيب ٣ :
٣٧٢ - ٣٧٣ ؛ الأعلام للزركلي ٩ : ١٤٠ (٨ : ١٢٠).

(١) كسر (شبهه بالسيف الذي إذا قلَّ لم يقطع).

(٢) أن يحسن خلافته (الاهتمام برعاية أهله) في عقبه (نسله، أهل بيته).

(٣) يدخل ابنه (ابن هاشم بن عبد العزيز) في خدمة الدولة اعترافاً بفضل هاشم.

(٤) يفتديه من الأسر.

(٥) الغلة: العطش (حرقه الحزن).

(٦) «إن» هنا وفيما يلي زائدة بعد «ما» النافية.

(٧) ... لو رجعت إلى ما كنت فيه (من الحرية)....

(٨) التعرض: للشهادة (للموت في الجهاد).

(٩) الاحي: اللائم. لا وجد أحد فيك نقصا.

عثمان بن المثنى

١ - هو أبو عبد الملك عثمان بن المثنى القيسي القرطبي، وُلِدَ نحو سَنَةِ ١٨٠ (٧٩٦ م) - وقيل عاش تسعاً وتسعين سَنَةً (فيكون مولده حينئذٍ سَنَةَ ١٧٤) - . رَحَلَ إلى المشرق فَلَقِيَ جَاعَةً من علماء اللغة والنحو منهم ابن الأعرابي (ت ٢٣١). وقد لَقِيَ أبا تَمَّامٍ وقرأ عليه ديوانه، وكان أولَ مَنْ أَدخَلَ ديوانَ أبي تَمَّامٍ إلى الأندلس.

وكانت وفاة عثمان بن المثنى بعد شهر صفر من سنة ٢٧٣ (٨٨٦ م).

٢ - كان عثمان بن المثنى شجاعاً مُكثِراً للغزو في الثغور (شالي الأندلس عند الحدود المصابقة للإمارات المسيحية). وكذلك كان مُؤدِّباً لأولاد الأمير عبد الرحمن ابن الحكم (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ) ولأولاد ابنه الأمير محمد (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ). وهو من أئمة النحو، وله شيء من النظم. ففي المقتبس (٢٧٤ - ٢٧٥) قصيدة مدح بها الأمير محمداً، لما أسقط الأمير محمد ثلث العُشور عن الرعيّة، تحسُّ فيها بنفسِ أبي تَمَّامٍ (وهذا معقولٌ جداً لحُبِّ عثمان بن المثنى لأبي تَمَّامٍ) في رثاء محمد بن حميد الطوسي.

٣ - مختارات من شعره:

- قال عثمان بن المثنى يمدح الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم:

غدا في أسارير الإمام محمد	إمام الهدى بدرٌ وفي كفّه بحرٌ ^(١) .
تلافي رعاياه بإسقاط ثلث ما	عليهم بما استوفى... قبله العُشُرُ ^(٢) .
وأوسعهم عدلاً ورفق سياسة	فطابت به عنه الأحاديثُ والذكر.

(١) الأسارير (جمع أسرار): خطوط في الوجه. بدر (كناية عن المهابة من حقيقة الملك). بحر (كناية عن الكرم).

(٢) تنقص في الأصل كلمة «الذي».

لقد حَسَدَتْ أَرْضُ الْعِرَاقِ أَرْضَهَا عَلَى عَدْلِهِ فِينَا كَمَا حَسَدَتْ مِصْرُ^(١)
هو الدهرُ في تصريفه الفقر والغنى، كذلك في أحداثه النفع والضرر.
إذا ذَخَرَ الْأَمْلَاجُ كَسْبًا فَمَا لَهُ سِوَى الْمَجْدِ وَالْمَعْرُوفِ كَسْبٌ وَلَا ذَخْرٌ^(٢)

٤ - ★ ★ الزبيدي ٢٨٨؛ ابن الفريسي رقم ١: ٣٤٦ (رقم ٨٩١)، طبعة القاهرة ٣٠٢؛
المقتبس ٢٧٤ - ٢٧٥؛ المغرب ١: ١١٢ - ١١٣؛ الحلة السراء ١: ٤٨؛ بغية
الوعاة ٣٢٤؛ البلغة ١٤١؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣٧٦ (٢١٣).

الرازي المؤرخ

هو مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ (بشير بن جناد بن لقيط الكِنَائي) الرازيُّ من أهل الريّ (خراسان - فارس) كان يَفِدُّ من المشرق على أمراء بني أُمَيَّة في الأندلس مُتَجَرِّراً بالحلِّي والعقائير وسواها من عُروض التجارة الثمينة. ويبدو أَنَّهُ اسْتَقَرَّ في الأندلس سَنَةَ ٢٤٩ (٨٦٤ م) فسكن قرطبة ونال حظوةً عند الأمير مُحَمَّدٍ (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ) فانتدبهُ الأميرُ مُحَمَّدٌ للإصلاح بين العرب والمولدين (المسلمين من أصلٍ إسباني)، بنواحي غرناطة، في سَنَةِ ٢٧٣. وقد تُوُفِّيَ الرازيُّ في البيرة بعد رُجوعه من هذه الرحلة، في ربيع الثاني ٢٧٣ (أيلول - سبتمبر ٨٨٦ م)^(٣)، في أيام الأمير المنذر الذي جاء إلى الإمارة في صَفَر من سَنَةِ ٢٧٣ (تموز - يوليو ٨٨٦ م).
كان الرازيُّ هذا مُتَفَنِّناً في عددٍ من العلوم وكان مُؤَرِّخاً آلف «كتاب

- (١) اقرأ: أرضنا.
- (٢) الأملاك جمع ملك مثل ملوك.
- (٣) في نفح الطيب (٣: ١١١) أن مُحَمَّدَ بْنَ مُوسَى الرَّازِي تُوُفِّيَ في ربيع الآخر من سنة ٢٧٣. وقد ذكر ابن الفريسي أن مولد ابنه أحمد كان في ذي الحجة من سنة ٢٧٤، ونقل ذلك عنه السيوطي في بغية الوعاة (ص ١٦٨) وأغل جشالك بالنشيا (تاريخ الفكر الأندلسي ١٩٧). وهذا محال لأنه يجعل وفاة أحمد بعد مولد أبيه بعشرين شهراً. ولو أننا قبلنا من جشالك بالنشيا أن تكون وفاة مُحَمَّدٍ في ٢٧٣ هـ / ٨٨٦ م مع الإصرار على مولد ابنه أحمد في ذي الحجة من ٢٧٤ لظلَّ الفرق بين وفاة الوالد ومولد ابنه أكثر من عام. والخرج: إما أن تكون وفاة الوالد في سنة ٢٧٤ هـ أو يكون مولد الابن في سنة ٢٧٣ هـ.

الرايات»^(١) ذَكَرَ فِيهِ دُخُولَ الْعَرَبِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ عَلَى رَايَاتِهِمْ (أَيِ بِحَسَبِ قَبَائِلِهِمْ وَبِحَسَبِ الْبُعُوثِ الَّتِي جَاءُوا فِيهَا جَيْشًا بَعْدَ جَيْشٍ). وَكُتِبَ الرَّاياتِ ضَائِعٌ، وَلَكِنَّا نَجِدُ نَتَفَأَ مِنْهُ فِي عَدَدٍ مِنْ كُتُبِ التَّارِيخِ.

★ - الْمُقْتَبَسُ ٢٦٥ - ٢٦٩؛ التَّكْمِلَةُ ١: ٣٦٦ (رَقْمُ ١٠٤٨)؛ نَفْحُ الطَّيِّبِ ٣: ١١١؛
بِالنُّشَا ١٩٣ - ١٩٦؛ وَائِثْرَةُ الْمَعَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ (ط ١) ٣: ١١٣٦؛ الْأَعْلَامُ لِلزُّرْكَلِيِّ
٣٣٨: ٧ (١١٧).

هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ

١ - هُوَ أَبُو خَالِدٍ هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ جُعْدٍ بْنِ أَسْلَمَ بْنِ أَبَانَ بْنِ عَمْرِو. وَكَانَ عَمَرُو هَذَا مَوْلَى لِعُمَّانَ بْنِ عَفَّانَ (ت ٣٥ = ٦٥٦ م). ثُمَّ إِنَّ أَهْلَهُ كَانُوا قَدْ آتَنَقَلُوا إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَسَكَنُوا إِبِيرَةَ فَأَصْبَحَ لَهُمْ فِيهَا رِئَاسَةٌ وَجَلَالَةٌ.

وُلِدَ هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ (فِي إِبِيرَةَ) فِي أَيَّامِ الْأَمِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ)، وَلَمَّا سَبَّ أَصْبَحَ مِنْ أَشْيَاعِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي الْأَنْدَلُسِ مُخْتَصَصًا بِالْأَمِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ)، فَكَانَ الْأَمِيرُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يُقَرِّبُهُ فَقَدْ آتَاخَذَهُ وَزِيرًا ثُمَّ وَلَّاهُ كُورَةَ جَيَّانَ.

وَخَاضَ هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ حُرُوبًا كَثِيرَةً، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ كَثِيرَ التَّوْفِيقِ. فِي سَنَةِ ٢٦٢ (٨٧٦ م) قَادَ جَيْشًا لِقِتَالِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَرْوَانَ الْجَلِيقِيَّ بِنَوَاحِي بَطْلَيْوَسَ فَأَوْغَلَ بِالْجَيْشِ بِلَا أَسْتَعْدَادٍ تَامٌ وَلَا أَحْتِيَاطٍ كَافٍ، فَقُتِلَ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنْ عَسْكَرِهِ

(١) الْمُقْصُودُ بِالرَّاياتِ: الرَّاياتُ الَّتِي كَانَتْ تَحْمِلُهَا الْقَبَائِلُ الْعَرَبِيَّةُ الَّتِي دَخَلَتْ إِلَى الْأَنْدَلُسِ (عَدَدُ الْقَبَائِلِ الَّتِي دَخَلَتْ الْأَنْدَلُسَ فِي زَمَنِ الْفَتْحِ): رَايَتَانِ لِمُوسَى بْنِ نَصِيرٍ: عَقْدَ لَهُ إِحْدَاهُمَا عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ عَلَى إِفْرِيْقِيَّةٍ وَمَا وَرَاءَهَا (يَكُونُ وَالْيَا عَلَى مَا يَفْتَحُهُ فِي إِفْرِيْقِيَّةٍ وَمَا وَرَاءَهَا مِنَ الْبِلَادِ)، وَالثَّانِيَةَ عَقْدَهَا لَهُ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى إِفْرِيْقِيَّةٍ أَيْضًا وَمَا يَفْتَحُهُ وَرَاءَهَا مِنَ الْغَرْبِ، ثُمَّ رَايَةً ثَلَاثَةً لِعَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُوسَى بْنِ نَصِيرٍ (وَقَدْ دَخَلَ الْأَنْدَلُسَ مَعَ أَبِيهِ مُوسَى)... وَذَكَرَ مُحَمَّدُ الرَّازِيُّ أَيْضًا بَيُوتَاتِ الْعَرَبِ (الْأَسْرَ الْعَرَبِيَّةَ الشَّهُورَةَ) الَّتِي دَخَلَتْ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَلَمْ تَكُنْ تَحْمِلُ رَايَاتٍ (لِقَلَّةِ عَدَدِهَا، وَلِأَنَّهَا تَنْتَسِبُ إِلَى الْقَبَائِلِ الَّتِي كَانَتْ تَحْمِلُ رَايَاتٍ).

وَجُرَحَ هو نفسه وأسير، ففداه الأمير محمد بمبلغ كبير فخرج من الأسر سنة ٢٦٤. وفي سنة ٢٦٨ (٨٨١ م) سار بجيش إلى قتال أهل سرقسطة - وكان معه المنذر بن الأمير محمد - فانتصر هاشم في تلك الغزوة وحطم سرقسطة وفتح عدداً من الحصون حولها، ولكنه أساء الأدب مع المنذر حتى حقد عليه المنذر.

ولما جاء المنذر إلى الإمارة، في ثالث ربيع الأول من سنة ٢٧٣ (٨٨٦ / ٨ / ٨ م) وقيل في ثامن ربيع الأول - أوهم هاشماً أنه نسي ما كان بينهما واستحجبه (جعله حاجباً: رئيساً للوزارة)، ثم نكبه وحبسه وعذبه وقتله، في ٢٦ شوال من سنة ٢٧٣ (٨٨٧ / ٣ / ٢٥ م).

٢ - كان في هاشم بن عبد العزيز عددٌ من الخصال الحميدة فقد كان فارساً شجاعاً ورئيساً كريماً مُحسناً وذا قُوّة وجلدٍ في الحرب وصبرٍ في المصائب. ولكنه كان أيضاً حقوداً لجوجاً سيئ التصرف في أموره مع الناس. ثم إنه كان كاتباً بليفاً وشاعراً بارعاً متين الأسلوب واضح التعبير. وفنون شعره الفخر والعتاب والأدب (الحكمة) والهجاء. وكان يرتجل الشعر أيضاً.

٣ - مختارات من آثاره

- كان الوزير الوليد بن عبد الرحمن بن غانم صديقاً لهاشم بن عبد العزيز. فلما أسير هاشم جرى ذكره في مجلس الأمير محمد، والوليد حاضر، فنسبه الأمير محمد إلى الطيش والعجلة والاستبداد في الرأي حتى أدى ذلك إلى أنهزامة في المعركة وأسرّه. فدافع الوليد عن هاشم ونسب أنهزامة وأسرّه إلى عوامل كثيرة منها سوء الحظ. فذهب غضب الأمير محمد وسعى في تخليص هاشم من الأسر بفدية كبيرة. وبلغ ذلك إلى هاشم فكتب إلى الوليد (نفع الطيب ٣: ٣٧٣):

«الصدق من صدقك في الشدة لا في الرخاء، والأخ من ذب^(١) عنك في الغيب لا في المشهد، والوفى من وفى لك إذا خانك زمان. وقد أتاني من كلامك بين

(١) ذب: دافع.

يَدَيَّ سَيِّدِنَا - جعلَ اللهُ تعالى نِعْمَتَهُ سَرْمَدًا^(١) - ما زادني بِمَوَدَّتِكَ اغْتِبَاطًا
وبَصْدَاقَتِكَ اِرْتِبَاطًا. ولذلك ما كنتُ أَشُدُّ يَدَيَّ على وَصْلِكَ بِإِخَائِي. وأنا الآنَ بِمَوْضِعٍ
لا أَقْدِرُ فيه على جزاءٍ غيرِ الثناء. وأنتَ أَقْدِرُ مِنِّي على أنْ تَزِيدَ ما بدأتَ به بأنْ
تُتِمَّ ما سَرَعْتَ فيه حتَّى تَتَكَمَّلَ لكِ المِنَّةُ وَيَسْتَوْتِقَ عِقْدُ الصداقةِ ...».

- وقال هاشمُ بنُ عبدِ العزيزِ في الفخرِ بأحوالِ الهزلِ وأحوالِ الجدِّ:

أَهْوَى مُعَانِقَةَ الْمَلَا ح وَشَرَبَ أَكْوَاسِ الطَّلَى^(٢).
وَيَسْرُنِي حُسْنُ الرِّيَا ض وَقَدْ تَوَشَّتْ بِالْحُلَى^(٣).
وَأَذُوبُ مِنْ طَرَبٍ إِذَا مَا الصَّبْحُ جَرَّدَ مُنْصُلًا^(٤).
وَأَهِيمُ فِي قَوْدِ الْجِيُوشِ ش وَنِيلَ أَسْبَابِ الْعُلَا^(٥).
وَأَهْرُ مُرْتَاخًا، إِذَا سَرَتِ الْمَوَاضِي فِي الطُّلَا^(٦).
قُلْ لِلَّذِي يَنْبَغِي مَكَا نِي: هَكَذَا أَوْ لَا فَلَ!

- وكانَ أحدُ أبناءِ هاشمِ بنِ عبدِ العزيزِ قد خَاطَبَ أَبَاهُ هاشمًا بِرُقْعَةٍ فيها شِعْرٌ
ضعيفٌ، فَوَقَعَ على ظَهْرِ تلكِ الرُقْعَةِ بَدِيهَةٌ:

لَا تَقْلُ - إِنْ عَزَمْتَ - إِلَّا قَرِيضًا رَائِقًا لَفْظُهُ ثَقِيْفًا رَصِينًا^(٧)

-
- (١) سَيِّدِنَا (يقصد الأمير محمدًا). سَرْمَدًا: أَمَدًا دَائِمًا.
(٢) الملاح جمع مليحة: المرأة ذات اللون الحسن. أَكْوَاس جمع كأس (غير قاموسية). وجمع
كأس في القاموس كؤس وكؤوس وكاسات وكئاس. الطلى = الطلاء (بالكسر فيها):
الخمير.
(٣) تَوَشَّتْ (تَطَرَّزَتْ) بالحلى (بالأزهار التي تشبه المعادن الثمينة التي تتعلّى بها النساء).
(٤) المنصل: السيف (نصل السيف). جَرَّدَ الصبح منصلًا: بدأت أنوار الصبح تبدو في
الشرق كأنها سيوف (لأن النهار وقت العمل).
(٥) قود الجيوش: قيادة الجيوش (في الحرب).
(٦) أَهْرُ (بالبناء للمجهول؟): أَطْرَب. أَفْرَح. المَواضي: السيوف. الطلا جمع طلاء (بالضم
فيها): العنق (أي في المارك).
(٧) القريض: الشعر. الثقيف: المهذب (الخالي من الخطأ).

أودع الشعر، فهو خيرٌ من الغث - إذا لم تَحْذِ مقالاً ثيناً!
 - وكتب إلى جاريته - واسمها عاج - من سجنه أبياتاً هي (وفيها شيء من
 نفس النابغة ونفس أبي فراس):

وإني عدائي أن أزورك مطبقٌ وبابٌ منيعٌ بالحديد مضببٌ^(١)
 فإن تعجبي، يا عاج، مما أصابني؛ ففي ريب هذا الدهر ما يتعجب^(٢)
 وفي النفس أشياء أبيتُ بغمها كأني على جمر الغضى أتقلب^(٣)
 تركتُ رشاد الأمر إذ كنتُ قادراً عليه فلاقيتُ الذي كنتُ أرهب^(٤)
 وكم قائلٍ قال: أنج، ونحك، سالماً؛ ففي الأرض عنهم مُستِرادٌ ومذهب^(٥)
 فقلتُ له: إنَّ الفرارَ مدلَّةٌ، ونفسي على الأسواء أخلى وأطيب^(٥)
 سأرضى بحكم الله فيما ينوبني، وما من قضاء الله للمرءٍ مهرب^(٥)
 فمن يكُ مسروراً بحالي، فإنه سينهلُ في كأسٍ وشيكاً ويشرب^(٥)!

- وقال هاشم بن عبد العزيز (المقتبس ١٣٤):

كان الأمير محمد (راجع، فوق، ص ٥٨) أبصر الناس بالرأي وأنفذهم لوجهه،
 فكان يجمعنا للمشورة على رسمٍ من قبله، فنجتهدُ ويقول كلُّ واحدٍ منا ما يحضره.
 فإن وافق ما قد انتقاه هو أمضاه عن تحصيل. وإن كان في الرأي خللٌ ناظرنا على
 خطئه وقلبَ لنا وجوهه وعدلنا عنه بحجاج وتبيانٍ لا نكاد ندفعه فتُصغي أفعالنا
 إليه ونختاره.

(١) عدا: فاته. مطبق: (بضم الميم وكسر الباء): السجن تحت الأرض. مضبب: مقفل بمجديدة
 تدخل من الباب في الجدار.

(٢) ما يتعجب (الإنسان) منه: أمور عجيبة غريبة.

(٣) الغضى شجرة يصنع منه فحم ذو نار شديدة الحرارة (وجمعها: غضى).

(٤) مستراد: مكان بعيد يزله الإنسان للنجاة من أعدائه. المذهب: مكان يذهب إليه
 الإنسان.

(٥) سينهل (يشرب) من كأس: سيصيبه مثل الذي أصابني.

٤ - * * - المقتبس ١٣٤ وما بعد، ١٥٧-١٧١، ١٧٧-١٧٨، ٢٣٧-٢٣٩، ٢٤٨-٢٥١، ٣٤١، ٣٤٤-٣٤٥، ٣٦٠-٣٦٤، ٣٦٨-٣٧٨، ٣٨٦-٣٨٩؛ جذوة المقتبس ٣٤٢- (الدار المصرية) ٣٦٤ (رقم ٨٦٤) بغية الملتبس ٤٧٠ (رقم ١٤٢٣)؛ البيان المغرب ٢: ١٠٢-١٠٥؛ وأماكن أخرى؛ المغرب ١: ٥٢-٥٣، ٢: ٩٤-٩٥؛ الحلة السراء ١: ١٣٧، ١٤٢، ١٦١-١٦٢، ٢: ٣٧٣-٣٧٦؛ نفع الطيب ٣: ١٣٠-١٣١؛ ٣٧٢-٣٧٣؛ الأعلام للزركلي ٩: ٤٨ (٦٦: ٨).

عبّاس بن فرناس

١ - هو أبو القاسم عبّاس بن فرناس^(١) بن وزدوس (ورداس؟) الأندلسي، أصلُ أهله من بربرٍ تَأكُرُنَا (إقليم رُنْدَة - من جنوبي الأندلس) ومن موالي بني أمّية. وُلِدَ في أعقاب القرن الثاني للهجرة (أوائل القرن التاسع للميلاد)، وقد عاش في بلاط قُرْطُبَة، في أيام الحَكَم الرَبَضِيّ (١٨٠-٢٠٦ هـ) وعبد الرحمن الأوسط ومحمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣ هـ). وكان مَسْكَنُه في الرَبَض (الضاحية) الغربي من قرطبة. ويقال إنه زار العراق.

اشتهر عبّاس بن فرناس بالبراعة في فنون نظريّة وتجريبية فَنَسِبَ إليه عددٌ من المُخْتَرَعَات منها صناعةُ الرُّجَاج من الحجارة، ومنها المنقالة^(٢). وكان بارعاً في الرياضيات والفيزياء والكيمياء والفلك والموسيقى. على أن أشهرَ ما عُرِفَ به كان محاولته الطيران: فقد كَسَا جسمه بجريرٍ مُلصَقٍ عليه ريشٌ كثيرٌ وجعل لنفسه منه جناحين مُتحرّكين ثم صعدَ إلى مكانٍ عالٍ وألقى بنفسه فطار مسافةً يسيرةً، ولكنه

(١) الفرناس: رئيس الدهاقين (أصحاب الأراضي الواسعة) والأسد. والشجاع، والاسم عربي أيضاً. فإن رجلاً من بني سُلَيْط العرب كان اسمه فرناساً (راجع في ذلك كلّ القاموس ٢: ٢٣٦).

(٢) المنقالة (ويقال: المنقانة): آلة لحساب الوقت أو ساعة (راجع تعليقاً في نفع الطيب ٣: ٣٧٤. الحاشية ٢).

كان قد غَفَلَ عن أن يجعلَ لنفسه ذِيلاً من ريش (مثل زِمَك الطائر)^(١) فوقع على مُؤَخَّرته، ولكنه نجا من الموت. وَيَجِبُ أن يكونَ قد فَعَلَ ذلك في أوائل كَهولته. وكانت وفاة عَبَّاس بنِ فرناسٍ في نحو ٢٧٤ (٨٨٧ م) وقد أَسَنَ، قيل قد زادتُ سِنُهُ على ثمانينَ سَنَةً.

٢ - كان عَبَّاسُ بنُ فرناسٍ فيلسوفاً حاذقاً فَعَرَفَ بحكيم الأندلس، كما كان عالماً ذا عقلٍ مُبَدِّع. وكذلك كان من علماء النحو^(٢) أديباً مشهوراً وشاعراً مُجيداً. وفنونه المدحُ (مدَحَ جميعَ أمراء بني أُمَيَّة الذين عاصَرَهُم) والهجاءُ، وقد هاجى مُؤمِنَ ابنِ سعيدٍ^(٣) فأفحشَ كُلَّ واحدٍ منها على خصمه. وله وصفٌ بارع. ومعَ إجماعِ الرِّوَاةِ على جَوْدَةِ شعره وكَثَرَتِهِ، فإنَّهم لم يحفظوا لنا منه إلَّا عدداً من الأبيات.

٣ - مختارات من شعره

- في المُحَرَّم من سَنَةِ ٢٤٠ (تموز - يوليو ٨٥٤ م) ثارَ أهلُ طُلَيْطَلَةَ واستنجدوا بِمَلِكِ جَلِيقِيَّة فجاءتهم جموعٌ كبيرةٌ من الإِسبان. فَلَقِيَهُمُ الأميرُ مُحَمَّدٌ على وادي سَلِيطِ (أحدِ روافدِ نهرِ تاجِه جَنُوبِ طُلَيْطَلَةَ) وهَزَمَهُمُ هزيمةً مُنكرةً قُتِلَ فيها من الإِسبانِ نحوُ عِشرينَ ألفاً. فقال عَبَّاسُ بنُ فرناسٍ في ذلك (ابن عِذارى ٢: ١١١، راجع ٩٤ - ٩٥ ونفح الطيب ١: ٣٥٠ في معركة وادي سَلِيطِ):

وَمُخْتَلِفِ الأصواتِ مُؤْتَلِفِ الرِّحْفِ لَهْومِ الفِلا عَبلِ القنابلِ مُلْتَفِ^(٤)
إذا أَوْمَضَتْ فيه الصَّوارمُ خِلَتِها بُروقاً تراءى في الجِهامِ وتَسْتَخْفِ^(٥).

(١) الزمَكُ (بكسر فكسر فتشديد) والزمكى (بكسر فكسر فتشديد أيضاً): ذنب الطائر أو أصله ومنبته (القاموس ٣: ٣٠٥).

(٢) بغية الوعاة، ص ٢٧٦.

(٣) راجع فوق، ص ١٢٢.

(٤) مختلف الأصوات (جيش) متعدد أنواع السلاح (فكل نوع من السلاح يحدث صوتاً معيناً). مؤتلف الرحف: موحد السير (لأنه موحد الهدف). لهوم: أكل. الفلا: الأرض الواسعة (يقطع المسافات الشاسعة بسرعة). عبل: مكتنز، شديد العضلات. القنابل: جماعات الخيل. ملتف: متقارب، موحد، منظم.

(٥) الصوارم جمع صارم: سيف. خلتها: ظننتها. الجهام: السحاب الذي لا مطر فيه.

كَأَنَّ ذُرَى الْأَعْلَامِ فِي مِيلَانِهِ قَرَارِيقُ فِي يَمٍّ عَجَزْنَ عَنِ الْقَذْفِ (١).
وإن طَحَنَتْ أَرْحَاؤُهَا كَانَ قُطْبُهَا حِجَاً مَلَكٍ نَذِبٍ شَائِلُهُ عَفً (٢).
سَمِيَّ خِتَامِ الْأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدٍ، إِذَا وَصِفَ الْأَمْلاَكُ جَلَّ عَنِ الْوَصْفِ (٣).
بَكَى جَبَلًا وَادِي سَلِيطٍ فَأَعْوَلَا عَلَى النَّفْرِ الْعُبْدَانِ وَالْعُصْبَةِ الْغُلْفِ (٤).
دَعَاهُمْ صَرِيخُ الْحَيْنِ فَأَجْتَمَعُوا لَهُ كَمَا أَجْتَمَعَ الْجُفْلَانُ لِلْبَعْرِ فِي وَقْفِ (٥).
فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِنَعْضِهَا فَوَلَّوْا عَلَى أَعْقَابٍ مَهْزُولَةٍ كُشِفِ (٦).
كَأَنَّ مَسَاعِيرَ الْمَوَالِي عَلَيْهِمْ شَوَاهِينُ جَادَتْ لِلْفَرَانِيقِ بِالنَّسْفِ (٧).
بِنَفْسِي تَنَانِينَ الْوَعَى حِينَ صَمَّمْتُ إِلَى الْجَبَلِ الْمَشْحُونِ صَفًّا عَلَى صَفِّ (٨).

- (١) الذرى جمع ذروة (بالكسر أو الضم): الرأس. القمة (بالكسر). الأعلام جمع علم: الجبل. في ميلانه: تحركه في مسيره. القرقور (بالضم): السفينة الطويلة العظيمة. اليم: البحر. القذف: الاندفاع والسير! - هذا الجيش كبير جداً إلى حد أن الجبال ترى كأنها سفن عائمة فيه.
- (٢) إن طحنت أرحاؤها (الرحى: حجر الطاحون): إذا بدأت المعركة. القطب: المحور القائم الثابت في الطبقة الأسفل من الرحى يدور عليه الطبقة الأعلى. القطب (هنا) سيد القوم. القائد. الحجى: العقل. ندب: ماض حازم في الأمور. عاقل: شائله: أخلاقه. صفاته (القياس: ندبة شائله - والتركيب هنا أعسر). العف: العفيف (عن الاعتداء).
- (٣) الأملاك جمع ملك (بفتح فسكون): ملك (بفتح فكسر).
- (٤) أعول: رفع صوته بالبكاء. العبدان: العبيد. الأغلف: الذي لم يحتتن (كناية عن الإسبان النصارى والعبدان كناية عن المسلمين الذين كانوا في جيش ملك الإسبان من الثائرين).
- (٥) الحين (بالفتح): الموت. الجعل (بضم ففتح): دوية سوداء كريهة الرائحة. للبعر: لإلقاء البعر (الإخراج القدر من الجسم). في وقف: في سطر أو صف واحد (٤).
- (٦) فولوا (هربوا) على أعقاب (وراء؟) مهزولة (خيل هزيلة، ضعيفة). كشف (جمع أكشف: الحصان الذي له التواء في ذيله). والكشف أيضاً: الذين لا سلاح معهم.
- (٧) المسمر (جمعها مساعر) والمسعار (جمعها مساعير): الذي يوقد (يبدأ) الحرب، الشجاع. الموالى: الموالون (وهي أيضاً: المسلمون من غير العرب، في الأندلس). الشاهين: طائر قوي تصاد به الطيور. الغرنوق (بضم الغين): طائر مائي جميل ضعيف. النسف: التبيد والتفريق (الإهلاك). جادت: تكرمت، أعطت (جاءت؟).
- (٨) التنين (بكسر التاء) نوع من الزواحف (المقصود هنا: الحية العظيمة، الشجاع). صمم: اتجه إلى، سار، قصد. بنفسى (أفدى بنفسى). صفاً على صف (كناية عن كثرة جيوش الأعداء).

يقول ابن يوليش لموسى وقد ونى: أرى الموت قدامي وتحتي ومن خلفي (١).
قَتَلْنَا لَهُم أَلْفًا وَأَلْفًا وَمِثْلَهَا وَأَلْفًا وَأَلْفًا بَعْدَ أَلْفٍ إِلَى أَلْفٍ،
سوى من طواه النهر في مُسَلْحِهِ فَأَغْرَقَ فِيهِ، أَوْ تَذَاذًا مِنْ جُرْفٍ (٢)

- كان محمود بن أبي جيل جواداً وعاملاً للأمير عبد الرحمن بن الحكم على
كورة..... فاتفق أن عمل قبة آدم (خيمة كبيرة من جلد) ونصبها عند وادي
(نهر) لكه وأدب فيها مآذبة دعا إليها أشراف الكورة. وبعد المأذبة غنى أحد بني
زرياب:

ولو لم يشقني الظاعنون لساقي حاتم تداعت في الديار وقوع (٣)؛
تداعين فاستبكين من كان ذا هوى: نوائح ما تجري لهن دموع.
فلما تقضى غناء ابن زرياب مد عباس يده إلى العود فأخذه وغنى البيتين ثم
وصلها (بيتين) من عنده بديهة فقال:

شدت بمحمود يداً حين خانها زمان لأسباب الرجاء قطوع.
بنى لساع الجود والمجد قبة إليها جميع الأجودين ركوع.
- ولما ثار أهل طليطلة غزاهم الأمير محمد ثم احتال فهدم القنطرة (الجسر) الذي
على نهرها (نهر تاجه) فقال عباس بن فرناس يسوع (يبرر) هدمها:
أضحت طليطلة معطلة من أهلها في قبضة الصقر.
تركت بلا أهل تؤهلها مهجورة الأكناف كالقبر.
ما كان يُنقى الله قنطرة نصبت لحمل كتائب الكفر!

(١) موسى بن موسى قائد في الثغور (شمال الأندلس). ابن يوليش (لعله القائد الإسباني). هذه المعركة
كانت في أيام أردون ابن أذفونش (ألفونس) صاحب (ملك) جيليقية (الجانب الشمالي الغربي من
إسبانية). ونى: تعب.

(٢) المسلح: الطريق الطويل الممتد (والمسلح المطر الكثير). تذاذاً: اضطرب في مشيه (سقط).
الجرف: شق الوادي، صخر فوق هاوية.

(٣) شاقه الأمر: جملة يشاق إليه، يرغب فيه. تداعت الحمام: دعا بعضها بعضاً (صوت إحداها
فصوتت ثانية بعدها وثالثة إلخ).

- وقال يَصِفُ رَوْضَةً:

ترى ورَدَها والأفحوانَ كأنه بها شَفَّةٌ لَعْناء ^(١) ضاحكها ثَغْرُ.

٤ - * * الزبيدي ٢٩١ - ٢٩٢؛ المقتبس ١٢٤ - ١٢٥، ٢٢٧ - ٢٣٤؛ جذوة المقتبس ٣٠٠؛ (الدار المصرية) ٣١٨ (رقم ٧٣١) بغية الملتبس ٤١٨؛ المغرب ١: ٣٣٣؛ نفح الطيب ١: ١٦٢، ٣: ٣٧٤، ٣٧٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ١١؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣٧، (٣: ٢٦٤).

محمّد البريديُّ

١ - هو أبو العبّاس محمد بن أحمد البريديُّ من أهل إفريقية (تونس)، جمَلَه الأمير أبو إسحاق إبراهيم الثاني (٢٦١ - ٢٩٠ هـ) أحد بني الأغلب، كاتبه الخاص. ثم غَضِبَ عليه وسجنه. وكانت وفاته (أو مقتله في السجن، في الأغلب)، سنة ٢٧٦ (٨٨٩ م).

٢ - كان محمد البريديُّ من مشاهير كُتّاب الدولة الأغلبية وأدبائها الطُرفاء، ناثراً ومُترسلاً وشاعراً. وأسلوبه في نثره وشعره سهلٌ ستين.

٣ - مختارات من آثاره

- كَتَبَ محمد البريديُّ من سجنه إلى الأمير أبي إسحاق إبراهيم يَسْتَعِظُهُ:

«أعزَّ الله الأمير. مِن كَرَمِ العَفْوِ وعُلُوِّ قدره وجليلِ خطره ^(٢) أن تسمي الله عزَّ وجلَّ به فسمي نفسه الغفور الرحيم. والطَّبْعُ البشريُّ مُرَكَّبٌ على النقصِ مقرونٌ بالزلل، إلّا ما خصَّ الله به الأنبياء، وأودَعَهُ الساداتِ والأمراء، مِن طهارةِ الأخلاق ونزاهةِ الأنفس. ولستُ - أيدَّ الله الأمير - مِن يَدْعِي العِصمة والبراءة من الهفوة.

(١) الورد: الزهر الأحمر. الأفحوان: زهر بتلاته بيض ووسطه أصفر. اللعناء: السمراء (وكان العرب يحبون السمرة في الشفاء). ضاحكها ثغر (الصورة غير واضحة).
(٢) الخطر: المكانة الرفيعة والشرف (قيمة العفو وحسن الاتّصاف به).

ولست أُمْتُ إِلَيْكَ^(١) إِلَّا بِفَضْلِكَ عَلَيَّ وَإِحْسَانِكَ إِلَيَّ. وَلَا أَعْرِفُكَ بَلْ أَذْكُرُكَ أَنَّ مَنْ غَرَسَ غَرْساً فَوَاجِبٌ أَلَّا يَجْتَنِّهَ وَإِنْ أَبْطَأَ بُسُوقُهُ^(٢)، بَلْ يَمُدُّهُ بِمَدِّ مَوَارِدِهِ الْعَذْبَةِ حَتَّى تَمْتَدَّ حَيْطَانُهُ^(٣) وَتُورِقَ أَغْصَانُهُ. أَعَاذَكَ اللَّهُ، بَا أَوْدَعُهُ (فِيكَ) مِنْ مَعَالِي الْأَخْلَاقِ، مَنْ تَرَكَ الْعَفْوَ عَنْ مُقِرِّ مُعْتَرِفٍ لَا يَعْرِفُ إِلَّا فَضْلَكَ وَلَا يَرْجُو إِلَّا عَدْلَكَ...

- ودخل بعضهم على محمد البريدي في السجن وأخبره أن الأمير يريد قتله، فقال:

تُخَوِّفُنِي بِمَخْلُوقٍ ضَعِيفٍ يَهَابُ مِنَ الْمَيِّتَةِ مَا أَهَابُ^(٤).
لَهُ أَجَلٌ، وَلِي أَجَلٌ. وَكُلُّ سَيَلُغٍ حَيْثُ بَلَغَهُ الْكِتَابُ^(٥).

٤ - * * * مجمل تاريخ الأدب التونسي ٦٥ - ٦٧.

بقي بن مخلد

هو أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد القرطبي، وُلِدَ فِي قَرْطُبَةِ فِي رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٢٠١ (مطلع الربيع ٨١٧م) وَسَمِعَ مِنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى الْمُعَاوَرِيِّ الْقُرْطُبِيِّ (ت ٢٢٢) وَمِنْ يَحْيَى بْنِ يَحْيَى اللَّيْثِيِّ (ت ٢٣٨).

وَرَحَلَ بَقِيُّ بْنُ مَخْلَدٍ إِلَى الْمَشْرِقِ مَرَّتَيْنِ مَكَثَ فِي الْأَوَّلَى مِنْهَا أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً وَفِي الثَّانِيَةِ نَحْوَ عَشْرِينَ عَاماً؛ لَقِيَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ (ت ٢٤٠ هـ) وَصَحْبِهِ وَتَوَثَّقَتِ الصَّلَةُ بَيْنَهُمَا. وَأَخَذَ أَيْضاً عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الشَّافِعِيِّ (٢٣٧ هـ) وَعَنْ أَبِي الْمُصَنَّبِ الزُّهْرِيِّ

(١) مَثَ رَجُلٍ إِلَى آخَرٍ: تَوَسَّلَ إِلَيْهِ بِقَرَابَةٍ بَيْنَهُمَا.

(٢) اجْتَنَّتِ النَّبْتَةُ: انْتَزَعَهَا مِنَ الْأَرْضِ بِجَذُورِهَا. أَبْطَأَ بُسُوقُهُ: تَأَخَّرَ نَوَّهَ وَاسْتَقَامَهُ.

(٣) يَمُدُّهُ: يَزِيدُهُ، يَعِينُهُ. الْمَوَارِدُ: مَصَادِرُ الْمَاءِ. تَمْتَدُّ تَتَسَّعُ. الْحَائِطُ (هَذَا): الْبِسْتَانُ (مَجْمُوعُ الْأَغْرَاسِ) لِأَنَّ عَلَى الْبِسْتَانِ حَائِطاً (سُورَ).

(٤) يَهَابُ: يَخَافُ. الْمَيِّتَةُ: الْمَوْتُ. - سَيَمُوتُ يَوْمًا مَا كَمَا سَأَمُوتُ أَنَا الْآنَ.

(٥) الْأَجَلُ: الزَّمَنُ الْمَعْيُنُ مِنَ الْحَيَاةِ. الْكِتَابُ (هَذَا): وَقْتُ نَزُولِ الْمَوْتِ (مَوْعِدُ اسْتِحْقَاقِ الدِّينِ).

(ت ٢٤٢ هـ) وغيرها. ولقد أخذ عن جميع أصحاب المذاهب ولم يَقْصُرْ هَمَّهُ على الأخذِ عَمَّنْ كان يعتنق مذهبهم كما كان يفعل غيره.

إلى ذلك الحين كان الغالب على أهل الأندلس حفظ رأي الإمام مالك والاكتفاء بكتب الفروع (أبواب الفقه الجزئية: الصلاة - الزكاة - الحضانة - الشراكة، الخ)، فلما عاد بقي بن مخلد من المشرق حاول أن يحمل الفقه في الأندلس على الاستناد في آرائهم وأحكامهم إلى القرآن والحديث فانتشر الحديث في الأندلس. وكذلك حاول أن ينشر في الأندلس مذهب الإمام الشافعي في أيام الأمير محمد (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ)، ولكنه لقي مقاومة من نفر من خصومه أشهرهم ابن مرتيل (ت ٢٤٠ هـ) شيخ المالكية في عصره.

وكانت وفاة بقي بن مخلد في ٢٩ جُمادى الثانية من سنة ٢٧٦ (٢٩ / ١٠ / ٨٨٩ م).

كان بقي بن مخلد من المفسرين للقرآن الكريم ومن حفاظ الحديث ومن أئمة الدين والفقه على المذهب الشافعي ومن الزهاد الصالحين.

ولابن بقي من الكتب: تفسير القرآن الذي فضله ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ) على كل تفسير آخر، وعلى تفسير الطبري أيضاً، وله كتاب في الحديث «المصنف الكبير» فيه الأحاديث على أسماء الصحابة، ثم رتب الأحاديث المروية عن كل صحابي على أبواب الفقه، فهذا الكتاب مُسَنَّدٌ (منسوبة أحاديثه إلى رواتها) ثم مُصَنَّفٌ (مرتب على أبواب الفقه).

- تاريخ خليفة بن خياط برواية بقي بن مخلد (حققه سهيل زكار)، دمشق (منشورات وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي) ١٩٦٧ - ١٩٦٨ م.

★ ★ المقتبس ٢٦١ - ٢٦٥؛ ابن الفرضي ٩١ - ٩٣ (رقم ٢٨٣)؛ جذوة المقتبس ١٦٧ - ١٦٨ (الدار المصرية) ١٧٧ - ١٧٩ (رقم ٣٣١)؛ بغية الملتبس ٢٢٩ - ٢٣٢؛ الصلة لابن بشكوال ١٢١؛ معجم الأدباء ٧: ٧٥ - ٨٥؛ قضاة الأندلس ٦٣ - ٦٥؛ نفع الطيب ٢؛ ٤٧، ٥١٨، ٥٢٠؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ٩٥٦ - ٩٥٧؛ بروكلمان ١: ١٧٢، الملحق ١: ٢٧١؛ الأعلام للزركلي ٣٣: ٢ (٦٠).

عبد الجبار السرقى

١- هو عبد الجبار بن خالد بن عمران السرقى (وسرت مرفأ في أواسط ساحل ليبيا اليوم)، وُلِدَ سَنَةَ ١٩٤ (٨١٠ م) ولازم سحنوناً (ت ٢٤٠) ما ترك مَجْلِسَ عِلْمٍ له لم يحضره. وكان صديقاً لـحمد يس القطان^(١) وشريكاً يعملان في القطن معاً في سوق الأحد ثم تقاطعا بسبب كُتُبِ مُحَمَّدِ بْنِ مَهْدِيٍّ الْبَكْرِىِّ^(٢): كان عبد الجبار يقرأها، وكان حمديس يريد أن يصرفه عن قراءتها. وقد تقاطعا أربعاً وعشرين سَنَةً ولكن لم يُسَيِّ أَحَدٌ مِنْهُمَا إِلَى الْآخِرِ بِفَعْلٍ أَوْ بِقَوْلٍ. ولما مات عبد الجبار صَلَّى عَلَيْهِ حمديس. وجلس عبد الجبار للإفادة فسمع منه جماعة كثيرة العدد.

وكانت وفاة عبد الجبار في أول رَجَبٍ من سَنَةِ ٢٨١ (٧ / ٩ / ٨٩٤ م).
٢- كان عبد الجبار السرقى شيخاً صالحاً مُتَعَبِّداً يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْفَضْلِ وَالدِّينِ. وكان ذا فهمٍ لمعاني العلم، وله أقوال كثيرة تجري مجرى الحكمة.

٣- مختارات من أقواله

- من أقوال عبد الجبار السرقى (تراجم أغلبية ٢٩٨ - ٢٩٩):

مَنْ قَلَّ كَلَامُهُ قَلَّتْ آثَامُهُ - الصوم عن الكلام أثقل (على النفس) من الصوم عن الطعام - من خلا برّبه لم يعدم النور من قلبه، ومن خلا بغيره لم يعدم الزيادة في ذنبه - لولا الفضول لصفّت العقول ولأصبح الجهول عندك (وهو) معقول - من وبّحك فقد نفّحك، ومن نفّحك فقد رفّحك - كُنْتُ أَخْلُو (بنفسي) لأعلم فصرتُ أخلو لأغنى - من كان بالليل نائماً وبالنهار هائماً فمتى (يصبح غائماً)؟^(٣). وقال (ص ١٢٨، ٣٣٧):

-
- (١) حمديس القطان هو أحد بن محمد الأشعري (٢٣٠ - ٢٨٩ هـ) كان على مذهب الأشاعرة الذين يفضلون الرواية الدينية على التخريج العقلي (في مسائل الإيمان والعبادات).
(٢) يبدو أن محمد بن مهدي البكري كان من المعتزلة الذين يقدمون العقل على الروايات الدينية. وكان سحنون (راجع، فوق، ص ١١٢) يقول: «ابن مهدي هذا ضالّ مضلّ (تراجم أغلبية، ص ٢٩٦)».
(٣) في الأصل: متى ينال الغنائم!

تَرَكَ الحَرَامَ أَفْضَلَ مِنْ مَلَأِ الْأَرْضَ إِلَى عِنَانٍ^(١) السَّمَاءَ ذَهَبًا وَفِضَّةً كُسِبَتْ (مِنْ وَجْهِهَا الشَّرْعِي) وَأُنْفِقَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يُرَادُ بِهَا إِلَّا وَجْهُهُ (وَجْهَ اللَّهِ).

٤- ★★ تراجم أغلبية ٢٩٤-٢٩٩، الأعلام للزركلي ٤: ٤٨ (٣: ٢٧٤).

تَمَامُ بْنُ عَامِرٍ^(٢)

١- هو أَبُو غَالِبٍ تَمَامُ بْنُ عَامِرٍ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ غَالِبٍ بْنِ تَمَامٍ بْنِ عُلْقَمَةَ، وَلِدَ سَنَةَ ١٨٤ هـ (٨٠١ م). وَقَدْ وَلِيَ الْوَزَارَةَ لِلْأَمِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ (٢٣٨-٢٧٣ هـ) وَلَوْلَدِيهِ الْمُنْذِرُ وَعَبْدُ اللَّهِ (٢٧٥-٣٠٠ هـ). وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي جُهَادِي الْآخِرَةِ مِنْ سَنَةِ ٢٨٣ (صَيْفِ ٨٩٦ م).

٢- كَانَ تَمَامُ بْنُ عَامِرٍ عَالِمًا وَأَدِيبًا وَإِخْبَارِيًّا، كَمَا كَانَ شَاعِرًا مُكْثِرًا، وَلَهُ أَرْجُوزَةٌ فِي تَارِيخِ الْأَنْدَلُسِ مِنْ وَقْتِ طَارِقِ بْنِ زِيَادٍ إِلَى آخِرِ أَيَّامِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ (ت ٢٣٨) قَلَّدَ فِيهَا أَرْجُوزَةَ يَحْيَى بْنِ الْحَكَمِ الْغَزَالِ (رَاجِعْ، فَوْقَ، ص ١١٥). وَشِعْرُهُ سَهْلٌ عَذْبٌ وَأَغْرَاضُهُ الْمَدْحُ وَالْقَصَصُ وَالنَّسِيبُ وَالْهَجَاءُ، وَلَهُ مَقْطُوعَةٌ فِي ذَمِّ الشُّطْرَنْجِ.

٣- مَخْتَارَاتُ مِنْ شِعْرِهِ

- كَانَتْ أُمُّ الْوَلِيدِ بْنِ خُلْفِ بْنِ رُومَانَ (رُومَانَس) فَتَاةً بَارِعَةً الْجَمَالِ سَبَّاءَةً لِلْأَلْبَابِ نَصْرَانِيَّةً، رَأَاهَا تَمَامٌ فَهَامَ بِهَا وَتَزَوَّجَهَا، فَكَانَ أَنَاسٌ يَلُومُونَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ:

- (١) عِنَانٌ (بِالْكَسْرِ) السَّمَاءُ: نَوَاحِيهَا وَ(بِالْفَتْحِ): مَا بَدَأَ لَكَ مِنْهَا.
(٢) هُنَالِكَ ثَلَاثَةُ أَشْخَاصٍ بِاسْمِ تَمَامٍ بْنِ عُلْقَمَةَ: وَهُنَالِكَ نَفَرٌ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ لِلْأَدَبِ يَخْلُطُونَ بَيْنَهُمْ. إِنَّ تَمَامَ بْنَ عُلْقَمَةَ هَذَا الَّذِي أُوْرِدَتْ تَرْجُمَتُهُ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ٢٨٣ هـ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ تَمَامُ بْنُ عُلْقَمَةَ أَوْ تَمَامًا الَّذِي كَانَ مِنْ أَنْصَارِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْدَاخِلِ (ت ١٧٢ هـ)، كَمَا ذَكَرَ ابْنُ الْأَبَّارِ فِي «الْحَلَّةِ السَّيْرَاءِ» (١: ١٤٣)، فَإِنَّ النَّقِيبَ (الْمُنَاصِرَ) لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ الْدَاخِلِ مَاتَ سَنَةَ ١٩٨ هـ (الْمَغْرِبُ ١: ٤٤). وَيُرِيدُ ذِكْرُ تَمَامٍ بْنِ عُلْقَمَةَ أَحَدَ كِبَارِ النُّبَلَاءِ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ الْدَاخِلِ فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (٣: ٣٢، ٤٥، ٤٩-٥٠ رَاجِعْ ابْنَ عَدَارِي ١: ٥٤، ٥٣). وَهُنَالِكَ تَمَامُ بْنُ عُلْقَمَةَ (ت ٤٣٦ هـ)، وَسَتَأْتِي تَرْجُمَتُهُ.

(٣) قِيلَ ١٩٤ أَوْ ١٩٧ (مَطْلَعُ الْقُرْنِ التَّاسِعِ لِلْمِيلَادِ).

يُكَلِّفُنِي الْعُذَّالُ صَبْرًا عَلَى الَّتِي أَبِي الصَّبْرُ عَنْهَا أَنْ يَحِلَّ مَحَلَّهَا (١).
 إِذَا مَا قَرَعْتُ النَّفْسَ يَوْمًا فَأَبْصَرْتُ سَبِيلَ الْهُدَى عَادَ الْهُوَى فَأَضَلَّهَا (٢)
 وَكَمْ مِنْ عَزِيزِ النَّفْسِ لَمْ يَلْقَ ذِلَّةً أَقَادَ الْهُوَى مِنْ نَفْسِهِ فَأَذَلَّهَا (٣)
 عَجِبْتُ لِمَعْدُولٍ عَلَى حُبِّ نَفْسِهِ يُكَلِّفُهُ عُدَّالُهُ أَنْ يَمَلَّهَا (٤)!

٤- ★ ★ المقتبس ١٧٩-١٨٤؛ الحلة السيرة ١: ١٤٣-١٤٤؛ نفع الطيب ٣: ٣١، ٤٥،
 ٤٩، ٥٠؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٠٢؛ بروكلمان، الملحق ١: ١٤٨؛
 الأعلام للزركلي ٢: ٦٩-٧٠ (٨٦).

سعيد بن جودي

١- هُوَ سَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ جُودِيٍّ السَّعْدِيِّ، كَانَ بَدْوِيًّا خَانِصًا وَفَارِسًا شُجَاعًا مِنْ
 نَسْلِ الطَّارِثِينَ عَلَى الْأَنْدَلُسِ مَعَ جِيُوشِ الْفَتْحِ أَوْ مَعَ بَلْجٍ بْنِ بَشْرِ الَّذِي جَاءَ بِجِيُوشِ
 مِنْ أَهْلِ الشَّامِ.

لَمَّا ثَارَ عُمَرُ بْنُ حَفْصُونَ- وَكَانَ مِنَ الْمُؤَلَّدِينَ وَمِنَ الَّذِينَ يَتَظَاهَرُونَ بِالْإِسْلَامِ- قَاتَلَهُ
 سَعِيدُ بْنُ جُودِيٍّ. غَيْرَ أَنَّ سَعِيدًا أُسِرَ ثُمَّ خَلَصَ مِنَ الْأَسْرِ، سَنَةَ ٢٧٦.

وَكَانَ سَعِيدٌ أَمِيرًا فِي كُورَةِ الْبَيْرَةِ (قُرْبَ غَرْنَاطَةِ)، فِي أَيَّامِ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ (٢٧٥-
 ٣٠٠ هـ)، وَلَكِنَّهُ ثَارَ عَلَى الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ لَمَّا أَخَذَتْهُ الْعَصِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ (الْبَنُوِيَّةُ) عَلَى بَنِي
 مَرْوَانَ الْحَاكِمِينَ فِي قَرْطَبَةِ.

وَكَانَ سَعِيدُ بْنُ جُودِيٍّ مُحِبًّا مُغَامِرًا أَحَبَّ جَارِيَةً مُغْنِيَّةً كَانَتْ لِلْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ
 (قَبْلَ أَنْ يَصِلَ الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى الْحُكْمِ) يُكْنَى عَنْهَا بِاسْمِ جَيْحَانَ، وَقَدْ تَتَمَّ بِهَا وَلَمْ

(١) الْعُذَّالُ جَمْعُ عَاذَلٍ: اللَّائِمُ (الَّذِي يُلُومُ الْآخِرِينَ عَلَى الْحَبِّ خَاصَّةً).

أَنْ يَحِلَّ الصَّبْرُ مَحَلَّ الْحُبُوبَةِ (أَنْ أَصْبِرَ عَنْهَا ثُمَّ أَنْسَاهَا).

(٢) - أَلُومُ نَفْسِي عَلَى أَنْتَنِي مَخْطِئِي، فِي حَبِّي لِأُمِّ الْوَلِيدِ هَذِهِ تَمَّ يَغْلِبُنِي حَبِّي فَأَسْتَمِرُّ فِي حُبِّهَا.

(٣) - كَمْ مِنْ إِنْسَانٍ لَمْ يَذَلَّ فِي حَيَاتِهِ أَبَدًا وَلَكِنَّهُ أَحَبَّ بِإِرَادَتِهِ وَأَذَلَّ نَفْسَهُ لِلْمُحِبُّوبِ.

(٤) - لَا يُمْكِنُ أَنْ أَنْسَى حَبَّ أُمِّ الْوَلِيدِ. إِنَّهَا مِثْلُ نَفْسِي. فَهَلْ رَأَيْتُمْ أَحَدًا يَسْمَعُ قَوْلَ الْآخِرِينَ وَيَكْرَهُ
 نَفْسَهُ.

يَسْتَطِيعُ الْوُصُولَ إِلَيْهَا فَاشْتَرَى جَارِيَةً وَسَمَّاها جَيْحَانَ. غَيْرَ أَنَّ جَيْحَانَ الْجَدِيدَةَ لَمْ تُنْسِهَ
هُوَ جَيْحَانَ الْقَدِيمَةَ.

وَوَاعَدَ سَعِيدٌ امْرَأَةً عَلَى الْلقاءِ فَعَلِمَ زَوْجُهَا بِذَلِكَ فَدَبَّرَ مَقْتَلَ سَعِيدٍ، فِي ذِي الْقَعْدَةِ
سَنَةِ ٢٨٤ (آخِرَ عَامِ ٨٩٧ م). وَقِيلَ كَانَ مَقْتَلُهُ بِعَامِلٍ سِيَاسِيٍّ لِكُرْهِهِ إِمَارَةَ بَنِي أُمَيَّةَ
فِي الْأَنْدَلُسِ. وَقَدْ رثاه الْمُقَدِّمُ بْنُ الْمَعافَى (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٣: ٥٣٨).

٢- كَانَ فِي سَعِيدِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ جُودِيٍّ «عَشْرُ خِصَالٍ تَقَرَّدَ بِهَا فِي زَمَانِهِ لَا يُدْفَعُ
عَنْهَا: الْجُودُ وَالشَّجَاعَةُ وَالْفُرُوسِيَّةُ وَالْجَمَالُ وَالشُّعْرُ وَالْخُطَابَةُ وَالشَّدَّةُ وَالطَّمَنُ وَالضَّرْبُ
وَالرِّمَاطِيَّةُ». وَكَانَ أَدِيباً خَطِيباً وَشَاعِراً مُجِيداً أَكْثَرَ شِعْرِهِ الْحَمَاسَةُ وَالْفَزَلُ مَعَ شَيْءٍ مِنَ
الشُّكُوى فِيهَا.

٣- الْمُخْتَارُ مِنْ آثَارِهِ

- قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُودِيٍّ يُظْهِرُ الْكُرَّةَ لِبَنِي أُمَيَّةَ، مُخَاطَباً الْأَمِيرَ عَبْدِ اللَّهِ:

يَا بَنِي مَرْوَانَ، شُدُّوا فِي الْحَرْبِ	نَعِمَ النَّائِرُ مِنْ وَادِي الْقَصَبِ
يَا بَنِي مَرْوَانَ، خَلُّوا مُلْكَنَا	إِنَّا الْمُلُوكُ لِأَبْنَاءِ الْعَرَبِ ^(١) !
قَرَّبُوا الْوَرْدَ الْمُحَلَّى بِالذَّهَبِ	أَسْرِجُوهُ إِنَّ نَجْمِي قَدْ غَلَبَ ^(٢)

- وَقَالَ يَتَغَزَّلُ وَيَنْسِبُ بِجَيْحَانَ:

سَمِعِي أَيْ أَنْ يَكُونَ الرُّوحُ فِي بَدَنِي،	فَاعْتَاضَ قَلْبِي مِنْهُ لَوَعَةَ الْحَزَنِ.
أَعْطَيْتُ جَيْحَانَ رُوحِي عَنْ تَذَكُّرِهَا،	هَذَا، وَلَمْ أَرَهَا يَوْمًا وَلَمْ تَرَنِي.
كَأَنِّي وَاسَمَهَا، وَالذَّمُّعُ مُنْكَبٌ	مِنْ مُقَلَّتِي، رَاهِبٌ صَلَّى عَلَى وَثْنٍ.

- وَقَالَ يَصِفُ مَيْلَهُ فِي الْحَيَاةِ وَالْحُبِّ:

لَا شَيْءَ أَمْلَحُ مِنْ سَاقِي عَلَى عُنُقِي^(٣) وَمِنْ مُنَاقَلَةٍ كَأَسَا عَلَى طَبَقِي؛

(١) الْعَرَبُ هُنَا بِمَعْنَى الْبَدُو.

(٢) الْوَرْدُ: الْحَصَانُ الْوَرْدُ (الْأَحْمَرُ).

(٣) كُنَايَةٌ عَنِ اللَّهْوِ بِالنِّسَاءِ.

ومن مُواصلةٍ من بَعْدِ مَعْتَبَةٍ، ومن مراسلةِ الأحبابِ بالحدَقِ.
جريت جَرَيَ جَمُوحٍ في الصُّبا طَلِقاً وما خرجتُ لَصَرْفِ الدهرِ عن طَلْقِي^(١)؛
ولا أَتَشْنِيتُ لداعي الموتِ يومَ وَغَى كما انشئتُ وحبلُ الحبِّ في عُنُقِي^(٢)؛

٤- * * جذوة المقتبس ٢١٣ (الدار المصرية) ٢٢٩ (رقم ٤٦٦)؛ بغية الملتبس ٢٩٤ (رقم ٧٩٥)؛ المغرب ٢: ١٠٥-١٠٦؛ الحلة السراء ١: ١٥٤-١٦٠؛ الأعلام للزركلي ١٤٨: ٣ (٩٥).

مُجَبِّرُ بنِ سُفْيَانَ

١ - هو مُجَبِّرُ بنُ إِبْرَاهِيمَ بنِ سُفْيَانَ من الأسرةِ الأغلبية. تولى عِدَّةَ مُقاطعاتٍ في إمارة بني الأغلب. ثم ولَّاه أبو إسحاق إبراهيمُ الثاني (٢٦١ - ٢٩٠ هـ) على جزيرة صِقْلِيَّة^(٣). فلَمَّا كان في البحرِ أَسْرَهُ الرومَ وحَمَلُوهُ إلى القُسطنطينية فَمَاتَ فيها أسيراً.
٢ - لِمُجَبِّرِ بنِ سُفْيَانَ «روميَّة» (قصيدةٌ قالها في أسْرِهِ في بلاد الروم) وهي طويلة، تُذَكِّرُنَا بقصيدةِ أبي فراسِ الحمداني (ت ٣٥٧): «أراك عَصِيَّ الدمعِ شِيَمَتَكَ الصَّبْرُ»، مَعَ العلمِ بأنَّ مُجَبِّرًا تُوُفِّيَ قبلَ أبي فراسٍ بنحو سَبعينَ سَنَةً! والقصيدة سهلةٌ رقيقة.

٣ - مختارات من شعره.

قال مُجَبِّرُ بنُ سُفْيَانَ في سِجْنِهِ في القُسطنطينية:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي، ما الذي فعلَ الدهرُ ياخِواننَا، يا قَيْرَوانُ ويا قَصْرُ^(٤)؛
ونحنُ، وإن طَحَطَحَتْنَا رَحَى النَوَى فلم يَجْتَمِعْ شَمْلٌ لَدَيْنَا ولا وَفَرُ^(٥)؛

- (١) الجموح: الحصان النشيط النافر. طلقاً الأولى: حرّاً بلا قيد: طلق الثانية: بشاشة الوجه.
- (٢) ما رجعت من المعركة مسروراً بسلامتي كما تعودت أن أرجع مسروراً من مقامرات الحب.
- (٢) صِقْلِيَّة أو سَقْلِيَّة جزيرة كبيرة عند الطرف الجنوبي من شبه جزيرة ايطالية فتحها الأغالب على يد أسد بن الفرات، سنة ٢١٦ للهجرة.
- (٤) القيروان عاصمة الأغالبة. القصر مدينة قديمة للأغالبة جنوب القيروان.
- (٥) طحطح الرجل الشيء: كسره وبدده (فرقه). الرحى: الطاحون. النوى: البعاد (الغربة). الشمل: المجتمع. لم يجتمع شملهم: لم يلتقوا (ظلوا متفرقين في الأرض). الوفر: الغنى. - أنا في الأسر بعيد عن أهلي وفقير.

رَأَيْنَا وَجْهَ الدَّهْرِ وَهِيَ عَوَابِسُ بِأَعْيُنٍ خَطَبٍ فِي مَلَا حِطِّهَا شَزْرُ^(١) .
لَعَلَّ الَّذِي نَجَّى مِنَ الْجُبِّ يَوْسُفًا ، وَفَرَّجَ عَنْ أَيُوبَ إِذْ مَسَّهُ الضَّرُّ^(٢) ؛
وَحَلَّصَ إِبْرَاهِيمَ مِنْ نَارِ قَوْمِهِ ، وَأَعْلَى عَصَا مُوسَى فَذَلَّ لَهُ السِّحْرُ^(٣) ،
يُصَبِّرُ أَهْلَ الْأَسْرِ فِي طَوْلِ أَسْرِهِمْ عَلَى مُغْضَلَاتِ الْأَسْرِ . لَا سَلَمَ الْأَسْرُ^(٤) .

٤ - * * * مجمل تاريخ الأدب التونسي ٦٧ - ٦٨ .

أَبْنُ عَبْدِ السَّلَامِ الْحُسَيْنِيِّ

١ - هو أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ زَيْدٍ (بغية الوعاة ٦٧) بن الحسن بن كليب (أو كلب) الْحُسَيْنِيُّ مِنْ أَهْلِ كُورَةِ جَيَّانَ، وَلِدَ سَنَةَ ٢١٧ (٨٣٢ - ٨٣٣ م).

انتقل ابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ الْحُسَيْنِيُّ إِلَى قُرْطُبَةَ وَسَكَنَهَا وَأَخَذَ عَنْ ابْنِ أَبِي مِطْحَنَةَ (أبي مُحَمَّد عبد الله بن مُحَمَّد) الصَّرِيحِيِّ الْمُرْسِيِّ. وَقَدْ رَحَلَ، قَبْلَ ٢٤٠ (٨٥٤ - ٨٥٥ م)، إِلَى الْمَشْرِقِ وَتَطَوَّفَ فِيهِ خَمْسًا وَعَشْرِينَ سَنَةً وَأَخَذَ عَنْ نَفَرٍ كَثِيرِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ، فِي مِصْرَ وَالْحِجَازِ وَفِي الْعِرَاقِ خَاصَّةً. ثُمَّ إِنَّهُ رَجَعَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ فَأَخَذَ عَنْهُ كَثِيرُونَ. وَأَرَادُوهُ أَنْ يَتَوَلَّى الْقَضِيَّةَ فَلَمْ يَقْبَلْ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي ٢٦ مِنْ رَمَضَانَ ٢٨٦ (١٠ / ٥ / ٨٩٩ م) فِي قُرْطُبَةَ.

٢ - كَانَ ابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ الْحُسَيْنِيُّ عَالِمًا وَحَافِظًا لِلْحَدِيثِ فَصِيحَ اللِّسَانِ بَصِيرًا

-
- (١) الخطب: الأمر الشديد يكثر فيه التخاطب (الأخذ والرد). بأعين خطب: بحيرة (بعيون حائرة) ولكن في ملاحظتها (نظراتها) شزر (النظر بمؤخرة العين، من الغضب).
- (٢) الجب: البشر (كان أبناء يعقوب قد ألقوا - بفتح القاف - أخاهم يوسف في بئر أو حفرة عميقة على طريق مصر). الضر: سوء حال البدن (بالمرض الشديد).
- (٣) كان قوم إبراهيم الوثنيون قد أرادوا أن يجرقوه لأنه كان يدعوهم إلى التوحيد. ولما دعا فرعون من كان عنده من السحرة لمناظرة موسى تحدهم بالسحر. فألقى السحرة العصي والحبال وأوهموها الناس بسحرهم أنها حيات تتلوى. فألقى موسى عصاه فاخفتت حيات السحرة.
- (٤) المغضلة: المسألة لا يهتدي أحد إلى وجه حلها.

بكلام العرب. وقد أذخَلَ إلى الأندلس علماً كثيراً من الحديث واللغة ومن أشعار الجاهليين. وله عددٌ من التأليف في شرح الحديث.

٣ - مختارات من شعره

- لما عادَ ابنُ عبدِ السلام الحُشنيُّ إلى الأندلس - بعدَ غيابِ خمسِ وعشرينَ سنةً - بدا له كأنه لم يَغِبْ عن الأندلس قطُّ، فقال:

كَأَن لَمْ يَكُنْ بَيْنَ وَلَمْ تَكُ فُرْقَةٌ إِذَا كَانَ مِنْ بَعْدِ الْفِرَاقِ تِلَاقٌ^(١).
كَأَن لَمْ تُورِّقْ بِالْعِرَاقِينَ مُقْلَتِي، وَلَمْ تَمُرْ كَفُّ الشُّوقِ مَاءَ مَاقِي^(٢)،
وَلَمْ أَزُرْ الْأَعْرَابَ فِي خَبْتِ أَرْضِهِمْ بَذَاتِ اللَّوَى مِنْ رَامَةِ وَبِرَاقٍ^(٣)،
وَلَمْ أَصْطَبِحْ بِالْبَيْدِ مِنْ قَهْوَةِ النَّوَى بِكَأْسِ سِقَانِيهَا الْفِرَاقُ دِهَاقٌ^(٤).
بَلَى، وَكَأَنَّ الْمَوْتَ قَدْ زَارَ مَضْجَعِي فَحَوَّلَ مِنِّي النَّفْسَ بَيْنَ تَرَاقٍ^(٥).
أَخِي، إِنَّا الدُّنْيَا مَحَلَّةُ فُرْقَةٍ وَدَارُ غُرُورٍ آذَنْتُ بِفِرَاقٍ.
تَزَوَّدْ، أَخِي، مِنْ قَبْلِ أَنْ تَسْكُنَ الثَّرَى وَتَلْتَفَّ سَاقٌ لِلنُّشُورِ بِسَاقٍ^(٦)!

٤ - * * الزبيدي ٢٩٠؛ ابن الفرضي ٢: ١٦ (الدار المصرية ٢: ١٤ - ١٥)؛ المقتبس ٢٥٨ - ٢٥٠، ٢٦٠، ٢٦٥؛ جذوة المقتبس ٦٣ - ٦٥ (الدار المصرية) ٦٨ - ٧٠ (رقم ١٠٠)؛ بغية الملتبس ٩٢ - ٩٣ (رقم ٢٠٢)؛ بغية الوعاة ٦٧؛ نفح الطيب ٢: ٢٣٦، ٦٤٩؛ الأعلام للزركلي ٧٦: ٧ - ٧٧ (٢٠٥: ٦).

- (١) البين: الفراق، البعاد.
- (٢) مرى يمرى: مسح وعصر (وحاول استخراج اللبن من الضرع). لم تجعلني أبكي المأق والمؤق: طرف العين.
- (٣) الخبت: الأرض الواسعة أو المنخفضة. ذات اللوى ورامه وبراق أسماء لأماكن.
- (٤) اصطبح: شرب الخمر صباحاً. القهوة: الخمر. النوى: البعاد. قضيت في البادية وقتاً طويلاً بعيداً عن أهلي. الدهاق: المترع: الملان.
- (٥) التراقي جمع ترقوة (في أعلى الصدر ترقوتان مشرفتان). بلغت الروح التراقي: أشرف صاحبها على الموت.
- (٦) الثرى: التراب. سكن الثرى: مات ودفن. التفت الساق بالساق: كناية عن الازدحام حتى تشبك أرجل نفر من الناس بأرجل نفر آخرين).

عيسى بن مسكين

١ - هو عيسى بن مسكين بن منصور بن خديج بن محمد الإفريقي، كان مولده في قرية منجد عيسى قرب المنستير (على الساحل الجنوبي الغربي من تونس) سنة ٢١٤ (٨٢٩ م).

سمع عيسى بن مسكين في المغرب جميع كتب سحنون من سحنون (ت ٢٤٠) نفسه ومن ابنه محمد بن سحنون (ت ٢٥٦)، وسمع في مصر من الحارث بن مسكين (ت ٢٥٠) ويونس بن عبد الأعلى الصدقي (ت ٢٦٤) ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم (ت ٢٦٨) ومحمد بن إبراهيم بن زياد الموز (ت ٢٨١)، وسمع في الشام من أبي جعفر الإيلي، كما سمع من نفر آخرين.

وأراد إبراهيم بن أحمد بن الأغلب أن يولي عيسى بن مسكين القضاة فأبى عيسى حتى أجمع الناس على وجوب توليته. فهدده إبراهيم بالعقاب إن لم يفعل فقبل، بعد شروط اشترطها منها: «أهلك» - في الحق - وبنو عمك وجندك وفقراء الناس وأغنياؤهم سواء. ولا توجه ورائي، ولا أهنيء ولا أعزي ولا أشيع ولا أتلقي. فمضى لم تق لي بشرط (مما) عزلت نفسي. فقبل إبراهيم منه ذلك ثم عرض عليه الكسوة والصلة (اللتين تخلعان عادة على القضاة) فلم يقبل عيسى ذلك. وكانت وفاة عيسى بن مسكين سنة ٢٩٥ (٩٠٧ - ٩٠٨ م).

٢ - كان عيسى بن مسكين من أهل الفقه والورع ثقة متفناً في العلوم من الحديث والفقه واللغة وغيرها، كما كان فصيحاً يجيد الشعر.

٣ - مختارات من آثاره

- قال عيسى بن مسكين يصف نفسه في الشيخوخة:

لما كبرت أتنى كل داهية؛ وكل ما كان مني زائداً نقصا.
أصافح الأرض إن رمت القيام، وإن مشيت نصحبني ذات اليمين عصا!

- وكانت له أقوالٌ حكيمةٌ منها:

أشرفُ الغنى تركُ المني - في تقلُّبِ الأحوالِ علمٌ بجواهرِ الرجال - المعاش مُدُلٌّ
لأهلِ العلم - قاربِ الناسَ في عقولِهِم تسَلِّمٌ مِن غوائلِهِم - خلَّوْا لَهُم دُنْيَاهُمْ يُخْلَوْا بَيْنَكُمْ
وبينَ آخِرَتِكُمْ.

٤ - * * تراجم أغلبية ٢٣٢ - ٢٥٣، ١١ الديباج المذهب ١٧٩ - ١٨١، عنوان الأريب
٢٤ - ٢٥.

مهريّة الأغلبية

١ - هي الأميرة مَهْرِيَّة بنتُ الحسن بن غلبون التميمي من بني الأغلب ملوك
القيروان، نشأت في مدينة رَقَادَة في بيتٍ مجدٍ وشعير. وكانت وفاتها في مكّة، سنة ٢٩٥
(٩٠٨ م).

٢ - مَهْرِيَّة الأغلبية أديبة شاعرةٌ مُجيدةٌ تميلُ إلى التصوّف، لها رثاءٌ.

٣ - مختارات من شعرها

- قالت مَهْرِيَّة الأغلبية ترثي أخاها^(١) (ولم يصل إلينا من شعرها إلا هذه
القطعة):

لَيْتَ شِعْرِي، مَا الَّذِي عَانَيْتُهُ بَعْدَ طَوْلِ الصَّوْمِ مَعَ نَفْيِ الْوَسَنِ^(٢):
مَعَ غُرُوبِ النَّفْسِ عَنْ أوطَانِهَا وَالتَّخَلِّيِ عَنْ حَبِيبِ وَسْكَنٍ^(٣).
يَا شَقِيقَ، لَيْسَ فِي وَجْدٍ بِهِ غَلَّةٌ تَمْنَعُنِي مِنْ أَنْ أَجَنَ^(٤).

(١) هو أبو عقاب غلبون، كان في أوّل حياته شاعراً ماجناً ثمّ تاب وأقبل على العلم فدرس الحديث وبرع
في الأدب. ثمّ إنّه رحل إلى مكّة وجاور فيها فلحقت به أخته مَهْرِيَّة. وكانت وفاته في مكّة سنة
٢٩١ هـ (راجع الأعلام للزركلي ٥: ٣١٤).

(٢) ما الذي عانيت...: ما أكثر ما قاسيته في سلوك طريق التصوّف الصحيح من كثرة الصيام وقلة
الوسن (النوم).

(٣) السكن: الزوج.

(٤) الأصوب: يا شقوتي (لسلامة الأعراب مع المحافظة على وزن الشعر). أجنّ: أصبح مجنونة. المقصود:
حبّي له يجعلني أجنّ (حزناً عليه).

وكما تَبَلَّسَى وُجوهٌ في الثَّرى، فكذا يَبْلَى عَلَيْنَهِنَّ الحَزَنُ^(١)!

٤ - * * معالم الإيمان ٢: ١٤٤ - ١٤٥، شهرات النساء ٢٥، مجمل تاريخ الأدب التونسي ٦٤ المنتخب المدرسي ٣٢، بساط العقيق (والكتب الأربعة الأخيرة لحسن حسني عبد الوهاب)، الأعلام للزركلي ٨: ٢٦٠ (٧: ٣١٥).

بكر بن حمّاد

١ - هو أبو عبد الرحمن بكر بن حمّاد بن سهر (أو سهل) بن اسماعيل الزّناقيّ التاهرتي، وُلِدَ في تاهرت (الجزائر اليوم)، نحو سنة ٢٠٠ (٨١٥ - ٨١٦ م) ونشأ فيها. في سنة ٢١٧ انتقل بكر بن حمّاد إلى القيروان وقرأ فيها على عَوْنِ بن يوسف الحُزاعي (ت ٢٣٩) وسمِعَ من سحنون (ت ٢٤٠)، ثم سار وشيكا إلى المشرق وقصد بغداد فأخذ عن نَفَرٍ من علمائها ولَقِيَ نَفَرًا من أدبائها. ويبدو أنه تكسّب في بغداد بالشعر.

وفي سنة ٢٧٤ (٨٨٧ م) نَجِدُ بكر بن حمّاد ثانية في القيروان يتصدّر لتدريس العلم والأدب. ويبدو أنّ اهتمامه الأوّل كان التّكسّب بالشعر: مدَحَ الأمير إبراهيم بن أحد الأغليّ (٢٦١ - ٢٩٨ هـ)، وكان طاغية سفاكا للدماء، ومدَحَ أحمد بن سُفيان بن سودة. وكان بكر بن حمّاد يتردّد في أثناء ذلك على بلده تاهرت، وقد اشترك في الفتنة التي نشبت سنة ٢٨٢ (٨٩٥ م) على أبي يوسف بن محمّد سادس الأئمة الرّستميّين في دويلة بني رُستَم في تاهرت.

وَوَشَى بعضهم ببكر بن حمّاد إلى الأمير إبراهيم بن أحد، فغادر بكر القيروان راجعا إلى تاهرت - وكان معه ابنه عبد الرحمن - سنة ٢٩٥ (٩٠٧ م). وفي أثناء الطريق خرَجَ عليه اللصوص، قُربَ قلعة ابن حَمّة (شمال تاهرت)، فقتل ابنه عبد الرحمن وجرح هو جراحا أودت به بُعَيْدَ ذلك في شوال من سنة ٢٩٦ (صيف ٩٠٩ م)، ودفن في داره في آرشقول بجوْفِي (جنوبي) مدينة تيهرت.

(١) ولكنّ الحزن ينقضي مع مرور الأيام.

٢ - يبدو أن بكر بن حادٍ كان رجلاً مُتقلِّبَ الهوى مثل مُعظمِ الذين يتكسَّبون بالشعر: هجا عمران بن حِطَّانَ الخارجيَّ (ت ٨٤ هـ) لأنَّ عمرانَ كان قد أثنى على عبد الرحمن بن مُلجَمِ الذي قتل الإمامَ عليّاً، وهجا المعتصمَ العبَّاسيَّ وقال فيه « فليسَ له دينٌ وليسَ له لُبٌّ » (عقل). ثم عاد فمدح المعتصمَ وحرَّضه على دِغِيلِ الحُزاعيِّ الشيعيِّ. وثار على الإمام الإِباضيَّ أبي حاتمِ يوسفَ بن محمدِ الرُستميِّ ثم عاد فاعتذر إليه.

وكان من المشتغلين بالحديث؛ ولكنَّ شهرته إنَّما هي في الشعر. وهو شاعرٌ مُجيدٌ متفنَّن في أبواب الشعر متين السبك حَسَنُ الديباجة سهلُ التراكيب فصيح الألفاظ يُجيد في القصائد الطوالِ وفي المُقطَّعات. وفنونُ شعره المديحُ والعِتابُ والهجاءُ والرياءُ والوصفُ والغزلُ والزُهدُ.

٣ - مختارات من شعره

قال بكر بن حادٍ يعتذرُ إلى أبي حاتمِ يوسفَ بن محمدِ الرستمي عن اشتراكه في الفتنة التي ثارت على أبي حاتم:

ومؤنسة لي بالعراق تركتها	وغصنُ شباي في الغصون نضير؛
فقلت، كما قال النواصي قبلها:	(عزيزُ علينا أن نراك تسيّر) (١).
فقلت: جفاني يوسف بن محمد؛	فطالَ عليّ الليلُ وهو قصير (٢).
أبا حاتم، ما كان ما كان بغضة،	ولكن أتت بعدَ الأمور أمور (٣).
وأكرهني قومٌ خَشِيتُ عقابهم	فداريتهم، والدائراتُ تدور (٤).
وأكرمُ عَفْوٍ يُؤثرُ الناسُ أمره	إذا ما عفا الإنسانُ هو قديرا

(١) النواصي: أبو نواس الشاعر. الشطر المضمن من قصيدة لأي نواس يمدح بها الحبيب عامل مصر في أيام هرون الرشيد.

(٢) جفاني: مال عني، تركني، أهملني. طال عليّ الليل: أهمني، أحزنني.

(٣) ما الأولى حرف نفي، والثانية اسم موصول = لم يكن الذي كان (حدث). بغضة: كرها بك. أتت بعد الأمور أمور: تقلَّبت الأحوال كثيراً.

(٤) الدائرات تدور: الأحوال تتبدل (وتأتي بالمصائب).

- وقال في الغزل والنسيب:

خُلِقْنَ الغواني للرجالِ بليَّةً، فهنَّ موالينسا ونحنُ عبِيدُها.
إذا ما أَرَدْنَا الوردَ في غيرِ حينِه أَتَّنا به في كلِّ حينِ خُدودُها.
- وقال يصف البرد في مدينة تاهرت:

ما أَخْشَنَ البردَ ورِيَّانَه وأطرفَ الشمسَ بتاهرتِ!
تبدو من الغيمِ إذا ما بَدَتْ كأنَّها تُنْشَرُ من تَخْتِ^(١).
فنحن في بحرٍ بلا لُجَّةٍ تجري بنا الريح على السَمْتِ^(٢).
نفرحُ بالشمس إذا ما بَدَتْ كفرَحَةِ الذِّمِّي بالسَّبْتِ^(٣).

- وقال يمدح أحد بن سفيان: (الحلَّة السراء ١: ١٨٣):

وقائلة: زارَ الملوك فلم يُفِضْ، فيا ليتَه زارَ ابنَ سُفيانَ أحمدا^(٤).
فَتَى يُسِخِطُ المالَ الذي هو رَبُّه ويُرضي العوالي والحسامَ المَهْندا^(٥).

- وقال يرثي ابنه عبد الرحمن:

وهوَنَ وَجَدِي أَنِّي بِكَ لاحِقٌ وأن بَقائي في الحياة قليلُ،
وأن ليس يبقَى للحبيبِ حبيبُهُ، وليس بباقي للخليل خليلُ.
ولو أن طولَ الحُزنِ مَما يَرُدُّه للارمَني حزنَ عليك طويل^(٦).

(١) التخت: صوان (صندوق) الثياب. - كأن الغيم ثياب جديدة (تُستخرج من صندوقها لأول مرة): تنشر في السماء.

(٢) حينما يغطي الضباب تاهرت ويعممها نصبح كأننا في بحر هادئ (بلا أمواج) أو لا يفرق أحد فيه (بلا لجة: معظم الماء). تجري بنا الريح (كأننا تجري بنا الريح) على السمت: في خط مستقيم (نسير دائماً في اتجاه واحد لا نستطيع أن نتجه يمينا أو يساراً لأننا لا نرى حولنا شيئاً نقصده أو نهتدي به).

(٣) الذمي: غير المسلم إذا كان يعيش في الدولة الإسلامية (هنا: اليهودي).

(٤) لم يفد: لم يستفد، لم يحصل على فائدة.

(٥) ربه = رب المال: صاحبه، مالكه. العوالي: الرماح (العالية نصل حديد في أعلى القناة أو القصبة، في أعلى الرمح). الحسام المهند: السيف المصنوع في الهند (السيف الجيد، الذي ينتصر الحارب به).

(٦) مَما يَرُدُّه = يرد الميث (بسكون الياء: الذي مات).

٤ - الدرّ الوقاد من شعر بكر بن حمّاد (تقاديم وجمع وشرح محمد بن رمضان شاوي) مستغنام
الجزائر (المطبعة العلوية) ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٦ م.
* * * الحلة السراء ١: ١٧٣ - ١٧٤، ١٨٣، وفيات ابن قنفذ ٥٤؛ راجع فهارس «طبقات
علماء أفريقية والمغرب»؛ ابن عذاري ١: ١٥٣ - ١٥٤؛ رياض النفوس ٢: ١٦ - ١٩؛
معالم الإيمان للدبّاغ ٢: ١٩٢؛ الأزهار الرياضية ٧٠ وما بعد؛ تاريخ الأدب الأندلسي
٧٢؛ تاريخ الجزائر العام ٢: ٣١؛ الطّمار ٣٢ وما بعد؛ مجلة العربي، نيسان ٦٣ (ص
٧٨). الأعلام للزركلي ٢: ٣٧ (٦٣).

أبو اليسر الشيباني

هو أبو اليسر إبراهيم بن أحمد الشيباني المعروف بالرياضي، كان مولده في بغداد
سنة ٢٠٠ (٨١٥ - ٨١٦ م) وسمع فيها الحديث والفقه والنحو. وقد لقّي في بغداد
أيضاً نفراً كثيرين من أهل العلم والأدب منهم ابن قتيبة (ت ٣٢٢) وأبو تمام (ت ٢٣١)
ودعبل الخزاعي (ت ٢٤٦) وعلي بن الجهم (ت ٢٤٩) وسعيد بن حميد الكاتب (ت
٢٥٠) والجاحظ (ت ٢٥٥) وسليمان بن وهب الكاتب (ت ٢٧٢) وأحمد بن أبي طاهر
طيفور المؤدّب الكاتب (ت ٢٨٠) والبحرتي (ت ٢٨٤) ومحمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٦)
وثعلب إمام الكوفيّين في النحو واللغة (ت ٢٩١).

وبعد أن تطوّف أبو اليسر في المشرق كثيراً انتقل إلى المغرب في أيام أمير
القيروان إبراهيم بن أحمد بن محمد الأغلب (٢٦١ - ٢٨٩ هـ) وكتب له. ثم كتب لابنه
أبي العبّاس عبد الله (٢٨٩ - ٢٩٠). وكان في أيام زيادة الله آخر الأمراء الأغلبية
(٢٩٠ - ٣٠٤ هـ) على بيت الحكمة. في هذه الأثناء كلّها كثر تطوّف أبي اليسر في
المغرب والأندلس. وقد كانت وفاته بالقيروان. سنة ٢٩٨ (٩١٠ - ٢٩٠ م)، وقد أسنّ
كثيراً.

كان أبو اليسر الشيباني جيل الخلق نزية النفس، عالماً أديباً شاعراً كاتباً ومترسلاً
بليغاً ومشاركاً في كثير من فنون العلم والأدب حسن الخط حسن التأليف، ألف من
الكتب: سراج الهدى (في القرآن ومشكله وإعرابه) - لقيط المرجان - المرصعة

- المدبّجة - المؤنسة - الوحيدة - قُطِبَ الأدب. وهو الذي أدخل إلى أفريقية رسائل المُحدثين وأشعارهم وطرائف أخبارهم.

★ التكملة ١٧٣؛ نفح الطيب ٣: ١٣٤ - ١٣٥؛ الأعلام للزركلي ٢٢: ١ (٢٨).

مقدم بن معافى القبري

١ - هو مُقدّم بن مُعافى القبري، نسبة إلى مدينة قَبْرَة (وقبرة كورة من أعمال قرطبة قَصَبَتْهَا أو عاصمتها قبرة أيضاً). نَعْرِفُ من أحداثِ حياته أَنَّهُ كان شاعراً بَلَّاطٍ في أيامِ الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥ - ٣٠٠ هـ). ولعلّ مَوْلَدَه كان سَنَةَ ٢٢٥ (٨٤٠ م). أمّا وفاته فكانت في حُدُودِ سَنَةِ ٢٩٩ (٩١٢ م). ولعلّه كان ضريباً^(١).

٢ - يبدو أن مُقدّم بن مُعافى كان شاعراً مَداحاً، اتّصل بِبَلَّاطِ قرطبة أيام الأمير عبد الله، كما مدح سعيد بن سُلَيمان بن جُودي (ت ٣٨٤ = ٩٩٤ م)، الذي كان فارساً شاعراً. وكذلك مدح سعيد بن المُبذر بن سعيد البلوطي. غير أن أهم ما يتعلق بخصائص مُقدّم هذا أن مؤرخي الأدب يَنسِبُون إليه اختراعَ الموشح^(٢). غير أن موشحات مُقدّم لم تصل إلينا، ولا وصل إلينا من شعره إلا أبياتٌ يسيرة.

٣ - مختارات من شعره:

- قال مُقدّم بن مُعافى يرثي سعيد بن جودي (نفح الطيب ٣: ٥٣٨):

من ذا الذي يُطعمُ أو يكسو وقد خَوَى حِلْفَ الندى رَمْسُ؟
لا أخضرتِ الأرضُ، ولا أورقَ الـ عُودُ، ولا أشرقَتِ الشمسُ
بعدَ ابنِ جُودي الذي لن ترى أكرمَ منه الجنُّ والإنسُ.
دموغُ عيني في سبيلِ الأسى على سعيدٍ أبداً حُبْسُ.

(١) بروكلمان، الملحق ١: ٤٧٧.

(٢) راجع، تحت، الكلام على الموشح. ثم نفح الطيب ٧: ٥ - ٦ (عن مقدمة ابن خلدون) ينسب ابن بسّام (الذخيرة) اختراع الموشح إلى رجل ضريب من قبرة اسمه محمد بن حُود أو محمود.

- وله قصيدة أوَّها :

أشجيت إن طربت حامة وادي ميادة في ناعم ميادة؟
تلهو وما منيت بجفوة زينب يوماً، ولا بجياها المقتاد.
لا ترج - إذ سلبت فؤادك زينب - عيشاً، فما عيشٌ بغير فؤاد!

- قيل لمقدم بن معافى: أترثي سعيد بن جودي وقد ضربك؟ فقال:

والله، إنه نفعتني حتى بذنوبه. ولقد نهاني ذلك الأدب (القصاص، العقاب) عن
مضار جنة كنت أقع فيها على رأسي، أفلا أرعى له ذلك؟ والله، ما ضربني إلا وأنا
ظالم له، أفأبقى على ظلمي له بعد موته؟

وقيل له: لم لا تهجو مؤمن بن سعيد؟ فقال:

لا أهجو من لو هجا النجوم ما اهتدى أحد بها!

٤ - * * الحلة السراء ١: ١٥٦؛ جذوة المقتبس ٣٣٣؛ بغية الملتبس ٣٦٠ - ٣٦١ (رقم
١٣٨٦)؛ نفح الطيب ٣: ٥٣٨، ٧: ٦.

الأمير عبد الله بن محمد

هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم، واسم أمه بهار. كان مولده
في نصف ربيع الآخر من سنة ٢٢٩ (١٢ / ١١ / ٨٤٣ م).

بُوع عبد الله في نصف صفر من سنة ٢٧٥ (٢٩ / ٤ / ٨٨٨ م)، والأندلس في
أحلك أيامها لكثرة الفتن، فلقد بلغت فتنة ابن حفصون في عهده ذروة اشتدادها.
وكان أنصار ابن حفصون يصلون في غاراتهم إلى أخواز قرطبة. وكذلك استبد بنو
حجاج وبنو خلدون بمنطقتي إشبيلية وقرمونة كما استبد آل تميم بسرقة و
حولها (في الشمال) وبنو ذي النون بطليطلة.

وفي أيامه نبعت الدولة الفاطمية في القيروان، وكانت دولة منوثة للأمويين في
الأندلس.

وَكثُرَتْ غَارَاتُ الْإِسْبَانِ عَلَى أَطْرَافِ الْبِلَادِ فَقَامَ الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ بِغَزَوَاتٍ كَثِيرَةٍ إِلَى بِلَادِ الْإِسْبَانِ، وَلَكِنَّ هَذِهِ الْغَزَوَاتِ كَانَتْ ضَعِيفَةً الْأَثَرِ.

وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيَهِ الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ فَسَادُ قُلُوبِ إِخْوَتِهِ وَأَبْنَائِهِ عَلَيْهِ حَتَّى بَلَغَتْ الْجُرْأَةُ بِهِمْ إِلَى أَنْ تَأْمُرُوا عَلَيْهِ. فَلَمَّا عَرَفَ ذَلِكَ قَتَلَ نَفَرًا مِنْهُمْ. ثُمَّ لَمْ يَجِدِ الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ أَحَدًا مِنْ إِخْوَتِهِ وَأَبْنَائِهِ الْبَاقِينَ يَصْلُحُ لِلإِمَارَةِ فَبَايَعَ بِالإِمَارَةِ لِحَفِيدِهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَقْتُولِ (الَّذِي أَصْبَحَ الْخَلِيفَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِر).

وَكَانَتْ وَفَاةُ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ فِي مُسْتَهْلِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ ٣٠٠ (١٦ / ١٠ / ٩١٢ م).

٢ - كَانَ الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ شَاعِرًا مَطْبُوعًا لَهُ أَشْعَارٌ حَسَنَةٌ فِي الْغَزْلِ وَالزُّهْدِ وَشَيْءٌ مِنَ التَّوْقِيعِ وَالرِّسَائِلِ.

٣ - الْمُخْتَارُ مِنْ آثَارِهِ

- قَالَ الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ فِي صَبَاهِ يَتَغَزَّلُ:

وَيَلِي عَلَى شَادِنٍ كَحِيلٍ	فِي مِثْلِهِ يُخْلَعُ الْعِذَارُ ^(١) .
كَأَنَّا وَجَنَتْ سَاهُ وَرَدَّ	خَالَطَهُ النُّورُ وَالْبَهَارُ ^(٢) .
قَضِيبُ بَانَ إِذَا تَشَنَّى	يُدِيرُ طَرْفًا بِهِ أَحْوَارُ ^(٣) .
فَصَفَوْا وَدَّى عَلَيْهِ وَقَفَّ	مَا أَطْرَدَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ^(٤) .

- وَقَالَ فِي الْغَزْلِ أَيْضًا:

يَا مُهْجَةَ الْمُشْتَاكِ، مَا أَوْجَعَكَ! وَيَا أُسِيرَ الْحَبِّ، مَا أَخْشَعَكَ^(٥)!

- (١) الشادِن: الغزال الصغير. الكحيل: الذي تكثف رموش عينيه فتبدو أطراف جفونه سودا.
- (٢) النور (بفتح النون) الزهر الأبيض. البهار: الزهر الأصفر.
- (٣) البان شجر أغصانه شديدة الاستقامة والطول. تشنَّى: تقايل. الأحوار أو الحور أن يكون بياض العين شديد البياض وسوادها شديد السواد.
- (٤) أطرد: تتابع واستمر.
- (٥) المهجة: دم القلب، القلب. ما أخشعك: ما أكثر خضوعك وطاعتك للمحبوب.

ويا رسول العين من لَحْظِهَا بالردِّ والتبليغ ما أَسْرَعَكَ:
تذهَّبُ بالسِّرِّ وتَأْتِي به في مجلسٍ يخفى على مَنْ مَعَكَ
كم حاجةٌ أنجَزَتْ إبرازَهَا! تبارَكَ الرحمنُ، ما أطوَعَكَ!
- وله في الزهد:

يا من يُرواغُهُ أَجَلُ، حتى مَ يُلْهِيكَ الأَمَلُ^(١)؟
حتى مَ لا تخشى الردى وكأنه بك قد نَزَلَ^(٢)؟
أَغْفَلْتَ عن طَلَبِ النِّجَاةِ، ولا نِجَاةَ لِمَنْ غَفَلَ؟
هيهاتِ تَشْغُلُكَ الْمُنَى؛ ولمَ يدوم بك الشغلُ^(٣)؟
فكأنَّ يَوْمَكَ لم يَكُنْ، وكأنَّ نَعْيِكَ لم يَزَلْ^(٤).
- وأذنب بعضُ موالي الأمير عبد الله يوماً فقال له الأمير عبد الله (ابن عذاري
٢: ١٥٤): إِنَّ مَخَايِلَ الْأُمُورِ لَتَدُلُّ عَلَى خِلَافِ قَوْلِكَ وتُنْبِئُ عَنْ بَاطِلِ تَنَصُّلِكَ^(٥).
ولو أَقَرَّرْتَ بِذَنْبِكَ واستَغْفَرْتَ لَجُرْمِكَ لَكَانَ أَجَلُكَ بِكَ وَأَسَدَلُ لِسْتَرِ الْعَفْوِ
عليك^(٦).

فقال له المذنبُ: قدِ اشتمَلَ الذنبُ عَلَيَّ وحاكَ الخَطَأَ^(٧). وإِنَّا أَنَا بَشَرٌ، وما
يقومُ لي عُذْرٌ.
فردَّ عليه الأميرُ عبدُ الله: مَهْلًا عَلَيْكَ، رُوَيْدًا بِكَ. تَقَدَّمْتَ لَكَ خِدْمَةٌ وَتَأَخَّرْتَ
لَكَ تَوْبَةٌ، وما للذنبِ بَيْنَهَا مَدْخَلٌ. وَقَدْ وَسَّعَكَ الْغُفْرَانُ^(٨).

-
- (١) راوغة: داوِره، يبدو مبتعداً عنك، يقترب وبالعكس.
(٢) الردى: الموت. وكأنه قد نزل: سينزل عما قريب جداً.
(٣) إِنَّ الْأَمَانِي الكاذبة تنسيك الموت، فلماذا يدوم اشتغالك بالأمانِي الكاذبة؟ الشغل (بفتح ففتح أو بضم
ضم).
(٤) كأنَّ اليوم الذي أنت فيه (أنت حيّ فيه) لم يأت، وكأنَّكَ لا تزال مهتداً بالموت.
(٥) مخايل (جمع مخيلة بفتح الميم وكسر الخاء): دلائل، علامات. تنصّل من الذنب: أظهر أنه بريء منه.
(٦) الجرم: الذنب الكبير. أجل بك: أليق بك وأحسن لك. أسدل (فعل تفضيل) (٧) حاق: أحاط (٨)
تقدّمت لك خدمة (اهتمام بأمورنا) وتأخرت لك توبة (لقد تبت أخيراً): قد وسّعك الغفران: غفرنا لك!

- وأملئ الأمير عبد الله (على بعض كُتَّابه) كتاباً إلى بعض عمَّاله:

أما بعد، فلو كان نظرك فيما خصصناك به واهتباك به على حسب مواترتك^(١) بالكتب واشتغالك بذلك عن مهم أمرك لكنت من أحسن رجالنا عناء^(٢) وأتمهم نظراً وأفضلهم حزماً. فأقلل من الكتب فيما لا وجه له ولا نفع فيه، وأصرف همتك وفكرتك وعنايتك إلى ما يبدو فيه اكتفاؤك ويظهر فيه غناؤك^(٣)، إن شاء الله.

٤- * * - المقتبس ١٩٥-٢٠٠، الحلة السراء ١: ١٢٠-١٢٤، البيان المغرب ٢: ١٥٢،
نفع الطيب ١: ٣٥٢-٣٥٣، دائرة المعارف الإسلامية ١: ٤٩، نيكل
٢١-٢٢، الأعلام للزركلي ٤: ٢٦٢ (١١٩).

محمد بن عاصم النحوي

هو أبو عبد الله محمد بن عاصم^(٤) (وقيل محمد بن موسى بن هاشم بن يزيد) القرطبي النحوي المعروف باسم الأقتين (أوغسطين)، مولى الأمير المنذر بن محمد (ولعله دخل الإسلام على يديه).

رحل محمد بن عاصم إلى المشرق وزار الشام والعراق وأخذ عن نفر من علمائها، وانتسخ «الكتاب» (كتاب سيبويه، في النحو) من نسخة سيبويه نفسها وأخذ الكتاب بالرواية عن سيبويه نفسه. وهو نحوي مشهور لم يقصر في علم النحو عن أصحاب محمد بن يزيد المبرد^(٥). ثم هو مصنف له: طبقات الكتاب بالأندلس - شواهد الحكم - الموفق - الرائق - فضائل المستبصرة. وكانت وفاته في رجب من سنة ٣٠٧ (مطلع ٩٢٠ م).

(١) لو كان اهتمامك بما جعلنا الأمر فيه لك وحدك واهتباك (إسراعك) في تنفيذه على حسب (بمقدار) مواترتك (متابعتك، موالاتك، إكثارك) من الكتب (الرسائل إلينا).....

(٢) العناء (بالعين المهملة): تعب، اهتمام.

(٣) العناء (بفتح العين): النفع.

(٤) راجع نفع الطيب ٣: ١٧٤-١٧٥.

(٥) راجع تاريخ الأدب العربي للمؤلف ٢: ٣٥٤.

★★ الزبيدي ٣٠٥؛ ابن الفريسي ٣١:٢؛ جذوة المقتبس ٧٤، ٨٢ (الدار المصرية) ٧٩ - ٨٠.
(رقم ١٢٢)؛ بغية الملتبس ١٠٧؛ ١١٦ (رقم ٢٤٣، ٢٦٨)؛ إنباه الرواة ٣: ٢١٦؛ الوافي
بالوفيات ٩٠:٥ - ٩١؛ بغية الوعاة ١٠٨ - ١٠٩.

عبد الله المكفوف النحوي

هو أبو محمد عبد الله بن محمد (وقيل: محمود) النحوي القيرواني من أهل سرت أدرك أبا الوليد عبد الملك بن قطن المهري (ت ٢٥٦ هـ) وأخذ عنه. ثم صحب حمدوناً النحوي (أبا عبد الله محمد بن إسماعيل) القيرواني المغربي الإفريقي المعروف بالنعجة (يبدو أن وفاته كانت بعد سنة ٢٠٠ بأمدة). ثم عظم مكانة عبد الله المكفوف فقصده الطلاب من أنحاء إفريقية (تونس) ومن المغرب. وكانت وفاته سنة ٣٠٨ (٩٢٠ - ٩٢١ م).

كان عبد الله المكفوف قويّ الذاكرة جداً عالماً بغريب اللغة وبالنحو والشعر وأخبار العرب. وله كتاب «العروض» (وهو من أفضل ما وضع في هذا الفن) ثم كتاب آخر في «صفة أبي زيد الطائي» (ت ٦٢ هـ). وله أيضاً أشعار قصائد وأراجيز.

★★ الزبيدي ٢٥٧ - ٢٥٩؛ نكت الهميان ١٨٤ - ١٨٥؛ إنباه الرواة ٢: ١٤٧ - ١٤٩؛ بغية الوعاة ٢٩٠؛ البلغة في تاريخ أئمة اللغة ١١٢ - ١١٣.

أحمد بن إبراهيم اللؤلؤي

١ - هو أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن أبي عاصم اللؤلؤي، ولد في القيروان، سنة ٢٧٢ (٨٨٥ - ٨٨٦ م). وكان اللؤلؤي كثير الملازمة لأبي محمد المكفوف النحوي (ت ٣٠٨) كثير الأخذ عنه. مات كهلاً سنة ٣١٨ (٩٣٠ م).

٢ - كان اللؤلؤي من نحاة القيروان ومن العلماء النقّاد في اللغة والنحو والحفظ والمقدرة في شرح دواوين العرب. وكان شاعراً مجيداً سهل القول للشعر كثير الطبع على أشعار القدماء. ولم يمدح أحداً تكسباً، إذ كان أبوه مؤسراً (الوافي

بالوفيات ٦: ١٩٨). ثم إنه، في آخر عُمره، ترك الشعرَ وتوفّرَ على الحديث والفقه. وكان مؤلفاً له كتاب الضاد والظاء.

٣- مختارات من شعره:

- قال أحدُ بنِ إبراهيم اللؤلؤي في النسيب، وعلى شعره هذا نفحةٌ من نفس امرئ القيس:

أيا طللَ الحيّ الذي تحمّلوا بوادي الفضا، كيف الأجيّة والحال^(١)؟
وكيف قضيبُ البانِ والقمرُ الذي بوجنته ماء الملاحه سيال^(٢)؟
كأن لم تدُرْ ما بيننا ذهبيةٌ عبيريةُ الأنفاس عذراء سِلْسال^(٣)؛
ولم أتوسّدْ ناعماً بطنُ كفّه ولم يحو جسمينا مع الليل سربال^(٤).
فبانَتْ به عني- ولم أذرْ- بَغْتَةً طوارقُ هذا البين، والبينُ قتال^(٥).
فلما استقلّتْ ظعنُهم وحُدُوجُهم دَعَوْتُ، ودَمَعُ العين في الحَدَّ هَطال^(٦).
سُقِيتُ نَجِيعَ السّمِّ إن كان ذا الذي تحدّثه الواشون عني كما قالوا^(٧)!
- وله من النسيب الرقيق أيضاً:

لا تقتلِ الصبَّ فما حلَّ لك، يا مالكا أسرفَ في ما مَلَكَ!
٤- * * الزبيدي ٢٦٥-٢٦٦؛ إنباه الرواة ١: ٢٧-٢٨؛ الوافي بالوفيات ٦: ١٩٩؛
معجم الأدباء ٢: ٢١٨-٢٢٤؛ بغية الوعاة ١: ١٢٧؛ الأعلام للزركلي ١: ٨١ (٨٥).

- (١) الطلل: أثر الخيمة بعد تفويضها. تحمّلوا: رحلوا. وادي الفضا في الحجاز (وهو يستعمل رمزاً عن مسكن الأحيّة).
 - (٢) قضيب البان: كناية عن القامة الرشيقّة (المرأة الجميلة). وفي رواية: يختال مكان سيال.
 - (٣) ذهبية: خمر. عبيرية: طيبة الرائحة. عذراء (من وعاء للخمر فتح لأول مرّة). سلسل وسلسال: باردة سلسة الجري في الحلق.
 - (٤) سربال: كساء طويل (جمعنا الليل في لباس واحد: قريباً بعضنا من بعض).
 - (٥) بان: ابتعد. البين: البعاد. الطارقة: الحادث المفاجيء.
 - (٦) الظعن: الحمولة (الناقة) تسافر عليها امرأة. الحدج: (شبه بيت تحمله الإبل. استقلّ الظعن: رحلوا).
 - (٧) في الأصل: نجيع (دم) وهو خطأ. اقرأ: نقيع (ناقع، منقوع) مركز، شديد (سمّ قاتل بسرعة) وفي الوافي بالوفيات ٦: ١٩٩:
- حرمّت مناي منك إن كان ذا الذي تقولُــــه الواشون عني كما قالوا.
هذا البيت الأخير تضمنين للقاضي عبد الله بن محمد الحنجلي ابن أخت علويّه.

أبو الأصبع موسى بن محمد

١- هو أبو الأصبع موسى بن محمد بن سعيد بن موسى، لعل مولده كان نحو سنة ٢٥٠ (٨٦٤م). تولى أبو الأصبع خطه القطع (جباية الأموال من المقاطعات التي يستبد بها نفر متنفذون أو ثائرون) للأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥ - ٣٠٠ هـ) ثم تقلب في عدد من المناصب. ولما جاء الأمير عبد الرحمن بن محمد إلى العرش جعل أبا الأصبع وزيراً له. ثم ولّاه الحجابة، سنة ٣٠٩ (٩٢١م).

وكانت وفاة أبي الأصبع موسى بن محمد في منتصف صفر من سنة ٣٢٠ (٩٣٢/٣/٢٦م).
٢- أبو الأصبع موسى بن محمد من أهل العلم والأدب والشعر، يقول الشعر رويةً وبديهة. وكان حسن التحديث في الجِدِّ والهزل. وشعره كثير المعاني سهل عذب. وأبرز فنونه الأدب والوصف.

٣- مختارات من آثاره:

- جرى ذِكْرُ الشَّيْبِ وذَمُّهُ في مجلسٍ للأمير عبد الله - وكان يكره الشَّيْبَ - فسأل عن أحسن ما يُروى في هذا الباب، فقال له أبو الأصبع: أحسن ما قيل فيه عندي - في رأيي - قولُ الأوَّل [أي قول شاعر قديم]:

أقولُ لضيف الشَّيْبِ، إذ حلَّ مفرقي: نصيبُك مني جفوة وقُطوبُ.
حرامٌ علينا أن نَنالَكَ عندنا كرامةً يرُّ أو يمسَّكَ طيبُ!
فاستحسن الأمير عبد الله البيتين وأمر أبا الأصبع أن يزيدَ فيهما. فزاد عليهما أبو الأصبع في المجلس نفسه أبياتاً هي:

فيا شرَّ ضيفٍ حلَّ بي؛ وحلولُهُ يُخبرني أن الماتَ قريبُ،
وأنَّ جديدي كلَّ يومٍ إلى بلى وأنِّي من ثوب الشباب سليب^(١).
فما طيبُ عيش المرء إلا شبابه؛ وليس إذا ما بانَ عنه طيب.
سأقريكَ، يا ضيفَ المشيب، قري القلى فما لك عندي في سواه نصيب^(٢).

(١) البلى: التهرؤ، الفناء. سليب: مسلوب. ثوب سليب (ثوب خلعه صاحبه عنه).

(٢) القري (بكسر القاف): الضيافة. القلى: البغض. سأقريك (سأطعمك) قري القلى: لن أكرمك.

وأبكي على ما قد مضى من شبّيتي بكاءً مُحبّاً قد جفاه حبيب.

٤ - * * الحلة السراء ١: ٢٣٢ - ٢٣٧.

يزيدُ الفصيح

١ - هو أبو خالدٍ يزيدُ بنُ طَلْحَةَ العَبْسِيُّ المعروفُ بالفصيح من أهلِ إشبيلية، أخذَ عن الخَصِيبِ الكَلْبِيِّ اللُّغَوِيِّ وعن مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ السَّلامِ الحُسَيْنِيِّ (ت ٢٨٦) ومُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْغَازِي (ت ٢٩٦). وزادَ الفَرَضِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ العُتْبِيِّ وَيَحْيَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَرْزِينَ (رقم ١٦٠٨)؛ وذلك مُسْتَبَعْدٌ لِأَنَّ العُتْبِيَّ تُوُفِّيَ سَنَةَ ٢٥٥.

وكانَ ليزيدَ الفصيحِ إِبْرَاهِيمَ بْنَ حَجَّاجٍ اللَّخْمِيُّ المُسْتَبِدُّ بِحُكْمِ إشبيلية وقرْمُونَةَ صِلَّةً شَخْصِيَّةً (راجع الزبيدي ٢٩٤) ثمَّ صِلَةً رَسْمِيَّةً فِي الْأَغْلَبِ حَتَّى يَكْتُبَ كِتَابًا إِلَى أَهْلِ قَرْمُونَةَ (أو قَرْمُونِيَّة) يَحْضُهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ لِسُلْطَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَجَّاجِ. وكانت وفاةُ يزيدَ الفصيحِ سَنَةَ ٣٢٠ (٩٣٢ م).

٢ - كانَ يزيدُ الفصيحُ بارعاً في اللغة والنحو والفقه ومشهوراً بالفصاحة والبلاغة والخطابة. وله نثرٌ وشيءٌ من الشعر.

٣ - مختارات من آثاره

- قال يزيدُ بنُ طَلْحَةَ العَبْسِيُّ الفصيحُ:

إِنَّ الْعِلْمَ لَيْسَ مِنْ جِهَةِ الْمُغَالِبَةِ، وَلَكِنْ مِنْ جِهَةِ الْإِنْصَافِ وَالْحَقِيقَةِ.

- وكتبَ إِلَى أَهْلِ قَرْمُونَةَ (على لسانِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَجَّاجٍ!) يَحْضُهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ:

إِنَّ أَحَقَّ مَا رَجَعَ إِلَيْهِ الْغَالُونَ وَلَحِقَ بِهِ التَّالُونَ، وَآثَرُهُ الْمُؤْمِنُونَ وَتَعَاطَاهُ^(١) بَيْنَهُمُ الْمُسْلِمُونَ - مِمَّا سَلَّ وَسَرَّ وَنَفَعَ وَضَرَّ - مَا أَصْبَحَ بِهِ الشَّمْلُ مُلْتَثِمًا وَالْأَمْرُ مُنْتَظِمًا، وَالسَّيْفُ

(١) الغالون: المغالون، المتطرفون؛ والأغلب أن معناها هنا: السابقون (الذين قبلنا). التالون: الذين يأتون بعد غيرهم. آثره: فضله. تعاطاه المسلمون: تعاملوا به فيما بينهم.

مغمودٌ ورواقُ الأمنِ ممدودٌ^(١). وليس من ذلك شيءٌ أُولَى، بإحرازِ الثوابِ ولا أخرى، من الدخولِ في الطاعة وتَرْكِ السُّنُوذِ عن الأئمة^(٢). فإلى الله نَرْغَبُ المَعُونَةَ على أحسنِ بصائرنا في وَهْيِ يَرْقَعُهُ وَشَعْبٌ يَلَامُهُ وَسِلْكٌ يَنْظُمُهُ^(٣)، وَأَنْ يَجْعَلَ مَا حَضَضْنَاكُمْ عَلَيْهِ مِنْ اجْتِمَاعِ الْإِلْفِ والدُّخُولِ فِي الطَّاعَةِ آخْتِبَاراً! يَصِلُ مِنْهُ لَنَا (اقرأ: إلينا) خَيْرُ الدَّارَيْنِ^(٤) وَيُحْمَلُ عَنَّا فِيهِ حَقُّ الْخِلَافَةِ الْمَرْضِيَّةِ الَّتِي هِيَ مِنَ اللَّهِ صَلَاحٌ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ وَسُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ لِتَأْلِيفِ الشَّمْلِ وَحَقْنِ الدَّمَاءِ وَتَحْصِينِ الْفُرُوجِ والأَمْوَالِ^(٥).

- وله:

فَالْبَسَنِي قُمْصاً مِنَ الْفَضْلِ وَالنَّدَى وَأَلْبَسْتُهُ قُمْصَ الْبَدِيعِ مِنَ الشُّعْرِ^(٦);
رِيَاضاً وَحَلِيّاً لَا يَزَالُ لِبَاسُهُ مِنَ اللَّوْلُوَةِ الْمَكْنُونِ وَالسُّنْدُسِ الْخُضْرِ^(٧)
كَأَنَّ دَقِيقَ السِّحْرِ بَعْضُ نَشِيدِهَا وَلَكِنَّهَا دَقَّتْ فَجَلَّتْ عَنِ السِّحْرِ^(٨)
تَفَضَّلَ بِالْفَضْلِ الَّذِي هُوَ أَهْلُهُ وَأَذْرَكَ مَاءَ الْوَجْهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَجْرِيَ^(٩).

٤- ★ ★ الزبيدي ٢٩٤-٢٩٦؛ الفرضي رقم ١٦٠٨؛ بغية الوعاة ٤١٧؛ البلغة في تاريخ أئمة اللغة ٢٨٤-٢٨٥؛ الأعلام للزركلي ٩: ٣٢٧ (٨: ١٨٤).

- (١) والسيف مغمود (الواو هنا واو الحال). غمد السيف وأغمده فهو مغمود ومغمود: وضعه في قرابه.
- (٢) الأئمة: أولي الأمر (الحكام).
- (٢) فإلى الله نَرْغَبُ... (في الجملة اخلال: كلمات ناقصة). الوهي في الثوب: البقعة المهرثة. يرقعه (فاعلها: اسم الجلالة، الله). الشعب: الشق، الكسر. يلامه: يجمعه، يصلحه. السلك: الخيط تجمع به الخرز. ينظمه: يسلك به الخرز على نظام معين. الإلف: الأليف (الموافق في الشرب والسلوك) آخْتِبَاراً^(٤).
- (٤) الداران: الدنيا والآخرة.
- (٥) تحصين الفروج والأموال: حاية الأعراض والأموال.
- (٦) تَفَضَّلَ عَلَيَّ بِمَا لَفَافِعُهُ بَدَلَ ذَلِكَ شِعْراً جَمِلاً. هذا من قول أبي تمام: فَمَا فَاتَنِي مَا عِنْدَهُ مِنْ حَبَائِهِ وَلَا فَاتَهُ مِنْ فَاحِرِ الشَّعْرِ مَا عِنْدِي.
- (٧) السندس: نسيج رقيق من الديباج (الحريز). - ثياب (سندس) خضر.
- (٨) إنشاد هذه القصيدة يفعل فعل السحر الدقيق (الخفي، البارع). ولكن هذه القصيدة كانت أبرع من السحر فجَلَّتْ (عظمت وارتفعت) فأصبحت بذلك أبعد فعلاً من السحر.
- (٩) أعطاني على قدره هو (أي كثيراً) قبل أن يجري ماء وجهي: قبل أن أذل نفسي بسؤاله.

عصر الخلافة الأموية في قرطبة

كان الحُكْمُ الأمويُّ في الأندلس، منذ تولى عبدُ الرحمن الداخلُ الإمارةَ في قرطبة سنة ١٣٨ هـ (٧٥٦ م) إلى سقوط الخلافة الأموية سنة ٤٢٢ (١٠١٣ م)، مائتين وثلاثاً وثمانين سنة تنقسم أربع فتراتٍ ظاهرة:

فترة الأمراء المتوارثين (١٣٨ - ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م)

فترة ازدهار الخلافة (٣١٦ - ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م)

فترة استبداد المنصور بن أبي عامر (٣٦٦ - ٣٩٢ هـ / ١٠٠٢ م)

فترة الفتنة (٣٩٢ - ٤٢٢ هـ / ١٠٣٠ م)

تعاقب على العرش الأموي في الأندلس ثمانية أمراء من غير لقبٍ بالخلافة، في مدى مائة واثنين وسبعين سنة نبت الأمويون فيها دعائم ملكهم وبدأ في ملكهم هذا بروز حضارة جديدة في السياسة وفي الحياة الاجتماعية. وكانت هذه القوة الناشئة يُطل منها خطرٌ كبيرٌ على أوروبة. فأجتمع الإفرنجية والبابوية على أن يُثيروا في الأندلس « حركة الاستخفاف »، وذلك أن ينهض شخصٌ نصرانيّ (رجل أو امرأة، أو راهبٌ في كثير من الأحيان) في مجمع من الناس أو عند بابٍ لأحد المساجد فيشتُم محمدًا. ثارت هذه الحركة التي كان النصراني يُسمونها حركة الاستشهاد في أيام عبد الرحمن الأوسط ابن الحكم (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ). ولكن الخليفة والقضاة عالجوا هذه الحركة بحكمة فلم يحكموا بالقتل على أولئك المستخفين. فانتهدت تلك الحركة لأنها لم تُؤدَّ إلى نتيجة عملية من الفوضى والقتل.

ثم وُضع الإفرنج والبابوية في الساحة رجلاً نصرانياً يُسمي نفسه عمر بن حفصون

ويتظاهر بالإسلام فجمع حوله عدداً كبيراً من الناقمين وقاتل الدولة الأموية وكاد يَصِلُ إلى قرطبة نفسها. بدأت هذه الحركة في أيام محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨- ٢٧٣ هـ) ثم استمرت في أيام المنذر ثم في أيام عبد الله بن محمد (٢٧٥ - ٣٠٠ هـ). في هذه الحِقبة من الضَعْف والتنازع بين أمراء البيت الأموي رَجَعَ الأمير عبد الله إلى نفسه، ووجد أولاده غير صالحين لأن يَخْلِفوه، فعهد بالأمر بعده إلى حفيد له هو عبد الرحمن بن محمد (وكان الأمير عبد الله قد قتل ابنه محمداً هذا) وهياً له مُستشارين حازمين مُخلصين.

- وجاء عبد الرحمن بن محمد إلى العرش، سنة ٣٠٠ (٩١٢ م)، وعمره ثلاث وعِشرون سنة، فاستطاع في مدى ستِّ عشرة سنة أن يَقْضِيَ على ثورة المُسمَى عُمَرَ بن حفصون وأن يُعيد الأمن والنظام والهيبة إلى الأندلس. ثم رأى أن الخِلافة العباسية قد ضَعُفَتْ كثيراً في أيام المقتدر والمعتضد والمرضى والقاهر (٢٩٥ - ٣٢٠ هـ). بالتنازع على العرش. ثم التَفَتَ شِالاً فإذا أوروبا تُحْكَمُها - شكلاً على الأقل - بابوية في عصر كان للحُكم الدينيّ وجاهة في كلّ مكان. ففي أوّل ذي الحِجّة من سنة ٣١٦ (١٣ / ١ / ٩٢٩ م) نادى عبد الرحمن بنفسه خليفة وتلقّب «عبد الرحمن الناصر لدين الله»، فأصبحت إمارة الأمويين في قرطبة منذ ذلك اليوم خِلافة.

وفي أيام عبد الرحمن الناصر بلغت الأندلس ذروة القوّة والحضارة والوجاهة والسُلطة حتّى كادت تُكسِفُ نورَ بغدادَ وحتّى كان الأمراء الإسبان النصارى يحتكمون إليه في خِلافاتهم الداخلية (راجع، تحت: بناء الزهراء، ص ١٧٨).

- وتوفي عبد الرحمن الناصر، سنة ٣٥٠ (٩٦١ م)، بعد أن حكمَ خمسين سنة، فخلفه ابنه الحكم المستنصر، وكان رجلاً كثيرَ الاهتمام بالعلم والفلسفة جمعَ في بلاطه مكتبةً قيل إنّها ضَمَّتْ أربعين ألفَ مُجلّدٍ. ومع انصراف الحكم المستنصر عن شؤون الدولة فإنّ دولته عاشت قوّةً بفضل الهيبة التي كانت لها من أيام أبيه. ولكن ذلك كلّهُ فَسَحَ المجالَ لشيءٍ من الاضطراب في شؤون الدولة ولشيءٍ من الاستبداد يطمحُ إليه نفرٌ من رجالها ولشيءٍ من الجرأة، في الأعداء الداخليين والخارجيين، على

الثورة أو على الحرب.

كان للحكم المستنصر مخَظِيَّة بُسْكَنْسِيَّة اسمُها أورورا، وكان هو يُسمِّيها صُبْح (ترجمة كلمة «أورورا») ويناديها «جَعْفَرُ» تحبباً. وقد رُزِقَ (٣٦٠ هـ) منها غلاماً سمَّاه هِشاماً ثمَّ جعله (سنة ٣٦٥ هـ) ولياً للعهد.

رجال الدولة: غالب والمصحفي وابن أبي عامر

كان غالب بن عبد الرحمن الصَّقْلِيُّ قائداً قديراً مظهرًا حتى سُمِّيَ «ذا السيفين». وكان جعفر بن عثمان المصحفي كاتباً للحكم المستنصر (حينما كان الحكم لا يزال ولياً للعهد) ثم أصبح وزيراً له. وكان محمد بن أبي عامر شاباً ذكياً نشيطاً طموحاً أستطاع أن يدخل في خدمة الدولة باكراً وأن يتصل بالبلاط ثم يكون ناظراً على أملاك السيدة صُبْح.

هشام بن الحكم وبدء الفتنة

توفي الحكم المستنصر، سنة ٣٦٦ (٩٧٦ م) فخلفه ابنه هشام باسم هشام المؤيد، وكان لا يزال قاصراً قليل العلم والاهتمام بمعاينة أمور الدولة. اتخذ هشام المؤيد جعفر المصحفي حاجباً (رئيساً للوزارة) وجعل محمد بن أبي عامر وزيراً للمصحفي.

اتَّفَقَ أن هاجم الإِسبانيُّ الشَّالِيَّ الأندلس، فكان رأي غالب والمصحفي مفاوضة العدو لأن هزيمته في المعركة أمرٌ مُستَبَعِدٌ. أمَّا ابن أبي عامر فقد أكَّد أن العدو سينهزم في المعركة ثم اقترح أن يقود هو الجيش بنفسه. وكانت صبح الوصيَّة على ابنها تخاف أن يفقد ابنها عرشه فالت إلى رأي ابن أبي عامر. وشاء القدر أن ينتصر ابن أبي عامر على الإِسباني فعلت منزلته كثيراً وتدنّت منزلة غالب والمصحفي كثيراً (مع أن غالباً كان القائد الذي خاض المعركة فعلاً، ولكن الحملة كانت بقيادة ابن أبي عامر).

طمح ابن أبي عامر الآن إلى الاستبداد بالسلطة فحبَّب هشاماً وشغله بالترف واللَّهو ثمَّ نكَب المصحفي وغدرَ بغالب، في حديث طويل، فأصبحت الدولة كلها في

يَدِيهِ. عندئذٍ تسمى « المنصور بن أبي عامر » وبنى مدينة سمّاها الزاهرة (تقليداً للزهراء التي بناها عبد الرحمن الناصر) وأقام فيها بلاطاً وأصبح الحاكم الفعلي في الأندلس. وقد حارب المنصور بن أبي عامر الإسبان ووسّع رقعة الأندلس وقام بخمسين غزوة انتصر فيها كلها. وكانت وفاته سنة ٣٩٢ (١٠٠٢ م) في مدينة سالم وهو آيب من غزو بلاد الجلالقة.

خلفاء الفتنة

معنى الفتنة هنا تنازع الأحزاب المختلفة في قرطبة على الخلافة. وقد امتدت هذه الفتنة ثلاثين سنة، من وفاة المنصور ابن أبي عامر (٣٩٢ هـ) إلى سقوط الدولة الأموية في قرطبة (٤٢٢ هـ).

بعد المنصور بن أبي عامر تولّى الحجابة في الأندلس ابنه عبد الملك المظفر، وكان قديراً شجاعاً قريب الصفات من أبيه فاستمر في حجب هشام وفي الاستبداد في تسيير أمور الخلافة.

ولما توفي عبد الملك المظفر (٣٩٨ هـ) خلفه أخوه عبد الرحمن الملقب « شنجول »، أي شائجة الصغير (لأن أمه كانت حفيدة ملك بنبلونة الفرنجي). غير أن عبد الرحمن هذا كان ضعيفاً منصرفاً إلى ملذّاته فأنحدرت الأندلس في أيامه إلى الفتنة والفوضى. جاء عبد الرحمن شنجول وعلى عرش الأندلس هشام المؤيد (٣٦٦-٣٩٩ هـ) الذي كان المنصور بن أبي عامر قد حجبه واستبدّ بحكم البلاد مكانه. ثم طمع عبد الرحمن شنجول بالملك فأقنع هشاماً المؤيد بأن يجعله ولياً للعهد. ففاظّ ذلك بني مروان فعملوا على خلع هشام (جمادى الآخرة ٣٩٩) ثم نصبوا مكانه محمداً المهدي بن عبد الجبار الأموي. وبما أن محمداً المهدي كان يمثل « الحزب » الأموي العربي، فقد غَضِبَ البربر فهاجوا قرطبة وخلعوا محمداً المهدي ونصبوا مكانه سليمان المستعين بن الحكم بن سليمان (وهو أيضاً من البيت المرواني المالك) في ربيع الأول من سنة ٤٠٠. ولكن المروانيين أعادوا محمداً المهدي في شوال من سنة ٤٠٠؛ وبعد شهرين استطاع أنصار هشام المؤيد أن يخلعوا محمداً المهدي ثانية وأن يعيدوا هشاماً إلى العرش.

وبعد ثلاث سنوات، في شوال من سنة ٤٠٣ (١٠١٣ م)، اقتحم البربر قرطبة ونصبوا خليفتهم سليمان المستعين على عرش الخلافة مرة ثانية. وبعد أن سالت الدماء في قرطبة أنهاراً أمر سليمان المستعين بقتل هشام المؤيد. وعاش سليمان في خلافته الجديدة ثلاث سنوات وثلاثة أشهر. ثم إن البربر تخلّوا عن سليمان المستعين والتفّوا حول رجلٍ منهم هو علي بن حمود وجعلوه خليفةً وسَمّوه الناصر لدين الله. ولكن العرب عادوا فقتلوا علي بن حمود وردّوا إلى العرش المقلقل رجلاً مروانياً هو عبد الرحمن المرتضى بن محمد، في رمضان ٤٠٨ (١٠١٨ م). وبعد شهرين فقط جاء القاسم ابن حمود إلى عرش قرطبة، ثم خلفه، بعد أربع سنوات ابن أخيه يحيى بن حمود، ثم عاد القاسم ثانية إلى العرش. ثم عاد الأمر في قرطبة إلى العرب فجاء إلى عرش الخلافة المتزعزع عبد الرحمن المستظهر بن هشام؛ ثم بعد شهرين جاء محمد المستنفي. وقد كانت ابنته ولادة أشهر منه في تاريخ السياسة وتاريخ الأدب. ثم عاد البربر يحيى بن علي بن حمود؛ ثم أعاد العرب رجلاً مروانياً إلى الخلافة هو هشام المعتد بن عبد الرحمن المرتضى فحكم حكماً مُعتلاً أربع سنوات انتهت بقتله، سنة ٤٢٢ (١٠٣١ م). وبسقوط الدولة الأموية في قرطبة.

الدولة الفاطمية

ينتسب الفاطميون إلى فاطمة الزهراء بنت محمد رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) وزوج علي بن أبي طالب (كرّم الله وجهه). وربّما قيل: العبيديون والدولة العبيدية (نسبة إلى عبيد الله المهدي أول أئمتهم - خلفائهم - في المغرب).

الشيعة - الفاطميون: الاسماعيليون

الشيعة هم القائلون بأن الإمامة (الخلافة) تكون بالنص والتعيين لأنها من أمور الدين (العقيدة) التي لا يجوز أن تُترك إلى نظر الناس، وأن الرسول صلى الله عليه وسلّم قد أسرّ إلى علي بن أبي طالب بأن الخلافة ستكون فيه وفي نسله. ثم إن الأئمة الشيعة (منذ علي) كانوا يُوصي بعضهم إلى بعض. وهذا خلاف رأي أهل السنة

والجماعة الذين يَرَوْنَ أن الخلافة أمر دُنْيَوِيٌّ وأن الأُمَّة تختار من تشاء خليفة بالانتخاب.

والشيعة فرقان كبيران: آلَ اثنا عشرية أو الإمامية الذين يُعَدُّون اثني عشر إماماً، ابتداءً بعليّ بن أبي طالب، هم: عليّ- الحسن- الحسين بن عليّ- عليّ زين العابدين- محمد الباقر- جعفر الصادق- موسى الكاظم- عليّ الرضا- محمد الجواد- عليّ الهادي- الحسن العسكري- محمد المهدي المنتظر (الذي غاب وسيُرجع). ثم هنالك السبعية أو الاسماعيلية الذين يَقِفُونَ عند سبعة أئمة ظاهرين آخرهم إسماعيل بن جعفر الصادق (ولا يأخذون بأخيه موسى الكاظم).

والشيعة الإمامية- في النظر إلى القرآن الكريم- من أهل الظاهر مع تأويل الآيات عند الحاجة على مقتضى قوانين البلاغة وقواعد اللغة العربية، فهم في ذلك كأهل السنة والجماعة.

أما الشيعة السبعية أو الإسماعيلية فهم، بخلاف أهل السنة والجماعة وبخلاف الشيعة الإمامية، من أهل الباطن يعتقدون أن آيات القرآن ظاهراً وباطناً، ثم لهم في ذلك تأويلات باطنية تخرج بالقائل بها عن الإسلام جملة. هذا الفرق من الشيعة هو الذي يُسمّى أصحابه أنفسهم « فاطميين »، وهم أهل الدولة الفاطمية.

ويرى الفاطميون أن جعفر الصادق أعلن أن ابنه إسماعيل قد مات ثم ستره خوفاً عليه من الأمويين. ثم يأتي في سلسلة نسل إسماعيل، عند الفاطميين: محمد المكتوم فجعفر المصدق فمحمد الحبيب فعبيد الله المهدي. وليس لهذه السلسلة من النسب سند من التاريخ المعروف.

وبدأ الفاطميون دعوة سرية في مدينة سلمية، شرق حِمْص (في الشام) ثم انتقلوا بها إلى المغرب.

في أواخر القرن الثالث للهجرة جاء أبو عبد الله الصنعائي الشيعي إلى المغرب داعياً إلى الرضا من آل محمد ثم تألف أقساماً من البربر واستطاع أن يتغلب على

الأغالبة، سنة ٢٩٦ (٩٠٩ م) في معركة الأربس، إلى الشمال الغربي من القيروان قريباً من حدود الجزائر اليوم. ثم إنه دخل القيروان وأخذ البيعة فيها لعبيد الله المهديّ الفاطميّ (مع أن نقرأ من المؤرخين لا يرون نسب عبيد الله هذا صحيحاً في أولاد فاطمة). وبما أن أهل القيروان كانوا كلهم من السنة فقد انتقل عبيد الله إلى نقطة من منتصف الساحل الشرقيّ (من القطر التونسي اليوم) وبنى فيها مدينة المهديّة واتخذها عاصمة.

وبعد عبيد الله المهديّ جاء ابنه القائم (٣٢٢ - ٣٣٤ هـ) ثم إسماعيل المنصور ثم أبو تميم معدّ المعزّ لدين الله (٣٤١ - ٣٦٥ هـ) فاتسعت مملكته من البحر المحيط إلى برقة (على حدود مصر). وفي سنة ٣٥٨ (٩٦٩ م) وجه المعزّ قائده جوهراً الصقليّ إلى مصر فانتزعها من يد الإخشيديين، ثم فتح الرملة (في فلسطين) ودمشق في العام التالي. وفي رمضان من سنة ٣٦٢ (٩٧٤ م) بنى جوهراً الصقليّ مدينة القاهرة فانتقل إليها المعزّ لدين الله، كما بنى الجامع الأزهر (نسبة إلى فاطمة الزهراء: البيضاء). ومن ذلك الحين أصبحت القاهرة عاصمة للدولة الفاطمية.

ولما انتقل المعزّ من المغرب عهد بخلافته هنالك إلى بلقين بن زيري. وجاء بعد بلقين ابنه المنصور (٣٧٣ - ٣٨٦ هـ) ثم جاء أبو مناد باديس بن المنصور فاستبشرت الحضارة، وفي أيامه بلغت إفريقية ذروة عالية من القوة والثروة. وبعد باديس جاء ابنه المعزّ (٤٠٦ - ٤٥٣ هـ). وقد سقطت الخلافة الأموية في قرطبة قبل أن يخلع المعزّ بن باديس طاعة الفاطميين وقبل أن تثور نقمة العامة على الشيعة في القيروان.

أما في المغرب فقد انتهت دولة الإدارة سنة ٣١٣ هـ وخلفتها دولة آل أبي العافية المكناسيين الخوارج، وكان أولهم موسى بن أبي العافية (٣٠٥ - ٣٤١ هـ) فخلع طاعة الفاطميين ومال إلى بني مروان في الأندلس.

وأما في ريف المغرب فقامت دولة الإدارة الثانية فكان أول حكامها القاسم كنون (٣٢١ - ٣٣٧ هـ) ثم جاء ابنه أبو العيش أحمد ثم ابنه الآخر الحسن بن كنون (٣٤٣ - ٣٧٥ هـ). ومال الحسن بن كنون إلى طاعة الفاطميين لأن جوهراً الصقليّ

كان قادماً على رأس جيشٍ لإعادة سُلطة الفاطميين إلى المغرب. ثمّ لما زال خطرُ ذلك انقلب الحسنُ بن كُتُون إلى صَدَاقَةِ المروانيين في الأندلس من جديد.

بهذا تكونُ الدولة الفاطمية التي قامت سنة ٢٩٦ (٩٠٩ م) قد حلّت في المغرب محلّ الدولة الأغلبية بالقيروان (١٨٤ - ٢٩١ هـ) والدولة الرستمية بتاهرت (١٦٠ - ٢٩٦ هـ) ومحلّ أمراء نفوسة - بجبل نفوسة إلى الجنوب الغربي من ليبيا اليوم (١٤٠ - ٣١٠ هـ) ومحلّ دولة الأدارسة بفاس (١٧٢ - ٣٤٣ هـ) وبنو مدرار؟ بسجلماسة (١٥٥ - ٣٥٢ هـ) ثم - في سنة ٢٩٦ - محلّ الأغلبة في صقلية (٢١٢ - ٢٩٠ هـ)، كما استولوا على الجزر الثلاث مالطة وسردانية وكورسيكة. ثم حلّ الفاطميون أيضاً، سنة ٣٥٨ (٩٦٩ م) في مصر محلّ الدولة الإخشيدية.

الفاطيّون في المغرب وصقلية

وقد عاشت الدولة الفاطمية في المغرب مُنافِسةً لدولة بني أمية في الأندلس، ولكن لم تنجح لها دعوةٌ في الأندلس. غيرَ أن المغرب قد عانى من حكم الفاطميين شدائدٌ كثيرة، إذ عمد الفاطميون إلى فرض آرائهم السياسية ومذهبهم الفقهي بالحسنى وبالْقَهْر وكانوا يحاولون القضاء على المذهب المالكي وهو المذهب السائد في أقطار المغرب وفي الأندلس أيضاً. وحاول الفاطميون أن ينشروا مذهبهم في صقلية أيضاً وفي طرابلس (ليبيا اليوم).

لم يَرْضَ المسلمون في صقلية بحكم الفاطميين الجديد، لا لأنّ الفاطميين كانوا شيعة أعداء لبني العبّاس في بغداد فقط، وهوى الصقليين كان مع بني العبّاس فحسب، بل لأنّ الولاة الفاطميين على صقلية أيضاً كانوا قُساة ظالمين غادرين فاستمرتِ الفتنُ والقلاقلُ في صقلية على الفاطميين وولائهم نحوَ جيلٍ من الدهر (٢٩٦ - ٣٣٧ هـ). ولقد فعلَ ولاةُ الفاطميين في صقلية من المظالم ما حمَلَ الناسَ على أن يستنجدوا بالروم على إزالة الحكم الفاطمي! لقد حاولوا ذلك مراراً!

ولكن التاريخ جرى مجرى أحسن عدلّ.

في سنة ٣٣٦ هـ (٩٤٧ - ٩٤٨ م) أرسل الفاطميون إلى صقلية والياً هو الحسن بن

عليّ بن أبي الحسين الكلّبي. ومع أنّ الحسنَ هذا كان والياً للفاطميّين ومن أشياعهم، ومع أنّه سار في أوّل أمره بالعرف والظلم، فإنّه أرغوى بعد قليل عن ظلمه ومال إلى أن يستقلّ بصقلية عن السلطة الفاطمية مع الإبقاء على السيادة الاسمية على صقلية للفاطميّين. وهكذا ظلّت صقلية تابعة للعبيديّين (الفاطميّين في القيروان) ثم بقيت على ذلك الولاء الاسميّ لهم لما انتقلوا من القيروان إلى القاهرة، سنة ٣٥٨ هـ. والقهاء المالكية قاوموا إرادة العبيديّين. ولم ينشأ اتجاه فقهي في صقلية إلا في أواخر القرن الرابع. في ذلك الحين (وبعد أن نقل الفاطميون دولتهم إلى مصر) بدأ نفر من الذين كانوا يميلون إلى المذهب الفاطميّ (بعوامل مختلفة) يجدون شيئاً من الصعوبة في البقاء في القيروان (بين كثرة من أتباع المذهب المالكي) فهاجروا إلى صقلية علّهم يجدون تلك الجزيرة أرحب لهم. ولكن ذلك لم يزد على أن هيأ الجو لشيء من الجدال بين نفر من رجال المذهبين برغم ميل الولاة الفاطميّين في صقلية إلى المتقرّبين إليهم بنصرة المذهب الفاطمي.

ونحن لا نكاد نعرف شيئاً ذا أثر من التراث العلمي أو العقلي أو الأدبي في صقلية، في أيام حكم العبيديّين - ذلك الحكم الذي امتدّ في صقلية إلى سنة ٣٣٧ (٩٤٨ م) وقام مقامه حكم الأمراء الكلبيين.

المغرب الأوسط (الجزائر)

لما قامت الدولة العبيدية (الفاطمية) في المغرب خضع لها القطر الجزائري أيضاً. ولكن سرعان ما ثار أهل المغرب الأوسط على العبيديّين وقتلوا ابن حبّوس عامل تاهرت الفاطميّ (٣١٢ = ٩٢٥ م) ثم استمرّ القتال بين زناتة وأحلافها من قبائل كتامة وصنهاجة وبين الشيعة خمسين عاماً. ونجحت الدعوة الأموية في القطر الجزائري أيضاً فثار أبو يزيد مغلّد بن كيداد الخارجي المعروف بلقب صاحب الحمار (٣٣٢ = ٩٤٣ م) على الفاطميّين فانضمّ إليه جماعات من خوارج زناتة ومن أهل السنة فاستولى أبو يزيد على كثير من بلدان القطر الجزائري. ومع أن الفاطميّين

تغلّبوا على أبي يزيد وأتباعه وقتلوه، سنة ٣٣٦ هـ، فإنّ الثورة على الفاطميين في الجزائر ظلّت ناشطة. وكان الثائرون على الفاطميين - في هذه الحقبة يدعون^(١) لعبد الرحمن الناصر الخليفة الأمويّ في الأندلس. غير أنّ هذا لم يَمْنَع - مع الأسف - من تنازع القبائل البربرية في المغرب الأوسط خاصّة.

في ليبيا

كانت ليبيا في أيّام الفاطميين في المغرب تابعة للفاطميين، فلما انتقل المعزّ الفاطميّ إلى مصر عهد إلى بُلْكَيْن بن زيري بالإشراف على ليبيا كلّها ما عدا منطقة طرابلس وما حولها (سرّة وأجدابية) فإنّ المعزّ جعلها تابعة له مباشرة. ويحسّن أن نعلم أن ليبيا تقسّمت في ذلك الحين بين حُكّام محليّين: استقلّ بنو خطّاب في زويلة (٣٦٠ هـ)، كما استقلّت منطقة فزان. وكذلك استقلّ الإباضيّة (وهم فرقة معتدلة من الخوارج) في جبل نفوسة.

وحاول باديس بن المنصور بن زيري (٣٨٦ - ٤٠٦ هـ) أن يمدّد سلطته إلى برقة (شرقيّ ليبيا)، ولكنّ الفاطميين هزموه. وفي سنة ٣٩٦ كانت حركة أبي ركوّة: في سنة ٣٩٥ جاء من الأندلس رجلٌ اسمه الوليد بن هشام من نسل بني أمية ودعا إلى نفسه فبايعه جماعات من البربر من لواتة وزناتة وبني قرّة ثم قوي أمره في برقة وحكمها سنة كاملة (٣٩٦ هـ). ولكنّ الحاكم بأمر الله الفاطمي تغلّب عليه وقتله. غير أن أمر برقة لم يستقرّ للفاطميين، فإنّ بني قرّة ظلّوا لا يخضعون لسلطان الفاطميين.

وفي مطلع القرن الخامس كانت طرابلس (ليبيا) متنازعة بين العبيديّين الفاطميين في القاهرة وبين الصنهاجيين المالكيّين (خصوم الفاطميين) في القيروان. وكان الولاة المحليون ينتقلون بولائهم من هؤلاء إلى أولئك ومن أولئك إلى هؤلاء،

(١) يدعون لعبد الرحمن الناصر: يذكرون اسمه على المنبر في خطبة الجمعة: اقراراً له بالسلطة السياسية أو الرئاسة الدينية على الأقل.

بِحَسَبِ مَصَالِحِهِمُ الْآنِيَةِ. وَكَثِيرًا مَا كَانَ الْإِتِّقَالُ بَيْنَ الْوَلَائِينَ يُرَافِقُهُ اقْتِتَالٌ يَهْلِكُ فِي أَثْنَائِهِ جُوعٌ غَفِيرٌ.

وَقَبْلَ أَنْ يَنْقُضِيَ قَرْنٌ وَاحِدٌ مِنَ الزَّمَنِ عَلَى الْحُكْمِ الْفَاطِمِيِّ فِي الْمَغْرِبِ، كَادَ الْمَذْهَبُ الْمَالِكِيُّ يَنْدَثِرُ فِي لِيْبِيَا، فَقَدْ كَانَ وَلَاءُ الْفَاطِمِيِّينَ قَدْ حَظَرُوا كُلَّ شَيْءٍ (فِي الْحَيَاةِ الدِّينِيَّةِ) غَيْرَ مَذْهَبِ أَسْيَادِهِمْ حَتَّى صَلَاةِ الضُّحَى وَصَلَاةِ التَّرَاوِيحِ^(١) - ذَانِكَ مَظْهَرَانِ عَادِيَانِ، وَلَكِنَّهَا شَدِيدَا الدَّلَالَةِ عَلَى اتِّجَاهِ الْفَاطِمِيِّينَ فِي الْحُكْمِ.

وَلَقَدْ تَصَدَّى أَبُو الْحَسَنِ النَّمَرُ (٣٤٨ - ٤٣٢ هـ) - تَلْمِيزُ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ الْقَيْرَوَانِيِّ (ت ٣٨٦ هـ) لِلتَّيَّارِ الْفَاطِمِيِّ عَامِلًا عَلَى رَدِّ الْمَذْهَبِ الْمَالِكِيِّ إِلَى مَكَانَتِهِ (فِي طَرَابُلُسَ - لِيْبِيَا). وَبَعْدَ صِرَاعٍ طَوِيلٍ فِي مَيْدَانِ الثَّقَافَةِ وَالسِّيَاسَةِ أُسِرَ وَنُفِيَ. وَلَكِنْ كَفَّاحُهُ لَمْ يَذْهَبْ سُدًى^(٢).

السودان المغربي (أو الغربي)

السودانُ فِي عُرْفِ الْمُؤَرِّخِينَ وَالْجُغْرَافِيِّينَ الْعَرَبِ هُوَ الْإِقْلِيمُ الْأَوَّلُ (الْمِنْطَقَةُ الْأُولَى) شَمَالُ خَطِّ الْإِسْتَوَاءِ (لَأَنَّ الْقَدَمَةَ اعْتَقَدُوا أَنَّ مَا يَقَعُ جَنُوبَ خَطِّ الْإِسْتَوَاءِ غَيْرُ مَسْكُونٍ - وَلَا يَصْلُحُ لِلْمَسْكَنِ). فَالسُّودَانُ إِذَنْ، بِهَذَا النِّظَرِ، اسْمٌ يَشْمَلُ الْبِلَادَ الْمُتَمَدِّدَةَ فِي أَوَاسِطِ قَارَةِ إِفْرِيقِيَّةٍ، مِنَ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ شَرْقًا إِلَى الْبَحْرِ الْأَخْضَرِ (الْمُحِيطِ الْأَطْلَسِيِّ) غَرْبًا. هَذِهِ الْبِلَادُ كُلُّهَا كَثِيرَةُ الْحَرِّ كَثِيرَةُ الْمِيَاهِ (بِرُغْمِ بَقَاعٍ مِنَ الصَّحَارَى) وَفِيهَا نَهْرَانِ عَظِيمَانِ سَمَّاهُمَا ابْنُ خُلْدُونٍ (الْمُقَدِّمَةُ - بِيْرُوتُ: دَارُ الْكِتَابِ اللَّبْنَانِيِّ، ص ٩٢ - ٩٤) «نَهْرُ النَّيْلِ». يَعْتَقِدُ ابْنُ خُلْدُونٍ أَنَّ هُنَالِكَ نَهْرًا كَبِيرًا يَنْبُعُ مِنْ جِبَالِ الْقَمَرِ (بِفَتْحِ الْقَافِ أَوْ بضمّها) وَرَاءَ (جَنُوبَ) خَطِّ الْإِسْتَوَاءِ. هَذَا النَّهْرُ هُوَ نَهْرُ النَّيْلِ.

(١) صَلَاةُ الضُّحَى رَكَعَاتُ (أَقْلَهَا اثْنَتَانِ) يَتَطَوَّعُ الْمُسْلِمُ بِهَا كُلَّ يَوْمٍ بَعْدَ أَنْ تَعْلُو الشَّمْسُ مَقْدَارَ رَمَحٍ فِي رَأْيِ الْعَيْنِ. وَالتَّرَاوِيحُ رَكَعَاتُ وَتَرٍ (ثَلَاثُ، خَمْسُ، ... تِسْعُ، وَاحِدَةٌ وَعِشْرُونَ، الْخ) تَعْلَى فِي رَمَضَانَ بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ (وَتَكُونُ صَلَاةُ الْعِشَاءِ بَعْدَ اخْتِفَاءِ الشَّمْسِ - الضُّوءِ الْأَحْمَرِ الَّذِي يَبْدُو عَلَى الْأَفْقِ الْغَرْبِيِّ بَعْدَ غِيَابِ الشَّمْسِ - بَعْدَ نَحْوِ سَاعَةٍ وَنِصْفِ سَاعَةٍ مِنْ غِيَابِ الشَّمْسِ).

(٢) رَاجِعْ «أَعْلَامَ مِنْ طَرَابُلُسَ»، تَأْلِيفُ عَلِيِّ مَصْطَفَى الْمَصْرَاقِيِّ، ص ٣٥ وَمَا بَعْدَ.

ثم إنَّ هذا النهر ينقسم فرعين: يمرُّ فرعٌ منه شمالاً حتَّى يصبَّ في البحر الأبيض المتوسط (وهذا نيلُ مِصرَ)، كما يَغطُّ الفرعُ الثاني منه غرباً حتَّى يصبَّ في البحر المحيط (المحيط الأطلسي)، وهذا الفرع - عند ابنِ خلدون - هو نيل السودان أو نهر السودان.

بعد هذه الصورة الخاطئة يحسُن أن نقول:

السودانُ المغربيُّ (أو السودان الغربي أو بلادُ السودان) هو البقعة الواسعة التي يقع فيها حَوْضُ نهر صِنهاجة (السنغال) وحوضُ نهر السودان (النيجر) أو ما يُعرَف اليومَ باسم «غربيِّ قارةِ إفريقيا» (جنوبَ الجزائر والمغرب).

إنَّ الفتحَ الإسلاميَّ للمَغْرِب وللأندلس فتحَ أبوابَ السودانِ المَغْرِبِيِّ لدُخول الإسلام. ففي سَنَةِ ١١٦ (٧٣٤ م) غزا عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ أَبِي عُبَيْدَةَ الْفَهْرِيُّ أرضَ السُّوس (جِبَالَ المغربِ الجنوبيَّة) وبلادَ السودان. ولكنَّ الإسلامَ لم يدخلْ إلى السودانِ بالحرب، بل من طريقِ التجارة حيناً ومن طريقِ الدُّعاة حيناً آخرَ. ومعَ أنَّ انتشارَ الإسلام أخذَ في الاتِّساع، في تلكِ البلادِ، منذ القرنِ الرابعِ (العاشر للميلاد)، فإنَّ تعريبَ السودانِ المَغْرِبِيِّ لم يَتِمَّ باكراً ولم يستقرَّ كثيراً، فلا نَجِدُ - من أجلِ ذلك - في تلكِ الحِقْبَةِ أدبُهُ كتبوا باللغة العربية، وإن كُنَّا (مُنْذُ ذلكَ الحينِ) نَجِدُ علَمَهُ اهتموا بالفقه حاجة الناس إلى الفقه في عباداتهم وفي معاملاتهم التجارية والاجتماعية أيضاً.

صَقْلِيَّة

صَقْلِيَّةُ (القاموس المحيط ٤ : ٣) جزيرةٌ كبيرةٌ مُصَاقِبَةٌ لِلطَّرَفِ الجنوبيِّ من البرِّ الطويل (شبه جزيرة إيطاليا) أهلُها مزيجٌ من شعوبٍ قديمة. ثم نَزَلَ فيها الكَنْعانيُّون (الفينيقيُّون) ثم استعمرَها الإغريق (اليونان القدماء) وحكموها. وعظُمَ النِّزاعُ عليها مدَّةً بينَ الإغريق والقرطاجيين (أحفادِ الكنعانيين في قرطاجنة - تونس) ثم بين الرومان والقرطاجيين. وفي القرنِ الخامسِ للميلاد - في أثناء هِجرات البرابرة وأنسياحهم في أوروبا - نَزَلَ فيها الفاندالُ والقوطُ الشرقيُّون. ثم آسَرَدَهَا الرومُ

(اليونان المتأخرون: البيزنطيون) عام ٥٣٥ م (٨٧ قَبْلَ الهِجْرَةِ).
بدأ العربُ غَزَوْ صِقْلِيَّةَ منذَ أَيَّامِ مُعاويةَ (٤٠ - ٦٠ هـ) ولكن لم يَتِمَّ لهم اِستقرارُ
في أرضها.

وَأَنَّتِ صِقْلِيَّةُ من الحُكْمِ الرومي طويلاً - خِلالَ ثلاثةِ قرونٍ مُتواليةٍ - كما كانت
تَتَنَّ جميعُ البلادِ الروميةِ وجميعُ البلادِ التي كانت خاضعةً للروم. في هذه الأثناء
أَمَحَّتِ المظاهرُ العمرانيةُ والحضاريةُ في صِقْلِيَّةَ وتضاءلَ فيها عددُ السَّكَّانِ. وأشدَّتْ
سوءُ الأحوالِ السياسيةِ واقتصاديَةِ فثَارَ فيها رجلٌ شريفٌ من أهلها، ومن أصلٍ
روميٍّ، اسمُهُ فيمي (أوفيمْيوس) على قُسطنطينِ بِطريق (قائد) صِقْلِيَّةَ وحاكمِها من
قَبْلِ ملكِ الروم ميخائيل الثاني الأُلُتَغ (٨٢٠ - ٨٢٩ م) وحكَمَ الجزيرةَ ثم استنَجَدَ
بزيادةِ الله بن إبراهيم بن الأُغلب (٢٠١ - ٢٢٣ هـ). وفي النِصفِ من ربيعِ الأولِ من
سَنَةِ ٢١٢ (مطلعُ الصيفِ من عام ٨٢٧ م) أُرسلَ زيادةُ الله أسطولاً إلى صِقْلِيَّةَ بقيادة
القاضي أسدِ بنِ الفُراتِ (١٤٢ - ٢١٣ هـ)، يُساندهُ أسطولٌ فيمي، ففتحَ مازَرَ (عند
الطرفِ الجنوبي الغربي) ثم انتقلَ إلى سَرَقُوسَةَ (عند الطرفِ الجنوبي الشرقي) - وهي
عاصمةُ الجزيرة - فَجَرَّتْ عِندَهَا مَعْرَكَةً عَظِيمَةً قُتِلَ فيها فيمي. ثم تُوَفِّيَ أسدُ بنُ
الفُراتِ في أَثناءِ حصارِ سَرَقُوسَةَ، سَنَةَ ٢١٣ هـ، من جِراحٍ أصابَتْهُ. وفي سنة
٢١٦ هـ فَتَحَ المسلمون بَلَرَمَ (على الشاطئِ الشمالي من الجزيرة).

وطالَ حِصارُ سَرَقُوسَةَ خَمْسِينَ سَنَةً واستمرَّتِ الحَمَلاتُ على صِقْلِيَّةَ حتَّى فَتَحَ
المسلمون سَرَقُوسَةَ سَنَةَ ٢٦٥ هـ (٨٧٨ م). ولكنَّ الاستيلاءَ على الجزيرةِ كُلِّها لم يَتِمَّ إلَّا
في سَنَةِ ٢٩٦ هـ (٩٠٨ م)، في العام الذي انقَضَتْ فيه دولَةُ بني الأُغلب وقامت فيه
الدولةُ الفاطميةُ في المَغْرِبِ.

العمران:

إِنَّ السِّلْمَ والأَمْنَ يُنتِجُ منها اِستقرارٌ وأطمِئنانٌ فَتَتَسَّعُ الحِياةُ الاقتصاديةُ
ويستبجِرُ العُمَرائُ، كما يقولُ ابنُ خَلْدُون. ويكفي في احتِلاءِ صورةِ العُمَرائِ في

أيام عبد الرحمن الناصر في الأندلس أن نُشير إلى « الزهراء »، وهي المقر الرسمي الجديد الذي بناه عبدُ الرحمن الناصر إلى الشمال الغربي من العاصمة قرطبة على جبل العروس (ويقال له اليوم بالإسبانية: سيارا مورانا - بالألف الأولى والألف الثالثة مالتين) مُطلّة على نهر الوادي الكبير.

وإذا نحن قلنا: « الزهراء » فيحسُن أن نفهمها على ثلاثة أوجه: الجامع والقصر والمدينة. أمّا الجامع فقد عمل في بنائه من حُذاق الفعلة كلَّ يوم ألف نسمة منهم ثلاثمائة بَنَكٍ ومائتا نَجَّارٍ وخسمائة من الأجرء وسائر (أرباب) الصنائع. فاستتم بناؤه وإتقانه في مُدّة ثمانية وأربعين يوماً.... وطول المسجد أجمع من القبلة إلى الجوف^(١) - سوى المحراب - سبعة وتسعون ذراعاً، وعرضه من الشرق إلى الغرب تسعة وخسون ذراعاً. وطول صومعته (مئذنته) في الهواء أربعون ذراعاً وعرضها عشرة أذرع في مثلها (نفع الطيب ١ : ٥٦٤). وكان الفراغ من بنائه في الثاني والعشرين من شعبان من سنة ٣٢٩.

وأما القصر فقد « أطبق الناس على أنه لم يُبنَ مثله في الإسلام البتّة. وما دخل إليه قطُّ أحدٌ من سائر البلاد النائية والنحل المختلفة من ملكٍ وإرِدٍ ورسولٍ وافِدٍ وتاجرٍ جهنْدٍ - وفي هذه الطبقات من الناس تكون المعرفة والفطنة - إلا قطع أنه لم يرَ له شَبهاً، بل لم يَسْمَعْ به، بل لم يَتَوَهَّم مثله..... ولو لم يكن فيه إلا السطح^(٢) الممرّد^(٣) المُشْرِف على الروضة المباهي بمجلس الذهب والقبّة وعجيب ما تضمّنه من إتقان الصنعة وفخامة الهمة وحسن المُستَشْرِف^(٤) وبراعة الملبس والحلّة - ما بين مرمري

(١) القبلة (بكسر القاف) هي السمّت الذي يتّجه فيه المصلّي المسلم نحو مكّة. والقبلة في الأندلس هي نحو الشرق الجنوبي. أمّا الجوف فهو الوسط من الأندلس.

(٢) يقصد: « السقف ».

(٣) الممرّد: الذي فيه طول (واتّساع) مع ملاسة.

(٤) فخامة الهمة (؟): علو همة بانيه. المستشرف: المنظر من مكان عال.

مسنونٍ وذَهبٍ مَوضونٍ^(١) وَعَمَدٍ كَانَتْ أفرِغَتْ في القوالبِ^(٢) ونقوشٍ كالرياضِ وبرَكٍ عَظيمةٍ مُحَكَّمةٍ الصَّنعةِ وحِياضٍ ومَناثيلٍ عَجيبَةٍ الأَشخاصِ لا تَهتدي الأوهامِ إلى سَبيلِ استقصاءِ التَعبيرِ عنها- «لَکَفاه فخرًا». (نفع الطيب ١: ٥٦٥-٥٦٦).

وكان عبدُ الرحمنِ الناصرُ قد أتمَّ، في أوائلِ سَنَةِ ٣٢٩ هـ، «بُنيانَ القنَاةِ الغَريبةِ الصَّنعةِ التي جَريَ فيها المَاءُ العَذْبُ من جَبَلِ قُرطَبَةٍ إلى قَصرِ الناعورةِ غَربَ قُرطَبَةٍ في المَناهرِ المَهندسةِ وعلى الحَنايا المَعمودةِ»^(٣)، يَجرِي ماؤها بتَدييرِ وصَنعةٍ مُحَكَّمةٍ إلى بَركةٍ عَظيمةٍ عليها أَسَدٌ عَظِيمُ الصُورةِ بَدِيعُ الصَّنعةِ شَديدُ الرُوعةِ... مَظَلِّيٌّ بَذهَبٍ إبريزٍ^(٤) وَعَيناهِ جَوهرَتانِ لَها ومِيزٌ شَديدٌ، يَجرِي المَاءُ إلى عَجَزٍ هَذا الأَسَدِ فَيَمُجُّهُ^(٥) في تَلكَ البَركةِ من فيه. فَيُبَهرُ الناظرُ بِجُسنِهِ ورُوعَةِ مَنظرِهِ وَتَجاوُزِهِ صَبِّهِ فَيَسقَى من مَجاوِزِهِ^(٦) جَنانُ هَذا القَصرِ على سَعتِها، تَفيضُ على سَاحاتِهِ وَجَنابَتِهِ وَيَمُدُّ النَهرُ الأعَظَمُ^(٧) بِما فَضَلَ مَناها «(نفع الطيب ١: ٥٦٤-٥٦٥).

وَبَدَأَ «عبدُ الرحمنِ الناصرُ لِدِينِ اللَّهِ بُنيانَ (مَدينَةِ) الرَضاءِ أَوَّلَ سَنَةِ ٣٢٥، وكان مَبَلَّغُ ما يُنْفَقُ فيها كُلَّ يَومٍ من الصَخرِ المَنحوتِ المَنجورِ المَعَدَّلِ^(٨) سِتَّةَ أَلَفٍ صَخْرَةٍ،

(١) مرمر (نوع من البلاط الجيد: الرخام). مسنون: مصقول أو ذو أشكال مختلفة. موضون: مضطرب (موضوع طبقات على أشياء أخرى) أو منزل (مجمولاً أشكالاً معينة في مادة ثانية من الخشب أو الفضة الخ).

(٢) عمد = أعمدة (جمع عمود). كَانَتْ أفرِغَتْ في القوالب: مستوية ويشبه بعضها بعضاً.
(٣) النهر: شق في الحصن (في بناء) يجري فيه الماء. المهندس: المصنوع على قواعد من أصول البناء. الحنية: الفوس، القنطرة الصغيرة. المَعمود من البناء: المبنى بحجارة يملك بعضها بعضاً لئلاستها (من غير ملاط: طين).

(٤) الروعة: الهيبة (الجمال مع إلقاء الرعب في الناظر). الإبريز: الذهب الخالص، الصافي.
(٥) وميض: بريق. عجز: مؤخرة. مج: لفظ الشيء من فمه.
(٦) تَجَاوُزُهُ: انصباب الماء بكثرة. مجا: خروج الماء من فم (الأسد).
(٧) أمد: زاد في، صب في. النهر الأعظم: نهر الوادي الكبير الذي تقوم عليه قرطبة.
(٨) المنحوت: المقشور، المجمول أملس. المنجور: المقشور أيضاً (ولكن تستعمل للخشب). المعدل: السوي (المجمول بعضه موافقاً لبعض).

سوى الصخرِ المُصَرَّفِ في التبليط.... وكان يَخْدِمُ في (بناء) الزهراء كلَّ يومٍ ألفٌ وأربعمائةَ بَغْلٍ... وكان يَرُدُّ (إلى) الزهراء من الجير والجصِّ^(١) في كلِّ ثالثٍ من الأيام ألفٌ ومائةَ جَمَلٍ....» وقد قُدِّرَتِ النَفَقَةُ على بناءِ مدينةِ الزهراء في كلِّ عامٍ بثلاثمائة ألفِ دينارٍ مُدَّةَ خَمْسَةِ وَعِشْرِينَ عاماً من خِلافةِ عبدِ الرحمنِ الناصرِ (نفع ١ : ٥٦٧ - ٥٦٨) سوى ما أُنفِقَ على بنائها في مَدَى خَمْسَةِ عَشَرَ عاماً أُخْرَى في خِلافةِ الحَكَمِ المستنصر.

من مظاهر الثقافة

كان أهلُ الأندلس يقرأون القرآنَ الكريمَ بقراءةِ^(٢) أهلِ المشرقِ إلى أيامِ مُجاهدِ العامريِّ مؤسسِ الدولةِ العامريةِ في دانيَّةَ (بشرق الأندلس) وجزيرةِ مَيُورقة وما حولها والمتوفى سَنَةَ ٤٣٦ هـ (١٠٤٤ - ١٠٤٥ م). وكان لِمُجاهدِ العامريِّ عنايةٌ بهذا الفنِ لَمَّا كان مولاه المنصورُ بن أبي عامر (ت ٣٩٢ هـ) قد حَرَّصَ على تعليمه القراءةَ على أئمَّةِ القُرَّاءِ. وقد عاصَرَه أَثنانِ من كبار القُرَّاءِ: آبن حَمُوش وأبو عمرو الداني.

وُلِدَ ابنُ حَمُوش (ت ٤٣٧ هـ - راجع ترجمته) في القيروان. وبعدَ رِحْلَةٍ إلى المشرقِ عادَ إلى القيروان وأقرأ بها. ثم انتقل (٣٩٣ هـ) إلى قُرطِبةَ وخَطَبَ بِجامِعِها وأقرأ. وأمَّا أبو عمرو عُثْمَانُ بنُ سَعِيدِ بنِ عَثْمَانَ الداني (٣٧١ - ٤٤٤ هـ) فهو من أهلِ دانيَّةَ بِشرقِ الأندلس، رَحَلَ إلى المشرقِ ثم عادَ بعلمٍ كثيرٍ في قِراءةِ القرآنِ وتفسيره.

وكان جُمُهورُ أهلِ المغربِ وأهلِ الأندلس يكتفون بالروايةِ عن السلفِ فلا يَرَوْنَ

-
- (١) الجير: الكلس قبل حرقه (قبل مزجه بالماء). الجص: الكلس المعالج بالماء حتى يصبح ملاطاً.
- (٢) قراءة القرآن: أداء أحكام لفظه بإعطاء الأحرف حقَّها من الخارج من الفم وإعطاء المدود حقَّها من الزمن (بالطول أو القصر) مع مراعاة الجمع بين عدد من الأحرف بالإدغام وغيره.
- وكان أهل المشرق يدخلون في القراءة شيئاً من التنعيم. أمَّا القراءات (بالجمع) - أو الأحرف، على الأصح - فهي ألفاظ يسيرة نزل بها الوحي بلغات القبائل، نحو: (١٢: ٨٧، سورة يوسف): «يا بَنِيَّ، اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ (أو فَتَجَسَّسُوا، بالجمع). ثم هنالك قراءات مشهورة وقراءات شاذة. فليراجع ذلك كله في مواضعه.

أَن يُفسَّرَ أَحَدٌ مِنَ المتأخِّرين شيئاً مِنَ القرآنِ حتَّى جاءَ بَقِيُّ بْنُ مَخْلَدٍ (ت ٢٧٢).
ثمَّ لَانُوا فاشتغلَ مَكِّي بنُ حموشٍ بشيءٍ مِنَ التفسيرِ.

وبما أَنَّ المالكيَّةَ أَكثَرُ اعْتِداداً عَلَى الروايةِ عَنِ السَّلَفِ مِنْهُمْ عَلَى التفسيرِ بِالرأيِ فَقَدْ
كَانَ مُعْظَمُ فُقَهائِهِمْ مِنْ أَهْلِ الحديثِ. مِنْ هَؤُلاءِ المُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ
مُحَمَّدِ بْنِ وَشَّاحٍ المَعْرُوفُ بِابْنِ اللَّبَّادِ (٢٥٠ - ٣٣٣ هـ) القَيَّرَوَانِي، كَانَ مِنْ كِبَارِ عُلَمَاءِ
المالكيَّةِ وَلَهُ مِنَ الكُتُبِ: فضائلُ مالِكِ بْنِ أَنَسٍ - الآثَارُ والفوائد - كَشَفُ الرِّوَاقِ عَنِ
صُرُوفِ الجَامِعَةِ لِلأَوَاقِ (٢) (فِي تَقْسِيمِ الإرْثِ). وَكَانَ قَاسِمُ بْنُ أَصْبَغَ البِيَّانِي (ت ٣٤٠ -
لَهُ تَرْجَمَةٌ مُفْرَدَةٌ) مِنَ المُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ. وَكَذَلِكَ كَانَ أَبُو عِثْمَانَ سَعِيدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ
عَبْدِ رَبِّهِ (ت ٣٤٢) فُقَيْهًا وَطَبِيبًا وَأَدِيبًا شَاعِرًا. ثُمَّ هُنَالِكَ مُحَمَّدُ بْنُ القَاسِمِ بْنِ شَعْبَانَ،
وَيُعرفُ بِابْنِ القُرْطُبيِّ (؟) (نَحْو ٢٧٣ - مِصْر ٣٥٥ هـ)، مِنْ أَكْبَارِ فُقَهَاءِ المالكيَّةِ فِي
عَصْرِهِ وَأَحْفَظِهِمْ لِمَذْهَبِ مالِكٍ.

اتَّسَعَتْ دِرَاسَةُ الفِقهِ فِي هَذَا العَصْرِ فِي الأَنْدَلُسِ وَالْمَغْرِبِ، كَثِيرًا. فَمَعَ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ
عُمَرَ بْنَ القَوَاطِيَةِ الأَنْدَلُسِيِّ (ت ٣٦٧ هـ) كَانَ مُؤَرِّخًا مَشْهُورًا، كَمَا أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنَ أَبِي زَمَنِينَ القُرْطُبيِّ (٣٢٢ - ٣٩٩ هـ) كَانَ مِنَ الأَدْبَاءِ الشُّعْرَاءِ، فَإِنَّهَا كِلَيْهِمَا كَانَتْ
لَهُمَا عِنَايَةٌ كَبِيرَةٌ بِالفِقهِ.

وَعَرَفَ المَغْرِبَ، فِي هَذِهِ الفَتْرَةِ، نَفَرًا مِنْ أَشْهُرِ الفُقَهَاءِ المالكيَّةِ. مِنْ هَؤُلاءِ أَشْهُرُ
فُقَهَاءِ المَغْرِبِ فِي عَصْرِهِ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ القَيَّرَوَانِيُّ (ت نَحْو ٣٨٦ هـ) ثُمَّ ابْنُهُ مُحَمَّدُ مُؤَلِّفُ
«الْمَدْخَلِ إِلَى عِلْمِ الدِّينِ وَالدِّيَانَةِ» (بروكلمن ١: ١٨٨) ثُمَّ تَلْمِيزُهُ أَيْضًا خَلْفُ بْنُ أَبِي
القَاسِمِ الأَزْدِيِّ البَرَاذَعِيِّ الَّذِي أَلَّفَ (٣٧٢ هـ) كِتَابَ تَهْذِيبِ المَدُونَةِ والمُخْتَلَطَةِ. ثُمَّ
جَاءَ أَبُو القَاسِمِ عَبْدُ الخَالِقِ بْنُ شَبْلُونٍ (ت ٣٩١ هـ)، وَلَقَدْ كَانَ الاعْتِدادُ عَلَيْهِ فِي
القَيَّرَوَانِ فِي الفُتْيَا وَالتَّدْرِيسِ بَعْدَ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ. ثُمَّ هُنَالِكَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
إِبْرَاهِيمَ الأَصِيلِيِّ (ت ٣٩٢ هـ) - مِنْ أَهْلِ أَصِيلَةَ فِي الجَنْبِ الشَّمَالِيِّ الغَرْبِيِّ مِنَ
المَغْرِبِ - كَانَ عَالِمًا بِالحَدِيثِ وَالفِقهِ وَالكَلَامِ. وَبَعْدَ أَنْ تَطَوَّفَ فِي المَغْرِبِ وَالمَشْرِقِ
اسْتَقَرَّ نَهَائِيًّا فِي الأَنْدَلُسِ فِي أَيَّامِ الحُكْمِ المُسْتَنْصَرِ (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ).

ولا بدّ من الإشارة إلى فقيهين كبيرين في أعقاب هذا العصر: أبي الحسن عليّ بن محمد القيرواني القاسبيّ (٣٢٤ - ٤٠٣ هـ) شيخ المالكية في عصره، كان حافظاً للحديث عالماً بالفقه أصوله وفروعه ومشاركاً في علم الكلام كثير التأليف في الأصول والفروع؛ ثم موسى بن عيسى بن حاجّ الغفجوميّ - نسبة إلى غفجوم وهي فخذ من زناتة - والمشهور بأبي عمران الفاسي (٣٦٨ - ٤٣٠ هـ) طاف البلاد فسمع العلم في القيروان وقرطبة ومصر وبغداد ومكة. وكان يُقرئ القرآن بالقراءات السبع ويُجوّدها مع المعرفة بالحديث ورجاله وبالفقه. ثم كانت وفاته في القيروان وقبره في ظاهرها معروف يُزار ويُشار إليه.

ومع أنّ الفقه المالكي كان هو الغالب في المغرب والأندلس، فإنّ المغرب والأندلس كليهما قد عرفا اتجاهات قليلة البروز أو كثيرة البروز من مذاهب أخرى. أمّا في المغرب فانتشر، في وقت من الأوقات، فقهاء: الفقه الإباضي والفقه الفاطمي.

بعد انقضاء حكم الرُستَميّين في تاهرت بالاستيلاء الفاطمي (٢٩٦ هـ) انسحب الإباضية إلى جبل نفوسة وأقاموا لأنفسهم حكماً محلياً وحكومة يجب أن تكون شوروية، كما هو معروف من قواعد المذهب. والمفروض في هذه الحكومة المحلية أن يكون أمراؤها علماء. فمن الأئمة (بالمعنى السياسي والمعنى الديني معاً) ممن نعرفُ أسماءهم: أبو عمر ميمون ثم أبو الفضل سهل ثم أبو يحيى زكريّا الأرجاني. وقد ثار هؤلاء على العبّيديّين. ويرى سليمان الباروقي (مختصر تاريخ الإباضية ٥٢) أنّ هؤلاء جميعهم كانوا في المائة الرابعة من الهجرة والنصف الأوّل من المائة الخامسة. ولعلّ أبا زكريّا يحيى بن الخير الجنوّفيّ - وهو من جبل نفوسة أيضاً - (راجع بروكلمن، الملحق ١: ٦٩٢) كان من هؤلاء أو بُعيد عصرهم. لقد كان من علمائهم على الحصر، درّس على سليمان بن أبي هارون وعرفنا له كتابين طبعاً فيما بعد: كتاب الوضّع في الفروع (القاهرة ١٣٠٥ هـ) وكتاب النكاح والطلاق (القاهرة، بلا تاريخ).

وفي هذه الحقبة آلف القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور (ت ٣٦٣ هـ)

كتابه: «دعائم الإسلام في الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله». هذا الكتاب مصدر للفقهاء الفاطمي.

أما في الأندلس فبرز، في هذا العصر أيضاً، اتجاهان فقهيان: المذهب الشافعي الذي ظلّ قاصراً على نفر من الفقهاء ثم المذهب الظاهري الذي لقي انتشاراً أوسع قليلاً.

يبدو أنّ دُخُولَ المذهب الشافعي إلى الأندلس كان على يد المُحَدِّثِ قاسم بن محمد بن سيّار القرطبي البياضي (ت ٢٧٨) وكان يعمل في التوثيق ويُعرفُ بصاحب الوثائق. رَحَلَ قاسمُ بنُ محمدٍ إلى المشرق في أواسط القرن الثالث للهجرة ولقيَ نفرًا من أصحاب الشافعي ثم عاد إلى الأندلس ووضع تاليفاً في هذا المذهب منها كتاب الإيضاح في الردّ على المقلّدين. وقد روى عنه أيضاً أسلمُ بنُ عبد العزيز بن هاشم (ت ٣١٩) وكان من الأئمة القضاة، تولّى قضاء الجماعة في أيام عبد الرحمن الناصر، وثقة من الرواة يميل إلى مذهب الشافعي. وروى عنه أحمدُ بن خالد بن الجبّاب (٢٤٦-٣٢٢ هـ).

ومن كبار الأندلسيين الذين أخذوا بمذهب الشافعي بقيُّ بن مخلد (ت ٢٧٢ هـ) وله ترجمة مفردة. ويبدو أن الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٢٣٨-٣٢٢ هـ) قد سكّث عن نشاطه في الدعوة لهذا المذهب الذي تلقاه عنه نفرٌ كثيرون. وليس ذلك بمستغرب فالأمويّون الذين كانوا قد جاءوا من الشام أصبح المذهب الشافعي مذهباً لقومهم وقطرهم. ومن أواخر الذين مالوا إلى المذهب الشافعي في عصر الأمراء المتوارثين أبو زكريا يحيى بن عبد العزيز المعروف بابن الخرزاز القرطبي (ت ٢٩٥). وقد تصدرّ للتدريس في القيروان وفي قرطبة وتكلّم في الفقه الشافعي.

كان الأمير عبد الله بن عبد الرحمن الناصر فقيهاً شافعيّاً؛ ويبدو أنّ فقدان أمله في الخلافة دفعه إلى الاهتمام بالعلم وإلى شيء من العمل السياسي (وله ترجمة مفردة). وكان من أنصار المذهب الشافعي أحمد بن عبد الوهاب بن يونس المعروف بأبن صلا الله (صلّى الله) المتوفى سنة ٣٦٩ (وقيل ٣٩٨)، كان يأخذُ بالرأي (بتفسير المدارك

الدينية بالعقل) فَأَتَمَّهُمْ فَقَهَاءُ الْمَالِكِيَّةِ بِأَنَّهُ مَعْتَزِلِي. وَالْحَكَمُ الْمُسْتَنْصَرُ نَفْسُهُ (٣٥٠-
٣٦٦ هـ) كَانَ يَسْتَحْسِنُ الْمَذْهَبَ الشَّافِعِيَّ وَيُكْرِمُ أَهْلَهُ مِنَ الْأَنْدَلِسِيِّينَ وَمِنْ غَيْرِهِمْ،
وَقَدْ عَيَّنَ أَبُو عَمْرٍو يَوْسُفَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْهَمْدَانِيَّ (ت ٣٨٣) مِنْ أَهْلِ شَدُونَةَ- وَكَانَ
شَافِعِيًّا- عَلَى قَضَاءِ قُلْسَانَةَ، وَعَيَّنَ أَخَاهُ عَلَى الصَّلَاةِ فِي شَرِيشَ.
وَفِي نِطَاقِ الْمَذْهَبِ الظَّاهِرِيِّ:

وُلِدَ أَبُو سُلَيْمَانَ دَاوُودُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ خَلْفٍ الْأَصْفَهَانِيَّ (٢٠١- ٢٧٠ هـ) فِي الْكُوفَةِ. ثُمَّ
إِنَّهُ انْتَقَلَ إِلَى بَغْدَادَ. وَكَانَ اعْتِمَادُهُ فِي الْفَقْهِ عَلَى الظَّاهِرِ (يَأْخُذُ بِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ
آيَاتِ الْقُرْآنِ وَأَحَادِيثِ الرَّسُولِ مِنْ غَيْرِ لُجُوءٍ إِلَى تَأْوِيلٍ أَوْ رَأْيٍ أَوْ قِيَاسٍ). فَعَلَى
هَذَا يَكُونُ قَدْ أُوجِدَ الْمَذْهَبَ الظَّاهِرِيُّ وَعُرفَ هُوَ بِدَاوُودَ الظَّاهِرِيِّ.

وَمَعَ أَنَّ الْمَذْهَبَ الظَّاهِرِيَّ كَانَ قَدِ انْتَقَلَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ عَلَى يَدِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ
أَبْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ هِلَالٍ (ت ٢٩٢)، فَإِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي عَمِلَ عَنْ نَشْرِ الْمَذْهَبِ وَالِاحْتِجَاجِ لَهُ
وَالِدِفَاعِ عَنْهُ كَانَ مُنْذَرَ بْنَ سَعِيدِ الْبَلُّوْطِيِّ (٢٧٢- ٣٥٥ هـ). غَيْرَ أَنَّ هَذَا الْمَذْهَبَ
ظَلَّ، فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، قَاصِرًا. وَفِي أَيَّامِ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ (٣٦٦- ٣٩٢ هـ)
خَفَّتِ الدَّعْوَةُ إِلَى الْمَذْهَبِ الظَّاهِرِيِّ لِأَنَّ الْمَنْصُورَ وَقَفَ إِلَى جَانِبِ فَقَهَاءِ الْمَذْهَبِ
الْمَالِكِيِّ خِصُومِ الْمَذْهَبِ الظَّاهِرِيِّ.

مِنْ الْمُنْتَظَرِ أَنَّ تَكُونَ الْحَضَارَةَ وَالْثَقَافَةَ فِي صِقْلِيَّةٍ جَانِبًا مِنَ الْحَضَارَةِ وَالْثَقَافَةِ فِي
إِفْرِيْقِيَّةٍ (الْقَيْرَوَانِ) وَالْمَغْرِبِ. وَيَبْدُو أَنَّ الْحَيَاةَ فِي دَوْرَهَا الْأَوَّلِ (فِي عَهْدِ الْأَغَالِبَةِ)
كَانَتْ دِينِيَّةً فِي مُجْمَلِهَا فَقَدْ أَكْثَرَ الْمُسْلِمُونَ الْأَوَّلُونَ فِي صِقْلِيَّةٍ مِنْ بَنَاءِ الْمَسَاجِدِ: كَانَ
الْأَخُ وَأَخُوهُ أَوْ الْأَبُ وَابْنُهُ يَبْنِي كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مَسْجِدًا قَرِيبًا أَحَدُهُمَا مِنَ الْآخَرِ.
وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى أَنْتِشَارِ الْإِسْلَامِ وَعَلَى عُمُقِ الشُّعُورِ الدِّينِيِّ فِي النَّاسِ فَحَسَبُ،
بَلْ كَانَتْ الْمَسَاجِدُ مَرَاكِزَ لِلْعِلْمِ وَلِلتَّعْلِيمِ أَيْضًا.

وَكَذَلِكَ يَبْدُو أَنَّ الْفِقْهَ الْمَالِكِيَّ كَانَ السَّائِدَ فِي صِقْلِيَّةٍ، وَلَا غَرْوَ فَإِنَّ فَتْحَ صِقْلِيَّةٍ
بَدَأَ بِأَسَدِ بْنِ الْفُرَاتِ. وَأَسَاسُ الْعِلْمِ عِنْدَ مُتَبَاعِ مَالِكٍ الْيَوْمَ كِتَابُ (الْمَدُونَةِ) وَقَدْ
جَمَعَهَا أَسَدُ بْنُ الْفُرَاتِ فِي «الْأَسَدِيَّةِ».... وَكَانَ أَسَدُ بْنُ الْفُرَاتِ تَلْمِيزًا لِلْإِمَامِ

مالك^(١) (فلسفة التشريع ط ٤، ص ٥٦).

ومن فقهاء المالكية في صِقْلِيَّة أبو يحيى محمد بن قادم (ت ٢٤٣) تلميذ أسد بن الفرات ثم عبد الله بن حمدون (أو حمدونيه) الكلبي الصِقْلِيَّ (ت ٢٧٠ هـ) ودِعامَةُ بنُ محمدٍ الفقيه (ت ٢٩٧ هـ) تلميذُ سَحْنُونِ (ت ٢٤٠ هـ). ثم هنالك أبو لُقْمَانَ بنُ يوسفَ الفَسَّانِي (ت ٣١٩ هـ) وقد درَّسَ المُنَوَّنَةَ في بَلَرَمَ أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَنَةً. ولا نَعْلَمُ متى درَّسَهَا: أفي عهدِ الأغالبة أم في مَطْلَعِ عهدِ العُبَيْدِيِّينَ؟

اللغة

اقتصَرَ الأندلسيون في الاهتمام باللغة والنحو- في هذا العصر- على الاهتمام بكتب المشاركة. وقد أدخلَ كتابَ العين^(٢) إلى الأندلس ثابتُ بنُ عبد العزيز السرقسطيُّ (ربَّما في أواخر القرن الثالث^(٣)) كما آلف أبو بكر الزبيديُّ (ت ٣٧٩) مُختَصراً لكتاب العين ثم كتاباً في الاستدراك (لكلمات جديدة) على كتاب العين نفسه.

والمعاجمُ في الأندلس بدأت مُختَصراتٍ^(٤) لكتب المشاركة، ولم يكن فيها من الابتكار إلا قليلاً. حتَّى كتابُ «نوادِر اللغة» للقالي - وقد وَضَعَهُ القالي في الأندلس- يُشَبِّهُ كتابَ «الكامل» للمبرِّد^(٥).

ووضع محمد بن أبان بن سيِّد بن أبان القرطبيُّ (ت ٣٥٤ هـ)^(٦) مُعْجَماً كبيراً (في نحو مائة سِفْرٍ) بناه على الأنواع لا على الحروف وسمَّاه «كتاب العالم». وذكر أنخل

(١) قاسم بن ثابت بن حزم بن عبد الرحمن بن مطرّف بن سليمان بن يحيى العوفي السرقسطي عالم بالحديث والفقه واللغة والنحو والشعر، رجل هو وأبوه إلى المشرق وحجَّاهم عاداً إلى الأندلس. وقاسم (٢٥٥-٣٠٢ هـ) أول من أدخل كتاب العين إلى الأندلس. وبدأ قاسم تأليف كتاب الدلائل في شرح الحديث (بذكر ما أغفله أبو عبيدة وابن قتيبة من غريب الحديث). ولكنه مات قبل أن يتمّه فأتمّه أبوه ثابت (٢١٧-٣١٣ هـ).

(٢) كتاب العين أول القواميس العربية، وهو للخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (١٠٠-١٧٠ هـ).

(٣) الزبيدي ٣٠٩.

(٤) راجع تاريخ الفكر الأندلسي ١٨٩.

(٥) أبو العباس المبرِّد البصري (ت ٢٨٦ هـ) من علماء اللغة والنحو.

(٦) تاريخ الفكر الأندلسي ١٨٩، بغية الوعاة ٤، ابن الفرضي ٣٦٢.

جنثالث بالنشيا (تاريخ الفكر الأندلسي ١٨٩) أن المؤلف المشرقي سعيداً الرباعي (ت ٤١٦) قد نهج في تأليفه «كتاب اللآلي» نهج ابن سيد الأندلسي. ولكن في نسبة الابتكار في هذا النوع من التأليف إلى الأندلسيين موضعاً للنظر.

إلا أن الإشارة تحسن هنا إلى كتاب الزبيدي «طبقات النحويين واللغويين» (في المشرق والمغرب والأندلس) للدلالة على اهتمام المغاربة كلهم بهذا الموضوع، كما تحسن الإشارة إلى أبي علي القالي. مرت ترجمة أبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي في الجزء الثاني. وسأقي هنا بعدد من الملاحظات البارزة التي تتعلق به لأنه يمثل في الأندلس اتجاهًا مشرقياً واضحاً زاد في أثر المشاركة في المغاربة.

وُلِدَ أبو علي القالي سنة ٢٨٨ (٩٠١ م) في بلدة منازكرد (منازجرد) على الفرات الشرقي قرب بحيرة «وان» من ديار بكر (شالي الشام والعراق)، في الجنوب الشرقي من آسية الصغرى (تركية) اليوم.

طاف القالي في منطقتيه ثم جاء إلى الموصل، سنة ٣٠٣ هـ. بعدئذ دخل بغداد سنة ٣٠٥ وأقام فيها إلى سنة ٣٢٨ وكتب فيها الحديث. ثم إنه خرج من بغداد قاصداً الأندلس. وكان دخوله إلى قرطبة في السابع والعشرين من سنة ٣٣٠ (١٧/٥/٩٤٢ م). وكانت وفاة القالي في قرطبة في أوائل ربيع الآخر أو جهادي الأولى من سنة ٣٥٦ (في أواخر الشتاء من عام ٩٦٦ م).

أخذ القالي الحديث عن جماعة منهم القاضي يوسف بن يعقوب البصري (٢٠٨-٢٩٧ هـ) وأبو القاسم عبد الله بن محمد البغوي البغدادي (٣١٣-٣١٧ هـ) المعروف بآبن بنت منيع. وكان محدث العراق في عصره. ومنهم الحسين بن إسماعيل المحاملي البغدادي (٢٣٥-٣٣٠ هـ). غير أن شيوخه في اللغة والنحو والأدب كانوا أوسع شهرة وأوضح نسباً. كان منهم: أبو اسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (٢٤١-٣١١ هـ) وأبو الحسن علي بن سليمان المعروف بالأخفش الأصغر (ت ٣١٥) وأبو بكر محمد بن السري بن السراج (ت ٣١٦) وأبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (٢٢٣-٣٢١ هـ) وأحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٣٢٢).

بهذا يكون القالي قد نقلَ إلى الأندلس زُبْدَةَ علمِ اللُّغة وعلمِ النحو.

ولمَّا وَفَدَ القالي على الأندلس حَمَلَ مَعَهُ عدداً كبيراً من الكُتُب وأقرأها بلا ريب، فكان لها تأثيرٌ كبيرٌ في اتِّجاهِ الأندلسيين في الدراسة والثقافة. كُلفت هذه الكتب لجامعةٍ من أعلام المشاركة منهم^(١): الفراء (ت ٢٠٧) والمازني (ت ٢٤٩) والمبرد (ت ٢٨٦) وثعلب (ت ٢٩١) والأخفش الأصغر (ت ٣١٥) وابن دريد (ت ٣٢١) وابن قتيبة الدينوري (ت ٣٢٢) ونفطويه (ت ٣٢٣) وابن أبي الأزر (ت ٣٢٥) وابن الأنباري (ت ٣٢٨) وابن درستويه (ت ٣٤٧).

وعني القالي بإقراء شعرٍ نَفَرَ من الشراء الجاهليين والإسلاميين والمحدثين (العباسيين). من هؤلاء: طرفة بن العبد والنابعة الذبياني وعروة بن الورد وحاتم الطائي وزهير بن أبي سلمى وعدي بن زيد والأعشى الكبير ثم الحنساء والحطيئة وحسان ابن ثابت وجيل بُيُتَنَّة وعمر بن أبي ربيعة وذو الرمة والطرماح بن حكيم ثم أبو نواس.

الجغرافية والتاريخ

وفي الجغرافية والتاريخ ألف المغاربة البكتب تقليداً للمشاركة. ألف أبو عبد الله محمد بن يوسف التاريخي الوراق (٢٩١ - ٣٦٢ هـ) للحكم المستنصر كتاباً ضخماً «مسالك إفريقيا وممالكها» وألف في أخبار ملوكها وحروبها كتاباً جمّاً، كما ألف كتاباً في أخبار عددٍ من المدن مثل تيهرت ووهران وسجلماسة والبصرة. ومحمد بن يوسف هذا

(١) راجع «فهرسة... ابن أبي خيرة الأشيلي» (ت ٥٧٥ هـ)، ص ٣٩٨ وما بعد. وللدكتور محسن جال الدين دراسة هي: «أدباء بغداديون في الأندلس» (بغداد - منشورات مكتبة النهضة) ١٩٦٢ - ١٩٦٣ م، بذل فيها جهداً مشكوراً لإحصاء هذه الكتب وتنسيقها، ولكن هذا الإحصاء والتنسيق لا يزالان بحاجة إلى إعادة نظر. وفضله أنه رأى أثر هذه الكتب في حركة العلم في الأندلس. ولأبي علي القالي ترجمة نافعة في «طبقات النحويين واللغويين» (ص ٢٠٢ - ٢٠٥: أبو علي البغدادى) لتلميذه أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ). ولقد عدّه تلميذه الزبيدي (بضم الزاي) مع المشاركة.

أندلسي الأصل نشأ في القيروان ثم هاجر إلى قرطبة^(١).
وقد كانت الغاية من تأليف كتب الجغرافية معرفة الطرُق إلى الحج خاصة ومعرفة
الطرق بين بلاد العالم الإسلامي. ولقد ألف ابن خرداذبة البغدادى (ت نحو ٢٨٠ هـ)
كتاب المسالك والممالك، قبل الوراق بنحو قرنين من الزمن.
واشتهر في التأليف في التاريخ ثلاثة أجيال من آل الرازي وأصلهم من الرّي في
فارس بالمشرق: محمد بن موسى (ت ٢٧٣ هـ) وابنه أحمد (٢٧٤ - ٣٢٤ هـ) ثم حفيده
عيسى (ولعل وفاته كانت في الثلث الأخير من القرن الهجري الرابع).
أما محمد فينسب إليه كتاب الرايات، وقد ضاع إلا مقاطع يسيرة مفرقة في عدد
من المصادر. وأما ابنه أحمد فهو مؤرخ الأندلس ألف أربعة كتب ضاعت أيضاً.
وأحد كتبه «صفة قرطبة وخططها ومنازل الأعيان فيها» يشبه كتاب «تاريخ
بغداد» لأحمد بن أبي طاهر طيفور الخراساني (٢٠٤ - ٢٨٠ هـ). ولعيسى أيضاً
كتابان: تاريخ الأندلس ثم حجاب خلفاء الأندلس، وقد ضاعا.
ومع أن هذه الكتب كلها قد ضاعت، فإن أسماءها وما بقي من بعضها (مفرقاً في
المصادر) يدل على اتجاه أصحابها في تأليف التاريخ.
ومن الكتب المهمة في التاريخ كتاب عنوانه «أخبار مجموعة» يبدأ بفتح الأندلس
وينتهي بعدد من الحوادث في أيام عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ). من أجل
ذلك يميل نفر من الدارسين إلى الاعتقاد بأن الكتاب من هذا العصر. ولكن منهم من
يرى أنه أحدث من ذلك عهداً. وبما أن الكتاب لا يظهر عليه اسم مؤلف فقد ظن
نفر آخرون من الدارسين أنه من تأليف جماعة من المؤرخين المتوالين في الزمن^(٢).
وهناك كتاب صغير هو «تاريخ افتتاح الأندلس» لابن القوطية (ت ٣٦٧ هـ)،
وهو يسرد الأخبار من لدن الفتح إلى آخر أيام الأمير عبد الله بن محمد (ت ٣٠٠)
على غاية من الوجازة مع شيء من الرهو الملموح بالقوط، لأن جدة ابن القوطية

(١) جذوة المقتبس ٩٠؛ بغية الملتبس ١٣١؛ بروكلمن، الملحق ١: ٢٣٣.

كانت سارة حفيدة غَيْطِشَةَ الذي وَقَفَ يومَ الفتحِ إلى جانبِ المسلمين انتقاماً من لَذْرِيقَ الذي كان قد آتَرَعه منه الملك.

وكان عَرِيبُ القرطبي (ت ٣٦٩) قد اختصر بعض «تاريخ الرُّسل والملوك» لأبي جعفر محمد بن جرير الطَّبْرِيِّ (٢٢٤ - ٣١٠ هـ) ثم أضاف إليه أشياء من تاريخ الأندلس. ثم هنالك كتابٌ كبيرٌ في التاريخ لأحمد بن عبد الملك بن شهيد (ت ٣٩٢) مَبْنِيٌّ على السنين، وهو النهجُ الذي كان الطبري قد اتبعه.

الرياضيات والطبيعات

تأخَّرَ اتِّسَاعُ النشاطِ العلمي في مِدَانِيِ الرياضيات والطبيعات في الأندلس، ثم ظلَّ الأندلسيون خاصَّةً يُشاركون في علومٍ كثيرةٍ من الحِسابِ والمهندسة والفلك إلى جانب الطبِّ والفقه والفلسفة أحياناً. واقتصر نشاطُ أهل المغرب في الأكثر على الطبِّ. وإذا نحن قارنًا جهودَ المغاربة والأندلسيين - حتى أواخرِ هذا العصر الذي نُجمل خصائصه العامة هنا - في هذه العلوم بمجهود المشاركة لم نَجِدْ للمغاربة والأندلسيين براعةً تُوجِبُ عَدَّهم إلى جانب العلماء المشاركة^(١).

لعلَّ أولَ مَنْ يستحقُّ الذِّكْرَ في هذا الباب، ومن هذه البابِ، أدریسُ بن ميم (٢) الإشبيلي القرطبي (ولعلَّ وفاته كانت نحو ٣٦٠ هـ)، كان نحوياً بصيراً بحدِّ المنطق حاذقاً بعلم الحساب والتنجيم شاعراً مطبوعاً ومن علماء الكلام (الزيدي ٣٣٢). ولقد كان على شعره طلاوة. فمن شعره:

أُرحِ النفسَ بالدموعِ ففِيهَا من جَوَى الشَّوقِ راحةٌ للنفسِ^(٢).
وقريصٌ يَفْضُ من زَهْرِ الرِّوْ ضِ ويُزْري على حُلِيِّ العروسِ^(٣)؛
ظَلَّ إِذْ رِيسُ شاكراً فِيهِ نُعمى أُسْدِيَتْ أَنْفَاً إلى إِذْ رِيسِ!

(١) راجع تاريخ العلوم عند العرب ١٣١ وما بعد.

(٢) الجوى: اشتداد الحزن أو المرض من الحب.

(٣) أزرى: عاب. أزرى على حلي العروس: أظهر نقص قيمتها بالإضافة إليه نفسه

ومثل إدریسَ هذا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِوْنِ الْجَبَلِيِّ الْعُدْرِيِّ كانت له رِحْلَةٌ إِلَى الْمَشْرِقِ (٣٤٧ - ٣٦٠ هـ) ومُشاركةٌ فِي عَدِيدٍ مِنَ الْعُلُومِ (طبقات الأطباء ٢: ٤٦). وَلَكِنْ لَا بَدَّ مِنْ وَقْفَةٍ قَصِيرَةٍ عِنْدَ مُسْلِمَةَ بْنِ أَحْمَدَ الْمَجْرِيطِيِّ (ت ٣٩٨ = ١٠٠٧ م) إِمَامِ الرِّيَاضِيِّينَ فِي الْأَنْدَلُسِ فِي عَصْرِهِ، دَخَلَتِ الْعُلُومُ الرِّيَاضِيَّةُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ عَلَى يَدَيْهِ وَكَثُرَ تَلَامِيذُهُ فِيهَا. عُنِيَ مُسْلِمَةُ بِالْفَلَكَ وَبِزِيَجٍ^(١) الْخَوَارِزْمِيِّ (ت ٢٣٢) خَاصَّةً وَحَوْلَهُ مِنَ السَّنِينَ الْفَارِسِيَّةِ (الشَّمْسِيَّةِ) إِلَى السَّنِينَ الْعَرَبِيَّةِ (الهِجَرِيَّةِ الْقَمَرِيَّةِ) ثُمَّ اخْتَصَرَهُ وَأَصْلَحَهُ. وَلَهُ كِتَابٌ اخْتَصَرَ فِيهِ تَعْدِيلَ الْكَوَاكِبِ مِنْ زِيَجِ الْبَتَّانِيِّ (ت ٣١٧)^(٢).

ثُمَّ هُنَاكَ أَبُو الْقَاسِمِ أَصْبَغُ^(٣) بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ السَّمْحِ الْفَرْنَاطِيِّ (٣٦٨ - ٤٢٦ هـ) لَهُ مِنَ الْكُتُبِ: الْمُدْخَلُ إِلَى عِلْمِ الْهِنْدَسَةِ (فِي تَفْسِيرِ كِتَابِ الْأَرْكَانِ لِأَفْلَيْدُسَ) - كِتَابُ الْهِنْدَسَةِ الْكَبِيرِ (٩ مَعَالِجَةُ الْأَشْكَالِ الْهِنْدَسِيَّةِ ذَوَاتِ الْخُطُوطِ الْمُسْتَقِيمَةِ وَالْمَقْوَسَةِ وَالْمُنْحَنِيةِ)^(٤) - طَبِيعَةُ الْعَدَدِ (خَوَاصُّ الْأَعْدَادِ: الْمُتَوَالِيَّاتِ)^(٥) - ثَمَارُ الْعَدَدِ (فِي الْمَاعْمَلَاتِ: الْحِسَابِ التِّجَارِيِّ) - التَّعْرِيفُ بِالْأَصْطِرْلَابِ - الْعَمَلُ بِالْأَصْطِرْلَابِ - زِيَجٌ عَلَى مَذْهَبِ السِّنْدِ هِنْدِ^(٦) يَتَأَلَّفُ مِنْ قِسْمَيْنِ: أَحَدُهُمَا الْجَدَاوِلُ (وَفِيهَا مَوَاقِعُ النُّجُومِ وَحَرَكَاتُهَا) وَالثَّانِي مِنْهَا رِسَائِلُ الْجَدَاوِلِ (شَرَحَ لَهَا ٤).

- (١) الزِّيَجُ: جَدُولٌ فِيهِ مَوَاقِعُ النُّجُومِ وَمَطَالَعُهَا وَمِفَارِجُهَا. وَالْخَوَارِزْمِيُّ أَكْبَرُ عُلَمَاءِ الرِّيَاضِيَّاتِ فِي الْإِسْلَامِ وَمَوْجِدُ عِلْمِ الْجَبَرِ.
- (٢) الْبَتَّانِيُّ مِنْ كِبَارِ عُلَمَاءِ الْفَلَكَ.
- (٣) طَبِقاتُ الْأَطْبَاءِ ٢: ٣٩، بَرُوكْلَمْنِ ١: ٦٢٣، الْمَلْحَقُ ٨٦١.
- (٤) الْمَقْوَسَةُ (الَّتِي هِيَ قَوْسٌ): جُزْءٌ مِنْ دَائِرَةٍ (يُقَالُ لِلْقَوْسِ الْيَوْمُ: الْمُنْحَنِيةُ). وَالْمُنْحَنِيةُ هُنَا هِيَ الَّتِي يُقَالُ لَهَا الْيَوْمُ: الْخَطُّ الْمُنْكَسِرُ.
- (٥) الْمُتَوَالِيَّاتُ: سُلَالٌ أَعْدَادٌ عَلَى نَسَقٍ مَخْصُوصٍ. فَالسُّلْسَلَةُ الْحِسَابِيَّةُ الطَّبِيعِيَّةُ (تَبْدَأُ بِالْوَاحِدِ) نَحْوُ: ١، ٢، ٣، ٤، ٥... الْخ أَوْ يَفْرُقُ مَعْلُومٌ هُوَ اثْنَيْنِ مِثْلًا نَحْوُ ١، ٢، ٣، ٤، ٦، ٨ الْخ أَوْ ١، ٣، ٥، ٧، ٩، الْخ أَوْ يَفْرُقُ خَمْسَةً نَحْوُ ١، ٥، ١٠، ١٥، ٢٠ الْخ. هَذِهِ كُلُّهَا تَسَمَّى مُتَوَالِيَّاتٍ حِسَابِيَّةٍ. أَمَّا الْمُتَوَالِيَّةُ الْهِنْدَسِيَّةُ فَتَكُونُ بِأَنْ يَكُونَ كُلُّ حَدٍّ (عَدَدٍ) فِيهَا ضِعْفُ الَّذِي قَبْلَهُ، نَحْوُ: ١، ٢، ٤، ٨، ١٦، ٣٢ الْخ أَوْ ثَلَاثَةَ أَضْعَافَهُ ١، ٣، ٩، ٢٧، ٨١ الْخ.
- (٦) الزِّيَجُ جَدَاوِلُ فِيهَا تَعْيِينُ مَوَاقِعِ النُّجُومِ وَحَرَكَاتُهَا (عَلَى مَدَارِ السَّنَةِ) أَصْلُهُ هِنْدِيٌّ. وَهُوَ يَتَنَاوَلُ الْفَلَكَ وَالْأَنْسَابَ (الْمُتَلَكَّاتِ) فِي الْأَكْثَرِ.

وقريب من أصبحَ هذا أبو القاسم أحمد بن محمد بن عمر بن الصفار^(١) من تلاميذ مسلمة بن أحمد المرحيطي (أو المجرطي أيضاً)^(٢) كان بارعاً في علم العدد والهندسة والنجوم، وقد تصدر في قرطبة لتعليم ذلك كله. وله زيجٌ مختصرٌ على مذهب السند هند وكتاب العمل بالأصطرلاب حسن العبارة قريب المأخذ. وفي صدر الفتنه انتقل من قرطبة إلى دانية ثم توفي فيها سنة ٤٢٦ هـ. وكان لابن الصفار أخٌ يسمى محمداً مشهوراً بعمل الأصطرلاب لم يكن قبله في الأندلس أبرع منه في ذلك.

ولا بد من ذكر أبي الحسن علي بن أبي الرجال^(٣) الشيباني المغربي القيرواني من أهل مدينة فاس، وقد عاش مدة في بلاط المعز بن باديس الصنهاجي (٤٠٦ - ٤٥٤ هـ) في القيروان. ويبدو أنه كانت له رحلة إلى المشرق وأنه شارك في الأرصاد^(٤) التي قام بها أبو سهل ويحاج بن رستم القوهي (أو الكوهي) في بغداد سنة ٣٧٨ هـ. ولابن أبي الرجال تأليف أشهرها كتاب البارع في أحكام النجوم (في التنجيم) وقد كان له أثرٌ كبيرٌ في أوروبة خاصة فقد نُقلَ إلى العبرية وطُبِعَ بها مرتين (البندقية في إيطالية ١٤٨٥ م وباسل في سويسرة ١٥٥١ م) كما نُقلَ إلى اللاتينية وطُبِعَ بها خمس مرات، وإلى الإسبانية والبرتغالية. وكانت وفاة ابن أبي الرجال في سنة ٤٣٢ هـ (١٠٤٠ م) أو بعد ذلك بقليل.

عني أهل المغرب وأهل الأندلس بالطبّ وبالنبات لصلة النبات بالمداواة. في أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ) ورد من المشرق طبيبٌ يُعرف بالحرّاني وكانت معه مجرباتٌ في الطبّ منها معجونٌ لوجع البطن كان يبيعُ

-
- (١) طبقات الأطباء ٢: ٤٠٠.
(٢) المجرطي: نسبة إلى مجريط (مدريد: عاصمة إسبانية اليوم) وفي الصلة لابن بشكوال (ص ٥٨٩): المرحيطي (بتقديم الراء على الجيم). وفي طبقات الأطباء (٢: ٣٩، ٤٠، ٤٥): المرحيطي (بالحاء المهملة)، ولعله خطأ مطبعي. راجع أيضاً بروكلمن: ٢٥٦: ١، الملحق ٤٠١: ١.
(٣) راجع تاريخ الفلك عند العرب تأليف نالينو ١٩٥، بروكلمن ٢٥٦: ١، الملحق ٤٠١: ١، تاريخ العلوم عند العرب تأليف فروخ ١٧٩.
(٤) الأرصاد جمع رصد (بفتح ففتح) - مراقبة حركات النجوم لتعيين مطالعها ومغاربها وسيرها.

الشربة منه بخمسين ديناراً، وكان يبيعه رائجاً. فحسده جماعة من الأطباء وجاء إليه نفر منهم فيهم خمسين بن أبان وجواد الطبيب النصراني واشتروا منه شربة بخمسين ديناراً وجعلوا يذوقونها ويشمونها. ثم رجعوا إليه فقالوا: قد علمنا أن في المعجون كذا وكذا من العقاقير. فقال لهم: «أصبتم العقاقير وأخطأتم مقاديرها» ثم أشركهم في تجارتها لئلا ينفردوا بصنع المعجون. (طبقات الأطباء ٢: ٤٢، راجع ٤١).

ثم هنالك أحمد وعمر ابنا يونس بن أحمد الحراني- ولعلهما ابنا الحراني الآنف الذكر- زارا المشرق (٣٣٠- ٣٥١ هـ) ثم عادا واتصلا بالحكم المستنصر (٣٥٠- ٣٦٦ هـ). ولكن عمر توفي وشيكا وبقي أحمد منقطعاً إلى الحكم يطببه ويطبب أهل بيته. وكان أحمد بارعاً جداً في الأدوية المفردة والأدوية المركبة، وبارعاً في مداواة أمراض العيون. ويبدو أنه عاش إلى أواخر الدولة الأموية. ولعريب بن سعد القرطبي (ت ٣٧٠ هـ) كتاب «خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولود».

ثم يأتي في هذا العصر أبو داود سليمان بن حسان بن جُلجل (ت ٣٩٩) وكان طبيباً مختصاً بهشام المؤيد (٣٦٦- ٣٩٩ هـ، في المرة الأولى) له من الكتب: تاريخ (أو طبقات) الأطباء والفلاسفة، ويسمى أيضاً: تاريخ الحكماء (ألفه سنة ٣٧٧)- أدوية الترياق- كتاب تفسير الأدوية المفردة (الواردة في كتاب «الأدوية المفردة» تأليف ذيوسقوريدس العين زربي اليوناني من أحياء القرن الأول بعد الميلاد)، ولعله كتاب الحشائش لابن جلجل أيضاً.

ومن كبار الأطباء ابن الجزار القيرواني (ت ٤٠٠ هـ)، وقد كان أبوه وعمه طبيبين. كان ابن الجزار طبيباً بارعاً ومؤلفاً كثيراً في موضوعات مختلفة. فمن كتبه في الطب: زاد المسافر وقوت الحاضر (طعام الإنسان في السفر والحضر)، أوها كتابان فيكون «زاد المسافر» (في علاج الأمراض)- الاعتماد (في الأدوية المفردة)- البغية (في الأدوية المركبة)- العدة لطول المدة (كتاب كبير في الطب)- قوت المقيم (عشرين مجلداً)- طب الفقراء- البلغة (في حفظ الصحة)- كتاب في المدة وأمراضها ومداواتها- كتاب في الفرق بين العلل التي تشبه أسبابها وتختلف أعراضها

(عَلَامَاتُهَا) - مُجَرَّبَاتٌ فِي الطَّبِّ.

وكان ابنُ الجزَّارِ يُنَزِّهُ نَفْسَهُ عَنْ أَنْ يَتَنَاوَلَ أَجْراً مِنَ الْمَرِيضِ أَخْذاً بِيَدِهِ. فَجَعَلَ عَلَى بَابِ دَارِهِ سَقِيفَةً وَأَقْعَدَ فِيهَا غُلَاماً لَهُ اسْمُهُ رَشِيقٌ وَوَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ جَمِيعَ الْأَدْوِيَةِ. فَكَانَ إِذَا فَحَصَ مَرِيضاً أَرْسَلَهُ إِلَى رَشِيقٍ لِيَأْخُذَ مِنْهُ الدَّوَاءَ وَيُدْفِعَ إِلَيْهِ الْمَالَ. فَكَانَ بِذَلِكَ قَدْ أَسَّسَ نِظَامَ الصِّدْلَةِ بِالْفَصْلِ بَيْنَ الطَّبِيبِ وَالصِّيدَلَانِي.

وَمِنَ الَّذِينَ دَرَسُوا عَلَى ابْنِ الْجَزَّارِ فِي الْقَيْرَوَانِ عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ بْنُ بَرْتَقٍ أَخَذَ عَنْ ابْنِ الْجَزَّارِ «كِتَابَ زَادِ الْمَسَافِرِ» ثُمَّ أَدْخَلَهُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ.

وَأَشْهُرُ الْأَطْبَاءِ فِي الْأَنْدَلُسِ أَبُو الْقَاسِمِ خَلْفُ بْنُ عَبَّاسٍ الزَّهْرَاوِيُّ - نِسْبَةً إِلَى الزَّهْرَاءِ قُرْبَ قُرْطَبَةٍ حَيْثُ وُلِدَ - بَرَعَ فِي الْجِرَاحَةِ خَاصَّةً. لَهُ كِتَابٌ «التَّصْرِيفُ لِمَنْ عَجَزَ عَنِ التَّأْلِيفِ». وَيَذْكُرُ الزَّهْرَاوِيُّ تَعْقِيمَ الْجُرُوحِ بِالْكَيِّ وَبِالْقَوَابِضِ (الْمَوَادِّ الْمَرَّةَ وَالْحَرِيفَةَ) وَيَتَكَلَّمُ عَلَى جِرَاحَةِ الْعَيْنِ وَالْأُذُنِ وَالْأَسْنَانِ وَالْفَتْقِ وَعَلَى تَقْتِيتِ الْحَصَى فِي الْمَثَانَةِ وَعَلَى التَّوْلِيدِ وَعَلَى رِبْطِ الشَّرْيَانِ لِمَنْعِ النَّزِيفِ. وَهُوَ يُؤَكِّدُ حَاجَةَ الْمُسْتَغْلِينَ بِالطَّبِّ إِلَى تَشْرِيحِ الْأَجْسَامِ مِيتَةً وَحَيَّةً. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ٤٠٤ (١٠١٣ - ١٠١٤ م).

الفلسفة

بَدَأَ التَّفَكُّيرُ الْفَلَسَفِيُّ فِي الْأَنْدَلُسِ - مُسْتَقْلَافً عَنِ الْكَلَامِ فِي الْمَذَاهِبِ الدِّينِيَّةِ - مَعَ احْتِكَافِ الْمَغَارِبَةِ فِي أَثْنَاءِ رِحْلَتِهِمْ إِلَى الْمَشْرِقِ بِأَهْلِ الرَّأْيِ الْفَلَسَفِيِّ وَأَهْلِ الْإِعْتِزَالِ (النَّظَرِ الْعَقْلِيِّ وَالْبَحْثِ الْمُنَطْقِيِّ فِي الْعَقَائِدِ). وَأَوَّلُ مَنْ تَحَسَّنَ الْإِشَارَةَ إِلَيْهِ فِي هَذَا الْبَابِ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى الْمَعْرُوفُ بِابْنِ السَّمِينَةِ (ت ٣١٥)، وَكَانَ بَصِيراً بِالْحِسَابِ وَالنَّجُومِ وَالطَّبِّ وَالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَالْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ وَالْأَخْبَارِ (التَّارِيخِ). وَكَانَتْ لَهُ رِحْلَةٌ إِلَى الْمَشْرِقِ رَجَعَ مِنْهَا وَقَدْ تَعَلَّقَ بِأَشْيَاءَ مِنَ الْجَدَلِ الْفَلَسَفِيِّ وَأَصْبَحَ مُعْتَزَلِيَّ الْمَذْهَبِ (طَبَقَاتُ الْأَطْبَاءِ ٢: ٣٩).

وَأَوَّلُ الَّذِينَ اتَّجَهُوا اتِّجَاهاً فِلَسَفِيّاً عَلَى الْحَضَرِ فِي الْأَنْدَلُسِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْرَةَ (٢٦٩ - ٣١٩ هـ) عَرَفَ أَشْيَاءَ مِنَ الْفَلَسَفَةِ الْيُونَانِيَّةِ وَمَالَ إِلَى الْإِعْتِزَالِ وَإِلَى

التأويل الباطني في الدين . من أجل ذلك كان يَكْتُم أمره أشدَّ الكتمان . ثم اضطرَّ إلى أن يخرج من قرطبة فانتقل إلى القيروان . ولكنه عاد بعد ذلك إلى قرطبة ولزم فيها بيتاً نائياً عن الناس . وكانت آراء ابن مسرّة خليطاً من الآراء اليونانية المتأخرة وأكثرها يدور حول تخيل هذا العالم ووجوده من الاعتقاد بمادّة روحانية تتألف منها الكائنات (المادّية) في مقابل العالم العقلي الذي يتألف من الجواهر الخمسة . وفي فلسفته أشياء كثيرة وثنية .

وكثر أتباع ابن مسرّة وخصوصاً في أيام الحكم المستنصر لما كان من تشجيع الحكم للعلم ولتساهله في انتشار الآراء المختلفة . فلما تُوفي الحكم المستنصر ، سنة ٣٦٦ (٩٧٦ م) حدثت حملة على آراء ابن مسرّة وعلى اتباعه ثم اشتدت هذه الحملة في أيام المنصور بن أبي عامر (ت ٣٩٢ هـ) .

مظاهر الأدب وخصائصه وأعلامه

في عصر الخلافة

كان أمراء بني أميّة ينظرون إلى دولتهم في قرطبة بالأندلس على أنها استمرار لدولتهم في دمشق بالشام . فهذا النظر القومي العصبي مُضافاً إلى الجامع الديني الروحي جعل أهل الأندلس كلهم يرون في المشرق مثلاً أعلى وقُدوة في الحياة الاجتماعية وفي الفقه والعلم والتفكير والأدب . من أجل هذا كله لا يستغربين أحد إذا لم يختلف الأدب الأندلسي في الشعر والنثر من الأدب المشرقي - في خصائصه المعنوية وخصائصه اللفظية - اختلافاً ظاهراً . وما يروى في هذه الحال أنه لما وصل كتاب « العقد » لابن عبد ربّه الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ) إلى المشرق وأطلع عليه الصاحب بن عباد (٣٢٦ - ٣٨٥ هـ) قال : « هذه بضاعتنا ردت إلينا » فإن كتاب « العقد » هذا كتابٌ مشرقي في اتجاهه وموضوعاته وأسلوبه وروحِه ومُنْتخباته . ولولا أن فيه فصلاً يتعلق بأمراء الأمويين في قرطبة لما أدرك أحد أن للكتاب صلةً بالأندلس .

أَوَّلُ مَا يَلْفِتُ النَّظَرَ فِي الشَّعْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ أَنَّ الْجَانِبَ الْفِكْرِيَّ فِيهِ ضَعِيفٌ
بِالإِضَافَةِ إِلَى مَا نَعْرِفُهُ مِنَ الشَّعْرِ الْمَشْرِقِيِّ فِي طَوَرِهِ الْجَاهِلِيِّ أَيْضاً. إِنَّ التَّنَوُّعَ
وَالِاتِّسَاعَ وَالْعُمُقَ الَّتِي نَرَاهَا فِي شَعْرِ الْمَشَارِقَةِ لَا نَرَاهَا فِي شَعْرِ الْمَغَارِبَةِ، فَلَيْسَ فِي
شُعْرَاءِ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ جَبَابِرَةٌ فِكْرٍ وَعِلْمٌ مِنْ أَمْثَالِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ وَطَرْفَةِ بْنِ الْعَبْدِ
وَالْفَرَزْدَقِ وَبِشَّارِ بْنِ بُرْدٍ وَأَبِي نَوَاسٍ وَأَبِي تَمَّامٍ وَالتَّنَسِّيِّ وَالْمَعْرِيِّ. لَقَدْ كَانَ مِنْ مُثْلِهِمْ
الْعُلَيَّا أَنْ يُقَالَ فِي ابْنِ هَانِي الْأَنْدَلُسِيِّ «مَتَنِي الْمَغْرِبِ» وَفِي ابْنِ زَيْدُونَ «بُحْتَرِي
الْمَغْرِبِ»!

النتاج الأدبي

إِنَّ إِعْجَابَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ وَالْمَغَارِبَةِ بِالْمَشَارِقَةِ- فِي السِّيَاسَةِ وَالْاجْتِمَاعِ- قَدْ بَرَزَ أَيْضاً
فِي النَّتَاجِ الْأَدَبِيِّ وَفِي خِصَاصِهِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَاللِّفْظِيَّةِ. وَإِذَا كَانَتِ الْأَغْرَاضُ الْأَدَبِيَّةُ قَدْ
عَرَفَتْ بَعْضَ الْإِخْتِلَافِ وَالِابْتِكَارِ، لِإِخْتِلَافِ الْبَيْئَةِ الْعَامَّةِ وَإِخْتِلَافِ عَدَدٍ مِنْ أَحْوَالِ
الْمُجْتَمَعِ فِي الْمَغْرِبِ الْإِسْلَامِيِّ مِنْهَا فِي الشَّرْقِ الْإِسْلَامِيِّ- قَلِيلاً أَوْ كَثِيراً- فَإِنَّ
الْخِصَاصَ اللَّفْظِيَّةَ لَمْ تَخْتَلَفْ فِي الْعَصْرِ الَّذِي نُعَالِجُهُ إِخْتِلَافاً ظَاهِراً إِلَّا فِي التَّرَكِيبِ
الْلُّغَوِيِّ الَّذِي خَسِرَ شَيْئاً مِنْ مَتَانَتِهِ.

في الشعر:

أَمَّا فُنُونُ الشَّعْرِ فَقَدْ بَقِيَتْ الْفُنُونُ الْمَشْرِقِيَّةُ: الْمَدْحُ وَالْفَخْرُ وَالْحِمَاسَةُ وَالرِّثَاءُ
وَالْهَجَاءُ وَالْوَصْفُ وَالْغَزَلُ وَالنَّسِيبُ وَالْعِتَابُ وَالْأَدَبُ (الْحِكْمَةُ). غَيْرَ أَنَّ الْأَغْرَاضَ
(الْمَوْضُوعَاتِ الْجَزْئِيَّةَ) فِي عَدَدٍ مِنْ هَذِهِ الْفُنُونِ قَدْ عَرَفَتْ أَشْيَاءَ جَدِيدَةً، وَخِصُوصاً فِي
الْوَصْفِ الَّذِي اتَّسَعَ فِي الْأَنْدَلُسِ خَاصَّةً اتَّسَاعاً عَظِيماً، وَعَلَى الْأَخْصَ وَصَفَ الْمَعَارِكِ
الْبَحْرِيَّةِ ثُمَّ وَصَفَ الرِّيَاضَ مِنْ عَالَمِ الطَّبِيعَةِ وَوَصَفَ الْمُنْشَآتِ مِنْ عَالَمِ الْعُمُرَانِ
(كَوَصْفِ الْمَدَنِ وَرِثَائِهَا مَثَلًا). وَلَقَدْ رَقَّتْ فِي هَذِهِ الْفُنُونِ كُلُّهَا عَاطِفَةُ الشَّاعِرِ وَاتَّسَعَ
خَيَالُهُ. وَلَكِنْ الشَّعْرُ عَامَّةً ظَلَّ- مِنْ حَيْثُ الْمَعَانِي الْمُبْتَكِرَةُ وَالْمَدَارِكُ الْبَعِيدَةُ الْغَوْرُ-
أَدْنَى طَبَقَةٍ مِنَ الشَّعْرِ الْمَشْرِقِيِّ. ثُمَّ إِنَّ الْمَدَارِكَ الْفَلَسْفِيَّةَ الصَّحِيحَةَ لَمْ تَجِدْ طَرِيقَهَا إِلَى

الشعر الأندلسي، لأن دراسة الفلسفة نفسها قد تأخرت في الغرب الإسلامي عنها في الشرق الإسلامي، ولأن سيادة مذهب ديني واحد (هو المذهب المالكي) لم يُشجّع على إبداء الآراء المختلفة كما كان الشأن في المشرق مع تعدّد المذاهب والأديان والفلسفات. ولا شك في أننا نجد في الشعر المغربي عامّة، في باب الأدب (الحكمة)، خطرات من الفكر المُثَقَّف قد تبلغ إلى ما عند ابن الرومي وعند المتنبي أحياناً. ولكننا لا نجدُها تبلغُ- من حيثُ القصدُ والمنطقُ والشمولُ والجرأةُ الصحيحة- إلى ما نجدُ عند أبي العلاء المعريّ.

غير أنه كان لانتشار المذهب الفاطمي (وهو مذهب باطني حُلُولي^(١)) في المغرب- ولدى نفرٍ قليلين من الأدباء المتكسّبين- أثرٌ في تقبُّلِ عددٍ من المدارك الخارجة عن التوحيد. من أشهر هؤلاء الأدباء الشاعر ابن هاني الأندلسي (ت ٣٦٢) فقد قال في مدح المعز لدين الله الفاطمي (٣٤١- ٣٦٥ هـ):

ما شئتَ، لا ما شاءتِ الأقدارُ! فاحكم، فأنتَ الواحدُ القهارُ!
وسوى ذلك مما تراه في ترجمته.

ولا شك في أن الوصف- وصف الطبيعة- كان أبهى مظاهر الشعر الأندلسي، لجمال البيئة الطبيعية في الأندلس وتنوع مظاهرها. ومع الإيقان بأن الأندلسيين كانوا بارعين جداً في وصف الجنان والأنهار والأشجار والأزهار وفي وصف السماء وما فيها، فإنهم لم يكشفوا في ذلك نور ابن الرومي (ت ٢٨٣) وابن المعتز (ت ٢٩٦) والصنوبري (ت ٣٣٤) في ذلك الفن ولا في أغراضه. بيد أن هذا كله لا يمنع الدارس من أن يكون مُنصِفاً فيرى للأندلسيين في وصف الطبيعة- وفي غير وصف الطبيعة- خيالات جميلة ولفظات كثيرة بارعة. غير أن تراحم الصور أحياناً ثم محاولة الإغراب أحياناً أخرى كانا يُفقدان تلك الأخيلة كثيراً من وضاعتها. هذا الوصفُ

(١) الفاطمي، الباطني (انظر، فوق، ص. ١٧٠). مذهب الحلول: الاعتقاد بأن الله يمكن أن يتمثل بالبشر، يحل في جسم بشري.

البارع لمظاهر الطبيعة كان في الأندلس - منذ هذا الدور الباكر - أحد مَقَوِّمَاتِ الأدب الأندلسي.

ولقد رأينا في صورة العصر السابق (عصر الأمراء المتوارثين) اتِّكَاءَ يَحْيَى الْغَزَالِ (ت ٢٥٠) في الخمرِيَّاتِ على أَبِي نُوَّاسٍ. وَيَحْسُنُ أَنْ نُشِيرَ هُنَا إِلَى أَنَّ ابْنَ دَرَّاجٍ الْقَسْطَلِيَّ (ت ٤٢١) - بَعْدَ الْغَزَالِ بِحِلْيَيْنِ مِنَ الدَّهْرِ أَوْ يَزِيدَانِ^(١) - قَدْ اتَّكَأَ فِي إِحْدَى مَدَائِحِهِ (وَالْغَايَةُ هُنَا ضَرْبُ مَثَلٍ فَقَطْ) عَلَى قَصِيدَةِ بَعِينِهَا لِأَبِي نُوَّاسٍ. نَفْسِهِ، فِي الْفَنِّ وَالْغَرَضِ وَالنَّفْسِ وَالْبَحْرِ وَالْقَافِيَةِ. وَلَمْ يَنْسَ ابْنُ دَرَّاجٍ أَنَّ يُودِّعَ امْرَأَتَهُ - قَبْلَ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْمَدُوحِ - وَأَنْ يُمْنِيَهَا عَطَاءً جَزِيلاً، كَمَا فَعَلَ أَبُو نُوَّاسٍ تَامَماً. وَهَذَا يَتَضَحُّ بِأَذْنَى نَظَرٍ مِنْ مُقَارَنَةِ قَصِيدَةِ ابْنِ دَرَّاجٍ «دَعِيَ عَزَمَاتِ الْمُسْتَضَامِ تَسِيرُ» بِقَصِيدَةِ أَبِي نُوَّاسٍ «أَجَارَةَ بَيْتَيْنَا، أَبُوكِ غَيُورُ». وَفِي مَخْتَارَاتِ ابْنِ دَرَّاجٍ جَانِبٌ مِنْ قَصِيدَتِهِ الْمَذْكُورَةِ.

ثُمَّ بِالْغِ الْمَغَارِبَةِ وَالْأَنْدَلُسِيِّونَ فِي مُحَاكَاتِهِ الْمَشَارِقَةِ فِي الْأَغْرَاضِ، حَتَّى فِي وَصْفِ الصَّحْرَاءِ وَالْبَادِيَةِ، وَوَصْفِ الْأَطْلَالِ وَالنِّيَاقِ، مَعَ أَنَّ الْغَالِبَ عَلَى الْأَنْدَلُسِ خَاصَّةً كَثْرَةُ الْأَنْهَارِ وَالرِّيَاضِ.

أَمَّا الْأُسْلُوبُ فَإِنَّهُ أَصْبَحَ فِي هَذَا الدَّوْرِ - عُمُومًا - أَكْثَرَ رَشَاقَةً وَأَنَاقَةً، مَعَ فَصَاحَةِ الْأَلْفَاظِ وَسُهُولَةِ التَّرَاكِيِبِ وَوُضُوحِ الْمَعَانِي، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ الْأُسْلُوبُ ذَاتُهُ قَدْ رَكَ تَرْكِيبُهُ قَلِيلاً أَوْ كَثِيراً. غَيْرَ أَنَّ الشَّاعِرَ الْفَصِيحَ لَمْ يُدْخِلْ شَيْئاً مِنَ الْأَلْفَاظِ الْعَامِيَّةِ فِي شِعْرِهِ وَلَا تَرَكَ الْإِعْرَابَ. وَيَلْفِتُ النَّظَرُ أَنَّ الْأَنْدَلُسِيِّينَ وَالْمَغَارِبَةَ قَدْ اسْتَعْمَلُوا أَلْفَاظاً عَرَبِيَّةً لَمْ تَبْقَ - مِنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ - مَأْلُوفَةً فِي الْمَشْرِقِ، كَمَا أَجْتَهَدُوا فِي اسْتِقْثَاقِ صَيَغٍ مُتَنَوِّعَةٍ أَوْ فِي اسْتِخْدَاطِ مَعَانٍ جَدِيدَةٍ لِصَيَغٍ قَدِيمَةٍ بِحَسَبِ مَا اقْتَضَتْهُ أَحْوَالُ بَيِّنَاتِهِمْ. وَهَذَا مَا حَمَلَ الْمُسْتَشْرِقَ الْهَوْلَنْدِيَّ رَايْنَهَارْتْ دُوزِي عَلَى تَصْنِيفِ قَامُوسٍ لِهَذِهِ الْأَلْفَاظِ وَالصَّيَغِ وَالْمَعَانِي^(٢). وَرَبَّمَا لَجَأْتُ أَنَا إِلَى الْإِشَارَةِ إِلَى عِدَدٍ مِنَ الصَّيَغِ

(١) الْجِيلُ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً.

(٢) R. G. Dozy. (1828-1882)

والمعاني التي تَرَدَّدَ في النصوص الأندلسية من هذا الجزء، ثم لا تكون قد وَرَدَتْ في القواميس العربية الْمُعْتَمَدَة، بأنْ أَحْصَرَهَا بَيْنَ أَهْلَةٍ أَوْ بَأَنْ أَنْصَّ عَلَى أَنَّهَا لَمْ تَرَدْ فِي الْقَامُوسِ (وَتَكُونُ الْإِشَارَةُ عَادَةً إِلَى الْقَامُوسِ الْمُحِيطِ لِلْفَيْرُوزَابَادِيِّ).

وَأَمَّا فِي الْخِصَائِصِ اللَّفْظِيَّةِ فَإِنَّ الشَّعْرَ الْأَنْدَلُسِيَّ لَمْ تَكُنْ لَهُ فِي التَّرَكِيبِ تِلْكَ الْمَتَانَةُ الَّتِي صَنَعَتْ رَوْعَةً الشَّعْرِ الْمَشْرِقِيِّ. وَلَمَّا قَصَّرَ الْأَنْدَلُسِيُّونَ فِي اخْتِرَاعِ الْمَعَانِي وَالْفَوَاصِلِ عَلَيْهَا تَعَلَّقُوا بِالْأَلْفَاظِ الْجَمِيلَةِ وَبِالتَّنْمِيقِ وَالزُّخْرَفِ. وَلَا يُنْكِرُ أَحَدٌ عَلَيْهِمْ أَلْفَاظَهُمْ ذَاتَ الطَّلَاوَةِ وَالرَّنِينِ فِي التَّرَاكِيبِ السَّهْلَةِ. وَلَقَدْ نَحَا مُعْظَمُ شُعْرَاءِ الْأَنْدَلُسِ نَحْوَ الْبُحْتَرِيِّ (ت ٢٨٦ هـ) فِي الْإِتِّكَاءِ عَلَى الْأَلْفَاظِ الْفَصِيحَةِ الْحُلُوءِ وَالتَّرَاكِيبِ السَّهْلَةِ الْعَذْبَةِ وَالْمَعَانِي الْمَأْلُوفَةِ الْقَرِيبَةِ الْمَأْخُذِ. وَلَكِنَّ الْبُحْتَرِيَّ ظَلَّ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ زَعِيمَ الشُّعْرَاءِ الَّذِينَ اخْتَارُوا أَنْ يَسْلُكُوا سَبِيلَ الْأَلْفَاظِ الرَّائِقَةِ وَيَنْشُرُوا لَوَاهُ الدِّيَابِجَةِ الْأَنِيقَةِ.

وَفِي هَذَا الدَّوْرِ بَدَأَ الْإِهْتِمَامُ بِالْمَلَا حِمٍ. قَالَ ابْنُ خَلْدُونٍ (المقدمة ٦٠٢): كَتَبَ النَّاسُ فِي حَدَثَانِ الدَّوَلِ مَنْظُومًا وَمَنْشُورًا وَرَجَزًا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبُوا. وَفِي أَيْدِي النَّاسِ (أَشْيَاءٌ كَثِيرَةٌ مُتَفَرِّقَةٌ) مِنْهَا، وَتُسَمَّى الْمَلَا حِمٌ. وَبَعْضُهَا فِي حَدَثَانِ الْمِلَّةِ عَلَى الْعُومِ، وَبَعْضُهَا فِي دَوْلَةٍ (دَوْلَةٍ) عَلَى الْخُصُوصِ. وَكُلُّهَا مَنْسُوبَةٌ إِلَى مَشَاهِيرَ مِنْ أَهْلِ الْخَلِيقَةِ. وَلَيْسَ لَهَا أَصْلٌ يُعْتَمَدُ عَلَى رِوَايَتِهِ عَنْ وَاضِعِهِ الْمَنْسُوبَةِ إِلَيْهِ.

وَأَوَّلُ إِشَارَةٍ إِلَى الْمَلَا حِمٍ نَجَدُهَا فِي آثَارِ بَحْيِيِّ بْنِ حَكَمٍ الْغَزَالِ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٢٥٠ (رَاجِعْ تَرْجُمَتَهُ).

وَمِنْ الْمَلَا حِمِ الثَّابِتَةِ الْمَعْرُوفَةِ أَرْجُوزَةُ لَابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ (ت ٣٢٨) تَبْلُغُ أَرْبَعِمِائَةً وَخَمْسِينَ بَيْتًا فِيهَا وَصْفٌ لِحُرُوبِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ، مِنْ سَنَةِ ٣٠١ إِلَى سَنَةِ ٣٢٣ (٩١٣ - ٩٣٣ م). وَلَكِنَّ إِهْتِمَامَ ابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ فِي مَلْحَمَتِهِ كَانَ يَسْرُدُ الْأَحْدَاثَ التَّارِيخِيَّةَ، وَلَمْ يُعْنِ بِالْفَنِّ الْمَلْحَمِيِّ، مِنَ التَّزْيِينِ بِالْخَيَالِ وَمِنْ بَرَاةِ الْقَصَصِ وَوَصْفِ الْبُطُولَاتِ وَحَبْكِ الْمُفَاجِئَاتِ وَتَدَخُّلِ الْقُوَى الْخَارِقَةِ لِلطَّبِيعَةِ فِي سَبِيلِ حَلِّ الْعُقْدِ (بِمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي الْمَلَا حِمِ الَّتِي هِيَ عَلَى النَّمَطِ الْيُونَانِيِّ).

وَيَقَالُ إِنَّهُ كَانَ لَابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ مُوَشَّحَاتٌ (رَاجِعْ تَرْجُمَتَهُ). وَلَكِنْ لَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا شَيْءٌ

منها. ولم يُورد ابنُ عبدِ ربِّه شيئاً من مُوشحاتِه- ولا من مُوشحاتِ غيره- في كتابه «العقد»، مع كثرة ما يُورد من شعرٍ غيره وشعرٍ نفسه في هذا الكتاب.

ومع كلِّ هذا التجديد الطارئ على الأدب الأندلسي- في الشعر وفي النثر- فإنَّ الرَّجَزَ (وهو فنُّ بدويٌّ جافٍ وتناجٍ فطريٌّ بسيطٌ- حتى قيل فيه: إنه حمارُ الشعر) ظلَّ معروفاً في الأندلس، لا في الألفياتِ الفقهية والنحوية وما شابها فقط، بل في الإنشاد الوجداني أيضاً. وقد ظلَّ الرَّجَزُ مألوفاً إلى أواخرِ العصر الأندلسي. وفي نفح الطيب نحو مائة شاهدٍ تطولُ أو تقصرُ من هذا البحر^(١).

فمن الراجزين في عصرِ الخلافة أبو المطرفِ عبدُ الله بنُ محمدِ الأصبُّ (ت ٣٣٥)، «كان نحوياً لغوياً فصيح اللسان شاعراً مجوداً. وأكثر أشعاره على مذاهب العرب، وله أراجيزٌ فصيحة» (الزبيدي ٣٣١).

وللشاعر الرماضي (ت ٤٠٣) المشهورُ رَجَزٌ في موضوعِ حَضَرِيٍّ مِنْ وصفِ الخمرِ ووصفِ الطبيعة (نفح الطيب ٤ : ٧٤):

نَوءٌ وَغَيْثٌ مُسَبَّلٌ وَقَهْوَةٌ تَسْلَسِلُ^(٢)؛
تَدُورُ بَيْنَ فِتْيَةٍ مَخْلَقُهُمْ تُمَثِّلُ^(٣).
وَالْأَفَقُ مِنْ سَحَابِهِ طَلٌّ ضَعِيفٌ يَنْزِلُ^(٤)،
كَاتَّبَهُ مِنْ فِضَّةٍ بُرَادَةٌ تُغَرَّبِلُ^(٥).

ومرَّ ابنُ شهيدٍ (ت ٤٢٦) برَجُلٍ من معارفه بينَ يَدَيْهِ زَنْبِيلٍ فيه حَرْشَفٌ^(٦) فأصرَّ

(١) راجع نفح الطيب ٨ : ٤٤٨ - ٤٥٢ (فهرست الرجز).

(٢) النوء في الأصل منزلة للنجم يحدث في زمانها مطر. الغيث: المطر النافع. المسبل: الكثير (المطول)، المستمر. القهوة: الخمر المطبوخة بالنار. تسلسل = تتسلسل: من «سلسل»: صب (الماء) شيئاً فشيئاً. (خر كانت تشرب قليلاً قليلاً).

(٣) مخلقهم تمثل (كانت رقيقة دمثة، لينة مثل أخلاقهم الكريمة).

(٤) الطل: المطر الخفيف.

(٥) البرادة: القطع الصغيرة المنفصلة من قطعة كبيرة من المعدن بعد حكها بمبرد.

(٦) الزنبيل: وعاء كبير مصنوع من خوص النخل (قفة). الحرشف، أو الحرشف، والخرشوف: شوكة =

عليه الرجلُ أن يَصِفَ ذلك الحَرْشَفَ، فقال ابنُ شهيدٍ ارتجالاً (نفع الطيب ٣: ٢٤٦)
أشطراً منها:

هل أَبْصَرْتُ عَيْنَاكَ، يا خَلِيلِي، قَنَافِذَا تُبَاعُ فِي زَنْبِيلٍ^(١) ؟
من حَرْشَفٍ مُعْتَمِدٍ جَلِيلٍ ذِي إِبْرٍ تُنْفَذُ جِلْدَ فِيلٍ^(٢) .
كَأَنَّهَا أَنْيَابُ بِنْتِ الْغُولِ لَوْ نَخَسَتْ فِي آسْتِ امْرِئٍ ثَقِيلٍ،
لَقَفَزَتْهُ نَحْوَ أَرْضِ النَّيْلِ^(٣)

في النثر:

إنَّ النثرَ العربيَّ (في المَغرب وفي المشرق أيضاً) لم يَتَطَوَّرْ بِالسُّرْعَةِ التي تَطَوَّرَ بها
الشعرُ لِسَبَبَيْنِ. أَوَّلُ ذَيْنِكَ السَّبَبَيْنِ أَنَّ النِّتَاجَ في النثرِ- في الخطابة والترسل والنقد
والمناظرات والتصنيف- كان يقومُ في الدرجة الأولى على « الرواية » (نقل الآراء عن
المتقدمين بلفظها ما أمكن) حرصاً على صِحَّةِ تلك الآراء وإضفاءً لِشَيءٍ من الثِّقَةِ
عليها. فالبُحُوثُ في اللُّغَةِ والصَّرَفِ والنَّحْوِ والأدبِ والتاريخِ ثم في الفقهِ بطبيعة الحالِ
كانت كُلُّها قائِمةً على الرواية. وكلِّما كان الراوي أَقْرَبَ زَمَناً إلى الذِّنِّ يَزْوِي عنهم،
وكلِّما كانت ألفاظُهُ أَقْرَبَ إلى ألفاظِهِمْ، كانتِ الثِّقَةُ به أَكْبَرَ والاعتمادُ عليه أَكْثَرَ. ولا
رَيْبَ في أَنَّهُ كان لِرِوَايَةِ الحديثِ الشريفِ عن رسولِ اللَّهِ، على هذا المَنْهَجِ، أثرٌ أَكْبَدُ
بَالِغٌ في جَرَيَانِ سائِرِ فُنُونِ المَعْرِفَةِ في الإسلامِ هذا المَجْرَى. وثاني ذَيْنِكَ السَّبَبَيْنِ أَنَّ
العربَ كانوا- وما يزالون- مَيَّالِينَ إلى الاستشهادِ في ثَنَايا كلامِهِم بِالآيَاتِ الكَرِيمَةِ

■ الدَمَنُ، أرضي شوكي (لفظ تركي!) : نبات مأكول يتألف من قرص مغطى بطبقات مثلثة ليفية تنتهي
بطرف إبري.

(١) قَنَفَذُ (بَضَمٌ فَسْكَونٌ فَضَمٌ): الشَّيْهَمُ بفتح فسكون ففتح، الدلدل (بَضَمٌ فَسْكَونٌ)، الدلدول (بالضم):
حيوان يشبه الجرذون ولكن أكبر حجماً، جسمه مغطى بشوك مثل الإبر يستطيع أن يطلقها على
عدوه دفاعاً عن نفسه. ويستطيع أن يخفي رأسه في بطنه فيتكور ويصبح كرة مغطاة بشوك، ولذلك
يسميه العامة « كِبَابَةَ الشوك ».

(٢) معتمد: معتبر (حسن النوع، مرغوب فيه). جليل: كبير الحجم. تنفذ: تحرق.

(٣) نحس: شك. الاست: المقعدة (بالكسر)، مؤخرة البدن. قفزته (ليست في القاموس): جعلته يقفز.

والأحاديث النبوية الشريفة وأقوال المتقدمين من الشعر والأمثال، مما يدعو إلى ثبوت الخصائص الأدبية واستمرارها، (فيما يتعلق ببناء الجمل) على مناهج متقاربة. وإذا نحن استعرضنا كتاب «العقد» لابن عبد ربّه (ت ٣٢٨) وكتاب «الأمالى» لأبي عليّ القالي (ت ٣٥٦) وخطب مُنذِر بن سعيد البلوطيّ (ت ٣٥٥) وكتاب «زهر الآداب» للحصريّ (ت ٣١٣) ووصيّة ابن بُزْدٍ الأكبر (ت ٤١٨) ورَسَائِلَ ابنِ شُهَيْدٍ - وكلُّ هذه تَرَجُّعُ إلى أيامِ الخِلافةِ الرّوَانِيَةِ في الأندلس - لم نجد فيها كلّها ما يدلُّ على اختلافها من أمثالها من نتائج المشاركة. وأنصع الأدلة على هذا أن أبا عليّ القالي - وهو مشرقيّ - انتقل إلى الأندلس سنة ٣٣٠ (٩٤٢ م) - قد أملى كتابه «الأمالى» في مدينة الزهراء. ومعنى هذا أن أسلوب النثر الذي جاء به التالي من المشرق كان الأسلوب المؤلف - في ميادين العلم والأدب - في الأندلس.

والنثر أنواع منها الخطابة والترسل والمحاضرات والمناظرات، ومنها النقد والتأليف. وما دام العنصران الغالبان في هذه الأنواع هما الرواية والاستشهاد، فإن المنتظر ألا يكون بين هذه الأنواع من النثر فروق شاسعة.

وللخطابة أغراض: تبليغ أوامر الدولة أو الموعظة والتحذير أو الحث على عقد الأحلاف والصداقات. وفي هذه كلّها يحسن أن يكون الموضوع قريباً من السامع وأن يكون الأسلوب الذي يجري فيه ذلك يشبه ما خطب به القاضي أحمد بن بقي بن مخلد (ت ٣٣٤) فقال (المراقبة العليا ٦٥):

اللهم، وقد دعاك هذا نفر من عبادك الساعون لثوابك المجتمعون ببابك، فزعاً من عقابك وطمعاً في ثوابك؛ وقبلهم^(١) من الذنوب ما أحاط به علمك وأحصاه حفظك. فعدّ عليهم في موقفيهم^(٢) هذا برحمة توجب لهم جنتك وتجيرهم من عذابك. وإذا كانت أغراض الرسائل في الغرب الإسلامي - سواء أكانت تلك الرسائل سياسية إدارية أم إخوانية شخصية - هي أغراضها في الشرق الإسلامي، فلا مفر من

(١) قبلهم: عندهم، عليهم.

(٢) عاد فلان على فلان: رجع إليه - ارجع عليهم برحمتك بعد غضبك.

أَنْ يَكُونَ أَسْلُوبَهَا فِي الْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ وَاحِدًا أَوْ كَأَنَّهَا وَاحِدٌ. فِي سَنَةِ ٣٩٣ (١٠٠٢ م) كَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ الْمُظَفَّرُ بْنُ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ رِسَالَةً إِلَى الْمُعِزِّ بْنِ زَيْرِي بْنِ عَطِيَّةِ الصَّنَهَاجِيِّ مَلِكِ فَاسَ يَقْرُءُ عَلَى عَمَلِهِ^(١). مِنْ هَذِهِ الرِّسَالَةِ (الاستقصا ١: ٩٤):

.... إِلَى كَافَّةِ أَهْلِ فَاسَ وَكَافَّةِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ سَلَّمَهُمُ اللَّهُ..... إِنَّ الْمُعِزَّ بْنَ زَيْرِي بْنِ عَطِيَّةَ - أَكْرَمَهُ اللَّهُ - تَابَعَ رُسُلَهُ لَدُنَا وَكُتِبَتْ^(٢)، مُتَنَصِّلًا مِنْ هُنَاتِ دَفَعْتُهُ إِلَيْهَا ضَرُورَاتٍ^(٣)، وَمُسْتَفِيرًا مِنْ سَيِّئَاتِ حَطَّتْهَا مِنْ تَوْبَتِهِ حَسَنَاتٍ^(٤). وَالتَّوْبَةُ مِمْحَاةٌ لِلذَّنْبِ^(٥) وَالِاسْتِغْفَارُ مُنْقِذٌ مِنَ الْعَيْبِ..... وَقَدْ وَعَدَ مِنْ نَفْسِهِ اسْتِشْعَارَ الطَّاعَةِ وَلُزُومَ الْجَادَّةِ^(٦) وَاعْتِقَادَ الْإِسْقَامَةِ وَحُسْنَ الْمَعُونَةِ وَخِفَةَ الْمَوْئِنَةِ^(٧). فَوَلَّيْنَاهُ مَا قَبْلَكُمْ، وَعَهْدُنَا إِلَيْهِ أَنْ يَعْمَلَ بِالْعَدْلِ فِيكُمْ وَأَنْ يَرْفَعَ الْجَوْرَ عَنْكُمْ وَأَنْ يُعَمِّرَ سُبُلَكُمْ^(٨)، وَأَنْ يَقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِكُمْ وَيَتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِكُمْ، إِلَّا فِي حُدُودِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى^(٩).....

وَمِنْ النِّتَاجِ الْمُبْتَكَّرِ فِي الْأَنْدَلُسِ الْكِتَابَةُ الْخَيَالِيَّةُ الَّتِي يُمَثِّلُهَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنِ شُهَيْدٍ (ت ٤٢٦) فِي كِتَابِهِ «التَّوَابِعُ وَالزَّوَابِعُ»، وَفِيهِ كَلَامٌ عَلَى عَالَمِ الْجِنِّ (رَاجِعَ تَرْجُمَةُ ابْنِ شُهَيْدٍ). أَلَّفَ ابْنُ شُهَيْدٍ هَذَا الْكِتَابَ سَنَةَ ٤٢١ (١٠٣٠ م) - قَبْلَ أَنْ يُؤَلَّفَ الْمَعْرِيُّ «رِسَالَةَ الْغُفْرَانِ» بَيْنَ سَنَةِ ٤٢٢ وَسَنَةِ ٤٢٤ (١٠٣١ - ١٠٣٣ م). وَمِنْ

- (١) كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ) قَدْ بَسَطَ سُلْطَانَهُ عَلَى أَسْرَاءِ الْمَغْرِبِ ثُمَّ اسْتَمَرَ ذَلِكَ زَمَانًا بَعْدَهُ. أَقْرَأَهُ عَلَى عَمَلِهِ (مَنْصِبِهِ): ثَبَّتَهُ فِيهِ.
- (٢) تَابَعَ رِسْلَهُ: أَرْسَلَهُمْ تَبَاعًا وَجَعَلَهُمْ كَثِيرِينَ.
- (٣) الْهِنَةُ (بِالْفَتْحِ): الشَّيْءُ الْقَلِيلُ (مِنْ الْخَطَا).
- (٤) حَطَّتْهَا: أَنْزَلَتْهَا عَنْ ظَهَرِهِ، غَفَرَتْهَا) مِنْ تَوْبَتِهِ (بِحَسَنِ تَوْبَتِهِ).
- (٥) مِمْحَاةٌ (بِالْكَسْرِ): خَرْقَةٌ تَزَالُ بِهَا الْأَوْسَاحُ.
- (٦) لُزُومُ (الْبَقَاءُ عَلَى) الْجَادَّةِ: الطَّرِيقُ الْوَاسِعَةُ (السُّلُوكُ فِي الطَّاعَةِ مَعَ الْجَمَاعَةِ).
- (٧) حَسَنُ الْمَعُونَةِ: الْمُسَاعَدَةُ (بِالْقِيَامِ بِمَا يَتَعَمَّدُ بِهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْجِيُوشِ وَمِنْ سِيَاسَةِ الدَّوْلَةِ). خِفَةُ (قَلَّةِ) الْمَوْئِنَةِ (تَكْلِيفِ الْإِنْسَانِ مَا يَثْقُلُهُ).
- (٨) الْجَوْرُ: الظُّلْمُ. يُعَمِّرُ سُبُلَكُمْ (طَرِيقَكُمْ) يَجْعَلُهَا عَامِرَةً، آهَلَةً، آمِنَةً.
- (٩) يَقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِكُمْ (وَيُشِيبُهُ عَلَى إِحْسَانِهِ) وَيَتَجَاوَزُ عَنْ مُسِيئِكُمْ (يَنْسَى سَيِّئَاتِهِ الْمَاضِيَةَ). حُدُودُ اللَّهِ: مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ.

الممكن، كما يقول بروكلمن (الملحق ١: ٤٥٣)، أن يكون المعري قد تأثر باین شهيد في ذلك.

ثم يأتي النقد. لا شك في أن النقد يبدأ بفهم القطعة المعروضة على النظر. من أجل ذلك كانت « الشروح » أول خطوات النقد لما فيها من محاولة الكشف عن المعاني ومن ترجيح بعض المعاني على بعض. ومع أن الشروح تبدأ محاولة بسيطة للفهم اللغوي، فإنها كثيراً ما تتسع فتتناول الفهم الأدبي (مقصد الأديب الشاعر أو الناثر من قوله) والفهم البياني (تعبير الأديب عن مقاصده) والفهم البلاغي (الصور المختلفة لتعبير الأديب عن معانيه المفردة). من ذلك كله مثلاً:

ذكر الزبيدي (ت ٣٧٩) أنه سأل ابن الوران النحوي (ت ٣٤٠) عن اعتراض العلماء على تفسير الإمام الشافعي (ت ٢٠٤) في قوله تعالى: « ذلك أذنى ألا تقولوا » (٤: ٣، سورة النساء) ففسر الشافعي « تقولوا » بمعنى « يكثر عيالكم ». فقال ابن الوران (الزبيدي ٣٧١): أخطأ الشافعي. يقال: عال (الرجل) يعيل إذا افتقر، وأعال (يعيل) إذا كثر عياله.....

وهناك ملاحظة من النقد من طريق الشرح اللغوي ذكرها الزبيدي أيضاً في معرض الكلام على « الشجي » (الذي أثقله الهم) - كما وردت في شعر أبي عبد الله محمد بن الحكيم الأندلسي (ت ٣٣١): « هي شج أم شجي؟ وما القياس في ذلك وما المروي عن العرب (راجع الزبيدي ٣٠١). وكذلك ذكر الزبيدي (ص ٣٣١) أن أبا عمر أحمد بن مضاء المعروف بابن الحصار (ت في أواسط القرن الرابع) كان نحويًا ذكيًا، وكان قليل المطالعة لكتب النحاة « لأنه كان يعول على قياسه وتعليقه » (في فهم وجوه التخريج والإعراب).

وليست بنا حاجة إلى قول هو أن المغاربة كانوا يقدمون رأي المشاركة في النقد، وفي النتاج الأدبي الأندلسي نفسه. قال أحد الأندلسيين الذين رحلوا إلى المشرق (الزبيدي ٣٠١ - ٣٠٢): « استنشدني المعوج ببغداد لأهل بلدنا فأنشدته لأحمد بن

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ^(١) قَصِيدَةً وَثَانِيَةً، فَلَمْ يَسْتَخْسِنْ شَيْئاً مِمَّا أَنْشَدَتْهُ. فَأَنْشَدَتْهُ لِمُحَمَّدِ بْنِ
يُحْيَى:

يَا غَزَالاً عَنْ لِي فَأَبِ تَزَّ قَلْبِي ثُمَّ وَلَّى^(٢)،
أَنْتَ مِنْ بَفُؤَادِي، يَا مُنَى نَفْسِي، أَحْلَى!

حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى آخِرِ الشَّعْرِ. فَقَالَ: هَذَا الشَّعْرُ بِحُجَّتِهِ، لَا مَا أَنْشَدْتَنِي بِهِ أَنْفَاءً^(٣).

وَأَرَادَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِرُ، فِي مَطْلَعِ خِلَافَتِهِ، أَنْتَسَاخَ شِعْرِ حَبِيبِ^(٤) فَأَخْضَرَ
جَمَاعَةً فِيهِمْ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَرْقَمِ النَّخْوِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ وَالْوَزِيرُ أَبُو الْأَصْبَغِ مُوسَى بْنُ
مُحَمَّدِ بْنِ الْحَاجِبِ (ت ٣٢٠) وَالشَّاعِرُ الْقَلْفَاطُ وَابْنُ فَرَجٍ الْمَعْرُوفُ بِالْبَيْسَارِيِّ أَوْ بَابِنِ
الْبَيْسَارِيِّ - وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْعَرَبِيَّةِ (النَّخْوِ) وَمِنْ طَبَقَةِ ابْنِ الْحَكِيمِ وَالْقَلْفَاطِ.
وَشَاوَرَهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي أَيِّ الْقَصَائِدِ يَحْسُنُ أَنْ يُقَدَّمَ فِي صَدْرِ الْكِتَابِ^(٥) فَقَالَ ابْنُ
أَرْقَمٍ: «إِنَّمَا يُفْضَلُ الشِّعْرُ وَيُقَدَّمُ لِغَرَابَتِهِ وَحُسْنِ مَعْنَاهُ. وَشِعْرُهُ (شِعْرٌ أَيْ تَمَامٌ) الَّذِي
وَصَفَّ فِيهِ الْقَلَمُ^(٦) لَمْ يَتَقَدَّمْهُ (فِيهِ) عَلَيْهِ مُتَقَدِّمٌ وَلَا لَحِقَهُ فِيهِ مُتَأَخِّرٌ». وَاخْتَلَفَ
الْمُجْتَمِعُونَ فِي ذَلِكَ. ثُمَّ اتَّفَقَ أَنْ حَضَرَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْغَايِي^(٧) فَسُئِلَ رَأْيَهُ فِي ذَلِكَ (مِنْ
غَيْرِ أَنْ يَعْرِفَ آرَاءَ الْمُخْتَلِفِينَ) فَقَالَ: إِنَّ أَهْلَ بَغْدَادَ لَا يُفْضَلُونَ عَلَى شِعْرِ أَيْ تَمَامٍ فِي
الْقَلَمِ شَيْئاً لِغَرَابَةِ مَعْنَاهُ.

وَلَكِنْ بَيْنَا كَانَ الشُّعْرَاءُ وَالنُّقَادَ يَذْهَبُونَ فِي تَذْوُقِ الشِّعْرِ مَذْهَبَ الْقِدَمَاءِ، مِنْ

(١) الملموح أنه ابن عبد ربّه صاحب العقد (ت ٣٢٨).

(٢) عَنْ: بَانَ، ظَهَرَ، بَدَأَ. مَرَّ بِسُرْعَةٍ. ابْتَرَأَ: سَلَبَ. وَلَّى: انْطَلَقَ، ذَهَبَ.

(٣) بِحُجَّتِهِ: بِعَسَلِهِ (٩)، رَاجَعَ الْقَامُوسَ ٤: ١٠٢. أَنْفَاءً: سَابِقاً، مِنْ قَبْلِ.

(٤) الزَّيْدِيُّ ٣٠٦ - ٣٠٧. وَبُيُوعُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ بِالْخِلَافَةِ سَنَةَ ٣١٦. حَبِيبٌ هُوَ أَبُو تَمَامٍ.

(٥) فِي صَدْرِ الْكِتَابِ. يَبْدُو أَنَّ الْمُرَادَ كَانَ جَمْعُ عِدَدٍ مِنْ مَخْتَارَاتِ شِعْرِ أَيْ تَمَامٍ.

(٦) قِطْعَةٌ مَطْلَعُهَا:

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بَشَاتَهُ تَصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلِّ وَالْمَفَاصِلِ.

(٧) كَذَا فِي الزَّيْدِيِّ ٣٠٧. فِي أَنْبَاءِ الرِّوَاةِ (٣: ٧٠): أَبُو عُبَيْدِ اللَّهِ الْغَسَّائِي.

جَزَالَةُ اللَّفْظِ وَمَتَانَةُ الْأَسْلُوبِ وَصِحَّةُ الْمَعْنَى وَشَرَفُهُ، كَانَتْ طَبَقَةً مِنَ الْعَامَّةِ قَدْ أَصْبَحَ
أَفْرَادُهَا لَا يَفْقَهُونَ تِلْكَ الْقَوَانِينَ الْأَدَبِيَّةَ. ذَكَرَ الزُّبَيْدِيُّ (ص ٣٣٧، راجع ص ٣٣٥)
أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ يَحْيَى الرِّيَاحِيَّ الْأَزْدِيَّ^(١) كَانَ يُعَانِي^(٢) الشَّعْرَ فَلَا يَتَّفَقُ لَهُ مِنْهُ
شَيْءٌ مَقْبُولٌ. ثُمَّ حَسَنَ شَعْرُهُ وَسَلِسَ طَبْعُهُ^(٣). وَكَانَ الرِّبَاحِيُّ صَدِيقًا لِلزُّبَيْدِيِّ وَلَعَبَدَ اللَّهِ
أَبْنِ حَمُودِ الزُّبَيْدِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ فَكَتَبَ إِلَيْهِمَا بِقَصِيدَتَيْنِ مَطْلَعَاهُمَا:

خَلِيلِي مِنْ فَرَعِي زَبِيدٍ وَمَذْجِجٍ قِفَا وَاسْمَعَا. قَدْ يُسْعِدُ الشَّجِيَّ الشَّجِيَّ^(٤).
أَلَمْ تَعْلَمَا أَنِّي أَرِقْتُ، وَشَاقَنِي خِيَالُ سَرَى وَهَنًا وَلَمَّا يُعْرِجُ^(٥)؟
★ يَا خَلِيلِي، عَرَّجَا بِمُحِبٍّ هَيْضَ سَقَمًا فَمَا يَرِيمُ الْفِرَاشَا^(٦).

وَلَمَّا تُوَفِّيَ أَحْمَدُ بْنُ مُوسَى بْنِ حُدَيْرٍ رِثَاءَهُ الرِّيَاحِيَّ بِقَصِيدَةٍ بَنَاهَا عَلَى مَذَاهِبِ
الْعَرَبِ وَخَرَجَ فِيهَا عَنْ مَذَاهِبِ الْمُحَدِّثِينَ فَلَمْ يَرْضَهَا الْعَامَّةُ.

ثُمَّ يَحْسُنُ أَنْ نُشِيرَ إِلَى أَرْبَعَةٍ تَمُنُّ عُنُوَاً بِالنَّقْدِ وَهُمْ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ (ت ٣٢٨)
وَالطَّبِيعِيُّ (ت ٣٥٢) وَعَبْدُ الْكَرِيمِ النَّهْشَلِيُّ (ت ٤٠٥) وَابْنُ شُهَيْدٍ (ت ٤٢٦)، وَلَهُمْ
كُلُّهُمْ فِي هَذَا الْجُزْءِ تَرَاجُحٌ مُسْتَقَلَّةٌ.

وَفِي النَّقْدِ (أَوْ تَذَوُّقِ الْأَدَبِ وَالْحُكْمِ عَلَى قَائِلِيهِ) نِزَاعٌ قَدِيمٌ مَا يَزَالُ جَدِيداً هُوَ
«الْمَيْلُ إِلَى الْقَدِيمِ أَوْ إِلَى الْحَدِيثِ»: «الْأَدَبُ الْقَدِيمُ أَفْضَلُ وَأَبْرَعُ وَأَحَقُّ بِالْحِفْظِ وَالرِّوَايَةِ

(١) راجع ترجمته (ت ٣٥٨).

(٢) كَانَ يُعَانِي الشَّعْرَ: يَحَاوِلُ نَظْمَ الشَّعْرِ.

(٣) سَلِسَ طَبْعُهُ: لِأَن طَبْعَهُ لِلشَّعْرِ (وَاتَّقَادَ الشَّعْرِ لَهُ).

(٤) زَبِيدٌ وَمَذْجِجٌ مِنْ قِبَائِلِ الْيَمَنِ. أَسْعَدُ: أَعَانَ (عَلَى حَلِّ الْمَهْمِ). الشَّجِيَّ: الْحَزِينَ.

الشَّجِيَّ (بِفَتْحٍ فَكْسِرٍ) - شَجَّ (بِكَسْرَتَيْنِ لِأَنَّهُ مُنْقُوصٌ)، وَوَرَدَتْ يَاءُ «الشَّجِيَّ» فِي الشَّعْرِ مُشَدَّدَةً
(الْقَامُوسُ ٤: ٣٤٧). وَالشَّاعِرُ هُنَا حَذَفَ الشَّدَّ وَأَعْرَبَ الْيَاءَ.

(٥) أَرِقَ فُلَانٌ: ذَهَبَ نَوْمُهُ. شَاقَنِي: حَرَّكَ شَوْقُهُ إِلَى الْمَحْبُوبِ. خِيَالُ: طَيْفٌ (مَا يَرَى فِي النَّامِ). سَرَى: سَارَ
لَيْلًا. وَهَنًا: فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ. عَرَّجَ: مَالَ إِلَى مَكَانٍ (زَارَ).

(٦) هَيْضَ (مَجْهُولٌ مِنْ هَاضَ): كَسَرَ عَظْمَهُ (يَقْصِدُ: لِأَن عَظْمَهُ - بَمَرَضٍ يَخْفَ بِهِ الْكَلْسُ فِي الْعِظَامِ فَيَعْجِزُ
الْمَرِيضُ حِينَئِذٍ عَنِ النَّهْوِضِ أَوْ الْإِسْتَوَاءِ). زَامَ: بَارَحَ، تَرَكَ.

أمّ الأدب الحديث؟ ذلك النزاع الذي عرّفه المشرق قد عرّفه فيما بعد المغرب أيضاً. وحينما نرى كلمة «العرب» في النصوص المغربية عامّة لا يكون العرب هنا في مُقابل العجم (في المدرك القومي)، بل يكون العرب بمعنى «البدو» (في مُقابل أهل الحضرة أو أهل المدن). أمّا المُحدثون فهم الناشئون في كلّ جيل (لأن كلّ جيل بالإضافة إلى الجيل الذي سبقه مُحَدَثٌ، وبالإضافة إلى الذي جله بعده قديم). ولكن يبدو أنّ المغرب لم يعرف ذلك النزاع الحادّ في النقد ولا ذلك الانتصار المتطوّف لشاعر دون شاعر على ما عرّفنا في المشرق من أمر المُختلفين في الفرزدق وجريّر أو في أيّ تمام والبحرّي أو في المتنبي ما له وما عليه. ولقد أصطحب المذهبان (طريقة العرب وطريقة المُحدثين) في المغرب فكنت ترى ذنك المذهبين في نظم الشاعر جنباً إلى جنب في ديوانه (وقد رأينا مثل ذلك أيضاً في المشرق عند أيّ نواسٍ مثلاً).

وابن عبد ربّه صاحب «العقد» (ت ٣٢٨) أول من تحسّن الإشارة إليه في حركة النقد في الأندلس. ولكن فضل ابن عبد ربّه لم يكن في الإتيان بمجديد في هذا الموضوع، بل في نقل المدارك الأساسية في النقد من المشرق إلى المغرب. فأول ما يذهب إليه ابن عبد ربّه أنّ الشعر الجيد لا يضرّه تأخّر صاحبه في الزمن، كما أن الشعر الردي لا ينفعه أن يكون صاحبه معدوداً في القدماء. والإجادة في النتاج الأدبي والحذق في النقد يقتضيان طبيعة (استعداداً) وصناعة (تتقفاً بفنون الأدب وبالعلوم المختلفة) ومُدَارسَة (اختباراً). والاختبار أرجح في الميدانين من الصناعة (التعلّم). وهناك المفاضلة بين اللفظ والمعنى والحكم بأن المعنى الجيد محتاج في بُروزه إلى لفظ جيّد. هذه المدارك الأساسية في النقد (معرفة النتاج الجيد في الأدب) معروفة عند ابن سَلَام الجُمَحِيّ (ت ٢٣١) وابن قُتَيْبَة الدِينَوْرِيّ.

ويمكن أن ندخل وليد بن عيسى الطَّبِيخِيّ (ت ٣٥٢) في النقّاد. لقد كان في أثناء شرحه للأشعار يُرجّح بين المعاني المروية أو الممكنة، كما كان يعرض أحياناً لأوجه البلاغة، على ما نرى في ترجمته (راجع، تحت، ص ٢٥٤).

أمّا عبد الكريم النهشليّ (ت ٤٠٥) فهو ناقدٌ على الحقيقة رجّح سبق النثر على

الشعر فأصابَ في الترجيح وأخطأ في تعليل ذلك. وجعل الشعر أربعة أنواع: المديح والهجاء والحكمة واللهو. وعَرَضَ لمكانة اللفظ والمعنى في جَوْدَةِ الشعر، ووصل بين جودة الشعر والأخلاق. وأفضلُ الشعرِ عنده ما بَقِيَ محفوظاً على وجه الدهر. ثم هو يرى أن النظرَ إلى الشعرِ يختلفُ باختلافِ الزمانِ والمكانِ (من حيث الأغراض) على «ألا يخرجَ عن حُسْنِ الاستواء وحدِّ الاعتدالِ وجَوْدَةِ الصَّنْعة».

وأما ابنُ شهيد (ت ٤٢٦) فقد أبدى رأياً فلسفياً في النقد قائماً على الحِسِّ الشخصي عند النظر إلى القطعة المعروضة للعين، ولم يُحاول أن يضعَ بين يَدَيِ القارئِ آلاتٍ عمليَّةٍ لتطبيقِ الأشعار (لجعلِ بعضها فوق بعض في درجات الجودة)، كما فعلَ عبدُ الكريمِ النهشليّ.

وأوّلُ مطالع ابنِ شهيدٍ في فلسفةِ النقد أنه يُريد، وهو الأديبُ البارِعُ نظماً ونثراً، أن يجعلَ علمه اللغوي في مَعزولٍ عن مِيدانِ النقد، لأنَّ إصابة الناقدِ إنَّها تكون في طبيعته (استعداده الذاتي) أكثرَ مما تكونُ في الأدواتِ الخارجيّة (المعارف اللغوية والتاريخية وسواها). وهو يرى الاعتدالَ في التجنيس والقصد (الاعتدال) بين طريقة العرب (أسلوب القدماء) وطريقة المحدثين (اتِّجاه أبناء كلِّ جيل جديد).

وإذا كان ابنُ شهيدٍ لم يأتِ في بابِ النقد بأشياءَ جديدةٍ - أو نستطيعُ الجزمَ بأنَّها جديدةٌ - فإنَّه عبَّرَ عنها تعبيراً جديداً، إذ أدخلَ العنصرَ الذاتي (الشخصي) في عملِ الناقد. ثم هو يوافق عبدَ الكريمِ النهشليّ في أن الشعرَ الجيّدَ يتَّصفُ بصفة الدوامِ ويبقى مَرَوياً على وَجْهِ الأيام.

الأدب في صقلية

ومن الأمراء الكليبيين حكام صقلية نفرٌ من الشعراء المُجيدين، ولكن من الذين ظلَّ شِعْرُهُم تقليداً واضحاً للمشاركة في كلِّ شيءٍ حتَّى لَيَصْنَعُ جِدّاً أن ترى فيه لمحة من صقلية. من هؤلاء مثلاً الأميرُ أبو القاسم عبدُ الله بنُ سليمانٍ يخلف^(١) فقد تَصَرَّفَ

(١) راجع «المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا» تأليف أحد توفيق المدي (نشرته الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر) - تاريخ المقدّمة ١٣٦٥ هـ (١٩٤٥ م) - ص ٢١٣ - ٢١٤.

في وجوه الأغراض وأجاد الوصف والتشبيه، إلى جانب عددٍ من الكتب له في الردّ على العلماء (الفقهاء؟) وفي تطبيقي الشعراء (جعلهم طبقاتٍ على أزمانهم أو فنونهم أو مكانتهم). قال الأمير أبو القاسم في الخمر والغزل ووصف الطبيعة:

أَسَابِقُ صُبْحِي بِصُبْحِ الدِّنَانِ وَأَصْرِفُ لَيْلِي بِصِرْفِ الْعَقَارِ^(١).
 أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَنَا بِالْبُرُوجِ بَخِيلُ الضِّيَاءِ جَوَادُ الْقِطَارِ^(٢).
 كَأَنَّ الشَّقِيقَ بِهَا وَجَنَّةٌ بآخِرَهَا لَمَعَةٌ مِنْ عِذَارِ^(٣)؛
 كَأَنَّ الْبِنْفَسَجَ فِي لَوْنِهِ آخِذَا طُ الظَّلَامِ بِضَوْءِ النَّهَارِ.
 وَأُتْرَجُّهَا كَحَقَاقِ النَّضَارِ تُصَفِّفُ أَوْ كُثْدِي الْجَوَارِي^(٤).
 أَقْمِنَا نُسَابِقُ صِرْفَ الزَّمَانِ بِدَارًا إِلَى عَيْشِنَا الْمُسْتَعَارِ^(٥).
 نُجِيبُ بِصَوْتِ الْقِنَانِ الْقِيَانَ إِذَا مَا أَجَابَتْ غِنَاءَ الْقَمَارِي.
 نَشْمُ الْخُدُودَ شَمِيمَ الرِّيَاضِ وَنَحْنِي النُّهُودَ اجْتِنَاءَ الثَّمَارِ.
 وَنُسْقَى عَلَى النَّوْرِ مِثْلَ النُّجُومِ مِثْلَ الْبُدُورِ اعْتَلَتْ لِلْمَدَارِ^(٦).
 نَعْمِنَا بِهَا وَكَأَنَّ النُّجُومَ دَرَاهِمُ مِنْ فِضَّةٍ فِي نِشَارِ^(٧).
 إِذَا مَا لَقِيتَ اللَّيَالِي بِهَا فَأَنْتَ عَلَى صِرْفِهَا بِالْخِيَارِ^(٨)!

- (١) الدن (بالفتح): وعاء كبير للخمر. العقار: الخمر. صرف: خالصة (غير مزوجة).
- (٢) البروج (لعله اسم مكان). القطار: المطر (يوم غائم مطر).
- (٣) الشقيق (شقائق النعمان) كناية عن الحمرة. العذار: الشعر النات في الوجه.
- (٤) الأترج: نوع من الليمون (يكون كبيراً وأصفر). الحقاق (بالكسر) جمع حقّ (بالضم): وعاء صغير. النضار: الذهب.
- (٥) صرف: أحداث (مصائب). بداراً: استباقاً (نحاول نحن أن نلتقي الصباح مثلاً قبل أن يأتي الصباح حتى لا نضيع من عمرنا دقيقة سدى).
- (٦) النور (بالفتح): الزهر. مثل النجوم: الحب (بفتح ففتح) وهي نفاخات صغيرة تطوف على وجه الخمر في الكأس. ورتباً بدأ البيت: ونسقى (بالبناء للمجهول).... فيكون المعنى: ويسقينا في جنينة مملوءة بالأزهار ندمان مثل البذور (بجهاهم) حيناً اعتلت في المدار (في مدارها: ارتفعت إلى كبد السماء) مثل النجوم (خراً يطفو الحب على سطحها). حينئذ تصبح «مثل البذور» فاعلاً.
- (٧) النجوم (نجوم السماء أو نجوم الكاس: الحب؟) في نثار: قطع صغيرة (من ذهب) كناية عن الخمر.
- (٨) إذا دهمتكَ مصائب الدهر فإذا شئت فاشرب الخمر (لكي تنسى تلك المصائب).

وكان في النصف الأول من القرن الخامس للهجرة (النصف الأول من القرن الحادي عشر للميلاد) نفرٌ من الشعراء منهم الفقيه أبو بكر عتيق السمنطاري^(١)، نسبة إلى سامانترية إحدى قرى صقلية، وكان ينظم شعراً من شعر العلماء العادي كقوله:

فَتَنَّا أَقْبَلْتِ وَقَوْمٌ غُفُولٌ وَزَمَانٌ عَلَى الْأَنَامِ يَصُولُ .
- ويبدو أن من هؤلاء أيضاً أبو عبد الله بن الطويي ، وقد كان كاتباً للإنشاء في صقلية . وهو شاعرٌ مُتَقَلِّبُ الرَّأْيِ في الدنيا يدعو حيناً إلى الزهد والتصوّف الحقيقيّ ويمجّن أحياناً في الغزل المذكّر خاصّة . قال في التصوّف والمتصوّفين :

ليس التصوّف لبس الصوف ترقعه ، ولا بُكاءك إن غنى المغنونا ؛
ولا صياحٌ ولا رقصٌ ولا طربٌ ولا تغاشٍ كأن قد صيرت مجنوناً^(٢) .
بل التصوّف أن تصفو بلا كدرٍ وتتبع الحقّ والقرآن والدينا ،
وأن ترى خائفاً لله ذا ندمٍ على ذنوبك طول الدهر محزوناً .
وكذلك قال في الغزل المذكّر :

أَنْظُرْ إِلَى حَسَنِ وَحُسْنِ عِذارِهِ لِتَرَى مَحاسِنَ تَسَحَّرُ الْأَبصارا^(٣) .
فإِذَا رَأَيْتَ عِذارَهُ فِي خَدِّهِ أَبْصَرْتَ ذَا لَيْلًا وَذَاكَ نَهَاراً !
غير أننا نرى في هذه الحقة أيضاً من أدرك سوء الحال في صقلية فنفت ذلك في شعره . قال أبو محمد القاسم بن عبد الله التميمي :

-
- (١) المسلمون في صقلية ، تأليف موريثو ٤٣، ٤٤ .
(٢) تغاش (غير موجودة في القاموس) والمقصود التظاهر بأن الإنسان قد أعْمِيَ عليه (من شدة الخوف من الله) .
(٣) العذار: الشعر النابت في الوجه .

وما كنتُ أشقى الغرب لو كان لم تكن صِقْلِيَّةٌ منه، وإن لأمَ لائمٌ^(١).
 مُنينا بذاتِ البينِ حتَّى كأننا نرى أن مَنْ يَنفي سوى البني غاشمٌ^(٢).
 يُغيِّرُ الفتى منا على مالِ نفسه، ويقتلُهُ غَدراً أخوه الملائم.
 وكانت بلادُ الرومِ طوعَ سُوفنا إذا رامها منّا على البُعْدِ رائمٌ^(٣).
 فإن نال مِنّا الناسُ أو قلَّ كثرنا فقد تقتلُ الحمى وتُردي السَّائم^(٤).
 أتونا، ولكن بالدرّوع، أسوداً؛ ولكن أتينا والسيوفُ عزائم^(٥).
 وطيبُ حياةِ المرءِ في عزِّ موته. وما الموتُ إلّا أن تموتَ الكرائم.

ابن عبد ربّه

١- هو شهابُ الدين أبو عمَرَ أحمدُ بنُ عبدِ ربّه بنِ حبيب بنِ حُدَيْر بنِ سالمِ القرطبي، وكان سالمُ القرطبي مولى هشام بن عبد الرحمن الداخل.
 وُلِدَ أحمد بن عبد ربّه في عاشِرِ رَمَضانَ ٢٤٦ (٢٩ / ١١ / ٨٦٠ م) في قرطبة ونشأ فيها. وتلقّى العلم على نَفَرٍ منهم بَقِيُّ بنُ مَخْلَدٍ (ت ٢٧٦ هـ) ومُحمَّد بنُ وصَّاحٍ (ت ٢٨٦) ومُحمَّد بن عبد السلام الحشني (ت ٢٨٦).
 وكان أحمدُ بنُ عبد ربّه شاعرَ بلاطٍ للأمير المُنذِرِ (٢٧٣-٢٧٥ هـ) وللأمير عبد الله (٢٧٥-٣٠٠ هـ) ولعبدِ الرحمنِ الناصر بعدها. وكذلك كان صديقاً للشاعرِ

(١ و ٢) نحن أشقياء في صِقْلِيَّةٍ لأن صِقْلِيَّةٍ جزءٌ من الغرب (الأندلس) الشقي. منينا: أصبنا (بالبناء للمجهول) بذاتِ البين (بالغضاء والعداوة). يني: يطلب. البني: الظلم. غاشم: ظالم. تعودنا الظلم: من الناس حتّى إذا رأينا رجلاً لا يظلم سميناه ظالماً. أو نظنّه غشياً جاهلاً (راجع المعجم الوسيط، ص ٦٥٩). وما كنت (٣) للمخاطبة المؤنثة: أشقى الغرب (بني منقوطة) أو (للمتكلم المفرد: أشقى العرب (بعين مهملة ومضمومة).

(٣) رام: أراد، قصد. - كنا نحن نتعلّب على بلاد الروم....
 (٤) تردي: تهلك. السموم (بالفتح): الريح الحارّة.
 (٥) الروم (النصارى) يتغلّبون علينا لأنهم يلبسون دروعاً (عندهم وسائل كثيرة للقتال)، ونحن نقاتل بعزائمنا (بأيدينا) بدل السيوف (ليس عندنا سلاح).

الْقَلْفَاطِ (ت نحو ٣٣٣) تَمَّ فَسَدَ مَا بَيْنَهُمَا وَتَهَا جِا .

وفُليح ابن عبد ربّه أعواماً ثم تُوُفِّيَ في قُرْبَةِ في ثامنَ عَشَرَ جُمَادَى الأولى من سنة ٣٢٨ (٣ / ٣ / ٩٤٠ م).

٢- أبو عُمَرَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ أَدِيبٌ وَاسِعُ الإِحَاطَةِ بِفُنُونِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ . تَمَّ هُوَ شَاعِرٌ مُكْثِرٌ صَحِيحُ الْأَسْلُوبِ مَتِينُ السَّبْكِ سَهْلُ التَّرْكِيبِ يَغْلِبُ عَلَى شِعْرِهِ مَنْطِقُ الْعُلَمَاءِ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَنَحْنُ نَجِدُ عَلَى شِعْرِهِ شَيْئاً مِنَ الطَّلَاوَةِ . وَلَيْسَ فِي شِعْرِهِ مِنَ الصَّنَاعَةِ إِلَّا مَا جَاءَ عَفْوَاً ، مَعَ وَجُودِ شَيْءٍ مِنَ التَّكَلُّفِ الْمَعْنَوِيِّ فِيهِ . وَقَدْ ضَاعَ شِعْرُ ابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ إِلَّا مَا أوردَهُ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ نَفْسُهُ فِي كِتَابِهِ « الْعِقْد » . أَمَا فنونُ شِعْرِهِ فَهِيَ الْمَدِيحُ وَفِيهِ شَيْءٌ مِنَ التَّكَلُّفِ وَالْمَبَالَغَةِ ، ثُمَّ الرِّثَاءُ وَهُوَ عِنْدَهُ كَثِيرٌ وَمَعْظَمُهُ فِي أَهْلِهِ رَقِيقٌ صَادِقٌ الْعَاطِفَةُ . وَغَزَلُهُ كَثِيرٌ رَاقٍ ، وَلَعَلَّ أَحْسَنَ شِعْرِهِ الْغَزَلَ وَالرِّثَاءُ . وَفِي هِجَائِهِ فُكَاهَةٌ وَدُعَابَةٌ وَشَيْءٌ مِنَ الْإِقْدَاعِ أحياناً . وَلَهُ أَيْضاً وَصْفٌ لِلطَّبِيعَةِ لَا يَبْلُغُ فِيهِ مَبْلَغُ شِعْرَاءِ الْأَنْدَلُسِ . أَمَا زُهْدُهُ فَقِيَّةٌ تَكَلَّفُ كَثِيرٌ لِأَنَّهُ حَاولَ أَنْ يَأْتِيَ بِمَعَارِضَةٍ فِي الزُّهْدِ لِكُلِّ مَقْطُوعَةٍ فِي الْغَزَلِ كَانَ قَدْ قَالَهَا فِي شَبَابِهِ . إِنَّ هَذَا جَعَلَ زُهْدَهُ كَثِيراً وَلَكِنْ لَمْ يَرْفَعُهُ إِلَى مَسْتَوًى عَالٍ . وَابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ أَرْجُوزَةٌ مِنْ بَابِ الْمَلَحَمِ أَيْبَاتُهَا أَرْبَعُمِائَةٍ وَخَمْسَةٌ وَأَرْبَعُونَ قَالَهَا فِي غَزَوَاتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ) وَتَنَاولَ فِيهَا بِطَبِيعَةِ الْحَالِ الْغَزَوَاتِ الْأُولَى . وَشِعْرُ ابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ قَصِيدٌ وَرَجَزٌ .

كَانَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ مُفَرِّمًا بِشِعْرِهِ يُورِدُهُ فِي كِتَابِهِ « الْعِقْد » عِنْدَ كُلِّ مُنَاسِبَةٍ . وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ يُورِدْ لِنَفْسِهِ (وَلَا لِغَيْرِهِ) شَيْئاً مِنَ الْمَوْشَحَاتِ . وَلَقَدْ خُدِعَ نَفَرٌ مِنَ النِّقَادِ وَمُؤَرِّخِي الْأَدَبِ بِجَمَلَةِ ابْنِ خَلْدُونِ (المقدمة، ١١٣٨) تَنَسَّبُ مَوْشَحَاتٍ إِلَى « أَبِي عُمَرَ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ » . وَمَعَ أَنَّ ابْنَ خَلْدُونِ نَفْسَهُ يَذْكُرُ أَنَّ ابْنَ عَبْدِ رَبِّهِ هَذَا هُوَ صَاحِبُ « الْعِقْد » (كِتَابُ الْعِقْدِ الْفَرِيدِ) ، فَالْحَقِيقَةُ أَنَّ صَاحِبَ الْمَوْشَحَاتِ هُوَ ابْنُ أَخِي ابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ هَذَا (وَكُنْيَتُهُ وَاسْمُهُ كَكُنْيَةِ عَمِّهِ وَاسْمُهُ أَيْضاً: أَبُو عُمَرَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ) . وَعَلَى كُلِّ فَإِنَّهُ لَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا مِنْ مَوْشَحَاتِ صَاحِبِ الْعِقْدِ (إِذَا كَانَ صَاحِبُ الْعِقْدِ قَدْ نَظَّمَ مَوْشَحَاتٍ) وَلَا مِنْ مَوْشَحَاتِ ابْنِ أَخِيهِ شَيْءٍ .

غير أن شهرة أبي عمَرَ أحمد بن عبد ربّه هي في النثر- وفي كتابه «العقد» خاصة^(١). جَمَعَ ابنُ عبد ربّه في كتابه العقد أخباراً وأقوالاً واختيارات من النثر والشعر يتعلّق القسمُ الأوفى والأوفر منها بالمشرق حتّى قال الصاحبُ بن عبّاد (ت ٣٨٥ هـ)، وقد رأى هذا الكتاب، جلّته المشهورة: «هذه بضاعتنا رُدّتْ إلينا؛ ظَنَنْتُ أن هذا الكتابَ يشتملُ على شيءٍ من أخبار بلادهم، وإنّا هو مشتملٌ على أخبار بلادنا. لا حاجة لنا فيه».

جعل ابنُ عبد ربّه كتابه خمسة وعشرين باباً وشبّهه بعقدٍ فيه خمسة وعشرون حجراً كريماً: واسطة (في وسط العقد، وتكون أكبر حَبّاتِ العقد) ثم أربعة وعشرون حجراً كلُّ حجرين منها مُتآثلان من جنسٍ واحدٍ يَحْتَلّانِ مكانين متقابلين من طَرَفَيِ العقد على جانبي الواسطة. فمن أبواب العقد: اللؤلؤة في السلطان، الفريدة في الحروب، الزبرجدة في الأجواد، الجُمّانة في الوفود،....

وقد جمع ابن عبد ربّه مادّة كتابه من مَصَادِرٍ مختلفة: من الكتب السملوية، ومن دواوين الشعراء، ومن كُتُبِ ابنِ المقفّع والمجاظر والمبرد ثم ألحّ بصورة خاصة على كتاب «عيون الأخبار» لابن قُتَيْبَةَ حتّى أن بعض أبواب العقد نسخٌ واضحٌ من أبوابٍ مماثلة في كتاب عيون الأخبار.

أمّا قيمة كتاب «العقد» فترجعُ إلى أنّه في الدرجة الأولى كتابٌ مُتعةٌ يقرأ الإنسان فيه أخباراً طريفةً حتّى بلغتِ الحالُ بالمؤلفِ إلى أن روى أشياء من باب الخُرافة. ثم إن المؤلفَ جَمَعَ موضوعاتٍ مختلفة في كتابٍ واحدٍ، ولكن أحسنَ تصنيفاً هذه الموضوعات وترتيبها وعرضها. وفي الكتاب نماذجٌ جميلةٌ من الشعر والنثر والأقوال. ثم إنّ المؤلفَ قصّدَ إلى العبرة الحسنة والتهذيب الخُلقي (وإن كان قد أتى أحياناً بأشياء خارجة على المألوف)- والكتابُ أيضاً «مَرْجِعٌ بمثابة مصدرٍ»: أي إنّ ابن عبد ربّه أخذَ أخباراً وأشعاراً من كُتُب ضاعت، فأضْبَحْنَا لا نَعْرِفُ هذه الأخبارَ إلا من كتابه.

(١) إن العنوان «العقد الفريد» تطوّر متأخراً زاد فيه كلمة «الفريد» أحد المطالعين أو الناشرين.

وَمَعَ أَنَّ الْمَادَّةَ الَّتِي فِي كِتَابِ « الْعَقْد » مُعْظَمُهَا نَقُولُ لَا تَدُلُّ بِطَبِيعَةِ الْحَالِ عَلَى أَسْلُوبِ ابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ، فَإِنَّا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَصِلَ فِي الْكِتَابِ إِلَى مَقَاطِعَ هِيَ بَلَا رَيْبٍ مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ وَتَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَسْلُوبَ الرَّجُلِ كَانَ مُوجَزاً وَاضِحاً قَرِيبَ الْمَعَانِي يَرْتَبِطُ بَعْضُ جُمْلِهِ بِبَعْضِهَا الْآخَرِ ارْتِبَاطاً مَنْطِقِيّاً.

٣ - مَخْتَارَاتٍ مِنْ آثَارِهِ

- قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي الْغَزَلِ وَالنَّسِيبِ أَشْيَاهُ رَقِيقَةً. وَقَدْ كَثُرَ الْإِسْتِشْهَادُ بِأَبْيَاتِهِ التَّالِيَةِ:

يَا لَوْلَوْأَ يَنْسِي الْعُقُولَ أُنَيْقًا، وَرَشَاءً بِتَقْطِيعِ الْقُلُوبِ رَفِيقًا^(١)،
مَا إِنْ رَأَيْتُ- وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ- دُرّاً يَعُودُ مِنَ الْحَيَاءِ عَقِيقًا^(٢).
وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى مُحَاسِنِ وَجْهِهِ أَبْصَرْتَ وَجْهَكَ فِي سَنَاهُ غَرِيقًا^(٣).
يَا مِنْ تَقَطَّعَ خَصْرُهُ مِنْ رِذْفِهِ، مَا بَالُ قَلْبِكَ لَا يَكُونُ رَفِيقًا!

- وَلَهُ الْأَبْيَاتُ الصَّادِقَةُ الْعَاطِفَةُ فِي رِثَاءِ ابْنِهِ:

وَكَبِيدًا! قَدْ تَقَطَّعَتْ كَيْدِي! قَدْ حَرَّقَتْهَا لَوَاعِجُ الْكَمَدِ^(٤).
مَا مَاتَ حَيٌّ لِمَيِّتٍ أَسْفَاً أَعْذَرُ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدٍ.
يَا رَحْمَةَ اللَّهِ، جَاوِرِي جَدْنَا دَفَنْتُ فِيهِ حُشَاشَتِي بَيْدِي^(٥).

(١) لَوْلَوْ (هنا: كناية عن اللون الأبيض الجميل). أنيق: جميل يعجب العين. الرشاء: الغزال الصغير (الفتاة الشابة الجميلة). الرفيق: الكثير العناية في العمل.

(٢) الدرّ: اللؤلؤ. العقيق: حجر كريم أحمر. درّ يعود من الحياء عقيقاً: وجهه (الأبيض كالدرّ) يعود (يصبح) من الحياء والخجل عقيقاً (أحمر).

(٣) السناء: النور. أبصرت وجهك في سناه غريقاً: ترى صورة وجهك في وجهه (كأن وجهه مرآة).

(٤) اللاعج: (الحب أو الحزن) المحرق (الشديد الحرارة والألم). الكمد: الحزن.

(٥) الحدث: القبر. الحشاشة: بقية الحياة (كناية عن ولده).

لا صبر لي بعده ولا جلدٌ، فُجعتُ بالصبر فيه واجلد^(١).

- وقال ابن عبد ربّه في مقدّمة كتاب العِقد:

وقد نظّرتُ في بعض الكتب الموضوعَةِ فوجدتها غيرَ متفرّقةٍ في فنون الأخبار، ولا جامعةٍ لِجَمَلِ الآثار. فجعلتُ هذا الكتابَ كافياً جامعاً لأكثر المعاني التي تجري على أفواه العامة والخاصّة، وتدورُ على ألسنة الملوك والسوقة. وحلّيتُ كلَّ كتابٍ (فصل) منها بشواهد من الشعر تُجانسُ الأخبارَ في معانيها وتوافقُه (توافق الشعر) في مذاهبها.

- وقال يَصِفُ تَوَلَّى عبد الرحمن الناصر حفيد الأمير عبد الله وخليفته؛ وفي هذه القطعة تأنقُ ظاهرٌ:

ثم وَلِيَ الْمَلِكُ الْقَمَرُ الْأَزْهَرُ الْأَسَدُ الْغَضَنَفَرُ الْمَيْمُونُ النَّقِيبَةُ الْمَحْمُودُ الضَّرِيبَةُ^(٢)، سَيِّدُ الْخُلَفَاءِ وَأَنْجَبُ النُّجَبَاءِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ... فَتَوَلَّى الْمَلِكُ وَهُوَ جَمْرَةٌ تَحْتَدُّمٌ وَنَارٌ تَضْطَرُّمٌ وَشَقَاقٌ وَنَفَاقٌ^(٣). فَأَخْمَدَ نِيرَانَهَا وَسَكَنَ زَلَازِلَهَا، وَافْتَتَحَهَا عَوْدًا كَمَا (كَانَ قَدْ) افْتَتَحَهَا بَدْءًا^(٤) سَمِيَهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ. وَقَدْ قُلْتُ وَقِيلَ فِي غَزَوَاتِهِ كُلِّهَا أَشْعَارٌ قَدْ جَالَتْ فِي الْأَمْصَارِ وَشَرَدَتْ فِي الْبُلْدَانِ حَتَّى أَتَهَمَتْ وَأُنْجِدَتْ وَأَغْرَقَتْ^(٥).

ولولا أَنَّ النَّاسَ مُكْتَفُونَ بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْهَا لَأَعَدْنَا ذِكْرَهَا أَوْ ذَكَرَ بَعْضُهَا. وَلَكِنَّا سَنَذْكُرُ مَا سَبَقَ إِلَيْنَا مِنْ مَنَاقِبِهِ الَّتِي لَمْ يَتَقَدَّمْ إِلَيْهَا مُتَقَدِّمٌ وَلَا أُخْتَهَا وَلَا نَظِيرٌ.....

(١) الجلد: القوّة واحتمال المصاعب.

(٢) الأزهر: الأبيض. الغضنفر: الأسد الغليظ الجَنَّة (القويّ الشديد). الميمون: المبارك. النقيبة: الطبيعة. الضريبة (كالنقبة). النحيب: الذي له فضل على غيره وشهرة، الذي ينبج أولاداً ناهيين، الذكي.

(٣) جمرة تحتدم (تشتعل) بالفتن والثورات. شقاق: خلاف، نزاع (بين أصحاب الملك أنفسهم).

(٤) افتتحها عوداً: فتحها (ردّها إلى حكم بني أمية من حكم الإسبان أو الثوار من المسلمين) كما كان جدّه عبد الرحمن الداخل انتزعها (بدءاً) لبني أمية من أنصار بني العبّاس.

(٥) اتهمت: نزلت إلى تهامة (شاطئ الحجاز). أنجدت: صعدت إلى نجد (الهضبة الوسطى في شبه جزيرة العرب). أغرقت (وصلت إلى العراق) - عمت واشتهرت.

ومن مناقبه أَنَّ الملوكَ لم تَزَلْ تَبْنِي على أَقدارها ويُقضى عليها بِآثارها^(١). وأَنَّهُ بَنَى في المَدَّةِ القليلةِ ما لم تَبْنِ الخلفاءُ في المَدَّةِ الطويلةِ.... ومن مناقبه أَنَّهُ أَوَّلُ من سَمَّى أميرَ المؤمنين من خُلَفَاءِ بني أُمَيَّةَ بالأندلس.

- ولابن عبد ربّه أبياتٌ رِقاقٌ بارعاتٌ، منها:

صِلْ من هَوَيْتَ وإنْ أبدى مُعَاتِبَةً؛	فأَطِيبُ العَمِشِ وَصِلْ بينَ الْفَيْنِ.
واقطعْ حَبَائِلَ خِذَنِ لا تَلَامُهُ،	فقلِّمًا تَسعُ الدُّنْيَا بغيضين ^(٢) !
- اشربْ على المنظرِ الأليقِ،	وَأَمْزُجْ بريقَ الحبيبِ ريقِي؛
وَأَحْلُلْ وشاحَ الكعابِ رِفْقاً	خَوْفاً على خَصْرِها الرقيقِ ^(٣) .
وقُلْ لِمَن لَامَ في التَّصَايِي:	خَلِّ قليلاً عن الطريق!
- أَنْتَ دَائِي، وفي يديكَ دَوَائِي،	يا شِفَائِي من الجوى وبَلَائِي ^(٤) .
إِنَّ قَلْبِي يُحِبُّ مَنْ لا أُسْمِي	في عَنَاءٍ، أَعْظَمُ به من عَنَاءِ!
كيفَ لا، كيفَ أَن أَلَدَّ بعِشِ	ماتَ صبري به وماتَ عزائي.
أُثْمًا لللائمونَ، ماذا عليكم	أَن تَعِيشُوا وَأَن أَمُوتَ بدائي؟
ليسَ مِن مَاتَ فَاسْتَرَجَ بَمِيتِ،	إِنَّا المِيتُ مِيتُ الأحياءِ!
- ودَعَتْنِي بِزَفْرَةٍ وَأَعْتَنَاقِ	ثم نَادَتْ: متى يكونُ التَّلَاقِي؟
وتصدَّتْ فَأَشْرَقَ الصُّبْحُ منها	بينَ تلكَ الجيوبِ والأطواقِ ^(٥) .
يا سَقِيمَ الجفونِ من غيرِ سُقْمِ،	بينَ عَيْنَيْكَ مَضْرَعُ العِشَّاقِ.
إِنَّ يَوْمَ الفراقِ أَفْظَعُ يومَ،	لِيتَنِي مِيتٌ قَبْلَ يومِ الفراقِ!

(١) الملوك في العادة تعمل ما تقدر عليه ثم تحكم نحن على أعمالهم بما يكون لهذه الأعمال من نتائج.....

(٢) الخدن: الصديق، الأليف.

(٣) الوشاح: قطعة من النسيج تجعلها المرأة على أعلى جسمها. الكعاب: الكعاب: الفتاة أول صباحها.

(٤) الجوى: ألم الحب.

(٥) الحبيب: مدخل الثوب في العنق. الطوق: حلية توضع في العنق.

- من أرجوزة ابن عبد ربه:

سُبْحَانَ مَنْ لَمْ تَخَوْهُ أَقْطَارُ
وَمَنْ عَنَتَ لَوَجْهِهِ الْوُجُوهُ،
لَكِنَّهُ يَدْرِكُ بِالْقُرْيَحِ
مَعْرِفَةَ الْعَقْلِ مِنَ الْإِنْسَانِ
وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ وَالتَّمَجِيدِ
أَقُولُ فِي أَيَّامِ خَيْرِ النَّاسِ
وَمِنْ أَبَادِ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ
وَنَحْنُ فِي حَنَادِسِ كَاللَّيْلِ
حَتَّى تَوَلَّى عَابِدُ الرَّحْمَنِ
قَدْ أَشْرَقَتْ بَنُورُهُ الْبِلَادُ
خَلِيفَةُ اللَّهِ الَّذِي أَصْطَفَاهُ
أَخِيَا الَّذِي قَدْ مَاتَ مِنْ مَكَارِمِ
هُوَ الَّذِي جَمَعَ شَمْلَ الْأُمَّةِ

وَلَمْ تَكُنْ تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ؛
فَمَا لَهُ نِدٌّ وَلَا شَيْبَةٌ (١).
وَالْعَقْلُ وَالْأَبْنِيَّةُ الصَّحِيحَةُ (٢).
أَثْبَتُ مِنْ مَعْرِفَةِ الْعِيَانِ.
وَبَعْدَ شُكْرِ الْمُبْدِئِ الْمُعِيدِ (٣)،
وَمَنْ تَحَلَّى بِالنَّدَى وَالْبَاسِ (٤)،
وَشَرَّدَ الْفِتْنَةَ وَالشَّقَاقَا،
وَفِتْنَةٍ مِثْلِ غُثَاءِ السَّيْلِ (٥)،
ذَاكَ الْأَعْرُ مِنْ بَنِي مِرْوَانَ.
وَانْقَطَعَ التَّشْفِيقُ وَالْفُسَادُ.
عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ وَاجْتِبَاهُ (٦).
مِنْ عَهْدِ كَعْبٍ وَزَمَانِ حَاتَمِ (٧).
وَجَابَ عَنْهَا دَامَسَاتِ الظُّلْمَةِ (٨)،

-
- (١) عنا يعنو: خضع. الند: الثيل.
(٢) القريحة: المقدرة على إدراك الأمور والحكم عليها. الأبنية الصحيحة: مقدمات المنطق، خطوات التفكير المنظم.
(٣) المبدئ والمعيد: الله (هو بدأ الخلق أول مرة وهو سيعيد الناس إلى الحياة يوم القيامة).
(٤) الندى: الكرم. البأس: القوة.
(٥) المهندس (بضم فسكون فضم): اشتداد الظلام. غثاء السيل: الأقدار الخفيفة التي يجرفها السيل فتطفو على سطحه. المقصود في الأصل بهذه الاستعارة: الضعف والشيء لا قيمة له. والشاعر يقصد (أن الفتن) كثيرة شديدة متلاحقة.
(٦) اصطفاه: اختاره. اجتباه: قرّبه.
(٧) كعب بن مامة وحاتم الطائي من الأجواد (من الكرماء) في الجاهلية.
(٨) الدامس: المظلم. جاب ليست في القاموس بالمعنى الذي أراده الشاعر. هو يقصد «أزاح».

وجدّدَ الملكَ الذي قد أخلقا وأفتتحَ الحصونَ حصناً حصناً
 وأوسعَ الناسَ جميعاً أمناً . وجعّ العُدّةَ والعديداً
 وكثّفَ الأجنادَ والحشوداً^(٢) ولم يزلْ حتى أنتحى جيّاننا
 فلم يدعْ بأرضها شيطاناً^(٣) . فأصبحَ الناسُ جميعاً أُمّةً
 قد عقدَ الإلّ لهم والذمّةُ^(٤) . وانصرفَ الناسُ إلى القليعةِ
 فصبّحوا العدوَّ يومَ الجمعةِ^(٥) . ثم التقى العليجان في الطريقِ:
 والنّبْلونيّ مَعَ الجليّتي^(٦) . فأعقداً على أنتهابِ العسكرِ
 وأن يموتا قبلَ ذاكِ المحضرِ . وأقبلوا بأعظمِ الطُغيانِ
 قد جلّلوا الجبالَ بالفرسانِ^(٧) ؛ فأشرعتْ بينهم الرماحُ
 وقد علا التكبيرُ والصياحُ^(٨) . وآلتقتِ الرّجالُ بالرجالِ
 وأنغمسوا في غمرةِ القتالِ ، في موقفٍ زاغتْ به الأبصارُ
 وقصّرتْ في طولهِ الأعمارُ . حتى بدتْ هزيمةُ البشكنسِ
 كأنه مُختَضِبٌ بالورسِ^(٩) .

- (١) أخلق: تهرأ، ضعف. رست: ثبتت. استوتق الأمر (والكلمة في القاموس لا تأتي بهذا المعنى): أصبح موثوقاً به مضموناً وفي أمان.
- (٢) العدة: الآلات والسلاح. العديد: العدد الكثير (من الجند). الحشد (بالفتح): الناس المجموعون لأمر ما.
- (٣) انتحى: قصد. جيان: مدينة في جنوبي الأندلس... شيطان: (ناثر).
- (٤) الإلّ والذمة: العهد.
- (٥) القليعة... صبح الرجل القوم: جاءهم في الصباح.
- (٦) ينبلونة: بلدة في أقصى الشمال. النبلوني (أمير إسباني مسيحي؟) والجليقي (ابن مروان الجليقي): ناثر مسلم مرتد.
- (٧) جلّلوا: غطّوا (بفتح الطاء). جلّلوا الجبال بالفرسان (لكثرة عددهم).
- (٨) التكبير (قول: الله أكبر) من المسلمين. والصياح من الإسيان.
- (٩) البشكنس: أمير البشكنس أو الجلالقة (سكان الشمال الغربي من إسبانية) أو قائدهم. الورس: صباغ أصفر مائل إلى الحمرة (من الخوف أو الغضب).

لَمَّا أَتَتْهُ مِيتَةُ الْخَنْزِيرِ وَأَنَّهُ صَارَ إِلَى السَّعِيرِ^(١)،
كَاتَبَهُ أَوْلَادُهُ بِالطَّاعَةِ وَبِالدُّخُولِ مَدْخَلَ الْجَمَاعَةِ^(٢)؛
وَأَنْ يُقَرَّهُمْ عَلَى الْوَلَايَةِ: عَلَى دُرُورِ الْخَرْجِ وَالْجَبَايَةِ^(٣)؛
فَاخْتَارَ ذَاكَ الْإِمَامُ الْمُفْضِلُ، وَلَمْ يَزَلْ مِنْ رَأْيِهِ التَّفْضِيلُ.
ثُمَّ لَوَى الشَّيْطَانُ رَأْسَ جَعْفَرٍ وَصَارَ مِنْهُ نَافِخًا فِي الْمُنْخَرِ^(٤)؛
فَنَقَضَ الْعُهُودَ وَالْمِثَاقَاتِ، وَاسْتَعْمَلَ التَّشْغِيبَ وَالنِّفَاقَ
فَاعْتَاقَهُ^(٥) الْخَلِيفَةُ الْمُؤَيَّدُ وَهُوَ الَّذِي يُشْقَى بِهِ وَيُسْعَدُ.
فَجَنَّدَ الْجُنُودَ وَالْكِتَابَاتِ، وَقَوَّدَ الْقَوَادِ وَالْمَقَانِيَا^(٦).
ثُمَّ أَنْتَحَى مِنْ فَوْزِهِ بُشْتَرًا، فَلَمْ يَدَعْ فِيهَا قَضِيًّا أَخْضَرًا.
حَتَّى إِذَا حَلَّ عَلَى تَطِيلَةٍ، بَكَتْ عَلَى دِمَائِهَا الْمَطْلُولَةِ^(٧).
وَهَمَّ أَنْ يُدِيخَ دَارَ الْحَرْبِ، وَأَنْ تَكُونَ رِذَاهُ فِي الدَّرْبِ^(٨).
ثُمَّ أَسْتَشَارَ ذَا النُّهَى وَالْحِجْرَ، مِنْ صَحْبِهِ وَمِنْ رِجَالِ الثُّغْرِ^(٩).

- (١) الخنزير هنا: عمر بن حفصون كان يتظاهر بالإسلام ولم يكن مسلماً (كما ظهر فيما بعد حينما نبش قبره). وقد شغل عمر بن حفصون بشورته الأمراء الأندلسيين مدة طويلة، وكان يتلقى المساعدات من الإسبان ومن الأوروبيين خارج إسبانية.
- (٢) بعد موت عمر بن حفصون استمر أولاده في الثورة على أمراء قرطبة. ولكنهم كانوا أحياناً- إذا ضعفوا- تظاهروا يطلب الصلح والعفو.
- (٣) درور الخرج: تقديم ضرائب وافية عن أراضيهم.
- (٤) ثم... عاد (جعفر بن عمر بن حفصون) إلى الثورة.
- (٥) اعتاقه: عاقه، منعه وصده (عن إنزال ضرر بالناس). المؤيد: المُعان (بضم الميم)، الذي يعينه الله.
- (٦) قوّد... عين قواداً. المقتب. (بكسر الميم وفتح النون): جماعة من الفرسان دون المائة.
- (٧) تطيلة بلدة إلى الشمال الشرقي من سرقسطة. المطلول: الذي يذهب دمه هدرًا، لا ينصره أحد ولا يأخذ بشأه أحد. بكت. لعلها: بكت (بتشديد الكاف: جعلت الناس يبكون عليها). وهذا أصح في الوزن وفي المعنى.
- (٨) أداخ: أخضع وأذل. دار الحرب: بلاد العدو رذاه: عون (؟) له، محطة. الدرب: الطريق في الجبل (أخضع تطيلة حتى لا تكون خطراً وراءه إذا هو قطع الجبال التي وراءها لمحاربة الإسبان).
- (٩) النهى والحجر: العقل. الثغر: المكان الخوف، القريب من بلاد العدو (شالي الأندلس).

فكلّهم أشار ألا يُدْرَبَا
 وشنعوا أن وراء الفلج
 فقال: لا بُدّ من الدخول؛
 فاستنصر الله وعبيّ ودخل،
 وعاذ بالرغبة والدعاء
 فقدم القواد بالحشود
 فانهزم العليج، وكانت ملحمة
 لم يَغْزُ فيها وانتحى ببشّرا
 وأحتلها بالعزّ والتمكين
 وعاضها الإصلاح من فسادهم
 حتى خلا ملحود كلّ قبر
 عصابة من شيعة الشيطان
 عدوة لله والسُّلطان

٤- كتاب العقد (المطبوع باسم «العقد الفريد»)، بولاق (المطبعة الأميرية) ١٢٩٣ هـ،
 القاهرة (المطبعة العثمانية) ١٣٠٢ هـ، (مطبعة إبراهيم عبد الرازق) ١٣٠٢ هـ (٢)،
 (المطبعة الشرقية) ١٣٠٢ هـ؛ (مطبعة شرف) ١٣٠٥ هـ؛ القاهرة ١٣١٤ هـ، ١٣١٦ هـ

- (١) أدرب: جاوز (أو دخل) الدرب (الممر في الجبل) ليفزو وراء: المؤتب (الكثير الرجال والسلاح).
- (٢) شنع: (هولّ بنشر أخبار غير صحيحة أو للتخويف). الفج: الطريق الواسع (والملموح هنا): الطريق في الجبل. العليج: الرجل الفليظ (والكافر الذي لا يعرف اللغة العربية)، ملك الإسيان.
- (٣) وما إلى «حاشاه»: إلى استثنائه، إلى تركه.
- (٤) عبّ الجيش: جمعه ورتبه.
- (٥) عاذ: لجأ.
- (٦) المدود: (يقصد جمع مدد- بفتح ففتح- ألف رجل ينضمون إلى جيش).
- (٧) الساقة: جماعة ملحقة بالجيش (وتكون الساقة لإعداد الطعام ونقل السلاح وإصلاحه). والمقدمة: القسم الأول المتقدم في الجيش. جاوز فيها...: هرب الجيش كله (٢).
- (٨) فيها: في سنة ٣١٦ هـ. انتحى: قصد ببشّرا: حصن كان فيه عمر بن حفصون. رمّ القلعة: أصلح ما خرب فيها وزاد في قوتها.
- (٩) بنو عمر بن حفصون الذين استمروا في الثورة بعد موته.

- هـ؛ (الطبعة الأزهرية) ١٣٢١ هـ؛ القاهرة (المطبعة الجالية) ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م)؛
 القاهرة ١٩٢٨ م (١٣٤٦-١٣٤٧ هـ)؛ (مصطفى محمد) ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م)؛ (تحرير
 أحد أمين- أحد الزين- إبراهيم الأبياري) القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر)
 ١٣٥٩ هـ (١٩٤٠ م) وما بعد؛ (تحقيق محمد سعيد العريان) القاهرة ١٩٤٩ م
 (١٣٦٨ هـ)، الطبعة الثانية (١٩٥٣ م. ١٣٩٣ هـ (١٩٧٢ م)؛ (تحرير عبد الستار فرّاج)
 القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر)، الطبعة الثانية ١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م.
 ★★ ديوان ابن عبد ربّه الأندلسي - مع دراسة لحياته وشعره (نشره محمد
 التونجي)، دمشق (منشورات مؤسسة ومكتبة الخافقين) ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧
 - فهارس تحليلية لكتاب العقد الفريد، القاهرة ١٣٢١ هـ؛ (استخراج محمد شافع) كلكتا
 ١٩٣٥-١٩٣٧ م.
 - ديوان ابن عبد ربّه (جمعه وحققه وشرحه محمد رضوان الداية)، بيروت (منشورات
 الرسالة) ١٩٧٩.
 - ابن عبد ربّه وعقده، تأليف جبرائيل جبّور، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٣٣ م؛
 (دار الآفاق) ١٩٧٩ م.
 - دراسة العقد الفريد، مقال لشفيق جبري (مجلة مجمع اللغة العربية ١٧: ٢٧ و ١٦٥)،
 ابن الغرضي ١: ٤٩- ٥٠، جذوة المقتبس ٩٤- ٩٦، بغية الملتبس ١٣٧- ١٤٠ (رقم
 ٣٢٧)، المقتبس ٢٤١- ٢٤٣، المطمح ٥١- ٥٣، المطرب ١٥١- ١٥٦، معجم الأدباء
 ٤: ٢١١- ٢٢٤، وفيات الأعيان ١: ١١٠- ١١٢، الوافي بالوفيات ٨: ١٠- ١٤،
 البيان المغرب ٢: ٢٢٥، نفح الطيب ٧: ٤٩- ٥٢، دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٧٦-
 ٦٧٧، بروكلمان ١: ١٦١، الملحق ١: ٢٥٠- ٢٥١، نيكل ٣٥- ٤٣، مختارات نيكل
 ١٧- ١٨، الأعلام للزركلي ١: ١٩٧- ١٩٨ (٢٠٧)، داية ٢٧٩- ٢٩٢.

القلّفاط

- ١- هو أبو عبد الله محمد بن يحيى القرطبي المعروف بالقلّفاط، لا نعرف من حياته
 الأولى إلا أنه كان أحد المعلمين. ويبدو أنه كان قديم العهد بصناعة التعليم حتى
 أصبحت له جُرأة على العبث بزُملائه المؤدّبين. وكان القلّفاط يدرّس النّحو.
 أما أحداث حياته البارزة فتكاد تتجمّع في أيام الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥-
 ٣٠٠ هـ) وأيام عبد الرحمن الناصر (٣٠٠- ٣٥٠ هـ). قال الحميدي (جنوة ٩٢):
 «وأظنّه كان في أيام الحكم المستنصر» (٣٥٠- ٣٦٦ هـ).

غير أننا إذا حسَبنا أنه مدَح إبراهيم بن حجاجِ النَّائرِ في إشبيلية (ت فجأة ٢٨٨) ثم هجا الأمير عبد الله بن محمد (ت ٣٠٠)، وإذا علمنا أنه كان صديقاً لابن عبد ربّه (ت ٣٢٨) ثم فسَدَ ما بينها فهجاها، وأنه كان صديقاً لأبي عبد الله محمد ابن إسماعيل الحكيم (ت ٣٣١) لا نستبعدُ أن يكون القَلْفاطُ قد عاش رَدْحاً في القرن الهجريّ الرابع. ثم إنّ عبد الرحمن الناصر قد عهدَ إليه وإلى نفرٍ آخرينَ بنسخِ شعر أبي تمام وترتيبه، ولا يمكن أن يكون عبد الرحمن الناصرُ قد تفرَّغَ لذلك قبل أن هدأت أحوالُ الأندلس وتسمّى هو بالخلافة (٣١٦ هـ). فلعلّ هذا كلّهُ يميلُ بنا إلى الاعتقاد بأن القَلْفاط ظلّ على قيد الحياة إلى نحو ٣٢٥ أو ما بعدها أيضاً.

٢- « القَلْفاط » لقبُ محمد بن يحيى الأديب (تاج العروس ٥ : ٢١٢) من نُحاة قرطبة المشهورين ومن اللُّغويين المُتقَدِّرين. ثمّ إنّهُ كان أديباً مُتقَدِّراً في الشعر مُجَوِّداً مطبوعاً يُقَصِّدُ (يَنْظُمُ القصيدة) فيُحَسِّنُ ويُطِيلُ. لكنّ لم يَصِلْ إلينا من شعره إلّا قليلٌ. وكانت فنونُ شعره المديح والهجاء والغزل الرقيق السهل ووصف الطبيعة. لكنّ توثُّبه على الناسِ (بالهجاء) جعله قليلَ الحظوةِ عندهم. وشهرتهُ بالهجاء خاصةً.

٣- مختارات من شعره

- قال محمد بن يحيى القَلْفاط يصف الرياض:

مُزْنٌ تُغْنِيهِ الصَّبَا، فَإِذَا هَمَى لَبَّتْ حَيَاهُ رَوْضَةٌ غَنَاءُ^(١) :
فالأرض من ذاك الحيا مَوْشِيَّةٌ، والروض من تلك السماء سماءُ^(٢) .

(١) المزن: المطر. الصبا: ريح الشرق. تغنيه الصبا (بصوت الرعد): أي يجعل المطر كثيراً (الرعد مرور شرارة كهربائية في الغيم تحيل في العادة بخار الماء الذي هو في الغيم ماء). والملاحظ أن المطر يغزر بعد الرعد مباشرة. همى: سقط بكثرة. الحيا: المطر. الروضة الغناء: الكثيرة الأزهار (أو الكثيرة الأطياف التي تألف الرياض حينما يكون ماؤها كثيراً وأزهارها كثيرة). لَبَّتْ (استجابت). حياه (ماء مطره) روضة غناء (أُنبتت نباتاً ناضراً كثيراً ذا أزهار مختلفة).

(٢) مَوْشِيَّةٌ: فيها وشي (زرَكشة وزخرف من كثرة أنواع النبات والأزهار). السماء الأولى: المطر. السماء الثانية (استعارة): مثل السماء (يشبه الأزهار التي في تلك الروضة بالنجوم التي تظهر في السماء (النجوم- جمع نجم: من النبات ما لا ساق له، والأجرام السماوية).

ما إِنْ وَشَتْ كَفَّ صَنَاعٌ ما وشى ذاك الغِناءُ بها وذاك الماءُ^(١)
زُهرٌ لها مُقَلٌّ جَوَاحِظُ تارةً ترنو، وتاراتٍ لها إغضاء^(٢)

- وقال في النسيب:

يَا غَزَالاً عَنْ لِي فَابِ تَرَّ قَلْبِي ثُمَّ وَلَّى^(٣)،
أَنْتَ مِنِّي بِفُؤَادِي - يَا مُنَى قَلْبِي - أُولَى.

٤- * * الزبيدي ٣٠١-٣٠٥؛ جذوة المقتبس ٩١-٩٢ (الدار المصرية) ٩٨ (رقم ١٦٥)؛
بغية الملتص ١٣٤-١٣٥؛ المغرب ١: ١١١، إنباه الرواة ٣: ٢٣١، راجع
٢٣٣؛ الوافي بالوفيات ٥: ١٩٢ (راجع ٢٠٠)- في ص ٩٢ (الحاشية ٤) أَنَّ
الصفدي خلط بين محمد بن يحيى الرباحي (ت ٣٥٨) ومحمد بن يحيى القلغاط؛ بغية
الوعاء ١١٤؛ نفح الطيب ٣: ٢٩٤-٢٩٥؛ البلغة ٢٤٩، ٢٥٢-٢٥٥ (ترجعتان
موجزة ومبسوطة)؛ نيكل ٣٧.

الحكيم القرطبي النحوي

١- هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل المعروف بالحكيم القرطبي كان مولده في
قرطبة نحو سنة ٢٥١ (٨٦٥ م).

أخذ الحكيم القرطبي عن المحدث محمد بن وضاح (ت ٢٨٦) وعن اللغوي والمحدث
محمد بن عبد السلام الحشني (ت ٢٨٦ أيضاً) وأخذ المنطوق عن المتفلسف محمد بن عبد
الله بن مسرة (٢٦٩-٣١٩ هـ)، ولكن يبدو أنه لم يتأثر بشيء من تطرف ابن مسرة
وزنداقته. وكذلك أخذ عن محمد بن الغازي (ت ٢٩٦ هـ) ما كان محمد بن الغازي قد

(١) الصنّاع: البارع في عمل ما. «إن» زائدة. وشى: زركش، زين بالألوان. الغناء: صوت الرعد.
الماء = ماء السماء: المطر.

(٢) زهر (بضم الزاي): كلّ حيوان أو نبات برّاق اللون المقلّة: جسم العين (يشبه الأزهار بالعيون).
جواحظ جمع جاحظة (بارزة، يقطة). ترنو: تتطلع (كأنها تنظر). الأغضاء: تقارب جفني العين أو
انطباقهما (من النمس). المقصود: بعض الأزهار متفتحة كثيراً، وبعضه يكون قليل التفتح. ولعل
الكلمة «إغفاء» لا «إغضاء».

(٣) عن: ظهر. ابتز: سلب، سرق. روي هذان البيتان (فوق ص ٢٠٤).

جَلَبَهُ مَعَهُ مِنَ الْمَشْرِقِ مِنَ الشُّعْرِ وَاللُّغَةِ وَالنَّحْوِ مِنَ الْأَشْعَارِ الْمَشْرُوحَةِ رِوَايَةً عَنْهُ وَسَاعَاً عَلَيْهِ.

والحكيمُ القرطبيُّ كان مُؤدِّباً للحكَمِ المستنصر بن عبد الرحمن الناصر. كما كان صديقاً للشاعر القَلْفاط (ت ٣٢٥).

وكانت وفاةُ الحكيمِ القرطبيِّ في عاشرِ ذي الحِجَّة من سَنَةِ ٣٣١ (٢٦ / ٨ / ٩٤٣ م).

٢- كان الحكيمُ القرطبيُّ بارِعاً في اللغة والنحو والحساب والمنطق يُنْعِمُ النظرَ في كلِّ شيءٍ، فإذا بَحَثَ في أمرٍ أثار معانيه الدقيقة. ولكنَّه كان عَيِّياً في المُخاطبات. ومعَ أنَّه لم يُعْنَ بنظم الشعر فقد وصل إلينا منه بضعةُ أبياتٍ فيها نفسٌ ولَقَاتٌ ثم سهولةٌ في التعبير.

٣- مختارات من شعره

- سَهَرَ الشَّاعِرُ الْقَلْفَاطُ عِنْدَ الْحَكِيمِ الْقُرْطُبِيِّ لَيْلَةً ثُمَّ بَاتَ عِنْدَهُ وَطَالَ نَوْمُهُ حَتَّى كَادَتِ الشَّمْسُ تَشْرُقُ. فَاتَّبَعَهُ الْقَلْفَاطُ فَقَالَ يُخَاطِبُهُ مُتَنَدِّراً بِهِ يُسَمِّيهِ دِيكاً ثُمَّ يُعَاتِبُهُ لِأَنَّهُ لَمْ يَصْبِحْ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ حَتَّى يَنْهَضَ الْقَلْفَاطُ لصلَاةِ الصُّبْحِ:

يا ديك، ما لك لم تَصْرُخْ فتنهِنَا؟ لقد أسأت بنا، ديك الدجاجات!

يا أكلًا للقدى، يا سالحاً عَبَثًا على الحَصِيرِ بَهيمِيَّ البَهيماتِ !

فأجابه الحكيم القرطبي:

لقد صرختُ مراراً جَمَّةً عِدداً قبل الصُّباح، وبعد الصُّبح، تارات.

لكن عَلِمْتُكَ نَوَاماً وَذَا كَسَلٍ قَلِيلَ ذِكْرِ الْجَبَّارِ السَّمَوَاتِ

- وللحكيمِ القرطبيِّ أيضاً يُخَاطَبُ مَنْ أَسَمَهُ ابْنُ تَقِيٍّ (في النسيب):

سَلْ تَقِيّاً، بِاللَّهِ، يَا ابْنَ تَقِيٍّ: هل ترى قَتَلَ مُسْتَهَامٍ شَجِيٍّ ؟

كَلِمَا جَنَّ لَيْلُهُ بَاتَ يَزْعَى أَنْجُمًا هَائِلًا بِطَرْفٍ خَفِيٍّ

يَا سَمِيَّ النَّبِيِّ، حَسْبُكَ مَا بِي؛ لَا تَزِدْنِي جَوَى، بِحَقِّ النَّبِيِّ
 ٤- ** الزبيدي ٣٠٠، ابن الفرضي ١: ٣٤٩ (رقم ١٢٣٠)، معجم الأدباء ١٨: ٣٠،
 الوافي بالوفيات ٢: ٢١٠، بغية الوعاة ٢٢، البلغة ٣١٠.

خليل بن إسحاق

١- هو أبو العباس خليل بن إسحاق بن وزيد من أهل طرابلس (الغرب) ومن
 أبناء الجند فيها. برع في عدد من وجوه العلم وأحاط بعدد من فنون الأدب. وضَّحِبَ
 الصوفية مدة. ويبدو أنه كان رجلاً صالحاً، فمن أعماله أنه أشرف على بناء الجامع
 الكبير الذي تم بناؤه سنة ٢٩٩ (٩١٢ م) ثم زاد فيه المنارة (٣٠٠ هـ).

وفي سنة ٢٩٩ ثار أهل طرابلس على الفاطميين، فحاصر عبيد الله المهديّ-
 أول خلفاء الدولة الفاطمية- مدينة طرابلس حصاراً شديداً ثم فتحها بعد مقاومة
 عنيفة، سنة ٣٠٣، وفرض عليها غرامة باهظة، قيل: أربعمائة ألف دينار! في هذه
 الأثناء كان خليل بن إسحاق قد مال إلى الدعوة الفاطمية وأعتنقها فولاه عبيد الله
 المهديّ جمع تلك الغرامة، فأشتط في جمعها وعذب الناس في تحصيلها. وتقلب
 خليل ابن إسحاق في عدد من مناصب الدولة: تولى جمع الضرائب كما تولى قيادة
 فريق الحيّالة.

غير أن عبيد الله المهديّ عاد فغضب عليه وأهمله. فلما جاء القائم بأمر الله
 (٣٢٢-٣٣٤ هـ) ابن عبيد الله المهديّ آمن خليل بن إسحاق وولاه على جزيرة صقلية
 (٣٢٥-٣٢٩ هـ) فأكثر فيها من الظلم وسفك الدماء وكان يفتخر ويزعم أنه قتل في
 صقلية ألف ألف (مليون) نفس.

ثم إن القائم بأمر الله صرف خليل بن إسحاق عن صقلية وولاه على جيش لقتال
 أبي يزيد مخلد بن كنداد الخارجي (٣١٦-٣٣٦ هـ) المعروف بلقب «صاحب
 الحمار». ولكن أبا يزيد حاصره في مدينة القيروان ثم أخذه فقتله، سنة ٣٣٢ هـ
 (٩٤٣-٩٤٤ م) وصلبه.

٢- كان خليلُ بنُ إسحاقَ شديدَ التقلبِ في حياته؛ وسببُ أنتقاله من الخيرِ والصَّلاحِ إلى الظُّلمِ وسفكِ الدماءِ والانتقامِ يخفى علينا اليومَ. ومعَ ذلكَ فإنَّه كانَ شاعراً مُجيداً عذبَ الألفاظِ سهلَ التراكيبِ رقيقَ المعاني. وأكثرُ شعره مديحُ للفاطميّين.

٣- مختارات من شعره

- قال خليلُ بنُ إسحاقَ يمدحُ عبيدَ الله المَهديَّ بقصيدةٍ منها:

قفْ بالمنازلِ وأسألنِ أطلالها. ماذا يضرُّكَ لو أردتَ سُؤالها^(١)؟
هل أنتَ أولُ من بكى في دِمْنَةٍ دَرَسَتْ وَغَيَّرَتْ الحوادثُ حالها^(٢)؟
يا دارَ زَيْنَبَ، هل تَرُدِّينَ البُكا عن مُقْلَةٍ سَفَحَتْ عَلَيْكَ سِجَالها^(٣)؟
بُدِّلَتْ، بالأنسِ الخرائدِ كالدمى، وَخَشَ الفلاةَ ظِباءُها ورثالها^(٤).
صَلَّى الآلهُ على النَّبيِّ مُحَمَّدٍ، وعلى الإمامِ وزادَهُ أمثالها:
إِنَّ الإمامَ أَقامَ سُنَّةَ جَدِّهِ للمُسلمينَ كما جَدَّوَتْ نِعالها^(٥)،
وَهَدَى بِهِ اللهُ البَرِيَّةَ بعدما طَلَبَ القَواةُ الظالمونَ ضلالها.
إِنَّ الخلافةَ، يا ابنَ بِنْتِ مُحَمَّدٍ، حَطَّتْ إِلَيْكَ عن النَّبيِّ رِحالها^(٦).

- (١) الطلل: مكان الخيمة بعد أن ينتزعها أهلها ويرحلوا عن المكان الذي كانوا فيه.
- (٢) الدمنة: الطلل. درس المنزل: أَمَحَتْ آثاره.
- (٣) سفحت العين: سال دمعها. سفحت سجالها (السجل يفتح السين: الدلو العظيم): بكت كثيراً.
- (٤) في القاموس (٢: ١٩٨): الأنوس من الكلاب ضدَّ المقور وجمعها أنس (بضمّ فسّم). ويقصد الشاعر بقوله بالأنس الخرائد: النساء الجميلات اللواتي يأنس بهنَّ الرجل عادة. الدمية: التمثال، الصورة (المرأة الجميلة). الرثال جمع رأل: ولد النعامة.
- (٥) السنة: الطريقة، المنهاج، نط الحياة. جدّه: مُحَمَّد رسول الله (يعتقد الفاطميّون أَنَّ عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية من نسل فاطمة بنت مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم). كما جذوت نعالها: كما فصلت أديم إحدى الثعالب على النعل الأخرى (يعني: يسلك كما كان يسلك رسول الله تماماً) - وفي هذه الاستعارة في هذا المكان قبح ظاهر.
- (٦) يا ابن بنت مُحَمَّد: يا ابن فاطمة بنت مُحَمَّد: يا من أنت من نسلها. حطَّت الخلافة إليك رِحالها: وجدت فيه الخليفة الحقيقي (يعتقد الفاطميّون أَنَّ الإمام عليّاً وحده كان خليفة، ثم بقي الناس بلا خليفة حتى جاءت الدولة الفاطمية).

ولقد عَهِدْتُ لآلِ زَيْنَبَ حَبْرَةً فيها ودُنِيَاً أَقْبَلْتُ إِقْبَالَهَا^(١).
 بِيضَاءِ نَاعِمَةٍ يَجُولُ وَشَاحُهَا، وَتَهَزُّ دِقَّةُ خَصْرُهَا أَكْفَالَهَا^(٢).
 وَكَأَنَّ فِي فِيهَا بُعِيدَ رُقَادِهَا عَسَلًا أَصَابَ مِنَ السَّمَاءِ زُلَالَهَا^(٣).
 وَلَقَدْ عَصَيْتُ عَوَازِلِي فِي حُبِّهَا. وَالنَفْسُ تَعْصِي فِي الْهَوَى عُدَّالَهَا^(٤).

٤- الحلة السراء ١: ٣٠٢ - ٣٠٤؛ أعلام ليبيا ١٠٥.

أبو العرب التميمي

١- هو أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام بن تميم القيرواني المغربي الإفريقي، كان جدّه تميم بن تمام من أمراء العرب (البدو) وأميراً على تونس.

بدأ أبو العرب التميمي تلقي العلم على محمد بن يحيى بن السلام^(٥) ثم سمع من جماعة منهم: أبو موسى عيسى بن مسكين الإفريقي المحدث الفقيه اللغوي (ت ٢٧٧) وجيب ابن نصر بن سهل (ت ٢٨٧) وأبو جعفر حمديس بن محمد القطان (ت ٢٨٩) ويحيى بن

(١) الحبرة (بفتح الحاء): السرور والنعمة (النضارة والروثق، السعادة). ودنيا أقبلت: خصب ونعيم وازدهار.

(٢) يجول وشاحها: يتحرك وشاحها على كتفيها (كنية عن أنّ جسمها أهيئ رشيق غير ضخم). الكفل (بفتح الفتح): الردف (بكسر الراء). - لعلّه يقصد: ضخامة أردافها تتعب خصرها التحيل الضعيف فتجعله يهتز بغير إرادته!

(٣) بعيد رقادها: بعد نومها بوقت قليل (عند استيقاظها). الزلال: الماء الصافي. السماء المطر.

(٤) العذلة (بضمّ ففتح) والعذال (بفتح فتشديد) اللائم (الذي يلوم المحبّ على حبه)، والجمع منها عذلة (بفتح ففتح) وعذال وعذّل (بضمّ فتشديد فيها). والعواذل جمع عاذل: عرق يخرج منه دم الاستحاضة في المرأة (القاموس ٤: ١٤). والشاعر يقصد بالعواذل جمع عاذلة (لائمة للمحبّ على حبه).

(٥) في المقدمة لناشري كتاب «طبقات علماء إفريقية وتونس» (ص ٢٤) أن أبا العرب ولد بين سنة ٢٥٠ و٢٦٠ سنة ٢٦٠ ثم على لسان أبي العرب: «أثبت وأنا حدث إلى دار محمد بن يحيى بن السلام (كذا) فرأيت عنده الطلبة. وقيل لي إنّ الزيّ الذي كنت ألبسه ليس زيّ طلبة العلم. ثم جاء في الصفحة ١١٣ (من الكتاب المنشور) أن محمد بن يحيى قد مات سنة ٢٦٢ هـ. ومعنى هذا أن أبا العرب لم يكن (لما مات محمد بن يحيى) في سنّ من يطلب العلم. فإذا تشدّدنا وأجزنا أن يكون أبو العرب قد ولد في سنة ٢٦٠ هـ فيكون عمره يوم توفي محمد بن يحيى سنتين! وإذا تساهلنا فقلنا أن يكون قد ولد سنة ٢٥٠ هـ فيكون عمره يوم وفاة محمد بن يحيى اثني عشرة سنة.

جعفر التونسي الحافظ (للحديث) الزاهد (ت ٢٨٩) وأبو عثمان سعيد بن إسحاق الكلبي (ت ٢٩٥) وأبو يوسف جيلة بن حمود بن عبد الرحمن الصدقي الفقيه (ت ٢٩٧ أو ٢٩٩) وأبو عثمان سعيد بن الحداد الفقيه (ت ٣٠٢ هـ).

وقد احترَف أبو العرب تربية أولاد العرب ونسخ الكتب. سمع منه أيضاً جماعة منهم نَفَرٌ من الأعلام. من هؤلاء جميعاً ابنه تَمَامٌ وتَمِيمٌ ثم الفقيه المشهور ابن أبي زيد القيرواني (ت ٣٨٦ هـ) ومحمد بن الحارث الحُشَني (ت بعد ٣٦٦ هـ).

وفي رَجَب من سنة ٣٣٣ (٩٤٥ م) حَضَّ أهالي القيروان على القتال إلى جانب أبي يزيد أحمد بن يزيد الخارجي صاحب الحمارِ ضِدَّ العُبيديين (الفاطميين) ولكنه أُسِرَ وحُبِسَ ثم مات في ٢٢ من ذي القعدة في الأغلب من سنة ٣٣٣ (٧ / ٧ / ٩٤٥ م) - وفي الديباج المذهب (ص ٢٥٠) سنة ٣٠٣.

٢- كان أبو العرب التميمي رجلاً صالحاً عارفاً بالحديث ورجاله ثقة، وكان فقيهاً حافظاً للمذهب المالكي. وقد كان كثير التَّأليف في الحديث والفقه والتاريخ. ويبدو أن معظم كتبه في الحديث والفقه أبواب (أي فصول وليست كتباً مستقلة). له من الكتب (الفصول) في الفقه: الوضوء والطهارة - الجنائز - في الصلاة - ذكر الموت وعذاب القبر. ثم له طبقات علماء إفريقية - (مجموع من التراجم لعلماء القيروان وتونس مَبْنِي على الرواية والإملاء) - عُبَادُ إفريقية - مناقب بني تميم - فضائل مالك - كتابُ سحنون (ذكر مناقبه وسيرته في قضائه، ص ١٨٥) - كتاب التاريخ في سبعة عشر جزءاً (ص ٢٧، ٣٦) وقيل في أحد عشر جزءاً (ص ٣٨)، وهو الكتاب الذي كَسَبَهُ لَقَبَ «رافع لواء التاريخ في إفريقية» (ص ٢٧، راجع ٣٦) - المِحَن - موتُ العلماء (جزءان) - عوالي حديثه^(١).

(١) عوالي الحديث: الأحاديث التي جرى جمعها وتخريجها في زمن متقدم. فالأحاديث الواردة مثلاً في «السنن» للنسائي (ت ٣٠٣ هـ) فإنها تعد في عوالي الحديث بالإضافة إلى الأحاديث الواردة في «المستدرک» للحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ) ولم ترد عند النسائي، فإنها لا تعد من عوالي الحديث بل من نوازل. والمعروف أن الحاكم النيسابوري قد استدرک أحاديث لم ترد في «الصحيحين» في صحيح (مجموع أحاديث) البخاري (ت ٢٥٦ هـ) وصحيح مسلم (ت ٢٦١ هـ). فالأحاديث الواردة ■

وأسلوب أبي العرب عادي واضح، ولكنه كثير الإيجاز إلى حد الإخلال أحياناً. وكذلك كان له نظم صحيح المعنى من مثلاً شعر العلماء.

٣- مختارات من آثاره

- قال أبو العرب التميمي في الصديق الذي يتغير:

إذا وَلَّى الصديقُ لغيرِ عُنْدٍ فزادَ اللهَ خُلَّتَه انقطاعاً^(١)
إلى يومِ التَّنَادِ بلا رجوعٍ . فإن رَامَ الرجوعَ فلا استطاعاً^(٢)!
إذا وَلَّى أخوكَ قَوْلَ عَنْهُ وزدّه، وراءَ ما والاكَ، باعاً^(٣).
ونادٍ وراءه: «يا ربُّ، تَمَّ؛ ولا تجعلَ لِفِرْقَتِهِ اجتماعاً».

- وقال في الضَّعْفِ من التَّقدُّمِ في السن:

ضَعُفْتُ حِيلَتِي وَقَلَّ أَصْطِبَارِي، وإلى اللهِ أَشْكِي كُلَّ مَا يَ.
وَهَنَ الْعَظْمُ بَعْدَ أَنْ كَانَ صُلْباً، وفقدتُ الشَّابَّ أَيَّ شَبَابٍ^(٤).

- سخنون (طبقات علماء إفريقية وتونس ص ١٨٤ - ١٨٥)، وهو نصّ إنشائي لا

رواية:

قال أبو العرب: ومن شيوخ أهل إفريقية أبو سعيد سخنون بن سعيد بن حبيب التَّنُوخِي، من صليبة العرب^(٥)، وأصله من الشام من أهل حمص. وأبوه سعيد قديم مع الجند، وهو من أهل حمص. كان (سخنون) جامعاً للعلم فقيه البدن^(٦) اجتمعت فيه

= عند البخاري ومسلم هي من عوالي الحديث بالإضافة إلى الأحاديث التي استدرکها الحاكم عليها. ثم إن لعوالي الحديث ونوازل درجات ليس هذا الكتاب مكاناً للتفصيل فيها.

(١) الخلة (بالضم) الصداقة والمحبة التي تتخلل القلب.

(٢) التناد: التنادي: يوم القيامة.

(٣) والاك (كذا في الأصل). اقرأ: ولأك (ولّى عنك). الباع: مدى الذراعين مبسوطتين. أي زده بعداً جديداً فوق ما ابتعد عنك.

(٤) وهن: ضعف. أي شاب! ذلك الشاب الناضر الذي كان لي.

(٥) صليبة العرب: من العرب الخالص الذين لم يتفق اختلاط في أنسابهم.

خِلَالُ^(١) ما أَجْتَمَعَتْ في غيره: الفِقهُ البارِعُ والورعُ الصادقُ والصرامةُ في الحقِّ والزهادةُ في الدنيا والتخشُّنُ في الملبسِ والمطعمِ والسماحةُ والتَّركُ^(٢)، لا يقبَلُ من السلطان شيئاً، وكان ربّياً وصلّاً، بَعْضُ إِخْوَانِهِ بِالثَّلَاثِينَ دِينَاراً^(٣). وكان (سحنون) أَوَّلَ من شَرَدَ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ من المسجد الجامع، وكان فيه حَلَقَاتٌ لِلصُّفَرِيَّةِ وَالْإِبَاضِيَّةِ (والمعتزلة يتناظرون فيه) وَيُظْهِرُونَ زَيْنَهُمْ^(٤). وقد كان حَافِظاً لِلْعِلْمِ، ولم يكن يَهَابُ سُلْطَاناً في حَقِّ يُقِيمُهُ... وَوَلِيَ الْقَضَاءَ سَنَةً أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ، وهو يَوْمُئِذٍ ابْنُ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً، ولم يأخُذْ عَلَى الْقَضَاءِ أَجْراً. وَتُوُفِّيَ، رَحِمَهُ اللَّهُ، يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ لِسَبْعَةِ أَيَّامٍ مَضَتْ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ.

٤- طبقات علماء إفريقية- ذكر علماء تونس (نشرها محمد بن أبي شنب المتوفى ١٣٤٧ هـ- ١٩٢٩ م منفصلين)، الجزائر ١٩١٤ م. ثم نشرها منقولين إلى الفرنسية، الجزائر ١٩٢٠ م- طبقات علماء إفريقية وتونس (تقديم وتحقيق علي الشاذلي ونعيم حسن اليافي)، تونس (الدار التونسية للنشر) ١٩٦٨ م.

* * راجع مقدّمة «طبقات علماء إفريقية وتونس» الوافي بالوفيات ٢: ٣٩، الديباج المذهب ٢٥٠، بروكلمن، الملحق ١: ٢٢٨، الأعلام للزركلي ٦: ٢٠٠ (٣٠٩:٥)، المجلد في تاريخ الأدب التونسي ٨٠، عنوان الأريب ٢٨.

عبد الله بن الناصر

١- هو أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله، سَمِعَ من جُمْلَةٍ من

- (١) خلال جمع خَلَّة (بالفتح): الخصلة (بالفتح)، الصفة.
- (٢) الترك: الترك لما هو حقّ للشخص كيلا يكون في أخذه إساءة إلى غيره!.
- (٣) وصل... أعطى.
- (٤) الصفرية من الخوارج الذين فارقوا الإمام علياً لأنّه قبل بالتحكيم بينه وبين معاوية بعد معركة صفين. وهم يعدّون أصحاب الذنوب في المشركين ولكن لا يقولون بقتل نساءهم وأطفالهم. والإباضية أتباع عبد الله بن أباض، يقال فيهم إنهم خوارج، ولكنهم أقرب إلى أن يكونوا سلفية، غير أنّهم يتشدّدون في أشياء كثيرة كالخوارج (راجع الفهرس الهجائي). المعتزلة هم الذين يريدون إقامة البراهين على صحّة العقائد الإيمانية بالبرهان العقلي ولا يكتفون بالاقتناع بما ورد من ذلك في الروايات الدينية. الزيغ: الميل عن الحق، الباطل.

العلماء منهم المحدث محمد بن عبد الملك بن أيمن (٢٥٢ - ٣٣٠ هـ) والمؤرخ محمد بن عبد البر^(١) والمؤرخ المحدث مسلمة بن القاسم (٢٩٣ - ٣٥٣ هـ) ومحمد بن معاوية القرشي (ت ٣٦٥ هـ) وغيرهم. وقد أخذ المذهب الشافعي عن حسان بن سعيد^(٢) وأحمد ابن محمد بن عبد البر. وكان صديقاً لسعيد بن فرج الحياتي (أخي أحمد بن فرج صاحب كتاب الحداثق والمتوفى سنة ٣٤٤).

وغيظ عبد الله هذا لأن أباه عبد الرحمن الناصر جعل ولاية العهد لأخيه الحكم. ثم نُقل إلى عبد الرحمن الناصر خبر مؤامرة لخلعه ولقتل الحكم، قيل فيها ابنه عبد الله وأحمد بن محمد بن عبد البر وأحمد بن عبد الله بن العطار (ت ٣٤٥ هـ). فحبسوا كلهم في رمضان من سنة ٣٣٨. ثم إن عبد الرحمن الناصر أمر بقتل ابنه في ١١ أو ١٢ من ذي الحجة من سنة ٣٣٩ (٢٠ أو ٢١ / ٥ / ٩٥١ م).

٢- من غرائب الاتفاق أن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر كان فقيهاً شافعيّاً وأن أخاه عبد العزيز كان حنفيّاً بينما الحكم كان مالكيّاً. ولا غرابة في أن يكون مقتل عبد الله قد أدى بالمذهب الشافعي إلى الركود في الأندلس.

وكان عبد الله بن الناصر فقيهاً متنسكاً حتى سُمّي الزاهد، كما كان مُحِبّاً للعلم والعلماء بصيراً بلسان العرب وشاعراً مطبوعاً مُحْسِناً ومُصَنِّفاً لكتب الأدب والتاريخ. له من الكتب: العليل والقتيل (في أخبار بني العباس بلغ به إلى الرازي بن المقدر المتوفى سنة ٣٢٩ هـ) - المُسَكِّنة في فضائل بقي بن مخلد.

(١) هو أحمد بن محمد بن عبد البر من موالى بني أمية كان في حزب عبد الله بن الناصر ولم يكن يفارقه. ولما عرف عبد الرحمن الناصر بمؤامرة ابنه عبد الله وبمساعدة ابن عبد البر هذا أمر بسجنهما مع رفاقهما في المؤامرة. وقد توفي ابن عبد البر في السجن (٢٨ رمضان ٣٣٨). وهو من فقهاء قرطبة ومن المؤرخين له «تاريخ فقهاء قرطبة» (راجع ابن الفرضي ١: ٢٧؛ الحلة السراء ١: ٢٠٧؛ الأعلام للزركلي ١: ١٩٩).

(٢) في تاريخ الفكر الأندلسي (ص ٤٣٤): حسان بن سعد و (ص ٤٣٥): الحسن بن سعد!

٣- مختارات من آثاره

- قال عبد الله بن عبد الرحمن الناصر في الشكوى من المحبوب:

أَمَّا فُؤَادِي فَكَأَنَّمْ أَلَمَهُ لَوْ لَمْ يَسُحْ نَاطِرِي بِهَا كَتَمَهُ (١).
 مَا أَوْضَحَ السُّقَمَ فِي مَلَا حِظِّ مَنْ يَهْوَى، وَإِنْ كَانَ كَاتِبًا سَقَمَهُ (٢) !
 ظَلَلْتُ أَبْكِي، وَظَلَّ يَغْدُلُنِي مَنْ لَمْ يُقَاسِ الْهَوَى وَلَا عِلْمَهُ (٣).
 إِلَيْكَ مِنْ عَاشِقٍ بَكَى أَسْفَاً حَبِيبَهُ فِي الْهَوَى وَإِنْ ظَلَمَهُ (٤).
 ظَلَلْتُ جُيُوشَ الْأَسَى تُقَاتِلُهُ مُذْ نَذَرْتُ أَعْيُنُ الْمَلَا حِ دَمَهُ (٥).
 - ومن ثمره:

إِنَّ هَذِهِ الْوُجُوهَ الْحِسَانَ خَلَابَةٌ، وَلَكِنَّا لَا تَتَغَلَّظُ فِي نَظَرِهَا وَلَا نَدَّعِي الْعِفَّةَ عَنْهَا بِالْجُمْلَةِ (١). وفيها اعتبارٌ وتذكُّارٌ بِالْحُجُورِ الْعَيْنِ الَّتِي وَعَدَ اللَّهُ تَعَالَى (٢) - إِنَّ مِثْلَكَ فِي الْفُقَهَاءِ لَمَعْنُومٌ. وَمِنْ عَقْلِ الْمَرْءِ أَلَّا يُفْنِيَ عُمُرَهُ فِي مَا لَا يُنْفِقُهُ عَصْرُهُ (٨).

٤ * * جذوة المقتبس ٢٤٤ (الدار المصرية) ٢٦٢ - ٢٦٣ (رقم ٥٥٥) = بغية الملتبس
 ٣٣، المغرب ١: ١٨٢؛ الحلة السراء ١: ٢٠٦؛ نفح الطيب ٣: ٥٨٢ - ٥٨٣؛
 الأعلام للزركلي ٤: ٢٣٠ (٩٦).

- (١) قلبي أخفى أله من حبه، ولكن عيني ظهر فيها هذا الألم.
- (٢) الملاحظ جمع ملحظ: اللحظ (الرؤية) أو موضعه (العين). - مرض القلب من الحب (وكل مرض آخر) يظهر في العيون واضحاً جداً.
- (٣) يغدلي: يلومني.
- (٤) إليك من عاشق (كذا في الأصل). أقرأ: إليك عن (أبعد، ابتعد، اترك)..... وإن ظلمه حبيبه.
- (٥) الأسى: الحزن. نذر دمه: أباح دمه (سمع لجميع الناس أن يقتلوه).
- (٦) حلب: خدع، فتن (سلب العقل). لا تتغلغل..... لا نغم النظر (إلى الحسان) ولا نستطيع أن نردّ بصرنا عنهن بالكلفة.
- (٧) في الجنة.
- (٨) العاقل لا يعمل عملاً لا يكون له قيمة في عصره أو لا يكون هنالك راغبون فيه.

قاسم بن أصبغ البيّاني

هو أبو محمد قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح بن عطاء البيّاني؛ كان جدّه الأعلى عطاء مولى الوليد بن عبد الملك.

وُلِدَ قاسمُ بنُ أصبغ في بيّانة يوم الإثنين في الثاني والعشرين من ذي الحجة من سنة ٢٤٧ (بغية الوعاة ٣٧٥) أو ٢٦/٢/٨٦٢ م، وسكّن قرطبة.

سمِعَ في قرطبة نفراً من العلماء منهم ابنُ وضّاح ومحمدُ بن عبد السلام الحُشنيّ. ثم رَحَلَ إلى المشرق فوصل إلى بغدادَ سَنَةَ ٢٧٦ هـ (٨٨٩ - ٨٩٠ م) فسمِعَ من محمد بن عيسى الترمذيّ (ت ٢٧٩ هـ) والحارث بن أبي أسامة التميميّ (ت ٢٨٢ هـ) وإسماعيلَ ابنِ اسحق الأزدي القاضي (ت ٢٨٢ هـ). وأراد أن يسمَعَ من أبي داود السجستانيّ، ولكن لم يُذكره لأنّ أبا داودَ كان قد توفّي سَنَةَ ٢٧٥ هـ (٨٨٩ م)، قبل أن يدخلَ قاسمُ بن أصبغ بغدادَ ببغضِ عامٍ. وكانت وفاة قاسم بن أصبغ في ١٤ جمادى الأولى من سَنَةِ ٣٤٠ (٩٥١/١٠/١٨ م). وفي شذرات الذهب (٢: ٣٥٧) أنه عاش ثلاثاً وستين سنة (لعلّه خطأ صوابه ثلاث وتسعون) لأن ذهنه تغيّر قبل ثلاث سنوات من وفاته، كما جاء أيضاً في شذرات الذهب.

كان قاسمُ بنُ أصبغ من أئمة العلم حافظاً للحديث ثقةً كثيراً من الحفظ، بارعاً في الفقه وفي علم اللغة. وقد اشتهر في الحديث خاصّة شهرةً عظيمةً حتّى أن الناس كانوا يرحلون إليه لسأع الحديث. وكانت له تصانيف منها: أحكام القرآن- الناسخ والمنسوخ- المصنّف (في الحديث، ألفه على ترتيب سنن أبي داود السجستاني وخرّج ما فيه من الأحاديث: ذكر طرق روايتها، وذلك أنّه لم يدرك أبا داود ليتخرّج عليه فتخرّج على كتابه)- الكبير (في الحديث)- المجتنب (كتاب حديث مصنّف على أبواب الفقه، صنّفه قاسم بن أصبغ لأمر المؤمنين الحكم المستنصر، اختصره من كتابه «الكبير» وبدأ اختصاره في المحرم من سنة ٣٢٤ هـ)- غرائب حديث مالك بن أنس ممّا ليس في «الموطأ»- فضائل قريش- كتاب في الانساب.

-★★ ابن الفرضي ١: ٤٠٦-٤٠٨ (رقم ١٠٧٠)؛ جذوة المقتبس ٣١١ (الدار المصرية) ٣٣٠-
 ٣٣١ (رقم ٧٦٩)؛ بغية الملتبس ٤٣٣-٤٣٤ (١٢٩٨)؛ معجم الأدباء ١٦: ٢٣٦-
 ٢٣٧؛ بغية الوعاة ٣٧٥؛ نفح الطيب ٢: ٤٧-٤٩؛ شذرات الذهب ٢: ٣٥٧؛ دائرة
 المعارف الإسلامية ٤: ٧١٧-٧١٨؛ الأعلام للزركلي ٦: ٧ (١٧٣: ٥).

حفصة الحجازية

١- هِيَ حَفْصَةُ بِنْتُ حَمْدُونٍ، مِنْ أَهْلِ وَادِي الْحِجَارَةِ، كَانَتْ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الثَّرْوَةِ
 وَالْوَجَاهَةِ تَمْلِكُ عَبِيدًا. وَكَانَتْ وَفَاتَهَا فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ (الْعَاشِرِ لِلْمِيلَادِ).

٢- كَانَتْ حَمْدُونَةُ الْحِجَارِيَّةِ عَالِمَةً وَأَدِيبَةً شَاعِرَةً لَهَا شَعْرٌ كَثِيرٌ.

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ شَعْرِهَا

- قَالَتْ حَمْدُونَةُ الْحِجَارِيَّةُ تَذُمُّ عَبِيدَهَا:

يَا رَبِّ، إِنِّي مِنْ عَبِيدِي عَلَى جَمْرِ الْقَضَى؛ مَا فِيهِمْ مِنْ نَجِيبٍ:

إِمَّا جَهْلٌ أَوْ بَلَاءٌ مُتَعَبٌّ، أَوْ قَطْنٌ مِنْ كَيْدِهِ لَا يُجِيبُ!

- وَقَالَتْ فِي النَّسِيبِ:

لِي حَيْبٌ لَا يَنْثِي لِعِتَابٍ؛ وَإِذَا مَا تَرَكْتُهُ زَادَ تِيهَا.

قَالَ لِي: هَلْ رَأَيْتَ لِي مِنْ شَبِيهِ؟ قُلْتُ: أَيْضًا، وَهَلْ تَرَى لِي شَبِيهَا!

-★★ المغرب ٢: ٣٧-٣٨؛ نفح الطيب ٤: ٢٨٥-٢٨٦؛ الأعلام للزركلي ٢: ٢٩٢
 (٢٦٤).

أبو الحزم جهور بن أبي عبدة^(١)

١- هُوَ أَبُو الْحَزْمِ جَهْوَرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ (ت ٢٩٦) بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْعَمْرِ بْنِ يَحْيَى بْنِ
 عَبْدِ الْغَافِرِ بْنِ حَسَّانِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَابِرٍ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ مَمْلُوكًا لِلْخَلِيفَةِ
 الْأُمَوِيِّ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ (ت ٦٥ هـ). وَكَانَ حَسَّانٌ - وَكُنْيَتُهُ أَبُو عَبْدِ- هُوَ الَّذِي
 دَخَلَ الْأَنْدَلُسَ (سَنَةَ ١١٣)، وَإِلَيْهِ تُنْسَبُ الْأُسْرَةُ. ثُمَّ إِنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ، وَكَانَ يُكْنَى أَبَا

(١) حق هذه الترجمة أن تأتي بعد ترجمة «الرازي المؤرخ» (ص ٢٣٨-٢٤١).

عُثْمَان، قد تقلّب في مناصب الدولة طويلاً، ولكنه آثر أخيراً أن يعتزل المناصب وأن يهجر المجتمع إلى أن تُوفّي سنة ٢٩٦.

وأما جَهْوَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ صاحبُ هذه التَرْجَمَةِ فلا نَعْرِفُ من أحداث حياته إلا ما ذكره ابنُ الأَبار (ت ٦٥٨) من أَنَّهُ تصرّف في الكُورِ (تولّى المقاطعات) والأمانات والقيادة والمدينة ومن أَنَّهُ وَزَرَ للخليفة عبد الرحمن الناصر (الحلّة السراء ١: ٢٤٧). وجاء في البيان المغرب (٢: ٢٢٠)، في أخبار سنة ٣٤٤، أن الخليفة عبد الرحمن الناصر «قلّد الوزير جَهْوَرَ بْنَ أَبِي عَبْدِ النَّظَرِ في جميع كُتب أهل الخدمة». وإذا كان والدُ جَهْوَرَ قد تُوفّي سنة ٢٩٦، فلا يُنتظر أن يكون جَهْوَرُ نفسه قد عاش طويلاً بعد ٣٤٤ هـ (٩٥٥ م).

٢- كان أبو الحزم جهور بن عبد الله بن أبي عبدة الوزيرُ شاعراً كثيراً، أكثر شعره الوصف والنسيب والأدب (الحكمة).

٣- مختارات من شعره

- قال أبو الحزم جَهْوَرُ بْنُ أَبِي عَبْدِ يَصِفُ الوردَ وَيُفَضِّلُهُ (على الأزهار)، ويردُّ في ذلك على ابن الرومي الذي فضّل النرجس على الورد^(١). قال أبو الحزم:

الوردُ أحسنُ ما رَأَتْ عَيْنٌ، وأزْ كى ما سقى ماءُ السحابِ الجائِدُ^(٢).
خَضَعَتْ نواوِيرُ الرياضِ لِحُسْنِهِ فتَذَلَّلَتْ تنقادُ وَهِيَ شوارِدُ^(٣).

(١) قال ابن الرومي (٢٨٣ هـ):

للنرجس الفضل المبين لأنّه زهر ونور وهو نبت واحد.
- المبين: الظاهر، الواضح، الزهر: الورق الملون (أحمر، أصفر، الخ).
النور: بفتح النون: الورق الأبيض. يقول ابن الرومي: النرجس أفضل وأحسن لأنّه زهرته تتألف من لونين: أوراق الوسط فيها صفراء والأوراق المحيطة بيضاء.

(٢) أزكى: أحسن وأطيب رائحة. الجائد: الكريم.

(٣) النواوير (جمع نوار بضمّ النون وتشديد الواو)، والنّوار جمع نوّارة (بضمّ فتشديد أيضاً): الزهر الأبيض اللون. فتذللّت.....: اعترفت جميع الأزهار بفضل الورد مع أنّها شوارد: عاصية لا تخضع لأحد.....

وإذا تبدى الوردُ في أغصانه ذَلُّوا: فذا مَيَّتٌ وهذا حاسد.
وإذا أتى وفدُ الربيعِ مُبَشِّراً بطلوعِ صَفْحَتِهِ فَنِعَمَ الوافد^(١).
ليس المُبَشِّرُ كالمُبَشِّرِ بِأَسْمِهِ؛ خَبَرٌ عليه من النُّبُوَّةِ شاهد^(٢).
وإذا تعرَّى الوردُ من أوراقه بَقِيَتْ عوارِفُه فهنَّ خوالد^(٣).

- وقال في العتاب والنسيب:

يا عاتباً لي بالصُّدو د، ألا ذَكَرْتَ قَبِيحَ غَذْرِكِ^(٤)؟
أَخْلَيْتَ من قلبي مكاً نأ كان معموراً بِذِكْرِكِ^(٥)؛
وأنا أَجْبُوكَ، لو وَثَقَ ت، وَأَسْتَدِيمُ طَوِيلَ عُمرِكَ^(٦)!

٤- * * جذوة المقتبس ١٧٧ (الدار المصرية) ١٨٨ - ١٨٩ (رقم ٣٦٠)؛ الحلة السراء ١: ٢٤٥ - ٢٥٢ (وفيه مناقشة لتحقيق نسبة أشعار أبي الحزم جهور ومناقشة خلط نفر من أصحاب المصادر بينه وبين أبي الحزم جهور الذي استبدت بقرطبة بعد سقوط الخلافة الروانية)؛ راجع أيضاً نفح الطيب ١: ٢٠٣ - ٢٠٤ (وفيه أيضاً حاشية في الموضوع نفسه).

سعيد بن عبد ربّه

١- هو أبو عثمان سعيد بن إبراهيم (عبد الرحمن) بن محمد بن عبد ربّه بن حبيب ابن محمد بن سالم، وسالم هذا مولى الأمير هشام الرضي بن عبد الرحمن الداخل. ثم هو

- (١) الترجس يسبق الورد في الظهور (فكأنّ الترجس يشّرنا بقدوم الورد)....
- (٢) ...- والمبشّر (بكسر الشين) يكون أدنى مكانة من المبشّر (بفتح الشين) به. والدليل على ذلك أنّ عيسى بن مريم جاء مبشراً بمحمد صلى الله عليه وسلّم. في القرآن الكريم (٦١: ٦) سورة الصف: وإذا قال عيسى بن مريم: يا بني إسرائيل، إني رسول الله إليكم مصداقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد.....
- (٣) العوارف جمع عارفة: الإحسان. الخالد: الباقي الذي لا يزول. - وإذا تعرّى الخ: إذا ذهب أيام الورد بقي لنا ما نصنعه من الورد (ماء الورد، الخ).
- (٤) أنت تلومني لأنني تركت لقاءك، مع أنّك أنت قد خنت عهودنا.
- (٥) أنت هجرتني مع أنني لم أكن أحبّ أحداً غيرك (لم يكن في قلبي سواك).
- (٦) ومع ذلك فأنا أستديم (أطلب دوام) حياتك، وأرجو أن تثق بقولي....

ابن أخي ابن عبد ربّه (ت ٣٢٨) صاحب كتاب «العقد». تكسّب بالطبّ وعمي في أواخر أيامه. وكانت وفاته سنة ٣٤٢ (٩٥٣-٩٥٤ م).

٢- كان سعيد بن عبد ربّه من أهل العلم والأدب وشاعراً محسناً. غير أنّه شغل بالطبّ والفلك. ومن آثاره: أرجوزة في الطبّ- كتاب في الأقرباذين (الأدوية)- وتعاليقُ مُجربّات (في الطبّ).

٣- مختارات من شعره

- بَعَثَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ يَوْمًا إِلَى عَمِّهِ أَحَدَ (صاحب كتاب «العقد») يَدْعُوهُ إِلَى أَنْ يَحْضُرَ إِلَيْهِ لِيُؤَانِسَهُ. فَلَمْ يُجِبْهُ عَمَّهُ فَكَتَبَ إِلَيْهِ يَقُولُ مَعَاتِبًا:

لَمَّا عَدِمْتُ مُؤَانِسًا وَجَلِيسًا نَادَمْتُ بُقْرَاطًا وَجَالِينُوسًا^(١).
وَجَعَلْتُ كُتُبَهَا شِفَاءً تَفَرَّدِي، وَهِيَ الشِّفَاءُ لِكُلِّ جُرْحٍ يُوسَى^(٢).
وَوَجَدْتُ عِلْمَهَا إِذَا حَصَلَتْهُ يُذَكِّي وَيُحْيِي لِلْجُسُومِ نَفُوسًا^(٣)!

- وقال في أواخر عمره:

أَمِنْ بَعْدِ غَوْصِي فِي عُلُومِ الْحَقَائِقِ وَطُولِ انْبِسَاطِي فِي مَوَاهِبِ خَالِقِي^(٤)،
وَفِي حِينٍ إِشْرَافِي عَلَى مَلَكُوتِهِ، أُرَى طَالِبًا رِزْقًا إِلَى غَيْرِ خَالِقِي^(٥)؟
وَأَيَّامُ عُمْرِ الْمَرْءِ مُتَعَةٌ سَاعَةٍ تَجِيءُ حَثِيثًا مِثْلَ لَمَحَةٍ بَارِقٍ^(٦).

(١) بقراط أو أبقرراط (ت ٣٦٥ ق. م.) طبيب يوناني قديم مشهور بالبراعة في المداواة. وجالينوس (ت نحو ٢٠٠ م) طبيب يوناني متأخر في الزمن ولكن بارع في التشريح والتطبيب.

(٢) يوسى = يوسى (المجهول من يأسو): يداوى.

(٣) أذكى فلان النار: أوقدها. والشاعر يقصد هنا أنّ قراءة كتب بقراط وجالينوس تدكي الإنسان (تجمله ذكيًا).

(٤) في هذين البيتين نزعة إلى التصوّف.

(٦) متعة: استفادة، سرور. ساعة: وقت قصير. الحثيث: المستمر (السريع).

وقد آذنت نفسي بتقويض رجليها، وأسرع- في سوقي إلى الموت- سائقي^(١).

وإني وإن أوغلتُ، أو سرتُ هارباً من الموت في الآفاق فالموت لاحقي^(٢)!

٤- * * جذوة المقتبس ٢١٣ ثم ٣٧٥-٣٧٦ (الدار المصرية) ٢٢٩ ثم ٤٠٠ (رقم ٤٦٥ ثم ٩٤٨/٩٤٩)؛ بغية الملتبس ٢٩٣ (رقم ٧٩١)؛ طبقات الأطباء ٢: ٤٤-٤٥؛ ابن جليل ١٠٤-١٠٦ وفيات ابن قنفذ ٢١٤؛ الأعلام للزركلي ١٥٠: ٣ (٩٧).

الداروقي

١- هو أبو محمد حسن بن محمد التميمي العنبري الداروقي، نسبة إلى دارون- وهي منزل (محطة للقوافل قرب القيروان). وكان يعرف بابن أخت العاهة (!).

كان الداروقي مُعْجَباً بقومه تميم وبَنَسَبِهِ فيهم شديد الافتخار بهم إلى درجة تخرُّج عن الحدِّ المعقول. وكان كثير الحبِّ للبادية يكره أهل الحضر وأهل البدو ممن يعملون في الصناعات والزراعة والتجارة. وكانت وفاة الداروقي سنة ٣٤٣ (٩٥٤-٩٥٥ م).

٢- كان الداروقي إماماً في اللغة وفي العلم بالشعر مشغوفاً بالشعراء القدماء وبذي الرمة خاصة، عارفاً بأخبار العرب وأنسابها وأيامها. وكذلك كان شاعراً مجيداً غزير الشعر جيد الطبع مقتدراً على المعاني.

٣- مختارات من شعره

- أُمْلِقَ (أُغْسِرَ وافتقر) الداروقي يوماً فكتب إلى أبي جعفر المروذي، وكان يَخْدُم الشيعة (الفاطميين):

كَتَمْتُ إِعْسَارِي وَأَخْفَيْتُهُ خَوْفاً بَأَن أَشْكُو إِلَى مُعْسِرٍ،

(١) آذنت بالذِّ: قاربت. تقويض الرجل: نزع النخيلة من مكانها (استعداداً للرحيل)؛ كناية عن قرب الموت.

(٢) أوغل الرجل في الغابة: سار فيها بعيداً. في الآفاق: أطراف البلاد (الأماكن البعيدة عن الحضر المناطق المعمورة والمناطق المهجورة: سيلحق بي الموت أينما ذهبت.

وَأَنْ يَقُولَ النَّاسُ إِنِّي فَتَى لَمْ أَصُنِ الْعِرْضَ وَلَمْ أَصْبِرْ.
فَإِنْ تَكُنْ فِي حَاجَةٍ شَاكِيًا، فَأَشْكُ إِلَى مِثْلِ أَبِي جَعْفَرٍ.
فَهُوَ لَهَا أَمْلَتْهُ أَهْلُهُ؛ وَمَا أَرَاهُ الْيَوْمَ بِالْمُوسِرِ!

٤- ★★ طبقات الزبيدي ٢٦٧-٢٦٨؛ بغية الوعاة ٢٣٦؛ البلغة ٦٦.

الرازي المؤرخ

١- هو أبو بكر أحمد بن محمد بن موسى^(١) الرازي، وُلِدَ في عَاشِرِ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ ٢٧٤ (٢٦ / ٤ / ٨٨٨ م). وَقَدْ سَمِعَ أَبُو بَكْرٍ الرَّازِي هَذَا مِنْ أَحْمَدَ بْنِ خَالِدٍ^(٢) وَقَاسِمِ بْنِ أَصْبَغٍ وَغَيْرِهِمَا. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي ثَانِي عَشَرَ رَجَبَ مِنْ سَنَةِ ٣٤٤ (١١ / ١ / ٩٥٥ م).

٢- كَانَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُوسَى الرَّازِي وَاسِعَ الْخِفْظِ لِلْأَخْبَارِ فَعُرِفَ بِاسْمِ «الْمُؤَرِّخِ» وَ«بِالتَّارِيخِيِّ» لكَثْرَةِ اشْتِغَالِهِ بِالتَّارِيخِ. وَكَانَ أَيْضًا مَتَمِيزًا بِالْجُغْرَافِيَةِ أَدِيبًا وَشَاعِرًا وَلُغَوِيًّا وَنَحْوِيًّا؛ وَمُؤَلِّفًا مُكَثِّرًا، لَهُ: أَخْبَارُ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ وَكُتَابُهُمْ وَخِطَطُهُمْ (الوافي بالوفيات ٨: ١٣١)- كِتَابُ أَنْسَابِ مُشَاهِيرِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ (خَمْسَةُ أَجْزَاءٍ)، وَيُسَمَّى الْاِسْتِيعَابُ (الْحَلَّةُ السَّيْرَاءُ ١: ٢٤٥)- كِتَابُ صِفَةِ قَرِطْبَةِ وَخِطَطِهَا وَمَنَازِلِ الْعِظَمَاءِ بِهَا- كِتَابُ كِبَارِ الْمُوَالِي الْأَنْدَلُسِيِّينَ أَوْ أَعْيَانِ الْمُوَالِي- أَخْبَارُ عُمَرَ بْنِ حَفْصُونَ- أَخْبَارُ مَرْوَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجَلِّيقي- أَخْبَارُ بَنِي قَسِي وَالتَّجِيبِيِّينَ وَبَنِي الطُّوَيْلِ وَالثَّغَرِ (وَلَعَلَهُ كِتَابُ الْمُوَالِي) هَذِهِ الْكُتُبُ لَمْ تَصِلْ إِلَيْنَا، وَلَكِنَّ الْمُؤَرِّخِينَ الْمَتَأَخِّرِينَ نَقَلُوا مِنْهَا فِي كُتُبِهِمْ تَتَفًّا كَثِيرَةً.

(١) رَاجِعْ تَتَمَّةَ نَسَبِهِ فِي تَرْجَمَةِ أَبِيهِ مُحَمَّدٍ بْنِ مُوسَى الرَّازِي (ت ٢٧٣ هـ).

(٢) فِي «تَارِيخِ الْعُلَمَاءِ وَالرِّوَاةِ لِلْعِلْمِ فِي الْأَنْدَلُسِ» لِابْنِ الْفَرَضِيِّ ثَلَاثَةُ أَسْمَاءٍ لَهُمْ أَحْمَدُ بْنُ خَالِدٍ: أَبُو عَمْرِو أَحْمَدُ بْنُ خَالِدِ بْنِ الْحَبَّابِ الْقُرْطُبِيُّ الْفَقِيهَ الْمُحَدِّثَ (١: ٤٢)، ثُمَّ أَبُو الْقَاسِمِ أَحْمَدُ بْنُ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ الْأَسَدِيِّ مِنْ أَهْلِ بَجَانَةَ وَيَعْرِفُ بِابْنِ أَبِي هَاشِمٍ، كَانَ مُحَدِّثًا، وَقَدْ تَوَفَّى فِي سَادِسِ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ٣٦٨ (١: ٥٩)، ثُمَّ أَبُو عَمْرِو أَحْمَدُ بْنُ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْجَذَامِيُّ الْمُحَدِّثُ الْمَتَوَفَّى فِي ٢٦ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ ٣٧٨ (١: ٦٨-٦٩).

٣- مختارات من آثاره

- قال أحمد بن محمد بن موسى الرازي في نسب عبيد الله الملقب بالمهدي أول ملوك الشيعة في المغرب (الحلة السراء ١: ١٩٠):

واختلف الناس في نسب عبيد الله. فقال قوم: هو عبيد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. قال: وأخبرني الثقة عن أبي القاسم أحمد بن اسماعيل الرسي الحسني أنه قال: بالله الذي لا إله إلا هو، ما عبيد الله منّا. ولا أقول هذا لما فعل، فقد فعل من لا يشك في نسبه أكثر من فعله وأشنع^(١).

- وقال في وصف الأندلس (نفع الطيب ١: ١٢٩ - ١٣١):

بلد الأندلس هو آخر الإقليم الرابع^(٢) إلى المغرب. وهو عند الحكماء بلد كريم البقعة طيب التربة خصب الجناب منبجس^(٣) بالأنهار الغزار والعيون العذاب^(٤)، قليل الهوام^(٥) ذوات السموم، معتدل الهواء والجو^(٥) والنسيم، ربيع خريفه ومشتاه ومضيفه على قدر من الاعتدال..... تتصل فواكه أكثر الأزمنة وتدوم متلاحقة غير مفقودة. أما الساحل منه ونواحيه فيبادر بياكوره^(٦). وأما الثغر^(٧) وجهاته والجبال المخصوصة منه ببرد الهواء فيتأخر بالكثير من ثمره. فإذ الخيرات بالبلد متبادية في كل أوان. وله خواص في كرم النبات يوافق في بعضها أرض الهند.... منها أن المحلب- المقدم في الأفاويه والمفضل في أنواع الأشنان^(٨)- لا ينبت بشيء من الأرض إلا بالهند

(١) لا أنهم بذلك لأفعاله الشيعة، فقد فعل غيره (تم كانوا أشرف نسباً) أفعالاً أشنع من أفعاله.

(٢) الإقليم الرابع: المعتدل (يقع الإقليم الأول على خط الاستواء، ويقع الإقليم السابع عند القطب الشمالي).

(٣) منبجس: متفجر، سائل. الغزير: الكثير. العذاب (بكسر العين): جمع عذب (حلو).

(٤) الهوام: الحشرات الصغيرة).

(٥) الجو: المنخفض في الأرض (وهنا: حال الهواء من البرد والحر).

(٦) يبادر بياكوره: يعطي أشياء من ثمره باكراً.

(٧) الثغر: المكان الذي يخشى منه مجيء العدو (وهنا: شمالي الأندلس المصائب لأمراء النصارى).

(٨) المحلب: نوع من الطيب المستخرج من النبات (يؤكل). الأفاويه: أنواع الفلفل. الأشنان (يفتح الهمزة أو كسرهما): أنواع من النبات يستخدم ورقه في الفسل والتنظيف (كالصابون).

والأندلس. وللأندلس المدنُ الحصينة والمعقلُ المنيعُ والقلاعُ الحريزة والمصانعُ الجليلة^(١)، ولها البرّ والبحر والسهل والوعر..... والأندلسُ اندلسان في اختلاف هبوب رياحها وجريان أنهارها: أندلسٌ غربيٌّ وأندلسٌ شرقيٌّ. فالغربيُّ منها ما جرّت أوديتهُ إلى البحر المحيط الغربي^(٢)، ويُمنطَرُ بالرياح الغربية. ومبتدأُ هذا الحوز^(٣) من ناحية المشرق مع المفازة الخارجة من الجوف إلى بلد شنتمرية^(٤) طالماً إلى حوز اغريطة المجاورة لطليلة^(٥) مائلاً إلى الغرب ومجاوراً للبحر المتوسط الموازي لقرطاجنة الخلفاء التي من بلد لورقة^(٦)، (ثم الحوز الشرقي المعروف بالأندلس الأقصى^(٧)) وتجري أوديته إلى الشرق، وهو من حدّ جبال البشكنس، هابطاً مع وادي إبره إلى بلد شنت مرية^(٨). ومن جوف هذا البحر وغربه المحيطُ. وفي القبلة^(٩) منه البحر الغربي الذي منه يجري البحر المتوسط الخارج إلى بلاد الشام، وهو البحر المسمّى ببحر تيران^(١٠)، ومعناه الذي يشقّ دائرة الأرض، ويسمّى البحر الكبير.

- وقال أحمد بن محمد بن موسى الرازي (المقتبس ٨٩):

كان الأمير عبد الرحمن (بن الحكم)^(١١) مُقدّم الطبقة في البلاغة مطبوعاً على الكتابة

- (١) المصنع (هنا): البناء العظيم (وفي الأصل: الحوض تجمع فيه المياه).
- (٢) الوادي (في المغرب): النهر. المحيط الغربي (الاطلنطيكى).
- (٣) الحوز: جانب من الأرض ذو حدود معينة.
- (٤) المفازة: الصحراء. شنتمرية: بلدة في أقصى الجنوب الغربي من الأندلس (البرتغال اليوم، وأسمها فارو).
- (٥) طليلة جنوب مدريد.
- (٦) قرطاجنة الخلفاء (أو الخلفاء) مرفأ في الجانب الجنوبي الشرقي من الأندلس. لورقة بلدة داخلية غرب قرطاجنة.
- (٧) الأندلس الأقصى الجانب الشمالي الشرقي.
- (٨) جبال البشكنس: في الشمال عند اتصال إسبانية بفرنسة. نهر إبره يصبّ عند طرطوشة (على الشاطئ الشمالي الشرقي). شنتمرية الشرق: بلدة إلى الشرق الشمالي من مدريد.
- (٩) الجوف: الجنوب. (وسط إسبانية). المحيط (الاطلنطيكى). القبلة (الجنوب الشرقي): اتجاه المصلّى في الأندلس نحو مكة.
- (١٠) يبدو أن الإشارة هنا إلى البحر الأبيض المتوسط (ولفظه في الأجنبية مديترانيوم).
- (١١) عبد الرحمن بن الحكم رابع الأمراء المتوارثين في الأندلس (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ).

مُقْتَدِرًا عَلَى مَا حَاوَلَ مِنْ سَنَيِّ الْمَشُورِ وَالْمَنْظُومِ مُؤَثِّرًا لِمَنْ يُحْسِنُهَا مُقَرَّبًا
بُوسِيلَتِهَا^(١). وَكَانَ لَهُ التَّوْقِيعُ الْوَجِيزُ^(٢) وَالْقَرِيبُ الْمُسْتَحْسَنُ.

- وَقَالَ أَيْضًا (الْمُقْتَبَسُ ١٢٩ - ١٣٠):

كَانَ لَخَلَاةِ الْأَمِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ غَضَارَةٌ^(٣) وَأَيَّامُهُ زَهْرَةٌ وَلِسُلْطَانِهِ جَلَالَةٌ
سَرَتْ إِلَى الْمَشْرِقِ مِنْ قَبْلِ مَنْ تَجَاوَزَ الْأَنْدَلُسَ مِنْ أَهْلِ الْعُدُوَّةِ^(٤)، فَأَضْحَى لَدَيْهِمْ طَيْبَ
الْخَبَرِ جَيْلَ الْأَثَرِ اعْتَقَدَ لَهُ مِنْ أَجَلِهِ كَثِيرٌ مِنْ مُلُوكِ أَهْلِ الْعُدُوَّةِ الْوَلَايَةِ^(٥)، وَأَلْقَوْا إِلَيْهِ
بِالْمُودَّةِ وَأَبْنَوْا إِلَيْهِ الْحَبَّةَ وَأَعْتَمَدُوهُ بِالْمُشَارَكَةِ فِيمَا يُخْدِثُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ مِنْ مِخْنَةٍ^(٦). فَبَلَّوْا
مِنْهُ صِحَّةَ عَقْدٍ^(٧) وَنَحِيزَةٍ صَنَعُوا بِهَا إِلَيْهِ فِدَامَا لَهُ عَلَى الْمُواصَلَةِ. وَكَانَ أَكْلَفُهُمْ بِمَا لَدَيْهِ
مِنْ أَمْلَاقٍ^(٨) أَهْلُ الْعُدُوَّةِ بَنُو مَدْرَارٍ مُلُوكُ سِجْلَمَاسَةَ وَبَنُو أَفْلَحَ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ
الرُّسْتَمِيِّ أَمْرَاءُ تَاهَرْتِ^(٩) وَغَيْرُهُمْ.

٤- ★ ★ الزبيدي ٣٢٧؛ جذوة المقتبس ٩٧، راجع أيضاً ٩٦-٩٧
(الدار المصرية) ١٠٤ مرتين (رقم ١٧٤ و ١٧٥)؛ بغية الملتبس ١٤٠ (رقم
٣٣٠، راجع أيضاً رقم ٣٢٩)؛ ابن الفرضي ١: ٥٤-٥٥؛ معجم الأدباء ٤:
٢٣٥-٢٣٦؛ الوافي بالوفيات ٨: ١٣١؛ بغية الوعاة ١٦٨؛ نفع الطيب ٣:
١٧٣-١٧٤؛ دائرة المعارف الإسلامية ط ١، ٣: ١١٣٧؛ بروكلمن ١:
١٥٦-١٥٧، الملحق ١: ٢٣١؛ الأعلام للزركلي ١: ١٩٩-٢٠٠. (٢٠٨).

- (١) يَقْرَبُ إِلَيْهِ الْبَارِعِينَ فِيهَا.
- (٢) التَّوْقِيعُ: جَمْلَةٌ يَدُونَهَا الْخَلِيفَةُ أَوْ الْوَالِي أَوْ الْقَاضِي فِي أَسْفَلِ الْقِصَّةِ (الطَّلَبُ، الْمَعْرُوضُ الْمَقْدَمُ إِلَيْهِ) وَتَكُونُ حَكْمًا بِتَنْفِيزِ الطَّلَبِ أَوْ رَفْضِهِ.
- (٣) مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ خَامِسُ أَمْرَاءِ الْأَنْدَلُسِ (٢٣٨-٢٧٣ هـ). غَضَارَةٌ: السَّعَةُ (بِفَتْحِ السِّينِ) وَالنَّعْمَةُ.
- (٤) الْعُدُوَّةُ (بِضَمِّ الْعَيْنِ أَوْ كَسْرِهَا): الْجَانِبُ. (هَذَا) الشَّاطِئُ الشَّمَالِيُّ مِنَ قَارَةِ إِفْرِيقِيَّةٍ. مَنْ تَجَاوَزَ (فِي رَحْلَتِهِ: أَسْفَارِهِ) الْأَنْدَلُسَ.
- (٥) اعْتَقَدَ لَهُ الْوَلَايَةُ: أَفَرَّ لَهُ بِالطَّاعَةِ وَبِحَقِّهِ فِي الْحُكْمِ.
- (٦) وَأَعْتَمَدُوهُ بِالْمُشَارَكَةِ.... سَأَلُوهُ رَأْيَهُ وَعَوْنَهُ عَلَى التَّغَلُّبِ عَلَى مَا يَنْزِلُ بِهِمْ مِنَ الْأَحْدَاثِ (اعْتِدَاءُ الْأَعْدَاءِ عَلَيْهِمْ).
- (٧) الْعَقْدُ: الْعَهْدُ، يَضُرُّهُ الْإِنْسَانُ فِي نَفْسِهِ.
- (٨) أَكْلَفُهُمْ: أَشَدَّهُمْ تَعَلُّقًا بِهِ وَحُبًّا لَهُ. النَّحِيزَةُ: الطَّيْبَةُ. صَفَا: مَالٌ إِلَى... الْأَمْلَاقِ (الْمُلُوكِ).
- (٩) رَاجِعُ، فَوْقَ، ص ٦١.

أبو وهب العبّاسيُّ

١- هو أبو وهب عبد الرحمن العبّاسيُّ من بني العبّاس، مَوْلَدُهُ (في بَغدادَ) نحو سَنَةِ ٢٥٤ (٨٦٨ م)؛ طرأ على الأندلس وسكن قُرطُبَةَ وأخفى نَسَبَهُ. وكانت وفاته سَنَةَ ٣٤٤ (٩٥٥ م).

٢- كان أبو وهب العبّاسيُّ زاهداً ورِعاً قليلَ الاحتفالِ بأمورِ الدنيا، مَعَ أَنَّهُ كان مُتَفَنِّناً في أطرافِ من العلوم. وله كلامٌ في الزُّهد والوعظ متينُ الأسلوب. ومثُلُ ذلك شعرُهُ مَعَ سَهولَةٍ في التركيب وحلاوةٍ في اللفظ.

٣- مختارات من شعره

- ومّا ينسب إلى أبي وهب العبّاسي (نفع الطيب ٤ : ١١٤):

قد تَخَيَّرْتُ أَنْ أَكُونَ مُخِفّاً ليس لي من مَطِيَّهمْ غيرُ رِجْلي^(١).
فإذا كُنْتُ بَيْنَ رَكْبٍ فَقَالُوا: « قَدِّمُوا لِلرَّحِيلِ »، قَدِّمْتُ نَعْلِي^(٢).
حيثُما كُنْتُ لَا أُخَلِّفُ رِخْلًا؛ من رَأَيْ فَقَدْ رَأَى وَرِحْلِي^(٣).
- وقال في الزهد (نفع الطيب ٣ : ٢٢٦):

تَنَامُ، وَقَدْ أُعِدَّ لَكَ السُّهَادُ؛ وَتُوقِنُ بِالرَّحِيلِ، وَلَيْسَ زَادُ^(٤)!
وَتُصْبِحُ مِثْلَ مَا تُمَسِّي مُضِيعًا، كَأَنَّكَ لَسْتَ تَدْرِي مَا الْمُرَادُ.
أَتَطْمَعُ أَنْ تَفُوزَ غَدًا هَنِيئًا وَلَمْ يَكُ مِنْكَ فِي الدُّنْيَا اجْتِهَادُ.
إِذَا فَرَّطْتَ فِي تَقْدِيمِ زَرْعٍ، فَكَيْفَ يَكُونُ - مِنْ عَدَمٍ - حَصَادُ!

-
- (١) الخف: الذي لا يحمل متاعاً أو أثقالاً (ليس معه أشياء يحملها في انتقاله). المطيّ جمع مطيّة: الدابة التي تُستخدم في الركوب.
(٢) الركب: الجماعة يركبون (ينتقلون، يسافرون) معاً.
(٣) الرحل (هنا): متاع البيت، الأثاث.
(٤) السهاد: الحزن من التفكير في العواقب). الرحيل: (هنا) الموت. الزاد (هنا) العمل الطيّب الذي ينفع الإنسان في آخرته.

- كان أبو وهب العبَّاسيُّ إذا أصبح، ونظَرَ إلى استيلاء النور على الظلمة، رفع يَدَيْهِ إلى السماء وقال:

اللَّهُمَّ، إِنَّكَ أَمَرْتَنَا بالدُّعاء إذا أَسْفَرْنَا^(١) فَاسْتَجِبْ لَنَا كما وَعَدْتَنَا. اللَّهُمَّ، لَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا فِي هَذَا الْيَوْمِ مَنْ لَا يُرَاقِبُ^(٢) رِضَاكَ وَلَا سُخْطَكَ. اللَّهُمَّ، لَا تَجْعَلَ رِزْقَنَا عَلَى يَدِ سِوَاكَ. اللَّهُمَّ، آمِنْهُ مِنْ قُلُوبِنَا الطَّمَعِ فِي هَذِهِ الْفَانِيَةِ^(٣) كَمَا مَحَوَتْ هَذَا النُّورَ هَذِهِ الظُّلْمَةَ. اللَّهُمَّ، إِنَّا لَا نَعْرِفُ غَيْرَكَ فَنَسْأَلُهُ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، يَا غِيَاثَ مَنْ لَا غِيَاثَ لَهُ؛

- ومن شعره:

أَنَا فِي حَالَتِي الَّتِي قَدْ تَرَانِي أَحْسَنُ النَّاسِ إِنْ تَفَكَّرْتَ حَالًا:
مَنْزِلِي حَيْثُ شِئْتُ مِنْ مُسْتَقَرٍّ الْأَرْضِ أَسْقَى مِنَ الْمِيَاهِ زُلَالًا^(٤)؛
لَيْسَ لِي كُسُوءٌ أَخَافُ عَلَيْهَا مِنْ مُغِيرٍ، وَلَا تَرَى لِي مَالًا^(٥).
أَجْعَلُ السَّاعِدَ الْيَمِينَ وَسَادِي، ثُمَّ أَتْنِي إِذَا انْقَلَبْتُ الشَّلَا^(٦).
قَدْ تَلَذَّذْتُ حِقْبَةً بِأُمُورٍ فَتَدَبَّرْتُهَا فَكَانَتْ خَيَالًا^(٧)!

٤-★ ★ المغرب ١: ٥٨ - ٥٩؛ نفع الطيب ٣: ٢٠٧، ٢٢٦؛ نيكل ٢١٢؛ مختارات نيكل ١٤٨.

-
- (١) أسفر الرجل: سافر باكراً (نهض من نومه). - الدعاء مطلوب في كلِّ حين، ولا وجه بتقييده بزمن معيَّن أو بحال معيَّن.
 - (٢) رقب الشيء وارتقبه انتظره. لا يراقب (لا ينتظر، لا يؤمن. لا يخشى).
 - (٣) السخط: الغضب. الفانية: الحياة الدنيا.
 - (٤) الزلال: الماء الصافي.
 - (٥) المغير: الهاجم (اللس).
 - (٦) الوسادة: الخدّة. أثنى (أطوى) الشال (اليد اليسرى). مرة أجعل وسادتي يدي اليمنى ومرة أجعلها يدي اليسرى.
 - (٧) حقبة: مدّة طويلة. تدبّر الأمر: نظر فيه وفكّر فيه.

أحمد بن محمد بن أضحي

١- هو أحمد بن محمد بن أضحي بن عبد اللطيف بن خالد الغريب بن يزيد بن الشر بن عبد شمس بن غريب الهمداني الإلبيري، من أهل همدان وهي قرية على مقربة من غرناطة. وعرف جدّه خالد بلقب الغريب لأنه كان أول مولود من العرب الشاميين (الذين جاءوا مع بلج بن بشر - راجع، فوق، ص ٣٩) في كورة البيرة. وكان والده محمد صاحب حصن الحمة من أعمال البيرة ومن أنصار الأمير عبد الله بن محمد.

أما أحمد بن محمد بن أضحي نفسه فلا نعرف من أحداث حياته إلا أنه كان في أيام عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ = ٩١٢ - ٩٦١ م). ولعل وفاته كانت في حدود سنة ٣٤٥ (٩٥٦ م)^(١).

٢- في الحلة السيرة (١: ٢٢٩) أن أحمد بن محمد بن أضحي «كان من أحسن الناس وجهاً وأفصحهم لساناً وأشهمهم نفساً وأوسعهم أدباً» وكان شاعراً مجيداً وخطيباً قديراً عارفاً بأشياء من العلم (كما نرى من خطبته)

لابن أضحي هذا بيتان من الرجز ألحقها بخطبته بين يدي عبد الرحمن بن محمد، ها:

الله أعطاك التي لا فوقها وقد أراد المُلحدون عوقها

(١) في الحلة السيرة (١: ٢٢٩) أن أحمد بن محمد بن أضحي قدم مع أبيه في وفد من قومه على الناصر عبد الرحمن بن محمد داخلين في طاعته. إن قدومهم هذا يجب أن يكون سنة ٣٠٠ هـ (٩١٢ م) حينما جاء أبو مطرف عبد الرحمن بن محمد إلى الإمارة. أما قول ابن الأثير (الحلة السيرة ١: ٢٢٩): «على الناصر عبد الرحمن بن محمد» وقول لسان الدين بن الخطيب (الإحاطة ١: ١٥٧): «قدم على الخليفة عبد الرحمن» فمن باب التجويز (لأن عبد الرحمن بن محمد لم يأخذ لنفسه البيعة بالخلافة ولا تلقب بلقب «الناصر» إلا في سنة ٣١٦ هـ. وبما أن لسان الدين قال عن أهل أحمد بن محمد بن أضحي «جميعهم من أهل البلاغة والبيان والأدب والشعر البارع» (الإحاطة ١: ١٥٦)، فإن تقدم أحمد بن محمد ابن أضحي لإلقاء خطبة وإنشاد قصيدة عن الوفد يدل على أنه كان في ذلك الحين من أسنهم أو من أحسنهم أدباً. ولعل الاحتمال الثاني هو الأصح هنا، وهذا أيضاً ينذر أن يتفق للإنسان قبل الثلاثين من عمره.

عنك، ويأبى الله إلا سَوْقَهَا إليك، حتّى قَلْدوك طَوْقَهَا^(١).
 فإذا هو عَنَى بقوله « التي لا فوقها » الخِلافة فيكون وفودُه على عبدِ الرحمن بنِ
 محمّد سنّة ٣١٦ للهجرة أو بعدها بقليل.

٣- مختارات من آثاره

- قَدِمَ أَحَدُ بنِ محمّد بنِ أضْحَى الإلبيريّ على أبي مُطَرِّفٍ عبدِ الرحمن بنِ محمّد
 فخطب بين يديه وقال:

الحمدُ لله المُحتجبِ بنورِ عظمته عن أبصارِ برّيته، والدالُّ بِمُحدثِ خَلقه على
 أَرْزَلِيّته... وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً بوحدانيّته.... وأشهدُ
 أن محمّداً عبده ورسوله انتخبه من أطيب البُيوتات... ثمّ أكرمه برسالتِهِ وأنزلَ عليه
 مُحْكَمَ تَزْيِيلِهِ واختارَ له من أصحابِهِ وأشْياعِهِ خَلْقاً جَعَلَ مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ
 وَبِهِ يَعْدِلُونَ^(٢). وجَعَلَ اللهُ الأَمِيرَ- أَعَزَّهُ اللهُ- وارثَ ما خَلَفُوهُ من معاليهِم وبانيَ ما
 أسَّسُوهُ من مَشايدِهِم حتّى أَمَّنَ الْمَسالِك^(٣) وسكَّن الخائفَ، رَحِمَهُ من الله أَلْبَسَهُ
 كرامَتَهَا وطَوَّقَهُ فَضيلَتَهَا. والله يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشاء. والله ذو الفضلِ العظيم.

- وقال في العتاب والاعتذار:

هَوَى كَدَّرَ الْوَاشُونَ مِنْهُ الَّذِي صَفَا وَنَمَّوْا بِأَفْعَى الْإِفْكِ عَنِّي مُزْخَرَفًا^(٤).

(١) الشاعر هنا لم يجعل الشطر وحدة المعنى. ولو أردنا ترتيب هذين البيتين بحسب المعنى (كما يفعل نفر
 من الشعراء المعاصرين لنا بأشعارهم من باب التجديد) لكان الترتيب كما يلي:

الله أعطاك التي لا فوقها،

وقد أراد الملحدون عوقها عنك.

ويأبى الله إلا سوقها إليك،

حتّى قَلْدوك طَوْقَهَا.

(٢) راجع القرآن الكريم ٥٩:٧ (سورة الأعراف): « ومن قوم موسى أُمَّة يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ »
 (يحكمون بالعدل بين الناس بحسب أمره).

(٣) المشاهد: الآثار الحضارية. المسالك: الطرق (كان عبد الرحمن بن محمّد قد جاء إلى الإمارة والبلاد
 مضطربة جدًّا بالثورات، وبثورة عمر بن حفصون خاصّة).

(٤) تمّ: زَيّن الكلام بالكذب ونقله على غير وجهه. الأفك: الاختلاق، الكذب. مزخرفاً: مذكّوفاً، مكذوباً
 فيه.

وَشَوَا، وَأَصَاخَتْ أُذُنُ خَلِّي، فَمَا وَقَّوَا بَنَّبِلِيغِهِ مَا لَمْ أَقْلُهُ؛ وَلَا وَفَى^(١)!
وهَلَا - كَمَا أَنْصَفْتُهُ فِي مَحَبَّتِي - ثَنَاهُمْ عَلَى الْأَعْقَابِ مِنْهُمْ فَأَنْصَفَا^(٢)؟
فَلَا كَانَ وَاشٍ كَانَ دَاءُ ضَمِيرِهِ هَوَانًا، فَلَمَّا أَنْ رَأَى هَجْرَنَا اشْتَفَى^(٣).
وَلَا يَفْرَحُوا أَنْ أَوْقَدُوا الْمَجْرَ جَاحِيًا فَعَمَّا قَرِيبٍ يَنْطَفِي؛ أَوْ قَدْ انْطَفَى^(٤)!

٤- الحلة السيرة ١: ٢٢٨ - ٢٢٩؛ الإحاطة ١: ١٥٦ - ١٥٩.

أبو القاسم الفزاري

- ١- هو أبو القاسم محمد بن عبد الله الفزاري، وُلِدَ فِي الْقَيْرَوَانِ وَنَشَأَ فِيهَا. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ٣٤٥ (٩٥٦-٩٥٧ م).
- ٢- كَانَ أَبُو الْقَاسِمِ الْفَزَارِيُّ رَجُلًا مُتَقَلِّبَ الْهَوَى يَتَكَسَّبُ مِنْ أَهْلِ كُلِّ دَوْلَةٍ قَائِمَةٍ. لَمَّا تَغَلَّبَ مَخْلَدُ بْنُ كَيْدَادٍ^(٥) عَلَى عَدَدٍ مِنَ الْمُدُنِ التُّونِسِيَّةِ وَانْتَزَعَهَا مِنْ يَدِ الْفَاطِمِيِّينَ ثُمَّ خَضَعَتْ لَهُ الْقَيْرَوَانُ (٣٣٣ هـ) مَدَحَهُ أَبُو الْقَاسِمِ الْفَزَارِيُّ بِعَدَدٍ مِنَ الْقَصَائِدِ هَجَا فِيهَا الْفَاطِمِيِّينَ وَتَعَرَّضَ لِلْمَذْهَبِ الْفَاطِمِيِّ. وَلَمَّا تَمَكَّنَ الْفَاطِمِيُّونَ مِنْ هَزِيمَةِ مَخْلَدٍ وَاسْتَرْدَادِ الْقَيْرَوَانِ، وَشَيْكَأَ بَعْدَ ذَلِكَ، ثُمَّ بَذَلُوا الْأَمَانَ لِأَهْلِ الْقَيْرَوَانِ مَدَحَهُمْ أَبُو الْقَاسِمِ الْفَزَارِيُّ بِقَصِيدَةٍ يَرَفَعُهُمْ فِيهَا فَوْقَ جَمِيعِ الْمَشَاهِيرِ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ، وَيُشِيدُ بِالْمَنْصُورِ الْفَاطِمِيِّ (٣٣٤ - ٣٤١ هـ). وَالْقَصِيدَةُ مَتِينَةُ السَّبْكِ سَهْلَةُ التَّلَاوَةِ بَرُّغَمٍ اَزْدَحَامِهَا بِأَسْمَاءِ الرِّجَالِ.

(١) الوشاية حمل الكلام من شخص إلى شخص بقصد الإفساد بينها. أصاخ: أصفى، استمع. الخل: الصديق. ما كان هؤلاء الناس أوفياء (صادقين) في الكلام الذي نقلوه، ولا كان هو صديقاً وفاقاً لي لما صدق هذا الكلام.

(٢) ثناهم على الأعقاب: ردّهم خائبين (لم يسمع منهم).

(٣) كان هذا الواشي مبغضاً لنا وكان يرى نفسه محتقراً (حيثما كان يشي ولا نسمع منه). فلما سمع منه خلّي (صديقي) تلك الوشاية بطل شعوره بحقارة نفسه.

(٤) الجاحم: الشديد الحرارة.

(٥) راجع، فوق، ص ١٧٣.

٣- مختارات من شعره:

- قال أبو القاسم الفزاري من القصيدة التي يرفع فيها من شأن الفاطميين:

لَمَعْرُكَ، ما أَوْسُ بنُ سَعْدَى بقومه ولا سَيْدُ الأوبار قيسُ بنُ عاصم^(١)،
ولا كان ذو الجَدَيْنِ بينَ كتابي لهاميمٌ من بَكَرٍ وحيٍّ اللهمَّازم^(٢)،
وربُّ مَعَدٍّ والأَحَالِيفِ حَوْلَهُ عُبَابٌ كَمَوْجِ اللَّجَّةِ المتلاطم^(٣)،
ولا حاجِبٌ ذو القوسِ يَخْطُرُ حَوْلَهُ قُرُومٌ كَأَسَدِ الفِيلِ من آلِ دارم^(٤)،
ولا خالِدٌ سُمِّ العُدَاةِ أبْنُ جَعْفَرٍ ولا الحارثُ الشَّهْمُ الفؤادِ أبْنُ ظالم^(٥)،
ولا كان بَسْطَامٌ بنُ قيسِ بنِ خالدٍ وعمرُو بنُ كُلْثُومٍ شِهَابُ الأرقام^(٦)،
ولا عَلَمٌ الأجوادِ كَعَبُ بنُ مامِةٍ عقيدُ الثَّنَاءِ المَخْضِ دونَ اللواتم^(٧)،
بِأَمْنَعِ مِنِّي في جِوارِ خَلِيفَةٍ عطوفٍ على أَهْلِ البيوتاتِ راحم^(٨)،
كَرِيمِ المَساعِي والأَيادي، مَعَتَبَهُ أبُوهُ صِدِّيقٍ من ذُؤَابَةِ هاشم^(٩)....

- (١) أوس ابن حارثة الطائي من السادات الكرماء وسعدى أمه. وقيس بن عاصم سيد بني تميم قال فيه رسول الله: «هذا سيد أهل الوبر».
- (٢) ذو الجدّين (من كان جدّه لأبيه وجدّه لأمّه عظيمين)، وهو عبد الله بن عمرو بن الحارث فارس الضحياء (اسم لعدد من الخيل المشهورة). وفي «مجمّل تاريخ الأدب التونسي» (ص ٨٤): ذو الجدّين (بالحاء المهملة): مسعود بن بسطام، وكان شريفاً في قومه. الكتيبة: قطعة من الجيش (المشاة أو الفرسان). اللهمم جمع لهوموم (بضم اللام): الجيش العظيم، العدد الكبير. اللهمم: لقب بني تميم الله بن ثعلبة (القاموس ٤: ١٧٩). وفي «مجمّل الأدب العربي» (ص ٨٤): بطن من بني شيان.
- (٣) ربّ معدّ (من «مجمّل تاريخ الأدب التونسي»): قصي بن كلاب لأنّه جمع كلمة قومه. الأحاليف (يقصد الأحلاف جمع حليف) ستّ قبائل من قريش اجتمعوا على أن ينصر بعضهم بعضاً وأن يكونوا عوناً على غيرهم (وهم أبناء عبد مناف، وهؤلاء متأخرون عن قصي)، ولكن الشاعر جعلهم حول قصي).
- (٤) العباب: معظم السيل، أو ارتفاعه أو موجه.
- (٥) حاجب بن زرارة رهن قومه عند كسرى حتّى لا يعتدي قومه بنو تميم على مراعي القبائل الأخرى عند الفرات، ووفت بنو تميم بذلك. دارم من بني تميم.
- (٦) خالد بن جعفر الكلبي والحارث بن ظالم الغطفاني مشهوران بالشجاعة.
- (٧) بسطام بن قيس سيد بني بكر، وعمرُو بن كُلْثُوم سيد بني تغلب. الشهاب: اللامع، المشهور. والشهاب حجر يخرج من مداره حول كوكب فيصل مشتعل إلى الأرض (كناية عن الشجاعة والشدة). الأرقام (جمع أرقم: حيّة) حيّ من تغلب.
- (٨) كعب بن مامة من مشاهير الأجواد في الجاهلية.
- (٩) البيوتات: الأسر (جمع أسرة) المشهورة ذوات المكانة.
- (٩) ذؤابة: أعلى الأشياء (الشريف المقدم في قومه).

- وقال يفتخرُ بالقيروانِ ويُفضِّلُها على بَغْدَادَ:

فهل للقيروانِ وساكنيها عَدِيلٌ حِينَ يفتخرُ الفَخُورُ^(١)؟
بِلَادَ حَشَوِهَا عِلْمٌ وَحِلْمٌ وإِسْلَامٌ وَمَعْرُوفٌ وَخَيْرٌ^(٢).
عِرَاقُ الشَّامِ بَغْدَادٌ، وَهَذِي عِرَاقُ الْغَرْبِ بَيْنَهَا كَثِيرٌ^(٣)!
وَلَسْتُ أَقِيسُ بَغْدَاداً إِلَيْهَا. وَكَيْفَ تُقَاسُ بِالسَّنَةِ الشُّهُورُ؟
بَنَاهَا كُلُّ بَذْرِيٍّ كَرِيمٍ كَأَنَّ صِفَاحَ أَوْجُهُمْ بُدُورٌ^(٤).
هَمَّ صَلَّوْا بِمَسْجِدِهَا بِرَاحاً وَلَيْسَ لَهَا جِدَارٌ مُسْتَدِيرٌ^(٥).

٤- * * مجمل تاريخ الأدب التونسي ٨٣.

ابن الوزان القيرواني النحوي

١- هو أبو القاسم إبراهيم بن عثمان المعروف بابن الوزان القيرواني النحوي، كان كثير السماع (التعلم) من ابن عيذون قرأ عليه شرح « غريب الحديث » لأبي عبيد^(١)

(١) عدیل: مثیل.

(٢) الخير (بالكسر) كالخير (بالفتح).

(٣) الشام (هنا): المشرق. العراق أعظم أقطار المشرق، وتونس أعظم أقطار المغرب.

(٤) البدری: الذي حارب مع الرسول في معركة بدر (أولى معارك الإسلام، في السنة الثانية للهجرة،

٦٢٤ م).

(٥) براحا: حينما كانت أرضه براحا (أرضاً لا زرع فيها ولا شجر = غير مبنية) - ليس المهم أن يكون هناك بناء يسمى مسجداً، بل المهم أن يجتمع الناس للصلاة.

(٦) ابن عيذون (أبو عليّ القالي، ت ٣٥٦ هـ). لم أعثر على كتاب في غريب الحديث لأبي عبيد.

هنالك كتب عنوانها « غريب الحديث » للنضر بن شميل (ت ٢٠٣ هـ) وقطرب (ت ٢٠٦ هـ)

وأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ) وأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت نحو ٢٢٣ هـ) والمبرد

(ت ٢٨٥ هـ) وإبراهيم الحري المتوفى سنة ٢٨٥ هـ (بروكلن ١: ١٢٩، الملحق ١: ١٨٨) وأبي

العبّاس ثعلب (ت ٢٩١ هـ) ومحمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨ هـ) ولآخرين أحدث عهداً من ابن

الوزان. ولعلّ المقصود هنا هو أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي صاحب « غريب الحديث ». ويبدو

أن كلمة « شرح » في طبقات الزبيدي (ص ٢٦٩) زائدة. ولعلّ الأصوب ما ذكره السيوطي (بغية الوعاة

١٨٣): « وكان (ابن الوزان) يحفظ العين وغريب أبي عبيد المصنّف (يقصد: يحفظ كتاب العين

للخليل بن أحمد وغريب الحديث لأبي عبيد بن سلام والمصنّف ». وفي معجم الأدباء لياقوت الحموي

(١: ٢٠٣): « وكان يحفظ كتاب العين للخليل ابن أحمد وغريب المصنّف لأبي عبيد. وفي «إنباء»

وكان صديقاً لأبي محمد عبد الله بن محمود المكفوف (ت ٣٠٨ هـ). وكانت وفاته في عاشر المحرم من سنة ٣٤٦ (١٣ / ٤ / ٩٥٧ م).

٢- كان ابن الوزان القيرواني النحوي فقيهاً على مذهب أهل العراق^(١). وكذلك كان إماماً في النحو واللغة والعروض. وكان في ذلك يميل إلى مذهب البصريين مع معرفته الواسعة بمذهب الكوفيين. ثم كان يُفضّل المازني في النحو وابن السكيت في اللغة. وهو حسن الاستخراج يستخرج من مسائل اللغة والنحو أموراً لم يتقدّمه فيها (لم يكن فيها أحسن منه) أحد. وكان غاية في استخراج المعنى^(٢). وفي أواخر أيامه نظم شيئاً من الشعر لم يرضه ولا أحب أن يُوسم به (أن يُنسب ذلك الشعر إليه). وكانت له تصانيف كثيرة في اللغة والنحو.

٣- شيء من آثاره

- كما روي عن ابن الوزان (طبقات الزبيدي ٢٧٠-٢٧١):

... والعرب تقول: «رَجُلٌ وَرَجُلٌ» (بضمّ الجيم أو بتسكينها)، وهي لغة بني تميم وبني ربيعة... وعلى هذا جاء «سُرْق» (بتسكين الراء مكان سُرِق بكسر الراء). واللام تُدغم في الراء، وقال أكثر القراء «قُرْبِي» (مكان: قُل رَّبِّي) لأنّها من حافة اللسان مُتقاربتان. ولا تُدغم الراء في اللام (إذا جاءت الراء أولاً) لأنّ الراء فيها تكرير.

و «الذي» فيها خمس لغات: الذي بياء خفيفة (بلا تشديد)؛ والذيّ (بتشديد

= الرواة (١: ١٧٣): وحفظ كتاب العين للخليل بن أحمد.... وكتاب المصنّف لأبي عبيد. ويبدو أن ناشري المراجع المذكورة (طبقات النحويين واللغويين، ومعجم الأدباء، وبغية الوعاة) قد أخطأوا في قراءة أصولهم أو توهموا شيئاً غير موجود أو غفلوا في أثناء تصحيح الملام. ويكون تصحيح ذلك كلّ كما يلي: قرأ ابن الوزان القيرواني كتاب العين للخليل بن أحمد وكتاب غريب الحديث وكتاب غريب المصنّف لأبي عبيد بن سلام الهروي. فغريب الحديث وغريب المصنّف كتابان (راجع معجم الأدباء ١٦: ٢٥٥ الأسطر ٥، ٦، ٩، ١١، ٢٦٠ السطرين ٤، ٥).

(١) مذهب أهل العراق في الفقه الأخذ بالرأي وإمامهم الأكبر أبو حنيفة.

(٢) المعنى: الفاضل، الأحجية (راجع طبقات الزبيدي ٢٧٠).

الياء)، والدَّ جحذف الياء وكسر الدال؛ والدَّ يأسكان الدال ويردُّ في حالِ الرفع والجر والنصب.

- وسُئِلَ عن تفسير قوله تعالى: «ذلك أذنَى أَلَّا تَعُولُوا»^(١) وأنَّ الإمامَ الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) قال: معنى ذلك أَلَّا يَكْثُرَ عِيَالُكُمْ. فقال ابنُ الوزَّان:

أخطأ (الشافعي)، يُقال: عالَ يَعِيل، إذا افتقر؛ وأعال، إذا كَثُرَ عِيالُه؛ وعالَ يَعُولُ عَوْلًا، إذا جارَ (ظَلَمَ)، ومنه قوله تعالى: «أَلَّا تَعُولُوا» (في هذه الآية). وعالَ الشيءُ يَعُولُ عَوْلًا، إذا زادَ، ومنه: عالتِ الفريضة^(٢). وعالني الشيءُ يَعُولِي إذا أَثْقَلَنِي، ومنه قولُ الخنساء: «ويَكْفِي العشيْرَةَ ما عالها». ويُقال: عالَ يَعُولُ عَوْلًا إذا تَبَخَّرَ.

- وقال ابنُ الوزَّان: وجاءَ فَعِلَ يَفْعُلُ (بكسر العين في الماضي والمضارع) في ثلاثة أحرفٍ (كَلِمَاتٍ)؛ قالوا: حَسِبَ يَحْسِبُ وَيَسَّ يَنْسُ وَيَسَّ يَنْسُ. وجاءَ (ذلك) في ثمانية أحرفٍ من المعتلِّ الفاء (الفعل الذي أولُه حرفُ علة): وَرِمَ يَرِمُ، وَوَرِيَ الزُّنْدُ يَرِي (خرجت منه شرر من نار)، وَوَرِثَ يَرِثُ، وَوَرَعَ يَرَعُ، وَوَلِيَ يَلِي، وَوَقَّ يَمِقُ، وَوَقَّ يَمِقُ، وَوَقَّ يَمِقُ، وَوَلَّ يَلَّ وَيَوَّلَّ، وَوَهَلَ يَهْلُ وَيَوَهَّلَ.

٤- * * الزبيدي ٢٥٨، ٢٦٩-٢٧١، معجم الأدباء ١: ٢٠٣-٢٠٤، البلغة ١٦: انباه الرواة ١: ١٧٢، الوافي بالوفيات ٦: ٥٠، الدياج المذهب ٩١، بغية الوعاة ١٨٣: ٢: ٢٧٣.

اسماعيل بن بدر

١- هو أبو بكرٍ إسماعيلُ بنُ بدرٍ بنِ إسماعيلَ بنِ زيادٍ من أهلِ قُرْطُبَةَ كان مولًى لبني أُمَيَّةَ، سَمِعَ الحديثَ من بَقِيٍّ بنِ مَخْلَدٍ ومن مُحَمَّدٍ بنِ عبد السلام الحُسَني ومُحَمَّدٍ بنِ

(١) القرآن الكريم ٣: ٤، سورة النساء.

(٢) الفريضة: النصب من الإرث. عالت الفريضة: نقصت (راجع ذلك في كتب الأحوال الشخصية، في باب تقسيم الإرث).

وضَّاحٍ ومُطَرِّفٍ بنِ قَيْسٍ وعبد الله بن مَسْرَّةَ وعُبَيْدِ الله بن يَحْيَى . (ابن الفرضي، رقم ٢١٦).

وكان إسماعيل بن بدر مُتَّصِلًا بعبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ) فولَّاه الناصرُ الخاصَّة (إدارة أملاكه الخاصَّة) في ربيع الأوَّل من سنة ٣٠٠ هـ ثمَّ ولَّاه إشبيلية. وكذلك ولَّاه أحكامَ السوق (الحِسْبَة): المحافظة على الأخلاق في الأسواق ومراقبة البضائع وأسعارها).

وكانت وفاة إسماعيل بن بدر سَنَةً ٣٥١ (٩٦٢ م) وقد عُمِّرَ طويلاً.
- اشتغل إسماعيل بن بدر بالحديث، ولكنَّ الشَّغْرَ غَلَبَ عليه. وكان شاعراً مُكثِّراً مُجيداً، له مدحٌ ورناءٌ ووصفٌ وخرِّيَّات. وفي شعره متانةٌ ورقة أيضاً.

٣- مختارات من آثاره

- قال إسماعيل بن بدر يرثي ابنه أحمد، وقد مات صغيراً:
غَرَسْتُ قُضِيْباً زَعَزَعَتْهُ يَدُ الرَّدَى فخلَّوا دموعَ العينِ تَبَكُّ على غَرَسِي.
وهذا حَمَامُ الْأَيْكِ يَبْكِي هَدِيلَهُ، فما لِهَدِيلِي لا تنوب له نفسي^(١)!
- ما حُزْنُ يَعْتُوبَ على يوسِفٍ أَشَدُّ من حُزْنِي على أحمد.
أحمدٌ ملحودٌ - وهل نَسْتَوِي؟ - وذاك لم يُقْبَرْ ولم يُلْحَدْ^(٢).
وكان يرجوه؛ وهل أرتجي. هذا وقد غَمَضْتُهُ بِالْيَدِ^(٣).
- وأَهْدَى إلى بعضٍ من يَعْرِفُهُ تَوْتاً وَكَتَبَ مَعَهُ:
تَفَاءَلْتُ بِالتَّوْتِ التَّائِي لِزَوْرَةٍ؛ وذلك قَالَ - ما عَلِمْتُ - صَدُوقُ^(٤).

(١) الهديل: صوت الحمام. وهو أيضاً فرخ الحمام (القاموس ٤: ٦٧، السطر الأخير).

(٢) القبر هو الحفر التي يدفن الميت فيها. واللحد شقٌّ يكون في عرض القبر.

(٣) إذا مات الإنسان جفَّ جسمه. من أجل ذلك يسرع أهل الميت بمَدِّ أعضائه وتغميض عينيه كيلا تظلَّ أعضاؤه على غير طبيعتها وكيلا تظلَّ مفتوحتين.

(٤) التَّائِي: (لعله يقصد: الأمل، الرجاء، انتظار زورة).

فَأَهْدَيْتُهُ غَضًّا حَكَى حَدَقَ الْمَاءِ، لَهُ مَنْظَرٌ بِالْحُسْنِ مِنْهُ يَرُوقُ^(١).

وَبَعْضٌ حَكَى الْيَاقُوتَ مِنْهُ احْمَرَّاهُ؛ وَمَا مَجَّهَ لِلذَّائِقِينَ رَحِيقُ^(٢).

فَذَا سَبَّحٌ- فَيَا يُرَى لِأَسْوَدَادِهِ؛ وَذَا- لِاحْمَرَارِ اللَّوْنِ مِنْهُ- عَقِيقُ^(٣).

- قَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ بَدْرِ يَصِفُ غَزْوَةً قَامَ بِهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِرُ إِلَى بِلَادِ الْإِسْبَانِ وَبِذِكْرِ أَثَارِ الْخُرَابِ الَّذِي أَتَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ لَاحِظٌ أَنَّهُ يُشَبَّهُ الْجَيْشَ بِالْبَحْرِ وَيُشَبَّهُ الْبَيْضَ (السِّيُوفَ) بِالْبَيْضِ (النِّسَاءِ):

وَذِي لَجَبٍ كَالْبَحْرِ عَبَّ عُبَابُهُ فَضَاقَ بِهِ رَحْبُ الْفُضَا وَالتَّنَائِفُ^(٤)

قَرِيبُ الْخُطَا نَائِي الْمَدَى مَالِي الْمَلَا، بِجَمْعٍ تَرَاهُ وَاقِفًا غَيْرَ وَاقِفٍ^(٥)

تَرَكْنَا بِهِ أَرْضَ الْعَدُوِّ كَأَنَّهَا مَجَاهِلٌ لِلْمُرْتَادِ غَيْرِ مَعَارِفٍ^(٦)؛

غَدَّتْ بَعْدَ سَحَبِ الْبَيْضِ فِيهَا ذُيُولُهَا مَجَرَّ ذُيُولِ الطَّامَسَاتِ الْعَوَاصِفِ^(٧).

٤- ★ ★ أخبار مجموعة ١٦٠- ١٦٥؛ راجع ابن الفرضي ٨٠ (رقم ٢١٦)؛ راجع جذوة

(١) الفض: الطري، المقطوف حديثاً. الحدقة: العين. المهاء: نوع من الطباء أبيض اللون، كبير العينين. راق: سر الناظر.

(٢) حكى: شابه. مجَّه: أخرجه من فمه. الرحيق: العسل الموجود في قلب الزهرة.

(٣) السبح: خرز أسود (المعجم الوسيط ٤١٤؛ تاج العروس، الكويت ٦: ٢٧). العقيق: حجر كريم أحمر اللون.

(٤) ذو لجب: (جيش) ذو أصوات كثيرة (لكثرة عدده وسلاحه). العباب: كثرة الماء، السيل العظيم، ارتفاع الموج. عبَّ عبابه: عظم موجه وتلاطم. الرحب: الواسع. التنوفة: الفلاة (الأرض الواسعة).

(٥) قريب الخطى: الجنود يشون فيه بخطوات قصيرة (لازدحامهم وضيق المكان بهم). نائي المدى: بعيد ما بين أوله وآخره. تراه واقفاً غير واقف: هو يملأ بقعة كبيرة جداً من الأرض فلا تدرك العين أنه يتحرك.

(٦) المجهل: الأرض لا علامات فيها (خراب). المرتاد: الآتي إلى مكان يطلب شيئاً (عشباً، ماء، الخ). المعرفة: العلامة في الطريق يهتدي بها السائرون.

(٧) غدت: أصبحت. بعد سحب البيض فيها ذيوها: بعد المعركة- في البيت استعاره جميلة: يقول الشاعر إِنَّ الْبَيْضَ (السِّيُوفَ) بَعْدَ أَنْ تَنَزَّهَتْ (يُشَبَّهُ السِّيُوفَ الْبَيْضَ، الْمَجْلُوءَ، الْقَاطِعَةَ، بِالنِّسَاءِ الْبَيْضِ الْحَمِيلَاتِ) طَفَرَتْ بِسُرْعَةٍ وَسَهُولَةٍ كَأَنَّهَا كَانَتْ تَنَزَّهَتْ. جَرَّتْ ذُيُولُهَا: سَارَتْ مَتَأْتِيَةً تَسْخِرُ (سَرْنَ) مَتَأْتِيَاتٍ تَسْخِرْنَ. مَجَرَّ ذُيُولِ الطَّامَسَاتِ الْعَوَاصِفِ: مَكَانٌ تَمَرُّ بِهِ الرِّيَّاحُ الْاسْدِيدَةُ تَحْمِلُ الرَّمَالَ وَتَطْمَسُ (تَغْطِي) بِهَا كُلَّ أَثَرٍ.

المقتبس ١٥٣، وبغية الملتبس ٢١٥ (رقم ٥٤٣)؛ الحلة السراء ١: ٢٥٤-٢٥٦،
راجع ١٩٩-٢٠٠؛ تمّ الأعلام للزركلي ١: ٣٠٥ (٣١٠).

ابن مغيث الأنصاري

١- هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن مغيث الأنصاري من أشراف قرطبة، وُلد في ربيع الأول من سنة ٢٨٥ هـ (نيسان-ابريل ٨٩٨ م).

روى ابن مغيث عن خالد بن سعد ومحمد بن أحمد الإشبيلي الزاهد وأحمد بن سعيد ابن حزم وإسماعيل بن بدر وغيرهم. ولقي حظوة ومكانة عند الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦ هـ) قبل مجيئه إلى الخلافة وبعد مجيئه إلى الخلافة. وقد زهد في أواخر أيامه، وكان جسده قد ضعف. ثم توفّي في صدر شوال من سنة ٣٥٢ (٢٢/١٠/٩٦٣ م).

٢- كان ابن مغيث الأنصاري من أهل الذكاء والمعرفة كاتباً شاعراً وأديباً ناقدًا ومؤلفاً له كتاب «أشعار الخلفاء من بني أمية» (في الأندلس وفي المشرق) وضعه بطلب من الخليفة الحكم وجعله على مثال كتاب أبي بكر الصولي (ت ٣٣٥ هـ): «أشعار أولاد الخلفاء». وله أيضاً كتاب التوايين.

٣- مختارات من آثاره

- قال ابن مغيث الأنصاري في النسيب:

أتوا حسبة إذ قيل: «جدّ نحولُه» فلم يبقَ من لَحْمٍ عليه ولا عظم^(١)؛
فعادوا قميصاً في فراش فلم يروا ولا لَمَسوا شيئاً يدلُّ على جسم^(٢).
طواه الهوى في ثوب سُقْمٍ من الضنى، فليس بحسوسٍ بعينٍ ولا وهم^(٣)!

(١) في الأصل: إن. جدّ نحولُه: كثر هزال (بالضم) جسده. حسبة: طاعة لله (واشفاقاً علي) لا حباً بي ولا رجاء نفع في.

(٢) عادوا: زاروا (المريض).

(٣) الضنى: شدة النحول والمريض الذي طال مرضه.

- وقال:

أَوْثَقُ عَمَلِي فِي نَفْسِي مَلَامَةُ صَدْرِي^(١): أَنِّي آوِي إِلَى فِرَاشِي وَلَا يَأْوِي إِلَى صَدْرِي
غَائِلَةٌ لِّسَلْمٍ.

٤- ★ ★ جذوة المقتبس ٢٣٥-٢٣٦؛ (الدار المصرية) ٢٥٢-٢٥٣ (رقم ٥٣٣) بغية
الملتبس ٣١٩-٣٢٠ (رقم ٨٨٣)؛ الصلة ١: ٢٣٧. الأعلام للزركلي ٤: ٢٦٤
(١٢٠).

وليد بن عيسى الطبيخي

١- هو أبو العباس وليدُ بنُ عيسى بن حارث بن سالم الأمويُّ بالولاء، عُرف
بالطبيخيِّ لأنَّه أهدى إلى مؤدِّبه الحكيم أبي عبد الله محمد بن اسماعيل القرطبيِّ
(٢٥١-٣٣١ هـ) طعاماً، فقال له مؤدِّبه: ما هذا؟ فقال: «طبيخٌ أجدتُ صنعه
لك». فلقبه مؤدِّبه الطبيخيِّ.

وتلقَّى الطبيخيُّ العلمَ على نفرٍ منهم أبو عبد الله الغاي أخذَ عنه شعرَ أبي تمام
(الزبيدي ٣١٥). ثمَّ إنَّه اتَّخذَ التعلِيمَ صنعةً واقتصر على تعليم أبناء السَّراة ولم
يتعرَّضَ لتعليم أبناء العامة. وكان يُحسِّنُ تقريبَ قضايا العلم من الأفهام. وكانت وفاة
الطبيخيِّ في شوالٍ من سنة ٣٥٢ (خريف عام ٩٦٣ م).

٢- كان الطبيخيُّ عالماً باللغة والشعر، وكان له حظٌّ من العربية (النحو): كان
واسعَ الأطلاع على كتب المشاركة كثيرَ الاحتجاج (ضرب الأمثلة) بالقرآن والأمثال،
كما كان جامعاً لكثير من أخبار أهل الأندلس له «شرح ديواني مسلم بن الوليد
الأنصاري». والطبيخيُّ ناقدٌ أيضاً: كان جيِّدَ التَّفَطُّنِ إلى أوجه البلاغة حسنَ
الترجيح بين المعاني خاصَّة. ومَعَ أن شروحه كانت مُفْرَدَةً (يشرحُ الشعرَ بيتاً بيتاً)،
فإنَّها كانت مُوجِزةً ثم كانت، مع هذا الإيجاز، شاملةً للأوجه اللغوية والنحوية
وبلاغية والتاريخية، ولكنَّه قلَّ ما يشيرُ إلى وجه البلاغة- كما فعل لما قال (في شرح
البيت ٦٤ من القصيدة الأولى، ص ١٧): «وَجَعَلَ لِلدِّينِ دَعَائِمَ عَلَى الاستعارة».

(١) أحسن عملي أن آوي إلى فراشي (أن ينتهي يومي) من غير أن أكون قد غضبت من مسلم أو أغضبته

هذا مع العلم بأن ديوانَ مُسلم بن الوليد مملوءٌ بأوجه الصناعة وبالغريب النادر الجميل منها، كقوله مثلاً (في القصيدة الأولى):

يكسو السيوف دِمَاءَ الناكثين به ويجعل الهامَ تيجانَ القنا الذُّبُلِ.

٣- مختارات من آثاره

- من شرح ديوانِ مسلم بن الوليد^(١): (القصيدة الأولى، البيت التاسع والخمسون، ص ١٥ - ١٦):

(والمارقُ ابنُ طريفٍ قد دَلَفَتْ له بمسكِرٍ للمنايا مُسْبِلِ هَطْلٍ)^(٢)
كان ابن طريف الخارجي قد أضربَ بهرون الرشيد إضراراً شديداً لا يقوم له أحد من قَوَّاده^(٣) فاستشار هرون فيه بني برمك فأشاروا إليه بيزيد وكانوا على بغضة^(٤) فأرادوا به إحدى حالتين إمَّا أن ينهزم فيسقط حرمة^(٥) بذلك وإمَّا أن يقتل فيستريحوا منه فأخرجه هرون إليه^(٦) فجعل يماكره ويقول له إنني ابن عمِّك من شيبان ولا أريد بك إلاَّ خيراً وإِنَّا أخرجت إليك رغماً فطاولة^(٧) بذلك شهراً حتَّى انكسر حدُّ أصحابه واطمأنَّوا فقال بنو برمك لهرون إنَّ يزيد قد حالف ابن طريف إذ هو من رهطه ودلَّس^(٨) عليك فبعث هرون إليه يقول له إمَّا أن تنأشِبَ^(٩) الرجل وإمَّا تقتلتك

(١) مسلم بن الوليد شاعر عباسي، (ت ٢٠٨ = ٨١٣ م) يمدح بهذه القصيدة أحد مشاهير القوَّاد يزيد بن يزيد الشيباني بعد انتصاره على الثائر الخارجي الوليد بن طريف الشيباني، سنة ١٧٩، في أيام هرون الرشيد. وقد تركت هذا النص بلا شكل ولا تنقيط. ولكن لم يكن بد من شرح عدد من الألفاظ والتراكيب.

(٢) دلف إليه: سار إليه ببطء (وخدعة). العارض: السحاب الكثير يمتد في عرض الأفق. المسبل (الملقى ماء) المهطل (الكثير المطر).

(٣) لا يقوم له أحد من قَوَّاده: لم يستطع أحد أن يتغلَّب عليه، بل كان هو يتغلَّب عليهم.

(٤) بنو برمك كانوا وزراء في مطلع الخلافة العباسية. كانوا على بغضة (كره) ليزيد بن يزيد.

(٥) فيسقط حرمة (فتسقط حرمة).

(٦) فأخرجه هرون الرشيد إليه (بعث هرون الرشيد بيزيد بن يزيد لقتال الوليد بن طريف).

(٧) أخرجت (بالبناء للمجهول) فطاولة: (هنا) تأخَّر في قتاله.

(٨) دلَّس: كتم العيب الذي في السلعة (غش، خدع).

(٩) تنأشِب (تحارب).

فجمع يزيد أصحابه إلى نفسه وقال لهم إننا هم الخوارج وإن لهم صدمة واحدة فمن صبر لها لم ينل^(١) بعدها وإنني حامل بنفسني من ذلك على الاجتهاد^(٢) فاصبروا معي ثم عبى جيوشه وترحل^(٣) هو وأصحابه ولقيه فكان بينهم قتال عظيم ووقعت الهزيمة على الخارجي ابن طريف فقتل فأصبحت أخته وقد لبست درعها في عسكرها تدعو براز يزيد فحمل عليها يزيد فضرها وأنشدت ترثي أخاها:

أيا شجر الخابور^(٤) ما لك مورقا؟ كأنك لم تجزع على ابن طريف
فتى لا يريد الزاد إلا من التقى

- وقال في شرح البيت الثاني والعشرين من القصيدة الرابعة عشرة (ص ١٠٤):

(نَسْتَدْعُ اللَّيْلَ أَسْرَارَ الْهَمُومِ إِذَا بَاحَ النَّعَاسُ بِعَجْزِ الصَّاحِبِ الْوَائِي)
يقول: «نستودع الليل أسرار الهموم»، نكلّم في همومنا الليل فكأننا نودّعه إيّاها. (ويقول): «إذا باح النعاس بعجز الصاحب الوائي» أي إذا أظهر النعاس عجز الصاحب الوائي، أي الفاتر^(٥) الذي قد كلّ من المشي وغلّبه النوم فباح النعاس بعجزه، كما تقول: بُحْتُ بالأمر، أي أظهرته وتركت كتمانَه. ومعناه أنه يقطع الليل بجِدٍّ ونشاط إذا كلّ أصحابه وأثقل النوم بهم^(٦) على رحالهم والنوق. تمشي بهم. وأمّا قوله: «نستودع الليل أسرار الهموم» فهو مثل ما تُحدّث وتُتزل على فلان فتقول له كذا وكذا ويصِلُنَا بكذا وكذا، فكأنه يُخبرُ الليل بذلك لأن أصحابه قد سَكروا من النوم.

(١) ينل (بالبناء للمجهول): لم يصب (بالبناء للمجهول)، لم يجرح أو يقتل.

(٢) على الاجتهاد: بقدر علمي وطاقتي.

(٣) عبى وعبأ (الجيش) جمعه وأعدّه للقتال. ترحل: سار.

(٤) الخابور: نبت أو شجر له زهر أصفر زاهي المنظر جيّد الرائحة تزّين به الحدائق.

(٥) الوائي: المتعب (بضم فسكون ففتح)، الذي أعجزه التعب. كلّ: تعب.

(٦) بهم «موجودة في الأصل».

٤- (شرح) ديوان أبي الوليد مسلم بن الوليد الأنصاري الشهير بصريح الغواني (حرره... دي خويه)، ليدن (بريل) ١٨٧٥ م؛ (نشره سامي الدهّان)، مصر (دار المعارف) ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧ م.

★ ★ الزبيدي ٣٢٩، راجع ٣٠٣ - ٣٠٤؛ ابن الفرضي ١٥٩: ٢ (رقم ١٥١٢)؛ بغية الوعاة ٤٠٥؛ الأعلام للزركلي ١٤٣: ٩ (٨: ١٢٢)؛ الداية ٧٩ - ٩٣.

منذر بن سعيد البلوطي

١- هو القاضي أبو الحكم مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ قَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ نَجِيحٍ، أَصْلُهُ أَهْلُهُ مِنْ بَرَابِرَةِ نَفْزَةِ أَحَدِ فُرُوعِ كَرْنَةِ، أَنْتَقَلَوْا إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَسَكَنُوا فِي فَخْصِ الْبَلُوطِ (قرب قرطبة).

وُلِدَ مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ، سَنَةَ ٢٦٥ (ياقوت ١٩: ١٧٤) فِي مَحَلَّةِ النَّشَارِينَ بِالرَّبَضِ (الضاحية) الشَّرْقِيِّ مِنْ قَرْطَبَةِ، وَقِيلَ كَانَ مَوْلَاهُ سَنَةَ ٢٧٣.

دَرَسَ مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ فِي قَرْطَبَةِ عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى (ت ٢٩٧ هـ) أَحَدِ أَيْمَةِ الْفَقْهِ وَعَلَى ابْنِ يَحْيَى بْنِ يَحْيَى اللَّيْثِيِّ (ت ٢٣٤).

وَفِي سَنَةِ ٣٠٨ (٩٢٠ م) رَحَلَ مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ إِلَى الْمَشْرِقِ فَمَرَّ بِمِصْرَ فَسَمِعَ مِنْ أَبِي جَعْفَرٍ أَحَدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمِصْرِيِّ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ النَّحَّاسِ (ت ٣٣٨) وَمِنْ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحَدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ وَلَّادٍ (ت ٣٣٢). ثُمَّ إِنَّهُ حَجَّ وَسَمِعَ فِي مَكَّةَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْذَرِ النِّيسَابُورِيِّ. وَطَالَتِ رِحْلَتُهُ فِي الْمَشْرِقِ أَرْبَعِينَ شَهْرًا.

عَادَ مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ مِنَ الْمَشْرِقِ وَمَكَثَ فِي الْأَنْدَلُسِ عِشْرِينَ سَنَةً أَوْ تَزِيدُ لَا نَعْلَمُ شَيْئًا مِنْ أَخْبَارِهِ فِي أَثْنَائِهَا. وَنَفَهَمَ أَنَّهُ زَارَ طَرطُوشَةَ (نفع ٢: ٥١١) فِي سَنَةِ ٣٣٤ (٩٤٥ - ٩٤٦ م) جَاءَ مِنَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ إِلَى قَرْطَبَةِ رُسُلُ مَلِكِ الرُّومِ قُسْطَنْطِينَ السَّابِعِ (٩١٢ - ٩٥٩ م) يَحْمِلُونَ مِنْهُ رِسَالَةً؛ كَمَا وَصَلَ إِلَيْهَا فِي ذَلِكَ الْحِينِ وَفُودُ مُلُوكِ الْفَرَنْجَةِ. فَاحْتَفَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِرُ بِهَذِهِ الْوُفُودِ فِي قِصْرِ قَرْطَبَةِ وَسَطَ أُبَّهَةٍ عَظِيمَةٍ وَأَرَادَ مِنَ الشُّعْرَاءِ وَالْخُطَبَاءِ أَنْ يَقُومُوا بَيْنَ يَدَيْهِ أَمَامَ الْوُفُودِ وَيَذْكُرُوا مَا قَامَ بِهِ فِي تَوْطِيدِ الْخِلَافَةِ وَمَا كَانَ لَهُ مِنْ جَلَائِلِ الْفَتْوحِ وَالْأَعْمَالِ. فَهَضَّ الْفَقِيهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ

البر الكسنياني ليتكلم فأخذته هيبة الموقف وأرتج عليه ثم سقط أرضاً مغشياً عليه .
فقيل لأبي عليّ القالي (ت ٣٥٦ هـ) - ضيف عبد الرحمن الناصر- : « قُمْ فَأَرْقَعْ هَذَا
الْوَهْيَ » . فقام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيّه؛ ثم انقطع به القول فوقف
ساكتاً .

فلما رأى مُنذرُ بنُ سعيدٍ ذلك « قام من ذاته فوصلَ آفتتاحَ أبي عليٍّ لأوّلِ خطبته
بكلامٍ عجيبٍ وفصلٍ مُصيبٍ يَسُحُّه سَحًّا كأنّما يَحْفَظُهُ قَبْلَ ذَلِكَ بِمَدَّةٍ، وبدأ من المكان
الذي (كان قد) وَصَلَ إِلَيْهِ أَبُو عَلِيٍّ الْبَغْدَادِي « الْقَالِي » (النباهي ٦٦) . فكانت تلك
الخطبة سبيلَ حَظْوَتِهِ عِنْدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ .

بُعِيدَ تِلْكَ الْحَادِثَةِ، فَمَا يَبْدُو، عَيْنَهُ النَّاصِرُ قَاضِيًا فِي مَدِينَةِ مَارِدَةَ ثُمَّ جَعَلَهُ عَلَى
قَضَاءِ الثُّغُورِ الشَّرْقِيَّةِ . وَفِي رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْ سَنَةِ ٣٣٩ (مطلع خريف ٩٥٠ م) أَصْبَحَ
مُنْذَرُ بْنُ سَعِيدٍ قَاضِيَ الْجَمَاعَةِ فِي قُرْطَبَةٍ . وَمَعَ أَنَّ مُنْذَرَ بْنَ سَعِيدٍ كَانَ مِنْ أَتْبَاعِ
الْمَذْهَبِ الظَّاهِرِيِّ، فَإِنَّهُ كَانَ يَقْضِي عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ . وَكَانَ عَادِلًا بَيْنَ الْمُخْتَصِمِ
شَدِيدًا فِي الْحَقِّ لَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ . وَقَدْ بَقِيَ فِي الْقَضَاءِ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً إِلَى
حِينَ وَفَاتِهِ فِي ٢٨ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ ٣٥٥ (١٥ / ١١ / ٩٦٦ م) . وَدُفِنَ فِي
الرَّبَضِ الْغَرْبِيِّ مِنْ قُرْطَبَةٍ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِ .

٢- كَانَ مُنْذَرُ بْنُ سَعِيدٍ الْبَلُوطِيُّ فَقِيهًا مُتَفَنًّا فِي ضُرُوبِ الْعِلْمِ يَعْرِفُ الْمَذْهَبَ
الظَّاهِرِيَّ وَمَذْهَبَ الْإِمَامِ مَالِكٍ قَادِرًا فِي الْجَدَلِ . وَكَانَ أَدِيبًا شَاعِرًا مَتَرَسِّلًا لَهُ أَشْعَارٌ
مَطْبُوعَةٌ وَخُطْبٌ عَجِيبَةٌ وَرِسَالٌ بَلِيغَةٌ، كَمَا كَانَ مُؤَلِّفًا . وَمَعَ مَتَانَةِ خُلُقِهِ فَقَدْ كَانَتْ فِيهِ
دُعَابَةٌ حَسَنَةٌ . وَشَعْرُهُ الْقَلِيلُ الْبَاقِي فِي الزَّهْدِ وَالشُّكُوى مِنَ الدَّهْرِ وَمِنَ النَّاسِ حِينًا
وَفِي الْفَخْرِ بِالنَّفْسِ حِينًا آخَرَ . وَشَعْرُهُ صَحِيحٌ مَتِينٌ . أَمَّا خُطْبُهُ فَبَارِعَةٌ جَدًّا تَغْلِبُ
عَلَيْهَا السَّهُولَةُ وَتَتَّسِمُ بِالتَّبَسُّطِ فِي الْقَوْلِ وَالِإِتْيَانِ بِالْمَعَانِي الْقَلِيلَةِ الْيَسِيرَةِ الْقَرِيبَةِ
الْمُتَنَاوِلِ مِمَّا يُسَهِّلُ عَلَى السَّامِعِينَ اسْتِعَابَهَا فَيَكُونُ ذَلِكَ أَدْعَى إِلَى تَأْثِيرِهَا فِيهِمْ .
ويزيدُ فِي تَأْثِيرِهَا فِي السَّامِعِينَ بَرُوزُ الْعُنْصُرِ الدِّينِيِّ فِيهَا مِنَ الْوَعْظِ بِالتَّرْغِيبِ
وَالْتَرَهيبِ وَإِخْرَاجِ ذَلِكَ كُلِّهِ مَخْرَجَ الْخُطَابِ لِلْحَاضِرِينَ مَعَ كَثْرَةِ الْاسْتِشْهَادِ بِالْآيَاتِ .

ولقد كان مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ عَظِيمَ الاسْتِيلَاءِ بِخُطْبِهِ عَلَى السَّامِعِينَ.

٣- مختارات من آثاره

- قال منذر بن سعيد البلوطي يذكر الموت:

الموت حَوْضٌ وَكُلُّنَا يَرُدُّ؛ لَمْ يَنْجُ مِمَّا نَخَافُهُ أَحَدٌ^(١).
فَلَا تَكُنْ مُغْرَمًا بِرِزْقِ غَدٍ، فَلَسْتَ تَدْرِي بِمَا يَجِيءُ غَدٌ.
وَاخْذْ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ، وَيَسْلَمْ الرُّوحُ مِنْكَ وَالْجَسَدُ.
وَالْخَيْرَ وَالشَّرَّ لَا تَدَعُهُ، فَمَا فِي النَّاسِ إِلَّا التَّشْنِيعُ وَالْحَسَدُ.
- وقال يشكو من الدهر والناس (قبل إقبال الدنيا عليه):

هَذَا الْمَقَالُ الَّذِي مَا عَابَهُ فَنَدٌ، لَكِنَّ صَاحِبَهُ أَزْرَى بِهِ الْبَلَدُ^(٢).
لَوْ كُنْتُ فِيهِمْ غَرِيبًا كُنْتُ مُطَرَّفًا، لَكِنِّي مِنْهُمْ فَأَغْتَالِي النُّكْدَ^(٣).
لَوْلَا الْخِلَافَةُ- أَبْقَى اللَّهُ بَهْجَتَهَا- مَا كُنْتُ أَبْقَى بِأَرْضٍ مَا بِهَا أَحَدٌ!
- تُتَفَّ من خطبته يومَ دخلت الوفودُ على عبد الرحمن الناصر:

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَالتَّعْدَادِ لِآلَائِهِ^(٤)..... فَإِنَّ لِكُلِّ حَادِثَةٍ مَقَامًا-
وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ. وَلَيْسَ بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ. وَإِنِّي قَدْ قُضْتُ فِي مَقَامٍ كَرِيمٍ، بَيْنَ يَدَيِ
مَلِكٍ عَظِيمٍ. فَاصْغُوا إِلَيَّ- مَغْشَرُ الْمَلَأِ- بِأَسْمَاعِكُمْ وَأَيُّقِنُوا عَنِّي بِأَفْئِدَتِكُمْ^(٥)..... وَإِنِّي
أَذْكُرُكُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ عِنْدَكُمْ وَتَلَاْفِيهِ لَكُمْ بِخِلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّتِي لَمْتُ شَعْنَكُمْ وَأَمَنْتُ

(١) يرد: يذهب إلى الماء (ليستقي أو ليشرب). جميع الناس سيموتون.

(٢) الفند: ضعف الرأي من الهرم (التقدم في السن). الكذب. أزرى به (عابه، خفض منزلته). البلد (أنه من أهل البلد- أهل البلد لا يجبون النابه منهم، بل يجبون الغريب عن بلدهم).

(٣) مطرفاً: طريقاً: جديداً، بهيجاً. غاله واغتاله: قتله، اهلكه. النكد: صموبة العيش وضيقة، الشؤم.

(٤) الآلاء جمع إلى (بكسر الهمزة أو فتحها): النعمة.

(٥) الملأ: أشراف القوم. الفؤاد: القلب. أيقنوا عني بأفئدتكم: كونوا واثقين بما أقول.

سربكم ورفعت^(١) قوتكم: كنتم قليلاً فكثركم.... ومُستدّلين فنصركم. ولأه الله رعايتكم وأسند إليه إمامتكم أيامَ ضَرَبَتِ الفِتنَةُ سُرَادِقُهَا على الآفاق وأحاطت بكم شعلُ النفاق^(٢).....

أُنشِدُكُمْ اللهَ - معاشرَ الملأ - ألم تكنِ الدماءُ مَسْفُوكَةً فَحَقَّنَهَا، والسُّبُلُ مَخُوفَةً فَأَمَّنَهَا^(٣) والأموالُ مُنْتَهَبَةً فَأَحْرَزَهَا وَحَصَّنَهَا^(٤)؟ ألم تكنِ البلادُ خَرَاباً فَعَمَّرَهَا وَثَنُورُ المسلمِينَ مُهْتَزَّمةً فَحَمَاهَا وَنَصَرَهَا^(٥)؟ فاذكروا آلاءَ اللهِ عليكم بخلافتهِ وتلافِيهِ جَمَعَ كَلِمَتِكُمْ بعدَ افتراقها بإمامته حتّى أذهبَ عنكم غيظكم وشفى صدوركم وصيرتم يداً على عدوِّكم بعد أن كان بأسكم بينكم^(٦)... فأصبحتم بنعمته إخواناً وبلغَ أمير المؤمنين لِسَعْيِكُمْ على أعدائه أعواناً حتّى تَوَاتَرَتْ^(٧) لديكم الفتوحاتُ، وَفَتَحَ اللهُ عليكم بخلافته أبوابَ الخَيْرَاتِ والبركاتِ، وصارتْ وفودُ الرومِ^(٨) وافدةً عليه وعليكم، وآمالُ الأَقْصَيْنِ والأذْنَيْنِ مُتَّجِهَةً إليه وإليكم: يأتون من كلِّ فَجٍّ عميقٍ وبلدٍ سحيقٍ ليأخذوا بجبلِ^(٩) بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ جُمْلَةً وتفصيلاً لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كان مفعولاً. ولن يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ؛ ولهذا الأمر ما بعده.....

٤- * * الزبيدي ٣١٩- ٣٢٠؛ جذوة المقتبس ٣٢٦- ٣٢٧ (الدار المصرية) ٣٤٨- ٣٤٩ (رقم ٨١١)؛ بغية الملتبس ٤٥٠- ٤٥٢ (رقم ١٣٥٧)؛ ابن الفرضي ٢: ١٤٢- ١٤٣؛ مطلع الأنفس ٣٧- ٤٦؛ تاريخ قضاة الأندلس ٦٦- ٧٥؛ إنباه الرواة

- (١) التلافي: تحبب الأمور (المؤذية). لم الشعث: جمع القوم ووحد أمورهم. أمّن السرب (جماعة الغنم أو الابل السارحة): نشر الأمن في بلدكم.
- (٢) السرادق: الخيمة الكبيرة. ضربت الفتنه سرادقها على الآفاق: انتشرت في كل مكان.
- (٣) حقن الدماء: حمى الناس من القتل. مخوفة: يخاف السائرون فيها (من الاعتداء عليهم).
- (٤) أحرزها: وضعها في حرز (مكان أمين) وحصنها (أحاطها بما يحفظها).
- (٥) الثغور جمع ثغر: المكان الذي يخشى منه مجيء العدو براً أو بحراً. مهتزمة: مفتتحة، منقوصة (معتدى عليها).
- (٦) البأس الشدة، الحرب. - بأسكم بينكم: كنتم في شقاق وقتال (فيا بينكم).
- (٧) التواتر: التوالي، التتابع (أن تأتي الأشياء متتفة من كل مكان وبلا انقطاع).
- (٨) الروم: النصارى عموماً من أي جنس كانوا.
- (٩) الفج: الطريق في الجبل. عميق وسحيق (هنا) بمعنى بعيد. ليأخذوا بجبل بينكم: ليعقدوا معكم معاهدة، ميثاقاً (في سبيل حماية أنفسهم).

٣ : ٣٢٥ ؛ معجم الأدباء ١٩ : ١٧٤ - ١٨٥ ؛ ابن الأثير ٨ : ٢٤٣ - ٢٤٤ ؛ بغية
الوعاة ٣٩٨ ؛ نفح الطيب ١ : ٣٦٨ - ٣٧٦ ، ٥٧٠ - ٥٧٦ ، ٢ : ١٦ - ٢٢ ؛ شذرات
الذهب ٣ : ١٧ ؛ بروكلمن ، الملحق ١ : ٤٨٤ ؛ نيكل ٣٣ - ٣٥ ، مختارات نيكل
٢٧ ؛ الأعلام للزركلي ٨ : ٢٢٩ (٧ : ٢٩٤) .

محمد بن يحيى الرّباحي

١ - هو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد السلام الأزديّ الأندلسيّ
الرّباحي^(١) ، أصله من جيان ومَنْزَله في قرطبة . « وكان يُعرف بالقلّساط أيضاً » (بغية
الوعاة ١١٣) .

رَحَلَ إلى المشرق وأخذ في مصر عن أبي جعفر بن النّحاس (٢٣٨ هـ) كتاب
سيبويه ، وعن ابن ولّاد (ت ٣٣٢ هـ) ، وكان ابن ولّاد يهتم أيضاً بسيبويه وله كتاب
« تفسير أبيات (شواهد) سيبويه » .

وعاد الرّباحي إلى قرطبة وتصدّر للتدريس وأقرأ كتاب سيبويه فكثّر المتفوّن
حول حلّقه لبراعته ولطريقته المبتكرة في إقراء النحو .
وكانت وفاته في رمضان من سنة ٣٥٨ (صيف ٩٦٩ م) .

٢ - كان الرّباحي بارعاً في علم النحو مُقتديراً في نظم الشعر على النهج العربيّ
البدويّ . له أرجوزة في رثاء أحمد بن موسى بن حدير^(٢) أوغلّ في بنائها على مذهب
العرب وفي الخروج فيها عن مذهب المُحدثين فلم يَرْضها العامّة .

وكان الرّباحي قد طالع كُتُب علماء الكلام ونظرَ في كُتُب المنطِق فبرّع في
الاحتجاج وفي سياقة الأدلّة حتّى كان يجادلُ الفُقهة والأطباء وأهل التنجيم - وليس
ذلك كلّهُ من اختصاصه - فيجولُ معهم في دقائق صناعاتهم وريّاً غلبهم بالحجّة .
واستفاد الرّباحي من هذه الخاصّة في نفسه فكان يَمُقّد مجلساً للمناظرة (في النحو) في

(١) نسبة إلى قلعة رباح (بنقطة واحدة تحت الباء) قرب طليطلة ، وكان أبوه أو جدّه قد سكنها .
(٢) كان موسى بن محمد بن حدير من الذين ساعدوا عبد الرحمن الناصر على الوصول إلى الخلافة ثم أصبح
حاجباً (رئيساً للوزارة) (الظاهر أن المرثي ابنه) .

كلَّ جُمُعة. « ولم يكن عند مُؤدِّي العَرَبية ولا عند غيرهم، مِمَّنْ ^(١) عُنِيَ بالنحو، كبيرُ علمٍ حتَّى وَرَدَ الرَّبَاحِيُّ عليهم. وذلك أن المؤدِّبين إنَّما كانوا يُعانون إقامة الصِّناعة في تلقين تلاميذهم العواملَ وما شاكلها، وتقريب المعاني لهم. ولم يأخذوا أنفسهم بعلم دقائق العربية (النحو) وغوامضها والاعتلال لمسائلها. ثمَّ كانوا لا يَنْظُرُونَ في إمالة ولا ادغام ولا تصريف ولا أُنْبِيَّة، ولا يُجيبون في شيء منها حتَّى نَهَجَ لهم (الرباحي) سبيلَ النظر، وأعلَّمَهُم بما عليه أهلُ هذا الشأن في المشرق، مِن استقصاء الفنِّ بوجوهه واستيفائه على حُدوده وأنَّهم بذلك (أي المشاركة) استحقَّوا اسمَ الرياسة ».

٣- مختارات من آثاره

- كَتَبَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الرَّبَاحِيُّ إلى أَبِي بَكْرِ الزُّيَيْدِي (ت ٣٧٩ هـ) بقصيدة في مَطلَعِها:

خَلِيلِيَّ مِنْ فَرَعِي زَبِيدٍ بِنِ مَذْحِجٍ قفا واسمعا، قد يُسَعِّدُ الشَّجِيَّ الشَّجِيَّ ^(٢).

ألم تعلم أني أرقُتُ، وشاقني خيالٌ سرى وهناً ولما يمرِّج ^(٣).

- ورثي الرباحيُّ أَحْمَدَ بْنَ مُوسَى بْنِ حَدِيرٍ بأرجوزة قلَّدَ فيها مقصورة ابنِ دُرَيْدٍ ^(٤) أولها ثمَّ أحدُ أبياتِها اللذان يَلِيَّان:

إحدى الرزايا ولا أعطي السوى رُزْمٌ به دَهْرِي ولو عَزَّ العزَّا ^(٥).

(١) في الزبيدي (ص ٣٣٦، السطر الثالث من أسفل) « من عني بالنحو » (المقصود أن النحاة لم يكونوا بعد قد تعمَّقوا في فقه النحو وفي طريقة تعليمه).

(٢) زبيد (بضم الزاي للتصغير): قوم من مذحج (يفتح فسكون فكسر) من عرب الجنوب. الشجي الحزين. الشجي الأولى مفعول به والثانية فاعل (أو بالعكس). يسعد: يعين (إذا اجتمع حزينا، فربما تمرَّى كل واحد منها إذا رأى مصيبة الآخر أشدَّ من مصيبتِهِ هو).

(٣) سرى: مرَّ، سار ليلاً. وهنا: بعد منتصف الليل. لم يمرِّج: لم يتوقَّف، لم يمل (لم يجعل طريقه) إلى مكاني.

(٤) ابن زيد (ت ٣٢١ هـ) - راجع الجزء الثاني.

(٥) إحدى الرزايا (المصائب الكبار). السوى (بكسر السين وضماً): العدل، التساوي (لا أعطي السوي: لا أجعل مصيبة مساوية لها). عزَّ العزاء: قلَّ، صعب نسيان هذه المصيبة.

سائل بطنهم والذين قبلهم والحضر والحيّ الحلال من سبّا^(١)!

٤- * * الزبيدي ٣٣٥-٣٤٠؛ ابن الغرضي ٧١-٧٢ (رقم ١٢٩٣)؛ جذوة المقتبس ٩١ (الدار المصرية ٩٨ (رقم ١٦٤)؛ بغية الملتبس ١٣٤؛ الوافي بالوفيات ٥: ١٩٢؛ بغية الوعاة ١١٣.

الحشني المؤرخ

١- هو أبو عبد الله محمد بن الحارث بن أسد الحشني، وُلِدَ في القيروان ودرّس فيها وفي تونس وسكن مدّة في سبّنة.

دَخَلَ الحشني الأندلس سنّة ٣١١ أو ٣١٢ (٩٢٤ م) حدّثاً، ودرس في قرطبة على قاسم بن أصبغ (ت ٣٤٠ هـ) وعلى مُعاصره محمد بن عبد الملك بن أيمن. وأرادَ الخليفة عبد الرحمن الناصر أن يُولّي الحشني القضاة في جيان فأبى الحشني إباءً شديداً، ولكنه قبلَ، في أيام الحكم المُستنصر (٣٥٠-٣٦٦ هـ) أن يتولّى المواريث في مدينة بجّانة من أعمال المريّة. وبعد وفاة الحكم عمِلَ الحشني بالعطارة (بيع العطور والبذور وبيع موادّها لها صلة بالأدوية الخفيفة والكيمياء).

وتُوفّي محمد بن حارث الحشني في الثالث من صفر من سنّة ٣٧١ (٩٨١/٨/٨ م) وفي تحقيق سنّة وفاته اختلافٌ بين سنّة ٣٦١ وسنّة ٣٧١ هـ.

٢- محمد بن حارث الحشني مُحدّثٌ وفقية ومؤرّخ؛ له من الكتب: كتاب القضاة بقرطبة- كتاب علماء إفريقية (القطر التونسي)- أخبار الفقهاء والمُحدّثين- الاتفاق والاختلاف لملك بن أنسر وأصحابه. ويبدو أنه كان لأبي عبد الله محمد بن حارث الحشني شعراً كثيراً مشهور يدلنا القليل الذي بقيَ لنا منه على شيء من المتانة وعلى أن من أغراضه الزُهد والحكمة.

(١) طسم: قبيلة عربية بادت (انقرضت). الحضر: بلد (أو قصر) في العراق. الحيّ الحلال (بكسر الحاء) الأتوام النازلون في مكان موقّناً. سبّا: أهل سبّا (أهل اليمن). - أسأل جميع الناس (من البدو والحضر، ومنذ أقدم الأزمنة)...

٣- مختارات من آثاره

- قال محمد بن حارث الحُشني في مقدمة كتاب «القضاة»، بعد أن ذكر اهتمام الأمير الحكم المستنصر^(١) بالعلوم وتدوينها وأنه هو الذي أمر بتأليف هذا الكتاب:

لما كان القاضي أعظم الولاة خطراً بعد الإمام الذي جعله الله زماماً للدين وقواماً^(٢) للدين، لما يتقلده القاضي من تنفيذ الأحكام في الدماء والفروج والأموال والأعراض^(٣) وما يتصل بذلك من ضروب المنافع ووجوه المضار، وكانت العقبي من الله في ذلك فطيعة المقام هائلة الموقف مخوفة المطلع^(٤)، ختلفت في ذلك الهمة من عقلاء الناس وعلمائهم. فقليل كثير منهم القضية رغبة في شرف العاجلة^(٥) ورجلة لمعونة الله عليه واتكالا على سعة عفو فيه، ونفر آخرون منه رهبة من مكروه الآجلة^(٦) وحذاراً من الله فيما يكون منهم وعلى أيديهم. وقد سلف من رجال الأندلس، من أهل حاضرتها العظمى^(٧)، رجال دُعوا إلى القضاء فلم يُجيبوا رهبة..... من منتظر العاقبة^(٨). وقد رأيت أن أدون ذكرهم وأصِف مقاماتهم بين يدي خلفائهم وإشفاقاً مما دعاهم إليه أمراؤهم، وأن أجعل لذلك باباً في صدر الكتاب^(٩)، ثم أصير

(١) الحكم المستنصر كان ابن عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ) وخليفته.

(٢) الخطر: القيمة المكانة، الشرف. زمام: رَس، قياد، ضابط. القوام: النظام، الأصل، المعاد.

(٣) في الدماء (القصاص على القتل والجروح) والفروج (الزواج والطلاق وما يتعلق بها) والأموال (الزكاة والصدقات والضرائب) والأعراض (جمع عرض بكسر العين: شرف الإنسان ثم جمع عرض بفتح ففتح: البضائع، وهي المقصودة هنا: أي أمور التجارة من البيع والشراء الخ).

(٤) ضروب: أنواع. العقبي: النتيجة (ما يصير إليه الإنسان في الآخرة). فطيعة: شديدة، شنيعة. المطلع: المظهر.

(٥) العاجلة: الدنيا.

(٦) الآجلة: الآخرة (يوم القيامة).

(٧) سلف: مضى (عاش قبل أيامنا). الحاضرة: العاصمة (قرطبة).

(٨) خوفاً من الحساب على أعمالهم يوم القيامة.

(٩) وإشفاقاً (العطف هنا غير واضح). صدر: أول.

إلى ذِكْرِ وُلاةِ القُضاءِ قاضياً قاضياً على ما كانت عليه دُولُهُمْ^(١).....

- قال أبو عبد الله محمد بن حارث الحُشني في يَحْيَى بن مَعْمَرٍ الإلهاني^(٢) (المقتبس

: (٥٤)

يَحْيَى بن مَعْمَر بن عمران بن منير بن عُبيد بن أُتَيْفٍ الألهاني من العرب الشاميّين^(٣)، وكان من أهل إشبيلية، منزله منها بمغرانة - قرية بقُرب الحاضرة وعليها مَر السابلة^(٤). وكان في وقته فقيه إشبيلية وفارصها^(٥). وكانت له رحلة لقي فيها أشهب بن عبد العزيز^(٦) وسمع منه ومن غيره من أهل العلم. وكان ورعاً زاهداً فاضلاً عفاً مُقبلاً على عِمارة ضيَعته وترقيح^(٧) مَعيشته. فانتهى خبره إلى الأمير عبد الرحمن^(٨)، وقد احتاج إلى قاضٍ، فاعتماه^(٩) للقضاء واستقدمه إلى قُرطبة وقلّده قضاة الجماعة بها. فصدق الظنُّ به واغتنى من خير القضاة في قَصْدِ سيرته وحُسن هُذيه وصلابة قنائه وإنفاذ الحق على من توجّه عليه لا يَخْفِلُ لَوْمَةً لائمٍ فيه.

- ومن مشهور شعر أبي عبد الله (محمد بن حارث) الحُشني (المقتبس ٢٥٧ - ٢٥٨):

كَأَن لَمْ يَكُنْ بَيْنَ وَلَمْ تَكُ فُرْقَةٌ إِذَا كَانَ مِنْ بَعْدِ الْفِرَاقِ تَلَاقٌ^(١٠)؛
كَأَن لَمْ تُورَقْ بِالْعِرَاقِينَ مُقْلَتِي، وَلَمْ تَمُرْ كَفُ الشُّوقِ مَلَهَ مَاقِي^(١١)،

(١) الدولة: الدور (المدة التي يقضيها الإنسان بعد غيره) - دولة دولة: مرّة بعد مرّة.

(٢) توقّي يحيى بن معمر قبل ٢٣٤ هـ.

(٣) راجع، فوق، ص ٣٩.

(٤) الحاضرة: العاصمة (هنا: قرطبة). مَر السابلة (السائرين في السبيل: الطريق): الطريق العام (بين مدينة ومدينة).

(٥) الفارض: الذي يتولّى قسمة الارث بين أصحاب الحق (والعالم بذلك).

(٦) أشهب بن عبد العزيز فقيه مالكي من أهل مصر (ت ٢٠٤ هـ = ٨١٩ م).

(٧) الترقيح: إصلاح أمر المعيشة.

(٨) هو عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ) رابع الأمراء المتوارثين في الأندلس.

(٩) اعتماه: قصده (طلبه).

(١٠) البين: البعد، الفراق.

(١١) العراقان: البصرة والكوفة (القطر العراقي). مرى اللبن من ضرع البقرة: مسّ الضرع برفق ليخرج منه اللبن.

ولم أزر الأعرابَ في خَبْتِ أَرْضِهِمْ بذاتِ اللوى من رامةٍ وُبَراقٍ^(١) ،
 ولم أَصْطَبِحْ بالبيد من قهوةِ الندى بكأسِ سقانيها الفِراقُ دِهاقٍ^(٢) .
 بلى، وكأنَّ الموتَ قد زارَ مضجعي فحوَّلَ مِنِّي النفسَ بينَ تَراقٍ^(٣) .
 أخي، إنَّما الدُّنيا محلَّةُ فُرقةٍ ودارُ غُرورٍ أَذْنَتُ بِفِراقٍ^(٤) .
 تزوَّدَ، أخي، مِن قَبْلِ أنْ تَسْكُنَ الثرى وتلتفَّ ساقٌ للنشورِ بَساقٍ^(٥) .

٤- كتاب القضاة بقرطبة (ريبيرا)، مدريد ١٩١٤ م؛ (عزّت العطار)، القاهرة ١٣٧٢ هـ .

- كتاب علماء إفريقية (محمّد أبو شنب)، الجزائر ١٩١٦، ١٩٢١ م .

* * المقتبس (راجع الفهرس)؛ جذوة المقتبس ٤٩ - ٥٠ (الدار المصرية) ٥٣ (رقم ٤١)؛ ابن
 الفرضي ٢: ٢١٤ - ٢١٥ (رقم ١٤٠٠)؛ معجم الأدباء ١٨: ١١١؛ الوافي بالوفيات ٢:
 ٣١٥؛ المغرب (٢: ٥٤)؛ بغية الوعاة ٥٢. الديباج المذهب ٢٥٩ - ٢٦٠؛ بروكلمن
 ١٥٧: ١، الملحق ١: ٢٣٢؛ الأعلام للزركلي ٦: ٣٠٣ (٧٥).

ابن هاني الأندلسي

١- يَرْجَعُ نَسَبُ ابْنِ هَانِيٍّ الْأَنْدَلُسِيِّ إِلَى يَزِيدَ بْنِ حَاتِمَ بْنِ قُبَيْصَةَ بْنِ الْمُهَلَّبِ بْنِ
 أَبِي صُفْرَةَ الْأَزْدِيِّ، وَقِيلَ بَلْ إِلَى أَخِيهِ رَوْحِ بْنِ حَاتِمَ . كَانَ يَزِيدُ بْنُ حَاتِمَ قَدْ جَاءَ
 إِلَى إِفْرِيْقِيَّةَ (سنة ١٤٥ هـ) لِقِتَالِ عَمْرُو بْنِ حَفْصٍ . ثُمَّ لَمَّا تُوُفِّيَ يَزِيدُ (سنة ١٧٠ هـ)
 خَلَفَهُ عَلَى إِفْرِيْقِيَّةَ أَخُوهُ رَوْحٌ .

وُلِدَ أَبُو الْقَاسِمِ (وَقِيلَ: أَبُو الْحَسَنِ) مُحَمَّدُ بْنُ هَانِيٍّ^(٦) بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدُونِ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ

- (١) الحب من الأرض: المنخفض (الذي يكون فيه عادة ماء) الواسع .
- (٢) اصطبح: شرب الخمر صباحاً. القهوة: الخمر المطبوخة بالنار. دهاق: مملوءة. قهوة الندى..... (٤).
- (٣) التراقي جمع ترقوة (بضم التاء): عظم في أعلى الصدر. فحوَّلَ مِنِّي الخ: قرَّبني من الموت.
- (٤) آذن: أوشك، اقترب.
- (٥) النشور: يوم القيامة. التفت الساق (العظم الأدي من رجل الإنسان): اشتبكت (كتاية الازدحام والاضطراب).
- (٦) كان هاني بن محمد بن سعدون (والد صاحب هذه الترجمة) من قرية من قرى المهديّة في إفريقية (القطر التونسي) ثم انتقل إلى الأندلس. وكان أديباً شاعراً.

هاني الأندلسي^(١) سَنَة ٣٢٠ (٩٣٢ م) أو ٣٢٦ في قرية سكون؟ من قَرْى إشبيلية. ونشأ في إشبيلية، ثم انتقلت أسرته إلى البيرة (قرب غرناطة)، ولذلك أصبح يُعرف أيضاً باسم ابن هاني الإلبيري. وقد تلقى علومه في مدينة قرطبة.

واتصل ابن هاني الأندلسي أولاً ما اتصل بولاة إشبيلية، ولكن يبدو أنه لم ينل حظوة لدى رجال الدولة المرابطية فانتقل إلى المغرب، وعمره إذ ذاك سبع وعشرون سَنَة (٣٤٧ أو ٣٥٣ هـ) ثم اتصل برجال الدولة الفاطمية. ومن المستبعد أن يكون ابن هاني قد اعتنق المذهب الفاطمي في الأندلس ثم اضطر إلى مُغادرة الأندلس من أجل ذلك، فقد قيل إنه اتصل في المغرب بجوهر الصقلي ومدحه فأعطاه جوهر مائتي درهم. ثم سأل عن رجل كريم يقصده فدلوه على جعفر بن فلاح وعلى جعفر ابن علي بن حمدون المعروف بابن الأندلسية- وكان جعفر بن علي وأخوه يحيى والييين على المسيلة (المحمدية) إحدى مدن الزاب (في المغرب الأوسط)، فسار إليهما ومدحهما ونال عندهما حظوة كبيرة. ثم بلغ خبر ابن هاني إلى المعز لدين الله الفاطمي (٣٤١-٣٦٥ هـ) فاستقدمه المعز إلى القيروان وبالغ في إكرامه.

في أواخر شوال من سَنَة ٣٦١ (صيف ٩٧٢ م) أنتقل المعز لدين الله إلى القاهرة فخرج ابن هاني معه مشيعاً. ثم إنه عاد وجاء بأهله وسار يريد مصر. فلما كان في برقة وجد مقتولاً، في ٢٣ من رجب من سَنَة ٣٦٢ (٢٩ / ٤ / ٩٧٣ م) في الأغلب. ولم يتفق المؤرخون على سبب مقتله.

٢- يدلُّ شعر ابن هاني الأندلسي على أنَّ ابن هاني كان مُلمّاً بعددٍ من العلوم كعلم اللغة والفقه والكلام وعلم الهيئة (الفلك)، ولكنَّ اختصاصه كان في الأدب. وهو شاعرٌ مُكثرٌ مُجيدٌ جعله مُعظمُ النقاد في مُقدِّمة شعراء المغرب كلهم؛ والمغاربة يُقرِّنونه بالمتنبي، وقد سمَّوه «متنبي المغرب أو متنبي الغرب».

وابن هاني الأندلسي مُعزَّمٌ بالألفاظ الطنانة ذات الجلبة من غير ضرورة تدعوه إلى

(١) تمييزاً له من ابن هاني الحكمي أبي نواس ومن ابن هاني محمد بن إبراهيم بن مفضل (ت ٥٦٠ هـ).

استعمالها حتى أفسدَ بذلك بعضَ شعره، كما يذكُر ابنُ رَشِيقٍ^(١). وربّما أكثرَ ابنُ هاني من الألفاظ الغريبة وربّما جاء بالصيغ التي لا تردُّ في القواميس، نحو: دَمَع، مُنْطَق، صَدَقَاء (مستقيمة)، الخَطِيء (الخاطيء)، المُخْطِئ (غير أنَّ بنه جُمْلَه مَتِين؛ والغالبُ على شكلِ القصيدةِ عندهُ شكلُ المعلقة، وقد يَقْتَرِبُ من المعلقة حتى يُقَارِبُ بألفاظه ألفاظَ عَنْتَرَة وَزُهَيْرِ بنِ أَبِي سُلْمَى وغيرها. وكثيراً ما كان يَطْبَعُ شعره على غِرَارِ شعرِ المتنبي في الخصائص اللفظية والخصائص المعنوية وفي الأغراض.

والغالبُ على الديوان الذي وَصَلَ إلينا مِن ابنِ هاني الأندلسي المديح؛ ثم فيه شيء من الرثاء وقليلٌ من الهجاء. والوصفُ والغزلُ والحكمة أغراض بارزة في هذا الديوان. ومع أنَّ الحكمة قليلة في ديوان ابن هاني الأندلسي فإنها بارعة جداً لما فيها من التحليل المنطقي المتسق ولما فيها أحياناً من الابتكار.

ويشتملُ ديوانُ ابنِ هاني على أربعة آلاف بيتٍ في قصائد طوالٍ عادة، وقد بلغت إحداها مائتي بيتٍ. فمن هذه الأبيات ١٦٣١ بيتاً في جَعْفَرِ بنِ عَلِيٍّ وآله ١٧٧٤ بيتاً في المِعْزَ لدين الله وَحْدَهُ. وليس في الديوان الذي بين أيدينا شيء من الشعرِ قاله ابنُ هاني في الأندلس قبلَ مجيئه إلى المغرب.

ومُعْظَمُ قصائدِ ابنِ هاني الأندلسي مملوء بالألفاظ والمَدارك الفاطمية وبالمبالغة بالمديح والرثاء بها حتى يَخْرُجَ بذلك إلى الكُفْرِ^(٢). ولا ريبَ في أن ابن هاني كان يأتي

(١) قال ابن رَشِيق في «العمدة» (المكتبة التجارية، ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٤ م): «ومنهم (من الشعراء)» فرقة أصحاب جلبة وقعقة بلا طائل معنى إلا القليل النادر كأبي القاسم بن هاني.... فإنه يقول في أول مذهبه: أصاحت فقالت: وقع أجرد شيطم! (تبيان المعاني ٦٥٧). وليس تحت هذا كله إلا الفساد وخلاف المراد.... وكانت عند أبي القاسم مع طبعه صنعة: فإذا أخذ في الحلاوة والرقّة وعمل بطبعه وعلى سجيته أشبه الناس ودخل في جملة الفضلاء، وإذا تكلف الفخامة وسلك طريق الصنعة أضر بنفسه وأتعب سامع شعره... (العمدة ١: ١٠٤ - ١٠٥).

(٢) من المشهور في ديوان ابن هاني الأندلسي قوله في مطلع قصيدة:
ما شئت، لا ما شاءت الأقدار. فأحكم، فأنت الواحد القهار.
فكأنما أنت النبي محمد، وكأنما أنصارك الأنصار.
ونقرأ في البيان المغرب (٢: ٢٩٢ - ٢٩٣) أن المنصور بن أبي عامر (ت ٢٩٣ هـ) كان =

بهذه المبالغات إرضاءً للممدوحين واستكثاراً لعطاياهم. وإيغاله في تلك المبالغات يدلّ على أنّه لم يكن يَشْعُرُ في نفسه ما كان يُعَبِّرُ عنه بلسانه، لأنّ أصحاب المذهب الفاطميّ أنفسهم لم يُصَرِّحُوا بِثُلِّ ما صرَّحَ بِهِ هُوَ.

٣- مختارات من شعره

- قال ابن هاني يمدحُ الأميرين طاهراً والحسينَ ابني المنصور بالله الفاطميّ (وهما أخوا المعزّ لدين الله):

انسَحُوا عن ناظري كُحَلَ السَّهَادِ	وانفُضُوا عن مَضْجَعِي شَوْكَ الْقَتَادِ ^(١) ،
أَوْ خُنُوا مِنِّي مَا أَبْقَيْتُمْ؛	لَا أَحِبُّ الْعَيْشَ مَسْلُوبَ الْفُؤَادِ ^(٢) .
هَلْ تُجَيِّرُونَ مُحِبًّا مِنْ هَوَايَ!	أَوْ تَفُكِّونَ أُسِيرًا مِنْ صِفَادِ ^(٣) !
وَإِذَا كَانَتْ صَلَاةٌ فَعَلَى	هَاشِمِ الْبَطْحَاءِ أَرْبَابِ الْعِبَادِ ^(٤) ؛
هُمْ أَقْرَوَا جَانِبَ الدَّهْرِ، وَهُمْ	أَصْلَحُوا الْأَيَّامَ مِنْ بَعْدِ الْفَسَادِ؛
أَهْلُ حَوْضِ اللَّهِ يَجْرِي سَلْسَلًا	بِالطَّهْورِ الْعَذْبِ وَالصَّفْوِ الْبُرَادِ ^(٥) .
أَسَوَاهُمْ أَتَبْغِي يَوْمَ النَّدَى؟	أَمْ هِيَاهُمْ أُرْتَجِي يَوْمَ الْمَعَادِ ^(٦) ؟

= يكره الجدل والآراء الدهرية والاستخفاف بشيء من الشريعة. واتفق أن كان في أيامه شاعر من شعرائه اسمه عبد العزيز بن الخطيب قال: «ما شئت....» (البيتين)، فضربه خمسمائة سوط وحجسه ثم نفاه عن الأندلس. فإذا نحن قبلنا قول ابن عذارى في البيان المغرب وجب أن يكون هذان البيتان وأمثالهما ثم الاتجاه الفاطمي في الأندلس أقدم من ابن هاني الأندلسي.

(١) السهاد: السهر، المعجز عن النوم. القتاد: نبات له شوك قاس - ساعدوني على أن أنام وعلى أن يكون نومي مريحاً.

(٢) ما أبقيتم: ما أبقى حِكْمَ من جسي - أخذتم قلبي ونومي.... وتركتم شيئاً من جسي، فخذوه أيضاً.

(٣) هل تشفقون على محبّ لكم أو تطلقون سراح أسيركم؟ الصفاد: الوثاق (رباط من جلد أو من حديد).

(٤) وإذا صلى أحد فصلاته لتقديس بني هاشم أصحاب بطحاء مكة - لا بني هاشم الذين كانوا يسكنون خارج مكة - لأنّ هاشم البطحاء هم أرباب العباد = الذين يحكمون الناس في الأرض بوصية من الله!.

(٥) هم يقفون يوم القيامة على الحوض ويسقون الناس (هم الذين يجري حساب الناس يوم القيامة على أيديهم).

(٦) الندى: الكرم. المعاد: الحشر، القيامة.

هُمُ أَبَاحُوا كُلَّ مَنُوعِ الْحِمَى وَأَذَلُّوا كُلَّ جَبَّارِ الْعِنَادِ^(١).
 - وقال يرثي والدَةَ جَعْفَرٍ وَيَحْيَى أَبْنَي عَلِيٍّ:
 صَدَقَ الْفَنَاءُ وَكَذَّبَ الْعُمُرُ، الْعِظَاتُ وَبَالِغُ النُّذُرِ^(٢).
 إِنَّا- فِي آمَالِ أَنْفُسِنَا طُولٌ، وَفِي أَغَارِنَا قِصَرٌ^(٣)-
 لَنَرَى بِأَعْيُنِنَا مِصَارِعَنَا لَوْ كَانَتِ الْأَلْبَابُ تَغْتَبِرُ^(٤).
 مِمَّا دَهَانَا أَنَّ حَاضِرَنَا أَجْفَانُنَا، وَالْغَائِبَ الْفِكْرُ^(٥).
 فَإِذَا تَدَبَّرْنَا جَوَارِحَنَا فَأَكْلَهُنَّ الْعَيْنُ وَالنَّظَرُ^(٦).
 لَوْ كَانَ لِلْأَلْبَابِ مُمْتَحِنٌ مَا عُدَّ مِنْهَا السَّمْعُ وَالْبَصَرُ.
 أَيُّ الْحَيَاةِ أَلَدُّ عَيْشَتَهَا مِنْ بَعْدِ عَلَمِي أَنَّنِي بَشَرٌ^(٧)!
 خَرَسَتْ- لَعَمْرُ اللَّهِ- أَلْسُنُنَا لَمَّا تَكَلَّمْ فَوْقَنَا الْقَدَرُ.
 تَقْنَى النُّجُومُ الزُّهْرُ طَالِعَةً وَالنَّيِّرَانِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ.
 وَلَكِنَّ تَبَدَّدَتْ فِي مَطَالِعِهَا مَنَظُومَةٌ فَلَسَوْفَ تَنْتَبِرُ.
 أَعْقِيلَةَ الْمَلِكِ الشَّيْعَمَا، هَذَا الشَّيْءُ، وَهَذِهِ الزُّمَرُ^(٨)!

- (١) الحمى: المكان الذي يدافع أهله عنه، الحصن المنيع.
 (٢) صدق الفناء (الموت) إذ أتى على كلِّ إنسان. وكذب العمر: خاب أمل كلِّ إنسان في أن يعيش (إلى الأبد أو طويلاً).
 (٣) حياتنا أقصر من أن تكفي لتحقيق آمالنا.
 (٤) إِنَّا نَرَى مِصَارِعَنَا بِأَعْيُنِنَا: نَرَى غَيْرَنَا يَمُوتُونَ وَنُوقِنُ أَنَّنا سَنَمُوتُ مِثْلَهُمْ. وَلَكِنْ أَلْبَابُنَا (عُقُولُنَا) لَا تَغْتَبِرُ (لَا تَتَعَطَّى).
 (٥) خَطَانَا (فِي تَقْدِيرِ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ) أَنَّنا نَلْتَمِيزُ فِي حَاضِرِنَا بِمَا تَرَاهُ أَعْيُنُنَا ثُمَّ نَفْعَلُ عَمَّا سَيَأْتِي بِهِ الْمُسْتَقْبَلُ، لِأَنَّ الْمُسْتَقْبَلَ مَدْرَكٌ بِالْفِكْرِ وَالْعَقْلِ (وَنَحْنُ لَا نَفَكِّرُ كَثِيرًا).
 (٦) نَحْنُ نَعْتَمِدُ الْحَكْمَ فِي الْأُمُورِ عَلَى عَيُونِنَا (عَلَى النَّظَرِ إِلَى حَاضِرِنَا) مَعَ أَنَّ الْعَيْنَ أَكْلَى (أَضْعَفُ) حَوَاسِ الْإِنْسَانِ.
 (٧) إِذَا أَدْرَكَ كُلُّ وَاحِدٍ مِمَّا أَنَّهُ بَشَرٌ (أَيُّ أَنَّهُ سَيَمُوتُ) لَمْ يَلْتَذَّ بِشَيْءٍ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ.
 (٨) الشَّيْعَمَا فِي مَتَنِ الدِّيْوَانِ (تَبْيِينُ الْمَعَانِي ٣١٥) مَضْبُوتَةٌ بِكَسْرِ الْعَيْنِ، وَالصَّوَابُ (تَمَّا نَرَى فِي شَرْحِ الْبَيْتِ نَفْسَهُ أَيْضًا) فَتَحَهَا، فَيَصْبِحُ نَسَقُ الْكَلَامِ: يَا عَقِيلَةَ الْمَلِكِ الَّتِي يَشِيعُهَا (يَسِيرُ وَرَاءَهَا إِلَى قَبْرِهَا) ثَنَائِي (رِثَائِي)، هَذَا (الْفَخْمُ) وَهَذِهِ الزُّمَرُ (الْجَمَاعَاتُ الْكَثِيرَةُ مِنَ النَّاسِ) ... فَيَكُونُ الْبَيْتُ كُلُّهُ مُنَادِيًا، وَيَكُونُ جَوَابُ النَّدَاءِ فِي الْبَيْتِ التَّالِي.

شَهِدَ الْغَمَامُ، وَإِنْ سَقَاكَ حَيًّا، أَنْ الْغَمَامَ إِلَيْكَ مُقْتَفِرٌ (١).
وَلَقَدْ نَزَلَتْ بَنِيَّةٌ عَلِمْتَ تَغْدُو عَلَيْهَا الشَّمْسُ بَارِغَةً، مَا قَدْ طَوَّهَ فَهِيَ تَقْتَحِرُ (٢)؛
وَبَنُو عَلِيٍّ لَا يُقَالُ لَهُمْ: فَتَحَجُّ نَاسِكَةً وَتَقْتَمِرُ (٣).
صَبْرًا! وَهُمْ أَسَدُ الْوَعْيِ الضَّبْرُ (٤).
أنظر تنمة القصيدة في صفحة ٢٧٦.

- وقال يمدح جعفر بن علي:

فُتِقَتْ لَكُمْ رِيحُ الْجِلَادِ بَغْبَرٌ، وَأَمَدَّكُمْ فَلَقُ الصَّبَاحِ الْمُسْفِرِ (٥)؛
وَجَنَيْتُمْ ثَمَرَ الْوَقَائِعِ يَانِعًا، بِالنَّصْرِ مِنْ وَرَقِ الْحَدِيدِ الْأَخْضَرِ (٦).
أَبْنَى الْعَوَالِي السَّمْعَرِيَّةِ وَالسُّيُو، فِي الْمَشْرِفَةِ وَالْعَدِيدِ الْأَكْثَرِ،
مَنْ مِنْكُمْ الْمَلِكُ الْمُطَاعُ كَأَنَّهُ، تَحْتَ السَّوَابِغِ تُبَعُّ فِي حِمِيرِ (٧)؛
فِي فِتْيَةٍ صَدَأَ الْحَدِيدِ عَبِيرُهُمْ، وَخَلَوْقُهُمْ عَلَقُ النَّجِيعِ الْأَحْمَرِ (٨).

(١) الحيا: المطر.

(٢) البنية: البناء (هنا: القبر). القبر يعلم قدومك فهو يفتخر بأنه حوى جسدك الميت.

(٣) تطلع الشمس كل يوم على قبرك لتحج ناسكة (منعقدة، لأن الحج إلى قبرك فرض) ثم لا تكتفي بالحج الذي هو فرض فتعتمر (تحج، تطوعاً تراعي، تتأمل قبرك مرّات كثيرة في اليوم الواحد).

(٤) - نسل الإمام علي لا يعرفون (بالبناء للمجهول = بضم الياء وفتح الزاي المشددة) عن موتاهم بقول الناس لهم: صبراً! لأنهم في الدرجة الأولى ليسوا بشراً عاديين، بل هم صور مختلفة للعزة الآلهية. وكذلك هم في صورهم البشرية أسود شجعان من عادتهم الصبر في الوعي (الحرب، وفي جميع الشدائد). الضبر (بالضاد المعجمة) جمع ضبور (كما في متن تبيين المعاني ٣١٨): الأسد الشديد (ولعل صبر بالصاد المهملة وبضمّ فضمّ توافقت المعنى أيضاً).

(٥) الجلاذ: الحرب، القتال. ربيع: رائحة. فتقت الريح: أخرجت (بالبناء للمجهول). - أنتم تشمون (بفتح الشين) رائحة القتال طيبة كالعنبر (مع أن رائحة الجثث في ميدان القتال تكون كريهة) = أنتم تحبون القتال. أمدمكم: أعانكم، ساعدكم. فلق الصباح المسفر: انشقاق الفجر واضحاً (الصباح أحسن ساعات اليوم = كان حظكم في القتال عظيماً!).

(٦) الوقائع: المعارك. يانعاً: ناصحاً. الأخضر: الأسود. - في البيت استمارة الشجر للحرب، والورق للسيوف، والثمر للفتح (للنصر، للظفر) = نلتم الظفر في الحروب بمجد السيف.

(٧) تبع: لقب ملوك اليمن. حير (بن سبأ): أبو قبيلة (جانب من سكان اليمن، كبار اليمن). تحت السوابغ (الدروع): في الحرب.

(٨) العبير: الرائحة الطيبة. الخلق (بفتح الخاء): نوع من الطيب. علق: الدم (أو الدم الجامد) أو شديد الحمرة من الدم، عنصر الدم (الكريات الحمراء). النجيع: دم الجوف، الدم المائل إلى السواد.

لا يَأْكُلُ السَّرْحَانُ شِلْوَ طَعِينِهِمْ مِمَّا عَلَيْهِ مِنَ الْقَنَا الْمُتَكَسِّرِ^(١).
 قد جاوروا أَجَمَ الضَّوَارِي حَوْلَهُمْ، فَإِذَا هُمْ زَارُوا بِهَا لَمْ تَزَارْ^(٢).
 قَوْمٌ يَبِيتُ عَلَى الْحَشَايَا غَيْرُهُمْ، وَمَبِيتُهُمْ فَوْقَ الْجِيَادِ الضُّمَرِ^(٣).
 وَتَظَلُّ تَسْبَحُ فِي الدِّمَاءِ قِبَابُهُمْ فَكَأَنَّهُنَّ سَفَائِنٌ فِي أَنْحَرِ^(٤)
 إِنَّا لَتَجَمُّعُنَا وَهَذَا الْحَيَّ مِنْ بَكْرٍ أَذِمَّةٌ سَالِفٍ لَمْ تُخْفَرِ^(٥).
 أَخْلَاقُنَا. فَكَأَنَّنَا مِنْ نِسْبَةٍ؛ وَلِدَاتُنَا فَكَأَنَّنَا مِنْ عُنْصُرِ^(٦).
 لِي مِنْهُمْ سَيْفٌ إِذَا جَرَدْتُهُ يَوْمًا ضَرَبْتُ بِهِ رِقَابَ الْأَعْصُرِ^(٧)!
 - وَقَالَ يَمْدَحُ الْخَلِيفَةُ الْمُعَزَّ لَدِينِ اللَّهِ:

مَا شِئْتَ، لَا مَا شَلَّتِ الْأَقْدَارُ. فَاحْكُمْ، فَأَنْتَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ^(٨).
 وَكَأَنَّا أَنْتَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ، وَكَأَنَّا أَنْصَارُكَ الْأَنْصَارُ^(٩).

- (١) السرحان: الذئب. الشلو: البقطة من الجثة، العضو المسلوخ من الجسم. الطعين: المقتول طعنا (بالرمح). القنا جمع قناة: الرمح.
- (٢) الاجم جمع أجمة: الشجر الكثير الملتف (الكثيف). الضواري جمع ضار: الحيوان المولع بأكل اللحم - ... تخافهم الضواري في بيوتها.
- (٣) الحشية: الفراش. يبيت على الحشية: يقضي الليل نائماً (منعاً غافلاً عن الكفاح أو مهملاً للكفاح). الجياد: الخيل الأصيلة. الضمر جمع ضامر (نحيل البطن). - مبيتهم فوق الجياد: في الحرب.
- (٤) القبة: الخيمة من الأدم (الجلد)، وتكون للملوك. تسبح في الدماء (لكثرة حروبهم).
- (٥) الذمام (بكسر الذال): الحق، الحرمة (ما تجب المحافظة عليه فيكون بذلك حراماً على غير أهله). سالف: (زمن) قديم. لم تخفر: لم تنكث، لم يغير بها.
- (٦) اللدات في الأصل: النساء اللواتي هنَّ في سنِّ واحدة. من عنصر: من أصل (واحد).
- (٧) لي منهم (من بني هاشم الفاطميين) سيف (رجل انتصر به). إذا جرَدته: إذا استجرت به. ضربت به رقاب الأعصر: تغلبت به على جميع الأزمنة (على كلِّ مناوئء أو خصم).
- (٨) في هذا البيت كفر صريح، أو هو شطح (تعبير خارج عن المألوف) قبيح. غير أن الباطنية (والإسماعيلية الفاطميين منهم) يرون أن لهذا البيت تفسيراً باطنياً فلسفياً: إنَّ الله لا يباشر الأمور بنفسه، بل هو يجري أحداث الحياة كلها في خلقه أو على يدي خلقه ثمَّ يشاء منهم (راجع تبيين المعاني، المقدمة ٥٧-٥٨).
- (٩) أنصارك: أعوانك، رجال شيعتك. الأنصار: أهل المدينة الذين نصرُوا محمداً رسول الله بعد أن هاجر من مكة.

أَنْتَ الَّذِي كَانَتْ تُبَشِّرُنَا بِهِ فِي كُتُبِهِ الْأَخْبَارُ وَالْأَخْبَارُ^(١).
هَذَا الَّذِي تُجْدِي شَفَاعَتُهُ غَدًا حَقًّا، وَتَحْمَدُ أَنْ تَرَاهُ النَّارُ^(٢)؛
مِنْ آلِ أَحْمَدَ كُلُّ فَخْرٍ لَمْ يَكُنْ يُسَمَّى إِلَيْهِمْ - لَيْسَ فِيهِ فَخَارُ^(٣).
وَالْحَيْلُ تَمَرُّ فِي الشَّكِيمِ كَأَنَّهَا عِقْبَانُ صَارَةٍ شَاقِقَهَا الْأَوْكَارُ^(٤)؛
وَعَلَى مَظَاهِمَا فِتْنَةٌ شَيْعِيَّةٌ مَا إِنْ لَهَا إِلَّا الْوَلَاءُ شَعَارُ^(٥).
أَبْنَاهُ فَاطِمَ، هَلْ لَنَا فِي حَشْرِنَا لَجَأٌ سِوَاكُمْ عَاصِمٌ وَمُجَارُ^(٦)؟
أَنْتُمْ أَجْبَاءُ الْآلِهِ، وَالْأَلِهَ خُلَفَاؤُهُ فِي أَرْضِهِ الْأَبْرَارُ^(٧).
أَهْلُ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ وَالْهُدَى فِي الْبَيِّنَاتِ وَسَادَةُ أَطْهَارِ،
وَالْوَحْيِ وَالتَّوَلُّوْا وَالتَّخْرِيقِ سَمِّ وَالتَّحْلِيلِ، لَا خُلْفٌ وَلَا إِنْكَارِ.
إِنْ قِيلَ: مَنْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ لَمْ يَكُنْ إِلَّاكُمْ خَلْقٌ إِلَيْهِ يُشَارُ!
لَوْ تَلَمَّسُونَ الصَّخَرَ لَانْبَجَسَتْ بِهِ وَتَفَجَّرَتْ وَتَدَفَّقَتْ أَنْهَارُ^(٨)؛
أَوْ كَانَ مِنْكُمْ لِلرُّفَاتِ مُخَاطِبٌ لَبَّوْا وَظَنُّوا أَنَّه إِنْشَارُ^(٩).

- (١) الأخبار: علماء الدين. الأخبار: الروايات الدينية.
(٢) تجدي: تنفع. غداً (يوم القيامة). وتحمد أن ترا. (إذا رآته) النار (جهنم).
(٣) يسمى إليهم: ينسب إليهم، يتصل بهم.
(٤) تمرح: تلعب (من النشاط). الشكيم: حديقة اللجام التي توضع معترضة في فم الحصان. العقاب (بضم العين): طير من الجوارح، النسر. صارة: اسم جبال في بلاد بني أسد (وفي أماكن أخرى). كأنها عقبان صارة شاققها الأوكار: مسرعة إلى أوكارها (لتطعم أولادها بما جاءت به من اللحم).
(٥) المطا: الظهر. الولاء: الطاعة والوفاء (لعلي بن أبي طالب). شعار: علامة.
(٦) فاطمة ترخيم فاطمة (بنت محمد رسول الله). الحشر: جمع الناس يوم القيامة للحساب. لجأ: التجاء، حامية. عاصم: مانع، حام، مدافع. مجار: اسم مكان من أجار، مكان يحتمي به الإنسان (يوم القيامة من عذاب النار).
(٧) وآله (!) -... أنتم خلفاء الله في الأرض (تحكمون باسمه وبعهد منه).
(٨) انبجس بالصخر أنهار = انبجست من الصخر أنهار: خرجت، نبتت. تفجرت: نبع بكثرة.
(٩) الرفات: الحطام (بضم الحاء المهملة)، الأشياء المتكسرة كأنها مدقوقة (بقايا الأموات). إنشار: إحياء الموتى وبعثهم من القبور - لو خاطب أحد منكم الموقى لأجابوه وقاموا من قبورهم وظنوا (أيقنوا)، وقد جاءت «ظن» بمعنى أيقن في القاموس وفي القرآن الكريم).

أُمُوزَ دِينِ اللَّهِ، إِنَّ زَمَانَنَا
شَرَفَتْ بِكَ الْآفَاقُ، وَانْقَسَمَتْ بِكَ الـ
جَلَّتْ صِفَاتُكَ أَنْ تُحَدَّ بِمَقُولِ!
- وَقَالَ يَمْدَحُ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ الْأَنْدَلُسِيُّ:

فَتَكَاتُ طَرْفِكَ أَمْ سَيْوْفِ أَبِيكَ،
أَجِلَادُ مُرْهَفَةٍ وَفَتْكَ مَحَاجِرِ؟
يَا بِنْتَ ذَا السَّيْفِ الطَّوِيلِ نَجَادُهُ،
قَدْ كَانَ يَدْعُونِي خِيَالُكَ طَارِقًا
عَيْنَاكَ أَمْ مَفْنَاكَ مَوْعِدُنَا؟ وَفِي
مَنْعُوكَ مِنْ سِنَةِ الْكَرَى وَسَرَوَا، فُلُو
وَدَعُوكَ نَشْوَى، مَا سَقُوكَ مُدَامَةً؛
وَكُؤُوسُ خَمْرِ أَمْ مَرَاشِفُ فَيْكِ^(٢)!
مَا أَنْتِ رَاحَةٌ وَلَا أَهْلُوكِ^(٣).
أَكْذَا يَجُوزُ الْحُكْمُ فِي نَادِيكَ^(٤)؟
حَتَّى دَعَانِي بِالْقَنَا دَاعِيكَ^(٥)
وَادِي الْكَرَى نَلْقَاكَ أَوْ وَادِيكَ^(٦)؟
عَثَرُوا بِطَيْفِ طَارِقِ ظَنُوكَ^(٧).
فَإِذَا تَنَنَى عِطْفُكَ أَتَهْمُوكَ^(٨).

- (١) بأو: عز، افتخار. جل: كبر، عظم، تعالى عما سواه.
- (٢) أهذا الذي يقتل الناس (ما تفعل بهم عيونك في الحب) أم (ما تفعله في المعارك) سيف أبيك (قومك). وهل هؤلاء الناس السكارى في الحياة. من الخمر التي يشربونها أم من القبلات التي يجنونها من فمك (من حبك)؟
- (٣) إن قتل الناس بالسيف مرة والفتك بهم بلعاطك (بعيونك) مرة أخرى فوق ما يحتمل الناس. لا أنت ترحمين الناس ولا قومك يرحمونهم!
- (٤) يا بنت ذا (هذا) السيف الطويل نجاده (يا بنت هذا الرجل الطويل القامة، وهذا الرجل الشجاع). النادي المجلس (كناية عن رؤساء القوم). - أهكذا حكمكم أبداً في الناس: بالظلم (بقلة المبالاة بالهين)؟
- (٥) قد كنت أراك في المنام (فأحببتك) ثم رأيتك عياناً. القنا جمع قناة: الرمح (كناية عن أنه رأى التي يتغزل بها وكانت ذات قامة طويلة كالرمح، فازداد حباً لها).
- (٦) هل سيبقى حظي منك النظر من بعيد (عينك) أم سنلتقي (في مفاك: في مسكنك). وهل سيبقى وصلي لك في وادي الكرى (في المنام) أو سيكون في واديك (في بلدك، في القنطة).
- (٧) السنة (بكسر السين: النعاس). الكرى النوم - حرّموا عليك النوم وسروا (ساروا بك ليلاً- لثلاً تستطعمين الاغفاء- وحتى لا يستطيع طيفك، أي خيالك أن يزور أحد في النوم) فلو اتفق أن شاهدوا طيفاً لظنّوا أنه طيفك بعثت به إلى أحد الهين فتمنوا وصوله إليهم.
- (٨) إنك في غفوان شبابك ودلالك ولذلك تتأوذين- تمايلين- فكانوا يقولون عنك إنك نشوى (كرانة) مع أنهم ما سقوك خمرأ قط (ولا غفلوا عن مراقبتك حتى يمكن أن تصل إليك خمر فتشربها)، ومع ذلك كلّما تننّى (اهتزّ، تمايل) عطفك ظنوك (اتهموك) قد شربت خمرأ.

حَسِبُوا التَّكْحَلَ فِي جُفُونِكَ حِلْيَةً. بِالله، مَا بِأَكْفَهُمْ كَحَلُوكَ^(١).
وَجَلُوكَ لِي إِذْ نَحْنُ غَضْنَا بَانَةً، حَتَّى إِذَا اخْتَفَلَ الْهَوَى حَجَبُوكَ^(٢).
وَلَوَى مُقَبِّلِكَ اللَّثَامُ، وَمَا دَرَوْا أَنْ قَدْ لُثِمْتَ بِهِ وَقَبَّلَ فُوكَ^(٣).
فَضَعِي اللَّثَامَ، فَقَبَّلَ خَدَّكَ ضُرَّجَتْ رَايَاتُ يَحْيَى بِالدَّمِ الْمَسْفُوكِ^(٤).
يَا خَيْلَهُ، لَا تَسْخَطِي عَزَمَاتِهِ؛ وَإِذَا سَخِطْتَ فَقَلِّمِي رُضْيِكَ^(٥).
عُوجِي بِجِنَحِ اللَّيْلِ، فَالْمَلِكُ الَّذِي يَهْدِي النُّجُومَ إِلَى الْعُلَا هَادِيكَ^(٦).
يَدُكَ الْحَمِيدَةُ قَبْلَ جُودِكَ، إِنَّهَا يَدُ مَالِكٍ تَقْضِي عَلَى مَمْلُوكِ^(٧).

- (١) التَّكْحَلُ فِي الْقَامُوسِ اكْتِسَاءُ الْأَرْضِ بِالنَّبَاتِ. - حَسِبُوا (ظَنُّوا) التَّكْحَلَ (سِمَةً مِنْبَتِ الْأَشْفَارِ فِي أَجْفَانِ الْعَيْنِ) حِلْيَةً (زِينَةً، تَطْرِيْقٌ: تَلْوِينًا صِنَاعِيًّا). أَقْسَمَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَيَسُوا هُمُ الَّذِينَ جَعَلُوا كَحَلًا فِي جُفُونِكَ، وَلَكِنْ اللَّهُ خَلَقَكَ كَذَلِكَ.
- (٢) وَجَلُوكَ لِي (أَبْرَزُوكَ لِي فِي أَحْسَنِ زِينَتِكَ) وَنَحْنُ غَضْنَا بَانَةً (نَاعَمِينَ كَأَغْصَانِ شَجَرِ الْبَابِ - أَيْ وَنَحْنُ صَفِيرَانِ فِي السَّنِ لَا نَدْرِي مَا مَعْنَى الْهَوَى)، حَتَّى إِذَا اخْتَفَلَ، أَيْ امْتَلَأَ (قَلْبَانَا) بِالْهَوَى حَجَبُوكَ (حَالُوا بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَمَنْعُونَا مِنَ الْاجْتِمَاعِ).
- (٣) الْمُقَبِّلُ: الْفَمُ. اللَّثَامُ: غَطَاءٌ يُوضَعُ عَلَى الْوَجْهِ وَيُرَادُّ مِنْهُ سِتْرُ الْفَمِ. لَوَى مُقَبِّلِكَ اللَّثَامُ: التَّوَى اللَّثَامَ عَلَى مُقَبِّلِكَ، كَثُرَ وَقُوعُ اللَّثَامِ عَلَى فَمِكَ (كَأَنَّ اللَّثَامَ يَقْبَلُ فَمَكَ)؛ رَاجِعٌ فِي الْقَامُوسِ (٤: ٣٨٧): «لَاوَتِ الْحَيَّةُ (فَاعِلٌ) الْحَيَّةَ (مَفْعُولٌ بِهِ) = انْطَوَتْ (التَّثَمَّتْ) عَلَيْهَا».
- (٤) ضَمِي اللَّثَامُ: أَرْفَعِي اللَّثَامَ عَنْ فَمِكَ (عَنْ وَجْهِكَ) وَلَا تَطْنِي أُنْكَ تَسْتَرِينَ بِهَا جَمَالَكَ النَّادِرَ (احْمَرَارِ خَدَّيْكَ) فَإِنَّ هَذِهِ الْحَمْرَةَ الَّتِي جَعَلْتَ خَدَّكَ جَمِيلًا قَدْ كَانَتْ مَوْجُودَةً مِنْ قَبْلِكَ عَلَى رَايَاتٍ يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ (مِنْ خَوْضِ الْمَعَارِكِ وَكَثْرَةِ الْقِتَالِ فِيهَا وَالْإِنتِصَارِ عَلَى الْأَعْدَاءِ) - وَفِي هَذَا الْبَيْتِ تَحْلُصُ مِنَ الْغَزْلِ إِلَى الْمَدِيحِ بَارِعٌ جَدًّا.
- (٥) - يَا أُتَيْتُهَا الْخَيْلُ الَّتِي يَخُوضُ بِهَا يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ الْمَعَارِكَ الْكَثِيرَةَ فِي الْبِلَادِ الْبَعِيدَةِ، لَا تَقْضِي مِنْ ذَلِكَ، فَإِنَّكَ إِذَا غَضِبْتَ فَلَنْ يَرْضِيكَ (لَنْ يَتْرَكَ عَادَتَهُ فِي خَوْضِ الْمَعَارِكِ).
- (٦) عَاجٌ: مَالٌ إِلَى، عَطْفٌ، اتَّجَهَ إِلَى جَانِبِ مَا. الْجَنَحُ (بِكَسْرِ الْجِيمِ، وَبِجُوزِ ضَمِّهَا): الطَّائِفَةُ (الْمَدَّةُ) مِنَ اللَّيْلِ. - أُتَيْتُهَا الْخَيْلُ (رَاجِعٌ تَفْسِيرَ الْبَيْتِ السَّابِقِ)، لَا تَصْرِي - إِنْ لَمْ يَكُنْ بَدٌّ مِنَ الذَّهَابِ إِلَى الْمَعَارِكِ - عَلَى أَنْ تَذْهَبِي فَقَطْ فِي النَّهَارِ؛ بَلْ لَا تَحْشِي (بِقِتْحِ الشَّيْنِ) أَيْضًا أَنْ تَذْهَبِي فِي اللَّيْلِ لِأَنَّ الْمَلِكَ (يَحْيَى بْنَ عَلِيٍّ) هُوَ الَّذِي يَدُلُّ النُّجُومَ فِي اللَّيْلِ عَلَى مَوَاقِعِهَا فِي السَّمَاءِ، فَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَيْضًا أَنْ يَدُلَّكَ فِي اللَّيْلِ عَلَى طَرِيقِكَ إِلَى الْمَعَارِكِ.
- (٧) - قَبْلَ أَنْ تَعُودَ يَدُكَ الْجُودِ (عَلَى النَّاسِ بِالْمَالِ) كَانَتْ حَمِيدَةً (نَهَبَ النَّاسُ الْحَيَاةَ وَالْخَيْرَ.....)، وَلَا غَرُّ فَإِنَّهَا لَيْسَتْ فَقَطْ يَدَ إِنْسَانٍ عَادِيٍّ تَمْلِكُ مَا لَا تَفْتَكِرُ بِهِ عَلَى الْهَاجِجِينَ، بَلْ هِيَ يَدٌ مِنْ يَمْلِكَ النَّاسَ وَيَقْضِي عَلَى النَّاسِ الَّذِينَ هُمْ مَمْلُوكُهُ (بِضَمِّ الْمِيمِ) فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ.

وأرى الملوكة - إذا رأيتك - سَوْقَةً، وأرى عُفَاتَكَ سَوْقَةً كَمْلُوكٍ (١)
 وَقَعَاتُ نَصْرِكَ فِي الْأَعَادِي حَدَثَتْ عَنْ يَوْمٍ بَدَرٍ قَبْلَهَا وَتَبُوكٍ (٢).
 هَلْ أَنْتَ تَارِكُ نَصْلَ سَيْفِكَ حِقْبَةً فِي غَمْدِهِ أَمْ لَيْسَ بِالْمَتْرُوكِ (٣)!

الآبيات التالية تنتم القصيد ص ٢٧١.

وَلَخَيْرُ عَيْشٍ أَنْسَتَ لَابِسُهُ عَيْشٌ جَنَى فَمَرَاتِهِ الْكِبَرُ (٤).
 وَحُدُودُ تَغْيِيرِ الْمُعَمَّرِ أَنْ يَسْمُو صُغُوداً ثُمَّ يَنْحَسِرَ (٥).
 وَالسِّيفُ يَبْلَى وَهُوَ صَاعِقَةٌ، وَتَنَالُ مِنْهُ الْهَامُ وَالْقَصْرُ (٦).
 وَالْمِرَّةُ كَالظِّلِّ الْمَدِيدِ ضَحَى، وَالْفَيْءُ يَخْسِرُهُ فَيَنْحَسِرُ (٧).
 أَبْقَتُ حَدِيثاً مِنْ مَآثِرِهَا يَبْقَى، وَتَنْفَدُ قَبْلَهُ الصُّورُ (٨).
 قَسَمْتُ عَلَى ابْنَيْهَا مَكَارِمَهَا، إِنَّ الثَّرَاثَ الْجَدُّ لَا الْبَدْرُ (٩).

(١) إذا قارنت الملوك بك كنت أنت وحدك ملكاً، وأصبح الذين يسمون (بفتح الميم) الآن ملوكاً سوقة (من عامة الناس). أما عُفَاتِكَ (الذين يأتون إليك فيطلبون عطاءك) والذين هم سوقة (يرجعون بعد أن تعطيتهم الأموال) وكأنهم ملوك (لغناهم ووجاهتهم).
 (٢) إن معاركك التي انتصرت بها على الأعداء تشبه معركة بدر (٢ هـ = ٦٣٤ م) وتبوك (سنة ٩ هـ)، وكما أن محمداً رسول الله قد ثبت الإسلام - ماركه، فإنك أنت قد ثبت الدعوة الفاطمية (الاسماعيلية) بمعاركك!

(٣) - أراغب أنت في أن تترك سيفك في غمده (تهادن الناس مدة ما) أم تريد أن تظل معاركك متصلة؟

(٤) أفضل أعمار البشر ما كان في آخره أحسن مما كان في أوله.
 (٥) المعمر: الذي يعيش عمراً طويلاً.
 (٦) والسيف يبلى (يدركه البلى - بكسر الباء - : الفناء) وهو صاعقة: موت (القاموس ٣: ٣٥٤). وتنال منه (تفرضه، تشققه) الهام (الرؤوس) والقصر (الرقاب) - السيف يسبب الموت للناس ثم هو أيضاً يموت. ومع أن السيف حديد والرؤوس والرقاب من عظم ولحم، فإن كثرة قطع السيف للرؤوس والرقاب تؤثر فيه.

(٧) الظل يكون في أول النهار. والفَيْء يكون في آخر النهار - حسره: أزاله (كما أن ظل الأشياء يقصر جداً إذا تكبدت الشمس السماء، فكذلك عمر الإنسان يقصر إذا مرَّ عليه الزمن).

(٨) المآثر: المحامد، الصفات الحميدة. تنفذ قبله الصور = يرى أهل العقيدة الفاطمية أن صور الوجود لا تنفذ (لا تنتهي) لأنها تحيات للعرزة الإلهية)، ومع ذلك فإن هذه الصور تنفذ ومآثر هذه الميته لا تنفذ (لأن هذه الميته تمثل تجلياً حقيقياً لله عندهم).

(٩) الإرث الحقيقي هو المجد وليس البدر (جمع بدرة: عشرة آلاف درهم).

وَإِذَا صَحِبْتَ الْعِيشَ أَوَّلَهُ صَفَوْ، فَهِنَّ يَفْدُهُ كَسْرًا (١).
وَإِذَا انْتَهَيْتَ إِلَى مَدَى أَمَلٍ دَرْكَاً فَيَوْمٌ وَاحِدٌ عُمْرٌ (٢)!

- ٤- ديوان ابن هاني، بولاق ١٢٧٤ هـ، القاهرة ١٢٧٦ هـ، بيروت (١٨٨٤ م) (١٣٠٢ هـ)،
١٨٨٦ م، ١٣٢٦ هـ.
- تبين المعاني في شرح ديوان ابن هاني (صححه وهذبه زاهد علي)، حيدر آباد ١٣٢٦ هـ،
١٣٥٢ هـ = ١٩٣٣ م، مصر ١٣٣٢ هـ، مصر (دار المعارف) ١٩٥٢ م.
- ابن هاني الأندلسي، تأليف عارف تامر، بيروت ١٩٦١ م.
- ابن هاني الأندلسي: درس ونقد، تأليف منير ناجي، بيروت (دار النشر للجامعيين)
١٩٦٢ م.
* * مطمح الأنفس ٧٤-٧٩، المغرب ٢: ٩٧-٩٩، المطرب ١٩٢-١٩٥ (الخرطوم) ١٧٥-
١٧٨، معجم الأدباء ١٩: ٩٢-١٠٥، خريدة القصر (مصر) ١: ٢٤٨-٢٨٢، الوافي
بالوفيات ١: ٣٥٢-٣٥٥، وفيات الأعيان ٤: ٤٢١-٤٢٤، الإحاطة ٢: ٢١٢-٢١٥،
نفع الطبيب ٣: ٤٤٣-٤٤٤، ٤: ٤٠-٤٦، ٨٧، شذرات الذهب ٣: ٤١-٤٤،
أعيان الشيعة ٧: ١١٢-١٣١، نيكل ٢٨، مختارات نيكل ١٥-١٦، دائرة المعارف
الإسلامية ٣: ٧٨٥ وما بعده، بروكلمن ١: ٩١، الملحق ١: ١٤٦-١٤٧، الأعلام للزركلي
٣٥٤: ٧ (١٣٠)، بالنشأ ١٦، ٦٣-٦٤.

أبو حنيفة النعمان المغربي

١- هو النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي الداعي الإسماعيلي
المغربي، لُقّبَ أبا حنيفة كي يُضاهي الفاطميون به أبا حنيفة النعمان بن ثابت فقيه
الدولة العباسية.

وُلِدَ أبو حنيفة النعمان المغربي بُعِيدَ سَنَةً ٢٨٠ (٨٩٣ م)، فيما يبدو، ونشأ على
المذهب المالكي. ولا نعلم متى انتقل إلى مذهب الإمامية الاثني عشرية. وفي نحو سَنَةٍ
٣١٢ (٩٢٤ م) اتّصل أبو حنيفة النعمان المغربي بالإمام المهدي (٢٩٧-٣٢٢ هـ)

- (١) إذا عاش الإنسان مدّة طويلة في سعادة ونعيم هان عليه في آخر حياته شيء من الكدر (الموت).
(٢) وإذا أدركت كلّ آمالك في الحياة بسرعة فيكفي أن تعيش ذلك اليوم الواحد فقط!

أول الأئمة الفاطميين في القيروان. ثم استمرّ في خدمة القائم بن المهدي (٣٢٢-٣٣٤ هـ) والمنصور بن القائم (٣٣٤-٣٤١ هـ) والمُعزّ بن المنصور.

وفي سنة ٣٣٣ (٩٤٤-٩٤٥ م) اعتنق المذهب الفاطمي (الإسماعيلي) وعكف على دراسة التاريخ والفلسفة والفقه ثم أخذ يضع الكتب في نُصرة المذهب الإسماعيلي. وفي سنة ٣٣٥ ولّاه الإمام القائم قضاء طرابلس الغرب ثم جعله قاضي المغرب. وقد بدأت مكانة أبي حنيفة المغربي ترتفع في أيام المنصور الفاطمي ثم بلغت أوجها في أيام المعزّ.

ولما انتقل المعزّ لدين الله الفاطمي إلى القاهرة، في رمضان من سنة ٣٦٢ صحبه أبو حنيفة النعمان إليها وتقلّد فيها القضاء. غير أنّه لم يعيش بعد ذلك طويلاً فقد توفّي في الفسطاط، في مُسنهل رجب ٣٦٣ (٢٨ / ٣ / ٩٧٤ م).

كان أبو حنيفة النعمان المغربي من أهل العلم بالقرآن وبالفقه، وهو مؤسس الفقه الإسماعيلي. وبما أنّه كان يستشير الأئمة الفاطميين، والمُعزّ منهم خاصة، في كلّ ما يعرض له عند التأليف، فقد عدّ كتابه دعائم الإسلام خاصة مُصدراً للفقه الإسماعيلي.

ولأبي حنيفة من الكتب: كتاب الدعوة للعبّديين- افتتاح الدعوة وابتداء الدولة- المجالس المستنصرية والمواقف والتوقيعات (ألفه للمعزّ)- اختلاف أصول المذهب- أساس التأويل الباطن- تأويل الشريعة- تأويل الدعائم- الينبوع- الاختصار- المستطاب- الأخبار في الفقه- شرح الأخبار- مختصر الأخبار في ما روي عن الأئمة الأطهار- الهمة في آداب أتباع الأئمة.

- دعائم الإسلام (أصف عليّ أصغر فيضي)، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥١-١٩٦٠ م.
- الهمة في آداب أتباع الأئمة (محمد كامل حسين)، القاهرة (دار الفكر العربي) بعيد ١٩٥٠ م.

- أساس التأويل (عارف تامر)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٠ م.
- كتاب الاختصار: في الفقه (محمد وحيد ميرزا)، دمشق (المعهد الفرنسي للدراسات العربية) ١٩٥٧ م.

★★ - منتخات إسماعيلية (تحقيق الدكتور عادل العوّا)، دمشق (مطبعة الجامعة السورية) ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م.

★★ وفیات الأعیان ٥: ٥١٥ - ٥٢٥؛ الذریعة ٣: ٢٥١؛ بروکلمن ١: ٢٠١، الملحق ١: ٣٢٤ - ٣٢٥؛ أعلام ليبيا ٣٥٦؛ الأعلام للزركلي ٩: ٨ (٤١: ٧).

علي بن محمد الأياديّ

١- هو عليُّ بنُ محمدِ الإياديّ، نشأ في مدينة تونسَ والتحقَ بخدمةِ الدولة العبيدية (الفاطمية) في القيروان والمهديّة في أيام القائم بأمرِ الله (٣٢٢ - ٣٣٤ هـ) وأيام إسماعيلَ المنصور (٣٣٤ - ٣٤١ هـ)، وكان مُعظَّمًا لَدَى الملوكِ وعند الخاصّةِ والعامةِ. وعُمِّرَ عليُّ بنُ الإياديّ طويلاً وكانت وفاته سنة ٣٦٥ (٩٧٦ م).

٢- كان عليُّ بنُ الإياديّ شاعراً سهلاً الكلامِ عذبَ القولِ رائقَ النظمِ متينَ السبكِ يُخسِنُ الوصفَ والفزلَ والمدحَ، وقد سارَ شعرُهُ في أيامِهِ على الألسنةِ.

٣- مختارات من شعره

- قال عليُّ بنُ الإياديّ يَصِفُ رَوْضَةً في يومٍ دَجَنٍ (يومٍ غائمٍ مُمطرٍ):
نَمَّ بِالرَّوْضِ خَفَقَ الرِّيحُ، واقتَدَحَ الشَّرْقَ زِنَادُ الصَّبَاحِ^(١).
وأخْجَلَ الْوَرْدُ شُعَاعَ الضُّحَى وَابْتَسَمَتْ فِيهِ ثُغُورُ الْأَقَاخِ.
وَقَامَ فِي الدَّوْحِ لِنَعْيِ الدُّجَى حَامِئٌ تُطْرِبُنَا بِالصِّيَاخِ^(٢).
مُذْ وَلِدَ الصُّبْحُ وَمَاتَ الدُّجَى صَاخِتٌ، فَلَمْ نَذِرْ غِنَاءً أَوْ نُوَاخِ.
وَيَوْمَ دَجَنٍ حُجِبَتْ شَمْسُهُ وَأَشْرَقَتْ فِي لَيْلِهِ شَمْسُ رَاخِ^(٣)،

(١) تمّ...: الريح دلت على مكان الروض (لأنها حملت منه رائحة الأزهار). واقتدح...: الزناد: حديد

تقدح بها النار من الحجر الصوان. طلوع الصبح أضاء الجهة الشرقية.

(٢) الدوح جمع دوحة: الشجرة العظيمة. نعي الدجى: نشر الخير بموت (انتهاء) الليل.

(٣) يوم دجن: يوم فيه غيم (لا تظهر فيه الشمس). الراخ: الخمر.

فما ظَنَّنَا الصُّبْحَ إِلَّا دُجَى، ولا حَسَبْنَا اللَّيْلَ إِلَّا صَبَاحٌ^(١).

- وقال يصف فرساً للأمير جعفر بن الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله:

وَأَقْبَّ مِنْ لَحْقِ الْجِيَادِ كَأَنَّهُ قَصْرٌ تَبَاعَدَ رُكْنُهُ عَنْ رُكْنِهِ^(٢).

وَكَأَنَّمَا أَنْفَجَرَ الصَّبَاحُ بَوَاجِهُهُ حُسْنًا، أَوْ أَحْتَبَسَ الظَّلَامُ بَمَتْنِهِ^(٣).

حَلُّو الصَّهِيلِ يُخَالُ فِي لَهَوَاتِهِ حَادٍ يَصُوغُ بَدَائِعًا مِنْ لَعْنِهِ^(٤).

قَدْ رَاحَ يَخْمِلُ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَمْلَ النِّسَمِ لِوَابِلٍ مِنْ مُرْنِهِ.

قَيْدُ الْعُيُونِ إِذَا بَصُرْنَ بِشَخْصِهِ، وَرِضَا الْقُلُوبِ إِذَا أَصْطَلَّيْنَ بِضَغْنِهِ^(٥).

يَسْتَوْقِفُ اللَّحْظَاتِ فِي خُطَوَاتِهِ بِكَمَالٍ خَلَقْتَهُ وَدِقَّةَ حُسْنِهِ.

مُتَجَبِّرٌ، يُنْبِي بَعْتِيقَ نِجَارِهِ إِشْرَافُ كَاهِلِهِ وَدِقَّةَ أُذُنِهِ^(٦).

وَكَأَنَّهُ فُلُّكَ، إِذَا حَرَّكَتَهُ

جَارٍ عَلَى سَهْلِ الْبِلَادِ وَحَزَنِهِ^(٧).

- وقال يَصِفُ أُسْطُولَ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ الْفَاطِمِيِّ (فِي عُرْضِ الْبَحْرِ فِي الْمَهْدِيَةِ

(١) الصبح كان من نتيجة احتجاب الشمس كأنه دجى (ليل): أما الليل المظلم فبدا من نور الخمر كأنه نهار.

(٢) أقب: عالي الصدر. لحق (ليست في القاموس بمعنى يوافق هذا البيت). الجياد: الخيل. لحق الجياد (بضم اللام والحاء) جمع لاحق (؟): سابق أو لحق الجياد (بفتح ففتح- مصدر- بمعنى ضموه بطن الفرس (وذلك محمود في الخيل). كأنه قصر (عظيم الجسم). تباعد ركنه من ركنه (لعل التباعد بين كتفي الفرس من محامده).

(٣) يحمّد في الفرس أن يكون له غرّة (سبحة كبيرة) بيضاء في مقدّمة رأسه وأن يكون جسمه أسود خالصاً (لا لون آخر فيه). المتن: الظهر.

(٤) الصهيل: صوت الخيل. اللهوات جمع لهاة (بفتح اللام): قطعة لحم تتدلّى من أعلى مقدّم الخنجر. الحادي: سائق الإبل (يغني للإبل فتستمر في سيرها).

(٥) جسمه جميل حتّى أن العيون تظنّ تنظر إليه كأنها مقيدة (مربوطة) به. الضغن: الحقد، والشوق إلى الوطن، وللضغن صلة بجري الخيل (إذا ركض هذا الحصان أرضى القلوب لأنّه سريع جداً).

(٦) يني بعتيق (بكسر العين وفتحها) نجاره (كرم أصله) إشراف (علو) كاهله (كتفه) ودقة (صغر) أذنيه.

(٧) الفلك: السفينة الكبيرة. إذا حركته: إذا دفعته للجري. جار (يستهل السير). الحزن (بفتح الحاء): الأرض الصلبة.

مخوضُ معركة)، ويبدو أن الأبيات الخامس وما يليه تحتاج إلى إعادة ترتيب:

واغْجَبَ لَأَسْطُولِ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ وَلِحُسْنِهِ وَزَمَانِهِ الْمُسْتَفْرَبِ.
لَيْسَتْ بِهِ الْأَمْوَاجُ أَحْسَنَ مِنْظَرٍ يَبْدُو لَمَعَيْنِ النَّاطِرِ الْمُتَعَجِّبِ.
مِنْ كُلِّ مُشْرِفَةٍ عَلَى مَا قَابَلَتْ إِشْرَافَ صَدْرِ الْأَجْدَلِ الْمُتَنَصِّبِ^(١).
دَهَاءٌ قَدْ لَيْسَتْ ثِيَابَ تَصْنَعُ تَسِي الْعُقُولَ عَلَى ثِيَابِ تَرَهَّبِ^(٢)؛
مِنْ كُلِّ أَيْبُضَ فِي الْهَوَاءِ مُنْشَرٍ مِنْهَا وَأَسْوَدَ فِي الْخَلِيجِ مُغَيَّبِ^(٣).
سَجَرُوا جَوَاحِمَ نَارِهَا فَتَقَاذِفُوا مِنْهَا بِاللُّسُ مَارِجَ مُتَلَهَّبِ^(٤).
وَتَحْنُثُهَا أَيْدِي الرِّجَالِ إِذَا وَنَتْ بِمُصْعَدٍ مِنْهَا بُعِيدَ مُصَوَّبِ^(٥).
جَوْفُهُ تَحْمِلُ كَوْكَباً فِي جَوْفِهَا يَوْمَ الرِّهَانِ وَتَسْتَقِلُّ بِرَكَبِ^(٦).
يَعْلُو بِهَا حَدَبُ الْعُبَابِ مَطَارَةٌ فِي كُلِّ لُجٍّ زَاخِرٍ مُقْلَوْلِبِ^(٧).
مِنْ كُلِّ مَسْجُورٍ الْحَرِيقِ إِذَا انْبَرَى مِنْ مِجْنَةٍ أَنْصَلَتْ أَنْصَلَاتِ الْكَوْكَبِ^(٨).
عُرْيَانٌ يَقْذِفُ بِالْدُخَانِ كَأَنَّهُ صُبْحٌ يَكُرُّ عَلَى الظَّلَامِ الْغَيْبِ^(٩).

- (١) الأجدل: الصقر.
- (٢) دهاء: سوداء اللون. ليست ثياب تصنع: لها أنواع من الشراع (لأغراض مختلفة من السير مع الريح). ثياب ترهب: ثياب سود (لأنَّ الجزء الذي يغوص من السفينة في الماء يطل بالزفت لمنع تسرب الماء بين شقوق الخشب).
- (٣) أبيض في الهواء منشَر: الشراع. أسود في الخليج مغَيَّب: نصف السفينة الأسفل المطمئ بالقار.
- (٤) سجر: أوقد (النار). جاحم: الجمر الشديد الاشتعال. المارج: الشعلة من اللهب. تقاذفوا: قذف بعضهم (بالنار) بعضاً - يصف الشاعر هنا القتال بالنار اليونانية.
- (٥) إذا هدأت الريح فأبطأ سير السفينة حتَّى الرجال (باستخدام المجاذيف). المصعد: الصاعد. بعيد: بعد. مصوب: هابط (يبدو أنَّه قد كان للسفينة طبقتان من المجاذيف). ونت: تعبت.
- (٦) في نفح الطيب (٤: ٥٨): ... موكبا ... بموكب. (بهذا يصبح المعنى أوضح): كل سفينة تحمل في جوفها عدداً كبيراً من الجنود، والسفن في الأسطول كثيرة العدد.
- (٧) في نفح الطيب: ... مطارة ... مقلولب (ومقلولب بالعين المهملة ليست في القاموس ولا في التاج). - ترتفع السفينة بذلك (بالمجاهيف) فوق حدب العباب (انحناء الماء العظيم: الموج). مطارة.. في كل لج (المكان الواسع من البحر) زاخِر (هائج، مضطرب) مقلولب (بالعين المنقوطة) الكثير.
- (٨) من كل مسجور الحريق (كرة من نار: من النار اليونانية: مزيج من النفط والزفت الخ) إذا انبرى (ظهر، عرض) من سجنه (من المكان الذي يعمد فيه) انصلت (أسرع، سبق). الكوكب: (هنا): الشهاب.
- (٩) عريان (كتلة خالصة من النار) يقذف بالدخان (يتفصل منه الدخان). كأنه صبح يهجم على ليل مظلم. في نفح الطيب: عريان يقدمه ... ظلام غيب. (وهو أصح).

شَرَجُوا جَوَانِبَهُ مَجَازِفَ أَتَمَّتْ شَاوَ الرِّيحَ لَهَا وَلَمَّا تَتَعَبَ (١).
 وَالْبَحْرُ يَجْمَعُ بَيْنَهَا فَكَأَنَّهُ لَيْلٌ يُقَرَّبُ عَقْرَباً مِنْ عَقْرَبٍ (٢).
 تَنْصَاعُ مِنْ كُتْبٍ كَمَا نَفَرَ الْقَطَا طَوَّراً، وَتَجْتَمِعُ أَجْتِمَاعَ الرِّبْرِبِ (٣).
 وَعَلَى مَرَائِكِبِهَا أُسُودُ خِلَافَةٍ تَحْتَالُ فِي عُدَدِ السِّلَاحِ الْمُرْهَبِ (٤).
 ٤- ★ ★ نفع الطيب ٤: ٥٧-٥٨؛ مجمل تاريخ الأدب الأندلسي ٩٦-١٠١.

ابن فرج الجياني

١- هو أبو عمر أحمد بن محمد بن فرج من أهل جيان ولكنه سكن قرطبة وأصبح من شعراء الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦ هـ) فقرّبه المستنصر. وللمستنصر ألف ابن فرج كتاب الحقائق. ثم نُقل للمستنصر أن ابن فرج هجاه فأمر المستنصر به فالتقى في السجن. وكانت وفاته في السجن في صفر من سنة ٣٦٦ (أيلول- سبتمبر ٩٧٦ م) بعد وفاة المستنصر بأيام (راجع الحلة السراء ١: ٢٥٠).

٢- ابن فرج الجياني معدود في الأدب والعلماء، ولم يكن في القرن الرابع أحد أكثر منه اعتناءً بالتأليف في شعراء الأندلس يريد إظهار فضلهم على شعراء المشرق. ولا ين فرج كتاب «الحدائق» عارض فيه كتاب الزهرة لابن داود الإصبهاني (٥)، إلا أن ابن داود ذكر مائة باب في كل باب مائة بيت. وأبو عمر (ابن فرج الجياني) ذكر مائتي باب في كل باب مائتا بيت. وليس فيها باب يكرر أبو الفرج اسمه تقليداً لأبي بكر. ولم يُورد (ابن فرج) فيه لغز الأندلسيين شيئاً (معجم الأدباء ٤: ٢٣٧). وكتاب الحدائق مفقود. وقد عرّفه ابن الأبار القضاعي (ت ٦٥٨ هـ) ونقل

(١) في نفع الطيب: شرعوا جوانبه... شادي الرياح... مدّوا من جوانب السفن مجاذيف على نسق واحد. هذه المجاذيف تدفع السفينة قدماً إلى الإمام في وجه الرياح التي تثير الموج الذي يحاول عرقلة سير السفن.

(٢) أصبح البحر كله كأنه ليل (لكثرة السفن المظلمة بالقطران)....

(٣) وهي حيناً تنفث بسرعة (مثل طيور القطا) فتتفرق (كما تقتضي إدارة المعركة) ثم تعود فتتجمع مثل الربرب (القطيع من الظباء).

(٤) في نفع الطيب: السلاح المذهب (المحلّى بالذهب). المرهب: الخيف.

(٥) أبو بكر محمد بن داود (٢٥٥-٢٩٧ هـ) كان فقيهاً وأديباً وشاعراً.

منه أشياء في « الحلة السيرة ». والمُقَرِّي (ت ١٠٤١ هـ) لم يَعْرِفِ الكتابَ بل ذَكَرَهُ
أَعْتَاداً عَلَى الَّذِينَ عَرَفُوهُ مِنْ قَبْلُ. ولابن فرجِ أيضاً كتابُ « المنتزين والقائمين
بالأندلس وأخبارهم »^(١).

ثم هو شاعرٌ مُكثِّرٌ مشهورٌ وافرُ الأدبِ، وشِعْرُهُ رقيقٌ عَذْبٌ عَفِيفٌ وفيه حكمة.

٣- مختارات من آثاره

- قال ابن فرج الجياني في النسب:

وما زالَ الهوى سَكناً لقلبي أفرُّ إليه من نُوبِ الخطوبِ،
وألتذ الغرام المحضَ منه واستحلي به حتى كُروي.
كذاك الحبُّ ضَيْفٌ ليس يأتي إلى غيرِ الكِرامِ من القلوبِ.

- وله مقطوعة في النسب مشهورة هي:

وطائفة الوصالِ عَفَفْتُ عنها، وما الشيطانُ فيها بالمطاعِ^(٢).
بَدَتْ في الليلِ سافرةً فباتتُ دياجي الليلِ سافرةً القِناعِ^(٣).
وما من لحظةٍ إلَّا وفيها إلى قَتَنِ القلوبِ لها دَواعِ^(٤).
فمَلَكْتُ النُهَى جَمَحَاتٍ شوقي لأَجْرِي في العَفافِ على طِبَاعِي^(٥).
وَبِتَّ بها مَبِيتَ السَّقْبِ يظلم فيمنعُه الكِعامُ عن الرِّضَاعِ^(٦).
كذاك الروضُ ما فيه لِمَثلي سوى نظيرِ وشمٍّ من مَتَاعِ.

(١) في معجم الأدباء (٤: ٢٣٧، الحاشية ٢): الأصل الذي في مكتبة أكسفورد « المنتزين والقائمين » (بلا
واو. تما يدلّ على أن الكتاب موجود).

(٢) لم أطلع الشيطان فأعصى الله فيها.

(٣) أصبح الليل من ضوء وجهها نهاراً.

(٤) قتن القلوب: تعذيبها (أو استئثارها) لتخالف الخلق الكريم. دواع جمع داعية: سبب.

(٥) النهي: العقل. جمحة الشوق: الرغبة في مجانبة الطريق المستقيم.

(٦) السقب: ولد الناقة الذكر ساعة يولد. الكعام والكمامة (كلاهما بالكسر): ما يجعل على فم الحيوان
كيلا يعض (بفتح العين) أو يأكل.

ولستُ من السَّوائِمِ مُهَمَّـلَاتٍ فَاتَّخَذَ الرِّيَاضَ مِنَ المَرَاعِي!

- وقال يصف الرُّمَّانَ السَّفْرِي^(١):

ولا بَسَّةَ صَدَفٍ أَحْمَرًا أَتَتْكَ وَقَدْ مُلِئَتْ جَوْهَرًا^(٢)،
كَأَنَّكَ فَاتِحُ حَقٍّ لَطِيفٍ تَضُمُّنَ مَرَجَاتِـهُ الْأَحْمَرَا^(٣)،
حُبُوباً كَمِثْلِ لِثَاتِ الْحَبِيبِ رُضَاباً إِذَا شِئْتَ أَوْ مَنظَرًا^(٤)،
وَلِلسَفْرِ تُعْزَى وَمَا سَافَرْتَ فَتَشْكُو النَّوَى أَوْ تُقَاسِي السُّرَى^(٥)،
بَلَى؛ فَارْقَنْتِ أَيْكَهَا نَاعِمًا رَطِيباً وَأَغْصَانَهَا نُضْرًا^(٦)،
وَجَاءَتْكَ مُعْتَاضَةً إِذْ أَتَتْكَ بِأَكْرَمَ: مِنْ عُوْدِهَا عُنْصُرًا^(٧)،
بَعُودٍ تَرَى فِيهِ مَاءَ النَّدى، وَيُورِقُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُثْمِرَا،
هَدِيَّةً مَنْ لَوْ غَدَتْ نَفْسُهُ هَدِيَّتَهُ ظَنَّهُ قَصْرًا!

- وقال في كتاب «الحقائق» يَصِفُ أشْعَارَ الخُلَفَاءِ (الحلَّة السراء ١: ٢٠٥):

وهم يُجِلُّونَ عَنِ الشَّعْرِ أَقْدَارَهُمْ كَمَا يَرْتَفِعُونَ عَنْ أَنْ يُرَوِّى عَنْهُمْ أَوْ يُؤْخَذَ مِنْ
أَقْوَالِهِمْ، وَإِنَّمَا يَنْبَسُطُونَ بِهِ فِي سَرَائِرِهِمْ فَلَيْسَ يَظْهَرُ عَلَيْهِمْ مِنْهُ إِلَّا الشَّادُّ الْقَلِيلُ.
وَلَعَلَّ مَا سَقَطَ (منه) عَنَّا أَفْضَلُ مِمَّا سَقَطَ إِلَيْنَا^(٨). فَأَمَّا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ-

(١) نسبة إلى سفر (بسكون الفاء) بن عبيد الكلاعي. كان عبد الرحمن الداخل قد استقدم من الشام شيئاً من الرُّمَّانِ الجَيِّدِ. فَلَمَّا وَصَلَ ذَلِكَ الرُّمَّانُ كَانَ فِي الْحَاضِرِينَ سَفَرُ بْنُ عَبِيدٍ فَأَعْطَاهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ شَيْئاً مِنْهُ. فَاعْتَنَى سَفَرُ بَزْرَاعَةَ بَزْرِ الرُّمَّانِ فِي قَرْيَةٍ مِنْ قَرْيَةِ رِيَّةٍ فَخَرَجَ حَسَنَ الصُّورَةِ غَزِيرَ الْمَاءِ طَلِيبَ الطَّعْمِ صَغِيرَ الْبَزْرِ طَرِيَّةً.

(٢) قشرها أحمر وحبها أبيض (١).

(٣) الحق: وعاء صغير.

(٤) اللثات جمع لثة (بكسر اللام وبلا شدة على التاء): اللحم الذي تكون فيه الأسنان في الفم. الرضاب: الريق ما دام في الفم.

(٥) النوى: البعد والفراق. السرى: السفر ليلاً.

(٦) الأيك جمع أكمة: الشجر الكثير الملتف (الاجتمع بعضه على بعض). الناضر: الأخضر الطري.

(٧) استغنت عن أصلها الأوَّل (في الشام) وتبدلت به عنصرك أنت (أصلك) لأنه أكرم من أصلها.

(٨) الذي لم يصل إلينا من شعر المستنصر أكثر من الذي وصل منه إلينا.

أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - فَهُوَ فَوْقَ أَنْ يُعْلَنَ بِهِ أَوْ يَنْشُرَ اسْمُهُ عَلَيْهِ . وَلَعَلَّ لَهُ مِنْهُ مَا لَا تَعْرِفُهُ .
فَأَمَّا الْأَدَوَاتُ الَّتِي يُقَالُ بِهَا ، بَلِ الَّتِي يَخْتَاجُ إِلَيْهَا كُلُّ عِلْمٍ ^(١) ، فَهِيَ مَعَهُ بِأَزِيدٍ مِمَّا
كَانَتْ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ أَوْ تَكُونُ لِأَحَدٍ بَعْدَهُ ^(٢) .

- وَقَالَ فِي كِتَابِ « الْحَدَائِقِ » يَذْكُرُ الْمَرِيَّةَ (المغرب ٢: ١٩٣ - ١٩٤):

حَدَّثَ فِيهَا مِنْ صَنْعَةِ الْوَشْيِ وَالِدِيَّاجِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ ، وَمِنْ صِنَاعَةِ الْخَزِّ
وَجَمِيعِ مَا يُفَعَّلُ مِنَ الْحَرِيرِ ، مَا لَمْ يُنْصَرِ مِثْلُهُ فِي الْمَشْرِقِ وَلَا فِي بِلَادِ النِّصَارَى . وَأَعْظَمُ
مَبَانِيهَا الصُّادِحِيَّةُ الَّتِي بَنَاهَا الْمُعْتَصِمُ بْنُ صُوحَاذٍ . وَمِنْ مَتَفَرِّجَاتِهَا مِنْى ^(٣) عَبْدُوسٍ
وَمِنْى غَسَّانَ ، وَالتَّجَادُ وَبِرْكَةُ الصُّفْرِ وَعَيْنُ النَّطِيَّةِ . وَنَهْرُهَا مِنْ أَحْسَنِ الْأَنْهَارِ .

٤- * * المطمح ٧٩- ٨٠ ، جذوة المقتبس ٩٧- ٩٨ (الدار المصرية) ١٠٤- ١٠٥ (رقم
١٧٦) = بغية الملتبس ١٤٠ (رقم ٣٣١) ؛ معجم الأدباء ٤: ٢٣٦- ٢٣٨ ، المغرب
٢: ٥٩ ، المطرب (المخرطوم) ٥- ٦ ، الوافي بالوفيات ٨: ٧٧- ٧٨ ، الحلة السراء
١: ١٣٦ ، ٢٠٠ ، ٢٠٥ ، ٢١٨ ، ٢٥٠ ، نفع الطيب ١: ٤٦٨ ، ٦٠٤ ،
٢: ٦٠٥ ، ٥٠١ ، ٣: ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٩٦ ، ٢٦٥- ٢٦٦ ، ٤٣٧ ، ٤٦٠- ٤٦١ ، ٤٤٧
الأعلام للزركلي ١: ٢٠١- ٢٠٢ ؛ (١٩٤- ١٩٥) ، دائرة المعارف الإسلامية ٣:
٧٦٢- ٧٦٣ .

ابن القوطية

١- هو أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم
المعروف بابن القوطية نسبة إلى جدّة له هي سارة بنت أوباس (أسقف إشبيلية)
ابن غنيطشة ملك القوط . جاءت سارة هذه إلى دمشق تشكو إلى هشام بن عبد الملك
عمّها أرتباس الذي ظلمها حقّها من إرث أبيها . فأكرمها هشام وزوّجها أحد موالى
بني أميّة عيسى بن مزاحم . وقد تزوّجها عيسى وانتقل بها إلى الأندلس وسكن
إشبيلية .

(١) المقومات التي يقوم عليها كلّ علم ، من الشعر أو اللغة أو الحساب الخ .

(٢) بلوم ابن الأبار في « الحلة السراء » ابن فرج على هذه المبالغة (١: ٢٠٥) .

(٣) منية (بضم الميم أو بكسرهما) : ضيعة أو قرية بعيدة عن المدن يتخذها الأمراء والأغنياء للزّهة أو لقضاء
فصل من فصول السنة .

وُلِدَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْقَوَاطِيَةِ فِي إِسْبِيلِيَّةَ وَنَشَأَ فِيهَا وَسَمِعَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْفَرَقِ وَسَعِيدِ بْنِ جَابِرٍ وَحَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الرَّبِيدِيِّ. ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى قُرْطُبَةَ وَسَمِعَ مِنْ قَاسِمِ بْنِ أَصْبَغٍ (ت ٣٤٠) وَابْنِ الْأَغْبَشِ وَأَبِي الْوَلِيدِ الْأَعْرَجِ وَمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ أَبَانَ مَبْنِيَّةً وَمِنْ طَاهِرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ. وَكَذَلِكَ رَوَى عَنْ الْقَاضِي أَبِي الْحَزْمِ خَلْفَ بْنِ عَيْسَى بْنِ سَعِيدِ الْخَيْرِ الْوَقْشِيِّ.

وَقَدْ عَرَفَ أَبُو عَلِيٍّ الْقَالِي (ت ٣٥٦) الْحُكْمَ الْمُسْتَنْصِرَ بِاللَّهِ (٣٥٠-٣٦٦ هـ) فَضَّلَ ابْنَ الْقَوَاطِيَةِ وَأَنَّهُ مِنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْبَلَدِ بِاللُّغَةِ وَالنَّحْوِ. وَتَوَلَّى ابْنَ الْقَوَاطِيَةِ الْقَضَاءَ وَخُطَّةَ الشَّرْطَةِ.

وَكَانَتْ وَفَاةُ ابْنِ الْقَوَاطِيَةِ فِي ٢٣ رَجَبٍ الْأَوَّلِ سَنَةِ ٣٦٧ (٦ / ١١ / ٩٧٧ م) بَعْدَ أَنْ طَالَ عُمُرُهُ.

٢- ابْنُ الْقَوَاطِيَةِ نَحْوِيٌّ وَمُؤَرِّخٌ، وَكَانَ يَنْظِمُ الشَّعْرَ أحياناً وَيُجِيدُ فِي الْمَطَالَعِ وَالْمَقْطَعَاتِ. وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ: تَصَارِيفُ الْأَفْعَالِ- الْمَقْصُورُ وَالْمَمْدُودُ- تَارِيخُ افْتِتَاحِ الْأَنْدَلُسِ (وَالْحَوَادِثُ فِيهِ مَتَخَلِّخَةٌ وَفِيهِ رَوَايَاتٌ شَعْبِيَّةٌ كَثِيرَةٌ- وَيَبْدُو أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ لِأَحَدِ تَلَامِيذِهِ اسْتَمْلَاهُ عَنْهُ).

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ

مِنْ شَعْرِ ابْنِ الْقَوَاطِيَةِ فِي الْوَصْفِ:

ضَحِكَ الثَّرَى وَبَدَأَ لَكَ اسْتِيشَارُهُ، وَاخْضَرَ شَارِبُهُ وَطَرَّ عِذَارُهُ^(١).
وَرَبَّتْ حَدَائِقُهُ، وَأَزَرَ نَبْتُهُ، وَتَبَسَّمتْ أَنْوَارُهُ وَثَارُهُ^(٢).

(١) الثَّرَى: التُّرَابُ (وَجْهُ الْأَرْضِ). أَخْضَرَ: أَسْوَدَ. طَرَّ: ظَهَرَ، بَدَأَ. الْعِذَارُ: الشَّعْرُ النَّائِبُ عَلَى جَانِبِي الْوَجْهِ- يَشَبُّهُ الشَّاعِرُ سَطْحَ الْأَرْضِ بِوَجْهِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: بَدَأَ النَّبَاتُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ وَعَلَا قَلِيلاً (مَعَ مَجِيءِ الرَّبِيعِ).

(٢) فِي مَعْجَمِ الْأَدْبَاءِ (١٨: ٢٧٦) وَفِي الْوَاقِفِ بِالْوَفَايَاتِ (٤: ٢٤٣) رَنْتَ (بِالنُّونِ) وَالصَّوَابُ: رَبَّتْ (بِالْبَاءِ) حَدَائِقُهُ (كَثُرَ فِيهَا النَّبَاتُ). أَزَرَ النَّبَاتُ: التَّفَّ وَكَثُرَ. الْأَنْوَارُ جَمْعُ نَوْرٍ (بِفَتْحِ النَّونِ): الزَّهْرُ الْأَبْيَضُ اللَّوْنُ.

واهتزَّ قَدْ الغُصْنُ لَمَّا أَنْ كَسِي وَرَقًا كَدِيحًا يَرُوقُ إِزَارَهُ^(١).
وَتَعَمَّمَتْ صُلُغُ الرُّبَى بِنَبَاتِهَا، وَتَرَنَّتْ بُلُحُونَهَا أَطْيَارَهُ^(٢).

- من كتاب «تاريخ افتتاح الأندلس»:

..... وَحَكَى الشَّيْخُ ابْنَ لُبَابَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ مَنْ أَدْرَكَهُ مِنَ الشُّيُوخِ، أَنَّ أَرْطَبَاسَ^(٣) كَانَ مِنْ عُقَلَاءِ الرِّجَالِ فِي أَمْرِ دُنْيَاهُ وَأَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهِ..... مَيْمُونُ الْعَابِدُ- جَدُّ بَنِي حَزْمِ الْبَوَابِينِ وَهُوَ أَحَدُ مَوَالِي الشَّامِيِّينَ^(٤). فَلَمَّا رَأَاهُ أَرْطَبَاسُ دَاخِلًا قَامَ إِلَيْهِ وَالتَزَمَهُ وَجَعَلَ يَقُوذُهُ إِلَى كُرْسِيِّهِ الَّذِي قَامَ مِنْهُ، وَكَانَ مُصَدَّدًا^(٥) بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ. فَأَبَى الرَّجُلُ الصَّالِحُ الْجُلُوسَ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: «لَا بَحْلٌ لِي هَذَا» وَجَلَسَ عَلَى الْأَرْضِ. وَجَلَسَ (أَرْطَبَاسُ) مَعَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ: «مَا جَاءَ بِمِثْلِكَ إِلَيَّ مِثْلِي؟» فَقَالَ لَهُ مَيْمُونُ: «قَدِمْنَا إِلَى هَذَا الْبَلَدِ وَظَنْنَا أَنَّ ثَوَانًا^(٦) لَا يَطُولُ فِيهِ، وَلَمْ نَسْتَعِدَّ لِلْمَقَامِ. فَحَدَّثَ مِنَ الْاضْطِرَابِ عَلَى مَوَالِينَا بِالْمَشْرِقِ^(٧) مَا نَتَوَهَّمُ مَعَهُ أَنَّا لَا نَعُودُ إِلَى مَوْضِعِنَا بِهِ. وَقَدْ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْكَ، فَأَرِيدُ مِنْكَ أَنْ تُعْطِيَنِي ضَيْعَةً مِنْ ضِيَاعِكَ أَغْتَمِرُهَا بِيَدِي، وَأُوَدِّي إِلَيْكَ الْحَقَّ مِنْهَا وَآخِذُ الْحَقَّ». فَقَالَ لَهُ أَرْطَبَاسُ: لَا، وَاللَّهِ، مَا أَرْضَى

- (١) الديباح: نسيج من حرير. يروق: يحسن في العين. الإزار: ثوب يلف به الجسم.
- (٢) كانت الرُبَى (التلال) صلعاً (لا نبات عليها، تشبيهاً لها بالرأس الذي فقد شعره) فتعممت: لبست عمامة النبات.
- (٣) كان أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة فقيهاً مالكياً وقاضياً في البيرة (الأندلس) قرب غرناطة. وكانت وفاته في الاسكندرية نحو سنة ٣٣٠ للهجرة. أدركه: لحق زمانه، كان في أيامه.
- (٤) الشيوخ: الأساتذة، كبار رجال العلم. أرتباس (أو أرتباش أو أرتبان) هو الأمير أردبست بن غيطشة كان من الذين انضموا إلى طارق بن زياد ضد لذريق الذي كان قد اغتصب الملك من غيطشة (فيتيزا). وعاش أرتباس في قرطبة مكراً ومنح شيئاً من السلطة على قومه. وكان لأرتباس بنت هي سارة القوطية (وكان ابن القوطية صاحب هذا النص من نسلها).
- (٥) البوابون: الحجاب الوزراء (٩). الشاميون: العرب الذين جاءوا مع بلج بن بشر بن عياض (ت ٢١٤ هـ) من الشام (سورية) إلى الأندلس في أيام القتال بين القيسية والهاينة في أواخر عصر الولاة قبل وصول عبد الرحمن الداخل.
- (٦) التزمه: اعتنقه. مصد: مكسو، ملفوف، مغطى.
- (٧) ثوانا: مكثنا، بقاؤنا.
- (٨) موالينا (أنصارنا وأحلافنا).

أَنْ أُعْطِيَكَ ضَيْعَةً مُنَاصَفَةً. ودعا (أرطباس) بوكيل له وقال له: «اذفع إِلَيَّ الحِشْرَ الذي على وادي شَوْشٍ وما فيه من البقر والغنم والعبيد، واذفع إِلَيَّ القلعة بِجَيَّانٍ وَهِيَ المعروفةُ بقرية حزم».

- وقال في السوسن (الزنبق) والورد:

اشربْ على السَّوسَنِ الْفَضَّ الذي نَعِمَا وباكرِ الْأُنْسَ والوردَ الذي نَجَمَا^(١)،
كَأَنَّهَا ارْتَضَعَتْ خَلْفِي سَمَائِهَا: فَأَرْضَعْتَ لَبْنًا هَذِي، وذاك دَمَا^(٢).
خِلَانٍ: قد كَفَرَ الكافورُ ذاك، وقد عَقَّ الْعَقِيقُ احمراراً ذَا وما ظَلَمَا^(٣).
كَأَنَّ ذَا دُمِيَّةً نُصَّتْ لِمُعْتَرِضٍ وذاك خَدُّ غَدَاةِ الْبَيْنِ قد لُطِمَا^(٤)،
أو لا، فذاك أَنَايِبُ اللَّجِينِ وَذَا جَمْرُ الْغَضَا حَرَكْتَهُ الرِّيحُ فاضطَرَمَا^(٥)!
٤- كتاب الأفعال (في اللغة) (نشره غويدي) ليدن ١٨٩٤ م؛ (تحقيق علي فودة)، القاهرة (مطبعة مصر: شركة مساهمة مصرية) ١٩٥٢ م.

- تاريخ افتتاح الأندلس، باريس ١٨٦٧ م؛ مدريد ١٨٦٨ م؛ (أعيد طبعه باعتناء ريبيرا)، مدريد ١٩٢٦ م؛ (نشرة هوداس) باريس ١٨٨٩ م؛ مصر (مطبعة التوفيق) بلا تاريخ؛ (نشره عبد الله الطباع)، بيروت (دار النشر للجامعيين) ١٩٥٧ م.

★ ★ مطمح الأنفس ٥٨-٥٩؛ جذوة المقتبس ٧١-٧٢ (الدار المصرية) ٧٦-٧٧ (رقم ١١١)؛ بغية الملتبس ١٠٢ (رقم ٢٢٣)؛ ابن الفرضي ٢: ٧٨-٧٩؛ إنباه الرواة ٣: ١٧٨؛ معجم الأدباء ١٨: ٢٧٢-٢٧٧؛ وفيات الأعيان ٤: ٣٦٨-٣٧١؛ بغية الوعاة ٨٤-٨٥؛ شذرات الذهب ٣: ٦٢-٦٣؛ (وفيات سنة ٣٦٧ هـ)؛ الوافي بالوفيات ٤: ٢٤٢-٢٤٣؛ البلغة ٢٣٧؛ نفح الطيب ٣: ٧٣-٧٤؛ الديباج المذهب ٢٩٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٤٧-٨٤٨؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٠١ (٦: ٣١١).

- (١) نعم: لأن ملمسه، وكان طرياً نضيراً. نجم: نبت حديثاً (خرجت زهرة الورد من كأسها: الأورق الخضر التي كانت تغلفها).
- (١) الخلف (بالكسر): حلقة الثدي. السماء: المطر. كأن الورد (الأحمر) والسوسن (الأبيض) رضعا من سماء واحدة (من مطر واحد) ولكن من ثديين مختلفين: رضع الورد من ثدى فأصبح أحمر، ورضع السوسن من ثدى آخر فأصبح أبيض.
- (٣) الكافور: مادة شفاقة تميل إلى البياض. العقيق: حجر كريم أحمر. كفر: غطى، ستر، غلف. عَقَّ: ذبح ذبيحة.
- (٤) الدُمِيَّة: الصورة، التمثال. نصّ: رفع. المعترض: الذي يعترضك؛ يقف مقابلاً لوجهك. البين: الفراغ. قد لطم (حزناً على فراق المحبوب).
- (٥) اللجين: الفضة. الغضا: شجر خشبه كثيف يتقد بشدة.

عريب القرطبي

١ - هو عَرِيبُ بْنُ سَعْدٍ مِنْ مَوَالِي الْأَنْدَلُسِ وَمِنْ أَهْلِ قُرْطُبَةَ يَتَّصِلُ نَسَبُهُ بِبَنِي التُّرْكِيِّ (الذيل والتكملة ١: ٥ - ١٤١ - ١٤٢) لَا نَعْرِفُ مِنْ أَحْدَاثِ حَيَاتِهِ إِلَّا نَتَفَاءً: اسْتَعْمَلَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِرُ عَلَى كُورَةِ أَشُونَةَ، سَنَةَ ٣٣١ هـ ثُمَّ اسْتَكْتَبَهُ الْحَكَمُ الْمُسْتَنْصِرُ (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ) بْنُ النَّاصِرِ. وَقَدْ كَانَتْ لَهُ مَكَانَةٌ أَثِيرَةٌ عِنْدَ الْحَاجِبِ جَعْفَرِ الْمُصَحِّفِيِّ (قَتْلَ ٣٧٢ هـ) وَمَكَانَةٌ رَفِيعَةٌ عِنْدَ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ (٣٩٢ هـ). وَلَعَلَّ وَفَاتَهُ كَانَتْ نَحْوَ سَنَةِ ٣٧٠ هـ (٩٨٠ م).

٢ - كَانَ فِي عَرِيبِ الْقُرْطُبِيِّ بَأَوُ (فَخْرٍ أَوْ تَعَاظُمٍ) شَدِيدٌ أَدَّى إِلَى أَنْخِفَاضِ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَ جَعْفَرِ الْمُصَحِّفِيِّ وَعِنْدَ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ فِي حَدِيثَيْنِ طَوِيلَيْنِ. وَلَكِنَّهُ كَانَ أَدِيبًا بَارِعًا وَشَاعِرًا مَطْبُوعًا وَمُؤَرِّخًا وَاسِعَ الْمَعْرِفَةِ بِالتَّارِيخِ جَامِعًا لِلْأَخْبَارِ. ثُمَّ إِنَّهُ كَانَ أَيْضًا ذَا حِظٍّ مِنَ اللُّغَةِ وَمِنِ النَّحْوِ، كَمَا كَانَ طَبِيبًا مَاهِرًا وَذَا عِنَايَةٍ بِكُتُبِ الْأَطْبَاءِ الْقُدَمَاءِ وَالْمُحَدَّثِينَ. غَيْرَ أَنَّ شُهْرَتَهُ كَانَتْ فِي التَّارِيخِ خَاصَّةً، فَلَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ، فِي هَذَا الْبَابِ، عَلِيُّ بْنُ مُوسَى بْنِ سَعِيدِ الْعَنْسِيِّ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ مَدَحَ بِهَا ابْنَ عَمِّهِ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ (بْنِ سَعِيدٍ) فَقَالَ (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٢: ٢٧٥): «وَأِنْ سَرَدَ التَّارِيخَ قُلْتُ: عَرِيبٌ».

وَكَانَ عَرِيبُ الْقُرْطُبِيِّ مُصَنِّفًا اشتهر له كِتَابُ عُنْوَانِهِ «صِلَةُ تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ»^(١) بَدَأَهُ سَنَةَ ٢٩١ (وَهِيَ السَّنَةُ الَّتِي وَقَفَ الطَّبَرِيُّ عِنْدَهَا فِي تَارِيخِهِ). ثُمَّ اسْتَمَرَ عَرِيبٌ فِي السَّرْدِ إِلَى سَنَةِ ٣٢٠. وَفِي كِتَابِ «الذَّيْلِ وَالتَّكْمِلَةِ»: لِعَرِيبٍ هَذَا «تَارِيخُهُ الَّذِي اخْتَصَرَهُ مِنْ تَارِيخِ أَبِي جَعْفَرِ الطَّبَرِيِّ وَأَضَافَ إِلَيْهِ أَخْبَارَ إِفْرِيقِيَّةِ وَالْأَنْدَلُسِ، وَهُوَ كِتَابٌ مُنْتَعٍ». وَيَبْدُو أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ (الْمُخْتَصَرُ مِنْ تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ) غَيْرُ كِتَابِ «صِلَةِ تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ» الَّذِي طَبَعَهُ دِي خُوِيهِ وَالَّذِي أَلْحَقَ أَيْضًا بِالْجُزْءِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ «تَارِيخِ الرِّسْلِ وَالْمُلُوكِ» لِلطَّبَرِيِّ فِي طَبْعَةِ الْقَاهِرَةِ^(١). وَقَدْ أَصَابَ إِحْسَانُ عَبَّاسٍ لَمَّا

(١) المطبعة الحسينية ١٣٣٦ هـ.

قال^(١): «وأحسب أن هذا المنشور لا يمثل ما يقوله ابن عبد الملك (المراكشي) في هذه الترجمة».

ولعريب أيضاً من الكتب: كتاب خلق الجنين وتدير الحبالى والمولودين (كتاب خلق الإنسان وتدير الأطفال) - كتاب عيون الأدوية - كتاب الأنواء^(٢)، وهو مفيد ومستعمل ومُعتمد (الذيل والتكملة) - تقويم قرطبة^(٣).

٣ - مختارات من آثاره

- اتفق أن جاء عريب مرة إلى مجلس الحاجب جعفر المصنف، وكان المجلس مكتظاً، فأجلسه المصنف في مكان قريب منه ولكن كان بينهما رجل آخر، فكتب عريب في رقعة يتيين ثم ناول الرقعة للمصنف. والبيتان هما:

حال بيني وبين وجهك في المجد . ليس شخص على القلوب ثقيل.
ما توهمت قبلها أن شخصاً بين قلبي وناظري سيحول^(٤).

- بدأ عريب صلة تاريخ الطبري كما يلي:

(ثم دخلت سنة ٢٩١): ذكر ما دار في هذه السنة من أخبار بني العباس : فيها كتب الوزير القاسم بن عبد الله إلى محمد بن سليمان الكاتب^(٥)، وكان المكتفي^(٦) قد ولاه حرب القرمطي صاحب الشامة^(٧) وصير إليه أمر القواد والجيش، فأمره

(١) الذيل والتكملة ٥ : ١ : ١٤٢ (الحاشية الثانية).

(٢) الأنواء (أحوال الجوّ).

(٣) راجع نصاً من مطلقه في المختارات من هذه الترجمة.

(٤) بين قلبي (المقصود: المدح جعفر المصنف) وناظري (عيني، بصري). حال: اعترض.

(٥) محمد بن سليمان الكاتب الحنفي قائد قدير تولى قتال القرامطة في الشام (توفي بعد ٣٩٧ هـ).

(٦) المكتفي: الخليفة العباسي علي بن أحمد (المتضد) بن الموفق بن المتوكل تولى الخلافة نحو ست سنوات (٣٨٩ - ٣٩٥ هـ) ومات شاباً (ولد ٣٦٣ هـ).

(٧) هو أحمد بن زكرويه القرمطي صاحب الشامة قاتل العباسيين في العراق والشام ثم انهزم وأخذ أسيراً فجيء به إلى المكتفي بالله العباسي فأمر بقتله.

بمناهضة^(١) صاحب الشامة والجِدِّ في أمره وجمع القَوَادِ والرجال على مُحاربتِه. فسار إليه مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بِجَمِيعِ مَنْ كَانَ مَعَهُ وَأَهْلِ النَوَاحِي الَّتِي تَلِيهِ مِنَ الْأَغْرَابِ وَغَيْرِهِمْ حَتَّى قَرَّبُوا مِنْ حِمَاةٍ^(٢) وَصَارَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ نَحْوُ اثْنَيْ عَشَرَ مَيْلًا، فَلَقُوا أَصْحَابَ الْقُرْمُطِيِّ هُنَالِكَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ لَسْتُ خَلَوْنَ مِنَ الْمُحَرَّمِ^(٣). وَكَانَ الْقُرْمُطِيُّ قَدْ قَدَّمَ بَعْضَ أَصْحَابِهِ فِي ثَلَاثَةِ آلَافِ فَارَسٍ وَكَثِيرٍ مِنَ الرِّجَالِ فِي مُقَدَّمَتِهِ، وَتَخَلَّفَ هُوَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ رِدَاءَ أَلْهَمَ، وَجَعَلَ السَّوَادَ^(٤) وَرَاءَهُ. وَكَانَ مَعَهُ مِثَالُ جَمْعِهِ. فَالْتَقَى رِجَالُ السُّلْطَانِ بِمَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْقَرَامِطَةِ لِحَرْبِهِمْ. وَالتَحَمَّ الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ، وَصَبَرَ الْفَرِيقَانِ. ثُمَّ أَنْهَزَ أَصْحَابُ الْقُرْمُطِيِّ وَأَسْرَ مِنْ رِجَالِهِ بَشَرٌ كَثِيرٌ وَقُتِلَ مِنْهُمْ عَدَدٌ عَظِيمٌ وَتَفَرَّقَ الْبَاقُونَ فِي الْبُوَادِي. وَتَبِعَهُمْ أَصْحَابُ السُّلْطَانِ لَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ^(٥) يَقْتُلُونَهُمْ وَيَأْسُرُونَهُمْ.....

- وَقَالَ عَرِيبٌ فِي تَرْجَمَةِ أَبِي الْيُسْرِ^(٦) إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَحَدَ الشَّيْبَانِيِّ (نَفْحَ الطَّيِّبِ ٣ :

١٣٤ - ١٣٥):

... كَانَ شَاعِرًا مُرْسَلًا حَسَنَ التَّأْلِيفِ. وَقَدِمَ الْأَنْدَلُسَ عَلَى الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ^(٧)، وَذَكَرَ لَهُ مَعَهُ قِصَّةَ ذِكْرِهَا ابْنُ الْأَبَّارِ فِي كِتَابِهِ «إِفَادَةُ الْوَفَادَةِ»^(٨) وَحَكَى أَنَّ لَهُ مُسْنَدًا فِي الْحَدِيثِ وَكِتَابًا فِي الْقُرْآنِ سَمَّاهُ «سِرَاجَ الْهُدَى» وَالرَّسَالَةَ الْوَحِيدَةَ

(١) مناهضة: مقاومة.

(٢) حاة بلدة في الشام بين حمص وحلب.

(٣) ١٢/٦/١٠٠٠ م.

(٤) الردء: المعين، الناصر (قوة احتياطية). جعل السواد (سواد العراق، القسم الجنوبي منه) وراءه (كي يستطيع الهرب إليه إذا انهزم في الشام).

(٥) في يوم الثلاثاء نفسه (ليلة الأربعاء هي مساء يوم الثلاثاء).

(٦) هو أبو اليسر إبراهيم بن أحمد الشيباني المَعْرُوفُ بِالرِّيَاضِيِّ (٢٢٣ - ٢٩٨ هـ) مِنَ الْأَدْبَاءِ وَالْكَتَّابِ. أَصْلُهُ مِنْ بَغْدَادَ جَالٍ فِي الْبِلَادِ وَدَخَلَ الْأَنْدَلُسَ ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الْقَيْرَوَانِ وَتَوَلَّى فِيهَا بَيْتَ الْحِكْمَةِ فِي أَيَّامِ آخِرِ الْأُمَرَاءِ الْأَغَالِبَةِ زِيَادَةَ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَغْلِيِّ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي الْقَيْرَوَانِ.

(٧) جاء إلى إمارة الأندلس ٢٣٨ هـ وتوفي سنة ٢٧٣ هـ.

(٨) الملموح أن ابن الأبار هذا هو مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَضَاعِيِّ (٥٩٥ - ٦٥٨ هـ). وَلَمْ أَعُثِرْ فِي مَصْدَرٍ آخَرَ عَلَى اسْمِ كِتَابِهِ «إِفَادَةُ الْوَفَادَةِ». وَلَيْسَتْ التَّكْمِلَةُ لِابْنِ الْأَبَّارِ بَيْنَ يَدَيِ الْآنِ.

والمؤنسة وقطب الأدب وغير ذلك من الاوضاع^(١). قال وكتبَ لبني الأغلب حتى أنصرفت أيامهم، ثم كتبَ لعبيد الله حتى مات^(٢). ومن الرواة عنه أبو سعيد عثمان ابن سعيد بن الصيقل^(٣) مولى زيادة الله بن الأغلب^(٤). وأسند إليه الحافظ بن الأبار جملةً منه على غيره. وناولني جميعه وحدثني به عن أبي عبد الله بن زرقون عن^(٥) الخولاني^(٦) عن أبي القاسم حاتم بن محمد^(٧) عن أبي غالب تمام بن غالب^(٨) بن عمر الغوي عن أبيه أبي تمام^(٩) عن أبي سعيد المذكور - يعني ابن الصيقل - عن أبي اليسر عن حبيب^(٨). وهو إسناد غريب^(١٠). انتهى^(١١).

- من مطلع « كتاب عريب في تفصيل الأزمان ومصالح الأبدان » (أو تقويم قرطبة):

هذا كتابٌ جعلَ مُذكرًا بأوقات السّنة وفصولها وعددِ الشهور وأيامها ومجاري الشمس في بُروجها ومنازلها^(١٢) وحدود مطالعها وقدر ميلها وارتفاعها^(١٣) واختلافها في

- (١) راجع في أبي اليسر الشيباني ترجمة له في نفح الطيب (٣: ١٣٤ - ١٣٥).
- (٢) هو المهدي الفاطمي عبيد الله بن محمد مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب بويع له سنة ٢٩٧ وتوفي سنة ٣٢٢ هـ.
- (٣) زيادة الله بن الأغلب هذا هو آخر أمراء الأغالبة (ت ٣٠٤ هـ).
- (٤) هو أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الحميري الكلاعي - راجع ترجمته تحت (ت ٦٣٤ هـ).
- (٥) هو أبو عبد الله محمد بن سعيد بن زرقون (ت ٥٨٦ هـ) فقيه مالكي، محدث، وكان مسند الأندلس (في علم الحديث وروايته).
- (٦) الخولاني - لعله أبو جعفر أحمد بن محمد بن الأبار الخولاني (ت ٤٣٣ هـ) - راجع ترجمته تحت.
- (٧) حاتم بن محمد؟
- (٨) تمام بن غالب التّياني (ت ٤٣٦ هـ) أديب لغوي أندلسي.
- (٩) هو أبو تمام حبيب بن أوس الشاعر العبّاسي المشهور.
- (١٠) أسناد غريب (فيه رجال مجهولون؟).
- (١١) « انتهى » موجودة في الأصل، ولعلّ في هذا النصّ في نفح الطيب شيئاً من التصرف.
- (١٢) البرج مجموعة من النجوم تمرّ بها الشمس في أثناء السنة. المنازل (جمع منزلة) المدد التي تقضيها الشمس في كلّ برج من البروج الأثني عشر.
- (١٣) يختلف مطلع الشمس على الأفق الشرقي بين فصل وفصل (في الصيف يكون أبعد إلى الشمال). قدر ميل الشمس (بين فصل وفصل عن كبد السماء). استواء الشمس (أعلى نقطة ترتفع إليها الشمس في السماء - في نصف الصيف). كلّما ارتفعت الشمس كان ظلّ الأشياء أقصر.

الظلّ عند استوائها، و (في) تصرّف الأزمان وتعاقب الأيام بالزيادة والنقصان^(١) و (في) فصل البرد والحرّ وما بينهما من التوسّط والاعتدال^(٢) و (في) ميقات كلّ فصلٍ وعدّد أيامه على مذهب أهل التعديل والحساب ومذهب الأوائل^(٣) من الأطباء الذين حدّوا الأزمنة والطبائع^(٤)، إذ كان بينهم في فصل السنة اختلافٌ سيأتي عليه الاستجلاب^(٥) ويقع في موضعه من هذا الكتاب، إن شاء الله؛ وذكر ما لا غنى عنه للناس من معرفة الزراعة وحين الغراسة^(٦) وتعاهد كثير من أسباب الفلاحة وإمكان جني الثمار وضمّ الذخر والأقوات^(٧) وأبتداء نضج الفواكه ومواقيت النتاج^(٨) وغير ذلك من مرافق الناس ومصالحهم، والأزمنة التي توافق تنقية أجسامهم بالدواء والقصْد^(٩) وأوقات جمع العقاقير والأشربة والمربّيات في أوانها وحين إمكانها^(١٠) و (في) علم تصارّف الرياح ومذاهب العرب في الأنواء والأمطار^(١١) إذ كانت (العرب) تُعنى بها وتحتاج إلى تحديد مطالع النجوم ومساقطها^(١٢) والمُطير والمُخوي^(١٣) منها لتقلّبيهم في الطلب للمعاش والانتقال إلى مواضع المياه^(١٤).....

- (١) تزايد طول النهار في الصيف (مع قصر الليل) وتزايد طول الليل في الشتاء (مع قصر النهار).
- (٢) من التوسّط والاعتدال (حيثما يتقارب الليل والنهار في الطول (في الربيع والحريف) يكون الجو معتدلاً (بين الحر والبرد).
- (٣) أهل التعديل والحساب (علماء الفلك). القدماء (من اليونانيين خاصة).
- (٤) حدّ (الأطباء) صلة طبيعة البشر (بالقوة أو بالمرض) بحسب فصول السنة (٩).
- (٥) الاستجلاب (سيأتي ذكره في هذا الكتاب).
- (٦) الزرع للحبوب والنبات السنوي. والفرس للأشجار.
- (٧) ضمّ الذخر والأقوات (اتخاذ الحبوب وغيرها للمؤونة).
- (٨) النتاج: ولادة الأنعام (الغنم والأبل الخ).
- (٩) استعمال الأدوية بحسب الفصول (كالمسهل) أو الفصد أي استخراج الدم (في أول الربيع).
- (١٠) تحضير الأدوية (من النباتات التي تنضج في الفصول المختلفة) والأشربة (من منقوع النبات) والمربّيات تكثيف عصير الفواكه، كلّ بحسب أوانه (زمانه).
- (١١) النوء: الزمن الذي يكون فيه سقوط المطر (وصلة ذلك بظهور عدد من النجوم في السماء).
- (١٢) مطالع النجوم (الزمن الذي تبدو النجوم فيه ظاهرة في السماء مدّة طويلة أو قصيرة. المساقط: غياب النجوم من السماء).
- (١٣) المخوى: الزمن أو الشهر لا يكون فيه مطر.
- (١٤) بسبب رحلة البدو (تنقلهم في البادية وراء الماء والعشب).

٤ - صلة تاريخ الطبري (دي خويه)، ليدن (بريل) ١٨٩٧ م؛ في الجزء الثاني عشر من تاريخ الرسل والملوك للطبري (ملحق)، مصر (المطبعة الحسينية ١٣٣٦).

- تقويم قرطبة (بالعربية مع ترجمة فرنسية) (نشره دوزي)، ليدن (بريل)، الطبعة الثانية (شارل بلا)، ١٩٦١ م.

★ ★ الذيل والتكملة ٥ : ١ : ١٤١ - ١٤٣؛ فطح الطيب ٣ : ١٣٤، ١٨٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ١ : ٦٢٨؛ بروكلين ١ : ١٤٩ (السطر الخامس)، الملحق ١ : ٢١٧ (السطر الخامس والعشرين)؛ بالنشأ ٤٨٧ - ٤٨٨؛ الأعلام للزركلي (٤ : ٢٢٧).

جعفر المصنف

١ - هو أبو الحسن جعفر بن عثمان بن نصر بن فوز بن عبد الله بن كسيلة من بربر بلنسية، بدأ حياته العامة بأن كان مؤدباً للحكم بن عبد الرحمن الناصر. ثم إن الناصر ولّاه على جزيرة ميورقة. ولما جاء الحكم إلى الخلافة (٣٥٠ هـ) استوزره.

لم يكن جعفر المصنف حذراً من دهره فاستناب إلى الأيام ونثر أهله في مرافق الدولة. ودخل محمد بن أبي عامر (ت ٣٩٢) في خدمة الدولة فأدرك أنه لا يستطيع الوصول إلى هدفه من الاستبداد بالدولة إلا إذا أزاح المصنف من طريقه. فلما توفي الحكم المستنصر وخلفه ابنه هشام كان هشام وفيّاً لذكرى أبيه فرفع المصنف إلى رتبة الحجابة (رئاسة الوزارة)، في عاشر صفر من سنة ٣٦٦ (٧ / ٩ / ٩٧٦ م)، بعد مجيئه إلى الخلافة ببضعة أيام.

غير أن محمد بن أبي عامر - وكان قد نال حظوة عند صبح أم هشام وأصبح له سلطة على هشام نفسه - ما زال بهشام القاصر حتى أمر هشام بصرف المصنف من الحجابة، في ثالث عشر صفر من سنة ٣٦٧ (٢٥ / ٣ / ٩٧٨ م) وبنكبة المصنف وأهله. وبدأ محمد بن أبي عامر - وكان قد استولى على الدولة وتسمى المنصور - يصادر أموال المصنف وأموال أهله ويقتل نفرأ منهم. ثم إنه ألقى جعفر المصنف نفسه في السجن وأمر أخيراً بقتله سنة ٣٧٢ (٩٨٢ - ٩٨٣ م).

٢- كان جعفرُ المصحفيُّ أحدَ شعراءِ الأندلسِ المُحسنين المُتصرفين في أنواعِ الشعرِ من المديحِ والخمرِ والأوصافِ والغزلِ غايةً في كلِّ ذلكِ في الرقةِ والإبداعِ والحُسنِ، وكان يقولُ مُرتجلاً (البيان المغرب ٢: ٢٥٤) وهو شاعرٌ مُكثِرٌ.

٣- مختارات من شعره

- قال المصحفي في نكبته:

تأملتُ صَرَفَ الحادِثاتِ فلم أزلْ أراها تُوافي عندَ مَقْصِدِها الحُرّاً^(١).
 فلهِ أيامٌ مَضَتْ لِسَبيلِها، فإني لا أنسى لها أبداً ذِكْراً.
 تحافَتُ بها عَنّا الحوادثُ بُرْهةً وأبَدَتْ لنا منها الطَّلَاقَ والبِشْراً^(٢)؛
 ليالي لم يَذِرِ الزمانُ مكانَنا، ولا نَظَرَتْ مِنّا حَواذِثُ شَرِّا.
 وما هذهِ الأيامُ إلّا سَحائبٌ على كلِّ حالٍ تُنْطِرُ الخَيْرَ والشرَّ.
 * أَجاري الزمانَ على حالِهِ مُجَاراةَ نَفْسي لأنفاسِها^(٣).
 إذا نَفْسٌ صاعِدٌ شَفَّها توارَتْ به بين جُلاَسِها^(٤).
 وإن عَكَفَتْ نَكْبَةٌ للزمانِ عَكَفْتُ بِصَدْرِي على رَأْسِها^(٥).
 * لا تَأْمَنَنَّ مِنَ الزمانِ تَقَلُّباً؛ إِنَّ الزمانَ بأهلِهِ يَتَقَلَّبُ.
 ولقد أَراني والليوثُ تَخافُني، فأخافُني من بَعدِ ذاكِ الثَّغْلَبِ^(٦).
 حَسْبُ الكَريمِ مُدْلَةٌ ونَقِيصَةٌ ألا يَزالَ إلى لُئيمٍ يَطْلُبُ.
 وإذا أَتَتْ أُعْجوبةٌ فاضِرٌ لها، فالدَّهرُ يَأْتِي- بَعدُ- ما هو أَعْجَبُ.
 * لي مُدَّةٌ لا بَدَّ أُلْبِغُها؛ فإذا انقَضَتْ أَيامُها مِتُّ.

(١) صرف الحادثات: المصائب.

(٢) تحافى: ابتعد، تجبّب.

(٣) أسلك مع الزمان كما ينبغي، مجاراة نفسي لأنفاسها (تماماً).

(٤) شَفَّها: أصابها فأغفلها أو أضعفها. توارت به بين جلاّسها (كتمته عمّن حولها، عن الناس).

(٥) إذا نزلت في مصيبة قضيت على تلك المصيبة (صبرت عليها؟).

(٦) لعلّه يشير إلى المنصور بن أبي عامر.

لو قابَلْتَنِي الأسدُ ضارِيَةً - والموتُ لم يُقدِرْ - لما خِفْتُ^(١).
فانظُرْ إِلَيَّ وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ،
صَبَرْتُ عَلَى الْأَيَّامِ حَتَّى تَوَلَّتْ؛
فَوَاعَجَبًا لِلْقَلْبِ، كَيْفَ اعْتَرَفَهُ،
وَمَا النَّفْسُ إِلَّا حَيْثُ يَجْعَلُهَا الْفَقْهُ؛
وَكَانَتْ عَلَى الْأَيَّامِ نَفْسِي عَزِيزَةً،
فَقُلْتُ لَهَا: يَا نَفْسُ، مَوْقِي كَرِيمَةٌ؛
فَمِثْلُ حَالِكَ أَمْسٍ قَدْ كُنْتُ.
وَأَلْزَمْتُ نَفْسِي صَبْرَهَا فَاسْتَمَرَّتْ.
وَلِلنَّفْسِ بَعْدَ الْعِزِّ كَيْفَ اسْتَذَلَّتْ.
فَإِنْ طَمِعَتْ تَأَقَّتْ وَإِلَّا تَسَلَّتْ^(٢).
فَلَمَّا رَأَتْ صَبْرِي عَلَى الدُّلِّ ذَلَّتْ.
فَقَدْ كَانَتْ الدُّنْيَا لَنَا تَمَّ وَلَّتْ.

- وَقَالَ الْمُصْحَفِيُّ يُعْرَضُ بِالْمَنْصُورِ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ (لأنَّه هُوَ الَّذِي كَانَ قَدْ سَاعَدَ

عَلَى تَقْدِيمِ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ فِي مَرَاتِبِ الدَّوْلَةِ):
غَرَسْتُ قُضِيْبًا خِلْتُهُ عُودَ كَرَمَةٍ - وَكُنْتُ عَلَيْهِ فِي الْحَوَادِثِ قِيًّا^(٣).
وَأَكْرَمُهُ دَهْرِي فَيَزِدَادُ خُبْنُهُ؛
وَلَوْ كَانَ مِنْ أَصْلٍ كَرِيمٍ تَكَرَّمَا.
- وَقَالَ فِي كِتَابِ السَّرِّ:

يَا ذَا الَّذِي أَوْدَعَنِي سِرَّهُ، لَا تَرْجُ أَنْ تَسْمَعَهُ مِنِّي.
لَمْ أَجِرْهُ بَعْدَكَ فِي خَاطِرِي، كَأَنَّهُ مَا مَرَّ فِي أُذُنِي.
- وَلِجَعْفَرِ بْنِ عُثْمَانَ الْمُصْحَفِيِّ فِي الْغَزَلِ وَالنَّسِيبِ:

أَمَّا، وَالْهَوَى، مَا كُنْتُ أَغْرِفُ مَا الْهَوَى - وَلَا مَا دَوَاعِي الشَّوْقِ حَتَّى تَكَلَّمَا.
دَعَانِي بَلْفَظٍ لَوْ دَعَا يَذْبُلًا بِهِ - لِلْبَّاهِ مُشْتَقًّا وَوَأَفَاهُ مُغْرَمًا^(٤).

-
- (١) الأسد الضاري (الجامع) لأنه يكون أكثر شراسة وأكثر جراءة.
(٢) تأقت: اشتاقت، رغبت.
(٣) عود كرمة (عنب)، أي ظننته غرسة كريمة نبيلة.
(٤) يذبل اسم جبل.

★ إِنَّ فَاهَ أَشْرَبَتِ الضُّلُوعُ هَوَى
 لَا تُنْكِرُوا كَلَفَ الضُّلُوعِ بِهِ
 ★ لَعَيْنِيكَ فِي قَلْبِي عَلَيَّ عُيُونُ،
 لئن كَانَ جِسْمِي مُخْلَقًا فِي يَدِ الْهَوَى،
 نَصِيبي مِنَ الدُّنْيَا هَوَاكَ، وَإِنَّهُ
 حَتَّى كَأَنَّ جَمِيعَهَا أُذُنٌ.
 فَحَدِيثُهُ لَوَجِيبُهَا سَكَنٌ^(١).
 وَبَيْنَ ضُلُوعِي لِلشُّجُونِ فُنُونٌ^(٢).
 فَحُبُّكَ غَضٌّ فِي الْفُؤَادِ مَصُونٌ^(٣).
 عَذَابِي؛ وَلَكِنِّي عَلَيْهِ ضَنِينٌ.

- وَلَمْ فِي وَصْفِ الْخَمَرِ:

صَفَرَاءُ تَطَرَّقُ فِي الرُّجَاجِ، فَإِنَّ سَرَتْ
 عَبَثَ الزَّمَانُ بِجِسْمِهَا فَتَسْتَرَتْ
 خَفِيَتْ عَلَى شُرَابِهَا فَكَأَنَّا
 فِي الْجِسْمِ دَبَّتْ مِثْلَ صِلٍّ لَادَغٍ^(٤).
 عَنْ عَيْنِهِ بَرْدَاءُ نَوْرِ سَابِغٍ.
 يَجِدُونَ رِيًّا فِي إِنَاءٍ فَارِغٍ.

٤- ★ ★ مطمح الأنفس؛ جذوة المقتبس ١٧٥-١٧٦ (الدار المصرية) ١٨٧-١٨٨ (رقم ٣٥٣)؛ بغية الملتبس ٢٤٠ (رقم ٦١٤)؛ الحلة السراء ٢٥٧ وما بعد؛ نفح الطيب ٤٠٢:١ وما بعد؛ ٥٩٢-٥٩٤، ٨٦:٣، ٩٠، ٦٠٠:٥، ٦٠٢، ٦:٤؛ الذخيرة ٤٦:٤:١ وما بعد؛ البيان المغرب ٢:٢٥٤ وما بعد، نيكل ٤٩-٥١؛ الأعلام للزركلي ١١٩:٢ (١٢٥).

ابن أبي حنيفة النعمان

١- هو أبو الحسن علي بن أبي حنيفة النعمان القيرواني^(٥)، وُلِدَ (في القيروان) في ربيع الأول من سنة ٣٢٩ (خريف ٨٤٣ م) ونشأ فيها. انتقل إلى القاهرة في صُحبة

- (١) الكلف: شدة التعلق بالحبوب. الوجيب: الخفقان.
- (٢) الشجن (بفتح ففتح): الحزن.
- (٣) مخلق: متهرئ. غَضٌّ: طري، جديد.
- (٤) صفرَاء (خمر) تطرق (٤) والملموج أن معناها: تهدأ. الصل: الحية الخبيثة، الشديدة السم. لادغ (وهو يلدغ): يضرب بناه.
- (٥) الملموح أنه ابن القاضي النعمان بن محمد (ت ٣٦٣ هـ) واضع المذهب الفاطمي ومؤلف «دعائم الإسلام» - انظر أعلاه ص ٢٧٧ -

المُعزّ الفاطميّ، سَنَة ٣٥٨ هـ. ثمّ تولّى القضاء في جميع البلاد التي كانت خاضعةً للنفوذ الفاطميّ. وكانت وفاته في سادسِ رَجَبٍ من سَنَة ٣٧٤ (٤ / ١٢ / ٩٨٥ م) ودُفِنَ في القَرافة (مصر).

٢- كان ابنُ أبي حنيفة النعمان عارفاً بفنونٍ كثيرةٍ منها القضاء والفقه والنحو والأدب. وكان شاعراً وُجْدانياً تَغَلَّبَ عليه الصنّاعةُ. ومن فنونه الحكمة والنسيب.

٣- مختارات من شعره

- قال ابنُ أبي حنيفة النعمان في صديق له صدوق:

ولي صديقٌ ما مَسَّنِي عَدَمٌ مُذْ وَقَعْتَ عَيْنَهُ عَلَى عَدَمِي^(١).
أَغْنَى وَأَقْنَى؛ وما يُكَلِّفُنِي تَقْبِيلَ كَفٍّ لَهُ وَلَا قَدَمَ^(٢).
قام بأمرِي لَمَّا قَعَدْتُ بِهِ؛ وَنَمَسْتُ عَنْ حَاجَتِي وَلَمْ يَنْمَ^(٣).

- وله في النسيب مَعَ الإشارات البارة إلى مناسِكِ الحجِّ على سبيلِ الموازنة والجناس:

رُبُّ خَوْدٍ عَرَفْتُ فِي عُرْفَاتٍ سَلَبْتَنِي بِحُسْنِهَا حَسَنَاتِي^(٤).
حَرَّمْتُ، حِينَ أَحْرَمْتُ، نَوْمَ عَيْنِي وَاسْتَبَاحْتُ حَيَايَ بِاللَّحْظَاتِ^(٥).
وَأَفَاضْتُ مَعَ الْحَجِيجِ فَفَاضْتُ مِنْ جُفُونِي سَوَابِقُ الْعَبَرَاتِ^(٦).
وَلَقَدْ أَضْرَمْتُ عَلَى الْقَلْبِ جَمْرًا مُحْرِقًا إِذْ مَشَتُ إِلَى الْجَمَرَاتِ^(٧).

-
- (١) العدم: الفقر. مذ عرف أنني فقير أغناني.
(٢) أقنى: جعل لي ما اقتنيه (أملكه، ثروة). ولم يطلب مني أن أتذلَّ له.
(٣) قعدت بأمرِي: عجزت عن تدبير أموري.
(٤) الخود: المرأة الجميلة. عرفات: هضبة شرق مكة يقف عليها الحجاج.
(٥) أحرمت: دخلت في الإحرام (نية القيام بالحج).
(٦) أفاض الحجاج: رجعوا من الوقوف بعرفات.
(٧) الجمرات: سبع حصى صغيرة يرمي بها كلُّ حاج في المصَّب (حينما ذهبت لرمي الجمار أو الجمرات).

لم أُنَلْ من مَنى مَنى النفسِ حتَّى خِفْتُ بالخَيْفِ أَنْ تكونَ وَفَاقِي^(١).

٤- * * * وفیات الأعیان ٥: ٤١٧-٤١٩؛ عنوان الأریب ١: ٣٧-٣٨.

أحمد بن قرلمان^(٢)

هُوَ أَبُو عُمَرَ أَحْمَدُ بْنُ قَرْلَمَانَ مِنْ أَهْلِ قُرْطُبَةٍ، سَمِعَ مِنْ قَاسِمِ بْنِ أَصْبَغَ (ت ٣٤٠ هـ) وَالْحَسَنِ بْنِ سَعْدٍ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي ثَامِنَ عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ ٣٧٧ (٨ / ٤ / ٩٨٨ م).

قال ابنُ الفَرَضِيِّ: «كَانَ (ابنُ قَرْلَمَانَ هَذَا) حَافِظًا لِلْفِقْهِ عَلَى مَذْهَبِ مَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ، وَكَانَ يُؤَدِّبُ^(٣) بِالْقُرْآنِ. وَكَانَ مِنَ الْعُبَادِ الْمُتَبَتِّلِينَ، لَقِيَتْهُ وَلَمْ أَكْتُبْ عَنْهُ، وَلَا حَدَّثَ فِيمَا أَعْلَمُ».

٤- * * * ابنُ الفَرَضِيِّ ١: ٦٧ (رقم ١٨٢)؛ أعمالُ الأعلام ٥٠.

(١) بعد الوقوف في عرفات بييت الحجاج ليلة في منى ثم يتابعون سيرهم إلى مكة لطواف الإفاضة. الخيف مكان قرب منى.

(٢) للدكتور احسان عباس في «كتاب التشبيهات» (ص ٣٢٥) تعليق قيم على الأبيات التالية (ص ٢١، رقم ١٠).

أرى أرجل الجوزاء غير بوارح وأيدي الثريا كالسقيم صحيحها.
وهمت ولم تمض السبيل كأنها من الأين صرعي أنختها جروحها.
وللبدر إشراق عليها كأنه رقيب على ألا يتم جنوحها.

قال في تعريف قائلها عيسى بن قرلمان: «عيسى بن عبد الله بن قرلمان (بالزاي) أبو الأصبح الحازن الملقب بالزبرائة.... شاعر مشهور....، ويرد اسمه ابن قرلمان (بالراء المهملة في بعض المصادر). وكان واحداً من الذين اعتقلهم صاحب المدينة (رئيس الشرطة) عام ٣٦١ لأنهم يجتمعون على (نظم أشعار في الهجاء يتناولون بها أعراض الناس). وذكر الزبيدي من اسمه فرج أبو محمد ابن قرلمان (قرلمان في المطبوعة) وقال: وكان الأغلب عليه علم النجوم وكان شاعراً مطبوعاً وسكن إشبيلية.... وهناك ابن قرلمان آخر هو عبيد الله وكان من موالي عبد الرحمن بن الحكم (المتوفى ٢٣٨ هـ) والمختصين به وكان شاعراً أيضاً». (انتهى تعليق احسان عباس موجزاً). وفي النسخة التي بين يدي من «طبقات النحويين واللغويين» (تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، مصر ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م، ص ٣٣٤): قرلمان (بالفاء والزاي) ثم ضمت في التصويبات (ص ٤٠٨): قرلمان (بالقاف وبالزاي أخت الراء). ويبدو أن ابن قرلمان الذي ترجم له هنا غير هؤلاء الثلاثة (راجع المصادر والمراجع). ثم إنني أفضل ضبط الاسم قرلمان (أو على الأصح: قارلمان: قارله مانيوس أو قارل الكبير).

(٣) يؤدب بالقرآن: يقرأ القرآن للصبيان (في بيوتهم!).

أبو بكر الزبيدي

١- هو أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢٠) بن عبد الله بن مذجج بن محمد بن عبد الله بن بشر الزبيدي الإشبيلي، وُلِدَ في إشبيلية، سَنَةَ ٣١٦ هـ (٩٢٨ م) ودرَسَ في قرطبة على نفرٍ منهم: قاسم بن أصبغ (ت ٣٤٠ هـ) وأبو عثمان سعيد بن فحلون (٢٥٢-٣٤٦ هـ) وأحمد بن سعيد بن حزم (ت ٣٥٠ هـ) وأبو علي القالي (ت ٣٥٦ هـ) ومحمد بن يحيى الرباحي (ت ٣٥٨ هـ).

عَهَدَ الْحُكْمُ الْمُسْتَنْصِرُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الزَّبِيدِيِّ^(١) بِتَأْدِيبِ وَلِيِّ عَهْدِهِ هِشَامٍ (وُلِدَ سَنَةَ ٣٥٤ هـ)، فَعَلَّمَهُ الزَّبِيدِيُّ الْحِسَابَ وَالْعَرَبِيَّةَ. وَلَمَّا جَاءَ هِشَامٌ إِلَى الْخِلَافَةِ (٣٦٦ هـ) جَعَلَ أَبَا بَكْرٍ الزَّبِيدِيَّ قَاضِيًا فِي إِشْبِيلِيَّةٍ (بِرُوكْلَمَانَ ١ : ١٤٠)؛ وَلَعَلَّهُ فِي ذَلِكَ الْحِينِ تَوَلَّى أَيْضًا خُطَّةَ الشَّرْطَةِ. ثُمَّ أَلَّفَ أَبُو بَكْرٍ الزَّبِيدِيُّ كِتَابًا فِي الرَّدِّ عَلَى مَذْهَبِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْرَةَ (٣١٩ هـ)، وَكَانَ مَذْهَبُهُ مُزِيجًا مِنْ آرَاءِ الْمُعْتَزِلَةِ وَمِنْ الْآرَاءِ الْإِسْرَاقِيَّةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ وَالصُّوفِيَّةِ. وَلَعَلَّهُ بَدَأَ تَأْلِيفَ هَذَا الْكِتَابِ بَعْدَ اسْتِبدَادِ الْمُنْصُورِ أَبِي عَامِرٍ بِالْحُكْمِ (٣٦٧ هـ)، لِأَنَّ الْمُنْصُورَ كَانَ يَنْصُرُ مَذْهَبَ أَهْلِ السَّنَةِ وَيَكْرَهُ مَذْهَبَ الْفَلَّاسَةِ.

وَكَانَتْ وَفَاةُ أَبِي بَكْرٍ الزَّبِيدِيِّ فِي إِشْبِيلِيَّةٍ، فِي أَوَّلِ جُمَادَى الثَّانِيَةِ مِنْ سَنَةِ ٣٧٩ (٦/٩/٩٨٩ م).

٢- قَالَ ابْنُ خَلَّكَانَ (٤ : ٣٧٢) عَنْ أَبِي بَكْرٍ الزَّبِيدِيِّ: «كَانَ أَوْحَدَ عَصْرِهِ فِي عِلْمِ النُّحُوِّ وَحِفْظِ اللُّغَةِ، وَكَانَ أَخْبَرَ أَهْلِ زَمَانِهِ بِالْإِعْرَابِ وَالْمَعَانِي وَالنُّوَادِرِ (الْأَلْفَاظِ الْقَلِيلَةِ الْإِسْتِعْمَالِ) إِلَى عِلْمِ السِّيَرِ وَالْأَخْبَارِ. وَلَهُ كُتُبٌ تَدُلُّ عَلَى وَفُورِ عِلْمِهِ». وَالزَّبِيدِيُّ شَاعِرٌ مَكْتَرٌ تَغَلَّبَ عَلَى شِعْرِهِ نَفْحَةٌ مِنَ التَّصَوُّفِ وَأَكْثَرُ فَنَوْنِهِ الزُّهْدُ وَالْحِكْمَةُ مَعَ شَيْءٍ مِنَ التَّعْرِيفِ وَالتَّهْكِيمِ. وَلَهُ شَيْءٌ مِنَ الْغَزْلِ وَالنَّسِيبِ وَالشُّكْوَى. وَمِنْ كُتُبِهِ: مُخْتَصَرُ كِتَابِ الْعَيْنِ (لِلخَلِيلِ بْنِ أَحَدٍ) - طَبَقَاتُ النُّحَوِّيِّينَ وَاللُّغَوِيِّينَ

(١) منتصف ذي القعدة من سنة ٣٦٢ (١٦/٨/٩٧٣ م)

(بالمشرق والأندلس من زمن أبي الأسود الدؤلي إلى زمن شيخه أبي عبد الله الرباحي النحوي)- هتك ستور الملحدين (في الرد على ابن مسرّة وأتباعه)- كتاب لحن العامة (ما يلحن فيه عوامّ الأندلس)- كتاب الواضح (في العربية: النحو)- كتاب الأبنية (في النحو).

٣- مختارات من آثاره

- اشتاق أبو بكر الزبيدي- وهو في قرطبة- إلى إشبيلية فاستأذن أمير المؤمنين الحكم في الرجوع فلم يأذن له، فكتب أبو بكر إلى جارية له اسمها سلمى في إشبيلية:

وَيْحَكَ، يَا سَلَمُ، لَا تُرَاعِي، لَا بُدَّ لِلَّيْنِ مِنْ زَمَاعٍ^(١).
لَا تَحْسَبِيَنِي صَبَرْتُ إِلَّا كَصَبْرِ مَيْتٍ عَلَى النِّزَاعِ^(٢).
مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ عَذَابٍ أَشَدَّ مِنْ وَقْفَةِ الْوَدَاعِ.

- من مقدّمة كتاب طبقات النحويين واللغويين:

..... ولم تزل العربُ تنطقُ على سَجِيَّتِها في صدر إسلامها وماضي جاهليّتها حتّى أظهر الله الإسلامَ على سائر الأديان فدخل الناس فيه أفواجاً وأقبلوا إليه أرسالا^(٣)، واجتمعت فيه الألسنة المتفرقة واللغات المختلفة ففشا الفساد في اللغة العربية، واستبان^(٤) منها الإغراب الذي هو حليها والموضح لمعانيها..... فعظم الإشفاقُ من فُشو ذلك وغلبته حتّى دعاهم^(٥) الحذرُ من ذهاب لغتهم وفساد كلامهم إلى أن سبّبوا الأسباب في تقييدها لمن ضاعت عليه.

(١) لا تراعي: لا تخافي، لا ترهي. البين: البعاد، البعد، الفراق. الزماع: المضاء في الأمر والعزم عليه.

لا بدّ للين من زماع: لا بدّ من أن يوطّن الإنسان نفسه على البين ويصبر.

(٢) النزاع (بسكون الزاي): والنزاع (وليست في القاموس): قلع الحياة، خروج الروح من البدن.

(٣) الأرسال: المجاعات.

(٤) استبان: (في الأصل): وضع وظهر. ويقصد المؤلف: ذهب (منها الإغراب).

(٥) دعا علماء اللغة.

ولم تزل الأئمة من الصحابة ومن تلاهم من التابعين يحضون على تعلّم العربية وحفظها والرعاية لمعانيها إذ هي من الدين بالمكان المعلوم: فيها أنزل الله كتابه المهيم على سائر كتبه، وبها بلغ رسوله عليه السلام وظائف طاعته وشرائع نهيه. وكذلك كانوا يحضون على رواية الشعر الذي هو حكمة العرب في جاهليتها وإسلامها، وديوانها الذي أقامته مقام الكتاب^(١) لما تقدّم من مآثرها وأيامها، فكانوا يتناشدونه في مجالسهم ويتذكرون به في محافلهم.....

وإن أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله - رضي الله عنه - لما اختصه الله به ومنحه الفضيلة فيه من العناية بضروب العلوم والإحاطة بصنوف الفنون، أمرني بتأليف كتاب يشتمل على ذكر من سلف من النحويين واللغويين في صدر الإسلام ثم من تلاهم من بعد... إلى زماننا هذا، وأن أطبقهم^(٢) على أزمانهم وبلادهم بحسب مذاهبهم في العلم ومراتبهم، و(أن) أذكر مع ذلك موالدهم وأسنانهم ومُدَدَ أعمارهم وتاريخ وفاتهم على قدر الإمكان في ذلك، وبحسب الإدراك له، وأجلب جملة من تُتف أخبارهم والحكايات المتضمنة لفضائلهم المُشتملة على محاسنهم ليكون ذلك شكراً لجميل سعيهم وحيد مقامهم، إذ كان ذلك من حقهم على من أدّوا إليه علمهم وأعملوا في صلاحه جهدهم، وكان في تقييد أخبارهم وتخليد مآثرهم ما يُبقي لهم لسان الصديق الذي هو بدل البقاء والخلد.....

- لأي بكر الزبيدي مقطّعات فيها لَفَتَات بارعة. من هذه المقطّعات:
أبا مُسلم، إنّ الفتي مجنّانه ومِقُوله لا بالمراكب واللّبس^(٣)
وليس ثياب المرء تُغني قُلامة إذا كان مقصوراً على قِصر النفس^(٤).

(١) الكتاب: الكتابة والتدوين.

(٢) أجعلهم طبقات، جماعات متقاربة في الزمن أو في المرتبة.

(٣) الجنان (بالفتح): القلب (العلم، الشجاعة، الخير الخ). المقول: اللسان (حسن التعبير، الكلام الجميل). المركب (الدابة): البرذون (بكسر الباء وفتح الذال): البغل، الحصان، الخ. اللبس (بالكس): ما يلبس، الكسوة، الثوب.

(٤) تغني: تفيد. قلامة: ما يقطع عادة من الظفر. قصر النفس: على مقياس الجسم لدفع الحر أو البرد (٢).

وليس يُفِيد العِلْمَ والحِلْمَ والحِجَا، أبا مسلم، طولُ القعود على الكرسي^(١).
 ★ الفقر في أوطاننا غربةً، والمال في الغربة أوطانُ.
 والأرض شتَّى كلها واحد، والناس إخوان وجيران.
 ★ أتركِ الهَمَّ إذا ما طَرَقَكَ، وكلِ الأمرِ إلى مَنْ خلقَكَ^(٢).
 وإذا أمَّلَ قومٌ أحداً، فإلى ربِّكَ فامدُدْ عُنُقَكَ^(٣).
 ما طلبتُ العلومَ إلاَّ لأنِّي لم أزل من فنونها في رياضِ.
 ما سواها له بقلبي حظٌّ غيرَ ما كان للعيون المِراضِ^(٤).
 ★ أشعرنَّ قلبَكَ يا سَا، ليس هذا الناس ناسًا.
 ذَهَبَ الإبريز منهم فَبَقُوا بَعْدُ نُحاسًا^(٥).
 سامريّــــين يقولو نَ جميعاً: «لا مِساسا!»^(٦)

٤- كتاب الاستدراك (باعتناء كويدي)، روما ١٨٩٠ م.
 - طبقات النحويين واللغويين (تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم)، مصر (محمد سامي أمين الخانجي)، ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م.
 - لحن العوام (نشره رمضان عبد التّواب)، القاهرة (مكتبة دار العروبة) ١٩٦٤ م؛ (تحقيق عبد العزيز مطر)، الكويت (مكتبة الأمل) ١٩٦٨ م.
 ★ ابن الفرضي ٩٢: ٢ (رقم ١٣٥٥)؛ جذوة المقتبس ٤٣-٤٦؛ (الدار المصرية) ٤٦-٤٩ (رقم ٣٤) بغية الملتبس ٥٦-٥٧ (رقم ٨٠)؛ مطمح الأنفس ٥٣-٥٥؛ إنباء الرواة ٣: ١٠٨-١٠٩؛ المتمدون من الشعراء (حيدر آباد) ٢٥٠-٢٥٦؛ معجم الأدباء ١٨: ١٧٩-١٨٤؛ المغرب ١: ٢٥٠-٢٥١؛ وفيات الأعيان ٤: ٣٧٢-٣٧٤؛ الوافي

- (١) الجلوس على الكرسي: احتلال المناصب الرفيعة كالوزارة والقضاء. إن نيل المناصب لا يجعل الإنسان عالماً ولا حليماً ولا عاقلاً.
- (٢) طرقتك الهَمُّ: أتى عليك ما يهَمُّكَ (يجزئك). كل (بكسر فسكون) فعل أمر من وكل: عهد (بالأمور) إلى، سلّم، فوّض.
- (٣) امدد عنقك: ارفع رأسك بالدعاء.
- (٤) العيون المِراض (المریضة): الفاترة، الناعسة.
- (٥) الابريز: الذهب.
- (٦) «لا مِساس» (٢٠: ٩٧، سورة طه): لا تَمَسَّنِي (لا تطلب مني شيئاً).

بالوفيات ٢: ٣٥١؛ الديباج المذهب ٢٦٣؛ شذرات الذهب ٣: ٩٤-٩٥؛ بغية الوعاة ٣٤؛ نفح الطيب ٤: ٦-٨؛ بروكلمن ١: ١٣٩-١٤٠، الملحق ١: ٢٠٣؛ نيكل ٤٦-٤٧، مختارات نيكل ٣٤-٣٥؛ الأغلام للزركلي ٦: ٣١٢ (٨٢).

ابن جُلجل

١- هو أبو أيوبَ أبو داودَ سُليمانُ بنُ حَسَّانِ المعروفُ بابنِ جُلجلٍ، يبدو أنه وُلِدَ في قُرطُبةَ سَنَةِ ٣٢٢ (٩٣٤ م).

بدأ ابن جُلجلٍ تَلَقَّى العِلْمَ باكراً، قال هو في العاشرة من عُمُرِهِ، فسمع الحديثَ من أبي حزمٍ وهبِ بنِ مَسَرَّةَ (ت ٣٤٦) وأبي بكرٍ أحمدَ بنِ الفضلِ الدِينُورِيِّ (ت ٣٤٩ هـ) ومحمدِ بنِ هلالٍ وإسحاقَ بنِ إبراهيمٍ ومن أحمدَ بنِ سَعِيدِ الصَّدَقِيِّ المُنْتَجَالِيِّ (٢٧٤-٣٥٠ هـ) والأُسَعدِ بنِ عبدِ الوارثِ. وأخذَ النَحْوَ عن محمدِ بنِ يحيى الرِّبَاحِيِّ (ت ٣٥٨ هـ) قرأ عليه كتابَ سَيَبَوَيْهِ في سَنَةِ ٣٥٨ نفسها. غيرَ أنَّ ابنَ جُلجلٍ عُنِيَ بالطِّبِّ خاصَّةً وَبَلَغَ منه الغايةَ وَهُوَ لا يزالُ في مَطْلَعِ شبابه. إلَّا أنَّ شُهْرَتَهُ تأخَّرتَ كثيراً حتَّى أَصْبَحَ طبيباً للخليفةِ هِشامِ المُؤَيَّدِ (٣٦٦-٣٩٩ هـ). ولعلَّ وفاةَ ابنِ جُلجلٍ كانتَ سَنَةَ ٣٨٥ (٩٩٥ م).

٢- يبدو أنَّ ابنَ جُلجلٍ قد عُنِيَ بعددٍ من فنونِ المعرفة. وَمَعَ أنَّه اهتمَّ بعلمِ الطبِّ خاصَّةً، فالواضحُ أنَّه كانَ أَقْدَرَ على التَّأليفِ منه على التَّطبيبِ. له من الكتب: تفسِيرُ أسْماءِ الأدويةِ المُفْرَدَةِ من كتابِ ديسقوريدس (العين زريّ)- مقالةٌ في ذِكْرِ الأدويةِ التي لم يذكُرْها ديسقوريدس في كتابِ صِناعَةِ الطبِّ- مقالةٌ في أدويةِ التَّيرِياق- رسالةُ التَّبَيُّنِ فيما غَلَطَ فيه بعضُ المُتَطَبِّبِينَ- طبقاتُ الأطبَّاءِ والحُكَّماءِ (ألفه سنة ٣٧٧).

٣- مختارات من آثاره

- مقدِّمةُ كتابِ «طبقاتُ الأطبَّاءِ والحُكَّماءِ» لابنِ جُلجلٍ، ثم خاتمته^(١):

سألتَ، أَيُّها الشَّريفُ الأديبُ^(٢)، أنْ أَكْتُبَ إِلَيْكَ بِها تَأْدِي إِلَيَّ عِلْمُهُ، مِمَّا

(١) ص ٤-١ ثم ص ١١٦- هذه الترجمة ومعظم حواشي المختارات مأخوذة من طبعة فؤاد سيّد لكتاب «طبقاتُ الأطبَّاءِ والحُكَّماءِ».

(٢) لم يسمَّ ابنُ جُلجلٍ «الشَّريفَ» الذي أَلَفَ هذا الكتابَ برسمه وقَدَّمه إليه، وإن كان الملموحُ أنَّه أحدُ أبناءِ الخلفاءِ المروانيين في الأندلس.

تَصَفَّحْتُ مِنْ كُتُبِ الْمَاضِينَ وَسَيَرِ الْمُتَقَدِّمِينَ، عَنْ أَوَّلِ مَنْ وَضَعَ صِنَاعَةَ الطِّبِّ وَتَكَلَّمَ فِيهَا فِي بَدْءِ الزَّمَانِ وَقَبْلَ الطُّوفَانِ وَبَعْدَهُ، وَفِي أَيِّ زَمَانٍ كَانَ كُلُّ مُتَكَلِّمٍ فِيهِ يَمْنُ شَنْعِ اسْمِهِ وَفَشَا ذِكْرُهُ^(١) وَصَحَّتْ بَرَاعَتُهُ وَتَمَّتْ حِكْمَتُهُ وَخَلَدَ عِلْمًا نَافِعًا وَذِكْرًا بَاقِيًا.

وَذَكَرْتَ أَنَّكَ لَمْ تَرَ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ فِي ذَلِكَ كِتَابًا مَرْضِيًّا وَلَا كَلَامًا مُقْنِعًا مُشْبِعًا، فَصَادَفْتَ مِنِّي نَشَاطًا إِلَى تَقْيِيدٍ مَا سَأَلْتَ وَرَغِبْتَ، إِذْ كَانَ عِنْدِي مَا رَجَوْتُ أَنْ أَحْسِمَ بِهِ عَنْكَ الشُّبْهَةَ وَأُبْلِّغَكَ مِنْ ذَلِكَ الْغَايَةَ^(٢)، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَلِمَا رَجَوْتُ مِنْ هَذِهِ الرِّسَالَةِ مِنْ إِحْيَا ذِكْرٍ قَوْمٍ قَدْ دَرَسَ ذِكْرُهُمْ وَامَّحَى أَثَرُهُمْ. وَلَمْ أَصِلْ، أَيُّهَا الشَّرِيفُ، إِلَى عِلْمٍ مَا قَيَّدْتُهُ لَكَ فِي رِسَالَتِي هَذِهِ إِلَّا بَعْدَ النَّظَرِ وَالْبَحْثِ لِلْكَتَبِ الْقَدِيمَةِ كِتَابِ الْأُلُوفِ لِأَبِي مَعْشَرٍ الْمَنْجَمِ^(٣) وَكِتَابِ هُرُوسِيَشِ صَاحِبِ الْقِصَصِ^(٤) وَكِتَابِ الْقُرُونِ الْقَدِيمَةِ لِيُرُونِ التَّرْجُمَانِ^(٥) وَكَأَخْبَارٍ رَأَيْتُهَا لِحُكَمَاءِ الْيُونَانِيَةِ أَسْتَدَلَّتْ بِهَا عَلَى مَكَانٍ كُلِّ حَكِيمٍ مِنْهُمْ وَدَرَجَتِهِ وَفِي دَوْلَةٍ مِنْ كَانَ مِنَ الْمُلُوكِ.

فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَى عِلْمٍ ذَلِكَ - وَكَانَ السَّبَبُ فِي تَأْلِيفِي هَذَا الْكِتَابَ تَحْرِيكًا لِي - لَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي عُذْرًا فِي التَّخَلُّفِ عَنْ إِسْعَافِكَ فِيمَا سَأَلْتَهُ وَرَغِبْتَهُ. فَقَيَّدْتُ ذَلِكَ وَوَجَّهْتُ بِهِ إِلَيْكَ. فَكُنْ بِهِ سَعِيدًا، وَمَنْ اللَّهُ مُوَفِّقًا رَشِيدًا. فَقَدْ نَحَلَّكَ بَارِيكَ بِنَحْلَةٍ^(٦) مِنَ الْعُلَمَاءِ فَضَّلَكَ بِهَا مِنْ ذَوِي الْهِمَمِ النَّاقِصَةِ الْمُظْلَمَةِ، كَمَا قَالَ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْإِنْجِيلِ

-
- (١) شَنْعَ (كَذَا فِي الْأَصْلِ). وَالْمَقْصُودُ «شَاعَ». فَشَا ذِكْرُهُ: انْتَشَرَ صَيْتُهُ.
 - (١) حَسَمَ الشُّبْهَةَ: بَيَّنَّ الْأَمْرَ الْخَلْفَ فِيهِ، رَدَّ الْبَاحِثَ إِلَى الْيَقِينِ. بَلَغَ الْغَايَةَ: مَنَّتْهُ مَا يَصِلُ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ (مِنْ الصَّوَابِ).
 - (٣) أَبُو مَعْشَرٍ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَلَكَيِّ (ت ٢٧٢ هـ) لَهُ كِتَابُ الْأُلُوفِ فِي بَيُوتِ الْعِبَادَاتِ (فِيهِ ذِكْرُ الْهَيَاكِلِ وَالْبَنِيَانِ الْعَظِيمِ الَّذِي يَحْدُثُ بِنَاؤُهَا فِي الْعَالَمِ فِي كُلِّ أَلْفِ عَامٍ).
 - (٤) هُرُوسِيَشِ أَوْ بَاوُلُوسُ أَوُرُوسِيُوسُ مُؤَرِّخُ إِسْبَانِي عَاشَ فِي الْقَرْنَيْنِ الرَّابِعِ وَالْخَامِسِ الْمِيلَادِيِّينَ. وَكِتَابُ الْقِصَصِ كِتَابٌ فِي تَارِيخِ الْبُرُومِ فِي الْعَصُورِ الْقَدِيمَةِ.
 - (٥) الْقَدِّيسُ يِرُونِمُ (جِيرُومُ) أَحَدُ عُلَمَاءِ الْكَنِيسَةِ فِي عَصْرِهِ (ت ٤٢٠ هـ) لَهُ كِتَابُ قُرُونِيَا أَوْ «حَوْلِيَاتُ» (كِتَابُ تَارِيخٍ مُرَتَّبٍ عَلَى السَّنِينَ).
 - (٦) نَحَلَّكَ (وَهَبَكَ) (بَارِيكَ: خَالَقَكَ).....

الظاهر: كُلُّ نَحْلَةٍ يُوهِبُهَا الشَّخْصُ مِنَ الْعَقْلِ فَهِيَ نَازِلَةٌ مِنْ بَابِ النُّورِ مِنَ الْعُلَا^(١).
فاشكر الله على مَوْهَبَتِهِ، ومجّده على نِحْلَتِهِ، واضرّع إليه في الاستزادة من فضله
فالعَمُونُ منه وبه لا شريك له.....

.... قد ذكرتُ، أئِها الشريفُ، ما أحاطَ به علمي وبلغه إدراكي من وصفِ
الحُكَمَاءِ والأطباءِ المشهورين غير المشكوكِ فيهم، مِنْ لَدُنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الزَّمانِ
الذي كُنَّا فيه وَهُوَ زَمَنُ الْمُؤَيَّدِ بِاللَّهِ بِحُوزَةِ الْأَنْدَلُسِ^(٢). وذكرنا مَنْ كانَ منهم بِالْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ. ولم نذكر من كانَ بِالْمَشْرِقِ مشهوراً- من لَدُنْ دَوْلَةِ الرَّاضِي إِلَى أَيَّامِ الطَّائِعِ
لِلَّهِ^(٣)- إِذْ لَمْ تَكُنْ حَوَازِنَا وَلَا جِهَتَنَا، وَلَا ظَهَرَ رَجُلٌ بَارِعٌ فِي تِلْكَ الدُّوَلِ فَيَكُونُ
معروفاً بِرِئاسَتِهِ ومشهوراً بِإِحْسَانِهِ مَعَ تَرَاحِي تِلْكَ الدُّوَلِ بِمَا دَخَلَ فِيهَا مِنْ مُلْكِ
الدَّيْلَمِ والأَتْرَاقِ الَّذِينَ لَا نِفَاقَ^(٤) لشيءٍ مِنَ الْعِلْمِ عِنْدَهُمْ. وَإِنَّا يَظْهَرُ الْحُكَمَاءُ بِظُهُورِ
دُولِ الْمُلُوكِ الطَّالِبِينَ لِلْحِكْمَةِ. وَاقْتَصَرْنَا عَلَى مَنْ عَرَفْنَا بِنَاجِيَتِنَا بِالْأَنْدَلُسِ إِذْ كَانُوا
مشهورينَ معروفينَ ظاهرينَ فِي دُولِ أُمَّةٍ لِلْعِلْمِ طَالِبِينَ وَعَنِ الْحِكْمَةِ بَاحِثِينَ، مُلُوكِ
أَبْنَاءِ مُلُوكِ^(٥). وَاقْتَصَرْنَا عَلَى ذِكْرِ الْمَشْهُورِينَ الظَّاهِرِينَ الْخَادِمِينَ، وَأَضْرَبْنَا عَنْ ذِكْرِ
مَنْ كَانَ فِي زَمَانِهِمْ مِمَّنْ لَمْ يُوَازِهِمْ وَلَا حَلَّ مَحَلَّهُمْ، إِذْ لَمْ يَكُونُوا فِي اتِّسَاعِ الذِّكْرِ مِثْلَ
هَؤُلَاءِ. وَوَصَفْتُ صِفَاتِهِمْ وَأَقْدَارَهُمْ وَمَا ظَهَرَ لَهُمْ مِنَ النُّوَادِرِ وَالْأَخْبَارِ. وَاقْتَصَرْنَا
عَلَى قَلِيلٍ مِنْ كَثِيرٍ لِيَلَّا يَمَلُّهُ قَارِئُهُ وَلِيَسَهِّلَ عَلَى النَّفْسِ حِفْظُهُ. وَالْكَلَامُ إِذَا طَالَ
ثَقُلَ. وَحَسْبُنَا أَنْ نَبْهِنَا وَأَنْبَأَنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بِأَحْسَنِهِ وَأَخَفِّهِ.....

٤- طبقات الأطباء والحكماء (بتحقيق فؤاد سيّد)، القاهرة (مطبوعات المعهد الفرنسي

(١) ترد في المصادر العربية أعداد (جل) من التوراة ومن الإنجيل مختلفة كثيراً أو قليلاً أو غير معروفة
في التوراة والأنجيل الموجودة بأيدي الناس.

(٢) المؤيد بالله: هشام الثاني بن الحكم (عاشر خلفاء الأندلس ٣٦٦-٣٩٩ هـ). حوزة الأندلس (ناحية
الأندلس، ملك الأندلس).

(٣) الراضي بالله العباسي (٣٢٢-٣٢٩ هـ) والطائع لله العباسي (٣٦٣-٣٨١ هـ).

(٤) النفاق (بفتح النون): الرواج، الانتشار، الاقبال على الأشياء.

(٥) ملوك أبناء ملوك (كذا في الأصل)، والأصوب «ملوكاً أبناء ملوك».

للآثار الشرقية: نصوص ونقول لمؤلفين مشاركة، رقم ١٠)، القاهرة (مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية) ١٩٥٥ م؛ بغداد مكتبة المثنى.

★ ★ جذوة المقتبس ٢٠٨ (الدار المصرية) ٢٢٥ (رقم ٤٥٣)، بغية المنتسب ٢٨٥ (رقم ٧٦٧)، وفيات الأعيان ١٦٠:٥ (نقول عنه)، طبقات الأطباء ١: ٢١، ٢٧، ٢٨، ٤٩، ٥٤، ٧٧، ٨٠ (نقول عنه لا ترجمة له)، القفطي ١٩٠، دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٥٥-٧٥٦، تاريخ الفكر الأندلسي ٤٦٥، بروكلمن ١: ٢٧٢، الملحق ١: ٤٢٢، الأعلام للزركلي (١٩٧٩) ٣: ١٢٣.

ابن أبي زيد القيرواني

١- هو أبو محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن القيرواني النَّفَرِيّ، نسبةً إلى قبيلة نَفَرَة أو نَفَرَاوَة، وُلِدَ في القيروان سنة ٣١٠ (٩٢٢-٩٢٣ م) وتلمذ على أبي بكر محمد ابن أحمد بن اللباد (ت ٣٣٣) وعلى غيره.

رَحَلَ ابن أبي زيد إلى المشرق وحجَّ وسَمِعَ من جماعة من العلماء ثم عاد إلى القيروان وقضى فيها مُعْظَمَ حياته. ولقد عانى محنةً شديدةً من الدولة العبيدية (الفاطمية، الإسماعيلية) التي سادت في المغرب (٢٩٧-٣٦٢ هـ). وكانت وفاته في ٣ شعبان من سنة ٣٨٦ (١٧ / ١١ / ٩٩٦ م).

٢- كان ابن أبي زيد إمام علماء القيروان في زمانه، وهو الذي لَخَّصَ المذهب المالكيّ فَسَهَّلَ بذلك انتشاره فأصبح هو يُعْرَفُ بِلقب «مالك الأصغر». ثم هو مُصَنَّفٌ أكثرُ له من الكتب: الرسالة (في الفقه) - كتاب النوادر (جمع فيه ما في أمّهات كتب الفقه على المذاهب المختلفة من المسائل ومن أقوال الفقهاء واختلافهم) - مناسك الحج - السنن - العقيدة - مختصر المدونة - الأمر والاعتداء - النهي عن الشذوذ عن العلماء - إيجاب الائتام بأهل المدينة - مسألة النكاح بغير بيّنة - الذبّ (الدفاع) عن مذهب مالك - الدعاء - تفسير مسألة الأعيان في الخمس - أحكام المعلمين والمتعلمين - الجامع في السنن والأدب في الرق - جملة

مختصرة من واجب أوامر الدين - باكورة السعد - بديعية^(١). وكان له شعر عادي، بعضه شعر ديني (بديعيات: شعر في مدح محمد رسول الله).

٣- مختارات من آثاره

- كَتَبَ ابنُ أبي زيدٍ إلى مُحَرِّزِ بْنِ خَلْفِ التُّونِسي رسالةً في تعليمِ الولدانِ أمورَ الديانة، جاء في مَطْلَعِها:

أَمَّا بَعْدُ- أَعَانَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ عَلَى رِعَايَةِ وَدَائِعِهِ وَحِفْظِ مَا أَوْدَعَنَا مِنْ شَرَائِعِهِ- فَإِنَّكَ سَأَلْتَنِي أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكَ جُمْلَةً مُخْتَصَرَةً مِنْ وَاجِبِ أُمُورِ الدِّينَانِ تَمَّا تَنْطِقُ بِهِ الْأُنْسَانُ وَتَعْتَقِدُهُ الْقُلُوبُ وَتَعْمَلُهُ الْجَوَارِحُ (مَعَ) شَيْءٍ مِنَ الْأَدَابِ مِنْهَا وَجُمْلٍ مِنْ أَصُولِ الْفِقْهِ وَفَنُونِهِ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. (ذلك) لِيَا رَغِبْتَ فِيهِ مِنْ تَعْلِيمِ ذَلِكَ لِلْوُلْدَانِ كَمَا تُعَلِّمُهُمْ حُرُوفَ الْقُرْآنِ لِيَسْبِقَ إِلَى قُلُوبِهِمْ مِنْ فَهْمِ دِينِ اللَّهِ وَشَرَائِعِهِ مَا تُرْجَى لَهُمْ بَرَكَتُهُ وَتُخَمَدُ لَهُمْ عَاقِبَتُهُ. فَأَجَبْتُكَ إِلَى ذَلِكَ لِيَا رَجَوْتُهُ لِنَفْسِي وَلَكَ مِنْ ثَوَابِ مَنْ عَلَّمَ دِينَ اللَّهِ أَوْ دَعَا إِلَيْهِ.

وَأَعْلَمْتُ أَنَّ خَيْرَ الْقُلُوبِ أَوْعَاها لِلْخَيْرِ، وَأَرْجَى الْقُلُوبِ لِلْخَيْرِ مَا لَمْ يَسْبِقِ الشَّرَّ إِلَيْهِ. وَأَوَّلَى مَا عُنِيَ بِهِ النَّاصِحُونَ وَرَغِبَ فِي أَجْرِهِ الرَّاعِبُونَ إِيصَالُ الْخَيْرِ إِلَى قُلُوبِ أَوْلَادِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَرْسَخَ فِيهَا، وَتَنْبِيَهُمْ عَلَى مَعَالِمِ الدِّينَانِ وَحُدُودِ الشَّرِيعَةِ لِيُرَاضُوا عَلَيْهَا، فَإِنَّهُ رُوِيَ أَنَّ تَعْلِيمَ الشَّيْءِ فِي الصِّغَرِ كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ. وَقَدْ مَثَلْتُ لَكَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَنْتَفِعُونَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، بِحِفْظِهِ، وَيَشْرَفُونَ بِعِلْمِهِ، وَيَسْعَدُونَ بِاعْتِقَادِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ.....

٤- الرسالة، فاس بلا تاريخ؛ القاهرة بلا تاريخ؛ ثم القاهرة ١٣٣٨ هـ؛ (نشرها رسل وسهروردي مع ترجمة إلى الإنكليزية)، لندن ١٩٠٦ م؛ (نشرها؟ فانيان في مجموعة أشرف عليها أستاذة مدرسة اللغات الشرقية الحية في باريس، مع ترجمة فرنسية)، باريس ١٩١٤ م.

(١) راجع في كتبه فهرسة ابن خير ٢٤٦-٢٤٧، مقدمة ابن خلدون ٨٠٧-٨٠٠، ١٠٤٣، بروكلمن ١؛ ١٨٧-١٨٨، الملحق: ١-٣٠١-٣٠٢.

★ ★ الديباج المذهب ١٣٦-١٣٨؛ وفيات ابن قنفذ ٢٢١؛ شذرات الذهب ٣: ١٣١؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٩٥؛ بروكلمن ١: ١٨٧-١٨٨، الملحق ١: ٣٠١-٣٠٢؛ الأعلام للزركلي ٤: ٢٣٠-٢٣١ (سقط من الطبعة الرابعة ١٩٧٩)؛ المجلد في تاريخ الأدب التونسي ١٠٦.

يحيى بن هذيل القرطبي الكفيف

١- هو أبو بكر يحيى بن هذيل بن الحكم بن عبد الملك بن اسماعيل التميمي القرطبي الكفيف، كان مولده نحو سنة ٣٠٠ (٩١٢-٩١٣ م). سمع الحديث من أحمد ابن غالب، وأخذ عن ابن القوطية (ت ٣٦٧ هـ). وقدم يحيى بن هذيل إلى المشرق (شرق الأندلس!) فأخذ عنه الرمادي الشاعر (ت ٤٠٣ هـ) وغيره (معجم الأدباء ٢٠: ٣٩). وكانت وفاة يحيى بن هذيل سنة ٣٨٩ (٩٩٩ م)^(١).

٢- كان يحيى بن هذيل من أهل العلم والأدب والشعر ذا بديهة- قيل فيه: عالم أدب الأندلس (نفع الطيب ٤: ٣٦)- ولكن غلب عليه الشعر. وشعره جيد رائق تكثر فيه المقطعات الوجدانية في النسيب والحكمة.

٣- مختارات من شعره

- لأبي بكر يحيى بن هذيل مقطعات منها:

لا تَلْمِني على الوقوفِ بدارٍ أهلها صَيَّروا السقامَ ضَجيعي^(٢)؛
جعلوا لي إلى هواهم سبيلاً ثم سدّوا عليّ بابَ الرُّجوع!

- وقال في النسيب أيضاً:

شاهدتهم وأنا أخافُ عِناقهم شحاً على أجسامهم أن تُحرقاً^(٣)؛
فتركتُ حظي من دُنُوّي منهم؛ ومن الوفاء بأن تُحبَّ وتصدّقاً.

(١) من نكت الهميان ومعجم الأدباء. وفي معجم الأدباء أيضاً: وقد جاوز التسعين. وفي جذوة المقتبس

ووفيات الأعيان: توفي سنة ٣٥٦ أو ٣٥٨ وهو ابن ستّ وثمانين سنة.

(٢) الوقوف بدار: الوقوف في مكان كان يسكنه الأحبة.

(٣) شحاً: بجلاً، ضناً. - أخاف إن دنوت منهم (اقتربت إليهم) لأعانقهم أن يحترقوا من شدة نار حبي.

وأقلُّ فعلي يومَ بانوا أنِّي قبلت آثارَ المطيِّ تشوقاً^(١).
ولَوْ أَنَّ عُدْرَةَ شاهدتُ من مَوْقي شيئاً لحدَّرها بالألَّ تغشقا^(٢)!

- في نفح الطيب (٣: ١٥٣ - ١٥٤): قال الحميدي: أنشد بحضرة بعض ملوك الأندلس قطعة لبعض أهل المشرق، وهي:

وماذا عليهم لو أجابوا فسلموا، وقد علموا أني المشوق المتيم^(٣).
سروا ونجوم الليل زهر طوالع، على أنهم بالليل للناس أنجم^(٤).
وأخفوا على تلك المطايا مسيرهم فتمَّ عليها في الظلام التيسم^(٥).
فأفرط بعض الحاضرين في استخسانها، وقال: هذا ما لا يقدر أندلسي على مثله،
وبالحضرة أبو بكر يحيى بن هذيل فقال بديها:

عرفتُ بعرفِ الريح أين تيمموا، وأين استقلَّ الطاعنون وخيموا^(٦).
خليلي، رُدَّاني إلى جانبِ الحمى؛ فلتُ إلى غيرِ الحمى أتيم^(٧).
أبيتُ سميرَ الفرقدين كأنها وسادي قتادٌ أو ضجيمي أرقم^(٨).
وأخورُ وسانُ الجفونِ كأنه قضيبٌ من الریحان لذنُّ منعم^(٩).

- (١) بانوا: ابتمدوا، رحلوا. المطيَّ جمع مطية: الراحلة، الدابة التي يسافر الناس عليها.
- (٢) عُدْرَة = بنو عُدْرَة. بنو عُدْرَة قبيلة كانت تسكن في بادية الحجاز اشتهر أفرادها بالحب، وبأن أحدهم كان إذا أحب ترك طعامه وشرابه ونومه ورياً مات من شدة حبه. يقول الشاعر: لو أنَّ بني عُدْرَة شاهدوا أثر الحبِّ في أنا لتركوا هم الحبِّ خوفاً من نتائجه على الحبِّ.
- (٣) المشوق: المشتاق، الحب. المتيم: الذي ذلَّه الحبُّ وأضناه (أسقمه وأمرضه).
- (٤) سري: سار ليلاً. زهر: لامعات (لشدة ظلام الليل). طوالع: عاليات في كبد السماء (في نصف الليل).
- (٥) المطية: الدابة التي يسافر الناس عليها - سافروا على تلك المطايا في منتصف الليل حتَّى يخفوا مسيرهم (سفرهم) عن الحبِّ.
- (٦) العرف: الراحلة الطيبة. تيمم: قصد، اتَّجه. وأين استقلَّ = ومن أين استقلَّ (بدأ السفر، نهض من مكانه ليسير). الطاعن: المسافر. خيم: نزل، نصب خيامه ليسكن.
- (٧) أبيت: أقضي الليل. سمير الفرقدين: ساهراً مع الفرقدين. الفرقدان: النجم القطبي (وهو نجم مزدوج يتألف من نجمين) وهو لا يفيب أبداً - يقصد الشاعر أن الحبَّ يجعله يسهر الليل كله فلا ينام أبداً.
- (٨) الحور (بفتح ففتح) شدة بياض العين وشدة سواد سوادها. وسان الجفون: ناعس العينين. الریحان: نبت له رائحة طيبة. لدن: طري. المنعم: الذي لا يكلفه أهله أعبالاً متعبة، ولذلك يظلَّ جسده ليناً ناعماً ممشوقاً.

نظرتُ إلى أجنانهِ وإلى الهوى فأنقنتُ أني لستُ مِنْهُنَّ أسلمُ^(١).
- قال يحيى بن هذيل القرطبي في المباهاة ببناء القبور:

أرى أهل الثراء إذا تُوفُّوا بنوا تلك المراصد بالصخور^(٢).
أبوا إلا مُباهاةً وفخراً على الفقراء حتَّى بالقبور.
عجبتُ لمن تأنقَ في بنة أميناً من تصاريِفِ الدهور،
ألم ينصُرْ بما قد خرَّبته الد هورٌ من المدائن والقصور^(٣)؟
وأقوامٍ مَضَوْا قَوْماً فقوماً وصار صغيرُهم إثرَ الكبير^(٤)؟
لَعَمْرُ أبيهم، لو أنصروهم لما عَرَفُوا الغنيَّ من الفقير،
ولا عَرَفُوا العبيدَ من الموالى، ولا عَرَفُوا الإناثَ من الذكور^(٥).
إذا أَكَلَ الثرى هذا وهذا، فما فضلُ الجليلِ على الحقير؟

٤- * * * المقتبس (الحجبي - بيروت) ٢٠٥-٢٠٦؛ ابن الفرضي ٢: ١٩٣ (رقم ١٦٠٢)؛
جدوة المقتبس ٣٥٨-٣٥٩ (رقم ٩٠٧) (الدار المصرية) ٣٨٠-٣٨١ (رقم
٩٠٨)؛ بغية الملتبس ٤٩٥-٤٩٦ (رقم ١٤٩٥)؛ معجم الأدباء ٢٠: ٣٩-٤٠؛
نكت الهيان ٣٠٧-٣٠٨؛ وفيات الأعيان ٤: ٣٦٩، ٧: ٢٢٩؛ نفع الطيب ٣:
٧٣-٧٤، ٧٤، ١٥٣، ٤: ٣٦؛ نيكل ٦٠-٦١، مختارات نيكل ٤٠-٤١؛ الأعلام
للزركلي ٩: ٢٢٣-٢٢٣ (٨: ١٧٥-١٧٦).

- (١) مِنْهُنَّ = من أجنانه.
(٢) المرصد: مكان رصد النجوم (المكان المرتفع)، يقصد: بنوا (بفتح النون) قبورهم عالية مشرفة (ليراها الناس).
(٣) بصر (بفتح فضم) به: علم، أدرك.
(٤) صار: انتهى إلى مصيره.
(٥) المولى: السيد.

أبو القاسم بن العريف القرطبي

١- هو أبو القاسم الحسين بن الوليد بن نصر المعروف بابن العريف النحوي. أخذ ابن العريف النحوي عن ابن القوطية (ت ٣٦٧). ثم أنه رحل إلى المشرق فأقام في مصر مدة سمع في أثنائها من الحافظ ابن رشيق ومن أبي طاهر الذهلي وغيرهما. بعدئذ عاد إلى الأندلس فجعله المنصور بن أبي عامر مؤدباً لأولاده. وكان بين ابن العريف وبين أبي بكر الزبيدي (ت ٣٧٩) وصاعد البغدادي (ت ٤١٧ هـ) وغيرها مناظرات كان المنصور بن أبي عامر يحضرها. ولكن المناظرات بين صاعد وابن العريف أشدت فانقلبت منافسة فعداوة (أنظر مختارات من شعره). وكانت وفاة أبي القاسم بن العريف في طليطلة، في رجب من سنة ٣٩٠ (أواسط ١٠٠٠ م).

٢- كان أبو القاسم بن العريف أديباً وإماماً في العربية (النحو)، عارفاً بصنوف الآداب وشاعراً رقيقاً مقتدرًا في تقليد أساليب الشعراء (على ما ترى في المختارات، وإن كنت لم أجد له في المصادر التي بين يدي شعراً أصيلاً واضح النسبة إليه). وكانت له مصنفات منها: كتاب في النحو - كتاب شرح الجمل (للزجاج) - كتب الرد على أبي جعفر النحاس في كتابه «الكافي» - رسالة في إعراب قولهم: إن الضارب الشاتم والده كان زيدا (يستقصي فيها ثمانية وثلاثين وجهاً!!) - معاني الحروف وأقسامها (فهرسة ابن خير ٣٢٠).

٣- مختارات من شعره

- لما قال صاعد البغدادي في مجلس المنصور بن أبي عامر يصف ورده:

أَتَتْكَ، أبا عامر، ورده يُدَكِّرُكَ الْمِسْكَ أَنْفَاسُهُ
كَمَـذَرَاءَ أَبْصَرَهَا مُبْصِرٌ ففطنت بأكنامها^(١) رأسها!

زعم ابن العريف أن صاعداً سرق الأبيات من العباس بن الأحنف ثم ادعى أنه رأى تيممة لها في كتاب قديم في بيته. زعم ابن العريف أن الأبيات هي:

(١) أكام جمع كم (بالضم): الأوراق الخضر التي تغطي الزهرة قبل أن تتفتح الزهرة.

غَدَوْتُ إِلَى قَصْرِ عَبَّاسٍ، وَقَدْ جَدَلْتُ النُّومَ حُرَّاسَهَا^(١)؛
فَأَلْفَيْتُهَا - وَهِيَ فِي خِذْرَهَا - وَقَدْ صَدَّعَ السُّكْرُ أَتَّاسَهَا^(٢).
فَقَالَتْ: «أَسِرْتَ عَلَى هَجْمَةٍ؟» فَقُلْتُ «بلى!» فَرَمَتْ كَاسَهَا^(٣)؛
وَمَدَّتْ يَدَيْهَا إِلَى وَرْدَةٍ يُحَاكِي لَكَ الطَّيْبُ أَنْفَاسَهَا،
كَمَنْ ذَرَاءَ أَبْصَرَهَا مُبْصِرٌ ففَطَّنتُ بِأَكْبَامِهَا رَاسَهَا.
وَقَالَتْ: «خَفِ اللَّهَ، لَا تَفْضَحَنَّ فِي آبْنَةِ عَمِّكَ عَبَّاسَهَا^(٤)».
فَوَلَّيْتُ عَنْهَا عَلَى خَجَلَةٍ وَمَا خِثْتُ نَاسِي وَلَا نَاسَهَا.

٤- ★ ★ ابن الفرضي ١: ١٣٤ - ١٣٥ (رقم ٣٥٦)؛ جذوة المقتبس ١٨٢ - ١٨٣ (الدار المصرية) ١٩٤ - ١٩٥ (رقم ٣٧٧)؛ بغية الملتبس ٢٥١ - ٢٥٢ (رقم ٦٥٥)؛ معجم الأدباء ١٠: ١٨٢ - ١٩١؛ بغية الوعاة ٢٣٧ - ٢٣٨؛ البلغة ٧١ - ٧٢؛ نفع الطيب ١: ٥٨٢ - ٥٨٤، ٣: ٧٧ - ٧٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧١٣؛ الأعلام للزركلي ٢: ٢٨٧ (٢٦١).

المنصور بن أبي عامر

١- هو أبو عامر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر بن الوليد بن يزيد ابن عبد الملك المَعافِرِيُّ القَحْطَانِيُّ (من عرب الجنوب)، وأُمُّهُ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ بَرْنَهَةُ بنتُ يحيى بن زَكْرِيَّا التَّمِيمِيَّةِ (من عرب الشمال) من بني بَرطَالٍ في قُرْطُبَةٍ. وكان عبدُ الملك المَعافِرِيُّ هو الذي دَخَلَ الأَنْدَلُسَ مَعَ طَارِقِ بْنِ زِيَادٍ ثُمَّ سَكَنَ بِلْدَةَ طَرُشَ في الجزيرة الخضراء (جَنُوبِي الأَنْدَلُس) حيثُ أَقَامَ لِنَفْسِهِ أُسْرَةً وَجِيهَةً قَوِيَّةً. وَأَمَّا أَبُو حَفْصِ عَبْدِ اللَّهِ (والدُّ المَنْصُورِ بنِ أَبِي عَامِرٍ) فَكَانَ مَعْرُوفًا بِالتَّقْوَى وَالْعِلْمِ وَبِالزُّهْدِ فِي مَنَاصِبِ الدَّوْلَةِ، وَقَدْ مَاتَ عِنْدَ طَرَابُلُسِ الْغَرْبِ، فِي أَثْنِ رَجُوعِهِ مِنَ الْحَجِّ، فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ (ت ٣٥٠).

وَأَمَّا المَنْصُورُ بنُ أَبِي عَامِرٍ فَقَدْ وُلِدَ (فِي طَرُشَ!) سَنَةَ ٣٢٦ (٩٣٧ - ٩٣٨ م).

- (١) جدل: صرع (ألقى بالحصم أرضاً)، قتل. غدا: ذهب في الصباح.
- (٢) الخدر: مخدع الفتاة في البيت. صدع السكر أتاسها (ندمانها، الذين يؤانسونها): أفقدهم وغيهم.
- (٣) أسرت على هجمة: هل جئت إلينا والذين حولي نيام؟
- (٤) عباس (بالضم) جمع عباس (بالفتح): عاذل، غاضب، خصم.

ولَمَّا شَبَّ قَدِمَ إِلَى قُرْطُبَةَ طَلَباً لِلْعِلْمِ فَتَلَقَّى اللُّغَةَ عَلَى أَبِي عَلِيٍّ الْبَغْدَادِيِّ الْقَالِي (ت ٣٥٦) وَأَبِي بَكْرٍ بْنِ الْقَوَيْطِيَّةِ (ت ٣٦٧)، كَمَا سَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْقُرَشِيِّ. ثُمَّ إِنَّ ابْنَ أَبِي عَامِرٍ أَصْبَحَ كَاتِباً لَدَى الْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدٍ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ السَّلِيمِ (٣٠٦ - ٣٦٧ هـ).

وَفِي سَنَةِ ٣٥٦ (٩٦٧ م) عَهَدَ الْحَكَمُ الْمُسْتَنْصِرُ إِلَى ابْنِ أَبِي عَامِرٍ بِجَمِيعِ شُؤْنِ ابْنِهِ الْأَمِيرِ هَاشِمٍ وَجَعَلَهُ نَازِراً عَلَى أَمْلَاقِ زَوْجَتِهِ صُبْحٍ^(١). وَفِي سَنَةِ ٣٥٨ أَصْبَحَ قَاضِياً لِلْجُنْدِ فِي إِشْبِيلِيَّةَ وَلَبْلَةَ ثُمَّ (٣٦١ هـ) أَصْبَحَ صَاحِبَ الشَّرْطَةِ. وَقَدْ اسْتَطَاعَ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ بَلْبَاقَتَهُ وَدَهَائِهِ وَكَرَّمَهُ أَنْ يَنَالَ حَظَوَةً لَدَى أَهْلِ الْبَلَاطِ جَمِيعِهِمْ.

وَلَمَّا مَاتَ الْحَكَمُ الْمُسْتَنْصِرُ بُويعَ لَهُشَامٍ بِالْخِلَافَةِ، فِي رَابِعِ صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ ٣٦٦ (٢/ ٩٦٧ م)، وَلُقِّبَ «الْمُوَيْدَ»، قَبْلَ أَنْ تَتِمَّ لَهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً، فَأَقَامَتْ أُمُّهُ صُبْحُ نَفْسَهَا وَصِيَّةً عَلَيْهِ. فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ جَعَلَ هَاشِمٌ خِطَطَ الشَّرْطَةِ الْوُسْطَى وَالسِّكَّةِ وَالْمَوَارِيثِ لَابْنِ أَبِي عَامِرٍ. وَفِي عَاشِرِ صَفَرٍ جَعَلَ هَاشِمٌ الْحِجَابَةَ (رِئَاسَةَ الْوِزَارَةِ) لْجَعْفَرِ بْنِ عَثَانَ الْمُصْحَفِيِّ (رَاجِعْ، فَوْقَ، ص ٢٩٤) وَجَعَلَ ابْنَ أَبِي عَامِرٍ وَزِيْراً لِلْمُصْحَفِيِّ.

وَفِي سَنَةِ ٣٦٦ نَفْسَهَا كَثُرَ الْاضْطِرَابُ فِي أَقَاصِي الْأَنْدَلُسِ وَخِيفَ مِنْ هُجُومِ النَّصَارَى عَلَى شِمَالِي الْأَنْدَلُسِ، فَعَقَدَتْ صُبْحُ مَجْلِساً ضَمَّ رِجَالَ الدَّوْلَةِ وَفِيهِمْ غَالِبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الصَّفَلِيِّ - وَكَانَ قَائِداً قَدِيراً تَوَلَّى الْجَيْشَ وَالْفِرَاقَاتِ مِنْذَ أَيَّامِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ - وَجَعْفَرُ بْنُ عَثَانَ الْمُصْحَفِيِّ وَابْنُ أَبِي عَامِرٍ. فَأَجْمَعَ أَهْلُ الْمَجْلِسِ عَلَى وَجُوبِ تَجْهِيزِ جَيْشٍ كَبِيرٍ لِلْجِهَادِ، فَلَمْ يَجْزُرْ أَحَدٌ عَلَى الْقِيَامِ شَخْصِيّاً بِالْحَرْبِ. فَتَقَدَّمَ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ لَتَوَلَّى مِثْلَ هَذِهِ الْفِرَاقَةِ. وَكَانَتْ صُبْحُ حَرِيصَةً عَلَى تَثْبِيتِ مَكَانَةِ أَبْنِهَا بِكُلِّ سَبِيلٍ فَأَعْطَتْ ابْنَ أَبِي عَامِرٍ كُلَّ مَا طَلَبَهُ مِنْ مَالٍ وَجُنْدٍ. وَكَانَ ابْنُ أَبِي

(١) السَّيِّدَةُ صَبِيحَةُ الْبُشْكُنْسِيَّةِ (مِنْ الْبُشْكُنْسِ: سُكَّانُ الْغَرْبِ الشِّمَالِيِّ الْغَرْبِيِّ مِنْ إِسْبَانِيَا) كَانَتْ زَوْجَ الْحَكَمِ الْمُسْتَنْصِرِ وَأُمُّ ابْنِهِ هَاشِمٍ. وَكَانَ الْحَكَمُ يَسْمِيهَا «جَعْفَر» تَحَبُّباً. كَانَتْ امْرَأَةً قَدِيرَةً. وَكَانَتْ - بَلَا رَيْبٍ - ذَاتَ أَثَرٍ كَبِيرٍ فِي رَفْعِ مَكَانَةِ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ. وَفِي الرِّوَايَاتِ كَلَامٌ كَثِيرٌ عَلَى صِلَةِ صَبِيحَ بَابِنِ أَبِي عَامِرٍ وَاخْتِلَافِ أَكْثَرِ.

عامرٍ داهيةً فجعلَ غالباً القائدَ الأعلى للجيش (حتى إذا هُزِمَ الجيشُ كان اللومُ على غالبٍ) وتولَّى هو القيادةَ الفعليةَ. وسارَ الجيشُ في رَجَبٍ من سَنَةِ ٣٦٦ (آذار - مارس ٩٧٨ م). وانتصر ابنُ أبي عامرٍ نصراً عظيماً فزادَ ذلك في مكانتهِ عندَ الناسِ وعند صُبحٍ.

وفي أواخرِ تلكَ السَنَةِ نفسها أدركَ ابنُ أبي عامرٍ مَدَى قُوَّتِهِ ومدى ضَعْفِ مَنْ حوَلَهُ فاستبدَّ بالأمرِ وحجَبَ هشاماً فأصبحَ الحاكمَ الفعلي في الأندلسِ. ثم بدأ في التفكيرِ بالتخلُّصِ من خصومه. وفي سَنَةِ ٣٦٨ للهجرة بدأ ببناءِ مدينةِ الزاهرة، شرقَ قُرْطُبَةَ على النهرِ الأعظم (نهرِ الوادي الكبير) وجعلَهَا مَقَرّاً له وعاصمةً للأندلس (لأنَّ الزهراءَ مَقَرَّ عبدِ الرحمنِ الناصرِ وابنهِ الحاكمِ المُستنصرِ كانت مَقَرّاً لخصومه السياسيين). وتمَّ بناءُ الزاهرة سَنَةَ ٣٧٠ هـ فانتقلَ ابنُ أبي عامرٍ إليها. وفي السَنَةِ التالية تَلَقَّبَ « المنصور » فأصبحَ يُعرَفُ في التاريخ باسمِ المنصور بنِ أبي عامرٍ.

وقد دَبَّرَ المنصورُ بنُ أبي عامرٍ مقتلَ نفرٍ كثيرينَ كان يَخْشاهم على نفوذه الشخصي أو على الدولةِ المروانية في الأندلس: دَبَّرَ مقتلَ غالبِ الصَّقْلِيِّ (٣٧٠ هـ) والمُصْحَفِيِّ (٣٧٢ هـ) وجَعْفَرَ بنِ عَلِيِّ بنِ حَمْدُونٍ (٣٧٢ هـ) والشريفِ الحَسَنِيِّ الإدريسي حَسَنَ بنِ قَنُونٍ (٣٧٥ هـ) وكان في المَغْرِبِ فجَهَّزَ عليه جيشاً كبيراً. ولَمَّا استسلمَ حَسَنُ بنُ قَنُونٍ للجيشِ أمرَ المنصورُ بحَمْلِهِ إلى قُرْطُبَةَ ثم دَبَّرَ مقتله.

وقاد المنصورُ بنُ أبي عامرٍ خَسينَ غزوةٍ بنفسِهِ (أَو: ثمانِي وخَسينَ) كان مُظَفَّراً فيها كُلُّهَا، وبَسَطَ سُلْطَانُ العَرَبِ في الأندلسَ بعدَ أن كان ذلكَ السلطانُ قد تَراجَعَ في شَاليّ البلادِ وشرقيِّها. وضَبَطَ البلادَ ضَبْطاً مُحْكَمًا.

وكان المنصورُ بنُ أبي عامرٍ مُصاباً بالنقرسِ^(١). وقد تُوفِّيَ في مدينةِ سالمٍ، وهو راجِعٌ من الغزو، ليلةَ الاثنينِ لِثَلَاثِ لَيَالٍ بَقِيْنَ من رَمَضانَ في سَنَةِ ٣٩٢ (٨ / ٨ / ١٠٠٠).

(١) النقرس: داءُ الملوك (مرضٌ يحدثُ في مفاصلِ القدم) ويبدو أَنَّهُ ناشِئٌ عن تجمُّعِ الرواسبِ في مفاصلِ العظامِ. وسَمِّيَ « داءُ الملوك » (الأغنياء) لكثرةِ ترفِ هؤلاءِ في مأكَلِهِم ولإخلاصِهِم إلى الراحةِ فتكثرُ الرواسبُ في أجسامِهِم.

١٠٠٢ هـ) مَبْطُوناً^(١). وجاء في «تاريخ العرب» (المطول) للدكتور فيليب حتي^(٢):
«أما المؤرخُ الراهبُ الذي دَوَّنَ هذه الحادثة فقد علّق عليها بإيجازٍ مُعبراً عن شعورِ
نصارى إسبانيةٍ تجاهها فكتب: في سنة ١٠٠٢ مات المنصورُ فدُفِنَ في جهنّم».

٢- قال ابنُ خَلْدُون: ومن الوزراء أولئك «الذين عَظُمَت آثارُهم وعَفَّتْ^(٣) على
الملوك أخبارُهم كالحجّاجِ وبني المُهلَّبِ والبرامكةِ وبني سَهْلِ بنِ نُوْبَخْتِ وكافورِ
الإخشيديّ وابنِ أبي عامرٍ وأمثالهم فغيرُ نكيرِ الإلماغُ بآبائهم والإشارة إلى أحوالهم
لانتظامهم في عِدَادِ الملوك».

وقد كان المنصورُ بنُ أبي عامرٍ من دُهاة العرب والحازمين في الأمور وذوي
الشجاعة والبأس. وكذلك كان قاسياً شديداً القسوة في سبيلِ الحِفاظ على الدولة وفي
سبيل نفسه أحياناً كثيرة. وكان له أيضاً أشياء متفرقة من النثر الحكيمِ ومن الشعرِ
المتين، وإن لم يكن على شعرة نضارة ولا عُذوبة لأنّه من شعرِ العلماء والفرسان.

٣- مختارات من آثاره

- لما غَضِبَ المنصورُ بنُ أبي عامرٍ على جَعْفَرِ المصْحفِيّ وألقاه في السِجنِ كتب
جعفرُ إلى المنصورِ يتذلّلُ له ويَعْرِضُ عليه نفسه ليكونَ مُؤدِّباً لابْنِهِ عبدِ الله وعبدِ
الملك. فقال المنصورُ:

«أرادَ (جعفر) أن يَسْتَجْهَلَنِي وَيُسْقِطَنِي عندَ الناس، وقد عَهِدُوا مِنِّي ببابه مُؤمّلاً
ثم يَرَوْنَهُ اليومَ بدهليزي مُعلّماً».

- وَعَلِمَ أن امرأةً مُسلمةً كانت أسيرةً مُنْذُ زمنٍ في كنيسةٍ عندَ غرسيه ملكِ
البُشْكُنْسِ (برُغمِ معاهدةٍ بينهما تقضي بإطلاق جميع الأسرى) فقال:

«كان قد عاهدني ألاّ يبقى في أرضه مأسورةٌ ولا مأسورٌ ولو حَمَلْتَهُ في حواصِلِها

(١) المبطون: الذي يشتكي بطنه (انتفاخ بطنه من ماء أو نحوه).

(٢) تاريخ العرب لحتي (نقله إلى العربية أدورد جرجي وجبرائيل جبور) بيروت ١٩٥١، ٣: ٦٣٥.

(٣) المقدمة (بيروت، مكتبة المدرسة، ١٩٦١) ص ٥٢.

النسور. وقد بَلَّغَنِي، بعدُ، مُقامُ فلانةِ المسلمةِ بتلك الكنيسة. ووالله، لا أُنْتهِي عن أرضهِ حتَّى أُكْتَسِحَهَا».

- وقال يوماً: «إِنَّ الْمَلِكَ لَا يَنَامُ إِذَا نَامَتِ الرَّعِيَّةُ. وَلَوْ اسْتَوْفَيْتُ نَوْمِي لَمَا كَانَ فِي دُورِ هَذَا الْبَلَدِ الْعَظِيمِ عَيْنٌ نَائِمَةٌ».

قال المنصورُ بنُ أبي عامرٍ يُعَبِّرُ عن طُموحِهِ إلى الاستيلاءِ على المَشْرِقِ لكَشْفِ الظُّلْمِ عن أَهلِ المشرق:

مَنَعَ الْعَيْنَ أَنْ تَذُوقَ الْمَنَامَا حُبُّهَا أَنْ تَرَى الصِّفَا وَالْمَقَامَا^(١).
لِي دِيُونٌ بِالْمَشْرِقِ عِنْدَ أَنْاسٍ قَدْ أَحَلَّوْا بِالْمَشْعَرَيْنِ الْحَرَامَا^(٢).
إِنْ قَضَوْهَا نَالُوا الْأُمَانِي، وَإِلَّا جَعَلُوا دُونَهَا رِقَاباً وَهَامَا^(٣).
عَنْ قَرِيبٍ تَرَى خِيُولَ هِشَامٍ يَبْلُغُ النِّيلَ خَطُوهَا وَالشَّامَا^(٤)!
- وقال في الحماسة والفخر:

رَمَيْتُ بِنَفْسِي هَوَلَ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَخَاطَرْتُ، وَالْحُرُّ الْكَرِيمُ مُخَاطِرُ.
وَمَا صَاحِي إِلَّا جَنَابٌ مُشَيِّعٌ وَأَسْمَرُ خَطِيٌّ وَأَبْيَضُ بَاتِرُ^(٥).
وَإِنِّي لَزَجَّاءُ الْجِيُوشِ إِلَى الْوَعَى أَسوداً تَلَاقِيهَا أَسودُ خَوَادِرُ^(٦).

-
- (١) الصفا والمقام (مقام إبراهيم) في بكة من المشاعر (مناسك الحج). حيث تجب أو تسن العبادة.
(٢) ديون (هنا): ثار. أناس (من الحكام). قد أحلوا الحرام: ظلموا حتّى أصبح ما يحرم فعله مسموحاً (عادة).
(٣) إن قضوها (إن أصلحوا هذا الظلم من تلقاء أنفسهم). جعلوا دونها رقاباً (أجبروني على قطع تلك الرقاب) وهاماً (جمع هامة: رأس).
(٤) هشام: هشام المؤيد (الخليفة الأخوي في الأندلس) وكان المنصور بن أبي عامر قد حجبه (استبدّ مكانه في الحكم). الشام والشام: سورية.
(٥) صاحي: رفيقي. جنان: قلب. مشيع: شجاع. أسمر: رمح. خطي (من بلاد الخط: الشاطئ الشرقي من شبه جزيرة العرب، وكانت الرماح، أو القصب الفارسي الذي تصنع منه الرماح تجلب إليه من الهند) كناية عن جودة تلك الرماح. أبيض: سيف. باتر: قاطع.
(٦) أزجي وزجى: أرسل، بعت. أسود: أبطال. خوادرجع خادر (وهو الأسد الذي يكون في خدره: في الأجمة أو الغابة الصغيرة) كناية على الشجاعة في ذلك الأسد والمفاجئة.

وَسُدْتُ بِنَفْسِي أَهْلَ كُلِّ سِيَادَةٍ وَفَاخَرْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ مِنْ أَفَاخِرِ .
وَمَا شِدْتُ بُنْيَانًا ، وَلَكِنْ زِيَادَةً عَلَى مَا بَنَى عَبْدُ الْمَلِكِ وَعَامِرُ^(١) .
رَفَعْنَا الْمَعَالِي بِالْعَوَالِي حَدِيثَةً ، وَأَوْرَثْنَاهَا فِي الْقَدِيمِ مُعَافِرُ^(٢) .

*** ٤ منصور الأندلس، تأليف علي أدهم، القاهرة (الباي) بلا تاريخ (في سلسلة أعلام الإسلام).

* * راجع كتب التاريخ العامة؛ ثم بغية الملتبس ١٠٥-٠٧ (رقم ٢٤٢) الذخيرة ٤: ٥٦-٧٨ (راجع الفهارس أيضاً)؛ المغرب ١: ١٩٤-١٩٨؛ الحلة السراء ١: ٢٦٨-٢٧٧؛ المعجب ٦٢ وما بعد (مع شيء من التقطع)؛ الوافي بالوفيات ٣: ٣-٣١٣؛ البيان المغرب ٢: ٢٥٣ وما بعد؛ نفح الطيب ١: ٣٩٦-٤٢٢، ٥٧٨-٦٠٤، ٧٦-٩٨؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٣: ٢٥٤-٢٥٦؛ الأعلام للزركلي ٧: ٩٩-١٠٠ (٦: ٢٢٦).

عبد الملك بن شهيد^(٣)

١- هو أبو مروان عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن شهيد بن عيسى بن شهيد بن الوضاح الأشجعي الأندلسي القرطبي، وُلِدَ فِي قُرْطُبَةٍ .
وَتَلَقَّى الْحَدِيثَ خَاصَّةً عَلَى قَاسِمِ بْنِ أَصْبَغَ (ت ٣٤٠) وَوَهْبِ بْنِ مَسْرَةَ .
وَتَوَلَّى عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شَهِيدٍ الْوِزَارَةَ لِلْحَاجِبِ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ وَنَالَ حِظْوَةً عِنْدَهُ ، كَمَا بَقِيَ مُتَّصِلًا بِبِلَاطِ الْخَلِيفَةِ الْحَكَمِ الْمُسْتَنْصِرِ (٣٥٠-٣٦٦ هـ) . وَكَذَلِكَ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ جَهْوَرٍ أَحَدِ وَزَرَاءِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ (٣٥٠-٣٠٠ هـ) مَسَاجِلَةٌ وَمُنَافَسَةٌ .

مَرَضَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شَهِيدٍ فِي شَيْخُوخَتِهِ بِالنِّقْرَسِ (وَرَمَ وَوَجَعَ فِي مَفَاصِلِ الْكَعْبَيْنِ وَأَصَابِعِ الرِّجْلَيْنِ) فَكَانَ يُحْمَلُ فِي مِحْفَةٍ ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَفَارِقْهُ نَشَاطُهُ وَلَا مَرَحُهُ .

-
- (١) مَا شِدْتُ (بَنَيْتُ بِنَاءً جَدِيدًا) وَلَكِنْ زِيَادَةً (زِدْتُ عَلَى الْبِنَاءِ الَّذِي كَانَ قَدْ بَنَاهُ) عَبْدُ الْمَلِكِ وَمُعَافِرُ (مِنْ أَجْدَادِ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ) .
(٢) الْعَوَالِي: الرِّمَاحُ (بِالْحَرْبِ ، بِالْقُوَّةِ) .
(٣) كَانَ ثَلَاثَةً مِنْ آلِ شَهِيدٍ وَزَرَاءَ وَأَدْبَاءَ ، أَبُو مَرْوَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَحْمَدَ هَذَا ؛ ثُمَّ وَالِدُهُ أَبُو عَمْرِو أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ؛ ثُمَّ أَبُو عَامِرُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنُ أَحْمَدَ (ت ٤٢٦ هـ) ، وَسَتَأْتِي تَرْجُمَتُهُ .

وكانت وفاة عبد الملك بن شهيد سنة ٣٩٣ هـ (١٠٠٢ م).

٢- كان عبد الملك بن شهيد شاعراً ناثراً كاتباً ومؤلفاً. كان في شعره مَرَحٌ وحبٌّ للخمر والنساء، كما كان له شيءٌ من الوصف والغزل والهجاء والحكمة. وكانت له معرفةٌ جيّدةٌ بالبلاغة والشعر وبشعراء المشرق وبالتاريخ. وله كتابُ «التاريخ الكبير في الأخبار» رتبه على السنين من سنة ٤٠ إلى أيامه.

٣- مختارات من شعره

- قال عبد الملك بن أحمد بن شهيد (جدوة المقتبس):

أقصرت عن شأوي فعاديتني. أقصر، فليس الجهل من شائي^(١).

إن كان قد أغناك ما تحتوي بخلاً، فإنّ الجود أغنائي.

- خضر عبد الملك بن شهيد، وهو مريضٌ بالنفرس، بعضَ مجالس الأُنس، عند المنصور بن أبي عامر، فاستخفه الطربُ، فقام- برغم مرضه- يرقصُ. ثم قال مرثلاً:

هاك شيخاً قاده السكرُ لكا قام في رقصته مُستهلكاً^(٢).

لم يُطق يرقصها مُستثبتاً فأنشئ يرقصها مُستمسكاً^(٣).

عاقه من هزها مُعتدلاً نقرسٌ أخنى عليه فأتكا،

من وزيرٍ فيهم رقاصةٌ قام للسكر يُناغي ملكاً^(٤).

أنا لو كنتُ كما تعرفني قُمتُ إجلالاً على رأسي لكا.

فهقه الإبريقُ مني ضاحكاً ورأى رَغْشَةً رجلي فبكي.

- وقال في الخمر (نفح الطيب ٣: ٢٦٠):

أما ترى برَدَ يومنا هذا صيرنا للكمون أفذاذاً^(٥)؟

(١) أقصرت أو قصرت عن شأوي (شوطي: المدى أو المسافة التي أستطيع أنا الركض فيها).

(٢) مستهلكاً: عاجزاً عن إقامة جسده.

(٣) مستثبتاً: ثابت القدمين منتصباً (معتمداً في وقوفه على نفسه).

(٤) يناغي (يلاطف في الحديث) ملكاً (رجلاً عظيماً ذا سلطة).

(٥) الكمون (الاختباء في البيوت). أفذاذاً (منفردين).

قد فُطِرَتْ صِحَّةُ الْكُبُودِ بِهِ حَتَّى لَكَادَتْ تَعُودُ أَفْلَاذُ (١).
 فَادْعُ بِنَا لِلشَّمُولِ مُصْطَلِيًّا نَفِذْ سِرًّا إِلَيْكَ إِغْذَاذُ (٢).
 وَادْعُ الْمُسَمَى بِهَا وَصَاحِبَهُ تَدْعُ نَبِيلًا وَتَدْعُ أُسْتَاذًا (٣).
 وَلَا تُبَالِ أَبَا الْعَلَاءِ زَهَا بِخَمَرٍ قُطْرُبُورٍ وَكُلُوَاذًا (٤).
 مَا دَامَ مِنْ أَرْمَلَاطٍ مَشْرُبْنَا دَعْ دِيرَ عَمَى وَطِيزَنَابَاذًا (٥).

- وَقَالَ فِي الْغَزَلِ يَخْلُطُ الْحُجُونُ بِالْعَفَّةِ:

وَيَلِي عَلَى أَحْوَرَ تَيَّاهٍ أَجْدُ فِيهِ، وَهُوَ بِي لَاهِ (٦).
 أَقْبَلَ فِي بَيْضِ حَكَيْنِ الطِّبَا: بَيْضِ تَرَاقٍ حَمْرِ أَفْوَاهِ (٧).
 يَأْمُرُ فِيهِنَّ وَيَنْهَى، وَلَا يَغْصِيْنُهُ مِنْ أَمْرِ نَاهِ.
 حَتَّى إِذَا أَمَكَّنَنِي أَمْرُهُ تَرَكْتُهُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ!

٤- ★ ★ جذوة المقتبس ٢٦١ (الدار المصرية ٢٨٠ (رقم ٦٢٢)؛ بغية الملتبس ٣٦٢ (رقم ١٠٥٧)؛ الصلة ١: ٣٣٨-٣٣٩ (رقم ٧٥٩)؛ الحلة السراء ١: ٢٣٩-٢٤٠؛ المغرب ١: ١٩٨-١٩٩؛ بغية الوعاة ٣١١ (وفيه وفاته ٤٩٣ بالأحرف، وهو خطأ)؛ نفح الطيب ١: ٤٠٠-٤٠١، ٥٨٥-٥٨٦، ٣: ٢٦٠؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٣٨-٩٤٠؛ نيكل ٤٧-٤٩؛ مختارات نيكل ٣٠-٣١؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣٠٠ (١٥٦).

- (١) فُطِرَتْ: قَطَعَتْ. الكبود جمع كبد (بفتح فكسر). أفلاذ جمع فلذة (بالكسر): قطعة.
- (٢) الشمول: الخمر (الباردة أو المبردة). مصطلياً: تعرّض جسمك للنار (في الشتاء) - أدعنا إلى مكان دافئ. أغذ السير: أسرع.
- (٣) وادع معنا شخصاً اسمه «شمول» ورجلاً آخر صاحباً لشمول.
- (٤) لا تبالي أبا العلاء (؟): لا تحفل (لا تهتم) برجل اسمه أبو العلاء. زها: أعجب (بضم فسكون فكسر)، أفتخر. قطربل وكلوذا قريتان في العراق مشهورتان بالأعشاب (وبالخمر).
- (٥) الملموح أن أرملاط من الأندلس. أما طيزناباذ ففي العراق، دير عمى (؟).
- (٦) الأحور: شديد بياض العين وشديد سواد سواد العين. التياه: الذي يعجب بصفاته ويرى نفسه فوق أنداده.
- (٧) ببيض: نساء ببيض (جيلات). حكين: شاهين. الطباء جمع ظبية (الغزال). الترقوة: جانب الصدر الأعلى. ببيض تراق: كناية عن الشباب والجمال.

عبد الملك بن جهور^(١)

١- هو عبدُ الملكِ بنُ جهورٍ، لم أجد فيما بينَ يديّ من المصادر، أكثرَ من أنّه كان وزيراً في أيام عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ)، وأنّه كان بينه وبين ابن شهيد عبد الملك بن أحمد (ت ٣٩٣) شيء من التحاسد. وكانت وفاة عبد الملك بن جهور في سنة ٣٩٣ (١٠٠٢ - ١٠٠٣ م).

٢- كان عبدُ الملكِ بنُ جهورٍ وزيراً جليلاً من عليّة الرجال وسرّوات الكتّاب في فضل آدابهم واتّساع أفهامهم مع المروءة الظاهرة والسيرة الجميلة. وكان كاتباً شاعراً، وشعره وجداً يَدورُ على الوصفِ والغزل والنسيب والعتاب.

٣- مختارات من شعره

- قال عبد الملك بن جهور في الغزل والعتاب^(٢):

يا أحسنَ الناسِ في عينيّ مبتسماً وأعذبَ الخلقِ عندي منطِقاً وفماً^(٣)،
حلّتْ بقلبي من عينيكَ نازلةً من الهوى صيرتني في الورى علماً^(٤).
لم تبقْ جارحةٌ مني أقلبُها إلا بعثتَ عليها بالهوى سقماً^(٥).
فأرحمَ مُقامٍ محبٍّ ما شكَا وبكى تبرُّماً بالذي يلقى ولا ندماً^(٦).
★ أجلكَ أنْ تَعِلَّ بك الأماي، فكيف بأنْ أراك وأنْ ترائي^(٧)؟
وأكرهُ أنْ يمثلكَ التمني حذاراً أنْ ييوحَ به لسانِي.

- (١) آل جهور أسرتان تتداخل أسماء أعضائهما. ويبدو أن في هذه الترجمة شيئاً من التداخل.
- (٢) من عادي أن أعدّ كُتبي للطبع منسوخة على الآلة الكاتبة. ولكنّ المقاطع الثلاثة الأولى معدّة للطبع على ورقة بخطّ اليد نسخت بلا ريب في عام ١٩٧٦ حينما تركت بيتي في الطريق الجديدة بسبب الأحداث المؤسفة في لبنان (أعرف ذلك من أوراق شبيبة مؤرّخة)، فما يدلّ على أنني وجدت هذه الأبيات منسوبة في كتاب ما إلى عبد الملك بن جهور.
- (٣) منطقاً: كلاماً. فم (كناية عن جمال الفم).
- (٤) نازلة: مصيبة. علماً: معروفاً، مشهوراً.
- (٥) جارحة: عضو.
- (٦) مقام (بالضم): موقف، حالة. التبرّم: الملل، الضجر.
- (٧) لا أريد أن تكون مستجيباً لكل أمنية من كلّ إنسان (فإن جميع الناس يحبونك ويتمنون لقاءك، ولكن كيف السبيل إلى أن نجتمع نحن الاثنين؟)

ولو أني استطفتُ، لَفَرَطِ شَجْوِي عليك، لَمَّا رَأَى الحافظان^(١).
وما أَشكو إِلَيْكَ بِغَيْرِ دَمْعِي: بَيَانُ الدَمْعِ أَعْرَبُ مِنْ بَيَانِي^(٢)!
- وقال بين الوصف والنسيب:

قد بَعَثْنَا إِلَيْكَ بِالنَّرْجِسِ الْغَضُّ ضَحَى حَكِي لَوْنِ عَاشِقِي مَعْمُودِ:
فيه رِيحُ الْحَبِيبِ عِنْدَ التَّلَاقِي واصْفَرَّارُ الْحُبِّ عِنْدَ الصُّدُودِ.

ومن شعر أبي مروانَ عبدِ الملك بن جَهْورٍ (جذوة المقتبس ٢٦٣) (٣):

أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ أَحْلَى مِنَ الْمُنَى وأَعَذِبُ مِنْ وَصْلِي مَعَ آيَةِ الصَّيِّ:
فَجَدَدَ لِي شَوْقاً إِلَيْكَ مُذَكِّراً وأَذَكَّى الَّذِي فِي الْقَلْبِ مِنْ لَوْعَةِ الْوَجْدِ^(٤).
وَإِنِّي عَلَى أَضْعَافٍ مَا قَدْ وَصَفْتَهُ لَدَيْكَ مِنَ الشَّوْقِ الْمُبْرَحِ وَالْجَهْدِ^(٥).
فَلَوْ أَنَّنِي أَقْوَى أَطِيرُ صَبَابَةً، جَعَلْتُ جَوَائِي نَحْوَ أَرْضِكُمْ قَصْدِي
عَلَيْكَ سَلَامٌ مِنْ مُحِبٍّ مُتَمِّمٍ يِرَاكُ بَعِينَ الْقَلْبِ فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ^(٦).
★ إِنْ كَانَتْ الْأَبْدَانُ نَائِيَةً فَنَفُوسُ أَهْلِ الظَّرْفِ تَأْتِلُفُ.
يَا رَبُّ مَفْتَرِقِينَ قَدْ جَمَعْتَ قَلْبَيْنِهَا الْأَقْلَامُ وَالصُّحُفُ.

٤- ★ ★ جذوة المقتبس ٢٦٣ (الدار المصرية) ٢٨٢ (رقم ٦٢٦)، نيكل ٤٨-٤٩، بالنبيا ٢٠١، ٦٣.

محمد بن الحسين الطنبني

١- هو أبو عبد الله محمد بن الحسين بن محمد الطنبني، نسبة إلى طنبنة عاصمة

- (١) الشجو: الحزن. الحافظان (الملكان اللذان يكتبان على الإنسان أعماله الصالحة وأعماله الطالحة) (٢).
(٢) كلام دمي أوضح من كلام لساني.

- (٣) الأبيات التالية جواب على كتاب (رسالة) جاءت إليه من صديق له (أنظر البيت الأول).
(٤) أذكى: أوقد، زاد في حرارة الشيء. اللوعة: الحرقه في القلب أو الألم من حب أو مرض. الوجد: الحب الشديد.

- (٥) شوقي إليك أضعاف شوقك إلي. المبرح: الشديد (المؤلم). الجهد: التعب.

- (٦) المتيم: الذي ذلله الحب وأمرضه وذهب بعقله.

مقاطعة الزاب في المغرب الأوسط (القطر الجزائري)، الحماي التميمي نسبة إلى زيد مناة بن تميم.

وُلِدَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الطُّبْنِيُّ نَحْوَ سَنَةِ ٣٠٠ (٩١٣ م) فِي طُبْتَةَ. ثُمَّ إِنَّهُ انْتَقَلَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ سَنَةَ ٣٣١ (٩٤٢ م) وَافْدَا عَلَى الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ. وَسَكَنَ الطُّبْنِيُّ فِي قَرْطَبَةَ وَنَالَ حَظَوَةً عِنْدَ الْمَنْصُورِ فَوَلَّاهُ الْمَنْصُورُ خُطَّةَ الشُّرْطَةِ ثُمَّ اتَّخَذَهُ نَدِيماً.

وَكَانَتْ وَفَاةُ الطُّبْنِيِّ لثَلَاثَ لَيَالٍ بَقِيَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ ٣٩٤ (٢٧ / ١٠ / ١٠٠٣ م).

٢- كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الطُّبْنِيُّ عَالِماً بِأَخْبَارِ الْعَرَبِ وَأَسَاسِيَهُمْ أَدِيباً مُتَفَنِّئاً وَشَاعِراً مُكْتَبِراً مُجِيداً.

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ شِعْرِهِ

- قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الطُّبْنِيُّ فِي الْغَزَلِ، وَهُوَ تَمَّا يَغْنَى بِهِ:

صَدَقْتَ ظَنِيَّةَ الرُّصَافَةِ عَنَّا، وَهِيَ أَشْهُى مِنْ كُلِّ مَا يُتَمَنَّى.
هَجَرْتَنَا، فَمَا إِلَيْهَا سَبِيلٌ غَيْرَ أَنَا نَقُولُ: كَانَتْ وَكُنَّا!
- وَقَالَ فِي الْخَمْرِ:

وَاجْتَمَعْنَا بَعْدَ التَّفَرُّقِ دَهْرًا فَظَلَّلْنَا نَقْطَعُ الْعُمْرَ سُكْرًا.
لَا يَرَانِي إِلَّا طَرِيحًا حَيْثُ تُلْقَى الْفُصُونُ حَوْلِي زَهْرًا،
قَائِلًا كُلَّمَا فَتَحْتُ جَفُونِي مِنْ نُعَاسِ الْخُبَارِ: زِدْنِي خَمْرًا!
- وَقَالَ فِي الْهَجَاءِ:

وَوَعْدٍ إِنْ أَرَدْتُ لَهُ عِقَابًا عَفَا عَنْ ذَنْبِهِ حَسْبِي وَدِينِي.
يُؤْنِسُنِي بِغَيْبَةٍ مُسْتَطِيلٍ وَيَلْقَانِي بِوَجْهِ مُسْتَكِينٍ^(١).

(١) إِذَا كُنْتَ غَائِبًا عَنْ مَجْلِسِهِ أَخَذَ يُؤْنِسُنِي (يُلْوِمُنِي، يُوَبِّخُنِي، يَعْنِفُنِي) وَهُوَ مُسْتَطِيلٌ (يَذْكُرُ تَفَضُّلَهُ عَلَيَّ وَتَعَالِيَهُ فَوْقِي). وَإِذَا اتَّفَقَ أَنْ كُنْتُ مَعَهُ فِي مَجْلَسٍ وَاحِدٍ أَقْبَلَ عَلَيَّ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِذَلِكَ وَخُضُوعٍ.

وقالوا: «قد هجأك». فقلتُ «كَلْبٌ عَوَى جَهْلًا إِلَى لَيْثِ الْعَرِينِ».

٤- ★ ★ ابن الفرضي ٢: ١١٩ - ١٢٠ (رقم ١٤٠٦)؛ جذوة المقتبس ٤٧ (الدار المصرية) ص ٥٠ (رقم ٣٨)؛ بغية الملتبس ٥٨ (رقم ٨٤)؛ الصلة ٢: ٥٦٢؛ المغرب ١: ٢٠١ - ٢٠٢؛ وفيات ابن قنفذ ١٤٩؛ أعلام الجزائر ١٤٩؛ نيكل ٦١؛ الأعلام للزركلي ٦: ٣٢٩ (٩٨).

أبو مروان الجزيري

١- هو أبو مروان عبدُ الملك بن إدريس الأزديُّ الجريُّ من أهلِ قرطبة، ولأه المنصور بن أبي عامرِ الشرطة ثم ولأه ديوانُ الإنشاء (الوزارة). ويبدو أن أبا مروان الجزيري كان يتجراً على المنصور فكان المنصورُ يَسْجِنُهُ مرّةً بعدَ مرّةٍ. وقد سَجَنَهُ مرّةً في برج طُروطوشة ومرّةً في سجن الزاهرة. ثم رَدَّهُ بعدَ السجنِ إلى الوزارة. وبَقِيَ أبو مروان الجزيريُّ في الوزارة إلى أيامِ المظفر بن المنصور. وغَضِبَ المظفرُ عليه فسَجَنَهُ ثم قَتَلَهُ في السِّجْنِ، سَنَةَ ٣٩٤ (١٠٠٣ - ١٠٠٤ م).

٢- أبو مروان الجزيريُّ كاتبٌ مُتَرَسِّلٌ وشاعرٌ مُكثِرٌ يُشَبَّهُ بِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ^(١) في البلاغة والعبقرية. وفنونه المدحُ والعتابُ والوصفُ والحكمة، وأكثرُ شعره في المنصور بن أبي عامرٍ مديحاً أو في المناسبات.

٣- مختارات من آثاره

- قال أبو مروان الجزيريُّ يَصِفُ الْبَذَرَ في ليلةٍ فيها غَيْمٌ يَحْجِبُ الْبَدْرَ حيناً بعد حينٍ: ويخاطب المنصور:

أرى بَذَرَ السَّمَاءِ يُلُوحُ حِيناً فَيَبْدُو ثم يَلْتَحِفُ السَّحَابُ،
وذلك أَنَّهُ لَمَّا تَبَدَّى وَأَبْصَرَ وَجْهَكَ أَسْتَحْيَا وَغَابَا!

(١) راجع الجزء الثاني (توفي ابن الزيات سنة ٢٣٣).

- وقال وهو في السجن:

شَحِطَ الْمَزَارُ، فلا مزارَ، ونافَرتَ عيني المَجُوعَ فلا خيالَ يَغْتري^(١).
أزرى بَصْري وهو مشدودُ العرى، وألَانَ عُودي وهو صُلْبُ المَكْسِرِ^(٢)،
وطوى سُروِي كُلَّهُ وتَلَذَّذِي بالعِيشِ طَيِّ صَحيْفَةٍ لم تُنْشَرِ.
ها إِنَّا ألقى الحَبِيبَ توهُماً بضمير تَذْكَاري وعين تَذْكُري.
عَجَباً لِقَلْبِي يَوْمَ راعَتْنِي النُّوى ودنا وداعي كيفَ لم يَتَفَطَّرَ^(٣)!
- وقال يُخاطِبُ المنصورَ بنَ أبي عامرٍ على لسانِ إحدى بناتِهِ وكان اسمُها
بِنَفْسَحَ:

.... إذا تَدافَعَتِ الحُصُومُ- أَيْدِ اللهَ مولانا المنصور- في مَذاهِبِها وتنافَرتِ في
مَفاخِرِها فَإِلَيْهِ مَفْزَعُها. وهو المَقْنَعُ في فَصْلِ القَضِيَّةِ بَيْنَها لاسْتِيلائِهِ على المَفاخرِ
بأسْرِها وعلِمِهِ بِسِرِّها وجَهْرِها. وقد ذَهَبَ البَهارُ والترَجِسُ^(٤) في وصفِ محاسِنِها
والفخرِ بِمِشائِبِها كُلِّ مَذْهَبٍ. وما مِنُها إِلَّا ذو فَضِيلَةٍ، غيرَ أَنَّ فَضْلِي عَلَيها أَوْضَحُ من
الشَّمسِ التي تَعْلُونَا وأَعْدَبُ من الغَمامِ الذي يَسْقِينَا.

و (إذا) كانا قد تشبَّها في شِعْرِها ببعضِ ما في العالَمِ من جِواهرِ الأرضِ
ومِصابيحِ السَّماءِ،، فَإِنِّي أَتَشَبَّهُ بأَحْسَنِ ما زَيَّنَ اللهُ بِهِ الإنسانَ وهو الحَيَوانُ
الناطقُ، مَعَ أَنِّي أَعْطَرُ مِنْها عَطرَةً وأَحَدُ خُبَرًا، وأَكْرَمُ إِمْتاعاً شَهِداً وغائِباً وِيانَماً
وذابلاً. وكلاهما لا يُمَيِّعُ إِلَّا رِيثُما يَينَعُ^(٥). ثم إذا ذَبَلَتِ تَسْتَكْرِهُ النَفُوسُ شَمَهُ وتَسْتَدْفِعُ
الأَكْفُ ضَمَّهُ. وأنا أُمْنِعُ يابِساً ورَطْباً وتَدَخِرُنِي المُلُوكُ في خَزائِنِها وسائِرُ (اقرأ:

-
- (١) شحط (ابتعد). المجوع: النوم. خيال: نيام، طيف. يمتري (يأتي إلى).
(٢) أزرى: غاب (أزرى بصري: إنَّ السجنَ جعلَ الناسَ يَهْزَأونَ في لَأني ظَهَرَت أَمامَهُم ضَعيفاً). مشدود
العرى: قوي.
(٣) راعَتني أخافَتني. النوى: البعاد. تَفَطَّرَ: تَقَطَّعَ.
(٤) البهار: النبات الأصفر اللون، والأزهار التي تظهر في الربيع. الترجس: زهر حقل (بري) أبيض
البتلات أصفر الوسط (غير الأقحوان).
(٥) الامتاع: إدخال السرور على النفس. اليانع (في الأصل): الثمر إذا نضج.

جميع) الأطبَّاء، وأَصْرَفُ في منافع الأعضاء. فَإِنْ فَخَرَا بِأَسْتِقْلَالِهَا عَلَى سَاقٍ هِيَ أَقْوَى مِنْ سَاقِي، فَلَا غَرْوَ أَنَّ الْوَشْيَ ضَعِيفٌ وَالْهَوَى لَطِيفٌ وَالْمِسْكُ خَفِيفٌ. وَلَيْسَ الْمَجْدُ يُدْرِكُ بِالْصِرَاعِ..... (ثم) لِمَوْلَانَا أُمَّ الْحُكْمِ فِي أَنْ يَفْصِلَ (بَيْنَنَا) بِحُكْمِهِ الْعَدْلُ. وَأَقُولُ:

شَهِدَتْ لِنُورِ الْبَنْفَسِجِ النَّسْنُ مِنْ لَوْنِهِ الْأَحْوَى وَمِنْ إِيْقَاعِهِ^(١).
لِمَشَابِهِ الشَّعْرِ الْأَعْمِّ أَعَارَهُ الـ قَمَرُ الْمَنِيرِ الطَّلُقُ نَوْرَ شُعَاعِهِ^(٢).
مَلِكٌ جَهَلْنَا قَبْلَهُ سُبُلَ الْعُلَا حَتَّى وَضَحْنَ يَنْهَجِهِ وَشِرَاعِهِ^(٣).
فِي سَيْفِهِ قَصْرٌ لِطُولِ نِجَادِهِ وَتَهَامٍ سَاعِدِهِ وَفُسْحَةٍ بَاعِهِ^(٤).
ذُو هِمَّةٍ كَالْبَرْقِ فِي إِسْرَاعِهِ وَعِزِيَّةٍ كَالْحَيْنِ فِي إِيْقَاعِهِ^(٥).
تَلْقَى الزَّمَانَ لَهُ مُطِيعًا سَامِعًا وَتَرَى الْمُلُوكَ الشُّمَّ مِنْ أَتْبَاعِهِ^(٦)!

٤- * * جذوة المقتبس ٢٦١ (الدار المصرية) ٢٨٠ (رقم ٦٢٤)؛ بغية الملتبس ٣٦٢ - ٣٦٣ (رقم ١٠٥٨)؛ الذخيرة ٤: ٤٦ - ٥٢؛ الصلة ٣٢٩ - ٣٣٠؛ اعتاب الكتاب ١٩٣ - ١٩٦؛ نفح الطيب ١: ٥٢٩ - ٥٣٣، ٥٨٦ - ٥٨٨؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣٠١ (١٥٦).

ابن أَبِي زَمَنِين

١- هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى الإلبيري، وَلِدَ في إلبيرة في ذي الحِجَّة من سَنَةِ ٣٢٤ (تشرين الأوَّل - أكتوبر ٩٣٦ م).

- (١) النُّوَار: الزهر. الأُحْوَى: الأسمر (هنا: الأزرق القاتم).
- (٢) مشابه جمع شبه (على غير قاعدة). الشعر الأعم (الوافر، الكثير).....
- (٣) هذا البيت وما يليه في مدح المنصور بن أبي عامر (ولا صلة لها بوصف البنفسج). وضع: ظهر، بان. النهج: الطريق الواضح، الطريقة. الشراع (في القاموس) القلع (بالكسر) الذي تسير به المراكب. (لعله يقصد: ما شرعه المدوح للناس).
- (٤) سيفه قصير لأنَّ ذراعه طويلة يصل بها إلى العدو (ولو كان السيف نفسه قصيراً).
- (٥) النجادة: ما يحمل به السيف. لطول نجاهه (كناية عن طول قامته).
- (٦) الحين: الموت. الإيقاع: إنزال الأذى بالناس.
- (٦) الأشم: العالي قضة الأنف (وكان ذلك عندهم دليلاً عن النسب الملكي الصحيح).

درس ابنُ أبي زمنين الفقهَ والشعرَ في مدينة بيَّانة. وكان فقيهاً مُقدِّماً وزاهداً مُتَبَتِّلاً يَلْحَقُهُ الخشوعُ إذا تلا القرآنَ أو سَمِعَهُ يُتلى فتَسِيلُ دموعُهُ على خَدَيْهِ.

تُوفِّي أبو عبد الله بن أبي زمنين في إلبيرة، في ربيعِ الثاني من سَنَةِ ٣٩٩ (كانون الأول - ديسمبر ١٠٠٨ م).

٢- ابنُ أبي زمنين فقيهٌ وزاهدٌ وشاعرٌ واعظٌ تَغْلِبُ على شعره نَفْحَةُ دينيَّةٍ مع شيءٍ من التشاؤم، ويبدو أن شعره كان كثيراً مُتداولاً بين الناس. وكانت له تَأْلِيفٌ منها: تفسير القرآن - أصول السنن - مُنْتَخَبُ الأحكام - قدوة الغازي - وغير هذه في الزهد والوعظ وأخبار الصالحين - المُقَرَّب في اختصار المدونة - المذهب في الفقه -

٣- مختارات من شعره

- لابن أبي زمنين هذه الأبيات في الزهد والوعظ:

الموتُ في كُلِّ حينٍ ينشُرُ الكفنا، ونحن في غفلةٍ عمَّا يُرادُ بنا.
لا تَطْمَئِنُّ إلى الدنيا وبهجَتِها وإن توشَّختَ من أثوابها الحَسَنا.
أَيْنَ الأَجَبَةُ والجيران، ما فعلوا؟ أين الذين هُم كانوا لنا سَكَنًا؟
سقاَهُمُ الدهرُ كأساً غيرَ صافيةٍ فصَيَّرَتهُم لِأطباقِ الثرى رُهْنًا^(١).
تبكي المنازلُ منهم كُلَّ منسجمٍ بالمَكْرُماتِ، وترثي البِرَّ والمِنَنَّا^(٢).
حَسْبُ الحِمامِ، لو أَبْقاهم وأمهَلهم، ألا يَظُنُّ على مَعْلُوءٍ حَسَنًا^(٣).

٤- * * جذوة المقتبس ٥٣ (الدار المصرية) ٥٦-٥٧ (رقم ٥٧)؛ بغية الملتبس ٧٧-٧٨

(١) رهن (بضمّتين) جمع رهن (يسكون الهاء). بين أطباق الثرى رهن: محبسون بين طبقات الأرض (موتى).

(٢) منسجم بالمكرمات: كثير الكرم. المنسجم: (المطر أو الدمع) السائل، المنهمر. البر: الإحسان إلى الأقربين. المنّة: المعروف الذي يتبرّع الإنسان به لغيره (من غير استحقاق).

(٣) الحمام: الموت. المعْلُوء: الأرض. «حَسَنًا (في القافية) مكررة، ولعلّها خطأ».

(رقم ١٦٠) مطمح الأنفس ٤٩ - ٥٠؛ الوافي بالوفيات ٣: ٣٢١؛
 الديباج المذهب ٢٦٩ - ٢٧١؛ أعمال الأعلام ٥٢؛ وفيات ابن قنفذ ٢٢٤ - ٢٢٥؛
 شذرات الذهب ٣: ١٥٦؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٩٤؛ بروكلمن ١: ٢٠٥؛
 الملحق ١: ٣٣٥؛ نيكل ٦٤، مختارات نيكل ٤٣؛ الأعلام للزركلي ٧: ١٠١ (٣: ٢٢٧).

ابن القزّاز البربري

هو سعيد بن عثمان بن سعيد بن محمد بن سعيد بن عبد الله بن يوسف بن سعيد
 البربري، ويُعرفُ بابن القزّاز اللّغويّ وبلخية الزّبل، من أهل قرطبة، وُلِدَ سنة
 ٣١٥ هـ (١١١٩ م).

روى ابن القزّاز البربري عن قاسم بن أصبغ ومحمد بن محمد بن عبد السلام
 الحسني وأحمد بن بشر بن الأغبس وابن عبد البرّ صاحب التاريخ وسعيد بن فحلون
 وأخذ عن أبي عليّ القاليّ وصحبه. وقد فُقد في وقعة قنتيش، في نصف ربيع الأوّل
 من سنة ٤٠٠ (١١ / ١١ / ١٠٠٩ م).

وكان ابن القزّاز البربري من العلماء في الحديث، والفقه ولكن براعته الأولى كانت
 في اللّغة والنحو، «ومن طريقه صحّت اللّغة بالأندلس بعد أبي عليّ (القالي) ومن
 طريق ابن أبي الحباب وأبي بكر الزبيدي» (الصلة ٢٠٦). وله كتاب في الردّ على
 كتاب «الفصوص» (في النوادر والغريب) لصاعد البغدادي اللغوي.

★ ★ الصلة ٢٠٤ - ٢٠٦ (رقم ٤٦٧)؛ جذوة المقتبس ٢١٥ (رقم ٤٧٥)؛ بغية المتتمس ٢٩٨
 (رقم ٨٠٩)؛ إنباه الرواة ٢: ٤٤ - ٤٧؛ بغية الوعاة ٢٥٦؛ بروكلمن، الملحق ١: ٥٣٩.

ابن شخيص القرطبي

١- هو أبو عبد الله محمد بن مطرف من أهل قرطبة اتصل بالمنصور بن أبي عامر (ت ٣٩٢ هـ) ثم بابنه المظفر من بعده وكان يجالس المظفر. ومات قبل سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ م).

٢- كان ابن شخيص القرطبي « من أهل الأدب المشهورين ومن أعيان الشعراء المُقدِّمين سالكاً في أساليب الجدِّ والهزل، وشعره كثيرٌ مشهور ». وتجد له عدداً من المختارات^(١) في كتاب التشبيهات للكتّاني (ت ٤٢٠ هـ). ولابن شخيص قصائد ومقطّعات. وفنونه الوصف والغزل والمدح والهجاء، وربّما نحواً بدوياً في مديحه ونحواً سوقياً في هجائه.

٣- مختارات من شعره

- قال محمد بن شخيص في الوصف:

كَأَنَّ انْتِشَارَ الطَّلِّ فِي الْوَرْدِ أَدْمَعٌ تَبَدَّى عَلَى زَهْرِ الْخُدُودِ انْتِشَارُهَا^(٢).
كَأَنَّ جَنِيَّ الْأَقْحَوَانِ بَرُوضِهَا تُغَوِّرُ الْعَذَارَى حِينَ رَأَتْ أَثْفَارُهَا^(٣)!

- وقال في الوصف أيضاً:

وَلَمَّا آمَتَرَى فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ بَعْضُهُمْ أَقَامَ لِأَبْصَارِ الْجَمِيعِ مِثَالَهَا^(٤).
فَلِلْعَيْنِ أَنْوَارُ الْبَسَاتِينِ حَوْلَهَا، وَلِلْسَمْعِ تَفْجِيرُ الْمِيَاهِ خِلَالَهَا^(٥).

(١) اثنتا عشرة قطعة تجمع ستة وأربعين بيتاً.

(٢) الطل: نقاط الماء التي تسقط في الصباح الباكر على الأغصان عادة - كأن الورد خدود، وكأن الطل دموع.

(٣) الأقحوان زهر يتألف من دائرة صغيرة صفراء حولها بتلات بيض تشبه الأسنان الأمامية. الجني: الناصر (الزاهي اللون) الطري (الحديد). الأثفار: بدء ظهور الأسنان (الأسنان الجديدة، وتكون صحيحة بيضاء مستوية، الخ).

(٤) لما شك قوم في شكل الجنّة (جهلوا صورتها ووصفها) أنشأ هو في الأرض شبيهاً لها.

(٥) الأنوار جمع نور (بفتح النون): الزهر الأبيض.

كَأَنَّ يَوَاقِيتاً أُذِيتْ فَأَشْرَبَتْ سطوحُ المباني صِبْغَهَا وصِفَالَهَا^(١).
- وقال في النسيب (ويبدو أَنَّ الأبيات التالية والأبيات السابقة من قصيدة واحدة في المديح):

- وقال في تفضيل الوردِ لَأَنَّهُ نَبْتُ سَنَوِيٍّ (يَأْتِي فِي أَوَائِلِ فَصْلِ الرَّبِيعِ بَعْدَ أَنْ تَكُونَ النَّفُوسُ قَدْ أَشْتَاقَتْ إِلَيْهِ) وَتَصْغِيرِ شَأْنِ الْآسِ لَأَنَّهُ نُضَارٌّ (دَائِمُ الْخُضْرَةِ، وَلِذَلِكَ يَمْلُكُهُ النَّاسُ):

وَمُعْتَلَّةِ الْأُجْفَانِ مَا زِلْتُ مُشْفِقاً عَلَيْهَا، وَلَكِنِّي أَلَدُّ أَعْتِلَالَهَا^(٢).
جَفُونَ أَجَالِ الْحُسْنُ فِيهِنَّ فَتْرَةٌ فَحَلَّ عُرَى الْأَجَالِ مِنْذُ أَجَالِهَا^(٣).
فَهَلْ مِنْ شَفِيعٍ عِنْدَ لَيْلَى إِلَى الْكَرَى، لَعَلِّي إِذَا مَا نَبْتُ أَلْقَى خِيَالَهَا.
يَقُولُونَ لِي: صَبِراً عَلَى مُطْلٍ وَعَدِّهَا؛ وَمَا وَعَدْتُ لَيْلَى فَأَشْكُو بِطَالِهَا^(٤).
وَمَا كَانَ ذَنْبِي غَيْرَ حِفْظِي عُهْدَهَا طَبِئِي هَوَاهَا وَأَحْتَالِي دَلَالَهَا^(٥).

أَرَادَ الْوَرْدُ بِالْآسِ انْتِقَاصاً فَقَالَ الْوَرْدُ: لَسْتُ أَزُورُ إِلَّا
فَقَالَ الْوَرْدُ: لَسْتُ أَزُورُ إِلَّا عَلَى شَوْقِي كَمَا زَارَ الْخَيَالَ^(٦).
وَأَنْتَ تُدِيمُ تَثْقِيلًا طَوِيلًا تَدُومُ بِهِ كَمَا رَسَتْ الْجِبَالَ.
فَتَسْأَلُكَ الْعَيُونُ لَذَاكَ بُغْضًا وَتَرْقُبُنِي كَمَا رُقِبَ الْهِلَالُ^(٧)!
- وقال في الهجاء مع الهزء:

قَسْتُ بِالشَّعْرِ مَعْشَرًا فَإِذَا هُمْ صُورُ الْإِنْسِ فِي طِبَاعِ الْحَمِيرِ.

- (١) انعكس لون الزهر على سطوح الابنية!!
- (٢) معتلة الأجفان: ناعسة العينين. ألد اعتلالها: أجد لذة في نفس عينيها.
- (٣) أجال الحسن فيهن فتره: جمل في عينيها كلتيهما فتره (فتورا، نعسا). حل عرى الأجال (الأعمار): قصر أعمار الناس.
- (٤) المطل (بالضم) والمطال (بكسر الميم): الماطلة، تأخير الوفاء بالوعود بأعذار مختلفة.
- (٥) طبيئ (المصدر طي) مضافا إلى الضمير المتصل (الياء) هواها: إخفاني حبي لها عن الناس.
- (٦) فقال الآس للورد.
- (٧) الخيال: الطيف الذي يرى في المنام.
- (٨) تسأم: تمل. ترقبني: تنتظري. كما رقب الهلال: كما ينتظر الناس هلال (الميد).

كَلَّمَا جَنَّتْهُمْ . لَأَنْشِدَ شِعْرِي طَمَعًا مِنْ نَوَالِهِمْ بِالْيَسِيرِ^(١) ،
فَكَانَتْ وَضَعَتْ فَلَكَاةً بُوقٍ فِي فَمِي أَوْ ضَغَطْتُ أَنْبُوبَ كِيرٍ^(٢) !
- ٤ * * جذوة المقتبس ٨٤ (الدار المصرية) ٩١ رقم ١٤٤ ؛ بغية الملتبس ١١٩ (رقم
٢٧٠) ؛ نيكل ٤٣ .

الطليق المرواني

١- هو أبو عبد الملك مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر ،
وُلِدَ فِي سَنَةِ ٣٥٠ هـ (٩٦١ م) ، قُبِيلَ وَفَاةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ . وَنَحْنُ لَا نَعْرِفُ مِنْ
أَحْدَاثِ حَيَاتِهِ إِلَّا قِصَّةَ سَجْنِهِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا :

كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَرْوَانَ قَدْ رَبَّى مَعَ ابْنِهِ مَرْوَانَ جَارِيَةً وَوَعَدَهُ بِأَنْ يُزَوِّجَهُ
إِيَّاهَا ثُمَّ اسْتَأْثَرَ هُوَ بِهَا . وَلَحِقَتْ مَرْوَانَ غَيْرَةٌ - وَكَانَ قَدْ أَحَبَّ الْجَارِيَةَ - فَقَتَلَ أَبَاهُ .
وَكَانَتْ تِلْكَ الْحَادِثَةُ فِي أَيَّامِ حِجَابَةِ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ فَسَجَنَ الْمَنْصُورُ مَرْوَانَ فِي
الْمُطَبِّقِ (وَهُوَ سِجْنٌ فِي مَدِينَةِ الزَّهْرَاءِ قَرِبَ قَرْطَبَةِ) وَعُمُرُهُ آنَ ذَاكَ نَحْوُ سِتِّ عَشْرَةِ
سَنَةٍ . وَقَدْ مَكَثَ مَرْوَانُ فِي سِجْنِهِ سِتِّ عَشْرَةِ سَنَةٍ أَيْضًا أَطْلَقَهُ فِي نَهَايَتِهَا الْمَنْصُورُ بْنُ
أَبِي عَامِرٍ لِأَنَّ الْمَنْصُورَ - فِيمَا قِيلَ - رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ « يَأْمُرُهُ أَنْ
يُطْلِقَهُ فَأُطْلِقَهُ » . مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ عُرِفَ مَرْوَانُ هَذَا بِالطَّلِيقِ الْمَرْوَانِيِّ وَالطَّلِيقِ الْقُرَشِيِّ .
وَكَانَ يُعْرَفُ أَيْضًا بِلَقَبِ الشَّرِيفِ الْمَرْوَانِيِّ وَالشَّرِيفِ الْقُرَشِيِّ (لِنَسَبِهِ فِي الْبَيْتِ الْأُمَوِيِّ
الْمَالِكِ فِي قَرْطَبَةِ) . وَتُوفِّيَ الطَّلِيقُ الْمَرْوَانِيُّ نَحْوَ سَنَةِ ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ - ١٠١٠ م) .

٢- كَانَ الطَّلِيقُ الْمَرْوَانِيُّ أَدِيبًا وَشَاعِرًا ، وَهُوَ فِي بَنِي أُمَيَّةَ كَعْبِدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَزِّ فِي
بَنِي الْعَبَّاسِ « مَلَا حَةَ شِعْرٍ وَحُسْنَ تَشْبِيهِ » ؛ وَقَدْ نَظَّمَ مُعْظَمَ شِعْرِهِ وَهُوَ فِي السِّجْنِ فِي
قَتِيَّاتٍ شُقْرِ . وَلَهُ قَصِيدَةٌ عَلَى رَوِيِّ الْقَافِ فَرِيدَةٌ فِي بَابِهَا .

٣- مَخْتَارَاتُ مِنْ شِعْرِهِ

- قَالَ الطَّلِيقُ الْمَرْوَانِيُّ فِي الْغَزْلِ وَالْخَمْرِ وَوَصَفِ الطَّبِيعَةِ :

- (١) النوال: العطاء . اليسير: القليل .
(٢) فَلَكَاةً (؟) الْبُوقُ: آلَةٌ يَزْمَرُ بِهَا . الْكَبِيرُ مَنْفَاخُ الْحَدَّادِ . سَدَّوْا آذَانَهُمْ (كَيْلَا يَسْمَعُوا الصَّوْتَ) وَهَرَبُوا
(كَيْلَا تَنْسَخَ أَثْوَابُهُمْ) .

غُصْنٌ يَهْتَزُّ فِي دِغْصٍ نَقَا
 أطلعَ الحسنُ لنا من وجهِهِ
 ورنَا عن طَرْفِ رِيمٍ أَحْوَرِ
 وتَنَاهَى الحسنُ فِيهِ- إِنَّا
 رَبُّ كَاسٍ، قَدْ كَسَتْ جَنَحَ الدُّجَى
 ظَلْتُ أَسْقِيهَا رَشَاءً فِي طَرْفِهِ
 فَكَأَنَّ الكَاسَ فِي أُنْمُلِهِ
 أَصْبَحْتُ شَمْسًا وَفُوهُ مَغْرِبًا
 فَإِذَا مَا غَرَبْتُ فِي فَمِهِ
 وَغَمَامٍ هَظْلٍ شُوبُوبُهُ
 يَجْتَنِي مِنْهُ فُوَادِي جُرْقَا^(١)
 قمرًا ليس يُرى مُمَحِّقَا^(٢)
 لَحْظُهُ سَهْمٌ لِقْلِي فُوقَا^(٣)
 يَخْسُنُ الْغُصْنُ إِذَا مَا أَوْرَقَا^(٤)
 ثَوْبَ نُورٍ مِنْ سَنَاهَا يَقْقَا^(٥)
 سِنَةٌ تُورِثُ عَيْنِي أَرْقَا^(٦)
 صُفْرَةُ النَّرْجِسِ تَعْلُو الْوَرَقَا^(٧)
 وَيَدُ السَّاقِي الْمُحْيِي مَشْرِقَا
 تَرَكَتُ فِي الْخَدِّ (مِنْهَا) شَفَقَا^(٨)
 نَادِمَ الرُّوضِ فَغَنَى وَسَقَى^(٩)؛

- (١) الدعص: قطعة من الرمل مستديرة (تلة صغيرة، أو جانب من تلة كبيرة). نقا: رمل أبيض. - كناية عن الجزء الأوسط من المحبوب!
- (٢) القمر الممحق: القمر حين لا يكون له نور (في آخر الشهر).
- (٣) رنا: تطلع وأدام النظر. الطرف: طرف العين، النظر. الريم: الغزال الأبيض. الأحور: شديد بياض بياض العين وشديد سواد سوادها. فوق السهم: صوبه.
- (٤) تناهى: (هنا) بلغ النهاية والغاية، كمل. يحسن الغصن إذا ما أورق: اكتسى بالورق (في الربيع). يقصد الشاعر أن محبوبه لما شب وظهر الشعر في وجهه أصبح أجل من ذي قبل (تشبيهاً له بالغصن إذا أورق في الربيع).
- (٥) الجنح (بكسر الجيم): الجانب. الدجى: الظلام، الليل. السنا: اللعان. اليقق: الأبيض. - نور الخمر في الكأس ردّ الليل أبيض كأنه نهار.
- (٦) ظلت (بكسر الظاء) = ظللت (بكسر اللام الأولى): بقيت، استمررت. الرشاء: الطي الصغير إذا قوي وبدأ يمشي مع أمه. الطرف: العين. السنة (بكسر السين): النعاس (فتور العين دلالة على الحسن والإغراء). الارق: السهر (من شدة الحب).
- (٧) الانمل: أطراف الأصابع. «صفرة النرجس تعلو الورق» يمكن أن تمثل صورتين (أ) كقلب النرجس الأصفر بين ورق (يفتح الرء) زهرة النرجس (بتلات الزهرة)، كناية عن إمساك الساقى بالكأس؛ أو (ب) كزهرة النرجس الأصفر تحمله يد جميلة بيضاء كأنها من ورق (بكسر الرء) أي من فضة.
- (٨) الشفق: اللون الأحمر الذي يبقى على الأفق بعد غياب الشمس.
- (٩) الشوبوب: الدفعة (بضم الدال) من المطر. الهطل: المتتابع مرة بعد مرة، الكثير الهطلان أو التهطل (السقوط والانهار). - يقول: الغمام ينادم الروض: يسقي الروض من مائه ويغنيه برعده.

فَكَأَنَّ الرُّوضَ مِنْهُ مُطِيقٌ، وَكَأَنَّ الْهَضْبَ جَانِ أَطْبِيقًا^(١).
 خَلَعَ الْبَرْقُ عَلَى أَرْجَائِهِ ثَوْبَ وَشْيٍ مِنْهُ لَمَّا أُبْرِقَا.
 وَكَأَنَّ الْعَارِضَ الْجَوْنَ بِهِ أَذْهَمَ طَلَّ عَلَيْهِ بُلُقَا^(٢).
 فِي لِيَالٍ ظَلَّ سَارِي نَجْمِهَا جَائِرًا لَا يَسْتَبِينُ الطَّرُقَا^(٣).
 وَقَدَّ الْبَرْقُ لَنَا مِصْبَاحَهَا فَثَنَى جَنَحَ دُجَاهَا مُشْرِقَا^(٤).
 وَشَدَا الرِّعْدُ حَنِينًا فَجَرَتْ أَكُوسُ الْمُزْنِ عَلَيْهِ غَدَقَا^(٥).
 فَانْتَشَى شُرْبًا وَأَضْحَى مَائِلًا مِثْلَ نَشْوَانٍ وَقَدْ خَرَّ لَقَى^(٦).
 وَغَدَتْ تَحْنُو لَهُ الشَّمْسُ وَقَدْ أَلْحَفْتَهُ مِنْ سَنَاهَا نُمْرُقَا^(٧).
 وَكَأَنَّ الْوَرْدَ يعلوه النَّدى وَجَنَةُ الْمَعشوقِ تَنْدَى عَرَقَا!

- وقال في النسيب:

أَقُولُ وَدَمْعِي يَسْتَهْلُ وَيَسْفَحُ وَقَدْ هَاجَ فِي الصَّدْرِ الْغَلِيلُ الْمَبْرُجُ^(٨):

- (١) (الصورة في البيت غير واضحة؛ والكلمات: مطبق، هضب، أطبقا ليس لها في القاموس معان تلائم استعمالها في هذا البيت). المطبق: السجن تحت الأرض. أطبق: سُجِنَ.
- (٢) (العارض: الغيم المقبل يحمل مطراً. الجون (هنا): الأسود (لكثرة ما فيه من المطر). أذهم (فرس؟) أسود. طَلَّ عليه: أنزل على الروض طلاً (مطراً خفيفاً). بلقا جمع أبلق: فرس أبيض - الصورة غير واضحة. كأن الغيمة السوداء فرس أذهم (أسود) أحاطت به بلق (خيل بيضاء) - غيوم بيضاء (؟).
- (٣) ليلة شديدة السواد كثيرة المطر لا يستطيع فيها أحد أن يسير ولا النجوم أيضاً.
- (٤) وقد: أوقد، أشعل، أضاء. ثنى: ردَّ (جعل). ثنى جرح دجاء مشرقاً: جعل (البرق) جانباً من الليل مضيقاً.
- (٥) غدقا: كثيراً. الغدق: الماء الكثير.
- (٦) انتشت (سكرت) أغصان الروض (لكثرة ما سقط عليها من المطر - كأن هذا المطر خر) فالت كثيراً فأصبحت تشبه السكران الذي «خر» (سقط من كثرة الشراب) لقي (مطروحاً على الأرض) «.
- (٧) ثم حنت له (حنت عليه، عطف) الشمس فأشرقت وألحفت الروض (غطته بلحاف) من سناها (نورها) بنمرك (ببساط ملون) - في الغيم الكثيف يظهر كل شيء داكناً. أما في نور الشمس فيبدو كل شيء بلونه الطبيعي.
- (٨) استهل: طلع، بدأ. أنصب: سال بكثرة. الغليل: الشوق إلى الماء، العطش، عطش الحب. المبرج: الموجع، الشديد.

دعوني من الصبر الجميل فَإِنِّي
لقد هَيَّجَ الأَضْحَى لِنَفْسِي جَوَى أَسَى
كَأَنَّ بَعِينِي حَلَقَ كُلَّ ذِيحَةٍ
فِيَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ لِمَوْلَايَ عَطْفَةٌ
يَحِنُّ إِلَى الْبَدْرِ الَّذِي فَوْقَ خَدِّهِ
تَقَنَّعَ بَدْرُ التَّمِّ عِنْدَ طُلُوعِهِ
فَقُلْتُ لَهُ: «يَا بَدْرُ، أَسْفَرُ فَقَدْ غَوَى
لِعَمْرِي لَذَاكَ الْبَدْرُ أَجَلُ مَنْظَرًا
رَأَيْتُ جَمِيلَ الصَّبْرِ فِي الْحُبِّ يَقْبُحُ.
كَرِيهُهُ الْمَنَايَا مِنْهُ لِلنَّفْسِ أَرْوَحُ^(١).
بِهِ، وَبَصْدَرِي قَلْبَهَا حِينَ تُذْبِجُ^(٢).
يُذَاوِي بِهَا مَنِّي فَوَادٍ مَجْرَحٍ؟
[مَكَانَ سَوَادِ الْبَدْرِ] وَرَدُّ مَفْتَحٍ.
نَخَافَةُ أَنْ يَسْرِي إِلَيْهِ فَيُفْضَحُ^(٣).
عَلَيْهِ رَقِيبٌ لِلْعَدَى لَيْسَ يِيرِحُ^(٤).
وَأَحْسَنُ مِنْ بَدْرِ التَّمَامِ وَأَمْلَحُ.

٤- ★ ★ جذوة المقتبس ٣٢١، (الدار المصرية) ٣٤٢-٣٤٣ (رقم ٧٩٩)، بغية الملتبس ٤٤٧ (رقم ١٣٤٣)؛ المغرب ١: ١٨٦ ١٨٧؛ المطرب ٧٢ وما بعد (وفيها استطراد)؛ الذخيرة ١: ٥٥٣ وما بعد؛ الحلة السراء ١: ٢٢٠-٢٢٥؛ المن بالامامة ١٥٩-١٦٤؛ نفح الطيب ٣: ٣٨٨-٣٨٩، ٥٨٨-٥٨٩؛ الأعلام للزركلي ٨: ٩٦ (٧: ٢٠٨)؛ نيكل ٦١-٦٤، مختارات نيكل ٣٧-٣٨.

عائشة بنت أحمد

١- هي عائشة بنت أحمد بن محمد بن قادمٍ من أهل قرطبة لا نَعْرِفُ من أخبارِ

- (١) الأضحى = عيد الأضحى. الجوى: الحرقة الشديدة. المرض المتطاوُل. الأسى: الحزن. جوى أسى (على الإضافة): حزن شديد طويل الأمد. أروح: أكثر راحة للنفس. الموت الفطيع أسهل على الإنسان من هذا الحزن الناشئ من (بعاد) الحبيب.
- (٢) حينما أرى الذبائح تذبح في عيد الأضحى (والحبيب بعيد عني) أشعر أن السكين الذي يرمي بجلعها (يذبحها) كأنه يرمي أنا (يذبحني أنا). كأن بصدري قلبها: أنا أشعر في الحب بما تشعر هي به عند الذبح.
- (٣) بدر التّم (يكسر التاء) والتّام (بفتح التاء): البدر ليلة أربع عشرة. تقنّع: أرخى القناع على وجهه. سرى: سار ليلاً. استتر البدر بالغيوم كيلاً يخرج محبوبي (إلى الزهرة في ضوء القمر)، وحينئذ يظهر بدري (محبوبي) أجل من بدر السماء.
- (٤) أسفر: اكشف عن وجهك. غوى عليه رقيب للعدا: وضع أعدائي على حبيبي رقيباً قد غوى (ضلّ)، فهو يتشدد في منعه من الخروج ليلاً ونهاراً. ييرح، يغادر (لا يترك مراقبة المبوب).

حياتها إلا أنها كانت تمدحُ الملوك (الرؤساء والأعيان) وأنها عَشِقتُ أحدَ أبناء المنصور
أبنِ أبي عامرٍ (ت ٣٩٢ هـ)، وأنها ماتت سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ - ١٠١٠ م) عذراء لم
تتزوج قط.

٢- كانت عائشة بنتُ أحمدٍ من أدقِّ الناسِ فهماً وأوسعهم علماً وكانت أديبةً
شاعرة ذات فصاحة، كما كانت حسنة الخطِّ تكتبُ المصاحفَ. وربما ارتجَلَتِ الشعرَ.

٣- مختارات من شعرها

- دخلت عائشة بنتُ أحمدَ على المظفرِ بنِ المنصورِ بنِ أبي عامرٍ (ت ٣٩٩ هـ)
وبينَ يديه ولدٌ فارتجَلَت:

أراك الله فيه ما تريدُ، ولا برحتُ معاليه تزيدُ.
فسوفَ تراه بذراً في سلكِ من العليا كواكبُه الجنودُ.
وكيفَ يخيبُ شبلٌ قد نمتهُ إلى العليا ضراغمةُ أسودُ؟
فأنتم، آلَ عامرٍ، خيرُ آلٍ: زكا الأبناء منكم والجُودُ^(١).
وليدُكم لدى رأيٍ كشيخٍ وشيخُكم لدى حربٍ وليدُ.

- ولها قصيدةٌ وجدانية مطلقاً:

لولا الدموعُ لما خَشِيتُ عدولاً، فهي التي جعلتُ إليك سبيلاً^(٢).

٤- ★ ★ الصلاة ٦٥٤، نفع الطيب ٤: ٢٩٠، تاريخ الفكر الأندلسي ٧٣، الأعلام للزركلي
٤: ٤ (٣: ٢٣٩ - ٢٤٠).

السرْقُطِيُّ المَعافِرِيُّ

١- هو أبو عثمان سعيدُ بنُ محمدٍ المَعافِرِيُّ السَرْقُطِيُّ المعروفُ بابنِ الحدادِ والملقبُ

(١) زكا: طاب، صلح (بفتح اللام).

(٢) العدول: الذي يلوم الناس على أفعالهم.

بالجمار^(١)، لعلّ مولده نحو ٣٤٠ هـ (٩٥١ م) في سرقسطة. ثم يبدو أنّه انتقل مع أهله إلى قرطبة ونشأ فيها وتلقّى العلم على جماعة منهم ابن القوطية (ت ٣٦٧ هـ) فلازمه وأصبح أشهر تلاميذه، كما روى عن صاعدي الربيعي البغدادي (ت ٤١٧ هـ). واستشهد السرقسطي المفايري في قرطبة في أيام الفتن (بعد ٤٠٠ هـ = ١٠٠٩ م).

كان السرقسطي المفايري ذا اتجاه ديني حمّله على التطوُّع في سبيل الله وهو في الستين من عمره. وكان نحوياً وأديباً، له «كتاب الأفعال» - على غرار كتاب شيخه «كتاب الأفعال» - (ولكنه بسط له: مقدّمة وتوضيح وتوسيع!)، إلّا أنّه اقتصر فيه على الغريب من الأفعال ومن معاني الأفعال، ولكن أكثر فيه من الشواهد. وقد انتهى من تأليفه بعد وفاة ابن القوطية وقبل وفاته هو ببضع عشرة سنة. وكتاب السرقسطي المفايري أمّ الكتب في موضوعه، إذ لم يقيد المؤلف فيه نفسه بمذهب معين، بل أورد آراء البصريين كأبي زيد (الأنصاري) والأصمعي وابن دريد وأبي حاتم (السجستاني) وآراء الكوفيين كابن الأعرابي وابن السكيت وأبي عبيدة (مغمّر ابن المثني) إلى جانب آراء نفر آخرين من النحاة.

٤ - * * الصلة ٢٠٩ (رقم ٤٧٨)؛ فهرست ابن خير ٣٥٦، ٤٧٣؛ بروكلمن؛ بروكلمن، الملحق ١: ٢٠٣؛ الأعلام للزركلي (٣: ١٠١) - وفي هذه الترجمة تفاصيل أكثر مما نجد في هذه المصادر والمراجع المذكورة سقط مني مواضع أخذها.

محمد بن مغيث المغربي

- ١ - هو محمد بن مغيث المغربي، وُلِدَ سنة ٣٥٢ هـ (٩٦٣ م) وكانت وفاته سنة ٤٠٢ هـ (١٠١٢ م) بعد مرض أقعده، وقد بدا الهرم عليه.
- ٢ - محمد بن مغيث المغربي شاعر مطبوع مُرسل الكلام مليح الطريقة يقع على

(١) أبو عثمان سعيد بن محمد بن الحدّاد الملقّب بالجمار هذا غير أبي عثمان سعيد بن محمد بن الحدّاد من أهل الطبقة الثالثة من النحاة الاندلسيين (طبقات الزبيدي ٢١٦؛ راجع بغية الوعاة ٢٥٧) وغير أبي عثمان سعيد بن محمد القرطبي النحوي (راجع بغية الوعاة ٢٥٧) وغير سعيد بن فتحون السرقسطي الملقّب بالجمار (راجع نفح الطيب ٢: ١٧٥، ٥٠٢).

النَّكَبِ وَيُصِيبُ (مواقع) الكلامِ وَيُقِيمُ (يُثِيرُ) حَرْبَ الشعراءِ (العداوةَ بَيْنَ الشعراءِ).
وكان مُنْهَمِكاً في الخمرِ كثيرَ الهجاءِ مُقَدِّعاً، حَسَنَ التعليلِ في شعره.

٣- مختارات من شعره

- رَزَقَ أَحَدَ الرُّسُلِ بِنْتاً فَحَزَنَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُغِيثٍ:
لَا تَأْسَ إِنْ رُخْتَ أَباً لَأَبْنَةٍ تَكْظُمُ أَشْجَاناً إِلَى كَاطِمَةَ^(١)؛
فَإِنَّ أَبْنَاءَ نَبِيِّ الْهُدَى كُلُّهُمْ مِنْ وَلَدَيِ فَاطِمَةَ^(٢)!
- جاء مُحَمَّدُ بْنُ مُغِيثٍ إِلَى عَبْدِ الْمَجِيدِ بْنِ مُهَذَّبٍ فَحَجَبَهُ (رفض عبد المجيد أن يستقبله) فقال مُحَمَّدُ بْنُ مُغِيثٍ يَهْجُوهُ، وَكَانَ لِعَبْدِ الْمَجِيدِ قُرُوحٌ فِي رَأْسِهِ يَكْرَهُ أَنْ تَظْهَرَ كَمَا كَانَ لَهُ عَبْدٌ اسْمُهُ سَعِيدٌ يُؤْثِرُهُ^(٣):
زُرْتُ عَبْدَ الْمَجِيدِ زَوْرَةً مُشْتَا قِي إِلَيْهِ فَصَدَّ عَنِّي صُدُوداً؛
فَكَانَنِي أَتَيْتُهُ أَنْزَعُ الْعَمْدَ حَمَّةً عَنْ رَأْسِهِ وَأَخْصِي سَعِيداً.

ابن الفَرَضِيِّ

- ١- هُوَ أَبُو الْوَلِيدِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ يَوْسَفَ بْنِ نَصْرِ الْأَزْدِيِّ الْقُرْطُبِيُّ، وَلَدَ فِي قُرْطُبَةَ، فِي ٢٣ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ ٣٥١ (٢٢ / ١٢ / ٩٦٢ م).
تَلَقَّى ابْنُ الْفَرَضِيِّ الْعِلْمَ عَلَى كَثِيرِينَ مِنْهُمْ فِي الْأَنْدَلُسِ يَحْيَى بْنُ مَالِكٍ بْنُ عَائِذٍ (ت ٣٧٦ هـ) وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ الْخَرَّازِ.

وَفِي سَنَةِ ٣٨٢ هـ (٩٩٣ م) رَحَلَ ابْنُ الْفَرَضِيِّ مِنَ الْأَنْدَلُسِ فَسَمِعَ فِي الْقَيْرَوَانِ مِنْ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ الْقَيْرَوَانِيِّ (ت ٣٨٦ هـ) وَمِنْ أَبِي الْحَسَنِ الْقَاسِمِيِّ (ت ٤٠٣ هـ). وَسَمِعَ فِي مِصْرَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْمُهَنْدِسِ. وَبِمَا أَنَّ رِحْلَتَهُ إِلَى الْمَشْرِقِ لَمْ

- (١) لَا تَأْسَ: لَا تَحْزَنْ. تَكْظُمُ: تَرُدُّ، تَنْعَمُ، تَحْبِسُ (تَصْبِرُ عَلَى الْغَضَبِ). الشَّجْنُ (بِفَتْحٍ فَتَح): الْحُزْنُ. كَاطِمَةُ (بِلَدَّةٍ فِي الْكُوَيْتِ تَسْمَى الْيَوْمَ: الْجَهْرَةُ). تَكْظُمُ أَشْجَاناً إِلَى كَاطِمَةَ (٢). (تَزِيدُ أَحْزَاناً نَفْسَكَ).
(٢) نَبِيُّ الْهُدَى: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ. فَاطِمَةُ ابْنَةُ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ تَزَوَّجَهَا الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَجَاءَ مِنْهَا الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ. وَجَمِيعُ نَسْلِ رَسُولِ اللَّهِ كَانَ مِنَ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ابْنِي فَاطِمَةَ.
(٣) يُؤْثِرُهُ: يَفْضُلُهُ عَلَى غَيْرِهِ (وَالشَّاعِرُ يَتَّهَمُ عَبْدَ الْمَجِيدِ بِالْفَاحِشَةِ).

تستمرّ سوى سنتين فقط (٣٨٢-٣٨٤ هـ) فلا بدّ من أن يكون قد وصل إلى مكّة في أواخر سنة ٣٨٢ هـ (في آخر عام ٩٩٢ أو أول عام ٩٩٣ م) فحجّ ثمّ سمع من أبي يعقوب يوسف بن أحمد بن الدخيل الصيدلاني المكيّ.

وبعد أن عاد ابن الفرضي إلى الأندلس تقلّد القضاء في بَلَنَسِيَّةَ، في أيام الخليفة محمّد المَهْدِيّ (٣٩٩-٤٠٠ هـ). ثمّ إنّه انتقل إلى قرطبة. وفي قرطبة قُتِلَ ابنُ الفرضي في الفتنة، في السادس من شَوَّالٍ من سنة ٤٠٣ هـ (٢٠ / ٤ / ١٠١٣ م)، لما دخل البربرُ إلى قرطبة وأعادوا سُلَيْمَانَ المستعينَ إلى سُدّة الخِلافة.

٢- أبو الوليد بن الفَرَضِيّ مُحَدِّثٌ بارِعٌ في علوم الحديث وفقه وخطيب و ذو حظّ وافٍ من الأدب. وهو أيضاً شاعر مقلّد - وعند ابن خَلِّكان (وفيات ٣: ١٠٦) شاعر مكثّر - وشعره لطيف تغلّب عليه العاطفة الدينية. غير أن شهرة ابن الفرضي إنّما هي في تأليفه التاريخية عرفنا منها: تاريخ العلماء والرّواة للعلم في الأندلس - تاريخ شعراء الأندلس - المؤتلف والمختلف في أسماء الرجال.

٣- مختارات من آثاره

- رَوَى ابنُ خَلِّكانٍ لأبي الوليد بن الفرضي هذه المُنَاجاةَ (وفيات ١: ٤٧٩):

أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفُ	عَلَى وَجَلِّ تَمَّا بِهِ أَنْتَ عَارِفُ
يَخَافُ ذُنُوباً لَمْ يَغِبْ عَنْكَ غَيْبُهَا	وَيَرْجُوكَ فِيهَا، فَهُوَ رَاجٍ وَخَائِفُ.
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَرْجُو سِوَاكَ وَيَتَّقِي؟	وَمَا لَكَ فِي فَضْلِ الْقَضَاءِ مُخَالَفُ.
فِيَا سَيِّدِي، لَا تُخْزِنِي فِي صَحِيفَتِي،	إِذَا نُشِرَتْ - يَوْمَ الْحِسَابِ - الصَّحَائِفُ!
وَكُنْ مُؤْنِسِي فِي ظُلْمَةِ الْقَبْرِ عِنْدَمَا	يَصُدُّ ذُوو الْقُرْبَى وَيَجْفُو الْمَوَالِفُ.
لَئِنْ ضَاقَ عَنِّي عَفْوُكَ الْوَاسِعُ الَّذِي	أَرْجِي لِإِسْرَافِي فَإِنِّي لَتَالِفُ!

- لَمَّا رَحَلَ ابنُ الفرضي عن الأندلس (٣٨٢ هـ) قال:

وَمَا لِي حَيَاةً بَعْدَكُمْ أَسْتَلِدُّهَا؛	وَلَوْ كَانَ هَذَا لَمْ أَكُنْ بَعْدَهَا حُرّاً.
مَضَتْ لِي شُهُورٌ، مُنْذُ غِبْتُمْ، ثَلَاثَةٌ؛	وَمَا خِلْتُنِي أَبْقَى - إِذَا غِبْتُمْ - شَهْرًا.

سَأَسْتَعْتِبُ الدَّهْرَ الْمَفْرَقَ بَيْنَنَا . وهل نأفعي إن صِرْتُ أَسْتَعْتِبُ الدَّهْرَ ؟

أَعْلَلُ نَفْسِي بِالْمُنَى فِي لِقَائِكُمْ ؛ وَأَسْتَسْهِلُ الْبَرَّ الَّذِي جُنْتُ وَالْبَحْرَا .

وَيُؤْنِسُنِي ظِيَّ الْمَرَّاحِلِ بَعْدَكُمْ : أروحُ على أَرْضٍ وَأَغْدُو على أُخْرَى .

- وقال في مقدّمة كتابه « تاريخ العلماء والرواة للعلم في الأندلس » :

هذا كتابٌ جمعناه في فقهه الأندلس وعلمائهم وروايتهم وأهل العناية منهم مُلَخَّصاً على حروفِ الْمُعْجَمِ قَصَدْنَا فِيهِ قَصْدَ الْإِخْتِصَارِ - إذ كانت نيتنا قديماً أن نُؤَلِّفَ في ذلك كتاباً مُوعِياً على الدن يشتمل على الأخبار والحكايات ، ثم عاقَت عوائقُ عن بلوغ المُرادِ فيه - فجمعنا هذا الكتابَ مُختَصِراً .

وَعَرَضْنَا فِيهِ ذِكْرُ أَهْلِ الرِّجَالِ وَكُنَاهُمْ وَأَنَسَاهُمْ وَمَنْ كَانَ يَغْلِبُ عَلَيْهِ حِفْظُ الرَّأْيِ مِنْهُمْ ، وَمَنْ كَانَ الْحَدِيثَ وَالرِّوَايَةَ أَمْلَكَ بِهِ وَأَغْلَبَ عَلَيْهِ ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ إِلَى الْمَشْرِقِ رِحْلَةٌ ، وَعَمَّنْ رَوَى وَمَنْ أَجَلَ مَنْ لَقِيَ ، وَمَنْ بَلَغَ مِنْهُمْ مَبْلَغَ الْأَخْذِ عَنْهُ وَمَنْ كَانَ يُشَاوِرُ فِي الْأَحْكَامِ وَيُسْتَفْتَى ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْهُمْ خُطَّةَ الْقَضَاءِ ؛ وَمِنْ الْمَوْلِدِ وَالْوَفَاةِ مَا أَمَكَّنَنِي عَلَى حَسَبِ مَا قَيَّدْتُهُ

٤- تاريخ علماء الأندلس (كوديرا)، مدريد ١٨٩٢ م = تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، (عني بنشره وصحّحه ووقف على طبعه السيّد عزّت العطار الحسيني)، القاهرة ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م.

★ ★ جذوة المقتبس ٢٣٧-٢٣٩ (الدار المصرية) ٢٥٤-٢٥٦ (رقم ٥٣٧)؛ بغية الملتبس ٣٢١-٣٢٣ (رقم ٨٨٨)؛ المغرب ١: ١٠٣-١٠٤؛ مطمح الأنفس ٥٧-٥٨؛ الذخيرة ١: ٦١٤-٦١٦؛ الصلة ١: ٢٤٦-٢٥٠؛ وفيات الأعيان ٣: ١٠٥-١٠٦؛ شذرات الذهب ٣: ١٦٨؛ نفع الطيب ٢: ١٢٩-١٣٠؛ بروكلن ١: ٤١٢؛ الملحق ١: ٥٧٨-٥٧٩؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٦٢؛ الأعلام للزركلي ٤: ٢٦٥ (١٢١).

يوسف بن هرون الرمادي

١- هو أبو عُمَرَ يَوْسُفُ بْنُ هَرُونَ الْكِنْدِيُّ، وُلِدَ فِي قُرْطَبَةَ، سَنَةَ ٣١٤ هـ

(٩٢٦ م). وقد عُرِفَ بِلَقَبِ الرَّمَادِيِّ فِي مَقَابِلِ «أَبُو جَنَيْسٍ» مِنَ الْإِسْبَانِيَةِ الدَّارِجَةِ:

cenisa (الرماد)؛ ويبدو أنّه لا صلة للقبه هذا ببلدة الرمادة في المغرب.

أخذَ الرماديُّ الأدبَ عن أبي بكرٍ يحيى بن هُذَيْل الكفيف (ت ٣٨٦ هـ) أحدِ علماءِ الأدبِ في الأندلس، ثم عُنِيَ بالفلسفة القديمة. ولَمَّا دخل أبو عليُّ القالي إلى الأندلس (٣٣٠ هـ = ٩٤٢ م) مدحه الرماديُّ بقصيدةٍ بارعةٍ، برُغم صِغَرِ سِنِّه يومذاك.

وتكسَّب الرماديُّ بالشعر، وكان شاعرَ الحَكَمِ المُستَنصِرِ (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ)، فَعَلَتْ منزلته. وكذلك قصد بشعره عَبْدَ الرحمن بنَ مُحَمَّدٍ التُّجَيْبِيَّ في سَرَقِسطَة وفرحون بنَ عبدِ الله في شَنْتَرينِ الغَرْبِ. غير أن أكثرَ اتِّصاله كان بالحاجِبِ المنصورِ بن أبي عامرٍ (٣٦٦ - ٣٩٢ هـ) ولكن لَمَّا وقعتِ المنافسةُ بينَ الحاجِبِ المنصورِ والوزير جعفرِ ابنِ عثمانِ المُصْحَفِي وَقَفَ الرماديُّ في جانبِ المُصْحَفِي. فلَمَّا تغلَّب المنصورُ على المصحفي أمرَ بسجنِ الرماديِّ (٣٦٨ هـ = ٩٧٨ م) ثم عفا عنه (٣٧٦ هـ).

وكانت وفاةُ الرماديِّ في ١٢ من ذي الحِجَّة ٤٠٣ (٢٤ / ٦ / ١٠١٣ م).
٢- يوسفُ بنُ هرونَ الرماديُّ شاعرٌ وَجَدائيٌّ مُكثِّرٌ مشهورٌ عند الخاصةِ والعامَّةِ لأنَّه كان بارعاً في عددٍ من فنونِ الشعرِ التي تنفُقُ عند الفريقين. وفي شعره شيءٌ من الطَّبَعِ وشيءٌ من التَّصْنِيعِ والتكَلُّفِ، وكان مُغرماً باستخراجِ الصورِ الشِّعريةِ المستغرَبةِ والمعانيِ المبتكرةِ؛ ومَعَ ذلك فقد كان سريعَ القولِ. وفنونُ الرماديِّ المدحُ والهجاءُ والوصفُ والغزلانِ والمُجُونُ والخمرُ. وهو يجري في الخمرِ على أثرِ أبي نُواسٍ. ولعلَّ تطلُّبه للصُّورِ الشِّعريةِ والمعانيِ المبتكرةِ هو الذي دعا أهلَ الأندلسِ إلى أن يُسمَّوه «متنبِّي الغربِ» (لقباً أُطلقَ أيضاً على ابنِ هاني وابنِ درَّاجِ القَسْطَلِيِّ). وللرمادي كتابُ الطيرِ ألفه في السجنِ.

٣- مختارات من شعره

- يبدأ ابن دِخْيَة (ت ٦٣٣ هـ) كتابَ «المُطَرَّبِ من أشعارِ أهلِ المغربِ» بالرماديِّ ويقول: «أُنشدَ مُقَدِّمُ شعراءِ الأندلسِ أبو عُمَرَ يوسفُ بنُ هارونَ الرماديِّ لنفسه:

وليلة راقبتُ فيها الهوى على رقيبٍ غيرِ وُسْنان^(١)،
والراحُ لا تنزلُ عن راحتي، وقتاً، وعن راحةِ نُدْمانِي*
وربَّ يومٍ قَيظُله مُنْضِجٌ كأنَّه أخشَاءُ ظَمْآنِ،
أبرَزَ، في خَدَّيْهِ، لِي رَشْعُه طَلًّا على وَرْدٍ وَسْوان^(٢).
فُتِّحَتِ الجَنَّةُ من جَنِبِه فَبِتَّ في دَعْوَةِ رِضْوان^(٣)؛
مُروءَةٌ في الحُبِّ تَنْهَى بأن نُجَاهِرَ اللهَ بِعِصْيَانِ!
- وقال في النسيب والخمر:

بَذَرْتُ بدا يَحْمِلُ شَمْساً بَدَتْ، وَحَدَّها في الحُسْنِ من حَدِّهِ^(٤)؛
تَغْرُبُ في فِيهِ، وَلَكِنَّها من بعدِ ذا تَطْلُعُ في خَدِّهِ!

- وقال في معذِّبه (محبوبه الذي يعذِّبه) يحاولُ أن يختارَ له محلاً يحفظه من كلِّ

سوء:

في أيِّ جارِحَةٍ، أَصُونُ مُعَذِّبِي، سَلِمْتُ من التعذيبِ والتنكيلِ^(٥)؟
إِنْ قُلْتُ في بَصْرِي فثَمَّ مَدَامَعِي؛ أَوْ قُلْتُ في كَيْدِي فثَمَّ غَلِيلِي^(٦).
لَكِنْ جَعَلْتُ له المَسامَحَ موضعاً وَحَجَبْتُها عن عَذْلِ كُلِّ عَذولِ.

- لَمَّا دَخَلَ أَبُو عَلِيٍّ القَالِي إلى الأَنْدَلُس (٣٣٠ هـ = ٩٤٢ م). مَدَحَهُ الرَّمَادِيُّ

بقصيدةٍ بارعةٍ، وَكانَ الرَّمَادِيُّ لا يَزَالُ حَدَّثًا. قال:

- (١) الوسنان: الذي يغالبه الناس.
- (*) الندمان (بالفتح: النديم الواحد: الذي يشارك في شرب الخمر). الندمان (بالضم: جمع نديم).
- (٢) رشحه: عرقه. السوسن: (الورد) الأبيض. الطل: الندى. - لَمَّا علا العرق وجنتيه تداخل عليها عرقه الأبيض ولونها الأحمر.
- (٣) الجيب: مدخل العنق في الثوب. رضوان: خازن الجنة. - بتَّ في دعوة رضوان (منعماً مع حبيبي) من غير معصية (راجع البيت التالي).
- (٤) بدر (كناية على الساقى الجميل) يحمل شمساً (كأساً من الخمر). حدَّها من حدِّه (صفاتها جميلة كصفاته).
- (٥) الجارحة: العضو في الجسم (اليد، العين الخ).
- (٦) الغليل: الحرَّ (من الحبِّ أو الحزن).

مَنْ حَاكُمُ بَيْنِي وَبَيْنَ عَدُولِي؟ الشَّجْوُ شَجْوِي وَالْعَوِيلُ عَوِيلِي^(١).

وبعدَ شيءٍ من الغَزَلِ والنسيبِ قال الرماديُّ يوازنُ بين الغَرْبِ (الأندلس) بعدَ وصولِ أبي عليٍّ القاليِّ إليه والشرقِ بعدَ أن غادرَهُ القاليُّ (ويشبهه القاليُّ بالروض):

رَوْضُ تَعَاهَدَهُ السَّحَابُ كَأَنَّهُ مُتَعَاهَدٌ مِنْ عَهْدِ إِسْمَاعِيلِ^(٢).
قَسَهُ إِلَى الْأَعْرَابِ تَعَلَّمَ أَنَّهُ أُولَى مِنَ الْأَعْرَابِ بِالتَّفْضِيلِ^(٣).
حَازَتْ قِبَائِلُهُمْ لُغَاتٍ فُرِّقَتْ فِيهِمْ؛ وَحَازَ لُغَاتِ كُلِّ قَبِيلِ^(٤).
فَالشَّرْقُ خَالٍ بَعْدَهُ، فَكَأَنَّمَا نَزَلَ الْخَرَابُ بِرَبْعِهِ الْمَاهُولِ.
وكَأَنَّهُ شَمْسٌ بَدَتْ فِي غَرْبِنَا وَتَغَيَّبَتْ عَنْ شَرْقِهِمْ بِأَفْوَلِ^(٥).

٤- ★ ★ جذوة المقتبس ٣٤٦-٣٤٩ (الدار المصرية) ٣٦٩-٣٧٣ (رقم ٨٧٨)؛ بغية
الملتص ٤٧٨-٤٨١ (رقم ١٤٥١)؛ المغرب ١: ٣٩٢-٣٩٤؛ المطرب ٣-٤؛
وفيات الأعيان ٧: ٢٢٥-٢٢٩؛ معجم الأدباء ٢٠: ٦٢-٦٤؛ مطمح الأنفس
٦٩-٧٤؛ شذرات الذهب ٣: ١٧٠-١٧٢؛ نفح الطيب ٣: ٧١-٧٢، ٧٥،
٣٦٤-٣٦٥؛ ٤: ٣٥-٤٠، ٧٤؛ بروكلمن ١: ٣١٨-٣١٩، الملحق ١: ٤٧٨؛
دائرة المعارف الإسلامية (ط ١) ٣: ١١١٣-١١١٤؛ نيكل ٥٨-٦٠، مختارات
نيكل ٤١-٤٣؛ الأعلام للزركلي ٩: ٣٣٦ (٨: ٢٥٥).

عبد الكريم النهشليُّ

١- هو أبو محمد عبد الكريم بن إبراهيم النهشليُّ، وُلِدَ في المَسِيلَة (المحمّدية) من بلادِ الزاب (في القطر الجزائري) ونشأ فيها.

- (١) العذول: الذي يلوم الحبَّ على شدّة حبه للمحبوب. الشجو: الحزن. العويل: البكاء بصوت مرتفع.
- (٢) تعاهده السحاب (استمرَّ هطول المطر عليه). اسماعيل: أبو العرب. من عهد اسماعيل (منذ زمن بعيد جدًا) كان هذا الممدوح يعرف اللغة العربية منذ عهد اسماعيل (هو عربي أصيل ونسبه قديم في المروبة). والممدوح (القالي) اسمه اسماعيل أيضاً.
- (٣) الأعراب (البدو الذين ينطقون باللغة العربية الفصحى سليقة وسليمة صحيحة).
- (٤) كلُّ قبيلة (بدوية) تتقن لغة واحدة (لغتها). أمّا الممدوح (القالي) فإنّه يتقن لغات جميع القبائل.
- (٥) الأفول: غياب الشمس وراء الأفق (في المساء).

في سنة ٣٤٥ هـ (٩٥٦ - ٩٥٧ م) انتقل عبد الكريم النهشلي إلى القيروان، في أيام المعز لدين الله الفاطمي (٣٤١ - ٣٦٥ هـ)، ولقي فيها الشاعر ابن هاني والشاعر علي بن الأيادي وغيرهما.

ويبدو أن عبد الكريم النهشلي دخل في خدمة بني زيري الصنهاجيين، منذ أوائل عهدهم بخلع دعوة الفاطميين واستبدادهم بالحكم في المغرب، فكان كاتباً لهم في ديوان الرسائل ثم نال عندهم حظوة وصحبهم في حروبهم في المغرب الأدنى والمغرب الأوسط، وكان يُنادمهم أيضاً. وقد صحب منهم المنصور بن بلقين (٣٧٣ - ٣٨٦ هـ) وابنه باديس (٣٨٦ - ٤٠٦ هـ).

وكانت وفاة عبد الكريم النهشلي في المهدية في الأغلب، سنة ٤٠٥ هـ (١٠١٣ - ١٠١٤ م).

٢- كان عبد الكريم النهشلي عالماً في اللغة عارفاً بأيام العرب وأشعارهم، كاتباً مُترسلاً وأديباً ناقداً قديراً وشاعراً مُحسناً، قيل يُجيدُ القصائد الطوال ولا يكادُ يصنعُ مقطوعاً. ولكن لعله لم يُجاوِزْ في شعره نظمَ خمس قطع (العمدة ١: ١٦٣). وهو يذهب في شعره مذهب التروية (التفكير) ولا يرتجل أو يبتدعه. وشعره الرثاء والوصف والخمر، ولم يقل في الهجاء اقتداءً بأستاذه علي بن الأيادي.

وله كتاب «المتع» في علم الشعر وعمله وفي النقد على نمط كتاب الشعر لقدامة ابن جعفر وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري. وعلى كتاب «المتع» اعتمد ابن رشيقي القيرواني (ت ٤٥٦ هـ) في كتابه «العمدة في صناعة الشعر ونقده»: في الموضوعات وأسماء الأبواب، كما نقلَ منه فصولاً كاملة. ويبدو أنه كان لعبد الكريم النهشلي كتبٌ أخرى أيضاً لم تصل إلينا أسماؤها.

ويبدو أن قيمة كتاب «المتع» إنما هي في الجمع والتنظيم أكثر منها في الابتكار. قسّم الشعر أربعة أقسام: مدحاً وهجواً وحكمةً ولهواً (غزلاً وخمراً). ثم عاد فقسّمه من وجه آخر فقال: من الشعر ما هو خيرٌ كُلُّه (الزهد والوعظ والمثل) ثم

ما هو ظَرْفُ كُلِّهِ (النعوت والتشبيه وما يُفْتَنُ فيه من المعاني والآداب) ثم ما هو شَرُّ كُلِّهِ (الهباء) ثم شعر التَكْسَب (مخاطبة كلِّ إنسان من حيث هو والإتيان إليه من حيث فَهْمُهُ).

وعبد الكريم النهشلي يفضِّل المعنى على اللفظ ثم هو يؤكدُ أثرَ البيئَةِ وأثرَ الزمنِ في مرتبة الشعر (يَحْسُنُ في بيئَةٍ أو في زمنٍ ما لا يحسُنُ في بيئَةٍ أخرى أو في زمنٍ آخر).

٣- مختارات من آثاره

- قال عبد الكريم النهشلي في الشكوى:

أواجدةٌ وَجدي حَمَامَةٌ أُنِكَّةٌ تَمِيلُ بِهَا مَيْلَ النَّزِيفِ غُصُونُهَا^(١) ؟
 نشاوى وما مالتْ بِخَمَرٍ رِقَابُهَا، بواكِ وما فاضَتْ بَدَمْعٌ عُيُونُهَا^(٢).
 أفريقي، حَمَامَاتِ اللّوى، إِنَّ عِنْدَنَا لَشَجَوَاكِ أَمْثالاً يَعودُ حَنِينُهَا^(٣).
 وكلُّ غريبِ الدارِ يدعو هُمومَه غرائبَ محسوداً عليه شُجونُهَا^(٤) !
 - وقال عبد الكريم النهشلي (العمدة ١: ١٠٧):

الكلامُ الجَزَلُ أغنى عنِ المعاني اللطيفةِ مِنَ المعاني اللطيفةِ عنِ الكلامِ الجَزَلِ. قال بعضُ الحُذَّاقِ: المعنى مِثَالٌ واللفظُ حَذْوٌ. والحَذْوُ يَتَّبِعُ المِثَالَ وَيَتَغَيَّرُ بِتَغْيِيرِهِ وَيَثْبُتُ بِثَبَاتِهِ.

- في اختلاف الشعر بحسب الأمكنة والأزمنة (من كتاب «المُتَع»: قد تختلفُ المَقَاماتُ والأزمنةُ والبلادُ فيحسُنُ في وقتٍ ما لا يحسُنُ في آخرَ،

- (١) الوجد: شدة الحب أو الحزن: الأيكة (مكان فيه شجر ملتف كثيف). النزيف: (هنا) السكران. الفصون تمايل هذه الحمامة بشدة كما يتمايل السكران الشديد السكر في مشيه.
- (٢) نشاوى جمع نشوى (سكرى، سكرانة). بواكِ جمع باكية.
- (٣) اللوى: التلة المستديرة من الرمل (ويكون عند سفحها ماء وشجر ؟). الشجوى ليست في القاموس. والشاعر يقصد الشجو (الحزن). يعود (يرجع مرة بعد مرة) حنينها (صوتها الدال على حزنها).
- (٤) كلُّ غريب (عن داره وبلاده) يمتقد أن هوموه غريبة (أعظم من هوموم كلِّ شخص آخر) مع أن أشخاصاً آخرين يحسدونه على تلك الهوموم اليسيرة القليلة التافهة.

وَيُسْتَحْسَنُ عِنْدَ أَهْلِ بَلَدٍ مَا لَا يُسْتَحْسَنُ عِنْدَ أَهْلِ غَيْرِهِ. وَنَجَدُ الشُّعْرَاءِ الْحَذَّاقَ تُقَابِلُ كُلَّ زَمَانٍ بِمَا اسْتُجِيدَ فِيهِ وَكَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ عِنْدَ أَهْلِهِ بَعْدُ، وَإِلَّا تَخْرُجُ (اقرأ: خرجت) عَنْ حُسْنِ الاسْتِوَاءِ وَحَدِّ الْعَتَدَالِ وَجَوْدَةِ الصَّنْعَةِ. وَرَبِّمَا اسْتُعْمِلَتْ فِي بَلَدٍ أَلْفَاظٌ لَا تُسْتَعْمَلُ كَثِيرًا فِي غَيْرِهِ، كَاسْتِعْمَالِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ بَعْضَ كَلَامِ أَهْلِ فَارَسَ فِي أَشْعَارِهِمْ وَنَوَادِرِ حِكَايَاتِهِمْ.

والذي أختاره أنا التجريدُ والتحسينُ الذي يختاره علماءُ الناسِ بالشعر، ويبقى غابره على الدهرِ ويبعدُ عن الْوَحْشِيِّ الْمُسْتَكْرَهِ ويرتفعُ عن الْمَوْلَدِ الْمُنْتَحَلِ^(١) ويتضمنُ الْمَثَلَ السَّائِرَ وَالتَّشْبِيهَ الْمُصِيبَ وَالاسْتِعَارَةَ الْحَسَنَةَ.....

الشعرُ أصنافٌ: فشرُّهُ هو خَيْرُ كُلِّهِ، وذلك ما كان من بابِ الزُّهْدِ وَالْمَوَاعِظِ الْحَسَنَةِ وَالْمَثَلِ الْعَائِدِ عَلَى مَنْ تَمَثَّلَ بِهِ بِالْخَيْرِ وَمَا أَشَبَهَ ذَلِكَ؛ وَشَرُّهُ هو ظَرْفُ كُلِّهِ، وذلك القولُ فِي الْأَوْصَافِ وَالنُّعُوتِ وَالتَّشْبِيهِ وَمَا يُفْتَنُ^(٢) بِهِ مِنَ الْمَعَانِي وَالْآدَابِ؛ وَشَرُّهُ هو شَرُّ كُلِّهِ، وذلك الْهَجَاءُ وَمَا تَسَرَّعَ بِهِ الشَّاعِرُ إِلَى أَعْرَاضِ النَّاسِ؛ وَشَرُّهُ يُكْتَسَبُ بِهِ، وذلك أَنْ يَحْمِلَ (الشاعرُ) إِلَى كُلِّ سَوْقٍ مَا يَنْفُقُ فِيهَا وَيُخَاطِبُ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْ حَيْثُ هُوَ وَيَأْتِي إِلَيْهِ مِنْ جِهَةٍ فَهْمِهِ.....

٤- ★ ★ العمدة لابن رشيق (في أماكن كثيرة مختلفة)؛ تاريخ النقد الأدبي عند العرب
لاحسان عباس ٤٤٠-٤٤٤؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ١١١-١١٤؛ مجلة
الفكر (تونس) تموز (جويلية) ١٩٥٩ م، ص ٥-٨.

عبد العزيز الخشني القيرواني

١- عبدُ العزيز بنُ أبي سهلٍ الْخَشْنِيُّ الضَّرِيرُ الْقَيَّرَوَانِيُّ النَّحْوِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْبَقَالِ الضَّرِيرِ مِنْ أَهْلِ الْقَيَّرَوَانِ تَصَدَّرَ فِيهَا لِتَعْلِيمِ اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَالْأَدَبِ وَالشُّعْرِ. وَكَانَ بَادِيسُ بْنُ الْمَنْصُورِ بْنِ بُلْكَيْنَ (٣٨٦-٤٠٦ هـ) يَحْتَرِمُهُ وَيُكْرِمُهُ جَدًّا. وَقَدْ تُوفِّيَ

(١) الْمَوْلَدُ الْمُنْتَحَلُ (هنا): الْكَلَامُ الْمَأْخُوذُ مِنْ لَهْجَاتٍ غَرِيبَةٍ ثُمَّ لَمْ يَجْرِ أَخْذُهُ فِي صَوْغِهِ عَلَى مَقَايِيسِ الْعَرَبِ.

(٢) اقْتَنَى الرَّجُلُ فِي الْقَوْلِ: أَتَى بِأَفَانِينَ (بأنواع) مِنْهُ مَخْتَلِفَةٌ (وفاة: جيلة).

في السنة التي تُوفِّي فيها باديس، سنة ٤٠٦ هـ (١٠١٥-١٠١٦ م)، وقد أَسَنَّ جَدًّا .

٢- كان عبدُ العزيز الحُشنيُّ القيروانيُّ طيِّبَ النفسِ كثيرَ الحياءِ عالماً في اللغة والنحو والأدب، وكان شاعراً مطبوعاً سهَّلَ الكلامَ لطيفَ التركيبِ قريبَ مآخِذِ المعاني. وفنونه الوصفُ والعتابُ والغزلُ والنسيبُ والحكمة.

٣- مختارات من شعره

- قال عبدُ العزيزِ الحُشنيُّ في العتاب:

ولستُ كَمَنْ يَجْزِي عَلَى الْهَجْرِ مِثْلُهُ، وَلَكِنِّي أُرْدَادُ وَصَلًا عَلَى هَجْرِي.
وما ضَرَبَنِي إِتْلَافُ عُمْرِي كُلِّهِ إِذَا نِلْتُ يَوْمًا مِنْ لِقَائِكَ فِي عُمْرِي!

- أَرَادَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبُ جَرَّ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْحُشْنِيَّ إِلَى دَعْوَى (إِلَى شَهَادَةٍ فِي دَعْوَى يُجَانِبُ فِيهَا الْعَدْلَ) فَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ يَخَاطِبُهُ:

لَكُمْ عَلَيَّ وَفَاءٌ مَا حَيَّيْتُ؛ وَلَا أَغْدُو رِضَاكُمْ وَلَا أَرْضِي بِهِ أَحَدًا.
لَا تَسْأَلُونِي عَنْ دِينِي فَأَسْخِطْكُمْ؛ لَا بَغْتٍ دِينِي بِدُنْيَاكُمْ إِذَنْ أَبَدًا!

- وقال في العتاب والنسيب:

يَا غُصْنًا غَضًّا مِنَ الْآسِ وَدُرَّةً وَهْيَ مِنَ النَّاسِ،
صَوَّرَكَ اللَّهُ عَلَى صُورَةٍ كَانَتْ بِهَا أَسْبَابُ وَسْوَاسِي.
تَرْدِيدُ ذِكْرِي لَكَ فِي خَاطِرِي أَكْثَرُ مِنْ تَرْدِيدِ أَنْفَاسِي.
نَسِيتَ وَدِّي وَتَنَاسَيْتَنِي، وَلَيْسَ قَلْبِي لَكَ بِالنَّاسِي.
وَلَيْسَ لِي مِنْكَ سِوَى حَسْرَةٍ تَجُولُ بَيْنَ الشُّوقِ وَالْيَاسِ.

٤-★★ انباه الرواة ٢: ١٧٨ - ١٨٠، نكت الميانه ١٩٤ - ١٩٥، بغية الوعاة ٣٠٨.

سليمان المستعين

١- هو أبو أيوب سُلَيْمَانُ بْنُ الْحَكَمِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ، وَلِدَ سَنَةَ ٣٥٤ هـ (٩٦٥ م). وَلَمَّا بَلَغَ سُلَيْمَانُ أَشَدَّهُ كَانَتْ الْأَنْدَلُسُ قَدْ تَقَسَّمَتْ بِالْفِتْنَةِ بَيْنَ الْعَرَبِ

والبربرِ خاصّةً. وكان البربرُ أنفُسُهُم على جانبيِ الفِتْنَةِ مَعَ الْمُتَنَازِعِينَ. فَلَمَّا قُتِلَ مُحَمَّدٌ الْمُهْدِيُّ بْنُ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ، فِي سَادِسِ شَوَالٍ مِنْ سَنَةِ ٣٩٩ (١ / ٦ / ١٠٠٩ م) بَايَعَ الْبَرْبُرُ سُلَيْمَانَ بِالْخِلَافَةِ فَتَلَقَّبَ «الْمُسْتَعِينَ»، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ دُخُولَ قَرْطَبَةَ إِلَّا فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ (وَقِيلَ فِي رَبِيعِ الثَّانِي) مِنْ سَنَةِ ٤٠٠ (نَحْوُ ثَمَرِينَ الثَّانِي - نَوْفَمْبَرِ ١٠٠٩ م).

ثُمَّ إِنَّ سُلَيْمَانَ خَرَجَ بِمَجْمُوعِ أَتْبَاعِهِ مِنَ الْبَرْبُرِ يَجُولُ فِي أَقْطَارِ الْأَنْدَلُسِ لِلْقَضَاءِ عَلَى خُصُومِهِ، فَكَانَ الْبَرْبُرُ الذِّنَنَ مَعَهُ يَخْرِبُونَ وَيَقْتُلُونَ وَيُدْمِرُونَ. وَفِي شَوَالٍ مِنْ سَنَةِ ٤٠٣ (رَبِيعِ ١٠١٣ م) دَخَلَ قَرْطَبَةَ ثَانِيَةً فَاتَّخَذَ لِقَبًا ثَانِيًا هُوَ «الظَّافَرُ بِجَوْلِ اللَّهِ».

وَكَانَ مَعَ الْمُسْتَعِينَ رَجُلٌ مِنْ نَسْلِ الْأَدَارِسة يُقَالُ لَهُ عَلِيٌّ بْنُ حَمُودٍ فَوَلَّاهُ الْمُسْتَعِينَ عَلَى سَبْتَةِ وَطَنْجَةِ فِي الْعُبُودَةِ الْإِفْرِيقِيَّةِ (الْمَغْرِبِ). وَلَكِنْ عَلِيٌّ بْنُ حَمُودٍ كَانَ يَطْمَحُ إِلَى مَا فَوْقَ الْوِلَايَةِ فَتَنَّا عَلَى الْمُسْتَعِينَ ثُمَّ سَارَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَدَخَلَ قَرْطَبَةَ وَقَتَلَ سُلَيْمَانَ لِثَانِي لَيَالٍ (أَوْ تَسْعٍ) بَقِيْنَ مِنَ الْمُحَرَّمِ مِنْ سَنَةِ ٤٠٧ (١٧ أَوْ ١٨ / ٦ / ١٠١٦ م).

٢- كَانَ سُلَيْمَانُ الْمُسْتَعِينُ أَدِيبًا فَصِيحًا وَشَاعِرًا مُكْثِرًا لَهُ رِسَائِلُ وَقَصَائِدُ فِي فَنُونٍ كَثِيرَةٍ.

٣- مَخْتَارَاتُ مِنْ شِعْرِهِ

- قَالَ سُلَيْمَانُ الْمُسْتَعِينُ فِي الْفَخْرِ:

عَجَبًا! يَهَابُ اللَّيْتُ حَدَّ سِنَانِي، وَأَهَابُ لِحْظَةِ فَوَاتِرِ الْأَجْفَانِ^(١).
وَأَقَارِعُ الْأَهْوَالِ لَا مُتَهَيِّبًا مِنْهَا سِوَى الْإِعْرَاضِ وَالْهَجْرَانِ^(٢).
وَتَمَلَّكَتْ نَفْسِي ثَلَاثٌ كَالدُّمَى زُهْرُ الْوَجْهِ نَوَاعِمُ الْأَبْدَانِ^(٣).

(١) السنان: حديدة جارحة في رأس الرمح. فواتر الأجفان (ناعسات العيون: من صفات الجبال) كناية عن النساء الجميلات.

(٢) أنا أكافح جميع أهوال الحياة، ولكن أضعف (أعجز- بكسر الجيم) إذا أعرضت عني (هجرتني) النساء الجميلات.

(٣) ثلاث (ثلاث نساء). الدمية: الصورة الجميلة. أزهروا: أبيضوا.

ككواكسب الظلّاء لُحْنٌ لِنَاظِرٍ من فوقِ أغصانٍ على كُثبانٍ^(١)
هذي الهلالُ ، وتلكَ بنتُ المشتري حُسْنًا ، وهذي أُختُ غُصْنِ البانِ^(٢)
حَاكَمْتُ فِيهِنَّ السُّلُوَ إِلَى الصَّبَا فَقَضَى بِسُلْطَانٍ عَلَى سُلْطَانٍ^(٣)
فَأَبْخَنَ مِنْ قَلْبِي الْحِمَى وَثَنَيْنِي فِي عِزِّ مُلْكِي كَالْأَسِيرِ الْعَانِي^(٤)
لَا تَعْزِلُوا مَلِكًا تَذَلُّ لِلْهَوَى؛ ذُلُّ الْهَوَى عِزٌّ وَمُلْكٌ ثَانٍ
مَا ضَرَّ أَنِّي عَبْدُهُنَّ صَبَابَةً وَبَنُو الزَّمَانِ وَهْنٌ مِنْ عِبْدَانِي
إِنْ لَمْ أُطِغْ فِيهِنَّ سُلْطَانُ الْهَوَى كَلَفًا بِهِنَّ فَلَسْتُ مِنْ مَرْوَانٍ^(٥)

٤- * * جذوة المقتبس ١٩- ٢١ (الدار المصرية) ١٩- ٢٢؛ بغية الملتبس ٢١- ٢٢؛
المعجب ٤٢- ٤٥؛ الحلة السراء ٢: ٥- ١٢؛ البيان المغرب ٣: ٩١ وما بعد إلى
١٢٠؛ فوات الوفيات ١: ٢٢٣- ٢٢٤؛ الذخيرة ١: ٣٥- ٤٨ الخ؛ نفع الطيب
١: ٤٣٨- ٤٣١؛ الأعلام للزركلي ٣: ١٨٤- ١٨٥ (١٢٣).

أبو الحسن الكاتب المغربي

١- هُوَ أَبُو الْحَسَنِ (أَوْ الْحُسَيْن) مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِسْحَاقَ، وَلَدَ فِي الْقَيْرَوَانِ سَنَةَ
٣٣٤ هـ (٩٤٥- ٩٤٦ م) فِي بَيْتِ رِثَاسَةٍ وَكِتَابَةٍ وَوَجَاهَةٍ وَشِعْرِ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ
٤٠٨ هـ (١٠١٧- ١٠١٨ م).

- (١) لَحْنُ (لِجَاعَةِ الْإِنَاثِ الْغَائِبَاتِ مِنْ «لَا حَ» ظَهَرَ، بَدَأَ). الْغُصْنُ كُنَايَةٌ عَنِ الْقَوَامِ الْمَشْوُوقِ. الْكُثْبَانُ: الْجَانِبُ الْمُسْتَدِيرُ مِنَ الرَّمْلِ (كُنَايَةٌ عَنِ أَوْسَطِ الْجَسْمِ)- الْقَمَرُ (أَوْ الْكَوْكَبُ) الْأَبْيَضُ الْمَشْرُقُ فَوْقَ الْغُصْنِ (الْقَامَةِ الْمَشْوُوقَةِ) فَوْقَ الْكُثْبَانِ (وَسَطِ الْجَسْمِ الْمَمْتَلِئِ) مِنْ أَوْصَافِ الْمَرْأَةِ الْجَمِيلَةِ.
- (٢) الْمُسْتَرِي: كَوْكَبٌ يَدُورُ حَوْلَ الشَّمْسِ. غُصْنُ الْبَانِ: غُصْنٌ مُسْتَقِيمٌ تَشَبَّهُ بِهِ الْقَامَةُ الْمَشْوُوقَةُ الْجَمِيلَةُ.
- (٣) السُّلُو: النِّسْيَانُ. الصَّبَا: الشَّبَابُ. بِسُلْطَانٍ: بِقُوَّةٍ (بِقُوَّةِ الشَّبَابِ). عَلَى سُلْطَانٍ: مُلْكٌ (خَلِيفَةٌ).- جَمَلَتْ الصَّبَا حَكْمًا أَسْتَشِيرُهُ فِي نِسيَانِهِنَّ أَوْ الْإِسْتِمْرَارِ فِي حُبِّهِنَّ، فَحَكَمَ الصَّبَا عَلَيَّ (وَأَنَا سُلْطَانٌ، مُلْكٌ، خَلِيفَةٌ) بَأَن أَسْتَمِرَّ فِي حُبِّهِنَّ.
- (٤) أَبَاحَ الشَّيْءُ: مَكَّنَ مِنْهُ جَمِيعَ النَّاسِ. الْحِمَى: مَا تَجِبُ حَايَتُهُ مِنْ مَسْكَنِ أَوْ شَرَفِ الْخ. ثَنَاهُ: رَدَّهُ. الْعَانِي: الذَّلِيلُ (وَتَسْتَعْمِلُ عَادَةً لِلْأَسِيرِ).- هَؤُلَاءِ النِّسَاءُ الثَّلَاثُ اسْتَوْلَيْنَ عَلَى قَلْبِي (إِرَادَتِي) وَجَعَلْنِي (وَأَنَا مُلْكٌ فِي أَوْجِ الْقُوَّةِ) أَسِيرًا ذَلِيلًا لَهُنَّ.
- (٥) كَلَفًا بِهِنَّ: مَحَبًّا لَهُنَّ شَدِيدَ التَّعَلُّقِ بِهِنَّ. لَسْتُ مِنْ مَرْوَانَ: لَسْتُ مِنْ بَنِي مَرْوَانَ... (!).

٢- كان أبو الحسن الكاتب المغربي حَسَنَ الشعرِ في الوصفِ والمدحِ والغزلِ مع التصنيع أحياناً.

٣- مختارات من شعره

- قال أبو الحسن الكاتب المغربي يَصِفُ المَوْجَ:

انْظُرْ إِلَى الْبَحْرِ وَأَمْوَاجِهِ فَقَدْ عَلاهَا زَبَدٌ مُتَسِقٌ؛
تَخَالُهَا الْعَيْنُ إِذَا أَقْبَلَتْ خَيْلاً بَدَتْ فِي حَلْبَةٍ تَسْتَبِقُ،
حُمْراً وَدُهَاً؛ فَإِذَا مَا دَنْتُ مِنْ شَاطِئِ الْبَحْرِ عَلاهَا بَلَقٌ^(١).

- وقال يَمْدَحُ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي الْعَرَبِ (ت ٣٩٦ هـ). وكان ابنُ أبي العَرَبِ والياً على إفريقية (تونس) مُنْذُ سَنَةِ (٣٨٢ هـ):

سَأَشْكُرُ نِعْمَكَ الَّتِي أَنْبَسَطْتَ بِهَا يَدِي وَلِسَانِي فَهُوَ بِالْمَجْدِ يَنْطِقُ؛
وَأُنْثِي لِمَا أَوْلَيْتَنِي مِنْ صَنِيعَةٍ وَمِنْ مِنَّةٍ تَغْدُو عَلَيَّ وَتَطْرُقُ^(٢).
وَكُلَّ أَمْرٍ يَرْجُو نَدَاكَ مُوَفَّقٌ، وَكُلَّ أَمْرٍ يُشْنِي عَلَيْكَ مُصَدَّقٌ.

- وقال في الغزل:

أَبْرَقَ سَرَى أُمِّ وَجْهِ لَيْلَى تَبَلَّجَا فَشَقَّ بِأَيْدِي النُّورِ أَقْصَصَ الدُّجَا^(٣)؟
لَئِنْ بَيَّتَ بِالْبَيْنِ وَجْداً لِقَلْبِهِ أَثَارَ جَوَى هِجْرَانِهَا مُتَأَجَّجَا،^(٤)
فَمَا صَدَّعَتْ إِلَّا حَشّاً مُتَصَدِّعَا وَلَا هَيَّجَتْ إِلَّا فُؤَاداً مُهَيَّجَا.
تُرِيكَ الشَّقِيقَ الْغَضَّ مِنْهَا مُحَاجِرَا مُكْحَلَّةً مِنْهَا، وَخَدّاً مُضَرَّجَا^(٥).

(١) الأدهم: الأسود. البلق: البياض (إذا ركضت الخيل تراكم على جسمها عرق أبيض). وإذا اقتربت الأمواج العالية من الشاطئ بدت بيضاء (لاختلاط مائها بالهواء).

(٢) تطرق: تطلع عليّ، تأتيني.

(٣) تبلج الصبح: أضاء.

(٤) البين: الفراق، البعاد. الوجد: شدة الحب. الجوى: ألم الحب.

(٥) عيناها تشبهان شقائق النعمان (من حيث السمة لا من حيث اللون). ولكنها مكحلّتان بسواد (يشبه البقع السوداء الموجودة على بتلات الشقائق الحمراء). مضرّج: أحمر (من التلطّخ بالدم).

- وتَحَسَّبُ نَوْرَ الْأَفْحْوَانِ إِذَا بَدَأَ - وَكَفُّ الْحَيَا يَجْلُوهُ - تَغْرَأُ مُفْلَجًا^(١) .
 كَأَنَّ دَنَانِيرًا بِهِ وَدَرَاهِمًا تُثْرَنَ عَلَيْهَا مُفْرَدًا وَمُزَوَّجًا .
 ٤- ★ ★ الأَنُودَج (السنوسي) ١١٧ - ١٢١ ؛ الوافي بالوفيات ٢ : ٢١٤ - ٢١٦ .

مريم الشلبية

- ١- هي الحَاجَّةُ مَرِيْمُ بِنْتُ أَبِي يَعْقُوبَ الْفَصُولِي^(٢) أَصْلُهَا مِنْ شَلْبَ، وَلَكِنَّهَا سَكَنْتْ إِشْبِيلِيَّةَ وَكَانَتْ لَهَا فِي إِشْبِيلِيَّةَ شَهْرَةٌ. وَقَدْ كَانَتْ تُعَلِّمُ النَّسْلَ . وَأَسْنَتْ مَرِيْمُ كَثِيرًا وَمَاتَتْ بَعْدَ سَنَةِ ٤٠٠ (١٠١٠ م) بِأَمْدٍ .
 ٢- كَانَتْ مَرِيْمُ الشَّلْبِيَّةُ أَدِيبَةً شَاعِرَةً جَزَلَةً الشَّعْرِ مَشْهُورَةً؛ وَفِي تَرَكَيبِهَا شَيْءٌ مِنْ الضَّعْفِ .

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ شَعْرِهَا

- بَعَثَ ابْنُ الْمُهَنْدِ^(٣) إِلَى مَرِيْمِ الشَّلْبِيَّةِ بِدَنَانِيرٍ وَكَتَبَ إِلَيْهَا مَعَ هَذِهِ الدَّنَانِيرِ بِأَيَّاتٍ مَطْلُوعًا: « مَا لِي بِشُكْرِ الَّذِي أَوْلَيْتَ مِنْ قَبْلِ^(٢) (ب) » ، فَكَتَبَتْ إِلَيْهِ:
 مِنْ ذَا يُجَارِيكَ فِي قَوْلٍ وَفِي عَمَلٍ وَقَدْ بَدَّرْتَ إِلَى فَضْلٍ وَلَمْ تُسَلِّ^(٤) ؟
 مَا لِي بِشُكْرِ الَّذِي نَظَّمْتَ فِي عُنْفِي مِنْ اللَّالِي وَمَا أَوْلَيْتَ مِنْ قُبُلٍ^(٥) .
 حَلَيْتَنِي بِحُلَى أَصْبَحْتُ زَاهِيَةً بِهَا عَلَى كُلِّ أَنْثَى مِنْ حُلَى عَطَلٍ^(٦) .

(١) تَغْرَأُ مُفْلَجٌ: فَمَ أَسْنَانُهُ مَفْتَرَقٌ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ. تَرِيكَ (هِيَ) الشَّقِيقُ (مَفْعُولٌ بِهِ أَوَّلٌ) مُحَاجِرٌ (مَفْعُولٌ بِهِ ثَانٍ).
 (٢) فِي « بَغِيَّةِ الْمُلْتَمَسِ » الْفَصُولِي (بِفَتْحِ الْفَاءِ وَالصَّادِ) وَفِي غَيْرِ بَضْمِ الْفَاءِ وَفَتْحِ الصَّادِ.
 (٣) فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ « الْمُهَنْدِي » (وَهُوَ فِي الْأَغْلَبِ خَطَأً- رَاجِعَ الْبَيْتِ الْأَخِيرِ).
 (٤) (ب) مِنْ قَبْلِ (بِكْسَرٍ وَفَتْحٍ): طَاقَةٌ، قُدْرَةٌ.
 (٥) بَدَر: سَبَقَ. لَمْ تَسَلْ: لَمْ تَسْأَلْ (بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ).
 (٦) مِنْ قَبْلِ (بِضْمٍ فَضْمٍ) مِنْ قَبْلِ (يَبْدُو أَنَّ ابْنَ الْمُهَنْدِ كَانَ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا مَرَارًا قَبْلَ ذَلِكَ).
 (٦) الْعَطَلُ (بِضْمٍ فَضْمٍ): الْعَاطِلُ (الْمَرْأَةُ الْجَمِيلَةُ جَمَالًا طَبِيعِيًّا فَتَسْتَغْنِي عَنِ التَّزْيِينِ بِالْحُلَى).

لِلّهِ أَخْلَاقُكَ الْغُرُّ الَّتِي سُقِيَتْ مَاءُ الْفُرَاتِ فَرَقَّتْ رِقَّةَ الْغَزَلِ .
 أَشْبَهَتْ فِي الشَّعْرِ مِنْ غَارَتْ بَدَائِعُهُ وَأُنْجَدَتْ وَغَدَّتْ مِنْ أَحْسَنِ الْمَثَلِ ^(١) .
 مِنْ كَانَ وَالِدُهُ الْعَضْبَ الْمُهَنْدَ لَمْ يَلِدْ مِنَ النَّسْلِ غَيْرَ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ ^(٢) .
 - وَقَالَتْ لَمَّا أَسْنَتْ وَبَلَغَتْ سَبْعًا وَسَبْعِينَ سَنَةً :

وَمَا يُرْتَجَى مِنْ بِنْتِ سَبْعِينَ حِجَّةً وَسَبْعٍ كَنَسَجَ الْعَنَكِبُوتِ الْمُهْلَهْلِ ^(٣) .
 تَدِبُّ دَيْبَ الطِّفْلِ تَسْمَى إِلَى الْعَصَا وَتَشِي بِهَا مَشْيَ الْأَسِيرِ الْمَكْبَلِ ^(٤) .

٤- * * جذوة المقتبس ٣٨٨ (الدار المصرية) ٤١٢-٤١٣ (رقم ٩٨٦)؛ بغية الملتبس ٥٢٨-٥٢٩ (رقم ١٥٨٤)؛ الصلة ٥٦-٥٧ (رقم ١٥٣٧)؛ نفح الطيب ٤: ٢٩١؛
 الأعلام للزركلي ٨: ٩٩ (٧: ٢١٠).

الْقَرَّازُ النُّحْوِيُّ الْقَيْرَوَانِيُّ

١- هو أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ التَّمِيمِيِّ النُّحْوِيُّ الْقَيْرَوَانِيُّ الْمَشْهُورُ بِالْقَرَّازِ الْقَيْرَوَانِيِّ ^(٥)، وَلِدَ فِي الْقَيْرَوَانِ نَحْوَ سَنَةِ ٣٢١ هـ (٩٣٢ م).
 رَحَلَ الْقَرَّازُ الْقَيْرَوَانِيُّ إِلَى الْمَشْرِقِ فَنَزَلَ فِي مِصْرَ وَدَخَلَ فِي خِدْمَةِ الْعَزِيزِ الْفَاطِمِيِّ (٣٦٥-٣٨٦ هـ) وَأَلَّفَ لَهُ كِتَابَ «الْجَامِعِ» فِي اللُّغَةِ. وَحَجَّ الْقَرَّازُ الْقَيْرَوَانِيُّ ثُمَّ زَارَ الْعِرَاقَ وَلَقِيَ الْحَسَنَ بْنَ بِشْرِ الْأَمْدِيِّ (ت ٣٧٠ هـ) صَاحِبَ كِتَابِ «الْمُؤَانَزَةِ بَيْنَ أَبِي تَمَّامٍ وَالْبُحْتَرِيِّ». ثُمَّ إِنَّهُ عَادَ إِلَى الْقَيْرَوَانِ وَتَصَدَّرَ فِيهَا لِلتَّعْلِيمِ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي

- (١) بدائعه: أبيات شعره البديعة. غارت: نزلت إلى الغور (بفتح الغين المعجمة: الأرض المنخفضة). أنجدت: صعدت إلى نجد (المكان المرتفع)- أشعاره اشتهرت في كل مكان.
- (٢) العضب: السيف القاطع. المهند: السيف من صنع الهند. البيض: السيوف. الأسل: الرماح (يلد البيض والأسل: يلد الشجعان).
- (٣) المهلهل: الرقيق (الضعيف).
- (٤) المكبل: المقيد.
- (٥) يرى المنجي الكمي أن لقب القرّاز أضيف إلى اسم أبي عبد الله محمد بن جعفر التميمي، وأن هذا الرجل لا يعرف لا بالقرّاز ولا بآبى القرّاز، ومع ذلك فقد آلف المنجي الكمي كتاباً عن هذا الرجل وسمي الكتاب «القرّاز القيرواني» (راجع المصادر والمراجع) وراجع القرّاز القيرواني للمنجي الكمي (ص ٨-١٥).

القيروان سنة ٤١٢ هـ (١٠٢١-١٠٢٢ م).

٢- القَرَّازُ النحويُّ القيروانيُّ شيخ القيروان في العربية، أي النحو (راجع نفع الطيب ٢: ١١٠) أديبٌ مشهورٌ ناثرٌ شاعرٌ مُجيدٌ مطبوعٌ مصنوعٌ (معجم الأدباء ١٨: ١٠٧)، وهو أيضاً لغويٌّ نحويٌّ. والشعرُ الباقي لنا من القَرَّازِ القيروانيِّ مقطّعاتٌ وُجدانيةٌ تتنازُ بالسَّلاسةِ والسَّهولةِ. ثم هو ناقدٌ أيضاً. وتصانيفُ القَرَّازِ القيروانيِّ^(١) كثيرةٌ: كتابُ الحروف - إعراب (القصيدة) الدرّيدية وشرحها - كتابُ المعترض - كتابُ المفترق - ما يجوزُ للشاعر في الضرورة - الجامع في اللغة (وهو كتابٌ واسعٌ جداً في اللغة مرتّب على حروف المعجم) - المُثَلَّث (المُثَلَّث أو المُثَلَّثات لفظة ثلاثية ساكنة الوسط يأتي أولها مفتوحاً ومكسوراً ومضموماً ثم يختلف معنى هذه اللفظة باختلاف حركة أولها) - كتاب فيه ذكرُ شيء من الحُلَى (الصفات الجسمية كاللون والقَدَّ وصفات الأعضاء وذكر العيوب الجسمية، وربّما ذُكِرَ النَّسَبُ: نحو: رومي، إفرنجي، تُركي، بربري حيناً تدلّ هذه الصفاتُ على خصائصَ جسدية بارزة) - كتابُ العَشَرَات (ذكر القَرَّازُ الألفاظ التي تبلغ معاني اللفظة الواحدة منها عشرة معانٍ مختلفة أو تزيدُ على عشرة) - كتابُ المِثَالِات (وَعَدَ القَرَّازُ بتأليفه، ولا نعلم إذا كان قد ألّفه) - كتابُ الظاء أو كتاب الضاد والطاء (الكلمات التي يستوي معناها إذا كُتبت مبدوءة بضادٍ أو بطاء!) - الكلمات المشاكلة الصور - كتاب التعريض والتصريح (مجموع حكاياتٍ فيها تعريضٌ ظاهر من الأجوبة المفحمة) - شرح رسالة البلاغة (وهو كتاب كبير) - ما أُخِذَ على المتنبي من اللحن والخطأ - أبياتٌ معاني من شعر المتنبي - معاني الشعر - شرح رسالة الشيخ أبي جعفر العدوي - أدبُ السلطان والتأدّب له.

٣- مختارات من آثاره

- من مقدّمة كتاب العشرات:

.... أَمَا بَعْدُ - جَعَلَ اللهُ الشَّيْخَ الرَّئِيسَ أَبَا عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي الْعَرَبِ الْكَاتِبَ، أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ وَأَدَامَ عِزَّهُ وَنَعْمَاءَهُ - فَقَدْ اتَّصَلَ بِي مَا ذَكَرَهُ مِنْ كِتَابِ الْعَشَرَاتِ

(١) راجع «القَرَّازُ القيرواني للمنجي الكمي، ص ٤٤ وما بعدها.

لأي عمرو وعمرو محمد بن عبد الواحد المعروف بالزاهد فرغبت في ما رغبت فيه، ومثلت إلى النظر في ما مال إليه رغبة (في) أن أولف كتاباً في معناه أوذي به بعض ما يلزمني من حقه راجياً أن يقع في التأليف بموافقة. ورأيت أبا عمرو قد أخذ في باب من العلم متسع (ثم هو) يسلك طريقاً في التأليف غير ممتنع: يجد المؤلف فيه من المئات ما وجدته أبو عمرو من العشرات. ولست أقصد به وجود ما ذكرناه من المئات في أبواب ما صنّفه من العشرات، غير أننا لا نذري ما السبب المانع من تكثيره، وما العائق القاصر عن يسيره. فأردنا أن نأتي في أبوابه على حد ما رسم في كتابه من المئات بأضعاف ما جئنا به من العشرات. ثم علمنا مع ذلك أننا لو تكلفناه وجئنا به على ما ذكرناه لما كان غريباً في التأليف ولا مستظرفاً من التصنيف، إذ كان الكلام كله لا يخرج عن ثلاثة أقسام: معانٍ مُفترقات يُعبرُ عنها بالفاظٍ مُختلفاتٍ، كقول أبي عمرو: «المتع مشية قبيحة، والمنع السرطان، والمتع الطول» وأشياء ذلك.... ومعانٍ متفقات يُعبرُ عنها بالفاظٍ متفقاتٍ، وهذا الباب قليل التأليف، مثله غريب؛ فآلفنا ما وجدنا فيه من العشرات إلى ما يزيد عليها وسمّيناه منها. وخشينا أن يتوهم علينا تقصير في ما ضميناه من المئات في ما أتى به أبو عمرو من العشرات، فقدّمنا أمام ما قصدناه باباً ندلّ به على القدرة على ما ضميناه مُبَوِّباً على باب من كتاب أبي عمرو موجود ليُعلم قدر الزيادة عليه ويوجد ما ضميناه فيه. فمن قول أبي عمرو: «المتع مشية قبيحة، والودع المقبرة، والمنع السرطان، والسطع الأخذ، والكنع النقد، والقع الكنف، والمتع الطول، والسلع الشق، والقنع أن يطأ طيء (الإنسان) رأسه، والوقع الطريق في الجبل». فهذه عشرة أبي عمرو.

وقلنا موصولاً بذلك: والنخع قتل النفس أسفاً، والبذع اختراع الشيء، والبطع القطع، والبكع استقبال الرجل (رجلاً) بما يكره، والبلع كثير الصمت، والبصع ضيق مخرج الماء، والبضع قطع اللحم.... الخ.

- من مقدمة كتاب «ضرائر الشعر»:

هذا كتاب أذكر فيه- إن شاء الله- ما يجوز للشاعر عند الضرورة من الزيادة

والنقصان و(من) الاتّساع في سائر المعاني من التقديم والتأخير والقلب والإبدال وما يتصل بذلك من الحجج عليه وتبين ما يمر من معانيه فأرّده إلى أصوله وأقيسه على نظائره. وهو باب من العلم لا يسع الشاعر جهله ولا (هو) يستغني عن معرفته ليكون له حجة لما يقع في شعره مما يضطر إليه من استقامة قافية أو وزن بيت أو إصلاح إعراب. وذلك أن كثيراً ممن يطلب الأدب - وأخذ نفسه بدراسة الكتب - إذا مر به بيت لشاعر من أهل عصره أو لطالب من نظرائه فيه تقديم أو تأخير أو زيادة أو نقصان أو تغيير حركة عما حفظ من الأصول المؤلفة له في الكتب أخذ في التشنيع عليه والطنن على علمه....

- قال القزّاز القيرواني في الغزل والنسيب:

إذا كان حظّي منك لحظة ناظرٍ على رِقبة لا أَسْتَدِيمُ لها لحظاً،
رَضِيتُ بها في مُدّة الدهر مرّةً، وأَعْظِمُ بها من حُسْنِ وَجْهِكَ لي حظاً.
ولو نَظَرَ بعين الحقّ لَعَلِمَ أنّ ذلك لا يَخْرُجُ إلّا من وَجْهين: إمّا أن يكون ذلك جائزاً لِعِلَلٍ تَعَيَّنَتْ عنه ولم يبلُغِ النّهاية من عِلْمِها، وهو كذلك؛ (ثم) وهُمّه الذي لَعَلّه، إنْ نُبِّهَ عليه أو أعادَ (هو) نَظَرَهُ فيه رَجَعَ عنه إلى الصواب وتخطّاه إلى ما لا مَطْعَنَ فيه من الكلام، إذ كان غير معصومٍ من الخطأ ولا بمنوعٍ من الزلّ. فليس للناظر في الأصول - مع تأخّره عن الإحاطة بسائر الفروع - المُجَومُ على ما لَعَلّه جَائِزٌ عِنْدَ المُتَقَدِّمين في العِلْمِ (من) الناظرين بعين الحقّ.....

- وله في النسيب (الوافي بالوفيات ٢ : ٣٠٥؛ معجم الادباء ١٨ : ١٠٨):

أَحِينَ عَلِمْتَ أَنَّكَ نُورٌ عَيْنِي وَأَنِّي لَا أَرَى حَتَّى أَرَاكَ،
جَعَلْتَ مَغِيبَ شَخْصِكَ عَنِّي يَغِيبُ كُلَّ مَخْلُوقٍ سِوَاكَ.

للاطلاع على طبعات كتب «القزّاز القيرواني» ومراجع ترجمته راجع ص ٣٧٤

محرز بن خلف

١ - هو مُحَرِّزُ بنِ خَلْفِ بنِ رَزِينِ التَّمِيمِي، يَتَّصِلُ نَسَبُهُ بِأبي بَكْرِ الصِّدِّيقِ. كان من أهل إفريقية (القطر التونسي)، ومولده فيها نحو سنة ٣٤٠ (١٠٣٨ - ١٠٣٩ م). ويبدو أنّه بدأ منذ مطلع حياته بتربية الصبيان وتعليمهم أمور الدين ومكارم

الأخلاق.. وقد لقيَهُ عبدُ الرحيم بنُ نصرٍ التميمي البخاري^(١) وصَحَبَهُ. وكانت وفاةُ مُحرزِ بنِ خلفٍ سنةَ ٤١٣ (١٠٢٢ - ١٠٢٣ م). ومدفنه معروفٌ في المدرسة التي كان يُعلِّم فيها في داخلِ تونسِ الحاضرة.

٢- كان مُحرزُ بنُ خلفٍ رجلاً صالحاً وواعظاً ذا تأثيرٍ وهيبَةٍ في النفوس، كما كان ورعاً جليلاً وذا ميلٍ إلى التصوف. له « حِرْزُ الأقسام » وهي قصيدةٌ صوفيَّةٌ ذَكَرَ بروكلمن (الملحق ١ : ٧٨٥) أَنَّهَا تُنسَبُ إليه. أما المُقرِّي الجَدُّ (ت ٧٥٩ هـ) فجاء في تائيته التي قال إنه تَمَّ بها تائيَّةُ ابنِ الفارض (نفع الطيب ٥ : ٣٣٥) :
وفي حِرْزِ أقسامِ المؤدِّبِ مُحرزٍ وحزبِ أصيلِ الشاذليِّ وبُكرَةٍ...

وكذلك كان مُحَرِّزُ بنُ خلفٍ أديباً ناثراً شاعراً له شعرٌ في الزهد وفي الوصف. وشعره بارعٌ وأسلوبه سهلٌ.

٣- مختارات من آثاره

- قال مُحَرِّزُ بنُ خلفٍ يَصِفُ أطلالَ مدينةِ قَرْطاجِنَةَ (قرطاجة قُرْبَ تُونِسِ الحاضرة):

خَلِيلِي، مُرًّا بِالْمَدِينَةِ وَأَسْمَعَا . مَدِينَةَ قَرْطَاجِنَةِ تَمَّ وَدَّعَا^(٢)
طُلُولًا بِهَا تَبْكِي لِفُقْدَانِ أَهْلِهَا، كَمَا نَدَبَ الْأُطْلَالَ كِسْرَى وَتُبَّعَا^(٣).
وقولا لها: مَا بَالُ رَبِّعِكَ دَارِسًا؟ وَمَا بَالُ وَفْدٍ قَدْ بَنَّاكَ وَوَدَّعَا^(٤)

(١) هو أبو زكريَّا عبد الرحيم بن أحمد بن نصر بن اسحاق بن عمرو بن مزاحم بن غياث التميمي البخاري حافظ للحديث ومحدث، أصله من بخارى ونزل مدةً في مصر، جاء إلى إفريقية وصحب محرز بن خلف وجال في المغرب ودخل الأندلس. مولده سنة ٣٨٢ ووفاته سنة ٤٧٠ هـ.

(٢) اسمعا (تنبها) إلى ما يمكن أن تحدث به هذه المدينة عن سكَّانها الذين انقرضوا.

(٣) « طلولا » منقول به من « ودَّعا » في البيت السابق. كسرى (لقب ملوك الفرس) وتبع (لقب ملوك اليمن). لا وجه لنصب « تبع » (وكسرى طبعاً) إلا إذا قلنا: « كما تندب الأطلال. (بالرفع: فاعل) كسرى وتبعها ».

(٤) الربيع: المكان المأهول. دارس: قد امتحت معاله. الوفد: القوم يأتون ثم يرجعون.

وخلّاك- من بعد اجتماع وغبطة ومن بعد تشييد- خلّا وبلفعا^(١)؛
تُصَفُّ فيك الريحُ من كلّ جانب؛ وفرّق منك الدهرُ ما قد تجمعا!
ثمّ ذكر الطياطر (التياترو: المسرح) الذي فيها فقال:

ومن بعده الرومان، يا صاح، قد بنى
وألف من بعد العريضة فرضها،
تراها كمثّل العقد في الجيد نظمت،
فلما أنتهى بُنيانهم ثمّ أوصلوا
وفرّقه بين القصور جدّوا ولا
فلم يُغن عنهم ما بنّوه وشيدوا
فيا صاحبي، إن جزّتها برُبوعها،
فلنّ تسمعا إلا الصدى- بعد هاتف-
طياطرها ثمّ القناة فأبدعا^(٢)،
وشدّ ببعض بعضها فتجمعا^(٣).
فلا بعضها يعلو على البعض إصبعا^(٤).
بها من زلال الماء ما قد تفرّعا^(٥)،
وأفرطه حتّى أعمّ وأشبعها
وما متّعوا في الدهر مع من تمّتعا^(٦).
خليليّ، إلا نادياي وسمعا^(٧)،
مُجيباً لها، ثمّ الرياح الزُّعازعا^(٨)!

- وكتب إلى الأمير المعزّ الصنهاجي^(٩) في التوصية ببعض (بفردي من) تلاميذه:

- (١) خلّا (من السكان) وبلقما (خالية من كلّ شيء).
- (٢) يستعمل الرومان مفرداً (يعني الشعب الروماني). القناة: قناة بحر الماء. في عنوان الأريب (ص ٣٧) عدد من هذه الأبيات خمس....
- (٣) هذا البيت يصف المدرّج في المسرح. العريضة (الباحة المستوية في وسط المسرح للتمثيل؟). الفرضة (بالضمّ) من النهر: مشرب الماء منه. وجمعها فرض (بضم ففتح). والملموح من البيت التالي أن الشاعر يقصد المقاعد في المدرّج أو الصفوف المدرّجة نفسها.
- (٤) تراها (أي صفوف المدرّجات التي هي دوائر حول المسرح) كأنّها عقد متعدّد الأساط وأتّه أي المسرح- عنق.
- (٥) الزلال: الماء العذب الصافي. تفرع الماء (أي كان مشتّتاً في أماكن مختلفة فجاء به بواسطة هذه القناة مجموعاً إلى قرطاجة (كما يلفظها أهل تونس، اليوم).
- (٦) وما متّعوا به...
- (٧) البيت غامض لسوء تركيبه. الملموح: يا صاحبي وخليليّ، إذا مررتما بقرطاجة فنادياي وسمعا (ارفعما الصوت عالياً).
- (٨) الهاتف: المنادى. الزعازع: الريح الشديدة.
- (٩) المعزّ الصنهاجي بن باديس (٤٠٦-٤٥٢ هـ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . حَقَّقَ اللَّهُ الْحَقَّ فِي قُلُوبِ الْعَارِفِينَ ^(١) مِنْ عِبَادِهِ وَنَقَلَ
 الْمَذْنِبِينَ إِلَى مَا افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنْ طَاعَتِهِ . أَنَا رَجُلٌ عَرَفْتُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ أَسْمَى ، وَهَذَا
 مِنَ الْبَلَاءِ ^(٢) . وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ . وَرَبِّمَا أَتَانِي الْمُضْطَرُّ يَسْأَلُ
 الْحَاجَةَ : فَإِنْ تَأَخَّرْتُ خِفْتُ ، وَإِنْ سَاعَدْتُ فَهَذَا أَشَدُّ ^(٣) . وَقَدْ كَتَبْتُ إِلَيْكَ فِي مَسْأَلَةِ
 رَجُلٍ مِنَ الطَّلَبَةِ طُولِبَ بِدَرَاهِمَ ظُلْمًا ، وَلَا شَيْءَ لَهُ ^(٤) . وَحَامِلُ رُقْعَتِي يَشْرَحُ لَكَ مَا
 جَرَى . فَعَامِلٌ فِيهِ مِنْ لَا بُدَّ مِنْ لِقَائِهِ ، وَاسْتَحَ تَمَّ بِنِعْمَتِهِ وَجَدَتْ نَعِيمَ الْعَيْشِ ^(٥) .
 وَاحْذَرُ بَطَانَةَ السُّوءِ فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يَرِيدُونَ دَرَاهِمَكَ . وَشَاوِرْ فِي أَمْرِكَ مَنْ يَتَّقِي اللَّهَ : وَمَنْ
 يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ، وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا . وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ ، فَإِنَّهُ مَنْ
 يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ^(٦) . وَالسَّلَامُ .

٤- * * نفح الطيب ٣ : ٦٣ ، ٥ : ٣٣٥ ؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ١١٦ - ١١٩ ؛
 بروكلمن ، الملحق ١ : ٧٨٥ ، ٢ : ١٠٠٩ ؛ عنوان الأريب ٣٥ - ٣٧ .

المُسْتَظْهَرُ بِاللَّهِ الْمُرَوَّاتِي

١- هو أَبُو الْمَطْرُفِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ ،
 وَلِدَ سَنَةَ ٣٩١ هـ (١٠٠١ م) وَعَاشَ فِي أَيَّامِ ضَعْفِ الْخِلَافَةِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ وَمِخْنَةِ الْفِتْنَةِ
 بَيْنَ الْعَرَبِ وَالْبَرْبَرِ عَلَى اقْتِسَامِ مَغَانِمِ الْحُكْمِ . قَدَّمَهُ الْعَامَّةُ عَلَيْهِمْ فَفَاجَأَ بِهِمْ غَرْنَاطَةَ
 وَقُرْطُبَةَ وَأَزَالَ دَوِيلَةَ الطَّوَائِفِ الَّتِي كَانَتْ لِبَنِي حَمُودٍ فِي الْبُلْدَيْنِ . فَنَصَّبَهُ الْعَامَّةُ
 خَلِيفَةً فِي رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٤١٤ (أَوَاخِرَ ١٠٢٣ ، وَأَوَائِلَ ١٠٢٤ م) وَعُمُرُهُ يَوْمَئِذٍ
 ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً ، فَتَلَقَّبَ الْمُسْتَظْهَرُ .

- (١) العارف : الصوفي المتقدم في طريق التصوّف . والعارف : المطلع على بواطن الأمور .
- (٢) هذا من البلاء (الشهرة التي تحمل الناس على أن يطلبوا من المشهور أموراً كثيرة تخرج عن نطاق قدرته) .
- (٣) إن تأخرت عن تلبية حاجته خفت أن يصيبه ضرر فأشعر بالتقصير ، وإن حاولت مساعدته خفت أن أطلب من الحاكم ما لا يجوز طلبه .
- (٤) لا شيء له (لا يملك المبلغ الذي طلب منه - لا وجه حق في طلب المبلغ منه) .
- (٥) فعامل فيه من إلخ (أي الله) .
- (٦) راجع القرآن الكريم في هذه الآيات الثلاث (٦٥ : ٢ - ٤ ، سورة الطلاق) .

بدأ المستظهر بتوزيع المناصب على الناس لمن يستحقها ولمن لا يستحقها، فلم يكن له ولا لهم هينة ولا حقيقة من حقائق الحكم. ثم اتفق أن جاء إليه رجلاً من البربر فأكرمها (ربما دفعاً لشرها أو شر قومها) فأساء العامة الظن به وظنوه يريد إعادة سلطة البربر إلى قرطبة فهجموا عليه وقتلوه في ٢٦ من ذي القعدة من سنة ٤١٤ نفسها (١٠ / ٣ / ١٠٢٤ م).

٢- جاء في « الذخيرة » (١ : ٤٨) أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ هِشَامٍ (المستظهر) كَانَ ذَكِيًّا أَدِيبًا اكْتَسَبَ اخْتِبَارًا مِنْ تَقْلُبِهِ فِي الْبِلَادِ تُطَارِدُهُ الْخَوَافُ (ولكنه لم يستفد من هذا الاختبار فائدة تُذكر). وَكَانَ حَسَنَ الْكَلَامِ جَيِّدَ الْقَرِيحَةِ مَلِيحَ الْبَلَاغَةِ يَتَصَرَّفُ فِي الْخُطَابَةِ بِدِيَّةٍ وَرَوِيَّةٍ (ارتجالاً واستعداداً) وَيَصُوغُ قِطْعًا مِنَ الشَّعْرِ مُسْتَجَادَةً. وَيَبْدُو أَنَّهُ كَانَ أَيْضًا كَرِيمَ النَّفْسِ عَفِيفًا لَمْ يَشْرَبِ الْخَمْرَ وَلَا وَقَعَ مُحَرَّمًا. وَبَرَعَ فِي الْعِتَابِ وَالْفَزْلِ وَالْوَصْفِ وَفِي الْفَخْرِ أَيْضًا.

٣- مختارات من شعره
- خَطَبَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ هِشَامٍ (المستظهر) حَبِيبَةَ بِنْتِ سُلَيْمَانَ الْمُسْتَعِينَ (وَكُنِّيْتُهَا أُمُّ الْحَكَمِ)، وَلَكِنْ أَمَّا شَنْفٌ (أَوْ مَشْنَفٌ) وَعَدَّتْهُ بِهَا ثُمَّ أَخْلَفَتْ. وَاعْتَذَرْتُ إِلَيْهِ بِعُذْرٍ غَيْرِ مَقْبُولٍ، فَقَالَ (الذخيرة ١ : ٥٦):

وَجَالِبَةُ عُذْرًا لِيَتَصَرَّفَ رَغْبَتِي؛	وَتَأْبَى الْمَعَالِي أَنْ تُجَيِّزَ لَهَا عُذْرًا.
يُكَلِّفُهَا الْأَهْلُونَ رَدِّي سَفَاهَةً،	وَهَلْ حَسَنٌ بِالْشَّمْسِ أَنْ تَمْنَعَ الْبَدْرَ ^(١) ؟
وَمَاذَا عَلَى أُمِّ الْحَبِيبَةِ، إِذْ رَأَتْ	جَلَالَهَ قَدْرِي، أَنْ أَكُونَ لَهَا صِهْرًا؟
تَعَلَّقَتْهَا مِنْ عَبْدٍ شَمْسٍ غَرِيرَةٍ	مُحَدَّرَةٍ مِنْ صَيْدٍ أَبَانَهَا غُرًّا ^(٢) .
لَقَدْ طَالَ صَوْمُ الْحُبِّ عَنْكَ، فَمَا الَّذِي	يُضْرِّكُ مِنْهُ أَنْ تَكُونِي لَهُ فِطْرًا؟

- (١) تمنع (مبنية للمعلوم): لا يليق بالشمس (المرأة الجميلة) أن تمنع (ترفض الزواج) بالبدر (بالرجل الجميل الكريم). تمنع (مبنية للمجهول): لا يجوز لأحد أن يمنع الشمس من الاقتران بالبدر.
(٢) عبد شمس: بنو أمية. محدرة (ينحدر نسبها). الصيد (بالكسر جمع أصيد: الشريف). الفرّ جمع أغرّ: أبيض (ذو أصل ومكانة).

وإني لأستشفي بمرّي بداركم
والصق أحشائي ببرد ثرابها
فإن تصرفني، يا ابنة العم، تصرفني
وإني لأزجو أن أطوق مفخري
وإني لطعان إذا الخيل أقبلت
وإني لأولى الناس من قومها بها
وعندي ما يصي الحليمة ثيباً
جال وآداب وخلق موطاً

هدوءاً، وأستسقي لساكنها القطراً^(١).
لأطفيء من نار الأسى بكُم جراً.
- وعيشك - كفاً مدّ رغبته ستر^(٢).
يملكي لها، وهي التي عظمت فخراً^(٣).
جرائدُها حتى ترى جونها شقراً^(٤).
وأنبهم ذكرًا وأرفعهم قذراً.
وئسي الفتاة الخود عذرتها البكراً^(٥).
ولفظ، إذا ما شئت، أسمعك السحرا^(٦).

- وله في الغزل الخفيف (الذخيرة ١: ٥٧ - ٥٨):

طال عمرُ الليلِ عندي
يا غزالاً نقضَ الوُدَّ
أنسيتَ العهدَ إذ بثَّ
وآجتمنا في وشاحٍ
وتعاننا كفصنيدٍ
ونجومُ الليلِ تحكي

مذ تَوَلَّفتِ بصَدِّي،
دَ ولم يُوفِ بعَهْدِي.
نا على مفرشِ ورد،
وانتظمتنا نظمَ عِقْدِ،
من وقدَّاننا كَقَدِّ^(٧)،
ذَهَباً في لازوردٍ^(٨)؟

- (١) الهدوء: الحين أو المدة من الليل.
- (٢) ستر: في ستر (طلباً للعيش في ستر؟).
- (٣) الملك (بفتح الميم وكسرهما وضمتها): حيازة الشيء، الزواج. - أريد بزواجك أن أزيد إلى فخري فخراً جديداً.
- (٤) الجريدة: الجماعة من الخيل. حتى ترى جونها (ذات اللون الأسود) شقرا (حمراء) من الدم. (من خوض المارك).
- (٥) عندي صفات تحمل الحليمة (العاقلة) الثيب (التي تزوجت من قبل) تميل اليّ، وتجعل الفتاة البكر تنسى أنها عذراء عذبة (بفتح ففتح)...
- (٦) الخلق الموطأ: الخلق الرضي (الحسن المعاشرة).
- (٧) وقدَّانا كقد (واحد): من أبصرنا متعاقبين ظننا شخصاً واحداً.
- (٨) اللازورد: لون أزرق (هنا صفة لليل).

٤- ★ ★ الذخيرة ١: ٤٨-٥٩؛ الحلة السراء ٢: ١٢-١٧؛ المعجب ٣٥؛ نفح الطيب ١؛
٤٣٥-٤٣٧، ٤٨٨-٤٩٠، ٣: ٥٤٩؛ الأعلام للزركلي ٤: ١١٦ (٣: ٣٤١).

خلف بن أحمد السعدي

١ - هو خَلَفُ بْنُ أَحْمَدَ السَّعْدِيِّ، نِسْبَةً لِلسَّعْدِيِّينَ مِنْ إِحْدَى قُرَى الْمَهْدِيَّةِ (تونس)،
وُلِدَ سَنَةَ ٣١٨ هـ (٩٣٠ م). تَأَدَّبَ فِي إِفْرِيقِيَّةِ (الْقَطَرِ التُّونِسِيِّ) ثُمَّ دَخَلَ مِصْرَ.
وكانت وفاته في زَوِيلَةِ الْمَهْدِيَّةِ، سَنَةَ ٤١٤ هـ (١٠٢٣-١٠٢٤ م).

٢- لَخَلَفِ بْنِ أَحْمَدَ السَّعْدِيِّ شِعْرٌ جَيِّدٌ.

٣- مختارات من شعره

- قال خلف بن أحمد السعدي في النسيب:

هَلِ الدَّهْرُ يَوْمًا يَلِيْلِي بِجُودٍ وَأَيَّامُنَا فِي اللَّوَى سَتَعُودُ !
عُهُودٌ تَقْضَتْ وَعِيشٌ مَضَى؛ بِنَفْسِي وَلِلَّهِ تِلْكَ الْعُهُودُ.
أَلَا قُلْ لِسُكَّانِ وَادِي الْغَضَا: هَنِيئًا لَكُمْ فِي الْجِنَانِ الْخُلُودُ .
أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ فَيضًا، فَتَحْنُ عِطَاشٌ وَأَنْتُمْ وَرُودُ^(١)

٤- ★ ★ الأنموذج (السنوسي) ٩٧-٩٩؛ معجم الأدباء ١١: ٦٥-٦٦.

زيادة الله الطنبني

١- هو أَبُو مُضَرَّ زِيَادَةَ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ حُسَيْنِ الطُّبْنِيِّ، نِسْبَةً إِلَى طُبْنَةَ (في
الجزائر)، التَّمِيمِيُّ، انْتَقَلَ أَهْلُهُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَاسْكَنُوا قُرْطُبَةَ.

وُلِدَ زِيَادَةُ اللَّهِ فِي قُرْطُبَةَ فِي الْأَغْلَبِ، فِي شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ ٣٣٦ (شباط-
آذار = فبراير- مارس ٩٤٨ م). وَقَدْ تَنَقَّلَ بَيْنَ بَلَاطَاتِ الْأَنْدَلُسِ ثُمَّ انْقَطَعَ إِلَى
الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ وَأَصْبَحَ نَدِيمًا لَهُ (نفح الطيب ٢: ٤٩٦). وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي عَاشِرِ
رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ ٤١٥ (٢٢ / ٥ / ١٠٢٤ م).

٢- كَانَ زِيَادَةُ اللَّهِ الطُّبْنِيُّ خَفِيفَ الرُّوحِ سَرِيعَ الْخَاطِرِ بَارِعَ النُّكْتَةِ ظَرِيفًا حَسَنَ

(١) ورود: جمع وارد (ساكن قرب الماء).

العشرة. وكان عالماً باللغة والأدب والشعر شاعراً فصيحاً الألفاظ سهل التراكيب واضح المعاني. وأكثر شعره الوصف والنسيب، وله مديح. وله كتاب اسمه «الحمام» ألفه للمنصور بن أبي عامر.

٣- مختارات من شعره

- قال زيادة الله الطنبلي يصف الحمام ويذكر حروب المنصور بن أبي عامر:
أذكر القلب بالتصاي فحنا ساجع في أراكة قد أرنا^(١).
أخضلت ريشه السم بطل؛ ورأى الروض موقاً فتغنى^(٢).
غرد بالسُرور فازت يداه بحبيب عليه لا يتجنى^(٣).
بأبي عامر رأى الدين في الكف ر، على رُغم أهله، ما تمنى^(٤).
ملك لم يزل بركض المذاكي وجهاد العدا مشوقاً معنى^(٥).
- وقال في النسيب والعتاب:

عجباً أن يكون ساكن قلبي راتعاً منه في بساتين حبي،
يجازي على الوفاء بغدر؛ حسبي الله، ثم حسبي وحسي.
جازي كيف شئت، لا أترك الذئب إذا كان فرط حبك ذني.

- وقال يصف حمامة بحسن الصوت والبراعة في الغناء كأنها - عليه بنت زرياب المغني والعاظ المشهور^(٦) - تعلمها الأحن:

- (١) أذكر (فعل ماض) القلب (مفعول به مقدم) ... ساجع (فاعل «أذكر»)- التصاي: فعل أفعال الصبا (الشباب) فعن (إليها): تمنى أن يفعل مثلها (بعد أن تقدمت به السن). الأراكة شجرة في الحجاز تؤخذ من أغصانها المساويك. أرنا = رن: صاح (غرد).
- (٢) أخضلت: بللت. الطل: المطر الخفيف. موق: جميل يسر العين.
- (٣) يتجنى: يتهم زوراً بالجنايات (الذنوب).
- (٤) رأى الانتصار والغلبة.
- (٥) ملك (هو المنصور بن أبي عامر).
- (٦) هو أبو الحسن علي بن نافع الملقب زريابا

أُذِنَتْ إِلَيَّ صَبَابَاتِي مُفَرَّدَةً أَذْكَى الْجَوَى بَيْنَ أَضْلَاعِي تَرْتُمُهَا
كَأَنَّا مَكْنَسَتْ فِي عُشْهَا زَمَنًا عَلِيَّةً بِنْتُ زُرْيَابٍ تُعَلِّمُهَا.
- ٤ - ★ ★ الصلة ١: ١٩٢ (رقم ٤٣٧)؛ جذوة المقتبس ٢٠٥ (الدار المصرية) ٢٢١ (رقم
٤٤٦) بغية الملتبس ٢٨٢ (رقم ٧٥٩)؛ انباء الرواة ١٨: ٢؛ المغرب ١: ٩٣؛ نفح
الطيب ٢: ٤٩٦؛ كتب وشخصيات ١٦ - ٢٠.

صَاعِدُ الْبَغْدَادِيِّ

١- هُوَ أَبُو الْعَلَاءِ صَاعِدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عِيسَى الرَّبَّيعِيِّ^(١) الْمَوْصِلِيُّ الْبَغْدَادِيُّ
الْأَنْدَلُسِيُّ اللَّغَوِيُّ، أَصْلُهُ مِنْ بِلَادِ الْمَوْصِلِ. وَلَعَلَّ مَوْلَدَهُ فِيهَا كَانَ قُبِيلَ ٣٤٠ هـ
(٩٥١ م).

دَخَلَ صَاعِدُ بْنُ الْحَسَنِ بَغْدَادَ وَتَلَقَّى فِيهَا اللُّغَةَ وَالْأَدَبَ عَلَى أَبِي سَعِيدِ السَّيرَاقِيِّ (ت
٣٦٨ هـ) وَأَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ (ت ٣٧٧ هـ) وَأَبِي سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيِّ.

وَفِي سَنَةِ ٣٨٠ (٩٩٠ م) جَاءَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَاتَّصَلَ بِالْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ، فَأَكْرَمَهُ
الْمَنْصُورُ ثُمَّ اسْتَوَزَرَهُ (جَعَلَهُ كَاتِبًا لَهُ). وَبَعْدَ سَقُوطِ دَوْلَةِ الْعَامِرِيِّينَ فِي قُرْطُبَةَ
وَاسْتِبْدَادِ مُجَاهِدِ الْعَامِرِيِّ بِدَانِيَّةٍ (٤٠٨ هـ) انْتَقَلَ صَاعِدُ إِلَى دَانِيَّةٍ وَاتَّصَلَ بِمُجَاهِدٍ.
وَلَمَّا زَادَ الاضطرابُ فِي الْأَنْدَلُسِ (رَبِّيًا حَوَالِي ٤١٢ هـ) انْتَقَلَ صَاعِدُ إِلَى جَزِيرَةِ
صِقْلِيَّةٍ حَيْثُ تُوُفِّيَ، سَنَةَ ٤١٧ (١٠٢٦ م)، وَقَدْ أَسَنَ.

٢- كَانَ صَاعِدُ الْبَغْدَادِيُّ أَدِيبًا عَالِمًا بِاللُّغَةِ وَكَاتِبًا وَشَاعِرًا. غَيْرَ أَنَّ بَرَاعَتَهُ فِي
اللُّغَةِ قَدْ غَطَّى عَلَيْهَا أَنَّهُ كَانَ يَخْتَلِقُ الرِّوَايَاتِ وَالتَّفَاسِيرَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ. وَأَمَّا شِعْرُهُ
فَكَانَ عَادِيًّا إِلَّا بَعْضَ مَا فِيهِ مِنَ اللَّفَّاتِ. وَلَعَلَّ شُهْرَتَهُ الْحَقِيقِيَّةَ تَقُومُ عَلَى أَنَّهُ كَانَ
كَاتِبًا. وَيَبْدُو أَنَّهُ كَانَ يَهْتَمُّ بِالتَّارِيخِ وَبِالْقَصَصِ.

(١) نسبة إلى أمّ الربيع وأمّ الربيعين: مدينة الموصل.

ولصاعدٍ كُتِبَ منها: كتابُ الفُصوص (نَحَى فيه منحى القالي في « كتاب الأُمالي » ولكنه كان فيه قليل الأمانة في الرواية) - كتاب الجَوَّاس بن قعطل المَذْجَجِي مع أبنه عمه عَفْرَاء - كتاب الهجفجف بن غيدقان اليَثْرِي مع الحَنَوْت بنت محرمة بن أنيف .

٣- مختارات من آثاره

- كتب صاعدٌ البَغْدَادِي رسالةً إلى الوزير أبي جعفر الدَّب يرجوه فيها أن يَشْفَعَ عند الخليفة سُلَيْمَانَ المستعين بالوزير عبد الله بن مسلمة، وكان سليمان قد نكَبَ ابنَ مسلمة وسجنه مقيداً (وكان صاعدٌ لما دخل الأندلس قد اتَّصل بابن مسلمة هذا):

.... لَمَّا جَمَعَ اللهُ طَوَائِفَ الْفَضْلِ عَلَيْكَ وَأَذْلَقَ بِكَ الْأَلْسُنَ وَأَرْهَفَ فِيكَ الْخَوَاطِرَ^(١)، وَرَفَّرَفَ عَلَيْكَ طَيْرُ الْأَمَالِ وَنُفِضَتْ إِلَيْكَ عِلَاقُ الرِّجَالِ^(٢) لَمْ أَجِدْ لَابْنَ مُسْلِمَةَ- حِينَ عَضَّهُ الثِّقَافُ^(٣) وَضَاقَ بِهِ الْخِنَاقُ وَانْقَطَعَ بِهِ الرَّجَاءُ وَكَبَا بِهِ الدَّهْرُ- مُلْجَأً غَيْرَكَ . فَعُطِفَكَ عَلَى وَالِهِ نَبْهَهُ النَّحْسُ مِنْ سِنَةِ السَّعْدِ^(٤) وَأَيَقَظَتْهُ الْآفَاتُ مِنْ رَقْدَةِ الْعَقْلَةِ..... فَحَنَانُكَ عَلَيْهِ وَعَلَيَّ فِيهِ، وَادْكُرْ تَعَلُّقَ الْأَمَالِ بِهِ وَتَعَلُّقَ أَمْلِهِ بِكَ، وَحَاجَةَ الرُّؤْسَاءِ إِلَيْهِ وَحَاجَتَهُ إِلَيْكَ....

- جيء يوماً إلى المنصورِ بنِ أبي عامرٍ بوردةٍ في غيرِ أَيَّامِهَا لم يَتِمَّ تَفْتَحُهَا بعدُ، فقال فيها صاعدٌ مُرْتَجِلاً (راجع، فوق، ص ٣١٢):

أَتَنُكَ، أبا عامر، وردةٌ يُذَكِّرُكَ الْمِسْكَ أَنْفَاسَهَا؛
كَعَذْرَاءٍ أَبْصَرَهَا مُبْصِرٌ ففَطَّنتْ بِأَكْبَامِهَا رَاسَهَا^(٥)!

-
- (١) جعل الألسن تكثر الثناء عليك وجعل الخواطر تأتي بالمعاني الجمّة فيك (لكثرة فضائلك).
 - (٢) فُتِشت الصلوات بين الرجال - نظر في أيهم أفضل).
 - (٣) الثقاف أداة تقوّم بها الرماح: يمزّون بالقناة (القصة) الموجة على النار ثم يقومون اعواجها بالثقاف. عضّ به الثقاف: اشتدّ عليه الأمر.
 - (٤) الواله: الحزين الخائف الذي كاد الحزن (أو الخوف) يذهب بمقله. السنة (بكسر السين): الاغفاء، النوم.
 - (٥) أكهام الوردة: الأوراق الخضر (الكأس) التي تنفتح عن البتلات (الأوراق الملونة).

- وطلب المنصور منه أن يُعارض قصيدة أبي نواس: «أجارة بيتينا، أبوك
غير». فاعتذر إجلالاً لأبي نواس وهيبةً من ذلك فقال:

إِنِّي لَمُسْتَحْيٍ عُمَلَا كَ مِنْ أَرْجَالِ الْقَوْلِ فِيهِ:
مَنْ لَيْسَ يُدْرِكُ بِالرَّوْيَةِ كَيْفَ يُدْرِكُ بِالْبَدِيهِ^(١)!

- من عجائب الاتفاق أن صاعداً أهدى إلى المنصور بن أبي عامر ذات يوم أَيْلاً
مُقيداً بجبل، وقد سمّاه «غرسيه»؛ يتفاهل بذلك أن يأسر المنصور بن أبي عامر
عدوه غرسيه الأول بن شاذحه ملك قشتالة، وقد كتب إلى المنصور بالأبيات التالية.
وكان ذلك في أحد أيام ربيع الأول من سنة ٣٨٥ = نيسان - أبريل ٩٩٥ م:

يَا حِرْزَ كُلِّ مُخَوِّفٍ وَأَمَانَ كُلِّ مُشَرِّدٍ وَمُعِزٍّ كُلِّ مُذَلِّلٍ،
جَذْوَاكَ إِنْ تَخْصُصْ بِهِ فَلَأَهْلِهِ؛ وَتَعْمُ بِالْإِحْسَانِ كُلِّ مُؤْمِلٍ^(٢)
كَالغَيْثِ طَبَقَ فَاسْتَوَى فِي وَبْلِهِ شُعْتُ الْبِلَادِ مَعَ الْمُرَادِ الْمُبْقِلِ^(٣)
اللَّهُ عَوْنُكَ، مَا أَبْرَكَ بِالْهُدَى وَأَشَدَّ وَقَعَكَ فِي الضَّلَالِ الْمُشْعَلِ!
مَوْلَايَ- مُؤْنِسَ غُرْبَتِي، مَتَخَطَفِي مِنْ ظُفْرِ أَيَّامِي مُنْعَ مَغْطِي-
عَبْدٌ، نَشَلْتُ بِضْبِعِهِ وَغَرَسْتَهُ فِي نِعْمَةٍ، أَهْدِي إِلَيْكَ بِأَيْلٍ^(٤).
سَمَيْتُهُ غَرْسِيَّةً وَبَعَثْتُهُ فِي حَبْلِهِ لِيَتَّحَ فِيهِ تَقَاوُلِي.
فَاتَّفَقَ أَنْ غَرْسِيهِ هَذَا جِيءَ بِهِ، فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَيْنِهِ، أَسِيراً إِلَى الْمَنْصُورِ.

٤- * * جذوة المقتبس ٢٢٣- ٢٢٧ (الدار المصرية) ٣٤٠ (رقم ٥٠٩)؛ بقية الملتبس ٣٠٦- ٣١١

- (١) الروية: التفكير والتأمل. البديه: القول ارتجالاً.
- (٢) الجدوى (يبدو من القاموس أن اللفظة مذكرة): المطر العام؛ العطية، الكرم.
- (٣) الغيث: المطر. الوبل والوايل: المطر الكثير. شمت البلاد: البلاد المغيرة (لقلة سقوط المطر فيها).
المراد: المقصود (الذي يقصده الناس لرعي أنعامهم فيه، لكثرة نباته ولخصبه). المبقل: الذي يكثر فيه
البقل (النبات).
- (٤) الضع: جانب البدن. نشلت بضبعه = أخذت بضبعه، أعنته، ساعدته، أنهضته من كبوته، أنقذته من
مشكلة. الأيل: نوع من الوعول (يشبه المعزى الجبلية!!).

(رقم ٨٥٢)؛ معجم الأدباء ١١: ٢٨١-٢٨٦؛ الذخيرة ٤: ٨-٥٦؛ انباه الرواة ٢: ٨٥-٩٠؛ وفيات الأعيان ٢: ٤٨٨-٤٨٩؛ بغية الوعاة ٢٦٧-٢٦٨؛ شذرات الذهب ٣: ٢٠٦-٢٠٧؛ نفح الطيب ٣: ٧٥-٨٤، ٩٥-٩٨؛ بروكلمن، الملحق ١: ٢٤٥؛ الأعلام للزركلي ٣: ٢٧١ (١٨٦).

أحمد بن برد الأكبر

- ١- هو أبو حفص أحمد بن محمد بن بردٍ من أهل قرطبة. وُلِدَ بُعِيدَ ٣٣٨ هـ (٩٤٧ م). كان وزيراً ورئيساً مُقَدِّماً في أيام المنصور بن أبي عامر (ت ٣٩٢ هـ) ووَلَدَنيهِ من بعده عبد الملك وعبد الرحمن. وكانت وفاته سنة ٤١٨ هـ (١٠٢٧ م).
- ٢- كان أحمد بن بردٍ الأكبر كاتباً مُترسلاً ذا حظٍّ وافٍ من البلاغة والأدب وشاعراً مُحَسَّناً مُجيداً، متينَ السَّبكِ (في شعره ونثره) بديع الصَّناعة حُلُو القول. نَظَّمَ في الغزل والوصف، ولكنَّ براعته كانت في الوصف.

٣- مختارات من آثاره

- قال أحمد بن بردٍ الكاتبُ يَصِفُ طُلُوعَ الفَجْرِ:
- تَبَّهَ فَقَدْ شَقَّ النَّهَارُ مُغْلَساً كَمَاثِمَهُ عَنْ نُورِهِ الْخَضِلِ النَّدِيِّ^(١)؛
- مَدَاهُنْ تَبْرِ فِي أَنَامِلِ فَضَّةٍ عَلَى أَذْرَعٍ مَخْرُوطَةٍ مِنْ زَبَرْجَدٍ^(٢)؛
- وَقَالَ يَصِفُ لَيْلَةَ قَمَرَاءَ فِي جَوْهَا شَيْءٍ مِنَ الضَّبَابِ الْخَفِيفِ:
- وَالْجَوُّ مِنْ عَبَقِ النِّسِيرِ مُعْتَبِرٌ، وَالنَّجْمُ قَدْ أَغْفَى بِغَيْرِ نَعَاسٍ^(٣).

-
- (١) مُغْلَساً (أي لا يزال الغلس، أي سواد الليل، يخالط نوره). الكَاثِمُ جمع كَاثَمَةٍ وهي (هنا) الكَأْسُ أي الأوراق الخضر التي تكون غلافاً للزهرة (قبل أن تتفتَح الزهرة). النور (بالفتح): الزهر الأبيض. الخَضِلُ: المَبْتَلُ بالماء من ندى الليل. والندى: الذي تَجَمَّع عليه الندى.
 - (٢) هذه الأنوار (الأزهار البيضاء) مداهن (أوعية صغيرة) من تبر (ذهب، لأنَّ قلب الزهرة يكون عادة أصفر اللون) في أنامل (أصابع، أي بتلات الزهرة: أوراق الزهر التي تكون عادة ملونة) فضة (بيضاء اللون) على أذرع (سوق جمع ساق، أي غصن) مخروطة (مصنوعة بنسبة واحدة) من زبرجد (حجارة كريمة خضراء اللون).
 - (٣) العَبَقُ: انتشار الرائحة الطيبة. معتبر: يشبه العنبر (أسمر اللون). والنجم قد أغفى بغير نعاس: أجبر نفسه على النوم من غير حاجة به إلى النوم (فهو من أجل ذلك يفتح عينيه ويغمضها - كناية عن تَلَأُلُو النجوم).

والبدر كالمراة غير صقلها عبث الغواني فيه بالأنفاس^(١)!

- من إنشاء ابن برد الأكبر

كان عبد الرحمن بن أبي عامر حاجباً لأمير المؤمنين هشام المؤيد بن الحكم في ولايته الأولى (٣٦٦-٣٩٩ هـ) والمستبد بأمور دولته. ثم طمع في أن يكون رسم الخلافة أيضاً له فأجبر هشاماً المؤيد على أن يجعله ولياً للعهد. فاضطر هشام إلى القبول. وقد كتب ابن برد الأكبر هذه الوثيقة في ربيع الأول من سنة ٣٩٨ (أواخر ١٠٠٧ م):

هذا ما عهد به هشام المؤيد بالله أمير المؤمنين إلى الناس عامة، وعاهد الله عليه من نفسه خاصة... بعد أن أنعم النظر وأطال الاستخارة وأهمه ما جعله الله إليه من الإمامة^(٢).... واتقى حلول القدر بما لا يصرف، وخشي إن هجم محتوم ذلك عليه ونزل مقدوره به ولم يرفع لهذه الأمة علماً تأوي إليه^(٣) أن يلقي ربه تبارك وتعالى مفرطاً ساهياً عن أداء الحق إليها. وتقصى عند ذلك من أحياء قریش وغيرها^(٤) من يستحق أن يسند هذا الأمر إليه ويعول في القيام عليه، مما يستوجبه دينه وأمانته وهديه وصيانيته بعد أطراح الهوى، والتحري للحق، والتزلف^(٥) إلى الله جل جلاله بما يرضيه - وبعد أن قطع الأواصر وأسخط الأقارب^(٦) - فلم يجذ أحداً هو أجدر

(١) غير صقلها = جعل صفحتها غير صافية. - لأن النساء الجميلات يقرنهن من وجوههن فتصل أنفسهن إليها فينشأ على صفحتها شيء من بخار الماء!

(٢) أنعم النظر: دققه (نظر في تفاصيل الأشياء). في الأصل: أمعن. الاستخارة: طلب الخير (والتفكير فيما يريد الرجل أن يفعله). وأهمه:..... جعل يفكر في عواقب خلو الخلافة بعده من امام عادل.

(٣) اتقى: خاف. حلول القدر (مجيء الموت). بما لا يصرف: في حال لا يمكن معها التفكير بأمره المحتوم والمقدور: الموت. علم: شيء بارز عال يهتدي الناس به، ملجأ، حصن. تأوي إليه الأمة: تلجأ إليه وتحتفي به في الشدائد.

(٤) تقصى: بحث بحثاً دقيقاً. أحياء قریش: قبائل العرب وبيوتاتهم (في الأندلس) وغيرهم (من البربر ومن المولدين: المسلمين في الأندلس من أصل أسباني).

(٥) أطراح: ترك، إهمال. الهوى (ميل النفس إلى شيء) - إلى أن يكون الخليفة المقبل عربياً أمويًا). التحري: الطلب والتفتيش. التزلف: التقرب.

(٦) قطع الأواصر جمع أصرة: القرابة. أسخط: أغضب.

أَنْ يُؤَلِّيهُ عَهْدَهُ وَيُفَوِّضَ إِلَيْهِ الْخِلَافَةَ بَعْدَهُ، لِفَضْلِ نَفْسِهِ وَكَرَمِ خِيَمِهِ^(١) وشرف مرتبته وعلو منصبيه، مع ثقاه وعفافه ومعرفته وحزمه، من المأمون الغيب الناصح الجيب أبي^(٢) المطرف عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر، وفقه الله؛ إذ كان أمير المؤمنين أيده الله قد ابتلاه واختبره ونظر إليه واعتبره^(٣) فرآه مسارعاً في الخيرات سابقاً في الحلبات مستولياً على الغايات جامعاً للثرائ^(٤). ومن كان المنصور أباه والمظفر أخاه، فلا غرو أن يبلغ من سبيل البر مداه ويخوي من خلال الخير ما حواه^(٥).....

٤- * * يمكن أن يحصل التباس في المصادر والمراجع بين أبي حفص أحمد بن برد الجد هذا وأبي حفص أحمد بن برد الحفيد (ت نحو ٤٥٠ هـ - راجع تحت). جذوة المقتبس ١١١ (الدار المصرية) ١١٩ (رقم ١٩٩)؛ بغية الملتبس ١٦١ (رقم ٣٨٧)؛ الذخيرة ١٠٣: ١-١٢٣؛ المطمح ٢٤-٢٥؛ المغرب ١: ٢٠٠-٢٠١؛ الوافي بالوفيات ٦: ٢٦٣؛ البيان المغرب ٣: ٤٤؛ نفح الطيب ١: ٤٢٤-٤٢٦، ٣: ٢٩٣، ٥٤٥-٥٤٦؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٣٩؛ الأعلام للزركلي ١: ٩٩ (١٠٣).

حَسَّانُ بْنُ مَالِكٍ

١- هُوَ أَبُو عَبْدِ حَسَّانُ بْنُ مَالِكِ بْنِ أَبِي عَبْدِ الْأَنْدَلُسِيِّ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ جَلَالَةِ وَوِزَارَةِ فِي قُرْطُبَةٍ؛ رَوَى عَنْ أَبِي بَكْرِ الرُّيْدِيِّ (ت ٣٧٩ هـ) وَأَبِي عُثْمَانَ الْقَرَّازِ وَأَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ذَكْوَانَ الْقَاضِي (ت ٤١٣ هـ).
لَمَّا جَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمُسْتَظْهَرُ بْنُ هِشَامٍ إِلَى الْخِلَافَةِ اسْتَوَزَرَ حَسَّانَ بْنَ مَالِكٍ،

- (١) الخيم: الطبيعة والأصل.
- (٢) المأمون الغيب: الذي يحفظ عهدك ولو كنت غائباً عنه. الناصح الجيب: الذي لا يخونك في ما ائتمنته عليه (والأليق أن يقال في المرأة).
- (٣) ابتلاه: اختبره. اعتبره: قدره، نظر في جميع أحواله.
- (٤) مسارعاً في عمل الخير، سابقاً (متقدماً على غيره) في الحلبات (مباردين السباق) مستولياً على الغايات (يصل إلى الهدف قبل غيره من الخيل) - يشبهه بالحصان الذي يسابق الخيل. المائرة (بضم الشاء): الفعل الحميد الكريم.
- (٥) لا غرو: لا عجب. البر: التقوى، طاعة الرجل لقومه وطلب المنفعة لهم ولو أضر ذلك به. الخلال: (هنا): الخصال: جمع خصلة (بفتح الحاء): العادة والطبيعة.

ولكنّ خلافة المستظهر لم تطل سوى شهرين أو يزيدان من سنة ٤١٤ هـ (١٠٢٣-١٠٢٤ م). ويبدو أنّ حسّاناً كان كارهاً للوزارة في تلك الفترة، ففضى قسماً من أيام الفتنّة مُغترباً للحياة العامّة بعيداً عن العاصمة. ويبدو أنه عاد بعد ذلك إلى قرطبة وحسّنت حاله فيها.

وكانت وفاة حسّان بن مالك في شوال من سنة ٤١٦ هـ^(١) وقد أسنّ كثيراً. ورثاه أبو عامر بن شهيد (ت ٤٢٦ هـ).

٢- كان حسّان بن مالك من جلة العلماء والأدباء فقيهاً وكاتباً مُترسلاً وشاعراً وُجِدانيّاً مُجيداً؛ ومن فنون شعره الشكوى ووصف الطبيعة. وكان مصنفاً له كتاب ربيعة وعقيل:

دخل^(٢) حسّان بن أبي عبدة يوماً على المنصور بن أبي عامر (ت ٣٩٢ هـ) وبين يديه كتاب أبي السري^(٣) وهو يُعجبُ به. فخرّج (حسّان) من عنده وعَمِلَ (مثل) هذا الكتاب وقرّغ منه تأليفاً ونسخاً وتصويراً، وجاء به في مثل ذلك اليوم من الجمعة الأخرى وأراه (للمنصور) فسرّ به ووصّله عليه.

٣- مختارات من شعره

- لا كثر الاستبداد من الخليفة المُستظهر، كَتَبَ إليه حسّان بن أبي عبدة:

إذا كان مثلي لا يُجازى بصبره، فمن ذا الذي بعدي يُجازى على الصبر؟

(١) في جذوة المقتبس (ص ١٨٤ س) وبغية الملتبس (ص ٢٥٦) ومعجم الأدباء (٧: ٢٢١-٢٢٢) وبغية الوعاة (ص ٢٣٨) أن حسّان بن مالك توفي قبل ٣٢٠ هـ، وهذا بلا ريب خطأ نقله بعضهم عن بعض من غير تفتّن إلى أن حسّاناً كان في أيام المنصور بن أبي عامر (ت ٣٩٢). والتصحيح من كتاب الصلة لابن بشكوال (ص ١٣٥).

(٢) جذوة المقتبس ١٨٤.

(٣) هو أبو السري سهل بن أبي غالب الخزرجي وضع كتاباً ذكر فيه أمر الجنّ وحكمتهم وأنسابهم وأشعارهم وزعم أنّه بايعهم للأمين بن هرون الرشيد وليّ العهد فقرّبه الرشيد وابنه الأمين وزبيدة أمّ الأمين. وأفاد منهم (مالأ كثيراً). وله أشعار حسّان وضعها على الجنّ والشیاطين والسعالی. و (قد) قال له الرشيد: إن كنت رأيت ما ذكرت، لقد رأيت عجباً. وإن كنت ما رأيته، لقد وضعت أدباً. (وفيات الأعيان ٥: ٢٢١).

فكم مشهدٍ حاربتُ فيه عدوكم
أخوضُ إلى أعدائكم لُجَجَ الوغى
وقد نامَ عنكم كلُّ مُسْتَبْطِنِ الحشا
فما بالُ هذا الأمرِ أصبحَ ضائعاً،
- وقال في الشيب:
رأتُ طالِعاً للشيبِ بينَ ذَوائِي
وقالت: أَسِيبُ؟ قُلْتُ: صُبْحُ تجارِي
- وقال يتشوّق إلى أهله:
سَقَى بلداً أهلي به وأقارِي
وهبّت عليهم بالعشيّ وبالضحى
تذكّرْتُهُم والنأيُ قد حالَ دونهم
ومّا شجاني هاتفٌ فوقَ أَيْكَةٍ
فقلتُ: اتّئد! يَكْفِيكَ أَنِّي نازِحٌ،
ولي صَبِيَّةٌ مِثْلُ الفِراخِ بقفْرةٍ

وأملتُ في حَرْبِي له رَاحَةً الدهرِ^(١)
وأُسْري إِلَيْهِمْ حيثُ لا أَحَدٌ يَسْري^(٢).
أَكولُ إلى المُنْسى نُومٌ إلى الظُّهرِ^(٣)
وأنتَ - أَمينَ الله - تحكُمُ في الأمرِ^(٤)!
فباحثُ بأسرارِ الدموعِ السواكِبِ.
أَنارَ على أعقابِ لَيْلِ نَوائِي.
غواذٍ بأثقالِ الحيا وروائحُ^(٥)
نواسمُ بَرْدٍ والظِّلَالِ فَوائحُ^(٦)!
ولم أنْسَ، لكن أوقَدَ القلبَ لافِحُ^(٧).
ينوحُ ولم يعلمَ بما هو نائحُ^(٨).
وأن الذي أهواه عَنِّي نازِحُ^(٩).
مضى حاضِناًها فاطَحَها الطوائِحُ^(١٠).

- (١) المشهد: المكان المشهود (الذي يكثر فيه الناس)، هنا: «المعركة الشديدة». وأملت (لكم) راحة طول الدهر من عدوكم.
- (٢) سري: سار في الليل (في الأوقات العصيبة).
- (٣) مستبطن الحشا: كبير البطن (وليست بهذا المعنى في القاموس).
- (٤) «أمين الله جملة معترضة (للنداء) - جملة «تحكم» خير «أنت». أو نقول: أمين (بالرفع) خير «أنت». جملة «تحكم» نعت «أمين».
- (٥) الغادية: الغامة التي تأتي في الصباح. الرائحة: الغامة التي تأتي في المساء. بأثقال الحيا (المطر): بمطر ثقیل (كثير).
- (٦) نواسم (؟) يقصد «نسم» (بفتح ففتح: مفردة): الريح الخفيفة. فوائح جمع فائحة (؟) متّسمة.
- (٧) النأي: البعد. اللافح واللافة (النار أو الريح) التي تلعغ (تحرق) ما قابلها.
- (٨) شجاني: حزني، أحزني. هاتف: رافع صوته. الأيكة: مجتمع من الشجر الملتف.
- (٩) اتّئد: تمهل. نازح: بعيد (عن وطنه).
- (١٠) أطاحتها الطوائح (؟). في القاموس «طحى»: ذهب في الأرض وهلك. (يقصد: نزلت بها الشدائد).

إِذَا عَصَفَتْ رِيحٌ أَقَامَتْ رُؤُوسَهَا فَلَمْ يَلْقَهَا إِلَّا طُيُورٌ بِوَارِحٍ^(١) .
فَمَنْ لِيَصْفَارٍ بَعْدَ فَقْدِ أَبِيهِمْ سَوَى سَانِحٍ فِي الدَّهْرِ، لَوْ عَنَّ سَانِحٌ^(٢) .

٤- * جذوة المقتبس ١٨٣- ١٨٤ (الدار المصرية) ١٩٦ (رقم ٣٨٠)؛ بغية الملتبس ٢٥٥- ٢٥٦ (رقم ٦٦٢)؛ مطمح الأنفس ٢٦- ٢٧؛ الصلة ١٥٣؛ معجم الأدباء ٧: ٢٢١- ٢٢٥؛ بغية الوعاة ٢٣٨؛ نفح الطيب ١: ٤٣٦- ٤٣٧، ٣: ٥٤٧- ٥٤٩؛ الأعلام للزركلي ٢: ١٩٠ (١٧٧).

ابراهيم بن غانم الكاتب

١- هو أبو إسماعيل إبراهيم بن غانم بن عبدون الكاتب المغربي، كان مولده نحو سنة ٣٦٠ (٩٧٠- ٩٧١ م). وقد انتقل إلى مصر فعاش فيها مدة ثم عاد إلى القيروان حيث توفي سنة ٤٢١ (١٠٣٠ م).

٢- كان إبراهيم بن غانم الكاتب أديباً ناثراً وشاعراً كُتِبَ الشعر (يغلب على شعره أسلوب الكتاب: صحيح المعاني والتراكيب قليل الرونق). وكان يُوجز في المعاني ويسلك في النظم على أسلوب واحد ويلجأ إلى الصناعة. وأبرز فنونه المدح والهجاء والمعاني الوجدانية في المواعظ خاصة. وكانت له مشاركة في الفلسفة والهندسة.

٣- مختارات من شعره

- قال إبراهيم بن غانم الكاتب في البخل والبخل:

قُلْ لِلْبَخِيلِ: وَإِنْ أَصْبَحْتَ ذَا سَعَةٍ، لَأَنْتَ بِالْبَخْلِ فِي ضَيْقٍ وَإِقْلَالٍ:
لَتَأْسَفَنَّ عَلَى تَرْكِ النَّدَى نَدْمًا إِذَا تَخَلَّيْتَ مِنْ أَهْلِ وَمِنْ مَالٍ^(٣).

(١) إذا عصفت ريح (حدثت حركة) أقامت (رفعت).... طيور بوارح (جع بارح): تمر عن يمينك إلى يسارك (وكان ذلك دليل الشؤم والحرمان).

(٢) السانح: الطائر الذي يمر من يسارك إلى يمينك (دليل الخير والبركة). في القاموس (١: ٢٣٠): «من لي بالسانح بعد البارح أي بالبارك بعد الشؤم».

(٣) الندى: الكرم. إذا تركت الكرم (الإحسان إلى الناس) الآن ثم اتفق أن افتقرت (في المستقبل) وتخلّيت عن أهلِكَ (بموتهم) وعن مالك (بالفقر) فإنك لن تجد حينئذ أحداً من الناس حولك.

وَمَنْ رَأَى فِي الْعُلَى مِنْ مَالِهِ عَوْضًا أَفْضَى إِلَى خَيْرِ أَغْوَاضٍ وَأَبْدَالٍ^(١).
- وقال في حُسْنِ الصبر:

رُبَّمَا كَانَتْ الْخَلَائِقُ- إِنْ ضَا
وَتَهَوُّنُ الْأَحْدَاثُ عِنْدَ مُعَانٍ
وَرَجْلُ الْعُسُورِ يُثْمِرُ فِي الْأَذَى
وَالصَّبُورُ الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ مَخَ
فَتَبَوَّكَلْ عَلَيْهِ يَكْفِكَ، وَالزَّمْ
- وقال يَصِفُ النِّيلَ فِي مِصْرَ:

وَالنِّيلُ بَيْنَ الْجَانِبَيْنِ كَأَنَّهَا
يَأْتِيكَ فِي كَدَرِ الزَّوَاخِرِ مَدَّةُ
فَكَأَنَّ ضَوْءَ الْبَدْرِ فِي تَمْوِجِهِ
وَكَأَنَّ نُورَ السُّرُجِ مِنْ جَنَابَتِهِ
مِثْلَ الرِّيَاضِ مُفْتَقًا أَنْوَارَهَا
صَبَّتْ بِصَفْحَتِهِ صَفِيحَةً صَيَقَلِ^(٢)
يُمَسِّكُ مِنْ مَائِهِ وَمُصْنَدِلِ^(٣)
بَرْقُ يَمُوجُ عَلَى سَحَابٍ مُسْبِلِ^(٤)
زُهْرُ الْكَوَاكِبِ تَحْتَ لَيْلٍ أَلِيلِ^(٥)،
يَبْدُو لَعِينٍ مُشَبَّهِ وَمُمَثِّلِ^(٦).

- (١) إن الذي ينفق ماله في سبيل العلا (المجد) يجد عوضاً من المال وبدلاً منه (في مكانته عند الناس).
(٢) إذا ضاق خلق الإنسان أو طبعه أو صدره بمصيبة نزلت به، فإن خليفته (أو طبيعته) تصبح حينئذ مصيبة دائمة عليه أكبر من المصائب التي تنزل به حيناً بعد حين.
(٣) معان (اسم فاعل من عانى: مختبر لأمر الحياة) ومعان (اسم مفعول من أعان) كان له فؤاد (قلب) شهم (شجاع) يعينه على تلقي مصائب الدهر.
(٤) الأمل في النفس يساعد على احتمال الأحداث. من قريب: بسهولة وسرعة.
(٥) السميع الحبيب (هو الله).
(٦) سطح النيل هادئ أبيض لامع كأنه صفيحة (قطعة حديد: سيف) صيقل (حداد).
(٧) الزاخر: الممتلئ والمضطرب. المد: (هنا) الفيضان. حيناً يمدّ (يفيض) نهر النيل وتصبح مياهه الزاخرة (الكثيرة المضطربة) ممزوجة بالكدر (بالأتربة) يصبح لها رائحة طيبة كالسك والصدل.
(٨) المسبل: المرخي، المدلى.
(٩) زهر الكواكب: الكواكب التي تلمع. ليل أليل (شديد السواد).
(١٠) في هذه الحال يشبه الشاعر سطح نهر النيل ببستان تفتحت (تفتحت) أنواره (جمع نور بفتح النون: الزهر الأبيض).

والبدْرُ يَبْخُلُ ثمَّ يَبْذُلُ رَغْبَةً أَنْ يَسْتَرِدَّ فَلَيْتَهُ لَمْ يَبْذُلْ^(١).
 - * * - الأَنُمُودَج ٢٢-٢٥؛ الوافي بالوفيات، ٦: ٧٨-٧٩؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي
 ١٢٧-١٢٨.

أبو عبد الله بن الكتّاني

١- هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن الحسين المَذْجِي الأندلسي المعروف بابن
 الكتّاني، وُلِدَ بُعِيدَ ٣٤٠ هـ (٩٥٢ م) وسكن قُرْطُبَةَ.

أَخَذَ ابْنُ الْكَتَّانِي صِنَاعَةَ الطِّبِّ عَنْ عَمِّهِ أَبِي الْوَلِيدِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، وَأَخَذَ الْمُنْطِقَ
 وَعِلْمَ الْفَلَسَفَةِ وَالْفَلَكَ عَنْ نَفَرٍ مِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِوْنِ الْجَبَلِيِّ الطَّبِيبُ
 وَعُمَرُ بْنُ يُونُسَ بْنِ أَحْمَدَ الْحَرَّائِيَّ وَأَحْمَدُ بْنُ حَفْصُونِ الْفَيْلَسُوفُ وَمُسْلِمَةُ بْنُ أَحْمَدَ
 الْمَجْرِيطِيِّ (ت ٣٩٩ هـ)؛ وَأَخَذَ عَنْهُ ابْنُ حَزْمٍ (ت ٤٥٦ هـ).

اتَّصَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بِنُ الْكَتَّانِي بِالْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ (ت ٣٩٢ هـ) وَبَابْنِهِ الْمُظَفَّرِ
 (ت ٣٩٩ هـ) وَكَانَ طَبِيباً لَهَا. ثُمَّ إِنَّهُ انْتَقَلَ فِي أَوَّلِ الْفِتْنَةِ بَيْنَ الْعَرَبِ وَالْبَرْبَرِ فِي
 قُرْطُبَةَ عَلَى الْخِلَافَةِ، نَحْوَ ٤٠٠ هـ، إِلَى سَرَقُشْطَةَ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ قَرِيباً مِنْ سَنَةِ ٤٢٠ هـ
 (١٠٢٩ م).

٢- أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بِنُ الْكَتَّانِي طَبِيبٌ مَاهِرٌ، وَقَدْ كَانَتْ لَهُ مُشَارَكَةٌ فِي الْمُنْطِقِ
 وَعِلْمِ الْفَلَسَفَةِ وَمَقْدَرَةٌ فِي الْأَدَبِ. وَمَعَ أَنَّ شِعْرَهُ عَادِيٌّ فِيهِ جَفَافٌ شِعْرُ الْعُلَمَاءِ، فَإِنَّ
 أَطْلَاعَهُ عَلَى الشِّعْرِ وَأَقْوَالِ الشُّعْرَاءِ كَانَ وَاسِعاً جَدّاً، كَمَا نَرَى مِنْ كِتَابِهِ «كِتَابُ
 التَّشْبِيهَاتِ» مِنْ أَشْعَارِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ، وَهُوَ مَخْتَارَاتٌ مِنَ الشِّعْرِ عَلَى الْأَغْرَاضِ:
 السَّمَاءِ وَالْمَطَرِ، الرَّبِيعِ وَالزَّهْرِ، الْوَرْدِ، الشَّرَابِ وَأَوْصَافِ الْخَمْرِ، الشِّعْرِ وَسَوَادِهِ
 وَشُقْرَتِهِ، الْعِنَاقِ وَالْوَدَاعِ، النِّيرَانِ، الْخَيْلِ، السِّیُوفِ، الْخَوْفِ، الدَّوَاةِ وَالْقَلَمِ

(١) والبدر يبخل (يستتر بالغم) ثم يبذل (يظهر من خلال الغم) رغبة أن يستره (أن يعود إلى استتاره
 وراء الغيوم)....

والصَّحيفة، البُخل، هَجَوُ النساء، اللحي، الشيب والهَرَم، وأشباه ذلك. وله أيضاً كتاب «محمّد وسُعدى» وغيره.

٣- مختارات من آثاره

- قال محمد بن الحسن المذحجيّ الأندلسيّ في الغزل والنسيب والخمر:

ألا قد هَجَرْنَا الهَجَرَ وَاتَّصَلَ الوَصْلُ، وبانت ليالي البَيْنِ واجتمع الشَمْلُ.

فَسُعدى نديمي والمُدَامَةُ ريقُها، ووَجَنَتُها رَوْضِي وتَقْبيلُها النُّقْلُ.

- وقال في النسيب:

نَأَيْتُ عَنْكُمْ بِلَا صَبْرٍ وَلَا جَلَدٍ، وَصِخْتُ: «واكْبِدَا!» حَتَّى مَضَتْ كَيْدِي^(١).

أَضْحَى الفِرَاقُ رَقيقاً لِي يُوَصِّلُنِي بِالْبُعْدِ والشَّجْوِ والأَحْزَانِ والكَمَدِ^(٢)؛

وبالوجوه التي تبدو فَأَنشِدُها، وَقَدْ وَضَعْتُ على قَلْبِي يَدِي بيدي:

إِذَا رَأَيْتُ وجوهَ الطَّيْرِ قُلْتُ لها: لَا بَارَكَ اللهُ في الغِرْبَانِ والصرَدِ^(٣)!

٤- كتاب التشبيهات (عني بتصحيحه محمد عبد المعين خان)، كمبردج (تعريف مجلة الجمع

٢٧: ١١٨)؛ (تحقيق الدكتور احسان عباس)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٦ م.

★ ★ جذوة المقتبس ٤٥-٤٦ (الدار المصرية) ٤٩-٥٠ (رقم ٣٥)؛ بغية الملتبس ٥٧ (رقم

٨١)؛ التكملة ١١٨؛ المحمّدون ٢١٠؛ المغرب ١: ٢٠٦؛ معجم الأدباء ١٨: ١٨٤-

١٨٥؛ الوافي بالوفيات ٣: ١٦؛ طبقات الأطباء ٢: ٤٥؛ الأعلام للزركلي ٦: ٣١٣-

٣١٤ (٨٣).

إسحاق بن إبراهيم

١- هو إسحاق بن إبراهيم المعروف بالمَغْرِبِيّ الرافضيّ، يبدو أنّه كان من أهل

القطر التونسيّ، قَتَلَهُ الْمُعِزُّ بْنُ باديسَ، سَنَةَ ٤٢٠ (١٠٢٩ م). لأنّه كان سَبَّاباً (لأبي

بكرٍ وعُمَرَ).

(١) نأيت: بعدت، ابتعدت. الجلد: الاحتمال (الصبر على البعد). حق مضت كبدي: تقطعت.

(٢) الشجو: الحزن. الكمد: الألم من كثرة الحزن.

(٣) الصرد (بضمّ ففتح): طائر كبير الرأس والمنقار (جمعه صردان بكسر الصاد) وكانوا يتشاءمون به كما يتشاءمون بالغراب.

٢- يبدو أن إسحاق بن إبراهيم كان شاعراً قديراً مُحسناً وناقداً، وكان يتعصب لابن هاني الأندلسي (ت ٣٦٢ هـ) إذ كان يجمع بينها الهوى للدولة الفاطمية وإن لم يسلك طريقه في المبالغات المستهجنة والألفاظ التي تُقفع. وله شيء من الشعر الرائق.

٣- مختارات من شعره

- لإسحاق بن إبراهيم قصيدة في المدح منها (النائل: العطاء):

ثناؤك كالروض في نشره، وجودك كالغيث في قطره^(١).
وما أنا ممن ينتغي نائلاً بمدحك إذ جاء في شعره^(٢).
ولكن لساني إذا ما أردت (م) مديحاً خطرت على ذكره.
فخانت عدوك أيامه ولاقى الحوادث من دهره.
ولا عاش يوماً به آمناً ولا بلغ السؤل في أمره.

٤- * * الأنموذج ٤٥-٤٦، الوافي بالوفيات ٣٩٨-٤٠٠.

فيما يلي، مؤخره، طبعات كتب القراز النحوي القيرواني ومراجع ترجمته - الواردة سابقاً ص ٣٥٤ -:

٤- كتاب فيه ذكر شيء من الحلّ (عني مجلّ ألفاظه طاهر النعساني وأحمد قدري الكيلاني) (الناشر: مكتبة خنوان النجاح- حماة)، صيدا (مطبعة المرفان) ١٣٤١ هـ = ١٩٢٢ م.
- صرائر الشاعر: ما يجوز للشاعر عند الضرورة (تحقيق محمد زغلول سلام ومحمد مصطفى هدارة)، الاسكندرية (منشأة المعارف) ١٩٧٣ م.

- كتاب العشرات في اللغة، صيدا ١٣٣٤ هـ.

* * القراز القيرواني، تأليف المنجي الكمي، تونس (الدار التونسية للنشر) ١٩٦٨ م.
الأنموذج ١٢٣-١٢٨؛ إنباه الرواة ٣: ٨٤-٨٧؛ الحمدون من الشعراء ١٨٥-١٨٦؛
معجم الأدياء ١٨: ١٠٥-١٠٩؛ الوافي بالوفيات ٢: ٣٠٤-٢٠٥؛ وفيات الأعيان ٤:
٣٧٤-٣٧٦؛ بغية الوعاة ٢٩؛ بروكلمن، الملحق ١: ٥٣٩؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢٩٩.
(٧١).

(١) النشر: الرائحة الطيبة. القطر: سقوط المطر.

(٢) النائل: العطاء.

الحُصْرِي صَاحِبُ زَهْرِ الْأَدَابِ

١- هو أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري المعروف بالحُصْرِي^(١) القيرواني، كان على شيء من الوجاهة في بلده وعلى كثير من العلم بالأدب، فكان شُبَّانُ القيروان يجتمعون عنده ويأخذون عنه. ويبدو أنه كان يتكسَّب بالشعر أو يرتزقُ بتأليفه « حتَّى انثالت عليه الصلّات من الجهات » (وفيات الأعيان ١ : ٥٤). وكانت وفاته في المنصورية قُربَ القيروان سنة ٤١٣ هـ (١٠٢٢ م) وقد جاوز أشده.

٢- قال ياقوت الحموي: وكان (أبو إسحاق الحصري) شاعراً نقّاداً عالماً بتنزيل الكلام وتفصيل النظام يُحبُّ المُجانسة والمطابقة ويرغبُ في الاستعارة، تشبُّهاً بأبي تمام في أشعاره وتتبعاً لآثاره. وعنده من الطبع ما لو أرسله على سجيته لجرى جرى الماء ورقاً رقة الهواء (معجم الأدباء « ٢ : ٩٥ »).

والحُصْرِي هذا^(٢) مُصنّفٌ تدور كُتبه على الأخبار الطريفة والأشعار اللطيفة. من كتبه: زهر الآداب وثمر الألباب^(٣) - ذيل زهر الآداب (أو: جمع الجواهر في المُلح والنوادر) - كتاب النورين (نور الظرف ونور الطرف) - المصون والدر المكنون (المصون في سرّ الهوى المكنون مجموع مقطّعات شعرية) - المعشّرات^(٤).

٣- مختارات من آثاره

- قال أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحُصْرِي القيرواني (معجم الأدباء ٢ : ٩٣):

(١) ابن خلكان ينسب الحصري إلى صنع الحصر وبيعها (اجتهاداً!). ويقول حسن حسني عبد الوهاب (بجمل الأدب التونسي ١١٩) أن الحصري منسوب إلى قرية الحصر قرب القيروان.

(٢) هنالك مصادر ومراجع تخلط بين إبراهيم بن علي الحصري القيرواني صاحب كتاب « زهر الآداب » وعلي بن الغني الحصري القيرواني الضرير صاحب قصيدة « يا ليل الصب ». (وقد فعل بروكلمن مثل ذلك عند الكلام على أسماء الكتب) فليتنفطن الدارس إلى ذلك.

(٣) ألفه لأبي الفضل العباس بن سليمان.

(٤) بروكلمن ١ : ٣١٥.

يا هل بَكَيْتَ كما بَكَتْ وَرَقُ الحِماَمِ في الغُصُونِ^(١)؛
هَتَفْتُ سَحِيرًا والرُّبَى للقطر رافعَةً الجفونِ^(٢).
فكَأَنَّهَا صَاغَتْ على شَجْوِي شَجَى تلك اللُّحُونِ^(٣)!
ذَكَرْنِي عَهْدًا مَضَى للأنس مُنْقَطِعَ القرنِ^(٤).
فَتَصَرَّمْتُ أَيَّامُهَا وكأنَّهَا رَجَعُ الجفونِ^(٥).
- وقال في النسب:

إِنِّي أُحِبُّكَ حُبًّا لَيْسَ يَنْلِفُهُ هَمِّي، وَلَا يَنْتَهِي فَهْمِي إِلَى صِفَتِهِ.
أَقْصَى نِهَايَةِ عِلْمِي فِيهِ مَعْرِفَتِي بالعجزِ مِنِّي عَنِ إدْرَاكِ مَعْرِفَتِهِ.

- الشعر المطبوع والشعر المصنوع (من كتاب زهر الآداب):

الشعرُ مطبوعٌ ومصنوعٌ. فالمطبوعُ الجيّدُ الطبعُ مقبولٌ في السَّعْرِ قَرِيبُ المِثَالِ
بعيدُ المِثَالِ، أُنِيقُ الدِّبَاجَةِ رَقِيقُ الرُّجَاجَةِ يَدْنُو مِنْ فَهْمٍ سَامِعِهِ كَدُنُوهُ مِنْ وَهْمٍ
صَانِعِهِ. والمصنوعُ مُثَقَّفُ الكُعُوبِ مَعْتَدِلُ الأَنْبُوبِ، يَطَّرِدُ مَاءَ البَدِيعِ عَلَى جَنَابَاتِهِ
وَيَجُولُ رَوْنَقُ الحُسْنِ فِي صَفَحَاتِهِ. وَحَمَلُ الصَّانِعِ شِعْرَهُ عَلَى الإِكْرَاهِ فِي التَّعَمُّلِ
بِتَنْقِيحِ المَبَانِي دُونَ إِصْلَاحِ المَعَانِي يُعْطِي آثَارَ الصَّنْعَةِ وَيُطْفِئُ أَنْوَارَ الصَّبْغَةِ!!،
وَيُخْرِجُهُ إِلَى فَسَادِ التَّعَسُّفِ وَقُبْحِ التَّكَلُّفِ. وإلقاءُ المطبوعِ بِيَدِهِ إِلَى قَبُولِ مَا يَنْعُثُهُ
هَاجِسُهُ وَيَثَقِّفُهُ!! وَسَاوِسُهُ- مِنْ غَيْرِ إِعْمَالِ النَّظَرِ وَتَدْقِيقِ الْفِكْرِ- يُخْرِجُهُ إِلَى حَدِّ
المُسْتَهْدَمِ الرِّثِّ وَحَيِّزِ المَسْتَوْخَمِ الْغَثِّ. وَأَخْسَنُ مَا أُجْرِي إِلَيْهِ وَعَوَّلَ عَلَيْهِ هُوَ
التَّوَسُّطُ بَيْنَ الحَالِينِ وَالمَنْزِلَةِ بَيْنَ المَنْزِلَتَيْنِ مِنَ الطَّنْعِ وَالصَّنْعَةِ.

- (١) بكيت (بفتح التاء) للتجريد (اذ يخاطب الشاعر نفسه). الورقاء: الحمامة. ورق (٢) الحمام: الحمام
- (الرمادي اللون؟) البري (ولعله أجل صوتاً).
- (٢) الجفون (كذا في الأصل)، ولعلها العيون. (رافعة العيون) تطلب من الله سقوط المطر.
- (٣) الشجا (هنا) والشجو: الحزن والهم.
- (٤) منقطع القرن (المثيل، الشبيه): عهد الشباب.
- (٥) تصرّم: انقضى. رجع الجفون (كناية عن السرعة).

- ٤- زهر الآداب (على هامش العقد)، مصر ١٣٠٢ هـ؛ (نشره زكي مبارك)، القاهرة ١٣٤٤ هـ؛ (نشرة عليّ البجاوي)، القاهرة ١٩٢٥ م؛ (بتحقيق أحمد أمين وعبد السلام محمد هارون)، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر)؛ (بتحقيق زكي مبارك ومحمد محيي الدين عبد الحميد)، بيروت (دار الجيل) الطبعة الرابعة ١٩٧٢ م...
- ذيل زهر الآداب أو جمع الجواهر في الملح والنوادر القاهرة (المطبعة الرحمانية) بلا تاريخ؛ (حرره عبد العزيز البشري)، القاهرة ١٣٥٣ هـ.
- ★ الأنموذج ١٧- ٢٠؛ بغية الملتبس ٢٠٩ (رقم ٥١٦)؛ معجم الأدباء ٩٤: ٢- ٩٧؛ وفيات الأعيان ١: ٥٤- ٥٥، ٣٩٤- ٣٩٥؛ الوافي بالوفيات ٦: ٦١- ٦٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٣٩- ٦٤٠؛ بروكلمن ١: ٣١٤- ٣١٥؛ الملحق ١: ٤٧٢- ٤٧٣؛ الأعلام للزركلي ١: ٤٤ (٥٠)؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ١١٩- ١٢١.

ابن درّاج القسطلّي

- ١- هو أبو عمر أحمد بن محمد بن العاصي بن أحمد بن سليمان بن عيسى بن درّاج، أصلُ أهله من بربر صنهاجة جاءوا إلى الأندلس في أيام الفتح مع طارق بن زياد في الأغلب، ثم استقروا في قسطلّة درّاج التي هي عند جيّان (شرق قرطبة) فيما يبدو.
- ولّد ابن درّاج في المحرم من سنة ٣٤٧ (آذار- مارس ٩٥٨ م) في جيّان في الأغلب. ونحن لا نعرف شيئاً يُذكر عن حياته الأولى قبل أن يتصل بالمنصور بن أبي عامر، سنة ٣٨٢ هـ (٩٩٢ م)، ويصبح شاعره. ومن الثابت أن ابن درّاج قد رافق المنصور بن أبي عامر في عددٍ من غزواته.
- ولما تُوفي المنصور بن أبي عامر (٣٩٢ هـ = ١٠٠٢ م) خلفه - في الحجابة وفي الحجر على الخليفة هشام المويّد - ابنه عبد الملك فظلّ ابن درّاج يتمتع بالخطوة التي كانت له من قبل. ولكن لما تُوفي عبد الملك وخلفه أخوه عبد الرحمن (٣٩٨ هـ) سقطت منزلة ابن درّاج في البلاط العامري، فصبر ابن درّاج على ذلك مُكرهاً.
- ثم سقطت الدولة العامرية التي كانت مستبدّة بالخلفاء الأمويين في قرطبة وجاء سلتيان المستعين إلى الخلافة (٤٠٠ هـ) فمدحه ابن درّاج، ولكن سليمان لم يحفل بمدح ابن درّاج.

وَاتَّصَلَ ابْنُ دَرَّاجٍ بِالْقَاسِمِ بْنِ حَمُودٍ (وَزِيرِ سُلَيْمَانَ الْمُسْتَعِينِ فِي قُرْطُبَةَ) وَمَدَحَهُ وَلَكِنْ لَمْ يَنْلُ مِنْهُ شَيْئاً، فَجَارَ الْبَحْرَ إِلَى سَبْتَةَ (فِي الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى) وَمَدَحَ عَلِيَّ بْنَ حَمُودٍ (أَخَا الْقَاسِمِ بْنِ حَمُودٍ) فَلَمْ يَنْلُ مِنْهُ شَيْئاً أَيْضاً.

عِنْدَئِذٍ عَادَ ابْنُ دَرَّاجٍ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَمَدَحَ خَيْرَانَ الْعَامِرِيَّ صَاحِبَ الْمَرْيَةِ (٤٠٥-٤١٩ هـ) فَأَثَابَهُ خَيْرَانُ ثَوَاباً قَلِيلاً. فَجَاءَ ابْنُ دَرَّاجٍ إِلَى قُرْطُبَةَ (٤٠٧ هـ) وَمَدَحَ الْخَلِيفَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُرتَضَى فَلَمْ يُثِبْهُ شَيْءٌ. وَطَالَ تَطَوُّفُ ابْنِ دَرَّاجٍ بَيْنَ بَلَلَّاتِ الْعَامِرِيِّينَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَحْصُلَ عَلَى فَائِذَةٍ.

وَأخِيرًا ذَهَبَ إِلَى سَرَقُسْطَةَ وَمَدَحَ الْمُنْذِرَ بْنَ يَحْيَى التَّجِيبِيَّ (٤١٠-٤١٤ هـ) فَنَالَ عِنْدَهُ حَظَوَةً فَكَثُرَتْ مَدَائِحُهُ فِي الْمُنْذِرِ بْنِ يَحْيَى ثُمَّ فِي ابْنِهِ يَحْيَى (٤١٤-٤٢٠ هـ)؛ وَأَقْبَلَتْ الدُّنْيَا عَلَيْهِ وَاقْتَنَى الْأَرَاذِيَّ وَالضِّيَاعَ. وَيَبْدُو أَنَّ شَيْئاً مِنَ الْفُتُورِ حَدَّثَ بَيْنَ ابْنِ دَرَّاجٍ وَبَيْنَ يَحْيَى فَغَادَرَ ابْنُ دَرَّاجٍ سَرَقُسْطَةَ وَجَاءَ إِلَى دَانِيَّةَ (سَنَةِ ٤١٩ هـ) وَمَدَحَ أَمِيرَهَا مُجَاهِداً الْعَامِرِيَّ.

لَمْ تَطُلْ حَيَاةُ ابْنِ دَرَّاجٍ بَعْدَ ذَلِكَ فَتَوُفِّيَ فِي دَانِيَّةَ فِي الْأَغْلَبِ، فِي النِّصْفِ مِنْ جُمَادَى الثَّانِيَةِ مِنْ سَنَةِ ٤٢١ (٢٢ / ٦ / ١٠٣٠ م).

٢- ابْنُ دَرَّاجٍ الْقَسْطَلِيُّ شَاعِرٌ فَحَلٌّ مُكْثِرٌ مُطِيلٌ وَكَاتِبٌ مُتَرَسِّلٌ بَارِعٌ. وَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الشُّعْرَاءِ الْمُجِيدِينَ وَالْعُلَمَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ. وَشِعْرُهُ أَعْلَى طَبَقَةٍ مِنْ نَثَرِهِ.

وَأَسْلُوبُ ابْنِ دَرَّاجٍ مَطْبُوعٌ عَلَى غِرَارِ الشُّعْرِ الْمَشْرِقِيِّ مِنْ شُعْرِ أَوَّلِكَ الَّذِينَ يَتَكَلَّفُونَ الْغَوْصَ عَلَى الْمَعَانِي وَيَتَأَنَّقُونَ فِي الصِّيَاغَةِ كَأَنِّي تَمَامٌ وَالْمُتَنَبِّي حَتَّى سُمِّيَ «مُتَنَبِّيَ الْغَرْبِ». غَيْرَ أَنَّ فِي شِعْرِهِ - بَرُغْمَ ذَلِكَ كُلِّهِ - قَدْرًا كَبِيرًا مِنَ الْعُدُوبَةِ وَالسَّلَاسَةِ، مَعَ شَيْءٍ مِنَ الْغُمُوضِ أحياناً. وَرَبِّمَا رَأَيْنَاهُ يُقَلِّدُ أَيْضاً أَبَا نُوَّاسٍ وَابْنَ الرُّومِيِّ وَابْنَ هَانِي الْأَنْدَلُسِيِّ وَغَيْرَهُمْ.

وَشِعْرُهُ الَّذِي وَصَلَ إِلَيْنَا مُعْظَمُهُ مَدَائِحٌ ثُمَّ بَضْعُ قِصَائِدَ فِي الرِّثْلِ وَالتَّعْزِيَةِ تَبْلُغُ خَمْساً. ثُمَّ هُنَاكَ شَيْءٌ مِنَ الْغَزْلِ وَالْوَصْفِ لِلطَّبِيعَةِ وَلِلْحَرْبِ مَعَ أَيْبَاتٍ مِنَ الْحِكْمَةِ مُتَفَرِّقَةٌ فِي الْقِصَائِدِ. وَابْنُ دَرَّاجٍ يُكْثِرُ مِنْ وَصْفِ الْأَمْجَادِ وَيُشِيدُ بِعَظَمَةِ الْإِسْلَامِ

إشادة بارزة، ولا غرو فطبيعة الحروب التي كان العرب يخوضونها في الأندلس في ذلك الحين كانت تقتضي ذلك.

٣- مختارات من آثاره

- قال ابن درّاج القسطلّي يمدح المنصور بن أبي عامر، وكان المنصور قد أمره بأن يعارض قصيدة أبي نواس في مدح الحصب بن عبد الحميد صاحب الخراج في مصر (أجارة بيتينا أبوك غيور)، فقال ابن درّاج قصيدة منها:

أَلَمْ تَعَلَّمِي أَنَّ الثَّوَاءَ هُوَ التَّوَى وَأَنَّ بِيوتَ العَاجِزِينَ قُبُورٌ^(١).
تُخَوِّفُنِي طُولَ السِّفَارِ، وَإِنَّهُ لِتَقْبِيلِ كَفِّ العَامِرِيِّ سَفِيرٌ^(٢).
دَعَيْتَنِي أَرِذْ ماءَ المَفَاوِزِ آجِنًا إِلَى حَيْثُ ماءُ المَكْرُمَاتِ نَمِيرٌ^(٣)،
وَأَخْتَلَسَ الأَيَّامَ خُلْسَةً فَاتَكَ إِلَى حَيْثُ لِي مِنْ غَدْرِهِنَّ خَفِيرٌ^(٤)؛
فَإِنَّ خَطِيرَاتِ المَخَاطِرِ ضُمَنْ لِرَاكِبِهَا أَنَّ الجِزَاءَ خَطِيرٌ^(٥).
وَلَمَّا تَدَانَتْ لِلوَدَاعِ، وَقَدْ هَفَا بِصَبْرِي مِنْهَا أَنَّةٌ وَزَفِيرٌ^(٦) -
تُنَاشِدُنِي عَهْدَ المَوَدَّةِ وَالهَوَى، وَفِي المَهْدِ مَبْغُومُ النِّدَاءِ صَغِيرٌ^(٧)

- (١) الثَّوَاءُ: المكث والبقاء (في مكان واحد). التوى: الهلاك.... والذين لا يرحون بيوتهم عجزاً منهم عن الضرب في الأرض تكون بيوتهم قبوراً لهم.
- (٢) طول السفار: بعد السفر وطول مدته. سفير: وسيلة إلى تقبيل كف المنصور بن أبي عامر (لنيل نداه وعطاياه).
- (٣) ورد الماء: شربه. المفازة: البقاء التي يخشى فيها الهلاك وسميت مفازة للتفاؤل بأن الذي يسلكها يرجي له أن ينجو- يفوز ويخرج- منها. غير: صاف، عذب - اتركيني أشق (مجزومة: من الشقاء) واتعب حتى أصل إلى المكان الذي فيه راحة وكرم.
- (٤) واطركتني أغافل الأيام بجرأة وعزم لأنجو منها إلى حيث آمن على نفسي منها.
- (٥) ركوب المخاطر العظيمة يضمن للإنسان ثواباً عظيماً.
- (٦) هفا: أسرع، ذهب. الزفرة: تنفس طويل يصعده الإنسان من هم أو أسف - أنينها وزفرتها ذهباً بصبري.
- (٧) المَبْغُوم: الذي يشبه صوته البغام (صوت الظبي): طفل.

عَيْيٌ بِمَرْجُوعِ الْخِطَابِ، وَلَفْظُهُ
عَصَيْتُ شَفِيعَ النَّفْسِ فِيهِ وَقَادَنِي
لَنْ وَدَّعْتُ مَنِّي غَيُورًا فَإِنِّي
أُسَلِّطُ حَرًّا هَاجِرَاتٍ إِذَا سَطَا
وَلِلْمَوْتِ فِي عَيْنِ الْجَبَانِ تَلَوْنٌ،
لَهْدٍ أَيقَنْتُ أَنَّ الْمُنَى طَوَّعَ هِمَّتِي،
وَأَيُّ قَتَى لِلدِّينِ وَالْمُلْكِ وَالنَّدَى
مُجِيرُ الْهُدَى وَالِدِينِ مِنْ كُلِّ مُلْحِدٍ،
تَلَاَقَتْ عَلَيْهِ مِنْ تَمِيمٍ وَيَعْرُبٍ
بِمَوْقِعِ أَهْوَاءِ النَّفُوسِ خَبِيرٌ^(١) -
رَوَاحٌ لِتَدَّابِ السُّرَى وَبُكُورٌ^(٢).
عَلَى عَزَمَتِي مِنْ شَجْوِهَا لَغَيُورٌ^(٣).
عَلَى حُرٍّ وَجْهِهِ وَالْأَصِيلِ هَجِيرٌ^(٤)،
وَلِلذُّعْرِ فِي سَمْعِ الْجَزْيَةِ صَفِيرٌ^(٥).
وَأَنِّي بَعَطْفِ الْعَامِرِيِّ جَدِيرٌ^(٦) !
وَتَصْدِيقِ ظَنِّ الرَّاغِبِينَ نَزُورٌ^(٧) !
وَلَيْسَ عَلَيْهِ لِلضَّلَالِ مُجِيرٌ^(٨)
شُمُوسٌ تَلَالَا فِي الْعُلَا وَبُدُورٌ^(٩)

- (١) عيى: عاجز. بمرجوع الخطاب: بتبيان الألفاظ (بالرد على الأسئلة). ولفظه بموقع أهواء النفوس خبير: تأثير لفظه يصل إلى قلوب سامعيه.
- (٢) الرواح: الرجوع في المساء، الذهاب مساء. التداب: الدأب (بفتح الدال والهمزة)، المثابرة والاستمرار. السرى: السفر ليلاً.
- (٣) إذا كانت امرأتى قد مانعت أن أسافر لأنني غيور عليها، فأنا أيضاً غيور على أن أنفذ ما أعزم عليه ولا أرجع عنه لئلا تشجى (يدخل على قلبها الحزن من ذلك).
- (٤) حرّ الوجه: ما يبدو منه عادة (ما لا يستره الإنسان عادة - كما يفعل البدوي بالكوفية التي تستر جوانب وجهه فقط). الأصيل: منتصف الوقت بين الظهر وغيباب الشمس. هجير: حرّ (بفتح الحاء). - وفي سبيل تنفيذ عزمي أعرض وجهي للحر في نصف النهار حينما يكون الأصيل حرّاً لا يطاق.
- (٥) في الديوان (ص ٢٩٩) وللموت في عيش، وهو خطأ مطبعي بلا ريب ولكن لم ينبّه عليه في باب الصواب والخطأ (ص ٦٢٦) - وحينما يكون للموت صور مختلفة في عين الجبان، وحينما يبلغ الخوف قدراً عظيماً حتى تبدأ أذنا الجريء الشجاع تصفران من الخوف (تسمعان أصواتاً غير موجودة).
- (٦) حينئذ أيقنت أنني أستطيع أن أنال كلّ ما أعزم عليه. وهذا يجعلني أيضاً جديراً (مستحقاً) بعطايا المنصور بن أبي عامر.
- (٧) ليس هنالك رجل آخر غير المنصور بن أبي عامر ننتظر منه الدفاع عن الدين وعن الملك وننتظر منه العطايا التي تحقّق آمال الطالبين مها تكن تلك الآمال كبيرة.
- (٨) هو يجير (ينقذ، يحمي) الدين من الملحدن جميعاً، ولا يستطيع أحد أن ينمعه من القضاء على الضلال.
- (٩) اجتمع في نسبه بنو تميم (دلالة على الكثرة والقوّة) ويعرب (دلالة على قدم الجد في أسلافه). ويعرب بن قحطان أيضاً أبو عرب اليمن (دلالة على عراقه الجد).

من الحَمِيرِيِّينَ الذينَ أَكْفَهُمْ
لهم بَذَلَ الدهرُ الأيُّ قِيَادَهُ،
وهم ضَرَبُوا الأفَاقَ شَرْقاً وَمَغْرِباً
وهم نَصَرُوا حِزْبَ النُّبُوَّةِ وَالْهُدَى
ألا كُلُّ مدحٍ عن مَدَاكَ مُقَصِّرٌ،
لقد حَاطَ أَعْلَامَ الْهُدَى بِكَ حَاطُطٌ،
مُقِمٌّ على بَذْلِ الرِّغَائِبِ وَاللَّهِمى،
فَعَزَّمْكَ بالنصرِ العَزِيزِ مُخَبِّرٌ،
- وقال يَتَغَزَّلُ (٦):

وَخَشِيَّةَ اللَّفْظِ، هل يُودَى قَتِيلُكُمْ؟
إِنِّي أَرَاكَ بِقَتْلِ النَّفْسِ حَازِقَةً،
مَا لِي وَلِلْبَرِقِ أَسْتَسْقِيهِ مِنْ ظَمَأٍ؟
لَوْلَا الضُّلُوعُ لَطَارَ الْقَلْبُ نَحْوَكُمْ.
دَمِي مُضَاعٌ، وَجَانِي ذَاكَ عَيْنَاكَ (٧).
قُولِي - قَدَيْتُكَ -: مَنْ بِالْقَتْلِ أَوْصَاكَ!
هِيَهَاتِ، لَا رِيَّ إِلَّا مِنْ ثَنَائِكَ!
ضَمِّي - بَعِيشِكَ - فَوْقَ الْقَلْبِ يُعْنَاكَ.

- (١) الحَمِيرِيِّينَ: عرب الجنوب (دلالة على جمع المجد من عرب الشمال ومن عرب الجنوب). تَهْمِي: تهطل؛ تسقط بكثرة. الندى: الكرم.
(٢) إن الدهر الذي يأبى أن يطيع أحداً من الناس انقاد لهم طائعا راضيا. والأَيَّامُ التي هي نفور (كثيرة النفرة والهرب والجفلة من الناس) هدأت على يدهم.
(٣) غرور: خديعة النفس، مطلب لا يتحقق.
(٤) الحائط: الحامي، المدافع. والمقصود بقوله: حائط وقدير «الله تعالى».
(٥) هو في بلده مستقر يعطي الناس الرغائب (جمع رغبة: الأمر المرغوب فيه) واللهمى (جمع لمية - بفتح اللام أو بضمها -: العطية الجزيلة، ألف دينار، أو ألف درهم)، بينما هو يفكر (ويدير) جميع أنحاء البلاد.
(٦) هذه الأبيات تقليد لمقطوعة للشريف الرضوي (ت بغداد ٤٠٦ هـ):
يا ظبية البان ترعى في خائله لِيُهِمَّكَ اليوم أن القلب مرعاك.
(٧) وخَشِيَّةَ اللَّفْظِ: لفظها يشبه بغام (بضم الباء) بقر الوحش (الظباء). في الديوان (ص ٥٣٨): هل يودي (ينقطتين تحت الباء): يهلك، يموت. والأصوب أن نقرأ: هل يودي (بألف مقصورة): هل تدفع ديتة (يكسر الدال وفتح الياء بلا تشديد)، يدلنا على ذلك تَمَّةُ البيت: دمي مضاع.... جاني ذاك عيناك: عيناك سفكتا دمي ثم حالتا بيني وبين أن أطلب منك دية (لأنني أحبك).

أَصْلَيْتَنِي لَوَعَةَ الْهَجْرَانِ ظَالِمَةً رُحَاكِ مِنْ لَوَعَةِ الْهَجْرَانِ رُحَاكِ^(١)؛
حَاشَاكَ أَنْ تَجْمَعِي حُسْنَ الصِّفَاتِ إِلَى قُبْحِ الصَّنِيعِ بَيْنَ يَهْوَكَ، حَاشَاكَ.
إِنْ كَانَ وَادِيكَ مَمْنُوعاً فَمَوْعِدُنَا وَادِي الْكَرَى فَلَعَلِّي فِيهِ أَلْفَاكِ^(٢) ۱

- وكتب ابن درّاج القسطلّي إلى مُنْذِرِ بْنِ يَحْيَى التَّجِيبيّ صَاحِبِ سَرَقُسْطَةَ
(٤١٠-٤١٤ هـ) رسالةً منها: (الذخيرة ١: ٦٤):

حَيَّاكَ بِتَحِيَّةِ الْمَلِكِ مَنْ أَحْيَا بِكَ دَعْوَةَ الْحَقِّ، وَرَدَّكَ رِداءَ الْإِعْظَامِ مَنْ^(٣) أَعْلَى
بِكَ لِيَوَاءِ الْإِسْلَامِ: مُجْرِي الْأَقْدَارِ بِإِعْلَاءِ قَدْرِكَ وَمُصَرِّفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِإِعْزَازِ
نَصْرِكَ، وَمُظْهِرُ^(٤) مَنْ أَطَاعَكَ عَلَى مَنْ عَصَاكَ، وَمُدْمِرُ مَنْ عَادَاكَ بِسُيُوفِ مَنْ
وَالَاكَ. قَدْ جَعَلَ اللَّهُ أَوَّلَ أَسْمَائِكَ أَوَّلَى بِأَعْدَائِكَ وَأَقْرَبَ اعْتِرَاضِكَ صَفْوَاً
لَأَوْلِيائِكَ^(٥)؛ ثُمَّ سَمَّاكَ بِكَ حَاجِبُ الشَّمْسِ نُوراً وَأَنْسَاَ لِهَذَا الْإِنْسِ^(٦) وَنَفَسَ حَيَاةً لِكُلِّ
نَفْسٍ.

- وقال يمدحُ الْمُظَفَّرَ بْنَ الْمُنْذِرِ التَّجِيبيّ (٤١٤-٤٢٠ هـ) صَاحِبَ سَرَقُسْطَةَ.
وهذه القصيدة تَبْعُدُ عَنِ التَّقْلِيدِ:

نَجُومُ الصَّبَا، أَيْنَ تِلْكَ النُّجُومُ؟ نَسِيمُ الصَّبَا، أَيْنَ ذَاكَ النِّسِيمُ^(٧)؟
أَمَا فِي التَّخِيلِ مِنْهَا ضِيَاءٌ، أَمَا فِي التَّنَشُّقِ مِنْهَا شَمِيمُ^(٨)؟

- (١) أصلاه: عَرَضَهُ لِحَرِّ النَّارِ. اللُّوعَةُ: حَرَقَةٌ فِي الْقَلْبِ، أَلَمٌ مِنْ حُبٍّ أَوْ هَمٍّ.
- (٢) واديك: مَنَزْلُكَ، الْمَكَانُ الَّذِي تَسْكُنُهُ. وادي الكرى: النُّومُ - إِذَا كُنْتَ لَا اسْتَطِيعُ أَنْ أَزُورَكَ فِي
أَرْضِكَ (خَوْفاً مِنْ أَهْلِكَ) فَلَعَلِّي أُرَاكَ فِي نَوْمِي (إِذْ لَيْسَ لِأَهْلِكَ سُلْطَةٌ عَلَى الرُّؤْيَا فِي النَّوْمِ، وَلَا
يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَمْنَعُوهَا عَنِّي).
- (٣) رَدَّكَ: أَلْبَسَكَ. مَنْ: الَّذِي (أَيُّ اللَّهِ).
- (٤) مظهر: نَاصِرٌ.
- (٥) أَوَّلُ أَسْمَائِكَ (الْمُنْذِرُ: الَّذِي يَحْمِلُ خَيْرَ الشَّرِّ). اعْتِرَاضُكَ: انْتِزَاؤُكَ، انْتِسَابُكَ: التَّجِيبيّ (الْجَيْبُ؟).
- (٦) الْإِنْسِ (بِضْمِ الْهَمْزَةِ): الْحَدِيثُ الْمَفْرُوحُ وَ(بِكسر الهمزة): النَّاسُ.
- (٧) نَجُومٌ (جَمْعُ نَجْمٍ: أَوَّلُ مَا يَنْبُتُ مِنْ عَشْبِ الْأَرْضِ). نَجُومُ الصَّبَا: أَوَائِلُ الشَّبَابِ. أَيْنَ تِلْكَ النُّجُومُ: (نَجُومُ
السَّمَاءِ) أَيْنَ أَيَّامُ شَبَابِنَا الْأَوَّلَى؟ أَيْنَ ذَاكَ النِّسِيمِ: أَيْنَ ذَلِكَ الْهَوَاءُ الَّذِي كُنَّا نَتَنَشَّقُهُ فِي أَوْطَانِنَا؟
- (٨) أَلَيْسَ فِي تَحْيِيلِ الْإِنْسَانِ لِأَيَّامِ شَبَابِهِ ضِيَاءٌ (رُؤْيَاً) لِذَلِكَ الشَّبَابِ الَّذِي مَضَى (شَمُورٌ بِهِ)؟ أَلَيْسَ فِي
التَّنَشُّقِ (مَحَاوَلَةِ شَمِّ الرِّيحِ مِنْ نَحْوِ الْوَطَنِ) شَمُورٌ بِأَنَّ الْإِنْسَانَ قَرِيبٌ مِنْ وَطْنِهِ أَوْ مَوْجُودٌ فِيهِ؟

لقد شَطَّ رَوْضٌ إِلَيْهِ أَحْنُ، وغارت مِياهٌ إِلَيْهَا أَهْمُ^(١)،
لِيَالِي إِذْ لَا حَيْبٌ يَصُدُّ، وَعَهْدِي إِذْ لَا عَذُولٌ يُلُومُ؛
وَحَمْرِي مِنَ الدَّرِّ مِنْكَ مُذَابٌ، وَرَوْضِي مِنَ السَّخَرِ دَلٌّ رَخِيمٌ^(٢)؛
وَعُصْنُ شَبَابٍ علاهُ الْمَشِيبُ كَفَضُ رِياضٍ علاها الْهَشِيمُ^(٣).
فِيَا عَجَباً لِمُصْرُوفِ الزَّمَانِ شُهوداً لَنَا وَهَيَّ فِينَا خُصُومَ^(٤)!
فَكَيْفَ قَضَى حُكْمُ هَذَا الْقَضَاءِ عَلَيَّ لِدهْرِي. وَهُوَ الظُّلُومُ^(٥)؟
فَنَحْنُ دِيُونُ النَّوَى، كُلَّ يَوْمٍ عَلَى حُكْمِهِ يَفْتَضِينَا الْغَرِيمُ^(٦)!
جُسُومٌ تَطِيرُ بَيْنَ الْقُلُوبِ بِأَجْنَحَةِ رِيشُنَّ الْهُمُومِ^(٧)
بِكُلِّ هَجِيرٍ لَوْ النَّارُ تَصَلَّى جَحِيماً لِأُصْبَحَ وَهُوَ الْجَحِيمُ^(٨)!
وَفِي كُلِّ هَجِيرٍ - كَمَا قِيلَ - خَلَقَ صَغِيرٌ يُهاوِيهِ خَلْقٌ عَظِيمُ^(٩)؛

- (١) شط: ابتعد. غار الماء: ذهب في الأرض وضاع. هام: أحب امرأة. هام بالمرأة: حنَّ (بفتح الحاء) اشتاق. أهم إليه (ليست في القاموس): اشتاق إليه.
- (٢) خري (الخمر التي أشرها وأسكرها) من الدرِّ (اللؤلؤ من الاسنان، أسنان المحبوب: من فمه). مسك مذاب: ريق المحبوب. في الديوان (ص ٢٧١): وروضي من السحر (بكسر السين)؛ وأزجج أنا القراءة: وروحي (بفتح الراء: الراحة والانتعاش) من السحر (بفتح السين: الصدر). الدل: الدلال، الجرأة على الزوج بتفتيح. الرخيم: (الكلام) اللين العذب.
- (٣) ليس الشباب جيلاً مع الشيب أو مع الشعر الأبيض، كما أن الروض الناضر لا يكون جيلاً إذا كان فيه عشب يابس.
- (٤) من العجيب أن أحداث الدهر سالتنا (في الماضي) مع أنها (في الأصل والمادة) عدو لنا.
- (٥) وكيف أعانني القضاء على دهري (ووهبني سعادة)، مع أن القضاء في العادة ظلوم (يظلم: يسلب الناس ما هو حق لهم)؟
- (٦) نحن البشر ديون للدهر في هذه الحياة. وفي كل يوم يطلب الغريم (صاحب الدين، أي الدهر) دينه ممن يريد: بالإفكار، بالمصائب، بالموت، النخ.
- (٧) إن القلوب تتمنى أمنيات عسيرة التحقيق ثم تحمل الأجسام على تحقيق هذه الأمنيات فتلقى الأجسام من جراء ذلك تعباً شديداً.
- (٨) يسمى الإنسان إلى أن يحقق رغباته في أحوال قاسية: في هجير (حر نصف النهار) ولو أن هنالك شيئاً أشدَّ حرّاً من النار (من الجحيم: جهنم) لكان هو ذلك الهجير.
- (٩) وفي كل بحر عظيم يخوض فيه ذلك الإنسان الصغير. يهاويه ليست في القاموس. والأقرب أن يكون =

كَأَنَّا عَلَيْهِ نُجُومُ الثَّرَيَّا تَسِيرُ وَقَدْ أَفْرَدَتْهَا النُّجُومُ ^(١) .
 وَفِي اسْمِ الْمَظْفَرِ فَأَلِ الْحَيَاة لِيَحْيَا الْغَرِيبَ بِهِ وَالْمَقِيمَ .
 يُبَشِّرُنَا بِسَنَاءِ الصَّبَاحِ ، وَتُخْبِرُنَا عَنْ نَدَاةِ الْغُيُومِ ^(٢) .
 وَفِي كُلِّ نَادٍ مُنَادٍ إِلَيْكَ: هَلُمَّ إِلَى حَيْثُ يَغْنَى الْعَدِيمُ ^(٣) ،
 هَلُمَّ إِلَى حَيْثُ تُنْسَى الرِّزَايَا ، هَلُمَّ إِلَى حَيْثُ تُوسَى الْكُلُومِ ^(٤) .
 عَلَا أَعْرَقْتَ فَيْكَ مِنْ عَهْدٍ عَادٍ يَدِينُ الْكَرِيمُ بِهَا وَاللَّئِيمُ ^(٥) .
 وَفِي كُلِّ بَرٍّ وَفِي كُلِّ بَحْرٍ صِرَاطٌ إِلَيْكَ لَهَا مُسْتَقِيمٌ .
 وَسَيْفُكَ لِلدِّينِ رُكْنٌ شَدِيدٌ ، وَحَظُّكَ فِي الْمُلْكِ حَظٌّ عَظِيمٌ .
 لَيْسَتْ إِلَيْهَا مِنَ الْمُلْكِ تَاجَا يَهْلُ الْهِلَالُ لَهُ وَالنُّجُومُ ^(٦) .
 عَلَى حُلٍّ حَاكُهُنَّ السَّنَاءُ وَأُزْدِيَّةٍ نَسَجَتْهَا الْحُلُومُ ^(٧) .

= « يهاده » (وهذه أيضاً ليست في القاموس، وإن جاءت في شعر الأخطل). والمقصود بدفعه أمامه بيسر. والإشارة هنا إلى قول عمرو بن العاص حينما سأله عمر بن الخطاب أن يصف له البحر، فكتب إليه عمرو بن العاص: « البحر خلق كبير يركبه خلق صغير. وراكبه دود على عود. الداخل فيه مفقود، والخارج منه مولود ».

(١) الثريا عنقود نجوم. أفردتها: عزلتها. - كان الإنسان في البحر مثل عنقود الثريا في السماء إذا لم يكن في السماء نجوم غيرها (أي شيء ضئيل جداً).

(٢) سناء (نور الصباح جزء من سناؤه: بشاشة وجهه ولطفه) والمطر نموذج من كرمه.

(٣) العديم: الفقير. في الديوان (ص ٢٧٣): يغنى (بالبناء للمجهول) ويجوز أن تكون يغنى (بالبناء للمعلوم).

(٤) الرزايا جمع رزية: مصيبة. الكلوم جمع كلم (بسكون اللام): جرح. أسا المرح: داواه.

(٥) علا = العلا، العلى: المجد والرفعة والعظمة. أعرقت: كانت عريقة (قديمة في أسلافه). يدين: يقر. يدين الكريم بها واللئيم: يقر (له بهذا الكرم) جميع الناس.

(٦) هل يهل (بالبناء للمعلوم أو للمجهول) الهلال: ظهر. وهل الرجل: فرح. - إذا رأى الهلال والنجوم تاجك فرحن ثم رفن أصواتهن من الدهشة والحسد (لأن تاجك أجل منهن).

(٧) السناء: العلو والارتفاع (والشاعر يقصد النور؟). الحلوم جمع حلم (بالكسر): العقل. يمدح الشاعر بمدوحه بكرم الأصل وبالحكمة (؟).

وللسابغاتِ بُحُورٌ تَمُورُ، وللسابحاتِ سَفِينٌ يَعُومُ^(١)
 كَأَنَّ خَوَافِقَ أَغْلَامِهِنَّ طَيُورٌ عَلَى الْمَاءِ مِنْهَا تَحُومُ^(٢).
 فَلَا شَاءَ دَهْرُكَ مَا لَا تَشَاءُ، وَلَا رَامَ شَانِيكَ مَا لَا تَرُومُ^(٣).
 فَضْرُكَ أَوَّلُ مَا نَسْتَمِدُّ، وَعُمْرُكَ آخِرُ مَا نَسْتَدِيمُ^(٤).

٤- ديوان ابن درّاج القسطلي (حقّقه محمود علي مكّي)، دمشق (المكتب الإسلامي) الطبعة الأولى ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م، الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ.

★ جندوة المقتبس ١٠٢-١٠٦ (رقم ١٨٦) الدار المصرية ص ١١٠-١١٤؛ بغية الملتبس ١٤٧-١٥٠ (رقم ٣٤٢)، الصلة ٤٤ (رقم ٧٧)، الذخيرة ١: ٥٩-١٠٣؛ الوافي بالوفيات ٨: ٤٩-٥٢؛ وفيات الأعيان ١: ١٣٥-١٣٩؛ المغرب ٢: ٦٠-٦١؛ المطرب ١٥٦-١٥٧؛ شذرات الذهب ٣: ٢١٧-٢١٩؛ نفح الطيب ٣: ١٩٥-١٩٦؛ ٣٤١-٣٤٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٤٢-٧٤٤؛ بروكلمن، الملحق ١: ٤٧٨؛ نيكل ٥٦، مختارات نيكل ٣٣-٣٤؛ الأعلام للزركلي ١: ٢٠٤ (٢١١).

عصر ملوك الطوائف

يُمْتَدُّ عَصْرُ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ فِي الْأَنْدَلُسِ جِيلَيْنِ: مِنْ سَقُوطِ الْخِلَافَةِ الْمُرَوَّانِيَّةِ سَنَةَ ٤٢٢ (١٠٣٧ م) إِلَى أَنْ قَضَى يُوسُفُ بْنُ تَاشْفِينٍ^(٥) عَلَى مُلُوكِ الطَّوَائِفِ سَنَةَ ٤٨٤

(١) السابغات: الدروع. تمور: تموج (كناية عن كثرة الجنود). السابحات: الخيل (٩). سفين: سفن، مراكب (كناية عن كثرة الفرسان؟).

(٢) كأن الأعلام التي تخفق فوق جيشك (لكثرتها) جماعات من الطيور فوق ماء البحر لا أعلام لسفن (لأن السفينة يرتفع عليها علم واحد أو علان اثنان أو ثلاثة أعلام. ولكن كثرة سفنك بكثرة أعلامها تشبه جماعات الطيور).

(٣) الشانئ: العدو المبغض. رام يروم: أراد، أحب.

(٤) أول دعائنا أن ينصرك الله، وآخر دعائنا أن يديم الله بقاءك.

(٥) يوسف بن تاشفين أول سلاطين دولة المرابطين التي نشأت في المغرب سنة ٤٤٨ وكان لها في أول الأمر رئيس ليس بسلاطان ثم أصبح يوسف بن تاشفين، سنة ٤٥٣، سلطاناً مستقلاً فيها. وسيرد تفصيل ذلك في صورة العصر السياسية لعصر المرابطين في الأندلس.

(١٠٧١ م). وأوائل ملوك الطوائف، في الأصل، كانوا- عند سقوط الخلافة المروانية- ولاة على مدن مختلفة فاستبدوا بما كان تحت أيديهم ثم أوزنوا الحكم عليه أولادهم أو أتباعهم. وهنالك نفر آخرون كانوا من قبل قد حكموا مستقلين في عدد من المدن كبنى الحجاج في إشبيلية، ولكننا لا نعدّهم في ملوك الطوائف لأنهم كانوا في الحقيقة نائرين على سلطة المروانيين في قرطبة.

كانت كل دويلة من دويلات الطوائف تتألف من مدينة وما حولها أو من مدينتين؛ وكان ملوكها من عصبية مختلفة: عرباً وبربراً ومولدين (مسلمين إشبانيي الأصل). ثم كانوا متنافسين متخاصمين يغزو بعضهم بعضاً. وربما استعان بعضهم بالطاغية (بملك من ملوك النصارى الإشباني) على بعض. ولقد اتخذ ملوك الطوائف جميع مظاهر الدول من التلقب بألقاب الخلافة ومن الحجابة (رئاسة الوزارة) والوزارة ومن أسباب الترف، كما كانوا يجمعون في بلاطاتهم الأدباء والشعراء فيغدقون عليهم الأموال، يمثل ذلك كله قول ابن رشيق (ت ٤٥٦ هـ):

مِمَّا يُزْهَدُنِي فِي أَرْضِ أَنْدَلُسٍ أَلْقَابُ مَعْتَمِدٍ فِيهَا وَمُعْتَصِدٍ:
أَلْقَابُ مَمْلُوكَةٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا، كَاهِرٌ يَحْكِي أَنْتِفَاحاً صُورَةَ الْأَسَدِ!

ويصعب ضبط عدد دويلات الطوائف وضبط مدنها، فقد تولّى نفر من ملوكها مدناً مختلفة في أزمنة مختلفة، وكان بعضهم- في أثناء ذلك- ينتزع بعض هذه المدن من بعض. وكذلك كان ملوك النصارى يستولون- بين الحين والحين- على عدد من هذه المدن. ولكن بإمكاننا أن نقول إن دويلات الطوائف كانت ثلاثاً وعشرين منها:

- دويلات العامريين (أعقاب المنصور بن أبي عامر ومواليه)، وكان موالي المنصور فتية من الصقالبة (السلاف) فكانوا أقدر الناس على الاستبداد بالمقاطعات المختلفة لأنهم كانوا قواداً ورؤساء حرس، بالإضافة إلى أن نفرًا منهم كانوا منذ أيام المنصور نفسه ولاة على المدن التي استبدوا بها.

من أصحاب هذه الدويلات مُجاهِدُ العامريُّ في دانيةَ والجَزائرُ الشرقية (ميورقة ومنورقة ويابسة)، خَلَفَهُ فيها ابنُه إقبالُ الدولة علي. ومنهم عبدُ العزيز (حفيدُ النصورِ بنِ أبي عامرٍ) كان في بلنسية. ومنهم الفقى خَيْرَانُ الصَّقَلِيُّ العامريُّ في المَرِيَّة. ثم انتقلت المَرِيَّةُ إلى زُهَيْرِ الصَّقَلِيِّ وشيكاً، سَنَةَ ٤٣١ (١٠٤٩ م). ثم انتقلت إلى المعتصم ابن صَاحِدِح (مُحَمَّد بنِ معنٍ)، سَنَةَ ٤٤٤ (١٠٥٢ م)، وكان أديباً شاعراً فَحَفَلَ بِلَاطِهِ برجالِ الأدب.

- دويلة بني هودٍ في سَرَقُوسْطَةَ أولُهم منذرُ بنُ يحيى التَّجِييَّ، وقد طالَ حُكْمُهُم من ٤١٠ إلى نحو ٥٤٠ هـ = (١٠١٩ - ١١٤٥ م) لأنَّهم كانوا بعيدينَ في شَمَالِ الأندلسِ عن دولتي المُرَابِطِينَ والمُوحِّدِينَ في المَغْرِب. وكَثُرَتِ المنازعاتُ بين امراءِ بني هودٍ كما كَثُرَتْ حروبُهُم مَعَ ملوك الطوائف وَمَعَ الإسبانِ فَهَلَكَ في تلكِ المنازعاتِ والحروبِ جماعاتٌ كثيرةٌ من المسلمين.

- دويلة بني ذي النون (تعريب زَنُون: اسم بربري) في طُلَيْطُلَةَ، واشهرُ ملوكِها يحيى المأمون، هَلَكَ أيضاً في حروبِهِ مَعَ ملوك الطوائف وَمَعَ الإسبانِ خَلَقَ كثيرٌ من المسلمين.

- بنو زيري في غرناطة. غَلَبَ على غرناطة حَبَّوسُ بنُ مَأكِسِن بنِ زيري الصنْهاجِيَّ ثمَّ خَلَفَهُ ابنُهُ باديسُ فاستبقى وزيراً كان لأبيه اسمُهُ إسماعيلُ بن النَفَرَلَةِ^(١) (وكان يهودياً) فملاً إسماعيلُ هذا مناصبَ الدولة بأبناء جِنسِهِ فاكتسبوا

(١) يرد هذا الاسم في صور مختلفة. في البيان المغرب لابن عذاري (٣: ٢٣١، ٢٦١، ٢٦٤، ٢٧٦): نغزلة بالزاي، وفي إعلام الأعلام للسان الدين بن الخطيب (ص ٢٣٠) نغزلة (بالراء وباللام المشددة). والكتابان بتحقيق ليفي بروفنسال، وهو مستشرق يهودي واسع المعرفة بتاريخ الأندلس، وكان من المنتظر أن يحقق هذا الاسم في المصادر اليهودية. وورد هذا الاسم في نفع الطيب (٤: ٣٢٢): نغذلة (وهو الصواب)، ولكن م فهرس نفع الطيب لما قرأ (٣: ٣٨٧): «... ابن الفراء عاد إلى غرناطة واعتكف بها على مدح وزيرها اليهودي» أفرد في الفهرس المَهْجائي سطرأ باسم ابن نغزلة (مباشرة بعد السطر الذي فيه: ابن نغذلة). وفي الإحاطة لابن الخطيب (بتحقيق محمد عبد الله عنان): ابن نغزلة (١: ٤٤٢، ٤٤٦، ٤٤٧). وقد علق عنان بحاشية (ص ٤٤٢) ذكر فيها أن الاسم ورد في مخطوطي الإحاطة «نغزلة» (بالعين والراء) وفي الذخيرة «النغزلي» وفي البيان المغرب =

المالَ والجاه واستطالوا على المسلمين. وماتَ اسماعيلُ فخلفه في الوزارة ابنُه يوسفُ فزادَ على أبيه في الإساءة إلى المسلمين فنشبت ثورة سنة ٤٥٩ (١٠٦٩ م) قُتل فيها يوسفُ وكثيرٌ من أبناء قومه.

- دويلة بني الأفطس في بَطْلَيْوَسَ، أشهرهم مُحَمَّدُ الْمُظَفَّرُ وكان عالماً لبيباً وأديباً شاعراً وبطلاً شجاعاً.

- دولة بني عَبَّادٍ في إشبيلية، أكبر دويلات الطوائف وأشهرها وأكثرها أثراً في حياة الأندلس في أيامهم (٤١٤-٤٨٤ هـ)، وسنلّم بأشياء من تاريخ دولتهم في أثناء تراجم رجالهم.

في الشمال الإفريقي

لما بدأ عصرُ ملوك الطوائف في الأندلس كان لبني مَغْرَاوَة وبني يفرن (وهم من زِنَاة) دولةٌ في فاسَ (المغرب)، ولكنها كانت تحتَ نظَرِ المَرَوَانِيين في الأندلس. وكان أولَ ملوك هذه الدولة زيري بن عَطِيَّة المَغْرَاوِي. وتقلّب هوى زيري بن عطية بين المَرَوَانِيين في الأندلس والفاطميين في مِصرَ. وبعد قتالٍ بينه وبين المنصور بن أبي عامر عاد إلى طاعة المنصور والمروانيين. واستطاع زيري أن يُوسّع مُلكه فيضمّ إليه جانباً من شالي غربيّ الجزائر (تاهرت وتلمسان وجوارها)، ولكنه أُصيب بجراحٍ تُوفيَ منها، سنة ٣٩١ (١٠٠٠ م).

وبعد زيري جاء ابنه المَعْرُ (٣٩١-٤١٧ هـ) ثم جاء حَمَامَةُ بنُ المَعْرُ (ابن عمّ المعزِ ابن زيري) فاستتبَّ الأمرُ له وعظّمَ ملكه وكانت وفاته سنة ٤٤٨ (١٠٥٦ م).

= « نغزالة (بالزاي) ثم يرجع « نغزالة » (بالعين والراء). - والصحيح أن الاسم من جذر عبري « مجد » (بجيم فارسية) كالجذر العربي « نجد » (الأرض المرتفعة). وبما أن الدال يمكن أن تلفظ في القشطالية ذالاً (إخراج طرف اللسان من بين الأسنان)، فالاسم يمكن أن يقرأ: نجدلة أو نخذلة أو نغذلة. ويرد هذا الاسم في « تاريخ الفكر الإسباني » (ص ١٥، ١٠٧، ١٠٨): نجدلة (ولكنه في الفهرس: نغزلة). ويرد في « تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف (لاحسان عباس) والمرابطين: النغزالة (ص ١٣) والنغزيلة (ص ٧٥، ١٣٦، ١٤٧، ١٤٨).

في هذه الأثناء كان الحكم على القطر التونسي للمعز بن باديس الصنهاجي (٤٠٦-٤٥٣ هـ)، وفي عهده ازدهرت الزراعة والصناعة واتسعت الحضارة ونمت الثروة وعمت الرفاهية وكثر العمران ونشطت الحركة الفكرية والحركة الأدبية. وعلا صيت المعز الصنهاجي فهادنته الملوك وهاذته من السودان (الغربي) ومن مصر ومن القسطنطينية، بين سنة ٤٢٣ وسنة ٤٢٦ (١٠٣٢-١٠٣٥ م).

إلى ذلك الحين كانت إفريقية (القطر التونسي) لا تزال على وفاق مع الفاطميين أصحاب مصر، وكان المذهب الفاطمي (المذهب الشيعي المتطرف سياسياً ودينياً) سائداً فيها. ولكن في سنة ٤٣٥ (١٠٤٣ م) حدثت نقمة على أشياخ الفاطميين ثم اتسعت فأصبحت فتنة فلم يستطع المعز وقف القتال فيها ثم اضطر إلى مجارة الرعية في اتجاهها فخلع طاعة العبيديين (الفاطميين) ورد البلاد إلى مذهب الإمام مالك ثم حول الخطبة (الدعوة يوم الجمعة على المنابر) من الفاطميين (خلفاء القاهرة) إلى العباسيين خلفاء بغداد، سنة ٤٣٩ (١٠٤٧-١٠٤٨ م).

وغيظ الفاطميون فسرّجوا إلى إفريقية عدداً من القبائل البدوية، كانت في ذلك الحين في صعيد مصر، منها بنو هلال وبنو سليم وبنو رياح وبنو زغبة- نحو أربع مائة ألف- فانساح هؤلاء في الشمال الإفريقي من برقة (شرقي ليبيا) إلى القطر التونسي ثم إلى القطر الجزائري فتوغلوا فيه حتى بلاد ميزاب في الداخل وحتى الشواطئ الشمالية الشرقية.

وجهد المعز في مقاومتهم وصدّهم فلم يستطع. وفي رمضان من سنة ٤٤٩ (خريف ١٠٥٧ م) انتشر بنو هلال «ومن انضم إليهم من بطانة السوء في أرجاء إفريقية فعاثوا فيها فساداً وتخريباً ونهباً واستباحوا القيروان حتى أصبحت حاضرتها الزاهرة أثراً بعد عين» (خلاصة تاريخ تونس ٩٤-٩٥).

ثم نفذت هذه القبائل إلى القطر الجزائري، سنة ٤٥٧ (١٠٦٥ م) فحرّص الناصر ابن علناس، خامس ملوك الدولة الحمّادية، وكان أشهر ملوك هذه الدولة وأعلامهم شأنًا، وفي أيامه استفحل ملك بني حمّاد- على ردهم فلم يستطع فنجأ منهم إلى مدينة

قُسْنُطِينَةُ « فَتَبِعَهُ الْهَلَالِيُّونَ وَاقْتَحَمُوا عَلَيْهِ الْمَدِينَةَ فَاسْتَوَلَوْا عَلَيْهَا وَعَلَى الْقَلْعَةِ
وَالْمَسِيلَةِ وَطُبْنَةِ وَهُمْ يَنْهَبُونَ وَيَخْرِبُونَ حَتَّى تَرَكَوا الْبِلَادَ بِلَاقِعَ وَالدِّيَارَ خَرَابًا...
وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ أَضْرَارَ بَنِي هَلَالٍ بِالْجَزَائِرِ لَمْ تَبْلُغْ مَبْلَغَهَا فِي تُونِسَ وَطَرَابُلُسَ (لِيَبْيَا)
لَأَنَّ الْجَزَائِرَ لَمْ تَكُنِ الْمَقْصُودَةَ مِنْ (هَذِهِ) الْحَمَلَةِ بِالذَّاتِ » (تَارِيخُ الْجَزَائِرِ الْعَامِ ١ :
(٣١٥).

وَفِي ذَلِكَ كُلِّهِ يَقُولُ ابْنُ خُلْدُونٍ فِي مَقْدَمَتِهِ (بَيْرُوتُ ١٩٦١ م، ص ٢٦٥):
« وَإِفْرِيقِيَّةُ وَالْمَغْرِبُ لَمَّا جَازَ إِلَيْهَا بَنُو هَلَالٍ وَبَنُو سُلَيْمٍ مِنْذُ أَوَّلِ الْمِائَةِ
الْخَامِسَةِ.... عَادَتْ خَرَابًا كُلُّهَا، بَعْدَ أَنْ كَانَ مَا بَيْنَ السُّودَانِ وَالْبَحْرِ الرُّومِيِّ كُلِّهِ
عُمُرَانًا ». وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ عَقَدَ ابْنُ خُلْدُونٍ فِصْلًا عَنْوَانَهُ (ص ٢٦٣): « فِي أَنَّ الْعَرَبَ
إِذَا تَغَلَّبُوا عَلَى أَوْطَانٍ أَسْرَعَ إِلَيْهَا الْخَرَابُ ». وَابْنُ خُلْدُونٍ يَقْصِدُ بِكَلِمَةِ الْعَرَبِ
« الْبَدَوُ ».

بَدَأَتْ هَذِهِ الْفَتْرَةُ وَأَلَّ خَزْرُونٍ يَتَوَلَّوْنَ طَرَابُلُسَ وَيَتَرَدَّدُونَ بَوَلَائِهِمْ - بِحَسَبِ
مَصَالِحِهِمُ الْآنِيَّةِ - بَيْنَ الصِّنْهَاجِيِّينَ فِي الْقَيْرَوَانِ وَالْفَاطِمِيِّينَ فِي الْقَاهِرَةِ.
اسْتَعَانَ سَعِيدُ بْنُ خَزْرُونٍ بِمِصْرَ ثُمَّ اسْتَطَاعَ أَنْ يَطْرُدَ ابْنَ عَمِّهِ خَلِيفَةَ بْنِ وَرْوٍ مِنْ
طَرَابُلُسَ وَيَتَوَلَّاهَا مَكَانَهُ (٤٣٣ - ٤٦٦ هـ). وَفِي أَيَّامِهِ كَانَ انْسِيَاخُ بَنِي هَلَالٍ وَبَنِي
سُلَيْمٍ فِي لِيَبْيَا ثُمَّ فِي بَقِيَّةِ الشَّامِ الْمَغْرِبِيِّ. ثُمَّ وَجَدْنَا خَزْرُونُ بْنُ خَلِيفَةَ يَتَوَلَّى طَرَابُلُسَ
(وَلَكِنْ لَا نَعْرِفُ كَيْفَ). وَفِي أَيَّامِهِ عَادَتْ طَرَابُلُسُ عَنِ الْمَذْهَبِ الْفَاطِمِيِّ إِلَى الْمَذْهَبِ
الْمَالِكِيِّ.

وَفِي سَنَةِ ٤٥٠ (١٠٥٨ م) فَتَحَ الْمُنتَصِرُ بْنُ خَزْرُونٍ بِنِ سَعِيدِ طَرَابُلُسَ وَطَرَدَ مِنْهَا
ابْنَ عَمِّهِ خَزْرُونُ بْنُ خَلِيفَةَ. ثُمَّ إِنَّ خَلِيفَةَ بْنَ خَزْرُونٍ بِنِ سَعِيدِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَتَوَلَّى
طَرَابُلُسَ (٤٦٠ - ٤٨٨ هـ) وَكَانَ مُسْتَبْدًا ظَالِمًا (رَاجِعُ فِي بَنِي خَزْرُونِ « وِلَاةُ
طَرَابُلُسِ » تَأْلِيفُ الطَّاهِرِ أَحْمَدَ الزَّوَاوِيِّ، بَيْرُوتُ ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م، ص ٨٣ وَمَا
بَعْدَ).

- أوجه الحضارة:

كان عصر ملوك الطوائف عصر تفكك اجتماعي وضعف سياسي، ولكنه كان أيضاً عصر زهو حضاري ورقي ثقافي. إنَّ أول ما يلفت نظرنا في عصر ملوك الطوائف اضطراب الحياة الاجتماعية بالفتن الداخلية: بالمنازعات بين العرب والبربر وبالاقتتال بين ملوك الطوائف والحروب بين المسلمين والنصارى. في أثناء ذلك كله كان السُكَّانُ يخضعون لهجرات إجبارية أو اختيارية: هجرات داخلية بين مَدُن الأندلس ينتقلون في أثناءها من مدينة يظنونها أقلَّ أمناً أو مغانم إلى مدينة يظنونها أكثر سلامة وأوفر ربحاً. وقد تكون الهجرة خارجية فيُغادرُ الأندلسيون مدُنهم إلى المغرب، وخصوصاً حينما يستولي الإسبان النصارى على المَدُن الأندلسية. ولقد نشأ في أثناء ذلك كله نفرٌ من المسلمين أنفسهم انتحلوا المغامرة والشطارة وتنقلوا بين المَدُن المنكوبة يسلبون وينهبون وربما قتلوا وخرَّبوا.

وملوك الطوائف الذين كانت مصادرُ أموالهم قليلة - لضيق الأرض التي كانوا ملوكاً عليها - عمدوا إلى إثقال كاهل رعاياهم بالضرائب حتى يتمكنوا من الإنفاق على وجوه ترفيهم من البناء والمتاع واللُّهو وعلى الغزو، ممَّا يضطرُّ إليه في العادة عظماء الملوك.

ومَعَ هذا كله، فإنَّ الحضارة في عصر ملوك الطوائف قد استبحرت - على ضيق المكان وقلة عدد السكَّان - ممَّا يدلُّ على غنى البلاد وخصب الأرض. إنَّ الزراعة في الأندلس كانت عماد الثروة الوطنية. وإنَّ المرءَ لَيَعَجَبُ حينما يرى دولة كدولة بني عبَّاد في إشبيلية أو دويلة كدويلة بني ذي النون في طليطلطة تُنشئ القصور والجنان وتستكثر من الرقيق وتغالي في اقتناء الجواهر والثياب ويشتري أحدهم الجارية بثلاثة آلاف دينار. ولم يكن هذا الترف قاصراً على الحكَّام، بل كان المحكومون أيضاً على مثل هذا الترف والإسراف.

وممَّضَ في عصر ملوك الطوائف بارقان ضعيفان: التشيع والشُعوبية.

كان بنو حمود ملوك قُرطبة ينتسبون - حقاً أو باطلاً - إلى بني هاشم قوم

الرسول. ومع أنّ هؤلاء الحموديين أنفسهم لم يُلَوِّحوا بهذا النسب كثيراً فإنّ نفرًا من الشعراء ألحوا في المديح عليه من باب الطرافة والتجديد على الأقل، تكسباً لا اعتقاداً.

ومع أنّه كان للشعبوية مسوّغاتُها لِقَلَّةِ عددِ العرب الأتقاح ولِغَلَبَةِ غير العرب في الأندلس، مِنَ الفِرْنَجَةِ خاصّةً، فإنّ الإسلام كان قد أغرق العصبِيَّاتِ كلّها. والأندلسيُّ كان مُسلمًا في الدرجة الأولى. فالعربُ والعربيّةُ أو العُروبةُ والعُروبيّةُ ألفاظٌ تدلّ كلّها في نظره ورأيه على الإسلام. ومع هذا فنحن نجدُ مثالاً من الشعبوية الحادّة (تفضيل غير العرب على العرب) عند أبي عامرٍ أحمد بنِ غَرْسِيَّة، وكان أصله من نصارى البُشْكُنْس (الشمال الغربي من إسبانية) عُنِيَ به مُجاهدُ العامريُّ صاحبُ دانيّة ونشأه على الإسلام والعربية. ولابن غَرْسِيَّة هذا رسالةٌ يُعَلِّي فيها شأنَ قومه ويحطُّ من شأنِ العرب. ولعلّنا لا نجدُ شخصاً آخرَ فعَلَ ذلك!

- أوجه الثقافة في الأندلس:

لَقِيَتِ الثقافةُ في الأندلس في عصرِ الطوائف كثيراً من الحرّية والتشجيع ولكنها لم تُرزَقْ كثيراً مِنَ الاتّساع. إنّ الثقافة تحتاجُ إلى زمنٍ تنضجُ فيه شيئاً فشيئاً بخلاف الحضارة التي يُمكنُ أن تستبجِرَ في الزمنِ القصيرِ بعاملِ النّقل والتقليد.

كان أبو عمرو الدائي (ت ٤٤٤ هـ = ١٠٥٣ م) أحدَ الأئمّة في علم القرآن وتفسيره وأحدَ حُفَاطِ الحديث، له تصانيفُ كثيرة: التفسيرُ (في القراءات السبع) - المُقنَعُ (في رسم - تهجئة - المصاحف ونقطة) - طبقاتُ القراء، الخ.

واشتهرَ بعلوم الحديث ابنُ غلبون الخولاني (ت ٤٤٨ هـ = ١٠٥٦ م)، وكان كثيراً من الرواية ثَبَتاً دَيِّناً. وأشهرُ منه في ذلك ابنُ عَبْدِ الْبَرِّ (ت ٤٦٣ هـ = ١١٧٠ م)، ويبدو أنّه كان يجمعُ بين المذاهب. غير أنّ شهرته تقومُ على كتاب «الاستيعاب» (في تراجم الصحابة والتابعين).

ومن علماء هذه الفترة أبو الوليد هشام بن أحمد الكاتب المعروف بابن الوقشي

(٤٠٨ - ٤٨٩ هـ) من أهل طليطلة. كان واسع العلم بعدد من فنون المعرفة: بالحديث والفقه وباللغة والنحو وبالخطابة والبلاغة والشعر والحساب والفلك والهندسة والفرائض وبالمنطق، كما كان شاعراً بارعاً، له:

بَرَحَ بي أَنَّ عُلُومَ الوري إِثْنانِ ما إِنَ فيهما مِنْ مَزِيدٍ:
حَقِيقَةٌ يُعْجِزُ تَخْصِيلُها، وباطِلٌ تَحْصِيلُها لا يُفِيدُ!

وكانت له تأليف منها: «نكت الكامل» للمبرد (بغية الوعاة ٤٠٩).

ومن فقهائه هذه الحقة محمد بن عتاب (ت ٤٦٢ هـ = ١٠٦٩ م)، وكان فقيهاً عالماً عاملاً ورعاً عاقلاً بصيراً بالحديث وطريقه عالماً بالوثائق وعلمها كتبها مدة في حياته ولم يأخذ عليها من أحدٍ أجراً. وقد كان شيخ أهل الشورى في زمانه وعليه مدار الفتوى في وقته. ولم يقبل أن يتولى القضاء.

ومنهم أبو الوليد الباجي المتوفى سنة ٤٧٤ للهجرة (راجع ترجمته)، له من الكتب: التسديد إلى معرفة التوحيد - إحكام الفصول في أحكام الأصول - شرح الموطأ - مختصر المختصر في مسائل المدونة - (١) سنن الصالحين، الخ.

رحل أبو الوليد الباجي إلى المشرق ثم عاد فوجد الأندلس في اضطراب سياسي وفقهي، فحاول أن يجمع بين ملوك الطوائف بالصلح. ثم حرص على جدال ابن حزم في المذهب الظاهري الذي كان ابن حزم ينشره في الأندلس. كان ابن حزم يرى أن جميع ما جاء في القرآن الكريم والحديث الشريف يجب أن يفهم على ظاهره إلا إذا كان منه ما جرت عادة العرب على فهمه مجازاً ثم كان فهمهم له على هذه الصورة موافقاً لأصول البلاغة العربية. وكان نقرأ من الفقهاء يرون في المذهب الظاهري لابن حزم بدعة. ولقد باد هذا المذهب (بطل العمل به).

وابن حزم (ت ٤٥٦ هـ = ١٠٦٤ م) عالم وفيلسوف أيضاً.

(١) المدونة: أجل كتب الفقه المالكي - راجع ترجمة سحنون (ت ٢٤٠).

فَنَدَّ ابْنُ حَزْمٍ رَأْيَ قَدَمَاءِ الْيُونَانِيِّينَ فِي الْفَلَكَ فَقَالَ: لَيْسَ لِلنَّجُومِ نَفُوسٌ وَهِيَ لَا تَعْقِلُ وَلَا تَعْرِفُ الْغَيْبَ وَلَا هِيَ تُدَبِّرُنَا فِي شَأْنٍ مِنَ الشُّؤْنِ، إِلَّا إِذَا قُصِدَ بِالتَّدْبِيرِ التَّدْبِيرُ الطَّبِيعِيُّ كَأَثَرِ حَرَارَةِ الشَّمْسِ فِينَا. وَكَذَلِكَ سَفَّهَ قَوْلَ الْيَهُودِ وَرَأْيَ نَفَرٍ مِنْ عَوَامِّ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ النِّيلَ وَالْفُرَاتَ وَدِجْلَةَ وَجَنَحُونَ (نَهْرًا فِي أَوَاسِطِ آسِيَةِ شَالِ الْأَفْغَانِ) أَنَّهُارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْجَنَّةِ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ مَخَارِجَ هَذِهِ الْأَنْهَارِ مَعْرُوفَةٌ فِي الْأَرْضِ وَمَذْكُورَةٌ فِي كُتُبِ الْجُغْرَافِيَةِ.

وَمِنَ الْبَارِعِينَ فِي الْعُلُومِ الرِّيَاضِيَةِ، وَفِي الْفَلَكَ وَالْمُهَنْدَسَةِ خَاصَّةً، الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ حَيٍّ التُّجَيْبِيِّ (ت ٤٥٦ هـ) وَأَبُو الْحَكَمِ الْكَرْمَانِيُّ السَّرْقُسْطِيُّ (ت ٤٥٨ هـ) مِنْ أَهْلِ قُرْطُبَةَ وَكَانَ بَارِعًا فِي عِلْمِ الْعَدَدِ (خَوَاصِّ الْأَعْدَادِ) وَالْمُهَنْدَسَةِ. رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَدْخَلَ رِسَالَتَ إِخْوَانِ الصِّفَا^(١) إِلَى الْأَنْدَلُسِ. وَمِنْهُمْ أَبُو الْوَلِيدِ الْوَقْشِيُّ (ت ٤٨٩ هـ) - وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ قَرِيبًا - ثُمَّ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ بَحْيٍ التُّجَيْبِيُّ النِّقَاشِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالزَّرْقَالِيِّ (ت ٤٩٣ هـ = ١٠٩٩ م) وَقَدْ أَدْخَلَ أَشْيَاءَ مِنْ أَوْجِهٍ التَّحْسِينِ عَلَى صِنَاعَةِ الْأَسْطُرْلَابِ وَعَلَى تَسْهِيلِ الْعَمَلِ بِهِ. وَقَدْ حَسَبَ دَرَجَةَ مَيْلِ أَوْجِ الشَّمْسِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى النُّجُومِ الثَّوَابِتِ.

وَلَمَعَ فِي هَذَا الْعَصْرِ، فِي الْجُغْرَافِيَةِ، أَبُو عُبَيْدٍ الْبَكْرِيُّ (ت ٤٨٧ هـ) - وَسَتَأْتِي لَهُ تَرْجُمَةٌ.

وَنَجِدُ فِي التَّارِيخِ «التَّذَكُّرَةَ» أَوْ «الْكِتَابَ الْمُظْفَرِيَّ» لِلْمُظَفَّرِ بْنِ الْأَفْطُسِ (ت ٤٦٠ هـ) فِي فَنُونٍ مُخْتَلِفَةٍ (نَحْوَ خَمْسِينَ جُزْءًا) لَعَلَّ أَبْرَزَهَا التَّارِيخُ. ثُمَّ هُنَاكَ كِتَابُ «الِاسْتِيعَابِ» لِابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ (ت ٤٦٣ هـ) وَقَدْ مَرَّتِ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ. أَمَّا كَبِيرُ مُؤَرِّخِي هَذَا الْعَصْرِ - وَأَحَدُ أَكْبَارِ الْمُؤَرِّخِينَ - فَهُوَ حَيَّانُ بْنُ خَلْفٍ بْنِ حَيَّانَ (ت ٤٦٩ هـ) صَاحِبُ كِتَابِ «الْمُقْتَبَسِ»، وَنَعْرِفُ مِنْهُ الْيَوْمَ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ مِنْ عَشْرَةٍ.

(١) إِخْوَانُ الصِّفَا جَمَاعَةٌ سَرِيَّةٌ نَشَأَتْ فِي الْبَصْرَةِ فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ (الْعَاشِرِ لِلْمِيلَادِ). وَلَهُمْ «رِسَالَتَانِ» جَمْعًا فِيهَا الْمَعَارِفُ الْقَدِيمَةُ (الْعِلْمِيَّةُ وَالْفَلَسَفِيَّةُ) إِلَى أَيَّامِهِمْ ثُمَّ بَنَوْا فِيهَا كَثِيرًا مِنْ آرَائِهِمُ الدِّينِيَّةِ.

ولِحَيَّانَ ترجمةً مستقلة. وهناك كتابُ «البيان الواضح في المِلِّمِ الفادِح» لمحمد بن علقمة (٤٢٨-٥٠٩ هـ) في تاريخ بَلَنْسِيَّةٍ وَمَصَائِبِهَا على يد الإسبان النصارى.

وفي «طبقات الأطباء» (٢: ٣٥ وما بعد) أسماء كثيرة لِعُلَمَاءٍ اشتغلوا بالطِّبِّ سَبَقَتِ الإشارةُ إلى نَفَرٍ منهم في مِيدَانِ الرِّياضِيَّاتِ. ثم نذكرُ من غيرِ هؤلاء ابنَ الخياط (ت ٤٤٧ هـ) وأبا مُسْلِمٍ عمرَ بنِ أحمدَ بنِ خَلْدُونٍ (ت ٤٤٩ هـ) وعبدَ الله بنَ محمدٍ الذَّهَبِيِّ (ت ٤٥٦ هـ) وقد اشتغلَ بالطِّبِّ والكِيميَاءِ والفِلسَفَةِ. ونجُمُ هذه الحِقْبَةِ في الطبِّ ابنُ وافي الأندلسيُّ (ت ٤٦٠ هـ) كان لا يُداوي بالأدويةِ ما أمكنَ التَّدَاوي بالأغذية. ثم لا يُداوي بِالْمُرَكَّبِ من الدواءِ ما أمكنَتِ المداواةُ بالبسيطِ منه، فإذا احتاجَ إلى التركيبِ لم يُكثِرِ المُرَكَّبَاتِ في الدواء.

ولم تَجِدِ الفِلسَفَةَ تشجيعاً في الأندلس: تكلمَ ابنُ حَزَمٍ (ت ٤٥٦ هـ) في المنطِقِ قليلاً فزَجَرُوهُ وحملوا عليه. ثم تكلمَ في نظريةِ المَعْرِفَةِ (في الجزء الخامس من كتاب «الفصل بين الأهواء والمِلَلِ والنِحلِ») كلاماً في ذِرْوَةِ التَّفَكِيرِ الفِلسَفيِّ المَطْلُوقِ حينما جَعَلَ المعارفَ (حتى المَعْدُودُ منها من حَيِّزِ العقلِ) راجعةً إلى الحَوَاسِّ السليمة.

وآلَفَ صاعدُ الطُّنِيطِيُّ (٤٢٠-٤٦٢ هـ) كتابَ «طَبَقَاتِ الأُمَمِ» أَوْجَزَ فيه تاريخَ الفكرِ والعِلْمِ عند الأُمَمِ القديمةِ وعند العرب.

- الثقافة في المغرب الإفريقي:

يتراكم عصرُ ملوكِ الطوائفِ في الأندلس (٤٢٢-٤٨٨ هـ) وعصرُ المرابطين في المغرب (٤٤٨-٥٤١ هـ). ولكن بما أنَّ الثقافةَ السائدةَ كانتِ أُنْدَلُسيَّةَ النشأةِ أُنْدَلُسيَّةَ الطابعِ فسأخذ بالزمنِ الأندلسيِّ أيضاً ونُعَلِّبُ حِقْبَةَ الطوائفِ على حِقْبَةِ المرابطين.

كان الغالبُ على الثقافةِ في هذه الحِقْبَةِ كثيرٌ من الفِقه والنحوِ وقليلٌ من العِلْمِ والنقدِ. هنالك في هذا المنحى عبدُ الله بن ياسينَ (ت ٤٥١ هـ) مؤسسُ دولةِ المرابطين وأبوها الروحي، وقد كان فقيهاً وأديباً ناثراً كاتباً. ثم هنالك مروانُ بن سَمْنُونٍ (٤٢١-٤٩١ هـ) وأبو القاسمِ المَعافِرِيُّ السَّبْتِيُّ (ت ٥٠٢ هـ) وأبو عبد الله التميميُّ

(٤٢٩-٥٠٥ هـ) وعبدُ الله بن سعيد الوُجْدِيّ (ت قبل ٥١٠ هـ) وأبو جعفر اللُّواتي المعروف بابنِ الفاسي (ت ٥١٣ هـ). وكل هؤلاء من المغرب الأقصى.

ثمَّ تَحَسَّنُ الإشارةُ إلى ابنِ رَشِيقِ القَيْرَوَانِيّ الأديبِ الشاعرِ الناقدِ (ت ٤٥٦ هـ)، له ترجمةٌ مستقلةٌ. وكذلك تحسَّنُ الإشارةُ إلى ثلاثةٍ نَفَرٍ من القطرِ الجزائري: الطبيبِ العالمِ ابنِ عَمْرُونِ الوَهْرَانِيّ (من أحياء القرن الخامس) وإلى أبي القاسمِ يوسفَ بنِ علي السِّكْرِيّ (٤٠٣-٤٦٥ هـ) وكان بارعاً في القراءات واللُّغة والنحو، رَحَلَ إلى المشرق وتولَّى التدريسَ في مدرسة نَيْسابورَ إلى أن تُوُفِّيَ. وهنالك أيضاً الحسنُ بنُ علي بن طريفِ التاهرتيِّ النَحْوِيّ (ت ٥٠١ هـ).

الخصائص الفنية

كان المَغْرِبُ- في إفريقية والأندلس- مختلفاً من المشرق في وجوه كثيرة: في طبيعة الأرض وفي أجناسِ السُّكَّانِ وفي التراثِ الحضاريِّ والثقافيِّ وفي المنازعِ الشخصيةِ التي تُملِّها عواملٌ مختلفةٌ في بيئةِ الأدبِ العربي الجديدة: لا جدالَ في أنَّ العربَ في المشرقِ كانوا أقربَ إلى جيرانِهِمُ المُخَالِطِينَ لَهُم من الآراميين واليهود والأحباش (بعاملِ القَرابةِ العِرقية- المظنونة على الأقل) ثمَّ إلى جيرانِهِمُ المُتَاخِضِينَ لَهُم من الروم والكُردِ والفُرسِ (بعاملِ الحضارةِ الشرقية والتراثِ الثقافي) من العربِ في المغربِ إلى جيرانِهِمُ المُجَدِّدِ من الرومان والقُوطِ والفِرَنْجَةِ، في شِبهِ جزيرةِ الأندلس. ثمَّ إِنَّ النِّصْرَانِيَّةَ الشرقيَّةَ في المشرقِ لم تكنْ شديدةَ العِداءِ للإسلامِ (إذْ كان في النصارانية يومَ ظَهَرَ الإسلامُ فِرْقٌ نِصْرَانِيَّةٌ قَرِيبَةٌ في عقائدها من العقيدة الإسلامية). أمَّا النصارانيةُ الغربيَّةُ (الكنيسةُ الكاثوليكية) التي كانتْ شديدةَ العِداءِ للنصارانيةِ الشرقيَّةِ فَإِنَّهَا كانتْ بطبيعتها الحال أشدَّ عِداءً للإسلامِ وَلَمَّا يَتَّصِلُ بالإسلامِ.

لم يكنْ لهذهِ العناصرِ آثارٌ منظورةٌ في الأدبِ الأندلسي، ولكن كان في الأدبِ الأندلسي مظاهرٌ لا يُمكنُ تفسيرُها بَجَلَاءٍ إِلَّا إذا نحن أَوْلَيْنَا هذهِ العناصرَ شيئاً من العناية. وإنَّ الذي خَفَّفَ أثرَ هذهِ العناصرِ عاملانِ اثنانِ أساسيانِ: أولُهُما أن

الإسلام أغرق العصبية كلها، وثانيها أن طريقة التعليم في الأندلس كانت تقوم على دراسة التراث العربي المتقدم من القرآن والفقه والشعر الجاهلي والتاريخ العربي والحياة الشرقية- مع الرحلة أحياناً كثيرة إلى المشرق نفسه- قبل التوفر على وجه من وجوه الاختصاص المختارة. هذان العاملان جعلاً من الأندلسي مسلماً في عقيدته على سمت واحد، حتى إنه لم يسد في المغرب (من عدوة إفريقية ومن عدوة أوروبة) إلا مذهباً واحداً هو المذهب المالكي. وكذلك بلغ رسوخ اللغة العربية في النفوس مبلغاً جعل نصارى الأندلس- وهم بطبيعة الحال غير عرب وغير بربر، بل جرمان (قوط) ولاتين وجليقيون- يتعربون ويتقنون العربية وينثرون فيها وينظمون.

بلغ النتاج العربي في عصر ملوك الطوائف- في مدى جيلين: نحو ستين عاماً أو تزيد قليلاً- مبلغاً كبيراً في المقدار وفي البراعة والتفنن والجودة. ومع العلم اليقين بأن الفنون الأندلسية ما زالت هي الفنون العباسية: المدح والرثاء والهجاء والغزل والخمر والوصف والزهد وما إلى ذلك، ومع أن الأغراض: وصف الخمر ووصف القصور ووصف الجنائن ووصف السماء ونجومها ظلت كما كنا نرى عند أبي نواس والبحتري وابن الرومي وابن المعتز العباسيين، فإن الأندلسيين عالجوا هذه الفنون وهذه الأغراض نفسها معالجة جديدة من حيث المقدار لا من حيث النوع: لقد أكثروا من التشخيص (إضفاء صفات الأحياء على الكائنات الجامدة) ومن سعة الخيال. أما فيما عدا ذلك، فإن النفس المشرقي العربي والأثر المشرقي الفارسي- من خلال النفس العربي- ظلّا يسيريان في الأدب الأندلسي. من ذلك مثلاً قول المعتضد بن عباد (مختارات نيكل ٧٦):

فإن أردت، إلهي، بالورى حسناً
فملكنتي زمــــام العرب والعجم

وقول المعتضد بن عباد يفتخر بعشيرته (الحلة السراء ٢: ١٥٦):

إن كوثرُوا كانوا الحصى، أو فوخروا فمن الأكاسر من بني الأحرار^(١) ؟
ويُعزى التنوع في نتاج الأدب الأندلسي إلى التنوع في طبيعة الأرض
الأندلسية.

ولقد كان الأندلسيون أنفسهم يشعرون بهذا التنوع ويفتخرون به. نقل المقرئ
(ت ١٠٤١ هـ = ١٦٣١ م) عن أبي عبيد البكري (ت ٤٨٧ هـ) قوله (نفع الطيب
:١٢٦):

الأندلسُ شاميةٌ في طيبتها وهوائها، يمانيةٌ في اعتدالها واستوائها، هنديةٌ في
عطرها وذكائها، أهوازيةٌ في عظم جبايتها، صينيةٌ في جواهر معادنها، عدنيةٌ في
منافع سواحلها....

ودراسة الخصائص الفنية والفنون الأدبية في هذا العصر ليست سهلة - لِقصر
هذا العصر ولأخذ عدد كبير من أدبائه من عصر الخلافة الروانية قبله ثم من عصر
المرابطين بعده. من هؤلاء جميعاً: ابنُ الحياض الرَبَيعي الصِّقْلِي (ت بُعيد ٤٣٦ هـ)
وابنُ حزم الأندلسي وابنُ رشيقي القيرواني وأبو عبد الله بن شرف القيرواني وابنُ
زيدون (ت ٤٦٣ هـ) ثم تميم بنُ المعزِّ الصنهاجي (ت ٥٠١ هـ) وابنُ اللَّبَّانة وابنُ
النَّحويِّ التوزري وابنُ صارة الشنتريني والأعمى التُّطيلي وابنُ عبدون وأُمَيَّة بنُ عبد
العزیز والفتح بنُ خاقان وابنُ حديس الصِّقْلِي (ت ٥٢٩ هـ).

إنَّ كثرة ملوك الطوائف وتنافسهم في الأبهة ومظاهر الملك ثم عداوة بعضهم
لبعض جعلتهم في حاجة إلى شعراء يمدحونهم رفعا لمكانتهم في عيون أعدائهم أو
إغاظة لأندادهم ومنافسيهم. من أجل ذلك تقاطر الشعراء من كل طبقة وميل إلى
بلاطات هؤلاء الملوك يمدحونهم تكسباً.

وكان هؤلاء طبقتين رئيسيتين: طبقة من شعراء البلاطات على الحضر مثل ابن

(١) الأكاسر جمع كسرى: لقب ملوك الفرس. الأحرار (الأبناء) أبناء الفرس الذين كانوا في صدر
الإسلام وفي اليمن خاصة.

عبدون شاعر بلاط بني الأفتس في بطليوس ثم طبقة من الشعراء المتكسبين المتنقلين بين البلاطات مثل الأسعد بن بليطة. وقد قسمهم إحصان عباس (تاريخ الأدب العباسي: عصر الطوائف والمرابطين ٨٢ وما بعد): شعراء مُنتمين وشُعراء جوالين، ثم أضاف إلى هؤلاء عدداً آخر من الطبقات.

واستعمل نفر من هؤلاء الشعراء الإلحاح والغلاظة والفحة حتى إن أبا الحسن الحضريّ القيروانيّ (ت ٤٨٨ هـ) تعرّض للمعتمد بن عباد - والمعتمد أسير - بالمدح واعتصر منه جائزة كان المعتمد أحقّ بها. وفي أحيان كثيرة كان هؤلاء الشعراء يرضون بالدون من العطاء.

ومعاني المديح في الأكثر ظلت المعاني المشرقية، وإن كان التعبير عنها يخيّ بطبيعة الحال، مُختلفاً. قال ابن عمار يمدح المعتمد بن عباد:

من لا توازنه الجبال رزانة، من لا تُسابقه الرياح إذا جرى.
أثمرت رُمحك من رؤوس كُماثهم لَمّا رأيتَ الفُصن يُعشقُ مُثمرا.
وصبغت درعك من دماء ملوكهم لَمّا عَلِمْتَ الحُسن يُلبسُ أحمرًا.

ففي البيت الأول قول الفرزدق «أحلامنا تزُنُ الجبال رزانة». وفي البيت الثاني معنى مُسلم بن الوليد:

«يكسو السيوف دماء الناكثين به ويجعلُ الهامَ تيجانَ القنا الذُبُل!»
وأما البيت الثالث فمن بيت بشار:

«وإذا دَخَلَ تَقَنَّى بالحُمُرِ، إِنَّ الحُسْنَ أحمَرُ!»

ومن توابع المديح الفخر (مدح الإنسان قومه وأهله ونفسه) والحماسة (التمدح - مدح النفس - بالأعمال المجيدة وبالصبر على المكاره). وقد كان الفخر والحماسة مشرقيّين في خصائصهما. قال عبدُ الملك بن هذيل بن رزين^(١):

(١) الحلة السراء ٢: - ذو الرئاستين حسام الدولة أبو مروان عبد الملك بن هذيل بن رزين صاحب السهلة =

شَاوَتْ أَهْلَ رَزِينٍ غَيْرَ مُخْتَفِلٍ وَهَمَ - عَلَى مَا عَلِمْتُمْ - أَفْضَلُ الْأَمْرِ .
 قَوْمٌ إِذَا حُورِبُوا أَفْنَوْا ، وَإِنْ سُئِلُوا أَغْنَوْا ، وَإِنْ سُوبِقُوا حَازُوا مَدَى الْكَرَمِ .
 جَادُوا فَمَا يَتَعَاطَى جُودَ أَنْفُسِهِمْ مَدُّ الْبِحَارِ وَلَا هَطَّالُهُ الدَّيَمِ .
 وَمَا ارْتَقَيْتُ إِلَى الْعَلِيَا بِلَا سَبَبٍ . هِيَهَاتِ ! هَلْ أَحَدٌ يَسْعَى بِلَا قَدَمٍ ؟
 فَمَنْ يَرِمُ جَاهِدًا إِذْ رَاكَ مَزَلْتِي ، فَلْيَحْكِنِي فِي النَّدَى وَالسَّيْفِ وَالْقَلَمِ !

وقال عبد الله الشقراطيبي^(١) في الحماسة:

وَكَمْ أَقْدَمْتُ لِي نَخْوَةَ الْبَاسِ فِي الْوَعْصَى إِذَا حَسَرَ الْأَقْوَامَ فِيهَا التَّخَلُّفُ^(٢) .
 أَصَمُّ تَصْمِيمِ الْفِرْنِدِ وَأَمْتَرِي خَلُوقَ الْمَنَايَا وَالْأَسِنَّةُ تَرْعُفُ^(٣) .
 وَأَعْتَسِفُ الْهُوْلَ الْعَاسَ ، وَصَاحِي رَقِيقُ الظُّبَا عَضْبُ الْغِرَارِ مِنْ مُرْهَفٍ^(٤) !

ولعلّ الرثاء في هذا العصر كان ألصقَ بالخصائص المشرقية من كلّ في آخر: ذكرًا لمفاخر الميّت في الحياة ومُعَالَاة في ذلك ثم تفجعًا شديدًا، وما يُضاف إلى ذلك من التأسي بالمصائب السابقة وضرب الأمثال وإيراد الحكَم والمواعظ. قال ابن اللبّانة يرثي المعتمد بن عبّاد:

تبكي السمُ بدَمْعٍ رَائِحٍ غَادٍ عَلَى الْبِهَالِيلِ مِنْ أَبْنَاءِ عَبَّادٍ^(٥):

= (شتمريّة الشرق: شرق الأندلس) وتدعى اليوم ألباراثن (على مائتي كيلو متر شرق مدريد ومائة كيلو متر إلى الشمال الغربي من بلنسية).

(١) المجلد في تاريخ الأدب التونسي ١٦٦.

(٢) أقرأ: وكم أقدمت بي. إذا حسر الأقوام....: إذا انهزم القوم فكان ذلك حسرة في نفوسهم.

(٣) صمّ السيف: قطع اللحم والعظم. الفرند: السيف (الشديد الجلاء حتى ليتراقص النور على صفحته).

امترى: استخرج. الخلق: نوع مركّب من الطيب (العطر). المنايا جمع منية (الموت). خلق المنايا:

الدم (٤). السنان: الحديد في أعلى الرمح. رعف يعرف: سال منه دم.

(٤) اعتسف الطريق: سار فيه على غير هدى (بلا مبالاة - ثقة بنفسه وشجاعته). الهول: الأمر الشديد

(الحرب). العاس: الشديد. الظبا جمع ظبة (بضم ففتح) والغرار: حد السيف. العضب: القاطع.

المرهف: الرقيق الخ. (القاطع).

(٥) البهلول (بضم الباء): السيّد الجامع لصفات الخير.

على الجبال التي هُدَّتْ قواعِدُها، وكانت الأرضُ منها ذاتَ أوتادٍ.
ياضيفُ، أقفَرَبِيتُ المَكْرُماتِ فخذُ في ضمِّ رَحْلِكَ واجمع فضلةَ الزادِ.
ويا مُؤمِّلَ واديهم لَيْسَكُنَّه، خَفَّ القَطِينُ وَجَفَّ الزَّرْعُ بالوادي^(١).
حانَ الوداعُ فضجَّتْ كلُّ صارخةٍ وصارخٍ مِنْ مُفدَاةٍ ومن فادٍ^(٢).
كم سال في الملك من دمعٍ، وكم حلتْ تلك القطائعُ من قطعَاتِ أكبادٍ^(٣).

وقصيدةُ ابنِ عبدونٍ مشهورةٌ في ذلك، ومنها قطعةٌ صالحةٌ في ترجمة صاحبها^(٤).
وليس في رثلك شعراءُ الأندلسِ للمُدُنِ والقصورِ من جديدٍ في الموضوع (وإن كان ثمةَ
اختلافٍ في الأحداث). من ذلك لَمَّا استولى الأَرْدُمانيُّون على حصنِ بَرَبَشْتَر^(٥) قال
الفقيهُ الزاهدُ ابنُ العسَّالِ:

ولقد رمانا المشركونَ بأْسْهمْ لم تُخْطِرْ، لكن شأنا الإِضْماءَ^(٦):
هَتَكُوا بِجَنَلِهِمْ قصورَ حريمِها: لم يَنْقَ لا جَبَلٌ ولا بَطْحاءَ^(٧).
جاسوا خلالَ ديارِهِم فلهم بها في كلِّ يومٍ غارةٌ شَعواءَ^(٨):
كم موضعٍ غَنِمُوهُ لم يُرَحِّمْ به طِفْلٌ ولا شيخٌ ولا عذراء.

(١) خَفَّ (رحل) القطين (الساكن).

(٢) المُفدَاة: التي تغدِّي الميت (تقول عند رأسه: أفديك بنفسي) تندبه. الفادي: الهامي عن غيره يفديه بنفسه.

(٣) القطيعة: قطعة من الأرض يولِّي عليها الحاكم من يشاء (إشارة إلى أنَّ أبناءَ المعتمد بن عباد الذين كانوا يتولَّون مدنا أو يعدُّون في الأمراء، وكانوا كثيرين).

(٤) عبد المجيد بن عبدون (ت ٥٢٩ هـ = ١١٣٥ م) شاعر ووزير لبني الأفطس من ملوك الطوائف.

(٥) (راجع نفح الطيب ٤: ٤٤٩). والأردمانيُّون يقال لهم أيضاً: الجوس لأنهم لم يكونوا، إلى ذلك الحين، قد دخلوا في النصرانية بعد.

(٦) تاريخ الأدب الاندلسي: عصر الطوائف والمرابطين ١٧٨. لم تخط (يقصد: لم تخطيء: لم تحد عن هدفها). لكن يقصد: إذ، لأن. أصمى: أصاب مقتلاً.

(٧) حريمها (كذا في الأصل) البطحاء: الأرض المستوية.

(٨) ديارهم (كذا في الأصل). الشعواء: المنتشرة: (التي تمتد إلى كل مكان).

ونحن نَعْرِفُ مِثْلَ ذَلِكَ فِي الشَّعْرِ الْمَشْرِقِيِّ: رثاء البصرة بعدَ فِتْنَةِ الزَّنْجِ لابن الرومي ثم إيوان كسرى للبحري وسوى ذينك.

وعَرَفَ هذا العصرُ الأندلسيَّ هِجَاءَ قاله رجالٌ ونساءٌ منهم أبو إسحاق الإليري وابنُ الحدَّاد الوادي آشي والسُّمَيْسِرُ وولَّادَةُ ومُهْجَةُ القرطبية. وقد كان بعضُ هذا الهِجَاءِ مُقَدِّعاً فاحشاً. غيرَ أنَّ الأدبَ الأندلسيَّ لم يَعْرِفْ شعراءَ هِجَاءٍ من نَجْرِ الحُطَيْيَّةِ وجَرِيرٍ وبشارٍ وأبي نُواسٍ وابنِ الروميِّ من الذين برعوا في ابتكارِ المعاني وفي تصويرِ المعائب وفي تحليلِ الطباع. وتحسُّنُ الإشارةُ إلى الإليري (ت ٤٦٠ هـ) في هِجَاءِ اليهود (كما نرى في ترجمته).

والشكوى من الدهرِ والإخوانِ ثم عتابُ الأقاربِ والأباعد معروفان في كلِّ زمانٍ ومكانٍ. والحنينُ إلى الوطنِ ضَرْبٌ من الشكوى كانت دواعيه في المغرب- وفي الأندلسِ خاصَّةً- أكثرَ منها في المشرق، ذلك لأنَّ الحروبَ الإسبانيَّةَ كانت تُزْعِجُ الناسَ عن أوطانِهِمْ طَوْعاً وكرهاً. وأشهرُ من يُشارُ إليه في هذا الموضوع ابنُ حَمْدِيسٍ الصِقْلِيُّ المتوفى سنة ٥٢٩. كان ابنُ حَمْدِيسٍ قد انتقلَ من صِقْلِيَّةَ- لما استولى عليها النورمان، سنة ٤٧٠ (١٠٧٨ م) فقال أبياته المشهورة:

ذَكَرْتُ صِقْلِيَّةَ وَالْأَسَى يُهَيِّجُ لِلنَفْسِ تَذَكَارَهَا.

والإنسانُ يُحِبُّ وطنه على كلِّ حالٍ، فكيف به إذا كان ذلك الوطنُ جليلاً عظيماً. فقد اتفقَ لِمُحمَّدِ بْنِ شَرْفِ الْقَيَّرَوَانِيِّ (ت ٤٦٠) ولأبي الحسنِ الحُصْرِيِّ (ت ٤٨٨) أن يُفَارِقَا بِلَدَهُمَا إِلَى الْأَنْدَلُسِ، فَشَكَّوْا كِلَاهُمَا الْبُعَادَ، وَأَبْيَاتُ الْحُصْرِيِّ:

عَلَى الْعُدُوَّةِ الْقُصُوصِ، وَإِنْ عَفَّتِ الدَّارُ، سَلَامٌ غَرِيبٍ لَا يَوُوبُ فَيَزِدَارُ^(١).
وَحَقُّ بُكَاءِ الْعَيْنِ، وَالْقَلْبُ مُسَعَّرٌ، لَمَنْ بَاتَ مِثْلِي لَا حَبِيبٌ وَلَا جَارُ^(٢).

(١) العُدوة (الجانب) القصوى (الأكثر بعداً): الجانب الإفريقي (في مقابل الجانب الأوروبي: الأندلس).

آب: رجع. ازداد (افتعل: ازدور: ازدار): زار.

(٢) مسعر: مشعل، حارَّ (حزين).

شفى الله داء القيروانين بعدنا؛ فقد مرضت للقيروانين أبصار^(١).
 وكيف غناء الطير في غير وكرها، وقد بعدت عنها فراخ وأوكار.
 ألا يا بروقا لحن من نحو صبرة، وليس لها إلا دموعي أمطار^(٢)،
 عسى فيك من ماء الحبيبات شربة ولو مثل ما يوعي من الماء منقار^(٣)!

- الوصف:

والوصف في المشرق كان مميّزة العصر العباسي، وهو في الأندلس ميّزة الأدب الكبرى، في الشعر والنثر: وصف الطبيعة بما فيها من آثار علوية (بضم العين وسكون اللام: غمام ورياح وأمطار) وبما فيها من جنائن وأنهار ومن أشجار وأثمار، ومن حيوان، وبما ينشأ فيها من مدُن وقصور ومن أساطيل وسلاح وسوى ذلك. ولا حاجة إلى الاستشهاد على ذلك لأننا نراه عند كل خطوة في تاريخ الأدب الأندلسي.

وإذا نحن أردنا حلاوة اللفظ وأتاقة المعنى وحدهما في وصف الخمر استطعنا أن نورد نماذج كثيرة من ذلك، كقول ابن عمار (ت ٤٧٧): «أدِر الزجاجة فالنسيم قد أنبرى» أو كقول ابن حنيس (ت ٥٢٩): «قم هاتها من كف ذات الوشاح» (والقطعتان كلتاها من صلب عصر الطوائف- وهما مذكورتان في ترجمتي شاعريها).

والغزل والنسيب من الوصف- والشعر إلا أقله وصف، كما يقول ابن رشيق-. وقد عرف هذا العصر الأندلسي الغزل الصريح مؤثراً ومذكراً، كما عرف الغزل العفيف صحيحاً ومكذوباً. ولكن الغزل الأندلسي لم يعرف شاعراً قصر شعره على الغزل كعمر بن أبي ربيعة ومجنون ليلى، أو شاعراً شهر بالغزل وحده كجميل بن معمر والعبّاس بن الأحنف. ولا نستطيع أن نتبين في الغزل الأندلسي جانباً لم

(١) القيروانان: مدينة القيروان ومدينة صبرة التي تسمى المنصورية، وقد كان العمران بين القيروان وصبرة متصلاً.

(٢) لاح: ظهر.

(٣) أوعى: جمع وحفظ (بمقدار ما يحمل منقار الطائر من الماء: قليلاً جداً).

نَجْدُهُ فِي الْغَزْلِ الْعَبَّاسِيِّ. إِنَّ قِصَّةَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَدَّادِ الْقَيْسِيِّ شَاعِرِ الْمُعْتَصِمِ بْنِ صُهَيْدٍ مَعَ نُويرةَ النِّصْرَانِيَّةِ - وَالَّتِي أَرَادَ بَطْرُسُ الْبُسْتَانِيُّ^(١) أَنْ يَجْلُوَهَا ثُمَّ أَحَبَّ إِحْسَانُ عَبَّاسٍ^(٢) أَنْ يَجْعَلَهَا مِثَالًا لِلزُّعْرَةِ الْفِكْرِيَّةِ الْفَلَسْفِيَّةِ فِي مُقَابِلِ قَصِيدَةِ ابْنِ زَيْدُونَ «أَضْحَى التَّنَائِي» الَّتِي رَأَى إِحْسَانُ عَبَّاسٍ أَنَّهَا كَسَفَتْ قَصِيدَةَ ابْنِ الْحَدَّادِ بِالشُّهُرَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ لِابْنِ زَيْدُونَ وَوِلَادَةِ وَبِالْمَقْدَرَةِ الشَّعْرِيَّةِ لِابْنِ زَيْدُونَ - لَمْ تَكُنْ جَدِيدَةً فِي الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ: شَاعِرٌ مُسْلِمٌ يُحِبُّ فِتْنَةً غَيْرَ مُسْلِمَةٍ.

قال بطرس البستاني:

«وكان من جرأ اختلاط (الأندلسيين) بالنصارى أن شاعَ عندهم الغزلُ النِّصْرَانِيُّ^(٣) وذكرُ الكنائسِ والقساوسةِ والصلبانِ كغزلِ ابنِ الحدَّادِ في نُويرةَ النِّصْرَانِيَّةِ، وكان يَهْوَها فلم تَرْضَ به بَعْلًا لاختلاف دينها عن دينه. فهمَ بها وأكثرَ من التشبيب». ثم يُورِدُ بَطْرُسُ الْبُسْتَانِيُّ مَقْطُوعَةً لِابْنِ الْحَدَّادِ فِي نُويرةَ هَذِهِ:

عَسَاكِ،	بِحَقِّ	عِيْسَاكِ	مُرِيحِيَّةُ قَلْبِي الشَّاكِي.
فَإِنَّ الْحُسْنَ قَدْ	وَلَا	كِ	إِحْيَائِي وَإِهْلَاكِي.
وَأَوْلَعَنِي بِصُلْبَانِ	وَرُهْبَانِ	وَسَاكِ.	
وَلَمْ آتِ الْكِنَائِسَ عَنْ	هَوَى.	فِيهِنَّ	لَوْلَاكِ!
وَمَا أَنَا مِنْكَ فِي بَلَوَى	وَلَا	فَرَجٍ	لَبَلْوَاكِ
وَلَا أَطْيَعُ سِلْوَانَا	فَقَدْ	أَوْثَقْتَ	أَشْرَاكِ.
وَكَمْ أَبْكِي عَلَيْكَ دَمًا	وَلَا	تَرْتِينَ	لِلبَاكِ!
فَهَلْ تَذَرِينَ مَا تَقْضِي	عَلَى	عَيْنِيَّ	عَيْنَاكِ؟
وَمَا يُذَكِّيه مِنْ نَارٍ	بِقَلْبِي	نُورُكِ	الذَّاكِ؟

(١) أدباء العرب ٣: ٥٨ - ٥٩.

(٢) تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين ١٦٠ - ١٦٢.

(٣) يقصد: الغزل بالنصرانيات.

نُورَةٌ، إِنْ قَلَيْتِ فَإِنَّ نَنِي أَهْوَكَ أَهْوَكَ^(١).
وَعَيْنَاكَ الشَّهِيدَانِ بَأْنِي بَعْضُ قَتْلَاكَ.

هذه المقطوعة، إذا تأملتها، لا تجد فيها فناً شعرياً يُسوّج الحديث عليها، إذ ليس فيها شيء من عبقرية ديك الجن الحمصي مع جاريته النصرانية وزد^(٢). وليس فيها أيضاً شيء من ذلك الحس الصادق في قصة مُذْرِكِ بْنِ عَلِيٍّ الشَّيْبَانِيَّ مع عمرو النصراني^(٣). وهي طبعاً نازلة عن العاطفة وعن الصورة اللتين نلقاهما في قول القائل:

رُزْنَارُهُ فِي خَصْرِهِ مَعْقُودٌ كَأَنَّهُ مِنْ كَيْدِي مَقْدُودٌ

وقد توسّع الأندلسيون عند الغزل في أوصاف الطبيعة: تلك الأوصاف التي غلبت في شعرهم على كل فن آخر.

ويلحق بالغزل المجون، وهو الإفصاح عن المدارك الجنسية باللفظ الصريح كثيراً أو قليلاً. ولعلنا نجد اتساع مدى المجون والصراحة فيه، في الشعر الأندلسي، أكثر مما نجد منها في الشعر المشرقي. ومن الأمثلة على ذلك ولادة.

ومثل ذلك في هذا الموضع شعر الهزل والسُخْفِ، وكان لها مثل في المشرق. ومن أحسن الأمثلة على الهزل مع الفُحْشِ «الرسالة الهزلية» التي كتب بها ابن زَيْدُونِ إلى ابنِ عَبْدِوسٍ على لسان ولادة.

والسُخْفُ هو الإتيان بالمعاني المبتذلة والتمدحُ بأشياء لا قيمة لها أو استحسان تلك الأشياء. فممن يشار إليه هنا أبو عبد الله مُحَمَّدُ بْنُ مَسْعُودِ الْقُرْطُبِيِّ، من مشاهير شعراء المائة الخامسة. ويبدو (راجع المغرب ١: ١٣٤) أنه دخل على ممدوح فالتقى بين يديه شعراً ساقطاً فلم يَظْفَرْ عليه شيئاً ولكن صفع. فخرج وقال:

(١) قلى يقلى: أبغض.

(٢) راجع من هذه السلسلة ٢: ٢٧٢.

(٣) مثله ٢: ٥٧٢ - ٥٧٤.

وَحَرَجْنَا كَمَا دَخَلْنَا بِلَا فَلَ سِرٌّ، وَلَكِنْ رَيْخْتُ صَفْعَ قَفْلِهِ
 وَتَحَدَّثَ مَرَّةً عَنِ الْمَطَاعِمِ فَقَالَ^(١):
 وَإِذَا قِيلَ لِي: يَمَنْ أَنْتَ صَبٌّ؟ وَعِلَامَ انْسِكَابُ دَمْعِ الْمَاقِي؟
 قُلْتُ: هَمِّي السِّكْبَاجُ وَالْجُمْلِيَّا تُوْرَخْصُ الشُّوَا مَعَا بِالرُّقَاقِ^(٢).
 وَجَشِيشُ السَّمِيدِ أَعَذِبُ عِنْدِي مِنْ رُضَابِ الْحَبِيبِ عِنْدَ الْعِنَاقِ^(٣).

أَدْخَلَ نَفَرٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ عَدَدًا مِنَ الْمَعَانِي الْفَلَسْفِيَّةِ فِي أَشْعَارِهِمْ. وَلَكِنَّا لَا نَعُدُّ ذَلِكَ فِي شَعْرِ الْحِكْمَةِ (وَالنَّقَادُ الْعَرَبُ يَسَمُّونَهَا: الْأَدَبُ)، بَلْ فِي بَابِ «النَّظْمِ التَّعْلِيمِيِّ» كَأَرَاخِيزِ النَّحْوِ. فَمِنْ ذَلِكَ مَثَلًا قَوْلُ ابْنِ وَهْبُونِ الْمُرْسِيِّ (ت ٤٨٣):

نَفْسِي وَجَسْمِي إِنْ وَصَفْتَهُمَا مَعَا آلٌ يَذُوبُ وَصَخْرَةٌ خَلَقَاءُ^(٤)
 تَتَعَاقَبُ الْأَضْدَادُ مِمَّا قَدْ تَرَى جَلَبَتْ عَلَيْكَ الْحِكْمَةُ الشَّنْعَاءُ^(٥).

أَمَّا الْحِكْمَةُ الْمَأْلُوفَةُ فِي الشَّعْرِ فَهِيَ اللَّمَحَةُ الْبَارِعَةُ مِنَ الرَّأْيِ الصَّائِبِ الَّذِي يَصْدُقُ فِي الْوَاقِعِ أَوْ يُوَافِقُ الْمَنْطِقَ أَوْ يُوجِزُ الْاِخْتِبَارَ الْإِنْسَانِي الطَّوِيلَ. وَقِيَمَةُ الْحِكْمَةِ فِي الشَّعْرِ أَنْ يَرِدَ الْمَعْنَى الْحَكِيمُ الْجَدِيدُ فِي التَّعْبِيرِ الْوَجِيزِ الْوَاضِحِ. مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ عَبْدِ

(١) تَارِيخُ الْأَدَبِ الْأَنْدَلُسِيِّ: الطَّوَائِفُ وَالْمُرَابِطُونَ ١٥٢.

(٢) فِي الْأَصْلِ: قُلْتُ بِالسِّكْبَاجِ (وَلَا يَسْتَهْمُ بِهَا الْوِزْنَ) فَأَجَزْتُ لِنَفْسِي أَنْ أَثْبِتَ مَا فِي الْمَثْنِ. السِّكْبَاجُ: لَحْمٌ يَتَبَلُّ بِأَفَاوِيهِ وَبِزُورَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ. الْجُمْلِيَّاتُ (٩). الرُّخْصُ: الطَّرِيقُ. الشُّوَا: اللَّحْمُ الْمُشْوِيُّ. الرُّقَاقُ: خَبْزٌ يَصْنَعُ رَقِيقًا (وَرَبَّمَا قِيلَ لَهُ: خَبْزٌ مَرْقُوقٌ، خَبْزٌ تَنْوَرٌ، خَبْزٌ صَاجٌ: قِطْعَةٌ مِنْ حَدِيدٍ مُسْتَدِيرَةٌ وَمَحْدَبَةٌ كَأَنَّهَا قِطْعٌ مِنْ كُرَةٍ) تَحْبِزُ الرُّقَاقَ عَلَى ظَاهِرِهَا وَتَكُونُ النَّارَ تَحْتَهَا).

(٣) الْجَشِيشُ: حَبٌّ (حَنْطَةٌ، قَمْحٌ) يَجْرَشُ خَشْنًا ثُمَّ يُلْقَى عَلَيْهِ لَحْمٌ أَوْ تَمْرٌ فَيَطْبَخُ بِأَحَدِهِمَا. السَّمِيدُ: السَّمِيدُ لِبَابِ الْبَرِّ (بِالضَّمِّ) «الْقَمْحُ».

(٤) تَارِيخُ الْأَدَبِ الْأَنْدَلُسِيِّ: عَصْرُ الطَّوَائِفِ وَالْمُرَابِطِينَ ١٢٧-١٢٨ (عَنِ الذَّخِيرَةِ) آلٌ: سَرَابٌ. خَلَقٌ (بِفَتْحٍ فَكْسَرٍ) الثُّوبُ وَالْجُلْدُ وَغَيْرُهُمَا: بَلِيٌّ (تَهْرَأُ) وَلَانَ وَأَمْلَسَ (بِتَشْدِيدِ السِّينِ). الْمَلْمُوحُ (مِنْ الْفَلَسْفَةِ لَا مِنَ الْبَيْتِ): أَنَّ النَّفْسَ مُفَارِقَةً (لَا يَتَّفِقُ لَهَا مَا يَتَّفِقُ لِلْبَدَنِ: لَا تَهْلِكُ بِهَلَاكِهِ)، أَمَّا الْجَسْمُ (وَهُوَ مَادَّةٌ) فَإِنَّهُ يَتَبَدَّلُ وَيَهْلِكُ (تَتَغَيَّرُ صُورَتُهُ).

(٥) إِنْ تَبَدَّلَ الصُّورَةُ عَلَى الْمَادَّةِ: مَاءٌ = بَخَارٌ = غَافٍ = مَاءٌ = ثَلْجٌ الْخَ هُوَ أَصْلُ الْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا - «جَلَبَتْ» (فِي الْأَصْلِ) مَبْنِيَةٌ لِلْمَجْهُولِ. فَلَعَلَّ بِنَاءَهَا لِلْمَعْلُومِ أَصَحُّ. - أَنْ مِثْلَ هَذَا الْعَصْفِ فِي الْمَعَانِي وَالتَّرَاكِبِ لَا يَجْعَلُ مِنَ الْكَلِمَاتِ الْمَنْظُومَةِ «فَنَاءً فِلْسَفِيًّا»؟.

الملك بن هذيل بن رزين (الحلة السراء ٢: ١١٣) يوازن بين ما تُذِيهِ النارُ من
جَسَرِ الشَّمْعَةِ المُضَاءِ وما يَنْقُصُ من حياةِ الإنسانِ تدريجاً بفعل تناقص الأجل
(والصفراء: الشمعة):

رُبَّ صَفْرَاءَ تَرَدَّتْ بِرِدَاءِ العَاشِقِينَ _____
مِثْلَ فِعْلِ النَّارِ فِيهَا تَفْعَلُ الآجَالُ قِينَا.

ومن ذلك أيضاً قول ابن عبدون^(١):

فَالذُّهْرُ حَرْبٌ، وَإِنْ أَبَدَى مُسَالَةً؛ فَالْبَيْضُ وَالسُّمْرُ مِثْلُ الْبَيْضِ وَالسُّمْرِ^(٢)
وَلَا هَوَادَةَ بَيْنَ الرُّؤْسِ - تَأْخُذُهُ يَدُ الضَّرَابِ - وَبَيْنَ الصَّارِمِ الذِّكْرِ^(٣).
فَلَا تَغَرَّنَكَ مِنْ دُنْيَاكَ نَوْمَتُهَا، فَمَا صِنَاعَةُ عَيْنَيْهَا سِوَى السَّهْرِ.

ويتبع هذا الشعرُ ذا الاتجاهِ الفلسفيِّ الحكيمِ شعرٌ ذو نفحةٍ دينيةٍ لا يبلغُ إلى أن
يُسمَّى «زهداً»، فالزهدُ عند المتصوفين أن ينصرفَ الفردُ عن التمتعِ بملأِ الحياةِ
وهو قادرٌ على الحصولِ عليها. أمَّا الفقيرُ الذي يُظهِرُ الكُرَّةَ للهِمالِ، وأمَّا العاجزُ الذي
يَنْفِرُ وَيَنْفِرُ من الشهواتِ، وأمَّا الخائبُ في الوصولِ إلى بعضِ مراتبِ الجاهِ فليسوا
زاهدين.

وعلى كلِّ حالٍ، فإننا نجدُ على بعضِ شعرِ هذا العصرِ نفحةً دينيةً، فإنَّ الإنسانَ
يَرْجِعُ بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَيْنِ إلى نفسه يُحَاسِبُهَا، فيتذكَّرُ - في أثْنِه ذلك، ربَّه أو يذكرُ
الموتَ أو يأسَفُ على أنَّه قد أضاعَ في بعضِ ما مضى من حياته وقتاً ونشاطاً كان

(١) راجع ترجمة ابن عبدون (ت ٢٩٩د).

(٢) (الفتيات) البيض (الفتيات) السمر تفعل في حياة الإنسان من المصائب ما تفعله البيض (السيف)
والسمر (الرماح).

(٣) الهوادة: اللين والرفق والمحاباة. الصارم الذكر: السيف من الفولاذ. - إن فسوة اليد (التي هي من
جنس الإنسان) كفسوة السيف (الذي هو من غير جنس الإنسان) ما دامت اليد هي التي تضرب
بالسيف.

بإستطاعته أن يستخدمها على وجه أصحّ أو أنفع. في هذا الباب من الشعر ذي النفحة الدينية يدخل مثل قول أبي إسحاق الإلبيري (ت ٤٦٠):

يا أيُّها المُفترُّ بالله، فرّ من الله إلى الله؛
ولذّ به واسأله من فضله فقد نجا من لاذّ بالله.
وقم له، والليل في جنحه، فحبّذا من قام لله^(١).

وكذلك قول العسال الطليطي (ت ٤٧٨):

انظر الدنيا: فإن أبصرتها شيئاً يدوم،
فاغد منها في أمان، إن يساعذك النعميم.
وإذا أبصرتها من كك على كره تهيم^(٢)،
فاسل عنها وأطرّحها وأرتحل حيث تقيم^(٣).

ففي البيت الثاني من المقطوعة الأولى ثم من المقطوعة الثانية «رغبة في الدنيا» ممّا يناقض مذهب الزهد. ثم إنّ المقطوعة الثانية على الأخصّ ليس فيها من المقومات الفنّية ما يرفعها إلى منزلة الشعر.

وأما الشعر الدينيّ على الحصر فيتبدّى، في هذا العصر، في قصيدة عبد الله الشقراطيسيّ التونسي (ت ٤٦٦): «الحمد لله منّا باعث الرسل». ولم يخطئ حسن حسني عبد الوهاب لما قال (مجلد تاريخ الأدب التونسي ١٦٥) «يظهر أنّ قصيدتي «البردة» و«الهمزية» للإمام البوصيريّ (راجع من هذه السلسلة ٣: ٦٧٣ - ٦٧٥) مستوحيتان من قصيدة الشقراطيسيّ هذه (أنظر: ترجمة الشقراطيسي).

(١) جنح الليل: قسم من الليل يشتدّ فيه الظلام. قام لله (قيام الليل: العبادة في أثناء الليل).

(٢) على كره منك تهيم (تصرف).

(٣) أسل عنها: انسها. وأرتحل (إلى) حيث تقيم.

النثر

النثر الأندلسي- في أسلوبه- هو النثر المشرقي، لولا ذلك التطوُّح في الخيال أحياناً كقول أبي حفص بن بُردٍ (ت بعيد ٤٥٠): « ما أعجبَ القلمَ يشربُ ظُلْمَةً وَيَلْفِظُ نوراً- على غَيْثِ القلمِ يَتَفَتَّحُ زَهْرُ الكَلِمِ - التعليمُ فِلاحةٌ وليست كلُّ أرضٍ مُنبَتَةٌ ». ولابن بردٍ هذا رسائلُ في تفضيلِ الوردِ وفي المناظرة بينَ السيفِ والقلمِ مما نراه في ترجمته .

وحاكي الأندلسيون جميعَ أساليبِ المشاركةِ في النثرِ حتَّى ما تَقَعَّرَ منه في الغرابة- كقول أحدهم في العصرِ الذي نُوجِزُ على هذه الصَّفحاتِ خصائصه-: « لَمَنْ هذا الكلامُ الذي أَعْدُوذَبَ مَوْرِدُهُ وَأَفْضُوذِلَ مَنْبِتُهُ وَتَحَلَّتْ بِقِلَادَةِ الحَلَاوَةِ بِكْرُهُ وَهَدَرَ بِشِقْشِقَةِ الجِزَالَةِ بِكْرُهُ... مَغْشَرُ قَوْمِي، اسْمَعُوا ما سَمِعْتُهُ، وَعُوا ما وَعَيْتُهُ، فَإِنَّهُ لَفَخْرٌ طَلَبَكُمْ وَشَرَفٌ تَلَصَّقَ بِكُمْ ».

وتوفّر الأندلسيون على كِتابة الرسائل- إخوانيةً وديوانيةً- ولكنهم لم يخرجوا في ذلك كلّه، من حيثُ الأسلوب، عن نَمَطِ المشاركةِ ثم لم يَلْتَفُوا إلى شيءٍ من مستوى ذلك النَمَطِ.

النقد الأدبي

نَهَضَ في هذا العصرِ نُقَادٌ أْبْرَعُهُمْ وَأَشْهَرُهُمْ ابنُ رَشِيْقِ القَيْرَوَانِيّ (ت ٤٥٦). وقد كان اتِّجَاهُهُ وعددٌ من آرائِهِ يَرْجِعَانِ إلى أستاذِهِ عبدِ الكَرِيمِ النّهْشَلِيّ القيرَوَانِيّ (ت ٤٠٥). ومعَ أَنَّ ابنَ رَشِيْقِ قدِ اسْتَفَادَ من مذاهِبِ النّقدِ الوارِدَةِ من المشرق، فإنّ كتابه « العُمْدَةُ في صِنَاعَةِ الشَّعْرِ ونقده »، ألصقَ الكتبَ إلى ذلك الحينَ بموضوعِ النّقدِ الأدبي.

وجاء في هذه الحِقْبَةِ نفرٌ آخرونَ من النُّقَادِ مثلُ أبي القاسمِ بنِ الإِفْلِيلِيّ (ت ٤٤١) وله شرحٌ على ديوانِ المُتَنَبِّيِّ ثم ابنُ حَزَمِ الأندلسيّ (ت ٤٥٦) ثم أبي الحسنِ ابنُ سَيِّدِهِ (٣٩٨-٤٥٨ هـ) صاحبُ كتابِ المُحْكَمِ وكتابِ المُخَصَّصِ ثم الأعلَمُ

السَّتَمَرِي (ت ٤٧٦) وأشهر ما نَعْرِفُ له « شَرْحُ الشُّعْرَاءِ السِّتَّةِ » (الجاهليين) ثم مُحَمَّدُ بْنُ قَتَّوحٍ الحُمَيْدِي (ت ٤٨٨) صاحب « جُذُودِ الْمُقْتَسِرِ » وكتاب « السَّبِيلِ إِلَى تَعَلُّمِ التَّرْسِيلِ » ثم أَبِي بَكْرٍ عَاصِمُ بْنُ أَيُّوبَ البَطْلَيْوْسِيُّ (ت ٤٩٤) وله شروح على الأشعار القديمة ثم ابن السَّيِّدِ، البَطْلَيْوْسِيُّ (٤٤٤ - ٥٢١ هـ) وله « الانتصار مِمَّنْ عَدَلَ عن الاستبصار » و« شَرْحُ سِقْطِ الزَّنْدِ » (للمعري). هؤلاء النفر الآخرون - وكلُّهم أندلسيون - كانت لهم ملاحظات وآراء في النقد اللُّغَوِيُّ والنقد النَحْوِيُّ والنقد البياني مُفَرَّقةً في كُتُبِهِمُ الْمُخْتَلَفَةِ. ويبدو أنَّ « السَّبِيلَ » للحُمَيْدِي كان قريباً جداً من منهج النقد الأدبي القائم على استعراض نماذج جيادٍ من فنون التَّرْسِيلِ.

المَوْشَحُ: خصائصه ونشأته

الشعر العربي، من حيثُ القافية، ثلاثة أجناس: قصيدٌ ورَجَزٌ ومُسَمَّطٌ. وكلُّها قديمة. فالقصيدة أبياتٌ متواليةٌ ومختومةٌ بمجموعاتٍ متأثلةٍ من الأحرف تُدعى قافيةً. وتكون هذه المجموعاتُ كُلُّها مَبْنِيَّةً على حَرْفٍ واحدٍ مَخْصُوصٍ يُسَمَّى «رَوِيًّا»^(١). قالتِ الحنساءُ تَرثِي أَخَاهَا صَخْرًا:

يُذَكِّرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا، وَأُنْدُبُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ.
وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي.

فحرفُ الرويِّ هنا هو السينُ المكسورة؛ أما القافيةُ فهي السكون على الحرف (الصحيح) قبل السين المكسورة مع السين المكسورة. أمَّا الياءُ في البيت الثاني بعد السين هو حرفُ إشباعٍ للسين المكسورة.

(١) الرويُّ هو الحرف الذي تبنى عليه القافية في القصيدة: د، ر، ل، ن، ي، ا، الخ. أمَّا القافية فهي حرفُ الرويِّ مع الأحرف الساكنة والمتحركة السابقة عليه والتالية له والتي تكون ضرورية في اتِّساق الموسيقى اللَّفْظِيَّة. إنَّ قوافي القصيدة الواحدة يمكن أن تكون: كلام، حرام، أمام (ولكن لا يجوز أن تكون: كلام، سليم، منام، الخ ولا تكون أيضاً: حرام، كلاماً، الخ، بما هو معروف في علم القافية)، أو بحر، بصر، صخر، نظر الخ.

والرَجَزُ في الأصلِ بَحْرٌ من مجورِ الشعرِ^(١) تُنظَّمُ عليه الأراجيزُ^(٢). والأرجوزةُ
أَشْطَرٌ وَثَرٌ^(٣) مَبْنِيَّةٌ كُلُّهَا على حرفِ رَوِيٍّ واحدٍ. قالتِ امرأةُ أَبِي حَمزةَ الضَّبِّيِّ
الخارجيِّ- وكان زَوْجُهَا قد هَجَرَهَا وجعلَ يَبِيتُ في خِيَمَةٍ مُجاوِرَةٍ لَخِيْمَتِهَا، وَهُوَ
غاضِبٌ لَأَنَّهَا كانتِ مِثْنًا وَلَدَتْ لَهُ عِدَّةَ بناتٍ ولم تَلِدْ لَهُ غُلَامًا:-

ما لأبي حَمزةَ لا يَأْتِينَا، يَظَلُّ في البيتِ الذي يَلِينَا،
غَضَبَانِ أَلَّا نَلِدَ الْبَنِينَ؟ تالله، ما ذلكَ في أَيْدِينَا:
وإنَّا نَأْخُذُ ما أُعْطِينَا. ونَحْنُ كالْأَرْضِ لِزَارِعِينَا
نُنْبِتُ ما قد زَرَعُوهُ فِينَا!

وتَجِيءُ أَشْطَرُ الأرجوزةُ أَيْضاً شَفْعاً^(٤)، ويكونُ لكلِّ شَطْرَيْنِ (لِلصَدْرِ وَلِلْعَجْرِ) في كلِّ
بيتٍ من أبياتِها قافيةٌ على رَوِيٍّ واحدٍ. قال أبو العتاهية:

إنَّ الفسادَ ضِدُّهُ الصَّلاحُ، يا رَبَّ جِدَّ جَرَّه المَراحُ.
ما تَطْلُعُ الشَّمْسُ ولا تَغِيبُ إلاَّ لِأَمْرِ شَأْنِهِ عَجِيبُ.
لكلِّ شَيْءٍ مَعْدِنٌ وَجَوْهَرُ وَأَوْسَطُ وَأَصْغَرُ وَأَكْبَرُ.

(١) مجور الشعر (أو أوزان الشعر) يمكن أن تكون غير متناهية في العدد لأنها في الأصل الحان موسيقية
تنشأ من توالي الألفاظ بقدر معين على نسق مخصوص. ثم جاء الأخفش الأوسط فزاد فيها البحر
السادس عشر. وليس من الضروري أن تكون هذه هي جميع الأبحر التي يمكن أن يأتي عليها الشعر
العربي. وإذا نحن علمنا أن كلَّ بحرٍ من هذه البحور يمكن أن يأتي تاماً أو مجزئاً، وأنَّ معظم
الأضرب (جمع ضرب- بفتح فسكون-: التفعيل الأخير في الصدر) ومعظم الأعارض (جمع عروض
بالتفتح: التفعيل الأخير في العجز) يمكن أن يأتي على أقدار مختلفة، وجدنا أن مجور الشعر في الحقيقة
أكثر من ستة عشر بحراً.

(٢) الأراجيز تنظم على بحر واحد من البحور الستة عشر.

مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن

(٣) مفردة: ٣، ٥، ٩، ١٧، ٤٩ الخ.

(٤) مزدوجة: ٤، ١٠، ٢٢، ٣٦، الخ.

وربما جاء الشاعرُ بأرجوزته مولعة^(١) فيجعلُ أشطرها تتردّدُ شفعاً ووتراً، كما فعلَ أبو العتاهية أيضاً:

ما عيشُ مَنْ آفته بقاؤه! نَصَّ عَيْشاً طَيِّباً فَنَاوَهُ.
 إِنَّا لَنَنْفِي نَفْساً وَطَرْفَا، لَمْ يَتْرِكِ الْمَوْتَ لِإِلْفِ إِنْفَا^(٢).
 وَلِلْكَـلَامِ بَاطِنٌ وَظَاهِرٌ. فِي سَاعَةِ الْعَدْلِ يَمُوتُ الْفَاجِرُ.
 عَلِمْتُ، يَا مُجَاشِعَ بْنَ مَسْعَدَةَ أَنَّ الشَّبَابَ وَالْفَرَاغَ وَالْجِدَّةَ^(٣)
 مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيُّ مَفْسَدَةٍ.

يَا لِلشَّبَابِ الْمَرْحِ التَّصَايَا! رَوَائِحُ الْجَنَّةِ فِي الشَّبَابِ.
 لَيْسَ عَلَى ذِي النُّصْحِ إِلَّا الْجُهْدُ. الشَّيْبُ زَرْعٌ حَانَ مِنْهُ الْحَصْدُ.
 الْغَدْرُ نَخْسٌ وَالْوَفَاءُ سَعْدُ.

وَهَيَّ الْمَقَادِيرُ، فَلَمَنِي أَوْ قَدَرُ، تَجْرِي الْمَقَادِيرُ عَلَى غَرَزِ الْإِبْرِ^(٤).
 إِنْ كُنْتُ أَخْطَأْتُ فَمَا أَخْطَا الْقَدَرُ!

وبما أنَّ التسميطَ يقومُ على اختلافِ القوافي والأوزانِ معاً، فسأرجئُ الكلامَ عليه إلى حينِ الكلامِ على الأوزانِ في القصيدِ والرجزِ (كيلاً أتكلّمُ على التسميط - وهو جنسُ الشعرِ القريب من الموشح - في مكانين مختلفين).

أَمَّا مِنْ حَيْثُ الْوِزْنُ، فَإِنَّ مِنْ حَقِّ كُلِّ مَقْطُوعَةٍ شَعْرِيَّةٍ (مِنْ الْقَصِيدِ أَوْ الرَّجَزِ)،

(١) المولّع: الإنسان أو الحيوان: إذا أخذ فيه البرص (وهو مرض يتبدّل به لون الجلد في مكان دون مكان). وقال الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ - ١٠١٦ م).

يُولَعُ الطَّلُّ بَرْدِينَا وَقَدْ نَسَمْتُ رُوحِيَّةَ الْفَجْرِ بَيْنَ الضَّالِّ وَالسَّلَامِ.

الطل: المطر الخفيف. البرد: الثوب. ولَعُ الطَّلُّ بَرْدِينَا: جعل بقعاً منها مبتلة وترك بقعاً فيها جافة. (٢) نفساً وطرفاً (لحظاً): قليلاً قليلاً.

(٣) الفراغ: قلة العمل واتساع الوقت. الجدة: الغنى، الثروة.

(٤) ذر (وذر بكسر الذال يذر بفتحها): ترك - أو ذر (اترك لومي). على غرز الإبر: بالترتيب والموالة (على قوانين دقيقة).

طالت أو قصرت، أن تكون من بحرٍ (على وزنٍ) واحدٍ، فإنَّ «الوزنَ أحدُ أركانِ الشعرِ وأولاها به خصوصيةٌ. وهو مُستعملٌ على القافية وجالبٌ لها ضرورةً؛ إلا أن تختلفَ القوافي^(١) فيكونَ ذلك عيباً في التقفية لا في الوزنِ. وقد لا يكون^(٢) عيباً (في) المُخمَّسات وما شاكلها^(٣)».

وتفاعيلُ الشعر لا تأتي تامةً دائماً؛ مُستفعلنُ، فاعِلاتُنْ، مفاعِلُنْ، فعولُنْ إلخ بل تأتي أحياناً مقبوضةً، نحو مفاعِلُنْ، فعولُ (مكانَ مستفعلنْ، فعولنْ). وفي كثيرٍ من الأحيان يكونُ التفعيلُ المَزحوفُ أو المقبوضُ (الناقص في أحدِ وجوهه) أجرى في اللَّفْظِ وأكثر موافقةً لِلغِناءِ من التفعيلِ التام^(٤). ورُبَّما زادَ الذي يُنشدُ الشَّعرَ في أولِ البيتِ حرفاً أو كلمةً من غير أن يَقلُقَ الإنشادُ، كالذي رَوَّه عن عليِّ بنِ أبي طالب^(٥):

اشدُّ حيازِمَـكَ للموتِ فإنَّ الموتَ لاقيكـا.
ولا تجزَعُ من الموتِ إذا حلَّ بواديكـا!

فإنَّ الأصل فيه: «حيازيمك للموت».

غير أنَّ هذه الجَوَازاتِ كُلُّها في التفاعيلِ وهذا الجزءُ للبحورِ وهذه الزياداتِ على الأبياتِ لا تُخرجُ الأبياتَ من الوزنِ المخصوصِ.

وكان الخليلُ بنُ أحمدَ (ت ١٧٤ هـ = ٧٩٠ م) قد استعرضَ أشعارَ العربِ

(١) راجع الحاشية ص ٤١٦.

(٢) هذا التركيب: «قد لا يكون» غير فصيح، وقد أجازَه مجمع اللغة العربية بالقاهرة (أظنَّ عام ١٩٧٠).

(٣) لأنَّه في المُخمَّسات والمسمَّطات أصبحَ قاعدة.

(٤) قلَّ أن تجد بيتاً في قصيدة تامَّ التفاعيل بلا جوازات، ذلك لأنَّ التفاعيل التامة تجعل الأبيات شديدة الرتوب (على وتيرة واحدة).

(٥) سواء أكانت هذه الأبيات للإمام عليٍّ كرم الله وجهه أو كان هو قد استشهد بها، فإنَّه قد أضاف كلمة «أشد» في أول البيت الأول. الحيزوم: الصدر. أشد حيازيمك للأمر: وطَّن نفسك عليه واحزم.

فاستخرج مما وقع تحت نظره منها خمسة عشر بحراً أو وزنًا. وبما أن مجور الشعر ترجع في الحقيقة إلى الإيقاع (حدوث النغم من تعاقب النقر على نسق مخصوص)، فإن كثيراً من الكلام الذي يأتلف مع ضروب الإيقاع المختلفة والمتعددة يجب أن يعدّ داخلًا في الكلام الموزون المنظوم، ولو لم يأت على أحد الأبحر الخمسة عشر التي اتفق للخليل بن أحمد أن يستخرجها من الشعر العربي القديم. والذي يؤكد هذا الحدس أن الأخفش الأوسط (ت ٢١٥ هـ = ٨٣٠ م) قد استدرَك على الخليل بن أحمد بحراً وزنه «فاعِلُنْ فاعِلُنْ فاعِلُنْ فاعِلُنْ» مرتين وسمّاه المتدارك (لأنه تداركه: لحق به بعد أن فات ذلك البحرُ الخليل، أي سبقه). ثم إن الأخفش اشتق من المتدارك - بأن جعلَ من «فاعِلُنْ» تفعيلاً آخرَ هو «فَعِلُنْ» (بثلاث حركات فسكون) - بحراً مُستقلاً سَمَّاه الحَبَب، لأنَّ توالي لفظه يُشبه حَبَبَ الفَرَسِ^(١).

فن التسميط

التسميطُ هو تنوُّع القوافي والأوزان في المقطوعة الشعرية الواحدة.

بدأ ابن رشيق الكلام على «باب التَّقْفِيَةِ والتصريح» (المقدمة ١: ١٤٩) بقوله: «هذا بابٌ يُشكِّلُ^(٢) على كثيرٍ من الناسِ علمه، ويلحِّقُه عيبٌ سَمَّاه قُدَامَةً^(٣) التجميع، كأنه من الجمع بين رَوَيْنِ وقافيتين. ورأيتُ مَنْ يقول: التخميعُ - بالخاء (المعجمة) - كأنه من الجمع^(٤) في الرجلِ».

(١) حَبَّ الفرس خببا: (في القاموس) أن ينقل الفرس أيامه وأيامه جميعاً في الركض (والصورة ليست واضحة) ولعلَّ الحبيب أن ينقل الفرس قائمتيه الأماميتين معاً وقائمتيه الخلفيتين أو أن يخالف في نقلها (القائمة الأمامية اليمنى) «ثم الخلفية اليسرى ثم الأمامية اليسرى ثم الخلفية اليمنى» - وعلى كلِّ فالحبيب أشبه بالقفز منه بالركض المستمر. وفي تاج العروس (الكويت ٢: ٣٢٩): «أو هو أن يراوح بين يديه ورجليه: أن يقوم على إحداها مرة وعلى الأخرى مرة».

(٢) أشكال الأمر: أصبح غامضاً.

(٣) قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ = ٩٤٨ م) كاتب وأديب وناقد له كتاب «نقد الشعر».

(٤) في القاموس (٣: ١٩) الجمع (بالفتح): العرج.

أَمَّا التَّصْرِيعُ فَهُوَ أَنْ يَكُونَ لِلضَّرْبِ وَلِلْعَرُوضِ (فِي مَطْلَعِ الْقَصِيدَةِ) قَافِيَتَانِ عَلَى رَوِيٍّ وَاحِدٍ كَقَوْلِ الْمُتَنَبِّي:

عَلَى قَدَرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ، وَتَأْتِي عَلَى قَدَرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ.

وَأَمَّا التَّجْمِيعُ (أَوْ التَّخْمِيعُ) فَذَلِكَ أَنْ تَكُونَ الْقَصِيدَةُ غَيْرَ مُصَرَّعَةٍ، أَوْ عَلَى الْأَصَحِّ أَنْ يَكُونَ الْمَطْلَعُ قَابِلًا لِلتَّصْرِيعِ ثُمَّ لَا يُصَرَّعُهُ شَاعِرُهُ، كَقَوْلِ جَمِيلِ بْنِ مَعْمَرٍ:

يَا بُنُّ، إِنَّكَ قَدْ مَلَكَتِ فَأَسْجِحِي وَخُذِي بِحِظِّكَ مِنْ كَرِيمٍ وَاصِلٍ.

(وَلَقَدْ كَانَ بِإِمْكَانِ جَمِيلٍ أَنْ يَقُولَ: «... وَخُذِي بِحِظِّكَ مِنْ كَرِيمٍ تَنْجَحِي»، فَيَأْتِيَ الْمَطْلَعُ مُصَرَّعًا وَيَطْلَأَ الْمَعْنَى وَالْوِزْنَ مُسْتَقِيمَيْنِ. وَلَكِنْ جَمِيلًا لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ، بَلِ اخْتَارَ لِقَصِيدَتِهِ قَافِيَةً لَامِيَةً رَأَاهَا، فَمَا يَبْدُو، أَوْسَعَ مِنَ الْقَافِيَةِ الْحَاضِيَةِ).

وَيَبْدُو أَنَّ هَذَا الْمَسْلَكَ، فِي الْمُخَالَفَةِ فِي الْقَوَافِي خَاصَّةً، كَانَ قَدِيمًا فِي الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ. قَالَ ابْنُ رَشِيْقٍ (ت ٤٥٦ هـ أَوْ ٤٦٣ هـ) فِي كِتَابِهِ الْعُمْدَةُ (١: ١٥٤ - ١٥٨):

وَمِنْ الشَّعْرِ نَوْعٌ غَرِيبٌ يُسَمُّونَهُ الْقَوَادِيسِيَّ، تَشْبِيهًُا بِقَوَادِيسِ السَّانِيَةِ^(١)، لَارْتِفَاعِ بَعْضِ قَوَافِيهِ فِي جِهَةٍ وَانْخِفَاضِهَا فِي الْجِهَةِ الْأُخْرَى. فَأَوَّلُ مَنْ رَأَيْتُهُ جَاءَ بِهِ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الْعَوْفِيُّ^(٢) فِي قَوْلِهِ، وَهُوَ مِنْ قَصِيدَةٍ مَشْهُورَةٍ طَوِيلَةٍ^(٣):

كَمْ لِلدُّمَى الْأَبْكَارِ بِالْ	خَبَتَيْنِ مِنْ مَنْ	أَزَلِ
بُمُهَجَّتِي لِلْوَجْدِ مِنْ	تَذَكَرْهَا مَنْ	أَزَلِ.
مَعَاهِدُ رَعِيلُهَا	مُتَعَنِّجُ الْهَوَاطِطِ	لِ
لَمَّا نَأَى سَاكِنُهَا؛	فَأَذْمَعِي هَوَاطِطُ	لِ.

(١) السَّانِيَةُ: النَّاعُورَةُ. الْقَادُوسُ: صَنْدُوقٌ صَغِيرٌ يَكُونُ عَلَى دَوْلَابٍ أَوْ عَلَى سُلْسَلَةٍ يَحْمِلُ فِيهِ الْمَاءُ مِنَ الْبُئْرِ إِلَى سَطْحِ الْأَرْضِ.

(٢) طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الْعَوْفِيُّ... (٢). فِي الْقَامُوسِ (٤: ٢٥) عَوْنٌ (بِالضَّمِّ) بِلَدِّ بَسَاحِلِ الْيَمَنِ.

(٣) لَنْ أَشْرَحَ الْأَبْيَاتَ الْمُسْتَشْهِدَ بِهَا فِي هَذَا الْفَصْلِ (عَنْ مَقْدَمَاتِ التَّوَشِيحِ وَالتَّوَشِيحِ) لِأَنَّ الْغَايَةَ مِنْ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ شَكْلُهَا الظَّاهِرُ (تَرْتِيبَ أَشْطَرِهَا وَتَنْوَعِ قَوَافِيهَا).

وهو مربوعُ الرَّجَزِ تَعَمَّدَ (الشاعر) فيه الإقواء وأوطأ^(١) في أكثره قصداً، كما فَعَلَ في البَيْتَيْنِ الأولين.

وَمِنَ الشِّعْرِ جِنْسٌ كُلُّهُ مُصَرَّعٌ، إِلَّا أَنَّهُ مُخْتَلَفُ الْأَنْوَاعِ.... فَمِنْ ذَلِكَ الشِّعْرِ الْمُسَمَّطُ، وَهُوَ أَنْ يَبْتَدِيَ الشَّاعِرُ ببيتٍ مُصَرَّعٍ ثُمَّ يَأْتِي بِأَرْبَعَةِ أَقْسِمَةٍ عَلَى غَيْرِ قَافِيَتِهِ، ثُمَّ يُعِيدُ قَسِماً وَاحِداً مِنْ جِنْسٍ مَا ابْتَدَأَ بِهِ. وَهَكَذَا إِلَى آخِرِ الْقَصِيدَةِ: مِثَالُ ذَلِكَ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ - وَقِيلَ: إِنَّهَا مَنْحُولَةٌ^(٢):-

تَوَهَّمْتُ مِنْ هِنْدٍ مَعَالِمَ أَطْلَالٍ عَفَا هُنَّ طُولُ الدَّهْرِ فِي الزَّمَنِ الْخَالِي.
مَرَابِعُ مِنْ هِنْدٍ خَلَّتْ وَمَصَائِفُ يَصِيحُ بِمَغْنَاهَا صَدَى وَعَوَازِفُ،
وغيرَهَا هُوجُ الرِّيحِ الْعَوَاصِفُ وَكُلُّ مُسِفٍّ، ثُمَّ آخِرُ رَادِفُ
بِأَسْحَمَ مِنْ نَبْوِ السَّاكِنِينَ هَطَّالٍ.

وهكذا يَأْتِي بِأَرْبَعَةِ أَقْسِمَةٍ عَلَى أَيِّ قَافِيَةٍ شَاءَ، ثُمَّ يُكَرِّرُ قَسِماً عَلَى قَافِيَةِ اللَّامِ. وَرُبَّمَا كَانَ الْمُسَمَّطُ بِأَقْلَ مِنْ أَرْبَعَةِ أَقْسِمَةٍ، كَمَا قَالَ أَحَدُهُمْ:

خَيَالٌ هَاجَ لِي شَجَنًا فَيَتُّ مَكَابِدًا حَزَنًا
عَمِيدَ الْقَلْبِ مُرْتَهَنًا بِذِكْرِ اللَّهْوِ وَالطَّرَبِ.
سَبَتْنِي ظَنِيَّةٌ عَطُوبُ، كَأَنَّ رُضَابَهَا عَسَلُ،
يَنُوءُ بِخَضْرَاهَا كَفَلُ ثَقِيلُ رَوَادِفِ الْحَقْبِ.

وَرُبَّمَا جَاءُوا فِي أَوَّلِهِ بِأَبْيَاتٍ خَمْسَةٍ عَلَى شَرْطِهِمْ فِي الْأَقْسِمَةِ - وَهُوَ الْمُتَعَارَفُ - أَوْ

(١) الإقواء: أن يخالف الشاعر في حركة الروي فيأتي به مرة مكسوراً ومرة مضموماً الخ. والإبطاء: الاتيان بالقافية مكررة لفظاً ومعنى (القاموس)؛ أو تنمة البيت في البيت الذي يليه (٢).

(٢) منحولة: نظمت بعد عصر امرئ القيس ثم نسبت إليه (لو تساهلنا وقبلنا أن تكون هذه القطعة منحولة، لظلت أقدم من ابن رشيقي وأقدم من نشأة الموشح).

أربعة. ثم يأتون بعد ذلك بأربعة أقسمه، كما قال خالد القنّاص ، أنشده الزّجاجيُّ
أبو القاسم^(١):

لَقَدْ نَكَرْتُ عَيْنِي مَنَازِلَ جِيرَانٍ كَأَسْطَارِ رَقٍّ نَاهِجٍ خَلَقِي فَانَ .
تَوَهَّمْتُهَا مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ حِجَّةً ، فَمَا أَسْتَبِينُ الدَّارَ ، إِلَّا بِعِرْفَانٍ^(٢) .
فَقُلْتُ لَهَا : حَيِّتِ ، يَا دَارَ جِيرَتِي ، أَيْسِنِي لَنَا أَنَّى تَبَدَّدَ إِخْوَانِي ؛
وَأَيَّ بِلَادِ اللَّهِ رَبُّعَكَ حَالَفُوا فَإِنَّ فُؤَادِي عِنْدَ ظَنِّيَةِ جِيرَانِي .

فجاء بأربعة أبياتٍ . ثم قال بعدها :

وَمَا نَطَقْتُ ، وَاسْتَعْجَمْتُ حِينَ كَلَّمْتُ ، وَمَا رَجَعْتُ قَوْلًا وَمَا إِنْ تَرَمَرَمْتُ .
وَكَانَ شِفَائِي عِنْدَهَا لَوْ تَكَلَّمْتُ إِلَيَّ ، وَلَوْ كَانَتْ أَشَارَتْ وَسَلَّمْتُ ؛
وَلَكِنَّا ضَنْتَ عَلَيَّ بَيِّنَانٍ .

وهكذا إلى آخرها . وقد جاء هذا الشاعرُ في قصيدته بخمسة أقسمه مرةً واحدةً ولم
يُعاوِذها . ولو عاوِذها لم يضره ، وكذلك لو نقصَ (منها) . إلا أن الاعتدالَ أحسنُ .
والقافية التي تتكرّرُ في التّسميط تُسمّى عمودَ القصيدة . واشتقاق (التّسميطِ)
مِنَ السِّمِطِ ، وهو أن تَجْمَعَ عِدَّةَ سُلُوكٍ^(٣) في ياقوتةٍ أو خُرْزَةِ ما ، ثم تَنْظِمَ كُلَّ سِلْكٍ مِنْهَا
عَلَى حِدَتِهِ بِاللُّوْلُو سِيراً ، ثم تَجْمَعَ السُّلُوكُ كُلُّهَا فِي زَبَرْجَدَةٍ أَوْ شَيْبِهَا أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ . ثم
تَنْظِمُ أَيْضاً كُلَّ سِلْكٍ عَلَى حِدَتِهِ وَتَصْنَعُ بِهِ كَمَا صَنَعْتَ أَوَّلًا إِلَى أَنْ يَتِمَّ السِّمِطُ . هذا
هو المتعارفُ عِنْدَ أَهْلِ الْوَقْتِ^(٤) .

(١) الزّجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق) النّهاوندي (ت ٣٤٠ هـ = ٩٥٢ م) .

(٢) كذا في الأصل . اقرأ : بعرفاني (لأنّي كنت أعرف هذا المكان من قبل) .

(٣) السلك (بالكسر) : الخيط الذي تنظم به حبات القعد .

(٤) هذا يدل على أن التّسميط كان قد أصبح واسع الانتشار في أيام ابن رشيق .

وقال أبو القاسم الزجاجي: إِنَّا سُمِّيَ (التسميط) بهذا الاسم تشبيهاً بِسِنْطِ اللؤلؤ، وَهُوَ سِلْكُهُ الَّذِي يَضُمُّهُ وَيَجْمَعُهُ مَعَ تَفَرُّقِ حَبِّهِ^(١). وكذلك هذا الشعرُ لَمَّا كَانَ مُتَفَرِّقَ القوافي مُتَمَقِّباً بِقَافِيَةٍ تَضُمُّهُ وَتَرُدُّهُ إِلَى الْبَيْتِ الْأَوَّلِ الَّذِي بُنِيَ عَلَيْهِ القصيدة صار كَأَنَّهُ سِنْطٌ مُؤَلَّفٌ مِنْ أَشْيَاءٍ مُفْتَرَقَةٍ.

« وَنَوْعٌ آخَرُ يُسَمَّى مُخَمَّساً، وَهُوَ أَنَّ يُؤْتَى بِخَمْسَةِ أَقْسَمَةٍ عَلَى قَافِيَةٍ، ثُمَّ بِخَمْسَةِ أُخْرَى فِي وَزْنِهَا عَلَى قَافِيَةٍ غَيْرِهَا كَذَلِكَ، إِلَى أَنْ يُفْرَغَ مِنَ الْقَصِيدَةِ. هَذَا هُوَ الْأَصْلُ. وَأَكْثَرُوا مِنْ هَذَا الْفَنِّ حَتَّى أَتَوْا بِهِ مِصْرَاعَيْنِ مِصْرَاعَيْنِ فَقَطْ - وَهُوَ الْمُزْدَوِجُ - إِلَّا أَنَّ وَزْنَ كُلِّهِ وَاحِدٌ، كَذَاتِ الْأَمْثَالِ وَذَاتِ الْحُلَلِ^(٢) وَمَا شَاكَلَهَا. وَلَا يَكُونُ أَقْلٌ مِنْ مِصْرَاعَيْنِ. وَكُلُّ مَشْطُورٍ أَوْ مَنُهوكٍ فَهُوَ بَيْتٌ^(٣). وَإِنْ قِيلَ: مُصَرَّعٌ فَهُوَ عَلَى الْمَجَازِ. وَمَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا لَمْ يَأْتِ مِثْلُهُ عَنِ الْعَرَبِ^(٤) فَهُوَ مَصَارِيعُ لَيْسَ بَبَيْتٍ. وَلَمْ أَجِدْهُمْ يَسْتَعْمِلُونَ مِنْ هَذِهِ الْمُخَمَّسَاتِ إِلَّا الرَّجَزَ خَاصَّةً. فَأَمَّا الْمُسَمَّطَاتُ فَقَدْ جَاءَتْ فِي أَوْزَانٍ كَثِيرَةٍ مُخْتَلِفَةٍ.

(وهناك) نوعان من الرَّجَزِ، وهما المَشْطُورُ والمَنُهوكُ^(٥). فَأَمَّا المَشْطُورُ فَمَا بُنِيَ

(١) يتألف عقد اللؤلؤ من حَبَّاتٍ مُخْتَلِفَةِ الْأَحْجَامِ: مِنْ وَاسِطَةٍ (حَبَّةٍ كَبِيرَةٍ فِي الْوَسْطِ) ثُمَّ تَتَدَرَّجُ الْحَبَّاتُ أَصْفَرُ فَأَصْفَرُ نَحْوَ طَرَفِي الْعَقْدِ. وَتَكُونُ هَذِهِ الْحَبَّاتُ مَفْصَلَةً (مَفْصُولَةً بِمَجْمُوعَاتٍ) بِشَذَرٍ (بِفَتْحٍ فَسْكَوْنٍ): جَمْعُ شَذَرَةٍ أَوْ قِطْعَةٍ صَغِيرَةٍ مِنْ ذَهَبٍ.

(٢) ذَاتِ الْأَمْثَالِ أَرْجُوزَةٌ أَوِي الْمَتَاهِيَةِ (ت ٢١١ هـ) وَقَدْ مَرَّ الْأَسْتِشْهَادُ بِعَدَدٍ مِنْ أَيْبَاتِهَا. وَذَاتِ الْحُلَلِ قَصِيدَةٌ فِي أُمُورِ الْفَلَكَ نَظِمَ فِيهَا شَاعِرُهَا ابْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْلَاخِثِي (ت ٢٠٠ هـ = ٨١٥ م) عِدَدًا مِنْ قَوَاعِدِ الْفَقْهِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِالصِّيَامِ خَاصَّةً (رَاجِعْ بَرْوَكْلَمَنْ، الْمَلْحَقُ ١: ٢٣٩).

(٣) فِي التَّسْمِيطِ يَعْدُ الْقِسْمُ الْمَوْزُونُ (مَهَا يَكُنْ قَصِيرًا) بَيْتًا.

(٤) الْعَرَبُ (هَذَا): الْعَرَبُ الْقَدَمَاءُ: الْجَاهِلِيُّونَ وَالْأُمَوِيُّونَ.

(٥) تَفْسِيرُ ابْنِ رَشِيقٍ لِلْمَشْطُورِ وَالْمَنُهوكِ يَتَنَاوَلُ الْقَافِيَةَ لَا التَّفَاعِيلَ. وَفِي الْقَامُوسِ: الْمَشْطُورُ مَا نَقَصَتْ ثَلَاثَةُ أَجْزَاءٍ مِنْ سِتِّتِهِ (٥٨: ٢). وَفِي تَاجِ الْعُرُوسِ (الْكُوفَةُ ١٢: ١٧٢): الْمَشْطُورُ مِنَ الرَّجَزِ مَا ذَهَبَ شَطْرُهُ، وَذَلِكَ إِذَا نَقَصَتْ ثَلَاثَةُ أَجْزَاءٍ مِنْ سِتِّتِهِ. وَالْمَنُهوكُ (الْقَامُوسُ ٣: ٣٢٢): مِنَ الرَّجَزِ مَا ذَهَبَ ثَلَاثُهُ وَبَقِيَ ثَنَاءٌ غَيْرُ أَنَّ الْمَثَلَ الَّذِي أَوْرَدَهُ ابْنُ رَشِيقٍ: وَبَلَدَةٌ فِيهَا زُورٌ (مُفَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ) قَدْ بَقِيَ ثَلَاثُهُ وَذَهَبَ ثَلَاثُهُ فَقَطْ. (أَنْظُرِ الصَّفْحَةَ التَّالِيَةَ).

على شَطْرِ بَيْتٍ، نَحْوَ قَوْلِ أَبِي النَجْمِ الرَّاجِزِ^(١):

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَهَّابِ الْمَجْزِلِ أَعْطَى فَلَمْ يَنْخَلْ وَلَمْ يُبَخَّلِ.
وَأَمَّا الْمَنْهَوْكُ فَهُوَ مَا بُنِيَ عَلَى ثَلَاثِ بَيْتٍ وَنُهِكَ بِذَهَابِ ثُلَاثِيهِ، أَيْ أَضْعَفَ.
وهذا مِثْلُ قَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ:

وَبَلَدَةٍ فِيهَا زَوْرٌ صَعْرَاءُ تَحْظَى فِي صَعَرٍ.
وَأَنْشَدَ الرَّجَاجِيُّ وَزْنَاً مُشْطَرّاً مُحَيَّرَ الْفُصُولِ لَا أَشْكُ (فِي) أَنَّهُ مُؤَلَّدٌ مُحَدَّثٌ، وَهُوَ:
سَقَى طَلَّلاً بِحَزَوَى هَزِيمُ الْوَدْقِ أَخْوَى
عَهْدَنَا فِيهِ أَرْوَى زَمَاناً تَمَّ أَقْوَى
وَأَرْوَى لَا كَنُودُ وَلَا فِيهَا صُدُودُ
لَهَا طَرْفٌ صَيُودُ وَمُبْتَسِمٌ بَرُودُ.
لَيْنٌ شَطٌّ الْمَزَارُ بِهَا وَنَاتٌ دِيَارُ
فَقَلْبِي مُسْتَطَارُ وَلَيْسَ لَهُ قَرَارُ
سُتَدْنِيهَا ذَمُولُ جَلَنْفَعَةٌ ذَلُولُ
إِذَا عَرَضْتَ هَجُولُ تُقَصِّرُ مَا يَطُولُ

وهذا وَزْنٌ مُلْتَبِسٌ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَقْطُوعاً مِنْ مُرَبَّعِ الْوَافِرِ^(٢)، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ
مِنَ الْمُضَارِعِ مَقْبُوضاً مَكْفُوفاً، ذَكَرَهُ الْجَوْهَرِيُّ^(٣) وَأَنْشَدَ لِبَعْضِ الْمُحَدَّثِينَ:

- (١) أَبُو النَجْمِ الرَّاجِزُ (ت ١٢٠ هـ = ٧٣٨ م). وَالْبَيْتُ الَّذِي أوردَهُ مثلاً عَلَى الْمَشْطُورِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَهَّابِ
الْمَجْزِلِ (مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ). لَمْ يَنْقُصْ مِنْ تَفَاعِيلِهِ شَيْءٌ.
- (٢) [تَفْعِيلُ الْوَافِرِ (فِي الْأَصْلِ): مَفَاعِلَتُنْ مَفَاعِيلُنْ فَاعِلَاتُنْ (مَرَّتَيْنِ). وَتَفْعِيلُ الْمُضَارِعِ: مَفَاعِيلُنْ فَاعِلَاتُنْ (مَرَّتَيْنِ). فَإِذَا
جَزَأْنَا الْوَافِرَ فَأَصْبَحَ مَفَاعِلَتُنْ فَعُولُنْ تَمَّ أَدْخَلْنَا الْقَبْضَ وَالْكَفَّ عَلَى الْمُضَارِعِ أَصْبَحَ مَرْبُوعُ الْوَافِرِ (مَعَ
الْجَوَازِ): مَفَاعِيلُنْ فَعُولُ، تَمَّ أَصْبَحَ الْمُضَارِعُ (بِالْقَبْضِ: حَذَفَ خَامِسَ التَّفْعِيلِ، إِذَا كَانَ سَاكِناً) مَعَ مَا
يُمْكِنُ مِنَ الْجَوَازَاتِ الْعَدِيدَةِ، أَصْبَحَ الْمُضَارِعُ حِينَئِذٍ: مَفَاعِيلُنْ فَعُولُ (كَأَنَّهُ مَرْبُوعُ الْوَافِرِ).
- (٣) الْجَوْهَرِيُّ أَبُو نَصْرِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ حَمَّادٍ (ت ٣٩٨ هـ = ١٠٠٨ م) لَهُ كِتَابُ «عُرُوضُ الْوَرَقَةِ» جَيِّدٌ بِالْغِ
(مَعْجَمُ الْأَدْبَاءِ ٦: ١٥٥).

أَشَاقَكَ طَيْفُ مَامَةٍ، بِمَكَّةَ، أَمْ حَامَةٍ؟

«أَشَاقَكَ» مفاعل، وحقه في أصل الوزن مفاعيلن. وقد رأيت جماعة يُركَّبون المُخَمَّساتِ والمُسَطَّاتِ ويُكثِّرون منها. ولم أرَ مُتَقَدِّمًا جاذقًا صَنَعَ شيئاً منها، لأنها دالَّةٌ على عَجْزِ الشاعرِ وقِلَّةِ قوافيه وضيق عطنه^(١) - ما خلا امرأ القيس في القصيدة التي نُسِبتْ إليه، وما أَصَحَّحُها له. وبشار بن بُردٍ^(٢) قد كان يصنع المُخَمَّساتِ والمُزْدَوِجاتِ عَنَثًا واستهانةً بالشعر؛ وبشار بن المُعْتَمِرِ فقد أنشدَ الجاحظُ له مُزْدَوِجَةً^(٣). وصنع ابنُ المُعْتَمِرِ قصيدةً في دَمِّ الصَّبوحِ^(٤) وقصيدةً في سيرة المُعْتَضِدِ ركبَ فيها هذا الطريقَ، لما تقتضيه الألفاظُ المختلفةُ الضروريةُ ولمراودةِ التوسُّعِ في الكلامِ والتَّمَلُّحِ بأنواعِ السَّجْعِ. وهذا الجنسُ مَوْقُوفٌ على ابنِ وكيعٍ^(٥) و(على) الأميرِ تميمِ بنِ المُجَرِّمِ^(٦) و(على) مَنْ ناسبَ طَبْعُهَا من أهلِ الفراغِ وأصحابِ الرُّخْصِ^(٧). وقد يَقَعُ لِبَعْضِ الشعراءِ البيتانِ والثلاثةُ لها قافيةٌ واحدةٌ يجعلونها

(١) فلان ضيقُ العطن (مترك الجمل): ضيقُ الصدر.

(٢) بشار بن برد (ت ١٦٧ هـ = ٧٨٢ م) رأسُ المحدثين وأوَّل من خرج بالشعر العربي من الخصائص القديمة إلى الخصائص العباسية (في المعاني وفي شكل القصيدة).

(٣) المزدوجة قصيدة كلِّ بيتين منها بروي مستقل. بشر بن المَعْتَمِر (ت ٢١٠ هـ) من رجال الاعتزال الذين يعتمدون تفسير العقائد الدينية بالعقل. والجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) أديب موسي كبير ومشارك في معظم فنون المعرفة ومصنّف مكثّر.

(٤) عبد الله بن المُعْتَمِر (ت ٢٩٥ هـ). الصَّبوح: شرب الخمر في الصباح. ركب هذا الطريق (نظم المقطعات الشعرية المختلفة القوافي).

(٥) ابن وكيع التَّنِيسِي (ت ٣٩٣ هـ = ١٠٠٣ م) شاعر ظريف وقف شعره على الوصف والفزل ومال إلى المجون فاتَّخذه مذهباً في الحياة، شعره الباقي مقطعات ومزدوجات ومربعات (المربعة: أرجوزة كل بيتين منها على روي واحد في الصدرين والمجزي).

(٦) تميم بن المَعَرِّ الفاطمي (٣٣٧ - ٣٧٤ هـ)، من فنونه الفزل عامة، وهو يذهب مذهب أبي نواس في المجون والزندقة. وله وصف للطبيعة على مثال أوصاف ابن المُعْتَمِر.

(٧) أهل الفراغ: الذين لديهم متسع من الوقت وليس لديهم عمل جدي يملأون وقتهم به. الرخصة (في الحياة وفي الفقه): الشذوذ عن القاعدة العامة فيما لا يبلغ إلى أن يكون نقيضاً لها.

مُعَايَاةً فَيَتَلَقَّفُهَا الْعَرُوضِيُّونَ^(١) كَالْأَبْيَاتِ الَّتِي تُرَوَّى لِابْنِ دُرَيْدٍ^(٢) » (انتهى قول ابن رشيقي).

★ يبدو ممّا ذكره ابن رشيقي ما يلي:

- في الشعر العربيّ مجالٌ فسيحٌ للجَوَازَاتِ في تفاعيلِ الشعرِ وفي اختصارِها وفي تنويعِ القوافي (في الرَجَزِ الجاهليّ مثلاً).

- نَظَمَ الْعَرَبُ مِنْذُ الْجَاهِلِيَّةِ عَلَى أَجْمَرٍ خَارِجَةٍ عَنِ الْبُحُورِ الَّتِي اسْتَخْرَجَهَا الْخَلِيلُ ابْنُ أَحْمَدَ. وَرَبَّمَا نَوَّعُوا الْأَجْمَرَ فِي الْمَقْطُوعَةِ الْوَاحِدَةِ.

- وَكَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ عِبْتًا وَتَمَلُّحًا عَلَى سَبِيلِ التَّسْلِيَةِ لِاعْتِقَادِهِمْ أَنَّ هَذَا التَّصَرُّفَ فِي النِّظْمِ لَيْسَ مِنْ شَأْنِ كِبَارِ الشُّعْرَاءِ (وهذا ما يُفَسِّرُ قِلَّةَ الْمَرْوِيِّ مِنْ هَذَا النِّوعِ مِنَ الشُّعْرِ).

- وَالتَّسْمِيْطُ الَّذِي هُوَ قَرِيبٌ جَدًّا مِمَّا سُمِّيَ، فِيمَا بَعْدُ، بِالْمُوشَّحِ، قَدِيمٌ جَدًّا فِي الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ؛ وَلَعَلَّهُ كَانَ مِنْذُ الْجَاهِلِيَّةِ.

- ذَكَرَ ابْنُ رَشِيْقِي أَنَّ هَذِهِ الْأَجْنَاسَ الْمُخْتَلِفَةَ مِنَ النَّظْمِ كَانَتْ فِي أَيَّامِهِ (فِي الْقَرْنِ الْخَامِسِ لِلْهَجْرَةِ وَالثَّانِي عَشَرَ لِلْمِيلَادِ) شَائِعَةً مَأْلُوفَةً.

نشأة الموشح وتعريفه

يُجْمَعُ مُؤَرِّخُو الْأَدَبِ عَلَى أَنَّ الْمُوشَّحَ فِي شَكْلِهِ الْخَصُوصِ وَخَصَائِصِهِ الْمَعْرُوفَةِ، فَنُّ أَنْدَلُسِيٌّ. وَكَذَلِكَ يَكَادُونَ يَكُونُونَ مُجْمِعِينَ، عِنْدَ تَعْرِيفِ الْمُوشَّحِ وَوَصْفِهِ عَلَى أَنَّ أَوْفَى مَا قِيلَ فِيهِ مَا قَالَهُ ابْنُ خَلْدُونِ (الْمُقَدِّمَةُ ١١٣٧-١١٣٨):

(١) الْمُعَايَاةُ: الْإِتْيَانُ بِالْأَمْثَلَةِ النَّادِرَةِ الَّتِي تَعْبَأُ (تَسْتَعْصِي، تَصْحَبُ) عَلَى الْآخَرِينَ. يَتَلَقَّفُهَا (يَتَنَاوَلُهَا بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ). الْعَرُوضِيُّونَ: الْعُلَمَاءُ الْمُؤَلَّفُونَ فِي الْعَرُوضِ (بِفَتْحِ الْعَيْنِ: قَوَاعِدُ نَظْمِ الشُّعْرِ)، (بِجَبِّ) هَؤُلَاءِ وَأَمْثَلُهُمْ أَنَّ يَحْشِدُوا فِي كَتَبِهِمْ قَوَاعِدَ وَشَوَازِدَ عَنْ هَذِهِ الْقَوَاعِدِ تَمَّا لَمْ يَقَعْ عَلَيْهِ غَيْرُهُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ.

(٢) ابْنُ دُرَيْدِ الْبَصْرِيِّ (٢٢٣-٣٢١ هـ) مِنْ عُلَمَاءِ اللُّغَةِ وَنَقَّادِ الشُّعْرِ.

« وأما أهل الأندلس، فلما كثر الشعرُ في قُطْرِهِمْ وَتَهَدَّبَتْ مَنَاحِيهِ، وَبَلَغَ التَّنْمِيقُ فيه الغاية، اسْتَحْدَثَ المتأخرون منهم فنّاً منه سَمَّوهُ بالموشَح: يَنْظِمُونَهُ أَسْطَاطاً أَسْطَاطاً. وَأَغْصَاناً أَغْصَاناً، يُكْثِرُونَ منها ومن أعاريضها المختلفة وَيُسَمُّونَ المتعدّد منها بيتاً واحداً^(١)، ويلتزمون ذلك عِنْدَ قَوافي تلك الأغصانِ وأوزانها فيما بعدُ إلى آخرِ القطعة؛ وأكثرُ ما تَنْتَهِي عندهم إلى سبعةِ أبياتٍ. ويشتملُ كلُّ بيتٍ على أغصانٍ عددها بحسَبِ الأغراسِ والمذاهب^(٢). وَيَنْسِبُونَ فيها ويمدحون كما يُفَعَّلُ في القصائد. وتجاروا في ذلك إلى الغاية واستظرفه الناسُ جُملةً، الخاصّةُ والكافّةُ، لسهولةِ تناوُلِهِ وَقُرْبِ طريقِهِ.... »

فالموشَحُ^(٣)، إذن، أو التوشيحُ فنُّ أندلسيٍّ، وهو « كَلامٌ منظومٌ على وَزْنٍ مخصوصٍ ». أمّا الموشحاتُ فَهِيَ جُمعُ موشحةٍ. والموشحةُ قِطْعَةٌ شِعْريّةٌ طويلةٌ في الأغلبِ تتألّفُ من مَقاطِعَ تترتّبُ فيها الأَشْطُرُ والقوافي على نَسَقٍ مخصوصٍ. فإذا اختارَ الموشّاحُ نَسَقاً ما في المقطعِ الأوّلِ من موشحته، وَجَبَ عليه أن يَلْتَزِمَ ذلك النَسَقَ بَعَيْنِهِ في سائرِ مقاطعِ تلك الموشحة.

نظريّات في نشأة الموشح

هنالك عددٌ من النظريّات في نشأة الموشحات منها:

(أ) النظرية الأجنبية:

يقول بالنشأ^(٤): قال ريبيرا: إن أهل الأندلس كانوا يتعلمون العربية الفصيحة لغةً رسميةً في المدارس والدواوين (وفي الإنتاج الأدبي، طبعا)، وأمّا في شؤونهم اليومية فكانوا يستعملون الأعجمية. ثم يقول: « وكان هذا الازدواج في اللغة هو الأصل في نشوء طرازٍ شعريٍّ مُختَلَط، تمتاز فيه مؤثراتٌ غربيّةٌ وشرقيّة. وقد

(١ و ٢) راجع، تحت: نسق الموشحات: ٤٢٩

(٣) « والحسيني (بالتصغير): ضرب (نوع) من ضروب الشعر الحديثة، وهو المعروف بالموشح، يمانية » (تاج العروس ٩: ١٨٤).

(٤) تاريخ الفكر الأندلسي ١٤١ - ١٤٢.

ازدري أهلُ الأدبِ الفصيحِ والمَعْنِيُونِ بِأمرِهِ (أي بِأمرِ الأدبِ الفصيحِ) هذا الطِرازُ الجديدُ، بينما مضى الناسُ جميعاً يتناقلون مُقْطَعَاتِهِ سِرّاً بينهم. وذاع أمرُهُ داخلَ البيوتِ وفي أوساطِ العوامِ. وما زال أمرُهُ يعظُمُ والإقبالُ عليه يشتدُّ حتّى أصبحَ في يومٍ من الأيامِ لَوْناً من الأدبِ. وقد أخذَ هذا الطِرازُ الجديدُ من الأدبِ الشعبيِّ صورتَيْن: إحداها الزَجَلُ والثانيةُ الموشحةُ».

هذه نظريةٌ ساذجةٌ لا شكَّ في أنَّ صاحبها قد وَضَعَهَا في مَطْلَعِ حَيَاتِهِ الفِكريةِ (وأرجو أن يُعيد القارئُ تلاوةَ الأسطر الخمسة السابقة كي يُدركَ أنَّ صاحبَ هذه النظريةِ- وإنَّ كان اسمُهُ ريبيرا الإسبانيُّ- قد غَفَلَ عن عددٍ من العوامل التاريخية واللغوية والأدبية من تلك التي تعملُ في تطوُّر الحضارةِ وفي نُشوء الثقافات).- ولعلَّ الاستغرابَ يبلُغُ ذِرْوَتَهُ إذا قرأَ جملةَ ريبيرا: «بينما مضى الناسُ جميعاً (كذا) يتناقلون مقطعاته (أي مقطعات الموشح) سِرّاً (كذا) بينهم. وذاع أمرُهُ داخلَ البيوتِ وفي أوساطِ العامة. لا شكَّ في أنَّ ريبيرا قد كتبَ ذلكَ قبلَ أن يتحلَّى رأسُهُ بشيءٍ من الشعر الأبيض!

ومن المؤسف حقاً أن يكونَ في العربِ نفرٌ قد تمسكوا بهذه النظريةِ الساذجةِ البعيدةِ عن مدركِ الاتِّساقِ في تعاقبِ أحداثِ التاريخِ وعن المنطقيِّ في تعليلِ تلك الحوادثِ وعن الواقعِ المُشاهدِ: كيف يرى المتعلِّقون بهذه النظريةِ أنَّ نوعاً من الأدبِ بَلَغَ تَمَامَهُ في القرنِ الرابعِ (العاشر للميلاد)- أو قبلَ ذلك- كما يقولون، على يدِ مُقدِّمِ ابنِ مُعافَى القَبْرِيِّ مِنْ شُعراءِ الأميرِ عَبْدِ اللَّهِ المَرْوَانِيِّ (٢٧٥- ٣٠٠ هـ) قد أخذَ من شعرٍ أو غنكٍ بلغةٍ لم تكن قد نشأت بعدُ^(١)؟

لا أريدُ الجِدَالَ في هذا الوجه السَلْبِي من الموضوع لأنَّني سأوردُ الأوجهَ الإيجابيةَ بالتفصيل.

(١) أنظر، تحت: «نشأة الآداب الرومانسية».

ومع أنّ نفرّاً من هؤلاء المتعلّقين بهذه النظرية كثيراً أو قليلاً هم ممّن أغرّفهم وأجلّهم، فإنّني لا أملك استغراي من استمرارهم في موقفهم بعد أن صدّر في النظرية العربية للشعر الأوروبي دراسات علميّة مفصّلة باللغات الإنكليزية والألمانية والاسبانية والفرنسية. لا أريد أن أعتقد أنّهم قرأوا هذه الدراسات. ولكن أليس غريباً مُستغرباً أن يقول الفرنسيون والإيطاليون والألمان والإسبان إنهم قد أخذوا شعرهم من أزجالنا وموشحاتنا ثمّ يأتي نفرٌ منا فيزعمون أنّ موشحاتنا وأزجالنا مأخوذة منهم؟

لقد تبني هذه النظرية الاجنبية نفرٌ من العرب، منهم في لبنان مؤلفو كتاب «الادب العربي في آثار أعلامه»^(١) فقالوا (٢: ٢٣٣): «وقد تأثر شعراء الأندلس بطرق مُنشي الشعر الاسباني الأصلي، فمالوا إليها في شعرهم العربي ونظموا أبياتهم ومقاطعهم موافقةً لأصول التلحين والغناء ...» وكذلك فعل مصطفى عوض الكريم- ولكن مع شيء كثير من الإصرار- إذ بدأ بقوله (فنّ الموشح ١٠٧):

«إن كثيراً من الأسئلة الحائرة لا تجد جواباً شافياً إلا إذا قبلنا النظرية القائلة بأن الموشحات ما هي إلا تقليد لشعر غنائي عجمي، وهي النظرية التي جاء بها

(١) الأدب العربي في آثار أعلامه، نصوص منتخبة وفقاً لمنهاج البكالوريا اللبنانية لخليل تقي الدين وفؤاد أفرام البستاني وواصف بارودي (١٨٩٧ - ١٩٦٢ م)، المطبعة الكاثوليكية ١٩٣٥.
واصدر بطرس البستاني (١٨٩٥ - ١٩٦٩ م) كتابه «أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث» (بيروت ١٩٣٧) فقال (ص ٨٠) «ولم يكن للأسبانيين موسيقى راقية قبل الفتح الإسلامي. فلما افتتحت الأندلس وانتشر الغناء العربي تهذبت موسيقاهم واصطبغت بألوان عربية بينة: منها أنهم اتخذوا الشبابة من آلات الغناء: وهي عربية الأصل ولهم أناشيد يسمونها Segrel وهي مأخوذة من الزجل العربي... وعندهم ربع صوت وثلاث صوت. وأجزاء الأصوات عربية لا يستعملها في أوروبا غير الإسبانين. وتقاطيعهم الصوتية تجري على نغم واحد كالتقاطيع العربية. ومن الفاظهم ما يراجع فيه الغناء غير مرة، كما يراجع لفظ يا ليل في الغناء العربي». ثم يقول بعد صفحتين (ص ٨٢): «فاتفاق منظومات التروبادور والموشحات في أكثر النواحي يجعلنا على الاعتقاد أن العرب تأثروا بالأدب الأسباني الفرنسي (كذا) كما تأثر الأسبان والفرنسيون بالأدب العربي. فأخذ العرب فكرة التحرر من نظام الأوزان في أغانيهم وأخذ أولئك (يقصد الأسبان والأفرنسيين) القافية والصور الخيالية الجميلة».

المستشرقان الإسبانيان خوليان ريبيرا ومنديث بيدال وحشدا لها من الأدلة ما يجعل رفضها ضرباً من المكابرة والتعنت.

ثم يذهب مصطفى عوض الكريم مذهب التعنت فيقول (ص ١٠٩):

«ولكن الأستاذ نيكل يزعم أن الطروبيين هم الذين تأثروا بالموشحات ويسوق الحجج والأدلة التي تثبت رأيه ويذكر أن الموشحات فن عربي بحت ترجع أصوله إلى الشعر التقليدي المشرقي وحده».

ويتابع عوض الكريم الكلام فيقول:

«ونحن أميل إلى الرأي القائل بأن الوشاحين الأوائل قد قلّدوا شعراً غنائياً عجمياً كان موجوداً أمامهم سمعوه وامتلت نفوسهم بموسيقاه وألحانه فحاولوا النظم على نهجه فجاءت الموشحات».

ب) النظرية الفنية- قال ابن خلدون في مقدمته (ص ٥٨٣ / ١١٣٧): «وأما أهل الأندلس فلما كثّر الشعر في قُطْرهم وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنسيق فيه الغاية استحدث المتأخرون منهم فناً منه سمّوه بالموشّح ينظمونه أسباطاً أسباطاً وأغصاناً أغصاناً يُكثرون من أعاريضها المختلفة ويسمّون المتعدّد منها بيتاً واحداً، ويلتزمون ذلك عند قوافي تلك الأغصان وأوزانها متتالياً في ما بعد إلى آخر القطعة، وأكثر ما تنتهي عندهم إلى سبعة أبيات. ويشتمل كل بيت على أغصان عددها بحسب الأغراس والمذاهب. وهم ينسبون فيها ويمدحون كما يفعل في القصائد. وتجاروا في ذلك إلى الغاية، واستظرفه الناس جملة، الخاصة والكافة، لسهولة تناوله وقرب طريقه».

ج) نظرية تطور الأنواع الأدبية- قال ابن رشيق (العمدة ١: ١٤٩ وما

بعدها):

«ومن الشعر جنسٌ كله مصرّع^(١)، إلا أنه يختلف الأنواع. فمن ذلك الشعر

(١) التصريع أن يكون صدر البيت وعجزه مقفين، كمطالع معظم القصائد.

المُسَمَّطُ، وهو أن يبتدئ الشاعر بيت مصرعٍ ثم يأتي بأربعة أقسامٍ على غير قافيته، ثم يعيد قسماً^(١) واحداً من جنس ما ابتدأ به. وهكذا إلى آخر القصيدة... والقافية التي تتكرر في التسميط تسمى عمود القصيدة. واشتقاق (المسمط) من السِمْط، وهو أن تَجْمَعَ عدّة سلوك^(٢) في ياقوتة أو خرزة ما، ثم تَنْظِمَ كلّ سلك على حدّته باللؤلؤ يسيراً، ثم تَجْمَعَ السلوك كلها في زبرجدة واحدة أو شبهها. ثم تَنْظِمَ كل سلك على حدته وتصنع به كما صنعت أولاً إلى أن يَتِمَّ السِمْطُ. وهذا هو المتعارف عند أهل الوقت^(٣). «والمسمطات جاءت في أوزان كثيرة مختلفة».

هذا الشعر المسمط قديم في الأدب العربي: كان معروفاً منذ الجاهلية، ويقال إن امرأ القيس نفسه نظم شيئاً منه^(٤).

د- النظرية الموسيقية- قال ابن سناء الملك في كتابه دار الطراز (ص ٣٥-

(٣٩):

«ومن الموشحات ما لا مدخل لشيء منه في أوزان العرب^(٥)، وهو الكثير والجم الغفير والعدد الذي لا ينحصر. وأكثرها مَبْنِيٌّ على تأليف الأَرْغُن^(٦). ومن الموشحات قِسْمٌ أقفاله مخالفةٌ لأوزان أبياته مخالفةٌ تامّة. وهذا القسم لا يجسُرُ على عمله إلا الراسخون في العلم من أهل هذه الصناعة. فأما من كان طُفِيلِيّاً على هذه المائدة فإنه إذا سمِعَ هذا الموشح ورأى مَبَايِنَةَ أوزانِ أقفاله لأوزانِ أبياته ظنَّ أن ذلك جائزٌ في كل موشح^(٧)، فَعَمِلَ ما لا يجوزُ عَمَلُهُ وما لا يُمَشِّيه التلحينُ له وتظَهَّرَ فضيحتُهُ في وقتِ غِنائِهِ، فَإِنَّ المَغْنِيَّ ببعضِ الآلاتِ يحتاجُ إلى أن يغيّرَ شدَّ الأوتار عند خروجه

(١) القسم: الشطر (جمعها قسمة).

(٢) السلك هو الخيط الذي تسلك (تجمع) فيه اللؤلؤ والخرز.

(٣) هذا يدل على أن التوشيح كان قد أصبح شائعاً جداً في أيام ابن رشيق (ت ٤٦٣ هـ).

(٤) راجع العمدة: ١: ١٥٠ - ١٦٠.

(٥) أوزان الشعر العربي.

(٦) الأَرْغُن أو الأَرْغُول (الأرغل): مزمار ذو قصبتين مُتَقَبَّتين إحداهما أطول من الأخرى (المعجم

الوسيط ١٤).

(٧) يسمي ابن سناء الملك وغيره من المتأخرين الموشحة «موشحاً» أيضاً.

من القفل إلى البيت ومن البيت إلى القفل». فالموشحات إذن نشأت من حاجة المغنين إلى كلام يسايرون به الألحان. إن المشاركة كانوا إذا أعجبوا بشعر دفعوه إلى مغنٍ يَسْكُبُ عليه لحناً موافقاً. وبما أن بحور الشعر العربي المختارة محدودة، فإن الألحان التي كانت تُسْكَبُ على المقطعات العربية ظلت أيضاً محدودة. أما الأندلسيون فكانوا يُلْقون آذانهم إلى الألحان ثم يؤلفون عليها الكلمات. وبما أن الألحان التي يُمكنُ استخراجها غير متناهية نظرياً وعملياً، فإن أوزان الموشحات التي نظمت كانت كثيرة الاختلاف عدّ منها مارتن هارتمان مائة وستة وأربعين مزيجاً سمى كل مزيج منها بحراً^(١).

والتوشيح الصحيح فنٌ صعبٌ، فإن على الوشّاح أن يكون موسيقياً قبل أن يكون شاعراً؛ والعرف على الآلة الموسيقية هو الميزان الصحيح لبراعة الوشّاح. وقد شرح ابن سناء الملك ذلك ثم ضرب عليه مثلاً وقال: «وأكثرها مبني على تأليف الأرغن. والغناء بها على غير الأرغن مُستعارٌ وعلى سواه مجازٌ». ومن الموشحات قسمٌ يستقلُّ به التلحين ولا يفتقر إلى ما يُعِينه عليه وهو أكثرها؛ وقسمٌ لا يحتمله التلحين ولا يُمشي به إلا بأن يتوكأ على لفظة لا معنى لها تكون دِعامَةً للتلحين وعُكَّازاً للمغني، كقول ابن بقي:

من طالب ثار قتلي ظبيات الحدوج فتانات الحجيج،

فإن التلحين لا يستقيم (في هذه الموشحة) إلا بأن يقول (المغني) «لا لا» بين الجزئين الجيمين من هذا القفل.

فن الموشح:

قال ابن بسّام الشنتريني في الموشح كلمة جامعة هي (الذخيرة ١: ٤٦٨ - ٤٧٠):
«.... وكان أبو بكر (عبادة بن ماء السماء المتوفى نحو سنة ٤٢٢ هـ) في ذلك العصر شيخ الصناعة وإمام الجماعة: سلك إلى الشعر مسلکاً سهلاً، فقالت له غرائب:

مرحباً وأهلاً. وكانت صنعة التوشيح التي نهج أهل الأندلس طريقتها ووضعوا حقيقتها غير مرموقة البرود ولا منظومة العقود^(١). فأقام عبادة هذا منادها وقوم مثلها وسنادها^(٢). فكانت لم تسمع بالأندلس إلا منه ولا أخذت إلا عنه. واشتهر بها اشتهاً غلب على ذاته وذهب بكثير من حسناته^(٣).

«وهي أوزان كثر استعمال أهل الأندلس لها في الغزل والنسيب، تشق على سماعها مصونات الجيوب، بل القلوب^(٤). وأول من صنع أوزان هذه الموشحات بأفقتنا^(٥) واخترع طريقتها- فيما بلغني- محمد بن محمود القبري الضري^(٦). وكان يصنعها على أشطار الأشعار^(٧). غير أن أكثرها على الأعاريض المهملة غير المستعملة^(٨): يأخذ اللفظ العامي والعجمي^(٩) ويسمي المركز^(١٠) (ثم) يضع عليه

- (١) مرقومة (مزينة) البرود (الأثواب من الحرير): غير منوعة. ولا منظومة العقود (مرتبة): ليس لها قواعد.
- (٢) الناد: المتشي الموج. الميل: الانحراف عن الطريق القويم. السناد: اختلاف في القافية سيف (بفتح السين) وريف (بكر السين).
- (٣) ذهب بكثير من حسناته: برع أبو بكر عبادة في أكثر وجوه التوشيح.
- (٤) الجيب (بفتح الجيم): مدخل الرأس من الثوب. شق الجيب كناية عن الحزن الشديد أو الفرح الشديد.
- (٥) أفقتنا: صقنا، منققتنا، بلادنا (الأندلس).
- (٦) تجربة: بلدة في الأندلس. ومحمد محمود القبري الضري ينسب إليه ابن بسام نظم موشحات. وفي جذوة المقتبس (ص ٨٦) وبغية الملتبس (ص ١٢١-١٢٢) انه «أديب شاعر»- وذلك رواية عن ابن حزم الاندلسي- ولم يذكر هناك انه نظم موشحات. وفي مقدمة ابن خلدون (ص ١١٣٨/٥٨٤) ينسب اختراع الموشحات الى مقدم بن معافى القبري (وفي النسختين معافى الفريري أو القبريري- وذلك خطأ) ثم في جذوة المقتبس (ص ٣٣٣) وبغية الملتبس (ص ٤٦٠): «مقدم بن معافى القبري شاعر معروف في أيام عبد الرحمن الناصر» (٣٠٠-٣٥٠ هـ). وفي نفع الطيب (٣: ٥٣٨): «.... قال المقدم بن المعافى (بتعريف الاسمين) في رثاء سعيد بن جودي....» (ثلاثة أبيات). ثم (٦: ٧): «.... مقدم بن معافى (بالتنكير)....» (مقطع منقول من مقدمة ابن خلدون).
- (٧) قل أن يبنى الموشح على البيت الكامل (على شطرين) والمألوف أن يبنى على أشطر مختلفة القوافي (والأوزان أحياناً).
- (٨) الأوزان التي لم يألّف العرب استعمالها (مع أنها جارية على موسيقى الشعر).
- (٩) العجمي (هنا) لغة نصارى الأندلس (لاتينية مشوّهة).
- (١٠) المركز: القفل أو القفلة (من حيث تعود القافية إلى المطلع).

الموشحة دون تضمين فيها ولا أغصان^(١). وقيل إن ابن عبد ربّه صاحب كتاب «العقد»^(٢) أوّل من سبق إلى هذا النوع من الموشحات عندنا. ثم نشأ يوسف بن هرون الرّمادي^(٣) فكان أوّل من أكثر فيها التضمين في المراكز^(٤): يضمن كل مركز يقف عليه في المركز خاصة. فاستمرّ على ذلك شعراء عصرنا كمكرم بن سعيد وابن أبي الحسن^(٥). ثم نشأ عبادة هذا فأحدث التّضفير، وذلك أنّه اعتمد مواضع الوقف في الأغصان فيضمّنها، كما اعتمد الرّماديّ مواضع الوقف في المراكز.

«وأوزان هذه الموشحات خارجة عن غرض هذا الديوان»^(٦) إذ أكثرها على غير أعاريض أشعار العرب^(٧).

نسق الموشحات

للموشحات نسقان رئيسان: النسق المؤلف والنسق المختلف- والنسق المؤلف يكون عادة في الموشحات التي على الأبحر المألوفة، من الرمل في الأغلب. ويكون للموشح على النسق المؤلف مطلع ثم تليه الأبيات. ويكون كل بيت من أساطير وقفل (أو قفلة). ويحسن أن تُشير إلى ثلاث دَرَجات من الموشحات المؤلفّة: الموشحة المفردة (البسيطة) والموشحة المثناة (المزدوجة) والموشحة المركبة (المتعددة). ومثال الموشحة المفردة الموشحة المنسوبة إلى أبي بكر بن زهر.

المطلع: أيها الساقى، إليك المشتكى؛ قد دعوناك وإن لم تسمع!

- (١) أشطر مختلفة.
- (٢) راجع، فوق، ص ٤٣٩.
- (٣) راجع فوق، ص ٤٣٩.
- (٤) المراكز (كذا في الأصل): المراكز.
- (٥) مكرم بن سعيد وابن أبي الحسن (٤).
- (٦) هذا الديوان: هذا الكتاب (الذخيرة). إن علماء الشعر الأندلسيين لم ينظروا إلى الموشح نظر الجدل فلا نجد مختارات منه في العقد (مع أنّه يقال إن ابن عبد ربّه من السابقين إلى هذا الفن)، الخ.
- (٧) الصحيح أن الأوزان التي بني عليها الموشح عربية (لها موسيقى الغناء العربي)، ولكنها لم تكن مألوفة لأسباب خارجة عن نطاق هذه الحاشية.

البيت ١ : ونديم همت في غرته
وبشرب الراح من راحته.
كلما استيقظ من سكرته

جَذَبَ الرُّقَّ إِلَيْهِ وَاتَّكَأَ وَسَقَانِي أَرْبَعًا فِي أَرْبَعٍ .

فالطلع في الموشحة المفردة يتركب من سِطَطين لكل سِطَطٍ منها قافيةٌ مستقلة . أما البيتُ فيتركب من خمسة أساطير : ثلاثة أساطير على رَوِيٍّ واحدٍ ثم سِطَطَيْنِ قافيةً كل سِطَطٍ منهما على رَوِيٍّ السِطَطِ المقابل له في المطلع . وجميع الأبيات في الموشحة تجري في البحر والترتيب والتقنية هذا المجرى .

أما الموشحةُ المثناة فتكونُ الأساطيرُ في مَطْلَعِها أربعة ، أي مُضاعفة . ويبنى صدرُ المَطْلَعِ على رَوِيٍّ وَعَجْزُها على رَوِيٍّ آخَرَ . وكذلك يكونُ البيتُ في الموشحة المثناة مضاعفاً (سِتَّةُ أساطيرٍ بِرَوِيٍّ لِصُدُورِها وَرَوِيٍّ آخَرَ لِأَعْجَازِها ، ثم أربعة أساطير في القفلة تُقابلُ بقوافيها قوافي المطلع) . - مثال ذلك موشحة إبراهيم بن سهل :

هل دَرَى طَبِيُّ الحِمَى أن قد حَمَى	قلبَ صَبٍّ حَلَّه عن مَكْنَسٍ ؟
فَهُوَ في حَرٍّ وَخَفَقِي مِثْلًا	لَعَبَتِ رِيحَ الصَّبَا بالقَبَسِ
يا بُدُورًا أَشْرَقَتْ يَوْمَ النَوَى	غُرَّرًا تَسْلُكُ في نَهْجِ الغَرَزِ ،
ما لِنَفْسِي في الهوى ذَنْبٌ سِوَى	مِنْكُمْ الحُسْنَى وَمِنْ عَيْنِي النَظَرُ .
أَجْتَنِي اللِّذَاتِ مَكْلُومَ الجَوَى .	والتداني من حبيبي بالفكرُ .
كُلَّمَا أَشْكُوهُ شَوْقِي بَسَمًا	كَالرُبَى بِالْعَارِضِ المُنْبَجَسِ ؛
إِذْ يُقِيمُ القَطْرُ فِيهَا مَاتَمًا	وَهِيَ من بَهْجَتِها في عُرْسِ .

وأما الموشحةُ المتعددةُ فهي التي يكون المطلع فيها مُركَّبًا من سِتَّةِ أساطير مجزوءة (لأنها لو جاءت تامة ل طال النَّسَقُ فيها ففقد رُوعة النَّعَمِ) ، ويكون البيت فيها بالتالي ثلاثة أضعاف البيت في الموشحة المفردة . فاعتبر موشحة ابن زهير التالية :

يا لَه سَكَرَانِ
يَنْدُبُ الْأَوْطَانَ.

مَنْ سَكْرِهِ لَا يُفِيقُ
مَا لِلْكَثِيبِ الْمَشُوقِ

مَا لِلْمَوْتِ
مَنْ غَيْرِ خَيْرِ

★ ★ ★

وَلِيَالِينَا؟
مِسْكُ دَارِينَا؟
أَنْ يُحْيِينَا.
مُورِقُ قَيْنَانِ
مَنْ جَنَى الرَّيْحَانَ.

أَيَامُنَا فِي الْخَلِيجِ
مِنْ النِّسِيمِ الْأَرِيحِ
حُسْنُ الْمَكَانِ الْبَهِيحِ
دَوْحٌ عَلَيْهِ أَنْيَقُ
وَعَائِمٌ وَغَرِيقُ

هَلْ تُسْتَعَاذُ
أَوْ يُسْتَفَاذُ
وَإِذْ يَكَادُ
نَهْرٌ أَظْلَمُ
وَالْمَلَّةُ يَجْرِي

ثم هنالك الموشحات ذوات النسق المختلف، وهي موشحات لم يتبع الوشاحون فيها قاعدة ما، بل كان كلُّ وشاح يختار من ترتيب الأَشْطَر ومن ترتيب القوافي ما كان يروق له أو يتفق له. من أجل ذلك قل أن تجد موشحتين على نسق مختلف واحد، وخصوصاً إذا كان الوشاح قد تصرف في الأوزان فأتى بِبُحُورِ الشَّعْرِ مجزوءة على أقدار متفاوتة أو إذا خرج في موشحته عن أوزان العرب جملةً. وهذا ما حمل ابن سناء الملك على أن يقول^(١):

« والقسم الثاني من الموشحات هو ما لا مدخل لشيء منه في أوزان العرب. وهذا القسم منها (من الموشحات) هو الكثير والجَمُّ الغفير، والعدد الذي لا ينحصر، والشارد الذي لا ينضبط. وكنت أردت أن أقيم لها عروضاً يكون دفترًا لحسابها، وميزاناً لأوتادها وأسبابها^(٢)، فعز ذلك وأعوز لإخراجها عن الحصر وانفلاتها من الكف. وما لها عروض^(٣) إلا التلحين، ولا ضرب إلا الضرب^(٤)، ولا أوتاد إلا

(١) دار الطراز.

(٢) الوند في العروض (نظم الشعر) مقطع مؤلف من ثلاثة أحرف أحدها ساكن في وسط المقطع (نحو: فيل، بحر) أو في آخره، نحو: على؛ فقط). والسبب مقطع من حرفين متحركين (نحو: فم، يد) أو متحرك وساكن (نحو: قد، لم، ما).

(٣) العروض (نظم الشعر): مقياس، ميزان.

(٤) ضرب (الأولى): نوع، جنس. ضرب (الثانية) عزف، نقر على الآلة الموسيقية.

الملاوي^(١)، ولا أسباب إلا الأوتار^(٢). فهذا العروض يُعرفُ الموزونُ من المكسور،
والسالمُ من المَزحوفِ^(٣)».

فَمِنْ أُمَثِلَةِ النَّسَقِ الْمُخْتَلَفِ مُوشَعَةُ أَبِي بَكْرٍ الْأَبْيَضِ الْوَشَّاحِ (قَارِنِ الْأَوْزَانَ
وَالْقَوَافِي فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ بِمَا يُقَابِلُهَا فِي الْبَيْتِ الثَّانِي):

البيت الثاني

البيت الأول

مَا لَذَّ لِي شَرْبُ رَاحٍ	مِمَّا أَبَادَ الْقُلُوبَا
عَلَى بِسَاطِ الْأَقَاحِي،	يَمِشِي لَنَا مُسْتَرِيَا.
لَوْلَا هَضِيمُ الْوِشَّاحِ	يَا لَحَظَّهُ، رُدُّ نُوبَا.
إِذَا أَسَا فِي الصَّبَاحِ،	وَيَا لَهَا الشَّيْبَا،
أَوْ فِي الْأَصِيلِ	بَرْدٌ غَلِيلِ
أَضْحَى يَقُولُ:	صَبٌّ عَلِيلِ
مَا لِلشَّمُولِ؟	لَا يَسْتَحِيلِ
لَطَمْتُ خَدِّي!	فِيهِ عَن عَهْدِي.
وَلِلشَّالِ؟	وَلَا يَزَالِ
هَبَّتْ فَهَالِ	فِي كُلِّ حَالِ
غُضُنْ اعْتِدَالِ	يَرْجُو الْوِصَالِ
ضَمَّه بُرْدِي!	وَهُوَ فِي الصَّدِّ.

(١) الأوتاد جمع وتد (انظر الحاشية ٢، ص ٤٣١). الملاوي (جمع ملوي بكسر الميم): قطع من الخشب
لربط الأوتار (المعجم الوسيط ٨٥٥) - لعلها المفاتيح التي تضبط بها أوتار العود بشدها على مقادير
معينة.

(٢) الأسباب (راجع الحاشية ٢، ص ٤٣١). الأوتار (أوتار الآلة الموسيقية)، أي قواعد شدها.

(٣) فهذه العروض (هذا الميزان الشعري). المكسور (الشعر الخارج عن الوزن الصحيح). المَزحوف:
التفصيل الذي دخله الزحاف (بكسر الزاي): تغيير يلحق الحرف الثاني في السبب (المعجم الوسيط
٣٩١)، أي الاضطرار إلى تحريكه (إذا كان ساكناً) أو تسكينه (إذا كان متحركاً).

أجزاء الموشحة وأسمائها

للموشحة من النسق المؤلف أجزاءً مُتَحَيِّزَةً أُطْلِقَ عليها عددٌ من الأسماء . ومع أن هذه الأسماء تختلفُ بين كتابٍ وكتابٍ ، فسأشير إلى أشهرها فيما يلي (بالإشارة إلى الموشحة المشهورة لابن زُهَيْرٍ):

(١) أَيْهَا السَّاقِي إِلَيْكَ الْمُشْتَكِي قَدْ دَعَوْنَاكَ وَإِنْ لَمْ تَسْمَعْ

(٢) وَنَدِيمٍ هَمَّتْ فِي غُرَّتِهِ

(٣) وَبَشْرِبِ الرَّاحِ مِنْ رَاحَتِهِ

(٤) كُلَّمَا اسْتَيْقِظَ مِنْ سَكْرَتِهِ

(٥) جَذَبَ الزِّقَّ إِلَيْهِ وَأَتَا وَسَقَانِي أَرْبَعًا فِي أَرْبَعٍ

تبدأ الموشحة المؤلفّة بمطلع أو مذهب (رقم ١) مستقلّ، وهو الذي تُبنى عليه الموشحة فيما يتعلّق بالوزن وبعدد الأَشْطُرِ وبالأَعَارِيضِ (جمع عَرَوْضٍ : الكَلِمَةُ التي ينتهي بها كلُّ شطرٍ، أي القافية). ويجسُن أن يكون اسم كلِّ شطرٍ في المطلع « غَرْسًا ».

ثم تأتي الأسباط (رقم ٢ ، ٣ ، ٤) ومعها القُفْلُ أو القَفْلَةُ أو اللازمة (رقم ٥). وجميعُ هذه الأَشْطُرِ (رقم ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) تُسمّى « بَيْتًا ». أمّا الأسباطُ وحدها (رقم ٢ ، ٣ ، ٤) فتسمّى « الدَّوْر » (لأنّ قوافيها تدورُ فتأتي في كلِّ بيتٍ مُختلفةً عمّا مرّ في الأبيات السابقة). وأمّا كلُّ شطرٍ في القُفْلِ فيجسُن أن نحفظَ له اسمَ « غُصْنٍ » (لأنّه يَتَفَرَّعُ من الغَرْسِ الذي في المطلع). والقُفْلُ أو القَفْلَةُ غَايَتُهَا قُفْلُ « البيت »، أي خَتَمُهُ. وقد يُسمَّيانِ « اللازمة » لأنّها « تلزِمُ » البيتَ، أي تصحُّبُهُ بلا شُذُوذٍ ثم تكون قافيتاها كقافيتي المطلع. وأمّا القُفْلُ في البيتِ الأخيرِ من الموشحة فيُسمّى الخَرْجَةُ، لأنّ الوَشَّاحَ يخرُجُ بها من النظم (أي ينتهي من النظم)، فهي علامةُ انتهاء الموشحة.

أعاريض الموشحة

الأعاريض جمع عَرُوضٍ (بفتح العين - وهي مؤنثة): اسمٌ للجزء الأخير من النِصْفِ الأوَّل من بيت الشعر (القاموس ٢: ٣٣٤) في القصيد، أو هي الكلمة الأخيرة في كلِّ شطرٍ من أشطر الموشحة (أي القافية).

وللأعاريض في الموشحة المؤتلفة (سواء أكانت مفردة المطلع أو مزدوجة المطلع أو متعددة المطلع) قواعدٌ ثابتةٌ لتوالي القوافي: ففي المَطْلَعِ للموشحة المفردة (راجع موشحة ابن زهر، ص ٤٢٩ - ٤٣٠) وللموشحة المزدوجة (راجع موشحة ابن سهل الإشبيلي، ص ٤٣٠) قافيتان مختلفتان. أما الموشحة ذات المطلع المتعدد (راجع موشحة ابن زهر، ص ٤٣١) ففي مَطْلَعِها في العادة ثلاث قوافٍ مختلفات.

وللأسباط في الموشحة المفردة قافيةٌ واحدةٌ مستقلةٌ. أما الأسباط في الموشحة المزدوجة فيكون لها قافيتان مُستقلَّتَان: قافيةٌ للأسباط اليمنى (صُدُورِ الأسباط) وقافيةٌ أخرى للأسباط اليسرى (أعجازِ الأسباط).

وأما في الأقفال (وفي الخرجة) فإنَّ القوافي تتبَّع في تنوُّعها وفي ترتيبها قوافي المطلع.

وربَّما تَمَلَّحَ الوشَّاحون المتأخرون بإدخالِ ألفاظٍ أو جُملي من العامية أو الأعجمية (لغةِ النصارى الإسبان) في خرجة الموشحة.

الخرجة خاصة

الخرجة أو القفل هي الأشطر الأخيرة في الموشحة، وتكون في العادة باللغة الفصيحة. غير أنَّ نفرًا من الوشَّاحين المتأخِّرين عن نشأة التوشيح قد مالوا إلى التَمَلُّح بإدخال كلمةٍ من العامية في الخرجة أو أكثر من كلمة أو إلى أن يجعلوا بعض الخرجة أو الخرجة كلها باللغة العامية. وربَّما جعلوا هذه الألفاظ أو الأشطر باللغة الأعجمية (لغةِ نصارى الأندلس، وهي لهجة رومانسية مزيج من اللاتينية العامية ومن بقايا محلية).

يَبْدُ أَنْ هَذَا التَّمْلُحَ لَيْسَ جَدِيداً مَقْصُوراً عَلَى الْوُشَّاحِينَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ، فَلَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى ذَلِكَ الشُّعْرَاءُ الْمُحَدِّثُونَ فِي مَطْلَعِ دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ، فَقَدْ رَأَيْنَا الْعَبَّاسَ بْنَ الْأَحْنَفِ (ت ١٩٨ هـ = ٨١٤ م) يَقُولُ فِي طِفْلة صَغِيرَةٍ:

تُنَادِي كُلُّهَا رِيْعَةً مِنْ الْعِرَّةِ: يَا (بَابَا)!

وَيَبْدُو أَنَّ أَبَا نَوَاسٍ (ت ١٩٩ هـ) قَدْ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا التَّمْلُحِ فَجَاءَ بِهِ أحياناً شَطِراً كَامِلاً مِنَ الْأَلْفَاظِ الْفَارْسِيَّةِ فِي الْوِزْنِ الْعَرَبِيِّ، كَقَوْلِهِ:

يَا غَاسِلَ (الطَرَجَهَارِ) لِلخَنْدَرِيسِ الْعُقُورِ (١)،

يَا نَرَجِسِي وَهَارِي (بَدَهْ مَرَا، يَكْ بَارِي) (٢).

وظَهَرَ هَذَا التَّمْلُحُ فِي الشُّعْرِ، (وَفِي النَثْرِ أَيْضاً) فِيمَا بَعْدَ، قَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ (ت ٢٨٣ هـ = ٨٩٦ م):

أَعْجَمِي (آيِنُـــــــه) عَرَبِيٌّ مَجْدُهُ يَنْتَمِي إِلَى عَدْنَانَ (٣).

وَلَكِنْ هَذَا التَّمْلُحُ كَانَ مِنْ بَابِ الْهَزْلِ لَا مِنْ بَابِ الْجِدِّ. قَالَ الْمُتَنَبِّي (ت ٣٥٤ هـ = ٩٦٥ م):

وَكَلِمَةٍ فِي طَرِيقِ خِفْتُ أُعْرِبُهَا فَيُهْتَدَى لِي، فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَنَ اللَّحَنِ (٤)!

وَلَا نَعْلَمُ مَتَى بَدَأَ هَذَا الْمَزَاحُ (اسْتِعْمَالُ غَيْرِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْفَصِيحَةِ فِي خُرُجَاتِ

(١) الطَرَجَهَارَةُ (يَفْتَحُ فَسْكَونُ فَفْتَحَ): إِنَاءٌ يَشْبُهُ الْكَأْسَ. الْخَنْدَرِيسُ (الْخَمْرُ الْقَدِيمَةُ) الْعُقَارُ (الْجَيِّدَةُ). - أَيُّهَا الرَّجُلُ الَّذِي تَغْسِلُ الْكَأْسَ جَيِّداً لِيَزُولَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ آخَرَ (حَتَّى تَصْبِحَ خَلِيقَةً بَأَن تَصَبَّ فِيهَا تِلْكَ الْخَمْرُ)...

(٢) الْبَهَارُ: زَهْرٌ (أَصْفَرٌ) يَنْبُتُ فِي أَوَائِلِ الرَّبِيعِ. بَدَهْ مَرَا (أَعْطَيْتُهَا، اسْقِي فِيهَا) يَكْ: وَاحِدٌ. بَارَهْ: نَوْبَةٌ، مَرَّةٌ، قِطْعَةٌ. يَكْ بَارِي (مَرَّةً وَاحِدَةً).

(٣) آيِنُ: حَضَارَةٌ، سُلُوكٌ، أَسْلُوبٌ (حَيَاةٌ)، شَرِيعَةٌ، قَانُونٌ. عَدْنَانُ: جَدٌّ عَرَبِ الشَّامِ.

(٤) اللَّحْنُ: تَرْكُ الْأَعْرَابِ (الْكَلَامُ بِالْعَامِيَّةِ لَا بِالْفَصْحَى) - هُمْ قَوْمٌ لَا يَحْسُنُونَ الْكَلَامَ بِالْفَصْحَى، أَرَدَتْ أَنْ أَجَارِيَهُمْ فَلَمْ أَسْتَطِعْ لِأَنِّي مَطْبُوعٌ عَلَى الْكَلَامِ بِالْعَرَبِيَّةِ الْفَصِيحَةِ.

الموشح). إِنَّ الطَّبَقَاتِ الأولى من الوشّاحين- من الذين قيلَ إنهم نظموا في القرنِ الرابعِ للهجرة أو مِن الذين نظموا في القرنِ الخامسِ- لم تَصِلْ إلينا موشحاتهم أو لم يَصِلْ إلينا إلّا عددٌ يسيرٌ من موشحاتهم. ومن مُراجعةِ كتاب « جيش التوشيح »^(١) نجدُ خُرُجَاتٍ عاميّةً في الأكثرِ وأعجميّةً في الأقلِّ لشعراءِ أولَهم ابنُ اللَّبَّانَةِ (ت ٥٠٧ هـ = ١١١٣ م) وآخرُهُم ابنُ زُهْرٍ الحفِيد (ت ٥٩٥ هـ = ١١٩٩ م).

واللحنُ العامِّيُّ أو الأعجميُّ يكونُ كَلِمَةً أو أكثرَ من كَلِمَةٍ، ويكونُ شطراً من الخُرْجَةِ أو يكونُ الخُرْجَةُ بِتَمَامِهَا. ففي خُرْجَةِ لابنِ بَقِيٍّ (ت ٥٤٠ هـ)^(٢):
 قد بَلِينَا وابتَلِينَا. (واش) يقولُ الناسُ فينا^(٣)؟
 قُمْ بنا، يا نورَ عَيْني، نَجْعَلِ الشُّكَّ يَقِينَا!

ولابنِ اللَّبَّانَةِ (ت ٥٠٧ هـ) خُرْجَةٌ عاميّةُ التركيبِ (جيش التوشيح، ص ٦٩):
 الله زانك يا لاسمَرُ زين كل عسكر قد خرجت، يا شاطر في الحرب ظافر .
 والخُرْجَةُ حينما تكونُ بغيرِ اللّغةِ العربيّةِ الفصيحةِ يُفَرَضُ فيها أن تكونَ مُبتدلةً وفيها إسفافٌ أيضاً كقول أبي القاسمِ المَنِيشي- وقد كان يقودُ الأعمى التُّطيلي المتوفى نحو ٥٣٠ هـ (جيش التوشيح، ص ١١٢):

قل لي قبل نقتلك: سروالك آش حلّو؟ الخليل الجديد أمّا كان القديم حلّو ؟
 وإذا كانتِ الخُرْجَةُ أعجميّةً فإنّها تكونُ على وزنِ الموشحةِ التي ترد فيها تلك الخُرْجَةُ، كما تكون في العادة أيضاً في المعنى السّفاسف واللفظ المُبتذل.

ومن الخُرُجَاتِ الأعجميّةِ واحدةٌ لأبي بكرٍ بنِ رُحيم (وقد كان حيّاً سنة ٥١٥ هـ)- ولا أهتدي لوجه المعنى فيها (جيش التوشيح، ص ١٧٩):

لمرني أو كـدش ديب حسب سم بغا درد مسيد.

(١)

(٢)

(٣) واش (وأي شيء؟)

فَمِنْ أَيْنَ جَاءَتِ الْخُرُجَاتُ الْأَعْجَمِيَّةُ إِلَى الْمَوْشَحَاتِ الْفَصِيحَةِ؟
لَا يَحْسُنُ أَنْ نُعَالِجَ الْخُرُجَاتِ الْأَعْجَمِيَّةَ فِي مَعَزِلٍ عَنِ الْخُرُجَاتِ الْعَامِيَّةِ، فَإِنَّهَا كُلُّهَا
تَرْجِعُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ «تَظَرَّف» الْوَشَّاحِ وَمِنْ مَيْلِ طَبَقَةٍ مِنَ النَّاسِ إِلَى «اسْتَظْرَافِ»
السُّخْفِ فِي مَوَاقِفِ الْجِدِّ!

وفي مقدمة ناشرِ كتاب «جيش التوشيح» هلال ناجي مناقشةٌ سليمةٌ صحيحةٌ
لهذه الخرجات ولصدرها، أوجزها فيما يلي:

ذَهَبَ خَوْلِيَانُ رِيِيرَا وَمِينَنْدِيْتُ بِيْدَالُ وَغِرْزِيَهْ غُومِيْثُ مِنَ الْإِسْبَانِ ثُمَّ تَابَعَهُمْ فِي
رَأْيِهِمْ نَفَرٌ مِنَ الْعَرَبِ كَالدَّكْتُورِ مُصْطَفَى عَوَّضِ الْكَرِيمِ مُؤَلِّفِ كِتَابِ «فَن
التوشيح» إِلَى أَنَّ الْخُرُجَاتِ الْأَعْجَمِيَّةَ «تَمَثِّلُ الشَّعْرَ الْغَنَائِيَّ الرَّومَانِيَّ الَّذِي سَبَقَ
المَوْشَحَاتِ».

وقد تَقَضَّ هِلَالُ نَاجِي هَذَا الرَّأْيَ بِأَدَلَّةٍ مِنْهَا:

- لَيْسَ لَدَيْنَا نَمَازُجٌ مِنْ ذَلِكَ الشَّعْرِ الْغَنَائِيِّ الرَّومَانِيِّ الَّذِي سَبَقَ الْمَوْشَحَاتِ.
- إِنَّ هَذِهِ الْخُرُجَاتِ الْأَعْجَمِيَّةَ مُوزَوْنَةٌ وَزْنَ عَرَبِيًّا .
- يُؤْخَذُ بِمَا ذَكَرَهُ ابْنُ بَسَّامٍ وَابْنُ سَنَاءِ الْمَلِكُ أَنَّ هَذِهِ الْخُرُجَاتِ (الْعَامِيَّةَ
وَالْأَعْجَمِيَّةَ) مِنْ نَظْمِ أَصْحَابِ الْمَوْشَحَاتِ أَنْفُسِهِمْ.
- إِنَّ نَفَرًا مِنَ الشَّعْرَاءِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْرِفُونَ لُغَتَيْنِ (فِي الْأَنْدَلُسِ وَفِي الْمَشْرِقِ
أَيْضًا) كَانُوا أحيانًا يَتَظَرَّفُونَ بِإِدْخَالِ أَلْفَاظٍ وَجُمَلٍ فِي أَشْعَارِهِمْ مِنْ غَيْرِ اللُّغَةِ
العربية.

الخصائص الأدبية في الموشح

أولُ خصائصِ الموشحِ عذوبةُ الألفاظِ مَعَ اسْتِعْمَالِ عَدَدٍ مِنْهَا لِمَعَانٍ عَرَبِيَّةٍ قَلِيلَةٍ
الشُّهُرَةِ فِي الْمَشْرِقِ نَحْوِ «أَكْحَل» بِمَعْنَى الْأَسْمَرِ^(١) وَ«سَانِيَّة» (النَّاعُورَةُ) وَالرَّبْصُ

(١) فِي دِيرِ الزُّورِ (عَلَى الْفَرَاتِ) يَقُولُونَ لِلْأَسْمَرِ «أَكْحَل». وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ لَا تَزَالُ مُسْتَعْمَلَةً فِي الْمَغْرِبِ.

(الضاحية، ظاهر المدينة). وهناك بعض الضعف في التركيب وفي الألفاظ، نحو « أنا فيه أهِم » (في موشحة الأعمى التطيلي) مكان « به ». غير أن الوشاحين لم يستعملوا كلمات عامية ولا تركوا الإعراب. وقد احتفظ نفرٌ منهم بأسلوبٍ مشرقٍ متين. وتكثرُ في الموشحات الصورُ الشعريةُ في التشبيه والاستعارات البارة إلى حدِّ الرمزِ اللطيف، نحو:

وسَلَّتْ على الأفقِ يدُ الغَرْبِ والشرْقِ سُبُوفاً من البرقِ
وقد أضحكَ الزَّهرَ بكاءَ الغيومِ

أما الصِّناعةُ اللفظيةُ فقليلةٌ جدًّا في الموشح.

وكان الموشحُ منذُ نشأته الأولى فنًّا وُجدانيًّا خالصاً يُعبِّرُ عن شخصية شاعره، ولذلك كثرَ فيه الغزلُ والوصفُ والخمرُ وبطلَ فيه الوقوفُ على الأطلال والأغراضُ التقليدية الأخرى التي ظل الشعرُ المَشْرِقيُّ يَنوُّ بها. إلَّا أنَّ الوشاحين المتأخرين طَرَفُوا في موشحاتهم سائرَ فنون الشعر. قال ابن سناء الملك (دار الطراز ٣٧): « والموشحات يُعْمَلُ فيها ما يعمل في أنواع الشعر من الغزل والمدح والثناء والهجو والمجون والزهد ». وقال ابن خلدون (المقدمة ٥٨٣): « وَيَنسَبُونَ فيها ويمدحون كما يُفَعَّلُ في التصائد ».

وَيَلْفِتُ النظرَ أَنَّ الإِجادة في التوشيح لم تَتَّفِقْ لجميع الشعراء ولا لجميع الوشاحين، ذلك لأن التوشيح فنٌّ وُجْدانيٌّ خالصٌ وفنٌّ يستند، فوق ذلك، إلى الموسيقى آستناداً أساسياً. فإذا لم يكن الشاعر وُجْدانياً مطبوعاً وعارفاً بأصول الموسيقى فإنَّ الإِجادة في الموشح لا تَتَّفِقُ له.

وكذلك لم يَعِشِ الموشحُ طويلاً، ولم يَنرَعْ فيه المشاركةُ براعةً تُذكر لهم؛ بل كان طوراً من أطوار الشعر أزهَرَ مُدةً ثم زال، كما اتَّفَقَ لفنِّ المقاماتِ تماماً. إننا نجدُ بين الحين والحين شاعراً يَنْظُمُ موشحةً، كما رأينا أدباءً كثيرين كتبوا مقاماتٍ. ولكن ذلك كُلُّهُ من باب التقليد: إننا نرى في الموشحاتِ المتأخرةِ شكلَ الموشحِ ولكننا نَفْتَقِدُ

روحه ونفتقد عبقرية الوشاح الأندلسي فيه.

أوائل الوشاحين

لما ذَكَرَ ابنُ خَلْدُونٍ فنَّ الموشحِ قال (المقدمة ٥٨٤/١١٣٨):

«وكانَ المخترعُ له مجزيرةُ الأندلسِ مُقدِّمُ بنِ مُعافَى القَبْرِيِّ^(١) من شعراءِ الأميرِ عبدِ اللهِ بنِ مُحَمَّدٍ المروانيِّ، وأخذَ ذلكَ عنه أبو عبدِ اللهِ أحمدُ بنُ عبدِ ربِّهِ صاحبُ كتابِ العِقدِ. و(لكن) لم يَظْهَرْ لهما مَعَ المُتأخِّرينَ ذِكْرٌ، وكَسَدَتْ موشحاتُها. فكانَ أوَّلُ من بَرَعَ في هذا الشأنِ عُبادةُ القَزَّازُ شاعرُ المعتصمِ بنِ ضُحاحٍ صاحبِ المَريَّةِ».

إنَّ المتداولَ في تاريخِ الأدبِ أنَّ مُقدِّمَ بنَ مُعافَى القَبْرِيِّ الضَّريرَ هو أوَّلُ الذين قيلَ فيهِم إنَّهم نَظَّموا موشحاتٍ. ولكن لم يَصِلْ إلينا من موشحاتِهِ شيءٌ. أمَّا ابنُ عبدِ ربِّهِ صاحبُ «العِقدِ» فاسمُهُ أبو عُمَرَ أحمدُ بنُ مُحَمَّدٍ بنِ عبدِ ربِّهِ (ت ٣٢٨ هـ). ولست أرى أَنَّهُ نَظَّمَ موشحاتٍ لِسَبَّيْنِ رَئيسَينِ:

١- لم يَصِلْ إلينا موشحاتُ تُنسَبُ إليه.

٢- كانَ ابنُ عبدِ ربِّهِ صاحبُ العِقدِ مُولِعاً بإيرادِ أشياءَ من شعرِهِ في كتابِهِ «العِقدِ» عندَ كُلِّ مُناسبةٍ. ولم نَرَ أَنَّهُ أوردَ شيئاً من التوشيحِ من نَظْمِهِ. ولو أَنَّهُ نَظَّمَ من هذا الفنِّ الجَديدِ الجَميلِ شيئاً لأوردَ مِنْهُ عِدداً من مقاطعِ شعرِهِ الموشحِ كما أوردَ من شعرِهِ المُقَصَّدِ. إلَّا إذا كانَ ابنُ عبدِ ربِّهِ يَعتقدُ أَنَّ ذلكَ الشعرَ الجَديدَ كانَ ضَرْباً من العَبَثِ لا يَلِيقُ بإيرادهُ في كتابِ بُنَيَّ على الجِدا!

وهناك شاعرٌ آخرٌ هو يوسفُ بنُ هرونِ الرَّماديِّ (ت ٤٠٣ هـ = ١٠١٣ م)، وكانَ معاصروه يسمونه «المتنبي» لأنَّهم كانوا يَروُنَ أَنَّهُ في منزلَةِ أبي الطَّيِّبِ. وقد قيلَ إنَّ للرَّماديِّ موشحاتٍ، ولكنَّها لم تصلْ إلينا.

أما أوَّلُ من وصلتْ إلينا موشحاتُهُ فهو أبو بكرٍ عُبادةُ بنُ ماءِ السَّاءِ المتوفى في مالِقَةَ بعدَ شهرٍ صَفَرَ من سَنَةِ ٤٢١ (١٠٣١ م)، وإليه يَرجَعُ الفضلُ في توسيعِ فنِّ

(١) نسبة إلى بلدة قبرة (ياقوت ٤: ٢٩). ثم اقرأ: معافى لا معافر.

الموشح والرقبيّ به. ثم جاء أبو عبادة القزّازُ ففارق أهل عصره في فن التوشيح. ونحن لا نعلم زمن القزّاز بالتأكيد، بل نعرف أنه كان شاعراً في بلاط المعتصم بن صّادح في المريّة. والمعتصم تولى حكم المرية في ٤٤٣ هـ (١٠٥١ م).

ثم اتسع القول في الموشح فنبلغ فيه ابن اللبّانة (ت ٥٠٧ هـ = ١١٣٣ م) والأعشى التّطيلي (ت ٥٣٣ هـ = ١١٣٨ م) وابن بقيّ (ت ٥٤٠ هـ) وابن زُهر (ت ٥٩٦ هـ = ١٢٠٠ م) وابن سهل الإشبيليّ (ت ٦٤٩ هـ = ١٢٥١ م) ولسان الدين بن الخطيب وابن زُمرّك.

- ضعف الموشح لغوياً:

الموشح عملٌ فنيٌّ يجبُ أن يجريَ في الفكرة البارة القريبة والتعبير السهل الأنيق، وإلاّ لم يكن للناظم فضلٌ. إنّ التسهيلَ على الناظم في تحرير الوشاح من رُبقةِ الرّويّ الواحد ومن أسرِ البحر الواحد إنّما قُصِدَ منه إتاحةُ الفرصةِ للوشاح كي يُنفِقَ جُهدَه في اقتناص المعنى الجميل وفي تحيّر التركيب الأنيق. فإذا لم يستطع ذلك لم يَبْقَ لَهُ مَسْوَغٌ في تفضيله الموشحَ على القصيد.

من أجل ذلك كلّهُ لم يكن للوشاح بُدٌّ من أن يكونَ شعره من الناحية اللغوية ضعيفاً لأنّ عنايةَ تنصرفُ إلى المعنى واللفظِ القريبين من الفهم العامّ. ولكن ما كان يجوزُ في الموشح أن يضعفَ حتى يَصِلَ إلى مثل قول أبي القاسم المنيشي (جيش التوشيح ١١٠):

الهوى آله معبود ديننا إلى التوحيد والجزع منا بعيد.

وإذا نظرت فكفــــــــــــــــار ولنا على الذنب إصرار
فما نراعي الربّ وناهيك من ذنب.

- موقف النقاد من الموشح:

إذا كانت الروايات قد جاءت بأن نقرأ من شعراء القرن الرابع - كأبي عمّر

أحمد بن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ) وكان أخيه (واسمه وكُنيتُه أيضاً كاسم عمه وكنية عمه: أبو عمر أحمد بن عبد ربه)، وكالشاعر المشهور يوسف بن هرون الرَّمادي (٤٠٣ هـ = ١٠١٣ م) - قد وشَّحو، فأين موشحاتهم؟ وإذا كانت قد ضاعت فما سبب ضياعها؟ وهل كان ضياع الموشحات الأولى اتفاقاً أو كان إهمالاً مقصوداً نتج من موقف اللوشاحين أنفسهم وللنقاد ومؤرخي الأدب؟

يرى إحسان عباس أن الموشحات « نالت تقدير الأندلسيين منذ البداية.... ولكنها لم تصبح موضع تقييد وتدوين في فترة مبكرة، بل ظلت تُسمع وتُناقل شفاهاً ». أما مصطفى عوض الكريم فكان ظالماً - حتى لا نستعمل نحن كلمة أخرى نكون بها ظالمين له - لما قال: « ومن أقوى الأدلة على أصل الموشحات الأعجمي ازدراء أنصار الشعر التقليدي من العلماء والكتاب للموشحات وارتفاعهم من ايرادها ». إنه قد نسب إهمال الموشحات إلى ازدراء العلماء . ولكنه لم يقل لنا ما الذي أزدروهُ فيه: الشكل؟ أم الأغراض؟ أم الأسلوب؟ - إلا أن يكون جاداً في قوله إن الازدراء له كان لأصله الأعجمي . وليس في زعمه هذا شيء من المنطق. إن العرب - في عصر نشأة الموشحات - كانوا قد بدأوا يأخذون العلم والفلسفة عن الأعاجم.

ولو كانت نظرية عوض الكريم صحيحة لوجب أن يزدرى العرب المسلمون ما جاءهم من العلم والفلسفة عن الأعاجم لأن العلم والفلسفة كانا وثيقي الصلة عند نشأتها في بيئة أسلافنا بالدين - فيما يتعلق بالعقيدة من الفلسفة وفيما يتعلق بأوقات العبادات من العلم. ثم إن الموشح فن عربي أصيل كما سنرى بعد قليل. ولقد كان يكفي في نقض رأي عوض الكريم أن نذكر أن الدكتور شوقي ضيف (وهو الذي كتب مقدمة لكتاب عوض الكريم) قد قال (ص ٨):

« والذي لا ريب فيه أن الموشحة فن أندلسي خالص. وقد تخالف الدكتور مصطفى عوض الكريم في أنها نبعت من الأغاني الإسبانية الأعجمية... ».

ويجسُنُ هنا أن نستعرض موقف نفرٍ من النقاد من الموشحات ومن روايتها في كتبهم أو إهالها قليلاً أو جملة^(١).

أما ابن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ) فقد سبق الكلام على ما يتصل به في شأن نظمه للموشحات وفي شأن غيابها من كتابه، كتاب العقد (راجع، فوق، ص ٤٣٩). وفي أواخر القرن الخامس (أو أوائل السادس) ألف ابن سعد الخير البلسني (ت ٥٢٥ هـ) كتاباً عنوانه « مشاهير الموشحين في الأندلس » أو « نزهة الأنفس وروضة التأنس في توشيح أهل الأندلس ». وفي هذا الزمن نفسه أهمل الفتح بن خاقان الإشبيلي (ت ٥٢٩ هـ) إيراد شيء من الموشحات عند الترجمة لشعراء اشتهروا بالتوشيح كإبن اللبانة (ت ٥٠٧ هـ) وابن باجّه (ت ٥٣٣ هـ) ثم أشار من بعيد إلى الموشحات بكثير من الاستهانة والتحقيق فقال في ثانيا ترجمة أبي القاسم المنيشي المعروف بعصا الأعمى للازمته لقطب التوشيح العظيم الأعمى التطيلي: « ونكّب عن المقطع الجذل إلى الغرض الفسل. وليس من شرط كتابي هذا إثبات بدائه ولا أن أقف جذائه^(٢). وقد أثبت له ما هو عندي نافق ولغرضي موافق » (مطمح الأنفس ٨٨).

ومع أن ابن بسّام (ت ٥٤٢ هـ) قد أبدى إعجاباً بالتوشيح والموشحات فإنه نصّ على أنه لم يورد في كتابه « الذخيرة » شيئاً منها لأنّ « أوزانها خارجة عن غرض الديوان (الذخيرة) إذ أكثرها على غير أعاريض العرب ». وأما الحجاري (ت نحو ٥٥٠ هـ) فقد غنيّ بالموشحات في كتابه « المسهب » الذي تطور على يد نفر من آل سعيد فأصبح كتاب « المغرب في حلي المغرب ».

ولما جعل ابن جبير (ت ٦١٤ هـ) مراثيه^(٣) في زوجه عاتكة (في مجموع) سمّاه

(١) عني الدكتور مصطفى عوض الكريم في كتابه « فن التوشيح » (بيروت ١٩٩٦ م، ص ١١٠ - ١١٦) والدكتور إحسان عباس في كتابه « تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين (بيروت ١٩٦٢ م، ص ٢١٧ - ٢٢١) بهذه الناحية.

(٢) الأصوب: بحذائه (في سبيل صحة السجع).

(٣) تاريخ الأدب الأندلسي: الطوائف والمرابطون، ص ٢١٨.

«نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح» كان في هذا المجموع قصائد وموشحات.

وأورد ابن دحية الكلبي (ت ٦٣٣ هـ) في «المطرب» (ص ٢٠٤ - ٢٠٦) موشحتين لأبي بكر بن زهر مطلعاهما:

★ سدن ظــــــــــــلام الشعور على أوجه كالبدور

★ أيتها الساقى، إليك المشتكى: قد دعوناك وإن لم تسمع

بعد أن قدمها بالمقطع التالي:

«والذي انفرد شيخنا به وانقادت لتخيّله طباعه وأصارت الثبهاء خوّله وأتباعه الموشحات. وهي زبدة الشعر وخلاصة جوهره وصفوته. وهي من الفنون التي أغرب بها أهل المغرب على أهل المشرق وظهروا فيها كالشمس الطالعة والضيء المشرق».

ولعل المؤلف الذي اتخذ موقفاً قاسياً تجاه الموشحات كان عبد الواحد المراكشي (ت ٦٤٧ هـ) فقد ذكر أبا بكر بن زهر في كتابه «المعجب» (ص ٩٢) وأثنى عليه ثم قال: «ولولا أن العادة لم تجر بإيراد الموشحات في الكتب المجلّدة المخلّدة لأوردتُ له بعض ما بقي على خاطري من ذلك».

هذا النص لا يمثل رأي عبد الواحد المراكشي وحده بل يدلُّ أيضاً على أن نفراً كثيرين من المؤلفين في تاريخ الأدب لم يكونوا يألّفون رواية الموشحات إلى جانب القصائد- ربما لاعتقادهم أن تلك نازلة عن هذه! غير أن إحسان عباس يرى أن إهمال الرواية للموشحات كان قاعدة للمؤلفين السابقين على المراكشي، وأن المراكشي ظل يتمسك بهذه القاعدة من غير أن يعلم أنها قد فقدت سلطانها قبل زمنه بقرن على الأقل (٢١٨) تاريخ الأدب الأندلسي: عصر طوائف والمرابطين).

ثم جاء ابن سعيد (ت ٦٨٥ هـ) فعني في كتاب «المغرب» بالموشحات (تقليداً للحجاري مبتدئ) هذا الديوان البارِع) عناية ظاهرة وختم عدداً كبيراً من أقسامه بفصول مستقلة سماها «أهداباً» (أي حواشي) وخصّ بها الموشحات والأزجال أيضاً.

وتقبّل ابن عبد الملك المراكشي (ت ٧٠٣ هـ) الموشحات في كتابه «الذيل والتكملة» قبولاً حسناً إذ وجد لها مكاناً في تراجم أصحابها. وفي أواسط القرن الثامن تكلم ابن خاتمة (ت ٧٧٠ هـ) على نفر من الوشاحين وعلى الموشح نفسه في كتابه «مزيّة المريّة» فقال: «وهذه الطريقة (التوشيح) من مخترعات أهل الأندلس ومبتدعاتهم الآخذة بالأنفس» (أي التاركة في النفس أثراً حسناً وارتياحاً).

ولم يكتفِ لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) بأن يؤلف في التوشيح كتاباً مستقلاً هو «جيش التوشيح»، بل نظم أيضاً عدداً من الموشحات. ونستطيع أن نقول بلا حذر إن أشهر الموشحات هي موشحة لسان الدين مطلعها:

جَادَكَ الْغَيْثُ إِذَا الْغَيْثُ هَمِي، يَا زَمَانَ الْوَصْلَ بِالْأَنْدَلُسِ.

واحتفل ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) بالموشح (التوشيح) والموشحات وخصّها بفصل من مقدمته وبرع في تعريفها وتأريخها حتى أصبح فصله هذا أساساً لكل دراسة جادة في هذا الفن الأندلسي الرائع.

وقد اعتمد المقرئ (ت ١٠٤٠ هـ) فصل ابن خلدون في التوشيح فغرف منه غرافاً (نفع الطيب ٧: ٥ وما بعد) ثم مضى يورد الموشحات حيث وجد إيرادها متسقاً مع نهجه في التأليف.

ولكن يبدو أن النفرة من رفع الموشح إلى مرتبة القصيد ظلت واضحة جداً مدة طويلة حتى بعد سقوط الأندلس (٨٩٧ هـ = ١٤٩٢ م) فإن المقرئ يعتذر في «أزهار الرياض» (٢: ٢٢٧ - ٢٢٨) من إيراد الموشحات (ربما في كتابيه: نفع الطيب وأزهار الرياض) ويقول في ذلك:

«كأني بمنقذ ليس له خيرة... يقول: ما لنا وإدخال الهزل (والمزاح) في معرض الجِدِّ الصُّراح، وما الذي أحوجنا إلى ذكر هذا المنحى، والأليق طرحه كلّ الأطراح؟ فنقول:.... لم تزل كتب الأعلام مشحونة بمثل هذه الأوصاف. وليس مرادهم إيثار الهزل على غيره، وإنما ذلك من باب ترويح القلب وهو أعون على

خيرهُ. وللـسلف في مثل ذلك حكاياتٌ يطولُ جُلُّها... وليس قصدنا نحن بهذا - علم الله - غرضاً فاسداً، وإِنا غرضنا صحيح، وزندنا غير شحيح «^(١)». وليس في هذا القول للمقري مدح للموشح.

نرى مما تقدّم أن موقفَ النُّقاد من «الموشحات» كان موقفاً طبيعياً عادياً. إن «الموشح» فنٌّ من فنون الشعر نشأ في زمنٍ معيّن لغرضٍ مخصوصٍ، ولم يكن حركةً تمثل عبقريةً أمةً كما نرى في الشعر نفسه أو في العلم أو في الفلسفة.

إن الموشحات التي وصلت إلينا نتاجُ القرن الخامس والقرن السادس ثم كثرَ التقليد عند الطبع على غرارها. ثم إنها نشأت للتعبير الوجداني عن موضوعاتٍ شخصية كالغزل والخمر وبعض الوصف، تلك الأغراض التي تأتلف مع الغناء إلى حدٍّ بعيدٍ - وقد كان الغناء من الأسباب التي دعت إلى نشوء فن التوشيح.

بهذا النظر نستطيع أن نقارنَ موقفَ النُّقاد من الموشح بموقفهم من عدد من فنون الأدب وأغراضه: كالطَّرْد والمقامات أو كالرَّجَز أو كالغَزَل المذكَر والهجون عامة. كلُّ هذه الفنون والأغراض نشأت ثم انقرضت بين حدّين في الزمن يتباعدان كثيراً أو قليلاً، ثم كان للنُّقاد منها مواقفٌ مختلفة.

وإذا كان الموشحُ قد خَبَرَ شيئاً من الفُتور لدى نفرٍ من النقاد ومؤرخي الأدب فلأسبابٍ التالية:

- انطواؤه عامّةً على كثيرٍ من الهزل من حيث الأغراض وعلى شيءٍ من التسهل من حيث الأسلوب.
- الضعفُ في التركيب اللُّغوي والنَّحوي.
- اللُّجوءُ في الخُرْجة أحياناً إلى جُمَلٍ وتراكيبٍ عاميةٍ أو عَجَميةٍ (فِرْنَجية).
- قِلّةُ البراعة في كثيرٍ من الموشحات بحيثُ أصبح مجموعُ الموشحات نازلاً في

(١) الزند: حديدة تقدح بها النار من الحجارة. وزندنا غير شحيح (بخيل): نحفظ كثيراً من القصائد، وكان بإمكاننا إيرادها مكان هذه الموشحات.

المرتبة والإجادة عن مجموع القصائد. وبعد، فإذا نَفَرَ نَفَرٌ من النقاد من الموشحات فإن نفرًا آخرين تقبلوها قبولاً حسناً، فلا مُسَوِّعٌ لخلق قضية جادة من أجل ذلك. ولكن بما أن هذه القضية قد ثارت فلم يكن بدّ من هذه الكلمة الوافية.

راجع في النظرية العربية لنشأة الآداب الرومانسية:

Hispano-Arabic Poetry and its Relations with the Old Provençal Troubadours, by A. R. Nykl, Baltimore 1946.

Über the Beziehungen zwischen der arabischen und frühitalianischen Lyrik, von Silvestro Fiore, Köln 1956.

La poésie française 5 troubadours et Trouvères), par France Igly, Collection Mellior, Marabout, Paris, Pierre Seghers, éditeurs, 1960.

رحلة الأدب العربي إلى أوروبا، تأليف محمد مفيد الشوباشي، مصر (دار المعارف)

١٩٦٨ م.

عبادة بن ماء السماء

١ - هو أبو بكر عبادة بن عبد الله بن محمد بن عبادة بن أفلح بن الحسين بن يحيى ابن سعيد بن قيس بن سعد بن عبادة^(١) المعروف بابن ماء السماء ، وُلِدَ في مالقة أو في قرطبة قيل سنة ٣٠٤ هـ - ٩١٦ - ٩١٧ م - (نفع الطيب ٤ : ٢٣) . أمّا دائرة المعارف الإسلامية ففيها (٣ : ٨٥٥) أن مَوْلده كان في مُنتصف القرن الرابع (نحو ٣٥٠ هـ = ٩٦١ م) .

تلقَى عبادة بن ماء السماء العلم على نفرٍ منهم أبو بكر الزبيدي (٣١٦ - ٣٧٩ هـ) . وقد تَكسَّب بالشعر : مدَحَ العَامِرِيِّينَ (أولاد المنصور بن أبي عامر) كما مدَحَ عليّ بن حمّود الفاطميّ صاحب مالقة فقال فيه :

أبوكم عليّ كان بالشرق بدءاً ما ورثتم ، وذا بالغرب أيضاً سميّه .
فصلّوا عليه أجمعون وسلّموا له الأمر إذ ولّاه فيكم وليّه^(٢)

وكذلك مدح الوزير أبا عمر بن حزم ، فيما قيل ، ورثي أبا بكر بن زيدون^(٣) . وكانت وفاة عبادة بن ماء السماء في مالقة بُعيد ٤٢٢ (١٠٣١ م) .

٢ - كان عبادة بن ماء السماء من فحول الشعراء وكان أبرزهم مكانة في زمنه ،

-
- (١) سعد بن عبادة (ت ١٤ هـ = ٦٣٥ م) كان سيّد بني الخزرج في المدينة ومن أصحاب رسول الله .
(٢) في الحديث : « من كنت مولاه فعليّ مولاه » (حديث يوم غدیر خم) .
(٣) ابن حمّود هذا من ملوك الطوائف في مالقة ، جاء إلى الحكم مرّتين (٤١٢ - ٤١٣ و ٤١٦ - ٤٢٧ هـ) وكان فاطميّ الهوى والمنتمى . وقيل في عبادة بن ماء السماء إنه كان معروفاً بالتشيع (نفع ١ : ٤٨٤) .
والوزير أبو عمر أحمد بن سعيد بن حزم المنتجيلي توفي سنة ٣٥١ هـ (جذوة المقتبس ١١٧) . فإذا كان عبادة قد مدحه (جذوة المقتبس ٢٧٥) - والخبران واردان في كتاب واحد - فيجب أن يكون عبادة قد أَسَنَ كثيراً حتّى يكون قد اتّصل (قبل موته بإحدى وسبعين سنة) بوزير . وأمّا أبو بكر عبد الله بن زيدون (ت ٤٠٥ هـ) فهو والد أبي الوليد أحمد بن زيدون الشاعر المشهور (ت ٤٦٣ هـ) .

يُضاف إلى ذلك مُشاركةٌ في علمِ الغِناءِ وفي التنجيمِ. ولعُبادَةُ قصيدٌ وموشحٌ. ويبدو أن الموشحَ كان قد بَقِيَ إلى أيامِهِ بسيطاً قليلَ الاختلافِ عَمَّا عُرِفَ من قَبْلُ من التسميط^(١)، فكان عُبادةُ أَوَّلَ مَنْ جَعَلَ الموشحَ شكلاً من القصيدة قائماً بنفسِهِ، ثم أحدثَ التصفير^(٢). وكان مُصنِّفاً له كتابٌ «أخبار شعراء الأندلس»، قال فيه المقرئ (نفع ٣: ١٧٣) إِنَّه كتاب حَسَنٌ. وبراعة عُبادةَ هذا إنما هي في التوشيح لا في القصيد. وشعره وصف ومدح ورثاء وغزل وخمر.

٣- مختارات من شعره

- قال عُبادةُ بنُ ماء السماء في الغَزَلِ:

إِنَّا الْفَتْحُ هِلَالٌ طَالَعٌ لَاحَ مِنْ أَزْوَارِهِ فِي فَلَكٍ^(٣)
خَدُّهُ شَمْسٌ، وَلَيْلٌ شَعْرُهُ. مِنْ رَأَى الشَّمْسَ بَدَتْ مِنْ حَلَكٍ^(٤)!

- وقال يرثي أبا بكرٍ بنَ زَيْدُونٍ^(٥)، وكان قد تُوُفِّيَ في ضَيْعَةٍ له فنُقِلَ تابوتُهُ إلى قُرْطَبَةٍ:

أَيُّ رُكْنٍ مِنَ الرِّيَاسَةِ هِيضاً وَجَمُومٍ مِنَ الْمَكَارِمِ غِيضاً^(٦)؟
حَمَلُوهُ مِنْ بَلَدَةٍ نَحْوِ أُخْرَى كَيْ يُوَافُوا بِهِ ثَرَاهُ الْأَرِيضاً^(٧)،
مِثْلَ حَمَلِ السَّحَابِ مَاءً طَبِيباً لِتُدَاوِيَ بِهِ مَكَاناً مَرِيضاً^(٨)!

(١) راجع، فوق، ص ٤١٤.

(٢) تاريخ الفكر الاندلسي ١٥٤، السطر الثاني.

(٣) الأزرار: فتحة الثوب عند العنق. الفلك: المرء الذي يدور فيه الكوكب (حول الشمس).

(٤) الحلك: الظلام، شدة السواد.

(٥) راجع، فوق، ص ٤٤٧ للمؤلف الدكتور عمر الحاشية ٣.

(٦) هاض فلان الشيء: كسره. غاض الماء: غار في الأرض.

(٧) الثرى: التراب. الأريض: الزكي الرائحة، المعجب للعين الخليل للخير (راجع القاموس ٢: ٣٢٣).

(٨) طبيباً: كالطبيب - إعرابها: مفعول به ثان من المصدر (حمل) المضاف إلى فاعله (السحاب). وماء (مفعول به أول).

- ولعبادة بن ماء السماء موشحة في الغزل*:

من ولي * في أمة أمراً ولم يعدل * * * * * يعزل * إلا لحاظ الرشا الأكل (١).

جرت في * حُكْمِكَ في قتلي، يا مُسْرِفُ (٢)
فأنصِفِ * فواجب أن يُنصِفَ المنصِفُ،
وآرافِ * فإن هذا الشوق لا يرأف!

عللِ * قلبي بذاك البارد السلسلِ * * * * * ينجلي * ما بفؤادي من جوى مُشعلِ (٣).

إنما * تبرز، كي تُوقد نارَ الفتنِ
صناً * مُصَوِّراً في كلِّ شيءٍ حسنٍ (٤).

إن رمى * لم يُخطِ من دونِ قلوبِ الجن (٥)
كيف لي * تخلص من سهمك المرسلِ * * * * * فصلِ * واستبقي حياً ولا تقتلِ (٦).

يا سنا * الشمسِ ويا أبهى من الكوكبِ
يا منى * النفسِ ويا سُؤلي ويا مَطلبي،
ها أنا * حلَّ بأعدائك ما حلَّ بي! (٧)

(١) من تولى أمراً من أمور الناس..... الرشا: الغزال الصغير. الأكل: الأسمر.

(٢) جار: ظلم.

(٣) علل (فعل أمر من علّ فلان فلاناً: سقاه تبعاً، مرة بعد مرة). البارد (الريق البارد). السلسل: الماء العذب الصافي السهل في المرور في الحنجرة. الجوى: شدة الحب التي تنفضي إلى حزن شديد أو إلى مرض شديد.

(٤) تبرز أنت صنّاً (كالصنم، كالصورة الجميلة).

(٥) الجن (بضم ففتح) جمع جنة (بالضم): وقاية (ترس). المقصود: إن رمي (هذا الغزال) الحبّ بهم من عينيه لم يحطئه (بل أصابه). لم يحطئه من دون قلوب الجن = لم يحطئه القلوب من دون (وراء) الجن.

(٦) صل (فعل أمر من وصل المحبوب بحبه): عطف عليه...

(٧) حلّ بأعدائك ما حلّ بي! (أدعو الله أن ينزل بأعدائك (من الحزن والحياة) مثل الذي نزل بي (لما هجرتني).

عَذَلِي * مِنْ أَلَمِ الْهَجْرَانِ فِي مَعَزَلٍ ** وَالْحَلِي * فِي الْحُبِّ لَا يَسْأَلُ عَمَّنْ بُلِي ^(١).
 أَنْتَ قَدْ * صَيَّرْتَ بِالْحُسْنِ مِنَ الرُّشْدِ غِيًّا.
 لَمْ أَجِدْ * فِي طَرْفِي حَبِّكَ ذَنْباً عَلَيَّ ^(٢).
 فَاتَّقِذْ * وَإِنْ تَشَأْ قَتْلِي، شَيْئاً فَشِي ^(٣).
 أَجْمِلَنْ * وَوَالِي مِنْكَ يَدَ الْمُفْضِلِ ** فَهِيَ لِي * مِنْ حَسَنَاتِ الزَّمَنِ الْمُقْبِلِ ^(٤).
 مَا اغْتَذَى * طَرْفِي إِلَّا بِسَنَا نَاطِرَيْكَ.
 وَكَذَا * فِي الْحُبِّ مَا بِي لَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكَ.
 وَلِذَا ^(٥) * أَنْشِدُ وَالْقَلْبُ رَهِيناً لَدَيْكَ:
 يَا عَلِي * سَلَّطْتَ جَفْنَيْكَ عَلَى مَقْتَلِي ** فَأَبْقَى لِي * قَلْبِي وَجُدَّ بِالْفَضْلِ يَا مَوْئِلِي ^(٦).

٤ - ** جذوة المقتبس ٢٧٤ - ٢٧٥ (الدار المصرية) ٢٩٣ - ٢٩٤ (رقم ٦٦٢)؛ بغية
 الملتبس ٢٨٣ - ٢٨٤ (رقم ١١٢٣)؛ المطمح ٨٤؛ الصلة ٤٢٦؛ الذخيرة ١:
 ٤٦٨ - ٤٨٠؛ المغرب ١: ١١٥، ١٢٥؛ فوات الوفيات ١: ٢٥٤ - ٢٥٧؛ نفح
 الطيب ١: ٢٩٤، ٤٨٤، ٤٨٦، ٤: ٢٣، ٥٢، ٥٣، ١٠٩؛ النخ؛ دائرة المعارف
 الإسلامية ٣: ٨٥٥؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣٠ (٣: ٣٥٨).

- (١) عذلي (لومي لك) على الألم (الذي أحدثته أنت في نفسي بسبب هجرانك لي) في معزل (بعيد عنك): لا
 فائدة من أن ألومك لأن الحلي (الذي لم يعرف الحب بعد) لا يسأل (لا يستطيع أن يدرك ما يعانيه)
 من بلي (من ابتلي بالحب).
- (٢) كلمة «طرفي» قلقه من حيث الوزن ومن حيث المعنى.
- (٣) اتَّقِذْ: تأن، تمهل. إن تشأ أن تقتلني (بحبك) فشيئاً شيئاً: اجعل ذلك شيئاً بعد شيء (حتى لا تكون
 الصدمة في نفسي شديدة).
- (٤) أجملن أو أجل (فعل أمر) عاملني (حتى في هجرك لي وفي محاولة قتلي بحبي لك) بشيء من الإحسان.
 والتي (كذا في الأصل). والى: تابع، نصر، حابي، أحب (ولا معنى لها هنا). ولعل الكلمة من الخطأ
 الطبيعي وصوابها وأولني منك يد المفضل (اصنع بي معروفاً، أحسن إلي).
- (٥) في الأصل: كذا (مكررة من أول السمت السابق). والمعنى يقتضي «لذا» (باللام لا بالكاف).
- (٦) المائل: الملجأ.

الريقق القيروانيّ

١ - هو أبو اسحاق إبراهيم بن القاسم القرويّ أو القيروانيّ - وكلاهما نسبة إلى مدينة القيروان - المغربيّ (نفع الطيب ١: ١٩٣) المعروف بالنديم الرقيق، والريقق لقب له (معجم الأدباء ١: ٢١٦). وقد تولّى ديوان الإنشاء في الدولة الصنهاجية في القيروان (بعد انتقال الدولة الفاطمية إلى مصر) مدة تزيد على عشرين سنة منذ أيام المنصور بن بُلْكَيْن (٣٧٣ - ٣٨٦ هـ) فيما يبدو.

وفي سنة ٣٨٨ هـ (٩٩٨ م) قدّم الرقيق القيروانيّ هدية من نصير الدولة باديس ابن زيري (٣٨٦ - ٤٠٦ هـ) إلى الحاكم بأمر الله الفاطميّ (٣٨٦ - ٤١١ هـ) في مصر، فسّر في مصر وطال فيها مكثه.

وكانت وفاته في القيروان نحو سنة ٤٢٥ هـ (١٠٣٣ م).

٢ - قال ابن رشيقي في الرقيق القيرواني: «هو شاعر سهل الكلام مُحْكَمُه، لطيف الطبع قويّه تلوح الكتابة (!) على ألفاظه؛ قليل الصنعة (في) الشعر، (ولكن) غلب عليه اسم الكتابة وعلم التاريخ وتأليف الأخبار، وهو بذلك أحذق الناس». ويقول ابن خلدون (المقدمة ٤): «وابن الرقيق مؤرخ إفريقية والدول التي كانت بالقيروان. ثم لم يأت بعد هؤلاء (أنداد ابن الرقيق كأبي حيّان) إلّا مُقلِّدٌ...».

وكان الرقيق القيروانيّ أديباً كاتباً مترسلاً وشاعراً مُكثِراً ومؤلّفاً. وشعره سهل عذب ولكن يغلب عليه أحياناً شيء من تكلف أوجه البلاغة تشبهاً بالمشاركة.

وللريقق القيروانيّ تصانيف كثيرة في علم الأخبار منها: كتاب تاريخ إفريقية والمغرب (عدة مجلدات) - كتاب النساء (كبير) - كتاب نظم السلوك في مسامرة الملوك (أربع مجلدات)، ثم له كتاب الراح والارتياح (معجم الأدباء ١: ٢١٦) - معاقرّة الشراب (نفع الطيب ٣: ١٣٢) - قطب السرور (نفع الطيب ١: ١٣٣) في وصف الأنبذة والخمور (بروكلمن ١: ١٦١) أو في إدارة رحي أقحاح الأشربة وإثارة نشوة الأنبذة وكاسات الخمور (بروكلمن، الملحق ١: ٢٥٢).

٣ - مختارات من آثاره

- قال الرقيق القيرواني يذكر مصرَ ويتشوق إلى إخوانه فيها:

هل الريحُ إن سارت مُشرقةً تسري تؤدِّي تحيَّاتي إلى ساكني مصر^(١)
فما خَطَرْتُ إلَّا بَكَيْتُ صَبَابَةً وحملتُها ما ضاق عن حمله صدي.
تراني إذا هَبَّتْ قَبُولًا بنشرهم شَمَمْتُ نَسِيمَ الْمِسْكِ في ذلك النَشْرِ^(٢).
وما أنَسَ من شيءٍ خلا العهدُ دونه، فليس بخالٍ من ضميري ولا فِكْري^(٣).
ليالٍ أنسناها على غُرَّةِ الصِّبا فطابتْ لنا إذ وافقت غُرَّةَ الدهر^(٤).
لعمري لئن كانت قصاراً أعدُّها فلستُ بمُعْتَدٍّ سواها من العُمُر^(٥).
فكم لي بالأهرامِ أو ديرٍ نُهيّةٍ مصايِدَ غِزْلانٍ المكابِدِ والقَفْرِ^(٦).
وكم بين بُستانِ الأميرِ وقصره إلى البركةِ الزهراءِ من زهرٍ نَضْرَا!
وكم بَتَّ في ديرٍ القصيرِ مُواصلاً نهاري بَلِيلِي لا أفيقُ من السُّكْرِ،
تبادرنِي بالراحِ بِكُرٍّ غريرةً إذا هَتَفَ الناقوسُ في غُرَّةِ الفجرِ^(٧)،
مسيحيّةً خوطيّةً كلِّها اثنتان تشكَّتْ أذى الزُّنارِ من دَقَّةِ الخصرِ^(٨).
سقى الله صوبَ القصرِ تلكَ مغانياً وإن غَنِيَّتْ بالنيلِ عن سُبُلِ القطرِ^(٩)!

- وقال يَصِفُ مِصرَ في مطلع قصيدة مدح فيها باديس بن زيري:

- (١) تسري: (تهب) ليلاً.
- (٢) قبُولًا: من الجنوب. النشر: الرائحة.
- (٣) لو نسيت كلَّ ما مرَّ بي في الزمن الخالي (الماضي) لما نسيت أيام اقامتي في مصر.
- (٤) الغُرَّة: أوَّلُ الشيء وبدؤه. غُرَّة الصبا: الشباب. غُرَّة الدهر: اقبال الدنيا على الإنسان (النجاح والثروة والصحة).
- (٥) لم ترد «معتد» في القاموس المحيط. وقد جاء في القرآن الكريم: «فما لكم عليهنَّ من عدَّةٍ (بكسر العين) بقاء المرأة في عزلة بعد الطلاق أو بعد وفاة زوجها) تعتدونها». والشاعر قال: فلست بمعتدٍّ سواها: لا أعد غيرها.
- (٦) المكابِد (٤).
- (٧) الغريرة: القليلة التجربة والاختبار.
- (٨) خوطيّة تشبه الخوط: الفصن الرفيع الطريّ (كناية عن الشباب ورشاقة الجسم).
- (٩) صوب القصر (كذا في الأصل). لعلها صوب القطر (المطر) فيكون المعنى: سقى الله تلك المغاني (الأماكن المعمورة بالسكان) صوب القطر (المطر الكثير).

إذا ما ابنُ شهرٍ قد لَبَسنا شَبَابَه بدا آخرٌ من جانبِ الأفقِ يَطلُعُ^(١)
إلى أنْ أَقَرَّتْ جِيزَةُ النِّيلِ أَعْيُنَا كما قَرَّ عَيْنَا طَاعِينَ حِينَ يَرْجِعُ^(٢).
- وقال يتغزلُ في مقدمة قصيدة للمديح أيضاً:

أظالمَ العَيْنَيْنِ يَخْلِطُهَا سِحْرُ، وإن ظَلَمَ الحَدَّانَ وَاهْتَضِمَ الحَصْرُ^(٣).
أعوذُ ببرِّدٍ من ثَنِيَاكِ قَد تَنَى إليك قُلُوبًا حَشَوُا أَثْنَاهَا جَمْرُ^(٤)!

- وقال في «قطب السرور» يصف عبد الوهَّاب بن حسين بن جعفر الحاجب (نفع
الطيب ١: ١٩٣ - ١٩٤):

... كان واحدَ عصره في الغناء الرائق والأدب الرائع والشعر الرقيق واللفظ
الأنيق ورقة الطبع وإصابة النادر والتشبيه المصيب... وكان قد قَطَعَ عُمُرُهُ وأَفْنَى
دهره في اللهو واللَّعبِ والفُكاهة والطَّرَبِ. وكان أعلم الناس بضرب العود واختلاف
طرائقه وصنعة اللُّحُونِ. وكثيراً ما يقولُ المعاني اللطيفة في الأبيات الحسنة ويصوغُ
عليها الألحانَ المطربة البديعة المُنْجِبة اختراعاً منه وحِذْقاً. وكان له في ذلك قريحةٌ
وطبعٌ..... وكان بعيدَ الهمة سَمَحاً بما يَجِدُ. تُغَلُّ عليه ضياعُه كلَّ عامٍ أموالاً جليلةً
فلا تحوُلُ السَّنَةُ حتَّى يُنْفِدَ جميعَ ذلك ويستسلفَ غيره.....

٤ - قطب السرور في أوصاف الخمور (تحقيق أحمد الجندي)، دمشق (مطبوعات المجمع العلمي
العربي) ١٩٦٩ م.

(١) ابن شهر: الهلال، القمر. لبسنا شبابه، لبسناه: قضيناه، مرَّ وانقضى. بدا آخر = بدا هلال آخر
جديد (كناية عن سرعة مرور الأيام).

(٢) الجيزة = الهجاز (الجانب الآخر من النهر). جيزة مصر: الضفة الغربية من نهر النيل جنوب القاهرة.
قَرَّتْ الأعين: فرحت واطمأنت وسكنت. الطاعن: المرتحل عن أهله.

(٣) ظالمة العينين: عيناها تظلمان المحبين (تضنيهم، تمرضهم، تقتلهم). وإن ظلم الحدَّان (وإن كانت نسبة
الظلم إلى العينين وحدها ظلماً للعينين، لأنَّ خَدَيِ هذه الفتاة يفعلان فعل عينيها أيضاً). واهتضم
الحصر (هضم حق الحصر أيضاً لأنه هو أيضاً يفعل فعل العينين). وفي الكلمة تورية (معنيان)، اهتضم
الحصر: أصبح هضياً = نحيلاً.

(٤) أعوذ: ألتجأ، احتتمي. الثنايا: الأسنان. إن حرارة العشق التي يشعر بها العاشق في قلبه لا يبردها
سوى قبلة من ثغر الحبيبة.

- تاريخ افريقية والمغرب: قطعة منه (تحقيق المنجي الكمي)، تونس (الناشر: رفيق السقطي) ١٣٧٨ هـ = ١٩٦٨ م، جزء منه (تحقيق أحمد الجندي)، دمشق (المجمع العلمي العربي؟) ١٩٦٩ م.

★ ★ الأنودج ٢٧ - ٣٤، معجم الأدباء ١: ٢١٦ - ٢٢٦، الوافي بالوفيات ٦: ٩٢ - ٩٦،
نفع الطيب ١: ١٤٤ - ١٤٥، ١٩٣ - ١٩٦، دائرة المعارف الإسلامية ٣:
٩٠٢ - ٩٠٣، بروكلمن ١: ١٦١، الملحق ١: ٢٥٢، الأعلام للزركلي ١: ٥١ - ٥٢
(٥٧)، الجمل في تاريخ الأدب التونسي ١٢١.

أبو عامر بن شهيد

١ - هو أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد، وُلِدَ في قرطبة سنة ٣٨٢ هـ (٩٩٢ م) وكان أبوه الأديب الوزير عبد الملك بن شهيد شيخاً كبيراً مريضاً يميل إلى النُسك. من أجل ذلك لم يتمتع الطفل الصغير بشيء من مال أبيه ولا جاءه أبيه إلا ما كان يُبديه نحوه المنصور بن أبي عامر من الإنعام والعطف. ثم مات الأب وللطفل من العمر نحو إحدى عشرة سنة.

ومَعَ ذلك فقد نشأ أبو عامر بن شهيد جواداً عزيز النفس ثم نال قسطاً كبيراً من العلم والآداب وفاز بنصيب من علم الطب. غير أنه ما كاد يبلغ مبلغ الشباب ليأخذ بحظّه من الدنيا حتى ثارت الفتن في قرطبة فضاع فيها شبابه وعلمه وأدبه وعمره. واضطّر أبو عامر بن شهيد في سبيل الحصول على الرزق إلى أن يتطوّف بشعره للتكسّب من الذين كانوا يتنازعون الحكم على قرطبة وعلى عددٍ من المدن الأندلسية كمالقة والمرية ودانية: مدح سليمان الأموي الذي جاء إلى الخلافة مرتين قصيرتين (سنة ٤٠٠ ثم من أواخر ٤٠٣ إلى مطلع ٤٠٧ هـ) والمعتلي بن حمّود المستبدّ بقرطبة (٤١٢ - ٤١٣ هـ). ثم إنه وزر لعبد الرحمن المستظهر الأموي الذي جاء إلى الخلافة نحو شهرين (٤١٤ هـ). وأخيراً لجأ إلى بلاط الخليفة هشام المعتدّ (٤١٨ - ٤٢٢ هـ) - آخر الأمويين في قرطبة - فكان جليساً له وندياً.

وظنّ أبو عامر بن شهيد أنّ حظّه من العامريين (نسل المنصور بن أبي عامر بن

تَوَلَّوْا حُكْمَ عَدَدٍ مِنَ الْبِلَادِ فِي تِلْكَ الْحِقْبَةِ أَوْفَرُ، فَلَمْ يَتَحَقَّقْ ظَنُّهُ حَتَّى أَنْ مُجَاهِدًا
الْعَامِرِيُّ صَاحِبَ دَانِيَّةٍ (٤٠٨ - ٤٣٢ هـ) وَمِيُورَقَةَ، فِي بَعْضِ تِلْكَ الْفَتْرَةِ، قَطَعَهُ وَلَمْ
يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ.

وَكَانَ أَبُو عَامِرٍ بْنُ شَهِيدٍ أَصَمًّا، كَمَا كَانَ يَشْكُو مِنْ ضَيْقِ التَّنَفُّسِ (الرَّبْوِ!). وَقَوِيَ
مَرَضُهُ سَنَةَ ٤٢٥ هـ فَبَقِيَ طَرِيحَ الْفَرَاشِ يَحْتَمِلُ الْآلَامَ بِصَبْرِ بَالِغٍ حَتَّى وَافَتْ
مَنِيَّتُهُ فِي آخِرِ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سَنَةِ ٤٢٦ (١١/٤/١٠٣٥ م) فِي قَرْطَبَةِ.

٢- أَبُو عَامِرٍ بْنُ شَهِيدٍ شَاعِرٌ نَائِرٌ نَاقِدٌ مُكَثِّرٌ مُطِيلٌ مُجِيدٌ وَمُقَدَّرٌ فِي كُلِّ ذَلِكَ،
وَهُوَ قَرِيبُ الشَّبهِ بِشُعْرَاءِ الْمَشْرِقِ وَعَلَى شَعْرِهِ لَحْةٌ مِنَ الْبَدَاوَةِ. وَكَانَ مِنْ أَعْلَمِ أَهْلِ
الْأَنْدَلُسِ بِالْأَدَبِ وَالشَّعْرِ وَأَقْسَامِ الْبَلَاغَةِ بَارِعًا فِي جَمِيعِ الْفُنُونِ.

وَأَدَبُهُ وَجْذَانِيٌّ فِلْسَفِيٌّ وَعَاطِفِيٌّ مُوَضَّوعِيٌّ فِي وَقْتٍ مَعًا، تَجَدُّ فِيهِ الشَّكْوَى إِلَى
جَانِبِ الْفُكَاهَةِ وَالْتِمَاسُ إِلَى جَانِبِ الدُّعَابَةِ. وَفِي أَدَبِهِ أَيْضًا تَأَنُّقٌ وَتَكَلُّفٌ أحيانًا
وَصِنَاعَةٌ يَكْثُرُ فِيهَا الْجِنَاسُ وَالْمِيلُ إِلَى اسْتِعْمَالِ الْغَرِيبِ، كُلُّ ذَلِكَ مَعَ سُرْعَةٍ فِي
الْبَدِيعَةِ وَمَقْدَرَةٍ عَلَى الْإِرْتِحَالِ.

وَفُنُونُ شَعْرِهِ الْمَدِيحُ وَالرِّثَاءُ وَالْهَجَاءُ وَالْوَصْفُ الْبَارِعُ لِمَظَاهِرِ الطَّبِيعَةِ وَاللَّاتَارِ
الْعُلُويَّةِ خَاصَّةً (الْجَوِّ وَالسَّمَاءِ) وَهُوَ مَفْرُغٌ بِاسْتِخْرَاجِ الصُّورِ الْغَرِيبَةِ الْمُبْتَكِرَةِ. وَلَهُ
نَسِيبٌ وَغَزَلٌ وَإِخْوَانِيَّاتٌ. غَيْرَ أَنَّنَا نَلْمَحُ فِي شَعْرِهِ أَخْذًا كَثِيرًا مِنْ مَعَانِي أَهْلِ الْمَشْرِقِ
حَتَّى لَكَأَنَّهُ يَتَعَمَّدُ ذَلِكَ.

ثُمَّ لَهُ تَصَانِيفٌ غَرِيبَةٌ عَجِيبَةٌ مِنْهَا: كَشْفُ الدَّكِّ وَإِيضَاحُ الشَّكِّ - حَانُوتُ
عِطَارٍ - التَّوَابِعُ وَالزَّوَابِعُ^(١).

وَرِسَالَةُ التَّوَابِعِ وَالزَّوَابِعِ قِصَّةٌ خَيَالِيَّةٌ جَعَلَ ابْنُ شَهِيدٍ مَسْرَحَهَا فِي وَادِي الْجِنِّ
مِنْ دُنْيَانَا هَذِهِ وَجَعَلَ دَلِيلَهُ فِي ذَلِكَ الْوَادِي جِنِّيًّا اسْمُهُ زَهِيرُ بْنُ نُمَيْرٍ مِنْ بَنِي أَشْجَعٍ

(١) التَّابِعُ وَالتَّابِعَةُ: الْجَنِّيُّ وَالْجَنِّيَّةُ يَكُونَانِ مَعَ الْإِنْسَانِ يَتَّبِعَانِهِ حَيْثُ ذَهَبَ الزُّبَيْعَةُ اسْمُ شَيْطَانٍ أَوْ
رَئِيسٍ لِلْجِنِّ.

الجنّ (وابن شهيد من بني أشجع أيضاً). وفي هذه القصّة يستعرض ابن شهيد عدداً من المُشكلات البيانية والأدبية مع نَفَرٍ من الجنّ الذين يتبدّون في صُورٍ مختلفة (في صور البغال والحمير والأوز، الخ) في أسلوب قصصيّ تقديّ مَرِحٍ يميلُ مرّةً ذات الهزل ومرّةً ذات الجدّ. هذه الرسالة تذكّرنا بقصّة أبي العلاء المعري رسالة الغفران. غير أن رسالة الغفران أشهر.

ويرى زكي مبارك^(١) أن رسالة التوابع والزوابع وُضِعَتْ بعد سنّة ٤٠٣ هـ (١٠١٢ م) بقليل، وقبل (أن كتّب المعريّ رسالته بعشرين سنّة أو تزيد) ووجهها إلى أبي بكر بن حزم^(٢).

٣ - مختارات من آثاره

قال أبو عامر بن شهيد في الغزل وهو ينظر إلى معاني نفر من الشعراء المشاركة:

أصبحُ شَيْمَ أم برق بدا	وسنى المحبوب أورى أُنْدا ^(٣) !
هَبَّ من مرّقه منكسراً	مُسْبِلاً للكمّ، مُرْخٍ للردا،
يسح النعسة من عيني رشاً	صائدٍ في كل يوم أسداً ^(٤)
أوردتْهُ لَطْفاً آياته	صفوة العيش وأرعته دداً ^(٥)
فهو من دلّ عَراه زُبدة	من صريح لم يخالط زبداً ^(٦)

(١) للدكتور زكي مبارك في كتابه النثر الفني في القرن الرابع (القاهرة ١٣٥٢ هـ = ١٩٣٤ م، ج ٢: ص ٢٥٨ - ٢٧٠) بحث مفصّل في هذه القصّة وفي الصلة بينها وبين رسالة الغفران.

(٢) أبو بكر بن حزم هو أخو أبي محمد بن حزم الفقيه الأديب المشهور (ت ٤٥٦ هـ). وقد توفّي أبو بكر

أبن حزم قبل أخيه أبي محمد.

(٣) شيم: رؤي (فعل مبني للمجهول من « شام »). السنى: ضوء البرق. أُنْدا جمع زند (بسكون النون):

حديدة تقدح بها النار من الحجر الصوّان. أورى زنداً: أشعل ناراً.

(٤) الرشأ: الغزال الصغير.

(٥) أورده: أسقاها، أخذه إلى الماء. أرعته: تركته يرعى، أخذته إلى المرعى. الدد: اللهو. آياته (ألوان

حسنه وجماله) جعلت الاهتمام به كبيراً فنشأ منها.

(٦) الدلّ: الدلال، الفنج، تظاهر المحبوب بغير الرضا وهو راض. زبدة: نخبه، خلاصة، أحسن ما في =

قلتُ: « هَبْ لي يا حبيبي قُبْلَةً
فَأَنْتَنِي يَهْتَرُ مِنْ مَنْكِبِهِ
كُلَّمَا كَلَّمَنِي قَبَّلْتُهُ،
شَرِبْتُ أَعْطَافَهُ مَاءَ الصَّبَا
وَمِنْ نَسِيبِهِ الْبَارِعَ الَّذِي يَخَالِطُهُ مَجُونُ:

وَلَمَّا تَمَلَّأَ مِنْ سُكْرِهِ وَنَامَ وَنَامَتْ عَيُونُ الْعَسَسِ^(١).
دَنَوْتُ إِلَيْهِ عَلَى بُعْدِهِ دَنُوَ رَفِيقٍ دَرَى مَا أَلْتَمَسَ.
أَدَبَ إِلَيْهِ دَيْبَ الْكَرَى وَأَسْمَوْا إِلَيْهِ سُمُوَ النَّفْسِ.
وَبَتَّ بِهِ لَيْلَتِي نَاعِماً إِلَى أَنْ تَبَسَّمَ ثَغْرُ الْغَلَسِ^(٥).
أَقْبَلُ مِنْهُ بِيَاضِ الطُّلَى وَأَرْشِفُ مِنْهُ سَوَادَ اللَّعَسِ^(٦).

- وقال يمدح يحيى المعتلي بالله بن حمود ويصف في أثناء ذلك شعره ونفسه ويشكو الناس والأيام، من ذلك قوله: (ونلمح هنا حيناً نفس المتنبي وحيناً نفس أبي نواس):

- = الأشياء . الصريح: الخالص الصافي (من النسب أو من الأشياء المادية). الزبد: ما يطفو على وجه السيل (أو الشراب) مما لا قيمة له ولا فائدة منه.
- (١) تبريح: تعذيب. الصدى: العطش.
- (٢) إمّا قال قولاً: إن ما قال قولاً: إذا قال قولاً كَلَّمَنِي كثيراً فكنت أقبله حتّى انتهى الكلام (لكثرة ما قبّلتَه) فجعل يردّد (يعيد) الكلام.
- (٣) الأعطاف جمع عطف (بكسر العين): جانب الجسم. عربد الرجل: أخرجه السكر عن طوره فقال كلاماً مسيئاً أو فعل أفعالاً مؤذية.
- (٤) العسس: الحرس، الحراس.
- (٥) الغلس: الظلام.
- (٦) الطلى جمع طلية (بضمّ الطاء): العنق، جانب العنق. اللعس: السمرة في الشفاه.

وما في إلا الشعر أثبتته الهوى
أفوه به - لم آتته متعرضاً
فإن طال ذكرى بالمجون فإني
وهل كنت في العشاق أول عاشق
وإن طال ذكرى بالمجون فإنها
فراق وسجن واشتياق وذلة
فمن مبلغ الفتيان أنني بعدهم
مقيم بدار ساكنوها من الأذى
وقلت لصدايح الحمام وقد بكى
ألا أيها الباكي على من تحبه،
وما زال يُنيكني وأبكيه جاهدًا
إلى أن بكى الجدران من طول شجوننا
أطاعت أمير المؤمنين كتائب

فسار به في العالمين فريد^(١).
لحسن المعاني - تارة فزيد^(٢).
شقي بظلم الكلام سعيد^(٣).
هوت بحجاه أعين وخدود^(٤)؟
عظام لم يصبر لهن جليد^(٥).
وجبار حفاظ علي عتيد^(٦).
مقيم بدار الظالمين وحيد:
قيام على جمر الحمام قعود^(٧).
على القصر إلفاً والدموع تجود^(٨).
كلانا معنى بالخلاء فريد^(٩).
وللشوق من دون الضلوع وقود^(١٠)؛
وأجهش باب جانباه حديد^(١١).
تصرف في الأموال كيف يريد^(١٢)

- (١) فريد: (لا مثل له)، يعني الشاعر بذلك نفسه.
(٢) مع أنني لا أطلب المعاني فإن في شعري من المعاني أكثر مما في شعر غيري.
(٣) إذا أكثر الناس من القول بأنني ماجن (خليع، هاجم على اللذات)، فهذا الكلام يشقني (يوسفني، يجزني) لأن قائله يقصد اهاتني. كما أنني في الوقت نفسه سعيد بهذا الكلام لأنه يدل على شبابي ونشاطي.
(٤) أضاع حجاه (عقله) لما رأى عبون الحسان وخدودهن.
(٥) وإذا اشتهر عني أنني ماجن فلأن الإغراء الذي نلقاه من الحسان الجميلات لا يستطيع الإنسان أن يقاومه مهما يكن جليداً (صبوراً مالكا لعواطفه).
(٦) الحفاظ: الملائكة الذين يكتبون حسنات المرء وسيئاته. جبار حفاظ (الذي يتولى الرقابة علي من هؤلاء جبار لا يتساهل معي في شيء!) عتيد: حاضر (لا يفارقني، يرى كل ما أعمله).
(٧) قيام على جمر الحمام قعود: (متعرضون للموت في كل حين!).
(٨) يبكي على إلف (بكسر الهمزة) حبيب. على القصر (طائر الحمام الواقف على سطح القصر).
(٩) كلانا معنى بالخلاء فريد: كل واحد منا يجب أن يكون وحده في مكان خال من الناس.
(١٠) من دون الضلوع وقود (في طي الضلوع اشتعال).
(١١) الشجو: الحزن. أجهش: تهيأ للبكاء (بكى). حتى الباب الذي هو من حديد بكى حزناً علينا.
(١٢) تصرف في الأموال (٩): تتصرف هي بالأموال (٩).

فللشمس عنها بالنهار تأخر، وللبدّر عنها بالظلام صدود^(١)،
ألا إنها الأيام تلعب بالفتى: نحوس تهادى تارة وسعود.
[تقول التي عن بيتها خف مركبي:] أقرّبك داني أم نواك بعيد^(٢)؟
فقلت لها: أمري إلى من سمّته به إلى المجد أباء له وجود:
إلى المغتلي عاليت همي طالبا لكرّته، إنّ الكريم يعود^(٣)؛
همام أراه جوده سبل العلى، وعلمه الإحسان كيف يسود!

- رسالة التوايع والزوايع (مطلع الفصل الأول):

تذاكرت يوماً مع زهير بن نُمير أخبار الخطباء والشعراء وما كان يألّفهم^(٤) من
التوايع والزوايع، وقلت: هل حيلة في لقاء من اتفق منهم؟ قال: حتى أستأذن
شيخنا. وطار عني ثم انصرف^(٥) كلمع بالبصر - وقد أذن له - فقال: حلّ على متن
الجواد.

فصرنا عليه وسار بنا كالطائر يجتاب الجو فالجو، ويقطع الدوّ والدوّ^(٦)؛ حتى
التمحّت أرضاً لا كأرضنا، وجوّاً لا كجوّنا متفرّع الشجر عطر الزهر. فقال لي:
حللت أرض الجنّ، أبا عامر! فمن تريد أن نبداً؟ قلت: الخطباء أولى بالتقديم،
لكنني إلى الشعراء أشوق. قال: فمن تريد منهم؟ قلت: صاحب امرئ القيس.
فأمال العنان^(٧) إلى وادي من الأودية ذي دوح، تنكسر أشجاره وتترنم أطيّاره،
فصاح: يا عتبة بن نوفل، بسقط اللوى فحومل ويوم دارة جلجل^(٨)، إلا ما عرّضت

- (١) هي أجمل من الشمس في النهار وأجل من القمر في الليل (٢) - للبدّر صدود عنها (لأنه يغار منها).
- (٢) الشطر الأول لأي نواس. أتعود قريباً أم أفى سفرتك بعيدة؟
- (٣) عاليت همي: صعدت فوق همي (لم أبال بهمي لما قصده). لكرّته: (حتى يعود إلى ما عودني من كرمه).
- (٤) من كان من الجنّ يألّف البشر (ويعيش معهم).
- (٥) ثم انصرف راجعاً.
- (٦) اجتباب: قطع. الدوّ: الفلاة، الصحراء الواسعة.
- (٧) العنان: عنان الفرس. أمال العنان: عطف بنا (نحو وادي الجن).
- (٨) بسقط (الباء في « بسقط » للقسم). أقسم عليك بسقط اللوى فحومل ويوم دارة جلجل (سقط اللوى وحومل ودارة جلجل أماكن المذكورة في معلقة امرئ القيس).

علينا وجهك وأشدتنا من شعرك (ثم) سمعت من هذا الإنسي وعرفتنا كيف إجازتك له^(١).

فظهر لنا فارسٌ على فرسٍ شقراء كأنها تلتهبُ، فقال: حيّاك الله يا زهير - وحيا صاحبك. أهو فتاهم^(٢)؟ قلتُ: هو هذا؛ وأي جمرّة، يا عتيبة! - وقال يتخيّل أنه يتحدث وصديقاً له في قبرها (وهي أبيات كانت مكتوبة على شاهد قبره):

يا صاحبي، قُمْ فقد أَطَلْنَا، أَنَحْنُ طَوَّلَ الْمَدَى هُجُودُ؟^(٣)
فقال لي: لَنْ نَقُومَ مِنْهَا مَا دَامَ مِنْ فَوْقِنَا الصَّعِيدُ^(٤).
تَذْكُرُ كَمْ لَيْلَةٍ نَعِمْنَا فِي ظِلِّهَا، وَالزَّمَانُ عَيْدُ؟
كُلُّ كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ تَقْضَى وَشُؤْمُهُ حَاضِرٌ عَتِيدُ^(٥)
حَصَّلَهُ كَاتِبٌ حَفِظُ وَضَمَّهُ صَادِقٌ شَهِيدُ^(٦).
يَا وَيْلَنَا إِنْ تَنَكَّبْنَا رَحْمَةً مِنْ بَطْشِهِ شَدِيدُ^(٧).
يَا رَبِّ، عَفَوَا! فَأَنْتَ مَوْلَى قَصَرَ فِي شُكْرِهِ الْعَبِيدُ.

- ٤ - ديوان ابن شهيد الأندلسي (جمعه وحققه يعقوب زكي)، القاهرة (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر) بعد ١٩٥٨ م، (تحرير شارل بلا)، بيروت ١٩٦٣ م.
- حانوت عطار (تحقيق ابن تاويت الطنجي)، القاهرة ١٩٥١ م.
- رسالة التوايع والزوايع (صححها... بطرس البستاني)، بيروت (دار صادر) ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م.

- (١) كيف إجازتك له = ما تقول في جودة شعره.
(٢) أهو فتاهم (أهذا من البشر!). وأي جمرّة من جمرات العرب! مثل يضرب للرجل القوي البارع.
(٣) فقد أطلنا = فقد أطلنا النوم. هجود: نائمون.
(٤) الصعيد: التراب (الأرض).
(٥) عتيد: حاضر، معدّ.
(٦) لكلّ إنسان في الدنيا كاتبان حفيظان عليه موكلان به يكتب أحدها حسنات الإنسان ويكتب الثاني سيئاته. ثم يأتي كلّ إنسان يوم القيامة ومعه سائق به إلى الحساب وشهيد على أعماله في الدنيا.
(٧) تنكبتنا: مالت عنا. انصرفت عنا (لم يشملنا الله برحمته). من بطشه شديد = الله.

*** ابن شهيد الأندلسي: حياته وآثاره، تأليف شارل بلا (منشورات الجامعة الأردنية - كلية الآداب)، عمّان (جمعية عمّال المطابع التعاونية) بلا تاريخ (بعد ١٩٦٥ م).

جذوة المقتبس ١٢٤ - ١٢٧ (الدار المصرية) ١٣٣ - ١٣٦ (رقم ٢٣٢)؛ بغية الملتبس ١٧٧ - ١٧٨ (رقم ٤٣٧)؛ المطمح ١٦ - ٢٢؛ الذخيرة ١٩١: ١ - ٣٣٦؛ المغرب ١: ٧٧ - ٧٨؛ إعتاب الكتاب ٢٠٣ - ٢٠٥؛ الخريدة (المغرب والاندلس) ٥٥٥ - ٥٦١؛ المطرب ١٥٨ - ١٦٣؛ معجم الأدباء ٢: ٢٢٠ - ٢٢٣؛ الوافي بالوفيات ٧: ١٤٤ - ١٤٨؛ خريدة الأندلس ٤٢٦ (محمد بن عبد الملك)؛ وفيات الأعيان ١: ١١٦ - ١١٨؛ شذرات الذهب ٣: ٢٣٠؛ نفح الطيب ١: ٣٨٠ - ٣٨٢، راجع ٣٥٦ - ٣٦٠، ٦٢١ - ٦٢٣؛ النثر الفني لزكي مبارك ١: ٢٥٨ - ٢٧٠؛ ٢: ٤٨ - ٥٨، ٣٠٢ - ٣١٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٣٨ - ٩٤٠؛ بروكلمن، الملحق ١: ٤٧٩؛ الأعلام للزركلي ١: ١٥٧ (١٦٣)؛ داية ٢٩٣ وما بعد؛ بالنشيا ٧٣ - ٧٤، ٢٠٧.

ابن مغلّس البُلنسيّ

١ - هو أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن السيد القيسي البُلنسيّ الأندلسي، قرأ الأدب على أبي العلاء صاعد بن الحسن الربيعي (ت ٤١٧ هـ) ثم رحل من الأندلس إلى مصر واستوطنها.

وقيل قرأ في مصر على النجيري. ثم إنه دخل بغداد فقرأ على نفر من علمائها كما قرأ عليه فيها جماعة من طلاب العلم. وكانت وفاته في مصر، في ٢٤ من جمادى الأولى من سنة ٤٢٧ (١٠٣٦/٣/٢٥ م).

٢ - ابن مغلّس البُلنسيّ من أهل العلم باللغة والنحو مشهور. وهو شاعرٌ كثيرٌ مُجيدٌ، وله ديوان. وقد كانت بينه وبين إسماعيل بن خلفٍ معارضاة (يردُّ أحدهما على الآخر في قصائد).

٣ - مختارات من شعره

قال ابن مغلّس البُلنسيّ في النسب:

مريضُ الجفونِ بلا عِلّةٍ، ولكن قلبي به مُعرَضُ.

أَعَانَ السُّهَادَ عَلَى مُقْلَتِي بَقِيضِ الدَّمُوعِ فَمَا تُفْعِضُ.
وَمَا زَارَ شَوْقًا، وَلَكِنْ أَتَى يُعْرِضُ لِي أَنَّهُ مُعْرِضُ.

وقال في الحَمَامِ وما يجتمع فيه من أخلاط الناس:

وَمَنْزِلِ أَقْوَامٍ إِذَا مَا اغْتَدَوْا بِهِ تَشَابَهَ فِيهِ وَغَدُهُ وَرِئِيسُهُ.
يُخَالِطُ فِيهِ الْمَرْءَ غَيْرَ خَلِيطِهِ وَيُضْحِي عَدُوَّ الْمَرْءِ وَهُوَ جَلِيسُهُ.
يُفَرِّجُ كَرْبِي إِنْ تَزَايَدَ كَرْبُهُ وَيُؤْنِسُ كَرْبِي أَنْ يُعَدَّ أَنْيسُهُ.
إِذَا مَا أَعَزَّتْ الْمَاءَ حَوْضًا تَكَاثَرَتْ عَلَى مَائِهِ أَقْمَارُهُ وَشُمُوسُهُ.

٤ - ** وفیات الأعيان ٣: ١٩٣ - ١٩٤؛ جذوة المقتبس ٢٦٩ (الدار المصرية) ٢٨٨ (رقم ٦٤٥)؛ بغية الملتبس ٣٧١ (رقم ١٠٨٨)؛ الصلة ٣٥١؛ بغية الوعاة ٣٠٧؛ نفع الطيب ٢: ١٣٢ - ١٣٣؛ الأعلام للزركلي ٤: ١٣٦ (١٣).

ابن أبي الرجال

١ - هو أبو الحسن علي بن أبي الرجال الشيباني الكاتب المغربي القيرواني، من أهل فاس ولكنه عاش مدة في بلاط المعز بن باديس (٤٠٦ - ٤٥٤ هـ) وكان رئيس ديوان الإنشاء في الدولة الصنهاجية. وهو الذي لقن المعز العلوم. ولعله شارك القوهي في أرصاده التي كان يقوم بها في بغداد (في الثلث الثالث من القرن الرابع - أواخر القرن العاشر للميلاد). وكانت وفاته سنة ٤٢٦ (١٠٣٤ - ١٠٣٥ م)، أو بعد بضع سنوات أخرى.

٢ - يبدو أن ابن أبي الرجال كان من ذوي الميل إلى العلوم الرياضية، ألف كتاب «البارع» في التنجيم، ولكن كتابه هذا جاء غامضاً ضعيف التركيب (كأكثر الكتب في هذا الموضوع). ثم إنه كان أديباً ناثراً وشاعراً متين السبك رقيق الكلام؛ من فنونه الفخر والحكمة والغزل والعتاب والخمر. كان ابن أبي الرجال بتاهرت فتذكر أهل القيروان فقال:

وَلِي كَيْدٌ مَكْلُومَةٌ مِنْ فِرَاقِكُمْ أَطْمَئِنُّهَا صَبْرًا عَلَى مَا أَجَنَّتْ.
تَمَنَّيْتُكُمْ شَوْقًا إِلَيْكُمْ وَصَبُورَةً عَسَى اللَّهُ أَنْ يُدِنِي لَهَا مَا تَمَنَّتْ.
وَعَيْنٌ جَفَاها النُّومُ وَاعْتَادَهَا الْبُكَاءُ إِذَا عَن ذِكْرِ الْقَيْرَوَانِ اسْتَهَلَّتْ!

وقد علّق ابنُ رَشِيقٍ على هذه الأبيات بقوله: «فلو أن أعرابياً تذكّرَ نَجْدًا فحنَّ به إلى الوطنِ أو تشوَّقَ فيه إلى بعضِ السَّكَنِ ما حَسِبْتُهُ يَزِيدُ على ما أتى به هذا المولّدُ الحَضْرِي المتأخّرُ العصرِ».

وكان ابنُ أبي الرجالِ يَعطِفُ على الكتابِ والشُعراءِ ويأخذُ بناصِرِهِمْ: وقد أَلَفَ باسمِهِ ابنُ رَشِيقٍ مَوْلاَتٍ أدبيةً نَفيَسَةً منها كِتَابُ «العُمْدَةِ»، كما قدّمَ إليه ابنُ شَرَفٍ «رسائلَ الانتقادِ» (مَجْمَلُ تاريخِ الأدبِ التُّونِسِيِّ ١٢٩).

٣ - مختارات من آثاره

- قال أبو الحسن عليّ بن أبي الرجال في الشكوى من الناس:

أيا ربّ، إن الناسَ لا يُنصِفونني	ولم يُخِينُوا قَرَضِي على حَسَناتي:
إذا ما رأوني في رَحْلا تَرَدَّدوا	إليّ، وأعدائي لدى الأزمات.
ثِقَاتِي ما دامت صِلاتي إليهم،	وإن عنهم أخَرْتُها فيمداتي.
سامعٌ قلبي أن يحنَّ إليهم،	وأصرفُ عنهم - قالياً - لحظاتي؛
وألزِمُ نفسي الصبرَ دأباً لعلني	أعابُن ما أملتُ قبل مَاتي.
ألا إنّ الدنيا كَفافٌ وصِحّةٌ	وأمنٌ؛ ثلاثٌ هنَّ طيبُ حياتي.

- وقال في الخمر:

ألا ليت أياماً مضى لي نعيمها	تكرُّ علينا بالوصالِ وتُنعمُ.
وصفراءُ تحكي الشمسَ من عهدٍ قِصرٍ	يتوقُّ إليها كلُّ من يتكرّمُ؛
إذا مُرِجَت في الكأسِ خِلَت لالئاً	تُنشَرُّ في حافاتها وتُنظّمُ.
جمَعنا بها الأشباتَ من كُلِّ لَذّةٍ،	على أنّه لم يُغشَ في ذاك مَحْرَمُ!

- من كتاب البارِع:

.... ومتى جاءتِ السُّعُودُ في الثاني عَشَرَ في تحاوِيلِ السنينِ قَوِيَتْ أعداءُ المولودِ وأَيديهم. فإذا حَلَّتْ فيه النُحُوسُ أضعَفَتَهُمْ وأبادتَهُمْ. وإذا كان ربُّ الثاني عَشَرَ في الطالعِ كان المولودُ شَقِيّاً كثيرَ الأعداءِ مُحارَباً ويلتقى من الأعداءِ شِدَّةً في أولِ أمره؛ وفي الثاني يكونُ رَدِيءَ العيشةِ سيِّئَ الحالِ يُكذَّبُ عليه كثيراً. وفي الثالث يُعاديهِ إخوتُهُ ويلتقى منهم شِدَّةً وتُسُوهُ أحوالُهُ. وفي الرابع يُعاديهِ أبائُهُ ويُنازعه أهلُهُ

وَتَخَرَّبُ الدار التي وُلد فيها وَيُنْقَلُ منها.

- ٤- ** الجمل في تاريخ الأدب التونسي ١٢٩ - ١٣٠، دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٨٨ - ٦٨٩؛ تاريخ العلوم عند العرب ١٧٨ - ١٧٩؛ بروكلمن ١: ٢٥٦، الملحق ١: ٤٠١؛ معجم المطبوعات العربية ٣١؛ عنوان الأريب ١: ٥٧ - ٥٨.

ابن خلوفا الحروري

١- هو عبد العزيز بن خلوفا الحروري^(١)، من أهل القيروان، كانت وفاته نحو ٤٣٠ هـ (١٠٣٩ م).

٢- كان ابن خلوفا الحروري ذا ذكاء نادر وكان مشاركاً في عدد من فنون العلم. غير أنه اشتهر بالنحو والقراءات وما يتعلق بها. وشعره حسن الألفاظ والمعاني جميل الصناعة. له مديح ووصف.

٣- مختارات من شعره

- قال ابن خلوفا الحروري في مديح المعز بن باديس^(٢):

لو يستطيع لأدخل الأموات من نعيماء في ما نالت الأحياء .
سوّت رعاياه يدا إنصافه حتّى الشوامخ والوهاد سواء^(٣) .
مُتنوّع العزمات: ماء مُغديق فيهم، وعنهم صخرة صماء^(٤) .
ما أنت بعضُ الناس إلّا مثلاً بعضُ الحصى الياقوتة الحمراء^(٥) .
فتحت لنا نعيماك كلّ بلاغة فجَرى اليراعُ وقالتِ الشعراء .

(١) الحروري: الخارجي (أحد الخوارج).

(٢) الرابع من ملوك بني زيري الصنهاجيين بالقيروان (٤٠٦ - ٤٥٣ هـ).

(٣) رعاياه مفعول به. يدا إنصافه فاعل. الشوامخ: الجبال العالية. الوهاد: الأراضي المنخفضة.

(٤) مغديق: كثير. لئِنْ في معاملة قومه، شديد (صخرة) في الدفاع عنهم. (أو: هو كريم عليهم وصخرة صماء عنهم: لا يقبل فيهم ذماً).

(٥) - أنت أفضل من جميع الناس، كما أنّ الياقوت أفضل الحجارة.

- ويروى له في وصف سحابة^(١) :

راحتْ تذكُرُ بالنسيمِ الراحا وطفه تَكْسِرُ للجَنُوبِ جَنَاحا^(٢).
مُرْتَجَّةُ الأرجلِ يَخْسِرُ سِيرَهَا ثِقْلُ قُتُطِيهِ الرِّيحِ سَرَا^(٣).
أَخْفَى مَسَالِكَهَا الظَّلَامُ فَأَوْقَدَتْ مِنْ بَرْقِهَا - كِي تَهْتَدِي - مِضْبَاحا.
فَكَانَ صَوْتُ الرِّعْدِ خَلْفَ سَحَابِهَا حَادٍ، إِذَا وَنَّتِ الرِّكَائِبُ صَا^(٤).
- وَقَالَ يَصِفُ مِرْوَحَةً مِنْ رِيَشٍ أَوْ نَسِيجٍ تَطْوِي وَتُفْتَحُ:

وَمِرْوَحَةٍ إِنْ تَأَمَّلْتَهَا تَرَى فَلَكاً دَائِراً فِي الْيَدِ.
وَتَطْوِي وَتُنْشُرُ مِنْ حُسْنِهَا فَتُشِبُّ قُنْرَعَةَ الْمُهْذَبِ.

★★ - ٤ - بغية الوعاة ٣٠٧؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٣١ - ١٣٤.

ابن الريب القيرواني

١ - هو أبو علي الحسن^(٥) بن محمد بن الريب^(٦) التميمي القيرواني، أصله من تاهرت^(٧) ومولده نحو سنة ٣٨٠ (٩٩٠ م)^(٨). نشأ ابن الريب في القيروان وطلب

(١) يروي نفع الطيب (١: ٤٨٣) بيتين من هذه الأبيات لأبي عبد الله محمد بن سليمان الحنّاط (وكان سليمان يبيع الحنطة في قرطبة) القرطبي الرعيي (بالتصغير) الأعمى الشاعر (ت ٤٣٧ هـ).

(٢) راحت (في المساء) تذكرنا بطيب نسيما الراح (الخمر). وطفاء: السحابة المتشعبة (الكبيرة التي لها ذيول بارزة من أطرافها). الجنوب: ريح الجنوب. تكسر للجنوب جناحاً: تطيع الريح في دفعها. أو: تكسر جناح الريح (لا تستطيع الريح أن تحركها).

(٣) مرتجة (متحركة بعنف) الأرجاء (الأطراف، الجوانب). يحبس سيرها ثقل: يمنعها ثقلها من أن تسير. قُتُطِيهِ الرِّيح (تتجمع الرياح وتنفخ وراءها). السراج: التشرح (الاطلاق من القيد).

(٤) الحادي: الذي يبقو القافلة. وفي بني: تعب. الركائب (جمع ركوبة: الدابة المخصصة للركوب).

(٥) أو الحسين (راجع حاشية في نفع الطيب ٣: ١٥٦، من مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري عن ابن رشيقي).

(٦) كذا سماء حسن حسني عبد الوهاب (مجمل تاريخ الأدب التونسي، ص ٢١٤) وابن رشيقي وابن فضل الله العمري (نفع الطيب ٣: ١٥٦، الحاشية الثانية). وسماء السيوطي (بغية الوعاة ٢٣٠) ابن الريب (بالزاي أخت الراء) نقلاً عن ياقوت الحموي. وكذلك سماء عادل نويهض (تاريخ أعلام الجزائر ٩٦).

(٧) يقول حسن حسني عبد الوهاب (ص ١٢٤): «هو قيرواني صميم».

(٨) معجم أعلام الجزائر ٦٩. وقال حسن حسني عبد الوهاب: كانت وفاته (سنة ٤٣٠ هـ) وقد جاوز الخمسين.

العلم فيها، وقد عني به محمد بن جعفر القزاز القيرواني (ت ٤١٢) عناية صحيحة فبلغ به نهاية الأدب (التأديب: التعليم) ونهاية علم الخبر (التاريخ) والنسب (أنساب القبائل). وتولى ابن الربيب القضاء في تاهرت حيناً فصار يُعرف بالقاضي التاهرتي أيضاً.

صحب ابن الربيب بني أبي العرب فنال بهم وجاهة ومكانة: سئل عبد الكريم النهشلي يوماً عن أشعر أهل بلده فقال: أنا ثم ابن الربيب. وكانت وفاة ابن الربيب في القيروان، سنة ٤٣٠^(١) (١٠٤٠ م).

٢ - كان ابن الربيب القيرواني لغوياً نحوياً وعارفاً بآداب الناس حتى اكتسب لقب «النسابة الإفريقي». وكان أيضاً أديباً ناثراً وشاعراً مجيداً قوي الكلام يقول في المدح والرثاء، وربما تكلف في النظم. ثم هو مصنف له كتاب في النسب.

٣ - مختارات من آثاره

- كتب ابن الربيب التاهرتي إلى أبي المغيرة عبد الوهاب بن حزم رسالة يذكر له فيها فضل أهل الأندلس واتساع الثقافة والحضارة في بلادهم وهم مع ذلك مقصرون في تخليد آثار علمائهم وفي تدوين فضائل بلادهم. قال:

..... فكثرت في بلادكم إذ كانت قرارة كل فضل ومنهل^(٢) كل خير ونبل ومصدر كل طرفة ومورد كل تحفة^(٣).... إن بارت تجارة فالينها تجلب، وإن كسدت بضاعة ففيها تنفق، مع كثرة علمائها ووفرة أدبائها وجلالة ملوكها ومحبتهم للعلم وأهله...

ثم هم مع ذلك في غاية التقصير ونهاية التفریط...

(١) في بنية الوعاة: سنة ٤٣٠ هـ. وفي معجم أعلام الجزائر: ٣٤٠ - ٤٢٠ هـ.

(٢) قرارة: مكان منخفض إذا حل به شيء بقي هناك. المنهل: مكان يشرب منه الناس الماء.

(٣) الطرفة: الشيء المستحدث (الجديد) العجيب. التحفة: الطرفة إذا كانت ثمينة (غالية الثمن) تستحق أن يتحف (بالبناء للمجهول) بها الناس (أن تهدي إليهم).

فَعُلِّمُواكُمْ مَعَ اسْتَظْهَارِهِمْ عَلَى الْعُلُومِ ^(١) كُلُّ أَمْرٍ مِنْهُمْ قَائِمٌ فِي ظِلِّهِ لَا يَبْرَحُ،
 وَرَاتِبٌ ^(٢) عَلَى كَعْبِهِ لَا يَتَزَحَّجُ. يَخَافُ إِنْ صَنَّفَ أَنْ يُعَنَّفَ، وَإِنْ أَلَّفَ أَنْ يُخَالَفَ وَلَا
 يُوَالَفَ. لَمْ يُتَعَبْ أَحَدٌ مِنْهُمْ نَفْسًا فِي جَمْعِ فُضَائِلِ أَهْلِ بَلَدِهِ، وَلَمْ يَسْتَعْمَلْ خَاطِرُهُ فِي
 مَفَاخِرِ مُلُوكِهِ، وَلَا بَلَّ قَلَمًا بِمَنَاقِبِ كُتَّابِهِ وَوُزَرَائِهِ، وَلَا سَوَّدَ قُرْطَاسًا بِمَحَاسِنِ قُضَاتِهِ
 وَعِلْمَائِهِ. عَلَى أَنَّهُ لَوْ أَطْلَقَ مَا عَقَلَ ^(٣) الْإِغْفَالُ مِنْ لِسَانِهِ، وَبَسَطَ مَا قَبَضَ الْإِهَالُ مِنْ
 بَيَانِهِ، لَوَجَدَ لِلْقَوْلِ مَسَاجِدَ ^(٤) وَلَمْ تَضِيقْ عَلَيْهِ الْمَسَالِكُ وَلَمْ تَخْرُجْ بِهِ الْمَذَاهِبُ وَلَا اشْتَبَهَتْ
 عَلَيْهِ الْمَصَادِرُ وَالْمَوَارِدُ ^(٥). وَلَكِنْ هُمْ أَحَدِهِمْ أَنْ يَطْلُبَ شَأَوٌ ^(٦) مِنْ تَقَدُّمِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ
 لِيَحُوزَ قَصَبَاتِ السَّبْقِ بِقَدْحِ ابْنِ مُقْبِلٍ بِكَظْمِ دَغْفَلٍ، وَيَصِيرَ شَجَاً فِي حَلْقِ أَبِي
 الْعَمِيثِلِ ^(٧). فَإِذَا أَدْرَكَ بُغْيَتَهُ وَاخْتَرَمَتَهُ ^(٨) مَنِيَّتُهُ دُفِنَ مَعَهُ أَدْبُهُ وَعِلْمُهُ، وَانْقَطَعَ
 خَبْرُهُ... وَعُلَمَاءُ الْأَمْصَارِ احْتَالُوا لِبَقَاؤِهِمْ أَحْتِيَالِ الْأَكْيَاسِ ^(٩) فَأَلْفَوْا دَوَاوِينَ
 بَقِيَ لَهَا ذِكْرٌ مُجَدِّدٌ طَوَّلَ الْأَبَدَ. فَإِنْ قُلْتُ: إِنَّهُ كَانَ مِثْلُ ذَلِكَ مِنْ عُلَمَائِنَا فَأَلْفَوْا
 كُتُبًا لَكِنَّا لَمْ تَصِلْ إِلَيْنَا ^(١٠). فَهَذِهِ دَعْوَى لَمْ يَصْحَبَهَا تَحْقِيقٌ لِأَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ

-
- (١) استظهارهم: استيلاؤهم، ظفرهم.
 (٢) راتب: ثابت في مكانه لا يتزحج.
 (٣) عقل: ربط.
 (٤) المساج: المجرى، الطريق.
 (٥) اشتبه: غمض، خفيت. المصادر والموارِد (سير الأمور: أوائلها وأواخرها، أسبابها ونتائجها).
 (٦) الشأو: الأمد والغاية (النقطة التي يحاول أن يصل إليها المتسابقون).
 (٧) حار قصبات السبق: سبق غيره وتقدم عليه (كان على السابق أن يصل إلى آخر الشوط ويتناول هنالك قصبة قبل أن يصل إليها غيره). ابن مقبل: شاعر كان في صدر الإسلام الأول. قدح ابن مقبل (النصيب الأكبر، الظفر التام) راجع ديوان ابن مقبل بتحقيق عزة حسن (ص ١٩ - ٢٠ من المقدمة). دغفل بن حنظلة (ت ٦٥ هـ) يضرب به المثل في معرفة الأنساب. بكظم دغفل (وبكظم دغفل!)... أبو العميثل هو عبد الله بن خليل (ت ٢٤٠ هـ) كان حاضر البديهة سريع الجواب مع الإصابة.
 (٨) اخترمته مَنِيَّتُهُ (مات باكراً).
 (٩) الأكياس جمع كَيْس: عاقل.
 (١٠) لم تصل إلينا (أي لم تصل من الأندلس إلى المغرب).

غَيْرُ رَوْحَةٍ رَاكِبٍ أَوْ رِحْلَةً قَارِبٍ، لَوْ نَفَثَ مِنْ بَلَدِكُمْ مَصْدُورٌ^(١) لَأَسْمَعَ مِنْ بِلَدِنَا فِي الْقُبُورِ، فَضْلاً عَمَّنْ فِي الدُّوْرِ وَالْقُصُورِ.

- وقال من قصيدة يمدح بها مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي الْعَرَبِ:

وَلَمَّا التَّقَى الْجَمْعَانِ وَاسْتَمْطَرَ الْأَسَى مَدَامَعَ مِنَّا تُمَطِّرُ^(٢) الدَّمَعَ وَالدَّمَاءَ،
بَدَا مَاتَمٌ لِلْبَيْنِ غَنَى بِهِ الْهُوَى بِشَجْوٍ، وَحَنِّ الشَّقْوَى فِيهِ فَأَرْزَمًا^(٣).
تَصَدَّتْ فَأَشْجَتْ، ثُمَّ صَدَّتْ فَأَسْلَمَتْ ضَمِيرَكَ لِلْبَلَوَى عَقِيلَةً أَسْلَمًا^(٤).

- وقال يرثي المنصورَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنَ أَبِي الْعَرَبِ:

يَا قَبْرُ، لَا تُظْلِمْ عَلَيْهِ فِطَالًا جَلَسَى بِغُرَّتِهِ دُجَى الْإِظْلَامِ^(٥).
أَعْجَبَ بِقَبْرِ قَيْدٍ شَبِيرٍ قَدْ حَوَى لَيْثًا وَبَحْرَ نَدَى وَبَذَرَ تَمَامِ^(٦)!
- ورثى جماعةً قتلوا (في معركةٍ بعد أن قتلوا من خصومهم خمسين):

وَهَوْنٌ وَجَدِي أَنَّهُمْ خَمْسَةٌ مَضَوْا وَقَدْ أَقْعَصُوا خُسَيْنَ قَرَمًا مُسَوِّمًا^(٧).
وَكَانَ عَظِيمًا لَوْ نَجَّوْا، غَيْرَ أَنَّهُمْ رَأَوْا حُسْنَ مَا أَبْقَوْا مِنَ الذِّكْرِ أَعْظَمًا.

٤ - ★★ الأنموذج ٦٩ - ٧٢؛ الذخيرة ١: ١٣٣ - ١٣٦؛ إنباه الرواة ١: ٣١٨ - ٣١٩؛
بنية الوعاة ٢٣٠؛ نفح الطيب ٢: ٣٠١ - ٣٠٢، ٣: ١٥٦؛ دائرة المعارف
الإسلامية ٣: ٩٠١؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٢٤ - ١٢٧؛ معجم أعلام
الجزائر ٦٩.

(١) المصدور: المصاب بالسل (ويكون نفثه: تفلّه، بصاقه ضعيفاً).

(٢) في إنباه الرواة: (١: ٩): مدامع ما تقطو به الدمع والدماء!

(٣) الماتَم: اجتماع النساء (لمناسبة الموت). البين: الفراق، البعاد (كان النساء يبكين لفراقه كأنهن كنّ في ماتَم). غنى به الهوى (التي بكت كانت تحبّي فكان بكاءها بدافع حبها لي لا بدافع حزنها عليّ).
أَرْزَم: صَوّت، رفع الصوت عالياً..

(٤) تصدّت: تعرضت (ظهرت أمامي، رأيته). أشجى: حزن وأحزن. صَدَّتْ: أَعْرَضَتْ (لم توافقتي على طلب لي). عَقِيلَة (امرأة كريمة من بني) أَسْلَم.

(٥) جَلَسَى: كَشَفَ. الْغُرَّة: الشعر في مقدّم الرأس (هنا): الجبهة، الوجه. الْفِرَّة: توصف بالبياض.

(٦) أَعْجَبَ (صيفة للتعجب): ما أعجب! قبر قيد (بمقدار) شبر: ضيق.

(٧) قَعَصَهُ: طَعَنَهُ بِالرَّمْحِ طَعْنًا مُتَوَالِيًا (قتله). الْقَرَم: السَيْد. الْمُسُوم: الذي له علامة (دلالة على شرفه ومكانته في قومه).

أبو الفتوح الجرجاني

هو أبو الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني الإستراباذي العدوي الأندلسي النحوي، أصله من جرجان؛ وكان مولده سنة ٣٥٠ هـ (٩٦١ م).

تلقى أبو الفتوح الجرجاني علم اللغة والنحو في بغداد: روى عن عثمان بن جني (٣٩٢ هـ) وعلي بن عيسى الربيعي (ت ٤٢٠ هـ) وعن عبد السلام بن الحسن البصري قرأ عليه ديوان الحماسة لأبي تمام سنة ٣٧٨ هـ. أما أكثر روايته فكان عن ابن السيرافي قرأ عليه كتاب الجمهرة لابن دريد وديوان المتنبي وغير ذلك.

ودخل الجرجاني إلى الأندلس سنة ٤٠٦ هـ (١٠١٥ - ١٠١٦ م)، ويبدو أنه لم يتصل بأحد من أمرائها قبل اتصاله بمجاهد العامري صاحب دانية (٤٠٨ - ٤٣٢ هـ)؛ وكان مجاهد سائراً إلى غزو جزيرة سردانية فاصطحبه. ثم اتصل بيحيى بن علي بن حمود صاحب مالقة (٤١٢ - ٤٢٧ هـ). فالزم يحيى بن حمود ابنه (الحسن) صُحبة الجرجاني لأنه كان يُعِدُّ ابنه هذا للحكم من بعده. ثم تغير قلب يحيى على الجرجاني فذهب الجرجاني إلى بني زيري في غرناطة.

تصدّر الجرجاني، في أثناء تطوافه الكثير في الأندلس، للتدريس فأملى شرح كتاب الجمل للزجاجي وشرح ابن السيرافي لأبيات إصلاح المنطق لابن السكيت.

في سنة ٤٣٠ هـ جاء إلى حكم غرناطة باديس بن حبوس، فتآمر عليه ابن عمه يدير بن حُباسة. ويبدو أن الجرجاني ناصر يدير. فلما انكشفت المؤامرة هرب الجرجاني إلى إشبيلية فقبض باديس على زوجة الجرجاني وابنه وحبسها في المنكب (حصن المنكب على الساحل، جنوب غرناطة). فرجع الجرجاني إلى غرناطة ليستعطف باديس فلم يعطف عليه باديس وقتله في ٢٨ من المحرم من سنة ٤٣١ هـ (١٠٣٩/١٠/٢٠ م).

كان أبو الفتوح ثابت الجرجاني إماماً في غريب اللغة وفي علم العربية (النحو) غزير الأدب كثير الحفظ لأشعار الجاهليين والإسلاميين، عارفاً بعلم المنطق مشاركاً في علوم التعاليم (الرياضيات والطبيعات) والنجوم وفي الأدب والحكمة. وكان أيضاً مؤلفاً له: شرح ديوان الحماسة لأبي تمام - شرح كتاب الجمل للزجاجي.

٤ - ★★ جذوة المقتبس ١٧٣-١٧٤ (الدار المصرية) ١٨٤-١٨٥ (رقم ٣٤٤)؛ بغية
الملتبس ٢٣٦-٢٣٧ (رقم ٦٠٢)؛ معجم الأدباء ١٤٥:٧-١٤٨؛ كتاب الصلة
١٢٥؛ الذخيرة ٤: ١٢٤-١٢٦؛ الإحاطة ٤٦٢-٤٦٦؛ بغية الوعاة ٢١٠؛
إنباه الرواة ١: ٢٦٣-٢٦٤؛ بروكلمن، الملحق ١: ٤٠ (السطر ٢٢).

آل عبّاد

آل عبّادِ بَيَانِيَّةُ (من عرب الجنوب) من بني لَحْمٍ، قيل إنهم ينتسبون إلى
اللخميّين آل المُنْذِرِ بنِ ماء السماء ملوكِ الحيرة. وكانت مساكنهم في الإسلام في
العريش (بين الشام ومصر). وكان أقدم من جاء منهم إلى الأندلس نعيمٌ وابنه عِطَافٌ
(بكسر العين وطاء مهملة بلا تشديد) - جاءا مَعَ بَلْجٍ بنِ بَشْرِ القُشَيْرِيِّ الذي أرسله
هِشَامُ بنُ عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥ هـ) في جيشٍ من أهل الشام نَجْدَةً للعرب لما ثار
مَيْسَرَةُ الخارجي في جماعاتٍ من بني مَضْغَرَةَ البربر. ثم إن بَلْجاً دخل بِمَنْ مَعَهُ مِنْ
أهل الشام إلى الأندلس - في حديثٍ طويل - في أواخر سَنَةِ ١٢٣ (٧٤١ م).

وفي الأندلس نَزَلَ نَعِيمٌ وابنه عِطَافٌ في إقليم طُشَانَةَ قُربِ إشبيلية حيث أنشأ
أُسْرَتَهَا الجديدة. وكان أَوَّلَ مَنْ نَبَغَ في هذه الأسرة أبو القاسمِ مُحَمَّدُ بنُ إسماعيلَ
(ت ٤٣٣ هـ) ثم ابنه أبو عمرو عبّادٌ (ت ٤٦١ هـ) ثم حفيده أبو القاسمِ مُحَمَّدُ
(المعتمدُ بن عبّاد المتوفى ٤٨٨ هـ). وكان للمعتمدِ عددٌ من الأولاد منهم عُبيدُ الله
ويزيدٌ ويحيى وحَكَمٌ وبُثَيْنَةُ. وجميعُ بني عبّادِ المذكورين هنا قد قالوا الشعر، وأشعرُ
آلِ عبّادِ المعتمدُ، وأشعرُ أولادِ المعتمدِ يزيدٌ وبُثَيْنَةُ.

أبو القاسمِ بن عبّاد

١ - هو القاضي أبو القاسمِ مُحَمَّدُ بنُ إسماعيلَ ذي الوزارتين بنِ مُحَمَّدِ بنِ إسماعيلَ
ابنِ قريشِ بنِ عبّادِ من بني لَحْمٍ، قيل من نسلِ النُعمانِ بنِ المُنْذِرِ مَلِكِ
الحيرة. كان في أَوَّلِ أمرِهِ قاضياً على إشبيلية في دولة بني حَمُودِ أصحابِ مَالَقَةَ في
أيامِ القاسمِ بنِ حَمُودِ (٤٠٨ - ٤١٦ هـ). فلَمَّا وَقَعَ النزاع بين القاسمِ بنِ حَمُودِ وابنِ
أخيه يحيى بنِ عَلِيٍّ بنِ حَمُودِ وتعاقبا على العرشِ مرّتين مرّتين، انتزعَ أبو القاسمِ بنُ

عبّادٍ إشبيليةً وأسّسَ فيها مملكةً، واحتفظَ مُدَّةً بلقبِ «حاجبٍ» (وزير، رئيس وزارة) ثم اتخذَ لقبَ «الظافر». وكانت وفاةُ أبي القاسم (محمد بن إسماعيل) بن عبّادٍ في التاسع والعشرين من جمادى الأولى من سنة ٤٣٣ (١٠٤٢/١/٢٤ م).

٢- كان أبو القاسم بن عبّادٍ عاقلاً كريماً وأديباً ناثراً مترسلاً وناظماً على شيء من البراعة في الوصفِ والفخر.

٣- مختارات من شعره

- قال أبو القاسم بن عبّادٍ يُشَبِّهُ شَجَرَةَ الْيَاسْمِينِ بِمِطْرَفٍ (ثوبٍ من حريرٍ) أخضرَ كأنَّ أزهارها عليها دراهمٌ من فضة:

وَيَاسْمِينٍ حَسَنَ الْمَنْظَرِ يَفُوقُ فِي الْمُرَايِ وَفِي الْمَخْبَرِ^(١)
كَأَنَّهُ مِنْ فَوْقِ أَغْصَانِهِ دراهمٌ فِي مِطْرَفٍ أَخْضَرِ^(٢)
- وقال يفتخرُ ويُمَيِّي نفسه باتّساعِ مُلْكِهِ:

ولا بدّ من يومٍ أسودٍ على الورى ولو رُدَّ عَمَرُو للزمانِ وعامِرُ^(٣)
فما المجدُ إلّا في ضُلوعي كامنٍ ولا الجودُ إلّا من يَمِيني نائرٍ.
فجيشُ العُلا ما بينَ جَنَبَيَّ جائلٌ وبحرُ الندى ما بينَ كَفَيَّ زَاخِرُ.

٤- * * الصلة ٤٩٥-٤٩٦؛ الذخيرة ٢: ١٢-٢٣؛ جذوة المقتبس ٧٥ (رقم ١٢٦)؛ بغية المتلمس ١٠٧-١٠٨ (رقم ٣٤٧)؛ الحلة السراء ٢: ٣٦-٣٩؛ البيان المغرب ٣: ٢٧٣ وما بعد؛ وفيات الأعيان (في ترجمة المعتمد) ٥: ٢٢ وما بعد؛ فوات الوفيات ١: ٢٥٤؛ الوافي بالوفيات ٢: ٢١٣-٢١٤؛ شذرات الذهب ٣: ٢٥٢-٢٥٣؛ نفع الطيب ٤: ٢٢٦-٢٢٨؛ نيكل ١٢٧؛ مختارات نيكل ٧٤-٧٥؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢٦٠-٢٦١ (٣٥-٣٦).

(١) في المرأى والمخير (المنظر والرائحة).

(٢) ... دراهم (بيض) في مطرف (ثوب حرير).

(٣) عمرو (عمرو بن عامر) ماء السماء أعظم ملوك اليمن. وملك آخر من الفساسة. وعامر (ذو رباش) أيضاً من ملوك اليمن. ساءلك الأرض ولو رجع هذان الملكان (وأمثالهما) إلى الحياة (سأضعهما أيضاً).

ابن الأَبَّار الخولاني الشاعر

١ - هو أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ محمدٍ الخولاني الأندلسيّ الإشبيليّ من أهل إشبيلية، وُلِدَ فيها، ومن شعراء القاضي أبي القاسم بن عبّادٍ كانت وفاته في إشبيلية سنة ٤٣٣ هـ (١٠٤٢ م).

٢ - ابنُ الأَبَّار الخولانيُّ شاعرٌ مُجيدٌ حسنُ الصنّاعة له قصائدٌ ومقطّعاتٌ ويظهرُ على شعره شيءٌ من نفسِ المتنبيّ. وكانت له تصانيفٌ وفنونه الوصفُ والغزلُ مع شيءٍ من المجون، وله مديح.

٣ - مختارات من شعره

- قال ابنُ الأَبَّار الخولانيُّ يمدح المعتضدَ^(١) بنَ عبّادٍ (المغرب ١: ٢٥٣):

مَلِكٌ إِذَا الْمَبَوَاتُ أَظْلَمَ جُنْحُهَا جَعَلَ الْحُسَامَ إِلَى الْحِمَامِ دَلِيلًا^(٢)
إِنْ كَانَتْ الْأَسْدُ الضَّوَارِي لَمْ تَخَفْ مِنْ بَأْسِهِ فَلَمْ اتَّخِذَنَّ الْغِيلَا؟^(٣)
أَوْ كَانَتْ الْبَيْضُ الصَّوَارِمُ لَمْ تَهْمُ فِي حُبِّهِ فَلَمْ اكْتَسِبَنَّ نُحُولًا؟

- وقال في النسيب، مع شيءٍ من المجون وشيءٍ من العفة:

خَافَ الْعُيُونَ فَوَافَانِي عَلَى عَجَلٍ مُعْطَلًا جِيدهَ إِلَّا مِنْ الْجَيْدِ^(٤)
عَاطِيَتُهُ الْكَأْسَ فَاسْتَحْيَتْ مُدَامَتُهَا مِنْ ذَلِكَ الشَّنْبِ الْمَعْسُولِ وَالْبَرْدِ^(٥)
حَتَّى إِذَا غَازَلْتُ أَجْفَانَهُ سِنَّةً وَصَيَّرْتُهُ يَدُ الصَّهْبَاءِ طَوْعَ يَدِي^(٦)

- (١) كذا في «المغرب». ولعله يقصد القاضي محمد بن اسماعيل بن عبّاد.
- (٢) الهبوة: الغبرة (الثائرة في المعركة). الجنح (بكسر الجيم وضمتها): الجانب (القسم) من الليل. الحمام (بالكسر): الموت.
- (٣) الغيل (مفرد) مكان فيه شجر كثير ملتفّ (كثيف) تأوي إليه الأسود أحياناً.
- (٤) الجيد: العنق. عطلّ جيده (لم يزيه بالحل). الجيد (بفتح ففتح): طول العنق (وهو من شارات الجمال).
- (٥) عاطيته الكأس: شربت معه الخمر. الشنب: جمال الأسنان وصفاء لونها. البرد (الحبات المتبلورة في أثناء سقوط المطر عند البرد الشديد) كناية عن استواء شكل الأسنان. لون الخمر الجميل (الصافي) استحيًا من لون أسنانه وصفائها.
- (٦) السنة (بكسر السين): التعاس. غازلت أجفانه سنة (بدا التعاس يستولي عليه). الصهباء: الخمر.

أردتُ تَوْسِيدَهُ خَدَيَّ وَقَلَّ لَهُ؛ فقال: كَفَّكَ عِنْدِي أَفْضَلُ الْوُسْدِ^(١)؛
فَبَاتَ فِي حَرَمٍ لَا غَدْرَ يَذْعُرُهُ، وَبِثُّ ظَمَانٍ لَمْ أَصْدُرْ وَلَمْ أَرِدْ^(٢).
بَدْرٌ أَلَمَ وَبَدْرُ التِّمِّ مُتَحَقِّقٌ وَالْأَفْقُ مُخْلَوْلُكَ الْأَرْجاءُ مِنْ حَسَدِ^(٣).
تَحْيَرُ الْبَدْرُ مِنْهُ أَيْنَ مَظْلَعُهُ، أَمَا دَرَى اللَّيْلُ أَنَّ الْبَدْرَ فِي عَضْدِي^(٤)؟

٤- ★★ جذوة المقتبس ١٠٧ (الدار المصرية) ١١٥ (رقم ١٩٠)؛ بغية الملتبس ١٥٢-١٥٣ (رقم ٣٥٢) المطمح ١٠-١١؛ الذخيرة ٢: ١٠٦-١١٢، ١٥٣-١٥٨؛ ٢٠٣، ٢٠٧-٣٩٦، ٣٩٧؛ وفيات الأعيان ١: ١٤١-١٤٢؛ الوافي بالوفيات ١٣٧: ٨؛ المغرب ١: ٢٥٣؛ نفح الطيب ٣: ٤٧٧-٤٧٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٧١-٦٧٢؛ الأعلام للزركلي ٢٠٦: ٢١٣؛ نيكل ٢١٠.

أبو الحزم جهور

١- هُوَ أَبُو الْحَزْمِ جَهْوَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ جَهْوَرٍ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي الْعَمْرِ بْنِ يَحْيَى كَانَ جَدَّهُ الْأَعْلَى فَارِسِيًّا مَوْلَى لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ. ثُمَّ إِنَّ جَدًّا لَهُ - يَسْمُونَهُ يَوْسَفَ بْنَ بُخْتٍ - دَخَلَ الْأَنْدَلُسَ قَبْلَ مَجِيئِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْدَاخِلِ.

وُلِدَ أَبُو الْحَزْمِ جَهْوَرُ فِي أَوَّلِ الْحَرَمِ سَنَةَ ٣٦٤ (٩٧٤/٩/٢١ م) فِي قَرْطَبَةِ، فِي أَسْرَةٍ وَجِيهَةٍ غَنِيَّةٍ. وَقَدْ رَوَى عَنْ أَبِي بَكْرٍ عَبَّاسِ بْنِ أَصْبَغٍ الْهَمْدَانِيِّ وَأَبِي مُحَمَّدٍ الْأَصْبَلِيِّ وَالْقَاضِي أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُفَرَّجٍ وَسَوَاهِمِ.

كَانَ أَبُو الْحَزْمِ جَهْوَرُ مَشْهُورًا بِالتَّقْوَى وَالْفَضْلِ وَالْعَقْلِ وَمِنْ ذَوِي الْمَكَانَةِ مَسْمُوعَ الْكَلِمَةِ. وَكَانَ مِنْ وَزَرَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَامِرِيَّةِ، فَلَمَّا حَدَّثَتِ الْفِتْنَةُ عَلَى هِشَامِ الثَّالِثِ الْمَعْتَدِّ وَثَارَتِ الْعَامَّةُ وَخُلِعَ هِشَامُ، فِي ١٢ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ ٤٢٢ (١٠٣١/١٢/٢ م) اجْتَمَعَ الْوُزَرَاءُ وَطَلَبُوا مِنْهُ تَهْدِئَةَ النَّاسِ فَهَتَفَ بِهِمْ فَهَدَّأُوا. وَطَلَبَ النَّاسَ إِخْرَاجَ

(١) التوسيد: وضع الرأس (للنوم) على وسادة (مخدة). الوسد (بضم فسكون أو بضم فضاء) جمع وسادة.

(٢) ... يعني الشاعر أنه عفا عن محبوبه الذي كان نائماً على ذراعه. ورد: ذهب إلى الماء (شرب) ... صدر: رجع عن الماء.

(٣) بدر (غلام جميل، محبوب) ألم (زار زيارة قصيرة) وبدر الت (قمر السماء) ممتحق (في آخر الشهر). محلولك: مظل.

(٤) العضد: ما بين المرفق الكتف.

بني أمية (أمراء البيت المالِك) من قُرْطُبَة فأخرجهم أبو الحزم جَهْورٌ وَمَعَهُمْ هَاشِمٌ
نفسه من غير أن يَحْدُثَ شَغَبٌ.

بمعدن أجمع الناس على أن يتولى أبو الحزم جَهْورٌ أمرَ قُرْطُبَة.

وكانت وفاة أبي الحزم جَهْورٍ في السادس من المحرم من سنة ٤٣٥ (الذخيرة ١ :

٦٠٤) الواقع فيه ١٥/٨/١٠٤٣ م.

٢- كان في أبي الحزم بن جهور مزايا نادرة. كان يُصِرُّ الأمور بحكمة وعدل
وتجرد، فما كان يقضي في مسألة إلا إذا استشار أهل الحل والعقد. ولم يتسم بلقب
فوق لقب « وزير » وهو اللقب الذي كان له قبل أن يتولى أمور قُرْطُبَة. وقد حرم
الحمر وأمر بكسر أوانيها في قُرْطُبَة. ثم إنه ساعد على هدوء الفتنة التي كانت تائرة
في أعقاب الخلافة المروانية في الأندلس، فما كان زعيمين في صقع من أصقاع الأندلس
يتنازعان على حكم بلد أو في أمر عام إلا سعى إلى الإصلاح بينهما. ولم تُغيِّرْه الدنيا
ولا الثروة، ولا غرته الدولة والمكانة حتى إنه ظل يؤذن بنفسه على باب مسجده كما
كان يفعل من قبل.

وكذلك كان أبو الحزم جهور فقيهاً من الشيوخ الأكابر وأديباً مترسلاً وشاعراً
ليس من الطبقة الأولى. وشعره يدور على الوصف والحكمة والزهد في الأكثر. وكانت
بينه وبين أبي عامر بن شهيد (ت ٤٢٦ هـ) مكاتبات.

٣- مختارات من شعره

- قال أبو الحزم جهور في العتاب (الحلة السراء ١ : ٢٤٨ - ٢٤٩):

أَسَاءَ - لَعَمْرِي - إِذْ أَسَاءَ بِي الظَّنَّاءُ	وَالزَّمْتَنِي ذَنْبًا شَفَلَتْ بِهِ الذُّهْنَاءُ.
تَجَنَّبْتُ فِي عَذْلِي كَأَنِّي مُذْنِبٌ	رُوَيْدَكَ، إِنْ الْعَدْلُ قَدْ يُوجِبُ الشُّحْنَاءُ (١).
فَلَا تَتَجَنَّ الذَّنْبَ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ،	فَرُبَّ تَجَنُّ يُورِثُ الْحَقْدَ وَالضُّغْنَاءُ (٢).
وَإِنِّي أَمْرٌ مَخْضُ الْمَوَدَّةِ مُخْلِصٌ	أَصَافِي خَلِيلِي بِالَّذِي هُوَ يَأْسَى.

(١) تجنى فلان عليك ذنباً: نسب إليك الذنب ظمناً. العدل: اللوم. الشحناء: الحقد والعداوة.

(٢) الضغن: الحقد الشديد.

وإن زلَّ يوماً في ودادي أقلته
وهل لي - فدتك النفس - دونك راحة
فثق بي ولا تعجل عليّ فإنني
ولا ذنب لي - فيما علمت - ولم أكن
- وقال في الزهد:

قلت يوماً لدار قوم تفانوا:
فأجبت: هنا أقاموا قليلاً
- وله في العتاب والتقريع:

يا عاتباً لي بالصدو
أخلت من قلبي مكا
وأنا أحبك - لو وثق
د، ألا ذكرت قبيح غدرك؟
نأ كان معموراً بذكرك.
ت - وأستديم بقاء عمرك.

٤-★★ جذوة المقتبس ٢٦ ثم ١٧٧ (الدار المصرية) ٢٧ ثم ١٨٨ - ١٨٩ (رقم ٣٦٠) بغية
الملتبس ٢٤٤ (رقم ٦٢٥)، المطمح ١٤ - ١٥، الصلة ١٣٠، المغرب ١: ٥٦،
البيان المغرب ٣: ١٨٥ - ١٨٨، الحلة السراء ٢: ٣٠ - ٣٤، نفح الطيب ١:
٣٠٢ - ٣٠٤، ٥٢٥، الأعلام للزركلي ٢: ١٣٩، (٢: ١٤١). راجع فهارس
الذخيرة (مثلاً ٢: ٥٣، ١٠٠، ٣: ٤٢، ٥١٢، ٥١٣، ٥٢٣، ٥٢٧).

تمام بن غالب بن التياني

هو أبو غالب تمام بن غالب بن عمر المعروف بابن التيان أو ابن التياني (نسبة إلى
التين وبيعه في الأغلب)، المُرسي القرطبي الأندلسي، كان من أهل مُرْسِيَّة. وقد كان
إماماً في اللغة ثقةً وأديباً بارعاً أميناً نزيهاً. وكان يزوي شعر أبي تمام حبيب
(الطائي) فيأخذه الناس عنه (نفح الطيب ٣: ١٣٥). وعرفنا له كتابين في اللغة:
«تلقيح العين» وقد أجمع رواة الأدب على مدحه لأنه كتاب جامعٌ وموجزٌ في وقتٍ

(١) أقلته (عفوت عن ذنبه). قارضته: بادلتها. الحسناء: الحسناء.

(٢) أعنى: اهتم.

واحد، ثم كتاب «الموعب». وكانت وفاة تمام بن غالب في المريّة، في أحد الجمادين من سنة ٤٣٦ هـ (أواخر ١٠٤٥ م).

★★ - جذوة المقتبس ١٧٢ (الدار المصرية) ١٨٣ (رقم ٣٤٢)؛ بغية الملتبس ٣٢٦ (رقم ٦٠٠)؛ الصلة ١٢٢-١٢٣؛ المغرب ١: ١٦٦؛ إنباه الرواة ١: ٢٥٩-٢٦٠؛ وفيات الأعيان ١: ٣٠٠-٣٠١؛ فهرست ابن خير ٣٥٩-٣٦٠؛ معجم الأدباء ١٣٥-١٣٨؛ بغية الوعاة ٢٠٩؛ نفح الطيب ٣: ١٣٥، ١٧١-١٧٢، ١٩٠؛ شذرات الذهب ٣: ٢٥٦؛ الأعلام للزركلي ٢: ٧٠ (٨٦-٨٧)؛ معجم المؤلفين ٣: ٩٢-٩٣.

مكي بن أبي طالب

١- هو أبو محمد مكي بن أبي طالب محمد (أو حموش بتشديد الميم في الأغلب: تصغير محمد) بن محمد بن مختار القيسي المقرئ. وُلد في القيروان في ٢٢ من شعبان ٣٥٤ في الأغلب (٩٦٥/٨/٢٢ م) ونشأ فيها. وقد تردّد مكي بن أبي طالب بين القيروان ومصر ومكة مراراً - بين سنة ٣٦٧ وسنة ٣٩٢ هـ (٩٧٧-١٠٠١ م). في هذه الأثناء تلقى كثيراً من العلم.

ففي القيروان سمع من أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني (٣١٠-٣٨٦ هـ) (٢) وأبي الحسن علي بن محمد القاسبي (٤٠٣ هـ) وغيرها. وفي مصر قرأ القرآن على المقرئ أبي الطيب عبد المنعم بن غلبون الحلبي (ت ٣٨٩ هـ) وعلى ابنه طاهر (ت ٣٩٩ هـ). ثم أكمل استظهار القرآن الكريم في مصر، بعد دراسة أشياء من الحساب وغيره من العلوم والآداب، سنة ٣٧٤ هـ. أمّا في مكة فقرأ على نفر منهم: أحمد بن فراس العبّسي ومحمد بن محمد بن جبريل العجيفي وأبو الحسن بن زريق البغدادي ومحمد بن إبراهيم المروزي.

وفي سنة ٣٩٢ هـ (١٠٠٢ م) عاد نهائياً إلى القيروان. وفي رجب من السنة التالية انتقل إلى قرطبة. وفي قرطبة أقرأ القرآن في مسجد النخيلة في الرقاقين (أو الزقاقين أو الرواقين!) عند باب العطارين. ثم نقله المظفر عبد الملك بن أبي عامر الحاجب (٣٩٢-٣٩٩ هـ) إلى جامع الزاهرة (راجع، فوق، ص ١٧٨) فأقرأ فيه إلى

أن انصرفت دولة العامريين (٣٩٩ هـ = ١٠٠٩ م). في تلك السنة نقله الخليفة محمد المهدي بن هشام إلى المسجد الجامع بقرطبة فأقرأ فيه مدة الفتنة كلها (٣٩٩ - ٤٢٢ هـ).

وكانت الصلاة والخطبة في جامع قرطبة للقاضي أبي الوليد يونس بن عبد الله المعروف بابن الصفّار (ت ٤٢٩ هـ). وكان يونس بن عبد الله كثيراً ما يستخلف مكّيّ ابن حموش على الخطبة والصلاة مكانه. فلما توفي يونس أقام أبو الحزم جهوز المستبد بأمر قرطبة (٤٢٢ - ٤٣٥ هـ) مكّي بن حموش إماماً رتبياً في جامع قرطبة. وكانت وفاة مكّي بن أبي طالب حموش في قرطبة في ثاني المحرم من سنة ٤٣٧ هـ (١٠٤٥/٧/٢٠ م).

٢ - كان مكّي بن أبي طالب إماماً عالماً بوجوه القراءات متبحراً في علوم القرآن، كما كان فقيهاً وأديباً شاعراً، ولكنه كان ضعيفاً في الخطابة ربّما تلجّج على المنبر. وكذلك كان مفكراً ينكر الخرافات ويكره الصوفية من أجل اختراعهم كثيراً من الخرافات والمحاللات. ومع أن شعره من طبقة شعر العلماء، فقد كان واضحاً سهلاً وعلى شيء من الطلاوة. وهو مؤلفٌ كثيرٌ قيل إن له خمسة وثلاثين مَصْنُفاً مبسوطة في أجزاء كثيرة خمسة ف عشرة ف عشرين إلى سبعين جزءاً. من هذه:

تفسير القرآن - الهداية إلى بلوغ النهاية في معاني القرآن وتفسيره وأنواع علومه (سبعون جزءاً) - مشكل معاني القرآن - مشكل غريب القرآن - المأثور عن مالك في أحكام القرآن وتفسيره - الإيجاز في ناسخ القرآن ومنسوخه - الإيضاح في الناسخ والمنسوخ - انتخاب كتاب الجرجاني^(١) في نظم القرآن وإصلاح غلطه (غلظ

(١) الجرجاني المذكور هنا يجب أن يكون القاضي علي بن عبد العزيز (ت ٣٩٢ هـ) أو حمزة بن يوسف (ت نحو ٤٢٧ هـ) أو عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت ٤٧١ هـ). ولم أعثر فيما بين يدي من المراجع على كتاب لأحدهم عنوانه «نظم القرآن». غير أن لأبي زيد أحمد بن سهل البلخي (٢٣٥ - ٣٢٢ هـ) كتاب «نظم القرآن» (الفهرست ١٣٨، السطر ٢١؛ معجم الأدباء ٣: ٦٧، السطر ٣؛ بروكلمن، الملحق ١: ٤٠٨، السطر ٥ من أسفل). وفي الفهرست عن البلخي: «كان فاضلاً في العلوم القديمة والحديثة، تلا (تبع) في تصنيفاته وتأليفاته طريقة الفلاسفة، إلا أنه بأهل الأدب أشبه وإليه أقرب».

الجرجاني) - الاختلاف في عدد الأعشار^(١) - كتاب تسمية (قسمة) الأحزاب^(٢) -
 بيان إعجاز القرآن - إعراب القرآن^(٣) - الإبانة عن معاني القرآن - الرعاية في
 تجويد القرآن وتحقيق لفظ التلاوة - المَوْجَز في القراءات - اختصار (★) أحكام^(٤)
 القرآن - التبصرة^(٥) في القراءات - كتاب الإمامة^(٦) شرح الإدغام الكبير في
 المخارج - اختصار الإدغام الكبير على ألف، با، تا، ثا - كتاب الحروف
 المُدغمة (فرش الحروف المُدغمة) - شرح الوقف التمام - الوقف على كلاً وبلى
 وَنَعَمْ في القرآن^(٧) - منع الوقف على «إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى»^(٨)
 ★ - التذكرة في اختلاف القراء - البيان عن وجوه القراءات السبع (ألفه
 ٤٢٤ هـ) - الكشف عن وجوه القراءات وعللها - اتفاق القراء - التنبيه على

-
- (١) العشر عشر آيات من القرآن تامة المعنى تقرأ عادة في المناسبات.
 (٢) الحزب ربع الجزء من القرآن الكريم. والقرآن كله ثلاثون جزءاً.
 (٣) ورد له: مشكل إعراب القرآن - إعراب مشكلات القرآن - إعراب مشكلات القرآن وذكر علله
 وسببه ونادره.
 (٤) الأحكام هنا تفهم على وجهين: أحكام (قواعد) أداء الألفاظ في التلاوة (وهو أليق بالموضوع) ثم
 الأحكام التي هي القواعد في المعاملات كالبيع والشراء والقصاص. وورد له «اختصار أحكام
 القرآن».
 (٥) كان مكّي بن أبي طالب قد ألف «الموجز في القراءات» أو في القراءة سنة ٣٨٥ هـ، ثم جاء بكتاب
 التبصرة توسيعاً لكتاب الموجز فألفها من أربع عشرة رواية من القراءات السبع المشهورة، وخصوصاً
 من قراءة ابن غلبون.
 (٦) الإمامة لفظ الألف بين الفتح والكسر.
 (٧) لعلّ مكّي بن أبي طالب بدأ بهذا الكتاب ثم لم يتمه فإن له كتاباً في الوقف على «كلاً وبلى» فقط.
 ولعلّ هذا الكتاب يرد في المصادر المختلفة بعناوين مختلفة، فعندنا مثلاً: رسالة في حكم كلاً وبلى ونعم
 والوقف عليها والابتداء - شرح كلاً وبلى ونعم والوقف على كلّ واحدة منهن وذكر معانيها وعللها.
 (٨) هذه الألفاظ مأخوذة من آية تتعلق بمسجد الضرار، وذلك أن نفرّاً من المنافقين بنوا بجانب مسجد
 قباء (عند مدخل المدينة من الجنوب) مسجداً يريدون به أن يكون للجماعة تنافس أصحاب رسول الله ثم
 ادّعوا (بفتح العين) أنهم يريدون فقط أن يبنوا مسجداً ثانياً. وقد نزل في شجب عملهم هذا عدد من
 الآيات منها الآية التالية: (٩: ١٠٧، سورة التوبة): والذين اتَّخَذُوا مسجداً ضراباً (بكسر الضاد)
 وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل. وليحلفنَّ (بضمّ الفاء) إن أردنا
 إلاّ الحسنى، والله يشهد إنهم لكاذبون». فالواضح هنا أن الوقف على كلمة «الحسنى» يبدّل المعنى
 بأن يجعل بناء هذا المسجد أمراً حسناً.

أصول قراءة نافع^(١) وذكر الاختلاف عنه - أصول الظاء في القرآن والكلام وذكر مواضعها في القرآن - كتاب الياءات المشددة (المشدودة) في القرآن - منتخب الحجّة في القراءات * لأبي علي الفارسي^(٢) - شرح الراءات على قراءة ورش وغيره - كتاب وجوه اللبس التي لبس بها أصحاب الأنطاكي في مدّ ورش^(٣) - الرسالة إلى أصحاب الانطاكي في تصحيح المدّ لورش - شرح رواية الأعشى عن أبي بكر بن عاصم^(٤) - إصلاح ما أغفله ابن مسرّة في قراءات شاذّة^(٥) - الاختلاف بين أبي عمرو وحزّة^(٦) - شرح الفرق لحزمة وهشام^(٧) - الاختلاف بين قالون وأبي عمرو^(٨) - الاختلاف بين قالون وحزّة - الاختلاف بين قالون والكسائي^(٩) - الاختلاف بين قالون وعاصم - الاختلاف بين قالون وابن عامر^(١٠) - الاختلاف بين قالون وابن كثير^(١١) - التبيان بين قالون وورش - هجاء المصاحف^(١٢) - علل هجاء المصاحف - اختصار الألفات^(١٣) - الاختلاف في الرسم

- (١) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم (ت ١٦٩ هـ) أحد القراء السبعة.
- (٢) أبو عليّ الحسن بن أحمد الفارسي (٢٨٨ - ٣٧٧ هـ) أحد الأئمة في النحو.
- (٣) الإنطاكي... (؟). ورش هو عثمان بن سعيد المصري (١١٠ - ١٩٧ هـ) من القراء.
- (٤) الأعشى هو عبد الحميد بن أبي أويس من القراء. في إنباء الرواة: «أبو بكر بن عاصم». المقصود: أبو بكر عاصم بن أبي الجود الفاري الكوفي (ت ١٢٧ هـ).
- (٥) ابن مسرّة... (؟) القراءة الشاذّة التي لا يقرّها القراء السبعة.
- (٦) أبو عمرو بن العلاء البصري (٧٠ - ١٥٤ هـ) من أئمة اللغة والأدب وأحد القراء السبعة. وحزّة بن حبيب بن الزيّات الكوفي (٨٠ - ١٥٦ هـ) أحد القراء السبعة.
- (٧) هشام... (؟)
- (٨) قالون هو أبو موسى عيسى بن ميناء المدني (١٢٠ - ٢٢٠ هـ) أحد القراء المشهورين.
- (٩) الكسائي هو عليّ بن حمزة الكوفي (ت ١٨٩ هـ) أحد أئمة اللغة والنحو والقراءة.
- (١٠) أبو عمران عبد الله بن عامر الشامي (ت ١١٨ هـ) أحد القراء السبعة.
- (١١) عبد الله بن كثير المكيّ (٤٥ - ١٣٠ هـ) أحد القراء السبعة. قالون: عيسى بن ميناء المدني (٢٢٠ هـ) أحد القراء المشهورين ومن علماء النحو.
- (١٢) هجاء المصاحف أو التهجّة أو الرسم في المصاحف (نسخ القرآن الكريم) يتبع أحياناً صوراً مخالفة للتهجّة اللفظيّة المعاصرة لنا، نحو بسم (باسم)، الرحمن (الرحان)، الصلوة (الصلاة)، الغدوة (الفداة) هويه (هواه)، آتت (آتت)، فاعبدون (فاعبدوني) إلخ.
- (١٣) اختصار الألفات من الرسم منعاً لالتقاء أحرف العلة أو للاستغناء عنها: الرحمن (الرحان)، الشيطان (إبرهيم، إبراهيم)، إسحق (إسحاق).

من « هؤلاء » والحُجَّة لكلِّ فريق^(١) - تنزيه الملائكة عن الذنوب وفضلهم على بني آدم - بيان الصغائر والكبائر (من الذنوب) - الهداية (في الفقه) - الردّ على الأئمة فيما يقع في الصلاة من الخطأ واللحن في شهر رمضان وغيره - الترغيب في الصيام - كتاب فرض الحجّ على من استطاع إليه سبيلاً - بيان العمل في الحجّ من أول الإحرام^(٢) إلى الزيارة لقبر النبيّ صلى الله عليه وسلّم - إيجاب الجزاء على قاتل الصيد في الحرم^(٣) خطأ على مذهب مالك والحُجَّة في ذلك - الترغيب في النوافل^(٤) - التهجد^(٥) في القرآن - المدخل إلى علم الفرائض (تقسيم الإرث) - كتاب ما أغفله القاضي منذر * ووهّم فيه في كتاب « الأحكام »^(٦) - شرح العارية والعرية^(٧) - شرح حاجة وحوائج وأصلها^(٨) - التذكرة لأصول العربية (النحو) ومعرفة العوامل - الزاهي في اللّمع الدالّة على مشتملات (مستعملات) الإعراب - الوصول إلى تذكرة الأصول لابن السراج في النحو^(٩) - مسائل الإخبار بالذي وبالألف واللام! - كتاب دخول حروف الجرّ بعضها على بعض^(١٠) - الانتصاف في الردّ على أبي بكر الأدفويّ فيما زعم من تغليطه في كتاب

- (١) هؤلاء . هاؤلاء ، هوأولاء ...
- (٢) الإحرام: نية الدخول في أفعال الحجّ. وقد يكون الإحرام قبل ساعات من الوقوف بعرفة (تاسع ذي الحجة) أو قبل أيام أو أشهر.
- (٣) الحرم: منطقة مكة. وتحريم الصيد يكون في أثناء موسم الحجّ للحاجّ أو للمعتمر (الحاجّ في غير أوائل ذي الحجة).
- (٤) النوافل: العبادات غير المفروضة والتي يتطوّع المسلم بأدائها.
- (٥) العبادة في الليل. التهجد بالقرآن (قراءته ليلاً). قال تعالى: ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك، عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ (١٧: ٧٩، سورة الإسراء).
- (٦) القاضي منذر بن سعيد البلوطي الأندلسي (٢٧٣ - ٣٥٥ هـ) له كتاب « الإنباه على استنباط الأحكام من كتاب الله » (والأحكام هنا: قواعد المعاملات والقصاص إلخ).
- (٧) العارية (بإهال الباء أو بتشديدها، جذرها عور): ما تعطيه لغيرك على سبيل الإعارة. والعرية من عري: الريح الباردة.
- (٨) الحاجة مفردة هي الحاجة: ما يفتقر (يحتاج) إليه الإنسان. ولكن « حاجة » تجمع على حاجات، أمّا « حائجة » فتجمع على حوائج.
- (٩) أبو بكر محمد بن السريّ بن السراج البغدادي (ت ٣١٦ هـ) من أئمة النحو والأدب.
- (١٠) كقولنا مثلاً: « طار العصفور من على الفصن »، فإنّ على هنا تقوم مقام اسم أو تستعمل اسماً.

الإمالة^(١) - المواظب المنبّهة - المبالغة في الذّكر - تحميد القرآن وتهليله
وتسبيحه^(٢) - منتقى الجواهر في الدعاء - دعاء خاتمة القرآن - الرياض
(مجموع!) - المسترضى شرح خطب ابن نباتة^(٣) - منتخب كتاب الإخوان لابن
وكيع^(٤) - اختلاف العلماء في النفس والروح - المنتقى من الأخبار - إسلام
الصحابة - معاني السنين القحطية والآيام - الاختلاف في الذبيح من هو^(٥) .
وهناك بضعة عشر كتاباً يقتصر كل كتاب منها على آية واحدة من آيات القرآن
الكريم، نحو «شرح قوله تعالى «﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾»^(٦) . لم
أوردّها هنا.

٣ - مختارات من شعره

- قاله مكّي بن حموش في إنكار البدع والخرافات وفي الحملة على الصوفية وفي
التمسك بسنة الرسول:

قُلْ لِمَنْ يَبْغِي الْمِرَا وَالْجَدَلَا فِي الْبَرَاهِينِ وَذِكْرَ الْبُدَلَا^(٧)
وَحِكَايَاتِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي تُورِثُ الْعَجْزَ وَتُبْذِلُ الْكِسَلَا:
وَيْكَ، دَعُ عَنْكَ الْخُرَافَاتِ وَلَا تُكْثِرِ الْمَرْحَ، أَخِي، وَالْهَزَلَا^(٨).
أَيْنَ مَنْ يَمْشِي عَلَى الْمَلِكِ وَلَمْ تَخْشَ مِنْهُ قَدَمَاهُ الْبَلَلَا؟

-
- (١) أبو بكر محمد بن عليّ الأدفوي المصري (٣٠٤ - ٣٨٨ هـ) من علماء التفسير والنحو.
 - (٢) التّحميد (الحمد لله) والتهليل (لا إله إلا الله) والتسبيح (سبحان الله)...
 - (٣) أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن نباتة (٣٣٥ - ٣٧٤ هـ) الحلبي، كان بارعاً في الخطب النثرية (الدّينية) وفي الحث على الجهاد.
 - (٤) ابن وكيع وكتاب الإخوان... (٩)
 - (٥) أهو إسحاق بن إبراهيم أم إسماعيل بن إبراهيم؟
 - (٦) ٥٦: ٥١، سورة الدّاريات.
 - (٧) المراء: الجدال والمخالفة في الرأي. البدل (بفتح وفتح وتجمع على أبدال) ثم البديل (وتجمع على بدلاء): أحد كبار الصوفية يزعمون له تأثيراً في العالم الطبيعي... - للذي ينكر البراهين المعقولة ثم يستشهد بأقوال أهل التصوّف غير المعقولة.
 - (٨) وي: كلمة للزجر والتهديد. ويك: ويل لك! الهزل بفتح ففتح: المزج (مزج الحق بالباطل).

او يَلْتُ الماءَ بالرمْلِ، فإنَّ
 أو يكونُ الطيرُ في جوِّ السماءِ،
 أو يحجُّ البيتَ في يومٍ؟ لقد
 هذه الأخبارُ لا أصلَ لها،
 أَلْفَتْهَا عُصْبَةٌ صُوفِيَّةٌ
 مَنْ عَدَا الْقُرْآنَ وَالْعِلْمَ فَقَدْ
 أنزلَ الله كتاباً واضحاً؛
 ثمَّ مِنْهَاجَ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى
 فالزَمُوا السُّنَّةَ لَا تَبْدِعُوا
 شَاءَ زُبْدًا رَدَّهُ أَوْ عَسَلًا؟^(١)
 فإذا أَوْماً إليه نزلاً؟^(٢)
 كَذَبَ النَّاقلُ في ما نقلنا^(٣)
 لا ولا فرعَ لها مُتَصِلاً.
 تشتهي الأكلَ وتأبى العملَ.
 خالفَ الله وخانَ الرُّسُلَا^(٤)
 حَسْبُنَا، لَا نَبْغُ عَنْهُ يَدَلًا^(٥)
 فِيهِ اللهُ هَدَانَا السُّبُلَا^(٦)
 واخذروا الزَّيْغَ وخافوا الزَّلَلَا!^(٧)

٤-★★ جذوة المقتبس ٣٢٩ (الدار المصرية) ٣٥١ (رقم ٨٢٠)؛ بغية الملتبس ٤٥٥ (رقم ١٣٦٧)؛ الصلة ٥٩٧؛ معجم الأدباء ١٩: ١٦٧ - ١٧١؛ وفيات الأعيان ٥: ٢٧٤ - ٢٧٧؛ إنباه الرواة ٣: ٣١٣ - ٣١٩؛ ابن قنفذ ٢٤٢؛ الديباج المذهب ٣٤٦؛ البلغة ٢٦٣؛ بغية الوعاة ٣٩٦ - ٣٩٧؛ شذرات الذهب ٣: ٢٦٠ - ٢٦١؛ بروكلمن ١: ٥١٥؛ الملحق ١: ٧١٨؛ الأعلام للزركلي ٨: ٢١٤ (٧: ٣٨٦).

ابن الحنَّاطِ الأعمى

١- هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ الْحَنَّاظِ الرَّعَيْنِيِّ الْأَعْمَى الْقُرْطُبِيُّ، كَانَ

- (١) لت: خلط. الزبد: ما يستخرج من اللبن (السمن والزبدة).
- (٢) أوما = أوماً: أشار.
- (٣) يروي الصوفية مثلاً أن عمر بن الفارض كان يصلي الظهر في مكة ثم يصلي العصر (في اليوم نفسه) في المدينة.
- (٤) عدا: تجاوز - من أهمل ما جاء في القرآن أو ما يقول به العلم...
- (٥) الكتاب: القرآن. حسبا: يكفينا. لا نبغ (مكان لا نبغي)، وردت كذلك في القرآن (١٨: ٦٤، سورة الكهف): «قال: ذلك ما كنا نبغ».
- (٦) منهاج النبي: طريقته ومسلكه.
- (٧) السنة = سنة رسول الله (طريقته). الزيغ: الميل والانحراف. الزلل: العثار، السقوط.

أَبُوهُ يَبِيعُ الحِنْطَةَ. وُلِدَ أَعْشَى ^(١) ثُمَّ عَمِيَ مِنْ كَثْرَةِ المَطَالَعَةِ. وَقَدْ كَفَاهُ بَنُو ذَكْوَانَ - وَهُمْ أَبْنَاءُ أُسْرَةٍ وَجِيهَةٍ غَنِيَّةٍ فِي قَرْطَبَةِ - مَوُونَةَ السَّعْيِ فِي سَبِيلِ الرِّزْقِ وَجَعَلُوهُ يَتَفَرَّغُ لَطَلْبِ الْعِلْمِ.

وكان ابنُ الحنَّاطِ يَتَكَسَّبُ بِإِقْرَاءِ النَحْوِ وَبشيءٍ مِنَ التَّطْيِيبِ وَبِمَدْحِ الملوكِ والأُمراءِ. وَقَدْ مَدَحَ عَلِيَّ بْنَ حَمُودٍ المُسْتَبَدَّ بِأَمْرِ قَرْطَبَةِ (٤٠٧ - ٤٠٨ هـ) ثُمَّ مَدَحَ أَخَاهُ القَاسِمَ بْنَ حَمُودٍ (٤٠٨ هـ وما بعدها). وَكانَ فِي ابنِ الحنَّاطِ شيءٌ مِنَ الجُرْأَةِ عَلَى النَّاسِ وَعَلَى الحَقِّ فَنَافَا أبا عَامِرٍ بْنَ شُهَيْدٍ (٣٨٢ - ٤٢٦ هـ) مَنَافَا شَدِيدَةً وَاسْتَهْتَرَ فِي القَوْلِ والفِعْلِ حَتَّى نَفِيَ عَنْ قَرْطَبَةِ فَانْتَقَلَ إِلَى الجَزِيرَةِ الخُضراءِ، وَكانَ صَاحِبِهَا وَحَاكِمُهَا مُحَمَّدُ بْنُ القَاسِمِ بْنِ حَمُودٍ (٤٢٨ - ٤٤٠ هـ). وَلَعَلَّ نَفْيَهُ هَذَا كانَ فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِهِ. وَمِنْ الجَزِيرَةِ الخُضراءِ أَرْسَلَ ابنُ الحنَّاطِ مِدْحَةً إِلَى المَظْفَرِ بْنِ الأَفْطَسِ صَاحِبِ بَطْلَيْوُسَ.

وَقَدْ قالَ ابنُ حَيَّانَ فِي «الْمَتَنِ» (المغرب: ١٢٣): «وَفِي سَنَةِ ٤٣٧ نُعِيَ إِلَيْنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الحَنَّاظِ الشَّاعِرُ الأَدِيبُ القُرْطُبِيُّ...» وَبِمَا أَنَّ المَظْفَرَ قد جَاءَ إِلَى الحُكْمِ بَعْدَ ١٧ مِنْ جُمَادَى الثَّانِيَةِ مِنْ سَنَةِ ٤٣٧، فَمِنْ المَفْرُوضِ أَنَّ تَكونَ وَفاةُ ابنِ الحَنَّاظِ فِي أَوَاخِرِ ٤٣٧ هـ (أَوَاسِطُ عَامِ ١٠٤٦ م) أَوْ بَعْدَ ذَلِكَ بِقَلِيلٍ.

٢- كانَ ابنُ الحَنَّاظِ الأَعْمى مُتَقَدِّمًا فِي عُلُومِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ وَفِي البَلَاغَةِ وَفَنونِ الأَدبِ مَعَ مَعْرِفَةٍ بِالمَنْطِقِ وَشيءٍ مِنَ البَرَاعَةِ فِي التَّطْيِيبِ. وَكَذلكَ كانَ أَدِيبًا نَاشِرًا شاعِرًا. وَشِعْرُهُ يَتَراوَحُ بَيْنَ الرِّقَّةِ والسَّلَاسَةِ ثُمَّ بَيْنَ المَتانَةِ والجَزالَةِ، وَعَلَيْهِ نَفْحَةٌ دِينِيَّةٌ. وَكَذلكَ كانَ هَواهُ مَعَ الفِوَاطِمِ (أَبْناءُ فَاطِمَةَ) مِنْ بَنِي هَاشِمٍ (اعْتِقَادًا أَوْ تَكَسُّبًا). وَفَنونُهُ المَدِيحُ وَالفَخْرُ (بِنَفْسِهِ وَبِشِعْرِهِ). وَالمُوصَفُ وَالمُطَرَّدُ (وَصَفُ الصَّيْدِ) فِي البَرِّ وَالبَحْرِ.

٣- مَخْتاراتُ مِنْ آثارِهِ

- قالَ ابنُ الحَنَّاظِ الأَعْمى قَصِيدَةً يَصِفُ الطَّبِيعَةَ فِي مَطْلَعِها ثُمَّ يَتَخَلَّصُ إِلَى مَدْحِ

أَعْشَى: ضَعِيفُ البَصَرِ (لا يَبْصُرُ فِي اللَّيْلِ).

علي بن حمود العلوي (الفاطمي):

رَاحَتٌ تُذَكِّرُ بِالنَّسِيمِ الرَّاحَا وَطَفَاءٌ تَكْثُرُ لِلْجُنُوحِ جَنَاحَا^(١)
مَرَّتْ عَلَى التَّلَعَاتِ فَانْتَسَتِ الرُّبَى حُلَلًا أَقَامَ لَهَا الرِّبْعُ وَشَاخَا^(٢)
فَانْظُرْ إِلَى الرُّوْضِ الْأَرِيضِ وَقَدْ غَدَا يُنْكِي الْفَوَادِي ضَاكِحًا مُرْتَاخَا^(٣)
وَالنَّورُ يَنْسُطُ نَحْوَ دِمَيْتِهَا يَدَا أَهْدَى لَهَا سَاقِي النَّدى أَقْدَاخَا^(٤)
وَتَخَالُهُ حَيَا حَيَا مِنَ عَرْفِهِ بِذِكِّيَّةٍ فَإِذَا سَقَاهُ فَاحَا^(٥)
رَوْضٌ يُحَاكِي الْفَاطِمِيَّ شَائِلًا طَيِّبًا، وَمُزْنٌ قَدْ حَكَاهُ سَهَاخَا^(٦)!

- وله من قصيدة في القاسم بن حمود يذكر فيها مقتل الخليفة عبد الرحمن المرتضى (٤٠٨ هـ)، وقد استبد القاسم بن حمود في أيامه بالحكم، كما يذكر فيها موت خيران الصقلّي العامري (٤١٨ هـ). وكان خيران من أنصار القاسم بن حمود ثم انقلب عليه:

لَكَ الْخَيْرُ: خَيْرَانٌ مَضَى لَسِيلِهِ؛ وَأَصْبَحَ مُلْكُ اللَّهِ فِي ابْنِ رَسُولِهِ^(٧)،
وَفُرَّقَ جَمْعُ الْكُفْرِ، واجْتَمَعَ الْوَرَى عَلَى ابْنِ حَبِيبِ اللَّهِ بَعْدَ خَلِيلِهِ^(٨).

- (١) للجنوح (كذا في الذخيرة ١: ٤٤٥)، والأصوب: الجنوب (بفتح الجيم): الريح الجنوبية. راجع شرح البيت، فوق ص ٤٦٥.
- (٢) التلعة: أرض مرتفعة يسيل منها الماء إلى أرض أخرى تحتها.
- (٣) الأريض: الكرم (بالتبنيات): العادية: السحابة المملوءة بالمطر والقادمة في الصباح. المراتج: السرور. الروض ييكي (بضم الياء) الفوادي (يجعلها تبكي: تمطر)، وهو ضاحك (بالأزهار التي تتفتح فيه).
- (٤) النور (بالتفتح): الزهر الأبيض. الديمة: الغمامة المطيرة. القدح (هنا): جسم الزهرة. الندى: قطرات الماء التي تنزل في أواخر الليل. الأزهار ترتفع نحو الغيم فيسقط فيها الماء (من المطر ومن الندى) فتمتلئ (رطوبة تنعشها).
- (٥) حَيَا يُحْيِي: ألقى التحية (السلام). الحيا: المطر. ذكيّة (رائحة ذكيّة: طيبة). العرف: الرائحة الطيبة. فاح: انتشر (انتشرت الرائحة). الصورة هنا بعيدة المتناول: النور (بالتفتح): الأزهار البيضاء، وهنا الزهر عامّة) يشكر المطر بمنح المطر شيئاً من الرائحة الذكيّة. وكلّما زاد المطر سقيا للزهر زاد الزهر في شكر المطر ووجهه قدراً أكبر من الرائحة الطيبة (وكلّما كثر المطر نشعر نحن بكثرة الرائحة الطيبة).
- (٦) حكي، حاكي: شابه. الشائل جمع شال (بكسر الشين: الخلق الكرم). المزن: المطر. السباح: التسامح والتساهل. والشاعر يقصد الساحة: الجود والكرم (ويجوز أن تكون كلمة «سباح» هنا) جمع جنس للساحة.
- (٧) مضى لسبيله: مات.
- (٨) خليله (خليل الله) إبراهيم.

وقَامَ لِوَاءِ النَصْرِ فَوْقَ مُنْعَرٍ مِنْ الْعِزِّ جَبْرِيلُ إِسَامُ رَعِيلُهُ^(١).
وَأَشْرَقَتْ الدُّنْيَا بِنُورِ خَلِيفَةٍ بِهِ لَاحَ بَدْرُ الْحَقِّ بَعْدَ أَفْوَلِهِ^(٢).
فَلَا تَسْأَلِ الْأَيَّامَ عَمَّا أَتَتْ بِهِ؛ فَمَا زَالَتِ الْأَيَّامُ تَأْتِي بِسُوءِهِ^(٣)!

- ومن رسالة لابن الحنّاط كتب بها إلى المظفر بن الأفطس:

حَجَبَ اللَّهُ عَنِ الْحَاجِبِ الْمُظَفَّرِ - مَوْلَايَ وَسَيِّدِي - أَعْيَنَ النَّائِبَاتِ وَقَبَضَ دُونَهُ
أَيْدِيَ الْحَادِثَاتِ، فَإِنَّهُ - مُذْ كَانَ - أَنْوَرُ مِنَ الشَّمْسِ ضِيَاءً وَأَكْمَلُ مِنَ الْبَدْرِ بَهَاءً،
وَأَنْدَى مِنَ الْغَيْثِ كَفًّا وَأَحْمَى مِنَ اللَّيْلِ أَنْفَاءً^(٤)، وَأَسْخَى مِنَ الْبَحْرِ بَنَانًا وَأَمْضَى مِنَ
النَّصْلِ لِسَانًا^(٥). وَأَنْجَبَهُ الْمَنْصُورُ فَجَرَى عَلَى سَنَنِهِ، وَأَدَّبَهُ فَأَخَذَ بِسُنَّتِهِ^(٦). وَكَانَتْ
الرِّئَاسَةُ عَلَيْهِ مَوْقُوفَةً وَالسِّيَاسَةُ إِلَيْهِ مَصْرُوفَةً^(٧). قَصَرَتْ الْأَوْهَامُ عَنْ كُنْهِ^(٨) فَضْلِهِ
وَعَجَزَتْ الْأَقْلَامُ عَنْ وَصْفِهِ. غَيْرَ أَنَّ الْفَضَائِلَ لَا بُدَّ مِنْ نَثْرِهَا وَالْمَكَارِمَ لَا عُذْرَ فِي
تَرْكِ شُكْرِهَا:

فَالشُّكْرُ لِلْإِنْسَانِ أَرْبَحُ مَتَجَرٍّ لَمْ يَقْدَمْ الْخُسْرَانُ مِنْ لَمْ يَشْكُرْ^(٩).
- وله رسالة يتهمكم فيها بأبي عامر بن شهيد^(١٠) جاء فيها:
الْإِسْهَابُ كُفْلَةٌ^(١١) وَالْإِيجَازُ حِكْمَةٌ، وَخَوَاطِرُ الْأَلْبَابِ سِهَامٌ يُصَابُ بِهَا أَغْرَاضُ

-
- (١) الرعيل: الجماعة القليلة من الناس (أو من الخيل) تتقدم غيرها (في الزمن أو في المكانة).
(٢) الأفول: الغياب، الغروب.
(٣) السؤل = السؤل = السؤال: الطلب.
(٤) أحى (أكثر حماية) من أنف الليث (الأسد): كناية عن خوف الناس من الاعتداء عليه.
(٥) بنانا (أصابع): كناية عن الكرم. النصل: (حدّ السيف) لساناً: كناية عن براعته في الكلام وعن نفوذ أوامره.
(٦) عبد الله المنصور (ت ٤٣٧) والد أبي بكر محمد المظفر (تولى من سنة ٤٣٧ إلى سنة ٤٦٠). أنجبه: ولده. السنن (بفتح ففتح): المثال والمنهاج. السنن (بضم ففتح جمع سنّة بالضم): الطريقة، السيرة، العادة.
(٧) كأنها لا يصلح غيره للرئاسة (الإمارة، الملك) وكأنها السياسة (تدبير الأمور) قد قصد هو بها.
(٨) كنه: سرّ.
(٩) الذي لا يعرف أن يشكر (الناس على معروفهم إليه) سيكون خاسراً.
(١٠) راجع، فوق، ص ٤٥٤.
(١١) الإسهاب: التطويل في الكلام. الكلفة: المشقة.

الكلام^(١). وأخونا أبو عامرٍ يُسهبُ نثراً ويطوّلُ نظماً، شامخاً بأنفه ثانياً من عطفه^(٢) مُتخيلاً أنّه قد أحرز السباق في الآداب وأوتيَ فصلَ الخطاب^(٣). فهو يستقصِرُ أساتيدَ الأدباء ويستجهلُ شيوخَ العلماء....

- ولاين الحنّاط في ذكر بني فاطمة الزهراء:

أبناء فاطمة رُسُلُ العلا رَضِعُوا وبالسّاح غُذُوا والجود إذ فُطِمُوا.
قوم إذا حلفَ الأقوامُ أَنَّهُمْ خيرُ البرية لم يَحْنُ لَهُمْ قَسَمٌ،
سما لهم من سماءِ الجَدِّ من شرفِ بيتٍ تَدَاعَتْ إليه العُربُ والمِجَمُ:
مناقبٌ سمحت في كلِّ مكرُمةٍ كأنما هي في أنفِ العلا شَمَمٌ.

- ولاين الحنّاط الكفيف قصيدة منها:

أَرِقْتُ وقد غَشَى الحَمَامُ الهَوَاتِفُ بُنْعَرَجَ الأجزاء والليلُ عاكِفُ^(٤).
أَعْدَنْ لِي الشوقَ القديم، وطاف بي على النَّأْيِ من ذِكْرِ المليحة طائِفُ^(٥).
وما الجانبُ الشرقيُّ من رملٍ عالِجٍ، بحيث استوت غِيْطَانُهُ والنِّفَافُ^(٦).
إذا ما تَغَنَّى الرعدُ فوق هِضَابِهِ - سقى الروضَ من وِبلِ الغَمامَةِ واكِفُ^(٧).
بأحسن من أَطلالِ علوةٍ منظرًا وإن دَرَسْتَ آيَاتُهُ والمعارِفُ^(٨).
خليليّ، هل بالخيفِ للشملِ إلفَةُ فيأمن قلبٌ من نَوَى الخيفِ خائفُ^(٩).
أفي وقفةٍ عند العقيقِ ملامَةُ على دَيفٍ شاقَّتْهُ تلكَ المواقِفُ^(١٠).

(١) الغرض: الهدف. اغراض الكلام: مقاصده.

(٢) و (٣) شامخاً (رافعاً) بأنفه (كناية عن التكبر). ثانياً (دائراً) من عطفه (طرف جسمه الأعلى) كناية عن الإعجاب بنفسه. فصل الخطاب: ما كان القول فيه حكماً باتاً قاطعاً لا يحتمل الجدل.

(٤) الهاتف: المنادي بصوت مرتفع. الليل عاكف: نازل (شديد الظلام).

(٥) النَّأْي: البعد. الطائف: خيال يتراءى للإنسان (في النوم أو في اليقظة: بفتح ففتح).

(٦) الغَيْط: الأرض المطمئنة (المنخفضة، وتكون خصبة). النِّفَاف: الصحراء.

(٧) الوبل: المطر الكثير. الواكف: المطر المنهل (الشديد).

(٨) آيات: علامات. معارف: أماكن ظاهرة يعرفها الناس.

(٩) الخيف: مكان في الحجاز يكثر الشعراء من ذكره.

(١٠) العقيق: مرج قرب المدينة. الدنف: الذي قرب من الهلاك.

سقى عَرَصاتِ الدارِ كلُّ مُلْتَهٍ من المَزْنِ تُزجِيها البروقُ الخواطفُ^(١).
 كأنَّ نَشِيرَ القَطَرِ منها جواهرٌ تُفَرِّقُها للريحِ أُنْدٍ عواصفُ^(٢).
 كأنَّ ابتسامَ البرقِ فيها إذا بدتْ سيوفُ عليٍّ بالدماءِ رواعفُ^(٣).
 - يبدو أن ابنَ الحنَّاطِ لما أرسلَ مِدْحَتَهُ إلى المَظفَرِ بنِ الأَفسَسِ أرسلَ المَظفَرُ
 إليه جائزةً سَنِيَّةً، فكتبَ ابنُ الحنَّاطِ إلى ابنِ الأَفسَسِ:

كَتَبْتُ عَلَى البُعْدِ مُسْتَجِدِيَا لِعَلِمِي بِأَنَّكَ لَا تَبْخَلُ
 فِجَاءَ الرِّسُولِ كَمَا أَشْتَهِي وَقَدْ سَاقَ فَوْقَ الَّذِي أَمْلُ
 وَمَا كَانَ وَجْهَكَ ذَاكَ الْجَمِيلُ لِيَفْعَلَ غَيْرَ الَّذِي يَجْمَلُ!

٤- ★★ جذوة المقتبس ٥٣ (الدار المصرية) ٥٧ - ٥٨ (رقم ٦٠)، بغية الملتبس ٦٧ (رقم ١٢٤)، الخريدة (الأندلس) ؟ ٢ : ٢٢٤ - ٢٤١، الخريدة (المغرب) ٢ : ٢٩٧ - ٣٠٨، الذخيرة ١ : ٤٣٧ - ٤٦٨، المحدثون ٣٣٦ (؟)، ٣٥٩، الوافي بالوفيات ٣ : ١٢٤، المغرب ١ : ١٢١ - ١٢٤، نفح الطيب ١ : ٤٨٣، ٥٠٣، ٣ : ٢٦٣، ٢٨٨، ٢٨٩، ٦١٠ - ٦١١، دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٧٨٦، الأعلام للزركلي ٧ : ٢٠ (١٤٩).

أبو المغيرة بن حزم

١ - هو أبو المغيرة عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن (نفح الطيب ٣ : ١٥٦) ابن محمد بن حزم. وهو ابن عم الفقيه ابن حزم الظاهري (ت ٤٥٦ هـ).
 وُلِدَ أَبُو المَغِيرَةِ بنُ حَزْمٍ فِي قرطبة. ومن الذين سَمِعَ مِنْهُم أَبُو القاسم الوَهْراني. ويبدو أن أبا المغيرة قد عاش عيشةً هُوَ مندفعاً في الحبِّ، برغم اتِّصاله بِرِجالِ الأندلس وأصحابِ الدولة فيها. فلقد نشأتَ بَيْنَهُ وبين جاريةٍ للمنصور بن أبي عامر اسمُها أنسُ القلوبِ ناشئةٌ هَوَى انكشفتَ للمنصورِ فغَضِبَ في أولِ الأمرِ ثمَّ اسْتَرْضِيَ فَرَضِيَّ وَوَهَبَ أنسَ القلوبِ لأبي المَغِيرَةِ.

- (١) العرصة: الباحة أمام الدار. الملت: الدائم. المزن: المطر. تزجها: ترسلها. البرق الخاطف (الشديد اللعنان) الذي يخطف (بفتح الطاء) البصر.
 (٢) جواهر: لآلئ.
 (٣) علي بن حمود المتوفى ٤٠٨ هـ (؟؟). رصف: سال.

وَوَلِيَ أَبُو الْغَيْرَةِ بْنِ حَزْمِ الْوِزَارَةَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُسْتَظْهِرِ بْنِ هِشَامٍ (٤١٤ هـ) ثُمَّ بَدَرَ مِنْهُ مَا أَوْجَبَ الْعَتَبَ عَلَيْهِ فَهَرَبَ إِلَى بِلَادِ الثُّغُرِ (شَالِي الْأَنْدَلُسِ). وَتَطَوَّفَ أَبُو الْغَيْرَةِ حِينًا بِمُلُوكِ الطَّوَائِفِ وَنَالَ عِنْدَ نَفَرٍ مِنْهُمْ حُظُوءَ كَبِيرَةٍ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي مُسْتَهْلٍ صَفَرَ مِنْ سَنَةِ ٤٣٨ (١٠٤٦/٧/٧ م) فِي عَسْكَرِ يَحْيَى الْمَأْمُونِ بْنِ ذِي النُّونِ (٤٢٩-٤٦٧ هـ) بِطُلَيْطَلَةَ، غَيْرَ مُتَقَدِّمٍ فِي السِّنِّ.

٢- كَانَ أَبُو الْغَيْرَةِ بْنِ حَزْمٍ مِنَ الْمَقْدَمِينَ فِي الْآدَابِ وَالشُّعْرِ وَالْبَلَاغَةِ، وَكَانَ شَاعِرًا فَخْلًا وَجَدَانِيًّا مُكْثِرًا. وَكَذَلِكَ كَانَ نَائِرًا مَرْتَسَلًا رَصِينًا الْمَعَانِي مَتِينًا السَّبْكَ يَتَكَلَّفُ أحيانًا، وَكَانَ مُصَنِّفًا؛ غَيْرَ أَنَّ شُهْرَةَ ابْنِ عَمِّهِ قَدْ غَطَّتْ عَلَيْهِ فَخَمَلَ ذِكْرُهُ.

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ

قَالَ أَبُو الْغَيْرَةِ بْنُ حَزْمٍ يمدح يحيى المظفر بن المنذر التُّجَيْبِيَّ (٤١٤ - ٤٢٠ هـ) أَوِ الْمُنْذَرَ الثَّانِيَّ بْنَ يَحْيَى (٤٢٠ - ٤٣١ هـ)، وَقَدْ بَدَأَ بِغَزَلٍ وَخَتَمَ بِالْفَخْرِ بِنَفْسِهِ وَبشعره:

بِثْنَا- وَبَاتَ الْمِسْكُ فِينَا وَاشِيَا	يَمَكَّانَنَا، وَالْحَلِيُّ عَنَّا مُخْبِرَا ^(١) .
وَرَنْتُ بِالْعَاضِظِ تُدِيرُ كُؤُوسَهَا	فِينَا فَنَشْرُبُهَا حَلَالًا مُسْكِرَا ^(٢) .
وَاللَّيْلُ يُلْحِقُنِي سَرَابِيلَ الدُّجَى	جَهْلًا وَقَدْ عَانَقْتُ صُبْحًا مُسْفِرَا ^(٣) .
لَوْ جِئْتَنَا لَرَأَيْتَ أَعْجَبَ مَنْظَرٍ:	أَسَدٌ تَوَسَّدَ كَفَّ ظَنِي أَغْفَرَا ^(٤) .
إِلَّا تَرَى الْمَنْصُورَ تَحْتَ لِوَائِهِ	تَلْقَ ابْنَهُ طَلَقَ الْجَبِينِ مُظْفَرَا ^(٥) .
لَا غَرَوْ، جِئْتُ الْبَحْرَ إِذْ أَجْلَى الْحَيَا	وَرَأَيْتُ يَحْيَى حِينَ لَمْ أَرْ مُنْذِرَا ^(٦) .

(١) رائحة المسك كانت تضوع (تنتشر) منا والخلي التي تتحلَّى بها المحبوبة كانت ترون فيشي ذلك كله بنا (يدلُّ على مكاننا).

(٢) رنا: أدام النظر بطرف ساكن هادئ (مستغرقاً)... كَأَنَّا نشرب من الحماظها خمرًا (ولكنها خمر محللة مع أنها تسكر كالخمر المحرمة).

(٣) يلحفني: يغطيني. سراويل (أردية، أثواب) الدجى (الظلام). جهلاً- الليل يحاول أن يستترني عن العيون، وكيف يستطيع ذلك ومعني فتاة جميلة تضيء الظلام مثل الصباح المسفر (الطالع).

(٤) أسد: رجل (بطل). توسَّدَ (نام على) كف ظني أغفر (غزال أسمر): فتاة جميلة.

(٥ و ٦) الحيا: المطر. أجلى الحيا... لا يمكن تفسير هذين البيتين إلا إذا فصلنا في هذه المدحة: أمي في يحيى المظفر أو في ابنه المنذر الثاني.

فإذا دَعَوْنَا: من يُجِيبُ لِنَكْبَةِ؟
شَيْمٌ غَدَتْ قُرْطُ الزَّمانِ، فلم أُنَمِّ
للهِ دَرْكٌ والرَّمْماحُ شَوَارِعُ
فإذا أَتَيْتُكَ مادحاً لَكَ لم يَجِيءْ
غَيْرِي الذي اتَّخَذَ المَدائِحَ مَكْسَباً،
أنا ما شَعَرْتُ لأنَّ أُنْبَهَ خامِلاً،
لَبَّتْ تُجِيبُ، فخلَّتْها سَيْلاً جرى (١).
حَتَّى نَظَّمْتُ عليه شِعْري جَوْهر (٢).
والبَيْضُ تَقْطَعُ لَأَمَّةً وَسَنَوْرًا (٣).
شِعْري لِيَسْأَلَ، بل أَتَاكَ لِيَفْخُرَا (٤).
وَسِوَايَ مَنْ جَعَلَ القَوافي مَتَجَرَا.
لكن لَأَمْنَعُ شاعِراً أن يَشْعُرَا (٥).

- عقد المنصور بن أبي عامر مجلس شراب، فلما دارت الكؤوس غنت جارية له اسمها أنس القلوب.

قَدِمَ اللَّيْلُ عِنْدَ سَيْرِ النِّهارِ،
فكَأَنَّ النِّهارَ صَفْحَةٌ خَدٌّ،
وَكَأَنَّ الكُؤُوسَ جامِدٌ مَاءٌ
نَظَرِي قد جَنَى عَلَيَّ ذُنُوباً؛
يا لَقَوْمِي، تَعَجَّبُوا من غَزَالٍ
لَيْتَ لو كان لي إِلَيْهِ سَبِيلٌ
وبدا البدرُ مثلَ نصفِ سِوارِ.
وَكَأَنَّ الظُّلَّامَ خَطٌّ عِذارِ.
وَكَأَنَّ المُدَّامَ ذائِبٌ نارِ.
كَيْفَ مَّا جَنَّتْهُ عَيْنِي اعتِذارِي؟
جائِرٌ حَيٌّ مَهْجَتِي وهو جاري.
فأَقْضِي من حُبِّهِ أوطاري.

- وكان أبو المغيرة بن حزم حاضراً فارتحل الأبيات التالية:

كَيْفَ، كَيْفَ الوُصُولُ للأَقْمارِ
لو عَلِمْنَا بأنَّ حُبَّكَ حَقٌّ
بين سُمْرِ القَنَا وبَيْضِ الشُّفَارِ؟
لَطَلَبْنَا الحَيَاةَ مِنْكَ بشارِ.
وإذا ما الكِرَامُ هَمَّوا بِشَيْءٍ
خاطروا بالنُفُوسِ في الأَخْطارِ.

- (١) تجيب: قبيلة المدوح.
- (٢) شيم: خصال، مكارم. قرط الزمان: مشهورة (كأنها أقرط معلقة بأذن الزمن). نظمت عليه شعري جوهرًا: حليت ذلك القرط بشعري.
- (٣) شوارع: مشرعة (مسددة نحو العدو). البيض: السيوف. الأمانة: الدرع (من حديد). السور: شبيه الدرع (من جلد).
- (٤) ... ليسأل (عطاء) بل ليفتخر (بأنه مدح رجلاً عظيماً).
- (٥) لأن أنبه خاملاً: أجعل رجلاً غير مشهور مشهوراً. لأمنع شاعراً أن يشعرا: لأمدحك بقصيدة بارعة لا يجسر بعدها شاعر آخر أن يقدم على مدحك (العجزة عن أن ينظم مثلها).

غَضِبَ المنصور وأراد أن يقتلَ الجاريةَ، فبكتَ الجاريةُ واعتذرت بأن هذا الحُبُّ
كان بقضاء الله ولم تَمْلِكْ هيَ له دفعاً. حينئذٍ قال أبو المغيرة على لسانها:

أذْنِبْتُ ذَنْباً عَظِيماً فكيف منه أعتذاري؟
والله قَدَّرَ هذا ولم يَكُنْ بِأختياري.
والعَفْوُ أَحْسَنُ شَيْءٍ يَكُونُ عِنْدَ أَقْتَدَارِ.

- وله من رسالة يصف فيها الروض في الربيع:

... والأرضُ قد نَشَرَتْ مِلاءَها وسَحَبَتْ رِداءَها وَلَبِسَتْ جِلْبَاهَا وَتَقَلَّدَتْ
سُخَاهَا^(١). وَبَرَزَ الوردُ من كِيَامِهِ واهْتَزَّ الرُّوضُ لتغريدِ حَمَامِهِ؛ والأشجارُ قد نَشَرَتْ
شُعُورَها وهَزَّتْ رُؤُوسَها، والدُّنْيَا قد أَبْدَتْ بَشَرَهَا وَأَمَاطَتْ عُيُوسَهَا^(٢). وكَأَنِّي بها قد
أَظْلَعْتُ من كُلِّ ثَمَرٍ ضُروباً وَأَبْدْتُ من سَنَاهَا منظرًا عَجِيبًا، وَإِنْ كُنَّا لَا نُشَارِكُ في
تلك إِلَّا بِالْعِيَانِ لَا بِاللِّسَانِ، وبِالطَّرْفِ لَا بِالْكَفِّ، وَنَنَالُهَا بِالْاِخْتِلَاسِ لَا بِالْأَضْرَاسِ.
وللدهْرِ قِسْمٌ من أَقْسَامِ اللَّذَّةِ وَصِنْفٌ من أَصْنَافِ الشَّهْوَةِ... وَحَالِي حَالٌ لِلِسَقَامِ بِهَا
اتِّصَالٌ وَلِلصِّحَّةِ عَنْهَا انفِصَالٌ، يُعِينُ على ذلك ضَعْفُ البُنْيَةِ وَفَسَادُ الْأَهْوِيَةِ وَالتَّخْلِيطُ
في الْأَغْذِيَةِ...

٤ - ★★ جدوة المقتبس ٢٧٣ (الدار المصرية) ٢٩١ - ٢٩٢ (رقم ٦٥٨)؛ بغية الملتبس
٣٨١ - ٣٨٠ (رقم ١١١٠)؛ الصلة ٣٦١ - ٣٦٢؛ المطمح ٣١ - ٣٤؛ الذخيرة
١٣٢: ١ - ١٦٦؛ فوات الوفيات ٢: ٣٣٩؛ الوافي بالوفيات ٥: ١٩٤؛ المغرب
١: ٣٥٧؛ نفع الطيب ١: ٦١٦ - ٦١٨، ٦٢٠ - ٦٢١، ٢: ٧٩ - ٨١، ٣:
٤٣٥، ٤٧١، ٤٧٢، ٥٥٣ - ٥٥٤، ٧: ٤٥ - ٤٦؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣:
٧٩. النثر الفني ٢: ٢١٨ - ٢٢٥؛ نيكل ٥٤؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣٣٠.
(١٧٩).

(١) الأرض نَشَرَتْ مِلاءَها: غطت الأرض بملاءة (رداء) خضراء؛ سحبت رداءها (جعلت في ذلك الملاء
الأخضر بقاغا من الورد الملون)؛ لبست جِلْبَاهَا: عَمَّ النبات والزهر جميع أقطارها؛ تَقَلَّدَتْ (لبست
قلادة في عنقها) سُخَاهَا (السحاب عقد من قرنفل زكي الرائحة، فاحت رائحة أزهارها).
(٢) الكمام: الورق الأخضر الذي يعلف الأزهار قبل أن تتفتَح. اهتز: تحرك طرباً. الأشجار نَشَرَتْ
شُعُورَها: ثَمَّ خروج ورقها. هَزَّتْ رُؤُوسَها: أصبحت أغصانها تتحرك في النسيم لأنَّ عليها ورقاً. البشر
(بكسر الباء): السرور. أَمَاطَ: أزاح، نحى، أزال.

الأسعد بن بليطة

١ - هو أبو القاسم الأسعد بن إبراهيم بن بليطة^(١) القرطبي. وُلِدَ في قرطبة. تردّد بين بلاطات ملوك الطوائف يتكسّب بالشعر، كما كان فارساً أيضاً يتكسّب بالخدمة في ديوان الجند، فقد قال فيه ابن بسّام في «الذخيرة»: فارسٌ جَحْفَلٍ وشاعرٌ مَحْفَلٍ فَجَرى في المِيدَانِينِ وارْتَزَقَ في الديوانِينِ . وتطوّفَ أيضاً في بلدان المغرب. ولكنه معدودٌ في شعراء المعتصم بن صّادح. وقد كان حيّاً^(٢) قبل سنة ٤٤٠ هـ (١٠٤٨ - ١٠٤٩ م).

٢ - كان الأسعد بن بليطة ناثراً وشاعراً مجيداً، وشعره سهلٌ عذبٌ وأبرزُ فنونه الوصفُ والغزلُ. وله القصيدة الطائفة البارعة (وهي تسعون بيتاً) في مدح المعتصم بن صّادح.

٣ - مختارات من شعره

- قال الأسعد بن بليطة يمدحُ المعتصم بن صّادح :

برامة ريمٌ زارني بعدما شطّا تقنّضته في الحلم في الشطّ فاشتطّا^(٣)
رعى من أفانين الهوى ثمر الحشا جنباً، ولم يرع العهود ولا الشرطاً^(٤)

(١) من الإسبانية القديمة: بليدو (بإمالة الباء وكسر اللام المشددة): الجميل (نيكل ١٩٦). وقال ابن خلكان (٥: ٤٥): لا أعرف معناه، وهو بلغة أعاجم الأندلس (نصارى الأندلس الذين لا يتكلمون العربية). ونقل حسين مؤنس (الحلة السراء ٢: ٨٣) عن دوزي أن «بليطة» من الكلمة الإسبانية «بليتا» (بكسر الباء وتشديد اللام وإمالة الياء والألف). بمعنى البطاقة (قطعة من الورق بنحو قدر الكف). ويبدو أنّ تعليل نيكل أصح.

(٢) جذوة المقتبس ١٦٦، وفي بغية الملتبس (ص ٢٢٩): توقّي في حدود ٤٤٠. وعن بغية الملتبس أخذ شوقي ضيف (المغرب ٢: ١٧. في الحاشية). ولكن إذا كان الأسعد بن بليطة قد مدح المعتصم بن صّادح صاحب المرية (٤٤٤ - ٤٨٠ هـ) بهذه القصيدة وبغيرها (راجع وفيات الأعيان ٥: ٤٢؛ نفع الطيب ٤: ١٠٠، ١٠١) فيجب أن يكون الأسعد بن بليطة قد عاش بعد سنة ٤٤٠ مدة طويلة.

(٣) ريم: غزال أبيض. شطّ: بعد. الشطّ: جانب النهر، النهر (ومجتمع الماء).

(٤) رعى (أكل): تمتّع. أفانين (جمع أفنون - بضم الفاء: غصن): أنواع. جنباً: جديداً، طرياً. لم يرع: لم يحفظ.

خَيْالٌ لَمَرَقُومٍ غَرِيرٍ بِرَامَةِ
فَأَكْسَبَنِي مِنْ خَدَّهَا رَوْضَةَ الْجَنَى
وَبَاتَتْ ذِرَاعَاهَا نَجَاداً لِعَاتِقِي
وَسَلَّ اهْتِصَارِي غُضُنَهَا مِنْ مُخَصَّرٍ
وَقَدْ غَابَ كُحْلُ اللَّيْلِ فِي دَمْعِ فَجْرِهِ
كَأَنَّ الدُّجَى جِيشٌ مِنَ الرَّنَجِ نَافِرٌ
وَقَامَ لَهَا يَنْعَى الدُّجَى ذُو شَقِيقَةٍ
إِذَا صَاحَ أَصْفَى سَمْعُهُ لِأَذَانِهِ
كَأَنَّ أَنْوَشِرَوَانَ أَعْلَاهُ تَاجَهُ
سَبَى حُلَّةَ الطَّائِفِ حُسْنَ لِبَاسِهَا
تَوَهَّمَ عَطْفَ الصَّدْغِ نُوناً بِجَدِّهَا
غَلَامِيَّةٌ جَاءَتْ وَقَدْ جَعَلَ الدُّجَى

تَأَوَّبَنِي بِالرَّقَمَتَيْنِ لَدَى الْأَرْضَى^(١)
وَأَلَدَعَنِي مِنْ صُدْغِهَا حَيَّةً رَقَطَا^(٢)
إِذَا مَا التَّقَاهَا الْحَلِيَّ غَنَى لَهَا لَفْطَا.
طَوَاهِ الضَّنَى طَيَّ الطَّوَامِيرُ فَاثْمَطَا^(٣).
إِلَى أَنْ تَبْدَى الصُّبْحُ كَاللَّيَّةِ الشَّمْطَا.
وَقَدْ أَرْسَلَ الْإِصْبَاحَ فِي إِثْرِهِ الْقُبْطَا^(٤).
يُدِيرُ لَنَا مِنْ عَيْنِ أَجْفَانِهِ سَقَطَا^(٥).
وَبَادَرَ ضَرْباً مِنْ قَوَادِمِهِ الْإِنْطَا^(٦).
وَنَاطَتْ عَلَيْهِ كَفٌّ مَارِيَّةَ الْقُرْطَا^(٧).
وَلَمْ يَكُنْهِ حَتَّى سَبَى الْمَشْيَةَ الْبَطَا^(٨).
فَبَاتَتْ بِمَسْكِ الْحَالِ تَنْقُطُهُ نَقَطَا^(٩).
لِحَاتِمٍ فِيهَا فَصٌّ غَالِيَةٌ خَطَا^(١٠).

- (١) مرقوم: ذو علامة (جيل). غرير: جيل، ناعم العيش، شاب بلا تجربة. تأوَّبني: عاد إلي (في المنام) مرة بعد مرة. الرقمتين (اسم مكان - المقصود بها هنا جمال اللفظ لا الدلالة على علم جغرافي مخصوص). الأرضي جمع أرطاة: نوع من الشجيرات.
- (٢) الرقطاء: حية منقطة (خيثة). خصلة الشعر على صدغها لدغتنى (عذبتني بالحب).
- (٣) هصر الفصن: شدَّ به ليقطف ما عليه. المحصر (حصرها الناحل). الطومار: نوع من الورق يكتب فيه ثم يلف كالأسطوانة.
- (٤) القبط: جيل من الناس (أقل سواداً من الزنج): كان الليل زنجياً، فلما بدأ الصبح يطلع أصبح الليل كالبطي.
- (٥) ينعى الدجى: يبشر بانقضاء الليل. ذو شقيقة: صاحب قزحة حمراء (الديك). يدير لنا إلخ (٩) - الملموح (يقينا ماء صافياً). السقط: الندى. وعين الديك توصف بالصفاء.
- (٦) بعد أن يصبح الديك يهدأ قليلاً (كأنه يستمع إلى ماضي صياحه). القوادم: كبار الريش في جناح كل طائر.... ثم يصفق بجناحيه.
- (٧) كسرى أنوشروان من عطاء ملوك الفرس. أعلاه: جعل فوقه، ألبسه. ناط: علّق. وكان لمارية بنت ظالم بن وهب، وهي أم آل جفنة (ملوك غسان) قرطان في كلّ واحد منها درّة (لؤلؤة) بحجم بيض الحمام.
- (٨) يمشي ببطء وتثاقل يميل يميناً وشمالاً كالبطّة (عجائباً بنفسه) « المشية » مفعول به ثانٍ مقدم. « البط » مفعول به أول مؤخر.
- (٩) - لها حال أسود اللون على صدغها كأنه نقطة النون (يشبه جانب صدغها بالنون).
- (١٠) حول فمها الصغير خطّ أسمر اللون (شفاه سر). فص (فلقة، قطعة) غالية (روح العطر)....؟

غَدَتْ تَنْقَعُ الْمِسَاكَ فِي بَرْدِ ثَغْرِهَا
 مُحِيرَةُ الْعَيْنَيْنِ مِنْ غَيْرِ سَكْرَةٍ
 أَرَى نَكْهَةً الْمِسَاكِ فِي حُمْرَةِ اللَّمَى
 عَسَى قُزَحٌ قَبْلَتِهِ فَاخَالَهُ
 كَانَ أَبَا يَحْيَى بْنِ مَعْنٍ أَجَادَهَا
 تَأَلَّفَ مِنْ دُرٍّ وَشَذَرِ نِجَارِهِ
 إِذَا سَارَ سَارَ الْمَجْدُ تَحْتَ لَوَائِهِ
 رَفِيعُ عِمَادِ النَّارِ فِي اللَّيْلِ لِلسُّرَى
 أَقُولُ لِرُكْبٍ يَمْمُوا مَسْقَطَ النَّدى
 أَفِي الْمَجْدِ تَبْنِي لَابِنٍ مَعْنٍ مُنَاقِضًا؟
 - وقال:

لَوْ كُنْتَ شَاهِدَنَا عَشِيَّةَ أَمْسِنَا
 وَالشَّمْسُ قَدْ مَدَّتْ أَدِيمَ شُعَاعِهَا
 خَلَّتِ الرِّذَاذُ بِهِ بُرَادَةً فَضَّةً
 وَالْمُزْنَ تَبْكِينَا بَعَيْنَيْنِ مُذْنِبٍ^(١)
 فِي الْأَرْضِ تَجْنَحُ غَيْرَ أَنْ لَمْ تَغْرُبْ،
 قَدْ غُرِبْتَ مِنْ فَوْقِ نَطْعٍ مُذْهَبٍ^(٢)

- (١) - شعرها يكتسب رائحة طيبة من مشطها (بينما كانوا يشطون الشعر بمشط من غير حتى يكتسب الشعر رائحة طيبة).
- (٢) الاسفنت: الخمر.
- (٣) المخضر: المسود.
- (٤) قزح (يقصد قوس قزح). اللمياء: السراء...
- (٥) الوكف: سيلان الماء من سقف البيت وسيلان الدمع من العين. البسط: الكرم في الإنفاق. (معنى البيت غامض) إلا إذا قصد «الجود والكرم».
- (٦) الدر: اللؤلؤ. الشذر: قطع صغيرة من الذهب تسلك مع اللؤلؤ في العقد. النجار: الأصل. الجيد: الصدر. السقط: الحيط الذي ينظم فيه اللؤلؤ عقداً.
- (٧) حط المسافر أحماله: نزل.
- (٨) - يشعل في الليل ناراً كبيرة، فطارقه (ضيئه) لا يخبط خبط العشواء (لا يسير في الليل على غير هدى).
- (٩) يَمْمُوا: قصدوا. مسقط الندى (حيث يكون الكرم). ولكنهم لما مروا بك ولم ينزلوا عندك كانوا قد جاوزوا (خلفوا وراءهم) مكان الندى (الكرم)، أي مكانك أنت.
- (١٠) المزن تبكي بعيني مذنب: يهطل المطر بغزارة.
- (١١) خلت: ظننت. الرذاذ نقاط المطر المتفرقة التي تظل تسقط بعد المطرة الشديدة. النطع: وطاء (فراش) من لباد.

٤ - ★★ جذوة المقتبس ١٦٦ (الدار المصرية) ١٧٦ (رقم ٣٣٠)، بغية الملتبس ٢٢٨ (رقم ٥٨١)؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ١٦٦ - ١٦٧، ٦٧٦ - ٦٧٩؛ الخريدة (المغرب) ٢: ٢٦٢، ٢٧٠، ٥٨٥ - ٥٨٨؛ مطمح الأنفس ٨٣ - ٨٤؛ المطرب ١٢٦ وما بعد؛ المغرب ٢: ١٧؛ الحلة السراء، ٢: ٨٣، ١٦٩ - ١٧٠؛ وفيات الأعيان ٤٢: ٥ - ٧، ٣٤٠: ١؛ الذخيرة ١: ٧٩٠ - ٨٠١؛ نفح الطيب ٤: ٥١ - ٥٢، ١٠٠؛ نيكل ١٩٦.

أبو الوليد إسماعيل بن محمد

١ - هو أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن عامر بن حبيب من أهل إشبيلية، كان يُلقَّب بحبيب - وقيل إن أباه كان يُلقَّب بحبيب أيضاً، وكان من أهل الرئاسة - . وولد أبو الوليد بن إسماعيل نحو سنة ٤١٠ (١٠٢٠ م). ووزر مدة يسيرة فيما يبدو للمعتضد بن عبَّاد (٤٣٤ - ٤٦١ هـ). وقيل إن المعتضد قتله قريباً من سنة ٤٤٠ (١٠٤٨ م).

٢ - كان أبو الوليد إسماعيل بن محمد من أهل الفهم والعلم والبلاغة. ثم هو أديبٌ كاتب وشاعر ومؤلف. وشعره سهلٌ أنيق فيه شيء من الصناعة ونُجس فيه نفس صفي الدين الحلي (ت ٧٥٠ هـ). وأكثر شعره الوصف والغزل. وهو أكثر تكلفاً للصناعة في شعره منه في نثره. وله كتاب «البديع في وصف الربيع» جمعه من أقوال الشعراء، وقد جعله برسم المعتضد (أي ألفه له وقدمه إليه). ويميل المؤلف في كتابه هذا إلى الكشف عن براعة الأندلسيين وتبيان عبقريتهم وابتكارهم في الأدب (في مقابل ما كان يقال فيهم من الاندفاع في تقليد المشاركة)؛ ولقد أراد أن يتابع فيه كتاب الحقائق لابن فرج الجياني (ت ٣٦٦ هـ).

٣ - مختارات من آثاره

- قال أبو الوليد إسماعيل بن محمد في صدر كتابه «البديع في وصف الربيع»: فصل الربيع أرج وأبهج^(١) وأنس وأنفس وأبدع وأرفع من أن أحدَّ حُسن ذاته

(١) أرج: أكثر أرجاً (طيب رائحة). البهجة: حسن المنظر، السرور بالمنظر الحسن.

وأعدَّ بديع صفاته . وهو مع سياته الرائقة وآلاته الفائقة لم يُعَن بتأليفها أحدٌ وما انفرد بتصنيفها مُنفردٌ... لكنَّ أهلَ المشرق ، على تأليفهم لأشعارهم وتثقيفهم لأخبارهم - مُد تكلمت العربُ بكلامها وشغلت بنثرها ونظامها - لا يجدون لأنفسهم من التشبيهات في هذه الموصوفات ما وجدته لأهل بلدي^(١) على كثرة ما سقط منها من يدي بالغفلة التي ذكرتها عنهم وقلة التهمم^(٢) بها ، وعلى قرب عهد الأندلس بمُنتحلي الإسلام ، فكيف بمُنتحلي الكلام^(٣) ؟ فكيف (لا) يرى فضلهم وقد سبقوا في أحسن المعاني مُجتلى وأطيبها مُجتنى^(٤) ، وهو الباب الذي تضمنه هذا الكتابُ فلهم فيه من الاختراع الفائق والابتداع الرائق وحسن التمثيل والتشبيه ما لا يقوم أولئك^(٥) مقامهم فيه .

- ولأبي الوليد نفسه في كتابه المذكور قطعة (كان قد خاطب بها أباه) :
لَمَّا خَلَقَ الرَّبُّعُ مِنْ أَخْلَاقِكَ الْغَرَّ وَسُرَقَ زَهْرُهُ مِنْ شَيْمِكَ الزُّهْرُ^(٦) . وَتَاقَتْ
النَّفُوسُ إِلَى الرَّاحَةِ فِيهِ وَمَالَتْ إِلَى الْإِشْرَافِ عَلَى بَعْضٍ مَا يَحْتَوِيهِ ، مِنَ النُّورِ^(٧) الَّذِي
كَسَا الْأَرْضَ حُلًّا لَا يَرَى النَّاطِرُ فِي أَثْنَائِهَا حُلًّا . فَكَأَنَّهَا نَحُومٌ نُثِرَتْ عَلَى الثَّرَى وَقَدْ
مُلِئَتْ مِسْكَاً وَعَنْبَرًا . إِنْ تَنَسَّمْتَهَا فَأَرِجَةٌ ، أَوْ تَوَسَّمْتَهَا فَبَهْجَةٌ . تَرُوقُ الْعَيُونَ
أَجْنَاسُهَا وَتُحْيِي النَّفُوسَ أَنْفَاسُهَا...

- وقال يصف الربيع ثم يتخلص إلى المدح :
أُبَشِّرُ فَقَدْ سَفَرَ الثَّرَى عَنْ بَشْرِهِ وَأَتَاكَ يَنْشُرُ مَا طَوَى مِنْ نَشْرِهِ^(٨) .

- (١) بلدي (الأندلس).
- (٢) التهمم: طلب الأشياء والبحث عنها.
- (٣) انتحل: اتخذ نحلة (دينياً، عادة). منتحلي الكلام: البارعين في النثر والشعر.
- (٤) المجتلى: المنظر. المجتنى: القطف من الشجرة (المقصود: طعماً).
- (٥) أولئك: (أي: المشاركة، أهل المشرق).
- (٦) الأعر: الأبيض. الشيمة: الصفة. الأزهر: الأبيض. اللامع.
- (٧) النور (بالفتح): الزهر الأبيض.
- (٨) سفر: كشف. الثرى: التراب (وجه الأرض). البشر: طلاقة الوجه (ارتياح الإنسان للقاء الناس سروراً بهم). النثر: الرائحة الطيبة: وأتاك ينشر ما طوى من نشره (يعقب منه ما كان مخفياً فيه - من طيب الرائحة وجمال المنظر).

مَتَحَصَّنًا مِنْ حُسْنِهِ فِي مَعْقِلٍ عَقَلَ الْعَيُونَ عَلَى رِعَايَةِ زَهْرِهِ (١).
 فَضَّ الرِّبِيعُ خِتَامَهُ فَبَدَا لَنَا مَا كَانَ مِنْ سَرَائِهِ فِي سِرِّهِ (٢)،
 مِنْ بَعْدِ مَا سَحَبَ السَّحَابُ ذُيُولَهُ فِيهِ وَدَرَ عَلَيْهِ أَنْفَسَ دُرِّهِ (٣).
 فَاشْكُرْ لَأَذَارِ بَدَائِعِ مَا تَرَى مِنْ حُسْنِ مَنْظَرِهِ النَّضِيرِ وَخُبْرِهِ (٤).
 شَهْرٌ كَانَ الْحَاجِبَ ابْنَ مُحَمَّدٍ أَلْقَى عَلَيْهِ مَسْحَةً مِنْ بَشَرِهِ (٥)!

- وَبَعَثَ إِلَى أَبِيهِ وَرَدًّا (بَعْدَ أَوَانِهِ) وَكَتَبَ إِلَيْهِ مَعَ ذَلِكَ الْوَرْدِ يَقُولُ:

يَا مَنْ تَأَزَّرَ بِالْمَكَارِمِ وَارْتَدَى بِالْمَجْدِ وَالْفَضْلِ الرَّفِيعِ الْفَائِقِ،
 أَنْظَرُ إِلَى خَدِّ الرِّبِيعِ مُرَكَّبًا فِي وَجْهِ هَذَا الْمَهْرَجَانِ الرَّائِقِ.
 وَرَدُّ تَقَدَّمَ، إِذْ تَأَخَّرَ، وَاعْتَدَى فِي الْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ أَوَّلَ سَابِقِ.
 وَافَاكَ مَشْتَمِلًا بِشَوْبِ حَيَاتِهِ خَجَلًا (وَقَدْ) حَيَّاكَ آخِرَ لَاحِقِ (٦).

- ٤ - البديع في وصف الربيع (نشره هنري بارس)، باريس ١٩٤٠ م، الرباط ١٩٤٩ م.
 ★★ جذوة المقتبس ١٥٢ (الدار المصرية) ١٦٢ (رقم ٢٩٥)؛ بنية الملتبس ٢١٣ (رقم ٥٣٤)؛ الذخيرة ٢: ١٢٤ - ١٣٥؛ معجم الأدباء ٧: ٤٣ - ٤٤؛ المطرب ١٢٦؛
 التكملة ١: ٤٧٤؛ المغرب ١: ٢٤٥؛ بروكلمن ١: ٣١٩؛ نيكل ١٢٣ - ١٢٤؛
 الأعلام للزركلي ١: ٣٢٢ (٣٢٣).

- (١) - كثرة جماله جعلت الأيدي تخاف أن تقطفه، ولكن حسنه ربط العيون بالتطلع إليه.
 (٢) - الربيع جعل الزهر يتفتح ويبيد لنا سروره الذي كان محتفياً في الأزهار حيناً كانت في براعمها.
 (٣) - سحب السحاب ذيلوله (مرّ منخفضاً فوق الأرض، وكان مطره قريباً). ودرّ (انهمر بكثرة). الدرّ (اللؤلؤ). أنفـس: أغلى (يشبه نقط الماء الساقطة باللؤلؤ). في هذا البيت اتكاء على أبي تمام يصف روضاً:
 فقد سحبت فيه السحاب ذيلها وقد أخلت بالنور فيه الخائل
 - أخلت، بالبناء للمجهول. والدور، بفتح النون: الزهر الأبيض).
 (٤) في الواحد والعشرين من شهر آذار (مارس) يبدأ فصل الربيع. حسن المنظر من جمال الزهر. النضير: الطريّ الممتلئ بالحياة. الخبر: الباطن الذي يعرف بالاختبار (النفع والحقيقة من الشيء).
 (٥) البشر (راجع شرح البيت الأول). المسحة: الشيء القليل - إذا كان الربيع جميلاً إلى هذا الحد فلأن الحاجب ابن محمد ألقى على الربيع شيئاً قليلاً من بشره، فكم يكون بشر الحاجب ابن محمد عظيماً؟
 (٦) شوب حياته (بلونه الأحمر). حيّاك آخر لاحق: خجل منك لأنه تأخر في الجيء إليك (لأنه أزهـر بعد جميع الأزهار).

أبو القاسم الإفيليّ

هو أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريّا بن مُفَرِّج بن يحيى بن زياد بن عبد الله بن خالد بن سعد بن أبي وقاص. القرشيّ الزُهريّ المعروف بالإفيليّ أصله من الإفيل، وهي قرية بالشام.

وُلِدَ أبو القاسم الإفيليّ في قُرْبَة في شَوّال من سَنَةِ ٣٥٢ (خريف عام ٩٦٤ م). وقد حدّث عن أبي بكرٍ محمد بن الحسن الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ) بكتاب النوادر عن أبي عليّ القاليّ (ت ٣٥٦ هـ). ثمّ تصدرّ للعلم في قُرْبَة فكان الناس يقرأون عليه كُتُب الأدب خاصّة.

وبعد الفتنة في الأندلس تقرب إلى آل حَمُودِ المستبدين بقرطبة (٤٠٧ - ٤١٨ هـ)، وكتب في أثناء ذلك للخليفة المستكفي (٤١٤ - ٤٢٦ هـ). ثمّ لَحِقَتْهُ تَهْمَةٌ في دينه فسُجِنَ في المطبّق بمدينة الزهراء (قرب قرطبة) أيام هشام المعتدّ (٤١٨ - ٤٢٢ هـ) ثمّ أُطْلِقَ سراحه.

وكانت وفاة أبي القاسم الإفيليّ في قرطبة في ١٣ من ذي القعدة ٤٤١ (٤/٨/ ١٠٥٠ م).

كان أبو القاسم الإفيليّ عالماً باللغة والنحو ويتكلّم في البلاغة ومعاني الشعر والنقد، ضابطاً لأشعار العرب في الجاهلية وصدر الإسلام. ومما يؤخّذ عليه أنّه كان إذا أخطأ مضى على عناده وأصرّ على تحريج خطاه. له كتاب «شرح معاني شعر المتنبي» (وليس له غيره)، وهو كتابٌ حسن جيّد. وله شيءٌ من الشعر العاديّ. وكذلك عانى الكتابة حيناً ولكنّه لم ينجح (في الدواوين) لأنّه كان يكتب على طريقة المعلمين المتكلمين ولم يجز في أساليب الكتاب المطبوعين.

يسلّك الإفيليّ في شرح ديوان المتنبي مسلكاً قريباً المأخذ: يقدّم للبيت من الشعر شرحاً لغويّ موجزاً ثمّ يستعين على ما غمض من معاني الأبيات بالاستشهاد بآيات من القرآن الكريم وبآيات من الشعر. ثمّ ينثّر في أثناء ذلك كلّ عدداً من الملاحظات النحويّة. وهو قليلُ التعليق على الأبيات المشروحة. واهتمام الإفيليّ باللغة، حيناً يشرح الشعر، أكثر من اهتمامه بالبلاغة. ثمّ إنّ الإفيليّ مُعجّبٌ بالمتنبيّ

إعجاباً شديداً لم يُنبّه على خطأ له ولا أراد أن يأخذ عليه هفوة، بل كان يحاول تخريج أخطاء المتنبي على وجه مقبول ثم يلتبس له الأعذار.

★ ★ - جذوة المقتبس ١٤٢ - ١٤٣ (الدار المصرية) ١٥١ - ١٥٢ (رقم ٢٦٢)؛ الصلة ٩٤ - ٩٥؛ بغية الملتبس ١٩٩ (رقم ٤٨٥)؛ معجم الأدباء ٤: ٢ - ٩؛ المغرب ١: ٧٢ - ٧٣؛ انباه الرواة ١: ١٨٣ - ١٨٤؛ الوافي بالوفيات ٦: ١١٤ - ١١٦؛ وفیات الأعيان ١: ٥١؛ بغية الوعاة ١٨٦؛ البلغة ٩؛ شذرات الذهب ٣: ٢٦٦؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٠٦ - ٨٠٧؛ الأعلام للزركلي ١: ٥٩ (٦١ - ٦٢)؛ الداية ٩٤ - ١١٦.

أبو عمرو الداني

١- هو أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر المعروف بابن الصيرفي، كان أبوه (ت ٣٩٣) من موالي بني أمية ومن أهالي قرطبة. ولد أبو عمرو الداني سنة ٣٧١ أو ٣٧٢ هـ (٩٨٢ م) في قرطبة وبدأ طلب العلم فيها وهو ابن أربع عشرة سنة. وقد سمع من كثيرين من علماء الأندلس في قرطبة وأستجة وبجانة وسرقسطة وغيرها. ثم إنه رحل في مطلع سنة ٣٩٧ فسكن القيروان أربعة أشهر ثم انتقل إلى مصر. وفي أواخر سنة ٣٩٨ (صيف ١٠٠٨ م) حج. بعدئذ انصرف راجعاً إلى الأندلس فوصل إليها في ذي القعدة من سنة ٣٩٩ (منتصف صيف ١٠٠٩ م). في أثناء هذه الرحلة أخذ عن علماء كثيرين منهم: أحمد بن محمد بن محفوظ الجيزي المصري (ت مصر ٣٩٩ هـ) - محمد بن أحمد الكاتب البغدادي (ت ٣٩٩ هـ) - محمد بن عبد الله النجاد (ت نحو ٤٠٠ هـ) - فارس بن أحمد الحمصي (ت مصر ٤٠١ هـ) - خلف بن إبراهيم بن خاقان المصري (ت ٤٠٢ هـ) - عبيد الله ابن سلمة اليحصبي الأندلسي^(١)، أخذ عنه عامة القرآن - محمد بن يوسف القرطبي النجاد (ت ٤١٢ هـ).

(١) في مقدمة أوتو برتزل (مصحح كتاب التيسير ومخرجه) أن عبيد الله بن سلمة مات في الفتنة سنة ٤٥٠. لعل المقصود ٤٥٥.

حلّ أبو عمرو الدائي في قرطبة يُقرئ ويؤلف إلى سنة ٤٠٣ هـ، حينما اشتدت الفتنه فيها فغادرها إلى سرقسطة حيث سكن سبعة أعوام ثم انتقل إلى دانية سنة ٤٠٩ هـ، ولكن لم يلبث أن انتقل إلى جزيرة ميورقة وبقي فيها ثمانية أعوام عاد بعدها إلى دانية واتخذها دار سكن، ذلك لأن صاحب دانية مجاهداً العامري كان ذا عناية بالقراءة والقراء فكثرت الرغبة في أيامه في ذلك. ومنذ ذلك الحين عرف أبو عمرو بلقب الدائي. وكانت وفاته في دانية في نصف شعبان من سنة ٤٤٤ (١٢/١٠٥٢ م)^(١).

٢- كان أبو عمرو الدائي من أهل الذكاء والحفظ والعلم والفهم كما كان حسن الخط عارفاً بقواعده. وكذلك كان محباً للعلوم راغباً في تحصيلها، وخصوصاً فيما يتعلق بعلوم القرآن وعلوم الحديث وروايته. وقد كان عارفاً بالفقه متبحراً في اللغة وفي مذاهب النحويين. وقد كانت له كتب كثيرة جداً ضاع منها كثير. فمن كتبه الباقية لنا: الإدغام الكبير - الأرجوزة في أصول السنة - الاقتصاد في رسم المصحف - الإملات - الاهتداء في الوقف والابتداء - التحديد في صناعة الإتيقان والتجويد - التيسير في القراءات السبع^(٢) - طبقات القراء - الفتن والملاحم - المحتوى في القراءات الشواذ - المنقح في رسم مصاحف الأمصار - النقط - المحكم في نقط المصاحف - رسالة الظاءات القرآنية^(٣).

(أ) كتاب التيسير: بدأ أبو عمرو الدائي هذا الكتاب، بعد المقدمة، بذكر القراء السبعة الذين هم أصل القراءات المختلفة: عبد الله بن عامر الشامي (ت دمشق ١١٨ هـ) - عبد الله بن كثير المكي (ت ١٢٠ هـ) - عاصم بن أبي النجود الكوفي (ت ١٢٧ هـ) - أبو عمرو بن العلاء البصري (ت ١٥٤ هـ) - حمزة بن حبيب الزيات

(١) بروكلمن (١: ٥١٧، الملحق ١: ٧١٩): نصف شوال ٤٤٤ = شباط (فبراير) ١٠٥٣ (لا أرى ذلك يستقيم في الحساب).

(٢) وهو كتاب مشهور (نفع الطيب ٣: ١٨٠ - ١٨١).

(٣) يلفي هذا الكتاب في متل من مجلة البلاغ (مكة) ١٩٧٠ (٢) راجع مجلة «قافلة الزيت» (شوال ١٣٩٠ هـ = تشرين الأول - أكتوبر ١٩٧٠ م).

الكوفي (ت ١٥٦ هـ) - نافع بن عبد الرحمن المدني (ت ١٦٩ هـ) - علي بن حمزة الكسائي الكوفي (ت ١٨٩ هـ).

ثم ذكر الرجال الذين أخذوا عن هؤلاء السبعة ثم الذين كانوا بيننا وبين هؤلاء . كيف وصلت إلينا القراءات عن القراء السبعة).

بعدئذ بدأ أبو عمرو الداني سرد الخلاف في القراءات:

(وصل إلينا القرآن الكريم تاماً في آياته وألفاظه وترتيبه كما كان في أيام رسول الله . وهناك ألفاظ وأحوال في القراءة كلها راجعة إلى الصحابة الذين أخذوا كل شيء عن الرسول صلى الله عليه وسلم). من هذه الأمور والأحوال كلها:

- الاستعاذة: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، لا خلاف في وجوب قراءتها جهراً عند كل بدء لقراءة من القرآن الكريم.

- التسمية أو البسملة: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، لا خلاف أيضاً في الجهر بها عند بدء قراءة القرآن. وأوجب بعضهم الجهر بها عند بدء كل سورة (ولو قرئت السور متتالية)، ماعدا سورة براءة أو التوبة فإنه لا بسملة فيها. ومنهم من يسقط التسمية بين السور عند متابعة التلاوة.

- الإمالة: ومن القراء من يميل «الألف المقصورة» (يلفظها بين الفتح والكسر)، نحو: «والنجم إذا هوى» ما ضل صاحبكم وما غوى... «أو الألف الطويلة أحياناً: «أحياء».

- الترقيق: حقّ الراء المفتوحة أو المضمومة أن تُلَفَّظَ مُفَخَّمةً. أمّا الراء المكسورة أو الساكنة بعد كسر فتحها الترقيق في اللفظ. ولكن بعضهم أمال الراء أحياناً في مثل قوله تعالى: «في الآخرة والأولى - سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا».

- تسهيل الهمزة: نحو قوله تعالى «فأكله الذيب» مكان «فأكله الذئب». أو كان يُهْمَلُ الهمزة مطلقاً (وتلك لغة لأهل الحجاز) نحو يأخذ (مكان يأخذ)، ونحو: إن ياجوج وماجوج مُفسدون في الأرض» (مكان ياجوج وماجوج)، الخ.

- حذف الياء المتطرّفة، كقوله تعالى: «رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ» (مكان دعائي) أو «وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (مكان الوادي)».

- قرأ جمهورُ القراء: سلامٌ هي حتّى مَطْلَعِ الفَجْرِ (بفتح اللام)، وقرأ الكِسائي «مَطْلَع» (بكسر اللام). الخ.

(ب) المُحْكَمُ في نقطِ المصاحف. المقصودُ بالنقْطِ هنا شيْتان: نقطُ الإعْجام ونقط الحركات: نقطُ الإعْجام للتفريق بين الباء والتاء والياء أو بين الجيم والحاء والهاء ثم نقط الحركات (أو الإعراب)، نحو: جَمَعَ وجمَعَ وجمَعَ أو يجمَع ولم يجمَع.

كانت الكِتابةُ العربية في أوّل الأمر مُعرّاةً من النقط ومن الحركات (وكذلك كُتِبَتِ المصاحف). ثمّ بدأ اللحنُ يتطرّق إلى ألسنة العرب في قراءة القرآن أيضاً. فأشار زيادُ بن أبيه على أبي الأسود الدؤليّ أن يُوجد طريقةً تمنعُ مثلَ ذلك اللحن. فاستنبط أبو الأسود أسلوباً من التنقيط (وضع نُقطٍ على الأحرف) للدلالة على لفظها مُفردةً: ب، ث، ج، خ، د، ذ، س، ش الخ. أو لمعرفة الحركات الصرفية والنحوية. (وقد تطوّر هذا التنقيط بدلالاته حتّى صار إلى ما هو معروف اليوم في كتابتنا).

ويبقى هنالك، فيما يتعلّق بالمصاحف، شيءٌ هو التفريق بين التهجئة والرسم. إنّ الكلمات في المصاحف - ما عدا عدداً يسيراً منها - تُكْتَبُ في التهجئة بحسب لفظها نحو: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ....»

ولكنّ عدداً من تلك الكلمات «تُرسم» رسماً خاصّاً يُخالفُ القاعدة أحياناً (من حيث اللفظ أو من حيث جمال الشكل أو الخط أو كراهة اجتماع حرفي علة وما أشبه). من ذلك:

- بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (بَدَل: بِاسْمِ اللّاهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ).
- الصلوة (مكان: الصلاة، لأنّ أهل الحجاز يفخّمون لفظها) والزكوة والغدوة؛
والشيطان (الشيطان)، داود (داوود)، المنافقين (المنافقين)، الموءدة (الموءودة)، يا يها (يا أيها).

- وبما أنّ النقط كان لتبيان لفظ الكلمات في القرآن الكريم فقد أوجب الأئمة أن يكونَ خطُّ الآيات في المصاحف مجرّياً (بلون أسود) وأن يكونَ النقطُ (للإعْجام أو للإعراب) بصيغ (بلون: أحمر أو أصفر) لكيلا يظنّ القارئ القليلُ الاختبار أن

هذه العلامات من القرآن فيقرأها فيختلط حينئذ الوحي بالعلامات الاصطلاحية التي هي من وضع البشر، وخصوصاً إذا كانت تلك العلامات «لتوجيه القارئ»، نحو وقف، لا (يجب الوقف عند هذه الكلمة)، ط (وقف مطلق: يجوز الوقف ويجوز الوصل)، ز (وقف جائز: الأفضل أن تقطع القراءة)، ج (وقف مجوز: الأفضل أن تصل القراءة) الخ. فمن أجل ذلك فقط رأى الأئمة الأولون أن تكون جميع العلامات الموجهة لمعرفة الحروف ولمعرفة الحركات ولمعرفة مواضع الفصل والوصل بصنغ (بلون) مخالف لحبر الخط الأصلي في المصحف. (أمّا اليوم، وقد أصبح نصّ القرآن محفوظاً، فإنّ المصاحف تُطبع بحبر واحد: النصّ القرآني والنقاط على الحروف وعلامات الإعراب وعلامات الوقف).

٣ - مختارات من آثاره

- مقدّمة «الحكم» لأبي عمرو الداني:

.... هذا كتابٌ علّمَ نَقَطَ المصاحف وكَيْفِيَّتَهُ^(١) على صِيغِ التِّلَاوَةِ ومذاهبِ القِرَاءَةِ فيما اتَّفَقُوا^(٢) عليه. وفيما اختلفوا فيه، وعلى ما سَنَّهُ الماضون واستعمله الناقطون وما يُوجِبُهُ قِياسُ العَرَبِيَّةِ^(٣) وتُحَقِّقُهُ طَرِيقُ اللُّغَةِ، مشروحاً ذلك بأصوله وفروعه، مُبَيِّناً بَعْلِلِهِ وُجُوهَهُ، مَعَ ذِكْرِ السُّنَنِ^(٤) الواردة عن السَّلَفِ الماضين والأئمةِ المُتَقَدِّمِينَ في النِّقْطِ وَمَنِ ابْتَدَأَ بِهِ أَوَّلًا وَمَنْ كَرِهَهُ مِنْهُمْ وَمَنْ تَرَخَّصَ فِيهِ، إلى غير ذلك تَمَّا يَنْضَافُ إِلَيْهِ وَيَتَّصِلُ بِهِ مِنْ ذِكْرِ رَسْمِ فَوَاتِحِ^(٥) السُّورِ وَرُؤُوسِ الآيِ والخُمُوسِ والعُشُورِ^(٦)، وَمَنْ أَبِي ذَلِكَ....

(١) كيفية نقط المصاحف.

(٢) اتفق عليه الأئمة.

(٣) العربية: النحو.

(٤) السنن عن رسول الله (الأحاديث الشريفة).

(٥) فاتحة السورة: أوّلها: المقصود: ذكر اسم السورة وعدد آياتها وموضع نزولها في رأس كلّ سورة.

(٦) رؤوس الآي: أوائل الآيات: وضع علامات للدلالة على انتهاء الآية وبدء التي تليها. الخموس جمع

خمس: مجموع من خمس آيات (توضع له علامة)، والعشور جمع عشر. وكان بعضهم يضع علامة عند كلّ

انتهاء خمس آيات وعند انتهاء كلّ عشر آيات.

- من مقدّمة « كتاب التيسير في القراءات السبع »:

... أمّا بعد، فانكم سألتُموني - أحسن الله إرشادكم - أن أُصنّف لكم كتاباً مختصراً في مذاهب القراء السبعة بالأمصار^(١)، رَحِمَهُمُ اللهُ، يَقْرُبُ عَلَيْكُمْ تَنَاوُلَهُ وَيَسْهُلُ عَلَيْكُمْ حِفْظُهُ وَيَخِفُّ عَلَيْكُمْ دَرْسُهُ (ثمّ) يتضمّن من الروايات والطُرُق ما اشتهر وانتشر عند التالين^(٢) وصَحَّ وَثَبَتْ عن الأئمة المتقدّمين. فأجبتكم إلى ما سألتُموه وأعملتُ نفسي في تصنيف ما رَغِبْتُموه، على النحو الذي أَرَدْتُموه، واعتمدت في ذلك على الإيجاز والاختصار وتركِ التطويل والتكرار. وقربتُ الألفاظَ وهذبتُ التراجمَ ونَبّهتُ على الشيء بما يُؤدّي عن حقيقته من غير استغراقٍ لكي يُوصَلَ إلى ذلك في يسرٍ ويُحَفَظَ في قُرْبٍ.

- جامعُ القولِ في النقط (الحكم ١٨ - ١٩):

إنّ الذي دعا السلفَ، رَضِيَ اللهُ عنهم، إلى نَقْطِ المصاحف، بعد ان كانت خالية من ذلك وعارية عنه وقت رَسْمِها وحين توجيهها إلى الأمصار..... ما شاهدوه من أهل عصرهم - مع قُرْبِهِم من زمن الفصاحة ومُشاهدة أهلها - من فسادِ السِنَتِهم واختلاف ألفاظهم وتغيّر طباعهم ودخول اللحن على كثير من خواصّ الناس وعوامّهم، وما خافوه مع مرور الأيام وتطاوُل الأزمان من تزيّد ذلك وتضاعفه فيمن يأتي من بعدهم - لا شك - في العلم والفصاحة والفهم والدراية دون من شاهدوه، ممّن عَرَضَ له الفسادُ ودخل عليه اللحن، لكي يُرْجَعَ إلى نَقْطِها ويُصار إلى شَكْلِها^(٣) عند دخول الشكوك وعدم المعرفة ويتحقّق بذلك إعراب الكَلِمِ وتُدْرَك به كَيْفِيَةُ الألفاظ.

ثمّ انهم لما رَأَوْا ذلك وقادَهُمُ الاجتهادُ اليه بَنَوْهُ على وَصْلِ القارئ بالكَلِمِ دون

(١) المصّر (بكسر الميم) عاصمة المقاطعة في مقابل « العاصمة ». كانت بغداد عاصمة الدولة العباسية. أمّا

الكوفة والبصرة ثمّ دمشق والقاهرة (في أيام الدولة العباسية) فكانت أمصاراً.

(٢) التالون: القارئون (قارئو القرآن الكريم).

(٣) وضع حركة عليها.

وَقَفَّهِ عَلَيْهِ^(١). فَأَعْرَبُوا أَوْ أَخْرَجُوا لَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِشْكَالَ أَكْثَرَ مَا يَدْخُلُ عَلَى الْمُبْتَدِئِ الْمُتَعَلِّمِ، وَالْوَهْمُ أَكْثَرَ مَا يَعْزِضُ لِمَنْ لَا يُنْصِرُ الْإِعْرَابَ وَلَا يَعْرِفُ الْقِرَاءَةَ فِي إِعْرَابِ أَوَاخِرِ الْأَسْمَاءِ وَالْأَفْعَالِ. فَلِذَلِكَ بَنَوْا النَّقْطَ عَلَى الْوَصْلِ دُونَ الْوَقْفِ. وَأَيْضاً فَإِنَّ الْقَارِئَ قَدْ يَقْرَأُ الْآيَةَ وَالْأَكْثَرَ^(٢) فِي نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَلَا يَقْطَعُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ كَلِمِهَا، فَلَا بَدَّ مِنْ إِعْرَابِ مَا يَصِلُهُ (مَا يَصِلُ الْقَارِئُ بَيْنَهُ) مِنْ ذَلِكَ ضَرُورَةً.

قال أبو عمرو (الداني): فَأَمَّا نَقْطُ الْمَصَاحِفِ بِالسَّوَادِ مِنَ الْخَبَرِ وَغَيْرِهِ فَلَا اسْتَحْجَازُهُ، بَلْ أَنْهَى عَنْهُ وَأَنْكَرَهُ اقْتِدَاءً بِمَنْ ابْتَدَأَ النَّقْطَ مِنَ السَّلَفِ وَاتَّبَاعاً لَهُ فِي اسْتِعْمَالِهِ لِذَلِكَ صِبْغاً يُخَالِفُ لَوْنَ الْمِدَادِ، إِذْ كَانَ (الصَّبْغُ) لَا يُحْدِثُ فِي الْمَرْسُومِ تَغْيِيراً وَلَا تَخْلِيطاً. وَالسَّوَادُ يُحْدِثُ ذَلِكَ فِيهِ. أَلَا تَرَى أَنَّهُ رَبَّمَا زِيدَ فِي النُّقْطَةِ^(٣) فَتَوَهَّمَتْ لِأَجْلِ السَّوَادِ الَّذِي بِهِ تُرْسَمُ الْحُرُوفُ - أَنَّهَا حَرْفٌ مِنَ الْكَلِمَةِ فَزِيدَ فِي تَلَاوتِهَا لِذَلِكَ. وَلِأَجْلِ هَذَا وَرَدَتْ الْكَرَاهِيَةُ عَمَّنْ تَقَدَّمَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ فِي نَقْطِ الْمَصَاحِفِ (بِالْخَبَرِ الْأَسْوَدِ).

والذي يستعمله نَقَاطُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ وَحْدَيْهِ مِنَ الْأَلْوَانِ فِي نَقْطِ مَصَاحِفِهِمُ الْحُمْرَةَ وَالصَّفْرَةَ لَا غَيْرَ..

٤ - التيسير... حيدر آباد ١٣١٦ هـ؛ دهلي (حجر) ١٣٢٨ هـ؛ (أوتو برتزل) ليبزغ ١٩٣٠ م.

- المقنع في معرفة رسم المصاحف (أوتو برتزل)، ليبزغ ١٩٣٢ م. الحكم في نقط المصاحف (عزة حسن)، دمشق (وزارة الإرشاد والثقافة) ١٣٧٩ هـ = ١٩٦٠ م.

★★ جذوة المقتبس ٢٨٦ - ٢٨٧ (الدار المصرية) ٣٠٥ - ٣٠٦ (رقم ٧٠٢)؛ بغية الملتبس ٣٩٩ - ٤٠٠ (رقم ١١٨٥)؛ معجم الأدباء ١٢: ١٢١ - ١٢٨؛ (قرجتان منفصلتان)؛ الصلة ٣٨٥ - ٣٨٧؛ إنباه الرواة ٢: ٣٤١ - ٣٤٢؛ الديباج المذهب ١٨٨؛ نفح الطيب ٢: ١٣٥ - ١٣٦؛ شذرات الذهب ٣: ٢٧٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣:

(١) إذا وقف القارئ على آخر الآية ألقى الحركة على الحرف الأخير منها (نحو: مالك يوم الدين * إياك نعبد... أو. مالك يوم الدين إياك نعبد).

(٢) أكثر من آية واحدة.

(٣) اقرأ: زيدت النقطة (بالخبر الأسود).

١٠٩ - ١١٠؛ بروكلمن ٥١٦:١ - ٥١٧، الملحق ٧١٩:١ - ٧٢٠؛ الأعلام للزركلي
٣٦٦:٤ - ٣٦٧ (٢٠٦).

ابن الخياط الأندلسي

١ - هو أبو بكر يحيى بن أحمد بن الخياط الأندلسي، وُلِدَ نَحْوَ سَنَةِ ٣٦٨ هـ (٩٧٨ - ٩٧٩ م). وَهُوَ مِنْ تَلَامِيذِ مُسْلَمَةَ بْنِ أَحْمَدَ الْمَرْحُوطِيِّ (الْمَجْرِيطِيِّ الْمَذْرُوبِيِّ)، تَلَقَّى عَلَيْهِ عِلْمَ الْعَدَدِ وَالْهَنْدَسَةِ ثُمَّ مَالَ إِلَى عِلْمِ أَحْكَامِ النُّجُومِ وَبَرَعَ فِيهِ وَاشْتَهَرَ. وَكَانَ مُتَّصِلًا بِالْخَلِيفَةِ سُلَيْمَانَ الْمُسْتَعِينِ وَبِالْمَأْمُونِ الْقَاسِمِ بْنِ حَمُودِ بْنِ ذِي النُّونِ^(١). وَكَانَتْ وَفَاةُ ابْنِ الْخِطَّاطِ الْأَنْدَلُسِيِّ سَنَةَ ٤٤٧ هـ (١٠٥٥ - ١٠٥٦) فِي طَلَيْطَلَّةَ.

٢ - كَانَ ابْنُ الْخِطَّاطِ الْأَنْدَلُسِيِّ بَارِعًا فِي الْهَنْدَسَةِ وَالْفَلَكَ وَفِي الطَّبِّ دَقِيقَ الْعِلَاجِ، كَمَا كَانَ أَيْضًا بَارِعًا فِي النُّحُوِّ وَأَدِيبًا شَاعِرًا.

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ شِعْرِهِ

قَالَ ابْنُ الْخِطَّاطِ الْأَنْدَلُسِيُّ فِي الشُّكُوفِ:

لَمْ يَخْلُ مِنْ نُوبِ الزَّمَانِ أَدِيبٌ - كَلَّا - فَشَأْنُ النَّائِبَاتِ عَجِيبٌ^(٢).
وَعَضَارَةُ الْأَيَّامِ تَأْبَى أَنْ يُرَى فِيهَا لِأَبْنَاءِ الذِّكْرِ نَصِيبٌ^(٣).
وَكَذَاكَ مِنْ صَحْبِ اللَّيَالِي طَالِبًا جَدًّا وَفَهْمًا، فَاتَهُ الْمَطْلُوبُ!^(٤)

-
- (١) كَانَ الْخَلِيفَةُ سُلَيْمَانُ الْمُسْتَعِينِ وَالْمُسْتَبْدِ الْقَاسِمُ بْنُ حَمُودٍ فِي أَيَّامِ الْفِتْنَةِ (أَيَّامِ الْاضْطِرَابِ فِي قُرْطُبَةٍ) قَدْ تَدَاوَلَا مَعَ نَفَرٍ آخَرِينَ الْحَكْمَ عَلَى قُرْطُبَةٍ فِي فُرُقَاتٍ قَصِيرَةٍ مُتَقَطِّعَةٍ، بَيْنَ سَنَةِ ٤٠٠ وَسَنَةِ ٤١٦ هـ (١٠٠٩ - ١٠٢٥ م). وَالْأَرْجَحُ أَنَّ ابْنَ الْخِطَّاطِ كَانَ مُتَّصِلًا بِالْمُسْتَعِينِ وَبِالْمَأْمُونِ مِنْ قَبْلِ سَنَةِ ٤٠٠ هـ (٢)
(٢) النُّوبُ (جَمْعُ نُوبَةٍ) وَالنَّائِبَاتُ (جَمْعُ نَائِبَةٍ): الْمَصَائِبُ.
(٣) الْفَضَارَةُ: النِّعْمَةُ وَالسَّعَةُ فِي الْعَيْشِ. - الْمَقْصُودُ: النِّعْمَةُ لَا تَرِيدُ أَنْ يَكُونَ مِنْهَا نَصِيبٌ لِلْأَذْكَاءِ الْأَمْنَاءِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ.
(٤) - مِنْ قَضَى حَيَاتِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ بِالْجِدِّ (بِكَسْرِ الْجِيمِ: الثَّابِرَةُ) وَالْفَهْمِ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ وَقْتُ لَطَلَبِ الْمَالِ وَالْحِظِّ.

وقال في بحيل:

لا تكوننَّ مُبرِّماً^(١) وعسوفاً؛ سلّه أذماً، وخلّ عنك الرغبة^(٢).
أكرم الخُبزَ بالصيانة. حتّى جعل الكعكَ للنباتِ شُوقاً^(٣).

٤ - ★★ طبقات الأطباء ٢: ٥٠؛ معجم الأدباء ١٩: ٣١٣ - ٣١٤؛ الوافي بالوفيات ٦: ١١٤.

أم العلاء الحجارية

- ١ - هي أمّ العلاء بنتُ يوسفَ الحِجاريّة، نسبةً إلى مدينة وادي الحِجارة في شماليّ الأندلس، عاشت في القرن الخامس للهجرة (الحادي عشر للميلاد).
- ٢ - كانت أمّ العلاء الحِجاريّة حَسَنَةَ الشَّعرِ، وفي شِعْرِها لَفَتَاتٌ، وفيه شيءٌ من الضَّعف.

٣ - مختارات من شعرها

كان رَجُلٌ أَشِيبُ قد عَشِقَ أمَّ العلاءِ الحِجاريّة فكَتَبَتْ إليه:
الشيبُ لا يُخَدَعُ فيه الصِّبا بحيلةٍ، فاسمَعِ إلى نُضحي
فلا تَكُنْ أَجْهَلَ مَنْ في الْوَرَى يَبِيتُ في الجَهْلِ كما يُضحي!
ولها في النسيب:
كُلُّ ما يَصْدُرُ مِنْكُمْ حَسَنٌ، وبَعْلِيَّامَ تَحَلَّى الزَّمَنُ.
تَعَكِّفُ الْعَيْنُ على مَنظَرِكُمْ وبِذِكرِكم تَلَذُّ الْأُذُنُ^(٤).

-
- (١) المبرم: الملحّ في السؤال. العسوف: الشديد العنيف في المطالبة.
 - (٢) الأدم (بضمّ الهَمْزة) جمع أدمة (بضمّ الهَمْزة أيضاً): الناقة السمراء الثمينة، السمن، الطعام المالح بالسمن. - المعنى: أطلب من هذا الرجل البخيل شيئاً ثميناً (نياقاً أو طعاماً مطبوخاً بالسمن واللحم) (لأنّه يمكن أن يعتذر حينئذ اعتذاراً لطيفاً فيقول لك: ليس عندي الآن مثل هذا - ويكون صادقاً). أمّا إذا طلبت منه رغيفاً (والرغيف يجب أن يكون موجوداً دائماً عند جميع الناس، فلا يمكنه أن يعتذر عند منع الرغيف عنك بعذر مقبول فيتظاهر بالغضب الشديد وبسوء إليك).
 - (٣) الشنف (بفتح الشين) حلقة صغيرة تعلّق في أعلى الأذن.
 - (٤) عكف على الصم: أطلال الوقوف أمامه. تعكف العين على منظرهم: تنظر إليكم كثيراً سروراً بكم.

مَنْ يَعِشْ دُونَكُمْ فِي عُمْرِهِ فَهُوَ فِي نَيْلِ الْأَمَانِي يُغْنِي.
وقالت في العتاب والاعتذار:

إِفْهَمْ مَطَارِحَ أَحْوَالِي وَمَا حَكَمْتُ بِهِ الشَّوَاهِدُ وَاعْذُرْنِي وَلَا تَلُمُ^(١)؛
وَلَا تَكِلْنِي إِلَى عُدْرٍ أُبَيِّنُهُ شَرَّ الْمَعَاذِيرِ مَا يَحْتَاجُ لِلْكَلَمِ^(٢)!

٤ - ★★ المغرب ٢ : ٣٨ ، نفع الطيب ٤ : ١٦٩ ، بغية الوعاة ٢٢ .

ابن البزلياني

١ - هو أبو عبد الله محمد بن أحمد - أو ابن عامر (المغرب ١ : ٤٤٤) - البزلياني، أصله من مالقة، وهو منسوب إلى بزليانة (حصن من حصون مالقة على بحر الزقاق - بين الأندلس والمغرب). وكان مولده في صفر من سنة ٣٩١ (الصلة ١ : ٢٦٧).

عمل ابن البزلياني كاتباً أو وزيراً عند نفرٍ من ملوك الطوائف: كان عند حبّوسٍ صاحب غرناطة، وكانت ولاية حبّوس من سنة ٤١٠ إلى سنة ٤٣٠ للهجرة. ولما استولى المعتضد صاحب إشبيلية على أونة وشلطيش (في أقصى الجنوب الغربي من البرتغال اليوم)، سنة ٤٤٣ هـ، جعل ابنه محمداً والياً عليها وجعل ابن البزلياني كاتباً لابنه ووزيراً.

ثم نشأت لإسماعيل بن المعتضد ناشئة استقلالٍ عن أبيه وأراد قتل أبيه في سبيل ذلك - وقيل بل زين له ذلك وزيره ابن البزلياني، فقتله المعتضد في أول ثورة ابنه إسماعيل (الذخيرة ٢ : ١٤٧ ن) - . وقد قتل المعتضد بعد ذلك بمدّة قصيرة ابنه إسماعيل، سنة ٤٤٩ هـ (١٠٥٧ م).

٢ - أبو عبد الله بن البزلياني أديبٌ كاتبٌ مترسِّلٌ، له رسائلٌ ديوانيةٌ ورسائلٌ

(١) مطارح أحوالي: كيف تقلّبت بي الأحوال (المصائب التي نزلت بي). الشواهد: جمع شاهد: العلامة الظاهرة.

(٢) - العذر الذي يحتاج إلى شرح (ولا يكون ظاهراً بنفسه ليس عذراً).

إخوانية. وأغراضه فيها المديح والعتاب والهجاء. وكانت له معرفة باللغة. ويبدو أنه كان ينظم الشعر (راجع الذخيرة ١: ٦٣٥)، إذ يقول في إحدى رسائله: «... وكما أن بركة الأشجار في الأنوار، فكذلك بركة الأدب في الرسائل والأشعار».

٣ - مختارات من آثاره

- لابن البزلياني رسالة إلى ابن منذر^(١) جاء فيها (الذخيرة ١: ٦٢٧):
واتصل بي ما وقع بينك وبين المؤتمن وأبي المنذر والموفق وعضد الدولة أبي الحسن^(٢)، وأنكم اضطربتم إلى إخراج كل فريق منكم النصارى إلى بلاد المسلمين^(٣). فنظرت في الأمر بعين التحصيل وتأولت بحقيقة التأويل، فعظم قلقي وكثر على المسلمين شفقي في أن يظأ أعداؤهم بلادهم ويؤتموا أولادهم ويتسع الحرق على الراقع وينقطع طمع التلاقي على الطامع. ولو لم تكن - يا سيدي - الفتنة إلا بين المسلمين والتشاجر إلا بين المؤمنين^(٤)، لكانت القارعة العظمى والداهية الكبرى. فإذا (نحن) تأيذنا بالمشركين واعتضدنا بالكافرين^(٥) وأبغناهم حرمتنا ومنحناهم قوتنا وقتلنا أنفسنا بأيدينا وأدنتنا إلى الندم مساعينا، كانت الدائرة أمض والحيرة أرمض^(٦) والفتنة أشد والمحنة أهد والأعمال أحبط والأحوال أسقط والأوزار أثقل والمضار أشمل. والله يُعِيدُنَا من البوائق^(٧) ويسلك بنا أجل

(١) و(٢) ابن منذر والمؤتمن وأبي المنذر والموفق وعضد الدولة أبي الحسن يجب أن يكونوا من ملوك الطوائف وأن يكونوا أيضاً في زمن واحد. ولكن أسماء نفر من ملوك الطوائف وألقابهم وكناهم تتشابه أو تتفق. وبمراجعة جداول زامباور (ص ٨٩ وما بعد) لم أستطع أن أعين أصحاب هذه الأسماء تعييناً دقيقاً صحيحاً.

(٣) الشكوى من أن هؤلاء الملوك المسلمين كانوا يستعينون بجيوش النصارى على قتال بعضهم بعضاً أو على قتال منافسيهم المسلمين.

(٤) لعل الأصح أن يقال: ولو لم يكن (من ذلك) إلا الفتنة بين المسلمين وإلا التشاجر بين المؤمنين. «كان» في هذه الجملة والتي بعدها «تامة» تحتاج إلى فاعل لا إلى اسم وخبر.

(٥) تأيذنا واعتضدنا: استعنا.

(٦) الدائرة (المصيبة المفاجئة) أمض (أشدّ ألماً). أرمض (أشدّ حرّاً).

(٧) البائقة: الشر، الداهية.

الطرائق... ولما انتظرتُ أن يُسْفِرَ ذلك الديجور^(١) وتستقرَّ تلك الأمور، (ثم) أبطأ عليّ ذلك ولم يعدْ من قبلكَ رسولٌ إليّ، داخِلتُ عميدَ الدولة^(٢) جاري في هذه الأنباء وراوَضْتُهُ^(٣) في علاج هذه الأدواء. وأنت - يا سيدي - للمسلمين الحصنُ الحصينُ والسببُ المتينُ والنصيحُ الأمين، فاجرٍ في جَمْعِ كَلِمَتِهِمُ والمِرَامَةِ دون حوزتهم^(٤) - وله رسالةٌ إخوانيةٌ إلى، أبي جعفرِ بنِ عَبَّاسٍ^(٥) يقرِّعه فيها (وقد كان زاره فلم يُوفِّه حَقَّهُ من إكرام الضيف) (الذخيرة ١: ٦٣٣):

كُلْفُ المُرُوَّةِ - أبقاك الله - صعبةٌ إلّا على الكِرَامِ، وطُرُقُ الجَفَاءِ رحبةٌ لسلوك اللِثَامِ. والأحقُّ يرى البرَّ^(٦) خُسراناً ويعتقدُ إكرامَ الوافدين نُقصاناً، فيمنحُ الكثيرَ من عِرْضِهِ ويمنعُ اليسيرَ من عِرْضِهِ^(٧)، ويلبسُ دِرْعاً وهو مهتوكٌ بالطَّعْنِ^(٨)، ويجعلُ الكِبْرِيَاءَ رِداءً وهو مُطرَرٌّ باللَّعْنِ... وما يتكَبَّرُ متكَبِّراً إلّا من جَهْلِهِ، وعُجْبُ المرءِ أحدُ حُسَادِ عَقْلِهِ^(٩)... وَجِثَّتْكَ زائراً فكأنِّي جِثَّتْكَ آملاً^(١٠). وأردتُ مُصَافَحَتَكَ فما مَدَدْتُ إِلَيَّ يداً. وطلبتُ مُعَانَقَتَكَ فخلتُكَ مُقْعِداً^(١١). وبعدَ أن هَمَمْتُ بالنُهوْضِ أَقْعَدَكَ الكسلُ، كأنك خُمَصَانَةٌ أَثْقَلَهَا الكِفْلُ^(١٢). وجعلتُ تُشيرُ بالحاجِبِ وتَلْوِي الشِّفَّةَ

-
- (١) أسفر: انكشف (زال). الديجور: الظلام (الشدة، المحنة).
(٢) داخلت: شاركت في البحث، شاورت، حاولت معرفة رأي (فلان). عميد الدولة (٩).
(٣) راوض فلان فلاناً (حاول استألفه وإقناعه).
(٤) أجر (فعل أمر): سز، اسع، حاول. المراماة (أن يرمي كلَّ خصم خصمه بالسهم). و(هنا): قاتل، دافع. الحوزة: ما يملكه الإنسان.
(٥) أبو جعفر بن عَبَّاسٍ الوزير الكاتب.
(٦) البر: عمل الخير والإحسان إلى الآخرين والطاعة للأقارب.
(٧) العرض (بالكسر): الشرف، ما يجب أن يدافع الإنسان عنه. (وبفتح ففتح): السلمة، المادّة.
(٨) الدرع (التي تلبس في الحرب) مؤنثة: إقرأ إذن: وهي مهتوكة (مقطوعة، ممزقة: لا تدفع أذى).
والدرع (ثوب للفتاة) مذكّر.
(٩) العجب (رفع الإنسان نفسه فوق مقامها) من حَسَادِ عَقْلِهِ (يصرف الرجل عن الاستعانة بعقله؟).
(١٠) ... جِثَّتْكَ آملاً (جِثَّتْ إليك أطلب عطاءً أو مالاً).
(١١) خلتك (ظننتك) مقعداً (عاجزاً عن القيام على رجلتك).
(١٢) الخمصانة (الفتاة النحيلة الخصر) أثقلها (منعها من النهوض) الكفل: مؤخّرة الإنسان (لضعفاته).

وتَدْعِي - بالجهل في كلِّ شيءٍ - معرفة. فما كان ضَرَكَ حينَ أَخْلَلْتَ لو أَجَلَّتْ؟^(١)
وما كان يَسُوؤُكَ حينَ ناظَرْتَ لو أَجْمَلْتَ؟^(٢) وما كان يَنْقُصُكَ^(٣) حينَ حكمتَ لو
عدلتَ؟.

٤ - ★★ الذخيرة ١ : ٦٢٤ - ٦٤٣ ، ٣ : ١٤٦ - ١٤٧ ؛ الصلة ٢٦٧ راجع المغرب ١ :
٤٤٤ - ٤٤٥ .

ابن بُرْدِ الأصغر

١ - هو أبو حَفْصٍ أَحْمَدُ (الأصغرُ) بنُ مُحَمَّدٍ بنِ أَبِي حَفْصٍ أَحْمَدَ (الأكبرِ) بنِ بُرْدِ
مولى أَحْمَدَ بنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بنِ عُمَرَ بنِ مُحَمَّدٍ بنِ شُهَيْدٍ .

كان أَحْمَدُ بنُ بُرْدِ الأصغرُ من أَهْلِ بَيْتِ جَاهٍ وَرِثَاسَةٍ فَقَدْ كَانَ جَدُّهُ أَحْمَدُ بنُ بُرْدِ
الأكبرِ (٣٣٥ - ٤١٨ هـ) وَزِيْرًا فِي أَيَّامِ الدَّوْلَةِ العَامِرِيَّةِ . وَقَدْ قَرَأَ أَحْمَدُ الأصغرُ عَلَى
جَدِّهِ فَنَوْنَ الْأَدَبِ وَالْعِلْمِ كَمَا تَعَلَّمَ عَلَى يَدَيْهِ صِنَاعَةَ الْكِتَابَةِ ثُمَّ مَارَسَهَا قَبْلَ أَنْ يُتَوَفَّى
جَدُّهُ (سَرَقُسْطَةَ ، ٤١٨ هـ = ١٠٢٧ م) .

كَانَ آلُ بُرْدٍ يَعِيشُونَ فِي قُرْطَبَةٍ . وَيَبْدُو أَنَّهُمْ تَرَكَوْهَا فِي الْحَرَمِّ مِنْ سَنَةِ ٤٠٧ هـ
(حَزِيْرَان - يُونِيُو ١٠١٦ م) لَمَّا ضَيَّقَ عَلَيُّ بنُ حَمُوْدٍ الْمُسْتَبْدُ بِقُرْطَبَةٍ عَلَى الَّذِينَ كَانُوا
قَدْ خَدَمُوا سُلَيْمَانَ الْمُسْتَعِيْنَ الْأُمَوِيَّ وَفِيهِمْ جَدُّهُ أَحْمَدُ بنُ بُرْدِ الْأكْبَرُ (رَاجِعِ الذَّخِيْرَةَ ١ :
٨٠ - ٨٢) . وَالَّذِي أَرْجَحُهُ أَنَّهُمْ انْتَقَلُوا إِلَى دَانِيَّةٍ فَاتَّصَلَ أَحْمَدُ الأصغرُ بِجَاهِدِ
العَامِرِيِّ (٤٠٨ - ٤٣٢ هـ) ثُمَّ بَابِنِهِ وَخَلَفَهُ أَبِي الْأَخْوَصِ مَعْنَى (٤٣٢ - ٤٣٦ هـ) . ثُمَّ
إِنَّهُ انْتَقَلَ إِلَى الْمَرْيَةِ ، قَبْلَ ٤٤٠ هـ (١٠٤٨ م) ، فَقَدْ قَالَ الْحَمِيْدِيُّ (جذوة ١٠٧) :
« وَقَدْ رَأَيْتُهُ بِالْمَرْيَةِ بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ زَائِرًا لِأَبِي مُحَمَّدٍ عَلِيٍّ بنِ أَحْمَدٍ غَيْرَ مَرَّةٍ » .
وَقَدْ اسْتَوَزَرَهُ الْمُعْتَصِمُ بنُ صُهَادِحَ . وَبِمَا أَنَّ الْمُعْتَصِمَ بنَ صُهَادِحَ جَاءَ إِلَى حُكْمِ الْمَرْيَةِ سَنَةً

(١) أَخْلَلَ الرَّجُلَ فِي أَمْرٍ : قَصَرَ فِيهِ (مَادِيًا) . أَجَلَ : أَحْرَمَ (مَعْنَوِيًا) .

(٢) نَازَرَ فَلَانٌ فَلَانًا : نَاقَشَهُ . الْمَقْصُودُ هُنَا : طَلَبُ الْمَسَاوَاةِ بِهِ .

(٣) الْفِعْلُ « نَقَصَ » يَكُونُ لَازِمًا وَمُتَعَدِّيًا . مَا يَنْقُصُكَ ؟ : مَا يَنْقُصُ مِنْكَ ؟ مَا تَخْصُرُ ؟ .

٤٤٤ ، فالْمُنْتَظَرُ أَنْ يَكُونَ ابْنُ بُرْدٍ قَدْ بَقِيَ فِي الْمَرِيَّةِ بَعْدَ ذَلِكَ مُدَّةً . وكذلك صَنَّفَ ابْنُ بَرْدٍ كِتَاباً لِلْمُعْتَصِمِ بْنِ صَاحِدٍ وَرَفَعَهُ إِلَيْهِ ، وَلَا نَذْرِي أَفْعَلَ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَلِيَ الْوِزَارَةَ (وهذا أقربُ إلى المعقول لأنَّ مثلَ هذا العملِ يكونُ لتقَرُّبِ الإنسانِ من ذَوِي الجاهِ ، وقلَّ ما يَنفَعُ بَعْدَ الوصولِ إلى الوِزَارَةِ) أمْ بَعْدَ ذَلِكَ .

ولَعَلَّ وَفَاةَ أَحْمَدَ بْنِ بُرْدٍ الْأَصْغَرِ كَانَتْ فِي حُدُودِ سَنَةِ ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) أَوْ بَعْدَ ذَلِكَ بِقَلِيلٍ ، فِي الْمَرِيَّةِ عَلَى الْأَرْجَحِ .

٢- كَانَ أَحْمَدُ بْنُ بَرْدٍ الْأَصْغَرُ كَاتِباً بَلِيغاً لَهُ رِسَائِلُ سُلْطَانِيَّاتٍ وَرِسَائِلُ إِخْوَانِيَّاتٍ ، وَهُوَ كَثِيرُ التَّائِقِ وَالتَّكَلُّفِ فِيهَا . وَكَذَلِكَ كَانَ شَاعِراً مَلِيحَ الشَّعْرِ لَهُ قَصِيدٌ وَرَجَزٌ . وَقِيَمَةُ شَعْرِهِ إِنَّمَا هِيَ فِي أَنَّهُ يَأْتِي بِالصَّنَاعَةِ الْبَارِعَةِ فِي التَّرَكِيبِ الْبَدْوِيِّ الْمَتِينِ . وَأَكْثَرُ شَعْرِهِ الْوَصْفُ . وَقَدْ اشْتَهَرَ بِرِسَالَةِ السِّيفِ وَالْقَلَمِ وَهِيَ مُبَارَاةٌ فِي بَيَانِ فَضْلِ السِّيفِ وَفَضْلِ الْقَلَمِ .

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ

- مِنْ رِسَالَةِ السِّيفِ وَالْقَلَمِ ، وَهِيَ رِسَالَةٌ كَتَبَهَا ابْنُ بَرْدٍ الْأَصْغَرُ إِلَى الْمَوْقِقِ أَبِي الْجَيْشِ مُجَاهِدِ الْعَامِرِيِّ صَاحِبِ دَانِيَّةِ وَالْجَزْرِ الشَّرْقِيَّةِ (٤٠٨ - ٤٣٢ هـ) :

... وَإِنَّ السِّيفَ وَالْقَلَمَ - لَمَّا كَانَا مُصْبَاحَيْنِ يَهْدِيَانِ إِلَى الْقَصْدِ مَنْ بَاتَ يَسْرِي^(١) إِلَى الْمَجْدِ ، وَسَلَّمَيْنِ يُلْحِقَانِ بِالْكَوَاكِبِ مَنْ ارْتَقَى لِسَامِيَّاتِ الْمَرَاتِبِ ، وَطَرِيقَيْنِ يَشْرَعَانِ نَهْجَ الشَّرَفِ لِمَنْ تَقَرَّى إِلَيْهِ ، وَيَجْمَعَانِ شَمْلَ الْفَخْرِ لِمَنْ تَأَشَّبَ^(٢) عَلَيْهِ ... جَرَّراً أَذْيَالِ الْخَيْلَاءِ تَفَاخُراً وَأَشْمًا بِأَنْفِ الْكِبْرِيَاءِ تَنَافُراً ، وَادَّعَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا أَنَّ الْفَوْزَ لَقَدْ حَصَلَ وَأَنَّ الْوَرِيَّ لَقَدْ حَصَلَ^(٣) ... وَحِينَ كَشَفَ الْجِدَالَ قِنَاعَهُ وَمَدَّ

(١) سَرَى يَسْرِي: مَشَى فِي اللَّيْلِ ، (وَهُنَا) . سَارَ بِعِزْمٍ وَثَبَاتٍ .

(٢) شَرَعَ: أَظْهَرَ وَبَيَّنَ . نَهَجَ: طَرِيقَ وَاضِحٍ . تَقَرَّى الْبِلَادَ وَقَرَأَ الْبِلَادَ: سَارَ فِيهَا يَنْظُرُ إِلَى خِصَائِصِهَا وَطَرَفِهَا وَأَحْوَالِهَا . تَأَشَّبَ: اجْتَمَعَ .

(٣) أَشْمًا (رَفْعًا) بِأَنْفِ الْكِبْرِيَاءِ: تَنَافَرًا (دَعَا كُلَّ مِنْهَا صَاحِبَهُ إِلَى الْقِتَالِ) . الْفَوْزَ لَقَدْ حَصَلَ (بِكَسْرِ الْقَافِ): الْقَدْحُ سَهْمٌ عَلَيْهِ رَقْمٌ يَسْتَخْدِمُونَهُ فِي الْمَيْسَرِ (الْقَارِ) وَالْقَدْحُ الْفَائِزُ (الرَّابِحُ) . وَالْقَدْحُ (بِفَتْحِ الْقَافِ): اسْتِخْرَاجُ النَّارِ مِنْ حَجَرِ الصُّوَانِ بِضَرْبِهِ بِقِطْعَةٍ مِنْ حَدِيدٍ . الْوَرِي: الْإِشْعَالُ وَالْإِشْعَالُ .

الحِصَامُ ذِرَاعُهُ... قَامَا يَتَبَارِيَانِ فِي الْمَقَالِ وَيَتَسَاجِلَانِ فِي الْحِصَالِ وَيَصِفُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا جَلَالَ نَفْسِهِ وَيَذْكُرُ فَضْلَ مَا اجْتَنِيَا مِنْ غَرْسِهِ (١)....

فَقَالَ الْقَلَمُ: هَا! اللَّهُ أَكْبَرُ! أَيُّهَا السَّائِلُ بَدْءَ آيَعِلُ لِسَانُكَ وَيُحِيرُ جَنَانُكَ (٢) وَبَدِيَّةُ تَمْلَأُ سَمْعَكَ وَتُضَيِّقُ ذَرْعَكَ (٣): خَيْرُ الْأَقْوَالِ الْحَقُّ، وَأَحْمَدُ السَّجَايَا الصَّدَقُ. وَالْأَفْضَلُ مَنْ فَضَّلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي تَنْزِيلِهِ، مُقْسِمًا بِهِ لِرَسُولِهِ، فَقَالَ: «نَ، وَالْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ»؛ وَقَالَ: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ (٤). فَجَلَّ مِنْ مُقْسِمٍ وَعَزَّ مِنْ قَسَمٍ. فَمَا تَرَانِي وَقَدْ حَلَلْتُ بَيْنَ جَفْنِ الْإِيمَانِ وَنَاطِرِهِ، وَجَلَلْتُ بَيْنَ قَلْبِ الْإِنْسَانِ وَخَاطِرِهِ! لَقَدْ أَخَذْتُ الْفَضْلَ بِرُمْتِهِ وَقُدْتُ الْفَخْرَ بِأَرْمَتِهِ (٥).

فَقَالَ السِّيفُ: عَدْنَا مِنْ ذِكْرِ الشَّرِيعَةِ إِلَى ذِكْرِ الطَّبِيعَةِ، وَمَنْ وَصَفَ الْمَلَّةَ إِلَى وَصْفِ الْحِصْلَةِ (٦). لَا أُسِيرُ وَلَكِنْ أُعْلِنُ: قِيمَةُ كُلِّ امْرَأَةٍ مَا يُحْسِنُ! إِنْ عَاتَبَا حَمْلَ نَجَادِي لَسَعِيدٍ، وَإِنْ عَضَدَا بَاتٍ وَسَادِي لَسَدِيدٍ (٧). وَإِنْ فَتَى اتَّخَذَنِي دَلِيلَهُ لَمَهْدِيٍّ، وَإِنْ امْرَأً صَيَّرَنِي رَسُولَهُ لَمَفْدَى. يُشَقُّ مِنِّي الدُّجَى بِمَصْبَاحٍ، وَيُقَابَلُ كُلُّ بَابٍ بِمِفْتَاحٍ.

(١) تساجل الرجلان: تباريا وتفاخرا. ما اجتني (ما قطف) من غرسه (أشجاره): ما استفادة من جهوده.

(٢) يعقل (يربط) لسانك ويمنعه من الكلام (الله أكبر هو البدء الذي يفعل ذلك!). الجنان: القلب.

(٣) البديهة: الكلام الفوري بلا استعداد. يملأ سمعك (يدهشك) ويضيق ذرعك (مقدار ما بين كتفيك: صدرك): يجعلك تعجز عن الجواب.

(٤) ن... (مطلع السورة ٦٨، سورة القلم). والحرف «ن» هنا يمكن أن يكون معناه «حرف، كلمة» ويمكن أن يكون معناه «محررة» (وكلا المعنيين متعلقان بالقراءة والكتابة وبفضل القلم). إقرأ... (في مطلع السورة ٩٦، سورة العلق، أول سور القرآن نزولاً على رسول الله).

(٥) بين جفن الإيمان وناطره (في أسمى الأمكنة منه: في القرآن). بين قلب الإنسان وخاطره. في عقله (وهو خير الأمكنة فيه). برمته (الرمة قطعة الحبل يربط بها البعير): كله. وقدت الفخر بأزمته (جمع زمام: لجام): استأثرت به وحدي.

(٦) عَدْنَا: اجتز بنا، لنترك. الشريعة: الدين (الدفاع عن القلم بقول الدين فيه) إلى الطبيعة: إلى عمل القلم (أو السيف) وحده. ومن الملة (الدين) إلى الحصلة (الصفة الذاتية).

(٧) العاتق: ما بين العنق وطرف الكتف. النجاد: حالة السيف. العضد: ما بين المرفق إلى الكتف. بات وسادي (أصبح مقيلاً لي، حلني). يقول السيف: من ملكني دافعت عنه وحيته. سديد: صائب الرأي.

أَفْصَحُ وَالْبَطْلُ قَدْ خَرَسَ، وَأَبْتَسِمُ وَالْأَجَلُ قَدْ عَبَسَ (١) ...

- قال ابن برد الأصغر في الشكوى من ظلم المحبوب:

بأبي أنت وأمي لِمَ تَطَبَّقْتَ بظُلُمي؟ (٢)
أبدأ تأتي بعَثَبٍ دون أن آتي بذَنْبٍ
يُنِنَّا في الحُبِّ قُرْبَى: سَقَمُ عَيْنِكَ وَحِسْمِي!

- وقال في الشكوى من البُعاد:

يا مَنْ بِفِيهِ يَفْبَقُ الْعَنْبَرُ وَمَنْ لِمَاءِ سُكَّرٍ مُنْكَرٍ (٣)،
صَحَّ الهوى مِنَّا، وَلَكِنِّي أَعْجَبُ مِنْ بُغْدٍ لَنَا يُقْدَرُ (٤).
كَأَنَّنا فِي فَلَكٍ دائِرٍ فَأَنْتَ تَخْفَى وَأَنَا أَظْهَرُ (٥)!

- وقال في النسيب والخمر:

سَقَانِي - وَجَفَنُ اللَّيْلِ يَفْسِلُ كُحْلَهُ بِلَاءُ الصَّبَاحِ وَالنَّسِيمِ رَقِيق - (٦)
مُدَاماً كَذُوبِ التَّبَرِّ: أَمَا نِجَارُهَا فَضَخْمٌ وَأَمَّا جِرْمُهَا فَدَقِيقُ (٧).

- وقال في وصف الطبيعة:

سَقَى جَوْفَ الرُّصَافَةِ مُسْتَهْلٌ تَوَلَّفَ شَمْلَهُ أَيْدِي الرِّيحِ (٨).

(١) السيف (القوة) يشق الدجى (سواد الليل)... ويقابل كل باب بفتح: يفصل في المشاكل ويسهل الأمور. الأجل: مدة الحياة الدنيا. في الحرب والأخطار حينما يسكت البطل من الدهول والخوف أفصح أنا (أي أتكلّم): أنقذ البطل من الخطر. وإذا كاد المحارب أن يقتل (وكنّت أنا في يده) أبعدت عنه القتل.

(٢) أفديك بأبي... لماذا أصبح ظلمي طبعاً فيك؟

(٣) يعبق العنبر: تفوح رائحته الطيبة (من فمه). اللمي: سمرة في الشفاه. ومن لماء: تقبيل شفثيه.

(٤) - كلانا يحب صاحبه، ومع ذلك فإن الدهر قدّر لنا (حكم علينا) بالبعد (الفراق).

(٥) - كأننا موجودان على نقطتين متقابلتين في الفلك (مدار النجم أو النجوم) فلا يمكن أن نرى (من مكان واحد في الأرض) في وقت واحد.

(٦) جفن الليل يفصل كحلّه بقاء الصباح: الليل يفتح عينه (ليأتي النهار) فكأنّه يأتي بقاء الصباح (النور) ليفصل به الكحل (سواد الليل)...

(٧) مدام: خمر. التبر: الذهب. النجار: الأصل. الجرم: الجسم، المادّة.

(٨) بطن الرصافة (وسط مدينة الرصافة). مستهلّ: مطر. تَوَلَّفَ شمله...: تزيده الرياح تجمّعاً فيكثر سقوط الماء منه (من السحاب المتجمّع).

مَحَلُّ مَا مَشَيْتُ إِلَيْهِ إِلَّا مَشَى فِيَّ ابْتِهَاجِي وَارْتِيَا حِي (١) .
كَأَنَّ تَرْتُمَ الْأَطْيَارِ فِيهِ أَغَانِ فَوْقَ أَوْتَارِ فِصَاحِ (٢) ؛
كَأَنَّ تَثْنِيَّ الْأَشْجَارِ فِيهِ عَذَارَى قَدْ شَرَبْنَ سُلَافَ رَاحِ (٣) ؛
كَأَنَّ الْجَذُولَ الْمُنْسَابَ نَضَلُّ صَقِيلُ الْمُنَى هَزَّ إِلَى كِفَاحِ (٤) ؛
كَأَنَّ رِيَاضَهُ أَبْرَادُ وَشِي تَعَطَّفُ فَوْقَ أَغْطَافِ مِلَاحِ (٥)

٤ - ★★ الذخيرة ١ : ٤٨٦ - ٥٣٥ ؛ جذوة المقتبس ١٠٧ - ١٠٨ (الدار المصرية)
١١٦ - ١١٥ (رقم ١٩٢) ؛ بغية الملتبس ١٥٣ (رقم ٣٥٤) ؛ معجم الأدباء ٥ :
٤١ - ٤٢ ؛ الوافي بالوفيات ٧ : ٣٥٠ - ٣٥١ ؛ المطرب ١٢٧ - ١٣٢ ؛ المغرب ١ :
٨٦ - ٩١ ؛ نفح الطيب ٣ : ٥٤٥ - ٥٤٦ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٧٤٠ ؛
الأعلام للزركلي ١ : ٢٠٦ - ٢٠٧ (٢١٣) .

ابن حصن الإشبيلي

١ - هو أبو الحسن عليُّ بنُ غالبِ بنِ حُصْنِ الإشبيليُّ نشأ في إشبيلية ولم يكن فيها
من ذوي اليسار. ثم إنه اتَّصل بإسماعيلَ بنِ المعتضدِ بنِ عبَّادٍ ؛ ومن طريق إسماعيلَ
اتَّصلَ بالمعتضد. ونال ابنُ حصنِ حظوةً عند المعتضد فولَّاه المعتضدُ الوزارةَ
والكتابةَ فحسنتُ حاله.

وفي سنة ٤٤٠ هـ أو بعدها بقليل جاء ابنُ زيدونٍ إلى بلاطِ بني عبَّادٍ في إشبيليةَ
فأصبحَ وزيراً للمعتضد. حينئذٍ نشأت بين ابنِ حُصْنِ وابنِ زيدونٍ نفرةٌ فحسدتُ. جعلَ
ابنُ حصنِ يُعرِّضُ بابنِ زيدونٍ ثم هجاه. ولكنَّ ابنَ زيدونٍ سكت في الظاهر عن ابنِ

-
- (١) الابتهاج والارتياح: الفرح والسرور.
 - (٢) أغان...: أغان عذبة يرافقها عزف بارع على الآلات الموسيقية.
 - (٣) السلاف: الخالص من الخمر (أجود الخمر). الراح: الخمر.
 - (٤) نضل: حديدة عريضة قاطعة (سيف). هزَّ إلى الكفاح (القتال). يشبه النهر الذي يجري متعرجاً ينساب (كالخية) بالسيف الذي يهزه حامله في الهواء (فيتثنى لدقته).
 - (٥) البرد (بالضم): ثوب من الحرير. الوشي: التطريز. تعطف: استدار، استقر. الأعطاف جمع عطف (بكسر العين): الجانب الأعلى من الجسد. ملاح جمع مليح ومليحة (جميل وجيلة).

حصن. ثم كانت مِحنةُ ابن حصن: كان المعتضدُ قد جعل ابنه إسماعيلَ - ولم يكن إسماعيلُ بِكره - وليّاً للعهد. غيّرَ أنَّ إسماعيلَ حاولَ الغدرَ بأبيه لِتَوَلَّى المُلْكَ قبلَ أوّانه وشايّعه على ذلك نفرٌ فيهم ابنُ حصن.

قال ابنُ عذاري (البيان المغرب ٣: ٢٤٤): «وفي سنة ٤٤٩ (١٠٥٧ م) قتل عبّادُ المعتضدُ بالله ابنه إسماعيلَ - وكان خليفته المرشّح لمكانه - بعد أن كان (إسماعيلُ) همّ بغدره. فأخذَه أبوه وثَقَّفه (حَبَسَه مُقَيِّداً) في قصره. فذهب (إسماعيلُ) إلى التّدير عليه ثانية من مكانِ اعتقاله. فقال عبّادُ: «لا يُلدَغُ المؤمنُ من جُحرٍ مرّتين» (وهذا حديث شريف) فقتله بيده وقتلَ الوزيرَ الذي واطّاه على ذلك (والراجحُ أن هذا الوزير كان ابنَ حصن) - راجع، فوق، ص ٥٠٧.

٢ - يبدو أن ابنَ حصنِ الإشبيليّ كان شاعراً مُكثرأً أجاد الوصفَ والفخر والمديح والغزل والخمر والمجون. وهو متينُ الأسلوبِ جَزَلُ الألفاظِ يطبعُ على غرارِ المشاركة. وكان طويلَ النفسِ إلّا أن المعانيَ المتكررة في شعره قليلةٌ. وجمالُ شعره إنّما هو من حيثُ الصياغةُ المتينةُ المعبرةُ عما يريد.

٣ - مختارات من شعره

- قال ابنُ حصنِ الإشبيليّ يَصِفُ فَرَخَ حَمَامٍ:

وما هاجني إلّا ابنُ ورقاء هاتفٌ	على قَنَنِ بينَ الجزيرة والنهر ^(١) ؛
مُفَسِّتَقُ طَوْقٍ لازَوْرَدِي كُلْكِ	مُوشَى الطُّلا أحوى القوادِمَ والظهر ^(٢) ؛
أدارَ على الياقوتِ أجفانَ لؤلؤ	وصاغَ من العُقيانِ طَوْقاً على الثَّغر ^(٣) .

-
- (١) ورقاء: حمامة. قَنَن: غصن.
- (٢) مفستق: مائل إلى الخضرة. الطوق: العقد (ريش ملوّن حول عنق الحمامة). لازوردي: أزرق. الكلكل: أعلى الصدر. موشى: مطرّز (مختلف الألوان). الطلا جمع طلاة (بالضم): العنق أو جانب العنق. أحوى: أسمر. القوادِم جمع قادمة: ريشة في طرف الجناح.
- (٣) عيناه حراوان وأجفانه بيض. العقيان: الذهب الخالص (الأصفر). يكون على جانبي منقار الحمامة لحيات مستطيلة حمراء. ويبدو أن الشاعر قد خلط بين العقيان (الذهب الأصفر) والعقيق (الحجر الكريم الأحمر).

حديّدُ شَبَا المِنقارِ داجٍ كأنّه شَبَا قلمٍ من فِضّةٍ مُدّ في حِبر^(١).
توسّد من فَرْعِ الأراكِ أريكةً ومالَ على طيِّ الجَنَاحِ من النّخرِ^(٢).
ولمّا رأى دمعي مُراقاً أرابه بُكائيّ فاستولى على الفِصنِ النّضرِ^(٣)،
وحثَّ جناحيّه وصَفَّقَ طائراً وطار بقلبي حيثُ طار ولا أدري^(٤)!

وقال يفتخر بشعره ويُعرّضُ بابتِ زِيدونٍ ويقول في ذلك إنّ قيمة شعره إنّما هي في معانيه وإنّه لا يُحسّنُ معانيه بتفخيمِ إنشادِ الأبياتِ وترديدها:

تذكّرتُ قولِي للقوافي^(٥) فلم تزلْ تُساعدني عفواً ولم تتعذّر.
فدونك عذراءُ المعاني ابتدعتها عَوانَ القوافي خيرةَ المُتخيرِ^(٦)؛
إذا ما الرواةُ استنشدتها تبرّقتْ لها أوجهٌ من حِشمةٍ وتغيّر^(٧).
وينكّل عنها شاعرُ المِصرِ كلّهُ ألا فاضحكُن من شاعرِ المِصرِ وافخرِ^(٨)!
ولستُ بكاسيها مَدَى الدهرِ حُلّةً بنفمةٍ إنشادٍ ولا مُكرّر.
- وكان مرةً في قُرطبةَ فذكرَ إشبيليةَ (وكان يُقالُ لها حِمصٌ تشبيهاً لها بحمصِ الشام):

- (١) حديد: حادّ، ماضٍ، قاطع. الشبا جمع شابة: حدّ السيف. داج: أسود.
(٢) توسّد: نام (هنا: جثم = وضع بطنه على الفصن). الفرع: الفصن. الأراك: شجر تصنع منه المساويك له ثمر أحمر يؤكل. أريكة: صفة، مقعد وثير (مريح). ومال بمنتهى الى جانبه (نام).
(٢) مراق: مسكوب، سائل. أرابه = رابه: ألقاه وأزعجه. استولى: امتلك، استوى (نهض من مجثمه). النضر والناضر: الأخضر الطري.
(٤) حثّ جناحيه: وإلى تحريكهما.
(٥) قول القوافي: نظم الشعر.
(٦) عذراء المعاني: ذات معانٍ جديدة مبتكرة. عون القوافي أو عوانها: مكررة القوافي (لأنّ القوافي محدودة لا يستطيع الشاعر أن يبتكر شيئاً منها غير الموجود في أحرف الهجاء). ولكنها متغيرة (منتقاة: مختارة).
(٧) رواة الشعر والعلماء بالشعر يطلبون أن يسمعوا شعري. ولكنّ نفرأ من الشعراء تتبرقع (تتغطى) وجوههم بالحشمة (بالحياء، لأنهم لا يستطيعون أن يقولوا مثله) أو بالتغيّر (بالاصفرار، لأنّ شعري يمرض بهم أو يعجزهم عن قول مثله).
(٨) نكل عن الشيء: جبن وتراجع خوفاً أو عجزاً. المِصر: البلد. شاعر المِصر: الشاعر المعترف له رسمياً بأنه شاعر الدولة (ابن زيدون!) سأضحك أنا عليه وأهزأ به ثم أفخر بشعري.

ذَكَرْتُكَ، يَا جِمَصُ، ذِكْرِي هَوَى
كَأَنَّكَ، وَالشَّمْسُ عِنْدَ الْغُرُوبِ،
غدا النهرُ عِقدُكَ، والطَّودُ تا
- وقال في الخمر:

قُمْ، يَا غُلَامُ، فَسَقْنِيهَا وَاطْرَبِ
من قهوة صفراء ذات أسرة
خُضِيتَ بَنَانُ مُدِيرِهَا بِشُعَاعِهَا
واشرب- عَتَبْتُ عَلَيْكَ- إن لم تشرب
في الكأسِ تَأْتَلِقُ اثْتَلَقَ الْكُوكَبُ^(٢)
فَعَلَ الْعَرَارَةُ فِي شِفَاهِ الرَّبْرِبِ!^(٣)

٤ - ** جذوة المقتبس ٣٩٥ (الدار المصرية) ٣٩٥ (رقم ٩٣٣)؛ بغية الملتبس ٣١٤، ٥٠٦
(رقم ١٢٣٢ و ١٥٢٣)؛ الذخيرة ٢: ١٥٨ - ١٨٦؛ المغرب ١: ٢٤٥ - ٢٤٧؛ نفح
الطيب ٣: ٢٦٦، ٤٢٩؛ الشعر في ظلّ بني عبّاد، تأليف محمد مجيد السعيد،
النجف الأشرف (مطبعة النعمان) ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م (ص ٢٩٥ - ٣٠١).

اسماعيل بن أحمد التجيبي البرقيّ

١- هو* أبو الطاهر إسماعيل بن أحمد بن زيادة الله التجيبي المعروف بالبرقيّ،^(٤)
من أهل القيروان، أخذ عن أبي اسحاق الحضريّ (ت ٤٥٣ هـ) تأليفه.

دخل إسماعيل بن أحمد الأندلس بعد سنة ٤٠٠ هـ (١٠١٠ م) ومكث فيها مدة،
فقد كان في مالقة سنة ٤٠٦ هـ. ثم رحل إلى مصر نحو ٤١٤ هـ ثم زار صقلية وقضى

(١) في القاموس: عتته (تعنيّا) شدد عليه وألزمه ما يعجز عن ادائه! والكلمة قلقة هنا، ولعلها قراءة خاطئة.

(٢) الأسرة جمع سرير: صفة (بضم الصاد) أو فراش مرتفع أو مقعد مرتفع (ولا معنى لها هنا). ولقد قال عنتره في معلقته: «بزجاجة صفراء ذات أسرة» (وحاول الشراح أن يجعلوا الأسرة خطوطاً في الكأس؛ ولكن عنتره أيضاً ليس حجة في اللغة). ائتلق: لمع وأضاء.

(٣) العرارة: بهار (زهرة صفراء) طيبة الرائحة. الربرب: القطيع من الظباء أو البقر الوحشي أو الإنسي لا واحد له. الملموح أن الطيبي إذا أكل من العرار تلونت شفتاه كما تتلون كف الساقبي من لون الخمر من خلال كأسها.

(٤) البرقي نسبة إلى برقة (مقاطعة بين الاسكندرية وطرابلس الغرب: الجانب الشرقي من ليبيا اليوم).

(*) جميع الأرقام المسبوقة بالحرف: ص (في هذه الترجمة) تشير إلى صفحات كتاب «المختار من شعربشار».

فيها بضعة أعوام على طَرَفِي سَنَةِ ٤٣٠ هـ. ثُمَّ نَجَدُهُ فِي الإسْكَندَرِيَّةِ سَنَةِ ٤٣٨ هـ. ويبدو أَنَّهُ فِي أَثْنَاءِ هَذَا التَّجَوُّالِ اتَّصَلَ بِنَفَرٍ مِنْهُمْ أَبُو الْقَاسِمِ سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَخْلَدٍ الْأَزْدِيُّ الْعُمَانِيُّ وَأَبُو حَسَنِ عَلِيُّ بْنُ حُبْشٍ^(١) الشَّيْبَانِيُّ الْأَدِيبُ وَأَبُو يَعْقُوبَ النَّجِيرَمِيُّ (ت ٤٢٣ هـ) - أَخَذَ عَنْهُ كِتَابُ «أَدَبِ الْكَاتِبِ» لِابْنِ قُتَيْبَةَ (ت ٢٧٦ هـ) - وَأَبُو الْقَاسِمِ عَمَّارُ (بْنُ !) مُحَمَّدِ الْإِسْكَندَرَانِي وَأَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الْبَشْرِ (وَكَانَ مُؤَدِّبًا لَهُ) وَأَخَذَ عَنْ هَؤُلَاءِ وَعَنْ سَوَاهِم.

وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ مُوجُودًا فِي جُمَادَى الثَّانِيَةِ مِنْ سَنَةِ ٤٤١ هـ (ص: ل) (٢).
٢ - كَانَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ التُّجَيْبِيُّ الْبَرْقِيُّ أَدِيبًا بَارِعًا فِي مَعْرِفَةِ الْأَدَبِ وَالشَّعْرِ خَاصَّةً بِالإِضَافَةِ إِلَى مَعْرِفَتِهِ بِاللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَالبَلَاغَةِ. وَلَهُ فِي النَّثْرِ أَسْلُوبٌ سَهْلٌ رَصِينٌ وَاضِحٌ مَتِينٌ. وَكَانَ لَهُ نَظْمٌ عَادِيٌّ. وَلَمْ يَتَكَسَّبْ بِالأَدَبِ (ص ١٧٨). وَكَانَ مُصَنِّفًا لَهُ: شَرْحٌ عَلَى «الْمَخْتَارِ مِنْ شَعْرِ بَشَّارٍ» (صنعه بعيد ٤٢٧ هـ) - الرَّائِقُ بِأَزْهَارِ الْحَدَائِقِ.

٣ - مَخْتَارَاتُ مِنْ آثَارِهِ

- كَيْفَ شُفِيَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ التُّجَيْبِيُّ الْبَرْقِيُّ مِنْ مَرَضِهِ، قَالَ (ص ١٤ - ١٥):

كَنتُ بِمَدِينَةِ مَالِقَةَ مِنْ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِمِائَةٍ فَاعْتَلَلْتُ بِهَا مُدِيدَةً انْقَطَعْتُ فِيهَا عَنِ التَّصَرُّفِ وَلَزِمْتُ الْمَنْزَلَ. وَكَانَ يُمَرِّضُنِي حِينَئِذٍ رَفِيقَانِ كَانَا مَعِيَ يَلْمَانٍ مِنْ شُعْنِي^(٣) وَيَرِفْقَانِ بِي. وَكَنتُ إِذَا جَنَيْتُ اللَّيْلَ اشْتَدَّ سَهْرِي، وَخَفَقْتُ حَوْلِي^(٤) أَوْتَارُ الْعِيدَانِ وَالطَّنَابِيرِ وَالْمَعَازِفِ^(٥) مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَاخْتَلَطَتِ الْأَصْوَاتُ بِالْغِنَاءِ فَكَانَ ذَلِكَ شَدِيدًا عَلَيَّ وَزَائِدًا فِي قَلْقِي وَتَأَلُّمِي. فَكَانَتْ نَفْسِي تَعَافُ تِلْكَ

(١) «حبش» بسكون الباء أو فتحها.

(٢) قَدْرُ الزَّرْكَلِيِّ (الأعلام للزركلي ١: ٣٠٤) وفاته سنة ٤٤٥ هـ (ولعلها بعد ذلك).

(٣) الشعث: التفرق (لم الشعث: جمع الأمور ورتبها).

(٤) خفقت (أخرجت أصواتاً) حولي (في جوار مسكني).

(٥) العود والطنبور (بالضم) والمعزف (بالكسر): آلات موسيقية وترية.

الضروب طبعاً وتكره تلك الأصوات جيلة^(١)، وأود^(٢) (أن) لو أجد مسكناً لا أسمع فيه شيئاً من ذينك^(٣)، ويتعذر عليّ وجوده لغلّة ذلك الشأن على أهل تلك الناحية وكثرته عندهم^(٤). وإنّي لساھر ليلة - بعد إغفائه في أول ليلتي، وقد سكنت تلك الألفاظ المكروهة وهدأت تلك الضروب المضطربة - وإذا ضرب خفي معتدل حسن لا أسمع غيره، فكان نفسي أنست به وسكنت إليه ولم تنفر منه بفارها من غيره. ولم أسمع معه صوتاً^(٥). وجعل الضرب يرتفع شيئاً فشيئاً ونفسي تتبّعهُ وسمعي يُصغي إليه إلى أن بلغ في الارتفاع إلى ما لا غاية وراءه^(٦). وارتخت له ونسيت الألم. وتداخلني^(٧) سرور وطرب. وخيل إليّ أن أرض المنزل ارتفعت بي، وأنّ حيطانه تمور حولي^(٨). وأنا في كلّ ذلك لا أسمع صوتاً. فقلت في نفسي: أمّا هذا الضرب فلا زيادة عليه. فليت شعري، كيف صوت الضارب وأين يقع من ضربه^(٩)؟ ولم ألبث أن اندفعت جارية تغني في هذا الشعر بصوت أندى من النوار غبّ القطار^(١٠) وأحلى من البارد العذب على قلب الهائم الصب^(١١). فلم أملك نفسي أن قمت - ورفيقي نائمان - ففتحت الباب وتبعت الصوت، وكان قريباً مني، فاطلعت من وسط منزلي على دار فسيحة، وفي وسط الدار بُستان كبير، وفي وسط البستان شرب^(١٢) نحو عشرين رجلاً قيد اصطفوا - وبين أيديهم شراب وفاكهة وجوار قيام بعيدان وطنابير وآلات لهُنّ ومزامير^(١٣) لا يُحرّكنها - وجارية جالسة ناحية وعودها في حجرها، وكلّ

(١) الضروب جمع ضرب: العزف على آلة موسيقية. الجيلة: الطبع.

(٢) من ذينك الشئين (صوت العزف وصوت الغناء).

(٣) لكثرة اهتمامهم بالطرب.

(٤) الصوت: الأغنية، النشيد (بخلاف العزف).

(٥) إلى ما لا غاية وراءه (بعده، فوقه): صوت مرتفع جداً.

(٦) تداخلني: لزمي، أقام في (استقر في نفسي...).

(٧) مار يمور: اضطرب وماج.

(٨) الضارب: العازف على الآلة الموسيقية. أين يقع من ضربه؟ (أصوته جميل مثل عزفه؟).

(٩) النوار: الزهر الأبيض. القطار: المطر. أندى من النوار: أكثر نضارة وجمالاً.

(١٠) الهائم الصب: الحب الذي هام (تحيّر واضطرب) من شدة الحب.

(١١) الشرب (بفتح فسكون): جماعة يشربون (الخمر) معاً.

(١٢) المزامير: آلة موسيقية من آلات النفخ (من قصب أو من أنبوب مشابه للقصبة).

يَرْمُقُهَا بِبَصَرِهِ وَيُوعِيهَا سَمْعُهُ^(١). وَأَنَا قَائِمٌ بَحِثُ أَرَاهِمُ وَلَا يَرَوْنِي وَكُلَّمَا غَنَّتْ بَيْتاً حَفِظْتُهُ إِلَى أَنْ غَنَّتْ عِدَّةَ آيَاتٍ وَقَطَعْتُ^(٢). فَعُدْتُ إِلَى مَوْضِعِي - يَشْهَدُ اللَّهُ - وَكَأَنَّا أَنْشَطْتُ مِنْ عِقَالٍ^(٣). وَكَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بِي أَلَمٌ.

- وله من أبيات (ص ١٢٥ = ٢٩٥)

خَلَّ بَلَوْتُ خِلَالَه فَوَجَدْتُهَا محمودة في الجهر والإسرار^(٤).
عَلَقْتُ يَدِي مِنْهُ بِأَرْوَعٍ مَاجِدٍ جَمَّ الْفَضَائِلِ طَيِّبِ الْإِخْبَارِ^(٥).
كَرَّمْتُ أَرْوَمَتَهُ، وَأَشْرَقَ وَجْهُهُ، وَصَفْتُ خِلَاتِقَهُ مِنَ الْأَكْدَارِ^(٦).
وَشَأَى الْأَفْضَلَ وَاسْتَبَدَّ بِرُتْبَةٍ أَغَيْتُ عَلَى الْأَدْبَاءِ وَالنُّظَارِ^(٧).
كَمْ سَابِقٍ جَارَاهُ فِي مِضَارِهِ فَكَبَا، وَجَازَ نَهَايَةَ الْمِضْمَارِ^(٨).

٤- المختار من شعر بشار (اختيار الخالدين)^(٩)، وشرحه^(١٠) (اعتنى بنسخه النخ السيد محمد بدر الدين العلوي)، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - مطبعة الاعتدال) ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٤ م^(١١).

★★ التكملة ١: ٢٢٨؛ بغية الوعاة ١٩٣؛ الأعلام للزركلي ١: ٣٠٤ (٣٠٩)؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٣٧ - ١٤٠.

- (١) أوعى = وعى: حفظ (جعلها الكاتب متعدية إلى مفعولين، وليس ذلك عملها. يقصد: أوعاها في سمعه).
- (٢) قطعت الغناء، انتهت من غنائها.
- (٣) أنشطت من عقال: فكّ عني رباط.
- (٤) خلّ (صديق) بلوت (اختبرت) خلاله (صفاته).
- (٥) علقت يدي (وجدت، ظفرت). الأروع: الذكي. الشريف الحير. جم: كثير. الإخبار (يقصد: المخير = حقيقة الإنسان، خلاف ظاهره).
- (٦) الأرومة: الأصل.
- (٧) شأى: سبق. أعيت على: استعالت، امتنعت. النظار: (المتكلمون بالمنطق؟).
- (٨) جرى معه (إلى المجد) كثيرون فكبوا (بفتح الباء: سقطوا) في أثناء الطريق، وراز (قطع المضار كله) هو إلى الهدف.
- (٩) الخالديان أخوان (أبو بكر محمد وأبو سعيد عثمان) من الأدباء الذين عاشوا في بلاط سيف الدولة في حلب، وكانا يؤلفان الكتب معاً (القرن الهجري الرابع).
- (١٠) الشرح لأسماعيل بن أحمد صاحب الترجمة.
- (١١) ليس على الكتاب تاريخ للطبع (التاريخ المثبت هو التاريخ الملحق بمقدمة الشارح).

ابن الحَيَّاطِ الرُّبَعي الصَّقْلِيّ

١ - لم يَصِلْ إلينا من حياة ابن الحَيَّاطِ هذا حوادثٌ واضحةٌ. إنَّ النَّزَرَ اليسيرَ الذي نَعْرِفه ممَّا يتَّصَلُ بِحياته نقوله تخميناً من قرائن نَجِدُها في حياةِ المعاصرين له. هو ابنُ الحَيَّاطِ (ولم يَرِدْ اسمُه في فهارس « الذخيرة » ولا في فهارس « نفح الطيب » ولا في فهارس « المكتبة الصَّقْلِيَّة العربية » التي جَمَعها المستشرقُ الايطاليُّ ميخائيل أماري. وكذلك لم يَرِدْ اسمُه في « خريدة القصر » - لا في قسم الأندلس ولا في قسم المغرب، ولا في فهارس تاريخ الأدب العربيِّ للمستشرق الألمانيَّ كارل بروكلمن). وقد اكتفيتُ أنا في هذه الترجمة بكتاب الدكتور إحسان عباس « العرب في صقْلِيَّة ».

وهو ابنُ الحَيَّاطِ الصَّقْلِيّ (من جزيرة صقْلِيَّة) الرُّبَعي (بفتح ففتح: نسبةٌ إلى قبيلة ربيعة؛ أو بفتح فسكون: نسبةٌ إلى الرُّبَعة: وهو اسمُ لَحْيَيْن من العرب؛ أو نسبةٌ إلى الرُّبَع بضمّ ففتح أي الفصل من الإبل يُنتَج - بالبناء للمجهول - أي يُولد في الربيع).

وقد حاول الدكتور إحسان عباس أن يجعل لوفاة ابن الحَيَّاطِ زمناً بين حدّين: قال عن ابن الحَيَّاطِ (ص ٢١٠): « وهذا لا يُبعدُ صِلَتُهُ بالأمرء الكَلْبِيِّين (حُكَّام صقْلِيَّة العرب) عن سَنَةِ ٣٩٠ هـ « (١٠٠٠ م) بعد أن قال (ص ٢٠٩) « فإنَّه (أي ابنُ الحَيَّاطِ) لم يَشْهَدْ صقْلِيَّة في عصرها الجديد - عصر الحُكم النورمانيّ - ». والنورمان استبدّوا بِحُكْم صقْلِيَّة سَنَةِ ٤٧٣ (١٠٨٠ م). ومعنى هذا أن ابن الحَيَّاطِ انتقل من صقْلِيَّة (إلى القيروان) قبل أن يَنْزَلَ فيها النورمان، وليس معنى هذا (من الجملة الأخيرة) أن ابن الحَيَّاطِ تُوُفِّيَ سنة ٤٧٣. فإذا كان اتّصالُ ابن الحَيَّاطِ بالأمرء الكَلْبِيِّين سَنَةِ ٣٩٠ (وعمره تقديراً بين خمسٍ وعشرين وخمس وثلاثين) ثم بقيَ حيّاً إلى ما بعد سَنَةِ ٤٧٣، فمعنى هذا أنّه قد عاش مائةً وعشرَ سَنَواتٍ على الأقلّ.

وبما أن التاريخ الأوّل (في افتراض الدكتور إحسان عباس أقربُ إلى الواقع، لأنّ الشاعر اتّصلَ بِحَسَبِهِ، بالكَلْبِيِّين) والدليلُ على ذلك قصائدُ مدَحهمُ بها) فيحسُنُ

أن يميل المؤرخ إلى تقديم وفاة ابن الحيات إلى زمن سابق على الفتح النورماني لصقلية مدة طويلة، أي إلى سنة ٤٤٠ أو سنة ٤٥٠ (١٠٤٨-١٠٥٨ م).

٢- ابن الحيات الصقليّ الرعي شاعرٌ مجيدٌ، وشعره سهلٌ واضحٌ الأغراض قليلُ التكلفِ والصناعة، ثم هو يهتم بالمعاني أكثر من اهتمامه بالألفاظ. وأغراض شعره المديحُ والحماسة (وصفُ الحرب) ووصفُ الطبيعة - وهنا نجدُه شاعراً يثُلُ صقليةً في طبيعتها، كما كان قد صوّر أحوالها السياسية من ضعفها ومن الفتن فيها في أماديجه وفي حماساته - ثم الأدبُ أو الحكمة مع أشياء من مدارك الفلسفة وتعبيرها. وله وصفٌ للخمر وغزلٌ مع التحلل من عددٍ من قيود المجتمع السليم.

٣- مختارات من شعره

- قال ابن الحيات الرعي يمدح انتصار الدولة:

ويا رَبَّ يومٍ له مُنْعَرٍ إذا خَمَدَتْ نَارُهُ أوقداً^(١)؛
تخاف به الرجلُ من أختيها، ولا تَأْمَنُ اليَدُ فيه اليداً^(٢).
وترمي رجالاً بأعضائهم، فمَنَنْي تَرَاهُنَّ أو مَوْحداً^(٣).
ترى السيفَ عُرياناً من غِمدِه وتحسبُه من دَمٍ مُغْمداً.
- ولابن الحيات الرعي مقاطعٌ في الأدب تنطوي على أشياء من الحكمة تجري في عددٍ من تعابير الفلسفة:

★ أرى كلَّ شيءٍ له دولةٌ لحُكْمِ التَّعاقُبِ فيها عملٌ^(٤).
فلا تفرَحَنَّ ولا تَحْزَنَنَّ لشيءٍ إذا ما تناهى انتقلٌ^(٥).
★ ما كان أمسٍ فقد فاتَ الزمانُ به، وما يكونُ غداً في الغيب موعودٌ.
وبين دَينِكَ وقتٌ أنت صاحِبُه في حالتيه: فمذمومٌ ومحمودٌ.

-
- (١) مسعر: موقد (شديد الحر) يوم مسعر: معركة شديدة. كلما خفت شدة المعركة زادها هو اشتعالاً.
 - (١) المعركة شديدة إلى درجة لا يأمن فيها أحد أحداً (ولو كان من حلفائه).
 - (٣) قد يصاب المحارب بإحدى يديه أو رجله أو عينيه، أو فيها كليهما.
 - (٤) دولة: دور، فترة زمنية (لأن تعاقب الأحداث من عمل قانون طبيعي).
 - (٥) تناهى: بلغ نهايته. انتقل: تبدل.

★ تمتّع بالمَنَامِ على شِمالٍ، فسوفَ يطولُ نومُكَ باليمينِ^(١)،
وَمَتَّعَ من يُحِبُّكَ من تَلّاقٍ، فأنتَ من الفِراقِ على يقينِ^(٢).
★ إنَّ سبَّ الملوِكِ من شُعَبِ المو ك، وإِنْ عاقَبوا بها قتلوكا.^(٣)
إِنْ عَفَوْا عنكَ بالذنوبِ أَهَانُوا

- وقال ابن الخِياط الرُبَيعي يمدح انتصارَ الدولة حينَ ظَفِرَ بثائرٍ ثارَ عليه:

ظنَّ الإمارةَ ظِلَّةً، فإذا بها حربٌ يكادُ أوارُها يتأجَّجُ^(٤)،
ومُهَنَّداتٌ كالعَقائِقِ ماؤُها مترقِرٌ ولهبُها متأجَّجُ^(٥).
لا تستقرُّ العينُ فوقَ مُتُونِها فكأنَّما هي زُنْبُقٌ مُترَجِرُ^(٦).
ومداعسٌ للخيلِ يرمحُ وسَطَها، من غيرِ فارسيه، طيرٌ مُسْرَجُ^(٧).
عَقْرَى وسالمةٌ تَعَثَّرُ بالقَنَا: المَسْجِدِيُّ وذو الخِمَارِ وأعْوجُ^(٨).
طَرَحَتْ فوارسَها على أَذْقَانِهم طَرَحَ الكِغَاب: فمُفَرَّدٌ أو مُزَوِجُ^(٩).
في موطنٍ سَلَبَ الحليمِ وقارَه فكأنَّما هو مُسْتَطارٌ أَهْوَجُ^(١٠).

- (١) النوم على الجانب الأيسر في الحياة (كناية عن التمتع باللذة...). أمّا في الموت فيسجى الميت في قبره على جانبه الأيمن.
- (٢) تلاق: اجتماع. الفراق: الموت.
- (٣) الشعبة (بالضم): الفصن ونحوه (وهنا: طريق، سبب).
- (٤) الظلّة: العريش الذي يجمي الإنسان من الشمس أو المطر... الأوار: شدة الاشتعال.
- (٥) المَهْد: السيف. العقيق: حجر كريم آخر اللون (كناية عن كثرة الدم). ماء المَهْد: صقاله (بالكسر). لمعانه (لأنه ماضٍ: قاطع) جدّاً.
- (٦) إن صفحات هذه السيوف مصقولة تلمع في النور حتّى لا يستطيع البصر أن يثبت عليها.
- (٧) المدعس: الطريق الذي كثر السير عليه (كناية عن طول المعركة. ذهاباً وإياباً: هجوماً وتقهقراً). رمح (في القاموس): أضاء، رفس (وهنا معناها: يركض بجرّية). الطمر: الفرس السريع. يرمح فوقها من غير فارسيه طيرٌ مسرج (كناية عن أن القتلى كانوا كثيرين حتّى أن معظم الخيل كانت تجول في ميدان المعركة وليس عليها فوارسها).
- (٨) عقرى (مجرّحة) تمثّر = تتمثّر. القنّاة: الرمح. (لما قتل الفوارس أصبح سلاحهم ملقى على الأرض، فالخيل في أثناء تجوالها تعثر به). المسجدي وذو الخمار وأعوج (من أسماء الخيل).
- (٩) الذقن (بفتح) (فتح): الوجه. الكعب: قطعة مكعبة صغيرة تستخدم في لعب النرد. طرح الكعاب (بسهولة). مفرد (فارس قتيلاً مطروحاً أرضاً وبعيداً عن غيره) أو مزوج (فارسان اعتنقا في القتال ثم قتل كلٌّ منهما الآخر فسقطا معاً).
- (١٠) مستطار القلب: شديد الخوف. أهوج (يفعل أفعاله بلا تنظيم).

- وقال بين الوجدان والآراء الفلسفية:

ليس إلّا تنفّسُ الصّعداءِ وبُكائي، وما غنّه بُكائي؟^(١)
مَنْ رَسولي إلى السّاءِ يُؤدّي لي كتاباً إلى هلال السّماءِ؟^(٢)
كيف يرقى إلى السّماءِ كثيفٌ؟ يسلكُ الجِسمُ في رقيقِ الهواءِ.^(٣)
عجزَ الإنسُ أن ترقى إليها، فعمى الجِنُّ أن تكونَ شِفائي.^(٤)
أم ترى الجِنَّ تنقي شُهَبَ الرّجَمِ؟ فدغني كذا أموتُ بدائي.^(٥)

٤-★★ راجع كتاب «العرب في صقلية»، تأليف احسان عباس، مصر (دار المعارف) ١٩٥٩ م (والمصادر المثبتة فيه).

محمّد بن الحسين المغربي

١- هو محمّد بن الحسين بن أبي الفتح القرشيّ المغربيّ السّوسيّ القيروانيّ المعروف بابن ميخائيل، من أهل سوسة، استوطن القيروان وتادّب فيها. كان في أيام المعزّ بن باديس^(٦).

٢- كان محمّد بن الحسين المغربيّ شاعراً رقيقاً سهّل الكلام، وكان شديد الانتقاد للشعر على مذهب قدامة الكاتب^(٧). وفنونه الغزل العفيف والصريح في الكنايات البريئة.

-
- (١) تنفّس الصّعداء (النفس العميق الطويل الحار - كناية عن الحزن). الفناء (بالفتح): الفائدة.
(٢) هو يريد أن يعرف أسرار العالم العلوي (ألله يكني بذلك عن محبوب جميل؟).
(٣) في الفلسفة أنّ الجسم (مادّة كثيفة) لا ترقى (بعد الموت) إلى الملاء الأعلى (عالم الخلود). ولكنّ النفس (وهي جوهر روحاني خفيف) يمكن أن تصعد إلى الملاء الأعلى.
(٤) هل أستطيع أن أبلغ إلى الملاء الأعلى من طريق الجنّ فأعرف من طريق الجنّ أخبار السّماء؟
(٥) تنقي: تحاف، تتجنّب. شهاب الرّجم: (الجنّ ممنوعون من الدّنو من السّماء، إذ يقدفون) إذا اقتربوا منها) بالشهب المشتعلة فيحترقون.
(٦) جاء المعزّ إلى العرش سنة ٤٠٦ هـ ثم استقلّ بالحكم، سنة ٤١٧ هـ، وتوفي سنة ٤٥٣ هـ.
(٧) قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ).

٣ - مختارات من شعره

- لعمد ابن الحسين المغربي مقاطعٌ رُويَ له منها:

- ★ صُورَ عبدُ الله من مسكَةٍ وصورَ الناسُ من الطينِ.
أبدَعَهُ اللهُ - وسُبْحانَهُ - كَمِثْلِ حُورِ الجَنَّةِ العَيْنِ^(١).
مُهْفَهْفُ القَدِّ هَضِيمُ الحشا يَكادُ يَنْقَدُّ مِنَ اللَّيْنِ^(٢).
كَأَنَّ فِي أَجْفانِهِ، مُنْتَضَى، سِيفَ عَلِيٍّ يَوْمَ صِفِينِ^(٣).
★ سافراتٌ عَنِ الوجوهِ تُحَيِّي أوجَةَ الشَّرْبِ الَّذِي تَحْتارُهُ^(٤).
كَالعَدَارِي الحِسانِ فِي الحُلَلِ الحُمِّ حمرٍ وَكالجَمْرِ طارَ عَنْهُ شَرارُهُ^(٥).
فِي أَوانٍ مِنَ الرِّبيعِ أنيقٍ زَهْرُهُ، مُسْتَقْلَّةٌ أَطيارُهُ^(٦).
زائِرٌ نَوْرَ الرِّبيعِ فَخِلْنَا وَشَيَّ صَنْعاءُ أَنَّهُ نُوارُهُ^(٧).
وَاکتَسَى الأَفقُ بِشَرِّهِ، فَحَسِينَا مِنْكَ دَارِينَ ما حَوَتْ أَقطارُهُ^(٨).
★ أَحْبَبْتُ مِنْهُ شَمائلاً فوجدْتُها فِي الطَّبَعِ مِثْلَ خلائِقِي وَشَمائلي^(٩).

- (١) الحوراء من النساء من اشتد سواد عينيها واشتد بياضها. العينا الواسعة العينين.
(٢) مهفهف القد: ممشوق (فيه طول مع اعتدال وامتلاء بلا سمنة). هضم الحشا (تحيل الخصر). ينقد: ينقطع.
(٣) كان سيف الإمام علي منتضى (مسلول) من عيونه.
(٤) سافرات (كاشفات). الشرب: الذين يشربون (الجمهر) معاً. تحتاره (بإشارة تحتارها: بكأس خمر، بزهرة، بحركة من يدها، الخ).
(٥) كالجمر طار عنه شراره (كناية عن شدة الاشتعال وعن النشاط).
(٦) أوان: زمان. أنيق: جميل يعجب العين. مستقلة: طائرة في الفضاء (مع أن من عادة الطيور أن تحتبئ في أيام المطر وأيام البرد الشديد. فإذا بدأ الجو بالاعتدال أخذت بالطيران من مكان إلى مكان).
(٧) زائر (كناية عن الزهر) نور (أضاء). خال: ظن. ظننا أن نوار الربيع (أزهاره) وشي (تطريز) من نسج صنعاء (عاصمة اليمن المشهورة بنسج الحرير وتطريزه).
(٨) البشر: طلاقة الوجه. دارين: مكان في الشام ومكان في البحرين (أحدهما أو كلاهما مشهور بأن المسك يأتي منه). الأقطار جمع قطر (بضم القاف): الجانب، الناحية. كل جانب من الأرض (في الربيع) فيه رائحة طيبة.
(٩) الشائل جمع شال (بكسر الشين): الخلق (بالضم) والطبيعة.

فكَأَنَّنِي أَحْبَبْتُ مَنْ قَدْ شَفَّهَ حُبِّي وَرُحْتُ مُشَاكِلاً لِمُشَاكِلِي (١).
 كم لَيْلَةٍ مَرَّقْتُ ثَوْبَ ظَلَامِهَا بَضِيائِهِ وَقَبِلْتُ فِيهِ وَسَائِلِي (٢).
 فكَأَنَّنِي مِنْ وَجْهِهِ فِي صُبْحِهَا، وَكَأَنَّهُ مِنِّي مَنَاطَ حَمَائِلِي (٣).
 والعَيْشُ لَيْسَ يَلِدُ طَعْمَ مَذَاقِهِ حَتَّى يُشَابَ بِمَآثِمٍ أَوْ بَاطِلٍ (٤)!

٤-★★ المَحْمَدُونَ مِنَ الشُّعْرَاءِ ٢٦٢ - ٢٦٣؛ الْوَاقِي بِالْوَفَايَاتِ ٣: ٦.

عبد الملك بن غصن الحِجَارِي

١- هو أبو مروان عبدُ الملكِ بنُ غُصْنِ الحِجَارِيِّ من أهل وادي الحِجَارَةِ (على مقربة من مدريد، شَالَا) رَحَلَ إِلَى المَشْرِقِ وتَأَدَّبَ (على نفرٍ من علمائه) وَحَجَّ ثُمَّ عادَ إِلَى بلدِهِ. نال حَظْوَةً عند ملوكِ الطوائف، غيرَ أَنَّهُ فَضَّلَ صُحْبَةَ أَبِي عُبَيْدَةَ (المُسْتَبِدِّ بِأَمْرِ مَدِينَةِ وادي الحِجَارَةِ؟) فَغَضِبَ عَلَيْهِ المَأْمُونُ بنُ ذِي النُّونِ (٤٢٩ - ٤٦٧ هـ) صَاحِبُ طُلَيْطُلَةَ (رَبِّهَا لِمَنَافَسَةِ أَبِي عُبَيْدَةَ لَهُ وَلِطَمَعَ المَأْمُونُ فِي الاستِيلَاءِ عَلَى وادي الحِجَارَةِ - لِقَرَبِ المَسَافَةِ بَيْنَ البَلَدَيْنِ). وَقَدْ اسْتَطَاعَ المَأْمُونُ أَنْ يَنْكُبَ عَبْدَ المَلِكِ الحِجَارِيَّ وَأَنْ يَسْجُنَهُ أَيْضاً. وَلَكِنْ المَقْتَدِرُ بنُ هُوْدٍ صَاحِبُ سَرَقُسْطَةِ (٤٣٨ - ٤٧٤ هـ) اسْتَطَاعَ أَنْ يَخْلُصَهُ، إِذْ شَفَعَ لَهُ عِنْدَ المَأْمُونِ (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٣: ٣٦٤) فَأَطْلَقَ المَأْمُونُ سَرَّاحَهُ. وَكَانَتْ وَفَاةُ عَبْدِ المَلِكِ بنِ غُصْنِ سَنَةَ ٤٥٤ هـ (١٠٦٢ م).

٢- كانَ أَبُو مروانَ عبدُ المَلِكِ الحِجَارِيُّ أَدِيباً شَاعِراً. وَشَعْرُهُ عَذْبٌ رَقِيقٌ مُتَفَرِّقٌ بَيْنَ الفَخْرِ والمَدْحِ والهِجَاءِ والاعتِنَادِ والعِتَابِ والخمرِ ووصفِ الطَّبِيعَةِ والإِخْوَانِيَّاتِ. وَكَانَ بَارِعاً فِي أَنْوَاعِ العِلْمِ والآدَابِ مِنَ الأَدَبِ والتَّارِيخِ خَاصَّةً.

- (١) شَفَّهَ الحَبَّ: أَغْلَحَهُ وَأَمْرَضَهُ. مُشَاكِلٌ: مُشَابِهٌ. مُشَاكِلٌ لِمُشَاكِلِي (أَشْبَهَ مَحْبُوبِي).
 (٢) وَقَبِلْتُ فِيهِ وَسَائِلِي (٢) - قَتَمْتُ بِمَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ (٢).
 (٣) المَنَاطُ: المَكَانُ الَّذِي تَتَعَلَّقُ بِهِ الْأَشْيَاءُ. الحَالَةُ (بِكَسْرِ الحَاءِ): عِلَاقَةُ السِّيفِ فِي العُنُقِ. فَكَأَنَّهُ مِنِّي مَنَاطَ حَمَائِلِي: يِعَانِقُنِي.
 (٤) يُشَابُ: يَخْلُطُ. مَآثِمٌ: ذَنْبٌ. بَاطِلٌ: عَبَثٌ (بِفَتْحٍ فَسْكَوْنٍ)، لَهْوٌ، لَعِبٌ، عَمَلٌ لَا فَائِدَةَ نَافِعَةً مِنْهُ.

وكان أيضاً مؤلفاً كتب في سجنه رسالةً عنوانها « رسالة السجن والمسجون والحزن والمحزون » وضمّنها ألف بيت من شعره وأهداها إلى المأمون بن ذي النون (أَمْلاً في إطلاق سراحه). وله رسالة أخرى عنوانها « العشرُ كليات ».

٣ - مختارات من شعره

- كتب عبدُ الملك بنُ غصنِ الحِجاريُّ من سجنه إلى أخيه:

أُزَوِّى، وَبَيْنَ ضُلُوعِي حَرِيقُ؟	وَأَشْجَى وَإِنْسَانٍ عَيْنِي غَرِيقُ ^(١) ؟
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ وَفِي كُلِّ حِينٍ	يُحْمَلْنِي الدَّهْرُ مَا لَا أُطِيقُ.
تَهِيمُ الْخُطُوبُ بَوَضْلِي، فَمَا	لَهَنَ إِلَى غَيْرِ قَلْبِي طَرِيقُ.
أَيَا وَاحِدِي وَشَقِيقِي وَيَا	فَرِيقاً يُكَيِّه مِنِّي فَرِيقُ ^(٢) ،
أَخُوكَ أَخُو نَكَبَاتٍ لَهَا	يَرِقُّ الْعَدُوُّ، فَكَيْفَ الصَّدِيقُ؟
كَسَدْتُ وَنَظْمِي دُرٌّ نَفِيسٌ،	وَضَعْتُ وَنَثْرِي مِسْكٌ عَبِيقُ.
وَمَا أَظْلَمَ الْجَهْلُ فِي مَعْشِرٍ	وَفِي أَفْقِهِمْ مِنْ عُلُومِي شَرِيقُ ^(٣) .
وَلَوْ جَائِلِقٌ تَخَوَّلَتْهُ	بِمَوْعِظَةٍ آمَنَ الْجَائِلِيقُ ^(٤) .

- وقال يفتخر برسالته وبما ضمّنها من الشعر:

وَأَلْفَ بَيْتٍ مِنَ الْقَرِيضِ إِذَا	مَاتَ جَمِيعُ الْأَنَامِ لَمْ تَمُتْ.
لَوْ أَنَّ شِعْرَ الْوَرَى يُنْظَمُ فِي	عَقْدٍ لَكَانَتْ بِمَوْضِعِ السَّطَةِ ^(٥) .
سَائِرَةٌ حَيْثُ لَمْ يَسِرْ قَمَرٌ	وَلَا سَرَتْ أُنْجُمٌ وَلَا جَرَتْ.

-
- (١) أشجى أنا (من شجي: طرب). إنسان عيني (البؤبؤ) غريق: عيني مملوءة بالدموع (حزين).
- (٢) وأحدي وشقيقي (أخي الذي ليس لي أخ غيره). فريق يبكيه مني فريق: نحن شخص واحد يبكي على نفسه.
- (٣) في أفقهم: في بلادهم. شريق: شارق أو مشرق (القاموس المحيط ٣: ٢٤٩). - لا يخيم ظلام الجهل على قوم إذا أشرق عليهم شيء من علومي.
- (٤) لو تخوّلت (تمهدت بالموعظة) الجائليق (رئيس النصاري) حتّى يؤمن بالإسلام لآمن (كناية عن قدرته).
- (٥) السطة: الوسط (اللؤلؤة الكبيرة جداً والتي تكون في وسط العقد).

- وقال يهجو المأمونَ بنَ ذي النون:

تَلَقَّبْتَ بِالْمَأْمُونِ ظُلْمًا، وَإِنِّي
حَرَامٌ عَلَيْهِ أَنْ يَجُودَ بِبِشْرِهِ،
سَطُورُ الْخَازِي دُونَ أَبْوَابِ قَصْرِهِ
وَقَالَ يَصِفُ الرَّبِيعَ:

يَا صَوْبَ غَادِيَةِ الرَّبِيعِ الْمُنْطَرِ،
مَيْدَانِ أَفْرَاسِ الصَّبَا وَمَلَاعِبِ الْ
وَاقِظِ بِنَلِكِ الْغَيْثِ فِي سَاحَاتِهِ
حَتَّى تَرَى الْغَيْطَانَ زَاهِرَةَ الرَّبِيِّ
وَتَرَى الْأَقَاحَ كَأَنَّهُ فَمٌ شَادِنٌ
وَشَقَائِقَ النَّعْمَانِ مِثْلَ الْغَيْدِ وَالْطُّ
لُولا خَفَارَتُهَا وَحَالِكُ شَعْرِهَا

بَادِرُ بَسَنِيكَ رَسَمَ دَارِ مُقْفِرٍ^(١)؛
آرَامَ وَالرَّوْضِ الْأَنْيَقِ الْأَزْهَرِ^(٢)؛
وَاسْكُبْ لَالِيَهُ عَلَيْهِ وَانْثُرْ^(٣)؛
تُنْبِيكَ عَنْ عَهْدِ الزَّمَانِ الْأَزْهَرِ^(٤)؛
غَنَجٍ تَبَسَّمَ عَنْ لَقِيطِ الْجَوْهَرِ^(٥)؛
طَلَّ النَّدَى كَدَمْعَةٍ فِي مَخْجَرِ^(٦)؛
قُلْنَا: سَبَايَا مِنْ بَنَاتِ الْأَصْفَرِ^(٧)؛

- (١) آمَن = أأتمن (أثق بـ).
(٢) البشر: طلاقة الوجه واطهار السرور بالناس. الندى: الكرم.
(٣) حجاب القصر عنوان للمخازي الموجودة في داخل القصر.
(٤) الصوب: المطر المعتدل. الغادية: السحابة التي تمطر في الصباح. السيب: العطاء (المطر). مقفر مهجور (صفة للاسم «رسم»: المكان الذي كانت فيه الدار قائمة).
(٥) الدار التي كانت ميداناً للهناء وملعباً (مرتعاً) للآرام (جمع رثم بكسر الراء: الغزال الأبيض): النساء الجميلات.
(٦) لآلىء جمع لؤلؤة (كناية عن حبات المطر التي لها شكل اللؤلؤة وقيمتها).
(٧) الغيط (بالفتح): الأرض المنخفضة (تتجمع فيها المياه فتكون خصبة). تنبيك = تنبيك: تحريك الأزهر (مكررة في الأصل).
(٨) الأقاح جمع أقحوانة (بضم الهمزة): زهر قلبه أصفر وله بتلات بيض. الشادن: الغزال الصغير (الفتاة الجميلة). الجوهر: اللؤلؤ (كناية عن أسنانه البيض الجميلة).
(٩) الفيداء: المرأة الجميلة. الطل: الندى الذي يسقط ليلاً. الحجر (التجويف الذي تكون فيه العين): العين.
(١٠) الحفارة (تكون بالفتح والكسر والضم وتتعلق بالحراسة) والمقصود هنا: الحفر (بفتح ففتح): الحياء. الحالك: الأسود. بنو الأصفر: الروم.

- وقال عبدُ الملك الحجاري يصف الخمر:

يا فتية خيرة فدننهم من حادثات الزمانِ نفسي،
شربهم الخمر في بُكورٍ ونطقهم عندها بهمس،
أما ترونّ الشتاء يُلقى في الأرض بُسْطاً من الدّمس^(١)؟
مُقطّبٌ عابسٌ يُنادي: يومٌ سرورٍ ويومٌ أنس^(٢).

٤-★★ الذخيرة ٣: ٣٣١-٣٣٦؛ التكملة ٦٠٦؛ المغرب ٢: ٣٣-٣٤؛ نفع الطيب ٣: ٤٢٣-٤٢٤؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣٠٧ (١٦١).

محمد بن عبد الواحد البغدادي

١- هو أبو الفضل محمد بن عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث بن أسد بن سليمان بن الأسود بن سُفيان الدارمي التميمي البغدادي، وُلِدَ في بغداد سنة ٣٨٨ (٩٩٨ م).

سمعَ محمد بن عبد الواحد من أبي طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص الذهبي البغدادي (٣٠٥-٣٩٣ هـ) - وكان من أصحاب الحديث ومُسندَ بغداد في أيامه^(٣) - . ويبدو أن خلافاً نشأ بينه من جانب وبين أبيه وإخوته من جانبٍ آخرَ فتركَ بغداد وله من العمر عِشرون سنةً مُتَجهاً شرقاً حتّى وصل إلى الهند ولحقَ بالسلطان محمود الغزنوي الذي امتدت ولايته من سنة ٣٨٩ إلى سنة ٤٢١ وبقيَ معه ثم مع ابنه مسعود (٤٢١-٤٣٢ هـ) ووزَرَ للسلطان مسعود.

توفيَ السلطان مسعود وخلفه أخوه مودود، ومحمد بن عبد الواحد في الهند. ولم يحمّد محمدٌ بعد ذلك مقامه في الهند فكاتبَ القائمَ العباسي فاستدعاه القائم. واتفق في

(١) بسط جمع بساط (ما يفرش على الأرض). الدمشقي: الحرير (الشتاء يكسو الأرض بالنبات الأخضر؟؟). كذا في بغية الملتبس ص ٩٧ س.

(٢) مقطّب عاقد بين حاجبيه (كناية عن الغضب). يوم سرور ويوم أنس (بضم الهمة: سرور بعشرة الناس)... لعلها: «بؤس» (٤).

(٣) المسند: الذي يحفظ أحاديث رسول الله بأسانيدها: بسلاسل الراوي لها (ويكون في ذلك حجة يرجع الناس إليه).

ذلك الحين فَوْرَةُ الدعوة الفاطمية (وكان أمرها قد علا في مِصْرَ كثيراً) فأرادَ القائمُ العباسيُّ رجلاً يذهب إلى المَغْرِبِ لِيُفْسِدَ قُلُوبَ أَهْلِ المَغْرِبِ على الفاطميين فأرسلَ في ذلك مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الواحدِ. وفي الطريقِ إلى المَغْرِبِ مرَّ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الواحدِ بالمَعْرَِّةِ وَلَقِيَ أَبَا العَلَاءِ المَعْرِيَّ. فسمعَ المَعْرِيُّ شيئاً من شِعْرِهِ ومدَحَهُ عليه. وسارَ مُحَمَّدٌ إلى المَغْرِبِ فوصلَ إلى القِيروانِ سَنَةَ ٤٣٩ واستطاعَ إقناعَ المُعْزِّ بْنِ باديسَ في أولِ الأمرِ بالانتقالِ عن دَعْوَةِ الفاطميين إلى دعوة العباسيين. ثم حَدَثَ الاضطرابُ في المَغْرِبِ - وكان لابنِ عَبْدِ الواحدِ فيه يدٌ ظاهرة - وعادَ المُعْزُّ عن الدعوة العباسية في سَنَةِ ٤٤٦ فأصبحَ مُقامُ ابنِ عَبْدِ الواحدِ في المَغْرِبِ صَعْباً فانتقلَ إلى الأندلسِ وتَنَقَّلَ بينَ بُلدانِها حتَّى استقرَّ في طُلَيْطَلَةَ في ٢٧ من جُادى الأولى ٤٥٤ (١٠٦٨/٦/٨ م) عِنْدَ المأمونِ بنِ ذي النون. وكانت وفاةُ ابنِ عَبْدِ الواحدِ في رابعَ عَشَرَ شَوَّالٍ من سَنَةِ ٤٥٥ (١٠٦٣/٩/١١ م).

٢ - مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الواحدِ نَظْمٌ ونَثْرٌ، وكان مُكثِراً ومُطِيلاً أيضاً. وشِعْرُهُ ونَثْرُهُ يَنبُوءُ أن بَصِناعَةَ كَثِيرَةٍ بعيدة. وأكثرُ شِعْرِهِ عاديٌّ وعليه نَفْعَةٌ من الأسلوبِ القديمِ معَ شيءٍ من الغريبِ. وهو كثيرُ التَّرْدَادِ للأفكارِ وللتراكيبِ: أوردَ له ابنُ بَسَّامٍ (الذخيرة ٥١١: ٣ - ٥١٣) تِسْعَةَ وثلاثينَ بيتاً واحداً وعِشْرُونَ منها تبدأ بالحَرْفِ المُشَبَّه بالفعل «كَانَ»، ونحن نَجِدُ شيئاً من هذا التَّرديدِ عند ابنِ هانِي الأندلسيِّ أيضاً. وفي الذخيرة (٨٨: ٤) وفي نَفْحِ الطَّيِّبِ (١١٢: ٣) أن أَبَا العَلَاءِ المَعْرِيَّ قد سَمِعَ شيئاً من شِعْرِ ابنِ عَبْدِ الواحدِ وحكمَ له بالإجادة. ولعلَّ إعجابَ المَعْرِيَّ كانَ راجعاً إلى كَثْرَةِ تَشَابِهِ ابنِ عَبْدِ الواحدِ وغَرَابَةِ بعضها. وفنونُ شِعْرِ ابنِ عَبْدِ الواحدِ المديحُ والهجاءُ والرِّثاءُ والفخرُ والعِتَابُ والوصفُ وكثيرٌ من الغَزَلِ معَ شيءٍ من المَجُونِ الظَّاهِرِ. وله أيضاً طَرْدٌ (وصفٌ للصَّيدِ) وإخوانيَّاتٌ. وابنُ عَبْدِ الواحدِ أدخلَ كتابَ «يَتِيْمَةُ الدَّهْرِ» للشَّعَالِيِّ إلى الأندلسِ.

٣ - مختارات من آثاره

- كتب أبو الفضلِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الواحدِ البَغْدَادِيُّ رسالةً إلى الوزيرِ الكاتِبِ أبي

المُطَرَّف (*) بن مُثَنَّى (الذخيرة ٣ : ٤١٠) جاء فيها:

أطال الله بقاء سيدي وجعل درج العالي مستقرة تحت قدمه وسرج المساعي
مُسْفِرَةً عن بوارق هممه^(١)، وظامئات الأمان روية من لعاب سنّ قلمه^(٢)، وعذبات
الإقبال منوطة بألوية عزائمه وآرائه^(٣)... وكنت مررت ببلاد شمس الفضائل في
آفاقها مكسوفة، وعيون العلم والآداب في عرصاتها مطروقة^(٤)، وستائر الأحرار بين
أهلها مهتوكة مكشوفة^(٥)... نبعت بين أهلها عيون الحيانة والبُهتان^(٦)، وضعف
جبل الديانة فيهم والإيمان... فأبدلهم الله من النور في أحوالهم ظلاماً، وبالحلال في
مكاسيهم حراماً. وخصّ أسعارهم بالغلاء وجمعهم بالفناء ولفيفهم بالتشتت
والجلاء^(٧). وللخراب ما يعمرون^(٨)، وللقتل ما يلدون وللنهب ما يجمعون ولغيرهم
ما يكسبون. «وحاق^(٩) بهم ما كانوا به يستهزئون» (سورة الزمر، ٤٨ : ٣٩)،
«وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى^(١٠) وهي ظالمة، إن أخذة أليم شديد» (١١ :
١٠٢، سورة هود)... وأكبرت أن أفارق بلد الأندلس، وقد أظهر الله فيه إحدى
آياته الدالة على عظم معجزاته، الناطقة بصحة براهينه وبيّناته، بسيدنا المأمون بن
ذي النون أطال الله بقاء سلطانه، وقوى دعائم ملكه وأركانها...

(*) هو أبو المطرف عبد الرحمن بن أحمد بن صبغون المعروف بابن مثنى من أهل قرطبة وسكن بلنسية.
وقد استوزره المأمون يحيى بن ذي النون صاحب طليطلة (٤٢٧ - ٤٦٣ هـ) عدة سنين. «انتفع
الناس به في أثناء وزارته لحسن دينه وسلامة باطنه وظاهره وتفكيره الهادئ... وكانت وفاته في
بلنسية سنة ٤٥٨ (١٠٦٦ م).

- (١) السراج: القنديل. مسفرة: منكشفة.
- (٢) من لعاب: ريق (هنا: حبر) سنّ قلمه (الطرف الذي يكتب به من القلم).
- (٣) العذبة (بفتح ففتح): طرف الشيء (زائدة تتدلّى عادة من طرف الغمامة - بكسر العين). منوطة:
معلّقة.
- (٤) مكسوفة: مغطاة (قد حجب نورها). العرصة (بفتح ففتح): الباحة أمام الدار.
- (٥) مهتوكة ممزقة. مكشوفة: مزاحة (كناية عن جرأة الناس على من كانت سدولة عليه: ساترة له).
- (٦) البهتان: الاتراء (اتهام الناس بما ليس فيهم).
- (٧) الجلاء (الخروج من الوطن).
- (٨) عمر الناس المكان (سكنوا فيه).
- (٩) حاق: أحاط.
- (١٠) الأخذ: العقاب، القصاص. القرية: المدينة.

- وله يَصِفُ اللَّيْلَ (الذخيرة ٣ : ٥١١):

وليلٍ تجلّى الصُّبْحُ في جَنَابَتِهِ سنا بارقٍ في لُجٍّ بحرٍ تَعَبَّيَا^(١)
أحاطتْ بِأَفَاقِ السَّمَاءِ خِيَامُهُ وطَبَّقَ شَرْقاً في البِلَادِ وَمَغْرِباً^(٢)
نَفَى طَوْلُهُ عَنِّي الرُّقَادَ كَأَنَّمَا يَغَارُ على الجَفْنَيْنِ أَنْ يَتَرَكَبَا^(٣)
فَبِتُّ أُجِيلُ الطَّرْفَ أَرْتَادُ صُبْحَهُ كما ارتادَ ذو الشوقِ الحبيبَ المُحِبَّيَا^(٤)
كَأَنَّ النُّجُومَ الزُّهْرَ فِيهِ خَرَائِدُ تُطَالِعُ من زُهرِ الكواكبِ رَبِّربَا^(٥)
كَأَنَّ ثُرَيَّا^(٦) أَنَامِلُ فِضَّةٍ تُقَلِّبُ ثُرْساً من سَنَا اللَّيْلِ مَذْهَبَا^(٧)
- وقال يَتَشَوَّقُ إلى بلده:

أَهْمِي بِذِكْرِ الشَّرْقِ والغَرْبِ دَائِباً، وما بيَ شَرْقٌ للبلادِ ولا غَرْبٌ^(٧)
ولكنَّ أوطاناً نأتُ وأجبةً فَقَدْتُ متى أَذْكَرُ عُهُودَهُمْ أَصْبُ^(٨)
إذا خَطَرْتُ ذِكْرَاهُمْ في خواطري تَنَاقَرُ من أَجْفَانِي اللُّؤْلُؤُ الرَطْبُ^(٩)
ولم أَنَسَ مَنْ ودَّعْتُ بِالشَّطِّ سُحْرَةً وقد غَرَّدَ الحادونَ واستعَجَلَ الرُكْبُ^(١٠)
أليفانِ هذا سائرٌ نحو غَرْبِي، وهذا مُقِيمٌ سارٍ عن صَدْرِهِ القلبِ.

- (١) اللجة (بالضم): معظم الماء (وسط البحر). تعب: كثر عبابه (بالضم): أمواجه.
- (٢) خيام جمع خيمة (كناية عن اتساع الفيوم). طبق (ملاً).
- (٣) أن يتركبا (أن يركب أحدها الآخر: أن ينطبقا فينام صاحبها).
- (٤) الطرف: البصر. ارتاد: أطلب. المحببا (الذي جعل على نفسه حجاباً: رفض الاجتماع بالمحب).
- (٥) الزهر: اللامعة (يقصد: الكبيرة). تطالع: تديم النظر إلى (تراعي، تعني بـ). الربرب: القطيع من الظباء. الخريدة: المرأة الجميلة. الصورة غير واضحة.
- (٦) الثريا عنقود نجوم فيه سبعة نجوم كبيرة (ظاهرة للمعين) ثم ألوف من النجوم الأخرى. «أنامل فضة» (لمل الشاعر يشير هنا إلى النجوم السبعة الكبيرة اللامعة في عنقود الثريا). ترساً مذهباً (يشبه الليل بترس: برقعة سوداء واسعة مذهبة: فيها نجوم تلمع صفراً وحمراً، الخ).
- (٧) الشرق والغرب من بلاد الأندلس. وما بي (شوق إلى) شرق الأندلس أو غربها: إلى الأرض نفسها...
- (٨) أوطان نأت: بعدت (عني: بعدت أنا عنها). أصبو: أميل (يعظم حيي).
- (٩) اللؤلؤ الرطب. النقي، الصافي اللون كناية عن الدموع.
- (١٠) الشط: جانب النهر. سحرة: قبيل الفجر. غرد الحادي: بدأ يترنم (بغني) استعداداً للانطلاق بالابل (البدء بالسفر). واستعجل الركب (جعل الحادي، سائق الأبل، يحث العازمين على السفر على العجلة للبدء بالسفر).

٤- ** جذوة المقتبس ٦٨ - ٦٩ (الدار المصرية) ٧٣ (رقم ١٠٥)؛ الصلة ٥٦٦؛ بغية
الملتبس ٩٧ - ٩٨ (رقم ٢٠٩)؛ الذخيرة ٣: ٤١٠ - ٤١٣، ٤: ٨٧ - ١١٩؛ نفح
الطيب ٣: ١١١، ١١٣ - ١١٥.

الحسين التجيبي القرطبي

١- هو الحسين بن محمد بن الحسين بن حيّ التجيبي القرطبي، أخذ علم العدد والهندسة والهيئة^(١) عن أبي عبد الله محمد بن عمرو بن محمد المعروف بابن برغوث الرياضي الفلكي (ت ٤٤٢ هـ). وفي سنة ٤٤٢ هـ رحل الحسين التجيبي إلى القاهرة ثم إلى اليمن. وفي اليمن اتصل بأمير المؤمنين الصليحي القائم^(٢) بالدعوة للمستنصر الفاطمي معذ (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ) وحظي عنده. ثم إن الصليحي أرسله رسولا إلى القائم العبّاسي (٤٢٢ - ٤٦٧ هـ). وتوفي الحسين التجيبي في اليمن، سنة ٤٥٦ (١٠٦٤ م)، بعد رجوعه من بغداد.

٢- الحسين التجيبي القرطبي أديب شاعر وعالم بالهندسة والفلك. له زيج مختصر على طريقة السند هند^(٣). وشعره القليل الذي وصل إلينا مقاطعات قصار تدور على التأمل والحكمة وفيها إشارات من الرياضيات والفلك.

٣- مختارات من شعره

- قال الحسين التجيبي يوازن بين الواحد من العدد (الذي هو أول الأعداد ومنه تأتي كل الأعداد، مع أنه في رأي علماء العدد ليس مثل سائر الأعداد) والله الذي هو أيضاً الموجود الأول (وهو سابق على جميع الموجودات ومُخالف لها، مع أنها جميعها قد جاءت منه):

(١) الهيئة: الفلك.

(٢) علي بن محمد الصليحي أمير يمني اعتنق، سنة ٤٢٨، دعوة الفاطميين (أئمة مصر). وفي سنة ٤٢٨ حالفه في الموسم (في الحج) نحو ستين نصيراً على الدعوة للمستنصر الفاطمي صاحب مصر. وفي سنة ٤٥٥ أصبح ملكاً على اليمن. وتوفي سنة ٤٧٣.

(٣) السند هند كتاب هندي في الرياضيات والفلك.

تَأْمَلُ صُورَةَ الْعَدَدِ؛ فَمَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهِ هُدًى.
 كَمَا الْأَعْدَادُ رَاجِعَةٌ، وَإِنْ كَثُرَتْ، إِلَى الْأَحَدِ^(١)،
 كَذَلِكَ الْخَلْقُ مَرْجِعُهُمْ لِرَبِّ وَاحِدٍ صَمَدٍ^(٢).
 - وله مقطعاتٌ قصارٌ في التأمل والحكمة:

★ ورَأَيْتُ السَّمْعَ كَالْبَحْرِ، إِلَّا أَنْ مَا وَسَطَهُ مِنَ الدَّرِّ طَافِي^(٣).
 فِيهِ مَا يَلَأُ الْعَيُونَ كَبِيرٌ وَصَغِيرٌ مَا بَيْنَ ذَلِكَ صَافِي^(٤).
 ★ وَدَعَّتْهُ حَيْثُ لَا تُودَعُهُ رُوحِي وَلَكِنَّهَا تَسِيرُ مَعَهُ.
 ثُمَّ تَوَلَّى وَالْعَيُونَ لَهُ ضَيْقُ مَجَالٍ فِي الْقُلُوبِ سَعَةٌ.
 ★ إِذَا مَا كَثُرَتْ عَلَى صَاحِبِ وَقَدْ كَانَ يُدْنِيكَ مِنْ نَفْسِهِ^(٥).
 فَلَا بُدَّ مِنْ مَلَلٍ وَاقِعٍ يُغَيِّرُ مَا كَانَ مِنْ أَنْسِهِ.

٤-★★ معجم الأدباء ١٠: ١٥٨ - ١٦٠.

ابن حزم الكبير

١ - وُلِدَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ (ت ٤٠٢ هـ) بِنِ سَعِيدِ بْنِ حَزْمٍ فِي قُرْطُبَةَ، فِي
 آخِرِ يَوْمٍ مِنْ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٣٨٣ (معجم الأدباء ١٢: ٢٣٧) أَوْ ٣٨٤ (وفيات
 الأعيان ٣: ٣٢٥) - يُوَافِقُ ذَلِكَ مِنَ الْعَامِ الْمِيلَادِيِّ ٩٩٤/١١/١٨ أَوْ

- (١) الأحد: الواحد من العدد (قبل الاثنين). كلّ الأعداد تبدأ من الواحد بزيادة واحد على العدد الذي قبله ما عدا الاثنين فهو الواحد مكرراً ثم ٢+١، ٣+١، ٤+١، الخ.
- (٢) الصمد: المقصود (الله). وكما أن جميع الأعداد ترجع إلى الواحد، فكذلك جميع الأشياء مرجعها (مبدأها) الله (الذي هو: واحد).
- (٣) ..إِلَّا أَنْ مَا (فِي) وَسَطِهِ. الدَّرُّ: اللؤلؤ. طاف: عاثم على سطح الماء. - الليل بسعته يشبه البحر، مع فارق: اللؤلؤ الذي في البحر يكون غارقاً في قمره. أما الليل (السماء) فَإِنَّ مَا فِيهَا مِنَ اللَّوْلُو (النجوم) طاف (سايح) على سطحها.
- (٤) في السماء نجوم كبيرة وصغيرة تملأ العيون (أي كثيرة). صافي (صاف) ٢٢.
- (٥) كثرت على صاحب: أثقلت عليه (بالزيارات الكثيرة أو بالمطالب الكثيرة).

٩٩٤/١١/٧ ، في بيتٍ جاءٍ وثرورةً وترَفٍ وسُلطان. غيرَ أنه لَقِيَ عَتَتاً كبيراً من جِراءِ الفِتنة في الأندلس، ولأن أباه كان وزيراً للمنصور بن أبي عامر الحاجب (رئيس الوزراء) الذي كان قد حَجَرَ على الخليفة هشام المؤيَّد واستبدَّ بالحكم دونه. فلما تُوُفِّي المنصور (٣٩٢ هـ = ١٠٠٢ م) ثم استطاع هشام المؤيَّد أن يحكم بنفسه تتبع رجالَ دولة المنصور فلَحِقَ آل حزم من ذلك نصيبٌ وافر تشبَّثوا به في البلاد. ثم زال الحكم المرواني عن الأندلس وبُويع عَلِيُّ بْنُ حَمُودٍ بالخلافة وتغلَّب على قُرطبة فأتاهم آل حزم بأنهم من أنصار المروانيين. ولقد أضاع آل حزم في أثناء ذلك كثيراً من أموالهم وقصورهم وكتبهم.

وبعد خراب قُرطبة في فتنة البربر انتقل ابن حزم إلى شاطبة، وفيها ابتدأ تأليف كتابه «طَوْقُ الحَمامة». وكان في سَنَةِ ٤١٨ هـ (١٠٢٧ م) يعيش فيها. وفي سَنَةِ ٤٤٠ هـ (١٠٤٨ م) كان موجوداً في جزيرة مَيُورقة لاجئاً فيها. واتفق أن رَجَعَ الفقيه أبو الوليد الباجيُّ من المشرق فناظره مناظرةً أضرَّت به. ولما كَثُرَتْ عليه دسائسُ الفقهاء بسببِ مذهبه الظاهريِّ اعتكفَ في تربة بلده مُنْتَ لِيَشْمَ حيث تُوُفِّي في السابع والعشرين من شَعْبَانَ من سَنَةِ ٤٥٦ (١٠٦٤/٨/١٤ م).

٢ - كان ابن حزم قديراً في التفسير حافظاً للحديث، وكان فقيهاً متكلماً وعالماً لغوياً ومؤرخاً بارعاً وأديباً بليغاً ومفكراً رصيناً، ولكن الشهرة بالأدب غلبت عليه. وكتبُ ابن حزم كثيرةً متنوعة، غيرَ أن كثيراً منها قد ضاع في النكبات، في الفتن في قُرطبة وفي غُضْبَةِ العامة عليه، تلك الغُضْبَةُ التي أدَّت مِراراً إلى إتلاف كتبه بالحرق والتمزيق. فمن كتبه:

الإحكام لأصول الأحكام - أسواق العرب - رسالة في الإمامة (الخلافة) - رسالة في أمّهات المؤمنين - التحقيق في نقد مذهب محمد بن زكريا الرازي - التقريب لحدِّ المنطق والمُدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية - جهرة الأمثال - جهرة أنساب العرب - حجة الوداع - الرد على ابن النغيلة اليهودي - رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل - طَوْقُ الحَمامة في الألفة والألاف (يتناول أحوال العشاق وما يعترهم من الحب والإذعان والسُّلُو والطاعة والمُجَر وما

تقتضيه حياتهم من السفير والمراسلة وما يُنْغَص حياتهم كالواشي والرقيب وما يُنْهَجُهُمْ كالوصل) - رسالة في الغناء الملهي أمباح هو أم محظور؟ - الفصل في الملل والأهواء والنحل (عَرَض فيه للأديان القديمة ومذاهب قدماء الفلاسفة وآراء اليهود والنصارى ومذاهب أهل الإسلام والبحث في مذهب الظاهر ومهاجرة خصومه؛ وفلسفة ابن حزم: كُلُّها بمنطوية في هذا الكتاب) - رسالة في فضل الأندلس - المَحَلَّى (في فروع الفقه) - مراتب الإجماع - مراتب العلوم - المفاضلة بين الصحابة - فصل في معرفة النفس بغيرها وجهلها بذاتها. - معرفة الناسخ والمنسوخ - النبذة الكافية في أصول أحكام الدين - نَقَطُ العُروس في تواريخ الخلفاء.

ابن حزم من أتباع المذهب الظاهري وإمام هذا المذهب في أيامه. وهو يقبل كلَّ ما نصَّ عليه القرآن أو ورد في الأحاديث الموثوقة على ظاهر معناه، إلّا أن يكون هنالك ضرورة من عقل أو حسّ تدعو إلى صَرْفِ المعنى عن ظاهره وإلى الأخذ بالتأويل. يقول ابن حزم في الملل والنحل: « بل الآيات كُلُّها حقٌّ على ظاهرها لا يَحِلُّ صَرْفُهَا عنه (٣: ١٥٢)؛ وإنما نَتَّبِع ما جاءت به النصوص (٣: ١٦٢). والنصُّ لا يَحِلُّ خِلَافُهُ (٤: ٨٥ س)، لأن الله تعالى يَنْصِّ أحياناً نصّاً لا يحتملُ تأويلاً (٣: ١٤٤). وكذلك الأحاديث الموثوقة (٥: ١١٣).

وصَرْفُ الآيات والأحاديث عن ظاهرها لا يجوزُ إلا بْبُرْهان (٣: ٢٠٧، ٥: ٧٧)، أو بنصٍّ من قرآنٍ أو حديثٍ أو بإجماعٍ مُتَيَقِّنٍ أو بضرورة من حسّ. وعندئذٍ تَجِبُ مُخالفةُ الظاهر والعملُ بالتأويل على مُقتضى البلاغة العربية.

وابن حزم مفكّر في الدرجة الأولى ممّا جعله - حينما ينصرف إلى النتاج الأدبي: في النثر والشعر - أديباً من الطبقة الأولى أيضاً. فكتابه « طوقُ الحمامة »، وإن كان في ظاهره أدباً خفيفاً يَصِفُ مظاهر الحياة الإنسانية في الألفة والألّاف (في الحبِّ والمحبِّين)، فإنّه في حقيقته نظرةٌ ثاقبةٌ في أعماق النفس الإنسانية والحياة الاجتماعية. وشعره متينٌ جَزَلٌ يَغْلِبُ فيه المعنى على اللفظ، ولكنه يبقى شعراً وُجْدانياً بعيداً الأثر في النفس والفكر معاً.

٣ - مختارات من آثاره

- لابن حزم الأندلسي مقطعات شعرية منها حيناً نُكِبَ وأُحرقت كتبه:

* لَا يَشْمَتَنَّ حاسدي إنْ نكبةً عرضتَ
ذو الفضل كالتبر يُلْفَى تحت مَترية
* سيكون الذي قُضِيَ،
فدعِ الهمَّ، يا فتى؛
* وذو عَذَلٍ فيمن سباني حُسْنه
أفي حُسْنٍ وجه لاج، لم ترَ غيره
فقلت له: أسرفتَ في اللوم ظالماً؛
ألم ترَ أني ظاهري وأنسي
* إذا شئتَ أن تحيا غيباً فلا تكن
دعوني من إحراق رَقٍّ وكاغِدِ
فإن تُحرقوا القِرطاسَ لا تحرقوا الذي
* أنا الشمس في جوِّ العلوم منيرةٌ
ولو أنني من جانب الشرق طالع

فالدهر ليس على حال بَمَرِّكَ^(١)
طوراً، وطوراً يُرى تاجاً على ملك^(٢)
سَخِطَ العبد أم رَضِيَ.
كلُّ همٍّ سينقضي.
يُطيل مَلامي في الهوى ويقول^(٣):
ولم تدر كيف الجسمُ، أنت قتيل؟^(٤)
وعندي ردٌّ، لو أردتَ طويلاً^(٥):
على ما بدا حتى يقومَ دليل^(٦).
على حالة إلا رَضِيتَ بدونها^(٧).
وقولوا بعلمي كي يرى الناسُ من يدرى^(٨).
تَضَمَّنَه القِرطاسُ، بل هو في صدري.
ولكنَّ عيبي أن مَطلعي الغربُ^(٩).
لجَدَّد لي ما ضاع من ذكري النهب^(١٠).

- (١)....الدهر لا يترك أحداً على حال واحدة (بل ينقله من سعد إلى نحس ومن نحس إلى سعد).
- (٢) أُلْفَى: وجد. مترية (المقصود: تراب تحت مترية: مدفون).
- (٣) عذل: لوم. سباني: أسرفي.
- (٤) أنت لم تر من هذا الشخص سوى وجهه، فلا تعرف ما حال أقسام جسمه الباقية....
- (٥) أسرف: جاوز الحد.
- (٦) أنا أثبت على الأخذ بظاهر الأمور، ولا أميل عن الظاهر (لا أتركه) حتى يقوم عندي دليل على خلافه.
- (٧) أنت تكون غيباً إذا أنت اعتقدت أنك محتاج إلى أقل مما تملك (والإنسان لا يحتاج فعلاً، إلى كل ما يطمع أن يجمعه).
- (٨) الرق (من الجلد) والكاغد (فارسية: من الورق). - لا تذكروا حادثة إحراق كتي (ولا عدد كتي قبل إحراقها) ولكن اذكروا معارف التي أجمعها في صدري (راجع البيت التالي) فتعرفو حينئذ الذي هو عالم (من العلوم التي ينصّها من صدوه) ومن ليس عالماً (يقرأ على الناس من الكتب).
- (٩) عيبي (عند الناس) أنني من الأندلس.
- (١٠) - لو كنت من أهل المشرق (ثم أحرقت كتي) لاتّسع ذكري في الأندلس نفسها (لأن الناس هنا لا يحبون ابن بلدهم ويكرمون الذي يأتي إليهم من المشرق).

ولي نحو آفاق العراق صباية. ولاغزو أن يستوحش الكلف الصب^(١).
ولكن لي في يوسف خير أسوة؛ وليس على من بالنبي أتسى ذنب^(٢).
يقول مقال الحق والصدق إنني حفيظ علمي، ما على صادق عتب^(٣).

- ومن مقطعاته في غير ذلك:

* كَذَبَ الدَّعِي هُوَ أَتْنَيْنِ حَقًّا،
ليس في القلب موضعٌ لحبيبين،
فكما العقل واحد، ليس يهوى
هو في شِريعة المودة ذو شك^(م) وكذا الدين واحدٌ مستقيم؛
* يَعْيُونَهَا عِنْدِي بِشُقْرَةِ شَعْرَهَا،
يعييون لَوْنَ النور والتَّبر، ضِلَّةً
وهل عاب لَوْنَ التَّرجِسِ الغَضَّ عائبٌ
وأبعدُ خلقِ الله من كل حِكْمَةٍ
به وَصِفْتُ أَلْوَانَ أَهْلِ جَهَنَّمَ
ومذْ لاحتِ الراياتُ سوداً تيقنَتْ

مثل ما في الأصول كُذِّبَ ماني^(٤).
ولا أُحْدِثُ الْأُمُورُ بِشَانِي^(٥)،
غيرَ فردٍ مُبَاعِدٍ أو مُدان -
بعيدٌ من صِحَّةِ الْإِيمَانِ (م) وكَفُورٍ مِّنْ عَقْدِهِ دِينَانِ.
فقلتُ لهم: «هذا الذي زانها عندي». .
لرأيِ جهولٍ في الغواية ممتد! .
ولونَ النجومِ الزاهراتِ على البعد؟
مُفَضَّلُ جِرْمٍ فَاحِمٍ اللَّوْنُ مُسَوَّدَ .
ولبسةِ بالكِ مُشْكَلِ الْأَهْلِ مُحْتَدَ .
نفوسُ الوري أن لا سبيلَ إلى الرشد^(٦)

- (١) صباية: محبة. - وليس من الغريب أن يجد الإنسان وحشة (إذا كان كلفاً صَباً: شديد التعلق والحب لمكان ما أن يبيل إلى ذلك المكان).
- (٢) يوسف الصديق (ابن يعقوب). أسوة: قدوة. اتسى: اقتدى، تسلى (عن مصيبتة). - يوسف كان يكرهه اخوته فأرادوا قتله ثم قرروا أن يلقوه في حفرة إلى جانب الطريق في أثناء سفرهم إلى مصر.
- (٣) قال يوسف لفرعون: «اجعلني على خزائن الأرض، إني حفيظ علم» (١٢: ٥٥، سورة يوسف) وأنا أقول مثل قوله؟؟.
- (٤) ماني: صاحب مذهب الفرس والقائل بالثنوية بوجود إلهين للعالم: إله الخير أو النور وإله الشر أو الظلمة. الأصول: قواعد المنطق الأساسية (أو أصول الدين).
- (٥) لعله يشير إلى العقل الفاضل (عند الإسكندرانيين) عن الله. فإن الله (الأول، الواحد) عندهم لا يباشر الخلق. ولكن من «الثاني» (العقل الفاضل من الأول تحدث سائر الفيوضات وتنوع الموجودات).
- (٦) منذ لاحت الرايات سوداً: منذ قيام الدولة العباسية (١) لأن لونها المختار كان السواد مخالفة لبني أمية الذين كان شعارهم البياض. وكان آل حزم من أنصار الأمويين.

* وسائل لي عمّا لي من العمر،
 أجبت: «ساعة؛ لا شيء أخسبه
 فقال لي: «كيف ذا؟ بيته لي، فلقد
 فقلت: «إنّ التي قلبي بها علق
 فما أعدّ، ولو طالتي سنّي، سوى
 * جرى الحسب مني مجرى النفس
 ولي سيّد لم يزل نافرأ،
 فقبلته طالباً راحة
 وكان فؤادي كنبت هشيم
 * وددت بأن القلب شقّ بمذبة
 فأصبحت فيه لا تحلين غيره
 تعيش فيه ما حييت، فإن أمت
 * لقد بوركنت أرض بها أنت قاطن،
 فأحجارها درّ وسعدائها وردّ
 * فأيام عمر المرء متعة ساعة
 وقد أدنت نفسي بتقويض رجليها

وقد رأى الشيب في القودين والعُدُر^(١)،
 عُمرًا سواه بحكم العقل والنظر.
 أخبرتني أشنع الأنباء والخبر^(٢)،
 قبلتها قبلّة يوماً على خطر؛
 تلك السؤيمة بالتحقيق من عُمرِي!
 وأعطيت عيني عنان الفرس^(٣)،
 وربّما جاد لي في الخلس^(٤)،
 فزاد أليلاً بقلبي اليبس^(٥)،
 يبيس رمى فيه رام قبس^(٦)،
 وأدخلت فيه ثم أطيق في صدي،
 إلى منقضى يوم القيامة والحشر:
 سكنت شفاف القلب في ظلم القبر.
 وبورك من فيها وحلّ بها السعد:
 وأمواها شهد وتربتها ند^(٧)،
 تمرّ سريعاً مثل لمعة بارق.
 وأسرع في سوقي إلى الموت ساقي^(٨)

- (١) القود: الشعر النائل من جانب الرأس. العذر (بضمّين) جمع عذار (بالكسر): الشعر النابت على صفحة الحنّ.
- (٢) الخبر (مفرد): ما ينقل من أحوال الناس. وكان حقّ الكلمة أن تكون جمعاً لأنّها هنا معطوفة على جمع ولأنّ الأفصح أن يضاف اسم التفضيل إلى جمع لا إلى مفرد، نقول: أحسن الأشياء (لإمكان المفاضلة بين أشياء متعدّدة) ولا نقول: أحسن شيء (وإن كان المولّدون قد فعلوا ذلك فقال المتنبي مثلاً: «وخير جليس في الزمان كتاب»).
- (٣) أعطيت عيني عنان (رسن) الفرس: أطلقت نفسي تفعل ما تريد (بالنظر بالعينين فقط).
- (٤) في الخلس (بفتح فسكون) انتهاز الأمر. والخلسة (بالضمّ): النهزة والفرصة (بالضمّ فيها).
- (٥) الأليل: الاضطراب، الحرارة. اليبس (ربما بفتح وكسر: اليابس): الذي نسي الحب وفارقه الشباب - لعلّ ابن حزم قصد بالأليل «الاحتراق» (راجع البيت التالي).
- (٦) هشيم: يابس. قبس: شيء مشتعل.
- (٧) درّ: لؤلؤ. السعدان: نبت تأكله الإبل وتسمن من أكله. شهد: غسل. ند: نبت طيب الرائحة.
- (٨) آذن: اقترب. بتقويض رجليها (بيتها) للرحيل عن الدنيا.

وإنِّي وأوغلتُ أوَسِرْتُ هارباً من الموت في الآفاق، فالموت لاحقي (١).

من مقدّمة « طوق الحمامة »:

... وكَلَّفَتْنِي - أعزَّكَ الله - أن أُصنِّفَ لك رسالةً في صِفةِ الحُبِّ ومعانيه وأسبابه وأعراضه (٢) وما يَقَعُ فيه وله على سبيل الحقيقة لا مُتَزَيِّداً ولا مُفَنِّئاً (٣)، لكن مُورِداً لِمَا يَحْضُرُنِي على وجهه وبِحَسَبِ وقوعه حيثُ انتهى حِفْظِي وَسَعَةُ باعِي فيما أذكُرُهُ. فَبَدَرْتُ إلى مَرْغوبِكَ. ولولا الإيجابُ لك لَمَّا تَكَلَّفْتُه. فهذا من الفِقر. والأوَّلَى بنا مع قِصْرِ أَعْمَارِنَا أَلَّا نَصْرِفَهَا إِلَّا فيما نَرْجُو بِهِ رَحْبَ المُنْقَلَبِ وحُسْنَ المآبِ غداً. وإن (جاء في الحديث): أَجْمَعُوا النُفُوسَ بشيءٍ من الباطل لِيَكُونَ عَوْناً لها على الحقِّ... والذي كَلَّفَتْنِي فلا بُدَّ فيه من ذِكْرِ ما شَاهَدْتُهُ حَضَرَتِي وأدركته عِنَايَتِي وَحَدَّثَتْنِي به الثَّقَاتُ. فَاغْتَفِرْ لي الكِنَايَةَ عن الأسماء، فَهِيَ إِمَّا عَوْرَةٌ لَا نَسْتَجِيزُ كَشْفَهَا، وإِمَّا نَحَافِظُ في ذلك صديقاً ودوداً وَرَجُلًا جَلِيلًا. وَبِحَسْبِي أن أُسَمِّيَ من لا ضَرَرَ في تَسْمِيَّتِهِ وَلَا يَلْحَقُنَا عَيْبٌ في ذِكْرِهِ: إِمَّا لاشْتِهَارِهِ لَا يُغْنِي عَنْهُ الطَّيُّ وتركُ التَّبَيُّنِ، وإِمَّا لِرِضَا مِنَ المُخْبَرِ عنه بظهور خبرِهِ وَقِلَّةِ إنكارٍ مِنْهُ لِنَقْلِهِ.

وسأوردُ في رسالتي هذه أشعاراً قُلْتُهَا فيما شَاهَدْتُه فلا تُنْكِرُ أَنْتَ وَمَنْ رَأَاهَا عَلَيَّ أَنِّي سَالِكٌ فِيهَا مَسَلِّكَ حَاكِي الحديث عن نفسه. فهذا مذهبُ المُتَحَلِّينَ بقول الشعر... وَقَسَمْتُ رسالتي هذه على ثلاثين باباً منها في أصولِ الحُبِّ عَشْرَةٌ. فأولُها هذا البابُ في علاماتِ الحُبِّ ثُمَّ بابُ ذِكْرِ مَنْ أَحَبَّ في النوم... ثُمَّ بابُ الإِشارةِ بِالْعَيْنِ ثُمَّ بابُ المراسلةِ ثُمَّ بابُ السَّفِيرِ. ومنها في أعراضِ الحُبِّ وَصِفَاتِهِ المَحْمُودَةُ والمَذْمُومَةُ اثْنَا عَشَرَ باباً... وهي بابُ الصديقِ المُسَاعِدِ ثُمَّ بابُ الوصلِ ثُمَّ بابُ كَشْفِ السَّرِّ... ثُمَّ بابُ الغَدْرِ ثُمَّ بابُ الضَّنَى ثُمَّ بابُ الموت. ومنها في الآفَاتِ الداخلةِ على الحُبِّ، سِتَّةُ أَبْوَابٍ وهي بابُ العاذِلِ ثُمَّ بابُ الرقيبِ ثُمَّ بابُ الواشيِ ثُمَّ بابُ الهَجَرِ... ومنها بابانِ خَتَمْنَا بِهِمَا

(١) أوغلت في الآفاق (أطراف الدنيا) ابتعدت (هرباً من الموت).

(٢) العرض (يفتح ففتح) وجمعه أعراض: العلامات التي تظهر على المرضي.

(٣) وفي رواية: مفتناً (بتشديد النون) أي متصرفاً في تنويع الأمور وسياقتها على وجه غريب.

الرسالة وهما بابُ الكلامِ في قُبْحِ الْمَعْصِيَةِ وبابُ فضلِ التَّعَقُّفِ ليكونَ خاتمةَ إيرادنا
وآخرَ كلامنا الحَضُّ على طاعةِ الله عزَّ وجلَّ والأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ ...

- ٤ - الإحكام في أصول الأحكام، مصر (مطبعة السعادة)، ١٣٤٥ هـ؛ القاهرة (مطبعة الإمام) بلا تاريخ.
- الحلى (عنيت بنشره إدارة الطباعة المنيرية) مصر (مطبعة النهضة) ١٣٤٧ - ١٣٥٢ هـ؛ (تصحيح محمد خليل هرّاس) القاهرة (مطبعة الإمام) بلا تاريخ.
- الفصل (الفصل؟) في الملل والأهواء والنحل، مصر (المطبعة الأدبية) ١٣١٧ - ١٣٢١ هـ؛ القاهرة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م)؛ (نسخة بالتصوير)، بيروت (مكتبة خياط).
- طوق الحمامة في الألفة والألاف (بتروف)، ليدن (بريل) ١٩١٤ م؛ وباعتناء (ليون برشيه) الجزائر (كاربونيل) ١٩٤٩ م؛ دمشق (مكتبة عرفة) ١٣٤٩ هـ؛ (تحقيق حسن كامل الصيرفي)، القاهرة ١٩٥٠، مصر (المكتبة التجارية الكبرى) ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٤ م؛ بيروت (دار الحياة) بلا تاريخ؛ (تحقيق نصر فريد محمد واصل، عبد العزيز محمد عزّام، محمد فهمي السرجاني)، القاهرة (المكتبة التوفيقية) ١٩٧٦ م.
- الناسخ والمنسوخ (بهاش تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز أبادي)، القاهرة (المطبعة الأزهرية) ١٣١٦ هـ.
- رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل (هذه الرسالة تُلَفِّي مطبوعة بعناوين مختلفة) الإسكندرية بلا تاريخ؛ (نشره أحمد عمر الحمصاني)، القاهرة (مطبعة السعادة)، بلا تاريخ؛ ١٣٢٥ هـ؛ القاهرة (مطبعة النيل) ١٣٢٣ هـ؛ (بعناية محمد هاشم الكتبي)، دمشق ١٣٢٤ هـ؛ القاهرة (المطبعة الجمالية) ١٣٣١ هـ = ١٩١٣ م؛ (اللجنة الدولية لترجمة الروائع)، بيروت ١٩٦١ م؛ بيروت (دار الآفاق الجديدة) ١٩٧٨ م؛ (اختصره محمد أدهم)، القاهرة ١٩١١ م.
- جهرة أنساب العرب (نشره... أ. ليفي بروثنسال)، القاهرة (دار المعارف) ١٩٤٨ م؛ (تحقيق عبد السلام محمد هارون)، القاهرة (دار المعارف) ١٩٦٢ م.
- مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات (مطبوع مع «محاسن الإسلام...» لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن البخاري) القاهرة (مكتبة القدسي) ١٣٥٧ هـ.
- ملخص إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل (تحرير سعيد الأفغاني) دمشق (مطبعة جامعة دمشق) ١٣٧٩ هـ = ١٩٦٠ م.
- أسواق العرب، باريس ١٩٣٥ م.

- رسائل ابن حزم (حققها إحسان عباس)، مصر (مكتبة الخانجي) وبغداد (مكتبة المثنى) بلا تاريخ.
- جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى (تحقيق إحسان عباس وناصر الأسد)، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٤ م (؟).
- التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، (تحقيق إحسان عباس)، بيروت (دار مكتبة الحياة) ١٩٥٩ م.
- ججة الوداع (حققه... ممدوح حقي)، دمشق (دار اليقظة العربية) ١٩٥٠ م (؟)، الطبعة الثانية، بيروت (دار اليقظة العربية) ١٩٦٠ م.
- الرد على ابن النغيلة^(١) اليهودي ورسائل أخرى (تحرير إحسان عباس)، القاهرة (مكتبة دار العروبة) ١٩٦٠ م.
- مسائل أصول الفقه (نشره محمد بن إسماعيل بن الأمير الصنعاني وجمال الدين القاسمي)، (مطبوع في «مجموع الرسائل في التفسير وأصول الفقه»)، دمشق (مطبعة الفيحاء) ١٣٣١ هـ.
- كتاب نقط العروس في تواريخ الخلفاء بالأندلس، القاهرة ١٩٥١ م.
- فضائل أهل الأندلس لابن حزم ولابن سعيد وللشقندي (نشرها صلاح الدين المنجد)، بيروت (دار الكتاب الجديد) ١٩٦٨ م.
- ★★ ترجمة ابن حزم الأندلسي (من سير النبلاء للذهبي - تحقيق سعيد الأفغاني)، دمشق (مطبعة الترقى) ١٩٤١ م.
- كلمات في الأخلاق أو مداواة النفوس لابن حزم وقاسم أمين... القاهرة ١٩١٣ م.
- نظرات في اللغة عند ابن حزم، تأليف سعيد الأفغاني، دمشق (مطبعة جامعة دمشق).
- معجم فقه ابن حزم الظاهري للجنة موسوعة الفقه الإسلامي، دمشق (مطبعة جامعة دمشق) ١٩٦٦ م.
- ابن حزم: حياته وعصره وآراؤه الفقهية، تأليف محمد أبي زهرة، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٩٥٤ م.
- ابن حزم الأندلسي، تأليف عبد الكريم خليفة، بيروت (دار العربية للطباعة والتوزيع والنشر) - عمان (مكتبة الأقصى) ١٩٦٢ م ؟.
- ابن حزم الموسوعي، تأليف زكريا إبراهيم، القاهرة (الدار المصرية للتأليف والترجمة) ١٩٦٦ م (أعلام العرب ٥٦).
- ابن حزم، تأليف فاروق سعد، بيروت (دار الحياة) ؟ ١٩٧٢ م ؟.

(١) راجع تحقيق صورة هذا الاسم في «ابن حزم الكبير» للمؤلف.

- ابن حزم: صورة أندلسية، تأليف طه الحاجري، القاهرة (دار الفكر العربي) بلا تاريخ.
- ابن حزم رائد الفكر العلمي، تأليف عبد اللطيف شرارة، بيروت (المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع) بلا تاريخ.
- ابن حزم الكبير، تأليف عمر فروخ، بيروت (دار لبنان) ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م.
- ★ ★ الصلة ٣٩٥-٣٩٦؛ الذخيرة ١: ١٦٧-١٨٠؛ جذوة المقتبس ٢٩٠-٢٩٤ (الدار المصرية) ٣٠٨-٣١١ (رقم ٧٠٨)؛ بغية الملتبس ٤٠٣-٤٠٥ (رقم ١٢٠٤)؛ مطمح الأنفس ٥٥-٥٦؛ معجم الأدباء ١٢: ٢٣٥-٢٥٧؛ وفيات الأعيان ٣: ٣٢٥-٣٣٠؛ المغرب ١: ٣٥٤-٣٥٧؛ المعجب ٣٢-٣٥؛ بغية الوعاة ٤٠٢-٤٠٥؛ شذرات الذهب ٢: ٢٩٩-٣٠٠؛ نفح الطيب ٢: ٧٧-٨٤، ٣: ١٥٨-١٨٦، ٥٥٥-٥٥٦؛ نيكل ٧٣-١٠٣، مختارات نيكل ٤٨-٥٩؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٩٠-٧٩٩؛ بروكلمن ١: ٥٠٥-٥٠٦، الملحق ١: ٦٠٢-٦٠٧؛ بالنشأ ٧٤-٧٧، ٢١٣-٢٣٨؛ الأعلام للزركلي ٥: ٥٩ (٤: ٢٥٤-٢٥٥)؛ الذكرى المئوية التاسعة لوفاة ابن حزم (مجلة العربي - الكويت: آب - أغسطس ١٩٦٣؛ ص ٢٠ وما بعد).

المرابطون في المغرب

بعد سقوط الخلافة الأموية في الأندلس انتقلت القوة السياسية من الأندلس إلى المغرب، ومن العرب إلى البربر.

في مطلع القرن الخامس للهجرة (الحادي عشر للميلاد) كانت قبيلة صنهاجة في المغرب الأقصى وفيرة العدد قوية الشكيمة، وقد اجتمعت حول الأمير عبد الله بن محمد بن تيفاوت المعروف باسم تاسرت اللمتوني. واستشهد الأمير عبد الله في بعض غزواته فقام بأمر صنهاجة يحيى بن إبراهيم الكدالي. زار يحيى الكدالي في مدينة القيروان الشيخ أبا عمران الفاسي وسأله أن يبعث معه رجلاً يعلم صنهاجة أمور الدين. فدلّه أبو عمران على رجل من قبيلة مضمودة من بلدة نفيس في السوس (سلسلة جبال الأطلس) الأقصى اسمه واجاج اللنطي. وكان واجاج قد أخذ العلم عن أبي عمران الفاسي ثم عاد إلى بلده وبنى فيها داراً للعلم وقراءة القرآن سماها دار المرابطين. وأرسل واجاج إلى قبيلة صنهاجة رجلاً من أتباعه اسمه عبد الله بن

ياسين الجزولي، وذلك سنة ٤٣٠ هـ (١٠٣٩ م).

اجتمع حول عبد الله بن ياسين، في مدى أربع سنوات، بضعة آلاف نفر سماء المرابطين. غير أنه أدرك أن الدعوة الصالحة وحدها لا تنفع، فبدأ بغزو القبائل التي لم تدخل في حركته فانتشرت عندئذ حركة المرابطين بين البربر.

وتقلّب على صنهاجة نفر من القادة حتى جاء يوسف بن تاشفين فتابع غزو القبائل وإخضاعها ثم استبد بأمر المرابطين وبنى مدينة مراكش (٤٥٤ هـ = ١٠٦٢ م) فدان له معظم المغرب.

كانت عناية المرابطين منصرفة إلى الفقه، وإلى الفقه على المنهج السلفي - لا ميل فيه إلى الرأي أو الجدال ولا خروجاً منه إلى علم الكلام أو إلى التصوف - حتى أن نسحاً من عدد من كتب الإمام الغزالي قد جرى إخراجها في مراكش في أيام علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ) لأنها كانت ممزوجة بعلم الكلام وبالتصوف.

وبدأت منذ عهد المرابطين نهضة فكرية وعلمية (في الفلسفة والطب خاصة) ولكن لم تتفتح إلا في عهد الموحدين التالي. فالحركات الثقافية تحتاج إلى زمن تنضج فيه وإلى حضارة سابقة. ونحن نعرف أن الأدب لم يلق تشجيعاً في دولة المرابطين كذلك التشجيع الذي كان يلقاه في بلاطات ملوك الطوائف، ذلك لأن المرابطين كانوا في سبيل إنشاء دولة ينعُد نظرها إلى جمع شتات بقاع الإسلام في القارة الإفريقية وفي القارة الأوروبية. وإذا نحن عدّنا نفراً من الحكام الذين عظمت آثارهم واتسعت شهرتهم مثل إدريس الأنور (١٨٨ - ٢١٣ هـ) وأفلح بن عبد الوهاب (١٩٠ - ٢٤٠ هـ) وزيادة الله بن الأغلب (٢٠١ - ٢٢٣ هـ) والمعز الفاطمي (٣١٩ - ٣٦٥ هـ) والمعز بن باديس (٤٠٦ - ٤٥٣ هـ) ويوسف بن تاشفين (٤٥٣ - ٥٠٠ هـ) والناصر الحمادي (٤٥٤ - ٤٨١ هـ) لم نجد فيهم مثل يوسف بن تاشفين في اتساع الأفق والأثر السياسي الجامع والخدمة التي أدت للإسلام.

لما نجمت دولة المرابطين في المغرب، سنة ٤٤٨ (١٠٥٦ م) كانت الدولة الحمادية في المغرب الأوسط (الجزائر) واسعة الرقعة. وانتهر بلقين بن محمد الحمادي الفرصة

في الدولة التي لم تقوَ بعدُ وغزا فاس، سنة ٤٥٤ وأخرج منها يوسف بن تاشفين. ولكن بلقين كان شديد الوطأة على جيرانه كثير القسوة على رعاياه فعظم الحقد العام عليه فقتل غيلة في تلك السنة نفسها.

وبعد بلقين جاء الناصر بن علناس قاتل بلقين ولم يكن أقل منه قسوة: قضى على آل رومان حكام بسكرة وغزا تونس ولكنه هزم في معركة سبيبة، قرب القيروان، سنة ٤٥٨. ثم كثر الاضطراب عليه واثرت قبائل بني هلال وسواها من جديد، وانساحوا فيها حول القلعة وقسنطينة، فأنشأ الناصر، مكان ضيعة صغيرة اسمها «بجاية»، عاصمة جديدة له وانتقل إليها، سنة ٤٦١ (١٠٦٩ م)، وسماها الناصرية.

ولم يخف الاضطراب في المغرب الأوسط فاستطاع يوسف بن تاشفين أن يستولي على الجانب الأكبر منه (٤٧٢ - ٤٧٥ هـ)، ولكن الدولة الحمادية ظلت قائمة في جانب صغير من ملكها الأول وهي تضعف شيئاً فشيئاً بالنزاع الداخلي، برغم أن المنصور بن الناصر استطاع أن يهزم المرابطين، سنة ٤٩٦ (١١٠٣ م) ويخرجهم من تلمسان.

ازدهر المغرب الأوسط في عهد الدولة الحمادية فكثرت المدارس وارتقت العلوم والفنون وقصد الناس حواضر الجزائر يغترفون منها ما شاءوا من وجوه الحضارة والثقافة، وعظم العمران واتسعت الصناعات فكثرت معامل النسيج والزراعي (السجاد) والزجاج أو الرليج (البلاط المزخرف: القيشاني) والزجاج. وصناعة الشمع يرجع الفضل فيها إلى بجاية عاصمة الحماديين الجديدة ففيها تعلم الأوروبيون هذه الصناعة، ولذلك تسمى «الشمعة» في اللغة الفرنسية والإيطالية والإسبانية بكلمة مشتقة من اسم «بجاية»: BUJIA, BUGIA, BOUGIE (بوجي، بوجيا، بوخييا) على التوالي.

وفي تونس كانت الدولة الصنهاجية في منتصف عمرها الزمني تماماً (٣٦٢ - ٥٤٣ هـ)، ولكن في أواخر عمرها السياسي، إذ لم يكن قد بقي في سلطانها، أيام تميم بن المعز (٤٥٣ - ٥٠١ هـ) سوى سيف (شريط ضيق على الساحل) بين سوسة وقابس. أما ما بقي من البلاد فقد تقاسمه الأمراء الصغار

وشيوخ القبائل. وفي سنة ٤٨٠ (١٠٨٧ م) استولى الجنويون (الإيطاليون) على المهديّة، ثم نزل النرمان في جزيرة صقلية، سنة ٤٨٤.

وامتلاً النصف الثاني من حياة الدولة الصنهاجية في تونس بالاضطراب الداخلي، كما كثّر الغزو إليها من شواطئ إيطالية وصقلية ثم كثّر الغزو منها إلى تلك الشواطئ. ولكن أمرها كان إلى الزوال.

ولم تصل سلطة المرابطين، في هذه الحقبة، إلى ليبيا - وحياة ليبيا السياسية يومذاك كانت تدور في مدينة طرابلس. وكان آل خزرون لا يزالون يتولّون الحكم فيها.

ولكن في مطلع هذه الحقبة ساقطت المقادير من مصر إلى طرابلس رجلاً تركياً مغامراً اسمه شاه ملك (اسم بمعنى واحد). واتفق أن أهل طرابلس كانوا مستائين من واليهم خليفة بن خزرون فاستنجدوا بشاه ملك. واستطاع الطرابلسيون بمساعدة شاه ملك أن يطردوا خليفة من المدينة وقبلوا أن يتولّى الحكم فيها شاه ملك. غير أن شاه ملك أساء السيرة في الناس كثيراً وقد اتفق في ذلك الحين أن سار تميم بن المعز أمير إفريقية (تونس) إلى طرابلس فحاصرها واستولى عليها ثم حمل شاه ملك وأشياعه أسرى إلى المهديّة. وبعد شاه ملك تولّى طرابلس محمد بن خزرون بن خليفة ابن ورو فقرّب إليه شيوخ بني مطروح لما كان لهم من المكانة في طرابلس.

ولكن سرعان ما وقعت الوحشة بين محمد بن خزرون وآل مطروح فألب آل مطروح عليه القبائل وأخرجوه من المدينة، ولكن لم يستطيعوا أن يضبطوا أمرها فبقي حكمها متنازعا بين الطامعين الأقوياء مدة طويلة.

وأعظم ما اضطرب المغرب به في القرن الخامس كان النزاع في المذهب الفاطمي^(١) بين أنصاره وخصومه. إن الدولة الفاطمية في المغرب وفي المشرق (في مصر والشام) - ولم ينتقل المذهب الفاطمي إلى الأندلس - سلكت مسلكاً ليس فيه من الإسلام شيء. وكذلك سلك خصومها معها مسلكاً لا هوادة فيه. وإذا كان صلاح

(١) راجع، فوق، ص ١٦٩.

الدين الأيوبي قد قضى، فيما بعد، على الدولة الفاطمية في مِصرَ من غير أن يُريقَ دمًا، فإنَّ الدمَ في المغرب قد سال على جانبي هذا النزاع أنهاراً. ولقد أطنب المؤرخون في وصف هذا الصدام بين أشياع الفاطميين وخصومهم. وأجِبُ أن أوردَ هنا عدداً من الجُمَل من مَرَجِعٍ حديثٍ ليكونَ ما أوردُهُ نموذجاً لما أردتُ تبيينه، لا مُتَّكأً للتبسط فيه والإثارة به.

قال طاهرُ أحمدَ الزواوي (أعلام ليبيا ٢١٦ - ٢١٧) عن سياسة الفاطميين في طرابلس (المغرب):

«... انتشرت بِدَعُهُمْ ومنعوا صلاةَ التراويح^(١) وصلاةَ الضحى^(٢).... وكان أبو الحسن عليُّ بنُ محمد بنِ المنمّرِ أولَ من ألقى ببطلانِ مذهبهم ونَبَذَ تقاليدَهُمُ الباطلةَ وبَدَعَهُمُ المُضِلَّةَ.. وَهُوَ أوَّلُ من..... أمرَ الناسَ بصلاةِ رَكْعَتَيِ الضحى، وكان العبيديّون يقتلونَ من صلاها. وأمرَ بصلاةِ التراويح في رَمَضانَ وصلّاها بالناس في طرابلس. وأعادَ ما كان (العبيديّون قد) أبطلوه من معالمِ دينِ الله وسُنّةِ رسوله.»

أبو الحسن المنمّرُ الطرابلسيُّ أديبٌ مُحسِنٌ وفقيهٌ مُجدِّدٌ وُلِدَ سَنَةَ ٣٤٨ (٩٥٩ م) وتُوفِّيَ سَنَةَ ٤٣٢ (١٠٤٠ م)، وهو من أقدم رجال الفقه والرأي في طرابلس. وقد قال فيه عليّ المصراقي (أعلام من طرابلس ٣٤): «لولا ابنُ المنمّرِ لاندثرَ مذهبُ مالكٍ في طرابلس.»

لا شكَّ في أن للمؤرخين مغالطَ - كما يقول ابنُ خلدونٍ - وفي أن نفراً كثيرين منهم يُبالغون أحياناً كثيرة. ولكنَّ العبيديّين (الفاطميين) مالأوا الصليبيين على المسلمين وأتوا بِبِدَعٍ كثيرة. ومّا لا يتفق في المنطق أن يُقتَلَ مُسلمٌ يُصليّ صلاةَ الضحى - وهي ركعتان خفيفتان يُصليّهما المُسلمُ إذا شاء بعدَ ارتفاعِ

(١) صلاة التراويح عدد من الركعات الوتر (٣، ٧، ١١، ١٧، ٢١ أو أكثر) تصلى في شهر رمضان بعد صلاة العشاء.

(٢) صلاة الضحى ركعتان من النوافل يصليها من شاء بعد ارتفاع الشمس في الصباح مقدار رمح في رأي العين. ويقال إنَّ من فرضها على نفسه وجب أن يحافظ عليها.

الشمس - ولكنّ الفقهاء ذكروا أن مَنْ قَرَضَها على نفسه فيَجِبُ أن يُحافظَ على أدائها في كلِّ يوم.

وكان الفاطميّون يعتقدون أنّ أئمتَّهُمُ آلهةٌ. وحسبُك أن يكونَ الميرَ الفاطميُّ قد قبل من ابن هاني الأندلسي (ت ٣٦٠ هـ) قولاً هو:

ما شئتُ، لا ما شاءتِ الأقدارُ. فاحكُمُ فأنْتَ الواحدُ القَهَّارُ.
ربّما كان لبعضِ الناسِ تفسيرٌ أو تعليلٌ يُخَفِّفُ أثرَ هذا القول - من الناحية الأدبية أو من الناحية الفلسفية، ولكنّ ظاهرَ القولِ لا يَقْبَلُ تعليلًا. وهذه كلمةٌ لتدلُّ على صورةٍ جانِبٍ من العصر في المغرب في القرنِ الخامس، وليستْ لإثارةِ جدلٍ.

الحياة الاجتماعية والثقافية

في القرن الخامس للهجرة (الحادي عشر للميلاد) كانت سلطةُ الخلافة في بغداد قد ضعُفت منذُ أمدٍ طويل وكانت البلاد الإسلامية قد تقسّمت بين دُولَاتٍ على أقدارٍ مختلفة من السعة والضيق ومن القوة والضعف. غيرَ أنّ السلاجقة الأتراك الذين أنشأوا لأنفسهم دُولَاتٍ مدّتْ سلطانها في المشرق والعراق وبلاد الروم (آسية الصغرى) قد نصّروا الإسلام واحترموا مكانةَ الخلفاء العبّاسيّين. ولما نشبت الحروب الصليبية، في أواخرِ هذا القرن، سنّة ٤٩١ (١٠٩٨ م)، حمَلَ السلاجقة الجانبَ الأكبرَ من عيبتها.

وفي هذا القرن أيضاً كانت الخلافة المروانية في الأندلس قد سقطتْ منذُ عهد بعيد (٤٢٨ هـ = ١٠٣٦ م) وقامتْ على انقاضها دويلاتُ الطوائف.

غير أنّ الذي حدّثَ في المشرق وفي الأندلس، في هذا القرن: من تجزؤِ الخلافة الجامعة دويلاتٍ مختلفةً، قد حدّثَ خِلافه في المغرب من قارّة إفريقيا. إنّ الدويلات التي كانت في المغرب - وأشهرُها دولةُ بني زيري (في القطرين التونسي والجزائري) ودولةُ بني حمّاد (في القطر الجزائري) ثمّ دولةُ مَغْراوَة وبني يَفْرَن (في المغرب الأقصى) - قد دخلت كُلُّها، إلى حدٍّ كبيرٍ، في دولة المُرابطين الجامعة. وسنرى أن المرابطين قد أقاموا الوَحْدَةَ السياسية أيضاً في الأندلس نفسها.

ونحن نستطيع أن نقولَ عن المشرق إنَّ الحركة الأدبية والعقلية قد انتقلت أيضاً من بغدادَ إلى الأمصارِ (في المشرق: شرق العراق وفي الشام).

لم يكن عهدُ المرابطين كُلُّهُ (٤٤٨ - ٥٤٣ هـ) عصرَ ازدهارٍ للثقافة: ★ لم يكن يوسفُ بنُ تاشفينَ خاصَّةً ممَّن يفقه اللغة العربية أو يطربُ للشعر العربي خاصَّةً.

★ إنَّ يوسفَ بنَ تاشفينَ قد أدرك أنَّه في سبيل تأسيسِ دولةٍ، ورجالُ الدُّولِ في مثل هذه الأطوار لا يُلقونَ بالآ إلى الفنون النظرية وإلى أوجهِ الكليات.

ومَعَ ذلك فنحن نجدُ في عصر المرابطين في المغرب وفي الأندلس جماعةً اتَّجهوا إلى العلم والثقافة. إنَّ أُميَّةَ بنَ عبد العزيز الدانيَّ أبا الصلتِ (٤٦٠ - ٥٢٩ هـ) كان من الأدباء ومن العلماء وكان له اهتمامٌ في علم الحِجَل (الميكانيك) خاصَّةً. وعاش أبو الصلتِ هذا في الأندلس وفي مِصرَ. وفي هذا العصر أيضاً يمكن أن نَعُدَّ ابنَ باجَّةَ (ت ٥٣٣ هـ = ١١٣٨ م) واضعَ أُسسِ الفلسفة العقلية، وقد عاشَ في الأندلس وفي المغرب. وحاولَ جابرُ بنُ أفلحَ الإشبيليُّ (ت ٥٤٠ هـ = ١١٤٥ م) تصحيحَ نظامِ بطلينوسَ في حركاتِ الأفلاك.

وعظمتُ شهرةُ آلِ زُهرٍ في الطِبِّ في عهد المرابطين، فكان منهم في هذا العهد أبو العلاء زُهرُ بنُ عبد الملك بن محمد (ت ٥٢٥ هـ = ١١٣١ م)، برعَ في الطِبِّ ولمَّا يَزَلْ في أوَّلِ شبابه: كان يرى المريضَ فيجسَّ نبضَه وينظرُ في قارورةِ الماء (البول) ثمَّ يُخبرُ المريضَ بما به من غير أن يسأله شيئاً. ثمَّ كان في هذا العهد أيضاً ابنُه أبو مروان عبدُ الملك (ت ٥٥٧ هـ = ١١٦٢ م) وكان طبيباً بارعاً لم يشتغلَ بغيرِ الطِبِّ.

وكان للمرابطين أثرٌ بعيدٌ في غربيِّ قارةِ إفريقيا، فإنَّ التوارقَ (وهم من قبيلةِ مَسوفاةِ المغربية) امتدَّتْ في صِلاتِها السياسية والاجتماعية جنوباً فنشأت على أيديهم مدينةٌ هي تَنبُكْتُ، في أواخرِ القرنِ الخامسِ للهجرة. إن هذه المدينةَ العظيمةَ في السودانِ الغربيِّ (في مَلِي أو مالي، قريبةً من نهر النيجر) قد بدأت، فيما يبدو، محطةً تجاريةً ثمَّ أصبحتْ سوقاً تجاريةً عامَّةً مقصودةً من أماكن بعيدةٍ من مِصرَ وليبيا وتونسَ والجزائرِ والمغرب لأنها نقطةٌ صالحةٌ للانطلاق نحو الشواطئ الغربية الوُسطى

من قارة إفريقية ونحو أواسط قارة إفريقية أيضاً.

ومنذ مطلع القرن الخامس للهجرة كان الإسلام قد بدأ ينتشر على ضفتي نهر النيجر. ومنذ ذلك الحين بدأ الدعاة المسلمون يأتون إلى مملكة السونراي على النيجر من أماكن مختلفة أبرزها ليبيا. وفي سنة ٤٠٠ (١٠١٠ م) دخل الملك «زا» - صاحب مملكة سنغاي (على ضفتي نهر النيجر) في الإسلام. وفي سنة ٤٣٥ (١٠٤٣ م) أسس أهل سنغاي عاصمة جديدة - جنى أو دينيه - ، ربما هجراً لعاصمة قديمة تسود فيها الوثنية.

وفي سنة ٤٤٨ (١٠٥٦ م) هاجم المرابطون مملكة غانة ثم فتحوا عاصمتها كومي بعد عشرين سنة. ولا نعلم السبب الذي دعا المرابطين إلى الانسحاب من عاصمة غانة (٤٨٠ للهجرة أو قبل ذلك بقليل)، ربما استعداداً للمعركة الفاصلة في الزلافة حيث قضى يوسف بن تاشفين على الجيش الإسباني واستطاع أن يُعيد إلى الأندلس شيئاً من الوحدة).

لم يُبدل انسحاب المرابطين من كومي عاصمة غانة - ومن غانة كلها أيضاً - شيئاً من مسيرة الإسلام في غربي قارة إفريقية. إن مملكة ملى استولت على غانة فزاد فيها انتشار الإسلام.

إن الإسلام بدأ ينتشر في غربي قارة إفريقية في البقعة الممتدة بين بحيرة تشاد ونهر السنغال إلى الشاطئ الغربي وإلى الشاطئ الجنوبي: أي في حوض نهر النيجر وحوض نهر الفولتا وحوض نهر السنغال، وذلك كله ابتداءً من مطلع القرن الخامس للهجرة أو قبل ذلك بقليل. غير أن الثقافة العربية يجِبُ أن تكون قد تأخرت عن ذلك، فليس من المعقول أن نرى هناك - مُنذ ذلك الطور الباكر - شعراء ينظمون باللغة العربية. ولكن هذا لا يمنع من أن يكون نفرٌ من الفقهاء قد دَوَّنوا أشياء من الفقه أو من الحديث أو من التفسير أو من السُرف والنحو. ولا أظن أن مثل هذا كان يبلغ، في تلك الحقبة القديمة، إلى أن يُعدَّ في الأدب.

ابن رشيق القيرواني

١ - كان رشيق مملوكاً رومياً من موالى الأزد ومن أهل مدينة المسيلة (المحمّدية) في المغرب الأوسط (الجزائر)، وكانت صنعتُه الصياغة. وفي الحمّدية وُلدَ ابنُه الحسنُ سنة ٣٩٠ (١٠٠٠ م) أو قبل ذلك بقليل، فتعلّم صنعة أبيه وتأدّب قليلاً.

في سنة ٤٠٦ (١٠١٦ م) انتقل الحسنُ بنُ رشيق إلى القيروان ودرس على جماعة من أدبائها وعُلمائها، وكان منهم أبو محمد عبد الكريم بن إبراهيم النّهشلي (وابنُ رشيق كثيرُ الاستشهاد بآرائه في كتاب «العمدة»). ومنهم أيضاً أبو عبد الله محمد بن جعفر القرّازُ القيرواني (ت ٤١٢ هـ).

اشتهر ابنُ رشيق في القيروان واتّصل بصاحبها (أميرها) المعزّ بن باديس، منذ سنة ٤١٠، فحظيَ عنده وأصبح من بطانته وأهل دولته. واستقلّ ابنُ باديس بالحكم (٤١٧ هـ = ١٠٢٦ م) ثم خلع طاعة الفاطميين (٤٣٥ هـ) فغيظَ الفاطميّون فسرحوا قبائل بني هلال وقبائل بني سليم، إلى القطر التونسي. وصَلَتْ هذه القبائلُ إلى مُعظم أراضي المغرب ثمّ عاثت في القطر التونسي خاصّة فساداً كبيراً (٤٤٠ هـ = ١٠٤٨ م) فاشتهر ابن خلدون بقوله: «إنّ العربَ (البدو) إذا استولوا على بلدٍ أسرع إليه الخراب».

انتقل ابنُ رشيق إلى جزيرة صقلية ونزل في مازر (على الساحل الجنوبي الغربي) وبقيَ فيها إلى أن أذركته الوفاة في غرة ذي الحجة من سنة ٤٥٦ (١٠٦٤/١١/١٤ م).

٢ - ابنُ رشيق عالمٌ باللغة والنحو وبارعٌ في الأدب والنقد وشاعرٌ ومؤلفٌ حسن التأليف. ولقد غلبَ نقدُ الشعر عليه فعرفَ به دونَ سائر فنون العلم والأدب. وابن رشيق شاعرٌ مقتدر صحيح المعاني متين الأسلوب، غير أن العقل يَغلبُ في شعره على العاطفة. ومعظم معانيه مستعارة، وإن كان أحياناً يُصيبُ الصورة الشعرية.

تقوم شهرةُ ابن رشيق ومكانته على كتاب «العمدة»، وهو يتألف من قسمين في أولها نقدٌ تاريخيٌ للشعر، وفي الثاني منها بلاغةٌ ونقد (وإن كنت تجدُ أبواباً في القسم

الأول هي أخلقُ بالقسم الثاني، كما تجد في القسم الثاني أبواباً أقلّ عدداً كان يجب أن تكون في القسم الأول). فمن أبواب القسم الأول: فضل الشعر - الردّ على من يكره الشعر - شعرُ الخلفاء والصّحابة - بابٌ من رفعةِ الشّعر (كامريء القيس) ومن وضعه (حطّ قدره) الشعرُ (كالنابغة) - باب التّكسب بالشعر والأنفة من التّكسب به - القدماء والمُحدثون - المُقلّون من الشعراء والمُكثِّرون - مشاهيرُ الشعراء - باب الشعراء والشعر: حدّ الشعر - اللفظُ والمعنى - المطبوعُ والمصنوع - الأوزان - القوافي - القِطْعُ والطوال - المبدأ والخروج والنهاية - الإيجاز - الفرق بين الاختراع والإبداع - المجاز - الاستعارة - التّجنيس - الفرق بين التّرديد والتّكرار - الاستثناء: توكيد المدح بما يشبه الذمّ - السّرقات - النسيب - المديح - الرثاء، الخ - سيرورة الشعر والحظوة عند المدوحين - باب في أصول النّسب وبيوتات العرب - باب معرفة الأماكن والبلدان - باب الوصف - الخ.

وقد أشار حسنُ حسني عبد الوهّاب^(١) إلى أنّ ابنَ رشيقي قد أثمّ في وضع كتاب «العُمدة في صناعة الشعر ونقده» بكتاب عبد الكريم النهشليّ «المُتَمِّع في علم الشعر وعمله». ويبدو أنّ ابنَ رشيقي لم يكتفِ بمحاكاة كتاب «المُتَمِّع» في الموضوعات وفي عناوين الفصول، بل نقلَ فصولاً برمتها من كتاب المتع إلى كتاب العُمدة.

ولا ريبَ في أنّ ابنَ رشيقي قد أفادَ كثيراً من آراء عبد الكريم النهشلي (وقد أكثر من ذكره عند بسطِ هذه الآراء) كما أفادَ من آراء كثيرة للنّقّاد الذين سبقوه. وقرّظَ ابنُ خلدون كتابَ «العُمدة» فقال^(٢): «.... وهو الكتاب الذي انفرد بهذه الصناعة (صناعة الشعر) واعطاء حقّها. ولم يُكتب فيها قبله ولا بعده مثله». ولاين رشيقي من التصانيف أيضاً: كتاب الأُموذج (في شعراء القيروان المعاصرين

(١) مجلّة «الفكر» (تونس) ٤: ١٠ (جويليه - تموز ١٩٥٩ م)، ص ٨.

(٢) مقدّمة ابن خلدون ٥٧٤ (دار الكتاب اللبناني)، ص ١١٠٦.

له) - قُرَاضَةُ الذهب في نقدِ أشعار العرب (لطيف الجرم كبير الفائدة) - كتاب الغرائب والشواذ في اللغة (يذكر فيه كلَّ كلمة جاءت شاذة في بابها). وله عددٌ من الرسائل يردُّ فيها على مُواطنه ومُعاصره ومُنافسه ابنِ شَرَفِ القيرواني؛ منها: (فوات الوفيات ٢: ٢٥٥): رسالة ساجور الكلب - رسالة قطع الأنفاس - رسالة نُجَحُ الطَّلَب - رسالة رَفَعِ الإشكال ودفع المُحال - فسخُ اللَّمَحِ ونسخ المُلَح - ميزان العمل في أيام الدول.

٣ - مختارات من آثاره

- من مقطعات ابنِ رشيقي التي تنطوي على لَفَتَاتٍ حِسانٍ:

★ أَحِبُّ أَخِي - وإنْ أَعْرَضْتُ عَنْهُ،	وَقَلَّ عَلَى مَسَامِعِهِ كَلَامِي؛
وَلِي فِي وَجْهِهِ تَقْطِيبُ رَاضٍ	كَمَا قَطَّبْتَ فِي وَجْهِهِ الْمُدَامُ ^(١) .
وَرَبَّ تَقْطِيبٍ مِنْ غَيْرِ بُغْضٍ،	وَبُغْضٍ كَامِنٍ تَحْتَ ابْتِسَامٍ
★ إِذَا مَا خَفَفْتُ كَعْمِدِ الصَّبَا	أَبَتْ ذَلِكَ الْخَمْسُ وَالْأَرْبَعُونَ ^(٢) .
وَمَا ثَقَلْتُ كِبَرًا وَطَاقِي،	وَلَكِنْ أَجْرُ وَرَائِي السَّيْنَا ^(٣) !
★ وَقَائِلِي: مَا هَذَا الشُّحُوبُ وَذَا الضَّنَا؟	فَقُلْتُ لَهَا قَوْلَ الْمَشُوقِ الْمُتَيِّمِ ^(٤) :
هَوَاكِ أَتَانِي، وَهُوَ ضَيْفٌ أُعِزُّهُ،	فَأَطْعَمْتُهُ لَحْمِي وَأَسْقَيْتُهُ دَمِي.

- ومن ذلك في الخمر والنسيب:

★ وَمِنْ حَسَنَاتِ الدَّهْرِ عِنْدِي لَيْلَةٌ	مِنْ الْعُمَرِ لَمْ تَتْرُكْ لِأَيَّامِهَا ذَنْبًا.
خَلَوْنَا بِهَا نَنْفِي الْقَذَى عَنْ عُيُونِنَا	بِلَوْلُؤَةٍ مَمْلُوءَةٍ ذَهَبًا سَكْبًا ^(٥) .
وَمِلْنَا لِتَقْبِيلِ الثُّغُورِ وَلَثْمِهَا	كَمِيلِ جَنَاحِ الطَّيْرِ يَلْتَقِطُ الْحَبَا.

(١) المدام: الخمر. أعبس في وجه صديقي (وأنا راض عنه - حبًا بأن يكون أفضل مما هو)، كما أن شارب الخمر يعبس بعد تناول كلِّ جرعة منها وهو مسرور بذلك.

(٢) خفَّ الرجل: مال إلى السرور.

(٣) سيري أصبح بطيئًا لا لأنِّي ضعيف عن السير، بل لأنِّي أجَرَ حَلًّا ثَقِيلًا (خمس وأربعين عامًا).

(٤) الشحوب: اصفرار لون الوجه. الضنى: التحول من المرض. المتيم: الذي ذلَّه الحب.

(٥) القذى: الوسخ (الهموم). اللؤلؤة (كأس من بلور). ذهبًا سكبًا (خرأ خالصة صافية).

* تَمَّا يُزْهِدُنِي فِي أَرْضِ أُنْدَلُسِ سَمَاعُ مُقْتَدِرٍ فِيهَا وَمُعْتَصِدٍ:
أَلْقَابُ مَمْلَكَةٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا كَالْهَرِّ يَخْكِي انْتِفَاحاً صُورَةَ الْأَسَدِ!
- وَقَالَ يَصِفُ زُرَّافَةً (جَاءَتْ هَدِيَّةً إِلَى الْمَعْرُوفِ بْنِ بَادِيسَ مِنْ مِصْرَ):

وَأَتَتْكَ مِنْ كَنْبِ الْمُلُوكِ زُرَّافَةٌ شَتَّى الصِّفَاتِ لِلَّوْنِهَا أَثْنَاءُ (١).
جَمَعْتَ مَحَاسِينَ مَا حَكَتْ فِتْنَابُ فِي خَلْقِهَا وَتَنَافَتْ الْأَعْضَاءُ (٢).
تَحْتَثُّهَا بَيْنَ الْخَوَافِقِ مِثْلُهَا بَادٍ عَلَيْهَا الْكِبَرُ وَالْخَيْلَاءُ (٣).
وَتَمُدُّ جِيداً فِي الْهَوَاءِ يَزِينُهَا فَكَأَنَّهُ تَحْتَ اللُّوَاءِ لِيُؤَاءِ (٤).
حُطَّتْ مَاخِرُهَا وَأَشْرَفَ صَدْرُهَا حَتَّى كَانَ وَقُوقَهَا إِقْعَاءُ (٥).
وَكُنَّ فَهْرَ الطَّيِّبِ مَنَا رَجَمَتْ بِهِ وَجْهَ الثَّرَى لَوْ لُمْتَ الْأَجْزَاءُ (٦).
وَتَخَيَّرْتَ دُونَ الْمَلَابِيسِ حُلَّةً عَيَّتْ لِصَنْعَةِ مِثْلِهَا صَنْعَاءُ (٧).
لَوْنًا كُلُّونِ الذَّبَلِ إِلَّا أَنَّهُ حَلِيٍّ وَجَزَعٌ بَعْضُهُ الْجَلَاءُ (٨).
أَوْ كَالسَّحَابِ الْمُكْفَهَرَةِ خَطَّطَتْ فِيهِ الْبُرُوقُ وَمِيزُهَا إِيْمَاءُ (٩).
أَوْ مِثْلَ مَا صَدِثَتْ صَفَائِحُ جَوْشَنَ وَجَرَى عَلَى حَافَاتِهَا جَلَاءُ (١٠).

- (١) لونها أثناء (طيأت): خطوط لونها متعرجة.
(٢) شابهت حيوانات كثيرة فأخذت من كل حيوان أحسن ما فيه. تناسبت في خلقها (صورتها) كان كل عضو فيها يناسب سائر الأعضاء. وتنافت الأعضاء: تباينت (اختلفت).
(٣) الخوافاق جمع خافق: الأفق، الجهة. تحتثها نحو الخوافاق (إذا ركضت مال جسمها إلى كل جهة، فكأنها تريد أن تسير إلى كل مكان). باد: ظاهر. الكبر: الإعجاب بالنفس. الخيلاء: التكبر.
(٤) حطت: انخفضت. أشرف: علا. الإقعاء: الاستناد إلى مؤخرة الجسم.
(٥) الفهر: حجر بحجم قبضة اليد تسحق به الأشياء. ما رجمت به وجه الثرى (الأرض): حافرها. لو استطعنا أن نجمع الحفر التي أحدثتها حوافرها في الأرض لكان عندنا من كل حفرة إناء للعطر (١).
(٦) عيئت (عجزت) لصنعة مثلها صنعاء (عاصمة اليمن)، وكانت مشهورة بنسج الثياب الحريرية.
(٧) الذبل: جلد السلحفاة (غطاء السلحفاة عند ظهرها له تقاطيع نافرة، ولجلد الزرافة مثل هذه التقاطيع ولكن من لون مخالف للون جلدها الأصلي). حلي: حلي وحليته، ثوب جميل. وجزع بعضه الجلاء (غير مستقيمة في الوزن ولا واضحة المعنى).
(٨) المكفهر المسود. البقع القاتمة في جلد الزرافة تشبه الغيوم الصغيرة. والفواصل بين تلك البقع تشبه البروق الخاطفة.
(٩) وكل بقعة قائمة اللون مع ما حولها تشبه جوشنا (درعاً) صدناً أخذ العاملون في جلته من أطرافه.

نعم التجافيف التي ادرعت بها من جلدتها لو كان فيه وقاء^(١).

- وقال في الحماسة ووصف الناقة:

إليك يُخاضُ البحرُ فغماً كأنه
ويبعثُ خلفَ النُججِ كلَّ مُنيقةٍ
من الموجاتِ اللاءِ يَقذفنَ بالحصى
يطيرُ اللُغامُ الجمَدُ عنها كأنه
وقد زاعَ من فضل الزمام ابنُ نكبةٍ
فكيف تراني لو أعنتَ على الغنى
وقد قرَّبَ الله المسافةَ بيننا
ولولا شقائي لم أغبَ عندَ ساعةٍ
ولكنني أخطأتُ رُشدي فلم أصب؛
بأواجه جيش إلى البرِّ زاحف^(٢)؛
تُريك يداها كيف تطوى التناثف^(٣).
ويرمى بهنَّ المهمة المتقاذف^(٤).
من القطن - أو ثلج الشتاء - ندائف^(٥).
هو السيفُ لا ما أخلصته المشارف^(٦).
بجد؟ وإني للغنى لمُشارف^(٧)؛
وأنجزني الوعدَ الزمانُ المُساوف^(٨).
ولا رامَ صرْفِي عن جنابك صارف^(٩).
وقد يُخطيء الرشدَ الفقى وهو عارف !

- مختارات من كتاب «العمدة»:

(أ) التكسب بالشعر:

وكانت العربُ (في الجاهلية) لا تتكسبُ بالشعر، وإنما يصنعُ أحدهم ما يصنعه

- (١) التجافيف جمع تجفاف (بفتح التاء أو كسرهما): شيء مثل الدرع. الوقاء: الوقاية، الحماية.
- (٢) فغماً: ممتلئاً، فائضاً (بالاء).
- (٣) النجج: النجاح. المنيفة: التامة الطول والحسن. التنوفة: الصحراء الواسعة. كيف تطوى التناثف: كيف تقطع المسافات الطويلة.
- (٤) أوجف: أسرع في سيره. اللاء: اللواقي. يقذفن (بأرجلهن) الحصى (لسرعتهم وشدة جريهن). المهمة: المفازة (الصحراء الواسعة) المتقاذف (المهمة الذي يتقاذف المسافرين فيه: ينتقلون به من جانب إلى جانب فلا يبتدون).
- (٥) اللغام: زبد (ريق) أفواه الإبل. الجمَد: المستدير. ندائف: ما يطير من القطن عن قوس النداف.
- (٦) زاعَ من فضل الزمام (ساق الناقة بمهارة!!). ابن نكبة (بضم النون: صبرة، القليل من الطعام): رجل قليل المال. أخلصته (صنعته من الحديد الخالص الجيد) المشارف (بلاد أعالي الشام التي كانت تصنع السيوف المشرفة الجيدة).
- (٧) الجد: الحظ. المشارف: المقبل على، القريب من (الغنى).
- (٨) المساوف: الماطل.
- (٩) جنابك: جنبك (المكان الذي تنزل أنت فيه).

فُكَاهَةٌ أَوْ مُكَافَأَةٌ عَنْ يَدٍ لَا يَسْتَطِيعُ أَدَاءَ حَقِّهَا إِلَّا بِالشُّكْرِ إِعْظَامًا لَهَا، كَمَا قَالَ أَمْرُو
الْقَيْسِ يَمْدَحُ بَنِي تَيْمٍ رَهْطَ الْمُعَلَّى:

أَقَرَّ حَسَا أَمْرِي الْقَيْسِ بْنِ حِجْرٍ بَنُو تَيْمٍ مَصَابِيحُ الظَّلَامِ؛
لَأَنَّ الْمُعَلَّى أَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَجَارَهُ حِينَ طَلَبَهُ الْمُنْذِرُ بْنُ مَاءِ السَّمَاءِ لَقَتْلِهِ بَنِي أَبِيهِ الَّذِينَ
قَتَلَ بِدِيرِ مَرِينَا^(١)...

حَتَّى نَشَأَ النَّابِغَةُ الذُّبْيَانِيُّ فَمَدَحَ الْمُلُوكَ وَقَبِلَ الصِّلَةَ عَلَى الشَّعْرِ وَخَضَعَ لِلنُّعْمَانِ بْنِ
الْمُنْذِرِ - وَكَانَ قَادِرًا عَلَى الْامْتِنَاعِ مِنْهُ بِمَنْ حَوْلَهُ مِنْ عَشِيرَتِهِ أَوْ بِمَنْ سَارَ إِلَيْهِ مِنْ
مُلُوكِ غَسَّانَ - فَسَقَطَتْ مَنْزِلَتُهُ. وَ(لَكِنَّهُ) تَكَسَّبَ مَالًا جَسِيًّا حَتَّى كَانَ أَكْلُهُ وَشُرْبُهُ فِي
صِحَافِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَأَوَانِيهِ مِنْ عَطَاءِ الْمُلُوكِ.

وَتَكَسَّبَ زَهِيرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ بِالشَّعْرِ سِيرًا مَعَ هَرَمٍ بْنِ سِنَانٍ.
فَلَمَّا جَاءَ الْأَعَشَى جَعَلَ الشَّعْرَ مَتَجَرًّا يَتَجَرُّ بِهِ نَحْوَ الْبُلْدَانِ؛ وَقَصَدَ حَتَّى مَلُوكَ
الْعَجَمِ. فَأَثَابَهُ (كِسْرَى) وَأَجَزَلَ عَطِيَّتَهُ عِلْمًا بِقَدْرِ مَا يَقُولُ (الْأَعَشَى) عِنْدَ (مُلُوكِ)
الْعَرَبِ، وَاقْتَدَاءَ بِهِمْ فِيهِ^(٢). عَلَى أَنَّ شَعْرَهُ لَمْ يَخْسُنْ عِنْدَهُ حِينَ فُسِّرَ لَهُ، بَلِ
اسْتَهْجَنَهُ^(٣) وَاسْتَخَفَّ بِهِ، لَكِنْ أَخَذَ فَعَلَ الْمُلُوكِ مَلُوكِ الْعَرَبِ (فِي الرَّغْبَةِ فِي مَدْحِ
الشُّعْرَاءِ لَهُم).

(ب) الْمَشَاهِيرُ مِنَ الشُّعْرَاءِ:

وَالشُّعْرَاءُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحَاطَ بِهِمْ عَدَدًا. وَمِنْهُمْ مَشَاهِيرُ قَدْ طَارَتْ أَسْمَاؤُهُمْ وَسَارَ
شِعْرُهُمْ وَكَثُرَ ذِكْرُهُمْ حَتَّى غَلَبُوا عَلَى سَائِرِ مَنْ كَانَ فِي زَمَانِهِمْ. وَلِكُلِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ
طَائِفَةٌ تَفْضُلُهُ وَتَتَعَصَّبُ لَهُ. وَقَلَّ مَا يُجْتَمَعُ عَلَى وَاحِدٍ.....

(١) كَانَ الْمُنْذِرُ بْنُ مَاءِ السَّمَاءِ مَلِكَ الْحَيْرَةِ (تَنْحُو ٥٨ قَبْلَ الْهِجْرَةِ = ٥٦٤ م) قَدْ قَتَلَ إِخْوَةَ أَمْرِي الْقَيْسِ
فِي دِيَارِ بَنِي مَرِينَا (قُرْبَ الْكُوفَةِ).

(٢) لِمَعْرِفَتِهِ بِقِيَمَةِ شَعْرِ الْأَعَشَى فِي الدَّعَايَةِ وَتَقْلِيدِ الْمُلُوكِ الْعَرَبِ فِي إِعْطَاءِ الْأَعَشَى مَالًا عَلَى مَدْحِهِ لَهُمْ.

(٣) لَمَّا نَقَلْتُ مَعَانِيَ شَعْرِ الْأَعَشَى لِكِسْرَى إِلَى اللُّغَةِ الْفَارْسِيَةِ اسْتَهْجَنَهُ: اسْتَقْبَحَهُ (وَجَدَهُ نَازِلًا عَنْ مَرْتَبَةِ
الْعَقْلِ وَالسُّلُوكِ الصَّحِيحِ). اسْتَخَفَّ بِهِ (بِالْأَعَشَى).

وليس في المولدين أشهرُ أسماً من الحسنِ أبي نَواس؛ ثم حبيب^(١) والبُخترى، ويقال إنها أُخْمِلَا في زمانها خمسمائة شاعر كُلُّهم مُجيد. ثم يتبعهما في الاشتهار ابنُ الرومي وابنُ المعتز، فطار اسمُ ابنِ المعتز حتى صار كالحسن في المولدين وامريء القيس في القدماء. فإن هؤلاء الثلاثة لا يكاد يجهلهم أحدٌ من الناس. ثم جاء المتنبي فملأ الدنيا وشغل الناس.

(ج) الوصف:

الشعر، إلا أقله، راجعٌ إلى الوصف. ولا سبيلَ إلى حصره (حصر الوصف) واستقصائه. وهو مناسبٌ للتشبيه ومشمولٌ عليه وليس به^(٢)، لأنه (أي التشبيه) كثيراً ما يأتي في أضعافه^(٣). والفرقُ بين الوصف والتشبيه أن هذا (أي الوصف) إخبارٌ عن حقيقة، وأن ذلك مجازٌ وتمثيل^(٤)... وأحسنُ الوصف ما نُعت به الشيء حتى يكاد يُمثله عياناً^(٥) للسامع... وقال بعض المتأخرين: أبلغُ الوصف ما قلب السمعَ بصراً...

والناس يتفاضلون في الأوصاف كما يتفاضلون في سائر الأصناف. فمنهم من يُجيد وصفَ شيءٍ ولا يُجيد وصفَ آخر؛ ومنهم من يُجيد الأوصاف كلها، وإن غلبت عليه الإجادة في بعضها كاميء القيس قديماً، وأبي نَواس في عصره، والبُخترى وابنُ الرومي في وقتها...

★ ★ ★

- وقال يصفُ حالَ المسلمين حينما بدأ الإسبانُ النصارى يستولون على المُدُن الأندلسية ويُخرجون منها أهلها المسلمين تقتيلاً وتشريداً:

-
- (١) حبيب (بن أوس) هو أبو تمام.
(٢) الوصف غير التشبيه.
(٣) في أضعافه (في ثناياه): في أثنائه (تأتي التشابه في أثناء الوصف). إنَّ الوصف باب كبير. أما التشبيه فهو جملة مفردة تتناول صورة واحدة أو جزءاً من صورة.
(٤) تمثيل: مقارنة (بالحقيقة).
(٥) عياناً (بكسر العين): في رأي العين.

والمسلمون مُقسَّمون تنالهم أيدي العصاة بذلة وهوان.
يستصرخون فلا يُجابُ صرِيحُهُمْ.
بادؤا نفوسَهُمْ. فلمّا أنفذوا ما جَمَعُوا من صامتٍ وصِوان^(١)
خرجوا حُفَاةً عاثدينَ برَبِّهِمْ من خوفِهِمْ ومصائبِ الألوان.
هربوا بكلِّ وليدةٍ وفطيمةٍ وبكلِّ أرملةٍ وكلِّ حصان^(٢)،
فتفرّقوا أيدي سِبا وتشتتوا بعدَ اجتماعِهِمْ على الأوطان^(٣).

- ٤- العمدة في صناعة الشعر ونقده، مصر ١٢٨٥ هـ؛ تونس والقاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م)؛ القاهرة ١٣٤٤ هـ = ١٩٢٥ م؛ (حققه محمد محي الدين عبد الحميد) القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م؛ بيروت (دار الجليل) ١٩٧٢ م.
- قراضة الذهب (في «مجموع الرسائل النادرة»)، مصر (مكتبة الخانجي) ١٣٤٤ هـ = ١٩٢٦ م.
- شعراء القيروان من أنموذج الزمان (جمع وتعليق زين العابدين السنوسي)، تونس (دار المغرب العربي) ١٩٥١ - ١٩٧١ م.
- ديوان ابن رشيق القيرواني (عبد الرحمن ياغي)، بيروت (دار الثقافة) بلا تاريخ.
- الننف من شعر ابن رشيق وزميله ابن شرف... (جمعه عبد العزيز الميمني الراجكوتي)، القاهرة (المطبعة السلفية) ١٣٤٣ هـ.
★★ بحث ممتع عن حياة ابن رشيق ودولة المعز بن باديس العمراني القيرواني، تأليف أبي البركات عبد العزيز الميمني الراجكوتي (منقول عن الأردية)، القاهرة بعد؟ ١٣٤٣ هـ (١٩٢٠ م).
- بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق، تأليف حسن حسني عبد الوهاب، تونس ١٣٣٠ هـ.
- حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦١ م.
- ابن رشيق الناقد الشاعر، تأليف عبد اللطيف مخلوف، القاهرة (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر) ١٩٦٥ م.

- (١) بادوا نفوسهم؟؟ أنفذوا: استهلوا (أنفقوا) ما كانوا قد خزّنوه. الصامت: المال الجامد (كالعملة والأبنية الخ). الصوان: الصندوق توضع فيه الثياب الثمينة (لصونها).
(٢) الحصان: المرأة الشريفة النبيلة (التي لا يمسّها أجنبي).
(٣) تفرّق القوم أيدي سِبا: تشتتوا (تفرّقوا تفرّقاً لا اجتماع بعده).

- ابن رشيقي ونقد الشعر، تأليف عبد الرؤوف مخلوف، الكويت (وكالة المطبوعات) ١٩٧٣ م.
- معجم الأدباء ٨: ١١٠ - ١٢١؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ١٢١ - ١٢٥؛ الخريدة (المغرب) ٢: ٢٣٠ - ٢٣٣؛ إنباه الرواة ١: ٢٩٨ - ٣٠٤؛ وفيات الأعيان ٢: ٨٥ - ٨٩؛ المطرب ٥٧ - ٦٥؛ ابن الأثير ١٠: ١٥ - ١٦؛ بغية الوعاة ٢٢٠؛ شذرات الذهب ٣: ٢٩٧؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٠٣ - ٩٠٤؛ عنوان الأريب ٢: ٥٢ - ٥٤؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٤٣ وما بعده؛ بروكلمن ١: ٣٧٤، الملحق ١: ٥٣٩؛ الأعلام للزركلي ٢: ٢٠٤ - ٢٠٥، (١٩١)؛ تاريخ النقد لإحسان عباس ٤٤١ - ٤٥٩؛ مجلة العربي (الكويت) ١٩٦٤/٢ م، ص ٥٨.

عبد الملك الطنبجي

١ - هو أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله بن علي بن حسين بن محمد الطنبجي، ولد في قرطبة، في سادس ذي الحجة من سنة ٣٩٦ (١٠٠٥/٩/١٤ م). أخذ عن ابن حزم المشهور (ت ٤٥٦ هـ) وطالت صحبته له وصداقته، كما أخذ عن نفر كثيرين (راجع كتاب الصلة، رقم ٧٧٤). ورحل إلى المشرق، قيل مرتين أو أكثر، فكان في الإسكندرية سنة ٤٤٧ هـ وفي مكة ٤٤٨ هـ (ربيع ١٠٥٧ م). وقد أملى عدداً من العلوم على جمع غفير في قرطبة.

وكانت وفاة عبد الملك الطنبجي قتلاً، في قرطبة، في ربيع الثاني من سنة ٤٥٧ (آذار - مارس ١٠٦٤ م)، قتله أهله لشدة بغضه عليهم ولإغاضته لهم بالتهكم بهم إذا طلبوا منه حاجة. وقد اتهم ابنه بقتله.

٢ - كان عبد الملك بن زيادة الله الطنبجي هذا إماماً في الحديث والفقه والنحو والأدب وشاعراً على أساليب العرب. وكانت له صفات جميلة من التقوى وحسن المعاشرة والاستقامة، ولكن البخل يغطي على جميع الفضائل التي يمكن أن يتصف بها البخل.

٣ - مختارات من شعره

- قال عبد الملك الطنبجي يفتخر بكثرة عدد الذين يستملون منه:

إِنِّي إِذَا حَضَرْتَنِي أَلْفُ مِخْبَرَةٍ تَقُولُ: أَخْبَرَنِي هَذَا وَحَدَّثَنِي ^(١)،
صَاحَتْ بِعَقْوَتِي الْأَقْلَامُ زَاهِيَةً: «هَذِي الْمَكَارِمُ! لَا قُعْبَانَ مِنْ لَبَنِ» ^(٢).

- وَكَتَبَ إِلَى ذِي الْوِزَارَتَيْنِ أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ زَيْدُونَ الشَّاعِرِ الْمَشْهُورِ:

أَبَا الْوَلِيدِ، وَمَا شَطَّتْ بِنَا الدَّارُ وَقَلَّ مِنَّا وَمِنْكَ الْيَوْمَ زُؤَارُ ^(٣)
وَبَيَّنَّا كُلُّ مَا تَذْرِيبُهُ مِنْ ذِمِّهِ وَلِلصَّبَا وَرَقَّ خُضْرٌ وَأَنْوَارُ ^(٤).
وَكُلُّ عَتَبٍ وَإِعْتَابٍ جَرَى فَلَهُ بِدَائِعٍ حُلُوةٍ عِنْدِي وَأَثَارُ ^(٥).
فَاذْكُرْ أَخَاكَ بِخَيْرٍ كُلِّمَا لَعَيْتَ بِهِ اللَّيَالِي، فَإِنَّ الدَّهْرَ دَوَّارُ!

- وَقَالَ فِي الْعَتَابِ:

لَا يُبْعِدُ اللَّهُ مَنْ قَدْ غَابَ عَنْ بَصَرِي وَلَمْ يَغِبْ عَنِ صَمِيمِ الْقَلْبِ وَالْفِكَرِ.
أَشْتَاقُهُ كَأَشْتِيَاقِ الْعَيْنِ نَوْمَتَهَا بَعْدَ الْمُجُودِ ^(٦). وَجَذَبَ الْأَرْضَ لِلْمَطَرِ.
وَعَاتِبُونِي عَلَى بَذْلِ الْفُؤَادِ لَهُ، وَمَا دَرَوْا أَنَّنِي أُعْطِيتُهُ عُمْرِي!

٤ - ** مطمح الأنفس ٥٠؛ الصلة ٣٤٣ - ٣٤٥؛ جذوة المقتبس ٢٦٥ - ٢٦٦ (الدار المصرية) ٢٨٤ - ٢٨٥ (رقم ٦٢٩)؛ بغية الملتبس ٣٦٦ - ٣٦٧ (رقم ١٠٦٥)؛
الذخيرة ١: ٥٣٥ - ٥٤٩ وما بعد؛ المغرب ١: ٩٢ - ٩٣؛ المطرب ٢١٥؛ تعريف
الحلف (الجزائر) ٢: ٢٤٣ - ٢٤٧؛ بغية الوعاة ٣١٢؛ نفح الطيب ٢: ٤٩٦؛
٥١١، ٧: ٤٨ - ٤٩؛ تاج العروس ٩: ٢٦٧؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣٠٣ (١٥٨)؛
كتب وشخصيات ٢١ - ٢٨.

ابن سيده

١ - هُوَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ (وَقِيلَ ابْنُ أَحْمَدَ أَوْ ابْنُ مُحَمَّدٍ) بْنِ سَيِّدِهِ
الضَّرِيرِ الْمُرْسِيِّ، وَلَدَ فِي مُرْسِيَّةَ سَنَةِ ٣٩٨ هـ (١٠٠٨ م). وَقَدْ دَرَسَ أَوَّلًا عَلَى أَبِيهِ ثُمَّ
عَلَى أَبِي الْعَلَاءِ صَاعِدِ الْبَغْدَادِيِّ وَأَيَّ عُمَرَ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّلَمَنْكِيِّ.

- (١) ألف محبرة: ألف تلميذ يأخذون عني العلم.
- (٢) العقوة: الموضع المتسع أمام الدار. القعبان جمع قعب (بالفتح): قدح ضخم (يقصد أن العلم في الحضارة أفضل من الحياة في البداوة).
- (٣) شط: بعد.
- (٤) الأنوار جمع نور (بفتح النون): الزهر الأبيض.
- (٥) العتب: اللوم. الأعتاب: إرضاء الذي كان يعتب.
- (٦) المهجود: النوم (ولا يستقيم ذلك في المعنى). لعل الصواب: قبل المهجود. والمهجود أيضاً: السهر في العبادة.

وَاتَّصَلَ ابْنُ سَيِّدِهِ بِأَبِي الْجَيْشِ الْمُؤَقَّقِ مُجَاهِدِ الْعَامِرِيِّ صَاحِبِ دَانِيَّةٍ (٤٠٨ - ٤٣٢ هـ) ثُمَّ بَخْلَفَهُ أَبِي الْأَخْوَصِ مَعْنَى. وَلَمَّا جَاءَ إِقْبَالُ الدَّوْلَةِ إِلَى الْحُكْمِ (٤٣٦ هـ = ١٠٤٤ - ١٠٤٥ م) وَقَعَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ سَيِّدِهِ جَفْوَةٌ فَهَرَبَ ابْنُ سَيِّدِهِ عَنْ دَانِيَّةٍ ثُمَّ عَادَ إِلَيْهَا وَمَدَحَ إِقْبَالَ الدَّوْلَةِ وَاسْتَعْفَفَهُ.

وَمَاتَ ابْنُ سَيِّدِهِ فِي دَانِيَّةٍ، فِي ٢٦ رَجَبِ الْآخِرِ مِنْ سَنَةِ ٤٥٨ (١٠٦٦/٣/٢٥ م).

٢ - كَانَ ابْنُ سَيِّدِهِ إِمَامًا فِي اللُّغَةِ وَفِي الْعَرَبِيَّةِ (النَّحْوِ) حَافِظًا لَهَا وَعَارِفًا بِأَيَّامِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهِمْ وَمُلِمًّا بِشَيْءٍ مِنْ عُلُومِ الْحِكْمَةِ. وَكَانَ لَهُ أَيْضًا شَيْءٌ مِنَ الشُّعْرِ. وَابْنُ سَيِّدِهِ كُتِبَتْ مِنْهَا: الْمُحْكَمُ وَالْمُحِيطُ الْأَعْظَمُ (فِي اللُّغَةِ)، وَهُوَ جَامِعٌ لِأَنْوَاعِ اللُّغَةِ وَمُرْتَّبٌ عَلَى حُرُوفِ الْمَعْجَمِ - الْمُخَصَّصُ (فِي اللُّغَةِ)، وَهُوَ مُرْتَّبٌ عَلَى الْأَبْوَابِ - كِتَابُ الْعَالَمِ (بِفَتْحِ اللَّامِ، فِي اللُّغَةِ، وَهُوَ مُرْتَّبٌ عَلَى الْأَجْنَاسِ: بِدَأْهِ ابْنِ سَيِّدِهِ بِالْفَلَكَ وَخَتَمَهُ بِالذَّرَّةِ = صِغَارِ النَّمْلِ) - كِتَابُ الْعَالِمِ وَالْمُتَعَلِّمِ (مُرْتَّبٌ عَلَى الْمَسْأَلَةِ وَالْجَوَابِ) - شَرْحُ إِصْلَاحِ الْمَنْطِقِ (لِابْنِ السَّكَيْتِ) - كِتَابُ شَاذِّ اللُّغَةِ - الْوَاقِفِ فِي عِلْمِ أَحْكَامِ الْقَوَافِي - الْأَنْبِقِ فِي شَرْحِ الْحِمَاسَةِ - شَرْحُ مُشْكِلِ دِيَوَانِ الْمُتَنَبِّئِيِّ. وَلَهُ أَيْضًا كِتَابُ السَّمَاءِ وَالْعَالَمِ (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٣: ١٩٢).

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ

قَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ يَمْدَحُ إِقْبَالَ الدَّوْلَةِ وَيَسْتَعْفِفُهُ:

سَبِيلٌ؟ فَإِنَّ الْأَمْنَ فِي ذَاكَ وَالْيَمْنُ (١).	أَلَا هَلْ إِلَى تَقْبِيلِ رَاحَتِكَ الْيُمْنَى
عَنِ الْوَرْدِ لَا عَنْهُ أَذَادُ وَلَا أَذْنَى (٢).	فِيَا مَلِكَ الْأَمْلاكِ، إِنِّي مُحَلًّا
بَصِيقِي، فَإِنِّي لَا أَحِبُّ لَهُ حَقْنًا (٣).	فَإِنْ تَتَأَكَّذَ فِي دَمِي لَكَ نَيْةٌ
فَتَعْتَدَّهَا نَفْسِي عَلَيَّ وَتَمْتَنَّا (٤).	وَمَا لِي مِنْ دَهْرِي حَيَاةً أَلَذَّاهَا

(١) اليمن: البركة.

(٢) الهلا: الذي حيل (بكسر الحاء) بينه وبين ما يويده، منع (بالبناء للمجهول) كما يريد. الورد: الشرب. أذاذ: أطرده. أذنَى: أقرب.

(٣) - إذا كان في نيتك أن تسفك دمي (تقتلني)، فأنا لا أريد حقن دمي (حفظ دمي: بقائي حيًا).

(٤) - ليس لي سرور بحياتي فلا تعد بقاى حيًا نعمة منك عليّ ثم تمن عليّ إن تركتني حيًا (إفعل بي ما تشاء).

إِذَا مِيتَةُ أَرْضَتِكَ مِنَّا فَهَاتِيهَا! حَبِيبُ إِلَيْنَا مَا رَضِيتَ بِهِ عَنَّا!

- من مقدمة «المخصص»:

... أما بعد، فإن الله عز وجل لما كرم هذا النوع الموسوم بالإنسان وشرفه بما آتاه من فضيلة النطق على سائر أصناف الحيوان وجعل له رَسماً يميزه، وفصلاً يُبينه على جميع الأنواع فَيَحُورُهُ^(١) أَوْجَهُهُ إلى الكشف عما يَتَصَوَّرُ في النفوس من المعاني القائمة^(٢) فيها المُدْرَكَةُ بالفكرة فَفَتَقَ الألسنة بضروبٍ من اللفظ المحسوس ليكون رَسماً لَهَا تَصَوَّرَ وَهَجَسَ^(٣) من ذلك في النفوس. فَعَلِمْنَا بذلك أَنَّ اللغة اضطرارية وإن كانت موضوعات ألفاظها اختيارية. فإن الواضع الأوَّل المُسَمَّى للأقلِّ جُزْءاً وللأكثرِ كُلاًّ وللونِ الذي يُفَرِّقُ شُعَاعَ البصر وينشره بياضاً، وللذي يَقْبِضُهُ ويحصِّره سواداً، لو قَلَبَ هذه التَّسْمِيَةَ فَسَمَى الجُزْءَ كُلاًّ والكُلَّ جُزْءاً والبياضَ سواداً والسوادَ بياضاً لم يُخِلَّ بموضوع^(٤) ولا أَوْحَشَ أَسْهَاعَنَا من مسموع.

وقد اختلفوا في اللغة: أُمْتَوَاطاً عليها أم مُلْهَمٌ إليها؟^(٥) وهذا موضوعٌ يحتاجُ إلى فضلٍ تَأْمُلٍ. غيرَ أَنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّظَرِ على أَنَّ اللغةَ إِنَّمَا هي وَضْعٌ وَاصْطِلَاحٌ لَا وَحْيٌ وَلَا تَوْقِيفٌ^(٦).

- من مقدمة «الحكم»:

بِذِكْرِ اللَّهِ نَفْتَحُ وَبِنُورِهِ نَقْتَدِحُ^(٧)، وبما أَفَاضَهُ عَلَيْنَا من نُورِيَّةِ إلهامِهِ نَهْتَدِي،

(١) الرسم: السلوك ونظم الحياة. الفصل: النوع والهيئة. يبينه (يجعله مختلفاً من غيره). مازَه يميزه (يفتح

فكسر): اختياره. فضله. حازه: استولى عليه، اتَّصَفَ به.

(٢) يتصوَّر (تجوَّز بالبناء للمعلوم أو للمجهول). المعاني (مجرورة لفظاً مرفوعة محلاً على أَنَّها فاعل أو نائب فاعل للفعل «يتصوَّر»). القائمة فيها (الموجودة في النفوس).

(٣) هجس: خطر.

(٤) لم يخل بموضوع: لم يفقد اللفظ الذي أطلق على شيء تسمى شيئاً من دلالاته.

(٥) متواطاً: متفق عليه (بين الناس). ملهم إليها: موحى بها.

(٦) على أَنَّهُ (متفقون على أَنَّ أَلْفَاظَ اللغة). توقيف: التعليم، التلقين (المقصود: أول اللغة لم يكن بتعليمها جملة للناس).

(٧) اقتدح: استخرج النار من حجرها بالقدح (نقتبس أو نهتدي بنور الله).

وبما سنّه لنا نبينا المُقتفى ورسوله المُصطفى^(١) من فُروض طاعته نقتدي. نَحْمَدُه بِآلآئه
وَنُصَلِّي على عاقِبِ أنبيائه^(٢). ونسأله خيرَ ما يَحْتِمُ وأفضلَ ما به هذه النفوس
يَحْتِمُ^(٣)....

أما بعدُ، أيُّها المُسهرُ طلبُ العلمِ لجفونه الكاتبُ لخور عيونه^(٤). الراتعُ منه في
أزاهير فنونه، فإني أقولُ لك: هنيئاً! فقد أُوتيتَ بِغِيَّتِكَ^(٥). وشُكراً! فقد مُلِّكتَ
أُمْنِيَّتَكَ...

وشكراً له، أيُّها النَّهْمُ على محاسن العلوم الباحثُ عن نتائج مُقدّمات الحلوم^(٦)،
فما أَسْلَمَكَ للواحي الزمان، ولا خَلَّى بينَكَ وبين طوارق الحَدَثَانِ^(٧)، بل كَفَاكَ ما
كان يُنَازِعُكَ من هواكَ ويُمِرُّ عليك مُسْتَغْذَبَ نَوَاكِ^(٨): من تصوّر التعبِ بشدّةِ
الرَّحَالِ ومَثُونَةِ التَّرَحَالِ ولَفَحِ السَّمُومِ^(٩) وعَقْدِ الطَّرْفِ ليلاً بِسُمُوتِ النُّجُومِ^(١٠)،
وتَأْمُلِ السَّرَابِ شَوْقاً إلى بَرْدِ الشَّرَابِ، والتمتّعُ بِأباطيلِ الخيالِ بدلاً من لذِيذِ
محصولِ الوصالِ...

- ٤ - المخصّص، بولاق (المطبعة الكبرى الأميرية) ١٣١٦ - ١٣٢١ هـ.
- الحكم والمحيط الأعظم في اللغة (تحقيق مصطفى السقا وحسين نصّار

- (١) المُقتفى: المتبع. المصطفى: المختار.
(٢) الآلاء: النعم. عاقب: آخر.
(٣) خير ما يَحْتِمُ (به الحياة: الموت على شريعة الإسلام). يحتم: يوجب، يقضي.
(٤) المسهر خير مُقدّم. طلب العلم مبتدأ مؤخّر. لجفونه (اللام زائدة). جفونه مجرورة لفظاً منصوبة محلاً
على أنّها مفعول به لاسم الفاعل «المسهر». الخور في الأصل جمع حوراء (المرأة الناعسة العينين،
الجميلة (وهنا، خور عيونه: خير ما في العلم).
(٥) البغيّة: الطلبة (بالكسر) والمطلب.
(٦) الحلوم (جمع حلم بالكسر): العقول. نتائج مُقدّمات الحلوم: ما يوجبه العقل من القواعد والأحوال.
شكراً له (لله).
(٧) لم يجعلك الله عرضة لمصائب الدهر ولا جعل لمصائب الدهر إليك طريقاً.
(٨) يَمِرُّ الشيء (يجعله مرّاً). النوى هنا: المقصد (بلوغ ما يقصد الإنسان).
(٩) لفح السُموم (الريح الحارّة): ملاقة الوجه وإحراقه.
(١٠) عقد الطرف (البصر، العين) بسُموت (السمت بالفتح: النقطة القائمة عمودياً على رأس الناظر): أي
قضى الليل ساهراً.

وغيرها) - (جامعة الدول العربية - معهد المخطوطات)، القاهرة (مصطفى الباي الحلي) ١٩٥٨ - ١٩٦٨ م.

المختص لابن سيده، تأليف محمد الطائي، تونس (المطبعة المصرية) ١٩٥٦ م.

★ جذوة المقتبس ٢٩٣ - ٢٩٤ (الدار المصرية) ٣١١ - ٣١٢ (رقم ٧٠٩)؛ بغية الملتبس ٤٠٥ (رقم ١٢٠٥)؛ الصلة ٣٩٦ - ٣٩٧؛ معجم الأدباء ١٢ : ٢٣١ - ٢٣٥؛ وفيات الأعيان ٣ : ٣٣٠ - ٣٣١؛ المطمح ٦٠ - ٦١؛ المغرب ٢ : ٢٥٩؛ نكت الهميان ٢٠٤ - ٢٠٥؛ الديباج المذهب ٢٠٤ - ٢٠٥؛ بغية الوعاة ٣٢٧؛ شذرات الذهب ٣ : ٣٠٥ - ٣٠٦؛ نفح الطيب ٣ : ٣٨٠؛ ٤ : ٢٧ - ٢٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٩٤٠؛ بروكلمن ١ : ٢٧٦؛ الملحق ١ : ٥٤٢؛ الأعلام للزركلي ٥ : ٦٩ (٤ : ٢٦٣).

ابن شرف القيرواني أبو عبد الله

١ - هو أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد محمد الجذامي المعروف بابن شرف القيرواني، لعله ولد في السنين الأخيرة من القرن الهجري الرابع.

روى ابن شرف القيرواني عن أبي الحسن القاسبي (٣٢٤ - ٤٠٣ هـ) وأبي عمران الفاسي وقرأ النحو على أبي عبد الله محمد بن جعفر القزاز، وأخذ العلوم الأدبية عن أبي إسحاق إبراهيم الحصري.

ونال ابن شرف حظوة في بلاط المعز بن باديس في القيروان، وكان المعز قد استقل بالحكم سنة ٤١٧ هـ (١٠٢٦ م)، ولكننا لا نعلم متى جاء ابن شرف إلى بلاط القيروان. وفي هذا البلاط التقى ابن شرف بابن رشيقي فتنافسا وتنافرا ثم تهاجيا وأقذع كل واحد منهما في هجاء الآخر، ولكن يبدو أنها لم يتقاطعا ولا تعاديا.

وفي سنة ٤٤٧ هـ (١٠٥٥ م) هاجم العرب (البدو) القيروان واستباحوها فانتقل المعز بن باديس منها إلى المهدية، وانتقل معه ابن شرف. ثم توفي المعز (٤٥٣ هـ = ١٠٦١ م) وخلفه ابنه تميم، فلزمه ابن شرف مدة يسيرة فلم يجد عنده من الخطوة ما كان قد وجد عند أبيه فغادر إفريقية (تونس) إلى جزيرة صقلية ثم انتقل، نحو سنة ٤٥٠ هـ، إلى الأندلس وسكن المرية. ثم إن نفسه نازعت إلى التردد على بلاطات ملوك الطوائف للتكسب بشعره. وقد استقر حيناً في طليطلة عند

المأمون بن ذي النون (٤٢٩ - ٤٦٧ هـ) ثم انتقل إلى إشبيلية واتصل بالمعتضد بن عبّاد (٤٣٤ - ٤٦١ هـ).

وكانت وفاة أبي عبد الله بن شرف الجذامي القيرواني في إشبيلية، أول المحرم من سنة ٤٦٠ هـ (١٠٦٧/١١/١١ م)

٢ - أبو عبد الله محمد بن شرف القيرواني أديب كاتب مترسل وشاعر. أما نثره فترسل فيه تأتق وتكلف، وفيه تقليد للمقامات، وإن كان يُعالج فيه أحياناً موضوعات بعيدة عن طبيعة المقامة كما عرّفها المشرق. وأما شعره فرقيق عذب سلس في أكثر الأحيان. وفنون شعره المدح والثناء الصادق (وخصوصاً رثاء بلديه القيروان بعد أن هاجها البدو وخرّبوها). وأحسن فنونه الوصف. وله هجاء فيه دُعابة تحول أحياناً إقذاً. ثم له غزل وحكمة.

وفي معجم الأدباء (١٩. ٤٣): «ولابن شرف القيرواني من التصانيف: أبكار الأفكار جمع فيه ما اختاره من شعره ونثره، وأعلام الكلام (مجموع فيه فوائد ولطائف وملح منتخبة)، ورسالة الانتقاد^(١) (وهي على طراز مقامة نقد فيها شعر طائفة من شعراء الجاهلية والإسلام)، وديوان شعر وغير ذلك». وله رسائل ومقامات.

٣ - مختارات من آثاره

من مطلع «أعلام الكلام»:

هذه أحاديث صُفّتها مختلفة في الأنواع مؤتلفة في الأسماع، عربيات المواشم غريبات التراجم^(٢). واختلقت فيها أخباراً فصيحاً الكلام بديعيات النظام لها

(١) وله أيضاً «مسائل (أو رسائل) الانتقاد». يقول إحسان عباس (تاريخ النقد ٤٦٠ - ٤٦١): «ليس ثمة ما يمنع أن تكون أعلام الكلام رسالة في النقد، ولكن هل هي نفس الرسالة (اقرأ: الرسالة نفسها) التي تُدعى مسائل (أو رسائل) الانتقاد؟». - إن ما يذكره ياقوت الحموي في صدد هذا المقطع يدل على أن «أعلام الكلام» كتاب مختلف من رسالة الانتقاد والتي نشرت أيضاً باسم رسائل (أو مسائل) الانتقاد (راجع قسم المصادر، ص ٥٧٠).

(٢) في القاموس (٤: ١٨٦): صادفت الإبل مرعى موشماً (بضم الميم وكسر الشين) أي طيباً. والميسم (بكسر الميم وفتح السين المهملة بلا نقط) المكواة تجعل بها العلامات (على أجسام البهائم) وجمعها مواسم =

مقاصد طِرافٍ وأسَانِيدُ طِرافٍ يَرُوقُ^(١) الصغيرَ معناها والكبيرَ مغزاها. وعَزَوْتُهَا إلى أبي الرِّيَّانِ الصَّلْتِ بنِ السَّكَنِ من سلامان^(٢) - وكان شيخاً هِمّاً في اللسان وبدراً تِمّاً في البيان^(٣) - قد بَقِيَ أَحْقَاباً وَلَقِيَ أَعْقَاباً^(٤)، ثم أُلْقَتْهُ إِلَيْنَا من باديته الْأَزْمَاتُ وأورَدَتْهُ عَلَيْنَا الْعَزَمَاتُ^(٥). فَأَمْتَحَنَّا من علمه بحراً جارياً وَقَدَحْنَا من فَهْمِهِ زَنْدًا واريّاً^(٦)، وأدَرْنَا من بَرِّهِ طَرْفًا وَاجْتَنَيْنَا من ثمره طَرْفًا^(٧). ونحن إذ ذاك والشبابُ مُقْتَبِلٌ، وَغَفْلَةُ الزَّمانِ تُهْتَبَلُ^(٨). وَاحْتَدَيْتُ فيما ذهبتُ إِلَيْهِ ووقع تعريضِي عَلَيْهِ^(٩) - من بث هذه الأحاديث - ما رأيتُ الأوائلَ قد وَضَعَتْهُ في كتاب كَلِيلَةٍ

- = وميَّاسم. وهنا عربيات المواشم (بالشين المعجمة): صفاتها عربية. غريبات التراجم: أعلامها غريبة مستطرفة (مستحسنة).
- (١) الظراف جمع ظريف: جيل الوجه خفيف الظلّ حسن الكلام والأفعال. أسانيد جمع إسناد (بالكسر): رواية، اتصال، إرث (هنا: أخبار نادرة مستحسنة). يروق: يعجب (راقني هذا المنظر: أعجبنى فسررت به).
- (٢) عزوتها: نسبتها. أبو الرِّيَّان الصلّ بن السكّن (بفتح ففتح: من أسماء الرجال) بن سلامان اسم مرّجل أو مخترع (خيالي).
- (٣) الشيخ الهمّ (بالكسر) الكبير الفاني. البدر التّم: الكامل. البيان: التعبير عن المقاصد (الكلام الواضح البليغ).
- (٤) بقي أحقاباً (عاش مدة طويلة) ولقي أعقاباً (نسلاً كثيراً من أجيال متتابعة).
- (٥) الأزمة (بفتح ففتح أو بفتح فسكون): الشدة، الضيق (الفقر، القحط). العزمات في القاموس (٤): ١٥٠: الحقّ (من حقوق الله). والمقصود هنا جمع عزيمة (الهمة والصبر على المشاق والجرأة على الأعمال).
- (٦) الزند قطعة من الحديد تحكّ بها قطعة من الحجر الصوّان فيقذح (من الحجر) نار وري (بفتح فكسر ففتح) الزند يورى (بفتح فسكون ففتح): قدح النار من الحجر بسرعة وثبات فهو وار. قدحنا من فهمه زنداً واريّاً (المقصود: كل سؤال كان يخرج منه رأياً صائباً).
- (٧) أدرنا (طفنا على أنفسنا، وزعنا) من برّه (من خيره، من علمه ورغبته في الإفادة). طرف: جانب. قسم (شيء قليل). اجتنينا (قطفنا، نلنا، استفدنا) الطرفة (بالضم): كل شيء جديد عجيب (يسر النفس).
- (٨) مقتبل (بالبناء للمجهول): نحن نستقبله (في أول شبائنا). غفلة الزمان (عن الإساءة إلينا) تهتبل (تنتهز، تغتم).
- (٩) احتذى: قلّد. التعريض: الإشارة من غير شرح.

ودمنة^(١) فأضافوا حِكْمَهُ إلى الطير الحوائم ونَطَقُوا به على ألسنة الوحش والبهائم^(٢) لتتعلق به شهوات الأحداث وتُسْتَعَذَّبَ بشمره ألفاظ الحُدَاثِ^(٣) ... فأقمتُ من هذا النحو عشرين حديثاً أرجو أن يتبينَ فضلُها ولا تقصّرَ عمّا قبلها^(٤) ...

وجاريت أبا الريّان في الشعر والشعراء^(٥) ومنازلهم في جاهليّتهم وإسلامهم، وأسْتَكْشَفْتُه عن مذهبه فيهم ومذاهب طبقتِه في قديمهم وحديثهم^(٦). فقال: الشعراءُ أكثرُ من الإحصاءِ وأشعارهم أبعدُ شُقَّةً من الاستقصاءِ^(٧). فقلتُ: لا أعْنُتُكَ بأكثرَ من المشهورين ولا أذاكرُ رأيكَ إلّا في المذكورين^(٨)، مثل الضِّلِيلِ والقتيل ولبيدٍ وعبيدٍ والنوايغِ والعُشُو^(٩) ... ومن الطبقة المتأخرة في الزمان المتقدمة في الإحسان كابن حَمْدَانَ والمتنبي أحمدُ بنُ الحسين بن عبدان^(١٠) ...

- من مقامة لابن شرفٍ القيروانيّ أسْمُها أعلام الكلام (ص ٢٥، ٢٦):
... وأما أبو فراسٍ بنُ حَمْدَانَ ففارسُ هذا المَيْدَانِ، إن شِئتُ ضرباً وطعنأ أو شِئتُ لفظاً ومعنى، مَلِكٌ زماناً ومَلِكٌ أواناً، أشعرُ الناسِ في المملكةِ وأشعرُهم في دُلِّ

- (١) راجع، فوق، ٢: ٥٤.
- (٢) الحوائم (التي تدوم في طيرانها في الجو). الوحش (الحيوان الذي يعيش بعيداً عن الناس، كالأسد والثعلب) والبهيمة (الحيوان الأليف كالبقرة والدجاجة).
- (٣) الشهوة: الرغبة. الأحداث جمع حدث (يفتح ففتح): الصغير السن. الحُدَاثِ: الجماعة يتحدثون (وهو جمع على غير قياس - راجع تاج العروس، الكويت ٥: ٢١٤).
- (٤) ... عمّا قبلها: عمّا سبقها (مثل كتاب كليله ودمنة، مثلاً).
- (٥) جاريته: جريت معه، رافقته في مسيره (هنا: خاطبته، ناقشته، باحثته).
- (٦) طبقتِه (الذين هم في المعرفة والمكانة مثله).
- (٧) الشُقَّة (بالضم): البعد، المسافة. الاستقصاء: ذكر الأشياء كلّها حتّى لا تترك منها شيئاً - أبعد شُقَّةً من (عن) الاستقصاء: يستحيل أن يحيط بها أحد.
- (٨) أعْنُتُكَ: ساعدتك (ذكرت لك). ذاكر لست في القاموس ولا في تاج العروس (المقصود: أتبادل الكلام معك في شيء ما). المذكور (المعروف الذي يكثر الناس ذكره).
- (٩) الضِّلِيل (امرؤ القيس) والقتيل (طرفة بن العبد) ولبيد (بن ربيعة) وعبيد (بن الأبرص) والعشُو جمع أعشى (وهم عدد من الشعراء (ميمون بن قيس الجاهلي أشهرهم) راجع أسماء نفر منهم في القاموس (٤: ٣٦٣).
- (١٠) ابن حمدان أبو فراس أو سيف الدولة. ابن عبدان خطأ (عبدان - بالياء التحتية بنقطتين - السقاء لقب والده. راجع ٢: ٤٥٨).

الملكة. وله الفخريات التي لا تُعارضُ والأسريات التي لا تُناهضُ.

وأما المُتنبّي فقد شُغِلَتْ به الألسُنُ وسَهَرَتْ في أشعاره الأعينُ. وكَثُرَ الناسُ لشعره والآخذُ لِذِكْرِهِ والغائصُ في بحره والمُفتشُ في قَعْرِه عن جُمانه ودُرّه. وقد طال فيه الخُلفُ وكَثُرَ عنه الكُشفُ. وله شِيعَةٌ تغلو في مَدْحِهِ، وعليه خوارجُ تنغايا في جَرَحِهِ. والذي أقولُ إنّ له حسناتٍ وسيئاتٍ، وحسناته أكثرُ عدداً وأقوى مدداً. وغرائبُه طائرةٌ وأمثاله سائرةٌ، وعلمه فسيحٌ وميزه صحيحٌ. يرومُ فيقْدِرُ، ويدري ما يُورِدُ ويضدِرُ.

... وأما ابن درّاج الأندلسيّ القسطليّ فشاعرٌ ماهرٌ عالمٌ بما يقولُ، تشهدُ له العقولُ بأنّه المؤخّرُ بالعصرِ المُتقدّمُ في الشعرِ. حاذقٌ بوضع الكلامِ في مواضعه، لا سيّما إذا ذكّرَ ما أصابه في الفِتنة وشكا ما دَهاه في أيامِ الحِنة. وبالجُملة فهو أشعرُ أهلِ مَغْرِبِهِ في أبعدِ زمانِهِ وأقربِهِ...

- وقال أبو عبد الله بنُ شرفٍ يَصِفُ أهلَ القَيروانِ وقد جَلَوْا عن القَيروانِ بعدَ أن هاجمها العرب (البدو) وخربوها:

تَرَحَّلَ عنها قاطنوها، فلا تَرى	سوى سائرٍ أو قاطنٍ وهو سائر ^(١) .
تَكشَفَتِ الأستارُ عنهم، ورُبّما	أُقيمتْ سُتُورٌ دونهم وستائر ^(٢) .
تَبَيَّتْ على فُرُشِ الحصى، وغطاؤها	دَوارسُ أَسْمالٍ زَواري حقائق ^(٣) .
فيا ليتَ شعرَ القَيروانِ مَواطِنِي،	أعائِدَةٌ فيها الليالي القصائر ^(٤) ؟
ويا رَوحَتِي بالقَيروانِ وبُكْرَتِي،	أراجِعةٌ رَوحاتِها والبواكر؟
كأن لم تكن أياًمنا فيك طَلَقَةٌ	وأوجهُ أياَمِ السُرورِ سوافر ^(٥) .

- (١) القاطن: الساكن في البلد أو المنزل. وهو سائر (راحل. مهاجر).
- (٢) انكشف عنه ستر (الله): افترض بين الناس وظهرت معائبه إلخ أقيمت ستور دونهم (كناية عن حفظ كرامتهم) وستائر (كناية عن احتجاجهم عن العامة لعلو منزلتهم).
- (٣) فرش (بضم فضم - وهنا بضم فسكون لضرورة الشعر). الحصى: صغار الحجار. السمل (بفتح ففتح): الثوب البالي المتهرئ. الدارس (المحوى): القديم المتهرئ. زوار جمع زارية (؟): تكسب صاحبها عيباً (؟).
- (٤) المواطن جمع موطن. قصائر جمع قصيرة.
- (٥) الوجه الطلق: البشوش، الضاحك، الفرح. والوجه السافر: المشرق، المضيء.

- وقال يَصِفُ لَيْلَةَ أُنْسٍ كَانَ الْمَطَرُ فِيهَا كَثِيراً وَالْبَرْدُ شَدِيداً:

وَلَقَدْ نَعِمْتُ بِلَيْلَةٍ جَمَدَ الْحَيَا فِي الْأَرْضِ فِيهَا، وَالسَّهْلُ تَذَوُّبٌ^(١).
جَمَعَ الْعِشَاءِينَ الْمُصَلِّي، وَانْزَوَى فِيهَا الرَّقِيبُ كَأَنَّهُ مَرْقُوبٌ^(٢).
وَالْكَأْسُ كَاسِيَةُ الْقَمِيصِ كَأَنَّهَا قَدْرًا وَلَوْنًا، مِفْصَمٌ مَخْضُوبٌ^(٣).
هِيَ وَرْدَةٌ فِي خَدِّهِ، وَبِكَاسِهَا الذِّ (م) دُرِّيٌّ مِنْهَا عَسَجَدٌ مَصْبُوبٌ^(٤).
مِنِّي إِلَيْهِ، وَمِنْ يَدَيْهِ إِلَى يَدَيَّ؛ فَالْشَّمْسُ تَطْلُعُ تَارَةً وَتَغِيبُ^(٥).

- ولابن شرف في نقد الشعر:

أَوَّلُ مَا عَلَيْهِ تَعْتَمِدُ وَإِيَّاهُ تَعْتَقِدُ أَلَّا تَسْتَعْجَلَ بِاسْتِحْسَانٍ وَلَا اسْتِقْبَاحٍ وَلَا
بِاسْتِبْرَادٍ وَلَا بِاسْتِمْلَاحٍ حَتَّى تُنْعِمَ النَّظَرَ وَتُسْتَخْدِمَ الْفِكْرَ. وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَجَلَةَ فِي كُلِّ
شَيْءٍ مُوَطِئٌ زَلُوقٌ وَمَرْكَبٌ زَهْوَقٌ^(١): فَإِنْ مِنَ الشَّعْرِ مَا يَمْلَأُ لَفْظُهُ السَّمْعَ (ثُمَّ لَا) يَرِدُ
عَلَى السَّمْعِ مِنْهُ (إِلَّا) قَعَاقُعُ. فَلَا يَدْعُكَ!!^(٢) شَاخَةٌ مَبْنَاهُ وَانْظُرْ إِلَى مَا فِي سُكْنَاهُ مِنْ
مَعْنَاهُ، فَإِنْ كَانَ فِي الْبَيْتِ سَاكِنٌ فَتِلْكَ (هِيَ) الْحَاسِنُ، وَإِنْ كَانَ خَالِيًا فَاعْدُدْهُ جَسْمًا
بَالِيًا.

وكذلك إذا سَمِعْتَ أَلْفَاظًا مُسْتَعْبِلَةً وَكَلِمَاتٍ مُبْتَدَلَةً فَلَا تَعَجَلْ بِاسْتِضْعَافِهَا؛ فَمَنْ
مِنْ مَعْنَى عَجِيبٍ فِي لَفْظٍ غَيْرِ غَرِيبٍ. وَالْمَعَانِي هِيَ الْأَرْوَاحُ، وَالْأَلْفَاظُ هِيَ الْأَشْبَاحُ؛
فَإِنْ حَسَنًا فَذَلِكَ الْحَظُّ الْمَدْحُوحُ، وَإِنْ قَبِيحًا أَحَدُهَا فَلَا يَكُنِ الرُّوحُ!

-
- (١) الحيا: المطر. السماء (الغيوم) تذوب (تسقط ماء).
(٢) جمع العشاءين (صلاة المغرب وصلاة العشاء) لشدة البرد (كيلا يصلحها يوضوءين (٤)). انزوى: جلس بعيداً في زاوية. الرقيب: الحارس (المكلف بمراقبة الناس) كأنه مرقوب (كأن أحداً يراقبه).
(٣) والكأس كاسية القميص: جدت حولها (أو فيها) نقط الخمر فكأنها (ببياض زجاجها معصم امرأة ببيضاء جميلة وبلون الخمر فيها مخضوبة بالحناء).
(٤) الدُرِّي: الذي يشبه الدر (اللؤلؤ): الأبيض. المسجد: الذهب.
(٥) الشمس (كناية عن الخمر). تطلع تارة (مرة) تصب في الكأس. وتغيب (تسكب في أفواهنا: نشرها).
(٦) زلوق: تزلق فيه قدم السائر. زهوق: زائل (٢).
(٧) القمقعة: الصوت (الذي لا فائدة منه). يدعك (كذا في الأصل)، ولعلها: يركع (بفتح ضم فسكون): يحفك، يعبك.

- وقال في عودِ (الآلة الموسيقية المعروفة):

سَقَى الله أرضاً أَنْبَتَتْ عودَكَ الذي زَكَّتْ منه أغصانٌ وطابتْ مَغارِسُ؛
تَغْنَى عليه الطيرُ وَهِيَ رَطِيبةٌ، وَغَنَى عليها الناسُ والعودُ يابسُ! (١).

٤ - أعلام الكلام (نشره حسن حسني عبد الوهاب) دمشق ١٩١٢؛ (الرسائل النادرة - جمعها عبد العزيز أمين الخانجي)، القاهرة (مكتبة الخانجي) ١٣٤٤ هـ = ١٩٢٦ م.
- رسالة الانتقاد (نشرها حسن حسني عبد الوهاب)، تونس ١٣٣٠ هـ، = مسائل الانتقاد (نشرها شارل بلا)، الجزائر ١٩٥٣ م = (في مجموعة الرسائل النادرة) (أنظر الكتاب السابق).

★ ★ الصلة ٥٧١؛ الذخيرة ٢: ٦٤١ - ٦٤٣، ٤: ١٦٩ - ٢٤٥؛ الخريدة (الأندلس) ٢: ١١٠ - ١٢١؛ الخريدة (المغرب) ٢: ٢٢٤ - ٢٣٠؛ معجم الأدباء ١٩: ٣٧ - ٤٣؛
الوفاي بالوفيات ٣: ٩٧ - ١٠١، فوات الوفيات ٢: ٢٥٥ - ٢٥٦؛ المغرب ٢: ٢٣ - ٢٣٢؛ المطرب ٦٦ - ٧١؛ جيش التوشيح ٩٧ - ١٠٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٣٦؛ بروكلمن ١: ٣١٥، الملحق ١: ٤٧٣، الجمل في تاريخ الأدب التونسي ١٥٠ وما بعد؛ عنوان الأريب ١: ٥٦ - ٥٧؛ الأعلام للزركلي ١٠: ١٠٠ (٦: ١٣٨)؛ تاريخ النقد لعباس ٤٦٠ - ٤٦٩؛ العربي (الكويت) ١١/١٩٦٥، ص ٤٨.

أبو حفص الهوزني

١ - هو أبو حفص عُمَرُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُمَرَ الهَوْزَنِيُّ من بيت كبير مشهور كانت إليه زعامة إشبيلية قبل دولة بني عبّاد.

وُلِدَ أبو حفص الهوزني في رَجَبٍ من سَنَةِ ٣٩٢ (أواخر الربيع من عام ١٠٠٢ م). وقد روى الهوزني عن نفرٍ من العلماء منهم أبو القاسم بن عصفور وأبو عبد الله الباجي وأبو محمد الشنتجالي.

لَمَّا خَلَفَ عبّادُ الْمُعْتَصِدُ أباه محمداً في الاستبداد بإشبيلية سنة ٤٣٤ هـ، كان الهوزنيُّ ظاهرَ الرئاسة في إشبيلية رفيع المكانة فيها. وسرعان ما ثَبَّتَ الْمُعْتَصِدُ حُكْمَهُ في إشبيلية فخاف الهوزنيُّ مَغَبَّةَ ذلك على نفسه واستأذَنَ الْمُعْتَصِدَ بالذهاب إلى الحج.

(١) كان هذا العود (آلة الطرب) من قبل غصناً أخضر تنغنى عليه الأطيّار. وبعد أن يبس صنع الناس منه عوداً (آلة طرب) يغنون عليها.

وفي سَنَةِ ٤٤٠ هـ (١٠٤٩ م) رَحَلَ الهُوزِيُّ إِلَى المَشْرِقِ فزار مِصرَ ثُمَّ تابع طريقه إلى مَكَّة. وفي أَثناء رَحْلته التي دامت بِضْعَ عَشْرَةِ سَنَةٍ، فيما يبدو، سَمِعَ «صحيح البخاري» (وقيل: «سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ»). فَلَمَّا عاد إلى الأندلس، قبل ٤٥٦ هـ، استأذَنَ المعتضدَ في سُكْنَى مُرْسِيَّةَ وجعل يُحَدِّثُ بِصحيحِ البُخاري، إذ هو أَوَّلُ من أدخل هذا الكتابَ إلى الأندلس. ثُمَّ إِنَّ المعتضدَ حاسَنَ الهُوزِيَّ وسأله أن يَرْجِعَ إلى اشبيلية، فرجعَ إلى اشبيلية ففَوَّضَ إليه المعتضدُ شَيْئاً من أمور الدولة.

ولَمَّا اطْمَأَنَّ الهُوزِيُّ في اشبيلية غَدَرَ به المعتضدُ وقتله في قصره بيده، في مُنتصف ربيعِ الآخِرِ (في الأغلب) من سَنَةِ ٤٦٠ (أواخرِ شباط - فبراير ١٠٦٨ م).

٢- كان أبو حفصِ الهُوزِيُّ مُتَفَنِّناً في علومٍ كثيرةٍ قد نال من كُلِّ علمٍ منها قِسْطاً وافراً، كما كان كثيرَ الذكاءِ ثاقِبَ الذهنِ صحيحَ الرأي دقيقاً في معارفه. وقد اشتهرَ بالحديثِ، ولكنه كان مجيداً للنثر والنظم أيضاً.

٣- مختارات من آثاره

- لَمَّا استولى الإسبانُ على حُصْنِ برُبُشتَر (أو ببشتر)، سَنَةِ ٤٥٦ هـ، كتب أبو حفصِ الهُوزِيُّ من مُرْسِيَّةَ إلى المعتضدِ بن عبادٍ رسالةً يحضُّه فيها على الجهاد، منها:

أَعْبَادُ، جَلَّ الرَّؤْيُ والقَوْمُ هُجِعُ عَلَى حَالِهِ مِنْ مِثْلِهَا يُتَوَقَّعُ^(١).
فَلَقِيَ كِتَابِي مِنْ قَرَاغِكِ سَاعَةً. وَإِنْ طَالَ، فَاَلْمَوْصُوفُ لِلطَّوْلِ مَوْضِعُ^(٢).
إِذَا لَمْ أَبْتَ الدَّاءَ رَبِّ شِكَايَةٍ أَضْفَعْتُ؛ وَأَهْلُ لِلْعَلَامِ الْمُضِيعُ^(٣).

وما أخطأ السبيلَ من أتى البيوتَ من أبوابِها، ولا أرجأ الدليلَ من أناطِ الأمور بأربابِها^(٤). وَلَرُبَّ أَمَلٍ بَيْنَ أَثْنَلِكِ المَهاذِيرِ مُدْمَجٌ، ومُحِبُّوبٍ فِي طَيِّ المَكارِهِ مُدْرَجٌ^(٥).

- (١) هَجَعَ جمع هاجع: نائم. يتوقع (ينتظر الخطر أو الهلاك).
- (٢) اجعل لرسالتى ساعة وإن كانت رسالتى طويلة. الموصوف (في رسالتى) الخطر من استيلاء الإسبان على حصن ببشتر موضع (أي يستحق) للطول.
- (٣) أبْتُ: أظهر، أذكر (أشكو الحزن الذي ي). رب (صاحب) شكاية (القدرة على إزالة الشكوى).
- (٤) أناط (علّق) الأمور بأربابها (أصحابها، القادرين على معالجتها).
- (٥) قد يكون الأمل (رجاء الخير) في المهاذير (جمع محذور: ما يخاف الناس منه) مدمج (موضوع، مدخل). مدرج (مدخل).

فانتَهزُ فُرْصَتَهَا فَقَدْ بَانَ مِنْ غَيْرِكَ الْعَجْزُ، وَطَبَّقَ مَفَاصِلَهَا فَقَدْ أُمَكَّنَكَ الْحَزَّ^(١). وَلَا غَرَوُ أَنْ يُسْتَمْطَرَ الْغَمَامُ فِي الْجَذْبِ وَيُسْتَسْحَبَ الْحُسَامُ فِي الْحَرْبِ.

٤-★★ الذخيرة ٢: ٨١ - ٩٤؛ الصلة ٣٨١ (رقم ٨٦٣)؛ المغرب ١: ٢٣٤ - ٢٣٥؛ نفح الطيب ٢: ٩٣ - ٩٤؛ الأعلام للزركلي ٥: ٢٠١؛ (٤٤)؛ نيكل ١٣٤.

أبو اسحاق الإلبيري

١- هو الاستاذُ (نفح الطيب ٤: ٣١٧) أبو اسحاق إبراهيم بن مسعود بن سعيد التُّجَيْبِيُّ الْغَرْنَاطِيُّ الْإِلْبِيرِيُّ، نَعْرِفُ مِنْ حَقَائِقِ حَيَاتِهِ أَنَّهُ كَانَ عَرَبِيَّ الْأَصْلِ وَأَنَّ أَوَّلَ أَهْلِهِ مِنْ سَرَقُطَّةَ، كَمَا يُدَلُّ لِقَبِّهِ «التُّجَيْبِيُّ»؛ ثُمَّ إِنَّهُ كَانَ تَلْمِيزَ الْفَقِيهِ الشَّاعِرِ ابْنِ أَبِي زَمَنِينَ (ت ٣٩٨ هـ).

كَانَ أَبُو إِسْحَقَ هَذَا يَسْكُنُ غَرْنَاطَةَ فِي أَيَّامِ بَادِيْسَ بْنِ حَبَّوْسٍ (٤٣٠ - ٤٦٦ هـ) وَلَمْ يَدْرِكْ عِنْدَ بَادِيْسَ الْحُطُوءَ وَلَا الْمَكَانَةَ الَّتِي كَانَ يَرْجُوهَا. وَكَانَ لِبَادِيْسَ وَزِيرٌ يَهُودِي اسْمُهُ إِسْمَاعِيلُ (صُمُوئِيل) بْنُ النَّغْدَلَةِ (ت ٤٤٧ هـ = ١٠٥٥ م) - وَالنَّغْدَلَةُ تَحْرِيفٌ مِنْ «النَّاجِدِ» بِمَعْنَى «الرَّئِيسِ» - فَاسْتَوَلَى عَلَى الْأُمُورِ. ثُمَّ خَلَفَهُ فِي الْوِزَارَةِ ابْنُ لَهُ اسْمُهُ يُوسُفُ فَزَادَ اسْتِبْدَادُهُ بِأُمُورِ الدَّوْلَةِ. وَكَانَ لِبَادِيْسَ ابْنٌ اسْمُهُ بُلْقَيْنُ يُرَشِّحُهُ بَادِيْسُ لِلْمَلِكِ مِنْ بَعْدِهِ. وَضَاقَ بُلْقَيْنُ بِاسْتِبْدَادِ يُوسُفَ بْنِ صُمُوئِيلَ فَجَعَلَ يَحْضُ أَبَاهُ عَلَى الاسْتِغْنَاءِ عَنْهُ. عَلِمَ يُوسُفُ بِذَلِكَ فَدَبَّرَ اغْتِيَالَ بُلْقَيْنِ. وَلَمَّا انْكَشَفَ أَمْرُ الْاِغْتِيَالِ زَعَمَ يُوسُفُ أَنَّ نَفَرًا مِنْ خَدَمِهِ وَجَوَارِيهِ فَعَلُوا ذَلِكَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ وَارَادَتْهُ فَقَامَ بَادِيْسُ بِقَتْلِ جَمَاعَاتٍ مِنَ الْيَهُودِ (بِتَحْرِيزٍ مِنْ يُوسُفَ). غَيْرَ أَنَّ نَفُوذَ يُوسُفَ اِزْدَادَ كَثِيرًا.

وَكَانَ أَبُو إِسْحَقَ الْإِلْبِيرِيُّ مِمَّنْ يَحْضُ بَادِيْسَ وَبَنِي صِنَهَاجَةَ، قَوْمَ بَادِيْسَ، وَأَهْلَ غَرْنَاطَةَ كُلَّهُمْ عَلَى الْفَتَكِ بِالْيَهُودِ. وَاسْتَطَاعَ يُوسُفُ أَنْ يَحْمِلَ بَادِيْسَ عَلَى أَنْ يُخْرِجَ أَبَا إِسْحَقَ الْإِلْبِيرِيَّ مِنْ غَرْنَاطَةَ. فَذَهَبَ أَبُو إِسْحَقَ إِلَى الْبِيرَةِ وَعَاشَ فِي دَارٍ عَلَى

(١) طبق الفصل (الوصلة بين عظمين) : أحسن القطع. (تدبير الأمور) . الحز : القطع.

إحدى التلال عيشة الزهد والتصوّف. وهناك نظم قصيدة في الحَضّ على الفتك باليهود وسَرَدَ فيها جميع التهم الموجهة إليهم وَذَكَرَ جميع الصور التي كان استبدادهم بالمسلمين يجري فيها. وأثرت هذه القصيدة في أهل غرناطة فثاروا على اليهود فيها وقتلوا منهم مَقْتَلَةً عظيمة (قيل ثلاثة آلاف) وقُتِلَ في هذه المَعْرَكَةِ (تاسع صَفَرٍ من سَنَةِ ٤٥٩ = ١٠٦٦/١٢/٣٠ م) يوسفُ بنُ النَغْدَلَةِ نفسه. وفي «أعمال الأعلام» (ص ٢٣٣) أنّ هذه المعركة كانت سَنَةَ ٤٦٩ أو ٤٦٥.

ويبدو أن وفاة أبي اسحاق الإلبيري كانت بعد ذلك بُدَّةً يسيرة، بعد أن تقدّمت به السَّنُّ كثيراً.

٢- كان أبو اسحق الإلبيري فقيهاً ومُحدِّثاً بارعاً في علم الحديث. وكذلك كان شاعراً وجذانياً مُحَسِّناً يُغَرِّمُ أحياناً بالصناعة وبالجناس خاصةً ويتكلّم عن الحب بتعابير الحرب والقتال، ولكن على نهج بدوي لا في سبيل الإثارة الجنسية. وأكثر شعره في الزهد والتصوّف والحكم تغلب عليه العاطفة الدينية وشيء من التشاؤم. على أن شهرته قائمة على القصيدة التي يحضّ فيها باديس بن حبّوس وقومه صنهاجة على الفتك باليهود. وهي قصيدة سهلة التركيب واضحة المعاني مملوءة بالصور المثيرة للنخوة والإباء من طريق المقارنة.

٣- مختارات من شعره

- قال أبو اسحاق الإلبيري يُحَرِّضُ باديس بن حبّوس وقومه صنهاجة على الفتك باليهود:

ألا قُلْ لِصِنْهَاجَةٍ أَجْمَعِينَ	بُدُورِ الزَّمَانِ وَأُسْدِ الْعَرِينِ
مَقَالَةَ ذِي بَيْقَةِ مُشْفِي	يَعُدُّ النَصِيحَةَ زُلْفَى وَدِين ^(١) :
لَقَدْ زَلَّ سَيِّدُكُمْ زَلَّةً	تَقَرُّ بِهَا أَعْيُنُ الشَّامَتِينَ.
تَخَيَّرَ كَاتِبَهُ كَافِرًا؛	وَلَوْ شَاءَ كَانَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ^(٢) .

(١) زلفى: تقرّبا (إلى الله). دين: يأمر بها الدين.

(٢) الكاتب: الوزير.

فَعَزَّ الْيَهُودُ بِهِ وَانْتَخَوْا
فَكَمْ مُسْلِمٍ رَاغِبٍ رَاهِبٍ
أَبَادِيْسُ، أَنْتَ امْرُؤٌ حَازِقٌ
كَيْفَ خَفِي عَنْكَ مَا يَعْثُونَ
وَكَيْفَ نُحِبُّ فِرَاحَ الزَّنا
وَكَيْفَ يَتِمُّ لَكَ الْمُرْتَقَى
فَلَا تَتَّخِذْ مِنْهُمْ خَادِمًا،
فَقَدْ ضَجَّتْ الْأَرْضُ مِنْ فِسْقِهِمْ
وَإِنِّي حَلَلْتُ بِغَرْنَاطَةٍ
وَقَدْ قَسَمُوهَا وَأَعْمَالَهَا
وَهُمْ يَقْبِضُونَ جَبَايَاتِهَا،
وَهُمْ يَلْبَسُونَ رَفِيعَ الْكِسَا
وَهُمْ أَمْنَاكُمْ عَلَى سِرِّكُمْ،
وَيَأْكُلُ غَيْرُهُمْ دَرَاهِمًا
وَقَدْ نَاهَضُوكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ
وَهُمْ يَذْبَحُونَ بِأَسْوَاقِنَا،
وَرَخْمٌ قَرَدُهُمْ دَارَهُ
وَصَارَتْ حَوَائِجُنَا عِنْدَهُ،
وَيُضْحِكُ مِنَّا وَمِنْ دِينِنَا.
وَلَوْ قُلْتُ فِي مَالِهِ إِنَّهُ
فَبَادِرْ إِلَى ذَبْحِهِ قُرْبَةً
وَلَا تَرْفَعْ الضَّغْطَ عَنْ رَهْطِهِ

وتاهوا، وكانوا من الأردلين.
لأردلٍ قِرْدٍ من المُشركين.
تُصِيبُ بِظَنِّكَ نَفْسَ الْيَقِينِ،
وَفِي الْأَرْضِ تُضْرَبُ مِنْهَا الْقُرُونُ^(١)؟
وَقَدْ بَغَضُوكَ إِلَى الْعَالَمِينَ؟
إِذَا كُنْتَ تَبْنِي وَهُمْ يَهْدُمُونَ؟
وَذَرَّهُمْ إِلَى لَعْنَةِ اللَّاعِنِينَ^(٢).
وَكَادَتْ تَمِيدُ بِنَا أَجْمَعِينَ.
فَكُنْتُ أَرَاهِمُ بِهَا عَابِثِينَ،
فَمِنْهُمْ بَكْلٌ مَكَانَ لَمِينِ.
وَهُمْ يَخْضِبُونَ وَهُمْ يَقْضِبُونَ^(٣).
وَأَنْتُمْ لِأَوْضَعِهَا لَا بَسُونَ.
وَكَيْفَ يَكُونُ أَمِينًا خَوْونٌ؟
فَيُقْصَى، وَيُدَنُونَ إِذْ يَأْكُلُونَ.
فَمَا يُنْمَعُونَ وَمَا يُنْكَرُونَ^(٤).
وَأَنْتُمْ لِإِطْرِيفِهِمْ أَكْلُونَ^(٥).
وَأَجْرِي إِلَيْهَا نَمِيرَ الْعَمِيونَ^(٦).
وَنَحْنُ عَلَى بَابِهِ قَائِمُونَ.
فَأِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاجِعُونَ.
كَمَالِكَ كُنْتُ مِنَ الصَّادِقِينَ.
وَضَحُّ بِهِ فَهُوَ كَبِشٌ سَمِينِ.
فَقَدْ كَنْزُوا كُلَّ عِلْقٍ ثَمِينِ^(٧).

(١) وفي الأرض تضرب منها القرون: (٢).

(٢) الخادم: الكاتب (الوزير).

(٣) الخضم: أكل الشيء الطري. القضم: أكل الشيء اليابس - يأكلون الأخضر واليابس.

(٤) ناهضوكم إلى ربكم: قاوموكم وحلّوكم على ما يفضب ربكم. ما ينكرون: لا ينكر عليهم أحد ما يفعلون.

(٥) الإطريف: الطريف (بأماله الياء): اللحم الذي به عانة (كالمرض في الذبيحة والنقص في أعضائها).

واليهود لا يأكلون مثل ذلك اللحم).

(٦) رخم داره: فرشها (بَلَطَهَا) بالرخام (البلاط الأبيض الثمين). النمير (الماء) الحلو.

(٧) العلق: الشيء النفيس.

وفرق عُراهم وخذ مالهم،
ولا تحسبن قتلهم غدرًا؛
فقد نكثوا عهدنا عندهم،
وكيف تكون لنا همة
ونحن الأذلّة من بينهم،
فلا ترضّ فينا بأفعالهم
وراقب إلهك في حزبه،
فأنت أحقّ بما يجمعون.
بل الغدرُ قى تتركهم يعبثون.
فكيف نلأ على الناكثين؟
ونحن خمول وهم ظاهرون؟
كأنّا أسانّا وهم مُحسِنون.
فأنت رهينٌ بما يفعلون.
فحزبُ الإله هم المُفلحون!

- في نفح الطيب (٣: ٤٩١): لما مرّضَ الفقيهُ الزاهدُ أبو اسحاقَ ابراهيمَ الإلبيريَّ دَخَلَ عليه الوزيرُ أبو خالدٍ هاشمُ بنُ رجاءٍ فرأى ضيقَ مَسْكَنِهِ فقال: «لو اتَّخَذْتَ غيرَ هذا المَسْكَنِ لكان أولى بك». فقال (أبو اسحاق)، وهو آخرُ شعرٍ قاله:

قالوا: ألا تستجيدُ بيتاً
فقلتُ: ما ذلِّكم صواباً؛
لولا شتاءٌ ولَفَحَ قَيْظُ
ونِسوةٌ يَبْتَغِينَ سِتْراً،
تَفَجَّبَ من حُسْنِهِ البيوتُ!
عُشٌّ كثيرٌ لِمَنْ يَموتُ.
وخوفٌ لِمَنْ وَحِيفُ قوتِ^(١)
بَنَيْتُ بُنيانَ عَنكَبوتِ.
- وقال يلومُ الشيوخَ المتصايين، وفيها كِنَاياتٌ بارعةٌ مملوحةٌ:

الشيبُ نَبَّهَ ذا النُهَى فتنَّبَها،
فإلى متى ألهو وأخدعُ بالمتى؛
ما حُسْنُهُ إِلَّا التقي، لا أن يُرى
أَنِّي يُقَاتِلُ، وهو مَفْلُولُ الشبا
ونَهَى الجَهولَ فما استفاقَ ولا انْتَهَى.
والشيخُ أقبَحُ ما يكونُ إذا لها^(٢).
صَبّاً بِالْحَاطِظِ الجَاذِرِ والمها^(٣).
كأبي الجوادِ، إذا استَقَلَّ تَأَوَّها^(٤).
أَبْقَى له منه على قَدَرِ السُّها^(٥)؛
مَحَقَّ الزمانُ هِلَالَه فكأنما

(١) لفعت النار بجرّها (أحرقت). القَيْظُ: الحرّ الشديد.

(٢) لها يلهو (انصرف إلى اللهو).

(٣) الجَاذِرُ جمع جَوْدَرٍ (الغزال الصغير) والمها جمع مِهاة (بقرة الوحش: نوع من الغزلان).

(٤) في هذا البيت كناية لو صرّح بها لكانت قبيحة جداً. الشبا جمع شِباة (حدّ السيف). مَفْلُولٌ = مَقْلَلٌ: كَالٌ (لا يقطع). كابي (ساقط على وجهه، لا يستطيع أن يقف ثابتاً) الجواد (الحصان). استَقَلَّ: بدأ سيره، ركب. تَأَوَّه: تحسّر.

(٥) محق نوره (بالبناء للمجهول) ذهب نوره (كما يكون القمر في آخر الشهر). السها: نجم صغير في بنات نعش مجاور لنجم آخر لا يكاد يراه إلا من كان بصره حديداً (صحيحاً قوياً).

فعدا حَسِيراً يَشْتَهِي أَنْ يُشْتَهَى؛ فَقَدَ الْإِدَاتِ، وَزَادَ غِيّاً بَعْدَهُمْ.
يَا وَيْحَهُ! مَا بَالُهُ لَا يَنْتَهِي
وَلَكُمْ جَرَى طَلَقَ الْجَمُوحِ كَمَا اشْتَهَى^(١).
هَلَّا تَيَقَّظَ بَعْدَهُمْ وَتَنَبَّهَ^(٢)!
عَنْ غِيَّهِ، وَالْعَمْرُ مِنْهُ قَدِ انْتَهَى؟

- وَقَالَ فِي إِقْبَالِ الدُّنْيَا وَإِدْبَارِهَا:

خَلِيلِي عَوْجًا بِي عَلَى مَسْقَطِ اللَّوَى
فَأَسْأَلُ عَنْ لَيْلٍ تَوَلَّى بِأُنْسِنَا
لَيْلِي إِذْ كَانَ الزَّمَانُ مَسَالِيًا
وَإِذْ كُنْتُ أُسْقَى الرَّاحَ مِنْ كَفِّ أَغْيَدٍ
أُعَانِقُ مِنْهُ الْفَصْنَ يَهْتَرُ نَاعِمًا
وَقَدْ ضَرَبَتْ أَيْدِي الْأَمَانِ قِبَابَهَا
فَمَا شُتَّ مِنْ لَهْوٍ وَمَا شُتَّ مِنْ دَدٍ
وَمَا شُتَّ مِنْ عُودٍ يَغْنِيكَ مُفْصِحًا
وَلَكِنَّهَا الدُّنْيَا تُخَادِعُ أَهْلَهَا
لَعَلَّ رَسُومَ الدَّارِ لَمْ تَتَغَيَّرَا^(٣)
وَأَنْدُبَ أَيَّامًا تَقْضَتْ وَأَغْصَرَا.
وَإِذَا كَانَ غَصْنُ الْعَيْشِ قَيْنَانِ أَخْضَرَا^(٤)،
يَنَاوِلْنِيهَا رَائِحًا وَمُبَكَّرًا^(٥).
وَالثَّمُّ مِنْهُ الْبَدْرُ يَطْلُعُ مُقْمِرًا.
عَلَيْنَا، وَكَفَّ الدَّهْرُ عَنَّا وَأَقْصَرَا^(٦).
وَمِنْ مَبْسَمٍ يُجْنِيكَ عَذَابًا مُؤْشَرًا^(٧).
(سَمَا لَكَ شَوْقٌ بَعْدَ مَا كَانَ أَقْصَرَا)^(٨).
تَغُرُّ بِصَفْوٍ وَهِيَ تَطْوِي تَكْدُرَا.

(١) فِي هَذَا الْبَيْتِ كُنَايَةٌ لَوْ صَرَحَ بِهَا لَكَانَتْ أَيْضًا قَبِيحَةً جَدًّا. الْحَسِيرُ: الضَّعِيفُ الْبَصَرِ. وَحَسِرَ الْبَصِيرُ: ضَعُفَ وَتَعَبَ. وَحَسِرَ الرَّجُلُ: تَلَهَّفَ (أَرَادَ شَيْئًا وَعَجَزَ عَنْهُ)، أَعْيَا: تَعَبَ فَانْقَطَعَ (عَنِ الْمَشْيِ، أَوِ الْعَمَلِ أَوِ الْقِيَامِ). يَشْتَهِي (يُرِيدُ، يَرْغَبُ) أَنْ يَشْتَهَى (بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ): يَعَامَلُ مَعَامَلَةَ الْأَثَى. طَلَقَ: غَيْرَ مُقَيَّدٍ. الْجَمُوحُ: اسْتِبْدَادُ الْفَرَسِ بِرَاكِبِهِ لِنَشَاطِهِ وَقُوَّتِهِ.

(٢) اللَّدَّةُ (بِكسر فَفَتْح): التَّرْبُ (بِكسر التَّاء) مَنْ كَانَ فِي مِثْلِ سَنَكٍ. وَاللَّدَّةُ وَالتَّرْبُ تَقَالَانِ لِلذَّكُورِ وَاللِّإِنَاثِ.

(٣) عَاجٌ: مَالٌ. مَسْقَطُ اللَّوَى (وَرَدَ فِي مَعْلَقَةِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ «سَقَطَ اللَّوَى»). لَمْ تَتَغَيَّرَا = لَمْ تَتَغَيَّرِ

(قَلْبَتِ نَوْنُ التَّوَكِيدِ الْخَفِيفَةُ أَلْفًا).

(٤) قَيْنَانُ: مَمْتَدُّ (الْقَيْنَانُ ذُو الشَّعْرِ الْحَسَنِ الطَّوِيلِ).

(٥) الْأَغْيَدُ النَّاعِمُ اللَّيْنُ (الْجَمِيلُ). رَائِحًا (فِي الرِّوَاكِ: الْمَسَاءِ).

(٦) ضَرَبَتْ أَيْدِي الْأَمَانِ عَلَيْنَا قِبَابَهَا: حَتَمْنَا، جَعَلْتَنَا آمِنِينَ.

(٧) الدَّدُ: اللَّهْوُ. مَبْسَمٌ (فَم) يُجْنِيكَ (يُعْطِيكَ، يَقْدِمُ لَكَ) عَذَابًا (حَلَوًا، أَيْ رِيْقًا حَلَوًا) مُؤْشَرًا (مَعْطَطًا) حِينَا تَكُونُ الْأَسْنَانُ لَصْفِيرٍ فِي السَّنِّ وَتَكُونُ صَحِيحَةً وَنَظِيفَةً يَبْدُو عَلَيْهَا تَأْثِيرُ (أَيِ خَطُوطِ).

(٨) الْعَجَزُ (بِفَتْحٍ فَضْمٍ) لَامْرِئِ الْقَيْسِ - تَجَدَّدَ فِي نَفْسِهِ شَوْقٌ (إِلَى اللَّهْوِ) بَعْدَ أَنْ كَانَ قَدْ تَرَكَ (اللَّهْوَ) مَدَّةً.

لقد أوردتني بعد ذلك كله
وكم كابدت نفسي لها من مُلَمَّة
خليلي ما بالي على صدق عزمي
ووالله ما أدري لأيّ جريمة
ولم أك عن كَسْبِ المكارم عاجزاً
لئن ساء تمزيقُ الزمان لدولتي
وأيقظَ من نوم الغرارة نائماً
- وقال في حال الدنيا:

تمرُّ لِدَاقِي واحداً بعد واحدٍ
وأَحِلُّ موتاهم وأشهُدُ دَفَنَهُم
فها أنا في علمي بهم وجهالتي
- وقال، وفيه شيء من الفخر:

ذروني أَجُبْ شرق البلاد وغربها
فلستُ ككلبِ السوء يُرضيه مَرَبَضٌ
تحوم لكيما يُذَرِكُ الحصبَ حَوْمُها
وكنتُ إذا ما بلدةٌ لي تنكَّرتُ
لأشفي نفسي أو أموتَ بدائي^(١).
وعَظُمُ، ولكنِّي عُقَابُ ساء،
أمامَ أمامٍ أو وراءَ وراء.
شدتُ إلى أخرى مطيَّ إبائي^(٢)،

-
- (١) المورد: مكان شرب الماء. المصدر: الرجوع عن الماء (بعد الشرب أو بعد للتزود بالماء).
(٢) المِلَمَّة: النازلة، المصيبة. طرفي: بصري (عيني). الأسي: الحزن.
(٣) النيل (العتا)، أنيل (اعطي أنا).
(٤) كما أن ذهاب الملك عني قد ساء في من جانب فإنه من الجانب الآخر قد علمني أن أتعظ بأحداثه.
(٥) الغرارة: الغفلة وحادثة السن. الوري: مجموع البحر.
(٦) تمر (تموت).
(٧) يرنو: ينظر يتطلع. مستيقظ يرنو بمقلة (عين) راقد (نائم): يرى بعينه من غير أن يعرف ما يرى.
(٨) ذر: دع. جاب: طاف.
(٩) المطي: ما يركبه الإنسان من الحيوان للانتقال من مكان إلى آخر. الإباء: الترفع عن الأمور الدنية.

وسرتُ ولا ألوي على متعذّر وصممت لا أصغي إلى النصحاء^(١)،
كشمس تبَدَّت للعيون بمشرق صباحاً، وفي غرب أصيل مساء.

٤ - ديوان أبي اسحاق الإلييري (تحقيق ايليو غرسيه غومس)، مدريد، غرناطة ١٩٤٤ م،
الطبعة الثانية ١٩٥١ - ١٩٦٥ ؟

★★ بغية الملتبس. ٢١، نفع الطيب ٣: ٤٩١، ٤: ٨٦، ١١٢ - ١١٣، ٣٢٢، ٣٤٥ - ٣٤٦،
دائرة المعارف الإسلامية ١: ١٣٠، بروكلمن، الملحق ١: ٤٧٩ - ٤٨٠، نيكل
١٩٧ - ٢٠٠، مختارات نيكل ١٣٨ - ١٤٦، م ع ٤٩: ١، ص ٢١ - ٣٣، الأعلام
للزركلي (١٩٧٩ م). ١: ٧٣ - ٧٤.

ابن مَقانا

١ - هو أبو زيد عبد الرحمن بن مَقانا القَبْدَاقِي - نسبة إلى قرية القَبْدَاق من
ساحل شَنْتَرَة (الذخيرة ٢: ٧٨٧) - الأَشْبُونِي البَطْلَيْوْسِي من سَكَّان بَطْلَيْوْس، ويبدو
أنَّ أصله من القَبْدَاق في غربي الأندلس. بدأ ابن مَقانا حياته بالتكسب بالشعر: مدح
المُعْتَدِّ بالله المروائي آخر خلفاء قُرْطُبَة (٤٦٤ - ٤٢٨ هـ) ومُنْذِر بن يَحْيَى التُّجَيْبِي
صاحب سَرَقِسطَة (ت ٤٣٠ هـ) ومُجَاهِداً العامري (ت ٤٣٦ هـ) وإدريس بن يَحْيَى
صاحب مَالِقَة الملقَّب بالعالي بالله، وقد تولَّى الإمارة مرتين من سَنَة ٤٣٤ إلى سَنَة
٤٣٨ ثم من سنة ٤٤٥ إلى سنة ٤٤٦. وارتفعت مكانة ابن مَقانا فتولَّى القضاء في
بَطْلَيْوْس (راجع الحلة السراء ٢: ٩٩).

وبلغ ابن مَقانا أُسْدَةً نحو سَنَة ٤٣٨ (١٠٤٦ م). وفي أواخر حياته عاد إلى موطنه
في القَبْدَاق ثم كانت وفاته في مطلع النصف الثاني من القرن الخامس (في النصف
الثاني من القرن الحادي عشر للميلاد)، في الأغلب.

٢ - ابن مَقانا أديبٌ وشاعرٌ مُحْسِنٌ مُجِيد، وقد اشتهر بقصيدته النونية التي مدَحَ
بها إدريس بن يَحْيَى، وهي قصيدة حَسَنَة مُشْرِقة فصيحة الألفاظ صحيحة التراكيب

(١) لا ألوي (لا ألتفت، لا أهتم بـ). المتعذّر: الذي يتنصّل من الذنب (المقصود: الذي يلوم). صم: قصد، تقدّم، تابّر.

عَذْبَةُ التِّلَاوَةِ يَكْثُرُ فِيهَا الْاِقْتِبَاسُ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. وَفَنُونَ شِعْرِهِ الْمَدِيحُ وَالْعِتَابُ وَالْوَصْفُ. وَكَانَ ابْنُ مَقَانَا فِي أَوَّلِ حَيَاتِهِ الْأَدَبِيَّةِ أَجُودَ شِعْراً مِنْهُ بَعْدَ كَهُولَتِهِ.

٣ - مختارات من شعره

- قال ابن مقانا يمدح العالي بالله إدريس بن يحيى بن حمود (٤٣٤ - ٤٣٨ هـ).

أَلْبَرَقِ لَاحَ لِي مِنْ أُنْدَرَيْنِ ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ بِالْمَاءِ الْمَعِينِ؟^(١)
لَعَبَتْ أَسْيَافُهُ عَارِيَةً كَمْخَارِيقَ بِأَيْدِي لَاعِبِينَ^(٢).
وَأَنَا جِي فِي الدُّجَى عَاذِلْتِي: وَيك! لَا أَسْمَعُ قَوْلَ الْعَاذِلِينَ^(٣).
عَيَّرْتَنِي بِسَقَامٍ وَضَنَى؛ إِنَّ هَذِينَ لَزَيْنُ الْعَاشِقِينَ^(٤).
اسْقِنِيهَا مُرَّةَ مَشْمُولَةٍ لَبِثْتُ فِي دَنْهَا بِضَعِ سِنِينَ^(٥).
مَعَ فِتْيَانِ كِرَامٍ نُجُبٍ يَتَهَادَوْنَ رِيَا حِينَ الْمُجُونِ^(٦).
وَسَيُسْقَوْنَ إِذَا مَا شَرَبُوا بِأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينِ^(٧).
وَمَصَابِيحُ الدُّجَى قَدْ طُفِئَتْ فِي بَقَايَا مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ جُونِ^(٨).

(١) ورد هذا البيت مكسوراً (سقطت منه «لي» في المغرب (١: ٤١٣) وفي نفح الطيب (١: ٤٣٣).

ويقتضي أن تحمل «عيناك» عياني، فإنه أصبح في المعنى وأحس في مخاطبة الملوك، يدلنا على ذلك استخدام ضمير المتكلم في الأبيات التالية للمطلع: أناجي، عيّرني الخ. أندرين قرية أو قرى قيل فيها إنها اشتهرت بالخمر. راجع في صيغتها اللغوية والنحوية (القاموس ٢: ١٤٠)، المعين: الظاهر، المرئي (ويكون عادة كثيراً). - في الذخيرة (٢: ٧٩١): لائح (وهو صحيح في المعنى والوزن).

(٢) أسيافه (أسياف البرق): الأذرع التي ترى بين الغيوم حيناً يلعب البرق. الخرق: لفاقة من النسيج شبه السوط يتضارب بها الصبيان في أثناء اللعب. هذا اقتباس من قول عمرو بن كلثوم:

كَأَنَّ سَيُوفَنَا مَنَا وَمِنْهُمْ مَخَارِيقَ بِأَيْدِي لَا عَيْنَا.

(٣) العاذلة: التي تلوم المحبين. ويك: ويل لك.

(٤) الضنى: الهزال (بالضم) الشديد.

(٥) مشمولة (هبت عليها ريح الشمال - بفتح الشين): باردة. الدن: إناء الخمر.

(٦) المجون: التصريح في الغزل (٤).

(٧) معين (غير معين في مطلع القصيدة). خر جارية من منبع على وجه الأرض كأنهار الماء.

الشرط تضمين من القرآن الكريم (٥٦: ١٨ سورة الواقعة).

(٨) إن عدداً من النجوم قد اختفى وبقي من النجوم عدد آخر مفرق في البقع المظلمة من السماء.

وَكَاَنَّ الظِّلَّ مِسْكٌ فِي الثَّرَى،
وَالنَّدَى يَقْطُرُ مِنْ نَرْجِسِهِ
وَالثُّرَيَّا قَدْ هَوَتْ مِنْ أَفْقِهَا
وَكَاَنَّ الشَّمْسَ لَمَّا أَشْرَقَتْ -
وَجْهٌ إِدْرِيسَ بْنِ يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ
مَلِكٌ ذُو هَيْبَةٍ لَكِنَّهُ
خُطَّ بِالمِسْكِ عَلَى أَبْوَابِهِ:
فَإِذَا مَا رُفِعَتْ رَايَاتُهُ
وَإِذَا أَشْكَلَ خُطْبٌ مُغْضِلٌ
فَيُسْرَاهُ يَسَارُ الْمُعْصِرِينَ،
يَا بَنِي أَحْمَدَ - يَا خَيْرَ الْوَرَى -
نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ، فَاحْتَبَى
خُلُقُوا مِنْ مِلْهِ عَذْلٍ وَتَقَى
انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ،

وَكَاَنَّ الظِّلَّ دُرٌّ فِي الْفُصُونِ^(١)،
كَدُمُوعٍ أَسْبَلَتْهُنَّ الْجُفُونُ.
كَقَضِيْبٍ زَاهِرٍ مِنْ يَاسَمِينَ.
فَانْثَنَتْ عَنْهَا عُيُونُ النَّاطِرِينَ -
بِـنِ حَمَوْدٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ.
خَاشَعٌ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.
ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمَنِينَ!^(٢)
خَفَقَتْ بَيْنَ جَنَاحِيْ جِبْرِئِينَ^(٣).
صَدَعَ الشَّكُّ بِمَصْبَاحِ الْيَقِينِ^(٤).
وَيُؤْمِنَاهُ لِيَوَاءِ السَّابِقِينَ^(٥).
لَأَبْيَكُمُ كَانَ وَفْدُ الْمُسْلِمِينَ^(٦).
فِي الدُّجَى فَوْقَهُمُ الرُّوحُ الْأَمِينُ^(٧).
وَجَمِيعُ النَّاسِ مِنْ مَاءٍ وَطِينِ.
إِنَّهُ مِنْ نُورِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(٨).

- (١) الظِّلُّ (ظلام الليل) يبدو على الأرض كأنه مسك (أسود اللون) مفروش. الظل: نقط الماء التي جددت (بفعل برد الليل) على الأغصان. در: لؤلؤ.
- (٢) «ادخلوها بسلام آمين». تضمن من القرآن الكريم (١٥: ٤٦، سورة الحجر - بكسر الحاء).
- (٣) جبرئيل وجبرئيل وجبريل: الروح القدس.
- (٤) أشكل (أبهم، غمض) خطب (حادث مفاجئ، مصيبة) معضل (لا علاج له) صدع (شق) اليقين (العقل!).
- (٥) اليسار: الغنى، الثروة. المعسر: الذي لا يجد ما ينفق. السابقون: الذين يتقدمون غيرهم في أعمال البر (في الإيمان، في التقوى، في الإحسان، الخ).
- (٦) أحمد من أسماء رسول الله. الوري: مجموع البشر. - الشاعر يرفع نسب الممدوح إلى رسول الله.
- (٧) الروح الأمين = الروح القدس: جبريل. احتبى: جلس أرضاً وضم ركبتيه إلى صدره بشملة أو بيديه (وتلك جلسة الأشراف والرؤساء). - احتبى فوقهم... ليس لهم رئيس من البشر، رئيسهم الروح الأمين (جعلهم الله ملوكاً على البشر).
- (٨) انظرونا: انظروا إلينا (لأن الشاعر كان ينشد من وراء ستار، والممدوح لم يكن يراه). نقتبس: نأخذ قيساً (قطعة من خشب مشعلة من قطعة أخرى أكبر منها): نستمد منكم نوراً أو علماً أو قوة... «انظرونا نقتبس من نوركم» اقتباس من القرآن الكريم (٥٧: ١٣، سورة الحديد).

٤ - ★★ الذخيرة ٢: ٧٨٦ - ٧٩٦؛ جذوة المقتبس ٢٦٠ (الدار المصرية) ٢٧٩ (رقم ٦١٨)؛
 بغية الملتبس ٣٥٨ - ٣٥٩ (رقم ١٠٤٤)؛ المغرب ١: ٤١٣؛ نفح الطيب ١:
 ٢١٤، ٤٣٣ - ٤٣٥، ٢٦٤: ٣؛ نيكل ١٠٥.

المظفر بن الأفطس

١ - هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة (وقيل: سلمة) التَّجِيبِيُّ الأندلسيُّ، المعروف بالمظفر بن الأفطس، لعلَّ أصله من البربر وإن كانت نسبته الرسمية إلى قبيلة تُجِيبَ العربية. جاء المظفر هذا إلى عرش بطليوس بعد وفاة أبيه المنصور عبد الله بن محمد، في جُمادى الثانية من سنة ٤٣٧ (أواخر ١٠٤٥ م). ولم تكن أيامه أيامَ هدوءٍ وسلمٍ فقد كثرت حروبُه مع المعتمد بن عبادٍ (ت ٤٨٨) ويحيى المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة (٤٢٩ - ٤٦٧ هـ) ومع الجلائقة الذين استولوا، سنة ٤٥٦ (١٠٦٤ م) على قلمرية (في البرتغال اليوم). وكانت وفاة المظفر سنة ٤٦٠ (١٠٦٧ - ١٠٦٨ م).

٢ - كان المظفر بن الأفطس جَمَّ المعرفة جَمَاعَةً للكتب عارفاً بالتاريخ والأدب أديباً شاعراً ناثراً، مُلِمّاً بعددٍ من العلوم. وكذلك كان ناقدًا يُفَضِّلُ الشعرَ المتين إذا كان نبيلَ المعنى. وكان كريمَ الخلق لا يشربُ الخمرَ ولا يُحِبُّ وَصْفَهَا في الشعر، فقد قَطَعَ لسان شاعره القَلَمَنْدَرِ لأنه ذَكَرَ الخمرَ بخيرٍ ودافع عن شُرْبِهَا. ثم هو مُصَنِّفٌ له تفسيرُ القرآن الكريم ثم له كتابُ التذكرة المعروفة باسم (الكتاب) «المظفري»، نسبةً إليه. والتذكرة هذه مؤلفةٌ على نمطِ «عيون الأخبار» لابن قتيبة (المشريقي) وفيها أدبٌ وشعرٌ وتاريخٌ وسوى ذلك، وهو كتابٌ كبيرٌ قيلَ خمسون مجلدة (نفح ١: ٤٤٢، ٣: ١٨١، ٤: ٤٤٦) وقيل «نحو مائة مجلدة» (نفح ٣: ١٩٤).

٣ - مختارات من آثاره

- قال المظفر بن الأفطس يوماً (نفح الطيب ٤: ٤٦٦):
 «والله، ما يَمْنَعُنِي من إظهار الشعر إلا كوني لا أقولُ مثلَ قولِ أبي العشائرِ بنِ
 حمدانٍ... وقولِ أبي فراسٍ ابنِ عمِّه... (ولكن) أينَ هذا من قولِي:

أَنِفْتُ مِنَ الْمُدَامِ لِأَنَّ عَقْلِي أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ أُنْسِ الْمُدَامِ (١).
وَلَمْ أَرْتَحْ إِلَى رَوْضِ وَزْهِرٍ وَلَكِنْ لِلْحَمَائِلِ وَالْحُسَامِ (٢).
إِذَا لَمْ أَمْلِكِ الشَّهَوَاتِ قَهْرًا، فَلَمْ أَبْغِي الشُّفُوفَ عَنِ الْأَنَامِ (٣).

- ومن شعره (نفع الطيب ٤ : ٤٦٧) في النسيب:

يَا لَحَظَهُ، زِدْ فُتُورًا تَزِدْ عَلِيَّ اقْتِدَارًا.
فَاللَّحْظُ كَالسَيْفِ أَمْضَا هُوَ مَا يَرُقُّ غِرَارًا (٤).

٤ - ** التكملة ١٢٨؛ المطرب ٢١ - ٣٣؛ المغرب ١ : ٣٦٤ - ٣٦٥؛ الوافي بالوفيات ٣ : ٣٢٣؛ الذخيرة راجع ٢ : ٣٣ - ٣٦، ٦٤٠ - ٦٤٦ وأماكن أخرى (راجع فهرست الجزءين الأول والثاني)؛ البيان المغرب ٣ : ٢٢٠، ٢٣٦؛ راجع المغرب ١ : ٢٣، ٣٦٤، ٣٦٩، ٣٧٤، ٣٧٧؛ نفع الطيب ١ : ٤٤٢، ٣ : ١٨١، ١٩٤، ٣٨٠، ٣٩٨، ٤ : ٤٦٦؛ الاعلام للزركلي ٧ : ١٠٢ - ١٠٣ (٦ : ٢٢٨).

صاعد الطليطي

١ - هو أبو القاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صاعد التَغَلَبِيّ الأندلسي القرطبي الطليطي، أصله من قرطبة ومولده في المرية، سنة ٤٢٠ (١٠٢٩ م). وقد سكن قرطبة. وروى صاعد عن ابن حزم الكبير (ت ٤٥٦ هـ) وعن الفتح ابن قاسم وأبي الوليد الوقشي القاضي (٩) وغيرهم.
وَوَلِيَ صَاعِدٌ الْقَضَاءَ فِي طُلَيْطَلَةَ اسْتَقْضَاهُ فِيهَا الْمَأْمُونُ يَحْيَى بْنُ ذِي النُّونِ، فَبَقِيَ فِي الْقَضَاءِ إِلَى وَفَاتِهِ فِي رَابِعِ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ٤٦٢ (٦/٧/١٠٧٠ م).

(١) المدام: الخمر.

(٢) الحماله (بالفتح): الدية (بكسر ففتح بلا تشديد) يدفعها قوم عن آخرين (يقصد أنه كريم). الحسام: السيف (يقصد الشجاعة في الحرب).

(٣) الشفوف (ظهور الشيء من وراء ستر رقيق). الأنام: الناس - يقصد: إذا لم استطع بإرادتي أن ابتعد عن العيوب فأنا لا أحاول التستر عن الناس (أنا ظاهر دائماً للناس لأنني لست على شيء من الشهوات الردئية).

(٤) الفرار: حدّ السيف.

٢ - كان صاعدُ الطليطليُّ من أهلِ الذكوةِ والمعرفةِ وكان مؤرخاً بَحَاثَةً وفقيهاً. وكان لصاعدٍ عددٌ من الكتب: جوامعُ أخبارِ الأممِ من العربِ والعجم - صِوان الحِكْمة في طبقاتِ الحكماء - مقالاتُ أهلِ المللِ والنحلِ - إصلاح حركاتِ النجوم - تاريخُ الأندلس - تاريخُ الإسلام (ويبدو أن هذه كلها قد ضاعت). وقد بقيَ لنا كتابُهُ المَوْجِزُ « طبقاتُ الأمم ». دَرَسَ صاعدٌ في هذا الكتابِ أجناسَ البشرِ وجعلها طبقتين: طبقةً عُنيَت بالعلومِ وصدرَ عنها معارفُ هي الهندُ والفرسُ والكلدانُ والعِبرانُ واليونانُ (القدماء) والرومُ (البيزنطيون) وأهلُ مصرَ والعربُ. ثم هنالك طبقةٌ لم تُعَن بالعلومِ ولا صدرَ عنها شيءٌ مفيدٌ من المعارفِ. من أُمَمِ هذه الطبقةِ الصينُ والصقالبةُ والبربرُ والسودانُ وغيرُهم.

٣ - مختارات من آثاره

- قال صاعدُ الطليطليُّ في « طبقاتِ الأمم »:
اعلمُ أن جميعَ الناسِ في مشارقِ الأرضِ ومغاربِها وجنوبِها وشمالِها، وإن كانوا واحداً، يتميِّزون بثلاثةِ أشياء: بالأخلاقِ والصورِ واللغاتِ (ص ٥).
ووجدنا هذه الأمم، على كثرةِ فرَقهم وتخالفِ مذاهبهم، طبقتين: طبقةً عُنيَت بالعلمِ فظهرت منها ضروبُ العلومِ وصدرت عنها فنونُ المعارفِ؛ وطبقةٌ لم تُعَن بالعلمِ عنايةً تستحقُّ بها اسمه... وأما الطبقةُ التي عُنيَت بالعلومِ فتأنيُّ أُمَم: الهندُ والفرسُ والكلدانيون والعبرانيون واليونانيون والرومُ وأهلُ المغربِ والعربُ (ص ٧).
وأما الطبقةُ التي عُنيَت بالعلومِ فهم صفوةُ الله من خَلْقِهِ ونخبته من عباده لأنهم صرَفوا عنايتهم إلى نيلِ فضائلِ النفسِ الناطقةِ الصانعةِ لنوعِ الإنسانِ والمقوِّمةِ لطبعه (ثم) زهدوا فيما رغب فيه الصينُ والتركُ ومن نَزَعَ مَنزِعَهُم من التنافسِ في أخلاقِ النفسِ الغضبيةِ والتفاخرِ بالقوى البهيميةِ، إذ علموا أن البهائمَ تَشْرِكُهُم فيها وتفضلهم في كثيرٍ منها (ص ١٠).

.... احمَدُ بنُ إبراهيمَ بنِ أبي خالدٍ القيروانيِّ المعروفُ بابنِ الجزَّارِ كان حافظاً للطبِّ دارساً للكتبِ جامعاً لتواليفِ الأوائلِ حَسَنَ الفَهْمِ لها. وله مصنَّفاتٌ حسنةٌ في الطبِّ

وغيره فمن أشهرها كُنَّاشُهُ في علم الأمراض المعروف بزاد المسافر وكتابه في الأدوية المفردة المعروف بالاعتماد وكتابه في الأدوية المركبة المعروف بالبُغية ورسائله في النفس وفي ذكر اختلاف الأوائل فيها. وكان له أيضاً عناية بالتاريخ أدّت الى أن يُؤلّف فيه مختصراً حسناً سماه «كتاب التعريف بصحيح التاريخ». وكان مع هذا جميل المذهب فاضل السيرة صائناً لنفسه منقبضاً عن الملوك ذا وفرة وثروة. (ص ٦١ - ٧٢).

.... وابو عثمان سعيد بن فتحون بن مكرم المعروف بالحمار السرقسطي كان متحقّقاً إماماً في علم النحو واللغة (وبعلم الهندسة والمنطق والموسيقى متصرفاً في سائر علوم الفلسفة). وله تأليف في الموسيقى ورسالة في تعديل العلوم وكيف درجت إلى الوجود من انقسام الجوهر والعرض. ونالته في أيام المنصور بن ابي عامر محنة شديدة مشهورة السبب أدّته بعد انطلاقه من السجن الى الخروج عن الاندلس فتوفي في جزيرة صقلية (ص ٦٨).

٤ - طبقات الأمم (نشره... الأب لويس شيخو اليسوعي)، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩١٢ م؛ مصر بلا تاريخ.

★ ★ الصلة ٢٣٢ (رقم ٥٣٩)؛ بغية الملتبس ٣١١ (رقم ٨٥٢)؛ طبقات الأطباء ١: ٣٦، ٣٧، ٤٣، ٥٧ - ٥٨؛ بروكلمن ١: ٤١٩، الملحق ١: ٥٨٥ - ٥٨٦؛ الأعلام للزركلي ٣: ٢٧١ (١٨٦)؛ بالنشيا ٢٣٩ - ٢٤٠.

ابن عبد البرّ

١ - هو أبو عمر يوسف بن عبد البرّ بن محمد بن عبد البرّ بن عاصم النعمري القرطبي، وُلِدَ في قرطبة، في ٢٤ ربيع الآخر من سنة ٣٦٨ (٩٧٨/١١/٢٩). وفي قرطبة رَوَى ابن عبد البرّ الحديث عن نَفَرٍ من مشاهير العلماء منهم أبو عمر الباجي وأبو عمر الطلمنكي وأبو الوليد بن الفرّضي (ت ٤٠٣ هـ) وقد لَزِمَ ابن الفرّضي وأخذَ عنه كثيراً من علم الحديث وعلم الأدب. وسكَنَ ابن عبد البرّ اشبيلية وتفقه فيها على الفقيه أبي عمر أحمد بن عبد الملك بن

هاشم الاشيلي. ولم تعرف اشيلية قَدَر ابن عبد البر، كما لم تعرفه قُرطية من قبل، فانتقل إلى غري الأندلس فولاه المظفر بن الافطس صاحب بطليوس (٤٣٧ - ٤٦٠ هـ) القضاء في الإشبونة ثم في شنترين. ثم إنه تحول إلى شرقي الأندلس وسكن دانية وتنقل بينها وبين بَلَنَسِيَّة وشاطبة. وكان مرة في زيارة لشاطبة فأدركته فيها الوفاة، في آخر ربيع الآخر من سنة ٤٦٣ (١٠٧١/٢/٣ م).

٢ - كان أبو عمر يوسف بن عبد البر أحفظ أهل الأندلس للحديث، كما كان فقيهاً على المذهب الظاهري ثم انتقل عنه إلى مذهب مالك. وكذلك كان عالماً بالسير والأنساب. وكان أيضاً شاعراً كثير الأنفة في شعره، ولكن شعره ينوء برصانة العلماء.

وابن عبد البر مؤلف خصب له من الكتب: الاستيعاب في معرفة الصحاب (جمع فيه أسماء أصحاب رسول الله) - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (رتبه على أسماء شيوخ الإمام مالك وعلى حروف المعجم) - الاستذكار في شرح مذاهب علماء الامصار (في ما تضمن الموطأ من معاني الرأي والآثار، شرح فيه ابن عبد البر الموطأ على وجهه ونسق أبوابه) - الدرر في اختصار المغازي والسير - الإنباه في ذكر أصول القبائل والرواة عن رسول الله - القصد الأمم في التعريف بأصول العرب والعجم - التقصي في الحديث النبوي - جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحله - الكافي في الفقه - الإنصاف في ما بين العلماء من الخلاف - العقل والعقلاء وما جاء في أوصافهم - بهجة المجالس وأنس المجالس مما يجري في المذاكرات من غرر الابيات ونوادر الحكايات (من الأمثال والأشعار والحكايات المتعلقة بمكارم الأخلاق والحلم والصداقة والعداوة والوعظ الخ).

٣ - مختارات من آثاره

- توجه ابن عبد البر من دانية قاصداً المعتز بن عباد في أشيلية وقال له:
قَصَدْتُ إِلَيْكَ مِنْ شَرْقٍ لِقَرَبٍ لَتُبْصِرَ مُقْلَتِي مَا حَلَّ سَمْعِي^(١).

(١) مقلتي (فاعل للفعل «تبصر»)، ما (اسم موصول، مفعول به).

وَتَعَطِّفُكَ الْمَكَارِمُ نَحْوَ أَضْلٍ
فَإِنْ جُدُّهُ بِهِ مِنْ بَعْدِ عَفْوٍ
دَعَاكَ رَاغِباً فِي خَيْرِ قَرْعٍ
فَلَيْسَ الْفَضْلُ عِنْدَكُمْ بِبَذَعٍ^(١)!

- وقال يفتخر بعلومه:

إِذَا فَاخَرْتَ فَافْخَرْ بِالْعُلُومِ
فَكَمْ أَمْسَيْتُ مُطَّرَحاً بَجْهَلٍ،
وَكَمْ أَقْبَلْتُ مُتَّبِداً مُهَاباً
وَرَكِبَ سَارٍ فِي شَرْقٍ وَغَرْبٍ
وَدَغَ مَا كَانَ مِنْ عَظَمِ رَمِيمٍ^(٢).
وَعِلْمِي حَلَّ لِي بَيْنَ النُّجُومِ.
فَقَامَ إِلَيَّ مِنْ مَلِكٍ عَظِيمٍ^(٣).
بَذِكْرِي مِثْلَ عَرَفٍ فِي نَسِيمٍ^(٤).

- وقال في الشكوى من الناس:

تَنْكَرُ مَنْ كُنَّا نُسَرُّ بِقَرْبِهِ
وَحُقَّ لَجَارٍ لَمْ يُوَافِقْهُ جَارُهُ
بُلَيْتُ بِمَحْصٍ، وَالْمُقَامُ بِبِلْدَةٍ
إِذَا هَانَ حَرٌّ عِنْدَ قَوْمٍ أَتَاهُمْ،
وَلَمْ تُضْرَبِ الْأَمْثَالُ إِلَّا بِعَالَمٍ
وَصَارَ زُعَافاً بَعْدَمَا كَانَ سَلْسَلاً^(٥).
وَلَا لَاءَ مَتْنِ الدَّارُ أَنْ يَتَحَوَّلَا.
طَوِيلًا لَعَمْرِي مُخْلَقٌ يُورِثُ الْبِلَا^(٦).
وَلَمْ يَنْ عَنْهُمْ كَانَ أَعْمَى وَأَجْهَلًا^(٧).
وَمَا عُوتِبَ الْإِنْسَانُ إِلَّا لِيَعْقِلَا.

- ومن مقدمة كتاب «الاستذكار»:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ سَأَلْتَنِي - رَحِمَكَ اللَّهُ - عَنْ مَعْنَى الْعِلْمِ وَفَضْلِ طَلَبِهِ وَحَمْدِ السَّعْيِ

(١) بدع: مستغرب.

(٢) العظم الرميم: الذي تفتت من القدم (يقصد: لا تفتخر بنسبك بل بعلمك).

(٣) متبداً: على مهل. مهاباً (يقصد: مهيباً: ذا هبة = اجلال واحترام مع شيء من الخوف). من ملك عظيم: كم من ملك عظيم قام نحوي يستقبلني احتراماً لي.

(٤) الركب: الجماعة يركبون الخيل (أو الإبل) ويسرون أو يسافرون معاً. العرف: الرائحة الطيبة.

(٥) الزعاف: السم الشديد. السلسل: الماء العذب.

(٦) بُلي بالبناء للمجهول: جرب، امتحن. حمص: أشبيلية. أخلق الثوب: صيره بالياً. البلا (كذا بالأصل) البلاء، ولكن المقصود: البلى (بكسر اللام): الرثاثة وذهاب الجودة.

(٧) ونى بني: تعب. لعلها: لم يتألم. لم يبتعد. أعمى: المقصود أشد أعمى: إذا اتفق إن جاء رجل حر إلى قوم فهان عندهم ثم لم يرتحل عنهم فإنه أعمى جاهل.

فيه والعناية به، وعن تثبيت الحجاج^(١) بالعلم وتبيين فساد القول في دين الله بغير فهم وتحريم الحكم بغير حجة، وما الذي أُجيز من الاحتجاج والجدل وما الذي كُرِه منه، وما الذي ذُم من الرأي^(٢) وما حُمِد منه، وما يجوز من التقليد^(٣) وما حُرِّم منه. ورغبت أن أقدم لك قبل هذا الباب من آداب التعلم ما يلزم العالم والمتعلم التخلُّق به والمواظبة عليه، وكيف وجه الطلب وما حُمِد ومُدح فيه من الاجتهاد والنصب^(٤) إلى سائر أنواع آداب التعلم والتعليم وفضل ذلك وتلخيصه باباً باباً مما روي عن سلف هذه الأمة - رضي الله عنهم أجمعين - لتتبع هديهم^(٥) وتسلك سبيلهم وتعرف ما اعتمدوا عليه من ذلك مجتمعين أو مختلفين في المعنى منه. فأجبتك إلى ما رغبت وسارعت فيما طلبت رجاء عظيم الثواب وطمعاً في الزلفى يوم المآب^(٦)، ولما أخذه الله عز وجل على المسؤول العالم بما سُئِل عنه^(٧) من بيان ما طُلب منه وترك الكتان لما علمه. قال الله عز وجل: «وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ». وقال ﷺ: «مَنْ سُئِلَ عِلْماً فَلْيُفِضْهُ فَاكْتَمَهُ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلْجِئاً بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ»....

- ومن مقدمة كتاب «الانتقاء»:

.... أما بعد، فإن طائفة ممن عني بطلب العلم وحله، وعلم - بما علمه الله - عظيم بركته وفضله سألوني، مجتمعين ومتفرقين، أن أذكر لهم من أخبار الأئمة الثلاثة الذين طار ذكرهم في آفاق الإسلام لما انتشر عنهم من علم الحلال والحرام، وهم: أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي المدني وأبو عبد الله محمد بن إدريس

(١) الحجاج: نصر القول بالحجة (والجدل).

(٢) الرأي: الحكم في قضايا الفقه حكماً شخصياً.

(٣) التقليد: أن يتبع إنسان إنساناً آخر في آرائه.

(٤) النصب: التعب، بذل جهد كبير.

(٥) الهدي (بالفتح) هو الهدى (بالضم).

(٦) يوم المآب (الرجوع): يوم القيامة.

(٧) إن الله تعالى إذا أنعم على إنسان بعلم أوجب عليه أن ينفع الناس بذلك العلم.

الشافعيّ المكيّ وأبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفيّ، عُيُوناً وَفِقْرًا^(١) يستدلّون بها على مَوْضِعِهِم من الإمامة في الديانة، و (أن) يكون ذلك مختصراً لَيْسَهُلَ حِفْظُهُ ومعرفته والوقوفُ عليه والمذاكرة به من ثناء العلماء بعدهم عليهم وتفضيلهم لهم وإقرارهم بإمامتهم. وقد أكثر الناس في ذلك بما يُرَغَّبُ عن كثير منه^(٢). فاقترنت ممّا ذكروه على عُيُونِهِ دون حشوّه وعلى سمينه دون غثّه^(٣). وسأذكر في كتابي هذا من ذلك - إن شاء الله - ما يكفي ويشفي مع الاختصار وطرح التكرار والاختصار على ما يَجْمُلُ به التذكار...

٤- الاستدكار لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الاقطار فيما تضمّنه الموطأ من معاني الرأي والآثار (تحقيق علي النجدي ناصف)، القاهرة (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٩٧٠ م).
- الاستيعاب في معرفة الاصحاب، حيدر اباد ١٣١٨ - ١٣١٩ هـ، ١٣٢٦ هـ؛ (على هامش الإصابة لابن حجر)، القاهرة ١٣٢٣ - ١٣٢٧ هـ؛ حيدر اباد (دائرة المعارف) ١٣٣٦ هـ؛ (تحقيق علي محمد البجاوي)، القاهرة (مكتبة نهضة مصر ومطبعتها) بلا تاريخ.
- الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء: مالك والشافعي وأبي حنيفة، القاهرة (مكتبة القدسي) ١٣٥٠ هـ.

- الإنباه على الرواة (مطبوع مع «القصص والأسماء»)، النجف (المطبعة الحيدرية) ١٩٦٦ م.
- بهجة المجالس وأنس المجالس (مطبوع مع «الأدب الكبير» لابن المقفع بعنوان: (جواهر الحكماء) القاهرة ١٩٠٧ م. (تحقيق محمد مرسى الخولي) القاهرة (الدار المصرية للتأليف والترجمة بلا تاريخ.

- مختصر بهجة المجالس، الجزائر ١٨٦٩ م.
- تجريد التمهيد لما في الموطأ من المعاني والاسانيد أو التقصّي لحديث الموطأ وشيوخ الامام مالك...، القاهرة (مكتبة القدسي) ١٣٥٠ هـ؛ نشره محمد التائب السعيد، الرباط؟ (نشرته وزارة الاوقاف المغربية) ١٣٩٢ هـ (٢).

-
- (١) العين: الرجل الوجه في قومه، والشيء النفيس. آلفرة (بكسر فسكون): الجملة القصيرة التي تتضمن نكتة (معنى مبتكراً أو لفظة بارعة).
(٢) وقد أكثر الناس... كثير منه (كتب المؤلفون أشياء كثيرة عن هؤلاء الأئمة ومعظمه لا حاجة اليه) (يرغب عنه).
(٣) عيون الشيء: النفيس البارع منه. الحشو (ما يستغنى عنه). السمين من الكلام: الرصين (ما فيه معنى نافع). الغث: النحيف أو الرديء أو الفاسد.

- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحله (نشره أحد عمر الحمصاني)، القاهرة (مطبعة الموسوعات) ١٣٢٠ هـ؛ المدينة المنورة (المكتبة العلمية) بلا تاريخ؛ (نشره عبد الرزاق ملبح آبادي)، الهند؟ (كتابخستان) ١٩٦٢ م.
- الدرر في اختصار المغازي والسير (تحقيق شوقي ضيف)، القاهرة (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية) ١٩٦٦ م.
- القصد والأهم في التعريف بأصول العرب والعجم، القاهرة (مكتبة القدسي) ١٣٥٠ هـ؛ النجف (المكتبة الحيدرية) ١٩٦٦ م.

*** المطمح ٦١ - ٦٢؛ الصلة ٦٤٠ - ٦٤٢ (رقم ١٥٠١)؛ جذوة المقتبس ٣٤٤ - ٣٤٦ (الدار المصرية) ٣٦٧ - ٣٦٩ (رقم ٨٧٤)؛ بغية الملتبس ٤٧٤ - ٤٧٦ (رقم ١٤٤٢)؛ مطمح الأنفس ٦١؛ الخريدة (الاندلس) ٤٧٨ - ٤٧٩؛ المغرب ٤٠٧ - ٤٠٨؛ وفيات الأعيان ٧: ٦٦ - ٧٢؛ الديباج المذهب ٣٥٧؛ شذرات الذهب ٣: ٣١٤ - ٣١٦؛ نفع الطيب ٣: ٢٣٥، ٤: ٢٨ - ٣٠، ٣٦ (راجع الفهرس أيضاً)؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٧٤؛ نيكل ٢٠٨ - ٢٠٩، مختارات ١٤٦ - ١٤٧؛ بروكلمن ١: ٤٥٣ - ٤٥٤، الملحق ٦٢٨ - ٦٢٩؛ الأعلام للزركلي ٩: ٣١٦ - ٣١٧ (٨: ٢٤٠).

ابن زيدون

١- هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي، أصله من بني مخزوم من قريش. تقَعُ حياته في ثلاثة أدوار: من ولادته إلى اتصاله ببلاط بني جَهْوَر - حياته في بلاط بني جهور (٤٢٢ - ٤٤٢ هـ) - حياته في بلاط بني عَبَاد.

(أ) وَلِدَ ابنُ زَيْدُونٍ فِي رُصَافَةِ قُرْطَبَةِ ، فِي بَيْتِ عِلْمٍ وَجَاهٍ وَغِنَى ، سَنَةَ ٣٩٤ هـ (١٠٠٣ - ١٠٠٤ م)، فَبَدَأَ تَلَقَّى الْعِلْمَ عَلَى أَبِيهِ، وَكَانَ أَبُوهُ فَقِيهًا مَشْهُورًا مَعْرُوفًا بِالنِّبَاهَةِ وَالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ. وَلَمَّا تُوفِّيَ أَبُوهُ (فِي الْبَيْرَةِ، سَنَةَ ٤٠٥ هـ) كَفَّلَهُ جَدُّهُ لِأُمِّهِ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعِيدِ الْقَيْسِيِّ (٣٥٥ - ٤٣٢ هـ) فَأَخَذَ عَنْ جَدِّهِ هَذَا أَيْضًا شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ. وَقَدْ كَانَ مِنْ شُيُوخِهِ (أَسَاتِذَتِهِ): الْفَقِيهُ الْقَاضِي أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ذَكْوَانَ (٣٤٣ - ٤١٣ هـ) وَأَبُو بَكْرٍ مُسْلِمُ بْنُ أَحْمَدَ

القرطبي النخوي (ت ٤٣٢ هـ). ولكن يبدو أن عبقرية ابن زيدون قد صقلت بدراساته الخاصة وبالاختبار في الحياة. وقد ظهر ذلك واضحاً في مراثيه لشيخه ابن ذكوان - وهو بعد في العشرين من عمره.

(ب) لما اضطرب أمر بني أمية في قرطبة - قبل سقوط الخلافة نهائياً - وفر هشام الثالث عنها، سنة ٤٢٢ هـ، كان أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور وزيراً له. خاف أهل قرطبة من عواقب الاضطراب والفوضى ووجدوا في أبي الحزم بن جهور حاكماً قديراً فولّوه أمر المدينة. وقد أنشأ أبو الحزم في قرطبة دويلة من دويلات الطوائف.

واتصل ابن زيدون بالدولة الناشئة باكراً ووزر لأبي الحزم جهور (وزارة استشارة لا وزارة عمل). وقد كان أبو الحزم وابن زيدون صديقين من قبل ثم كانت لابن زيدون، من أول أمره، آمالٌ سياسية سَحَتِ الآنُ فرصة الوصول إلى شيء منها. بذلك قَذَفَتْ رِيحُ السياسة بابن زيدون في تيار الحياة العامة بما فيها من خصومة ومكائد. وفي هذا التيار التقي شراع ابن زيدون - في الحياة - بشراع ولادة ابنة المستكفي.

7 وأعظم الأحداث أثراً في حياة ابن زيدون وفي أدبه كان اتصاله بولادة. كانت ولادة ابنة للخليفة المستكفي من أمة له مُستَغَرَّة من أهل مَورُور اسمها سَكْرَى. كان الخليفة المستكفي نفسه رجلاً جاهلاً ضعيف الإرادة والرأي مُنغمساً في اللهو مُستهتراً به. وكانت سكرى امرأة خبيثة شريرة. أما ولادة فكانت فتاة جميلة بيضاء شقراء مائلة إلى الصُبهة (الحُمرة)، كما كانت ذكية متأدبة بالفنون والآداب قوية الشخصية؛ ولكن جمالها وذكاءها كانا يطفيان على ثقافتها وأدبها. ويروى لولادة شيء من الشعر يغلب عليه الفحش والاستهتار. ولما قتل المستكفي (٤١٦ هـ = ١٠٢٥ م) انفلقت ولادة من القيود الاخلاقية والاجتماعية وجعلت دارها مُنتدى لرجال الأدب وانصرفت إلى كثير من أسباب اللهو.

في هذه الفترة اتصلت ولادة بابن زيدون - ويبدو أنها كانت لدة له أو تصغره قليلاً - أغراها به أدبه وشبابه. ولقد نِعِمَ الحبيبان بأيام ليالي مشهورة عند الناس.

كان من المنتظر أن يقع ابن زيدون في حبّ ولادة. وكذلك كان من المنتظر أن تستجيب ولادة لدعوة الحبّ التي تمثلت في شباب ابن زيدون وفي جاهه الاجتماعي ومكانته الأدبية. ولعلّ ولادة كانت ذات آمالٍ سياسية - كإبن زيدون نفسه - فساقها ذلك إلى أن توثق صلتها به، وخصوصاً بعد أن أصبح ابن زيدون أثيراً في بلاط بني جهور. هذا على رأي من يعتقد أن صلة ولادة بإبن زيدون قد نشأت قبل قيام الدولة الجهورية.

غير أن هذا الحبّ الذي بدأ باكراً ثم اشتعل بأشدّ ما يكون من السرعة وبأشدّ ما يكون من العنف لم يعيش في صفائه ووفائه سوى بضعة أشهر ثم أخذ يفتربمثل السرعة التي كان قد نشأ بها. إن قلب ولادة تغير قبل قلب ابن زيدون. ومردّد ذلك إلى عددٍ من الأسباب فيما قيل. ولكن أقرب تلك الأسباب إلى التصديق الظاهر على الأقلّ أن ابن زيدون تعلّق بجارية سوداء بارعة في الغناء كانت لولادة، قيل ليشير غيرة ولادة فتعود إليه. وقد عاتبت ولادة في ذلك ابن زيدون، كما أن ابن زيدون قد أقرّ على نفسه بأن مثله إلى الجارية السوداء كان ذنباً له، ولكنه ذنب أجبرته ولادة نفسها على ارتكابه. وبعد، فنحن لا نعلم اليوم مبلغ هذا الحبّ: أكان حبّاً صريحاً للجارية السوداء نفسها أو حبّاً عذرياً لوقع غنائها في قلبه.

وحاول ابن زيدون أن يستردّ عطف ولادة ببراعته الشعرية، ولكن ولادة لم تأبه به. ولا ريب في أن حبّ ابن زيدون لولادة - برغم ما يقال فيه - قد أوحى إلى ابن زيدون أجمل قصائده. ولقد أخطأ ابن زيدون في الطريق التي أراد أن يسلك بها إلى قلب ولادة، كما ضلّ عنتره الطريق إلى قلب عبلة لما ظنّ أن الفخر بنفسه وبقوة طعنه وضربه في ميادين القتال يقرّبه من قلب الفتاة اللعوب. إن ابن زيدون وعنتره لم يُرزقا براعة امرئ القيس وبراعة عمر بن أبي ربيعة في خطاب المحبوبة!

وأرادت ولادة أن تعيظ ابن زيدون وتُجازيه غيظاً بغيظٍ فألقت شباك هواها على رجلٍ قليل الذكاء واسع الثراء قليل العلم عظيم الجاه هو الوزير أبو عامر بن عبدوس - وكانت في حاجة إلى رجلٍ من مثله تفرض عليه إرادتها ويطيعها في كلّ شيء - ثم قطعت صلتها بإبن زيدون مرة واحدة. غير أن تعلّق ابن زيدون بولادة

ظَلَّ شَدِيداً، كما أَنَّ شِعْرَهُ ظَلَّ يَفِيضُ بِذِكْرِهَا. أَمَّا هِيَ فَأَخَذَتْ فِي هِجَائِهِ هِجَاءً فَاحِشاً
مَرّاً (راجع عدداً من أبيات هجائها في نفح الطيب ٤: ٢٠٥ - ٢٠٦).
ثُمَّ أَطَلَّتْ مَحَنَةَ ابْنِ زَيْدُونَ.

كَثُرَ حُسَادُ ابْنِ زَيْدُونَ وَخُصُومُهُ فِي بَلَاطِ بَنِي جَهْوَ وَفِي خَارِجِ بَلَاطِ بَنِي جَهْوَ.
وَكَانَ أَشَدَّ هَوْلَاءِ عِدَاوَةٍ لَهُ وَأَعْظَمَهُمُ اثْراً الْوَزِيرُ أَبُو عَامِرٍ بْنُ عَبْدِ دُوسٍ. فَكُتِبَ ابْنُ
زَيْدُونَ رِسَالَتَهُ الْجَدِيدَةَ وَحَاوَلَ فِيهَا أَنْ يَحُطَّ مِنْ مَقَامِ ابْنِ عَبْدِ دُوسٍ فِي عِيُونِ وَلَادَةٍ.
وَمَعَ أَنَّ هَذِهِ الرِّسَالَةَ رَاجَتْ بَيْنَ الْأَدْبَاءِ الَّذِينَ أَخَذُوا يَتَفَكَّهُونَ بِمَا سَرَدَهُ ابْنُ زَيْدُونَ
فِيهَا مِنْ مَعَايِبِ ابْنِ عَبْدِ دُوسٍ، فَإِنَّ وَلَادَةَ نَفْسِهَا لَمْ تَتَأَثَّرْ بِهَذَا الْأُسْلُوبِ الْجَدِيدِ: فَلَا هِيَ
رَقَّتْ لِلْمُحِبِّ الْقَدِيمِ وَلَا هِيَ نَفَرَتْ مِنَ الْحُبِّ الْجَدِيدِ. وَغِيظَ ابْنُ عَبْدِ دُوسٍ فَجَعَلَ
يُلْصِقُ بِابْنِ زَيْدُونَ تَهْماً مِنْهَا أَنَّهُ كَانَ مِيَالاً إِلَى رَدِّ الْحُكْمِ إِلَى بَنِي أُمِيَّةٍ - تَهْمَةٌ كَانَتْ
شَائِعَةً يَوْمَئِذٍ - فَأَمَرَ أَبُو الْحَزْمِ جَهْوَ مَجْبِسَ ابْنِ زَيْدُونَ (فِي ١٤ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ
٤٣٣ هـ).

جَعَلَ ابْنُ زَيْدُونَ يُوَالِي الْقَضَائِدَ إِلَى أَبِي الْحَزْمِ وَإِلَى نَفَرٍ آخَرِينَ لِيَشْفَعُوا لَهُ عِنْدَ
أَبِي الْحَزْمِ: كُتِبَ إِلَى أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ أَبِي الْحَزْمِ وَإِلَى الشَّاعِرِ ابْنِ بَرْدٍ وَإِلَى شَيْخِهِ
الْقَدِيمِ أَبِي بَكْرِ مُسْلِمِ بْنِ أَحْمَدَ الْقُرْطُبِيِّ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يَغْفِطَ قَلْبَ أَبِي الْحَزْمِ
عَلَى ابْنِ زَيْدُونَ. وَاقْتَرَحُوا عَلَى ابْنِ زَيْدُونَ أَنْ يَهْرُبَ مِنْ سَجْنِهِ، فَلَمْ يَقْبَلْ فِي أَوَّلِ
الْأَمْرِ، وَلَكِنَّهُ عَادَ فَقَبِلَ وَاسْتَطَاعَ الْهَرَبَ (بِمُسَاعَدَةِ أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ أَبِي الْحَزْمِ).

وَطَافَ ابْنُ زَيْدُونَ فِي قُرْطُبَةٍ مُتَخَفِياً لَعَلَّهُ يَلْقَى وَلَادَةً فَلَمْ يَلْقَها، فَكُتِبَ إِلَيْهَا
بِقَصِيدَتِهِ الْمَشْهُورَةِ «أَضْحَى التَّنَائِي بَدِيلاً مِنْ تَدَانِينَا» فَلَمْ تَرُدَّ عَلَيْهِ. ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهَا
بِالْقَصِيدَةِ «إِنِّي ذَكَرْتُكَ فِي الزَّهْرَاءِ مُشْتَقاً» فَلَمْ تَرُدَّ عَلَيْهِ أَيْضاً. وَأَخيراً بَعَثَ
بِقَصِيدَتِهِ الطَّائِيَةِ «شَحَطْنَا وَمَا لِلدَّارِ نَائِيٌّ وَلَا شَحَطٌ» إِلَى شَيْخِهِ الْقَدِيمِ أَبِي بَكْرِ مُسْلِمِ
ابْنِ أَحْمَدَ يَشْكُو حَالَهُ وَيَسْتَشْفَعُ بِهِ إِلَى أَبِي الْحَزْمِ. فَنَجَحَتِ الشَّفَاعَةُ فَاسْتَعَادَ ابْنُ زَيْدُونَ
رِضَا أَبِي الْحَزْمِ وَاسْتَقَرَّ فِي قُرْطُبَةٍ.

وَفِي سَنَةِ ٤٣٥ هـ تُوُفِّيَ أَبُو الْحَزْمِ بْنُ جَهْوَ وَخَلَفَهُ ابْنُهُ أَبُو الْوَلِيدِ فِي حُكْمِ قُرْطُبَةٍ
فَقَرَّبَ ابْنُ زَيْدُونَ. وَيَبْدُو أَنَّ ابْنَ زَيْدُونَ لَمْ يَنْسَ حُبَّ وَلَادَةٍ فَأَرَادَ أَبُو الْوَلِيدِ أَنْ

يُنْسِيَهُ ذَلِكَ الْحَبَّ فَجَعَلَهُ سَفِيرًا لَهُ عِنْدَ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ فَأَرْسَلَهُ إِلَى إِدْرِيسِ الْعَالِي
بِاللهِ صَاحِبِ مَالِقَةَ (٤٣٤ - ٤٣٨ هـ)، فَطَالَ مُكُثُ ابْنِ زَيْدُونَ فِي مَالِقَةَ حَتَّى عَتَبَ
عَلَيْهِ أَبُو الْوَلِيدِ بْنُ جَهْوَرٍ. وَأَرْسَلَهُ أَيْضًا إِلَى بَطْلَيْوُسَ إِلَى الْمُظَفَّرِ أَبِي بَكْرِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ
اللهِ (٤٣٧ - ٤٦٠ هـ) وَإِلَى بَلَنْسِيَةَ إِلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمَنْصُورِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي
عَامِرٍ (٤١٢ - ٤٥٣ هـ)، فَمَا أَظَنَّ.

(ج) ثُمَّ عَادَ قَلْبُ أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ جَهْوَرٍ فَتَغَيَّرَ عَلَى ابْنِ زَيْدُونَ لِأَنَّ نَفَرًا مِنْ
أَصْحَابِ ابْنِ زَيْدُونَ قَامُوا فِي قَرْطَبَةَ بِمَحَاوَلَةٍ لِإِعَادَةِ دَعْوَةِ الْأَمْوِيِّينَ إِلَى قَرْطَبَةَ، سَنَةَ
٤٤٠ هـ. خَافَ ابْنُ زَيْدُونَ مَفْعَةَ الرَّجُوعِ إِلَى قَرْطَبَةَ فَذَهَبَ إِلَى إِشْبِيلِيَّةَ وَلَحِقَ
بِالْمُعْتَصِدِ عَبَّادٍ (٤٣٤ - ٤٦١ هـ) فَنَالَ عِنْدَهُ حُظُوءَ كَبِيرَةً وَأَصْبَحَ وَزِيرًا وَنَدِيمًا
وَشَاعِرًا لِلْمُعْتَصِدِ ثُمَّ لِابْنِهِ الْمُعْتَمِدِ مِنْ بَعْدِهِ.

وَلَمَّا حَدَثَتْ فِتْنَةُ الْعَامَةِ فِي قَرْطَبَةَ (بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ) أَرْسَلَ الْمُعْتَمِدُ نَفَرًا مِنْ
رِجَالِ الدَّوْلَةِ لَتَهْدِئَةَ الْخَوَاطِرِ وَجَعَلَ فِيهِمْ ابْنَ زَيْدُونَ. وَكَانَ ابْنُ زَيْدُونَ مَرِيضًا
فَاسْتَعْفَى الْمُعْتَمِدَ فَلَمْ يُعْفِهِ - قِيلَ لِأَنَّ قَلْبَ الْمُعْتَمِدِ كَانَ قَدْ تَغَيَّرَ عَلَى ابْنِ زَيْدُونَ،
وَقِيلَ إِنَّ ابْنَ مَرْتِينَ وَابْنَ عَمَّارٍ أَوْغَرَا صَدْرَ الْمُعْتَمِدِ عَلَى ابْنِ زَيْدُونَ فَفَعَلَ الْمُعْتَمِدُ
ذَلِكَ - اشْتَدَّ الْمَرَضُ عَلَى ابْنِ زَيْدُونَ مِنْ أَثَرِ تِلْكَ الرِّحْلَةِ ثُمَّ تُوُفِّيَ، فِي إِشْبِيلِيَّةَ، فِي
نِصْفِ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ ٤٦٣ هـ (١٨ / ٤ / ١٠٧٠ م). وَنُقِلَ جَسَدُهُ إِلَى قَرْطَبَةَ وَدُفِنَ
فِيهَا.

٢ - ابْنُ زَيْدُونَ أَدِيبٌ بَارِعٌ، فَهُوَ شَاعِرٌ مُجِيدٌ مُخَسَّنٌ وَنَائِرٌ مُقْتَدِرٌ حَسَنُ التَّصَرُّفِ
فِي النَّثْرِ الْمُرْسَلِ وَالنَّثْرِ الْأَنْثِقِ الْمَسْجُوعِ. وَابْنُ زَيْدُونَ فِي شَعْرِهِ ثُمَّ فِي نَثْرِهِ خَاصَّةً كَثِيرُ
الِاقْتِبَاسِ وَالتَّضْمِينِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْحَدِيثِ الشَّرِيفِ وَمِنَ الْأَمْثَالِ وَالْأَشْعَارِ، وَلَهُ
إِشَارَاتٌ وَاضِحَةٌ إِلَى نِتَاجِ الشُّعْرَاءِ وَالنَّائِرِينَ مِنْذُ الْجَاهِلِيَّةِ إِلَى مُعَاصِرِهِ مِنَ الْعَصْرِ
الْعَبَّاسِيِّ. وَأَثَرُ الْبُحْتَرِيِّ وَاضِحٌ جَدًّا فِي شَعْرِ ابْنِ زَيْدُونَ، كَمَا أَنَّ أَثَرَ الْجَا حَظِّ وَاضِحٌ
جَدًّا فِي نَثْرِهِ. وَابْنُ زَيْدُونَ دِيَا جُهُ شَعْرٍ رَائِقَةٌ تُلْقِي عَلَى شَعْرِهِ وَضُوحًا وَحَلَاوَةً
وَمُوسِيقَى وَتَظْهَرُ فِيهَا الْبَرَاعَةُ فِي الصَّنَاعَةِ حَتَّى سَمَّاهُ النُّقَادُ «بُحْتَرِيَّ الْمَغْرِبِ». وَهُوَ
أَفْضَلُ شُعْرَاءِ الْأَنْدَلُسِ الَّذِينَ حَافَظُوا عَلَى عَمُودِ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ، وَلَسْنَا نَعْلَمُ أَنَّهُ نَظَّمَ

مُوشَّحاتٍ مَعَ أن عَصْرَه كان قَدِ امْتَلَأَ بالوِشَاحين.

وفنونُ ابنِ زِيدونٍ في شعرِه الغَزَلُ والنسبُ (أوسُعُ فنونِ شعرِه وأجملُها وأصدقُها تعبيراً عن نفسِه وألصقُها بأحداثِ حياتِه) ثم المديح ولم تكن غايته التَكسُّبَ، لا سَتغْناءُ ابنِ زِيدونٍ عن الكَدْحِ في سبيلِ المعاشِ، ولكنَّه كان يتقَرَّبُ بمدِيحِه من رجالِ الدولة وذَوِي الوِجَاهَةِ وخصوصاً لما نَزَلَتْ به مِحنَتُه ثم أراد أن يدفعَها عن نفسِه باستشفاعِ هؤلاء إلى الذين كانوا السببَ في تلكِ المِحنة. وله أيضاً أشيَاءٌ في وصفِ الطبيعةِ وشيءٌ من الرثاءِ العاديِّ.

وابنُ زِيدونٍ كاتبٌ مترسِّلٌ في أسلوبٍ جَزَلٍ متينٍ ولكنَّه نِتاجُ قُدْرَةٍ لا قَيْضُ وُجْدانٍ. وهو يميلُ إلى الصِّناعةِ ويتكَيءُ على السجعِ والموازنة بين الجملِ مَعَ شيءٍ من التريديد. غير أن السجعَ في رسالته الهزلية أكثرُ منه في الرسالة الجدِّية. وفي الرسالتين كثيرٌ من الإشاراتِ التاريخيةِ من أسماءِ الرجالِ وأحداثِ الزمانِ ومن التلاعبِ بأقوالِ الشعراءِ والناترين - يُورد هذه الأقوالَ أحياناً إيراداً أميناً أو يَنثُرُها أحياناً ثم يَسْلُكُها في خِلالِ جُمْلَه - من أجل ذلك تَغْمُضُ غايتهُ في كثيرٍ من الأحيانِ حتَّى على المُثَقَّفِ الذي لم يُحِطْ بأصولِ الأدبِ إحاطةً وافيةً. وربَّما أَلْحَقَ برسائله القصَّارَ مقاطعَ من الشعرِ تَطوَّلُ أو تَقْصُرُ. وله أيضاً كتابُ التبيينِ في خلفه بني أُميَّةٍ في الأندلسِ (نفح الطيب ٣: ١٨٢) وقيل إن هذا الكتابَ لابنِه ابي بكرٍ (راجع نفح الطيب ١: ٣٣٢ في الحاشية).

٣ - مختارات من آثاره

- لما هرب ابن زِيدون من سجنه كتب إلى ولادته بهذه القصيدة، وهي أشهر ما يحفظه الناس له. من هذه القصيدة:

أَضْحَى التَّنَائِي بِدِيلاً مِنْ تَدَانِينَا، وَنَابَ عَنِ طَيْبِ لُقْيَانَا تَجَافِينَا.
مَنْ مُبْلَغُ الْمُبْلِسِينَ بِانْتِزَاحِهِمْ حُزْناً مَعَ الدَّهْرِ لَا يَتَلَّى وَيُؤَلِّينَا^(١).

(١) المبلِسِينَا: الذين أبلسونا (قطعوا حجتنا وحيرونا) لأننا لا نستطيع أن نسوغ (أن نجد مبرراً) لانتزاحهم (لابتعادهم عنا وهجرنا). يبلَى: يفتنى (ينتهي).

أَنَّ الزمانَ الذي ما زال يُضحِكنا
 غِيظَ العِدى مِن تَساقينا الهوى فدَعَوْا
 وقد نَكُونُ وما يُخشى تفرُّقنا؛
 لم نعتقِدْ بَعْدَكُمْ إِلَّا الوفاءَ لكم
 ما حَقُّنا أَنْ تُقَرُّوا عَيْنَ ذي حَسَدٍ
 بِنْتُمْ وَبِنَّا فما أَبْتَلَتْ جَوانِحُنا
 نَكَادُ، حينَ تُناجِيكم ضائِرُنا،
 حَالَتْ لِفَقْدِكُمْ أيا مَنا فغَدَتْ
 إِذْ جانِبُ العيشِ طَلَقَ مِن تَأَلَّفِنا
 وَإِذْ هَضَرنا فنونَ الوصلِ دانيةً
 لِيُسَقَّ عَهْدُكم عَهْدُ السرورِ، فما
 لا تُحَسِّبُوا نايِكم عَنَّا يُغَيِّرُنا
 واللهِ، ما طَلَبَتْ أَهواؤُنا بَدَلًا
 يا ساريَ البرقِ، غادِ القَصْرَ وآسِقِ به
 ويا نَسيمَ الصَّبَا، بَلِّغْ تَحِيَّتَنا
 يا روضةَ طالما أَجَحَّتْ لواحِظُنا
 ويا حَياءَ تَمَلِّنا بزهرتها

أُنْسًا بِقَريبِهِمُ قد عادَ يُنكِنا.
 بَأَنَّ نَفْصًا، فقالَ الدهرُ: آمينا!
 فاليومَ نَحْنُ وما يُرْجى تَلَقينا.
 رَأيا، ولم نَتَقَلَّدْ غَيرَهُ دينا^(١).
 بنا، ولا أَنْ تُسِرُّوا كاشِحًا فينا^(٢).
 شوقًا اليك ولا جَفَّتْ مَاقِنا^(٣).
 يَقْضي عَلينا الأَسى لولا تَأَسِّنا^(٤).
 سوداءَ، وكانت بِكم بَيضًا لَيالينا^(٥).
 وَمَوْرَدُ اللهو صَافٍ مِن تَصافينا.
 قُطوفُها، فَجَنِّنا مِنْهُ ما شِنا^(٦).
 كُنْتُمْ لِأرواحنا إِلَّا رِياحينا.
 إن طال؛ ما غَيَّرَ النَّاسُ المَعِينا.
 مِنْكم، ولا أَنْصَرَفَتْ عَنْكم أمانينا.
 مَنْ كان صِرْفَ الهوى والودِّ يَسْقِنا^(٧).
 مَنْ لَوَ على البُعْدِ حَيًّا كان يُحِينا.
 وَزَدا - جِلاه الصِّبَا غُضًّا - ونَرينا^(٨).
 مُنى ضُروبًا وَلِذاتِ أَفانينا^(٩).

- (١) الدين: العادة، السلوك.
- (٢) الكاشح: المبغض. قرت عين فلان (سكنت): أصبح مسروراً.
- (٣) ما جفت مآقينا (اطراف عيوننا): لم تنقطع عن البكاء. الجوانح: الأطراف. ما ابتلت جوانحنا: كانت الدموع تنهمر بكثرة على صدورنا، ولكن حر صدورنا (من الحزن على فراقكم كان شديداً إلى درجة كانت تحفف هذه الدموع فوراً).
- (٤) حين تناجيكم ضائرننا (حين نفكر بابتعادكم عنا ونتمنى قربكم من جديد). الأسى: الحزن. التأسي: الاقتداء بغيرنا (لم يقض علينا الحزن لأننا نعرف محبين مثلنا عاملهم المحبوبون مثل المعاملة التي تعاملوننا بها الآن).
- (٥) حالت: تغيرت.
- (٦) هضر فلان الفصن: شده إليه ليقطف ثمره.
- (٧) غاد (أذهب باكراً).
- (٨) أجنى فلان فلاناً ثمراً (اعطاء، منحه). النسرين: الورد الأبيض. كنا قد نلنا منكم جميع أنواع السرور.
- (٩) الضرب (بفتح فسكون): النوع. الأفانين جمع أفنان جمع فتن: غصن (صنف، نوع).

لَسْنَا نُسَمِّكَ إِجْلَالًا وَتَكْرِمَةً
يَا جَنَّةَ الْخُلْدِ أَبَدَلْنَا بِسَلْسَلِهَا
كَأَنَّا لَمْ نَبْتَ وَالْوَصْلُ ثَالِثُنَا
سِرَّانِ فِي خَاطِرِ الظُّلَمَاءِ يَكْتُمُنَا
إِنَّا قَرَأْنَا الْأَسَى يَوْمَ النَّوَى سُورًا
دُومِي عَلَى الْعَهْدِ، مَا دُمْنَا، مُحَافِظَةً
فَمَا اسْتَعَضْنَا خَلِيلًا مِنْكَ يَحِبُّنَا،
وَلَوْ صَبَا نَحُونًا مِنْ عُلُوِّ مَطْلَعِهِ
أَبْلَى وَفَاءً، وَإِنْ لَمْ تَبْذُلِي صِلَةً
عَلَيْكَ مِنَّا سَلَامُ اللَّهِ مَا بَقِيَتْ

- بعد لقاء ابن زيدون بولادة ثم انفصاله عنها في اليوم التالي كتب إليها « هذا الوداع »:

وَدَّعَ الصَّبْرَ مُجِبُّ وَدَّعَكَ ذَائِعٌ مِنْ سَرِّهِ مَا اسْتَوْدَعَكَ؛
يَقْرَعُ السِّنَّ عَلَى أَنْ لَمْ يَكُنْ زَادَ فِي تِلْكَ الْخَطِيئَةِ إِذْ شِيعَكَ (٨).

- (١) السلسل: الماء العذب. الكوثر: ماء نهر في الجنة. الزقوم (طعام أهل جهنم) والفلسين: الصديد (القيح) الذي يخرج من الجسم عند أول احتراقه (في جهنم).
- (٢) غص: كسر، خفض. ان الواشي المبيض لما رأى سرورنا المتبادل انكسرت نفسه ولم يستطع أن ينقل عنا أن أحدا منا لم يكن مسرورا بصاحبه.
- (٣) الأسى: الحزن. النوى: البعاد، الفراق. سوراً (كأنها من القرآن الكريم) - نقرأ باستمرار لأنها فرض علينا). تلقينا: تعليماً (لطول ما صبرنا).
- (٤) دان: قضى، حكم. عاملينا بالحب كما نعاملك.
- (٥) صبا: مال (احب). اصبى: استال (اوقع في الحب). حاشاك: الاك. لو ملت إلينا انت لأسرعنا في الميل إليك.
- (٦) في جميع المصادر التي بين يدي «أبلي» (باختلاف في التنقيط والتحريك). وجميع هذه الوجوه غامضة. فأنا اقترح «أبدي» (فعل أمر من «أبدي»: أظهر) ليكون فيه شيء من التجنيس مع «تبذلي». فيكون المعنى حينئذ: (تظاهري بشيء من الوفاء، إن لم تستطعي أن تمنحني وصلا ووفاء لما كنت أعاملك به من الحب من قبل). الطيف: الخيال في النوم. الذكر (هنا) ذكرك لنا.
- (٧) الصباة (بالضم): البقية (بقية من حبك عندي) - ومع ذلك فإن هذه البقية القليلة التي لا نحاول اظهارها للناس تكاد تخفيها عن الناس (تقتلنا).
- (٨) قرع فلان سنه: ندم. شيع فلان فلاناً: رافقه (في اثناء سفره، الخ)

يا اخا البدر سناءً وسناً حفظ الله زماناً اطلعك^(١)،
ان يطل بَعْدَكَ ليلى فلکم بَسْتُ اشكو قَصَرَ الليل معك!
- لما فرّ من سجنه وتوارى في نواحي قرطبة جاء يوماً إلى الزهراء^(٢) ليتذكّر
أيامه في تلك المعاهد مع ولادة. ثم كتب إليها:

إنّي ذكرتُك بالزهراء مُشتاقاً
وللنسيم اعتلالٌ في أصائله
والروض عن مائه الفضيّ مبتسم
يوم كأيام لذات لنا أنصرفت
نلهو بما يستميل العين من زهر
لا سكن الله قلباً عن ذكركم
لو شاء حنّلي نسيم الريح حين هفا
يا عِلّتي الأخطر الأسنى الحبيب الى
كان التجاري بمحض الودّ مذ زمن
فالآن أحمّد^(٣) ما كنّا لِمهدكم:

والأفق طلق ووجه الأرض قد راقا^(٤)،
كأنما رقّ لي فأعتلّ إشفاقا^(٥)،
كما حلّلت عن اللّبات أطواقا^(٦)،
بتنا لها - حين نام الدهر - سراقا^(٧)،
جال الندى فيه حتى مال أعناقا^(٨)،
فلم يطير بجناح الشوق خفاقا^(٩)،
وأفاكم بقت أضناه ما لاقى
نفسى اذا ما أقتنى الأحباب أعلاقا^(١٠)،
ميدان أنس جرّينا فيه أطلاقا^(١١)،
سلوتم وبقينا نحن عشاقا^(١٢).

- (١) السناء: العلو. الرفعة. السنا: ضوء القمر.
- (٢) الزهراء (راجع، فوق، ص ١٧٨).
- (٣) طلق: (هنا) واسع (ليس فيه ضيق أو حزن). راق: صفا وحسن واصبح يسر النفس.
- (٤) الاعتلال (الاولى): اللطف، الرقة. اعتل (الثانية) مرض.
- (٥) اللبة: اعلى الصدر. الطوق: العقد.
- (٦) انصرفت: مضت. بات: قضى الليل. بتنا لها سراقاً: تسرع في اغتنام اللذات فيها قبل ان تضي.
- (٧) جال: طاف، تحرك (كثر) الندى: قطرات الماء التي تتكوّن ليلاً (بعد برودة الجو). مال اعناقا: مالت اعناقها، انحنت الازهار على عروقتها. حتى نعتس الزهر مثلنا^(٩).
- (٨) اذا كان قلبي لا يطير (يضطرب كلما جرى ذكركم) فلا جعله الله ساكناً ابداً.
- (٩) العلق: الشيء النفيس (الغالي) الثمين. الاخطر: الاعلى خطراً (شرفاً وقيمة). الاسنى: العالي القدر.
- (١٠) كان التجاري (الجري معاً بمحض الود..): احب بعضنا بعضاً زمناً طويلاً. الطلق (بفتح فسكون): الشوط. جرّينا اطلاقاً: تمتعنا بالحلب كثيراً.
- (١١) حالي الحاضرة احد (افضل) شيء لكم انتم: انتم نسيم حبنا (واحبتم آخرين) ونحن لا نزال نحبكم (فاصبح لكم حبيباً مكان الحبيب الواحد).

- من رسالته الهزلية التي كتب بها إلى ابن عبدوس يهزأ به - على لسان ولادة - :
أما بعد، أيها المصاب بعقله المورط بجهله البين سَقَطَهُ الفاحش غَلَطُهُ....
الساقط سقوط الذباب على الشراب المتهافت تهافت الفراش على الشهاب^(١)، فإن
المعجب أكذب ومعرفة المرء نفسه أصوب^(٢). وأنتك راسلتني مُستهدياً من صِلتي ما
صَفَرْتُ منه أيدي أمثالكَ.... مُرْسِلاً خليلتك مرتادة.... كاذباً نفسك أنك ستَنْزِلُ
عنها إليّ وتَخْلُفُ بعدها عليّ^(٣).....

ولا شك إذ لم تَصْنِ بِكَ، ومَلَكْتَ إذ لم تَفَرَّ عليك، فإنها أعذرت في السفارة لك
وما قصرت في النيابة عنك: زاعمة أن المروءة لَفْظُ أنت معناه والإنسانية اسم أنت
جِسمه وهَيولاه^(٤)؛ قاطعة أنك انفردت بالجمال واستأثرت بالكمال..... حتى خيلت
أن يوسف عليه السلام حاسنك ففَضَضْتَ منه وأن امرأة العزيز رأتك فسَلَّتْ
عنه^(٥)، وأن قارون^(٦) أصاب بعض ما كنزت وأن.... كُليب بن ربيعة إننا حمى المرعى
بعزتك وجَسَّاساً إننا قَتَلُهُ بأنفَتِكَ ومُهْلِلاً إننا طلب ثأره بهِمَّتِكَ^(٧).... و (أن)
أفلاطون أوردَ على أرسططاليس ما نقل عنك، وبَطْلَيْمُوسَ سَوَى الاضطراب

(١) المورط بجهله: الذي يورطه (يوقعه) جهله بما لم يحسب له حساباً ثم لا يستطيع الخلاص منه. الورطة (بالفتح): الحفرة العميقة، الوحل... على الشراب (الحلو). تهافت الفراش على الشهاب (الضوء، النار): اسرع (فاحترق).

(٢) المعجب: الكبير والتكبر.

(٣) صفرت: خلت، فرغت (بفتح فكسر). خليلتك: عشيقتك. مرتادة: طالبة. تريد أن توهمني أنك ستترك عشيقتك لي لاعتقها أنا. تخلف هي أو انت (٤).

(٤) الهيول: المادة الأصلية في الوجود (المقصود هنا: مادة الجسد).

(٥) حاسنك: باراك، نافسك في الحسن. غض فلان من فلان: قلل من قيمته. امرأة العزيز هي زليخا (امراة فرعون الذي كان يوسف بن يعقوب في أيامه). سلت عنه: نسيت زوجها (اعجاباً بجمالك).

(٦) قارون: أغنى الناس في أيامه.

(٧) كان كليب بن ربيعة من العزة (القوة) انه كان عنده جرو كلب يلقيه في ارض فيها عشب. فيعوي ذلك الجرو فلا يجسر احد ان يرمى في مكان من تلك الارض يسمع فيه صوت ذلك الجرو. جساس بن مرة قتل كليب في حديث طويل. مهلهل اخو كليب طالب بشار كليب فوقعت حرب البسوس (بفتح الباء) ودامت العداوة فيها بين بكر وتغلب اربعين سنة.

بتدبيرك.... وبُقراطَ علّم العلل والأمراض بلفظ حسّك^(١).... وأن صِناعة الألمان
اختراعك.... وأن عبدَ الحميدِ بنَ يحيى باري أقلامك، وسهل بن هارونَ مُدوّن
كلامك، وعمرو بن بحرٍ مُستملِك^(٢)، ومالك بن أنسٍ مُستفتيك^(٣).....

ليس على الله بِمُسْتَنَكِرٍ أن يجمعَ العالمَ في واحدٍ^(٤).
..... وذكرتُ أنك عِلْقٌ لا يُباعُ ثَمَنَ زادٍ، وطائرٌ لا يَصِيدُهُ من أرادَ، وغَرَضُ
لا يُصِيبُهُ إلّا من أجادَ.....

- من الرسالة المجدّية التي كتب بها من السجن يستعطف أبا الحزم بن جهور
ويتنصّل ممّا نسب إليه:

يا مولاي وسيّدي الذي ودادي له واعتدادي به^(٥) وامتدادي منه، أبقاك الله
ماضيَ حدِّ العزمِ واريَ زَنَدِ الأملِ ثابتَ عهدِ النعمة. إن سَلَبْتَنِي - أعزّك
الله - لباسَ نَعْمائِكَ وعطَلْتَنِي من حَلِيّ إيناسك^(٦).... وَغَضَضْتَ عَنِّي طَرْفَ حِمَايَتِكَ
بعدَ أن نَظَرَ الأعمى الى تَأْمِيلِي لك وسمعَ الاصمّ ثنائيَ عليك^(٧).... فلا غَرَو، قد
يَقْصُ بالماءِ شاربُهُ، ويقتلُ الدواءُ المُستَشْفِي به، ويؤتِي الحَذِرُ من مَأْمَنِهِ وتكون
مَنِيَّةُ^(٨) المُتَمَنِّي في أُمْنِيَّتِهِ.....

(١) افلاطون استاذ ارسطوطاليس، وها أكبر فلاسفة اليونان أو أكبر الفلاسفة. بطليموس عالم
بالرياضيات والفلك. الاضطراب اداة تشبه الزاوية يقاس بها ارتفاع النجوم فوق الافق. بقراط او
ابقراط اكبر الاطباء اليونانيين القدماء.

(٢) عبد الحميد بن يحيى وسهل بن هرون وعمرو بن بحر (المجاظ) من كبار الكتاب والمنشئين العرب.

(٣) مالك بن انس فقيه اهل المدينة وقد ضرب المثل به في الفتيا (بالضم) فليل: ايفق ومالك في المدينة؟

(٤) في الفلسفة القديمة ان الانسان هو العالم الاصغر (ان كل ما في العالم موجود بصورة مصفرة في
الإنسان: الصورة والمادة والعناصر الأربعة.... الخ).

(٥) اعتدادي به: جعلته عدة لي (استعين به في المستقبل على كل شيء).

(٦) الزند: قطعة من الحديد تقدح بها النار من حجر الصوان. وري (بفتح فكسر) الزند. يري (بفتح
فكسر): اخرج ناراً من حجر الصوان عند القدح. عطلتني: سلبتني الحلى التي ألبسها.

(٧) في هاتين الجملتين تضمين من بيت المتن:

انا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم.

(٨) المنية: الموت.

كلّ المصائب قد تمرُّ على الفتي وتَهونُ غير شامةِ الحساد .
 واني لأتجلّد وأُري الشامتين أني لربّيب الدهر أتَضَعُ^(١)، فأقول^(٢): هل أنا
 إلّا يدٌ أدامها سوارُها، وجبينٌ عَضَهُ إكليله....

هذا العتبُ محمودٌ عواقبه، وهذه النبوةُ غمرةٌ ثم تنجلي، وهذه النكبةُ سحابةٌ
 صيفٍ عن قليل تقشعُ . ولن يرييني من سيدي أن أبطأ سببه أو تأخر - غير
 ضنين - غناؤه فأبطأ الدلاء فيضاً أملاًها وأثقل السحاب مشياً أحفلها ومع
 اليوم غدٌ، ولكلّ أجلٍ كتابٌ

وأعودُ فأقول: ليت شعري، ما هذا الذنبُ الذي لم يسعه عفوُك، والجهلُ الذي لم
 يأت من ورائه حلمُك! ولا أخلو من أن أكون بريئاً فأين العدلُ أو مُسيئاً فأين
 الفضلُ؟

٤ - ديوان ابن زيدون (كامل كيلاني وعبد الرحمن خليفة)، القاهرة // ١٩٣٢ م، ١٣٧٠ هـ
 ١٣٧٥ هـ؛ (علي عبد العظيم)، القاهرة (مكتبة نهضة مصر) ١٩٥٧ م؛ (سيد كيلاني)،
 القاهرة // = شعر ابن زيدون (تحقيق كرم بستاني)، بيروت (مكتبة صادر) ١٩٥١ م،
 ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م؛ بيروت (الشركة اللبنانية للكتاب) بلا تاريخ.
 - الرسالة الجدّية، القاهرة ١٢٧٨ هـ = ١٨٦٢ م؛ (أبو بكر محمد حكيم)، القاهرة
 ١٣٤٥ هـ.

- الرسالة الهزلية (رايسكه)، ليبسك ١٧٥٥ م؛ (هيرت)، يانا ١٧٧٧ م؛ القاهرة ١٢٧٨ هـ،
 ١٢٩٠، ١٣٠٥، ١٣٢١ هـ؛ (على هامش لامية العرب للصفدي)، الاسكندرية ١٢٩٠ هـ؛
 (محمد أبو الفضل ابراهيم) القاهرة (المطبعة الحسينية) ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٤ م.

★★ تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون (للصلاح الصفدي)، بغداد (مطبعة الولاية)
 ١٣٢٧ هـ؛ (لابن نباتة) (تحرير محمد أبي الفضل ابراهيم)، القاهرة (دار الفكر العربي)
 ١٩٦٤ م، ١٩٦٤ م، ١٣٨٩ (١٩٦٩ م).

- شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون (لابن نباتة)، الاستانة ١٢٧٥ هـ؛ القاهرة

(١) هاتان الجملتان اقتباس من بيت ابي ذؤيب الهذلي:

وتجلدي للشامتين اريهم اني لربيب الدهر لا اتضع.

(٢) وفي الجمل التالية اقتباس من الامثال والأشعار ومن أي القرآن الكريم.

- (المطبعة الأميرية) ١٢٧٨ هـ؛ الاسكندرية ١٢٩٠ هـ؛ مصر (مطبعة الموسوعات) ١٣٢١ هـ؛ (تحرير محمد أبي الفضل ابراهيم)، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٩٦٤ م.
- اظهار المكنون من الرسالة الجدّية لابن زيدون، تأليف مصطفى العناني، القاهرة (مطبعة المعارف) ١٣١٧، الطبعة الثالثة، القاهرة (المطبعة الرحانية) ١٣٤٥ هـ = ١٩٢٧ م.
- الدر المخزون في شرح رسالة ابن زيدون (ابو بكر محمد بن حكيم) ..
- قطعة عن ابن زيدون (من قلائد العقيان للفتح بن خاقان) (تحرير وايرس)، ليدن (بريل) ١٨٣٠ م.
- ابن زيدون، تأليف أحمد زكي، القاهرة (مطبعة صبيح) ١٨٨٨ م، ١٩١٤ م.
- ابن زيدون، تأليف نهاد عناية، دمشق (المكتبة الهاشمية) ١٣٥٧ هـ = ١٩٣٩ م.
- ابن زيدون، تأليف شوقي ضيف، بيروت (دار المعارف) ١٩٥٣ م.
- ابن زيدون: عصره وحياته وأدبه، تأليف علي عبد العظيم، القاهرة (مكتبة الانجلو المصرية) ١٩٥٥، القاهرة (نهضة مصر) ١٩٥٧ م.
- ابن زيدون: حياته - عصره - أدبه، تأليف حسن جار حسين، القاهرة (المطبعة المنيرية) ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م.
- ابن زيدون، تأليف نديم مرعشلي، بيروت (دار الشرق الجديد).
- ابن زيدون: أو صفحة من مجالي الانس في ليالي الاندلس، تأليف زكي أحمد، شوقي وابن زيدون في نوبيتيهما، تأليف أبي القاسم محمد كرو، تونس (منشورات كتاب البعث، رقم ٢) (مطبعة الترقّي) ١٩٥٦ م.
- ابن زيدون: أثر ولادة في حياته وأدبه، تأليف وليم إلخازن، بيروت (دار مكتبة الحياة)؟ ١٩٦١ م.
- ولادة وابن زيدون، تأليف عبد الرزاق مجيد الهلاي، بغداد (مطبعة المعارف) ١٩٤٧ م.
- مجلّة الكتاب (بغداد): عدد خاصّ بالذكرى الألفية لميلاد ابن زيدون (٣٩٤ - ١٣٩٤ هـ)، الرباط ١٥ - ٢٢ / ١٢ / ١٩٧٥ م، السنة التاسعة، العددان ١١ - ١٢ (تشرين الثاني وكانون الأول = نوفمبر وديسمبر ١٩٧٥ م).
- المطمح ٦٠ - ٦١؛ الذخيرة ١: ٣٣٦ - ٤٢٨؛ جذوة المقتبس ١٢١ - ١٢٢ (الدار المصرية) ١٣٠ - ١٣١ (رقم ٢٢٤)؛ بغية الملتبس ١٧٤ - ١٧٥ (رقم ٤٢٦)؛ قلائد العقيان ٧٩ - ٩٣؛ وفيات الأعيان ١: ١٣٩ - ١٤١، ٤٥٧؛ الوافي بالوفيات ٧: ٨٧ - ٩٤؛ اعتاب الكتاب ٢٠٧ - ٢١٤؛ المغرب ١: ٦٣ - ٦٩؛ المطرب ١٦٤ - ١٦٨؛ نفح الطيب ١: ٦٢٧ - ٦٣٤، ٦٦٨ - ٦٧٠، ٣: ٢٧١ - ٢٨٧، ٥٦٦ - ٥٦٥، ٤: ٩٩ - ١٠٠، ٢٠٥ - ٢١٢، ٢٦٤ - ٢٧١؛ شذرات الذهب ٣:

٣١٢-٣١٣؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٧٣-٩٧٤؛ بروكلمن ١: ٣٢٤-٣٢٥،
الملحق ١: ٤٥١؛ نيكل ١٠٦-١٢٠، مختارات نيكل ٦٢-٧٣، الأعلام للزركلي ١:
١٥١-١٥٢ (١٥٨).

غانم المخزومي

١- هو أبو محمد غانم بن وليد بن عمر^(١) بن عبد الرحمن المخزومي القرشي الأشوني (نسبة إلى أشونة وهي حصن بالأندلس من نواحي أستجة).

روى غانم المخزومي علومه في النحو واللغة والأدب عن نفر منهم أبو عمر يوسف ابن عبد الله بن خيرون وأبو عبد الله بن السراج. واشتغل بالتدريس وكان قديراً محمود الطريقة في ذلك.

وعاش غانم في مألقة مدّة ونال حظوة كبيرة عند صاحبها إدريس العالي بالله (٤٣٤-٤٣٨ هـ)، كما عاش (بعد ذلك) في غرناطة متصلاً ببلاط باديس بن حبّوس (٤٣٠-٤٦٦ هـ).

ويبدو أن وفاة غانم المخزومي كانت نحو ٤٦٥ هـ لأنه شهد، فيما يبدو، مقتل القاضي أبي عبد الله محمد بن الحسن بن يحيى بن الحسن الجذامي النباهي في قرطبة، سنة ٤٦٣ هـ^(٢)، ولم يَزوَ له ابن بسّام في الذخيرة (١: ٢: ٣٤٥-٣٦١) رثاء في باديس بن حبّوس (ت ٤٦٦ هـ). ويبدو أنه عاش طويلاً.

٢- كان غانم المخزومي فقيهاً ولُغويّاً ونحويّاً وأديباً ناثراً ناظماً، وكان مقتدرّاً في تدريس هذه الفنون محمود الطريقة في ذلك.

وكان في شعره صاحب بديهة ومقتدرّاً. وأكثر شعره الذي بين أيدينا في المديح والرثاء والوصف والغزل والحكمة والزهد. وكذلك له ترسل أكثره إخوانيّات وبعضه مديح في مجرى الخطابة أو الكتابة.

(١) في كتاب الصلة، ص ٤٣٣: غانم بن وليد بن محمد بن عبد الرحمن. وفي جذوة المقتبس، ص ٣٠٦: غانم ابن الوليد بن عمر بن عبد الرحمن.

(٢) راجع كتاب قضاة الأندلس، ص ٩٣، السطر ١٣، ثم ص ٩٣، السطر الثالث.

٣ - مختارات من آثاره

- دخل غانم على باديس بن حبّوس، وكان باديسُ يجلسُ في مكان ضيق، ومع ذلك فقد وسّع لغانم مكاناً يجلسُ فيه. عند ذلك قال غانم بديهية:

صَيَّرَ فؤادَكَ للمحِبِّوبِ مَنْزِلَةً؛ سَمَّ الحِياطَ مَجَالاً للمُحِبِّينِ^(١)؛
ولا تُسَامِحْ بَغِيضاً في مُعاشِرَةٍ فقلِّماً تَسَعُ الدُّنيا بَغِيضِينَ!
- وقال في الصبر والتجمل بالوقار:

الصَّبْرُ أَوْلَى بِوَقَارِ الفَقِي مِنْ مَلِكٍ يَهْتِكُ سِتْرَ الوَقَارِ^(٢).
مَنْ لَزِمَ الصَّبْرَ عَلَى حَالَةٍ كَانَ عَلَى أَيْامِهِ بِالْخِيَارِ
- وله في مطلع غزلي لقصيدته في مدح ادريس العالي بالله؛ وهذه الأبيات تقليد ظاهر لمقطوعة الشريف الرضي:

يا ظبيةَ البانِ ترعى في خَمائلِهِ، لِيُهْنِكَ اليَوْمَ أَنَّ القلبَ مَرَعاكِ.
قال غانمُ المَخْزُومِي:

لولا التَحَرُّجُ لم يُخَجِّبْ مُحَيَّاكَ؛ حُيِّيتِ عَنَّا، وَحُيِّينا بِمُحَيَّاكَ^(٣).
أيا غَزَالَتَنَا، شمسُ الضُّحَى طَلَعَتْ عَلَى اتِّفَاقٍ فَسَيَّهَا كَسِيَّاكَ^(٤).
بَدَوْتَ فِي حُلَّةِ زَرْقَاءَ، وَهِيَ كَذَا. فَقَالَ قَاضِي المَوَى: «هَذَا وَلَا ذَاكَ».
أَظْهَرْتَنِي مِنْكَ، يَا ظَمِيَاءَ، جَائِرَةٌ؛ مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ أَحْظَى بِسُقْيَاكَ^(٥).
إِنِّي أَرَاكَ بِقَتْلِ النَفْسِ حَادِقَةً؛ قَوْلِي، بِفَضْلِكَ، مَنْ بِالْقَتْلِ أَوْصَاكَ؟
إِنْ كَانَ وَادِيكَ مَمْنُوعاً فَمَوْعِدُنَا وَادِي الكَرَى ثُمَّ تَلْقَاهُنِي وَأَلْقَاكَ^(٦).
دَمْعِي بِبَغْدَادَ مَمْدُودٌ بِدِجْلَتِهَا، وَأَنْتِ مِنْ رَوْضِ نَجْدٍ نَشْرُ رِيَّاكَ^(٧).

(١) سَمَّ الحِياطَ: ثقب الابرة.

(٢) هَتَكَ: شَقَّ، مَرَّقَ.

(٣) الحَيَّا (بتشديد الياء): الوجه. الحيا (بلا تشديد): الحياة.

(٤) الغزالة: الشمس والمرأة الجميلة. السيا: العلامة. الهيئة.

(٥) الظمياء: الناقة السوداء، الشفة الرقيقة السمراء، العين الرقيقة الجفون (المرأة الجميلة).

(٦) واديك: بلدك. وادي الكرى (كناية عن النوم).

(٧) النشر (هنا): الانتشار. الرِّيا: الرائحة الطيبة.

- توفي لغام الخزومي أخوان أحدهما مات غرقاً فقال غامٌ يرثيها بمقطوعة يقلد فيها مقطوعة غزلية لابن زيدون:

يا دمع، لا تَحْذُلْ وَكُنْ مُسْعِداً؛ لا تَخْشَ من صبري أن يَنْفَعَكَ^(١).
أخْ غريقٌ وأخٌ في الثرى، وترتجي السّولة؟ ما أطمعك!
إنّ جمودَ العين - خوفَ العدى ورقبة الحساد - لن يَنْفَعَكَ^(٢).
يا عُمراً، أغمزت قلبي أسمى وودّع^(٣) صبري مثلاً ودّعك^(٤).
رُزئتُ في الدنيا يدي نصري؛ يا دهرُ، بتاً لك، ما أفجعك^(٥)!
- وله من رُقعةٍ خاطب بها أبا الحسن الحصريّ:

ما أفصح لسانك وأفصح ميدانك وأوضح بيانك وأرجح ميزانك وأنور صباحك
وأزهر مصباحك، أيتها السابق المتهمّل في ميدان النبل، والسامق^(٥) المتطوّل بفضائل
الذكاء والفضل: أرحتني من غلّ الهمّ فازدهتني أريج^(٦)، وأرحتني عن ظلّ الغمّ
فلاحت لي شمسُ الأُمْنِيّة بما أطلعتني عليّ وأنفذتني مكارمك إليّ. فقلت: أعصرُ الشبابِ
رَجَعَ، أم كوكبُ السعدِ طلّع، أم بارقُ الإقبالِ لمع؟ كلاّ، والله، إنّها لمكرمةٌ فهِرِيّةٌ^(٧)
أهدتني نفسٌ سَخِيّةٌ وهمةٌ عليّةٌ... بلى، والله، أرثني زهرَ الربيعِ في غير أوانه،
وحسنَ الصنيعِ على عَدَمِهِ في أهلِ زمانِهِ... فأنتَ واحدُ البلاغةِ الذي لا يُجارى،
وفارسُ الفصاحةِ الذي لا يُبارى.

٤ - ** الصلة ٤٣٣ - ٤٣٤ (رقم ٩٨٢)؛ الذخيرة ١ : ٨٥٣ - ٨٧٠؛ جذوة المقتبس
٣٠٦ - ٣٠٧ (الدار المصرية) ٣٢٥ - ٣٢٦ (رقم ٧٥٤)؛ بغية الملتبس ٤٢٨ (رقم
١٢٨٠)؛ مطمح الأنفس ٦٠ - ٦١؛ معجم الأدباء ١٦ : ١٦٧ - ١٦٩؛ إنباء

- (١) المسعد: المساعد. الدمع المسعد هو الذي يسيل بسرعة وبكثرة.
- (٢) الرقبة: المراقبة. رقبة الحساد (رجاء الحساد أن تزول النعمة عن غيرهم).
- (٣) الأسمى: الحزن. ثم اقرأ: ودّعت صبري الخ.
- (٤) رزئت: فقدت. يدي نصري: نصرتي بكلتا يدي (بكل قوتي). بتا: قطعاً. ما أفجعك: ما أكثر انزالك الفجيعة (فقدان الأحباب بالموت) منك.
- (٥) السامق: العالي.
- (٦) ازدهتني: أخذتني خفة (سرور) بالأريجّة (الارتياح للكرم أو للعمل الجميل والسرور به).
- (٧) فهِرِيّة: نسبة إلى فهر بن مالك من جدود العرب القدماء (عربية صحيحة).

الرواة ٢: ٣٨٩؛ الوافي بالوفيات ٨: ٣٢٤ - ٣٢٥؛ المطرب ٨٤؛ المغرب ١:
 ٣١٧ - ٣١٨؛ بغية الوعاة ٣٧١؛ نفح الطيب ٣: ٢٦٥، ٣٩٨، ٤٤٧،
 ٥٩٦ - ٥٩٧، ٦١٥، ٤: ٢٨، ٢٢٦، ٣٣١؛ راجع نيكل ١٨٨ - ١٨٩
 ومختارات نيكل ١٣١؛ الأعلام للزركلي ٥: ٣٠٧ (١١٦).

أبو جعفر اللمائي

١ - هو أبو جعفر أحمد بن أيوب اللمائي من أهل مالقة، كان كاتباً لدى ناصر الدين علي بن حمود صاحب مالقة (٤٠٧ - ٤٠٨ هـ) ومدبر أمورهِ، كما كتبَ لغيرهِ (من ملوك مالقة؟). وقد علا صيته بسبب ذلك وعلت مكانته. ويبدو أنه حصل على أملاكٍ في غرناطة فكان يتردد عليها فيتفقد أملاكه ويزور ملوكها الصنهاجيين، في أيام باديس بن حبوس (٤٣٠ - ٤٦٦ هـ) في الأغلب، أو في أيام أبيه حبوس (٤١٠ - ٤٣٠ هـ) أيضاً.

وعرّضت لأبي جعفر اللمائي النسمة (من أمراض الصدر: الربو؟) وأزمنت فتوفّي من أثرها في مالقة، سنة ٤٦٥ هـ (١٠٧٢ - ١٠٧٣ م). وقد نُقلت جُثته إلى حصن الورد عند مونت ميور (الجبل الكبير) بحسب وصيته ودُفن هنالك في قبر كان قد آبتناه. وإذا كان أبو جعفر اللمائي قد راسل أبا جعفر بن عباس (ت ٤٢٧ هـ) فيجب أن يكون قد عاش سبعين سنة أو تزيد.

٢ - أبو جعفر اللمائي أديبٌ مُترسلٌ وناثر شاعر. وشعره مدحٌ ووصفٌ للطبيعة. ويبدو أن معظم شعره وجدائيّ قاله في أحوال مرضه وفي الشكوى من الأيام. وله نسيبٌ أيضاً.

٣ - مختارات من آثاره

- كتب أبو جعفر اللمائي إلى أبي جعفر بن عباس^(١) يُعزيه بأبيه:
 إن لم أجد التابين فأجد^(٢) البكاء والحنين، وإن لم أحسن التملق والإطراء

(١) هو أبو جعفر أحمد بن عباس كان وزيراً لزهير صاحب المرية وليباديس صاحب غرناطة. وكان غنياً جداً وبخيلاً جداً. وقد نكبه باديس وسجنه ثم أمر بقتله، سنة ٤٢٧ هـ وهو ابن ثلاثين سنة.
 (٢ و٣) التركيب خاطيء. ليس هنا مكان لربط جواب الشرط (وهو فعل مضارع بالفاء). والصواب أن =

فأحسن الإخلاص والدعاء . واتَّصلَ بي موتُ الوزيرِ أبيك - لَقَّاهُ اللهُ
غُفْرَانَهُ - وَكَوْنُكَ بِفَضْلِ اللهِ مَكَانَهُ، فَرَوَّعَ جَنَانَ^(١) الصَّبرِ وأُخْرَسَ لِسَانَ الشُّكْرِ:
بَذَرْتُ أَفَلَ وَهَلَالَ^(٢) اسْتَقْلَّ^(٣) . أَعَزَّيْكَ وَأُسَلِّيكَ: قَدَرْتُ مُصَابِكَ قَدَرْتُ ثَوَابِكَ^(٤) . صَبْرًا جَمِيلًا
عَلَيْهِ لَتُوجَرَ، وَفَعَلًا حَمِيدًا^(٥) بَعْدَهُ لَتَذَكَّرَ.....

- وقال أبو جعفر اللبائي في عِلته (داء النسمة):

عَظُمَ الْبَلَاءُ فَلَا طَبِيبٌ يُرْتَجَى مِنْهُ الشِّفَاءُ، وَلَا دَوَاءٌ يَنْجَعُ^(٥) .
لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ لَمْ أَعَالِجْهَا بِهِ طَمَعَ الْحَيَاةُ؛ وَأَيْنَ مَنْ لَا يَطْمَعُ^(٦) ؟
(وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتُ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ)^(٧) .
- ودخل عليه بعضُ أصحابه في عِلته (في قَتْرته التي مات فيها) فجعل يُرَوِّحُ
عليه بِمِرْوَحَةٍ . فقال ارتجالاً:

رَوَّحَنِي عَائِدِي فَقُلْتُ لَهُ: مَهْ، لَا تَزِدْنِي عَلَى الَّذِي أَجِدُ^(٨) .
أَمَّا تَرَى النَّارَ، وَهِيَ خَامِدَةٌ، عِنْدَ هُبُوبِ الرِّيحِ تَتَقَدُّ؟
- وَقَالَ (يُصَوِّرُ الرَّبِيعَ وَهُوَ يَطْلُبُ النَّدَى - الْعَطَاءُ - مِنْ يَدِ بَادِيسَ):
طَلَعَتْ طَوَالِعُ لِلرَّبِيعِ فَأَطْلَعَتْ فِي الرُّوضِ وَرَدًا قَبْلَ حِينِ أَوَانِهِ^(٩) .
حَيًّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُبَشِّرًا وَمُؤَمِّلًا لِلنَّيْلِ مِنْ إِحْسَانِهِ^(١٠) .

= يُقَالُ مَثَلًا: فَإِنْ لَمْ أَجِدِ التَّابِينَ فَأَنَا أَجِيدُ الدَّعَاءَ (فَيَكُونُ جَوَابُ الشَّرْطِ جُمْلَةً اسْمِيَّةً مَرْبُوطَةً بِالْفَاءِ).

- (١) جنان: قلب.
- (٢) بدر (رجل كبير) أفل (غاب)، وهلال (رجل شاب) استقل (طلع).
- (٣) كلما عظم مصابك بالميت كان أجرك عظيمًا على مقدار ذلك.
- (٤) صبراً جميلاً: أصبر صبراً جميلاً.....
- (٥) ينجع: ينفع.
- (٦) طمع الحياة (طمعاً في الحياة). وهل في الدنيا أحد لا يطمع بطول الحياة.
- (٧) البيت لأبي ذؤيب الهذلي (بضم ففتح) وهو شاعر مخضرم (ت ٢٨ هـ).
- (٨) العائد: الذي يزور المريض. مه: كف، كفي.
- (٩) طالعة: أول نبات (الربيع).
- (١٠) النيل: العطاء.

- وقال يشكو نوائب دهره:

أَمْسى سَقامي زاجري ومُؤنَّبي، وغدا مَشِيبِي واعْطِي ومُؤدَّبي.
أَوْهَتْ خُطوب الدهرِ مِنِّي عاتِي تَفْلاً، وزَعَزَعَ مَنكِبَهُ مَنكِبي^(١).
وَهَمَّتْ سَحَابُهُ عَلَيَّ فغَادَرَتْ أَرْضِي قَرَارَةَ كُلِّ خُطْبٍ مُعْجِبٍ^(٢)،
يَا سَيِّدِي وَأَخِي الْوَفِيِّ، وَمَا أَخِي مِنْهُ إِلَى قَلْبِ الْإِخَاءِ بِأَقْرَبِ.
وَإِذَا غدا الْعِلْمُ الْمُشْرِفُ أَهْلَهُ نَسِياً يُؤْلَفُنا، فَنَحْنُ بِنوَابِ
وَكُنْتُ عَنْ وَدٍّ، وَقَدْ كَتَبَ الْإِخَا بَيْنَ النُّفُوسِ صَحَائِفًا لَمْ تُكْتَبِ^(٣)،
بَارِقٌ مِنْ دَمْعِ الْمَشُوقِ فَوَادَهُ وَأَرْقٌ مِنْ رِيْقِ الْحَبِيبِ وَأَعْدَبِ.
فَظَلَلْتُ مِنْهُ فِي غَدِيرِ بِلَاغِي عَذْبٍ وَمُلْتَفِ الْحَدَائِقِ مُعْشَبِ.
كَرُمْتُ مَفَارِسُهُ فَأَوْرَقَ فِرْعُهُ عِلْماً وَأَثَمَرَ بِالْكَلَامِ الطَّيِّبِ
خَفِيتُ مَعَانِيهِ عَلَى أَوْهَامِنَا، فَالْفِكْرَ بَيْنَ مُصَدِّقٍ وَمُكْذَبِ.

٤- ** المطمح ٢٥-٢٦؛ بغية الملتبس ٥٥٥ (رقم ١٥٢٠)؛ الذخيرة ١: ٦١٧-٦٢٤؛
المغرب ١: ٤٤٦-٤٤٧؛ الإحاطة ١: ٢٤٠-٢٤٣؛ نفح الطيب ٣: ١٩٦،
٥٤٧، ٥٩٦، ١٥٤؛ نيكل ١٢٢.

أبو الحسن البَلَنُوي

١- هو أبو الحسن عليُّ بنُ أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي البشر (أو البشائر) البَلَنُوي الصِقْلِي نسبةً إلى مدينة بيلّا نووبا (باللفظ الإسباني) أو فيلاً نوفا (باللفظ الإيطالي الحديث: البلدة الجديدة)، وهي بلدة في غربي جزيرة صِقْلِيَّة. وقد كان أبو القاسم عبد الرحمن (والدُ أبي الحسن البَلَنُوي)، فيما يبدو، رجلاً عَلمٍ وأدبٍ وشعراً^(٤).

- (١) المنكب: ما بين الكتف والعنق. للدهر منكبان (هو أقوى مني).
 - (٢) هما: سقط، هطل، (نزل الماء من السحاب). القرارة: المكان المنخفض تستقر فيه الأشياء.
 - (٣) الخطب: المصيبة. المعجب: الداعي إلى المعجب (الكبير، الشديد).
 - (٤) في «الاحتار من شعر بشر» (الصفحة ل) أن أبا القاسم عبد الرحمن ابن أبي البشر أشد:
- نزل المشيب بعارضي ولمّتي. يا نفس، فازدجري عن اللذات.
ودعي الحياة لأهلها وتجهّزي، يا نفس-ويك- تجهّز الأموات. =

أما مَوْلُدُ أبي الحسن البَلَنُويِّ فكان في صِقْلِيَّةَ، ولكنَّا لا نَعْرِفُ شيئاً من تفاصيل حياته فيها. ثم إنَّه هاجرَ منها في أواخرِ عَهْدِ الفِتْنَةِ أو في مطلعِ الاحتلالِ النورماني إلى مِصْرَ، لأنَّنا نرى له اتصالاً بأبي مُحَمَّدٍ الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ اليَازُورِيِّ الذي استوزره المُسْتَنْصِرُ الفاطميُّ من المُحَرَّمِ سَنَةِ ٤٤٢ إلى المُحَرَّمِ سَنَةِ ٤٥٠ (١٠٥٠ - ١٠٥٨ م). ويبدو أنَّ أبا الحسن البَلَنُويِّ كان أحياناً في الاسكندرية وأحياناً في القاهرة وأنَّه تكسَّبَ بمدحِ العُظَمَاءِ وبشيءٍ من التدريس. ولعلُّه قد بَقِيَ في الحياة إلى الثُلثِ الأخيرِ من القرنِ الهِجَريِّ الخامس (نحو ٤٦٥ هـ = ١٠٧٢ م) أو إلى ما بَعْدَ ذلك.

٢ - كان أبو الحسن البَلَنُويُّ شاعراً كثيراً التقليدِ للمشاركة في أغراضهم وأساليبهم مع شيءٍ من الفصاحة ومن جِمالِ الأسلوب، برُغم ما في أسلوبه أحياناً من الضَّعْف. ولم يَرِدْ في شعره ذِكْرٌ لِصِقْلِيَّةَ، بل كان فيه كثيرٌ من خصائصِ شعراءِ مِصْرَ في العهدِ الفاطميِّ ممَّا يَدُلُّ على أنَّ أكثرَ شعره قد قيلَ في مِصْرَ، ولعلَّ جانباً كبيراً من حياته كان أيضاً في مصر. وفنون شعره المدحُ والهجاءُ والرثاءُ والوصفُ وشيءٌ من الغزل.

٣ - مختارات من شعره

- قال أبو الحسن البَلَنُويِّ يمدح الوزير رئيس الرؤساء:

لَحَظَاتٌ مِنْ شَبِيهَاتِ الدُّمَى صَرَعَتْني بَيْنَ ظَلَمٍ وَلَمَى^(١)

= فلقد نصحتك ان قبلت نصيحتي، ولقد وعظتكَ ان قبلت عطايتي.

وكان أبو القاسم عبد الرحمن هذا مؤدِّباً لأبي طاهر اسماعيل بن أحمد بن زيادة الله صاحب «المختار من شعر بشر». وكان التجيبي (ت نحو ٤٤٥ هـ) من أهل اللغة (بغية الوعاة ١٩٣)، وهو من القيروان وسكن المهديّة ويعرف بالبرقي (تكملة الصلة) فلعلَّ أصله كان من برقة (شرقي ليبيا اليوم). وقد كان عالماً بالأدب شاعراً مجوِّداً ومن المصنفين للكتب دخل الأندلس، بعد سنة ٤٠٠ هـ فكان في مالقة سنة ٤٠٦ هـ ثمَّ ناز إلى مصر فأثَّار فيها سنة ٤١٥ هـ. وقد اجتمع به أبو مروان الطنبلي في الاسكندرية سنة ٤٣٨. ورأى ابن الأثير شيئاً بخط أبي طاهر مؤرخاً في جادى الآخرة من سنة ٤٤١ (تشرين الثاني - نوفمبر ١٠٤٩ م).

(١) الدمية: الصورة الجميلة (أو التمثال الصغير الجميل، أو اللعبة على هيئة فتاة جميلة). شبیهات الدمی: نساء جيلات مجدّاء. صرع: ألقي (خصمه) أرضاً، (قتله). الظلم (يفتح الظاء): ماء الأسنان وبريقها (لونها الأبيض). اللمی: سمرّة في الشفتين (من مظاهر الجمال البدوي).

بعد ما قلتُ تناهتُ صَبَوقِي رَجَعْتَنِي مُسْتَهَاماً مُغْرَماً^(١).
 لائمي، أَقْصِرْ فَإِنِّي كُلَّمَا زِدْتُ لَوْماً زَادَ سَمْعِي صَمّاً^(٢).
 بَأْيٍ مِنْ جَاءَ فِي مُعْتَذِراً وَجِلّاً مِمَّا جَنَاهُ نَدَمًا^(٣).
 فرأيتُ البدرَ مِنْ طَلَعَتِهِ ضاحِكًا مِنْ وَجْهِهِ مُبْتَسِماً.
 زائرٌ أَسْأَلُ عَنْهُ مُقْلَتِي هل رَأَتْهُ يَقْظَةً^(٤) أَمْ حُلْماً؟
 كيف تخفى زُورَةُ الصُّبْحِ وَقَدْ فَتَحَ الرُّوْضَ وَجَلَّى الظُّلُمَا.
 عَجَبًا مِنْ سَقَمٍ فِي طَرْفِهِ يُورِثُ الْجِسْمَ وَيَشْفِي السَّقَمَ^(٥).
 قد أَعَارَ الكَأْسَ مِنْهُ وَجَنَةً وَثَنَايَا وَرَضَابَا وَقَمًا^(٦).
 كيف أَعْتَدْتُ بِلُقْيَا هَاجِرٍ قَبْلَمَا حَاوَلَ وَصَلِي صَرَمًا^(٧)؟
 لو تَجَاسَرْتُ عَلَى الْفَتْكِ بِهِ لَمْ أَعُدْ أَقْرَعُ سِنِّي نَدَمًا.
 أَيُّ شَيْءٍ ضَرَرَنِي لَوْ أَنَّنِي كُنْتُ فِي الْحِلِّ طَرَقْتُ الْحَرَمًا^(٨)؟
 وَلَقَدْ ذُقْتُ بِكَاسَاتِ الْهَوَى عَسَلًا طَوْرًا وَطَوْرًا عُلْقًا.

- (١) الصبوة: ميل الانسان إلى الحب. تناهت: بلغت منتهاها، انتهت، بطلت (بالتقدم في السن). رجع (بلا تشديد) فعل لازم ومتعد. رجعتني (بلا تشديد للجم): ردّتي، أعادتني. مغرم (شديد الحب والتعلق بال محبوب) مستهام (كاد الحب يذهب بعقله).
- (٢) لائمي = يا لائمي. أقصر: أقلل من لومك إياي.
- (٣) وجلا: خائفا. جناه: أذنب فيه. ندما = نادما.
- (٤) اليقظة (يجب أن تكون بفتح القاف).
- (٥) سقم في طرفه: من فتور في عينيه (من الدلال والنعمة والجمال) في الأصل يورث الجسم. والبلاغة والشاعرية تقتضيان أن يقول الشاعر: يورث السقم (بضم السين: إذا هجر) ويشفي السقم (إذا وصل، أنعم على الحب).
- (٦) قد أعار الكأس (الخمر) منه وجنة (لونا أحرر جيلا كلون وجنته: حدّه) وثنايا (حبا أبيض يملو صفحة الخمر في الكأس كيباض ثناياه: أسنانه). ورضابا (طعما حلوا كريهه) وفما (رائحة طيبة كرائحة فمه).
- (٧) كيف أعتدّ (أحسب، أجد رجحا في) لقيا. هاجر (لقاء حبيبي الذي كان قد هجرني طويلا). صرم: قطع.
- (٨) الحل: كلّ مكان خارج مكان الحجّ أو زمن الحجّ في مكّة. الحرم (تورية) مساحة حول مكّة يحرم فيها الصيد في أيام الحجّ. والحرم: المكان الذي يحرم من جسم المحبوب.

وجليسٍ قد شئنا شخصه
ثقل الوطأة في زورته
مذ عرفناه ملحاً مبرماً^(١)
ثم ما ودّع حتى سلماً.
بعض ما لاقيت منه أنه
نفر الرّم الذي قد رثماً^(٢).

★ ★

وأعزّ الخلق طراً عائد
نحن منه في جنان ورع
برئيس الرؤساء اغتصماً.
نلبس العزّ ونجني النعماً^(٣).
قد بلوناه على علاّته
فبلونا العارض المنسجماً^(٤).

★★ - ٤ بروكلمن ١ : ٣١٧ ، الملحق ١ : ٤٧٤ ؛ تاريخ الأدب العربي في صقلية (تأليف ريزيتانو) ص ١٢١ - ١٢٥ ؛ راجع الخريدة (تحقيق الدسوقي وعبد العظيم) ٤ : ١٢٨ - ١٢٩ .

الشقراطيّسي

١ - هو أبو محمد عبد الله بن يحيى (ت ٤٢٩ هـ) بن عليّ بن زكريا التوزريّ الشقراطيّسي، نسبة إلى قلعة قديمة كانت بالقرب من قفصة (في تونس) تسمى شقراطس.

وُلد الشقراطيّسي في توزر (جنوبيّ القطر التونسي) وعاش فيها. وتلقّى العلم على والده وعلى غيره. وفي سنة ٤٢٩ هـ رحل إلى المشرق وحجّ وزار (المدينة). وفي أثناء رحلته (ذهاباً أو إياباً) اتفق نزولاً للفرنجية (الصليبيين) في مصر فاشترك في مقاتلتهم.

-
- (١) شئنا: أبغضنا، كرهنا. شخصه (حضوره في مجلسنا). المبرم: الذي يملّ الناس منه.
(٢) نفر الرّم (الغزال الأبيض، المحبوب). رمّ: عطف. كان المحبوب قد عزم على أن ينيلني مرادي منه، فلما رآه هرب.
(٣) جنان ورع (٤). جنان (بالفتح: القلب، وبالكسر جمع جنّة). نجني: نقطف، ننال.
(٤) بلوناه: اخترناه. على علاّته: في جميع أحواله وعلى ما كان منه من نقص أحياناً، العارض: السحاب (الكثيف). المنسجم: الهاطل (الساقط) بكثرة.

ويبدو أنه أبلى في هذا القتالِ بلاءً حسنًا، إذ له في ذلك قصيدةٌ تدلُّ على متانةٍ وجمال، منها:

واسمَرَ عَسَّالِ الكُعبِ سَقَيْتُهُ نَجِيعَ الطُّلى والخيلُ تَذمُّ نُحُورُهَا^(١).
وعادَ الشُّقْراطيسيُّ إلى تَوَزَّرَ فأفقى فيها ودرَّس. وكانت وفاته في ثامن ربيع
الأوَّل من سنة ٤٦٦ (١١/١١/١٠٧٣ م).

٢- كان الشُّقْراطيسيُّ من فقهلاء بلدةٍ تَوَزَّرَ ومن القضاة فيها، وقد برَّعَ أيضاً في شيء من النثر والشعر. واشتهر ببديعية (قصيدة في مدح الرسول) عُرِفَتْ بلامية الشُّقْراطيسي، تبلغُ نحو مائة وثلاثة وثلاثين بيتاً أورد فيها الشُّقْراطيسي أشياء من السيرة (حياة رسول الله) من أحداث وغزوات ومعجزات. وفي هذه القصيدة وجهان من أوجه الضعف: المبالغة في الصناعة اللفظية (الجناس والطباق) خاصةً (تأما يجعل المعاني في أكثر الأحيان غامضة) ثم ضعف في اللغة (في استعمال الألفاظ وفي التراكيب). ولكن لا شك في أن البوصيري (ت ٦٩٤ هـ)^(٢) قد نظرَ إلى هذه القصيدة لما نظم قصيدته البردة: «أمن تذكر جيرانٍ بذي سلمٍ؟». وقد اهتم بهذه القصيدة نفرٌ كثيرون فشطروها أو خسوها أو شرحوها. وكذلك أصاب الذين انتقدوا ما فيها من الغلو في التصنيع (أوجه البلاغة).

٣- مختارات من شعره

- منتخبات من القصيدة الشُّقْراطيسية:

الحمدُ لله، منَّا باعثُ الرسلِ هَدَى بأحمدَ منَّا أحمدَ السُّبلِ^(٣).
خيرُ البريةِ من بذو ومن حضرٍ وأكرمُ الخلق من حافٍ ومُنتمِل.
توراةُ موسى أتتْ عنه فصَدَّقها إنجيلُ عيسى بحقٍّ غيرِ مُقتلِ^(٤).

(١) أسمر: رمح. عَسَّال: اللين الذي يهتز. الكعوب (جمع كمب): العقد التي في قناة (قصبة) الرمح. نجيع: دم. الطلا (بالضم) جمع طلاة (بالضم): العنق.

(٢) راجع، فوق، الجزء الثالث.

(٣) أحمد (الأولى): عمَد رسول الله واحد (الثانية): أحسن.

(٤) جاء ذكر بعثة رسول الله في التوراة وفي الانجيل.

أخبارُ أخبارِ أهلِ الكُتُبِ قد وَرَدَتْ
ضاءُ بَمَوْلده الآفاقُ واتَّصلتْ
وصَرَخُ كِسرى تداعى من قواعده
ونارُ فارسَ لم توقدْ، وما خمدتْ
خرتْ لَمَبْعَثه الأوثانُ وانبعثتْ
والجدعُ حنَّ لأنْ فارقتَه أسفاً
ما صبرُ مَنْ صارَ من عينٍ إلى أثرٍ
دعوتَ للخلقِ عامَ المَحَلِ مُبْتَهلاً؛
صعدتْ كَفَيْكَ إذ كَفَّ الغمامُ فما
أراقَ بالأرضِ نجاً صوبَ رَبِّه
زُهرٌ من النورِ حلتْ روضَ أرضِهِمْ
من كلِّ غُصْنٍ نضيرٍ مُورِقٍ خَضِرٍ
تحيةٌ أحييتِ الأحياءَ من مُضِرٍ،
عمّا رأوا أو رَوَوْا في الأعصرِ الأوَّلِ.
بُشْرِ الهواتقِ في الإِشراقِ والطفَلِ^(١).
وانقضَّ منكسرَ الأرجلِ ذا مِيلِ^(٢).
مُدَّ أَلْفِ عامٍ، ونَهَرُ القومِ لم يَسِلِ^(٣).
ثواقِبُ الشُّهبِ تَرْمِي الجَنِّ بالشُعَلِ
حينَ تَكُلِي شَجَّتْها لَوْعَةُ الثَّكَلِ^(٤).
وحالٌ من حالٍ من حَلِيٍّ إلى عَطَلِ^(٥)؟
أفديكَ في الخَلْقِ من داعٍ ومُبْتَهَلِ^(٦).
صَوَّبَتْ إلَّا بِصَوْبِ الواكِفِ المَطَلِ^(٧).
فحلَّ بالروضِ نَسْجاً رائقَ الحَلَلِ^(٨).
زَهراً من النُّورِ ضافي التَّنبِتِ مُكْتَهَلِ^(٩).
وكلُّ نَوْرٍ نَضِيدٍ مُورِقٍ خَضِلِ^(١٠).
بعد المَضَرَّةِ تَروِي السُّبُلَ بالسَّيْلِ^(١١).

- (١) الهاتفة: المنادية (من غير أن يراها أحد). الطفل: الوقت الذي تقرب فيه الشمس من المغيب.
(٢) الميل (بفتح ففتح): الاعوجاج. من الأحداث التاريخية الثابتة أن أيوان (قصر) كسرى انشق (بزلال) في نحو الزمن الذي ولد فيه محمد رسول الله.
(٣) وكذلك غاض ماء بحيرة ساوة في فارس (بفعل الزلزال نفسه) وانطفأت النار التي كانت تشتعل في الهيكل للعبادة.
(٤) شجاء الأمر: حزنه وأحزنه. اللوعة: مرض الحزن أو الحب. الثكل (بفتح ففتح أو بضم فسكون): موت الأولاد.
(٥) الحلي: لبس الحلي (من الذهب وغيره). العطل: التجرد من أسباب الزينة.
(٦) الحَل: القحط وانحباس المطر. دعوت: استسقيت (طلبت من الله أن يزل المطر).
(٧) صعدت: رفعت. صوبت: خففت (كفَيْكَ) بصوب الواكف المَطَل. بانسكاب المطر الغزير.
(٨) أراق: صبَّ. الشَّج: الانصباب الشديد (للمطر). الرِيق (أول المطر). نسج رائق (يعجب العين). الحَلل (اللباس): كناية عن كثرة النبات والزهر على وجه الأرض.
(٩) الزهر (بالضم): النجوم و(بالفتح) أزهار النبات. مكتهل: ناضج، واف، كثير.
(١٠) نضير: ريّان (طري) من الماء. نضيد: منظوم، مرتب. خضل: مبتل.
(١١) تحية (من المطر). الأحياء: منازل القبائل. مضر (العرب). السبل: الطرق (الساثرون على الطرق). السيل (بفتح وسكون): جريان الماء (حرك الشاعر الياء لضرورة الشعر).

دامت على الأرض سنباً غير مقلعة،
 أعجزت بالوحي أرباب البلاغة في
 سألهم سورة في مثل حكمته
 برئت من دين قوم لا قوام لهم:
 يستخبرون خفي الغيب من حجر
 نالوا أذى منك لولا حلم خالقهم؛
 واستضعفوا أهل دين الله فاضطربوا
 أرخت بالسيف ظهر الأرض من نفر
 تركت بالكفر صدعاً غير ملتئم،
 وأفلت السيف منهم كل ذي أسف
 ويوم مكة إذ أشرفت في أمم
 خوافق ضائق ذرع الخافقين بها

لولا دعاؤك بالإقلاع لم تزل (١).
 عصر البيان فضلت أوجه الخيل (٢).
 فتلهم عنه حين العجز حين تلي (٣).
 عقولهم من وثاق النفي في عقل (٤).
 صلد، ويرجون عوث النصر من هبل (٥).
 وحجته الله بالإعذار لم تنل (٦).
 لكل مفضل خطب فادح جلل (٧).
 أرخت بالصدق منهم كاذب العلل (٨).
 وآب عنك بقرح غير مندمل (٩).
 على الحمام حماه آجل الأجل (١٠).
 يضيق منها فجاج الوعث والسهل (١١).
 في قاتم من عجاج الخيل والإبل (١٢).

- (١) سبعا: سبع ليال. أقطع المطر: وقف عن السقوط. - ولولا أنك دعوت الله ليقف هطول المطر (كما كنت قد دعوته لانزال المطر) لاستمر المطر في هطوله بلا انقطاع.
- (٢) ضلت أوجه (بالرفع) الخيل: لم يكن هنالك حيلة (وسيلة) لمباراة نظم القرآن (لأنه وحي). (وبالنصب): أرباب (أصحاب) البلاغة ضلوا (لم يهتدوا) إلى وجه يستطيعون به تقليد نظم القرآن.
- (٣) تله: كبه على وجهه. حين (موت؟) تلي: قرىء.
- (٤) العقل جمع عقال (بالكسر): الرباط.
- (٥) صلد: يابس. هبل: صنم كبير كان في مكة.
- (٦) لو لم يرد الله مجله أن يدفع عنهم الأذى لنالهم أذى منك.....
- (٧) الخطب: الحادث العظيم (المصيبة) الفادح: الثقيل. المعصل: الذي لا دواء له. الجلل: الكبير.
- (٨) أرخت (أزلت) كاذب العلل: ما يتعللون به لبقائهم على الوثنية (٩).
- (٩) الصدع: الشق (يفتح الشين). آب: رجع. القرح (بالفتح أو الضم): الجرح. اندمل الجرح: انضم (برىء).
- (١٠) الحمام: الموت - نجا من السيف نفر لأن آجالهم لم تنته، وهم يأسفون على أنهم لم يموتوا (لأن بقاءهم كان عاراً عليهم.....؟).
- (١١) الفج (بالفتح): الطريق في الجبل، الطريق. الوعث: الطريق العسير. السهل (بفتح فسكون) الأرض اللينة (وحرك الشاعر الماء لضرورة الشعر).
- (١٢) (الجماعات) الخوافق: الذين يذهبون في طول البلاد وعرضها. الخافقان: الأفقان (المشرق والمغرب). الذرع: القياس، المسافة، المساحة (بكسر الميم). العجاج: الغبار.

قالوا: «محمّد قد زارت كتائبه فويل مكة من آثار وطائيه، فجدت عفواً بفضل العفو منك، ولم عاذوا بظلم كريم العفو ذي لطيف وحلّ أمنّ ويمنّ منك في يمنّ وأصبح الدين قد حُفّت جوانبه قد طاع منحرف منهم لمُعترف لم يبق للفرس ليث غير مُفترس، ولا من النوب جذم غير مُنجذم، وسلّ بالغرب غرب السيف إذ شرقت وعاد كلّ عدو عزّ جانبه يا صفوة الخلق، قد أصفيت فيك صفا

كالأسد تزار في أنيابها العُصْل^(١) وويل أم قريش من جوى الهبل^(٢). تلميم ولا باليم اللوم والعدل^(٣). مبارك الوجه بالتوفيق مُشتمل^(٤). لما أجابت إلى الايمان عن عجل^(٥). بعزة النصر واستولى على الملل. وانقاد مُنعدل منهم لمعتدل^(٦). ولا من الحبش جيش غير مُنجفل^(٧). ولا من الزنج جذل غير مُنجذل^(٨). بالشرق قبل صدور البيض والأسل^(٩). قد عاذ منك ببذل غير مُبتذل^(١٠). صفو الوداد بلا شوب ولا دخل^(١١).

- قال عبد الله الشقراطيسي في الفخر:

فلما تجلّى الفجر من طرّة الدجى، وولت بأعجاز النجوم صُدورها،
تيممت أسدام المياه، ودونها مجاثم آجام القضا ووکورها،

- (١) محمّد رسول الله. وحقّ «محمّد التنوين» (ومنعه الشاعر من الصرف لضرورة الوزن). العصل جمع أعصل وعصلاء: (الناب) الموجّه الصلبة.
- (٢) ويل أم قريش = ويل قبيلة قريش. الجوى: شدة الحزن. الهبل: الثكل (موت الأولاد).
- (٣) ألم: زار زيارة خفيفة و(هنا) عدل (عاتب) عتاباً قليلاً.
- (٤) عاذوا: لجأوا إلى. مشتمل: عامّ، مغطى بشملة. تكون الميم في «مشتمل» مكسورة (هو مشتمل بالتوفيق) والأصوب أن تكون مفتوحة (شمله) (يفتح فكسر) الله بالتوفيق.
- (٥) اليمن (بالضم): البركة، النعمة. أجابت إلى الايمان (دخل أهل اليمن في الاسلام).
- (٦) طاعه وأطاعه بمعنى. المنحرف: المائل (عن الدين) المعترف (المقرّ بالاسلام). منعدل ليست في القاموس (يقصد: المائل، الجائر، المنحرف). المعتدل (السائر على الطريق العدل أو الحق: الاسلام).
- (٧) المنجفل: المطرود الشارد.
- (٨) الجذم: الأصل. منجذم: منقطع (مقطوع من أصله). الجذل: الجذم.
- (٩) غرب السيف: حدّه. الغرب (المغرب من الأرض). شرق: غصّ (امتلاً). قبل (من قبل). البيض (السيوف) والأسل (الرماح).
- (١٠) عاذ: لجأ. بذل: عطاء (عفو) غير مبتذل (لا يمنح لكلّ من يطلبه).
- (١١) الشوب: المزج، الخلط. الدخل: الفساد، العيب، المرض، الريبة.

بقلب رَبيطِ الجاشِ مُتَّسِعِ الحشا على الهولِ مجموعِ الحِصاةِ وقورها.
وأُسْمَرَ عَسَالِ الكُعُوبِ سَقَيْتُهُ نجيعَ الطُّلى والحيلُ تَذمى نُحورها.
وقد عَلِمَ الأبطالُ كَرِّيَ فِيهِمْ إذا جاحمُ الهيجاءِ شُبَّ سَعِيرها.

- ٤- عبد الله الشقراطيسي (في: أعلام الأفارقة)، تأليف الهادي مصطفى التوزري (نشره رابطة التضامن الأدبي بتونس)، تونس (مطبعة الترقى) ١٩٥٥ م.
- ★ ★ فهرست ابن خير ٤١٩، راجع ٥١٦؛ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ١: ٥٤ (صفر ١٣٩٩ / كانون الثاني - يناير ١٩٧٩)..... القصيدة الشقراطيسية في مدح المصطفى (لعبد الله كنون)، ص ٨٦ - ١٠٦؛ ابن قنفذ ٢٥٣؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٦٣ - ١٦٧؛ عنوان الأريب ١: ٤٢ - ٤٣؛ المرحلة المغربية (جدو) ٤٠؛ بروكلن ١: ٣١٦، الملحق ١: ٤٧٣؛ الأعلام للزركلي (٤: ١٤٤ - ١٤٥).

ابن حيّان المؤرّخ

١- هو أبو مروان حيّان بن خلف بن حسين بن حيّان بن محمد بن حيّان بن وهب ابن حيّان؛ وحيّان هذا (والد وهب) كان مولى للأمير عبد الرحمن الداخل. وكذلك كان أبوه (خلف بن حسين) كاتباً للمنصور بن أبي عامر، وقد أثر باتّجاهه الأمويّ الشديد في قيام سياسةٍ مُعاديةٍ للملك الطوائف.

وُلِدَ ابنُ حيّان سنة ٣٧٧ (٩٨٧ م) في قرطبة ونشأ فيها، وتلقّى العلم على أبيه ثم على أبي عمرو أحمد بن عبد العزيز بن أبي الحُبَابِ النُحَويّ (ت ٤٠٠ هـ) وأبي حفص عمر بن حسين بن نابلي (ت ٤٠١ هـ) وأبي العلاء صاعد البغداديّ (ت ٤١٧ هـ).

وشغل ابنُ حيّان منصبَ صاحبِ الشرطة (أو صاحب المدينة) في قرطبة ثم ولي الوزارة لأبي الوليد محمد بن جهور (٤٣٥ - ٤٥٠ هـ) ثم لابنه عبد الملك (٤٥٠ - ٤٦١ هـ)، ولكننا لا نعلمُ مدّةَ بقاءه في الوزارة. وخالف ابنُ حيّان سياسةَ أهلِه فتقرّب إلى بني ذي النون أصحابِ طليطلة. ولما استولى المعتمد بن عباد على إشبيلية من يد بني جهور، سنة ٤٦٢ (١٠٧٠ م) كتب ابنُ حيّان إليه رسالةً تهنيئة.

وقد كانت وفاة ابن حيّان في ٢٨ من ربيع الأول من سنة ٤٦٩

(٣٠/١٠/١٠٧٦ م) ودُفِنَ في مقبرة الرَبَضِ في قُرطبة.

٢- كان ابن حَيَّان رجلاً سياسياً مُتَقَلِّبَ الهوى، ولكنه كان « مؤرِّخَ الأندلس والدولة الأموية فيها، إمامَ أهلِ الصِّناعة (صناعة التاريخ) في هذه الملكة (الملكة) ورافعَ الراية لهم فيها » (مقدمة ابن خلدون ١٠٩٠/٥٦٥) واسعَ الاطلاع موثوق الرواية وافرَ الحظُّ من فنون العلم والأدب. وكانت له كتبٌ عَرَفْنَا منها: المَتِّين - المآثر العامرية (أخبار الدولة العامرية) - البطشة الكبرى (سقوط أبي الوليد ابن جهور) - كتاب المقتبس في أخبار بلد الأندلس - كتاب معرفة الصحابة. وكتاب المقتبس أجلُّ كتبه، وقد كان في الاصل عشرة أجزاء تتناول تاريخ الأندلس منذ افتتاحها إلى أيام المؤلف، ولكن لم يبقَ لنا منه سوى أربعة أجزاء تتناول أحداث الأندلس من سنة ١٨٠ إلى سنة ٣٦٧ للهجرة (٧٩٦ - ٩٧٧ م).. ويورد ابن حَيَّان تاريخ الأندلس في هذا الكتاب على السنين وبتفصيل وافٍ ودقَّةٍ بالغة ثم يستطرد عادة إلى الاحوال الاجتماعية والأدبية والطبيعية كذكره « خَبَرَ الصِّيِّ المتفاوت الخلق »، فقد وُلِدَ هذا الصبيُّ ونما في جسمه وكلامه فوق المُشاهدِ في العادة (المقتبس، دار الثقافة - بيروت، ١٩٦٥ م، ص ٦٢). وكان جُلُّ اعتمادِ ابن حَيَّان في أحداث التاريخ على كتابين لأحمد بن محمد الرازي (ت ٣٤٤ هـ) هما: كتاب أخبار ملوك الأندلس وكتاب الاستيعاب لأنساب أهل الأندلس (والكتابان لم يَصِلَا إلينا).

٣- المختار من آثاره

- من منهج ابن حَيَّان في تدوين التاريخ: الفتنة البربرية:

... فَأُنْعَمْتُ الْبَحْثَ عَنْ ذَلِكَ عِنْدَ مَنْ بَقِيَ يَوْمئِذٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ لَدَيْنَا، فَلَمْ أَظْفَرْ مِنْهُ إِلَّا بِمَا لَا قَدْرَ لَهُ لَزْهَدٍ مَنْ قَبْلَنَا قَدِيماً وَحَدِيثاً فِي هَذَا الْفَنِّ وَنَفِيهِمْ لَهُ عَنْ أَنْوَاعِ الْعِلْمِ.... وَشَرَعْتُ فِي التَّفْنِيدِ غِبُّ ذَلِكَ التَّفْنِيدِ^(١) غَيْرَ مُخِلٍّ بِهِ، وَوَصَلْتُ الْقَوْلَ فِي مَا فَاتَنِي قَبْلُ مِنْ ذِكْرِ انْبِعَاثِ تِلْكَ الْفِتْنَةِ وَأَخْبَارِ مُلُوكِهَا وَمَشْهُورِ حُرُوبِهَا ثُمَّ

(١) فَنَدَفْلَانِ فَلَانًا (في القاموس): كَذَبَهُ وَعَجَزَهُ وَأَبْطَلَ رَأْيَهُ. غِبُّ: بَعْدَ. وَلَمَّا لَمَّا التَّفْنِيدِ هُنَا: التَّفْصِيلُ

فَنَدًا فَنَدًا (من الفارسية: بَنَد). لَمَّا الْجُمْلَةُ: فَشَرَعْتُ فِي « التَّقْيِيدِ » بَعْدَ « التَّفْنِيدِ »

أَصَبْتُ^(١) به عندي تذكرة أو أخذته عن ثقة، أو وصلتني به مشاهدة أو حاشته^(٢) إليّ مذاكرة، حتّى نظمت أخبارها إلى وقتي، وجثتُ بها على وجوها وأوردتها على سُبُوغها^(٣) ناشراً مطاويها ومُعَلِّناً بخوافيها، غير محابٍ ولا خائفٍ في الصدق عليها.... فركِبْتُ سَنَنْ^(٤) مَنْ تقدّمني في ما جمعتُه من أخبارِ هذه الفتنَةِ البربرية^(٥)، ونظمتُه وكشفت عنه، وأوعِيتُ^(٦) فيه ذكرَ دُولِهِمُ الْمُضْطَرِبَةِ وسياساتهمِ المُنْفَرَةِ وأسبابِ كبارِ الأمراءِ المُنتَزِينِ^(٧) في البلادِ عليهم وسببِ انتفاضِ دولهم (حالِ فحالِ بأيديهم) ومشهورِ سيرتهم وأخبارهم وما جرى في مُدَدِهِم وأغصارهم من الحروب والطوائِلِ والوقائعِ والملاحمِ^(٨)، إلى ذكرِ مقاتِلِ الأعلامِ والفرسانِ ووفاةِ العلماءِ والأشرافِ حَسَبَ ما انتهت إليه معرفتي ونالته طاقتي.

- موت زاوي بن زيري^(٩) (الذخيرة ١ : ٥٨٨):

ونمي إلينا عدو نفسه زاوي بن زيري مُوقِدُ الفِتنَةِ بعدَ الدولةِ العامرية^(١٠). وَرَدَ النَّبَأُ بِمَهْلِكِهِ فِي الْقَيْرَوَانِ وَطَنِهِ، بعدَ مُنْصَرَفِهِ إِلَيْهَا خَامِلاً مَغْمُوراً بَيْنَ أَعَاضِمِ قَوْمِهِ لَمْ يَرْتَفَعْ لَهُ ذِكْرٌ بَيْنَهُمْ^(١١). مَهْلِكُهُ كَانَ - زَعَمُوا - مِنْ طَاعُونَةٍ^(١٢) أَصَابَتْهُ. فَالْحَمْدُ لِلَّهِ

(١) أصبت: وجدت.

(٢) حاش: جمع.

(٣) السبوغ: التفصيل.

(٤) السنن: الطريق، الطريقة.

(٥) البربرية: التي قام بها بربر افريقية على عرب الاندلس.

(٦) أوعب (بالباء) وأوعى بمعنى واحد: جمع الأشياء ولم يترك منها شيئاً.

(٧) المنتزى: الثائر.

(٨) الطائلة: العداوة، الثأر. الواقعة: الحادثة. الملحمة: المعركة الكبيرة.

(٩) زاوي بن زيري من زعماء البربر تأمر مع علي بن حمود البربري وغدرا بالخليفة سليمان المستعين فخلعاه (سنة ٤٠٧ هـ) ثم قتلاه.

(١٠) الدولة (الوزارة) التي كان قد أنشأها المنصور بن أبي عامر (ت ٣٩٢) واستبد فيها بأمور الخلافة ثم خلفه فيها ولدان له وانتهت بسقوط الخلافة الأموية في قرطبة (٤٢٢ هـ)

(١١) إن غدر زاوي بن زيري لم يجعل له مكانة بين قومه البربر.

(١٢) طاعونة (بثرة أو خراج - بضم الخاء وفتح الراء بلا تشديد - تخرج للإنسان في مرض الطاعون أو في ما يشبهه).

الْمُنْفَرِدُ بِإِهْلَاكِهِ الْكَفِيلِ بِقِصَاصِهِ . فلقد كان ، في الظُّلم والجَوْر والاستحلال للمحارم^(١) و (في) القسوة، آيةٌ من آيات الله^(٢) . أَهَانَ اللَّهُ مَثْوَاهُ وَلَا قَدَسَ صَدَاهُ^(٣) .

- ٤- تاريخ دولة الأمير عبد الله الأمويّ بقرطبة (نشره ملشور أنطونيه)، باريس (كتر) ١٩٢٨، ١٩٣٧ م .
- المقتبس في أخبار بلد الأندلس (تحقيق عبد الرحمن عليّ الحجّي)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٥ م .
- المقتبس من أنباء أهل الأندلس (حقّقه محمود عليّ مكّي)، بيروت (دار الكتاب العربي) ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .
★ جذوة المقتبس ١٨٨ (الدار المصرية) ٢٠٠ (رقم ٣٩٧)؛ بغية الملتبس ٢٦١؛ الذخيرة ١ : ٥٧٣ - ٦١٤؛ الصلة ١٥٠ - ١٥١؛ المغرب ١ : ١١٧؛ وفيات الأعيان ٢ : ٢١٨ - ٢١٩؛ إعتاب الكتاب ١٩٨؛ نفح الطيب (راجع الفهرس في أماكن كثيرة أكثرها نقول)؛ شذرات الذهب ٣ : ٣٣٣؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٧٨٩ - ٧٩٠؛ بروكلمن ١ : ٤١٢ - ٤١٣؛ الملحق ١ : ٥٧٨؛ الأعلام للزركلي ٢ : ٣٢٨ (٢٨٩)؛ بالشيا ٢٠٨ - ٢١١؛ العربي (الكويت) ١٩٦٦/٣، ص ٤٨ .

محمّد بن خلصة

١- هو أبو عبد الله محمد بن خلصة الشذوي^(٤)، يُقال له البصيرُ وكان أعمى .

- (١) الجور: الظلم . استحلال المحارم: الجرأة على فعل ما حرّمه الله (الاعتداء على نسوة لا يجلن (بضم اللام الأولى وتسكين الثانية) له .
(٢) آية من آيات الله (نموذج نادر شاذّ) .
(٣) المشوى (القبر) . الصدى (الهلاك، الموت، الجثة) .
(٤) جاءت كلمة « خلصة » في المصادر المنشورة بالطبع على صور مختلفة . في القاموس (٣٠١ : ٢) : الخلصة (بفتح ففتح) : نبات و (بفتح ففتح أو بضمّ فضمّ) : بيت كان يدعى الكعبة اليبانية . وفي القاموس أيضاً (٢٣٩ : ٤) : شذونة ومنها أبو عبد الله بن خلصة (بفتح ففتح) النحوي . وقبل ذلك محمد أبو الفضل ابراهيم (انباه الرواة ٣ : ١٢٥) . وأمّا محمد بن تاويت الطنجي (جذوة المقتبس ٥١) و ابراهيم الابياري وطه حسين (المقتضب ٢٠) فاختراروا فتح الحاء وسكون اللام . واختار أحد زكي (نكت الهميان ٢٤٨) ضمّ الحاء وسكون اللام . ولا شكّ في أن احسان عباس قد توقف أمام هذه المشكلة فاختر اهمال الكلمة فلم يضبطها (نفح الطيب ٤ : ١١٠ ، ١٥٦ ، ٣٠ : ٧) . أمّا كلمة شذونة فالشهور فيها والممول به فتح الشين وضمّ الذال (راجع القاموس ٤ : ٢٣٩) . ولكنّ محمد أبا الفضل ابراهيم ضبطها (انباه الرواة ٣ : ١٢٥) بفتح الشين وسكون الذال وفتح الواو اعتقاداً على السمعاني .

أخذ عن ابن سِيده (ت ٤٥٨ هـ) ثم تصدّر للتدريس في دانية (بشرق الأندلس) بعد سنة ٤٤٠ هـ. وكان أيضاً يتكسّب بالشعر، وقد مدح أحمد بن سليمان بن هود لما استولى على دانية، سنة ٤٦٨ هـ (١٠٧٥ - ١٠٧٦ م). ويبدو أنه توفي سنة ٤٧٠ هـ (١٠٧٧ م) أو قبلها بقليل.

٢- برع محمد بن خلصة في اللغة والنحو وكان شاعراً مجيداً فنونه المدح والغزل والوصف. وشعره عذب مشرقى الديباجة فخم واضح حسن الصناعة مع أنه يتكلفها أحياناً.

٣- مختارات من شعره

- قال محمد بن خلصة الشذوني في النسيب:

أمدنفُ نفسٍ ذو هوى أم جليدها	غداة غدت في حلبة البين غيدها ^(١) ؟
وقد كنفَت منهن أكنافُ منمعٍ	عباديد سادات الرجال عبيدها ^(٢) .
تبادرن أستار القباب كما بدت	بدور، ولكنّ البروج عقودها ^(٣) .
تخذُ بالحاظِرِ العيونِ خدودها،	وترهبُ أن تنقذَ لينا قُدودها ^(٤) .
فيا لديماء الأسدِ تَنفِكُها الدُمى	وللصيد من عُفر الطبلِ تصيدها ^(٥) .
وفوق الحشايا كلُّ مرهفة الحشا	حشت كيدي ناراً بطيئاً خمودها ^(٦) .

(١) المدنف: القريب من الهلاك. الجليد: المتصبر، المتاسك. البين: البعاد، الهجر. - غداة غدت... الخ: حينما أخذت المحبوبات يتسابقن في هجر الحب.

(٢) كنفَت (أحاطت) أكناف (أطراف). منمع بفتح الميم وكسر العين (تاج العروس - الكويت - ٦: ٢٤٤). عباديد تدلّ على عدد من المعاني لا توافق المعنى المراد (راجع تاج العروس ٨: ٣٣٧ - ٣٣٨). الشاعر يقصد النساء الجميلات (كالطباء التي في وادي منمع) الإمام المملوكات...

(٣) تسابقن ينظرن من وراء ستور القباب (الخيم الكبيرة: دلالة على غناهن وتنعمهن وعلو مكانتهن في المجتمع. البروج: مجموعات نجوم (عدها اثنا عشر) كان القدماء يعتقدون أن الشمس تمر بها كلها في عام كامل.

(٤) كذا في الاصول: تخذ وترهب (بالتاء فيها). ولعلها بالنون: نخذ (نجرح) خدودها بالحاطنا (دلالة على نضارة وجوههن ورقتها). تنقذ: تنقطع.

(٥) الدمية: الصورة، التمثال (المرأة الجميلة). الصيد: الرجال الأشراف الشجعان. العفر: السر.

(٦) الحشية: الفراش، الأريكة. مرهفة الحشا: ضامرة الخصر. وفوق الحشايا... (دلالة على التنعم).

لَيْنَ زَعَمُوا أَنِّي سَلَوْتُ، لَقَدْ بَدَتْ
نُحُولٌ كَرَقَرَاكِ السَّرَابِ، وَعَبْرَةٌ
لِتَفْدِكَ أَكْبَادُ ظِلْمٍ أَجْفَهَا
ضَنَى جَسَدِي إِنْ كَانَ يُرْضِيكَ بُرْؤُهُ،
وَلَوْلَا الْهُوَى لَمْ تَرْضَ نَفْسُ نَفِيسَةً
دَلَائِلُ مِنْ شَكْوَايَ عَذَلُ شَهْوَاهَا:
كَمَا انْهَمَلَتْ غُرُ السَّحَابِ وَسُودُهَا (١).
هَوَاكِ وَأَجْفَانُ جَفَاهَا هُجُودُهَا (٢).
وِإِتْلَافُ نَفْسِي فِي هَوَاكِ خُلُودُهَا.
هَوَانًا، وَلَكِنْ حُبُّ نَفْسٍ قُوُودُهَا (٣).

٤-★★ الذخيرة ٣: ٣٢٢-٣٣١؛ جذوة المقتبس ١: ٥٤-٥٥ (رقم ٤٩)؛ بغية الملتبس ٣: ٦٤-٦٥ (رقم ١١١)؛ الحمدون من الشعراء ٤١٠-٤١١؛ انباء الرواة ٣: ١٢٥؛ نكت الهميان ٢٤٨-٢٤٩؛ الوافي بالوفيات ٣: ٤٢-٤٣؛ المغرب ٢: ٣٩٣-٣٩٤؛ بغية الوعاة ٤٠؛ نفح الطيب ٤: ١٠٠-١٠١، ١٥٦.

ابن الأجدابي

١- هو أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله اللواتي الطرابلسي المغربي المعروف بابن الأجدابي، نسبة إلى أحد أجداده الذي كان من أجدابية، وهي بلدة على نحو مائة وستين كيلو متراً جنوب بنغازي (ليبيا).

وُلِدَ ابن الأجدابي في طرابلس ونشأ فيها وتعلّم على علمائها وعلى الذين كانوا يَفِدُون إليها لأنّه لم يُبَارِحْهَا قَطُّ. ولسنا نَعْرِفُ شيئاً من أحداثِ حَيَاتِهِ وَلَا نَعْرِفُ تاريخَ مَوْلَدِهِ وَوَفَاتِهِ. وإذا كان ابنُ الأجدابي هذا مُعَاصِراً لِلْقَاضِي أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ هَانِشٍ (٤) الَّذِي تَوَلَّى الْقَضَاءَ فِي طَرَابُلُسَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً

(١) عبّرة: دَمْعَة. فِي السَّحَابِ الْاَسْوَدِ مَاءٌ كَثِيرٌ.

(٢) لَتَفْدِكَ (لَتَكُنْ فِدَاءً لَكَ). هَجُودٌ: النُّومُ.

(٣) الْقُوُودُ وَالْقَوُودُ (مَنْ قَادَ): الَّذِي يَنْقَادُ بِسَهُولَةٍ - وَلَكِنْ حُبٌّ (مُحِبُّوبٌ) الْاِنْسَانُ يَجْعَلُ ذَلِكَ الْاِنْسَانُ عَلَى قَبُولِ الدَّلِّ وَالْهَوَانِ.

(٤) نَفَحَاتُ النَّسْرَيْنِ وَالرَّيْحَانِ ٧٢، ٨٦. ابْنُ هَانِشٍ كَانَ قَاضِيًا فِي طَرَابُلُسَ (الْمَغْرِبِ) مِنْ سَنَةِ ٤٤٤ إِلَى سَنَةِ ٤٧٦ (١٠٥٢ - ١٠٨٣ م) رَاجِعْ أَعْلَامَ لِيْبِيَا، ص ١٩٣.

(٤٤٤ - ٤٧٦ هـ) فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ ابْنُ الْأَجْدَائِيِّ مِنْ أَهْلِ الْمِائَةِ الْخَامِسَةِ^(١). وَكَانَ ابْنُ الْأَجْدَائِيِّ أَحْوَلَ.

٢ - يَبْدُو أَنَّ ابْنَ الْأَجْدَائِيِّ كَانَ مُلِمًّا بَعْدَ مِنْ فُنُونِ الْمَعْرِفَةِ كَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ وَاللُّغَةِ وَالصَّرْفِ وَالنَّحْوِ وَالْأَدَبِ وَالتَّارِيخِ وَالْحِسَابِ وَالْفَلَكَ، وَلَكِنْ شُهْرَتُهُ فِي اللُّغَةِ. ثُمَّ هُوَ مُصَنِّفٌ مُكَثِّرٌ، لَهُ: كِفَايَةُ الْمُتَحَفِّظِ وَنِهَايَةُ الْمُتَلَفِّظِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ^(٢) - كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى أَبِي حَفْصٍ فِي تَثْقِيفِ اللِّسَانِ - كِتَابُ فِي شَرْحِ الْأَسْمَاءِ الْمُعْتَلَّةِ بِالْيَاءِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا مِنْ تَصْغِيرٍ وَتَكْسِيرٍ - كِتَابُ فِي الْعَرُوضِ (كَبِيرٍ) - كِتَابُ فِي الْعَرُوضِ (صَغِيرٍ، مُخْتَصَرٍ) - مُخْتَصَرٌ فِي عِلْمِ الْأَنْسَابِ - مُخْتَصَرُ كِتَابِ نَسَبِ قُرَيْشٍ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الزُّبَيْرِ بْنِ بَكَّارٍ - كِتَابُ الْأَزْمَنَةِ وَالْأَنْوَاءِ - كِتَابُ الْحَوْلِ (جَمْعُ أَحْوَالٍ).

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ

- مِنْ مَقْدَمَةِ « كِفَايَةِ الْمُتَحَفِّظِ »:

هَذَا كِتَابٌ مُخْتَصَرٌ فِي اللُّغَةِ وَمَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ غَرِيبِ الْكَلَامِ، أَوْدَعْنَاهُ كَثِيرًا مِنْ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَجَنَّبْنَاهُ حَوْشِيَّ الْأَلْفَاظِ وَاللُّغَاتِ وَأَعْرَيْنَاهُ مِنَ الشَّوَاهِدِ لَيْسَهْلَ حِفْظِهِ وَيَقْرَبُ تَنَاوُلِهِ. وَجَعَلْنَاهُ مَغْنِيًّا لِمَنْ اقْتَصَدَ فِي هَذَا الْفَنِّ وَمُعِينًا لِمَنْ أَرَادَ الْإِتْسَاعَ فِيهِ.

- مِنْ مَقْدَمَةِ كِتَابِ الْأَزْمَنَةِ وَالْأَمَكَنَةِ:

.... هَذَا كِتَابٌ مُخْتَصَرٌ أَوْدَعْنَاهُ أَبْوَابًا حَسَنَةً فِي عِلْمِ الْأَزْمَنَةِ وَأَسَاسَاتِهَا، وَالْفُصُولِ وَأَوْقَاتِهَا، وَمَنَاظِرِ النُّجُومِ وَهَيْئَاتِهَا، بِأَوْضَحٍ مَا أَمَكَّنَّا مِنَ التَّيْسِيرِ وَبِأَسْهَلٍ مَا حَضَرْنَا مِنَ التَّقْرِيبِ.....

(١) فِي نَفَحَاتِ النَّسْرِينِ وَالرِّجَاجِ تَضَارَبَ فِي اثْبَاتِ تَوَارِيخِ وَلَايَةِ ابْنِ هَانِشٍ وَتَوَارِيخِ ابْنِ الْأَجْدَائِيِّ. فَصَاحِبُ نَفَحَاتِ النَّسْرِينِ وَالرِّجَاجِ يَذْكُرُ أَنَّ وَفَاةَ ابْنِ الْأَجْدَائِيِّ كَانَتْ فِي صَدْرِ الْمِائَةِ السَّابِعَةِ بَعِيدَ ٦٠٠ هـ ثُمَّ يَجْعَلُهُ مُعَاصِرًا لِابْنِ هَانِشٍ. وَلَعَلَّ مَا اخْتَارَهُ الزُّرْكَانِيُّ (الْإِعْلَامُ ١: ٢٥) قَرِيبَ مِنَ الصَّوَابِ إِذَا جَعَلَ وَفَاةَ سَنَةِ ٤٧٠ هـ.

(٢) كِتَابُ فِي فِقْهِ اللُّغَةِ (عَلَى مِثَالِ « فِقْهِ اللُّغَةِ » لِلشَّعَالِيِّ).

- السَّنةُ (كتاب الأزمنة والأمكنة، ص ٣٠):

... وَأَمَّا السَّنةُ فَهِيَ الْمُدَّةُ الْجَامِعَةُ لِلْفصولِ الأربعةِ التي هي الربيعُ والصيفُ والخريفُ والشتاءُ، ومِقدَارُها عندَ الرومِ والسُّريانيِّينَ اثنا عشرَ شهراً شمسيَّةً، قد أُكْمِلَ الكَسْرُ في بَعْضِها فصَارَ واحداً وثلاثينَ يوماً وأُسْقِطَ من بَعْضِها فصَارَ ثلاثينَ يوماً لا غيرُ. ومِقدَارُها عندَ القبطِ اثنا عشرَ شهراً شمسيَّةً قد أُسْقِطَ الكَسْرُ من جَمِيعِها فصَارَ كُلُّ شهرٍ منها ثلاثينَ يوماً؛ وَيَزِيدُونَ على ذلكَ خَمسةَ أَيامٍ تُسَمَّى النَّسيءَ عِوضاً عن الكُسُورِ التي أُسْقِطَتْ من كُلِّ شهرٍ.

ومِقدَارُ السَّنةِ عندَ العربِ اثنا عشرَ شهراً قمريةً، وكذلك هي عندَ العِبرانيِّينَ واليونانيِّينَ، إِلَّا أَنَّ هؤلاءِ يَزِيدُونَ في كُلِّ ثلاثِ سِنِينَ من سِنِيهِم، شهراً فتكونُ الثالثةُ من سِنِيهِم أبداً ثلاثةَ عشرَ شهراً قمريةً يُسَمَّونها الكبيسةَ. وربَّما كانت زيادتهم لهذا الشهرِ في مُدَّةِ سَنَتَيْنِ لأنَّهم يفعلون ذلكَ في كُلِّ عَشْرَةِ سَنَةٍ تِسْعَ مرَّاتٍ^(١).....

- ٤ - كفاية المتحفِّظ ونهاية المتلفِّظ، القاهرة ١٢٨٥، ١٢٨٧، ١٣١٣؛ (نشره أحمد عباس)، بيروت ١٣٠٥ هـ؛ (في المجموعة اللغوية - نشرها مصطفى الزرقا)، حلب ١٣٤٥ هـ.
- كتاب الأزمنة والأمكنة (حقَّقه عزَّة حسن - نشرته وزارة الثقافة والإرشاد القومي الجمهوريَّة العربيَّة السوريَّة: احياء التراث القديم، رقم ٩)، دمشق (دار سميراميس للطباعة والنشر) ١٩٦٤ م.

★ معجم الأدباء ١ : ١٣٠؛ انباء الرواة ١ : ١٥٨؛ بغية الوعاة ١٧٨؛ رحلة التجاني ٢٦٢ - ٢٦٤؛ المنهل العذب ١ : ١٥٤ - ١٥٦؛ أعلام ليبيا ٤ - ٥، أعلام طرابلس ١١٦ - ١٢٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٦٩؛ تاج العروس (الكويت) ٢ : ١٤١؛ بروكلمن ١ : ٣٧٥، الملحق ١ : ٥٤١؛ مجلة الجمع العلمي العربي بدمشق ٣٣ : ٣٤٩؛ مجلة كُلية الآداب (الجامعة الليبية)، العدد الثالث ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م، ص ١٤٥ - ١٨٢؛ صوت الحقّ (المغرب) السنة الأولى، العدد الأوَّل، ص ٣٣؛ الأعلام للزركلي ١ : ٢٥. (٣٢).

(١) لأنَّ السنة الشمسية في الحقيقة ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم وكسر من الساعات.

إدريس بن اليان

١- هو أبو علي إدريس بن اليان بن سام العبديّ الياسيّ (نسبة إلى يابسة أصغر الجزر الشرقية - شرق الأندلس) الشبنيّ (نسبة إلى الشبين، وهو شجر الصنوبر لأنه يكثر في بلده). أصلُ أهله من قسطلّة الغرب من عملٍ شنت مرّة ابن هارون من مملكة شلب حيثُ حكم بنو مزّين من ملوك الطوائف (٤١٩ - ٤٤٤ هـ). ويبدو أن مولده كان في جزيرة يابسة. ولقد نشأ وقرأ العلم في مدينة دانية (على الساحل الجنوبيّ الشرقي من الأندلس). ثم طال مكثه فيها، وفيها بدأ حياته العامّة وعُرِفَتْ مواهبه الأدبية. بعدئذٍ أخذ يتردّد على بلاطات ملوك الطوائف فنَفَقَ شعره فيها وتكسب به: مدح ابن حمّود (لعلّه محمد المهديّ بن القاسم بن حمّود صاحب الجزيرة الخضراء من سنة ٤٣١ إلى سنة ٤٤٠) ومدح ابن مقنة وزير يحيى بن حمّود صاحب مالقة ومدح الموقّق مُجاهداً العامري في دانية (٤٠٨ - ٤٣٢ هـ) وابنه اقبال الدولة (٤٣٦ - ٤٦٨ هـ) ومدح المأمون بن ذي النون في طليطلة (٤٢٩ - ٤٦٧ هـ) ثم مدح المعتضد بن عبّاد صاحب اشبيلية (٤٣٤ - ٤٦١ هـ).

وكانت وفاة إدريس بن اليان الياسيّ سنة ٤٧٠ (١٠٧٧ م). وإذا نحن قبلنا أن يكون مدحه قد بدأ بابتن مقنة وزير يحيى بن حمّود - وكان يحيى قد حكم مالقة في فترتين بين سنة ٤١٢ وسنة ٤٢٧ (١٠٢١ - ١٠٣٥ م)، فيجب أن يكون قد عاش ثمانين سنة أو تزيد.

٢- إدريس بن اليان الياسيّ شاعرٌ جليل ومُكثِّرٌ مُطيلٌ، نجد في شعره الوجدانيّ عذوبةً. أمّا شعره الرسمي في الفخر والمديح ففيه تقليدٌ للمشاركة في الأغراض والأسلوب. وهو مع ذلك، في الأندلس، من فحول الشعراء. ولم يكن بعد ابن درّاج (راجع، فوق، ص ٣٧٧) من يجري مجراه في متانة التركيب وعلو النفس. وقد تصرف في المديح تصرفاً حسناً، وكان يأخذ على القصيدة مائة دينار. وغزله ونسيبه حسنان. وله وصف بارع للخمر والطبيعة: وله هجاء.

٣ - مختارات من شعره

- من مشهور شعر (ادريس بن اليان) في المغرب والمشرق (نفع الطيب ٤ : ٧٥) في

الخمير:

ثَقَلْتُ زُجَاجَاتٍ أَتَتْنَا فُرْعَاً حَتَّى إِذَا مُلِثَتْ بِصِرْفِ الرَّاحِ (١)،
خَفَّتْ فَكَادَتْ أَنْ تَطِيرَ بِمَا حَوَتْ، وَكَذَا الْجُسُومُ تَخِفُّ بِالْأَرْوَاحِ.
- ومن أبياته المُستَحْسَنَة عندهم:

قُبْلَةً كَانَتْ عَلَى دَهْشٍ أَذْهَبَتْ مَا بِي مِنَ الْعَطَشِ (٢)
وَلَهَا فِي الْقَلْبِ مَنْزِلَةٌ لَوْ عَدَّتْهَا النَّفْسُ لَمْ تَعِشْ (٣)
طَرَقْتَنِي وَالْدُّجَى لَيْسَتْ خِلْعاً مِنْ جِلْدَةِ الْحَنْشِ (٤)
وَكَأَنَّ النِّجْمَ حِينَ بَدَا دِرْهَمٌ فِي كَفٍّ مُرْتَعِشٍ (٥).

- ومن أبياته القصيرة المُرْقُصَة بالفاظها:

أَقْبَلْتُ تَهْتَزُّ كَالْفُضْنِ وَتَمْشِي كَالْحَمَامَةِ
ظَنِيَّةٌ تَحْسُدُ عَيْنَيْهَا وَخَدَّيْهَا الْمُدَامَةُ (٥).

- وله في لَحْيَةٍ طَوِيلَةٍ عَرِيضَةٍ (المغرب ١ : ٤٠٠):

لَوْ أَنَّهَا دُونَ السِّلَاحِ سَحَابَةٌ لَمْ تَخْتَرِقْهَا دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ (١).
- ومن شعره الفخم الذي يَقلِّدُ فيه المِشَارِقَة قوله:

لَيْتَكَ لَيْتَكَ، دَاعِي اللّهُو مِنْ كَثَبٍ إِلَى مُعَاطِفَةِ الْأَغْصَانِ وَالْكُثْبِ (٧)،

-
- (١) صرف الراح: الراح (الخمير) الخالصة (غير المزوجة بالماء).
 - (٢) دهش (بفتح فكسر) يدهش (بفتح الهاء) دهشاً (بفتح ففتح): ذهاب العقل أو تحييره من خوف أو حب أو حياء.
 - (٣) عدتها: تجاوزتها.
 - (٤) من جلدة الحنش (حية سوداء كبيرة غير سامّة): شديدة السواد.
 - (٥) المدامة: الخمير.
 - (٦) في الاثر: ان الشخص المظلوم اذا دعا الله فلا يكون بين دعوته وبين وصولها الى الله حجاب.
 - (٧) كَثَب (الاولى): قرب. الكَثَب (الثانية) جمع كَثِيب: التلة من الرمل العظيم المستدير. الاغصان (هنا): كناية عن قدود النساء، والكثب كناية عن اوساط النساء.

إلى حدودِ بناتِ الرومِ قد بَرَزَتْ
من كلِّ سافرةٍ عن مَشْرِبٍ خَجَلًا
واستضحكت عن لآلٍ أو حصَى بَرَدٍ
يحدو بها فتيةٌ صيغتُ وجوهَهُمْ
قد قارعوا دونها كلَّ ابنِ قارعةٍ
ماذا أقولُ لدنيا لو ظفِرتُ بها
ألقي الأحيّة مخفوضَ الجناح وقد

- وقال في فعل الخمر بشاربيها:

وموسدين على الأكف رؤوسهم
ما زلت أسقيهم وأشربُ فضلَهُمْ
والخمرُ تعرفُ كيف تأخذُ حقها.
قد غالهم في السكر ما قد غالي (٧)
حتى انثنت ونالهم ما نالني.
إني أملتُ إناءها فأمالني (٨).

- وقال في الوصف:

وقتيانِ صدقِ عرسوا تحت دوحةٍ وليس لهم الآ نباتُ فراش (٩).

- (١) مشرب: فم. طرازان: صفان (من الاسنان) من ماء (ريق ابيض حلوزكي الرائحة) ومن لب (كناية عن اشتعال العاطفة بالحب).
- (٢) حصى (حجارة) برد: حبات البرد (قطرات الماء المتجمدة والساقطة مع المطر، كناية عن نظافتها وشدة بياضها). الشنب: اللون الابيض في الاسنان.
- (٣) العالية: صدر الرمح (اعلاه). - هم في السلم يبدو الرضا على وجوههم (لجميع) وفي الحرب يكونون في غضب شديد على الخصم.
- (٤) قارعوا دونها: قاتلوا ودافعوا (عنها). القارعة: الذاهية (المصيبة). ابن قارعة الرجل المتمرس بالدهاء والاختبار. الحرب (بفتح ففتح): السلب.
- (٥) ادبتها (عاقبتها بالضرب) غضبا (انتقاما) للظرف والادب (لأنه ليس فيها او لا ينفع فيها الظرف - الخلاوة في الكلام وفي المعاملة مع النكتة).
- (٦) مخفوض الجناح (الجانب) متواضع. ثم امشي الخيلاء (بضم ففتح) متعاطلا متكبيرا، اذا كنت احمل تحت ثوبي غضبا (سيفا قاطعا) ذا شطب (شقوق) لكثرة ما حاربت به. - يحتال (فرحا) وهو ذاهب الى الحرب.
- (٧) قوم جعلوا أكفهم وسادة (ناموا من السكر أو التعب في غير فراش). غالهم: أهلكهم، (أتعبهم، ذهب الخمر بوعيهم).
- (٨) أملت إناءها (حنيته لأصب منه الخمر: شربت ما فيه من الخمر) فأمالني (حنى رأسي من النعاس).
- (٩) عرسوا: نزلوا في الليل، باتوا. دوحة: شجرة عظيمة.

فكأنهم - والنورُ يسْقُطُ فوقهم - مصابيحُ تهوي نحوهُنَّ فراش^(١).
 - سأله المعتضدُ أن يمدحه بقصيدة يُعارضُ بها قصيدته السينية التي مدح بها ابن
 حمود فقال له: « أشعاري مشهورة. وبناتُ صدري كريمة. فمن أراد أن ينكح بكرها
 فقد عرّف مهرها ».

٤ - ★★ الذخيرة ٣: ٣٣٦ - ٤٠٩؛ جذوة المقتبس ١٦٠ (الدار المصرية ١٧٠ (رقم ٣١٣)؛
 بغية الملتبس ٢٢٢ (رقم ٥٦٠)؛ الوافي بالوفيات ٨: ٣٢٧ - ٣٢٨؛ المغرب ١:
 ٤٠٠؛ الحلة السراء ٢: ١٨٤ - ١٨٥؛ نفح الطيب ٤: ٧٥، ٥: ٦٠١.

ابن عبد البرّ الصغير

١ - هو أبو محمد عبد الله بن الفقيه أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد
 البرّ النميري القرطبي المالكي نقول لأبي محمد: ابن عبد البرّ الصغير بالإضافة الى أبيه
 أبي عمر. (ت ٤٦٣ هـ).

علت منزلة أبي محمد بن عبد البرّ في الكتابة والأدب فتنافس في اجتذابه ملوك
 الطوائف، ولكن ظفر به المعتضد عبّاد بن محمد صاحب إشبيلية (٤٣٤ - ٤٦١ هـ).
 وفي سنة ٤٥٠ هـ كان ابن عبد البرّ في بلاط المعتضد وكتب الرسالة المشهورة في تبرير
 قتل اسماعيل بن المعتضد.

وبعد ذلك برزت العداوة بين ابن عبد البرّ وابن زيدون (لأن ابن زيدون وزير
 المعتضد خاف على منصبه من ارتفاع منزلة ابن عبد البرّ عند المعتضد). ثم تغير
 المعتضد على ابن عبد البرّ. وأحسن ابن عبد البرّ الخطر على حياته فاستطاع أن يغادر
 إشبيلية في قصة طويلة. وبعد هربه من إشبيلية تنقل في البلدان وكتب (عين كاتباً)
 عن أكثر ملوك الطوائف. ثم إنه لحق بالعامريين أصحاب دانية. وكانت وفاته سنة
 ٤٧٤ هـ (١٠٨٠ م) في الأغلب.

٢ - كان أبو محمد بن عبد البرّ (الصغير) كاتباً مجيداً مُترسلاً رويةً وارتجالاً.

(١) النور (بفتح النون) الزهر الابيض.

ورسائله سُلطانية (ديوانية، حكومية، رسمية) وإخوانية (شخصية). وأغراضه في رسائله كلها التهنئة والتعزية ثم ما بين التهنئة والتعزية ثم في العتاب وفي الهجاء ثم في الموضوعات الدينية والموضوعات الأدبية. وهو يُكثِرُ الاقتباسَ من الأمثال ومن القرآن. ثم إنّه يُكثِرُ الاستشهادَ بالشعر، ولكن لم يُرو عنه من النظم إلا أبياتٌ يسيرة. والصناعة عنده كثيرة ولكنه لا يلجّ على السجع، فكثيرٌ من فصوله (جمله) مُطلقٌ.

٣ - مختارات من آثاره

- قال أبو محمد بن عبد البرّ في الأدب (الحكمة):

لَا تُكْثِرَنَّ تَأْمُلًا وَاحْشِنْ عَلَيْكَ عِنَانَ طَرْفِكَ^(١).
فَلَرُبَّمَا أَرْسَلْتَهُ فَرَمَاكَ فِي مَيْدَانِ حَتْفِكَ^(٢).

- ولابن عبد البرّ الصغير رسالة أنشأها ارتجالاً بحضرة المعتضد عبّاد بن مُحمّد، وكان المعتضد قد قَتَلَ ابنه اسماعيل لما ثار عليه. وطلبَ المعتضدُ من ابن عبد البرّ أن يَنشِئَ هذه الرسالة في شرح أسباب ذلك القتل وتسويغها (والرسالة طويلة جداً):

... وَلَمَّا وَتَبَ هَذَا اللَّعِينُ الْغَبِينُ^(٣) مِنَ الْمَهْدِ إِلَى الْمَهْدِ^(٤)، وَدَرَجَ مِنَ الْأَذْرَعِ إِلَى الْحَلِّ الْأَرْفَعِ^(٥)، وَرَأَاهُ اسْتَغْنَى وَأَثَرَى مِنْ زِينَةِ الدُّنْيَا^(٦)، أَشْرَاهُ ذَلِكَ وَأَبْطَرَاهُ وَأَطْغَاهُ وَأَكْفَرَاهُ^(٧)، وَطَلَبَ الْإِزْدِيَادَ وَأَحَبَّ الْإِنْفِرَادَ^(٨). وَقُيِّضَ لَهُ قُرْنُهُ سَوْءَ أَعْدَوُهُ

(١) العنان: الرسن، اللجام. الطرف: البصر، العين.

(٢) الحتف: الهلاك.

(٣) الغبين والمغبون: الضعيف الرأي.

(٤) من المهد (الطفولة) إلى المهد (الحكم): بسرعة (جاء إلى الحكم صغيراً).

(٥) درج من الأذرع إلى الأرفع (الأذرع: المقرف، الخسيس الدنيء).

(٦) استغنى: أصبح غير محتاج. أثرى: غني، أصبح مالكا لأشياء كثيرة.

(٧) أشره (بالمعنى المقصود: أبطره أي كثر فرحه بالنعمة حتى جعل يسرف في الأشياء) غير موجودة في القاموس. أطفاه: جملة ظالما. أكفره: نسه إلى الكفر (والمقصود: جملة يكفر بالله أو يكفر النعمة).

(٨) الازدياد من القوة والانفراد بالحكم.

وَأَرَدُوهُ^(١)، وَأَتَيْحَ لَهُ جُلْسَاءُ مَكْرٍ أَغْرَوُهُ وَأَغْوَوُهُ^(٢)، وَأَشْعَرُوهُ الاسْتِيحَاشَ وَالنِّفَارَ وَزَيْنُوا لَهُ الْعُقُوقَ وَالْفِرَارَ^(٣)، لِيَنْفَرِدَ - وَيَنْفَرِدُوا مَعَهُ - بِالْبَلَدِ وَلَا تَكُونَ عَلَى أَيْدِيهِمْ فِيهِ يَدُ أَحَدٍ. فَخَرَجَ لَيْلًا بِأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ خُرُوجًا شَنِيعًا فَتَقَى فِيهِ قَصْرِي وَخَرَقَ بِهِ حِجَابَ سِتْرِي^(٤) يَوْمَ الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ وَمَا يَلِيهَا لِيَتَمَلَّكَهَا وَيَعِثَّ فِيهَا^(٥). وَكُنْتُ غَائِبًا عَلَى مَقَرِّيَّةٍ فَوَرَدَتْ وَطِيرْتُ فِي الْحَيْنِ إِلَى الْجِهَةِ^(٦) مِنْ يَصُدُّهَا عَنْهَا وَيَمْنَعُهَا. فَسَبَقَهُ الْخَبْرُ وَفَاتَهُ الْوَطَرُ^(٧)... فَوَجَّهْتُ إِلَى (هَذَا) اللَّعِينِ أَعْرِضْ عَلَيْهِ قَبُولَ عُذْرِهِ. وَسَرَّبْتُ الْخَيْلَ مَعَ ذَلِكَ لِلإِطَاحَةِ بِهِ وَحَصَرَهُ حَتَّى أَجَاءَ ذَلِكَ إِلَى التَّنْصِلِ وَالاعْتِدَارِ وَأَجَاءَ إِلَى الْإِقَالَةِ^(٨) وَالِاسْتِغْفَارِ. فَأَقْبَلْتُهُ وَعَفَوْتُ عَنْهُ وَأَغْضَيْتُ^(٩) عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ. (تَمْ) صَرَفْتُهُ إِلَى جَمِيعِ حَالِهِ وَمَالِهِ^(١٠). وَلَمْ أُؤَدِّبْهُ إِلَّا بِالْإِعْرَاضِ وَالْمُجَرَّانِ، وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَنْسَيْتُهُ مَعَ ذَلِكَ بِمَزِيدِ الْإِنْعَامِ وَالْإِحْسَانِ. فَإِذَا بِهِ كَالْحَيَّةِ لَا تُغْنِي مُدَارَاتِهَا، وَالْعَقْرَبِ لَا تُسَالِمُ شَبَاتِهَا^(١١). وَكَأَنَّهُ قَدْ اسْتَصْفَرَ مَا أَتَى وَاحْتَقَرَ مَا جَنَى، فَزِدْنِي وَسَدَّنِي^(١٢) مَا صَارَتْ بِهِ الصُّغْرَى الَّتِي كَانَتْ الْعُظْمَى^(١٣). فَلَمْ أَشْعُرْ بِهِ إِلَّا وَقَدْ أَلْفَ أَوْبَاشًا مِنْ خِسَاسِ صَبِيَّانِ الْعَبِيدِ الْمُتَمَتِّهِينِ^(١٤) فِي أَدْوَانِ وَجْهِهِ التَّصْرِيفِ - إِذْ لَمْ

(١) قرناء أصحاب قبضوا (أثاحوا، هَيَّأُوا، سَهَّلُوا). أَعْدَى: نَقَلَ إِلَيْهِ (الْمَرْضَى). أَرَدَى: أَهْلَكَ.

(٢) أَغْرَى: أَطْمَع. أَغْوَى: أَضَلَّ.

(٣) الْعُقُوقُ: عَصِيَّانِ الْوَالِدَيْنِ.

(٤) فَتَقَى: شَقَّ. خَرَقَ حِجَابَ سِتْرِي: أَطْلَعَ الْأَعْدَاءَ عَلَى أَسْرَارِي وَعَلَى أَحْوَالِ أَسْرَقِي.

(٥) الْجَزِيرَةُ الْخَضْرَاءُ: مَقَاطِعَةُ فِي جَنُوبِ الْأَنْدَلُسِ. يَلِيهَا: يَقَارِبُهَا، يَتَّبِعُهَا. يَعِثُّ: يَفْسِدُ.

(٦) وَرَدَتْ (رَجَعَتْ إِلَى الْبَلَدِ). فِي الْحَيْنِ: حَالًا. إِلَى الْجِهَةِ (الْمَكَانِ الَّذِي هَرَبَ إِلَيْهِ).

(٧) الْوَطَرُ: الْغَايَةُ.

(٨) أَجَاءَهُ: أَجَاءَهُ، دَفَعَهُ إِلَى. الْإِقَالَةُ (الْعَفْوُ عَنِ الْخَطَا).

(٩) أَغْضَى عَلَى الْأَمْرِ: سَكَتَ عَنْهُ وَصَبَرَ عَلَيْهِ.

(١٠) وَصَرَفْتُهُ إِلَى جَمِيعِ حَالِهِ وَمَالِهِ: رَدَدْتُهُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَشَارِكَةِ فِي الْحُكْمِ وَإِلَى مَا كَانَ مَعَهُ مِنَ الْمَالِ.

(١١) شَبَابَةُ الْعَقْرَبِ: ابْرَتْهَا. لَا تُسَالِمُ (بِالْبِنَاءِ لِلْمَعْلُومِ أَوْ لِلْمُجْهُولِ): الْعَقْرَبُ لَا تَتْرَكَ اللَّسْعَ أَوْ الضَّرْبَ بِابْرَتْهَا.

(١٢) رَدَّنِي: أَلْبَسَ رَدَاءً أَوْ ثَوْبًا. سَدَّنِي الثَّوْبَ (عِنْدَ النَّسَجِ): مَدَّ الْخَيْوُطَ طَوْلًا (الْمَقْصُودُ أَنَّهُ أَتَمَّ حَبَكَ الْمُؤَامِرَةَ).

(١٣) مَا صَارَتْ بِهِ...: عَظُمَ ذَنْبُهُ (لَعَلَّ الْمُنْطَقَ يَقْتَضِي: مَا صَارَتْ بِهِ الْعُظْمَى الَّتِي كَانَتْ الصُّغْرَى).

(١٤) الْأَوْبَاشُ: الْأَخْلَاطُ مِنَ النَّاسِ وَالسَّفَلَةِ. الْمُتَمَتِّهِينَ: الْمُسْتَخْدَمِينَ (بِفَتْحِ الدَّالِ).

يطمع اللعين أن يُساعده على هذه الفتكة من فيه أدنى رمقٍ وأقلُّ مُسكة^(١) - ثم سقاَهُ الخمرَ وسقى نفسه لِيَجْتَرِي وَيُجَرِّبَهُمْ^(٢) ويحول بينهم وبين أدنى مَنِيْزٍ^(٣) إن كان فيهم. وسلَّحهم بضروب من الأسلحة المتصرِّفة في أماكن الضيق والسعة. وطَرَّقَ القصرَ في بَضْعِ عَشْرَةٍ^(٤) منهم. وتعلَّقَ مَعَهُمُ الأسوارَ والحِيطانَ، وتسَنَّمَ بِهِمُ السُفُوفَ والجُدُرانَ يَروُمُ فِيَّ القُضِيَّةِ العُظْمَى والطَّامَةِ الكُبْرَى^(٥) التي قامَ دونها دِفَاعُ الله تعالى. فَشَعَرْتُ بالحركة فخرجتُ. فلَمَّا وَقَعْتُ عَيْنُهُ وَأَعْيُنُهُمْ عَلَيَّ تساقطوا هارِبِينَ وتطارحوا^(٦) خائفين خائبين. وإنَّا كان رجاءُهم^(٧) أن يَجِدُونِي في غَمْرَةِ الكرى أو على غَفْلَةٍ من أن أسمع وأرى. ففالتُ، بِحَمْدِ الله، أراجيهم^(٨)، وضَلَّتْ أَعْمَالُهُمْ وَمَسَاعِيَهُمْ. وَأَعَجَلْتُهُمْ عَوَاقِبُ كُفْرِهِمْ وَتَعَدَّيِهِمْ. وَخَرَقَ اللعينُ سورَ المدينة فارًّا بنفسه. وأخرجتُ الحيلَ في أثرِهِ فَلَحِقَ غَيْرَ بَعِيدٍ، وسِيقَ إِلَيَّ في حالِ الأسيرِ المَصْفُودِ. وكذلك سائرُ الجُناةِ وباقِي العُصاةِ أَظْفَرَ اللهُ بِهِمْ وَمَكَّنَ مِنْهُمْ وَأَعَثَرَ عَلَيْهِمْ جَمِيعَهُمْ. فلم يُفْلِتْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، ولا فَاتَ مِنْهُمْ بَشَرٌ... وَحَصَلَ في قَبْضَتِي جَمِيعُ الصبيانِ مِنَ العبيدِ المذكورين. وَأَقَمْتُ حُدُودَ اللهِ تعالى^(٩) على الجميعِ مِنْهُمْ. وَأَنْفَذْتُ حُكْمَهُ العَدْلَ فِيهِمْ. والحمدُ لله كثيرًا...

- وقال يرثي رجلاً مات مجذوماً^(١٠):

- (١) أدنى (أقل) رمق: بقية (من الحياة) ومسكة: القليل (من العقل).
- (٢) يجتري يجترى (يقدم). يجربهم = يجربهم.
- (٣) الميز: الرفعة (يكسر الراء) العلو. والمقصود: التمييز (التفريق بالعقل بين الأمور).
- (٤) الصواب: في بضعة عشر (بفتح التاء والعين والشين والراء).
- (٥) الطامة: الداهية، المصيبة (موت المعتضد).
- (٦) تطارحوا: تناظروا وتحاوروا (والمقصود هنا: انطرحوا: ألقوا (بفتح القاف) بأنفسهم أرضاً).
- (٧) في الأصل: رجاؤهم. والصواب: رجاءهم (خبر كان مقدّم، لأنّ «المصدّر المؤوّل» (أن يجدوني) يعرب اسماً لكان لا خبراً لها).
- (٨) قال: خاب، أخطأ، ضعف. أراجي (بتشديد الياء) جمع أرجية (بضمّ الهمزة وتشديد الياء): الشيء الذي يؤخّر (والمقصود: أمانيتهم).
- (٩) أقام الحدّ على المذنب: عاقبه بالعقاب الذي أمر الله به.
- (١٠) الجذام (بالضم): مرض يتهرأ به اللحم.

ماتَ مَنْ كُنَّا نراه أَبَدًا سالمَ العقلِ سَقِيمَ الجَسَدِ،
بحرُ علمٍ ماجٍ في أعضائه فرمى في جِلده بالزَبَدِ^(١).
كانَ مِثْلَ السيفِ، إلَّا أَنَّهُ حُسِدَ الدهرُ عليه فَصَدِي^(٢).

- وله من رسالة اخوانية:

... إن أخذتُ في ذِكْرِ فضائلِكَ أو عَطَرْتُ كلامي بِطيبِ شمائلِكَ فَلِسانُ الأيامِ بها
أفصحُ ولها أشرح. وإن عَدَلْتُ^(٣) إلى وصفِ ما أعتقده فيكَ وأُضْمِرُهُ، وأطويه من
ودادي لك وأنشُرُهُ، فشاهدُ ضميرِكَ به أنطقُ وعنه أصدقُ. فليس إلَّا الاتِّفاقُ
والاصطلاحُ^(٤) على ما تتناجى بِهِ النفوسُ والأرواحُ.

- ولابن عبد البر الصغير رسالةٌ وجَّهَ بها إلى أبي القاسم بن خَيْرُونِ^(٥) في شأنِ
الکُتَّابِ والکُتُبِ والذين يَدَّعون العلمَ والأدبَ وليس لهم منها شيء. من هذه الرسالة
ما يلي:

... ووقفتُ على ما جَدَدْتَهُ من مُقابلةِ السِّفَرَيْنِ المُشْتَمِلَيْنِ^(٦) على فنونِ الآدابِ
وصِناعةِ الکُتَّابِ^(٧) وطُرُقِ الخِطابِ الجامعةِ لفصاحةِ الأعرابِ^(٨) ولُبَّابِ اللِّبابِ.
وبادرتُ إلى ذلك بِدارِ^(٩) من عَلِمَ أَنَّها نِعْمَةٌ سابغةٌ مُنِحْتُها، ووَصَلَةٌ وَصَلْتُها، لِمَا في
تَأْمُلِها من الإِشرافِ على طُرُقِ البلاغةِ والکِتابَةِ وصِناعةِ التَّرسيلِ والخِطابةِ، مَعَ ما
يلزمني من حَقِّكَ أَقْضِيهِ وواجِبِكَ أَتَصَرَّفُ فيه وأَوْفِيهِ^(١٠)، إذ أَنْتَ صِنُو^(١١) أبي

(١) فرمى في جلده بالزبد (وصف فعل المرض في الجلد).

(٢) مثل السيف (في الجلاء وبياض اللون). صدي = صدق (علاه الصدأ، سواد).

(٣) عدل: مال.

(٤) فليس إلَّا الاتفاق الخ: لم يبق إلَّا أن أتكلَّم بما أُلِّفه الناس من الكلام في هذا الشأن.

(٥) أبو القاسم بن خيرون شاعر من دانية (شرقي الاندلس) كان في بلاط إقبال الدولة بن مجاهد العامري (المغرب ٢: ٤١٩). وقد حكم إقبال الدولة من سنة ٤٣٦ إلى سنة ٤٦٨ هـ (زامباور ٩١).

(٦) يبدو أنَّ ابن خيرون هذا كان له كتابان اطلع عليها ابن عبد البر.

(٧) الكتاب (بتشديد التاء أو بتخفيفها) بمعنى «الكتابة».

(٨) الأعراب: البدو.

(٩) بادر بدارا (بكسر الباء): أسرع.

(١٠) وقاه يوفيه: أتمه.

(١١) صنو: النظير والمثل.

مولاي - مدّ الله عليّ ظلكما وكتب^(١) الباغي عليكما والحاسد لكما - فكم يقرع سَنَمي من قول الحاسدين من خصّ أبي مولاي بمُعادة أهل الجهل وحبّاه^(٢) بمُوالاة أهل الفضل. ولا غرو^(٣)، فغير غريب ذلك من فعلهم بالعلماء، ولا يبدع من صنّع الدهماء^(٤)... ومن أطرف ما جاءت به الأيام وتحدثت به الأنام مُناوأة جاهل خسيس لإمام عادل رئيس... إنّ البُغاث بأرضنا يستنسر^(٥). وما لتيسر جبان والجرّي مع العلماء في ميدان. أوهمتُه نفسه أنه لُقّب بالفقيه، وذلك أقصى أمانيه. وهو من العلم أبعد من النجم ومن الجهل الشديد أقرب من جبل الوريد^(٦)... واتي ليبلغني ما يأتي به من هديانه في المنثور والموزون^(٧)، وتخطيه الى العرض المصون، والنيل^(٨) من ذوي الفضل والدين، فأهمُّ بمعارضته ثم أمسك عنه لتفاهته ودناءته...

٤ - ★★ قلائد العقيان ٢٠٦-٢٠٩؛ الذخيرة ٣: ١٢٥-٢٢٦ (مع استطراد كثير)؛
إعتاب الكتاب ٢٢٠-٢٢٢؛ المغرب ٢: ٤٠٢-٤٠٣؛ البيان المغرب ٣:
٢٤٤-٢٤٨.

أبو الوليد الباغي

١ - هو أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث المالكي الأندلسي التُجيبّي الباغي، أصلُ أهله من بَطْلِيّوْس ثم انتقل جدّه إلى باجة التي هي قُرب إشبيلية، وفيها وُلِدَ أبو الوليد، في النصف من ذي القعدة من سنة ٤٠٣ (١٠١٣/٣/٢٨ م).

- (١) كتب (غاض، أذلّ) الباغي (الظالم).
- (٢) حبا: منح، أعطى.
- (٣) لا غرو: لا عجب.
- (٤) بدع: مبتكر. الدهماء: عامّة الناس.
- (٥) البُغاث (ضعاف الطير) يستنسر (يقوى، يصيح كالنسر).
- (٦) الوريد: عرق في جانب العنق.
- (٧) المنثور (النثر) والموزون (الشعر).
- (٨) تخطيه (تقدّمه، وصوله) الى العرض (الشرف العائلي) المصون (المحفوظ)، أي بالهجاء. النيل: الخط، التحقير.

نشأ أبو الوليد الباجي في باجة في أسرة مُعَدِّمَةٍ ثُمَّ انتقل إلى قُرطبة فبدأ تَلَقَّى العلوم فيها وهو يعيشُ عيشةً مُجْهِدَةً. وفي سَنَةِ ٤٢٦ هـ (١٠٣٥ م) رَحَلَ إلى المَشْرِقِ للأخذ عن عُلَمَائِهِ وَلِيَتَشَقَّفَ في الحديث والفقه والأدب. وقد مكثَ في المشرق ثلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً: ثلاثاً منها في مَكَّة ثُمَّ ثلاثاً في بَغدَادَ وَسَنَةً في المَوْصِلَ. ومكثَ حيناً في الشام. وفي أثناء رِحْلَتِهِ هذه مالَ إلى المذهبِ الأشعريِّ.. وكذلك كانت حياةُ أبي الوليد الباجي في المشرق مُضْنِيَةً فَقَدِ اضْطُرَّ إلى العَمَلِ في حِرَاسَةِ الدُّرُوبِ حَتَّى يَكْسِبَ عَيْشَهُ.

وفي سَنَةِ ٤٣٩ هـ (١٠٤٧ م) عادَ أبو الوليد الباجي إلى الأندلسِ فَأَرَادَ نَشْرَ المذهبِ الأشعريِّ فيها. وَاتَّفَقَ بَعْدَ عَوْدَتِهِ بِمُدَّةٍ يَسِيرَةٍ أَنْ دَعَاهُ ابْنُ رَشِيْقٍ والي جَزِيرَةِ مَيُورَقَةِ فَلَتَقِيَ هُنَاكَ ابْنَ حَزَمٍ الظاهريَّ فتنَاضَرا في مَجْلِسِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ المالكِيِّ مُنَاطِرَةً عَنيفَةً وَلَكِنْ لَا نَعْرِفُ شَيْئاً مِنْ آثَارِهَا العَمَلِيَةِ.

وبعدَ ذلكِ بدأتِ الدُّنْيَا تُقْبِلُ عَلَى أَبِي الوليدِ الباجي فتَوَلَّى القضاةَ في عَدَدٍ مِنَ المَدُنِ فِي شَرْقِيِّ الأندلسِ، وَلَكِنْ كُلُّ تِلْكَ المَدَنِ كَانَتْ تَصْغُرُ عَنْ قَدْرِهِ. غَيْرَ أَنَّهُ نَالَ حُظُوَّةً كَبِيرَةً عِنْدَ المَقْتَدِرِ بْنِ هُوْدٍ صَاحِبِ سَرَقُسْطَةَ (٤٣٨ - ٤٧٤ هـ).

وكانتِ وِفاةُ أَبِي الوليدِ الباجي في المَرِيَّةِ، في ١٩ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ ٤٧٤ (١٠٨١/١٢/٢٣ م).

٢- كَانَ أَبُو الوليدِ الباجيُّ أَحَدَ الأئِمَّةِ فِي الفِقه، كما كان مُحَدِّثاً مُتَكَلِّماً وأديباً شاعراً. عَلَى أَنَّ شُهْرَتَهُ تَقُومُ عَلَى مُصَنَّفَاتِهِ الَّتِي يَدُورُ مُعْظَمُهَا عَلَى عِلْمِ القُرْآنِ وَعلومِ الفِقه. فَمِنْ كُتُبِهِ: تَفْسِيرُ القُرْآنِ - النَاسِخُ وَالْمَنسُوخُ - المَعَانِي (فِي شَرْحِ المَوْطَأِ، فِي عِشْرِينَ جُزْأً) - الاسْتِيفَاءُ (شَرْحُ المَوْطَأِ) - المُنْتَقَى (مَخْتَصَرٌ مِنَ الاسْتِيفَاءِ) - الإِيْمَاءُ (مَخْتَصَرٌ مِنَ المُنْتَقَى) - اخْتِلَافُ المَوْطَأَاتِ - التَّعْدِيلُ وَالتَّجْرِيعُ لِمَنْ خَرَجَ عَنِ البُخَارِيِّ فِي الصَّحِيحِ - التَّسْديدُ إِلَى مَعْرِفَةِ التَّوْحِيدِ - إِحْكَامُ الفُصُولِ فِي أَحْكَامِ الأُصُولِ - الحُدُودُ فِي الأُصُولِ - الإِشَارَةُ فِي الأُصُولِ - المُقْتَبَسُ فِي عِلْمِ مالِكِ بْنِ أَسَسٍ - المَهْدَبُ (فِي اخْتِصَارِ المَدَوَّنَةِ) - مَخْتَصَرُ المَخْتَصَرِ (فِي مَسَائِلِ المَدَوَّنَةِ) - فِرْقُ الفُقَهَاءِ - التَّبْيِينُ لِمَسَائِلِ المَهْتَدِينَ (اخْتِصَارُ فِرْقِ الفُقَهَاءِ) - السَّرَاجُ فِي تَرْتِيبِ

الحِجَاج (في المُناظرة والجدال) - سُنن المنهاج وترتيب الحِجَاج - السُّنن في الدقائق والزهد (في النصيحة لولديه).

٣ - مختارات من شعره

- قال في حال الناس:

مضى زَمَنُ المكارم والكِرام؛ سقاء الله من صَوَّب الغمام!
وكان البرُّ فعلاً ذون قول، فصار البرُّ نطقاً بالكلام.
وزال النطق حتى لست تلقى فتى يسخو برْدٍ للسلام.
وزاد الأمرُ حتى ليس إلاَّ سَخِيٌّ بالأذى أو بالَمَلام!

- قال أبو الوليد الباجي في الدنيا والعمل فيها:

إذا كُنْتُ أَعْلَمُ عِلْمَ اليَقِينِ بأنَّ جَمِيعَ حَيَاتِي كَسَاعَةٌ،
فَلَمْ لَا أَكُونُ ضَئِيفاً بِهَا فَأَجْعَلُهَا فِي صَلَاحٍ وَطَاعَةٍ!

- وقال في لَذَّةِ الوداع:

ليس عِنْدِي شَخْصُ النَّوَى بعَظِيمٍ؛ فِيهِ غَمٌّ وَفِيهِ كَشْفُ غُومٍ:
إِنَّ فِيهِ اغْتِنَاقَةً لِوَدَاعٍ وانتظارَ اغْتِنَاقَةٍ لِقُدُومٍ.

- ومات له ولدان فأكثر من رثائهما؛ من ذلك قوله في رثاء ابنه محمد:

أُمُحَمَّدُ، إِنْ كُنْتُ بَعْدَكَ صَابِراً صَبَرَ السَّالِمِ لِمَا بِهِ لَا يَسْلَمُ^(١)
وَرَزَيْتُ قَبْلَكَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ؛ وَلَرَزُؤُهُ أَدْهَى لَدَيَّ وَأَعْظَمُ^(٢)،
فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنِّي بِكَ لَاحِقٌ، مِنْ بَعْدِ ظَنِّي أَنِّي مُتَقَدِّمُ^(٣).
لِلَّهِ ذِكْرٌ، لَا يَزَالُ بِخَاطِرِي، مُتَصَرِّفٌ فِي صَبْرِهِ مُتَحَكِّمٌ.
فَإِذَا نَظَرْتُ فَشَخْصُهُ مُتَخَيِّلٌ، وَإِذَا أَصَحْتُ فَصَوْتُهُ مُتَوَهِّمٌ^(٤).

(١) السليم كناية عن الذي لدغته الحية (سمي سليماً تفاؤلاً بأن يسلم) - وإن كان المعروف أنه لا يسلم.

(٢) الرزء: المصيبة الكبيرة. أدهى (أشد).

(٣) كنت ظننت، وأنا أبوك، أن أموت (بكما جرت العادة) قبلك.

(٤) أصاخ: استمع.

وبكل أرضٍ لي مِن أَجْلِكَ لَوْعَةٌ، وبكلِّ قَبْرِ وَقْفَةٌ وتَلَوُّمٌ^(١).
فإذا دعوتُ سِوَاكَ حَادَّ عَنْ اسْمِهِ، ودَعَاهُ بِاسْمِكَ، مِقُولٌ بِكَ مُغَرَّمٌ^(٢).

٤-★★ الذخيرة ٢: ٩٤ - ١٠٥؛ بغية الملتبس ٢٨٩ (رقم ٧٧٧)؛ قلائد العقيان ٢١٥ - ٢١٦؛
الصلة ١٩٧ - ١٩٩؛ معجم الأدباء ١١: ٢٤٦ - ٢٥١؛ الخريدة (الأندلس) ٢:
٤٩٩ - ٥٠٠؛ وفيات الأعيان ٢: ٤٠٨ - ٤٠٩؛ فوات الوفيات ١: ٢٢٤ - ٢٢٥؛
المغرب ١: ٤٠٤ - ٤٠٥؛ الديباج المذهب ١٢٠ - ١٢٢؛ ابن قنفذ ٢٥٥؛ قضاة
الأندلس ٩٥؛ شذرات الذهب ٣: ٣٤٤ - ٣٤٥؛ نفح الطيب ٢: ٦٧ - ٧٧،
٨٤ - ٨٥، ١٧٣: ٦، ٨٥ وما بعد؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ٨٦٤ - ٨٦٥؛ بروكلمن ١:
٥٣٤، الملحق ١: ٧٤٣ - ٧٤٤؛ نيكل ١٠٣، مختارات نيكل ٦٠، الاعلام للزركلي ٣:
٨٦ (١٢٥).

ابن خَلَوَفِ المغربي النحويّ

١- هو عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ خَلَوَفِ الْمَغْرِبِيُّ مِنْ أَهْلِ إِفْرِيقِيَّةَ (تُونِسَ) وَسُكَّانِ
الْقَيْرَوَانِ، كَانَ حَرَوْرِيًّا (مِنَ الْخَوَارِجِ). وَقَدْ كَانَ فِي أَيَّامِ بَادِيسَ بْنِ حَبُوسِ
الصِّنْهَاجِيِّ الْمُسْتَوَلِيِّ عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ (٤٢٨ - ٤٦٥ هـ) وَمُعَاصِرًا لِابْنِ رَشِيقٍ (ت
٤٦٣ هـ).

تَصَدَّرَ ابْنُ خَلَوَفٍ لِلإِفَادَةِ فِي الْقَيْرَوَانِ وَتَقَدَّمَ هُنَاكَ عَلَى كَثِيرِينَ مِنْ أَهْلِ عَصْرِهِ.
وَيَبْدُو أَنَّ وَفَاتَهُ كَانَتْ نَحْوَ سَنَةِ ٤٧٥ هـ (١٠٨٢ م).

٢- كَانَ ابْنُ خَلَوَفِ الْمَغْرِبِيِّ ذَكِيًّا جِدًّا وَمُتَمَلِّمًا بِعِلْمٍ كَثِيرَةٍ أُبْرَزَهَا الْقِرَاءَاتُ
وَالنَّحْوُ. وَكَذَلِكَ كَانَ شَاعِرًا مُكْثِرًا مُجِيدًا، وَكَانَ فِي شِعْرِهِ قُوَّةٌ وَحَسَنُ تَصَرُّفٍ فِي
الْفُنُونِ الْمُخْتَلِفَةِ مِنْ مَدْحٍ وَوَصْفٍ وَغَزَلٍ مَعَ أَشْيَاءَ مِنَ التَّصْنِيعِ وَتَطَلُّبِ أَوْجِهِ الْبَلَاغَةِ
وَمَعَ الْبَرَاةِ فِي انْتِقَاءِ الْبُحُورِ الْمُنَاسِبَةِ لِمَعَانِيهِ. قَالَ فِيهِ ابْنُ رَشِيقٍ: « شَاعِرٌ مُتَّقِنٌ ذُو
أَلْفَاظٍ حَسَنَةٍ وَمَعَانٍ مُتَمَكِّنَةٍ، مُتَّقِفٌ نَوَاجِي الْكَلَامِ »، وَفِي شِعْرِهِ طَبَعٌ وَعُدُوبَةٌ.

(١) التَّلَوُّمُ: الْإِنْتِظَارُ (الْوَقُوفُ فِي مَكَانٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدْرِيَ مَاذَا يَرِيدُ - إِنَّ الَّذِي يَطِيلُ الْوَقُوفَ عَلَى قَبْرِ
لَا يَنْتَفِعُ بِوَقُوفِهِ وَلَا يَنْفَعُ الْمَيِّتَ).

(٢) الْمَقُولُ: اللَّسَانُ. - إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أَنَادِيَ أَحَدًا سَبَقَ لِسَانِي إِلَى اسْمِكَ فَنَادَيْتَهُ بِاسْمِكَ أَنْتَ.

٣ - مختارات من شعره

- قال ابنُ خَلَوَيْهِ المَغْرِبِيِّ يمدِّحُ المعزَّ بنَ باديس (ت ٤٥٤ هـ):

أَبْلَحُظِرَ طَرْفٍ هَذِهِ الْأَنْضَاءُ! شَقِيتَ، إِذَنْ، بِالْأَعْيُنِ الْأَعْضَاءُ^(١)
تَتَمَثَّلُ الْغَيْدُ الْحِسَانُ بَعْضُ مَا جَرَّتْ عَلَيْهِ الْقَادَةُ الْحَسَنَاءُ^(٢)
تَصْبُو الْجَاهِدَاتُ الْمَوَاتُ لَوَجْهِهَا طَرَبًا، فَكَيْفَ التَّنَطَّقُ الْأَخْيَاءُ؟
سَارَتْ وَقَدْ بَنَتْ الْأَسِنَّةُ حَوْلَهَا سُورًا يُجَازُ بِحَدِّهِ الْجَوَازَاءُ^(٣)
فَتَحَتْنَا لَنَا نَعْمًا كُلَّ بِلَاغَةٍ فَجَرَى الْبِرَاعُ وَقَالَتْ الشُّعْرَاءُ.

- وقال في الغزل:

مُرُّوا أَنْ يُرَوِّحَ هَذَا الْأَسِيرَ رُ بِالْقَتْلِ، إِنْ كَانَ لَا يُطَلِّقُ^(٤)
أَيْتَلَفُ ذَا الْعَبْدُ: لَا رَغْبَةَ يُبَاعُ، وَلَا حِسْبَةَ يُعْتَقُ^(٥)
وَإِنِّي مَنْ فَقَرُهُ مَوْتُهُ لِأَنِّي مِنْ كَيْدِي أَنْفَقُ^(٦)
لَقَدْ فَتَقَّتْ يَدُ سِحْرِ الْعِيُو نِ فَتَقًا عَلَى الْعَقْلِ لَا يُرْتَقُ^(٧)!

٤ - ★★ انباه الرواة ٢: ١٨٠ - ١٨٢؛ بغية الوعاة ٣٠٧.

- (١) النضو (بالكسر): التبع (بفتح فكسر)، الضعيف المنهوك، المريض. الطرف: العين، البصر. أبلحظ: طرف... الخ: أكل هؤلاء المرضى مرضوا من عيون الحسان (من الحب؟). فالعيون، اذن، شقاء (مصابة، عار) على جميع أعضاء البدن.
- (٢) لا تكون المرأة الجميلة، عادة، جميلة يكل ما فيها، بل بوجهها وحده أو بعينيها وحدها... الخ. جرت عليه (على الحب).
- (٣) هذه الحسناء جميلة جداً يغار عليها أهلها غير شديدة، فإذا سارت حوها (بفتح الميم) بالأسنة (الرماح) الكثيرة. الجوزاء: كوكبة (مجموع نجوم) في السماء.
- (٤) يروح (تحلب له الراحة). هذا الأسير (في الحب).
- (٥) لا رغبة (في ثمنه) يباع ولا حسبة (احتساباً: طلباً للأجر من الله).
- (٦) أنا إذا افتقرت فأني أموت لأنني لا أنفق من مال إذا. نفد كسبت غيره، بل من كبدي التي إذا ذهبت لا يمكن أن يكون لي بعدها كبد ثانية.
- (٧) إن العيون تحني علينا جنايات لا يستطيع العقل ان يتلافها.

الأعلم الشنتمريّ

١- هو أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بلقب «الأعلم الشنتمري»^(١).. ولُقّب بالأعلم لأنّ شَفَتَه العليا كانت مشقوقة شقّاً واسعاً. ومَوْلِدُ الأَعلم كان في شتَمريّة الغرب، سنة ٤١٠ (١٠١٩ م) وفيها نشأ. وفي سنة ٤٣٣ (١٠٤١ م) جاء إلى قرطبة وأخذ العلم عن أبي القاسم ابراهيم بن محمد بن زكريا الأفليليّ - وقيل ساعده في شرح ديوان المتنبي (وكان قد قرأ هذا الديوان على الأفليليّ) - وأخذ أيضاً عن أبي سهل يونس بن أحمد الحرّائيّ وأبي بكر مسلم بن أحمد. وقد انتقل إلى إشبيلية واتّصل بالمُعتمد بن عبّاد وقرّظه ومدحه. ويبدو أنّه عاشَ مدّةً طويلةً في إشبيلية إلى أن تُوفّيَ فيها ٤٧٦ (١٠٨٣ م).

٢- كان الأَعلم الشنتمريّ عالماً بالنحو خاصّةً وباللغة والشعر واسعَ الحِفْظ جَيِّدَ الضَبْط. وكان مُصنِّفاً للشروح على شعر الشعراء خاصّةً، فمن كُتبه: شرح الأَشعار (الدواوين) الستة (من شعر المعلقات) - شرح أشعار الحماسة (لأبي تمام) - شرح ديوان علقمة الفحل - النُكْت في كتاب سيبويه - عيون الذهب في شرح أبيات (الشواهد في) كتاب سيبويه - شرح أبيات الجمل للزجاجي - المُخترع في النحو.

٣- مختارات من آثاره

- من شرح الأَعلم الشنتمريّ لمعلّقة طرقة:

وإن يَلْتَقِ الحيُّ الجميعُ تلاقيني إلى ذروة المجدِ الكريمِ المصنّد.
نداماي بيضُ كالنجوم، وقينةُ تروح علينا بين بُردٍ ومُجسّد.
★ يقول: إذا التقى الحيُّ الجميعُ، بعد اقتراقهم، وَجَدْتَنِي في موضعِ الشرفِ منهم
وعُلُوّ المنزلة. وقوله: «إلى ذروة المجد» أيّ إلى ذروة البيت. وذروة كلِّ شيءٍ أعلاه.
والمُصنّد الذي يَصنُدُ إليه الناسُ لشرفه ويلجأون إليه في حوائجهم. والصنْدُ القصدُ.

(١) هو غير الأَعلم البطليوسي (بفتح الباء والطاء) ابراهيم بن محمد (أو ابن قاسم) بن ابراهيم كان بارعاً في النحو ومصنفاً له: «الجمع بين الصحاح للجوهري والغريب المصنّف»، وله تاريخ بطليوس. كانت وفاته سنة ٦٣٧ هـ، وقيل ٦٤٢ أو ٦٤٦ هـ (بغية الوعاة ١٨٥، الأعلام للزركلي ١: ٦٠).

وقوله: «نداماي بيض كالنجوم»: الندامى الأصحابُ المشاربون^(١). وقوله: «بيض كالنجوم»، أي هم أعلامٌ مشاهير. ويحتمل أن يريد الحسنى اللون. والقينة المغنية. وكلُّ أمة^(٢) قينة. والبرذ ثوبٌ وشي. والمجسد الثوب المصبوغ بالزعفران المشبع. والجساد الزعفران^(٣). «بين برذ ومجسد»، أي تروح إلينا وعليها بردٌ ومجسد.

وظلم ذوي القربى أشدّ مضاضةً على النفس من وقع الحسام المهند. * قوله: «أشدّ مضاضةً»، أي حرقة. يقول: ظلم القرابة أشدّ ظلم على الإنسان وأبلغه، وإنّا ذلك لأن المظلوم لا يكاد يجد^(٤) في الانتصار من قريبه، بل ينطوي على ما يلقي منه ويضير. فموقع ذلك الظلم أشدّ من وقع الحسام، وهو السيف القاطع. والمهند المنسوب إلى الهند.

- ومن شرحه لديوان علقمة الفحل^(٥):

وما أنت أم ما ذكرها ربّيةً يُخطُّ لها من ثمداء قليب^(٦)؟ * قوله: «وما أنت أم ما ذكرها؟» يعاتب نفسه ويُكبر عليها تتبّع هذه المرأة وقد بعدت عن دياره وحلت في غير قبيلته. وقوله «ربّية» يعني أنّها من قبيلة بني ربّعة بن مالك، وهم غير قبيلته وعشيرته. وقوله: «يُخطُّ لها من ثمداء قليب»، أي ربيعة بن مالك، وهو غير قبيلته وعشيرته. وقوله: «يُخطُّ لها من ثمداء قليب»، أي هي نازلة في هذا الموضع مقيمة فيه. وكنى عن إقامتها بحفر القليب، لأنّ من أقام بموضع فلا بدّ له من ملك يُقيم عليه. وقال الأصمعي: يكون أيضاً معناه أن يكون كأنها لا تبرح منه حتّى تموت وتدفن فيه، فيكون القليب، على هذا، القبر. وروى

-
- (١) المشاربون: الذين يشربون (الخمر) معاً.
 - (٢) الأمة: الجارية (الفتاة) تطلق على الحرّة وعلى الرقيقة.
 - (٣) الزعفران نبت له زهر أصفر (ماثل إلى الحمرة). المشبع: الوافر، الممتلئ.
 - (٤) اقرأ: لا يكاد يجد (سبيلاً أو وسيلة) في الانتصار من قريبه.
 - (٥) علقمة الفحل شاعر جاهلي عاش طويلاً: عاصر امرأ القيس (ت ٥٤٠ م) وبقي إلى ما بعد الهجرة بثلاث سنوات (٦٢٥ م).
 - (٦) القليب: البئر.

ابن ولاد^(١) ثرمداء بضمّ الثاء والميم. ورواية أبي علي^(٢) بفتحها.

- ٤- شرح ديوان زهير (مطبوع مع «طرف عربية» - جمعها كارلو لاندبرغ)، ليدن ١٣٠٣ - ١٣٠٦ هـ.
- شرح ديوان الشعراء الستة، منش: ميونيخ ١٨٩٢ م.
- تحصيل عين الذهب في معدن جواهر الأدب في علم مجازات العرب: شرح شواهد سيبويه (مطبوع على هامش كتاب سيبويه)، القاهرة (بولاق) ١٣١٦ - ١٣١٧ هـ؛ بيروت (مؤسسة الأعلمي) الطبعة الثانية ١٩٦٧ م.
- ديوان طرفة بن العبد (اعتنى بتصحيحه مكس سلفسون)، شالون (برتران) ١٩٠٠ م.
- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى (جمع محمد بدر النعساني)، القاهرة (جمالي وخانجي) ١٣٢٣ هـ.
- شرح ديوان علقمة الفحل (اعتنى بتصحيحه محمد أبو شنب)، الجزائر (كربونل) ١٩٢٥ م.
- ★★ معجم الأدباء ٢٠: ٦٠ - ٦١؛ مطمح الأنفس ٦٤ - ٦٧؛ نكت الهميان ٣١٣ - ٣١٤؛ وفيات الاعيان ٧: ٨١ - ٨٣؛ بغية الوعاة ٤٢٢؛ شذرات الذهب ٣: ٤٠٣؛ نفع الطيب ٤: ٧٩ - ٨٦ (المسألة الزنبورية)؛ بروكلمن ١: ٣٧٦ - ٣٧٧، الملحق ١: ٥٤٢ - ٥٤٣؛ الأعلام للزركلي ٩: ٣٠٨ (٨: ٢٣٣).

ابن عمّار الأندلسي

- ١- هو ذو الوزارتين أبو بكر محمد بن عمّار بن الحسين بن عمّار المهري، نسبة إلى مهرة وهي قبيلة عربية من قضاة، ويقال له أيضاً الشلي والأندلسي.
- ولد ابن عمّار سنة ٤٢٢ هـ (١٠٣١ م) في قرية شنبوس قرب شلب (في الجنوب الغربي من الأندلس).

انتقل ابن عمّار إلى شلب ثم رحل إلى قرطبة في طلب العلم.

وقد بدأ ابن عمّار حياته العملية بالتطواف في البلاد يمدح أشخاصاً مختلفين

(١) ابن ولاد نحوي مصري (ت ٣٣٢ هـ).

(٢) أبو علي القالي (ت ٣٥٦ هـ).

المراتب في الهيئة الاجتماعية؛ غير أنه فيما يبدو لم يَنَلْ حِظْوَةً في بلاطٍ من بلاطات ملوك الطوائف لكثرة الشعراء في ذلك الحين. وأول حِظْوَةٍ نالها كانت لدى الْمُعْتَصِدِ عَبَّادٍ ملكِ إشبيلية، وكان المعتضد قد حارب ابن الأفطس ملك بَطْلَيْوُسَ وانتصر عليه فجاء إليه ابنُ عَمَّارٍ، سنة ٤٤٥ هـ (١٠٥٣ م)، ومدحه بقصيدة رائية بارعة. وعرف ابنُ عَمَّارٍ، في بلاطِ إشبيلية، المعتمد بن عَبَّادٍ المعتضد - وكان لا يزال أميراً - وتوثقت الصلة بين الشائينِ الشاعرين، فقد كان يَجْمَعُ بَيْنَهما في الحياة حُبُّ اللّهُو ونزعة الطُمُوح والتَّوَسُّلِ بالمكائد إلى بُلُوغِ المآرب.

وأذكرُ الْمُعْتَصِدُ أنَّ حالَ ابنه المعتمد وحالَ شاعره ابنِ عَمَّارٍ ذَوَاتَا خَطَرٍ على مُلكِهِ فأحاطَهما بِرَقَابَةٍ شديدة؛ ثمَّ إِنَّهُ أَبْعَدَ ابنَ عَمَّارٍ عن إشبيلية، سنة ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م)، فمضى ابنُ عَمَّارٍ يَتَنَقَّلُ في البلاد: زارَ المَرِيَّةَ ثمَّ السَّهْلَةَ ثمَّ اسْتَقَرَّ في سَرَقُسْطَةَ عند بني هُود.

وفي سنة ٤٦١ هـ (١٠٦٩ م) تُوُفِيَ الْمُعْتَصِدُ فَخَلَفَهُ ابنُه المعتمدُ فَأَسْرَعَ الْمُعْتَمِدُ باستدعائه صديقه القديم ابنِ عَمَّارٍ. وأحبَّ ابنُ عَمَّارٍ أن يَتَوَلَّى مدينةَ شَلْبَ فَوَلَّاهُ الْمُعْتَمِدُ عليها. ثُمَّ إِنَّ الْمُعْتَمِدَ اسْتَدْعَى ابنَ عَمَّارٍ من شَلْبَ وشيكاَ وولَّاهُ الوزارة.

وأخذ ابنُ عَمَّارٍ والمعتمدُ بنُ عَبَّادٍ يَصْعَانِ الحُطَطَ لانتزاعِ المُدُنِ من ملوكِ الطوائف (راجع ترجمة المعتمد بن عَبَّادٍ) - وهُمُ في ذلك يَسْتَظْهِرونَ بملوكِ الإِسبَانِ على إِخْوَانِهِمُ المُسْلِمِينَ - فَنَشَأَ في نَفْسِ ابنِ عَمَّارٍ نَاشِئَةٌ مِنَ الاسْتِبْدَادِ. ففي سنة ٤٧١ هـ (١٠٨١ - ١٠٨٢ م) اسْتَوَلَى ابنُ عَمَّارٍ بِاسْمِ الْمُعْتَمِدِ على مُرْسِيَّةٍ فَأَخَذَ يَتَصَرَّفُ بِهَا وكأنَّه مُسْتَقِل. ثمَّ إِنَّهُ تَمَرَّدَ على الْمُعْتَمِدِ واستبَدَّ بالمدينة. ثمَّ زَادَ طُمُوحُ ابنِ عَمَّارٍ، وكانت أحوالُ طُلَيْطَلَّةٍ مُضْطَرِبَةً، فسارَ من مُرْسِيَّةٍ مُحَاوِلًا الاستيلاءَ على طُلَيْطَلَّةٍ بطريقَةٍ يَمْتَرِجُ فيها الخِدَاعُ بالحرب فلم يَنْجَحْ. وانتَهَزَ ابنُ رَشِيقٍ، قائدُ ابنِ عَمَّارٍ وخليفته على مرسية، هذه الفرصةَ واستبَدَّ بالمدينة. ولَمَّا لم يَسْتَطِعْ ابنُ عَمَّارٍ أن يَعودَ إلى مرسيةَ لجأَ إلى سَرَقُسْطَةَ وعاشَ في كَنَفِ مَلِكِهَا الْمُؤْتَمِنِ بنِ هُودِ (٤٧٤ - ٤٧٨ هـ). واتفق أن تَمَرَّدَ أَحَدُ أَتْبَاعِ الْمُؤْتَمِنِ بنِ هُودِ في حصنٍ مِنَ الحُصُونِ، فاقترحَ ابنُ عَمَّارٍ على الْمُؤْتَمِنِ أن يُعِيدَ التَّابِعَ المتمرِّدَ إلى الطاعة. واستطاع

ابن عمارٍ أن يُعيدَ تلك القلعةَ إلى سلطانِ المؤمنين. ثم تَمَرَّدَ بنو سُهَيْلٍ في قَلْعَةٍ شَقُورَةٍ^(١) فجاء ابنُ عَمَّارٍ لِيُعِيدَ هذه القلعةَ أيضاً إلى سُلْطَانِ الْمُؤْمِنِ وَلَكِنَّ بني سُهَيْلٍ خَدَعُوا ابنَ عَمَّارٍ وَقَبَضُوا عَلَيْهِ وَأَلْقَوْهُ فِي السَّجْنِ، فِي ربيعِ الأولِ من سَنَةِ ٤٧٧ هـ (آب - أوْغُسْطُس ١٠٨٤ م) ثُمَّ باعوه لِلْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ، فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ، يَبْلُغُ كَبِيرٍ مِنَ الْمَالِ. وَأَلْقَى ابنُ عَمَّارٍ فِي سِجْنٍ إِشْبِيلِيَّةٍ مُدَّةً سِيرَةً ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ الْمُعْتَمِدُ بْنُ عَبَّادٍ وَقَتْلَهُ بِيَدِهِ.

وَبُرْغَمِ الْقَسْوَةِ الَّتِي نُسِبَتْ إِلَى الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ، فَإِنَّ قُلُوبَ النَّاسِ لَمْ تَرَقَّ لِمَقْتَلِ ابنِ عَمَّارٍ، وَخُصُوصاً بَعْدَ أَنْ اِشْتَهَرَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يُدَاخِلُ مُلُوكَ الْإِسْبَانِ لَانْتِزَاعِ الْمُدُنِ مِنْ أَيْدِي مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ حَتَّى يَسْتَبْدَّ هُوَ بِحُكْمِ تِلْكَ الْمُدُنِ أَوْ حَتَّى يُضَيِّفَهَا إِلَى مُلْكِ بَنِي عَبَّادٍ أَوْ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ يَدِ أَصْحَابِهَا الْمُسْلِمِينَ لِتَدْخَلَ فِي حُكْمِ الْإِسْبَانِ. وَلَقَدْ عَبَّرَ عَبْدُ الْجَلِيلِ بْنُ عَبْدِونٍ عَنْ عَاطِفَةِ الصَّدَاقَةِ الَّتِي يَكْنُهَا نَحْوُ ابنِ عَمَّارٍ إِلَى جَانِبِ النُّفُورِ مِنْ خِيَانَاتِهِ حِينَ رَأَاهُ فَقَالَ:

عَجَبًا لَهُ! أَبْكِيهِ مِلَّةً مَدَامَنِي وَأَقُولُ: لَا شُلْتَ يَمِينَ الْقَاتِلِ!
٢ - كَانَ لابنِ عَمَّارٍ الْأَنْدَلُسِيُّ ذِكَاةً مُفْرِطًا وَطُمُوحًا بَعِيدًا وَثِقَافَةً وَاسِعَةً وَاخْتِبَارًا كَثِيرًا، غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ قَلِيلَ الْمُبَالَاةِ بِالْعُرْفِ وَبِالْمَثَلِ الْعُلْيَا عِنْدَ السَّعْيِ لِتَحْقِيقِ مَآرِبِهِ فِي الْحَيَاةِ.

وَابْنُ عَمَّارٍ شَاعِرٌ مَطْبُوعٌ مُكَثِّرٌ ضَاعَ قِسْمٌ مِنْ شِعْرِهِ، وَيُقَالُ إِنَّهُ قَدْ أُخْرِقَ هَجَاءُهُ قَبْلَ مَوْتِهِ. وَشِعْرُهُ فَصِيحٌ اللَّفْظِ مَتِينٌ السَّبْكِ مُشْرِقِي الدِّيَابِاجَةِ فِي الْأَكْثَرِ مَعَ شَيْءٍ مِنَ الرَّشَاقَةِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ. وَهُوَ يَعْتَمِدُ الصُّورَةَ الْحِسِّيَّةَ وَالتَّعْبِيرَ الرَّصِينَ عَنِ الْفِكْرَةِ لِإِبْرَازِ أَغْرَاضِهِ. وَلَا تَرَاهُ يَتَكَلَّفُ الصَّنَاعَةَ؛ وَإِذَا هُوَ فَعَلَ ذَلِكَ وَآتَتْهُ الصُّورَةُ الْحِسِّيَّةُ ثُمَّ أَخْطَأَ هُوَ الصَّنَاعَةَ الْبَحْثَ، فَفِي قَوْلِهِ مِثْلًا:

يَوْمٌ تَكَائَفَ غَيْمُهُ فَكَأَنَّهُ دُونَ السَّيْلِ دُخَانُ عَوْدٍ^(٢) أَخْضَرَ

(١) شَقُور (كصبور) بلد في الأندلس.

(٢) العود (الفنن، الحطب) الأخضر لا يشتعل بسهولة، ولذلك يكثر دخانه.

والطَّلُّ مِثْلُ بُرَادَةٍ مِنْ فِضَّةٍ مَنَشُورَةٍ فِي ثُرْبَةٍ مِنْ عَنَبَرٍ.
وَالشَّمْسُ أحياناً تَلُوحُ كَأَنَّهَا أَمَةٌ تُعَرِّضُ نَفْسَهَا لِلْمُشْتَرِي.
لَا تَتَأَتَّى لَهُ التَّوْرِيَّةُ بَيْنَ الْمُشْتَرِي (الذي يَدْفَعُ الْمَالَ فِي السَّلْعَةِ الْمَبِيعَةِ) وَبَيْنَ الْمُشْتَرِي
(الذي هُوَ كَوَكَبٌ مِنَ الْكَوَاكِبِ السَّيَّارَةِ)، لِأَنَّ الْمُشْتَرِي نَجْمٌ بَعِيدٌ قَلَّ أَنْ يُرَى بِالْعَيْنِ
الْمُجَرَّدَةِ؛ وَأَمَّا إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَنْظُرَ فِي التَّوْرِيَّةِ مِنْ حَيْثُ صِلَتْهَا بِالشَّمْسِ (فِي النَّهَارِ)
فإنَّ هَذِهِ التَّوْرِيَّةَ تَفْقَدُ حِينَئِذٍ قِيَمَتَهَا. وَكَذَلِكَ الصُّورَةُ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي غَيْرُ صَحِيحَةٍ:
إِنَّ الطَّلَّ (النَّدَى) يَكُونُ فِي اللَّيَالِي الْبَارِدَةِ جَامِداً عَلَى الْأَغْصَانِ، وَلَكِنَّهُ إِذَا سَقَطَ
عَلَى الْأَرْضِ فَيَكُونُ قَدْ ذَابَ. وَاصْبَحَ مَاءً فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَبْقَى حِينَئِذٍ بَلُورَاتٍ (بُرَادَةٍ
مِنْ فِضَّةٍ) حَتَّى يَبْدُوَ كَأَنَّهُ قُتَاتٌ مِنَ الْفِضَّةِ مَنَشُورٌ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الْعَنَبَرِ (الْأَسْوَدِ أَوْ
الْأَسْمَرِ)!

وَفَنُونٌ شِعْرُ ابْنِ عَمَّارٍ الْمَذْحُ وَالْعِتَابُ وَالْإِخْوَانِيَّاتُ وَالْهَجَاءُ وَالْوَصْفُ وَالنَّسِيبُ
وَالغَزَلُ مَعَ شَيْءٍ مِنَ الْمَجُونِ أحياناً.

٣ - مختارات من شعره

- قال ابن عَمَّارٍ الأندلسي يَمْدَحُ الْمُعْتَصِدَ عَبَّاداً لَمَّا لَقِيَهُ لِلْمَرَّةِ الْأُولَى:

أَدِرِ الزُّجَاجَةَ فَالنَّسِيمُ قَدْ انْبَرَى،	وَالنَّجْمُ قَدْ صَرَفَ الْعِنانَ عَنِ السُّرَى ^(١) ؛
وَالصُّبْحُ قَدْ أَهْدَى لَنَا كَافُورَهُ	لَمَّا اسْتَرَدَّ اللَّيْلُ مِنْهُ الْعَنَبِرَا ^(٢) ،
وَالرَّوْضُ كَالْحَسْنَا كَسَاهُ زَهْرُهُ	وَشَيْئاً، وَقَلَّدَهُ نَدَاهُ جَوْهَرَا ^(٣) ؛
رَوْضٌ كَانَ النَّهْرُ فِيهِ مِغْصَمٌ	صَافٍ أَطْلَلَ عَلَى رَدَاهُ أَخْضَرَا،
وَتَهَزُّهُ رِيحُ الصَّبَا فَتَخَالَه	سَيْفُ ابْنِ عَبَّادٍ يُبَدِّدُ عَسْكَرَا!
مَلَكٌ إِذَا ازْدَحَمَ الْمُلُوكُ بِمَوْرِدٍ	وَنَحَاهُ، لَا يَرِدُونَ حَتَّى يَصْنُدُرَا ^(٤) .

- (١) النسيم قد انبرى (قد بدأ يهبّ بليلاً عليلًا، بعد أن برد الجو في الليل). السرى: السير ليلاً. النجم قد صرف العنان عن السرى: توقّف عن السير (بقي الليل، تأخّر طلوع الصبح).
- (٢) الكافور: مادّة طيّبة الرائحة بيضاء اللون. العنبر: مادّة طيّبة الرائحة سوداء اللون.
- (٣) الوشي: التزيين، التطريز، تحمين الثوب بنقوش صغيرة. قلده: جعل له قلادة، عقدًا (حلية في العنق). الندى: قطرات الندى التي تتجمّع في الليل على الأغصان. الجوهرة: اللؤلؤ.
- (٤) المورد: الشريعة (مكان على النهر صالح للاستقاء: لأن يشرب الناس منه). نحاه: اتّجه إليه. يردون: يجيئون إلى النهر للشرب. يصدر: يرجع عن النهر بعد أن يكون قد أخذ حاجته من الماء.

أُنْدَى عَلَى الْأَكْبَادِ مِنْ قَطْرِ النَّدى
 قَدَاحُ زَنْدِ الْمَجْدِ: لَا يَنْفُكُ مِنْ
 يَا سَائِلِي، مَا حِنْصُ إِلَّا خَاتَمُ
 لَا شَيْءَ أَفْرَأُ مِنْ شِفَارِ حُسامِهِ
 قَادَ الْمَوَاكِبَ كَالْكَوَاكِبِ فَوْقَهُمْ
 مِنْ كُلِّ أَيْبَضَ قَدْ تَقَلَّدَ أَيْبَضاً
 مَلَكٌ يَرُوقُ خَلْقُهُ أَوْ خَلْقُهُ
 أَعْلَنْتُ بِالْإِيمَانِ حَتَّى شِمْتُهُ
 فَاحَ الثَّرَى مُتَعَطِّراً بِشَنَائِهِ
 يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي أَصْلُ الْمُنَى
 السَّيْفُ أَفْصَحُ مِنْ زِيَادِ خُطْبَةٍ
 أَثْمَرْتَ رُمَحَكَ مِنْ رُؤُوسِ كَمَاثِمِهِمْ
 وَصَبَّغْتَ دِرْعَكَ مِنْ دِمْلِهِ مَلُوكِهِمْ
 وَلَيْثِنْ وَجَدْتَ نَسِيمَ حَمْدِي عَاطِراً

وَأَلَذُّ فِي الْأَجْفَانِ مِنْ سِنَةِ الْكَرَى^(١)
 نَارِ الْوَعَى إِلَّا إِلَى نَارِ الْقَرَى^(٢)
 أَبْصَرْتُ إِسْمَاعِيلَ فِيهَا خِنْصَراً^(٣)
 إِنْ كُنْتَ شَبَّهْتَ الْكِتَابَ أُسْطُراً^(٤)
 مِنْ لَأَمِهِمْ مِثْلُ السَّحَابِ كَنْهَوراً^(٥)
 عَضْباً، وَأَسْمَرَ قَدْ تَقَلَّدَ أُسْماً^(٦)
 كَالرُّؤُوسِ يَحْسُنُ مَنْظَراً أَوْ مَخْبِيراً
 فَرَأَيْتُهُ فِي بُرْدَتَيْهِ مُصَوَّراً^(٧)
 حَتَّى حَسَبْنَا كُلُّ ثَرْبٍ عَنَبِيراً
 مِنْهُ بَوَاجُهُ مِثْلُ حَمْدِي أَزْهَراً
 فِي الْحَرْبِ إِنْ كَانَتْ يَمِينُكَ مِنبَراً^(٨)
 لَمَّا رَأَيْتَ الْفُصْنَ يُغَشِّقُ مُنْبِيراً
 لَمَّا رَأَيْتَ الْحُسْنَ يُلْبَسُ أَحْمَراً
 فَلَقَدْ وَجَدْتُ نَسِيمَ بَرِّكَ أَعْطِراً!

- وكتب ابنُ عَمَّارٍ إِلَى الأميرِ مُحَمَّدٍ المَعْتَمِدِ مِنْ سَرَقُطَّةَ، وَكَانَ الْمُعْتَصِدُ قَدْ نَفَاهُ

مِنْ إِشْبِيلِيَّةَ:

- (١) أُنْدَى: أَكْثَرُ نَدَى (بِرْدَاءٍ وَرَطُوبَةٍ). قَطْرُ النَّدى: سَقُوطُ النَّدى (راجع فوق ص ٦٤١ الحاشية ٣).
- السَّنة (بِكسر السين) أَوَّلُ النَّوْمِ. الْكَرَى: النَّوْمُ. - أَلَذُّ تَمَّا يُشْعِرُ بِهِ الْإِنْسَانُ الشَّدِيدَ التَّعَبِ وَالْحَاجَةَ إِلَى النَّوْمِ إِذَا بَدَأَ يَغْفُو.
- (٢) الزَنْدُ: حَدِيدَةٌ تَقْدَحُ بِهَا النَّارُ مِنْ حَجَرِ الصَّوَّانِ. قَدَاحُ زَنْدِ الْمَجْدِ: دَائِمُ الطَّلَبِ لِمَعَالِي الْأُمُورِ. نَارِ الْوَعَى: الْحَرْبِ. نَارِ الْقَرَى: الضِّيَافَةُ (الكَرَم).
- (٣) حِنْصٌ: مَدِينَةُ إِشْبِيلِيَّةَ. إِسْمَاعِيلُ: ابْنُ الْمُعْتَصِدِ بْنِ عَبَّادٍ. أَبْصَرْتُ إِسْمَاعِيلَ فِيهَا (فِي إِشْبِيلِيَّةَ) خِنْصَراً (الْأَصْبَحَ الصَّغِيرَةَ فِي طَرَفِ الْكَفِّ): قَادِراً عَلَى تَنْدِيرِ أُمُورِهَا (إِشَارَةً إِلَى اسْتِحْقَاقِهِ لَوْلَايَةِ الْعَهْدِ).
- (٤) أَقْرَأُ: أَحْسَنُ قِرَاءَةً (أَشَدَّ فِعْلاً وَأَثَرًا). شِفَارِ جَمْعُ شَفْرَةٍ (يَفْتَحُ الشَّيْءَ): السَّكِّينَ الْعَظِيمَ، نَصْلُ السَّيْفِ. الْحُسامُ: السَّيْفُ. الْكِتَابُ: جَمَاعَةُ الْحَنْدِ بَيْنَ مِائَةِ وَأَلْفٍ.
- (٥) اللَّامُ جَمْعُ لَأَمَةٍ: الدَّرْعُ. مِثْلُ السَّحَابِ (مَمْتَدًّا). كَنْهَورٌ (قَطْعُ السَّحَابِ الْمُتَرَامِ).
- (٦) أَيْبَضُ (أَيْبِضُ اللَّوْنِ، لَهُ مَجْدٌ) تَقَلَّدَ (عَلَّقَ فِي مَقْلَدِهِ: فِي عُنُقِهِ) أَيْبِضَ (سَيْفًا) عَضْباً (قَاطِعاً) وَأَسْمَرَ (أَسْمَرَ اللَّوْنِ، لَهُ قُوَّةٌ وَشَبَابٌ تَامٌ) قَدْ تَقَلَّدَ أُسْماً (رَمْحًا).
- (٧) شَامُ يَشِيمُ: نَظَرٌ، تَطَلُّعٌ. الْبُرْدَةُ: الثَّوبُ.
- (٨) زِيَادُ بْنُ أَبِيهِ وَالِيُ الْبَصْرَةَ وَالْكُوفَةَ مِنْ قَبْلِ مَعَاوِيَةَ، وَمِنْ الْخُطْبَاءِ الْمَعْدُودِينَ (راجع الجزء الأول).

عَلَيَّ وَإِلَّا مَا بَكَءُ الْغَمَائِمِ؟
وَعَنِّي أَثَارُ الرَّغْدِ صَرَخَةً طَالِبِ
وَمَا لَيْسَتْ زُهْرُ النُّجُومِ حِدَادَهَا
أَلَا قَاتَلَ اللَّهُ الْجِيَادَ فَإِنَّهَا
أَشْلَبُ؟ وَلَا تَنْسَابُ عِبْرَةً مُشْفِقِ!
كَسَاهَا الْحَيَا بُرْدَ الشَّبَابِ! فَإِنَّهَا
ذَكَرْتُ بِهَا عَهْدَ الصَّبَا فَكَأَنَّهَا
لَيَالِي لَا أَلْوِي عَلَى رُشْدٍ لَائِمِ
أَنَالَ سُهَادِي مِنْ عَيُونِ نَوَاعِسِ
وَلَيْلٍ لَنَا بِالسَّدِّ بَيْنَ مَعَاطِفِ
يَحْيَتْ اتَّخَذْنَا الرُّوضَ جَارًا تَزُورُنَا
تُبْلَغُنَا أَنْفَاسُهُ فَنَرُدُّهَا

وَفِيَّ وَإِلَّا مَا نِيَّاحِ الْهَامِئِ؟
لَشَارٍ، وَهَزَّ الْبَرْقُ صَفْحَةً صَارِمِ^(٢)
لَغَيْرِي وَلَا قَامَتْ لَهُ فِي مَاتِمِ^(٣)
نَأَتْ يِي عَنْ أَرْضِ الْعُلَا وَالْمَكَارِمِ
وَحِمَصُ؟ وَلَا تَعْتَادُ زَفْرَةً نَادِمِ^(٤)
بِلَادٍ بِهَا عَقَّ الشَّبَابُ تَائِمِي^(٥)
قَدَحْتُ بِنَارِ الشَّوْقِ بَيْنَ الْحِيَازِمِ^(٦)
عِنَايَ وَلَا أَتْنِيهِ عَنْ غَيِّ هَائِمِ^(٧)
وَأُجْنِي عَذَابِي مِنْ غُصُونِ نَوَاعِمِ^(٨)
مِنَ النَّهْرِ يَنْسَابُ انْسِيَابَ الْأَرَاقِمِ^(٩)
هَدَايَاهُ فِي أَيْدِي الرِّيَّاحِ النَّوَاسِمِ^(١٠)
بَأُغْطِرِ أَنْفَاسٍ وَأَذْكِي مَنَاسِمِ^(١١)

- (١) نياح: النواح (بضم النون)، النوح (بفتح النون): البكاء على الميت. - لا أحد أشقى مني يستحق أن تبكي عليه الغائم (تسقط على قبره الأمطار) أو تنوح الهائم!
- (٢) من صوتي تعلم الرعد القصف (الصوت الشديد). ومن عزمي تعلم البرق أن ينشر أشعته كأنها السيوف شكلاً ولمعاناً.
- (٣) زهر النجوم: النجوم البيضاء. ليست حدادها: ظهرت في الليل محاطة بالسواد. ولا قامت (زهر النجوم: النساء الجميلات). الماتم: اجتماع النساء (في أماكن الموت).
- (٤) أ (أذكر) شلباً ولا تسيل مداممي، و (أتذكر) حمصاً ولا تعتادي (ترجع إلي مرة بعد مرة) زفرة (نفس حار من الحزن) نادم (عليها: على فراق اشيلية).
- (٥) كساها الحيا برد (ثوب) الشباب! (يدعو الشاعر لحمص بأن تظل شابة: زاهرة فتية). عَقَّ الشباب (قطع) الشباب تائمي (جمع تميم: الحرز أو الحجاب يعلق في عنق الطفل): في اشيلية انتقلت من طور الطفولة إلى طور الشباب.
- (٦) الحيازيم جمع حيزوم (بفتح الحاء): جانبها الحلق، عند العنق. إذا تذكرت أيام شبابي في اشيلية شعرت بفصّة (بضم الفين) في حلقي.
- (٧) في تلك الأيام ما كنت استمع إلى نصيحة ولا أرجع عن انغاس في الملذات. الهائم: الذي يسير على غير هدى.
- (٨) لم يكن يسهرني شيء إلا عيون النساء ولا يعذبني شيء إلا قدودهن اللينة.
- (٩) السدّ (الحاجز على النهر). الأرقم: الثعبان، الحية الكبيرة.
- (١٠) هداياه - هدايا الروض: الروائح الزكية. النواسم جمع ناسمة (!): الهبة الضعيفة من الريح.
- (١١) الذكي (بالذال أخت الدال): الساطع (الشديد) الرائحة (الطيبة). المنسم: مكان هبوب النسيم.

وَبِتْنَا وَلَا وَاشِرٍ يُحَسُّ، كَأَنَّا
هُوَ الْعَيْشُ، لَا مَا أَشْتَكِيهِ مِنَ السُّرَى
وَصُخْبَةِ قَوْمٍ لَمْ يُهَذَّبْ طِبَاعُهُمْ
نَدَامَى وَلَا غَيْرُ السُّيُوفِ أَزَاهِرِي
وَمَا حَالُ مَنْ رَبَّتْهُ أَرْضٌ أَعَارِبٍ
وَنُبْتُ إِخْوَانَ الصَّفَاءِ تَغَيَّرُوا
لَقَدْ سَخِطُوا ظِلْمًا عَلَى غَيْرِ سَاخِطٍ
إِلَى الْحَاجِبِ الْأَعْلَى، إِلَى الْعَضُدِ الَّذِي
لَهُ هِرَّةٌ فِي الْجُودِ مُغْتَضِدِيَّةٌ
سَمَا بِأَبِيهِ ذِرْوَةَ الشَّرَفِ الَّذِي
إِذَا تَشَرَّتْ لَحْمٌ بِذِكْرَاهُ فَخَرَهَا
أَتَى أَنْ يَرَاهُ اللَّهُ غَيْرَ مُقْلَدٍ
إِذَا جَرَّ أَذْيَالَ الْجِيُوشِ إِلَى الْعِدَى
مُلُوكٌ مُنَاحُ الْعِزِّ فِي عَرَصَاتِهِمْ؛

حَلَّلْنَا مَكَانَ السَّرِّ مِنْ صَدْرِ كَاتِمٍ .
إِلَى كُلِّ نَفَرٍ أَهْلٍ مِثْلِ طَاسِمٍ (١) ؛
لَقَاءُ أَدِيبٍ أَوْ نَوَادِرُ عَالَمٍ (٢) .
لَدَيْهِمْ وَلَا غَيْرُ الْغُمُودِ كَمَا نَعِي (٣) .
وَأَلْقَتْ بِهِ الْأَقْدَارُ بَيْنَ الْأَعَاجِمِ ؟
وَذَمَّوْا الرِّضَا مِنْ عَهْدِي الْمُتَقَادِمِ .
عَلَيْهِمْ، وَلَا مَوَا - ضِلَّةٌ - غَيْرَ لَاثِمِ .
تَطُولُ بَيْنَمَاهَ قِصَارُ الصَّوَارِمِ (٤) ؛
تَهَزُّ إِلَى تَشْتِيتِ شَمْلِ الدَّرَاهِمِ (٥) .
أَبَاطِحُهُ سَهْلُ النَّدَى وَالْمَكَارِمِ (٦) .
طَوَتْ طَيِّبٌ مِنْ خَجَلَةٍ ذِكْرُ حَاتِمِ (٧) .
حِمَالَةَ سَيْفٍ أَوْ حِمَالَةَ غَارِمِ (٨) .
أَطَاعَتْهُ أَوْ جَرَّتْ ذُيُولُ الْمَزَائِمِ .
وَمَثَوَى الْمَعَالِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ (٩) .

- (١) السرى: السير ليلاً. الثغر: المكان على طرف البلاد (القريب من أرض العدو). الأهل: المسكون.
الطاسم: الممحو (غير مسكون).
(٢) النواذر جمع نادرة: الكلمة القليلة الورد (الأشياء القليلة التي لا يعرفها إلا العلماء).
(٣) هؤلاء هم ندامي (بضم النون): الذين يصحبوني ويرافقوني (برغمي). إذا أردت أن أشم زهرته
ضربوني بالسيف. وليس لي كرائم (الكرامة في الأصل الورق الأخضر الذي يحيط بالزهرة): ستر، مأوى
(١) إلا غمود السيوف: الحبس (١).
(٤) الحاجب في الأندلس يشبه رئيس الوزارة في أيامنا. العضد: أعلى الذراع (من الكتف إلى المرفق).
تطول بينماه قصار الصوارم (السيوف) كناية عن شجاعته: إذا كان السيف لا يصل إلى العدو فإنه
يبدّ يده بالسيف فيصل إلى العدو.
(٥) معتضدية نسية إلى المعتضد (والد المعتمد بن عباد). تهزّ: تجعل الإنسان يهتزّ (يطرب).
(٦) الأباطح: مكان مجرى السيل (المكان المنخفض). الندى: الكرم. المكارم: الأعمال الحميدة.
(٧) مجد المعتمد بن عباد (في قومه بني لحم) يجعل كرم حاتم طي قليلاً حتى يجعل بنو طي من ذلك الكرم
القلي.
(٨) مقلد (حامل في عنقه) حمالة سيف = سائر إلى الحرب، أو حمالة غارم (رجل عليه دين) = هو ينقذ
(بكرمه) المدينين من ديونهم .
(٩) العرصة (بفتح ففتح): الباحة أمام المنزل. المعلم: المكان (مساكن المعتمد بن عباد).

أَلْكَنِي مِنْهُمْ بِالسَّلَامِ إِلَى فَقٍّ
تَبَوَّأَ مِنْ لَحْمٍ - وَنَاهِيكَ مَقْعَدًا -
أَبَا الْقَاسِمِ، أَقْبَلْهَا إِلَيْكَ فَإِنَّا
أَنَا الْعَبْدُ فِي ذُلِّ الْخُضُوعِ لَوْ أَنَّنِي
وَإِنِّي - إِذَا أَنْصَفْتَ - بَعْدَكَ خَادِمٌ
لَعَلَّ الَّذِي أَقْدَى بِتَرْحَةِ رَاحِلٍ
فَتَرْجَعَ أَيَّامٌ مَضَتْ وَكَأَنَّمَا،
تَهَادَى بِهِ جُرْدُ الْعِتَاقِ الصَّلَاحِ (١)؛
مَكَانَ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ (٢)؛
تَسَاوُكَ مِسْكِي وَالْقَوَافِي لَطَائِمِي (٣)؛
أَرَى الْبَذَرَ تَاجِي وَالنُّجُومَ خَوَاتِمِي
لِدَهْرِي، وَكَانَ الدَّهْرُ عِنْدَكَ خَادِمِي
عُيُونًا سَيَجْلُوهَا بِفَرْحَةٍ قَادِمٍ (٤)؛
إِذَا امْتَثَلَتْهَا النَّفْسُ، لَذَّةَ حَالِمٍ (٥)؛
- وَقَالَ ابْنُ عَمَّارٍ فِي هَجَاءِ الْمُعْتَصِدِ وَابْنِهِ الْمُعْتَمِدِ (وفيات الأعيان ٢: ٣٧١):

مَّا يُقْبَحُ عِنْدِي ذِكْرُ أَنْدَلُسٍ
أَسْمَاءُ مَمْلُوكَةٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا،
سَمَاعُ مُعْتَصِدٍ فِيهَا وَمُعْتَمِدٍ؛
كَالْهَرِّ يَحْكِي انْتِفَاحًا صَوْلَةَ الْأَسَدِ.

- ٤- نخلة اللبيب، الجزائر ١٩٠٤ م.
* ابن عَمَّار: ترجمة قصصية، تأليف ثروت أباطة، القاهرة (دار المعارف - سلسلة «اقرأ»، رقم ١٤٣) بلا تاريخ؛ (مطبوع مع مؤلفات ثروت أباطة)، القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١٩٥٧ م.
- محمد بن عَمَّار الأندلسي: دراسة أدبية تاريخية، تأليف صلاح خالص، بغداد (مطبعة الهدى) ١٩٧٥ م.

قلائد العقيان ٩٣ - ١١١؛ الذخيرة ٢: ٣٦٨ - ٤٣٣؛ خريدة (المغرب) ٢: ٧١ - ٨٣؛
المغرب ١: ٣٨٩ - ٣٩١؛ المطرب ١٦٩ - ١٧٤؛ الحلة السراء ٢: ١٣١ - ١٦٥؛
الوافي بالوفيات ٤: ٢٢٩ - ٢٣٤؛ وفيات الأعيان ٢: ٤٢٥ - ٤٢٩؛ المعجب
١١١ - ١٢٩؛ أعمال الأعلام ١٥٩ - ١٦٢؛ نفح الطيب ١: ٦٥٢ - ٦٥٦،

- (١) أَلْكَنِي: احمل عني (منّي) رسالة. تهادى - تتبادل: تتأيل (تفتخر). جرد (الخيل القليلة الشعر) العتاق (الأصيلة) الصلاد جمع صلدم (بكسر الصاد والذال): الأسد، الصلب، الشديد الحافر.
(٢) تبوأ: نزل منزلاً، اتخذ مكانة. ناهيك مقعداً: يكفيك شرفاً أن تكون في مثل هذا المقعد. مكانة المعتمد بن عباد في لحم كمكانة رسول الله في بني هاشم (مبالغة مكروهة).
(٢) أبو القاسم - المعتمد بن عباد. أقبلها = أقبل هذه القصيدة. تساوك مسكي: لا أستطيع أن أهدي إليك مسكاً (شيئاً طيباً) سوى مدحي إياك. القوافي: القصائد. لطائمي جمع لطيمة: قافلة تحمل مسكاً للتجارة من بلد إلى بلد.
(٤) أقدى العين: ألقى فيها القذى (وتأني بمعنى أزال منها القذى). الترحة: الحزن. سيجلوها = سيجلو القذى منها.
(٥) امثلتها: جعلتها هدفاً، تحيّلها.

٦٦٧-٦٦٨ ، ٦٧١-٦٧٢ ، ٣ : ٢٤٢ - ٢٤٤ ، ٣٢٥ - ٣٢٨ ، ٤ : ٢١٢ - ٢١٣ ،
 ٣١٤ - ٣١٣ ، ٥ : ١٨١ - ١٨٢ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٣٥٦ - ٣٥٧ ؛ دائرة المعارف
 الإسلامية ٣ : ٧٧٥ - ٧٧٦ ؛ نيكل ١٥٤ - ١٦٣ ، مختارات نيكل ١٠٧ - ١١٣ ؛
 بالنشيا ٨٩ - ٩٤ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ١٩٩ - ٢٠٠ (٦ : ٣١٠ - ٣١١) ؛ مجلة العربي
 (الكويت) ١١/١٩٦٨ ، ص ٧١ ، ٧/١٩٧٠ ، ص ٧٦ .

ابن أرفع رأسه

١ - هو أبو بكر محمد بن أرفع رأسه^(١)، من أهل طليطلة، روى عن محمد بن إبراهيم الخشني وغيره.

كان ابن أرفع رأسه متصلاً ببيحيى المأمون (٤٢٩ - ٤٦٧ هـ) من بني ذي النون أصحاب طليطلة. وقد تولى قضاء طليطلة (غرب طليطلة)، في زمن لا نعرفه. أمّا وفاته فلمعلها كانت في أواخر القرن الخامس للهجرة (أواخر الحادي عشر للميلاد).

٢ - كان ابن أرفع رأسه من أهل الذهن الثاقب والعلم البارع حافظاً لرأي مالك ومن رؤساء المذهب في زمنه. كان شاعراً له موشحات ذاعت على ألسن أهل الأندلس. وكانت مكانته في التوشيح تلي مكانة ابن عبادة القرّاز^(٢).

٣ - مختارات من شعره

- قال ابن أرفع رأسه يمدح المأمون بن ذي النون:

دَعَوْا المَلُوكَ وَأَبْنَاءَ المَلُوكِ فَمَنْ	أَضْحَى عَلَى البَحْرِ لَمْ يَشْتَقْ إِلَى نَهَرٍ .
مَا فِي البَسيطَةِ كَالْمَأْمُونِ ذُو كَرَمٍ ،	فَانْظُرْ لِتَصْدِيقِ مَا أَسْمَعْتُ مِنْ خَبَرٍ .
يَا وَاحِداً مَا عَلَى عَليَاهُ مُخْتَلَفٌ ،	مُنْذُ جَادَ كَفُوكَ لَمْ نَحْتَجْ إِلَى المَطَرِ .
وَقَدْ طَلَعَتْ لَنَا شَمْساً ، فَهَا نَظَرْتُ	عَيْنٌ إِلَى كَوَكَبٍ يَهْدِي وَلَا قَمَرِ .

(١) في الصلة (ص ٣٨٥ ، رقم ٨٧٤) : أبو بكر عثمان بن عيسى بن يوسف التجيبي من أهل طليطلة ويعرف بابن أرفع رأسه.

(٢) مقدمة ابن خلدون ١١٣٨ . راجع ترجمة ابن عبادة القرّاز ، فوق ، ص

وقد بَدَوْتَ لنا وَسْطَىٰ مَلُوكِهِمْ فَلَمْ نُعْرِّجْ عَلَىٰ شَذَرٍ وَلَا دُرَّرٍ^(١).

- وقال من موشحة:

من عَلَّقَ الْقُرْطَا فِي أُذُنِ الشِّعْرَى وَأَكْفَفَ الْمِرْطَا الْغُصْنَ النَّضْرَا^(٢)؟

★ ★ ★

قَدْ هِنْتُ فِي وَسْنَانَ أَسَدَ الشَّرَى يَسْنِي^(٣)
بِلِحْظِهِ الْفَتَّانَ فِي مَفْرَكِ الْحَبِّ
أَعْلَىٰ ظُبَا سُلْطَانَ بِقُدْرَةِ الرَّبِّ^(٤)
سُبْحَانَ مَنْ أَعْطَىٰ جُفُونَكَ النَّضْرَا وَالْقَبْضَ وَالْبَسْطَا وَالنَّهْيَ وَالْأَمْرَا^(٥).

★ ★ ★

ضَنَّ بِإِسْعَادٍ، وَالشَّمْسُ تَحْكِيهِ^(٦)،
مَنْ بَعْدَ مِيعَادٍ أَبْدَىٰ الرِّضَا فِيهِ.
فَكَانَ إِنْشَادِي خَوْفَ تَجَنِّيهِ^(٧)،
حَيْثُ قَدْ أَبْطَا مِنْ أَمْسِكَ الْبَدْرَا عَنِّي لَقَدْ أَخْطَا وَأَشْغَلَ السِّرَا^(٨).

-
- (١) الوسطى: الجوهرة الكبرى التي تكون في وسط العقد. وسطى ملوكهم: أعظم الملوك. لم نعرج (لم نلتفت، لم نهتم). الدرر: اللؤلؤ. الشذر: قطع صغيرة من ذهب تكون بين اللؤلؤة واللؤلؤة في العقد.
(٢) الشعري نجم كبير لامع (المحبوب الجميل). أكفف (٤). المرط: ثوب من حرير. الغصن (المحبوب ذو القامة المنتصبة كالغصن). النضر (الأخضر الريان). (من أحاط هذا الغصن بثوب من حرير).
(٣) هام: اشتد حبه. وسنان: محتاج إلى النوم (هنا: ناعس العينين). أسد الشرى (الجبال) تكون أشد (٤)، يقصد الرجال الأقوياء.. يسي: يأسر، يستعبد.
(٤) أعلى ظبا (جمع ظبة بضم ففتح: حد السيف) سلطان (٤).
(٥) القبض والبسط: القدرة على الحرمان والعطاء.
(٦) ضنّ: بخل. إسعاد (مساعدة): استجابة للمحب. تحكيه: تشبهه.
(٧) أنشدت فيه (تفرّلت به) خوف أن يتجنّى عليّ (فيدعي أنه مال عني لأنني لا أحبه).
(٨) حيث (إذا) أبطأ (تأخر) من أمسك (الذي يشرف على: المربي أو المربية) البدرا (المحبوب الجميل)... (ولمّا اتفق أن مرّ بي جملة يتخطّاني ولا يلتفت إلى مكاني) فأشغل السرّ (القلب، قلبي): بلبله وحيره).

- ومن موشحاته الموشحة التالية (ونلاحظ في أعاريضها عدداً من أوجه الاختلاف في الوزن!):

خَلَعْتُ عُذْرِي وَبُحْتُ بِالْفَزْلَانِ^(١)،
مَذَّ بَانَ عُذْرِي فِي الْأَوْجِهَ الزُّهْرِ الْحِسَانِ^(٢)؛
مَنْ كَلَّ بَدْرٍ يَلُوحُ فِي غَصَنِ بَانَ^(٣).
أَوْطَفُ قَدْ أَدَارَ لِحْظاً يُصِيبُ حَبَّ الْقُلُوبِ بِسَهْمِ اخْوَرَارِ^(٤).

★ ★ ★

قَضِيبُ رَنْدٍ يَمِيسُ فِي دِغْصِ رَجْرَاجِ^(٥)،
وَبَدْرٍ سَفْدٍ يُرِيكَ تَحْتَ اللَّيْلِ دَاجِ^(٦)؛
رُمَّانَ نَهْدٍ أَيْنَعُ فِي لَبَّاتِ عَاجِ^(٧).
يُقْطَفُ بِأَفْكَارٍ فَوْقَ قَضِيبِ لَدُنِ رَطِيبٍ مِنْ ذَوْبِ الْبَلَّارِ^(٨).

★ ★ ★

أَوْدَى بَصْبَرِي لَامَا عَبِيرُ فِي شَقِيقِ^(٩)،

- (١) عذر (بضمّتين، وحذف الشاعر الثانية للضرورة) جمع عذار (بالكسر): اللجام، أي أعلنت حبّي وبحت (بأسماء) المحبوبين..
- (٢) بان: ظهر. يبدو أن «الزهر» زائدة.
- (٣) البان شجر أغصنه طويلة مستقيمة سمراء.
- (٤) أوطف: كثيف شعر الحاجبين. أدار لحظاً: جمل يتطّلع إلى كلّ جهة. يصيب حبّ القلوب (وسطها): يصيب مقتلاً. الأخورار: شدة بياض العين وشدة سوادها.
- (٥) الرند نوع من الشجر. يمس: يتأيل. الدعص: الجانب المستدير من رمل أبيض. (يقصد الكفل - بفتح ففتح).
- (٦) تحت الليل داج (داجياً: مسوداً): تحت شعره الأسود الحالك.
- (٧) أينع الثمر: نضج (بلغ تمامه). اللبة (بالفتح): أعلى الصدر. عاج: سنّ الفيل (شديد البياض).
- (٨) يقطف (أي رمان النهد) بالفكر والنظر (ويمنع سه). قضيب: قامة منتصبة. لدن: طريّ يتشنى. البلّار: البلور (بكسر الباء وفتح اللام المشددة أو بفتح الباء وضّم اللام المشددة. اقرأ «بلار» بلا لام للتعريف).
- (٩) أودى بصبري: ذهب به، أفناه. لاما (مثنى لام = ل: استدارة خصلة من الشعر على جانب الصدغ. في شقيق (على خد أحمر كشقائق النعمان).

خَطًّا بالسحر في صَفْحَتَيَّ خَدَّ أَنْيَقَ^(١) ،
وَسِمَطٌ ثَغْرٍ قَدْ نَمَّ بِالْمَسْكِ الْفَتِيقِ^(٢) ،
وَصُفًّا بِالنُّضَارِ أَلْمَى شَنِيبٌ مِثْلُ الضَّرِيبِ يُزْرِي بِالْعُقَارِ^(٣) .

★ ★ ★

حَمَانِي الظَّلْمَا مِنْ لَا يَبَالِي ظُلْمَا^(٤) .
إِنْ رَاشٍ سَهْمَا أَصَابَ قَلْبِي وَأَذْمَى^(٥) .
رَضِيْتُ السُّقْمَا فِي حَبِّهِ حَظًّا وَقِسْمَا
بِمَلْتَفٍ بِمَدَارٍ مَا لِلْكُثِيبِ حِينَ يَصُوبُ كَالْمُزْنِ أَسْرَارَ^(٦) .

★ ★ ★

أَضْأَقَ ذَرْعِي بِالصَّدِّ عَنِّي يَوْمَ زَارَ^(٧) .
يَهْفُو عَنْ رَوْعِي كَطَائِرٍ فِي الْجَوِّ طَارَ^(٨) .
هَمٌّ بِوَفْقٍ خَوْفَ مَنْ إِنْسٍ فَحَارَ^(٩) .

- (١) كَأَنَّا خَطًّا (خطتنا، رسمنا) بالسحر (بمقدرة غير بشرية، لجهالها الخارق). أنيق: مؤنق (يعجب العين).
- (٢) وسِمْطٌ (عقد) ثَغْرٍ (فم): صَفٌّ أَسْنَانٍ. نَمَّ: وَشَى (نقل الكلام): فَاحَ مِنْهُ. الْفَتِيقُ: الْجَدِيدُ (يَكُونُ الْمَسْكُ فِي وَعَاءٍ مَغْلُوقٍ، فَإِذَا فُتِحَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ كَانَتْ رَائِحَتُهُ قَوِيَّةً).
- (٣) النُّضَارُ: الذَّهَبُ. صَفًّا (سِمْطُ الثَّغْرِ - أَيْ الْأَسْنَانِ) بِالنُّضَارِ (فِي لُتَّةٍ تُشَبِّهُ الذَّهَبَ فِي صِفَاتِهَا). أَلْمَى: أَسْمَرَ (شَفَّةَ سِمَاءٍ) شَنِيبٌ: بَارِدٌ (رَيْقٌ بَارِدٌ). الضَّرِيبُ: اللَّبَنُ الَّذِي يَجْلِبُ مِنْ عَدَدٍ مِنَ التُّوْقِ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ (وَالشَّاعِرُ يَقْصِدُ الضَّرْبَ - بِفَتْحٍ فَفَتْحٍ - أَيْ الْعَسَلَ). يُزْرِي: يَعِيبُ، يَنْتَقِصُ الْقَدْرَ. الْعُقَارُ: الْحُمْرُ (رَيْقُهُ أَفْضَلُ مِنَ الْحُمْرِ).
- (٤) حَمَانِي: مَنَعَ عَنِّي. الظَّلْمَا (بِالْفَتْحِ): الرِّيقُ.
- (٥) رَاشٍ السَّهْمُ: وَضَعَ رِيشًا فِي مَوْخَرِهِ لِيَكُونَ سِيرُهُ فِي الْهَوَاءِ أَدْقَ (إِنْ نَظَرَ بِعَيْنَيْهِ إِلَى الْحَبِّ أَصَابَهُ وَأَذَاهُ).
- (٦) مَلْتَفٌ (؟) لَعَلَّهَا مَلْتَفٌ: مَهْلِكٌ. مَدَارٌ: كَثِيرُ الدَّرِّ (بِالْفَتْحِ) الْمَطُولُ وَالسَّيْلَانُ (بِالْمَدِّ) مَدَارَةٌ. - مَا (لَيْسَ) لِلْكُثِيبِ (الْعَاشِقُ الْحَزِينُ لِأَنَّ مَحْبُوبَهُ قَدْ هَجَرَهُ) حِينَ يَصُوبُ (دَمْعُهُ، أَيْ يَنْحَدِرُ دَمْعُهُ: يَبْكِي) كَالْمُزْنِ (كَالْمَطَرِ) أَسْرَارَ (أَيْ أَسْرَارَ مَكْتُومَةٍ - الدَّمْعُ الْكَثِيرُ دَلِيلٌ عَلَى الْعُشْقِ).
- (٧) أَضْأَقَ ذَرْعِي (الْمَسَافَةُ بَيْنَ الْكَتِفَيْنِ: صَدْرِي): جَعَلَهُ يَضِيقُ.
- (٨) يَهْفُو: يَسْرِعُ فِي مَشْيِهِ: عَنْ رَوْعِي (اقْرَأْ : مِنْ رَوْعٍ): مِنْ خَوْفٍ.
- (٩) هَمٌّ: عَزَمَ، أَرَادَ. وَقَعَ الطَّائِرُ عَلَى الْفَصَنِ: حَطَّ عَلَيْهِ.

رفرف ثم طار طيرٌ غريبٌ حُلُو عَجِيبٌ بالعهدِ غدارُ.

- وله موشحة (بقي منها مطلعها وخاتمتها):

العودُ قد ترنمَ بأبدعِ تلحينٍ وشقت المذائبُ رياضَ البساتين^(١)

تخظُر ولا تسلّم عساكَ المأمونُ مروّعُ الكتائبِ يحيى بنُ ذي النون^(٢)

٤- ** المغرب ٢: ١٨؛ جيش التوشيح ص ٧٣ - ٨٥؛ (راجع ص ٢٤٤ - ٢٤٥)؛ نفع الطيب ٤: ١٣٤ - ١٣٥، ٧: ٦؛ مقدّمة ابن خلدون (بيروت - دار الكتاب اللبناني) ١١٣٨ - ١١٣٩؛ نيكل ٢٠١ - ٢٠٢.

علي بن فضال

١- هو أبو الحسن عليُّ بنُ فضالٍ بنِ عليٍّ بنِ غالبٍ بنِ جابرٍ بنِ عبدِ الرحمن التميميُّ المُجاشعيُّ الفرزدقيُّ (من نسل الفرزدق) القيروانيُّ. يبدو أنّه ولد في القيروان ثم هجرَ مسقط رأسه (معجم الأدباء ١٤: ٩١؛ إنباه الرواة ٢: ٢٩٩)، باكراً ورَحَلَ إلى العراق من الغرب (البلغة ١٦١) وطوّف كثيراً في الأرض حتّى وصلَ إلى غزنة (الأفغان اليوم) وأقامَ في نيسابور ولقيَ فيها إمامَ الحرّمين أبا المعالي عبدَ الملك الجوينيَّ (٤١٩ - ٤٧٨ هـ) أستاذَ أبي حامدٍ الغزاليّ (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ) - وكان الغزاليّ لا يزالُ في الأغلب في نيسابور قبل أن ينتقلَ إلى بغداد، ولعلّه رآه.

ثم عادَ عليُّ بنُ فضالٍ إلى العراق وسكنَ بغدادَ وأقرأ اللغة والنحو فيها مدّة «وحدّث عن جماعةٍ من شيوخ المغرب» (بغية الوعاة ٣٤٥). ثم دَخَلَ في خدمةِ نظام الملك^(٣) وكانت وفاته في بغداد، ثانيَ عشرَ ربيعِ الأوّل ٤٧٩ (٢٧/٦/١٠٨٦ م).

(١) المذنب (بكسر الميم وفتح النون) مسيل الماء.

(٢) مروّع الكتائب: مخيف الجيوش.

(٣) نظام الملك هو الحسن بن عليّ الطوسي (٤٠٨ - ٤٨٥ هـ) وكان وزيراً للسلاجقة بهمّ بالعلم والعمران، بنى عدداً من المدارس (الجامعات) في بلاد المشرق فكانت تعرف باسم «المدارس النظامية». قتل قرب نهاوند (فارس). ولا ندري إذا كان ابن فضال قد دخل في خدمة نظام الملك في فارس أو أنّه قد دخل في خدمة دولة السلاجقة في بغداد.

٢ - كان عليُّ بنُ فضالٍ إماماً في النحو واللغة والتصريف والتفسير والتاريخ، كما كان شاعراً مُحسناً يَرِقُّ حيناً ويبدو على شعره الجفافُ حيناً. وفنونه الحكمة والمديح والغزل. وهو يلجأ أحياناً إلى الصناعة والتورية خاصة. ثم هو مؤلفٌ مُكثِرٌ، له: الإكسير في علم التفسير (خمس وثلاثون مجلداً) - البرهان العميدي (في التفسير، عشرون مجلداً) - النُكْتُ في القرآن - شرح بسم الله الرحمن الرحيم - الفصول في معرفة الأصول - المقدمة في النحو - شرح عنوان الإعراب - العوامل والهوامل (في الحروف خاصة) - الإشارة في تحسين العبارة - شرح معاني الحروف - إكسير الذهب في صناعة الأدب والنحو (اقرأ: صناعة النحو والأدب) - معارف الأدب - شجرة الذهب في معرفة أئمة الأدب - العروض - الدُولُ (في التاريخ: خمسة وثلاثون مجلداً).

٣ - مختارات من شعره

- قال عليُّ بنُ فضالٍ في «فقدان الصداقة من الناس»:

وَإِخْوَانٍ حَسِبْتُهُمْ دُرُوعاً، فَكَانُوا وَلَكِنْ لِلْأَعَادِي.
وَحِلْتُهُمْ سِهَاماً صَائِبَاتٍ، فَكَانُوا وَلَكِنْ فِي قَوَادِي.
وَقَالُوا: قَدْ صَفَتْ مِنَّا قُلُوبٌ. لَقَدْ صَدَقُوا، وَلَكِنْ مِنْ وَدَادِي.

- وقال من قصيدة في مدح نظام الملك:

دَوَارِسُ آيٍ مَا تَكَادُ تُبَيِّنُ عَفَاهَنْ دَمْعٌ لِلْسَحَابِ هَتُونُ^(١).
وَقَفْنَا بِهَا مُسْتَلْهِمِينَ فَلَمْ يَزَلْ لِسَانُ الْبَلَى عَنْ عُجْمِهِنَّ يُبَيِّنُ^(٢)؛
عَلَى حِينَ عَاصَيْتُ الصِّبَا وَهُوَ طَائِعٌ وَأَرْخَصْتُ عِلْقَ اللَّهِوْ وَهُوَ ثَمِينُ^(٣).
سَقَى اللَّهُ حَيْثُ الظَّاعِنُونَ سَحَائِباً فَقَلْبِي حَيْثُ الظَّاعِنُونَ رَهِينُ^(٤).

(١) دوارس (أمكنة محوّة الأثر، مهذمة. أي=آيات (جمع آية) مكان تتلى فيه الآيات (٤). عفاهنّ (عفاهنّ) دمع (مطر) هتون (كثير).

(٢) البلى: الفناء، الخراب. عجمهنّ (صمتهنّ) يبين (يعبر، يتكلم).

(٣) العلق: الشيء النفيس. حيناً كنت شاباً قادراً على اللهو لم أكن أهو؛ بينما كان غيري يرى أن هذا اللهو مهم جداً.

(٤) الظاعنون: الراحلون عني (أحابي - يقصد: الظاعنات: النساء الحسان).

فَكَمْ ضُمَّنْتَ أَخْدَاجَهُمْ مِنْ جَاذِرٍ أَوَانَسَ يَنْضُوهَا جَاذِرٌ عَيْنُ^(١) !
وَأَقْبَارِ تِمَّ لَمْ يَرَ النَّاسُ قَبْلَهَا بُدُوراً تَتَنَّى تَحْتَهُنَّ غُصُونُ^(٢) ،
يُجَرِّدَنَّ مِنَ الْحَاطِئِينَ صَوَارِمَا مُهَنَّدَةً أَجْفَانُهُنَّ مُتُونُ^(٣) .

٤ - معجم الأدباء ١٤ : ٩٠ - ٩٨ ؛ الخريدة (المغرب) ١ : ٢٨٧ - ٢٨٩ ، إنباه الرواة ٢ : ٢٩٩ - ٣٠٢ ؛ بغية الوعاة ٣٤٥ ؛ البلغة ١٦١ ؛ شذور الذهب ٣ : ٣٦٣ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ١٣٥ (٤ : ٣١٩) .

ابن جاج البطليوسي

١ - هو ابن جاج البَطْلَيْوْسِيُّ الصَّبَاغُ (كان يعملُ في صَبغِ الثياب) ، وكان أُمِّيًّا لَا يَخْطُ وَلَا يَقْرَأُ الْخَطَّ . وَلَا أَعْلَمُ إِلَى مَا اسْتَنَدَ نِيكُلُ لَمَّا ذَكَرَ (ص ١٧٩) أَنَّهُ كَانَ أَعْمَى .

يبدو أن حَيَاةَ ابنِ جاجٍ تَقَعُ كُلُّهَا فِي الْقَرْنِ الْخَامِسِ (القرن الميلادي الحادي عشر) ، ويبدو أيضاً أَنَّهُ لَمْ يَجِدْ فِي بِلَاطِ بَطْلَيْوْسٍ عِنْدَ بَنِي الْأَفْطُسِ مَا يُؤْمَلُ ، إِذْ كَانَ أَمْرُ بَنِي الْأَفْطُسِ مُضْطَرِباً ، فَذَهَبَ إِلَى إِشْيِيلِيَّةَ وَمَدَحَ الْمُعْتَضِدَ عَبَّاداً (٤٣٢ - ٤٦١ هـ) . ثُمَّ لَمَّا اسْتَقَرَّ أَمْرُ بَنِي الْأَفْطُسِ وَاسْتَقَلَّ عُمَرُ الْمُتَوَكِّلُ بِالْإِمَارَةِ (٤٧٣ - ٤٨٧ هـ) زَارَهُ ابْنُ جاجٍ مَادِحاً . وَسَمِعَ الْوَزِيرُ أَبُو بَكْرٍ بِنَ عَمَّارٍ بَابِنِ جاجٍ قَبْلَ اشْتِهَارِهِ فَمَرَّ عَلَى حَانُوتِهِ وَهُوَ آخِذٌ بِعَمَلِهِ وَطَارَحَهُ شَيْئاً مِنَ الشِّعْرِ ثُمَّ قَدَّمَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ . فَإِذَا كَانَ ابْنُ عَمَّارٍ الَّذِي وَلِيَ الْوِزَارَةَ لِلْمُعْتَمِدِ بِنِ عَبَّادٍ ، مُنْذُ سَنَةٍ

(١) الخدج (بالكسر) مركب من مراكب النساء كالمهودج . المجوذر (بضم فسكون ثم بفتح أو ضم) : الغزال الصغير (كناية النساء الحسان) . الأنسة : الفتاة التي يؤنس بها . نضاها ينضوها (يتقدّمها) . العيناء : الواسعة العينين . هنالك سرب من الحسان المتقدّمات في السن يسرن في الطليعة (كما يكون في أسراب الحيوان) .

(٢) بدر التّم (في الليلة الرابعة عشرة) . بدور (وجوه جميلة) . تتنّى = تتشّى (تتأبل) . غصون جمع غصن (كناية عن قوام الفتاة النحيلة) .

(٣) صارم : سيف . مهنّده : من صنع الهند . جفن السيف : قرابه ، بيته . ولكن أجفان هؤلاء الحسان متون (صفائح سيوف) !

٤٦١، قد لَقِيَ ابنُ جَاخٍ قبل أن يشتهر فيجب أن يكون ابنُ جَاخٍ قد عاشَ بعدَ ذلك مدَّةً طويلةً. فلعلَّ وفاته لم تَقَعْ قبلَ ٤٨٠ (١٠٨٧ م).

٢- كان ابنُ جَاخٍ البَطْلِيُّوسِيُّ شاعراً مُحَسَّناً. ولعلَّ جهله القِراءةَ والكِتابَةَ قد تركَ شِعْرَهُ بريئاً من التكلُّف. ومَعَ ذلك فإنَّ صُورَهُ الشَّعريةَ تُلَفِّي أحياناً بارعةً. ولكن لا يجوزُ أن نُخَدِّعَ كثيراً بالقولِ إِنَّه كان أُمِّيًّا، لأنَّ الأُمِّيَّةَ شيءٌ والثَّقافةُ شيءٌ آخر. ففي شِعْرِ ابنِ جَاخٍ ما يَدُلُّ على أَنَّهُ عَرَفَ غَرِيبَ اللُّغةِ وَوَصَفَ النَّاقةَ وَسَيَّرَهَا عندَ الجاهليِّينَ.

٣- مختارات من شعره

- قال ابنُ جَاخٍ البَطْلِيُّوسِيُّ في النسيبِ:

وَلَمَّا وَقَفْنَا غَدَاةَ النَّوَى	وقد أَسْقَطَ البَيْنُ ما في يدي ^(١) ،
رَأَيْتُ الْهُوَادِجَ فِيهَا الْبُدُورُ	عليها البراقعُ من عَسَجْد؛
وَتَحْتَ «الْبَرَاقِعِ» مَقْلُوبُهَا	تَدِبُّ على وَرْدٍ خَدُّ نَدِي ^(٢)
تُسَالِمُ مَنْ وَطِئَتْ خَدَّهُ	وتلدغُ قلبَ الشَّجِيِّ المُكْمَدِ ^(٣) .

- وقال يمدحُ المَعْتَصِدَ عَبَّادًا:

قَطَّعْتَ، يَا يَوْمَ النَّوَى، أَكْبَادِي	وَحَرَمْتَ عَن عَيْنِي لَذِيذَ رُقَادِي ^(٤) ؛
وَتَرَكْتَنِي أَرْعَى النُّجُومَ مُسَهِّدًا	وَالنَّارَ تُضْرَمُ فِي صَمِيرِ قُؤَادِي ^(٥) .
فكَأَنَّمَا آلَى الظَّلَامُ أَلِيَّةَ:	لا يَنْجُلِي إِلَّا إِلَى مِيعَادِ ^(٦) .

(١) البين: البعد، البعاد. أسقط ما في يدي (جعلني حائراً).

(٢) مقلوب براقع «عقارب» (كناية عن الشعر المتدلّي والمتعرج على الصدغ) هذا يدل على أنه كان يعرف الخط).

(٣) الشجي: الحزين. المكمد: الذي أكمده الحزن (أغمّه).

(٤) لو قال: «وحرمت عيني من لذيذ رقادي» لكان أصح في التركيب والمعنى (من غير اختلاف في الوزن).

(٥) مسهّد: طائر النوم.

(٦) آلى: أقسم. أليّة: يمين، قسم. اقرأ: إلى الميعاد (يوم القيامة).

وَلَرُبَّ خَرْقٍ قَدْ قَطَعْتُ نِيَاطَهُ
بِشِمْلَةٍ حَرْقٍ كَأَنَّ ذَمِيلَهَا
وَالنَّجْمُ يَخْدُوهَا، وَقَدْ نَادَيْتُهَا:
مَلِكُ إِذَا مَا أُضْرِمَتْ نَارُ الْوَعَى
فَقَتَرَى الْجُسُومَ بِلَا رُؤُوسٍ تَنْثَنِي،
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُؤَمَّلُ وَالَّذِي
إِنَّ الْقَصِيدَ لَكَاسِدٌ فِي أَرْضِنَا،
فَجَلَبْتُ مِنْ شِعْرِي إِلَيْكَ قَوَافِيَا
مِنْ شَاعِرٍ لَمْ يَضْطَلْعْ أَدْبَاً وَلَا

- وقال ابن جاح:

(إِذَا مَرَرْتُ بِرُكْبِ الْعَيْسِ حَيَّيْهَا)
يَا نَاقُ، عُوْجِي عَلَى الْأَطْلَالِ، عَلَّيْهَا
أَوْ كَيْفَ أَرْفُضُ طَيْبَ الْعَيْشِ بَعْدَهُمْ،
إِنِّي لَأَكْتُمُ أَشْوَاقِي وَأَسْتُرُهَا
يَا نَاقَتِي، فَعَسَى أَخْبَابُنَا فِيهَا (٥).
مِنْهُمْ غَرِيبٌ يَرَانِي كَيْفَ أَبْكِيهَا،
أَوْ كَيْفَ أَسْبِلُ دَمْعِي فِي مَغَانِيهَا (٦).
جُهْدِي، وَلَكِنْ دَمَعُ الْعَيْنِ يُبْدِيهَا.

٤ - ★★ جذوة المقتبس ٣٨١ (رقم ٩٦٣) (الدار المصرية ٤٠٥ (رقم ٩٦٤)؛ بغية الملتبس ٥٢٢ (رقم ١٥٦٢)؛ نفح الطيب ٣: ٤٥٢ - ٤٥٣، ٦٠٨، ٤: ٢٤٣ - ٢٤٤؛ بغية الوعاة ٥٢٢؛ نيكل ١٧٩ - ١٨٠، مختارات نيكل ١٢٣ - ١٢٤.

- (١) خرق: القفر، الفلاة الواسعة. النياط (المسافة البعيدة).
- (٢) شملة: (الناقة) السريعة. الحرف (الناقة) الضامرة (الخفيفة السريعة). الذميل: السير السريع. السرح (بضم فضاء) مفردة أو جمع: السريع.
- (٣) النجم يحدوها (يسوقها) تسير ليلاً! عوجي: ميلي (اقصدي). اقرأ: يا ناقتي...
- (٤) لو قال «تلقى» مكان «فترى» لكان أصح في الإعراب. تلقى: ملقى أرضاً، ما طرح ثم ترك لهوانه (لا قيمة له).
- (٥) في جذوة المقتبس (ص ٣٨١) أن ابن جاح قصد فخر الدولة أبا عمرو عبّاد بن محمد بن عبّاد (الملوح أنه المعتضد عبّاد صاحب إشبيلية). فلما دخل عليه، قال له (المعتضد) أجز: «إذا مررت بركب العيس حييها». فقال ابن جاح هذه الأبيات ارتجالاً.
- (٦) أسبل دمع: تركه يسيل. المغنى: المكان المسكون العامر.

ابن الحدّاد الوادي آشي^(١)

١ - هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان القيسي المعروف بابن الحدّاد الوادي آشي^(١) - وكان لقبه « مازن » - مولده ونشأته في وادي آش. وهناك عشق في صباه فتاة فلاحه رومية (مسيحية) اسمها جميلة ولكنه يُكني عنها في شعره باسم « نؤيرة » اتّصل ابن الحدّاد الوادي آشي ببلاط المعتصم بن ضُاحج (٤٤٤ - ٤٨٠ هـ) في المربة وقضى فيه معظم حياته. واتفق مرة أن عرض في شعره بالمعتصم بن ضُاحج بالبخل فخافه ثم فر منه إلى سرقسطة ومكث عند صاحبها المقتدر بن هود سنين قلائل (٤٦١ - ٤٦٤ هـ) ولكنه عاد بعدئذٍ إلى بلاط المعتصم.

وكانت وفاة ابن الحدّاد الوادي آشي سنة ٤٨٠ هـ (١٠٨٨ م) أو بعدها بقليل.

٢ - كان ابن الحدّاد الوادي آشي مُتَفَنّاً في علوم كثيرة ولا سيّما في علوم الأوائل (الفلسفة) وعلوم التعاليم (الرياضيات والفلك^(٢) خاصة) كما كان شاعراً فحلاً مُجيداً شديد القوص على المعاني مُفرّماً بالتشبيهات التي تبدو مُشرقة في الشعر (بارعة المظهر) من غير أن يكون بينها وبين المعاني المقصودة صلة وثيقة بالضرورة. وفنون شعره المديح (ومُعظم مديحه في المعتصم) والغزل والعتاب والفخر والزهد، وله هجاء مُقذع. وكذلك كان حافظاً للحديث ومؤرخاً وناقداً له كتاب في العروض مزج فيه بين الأنحاء الموسيقية وآراء الخليل بن أحمد^(٣) وردّ فيه على السرقسطي المنبوذ بالحمار^(٤) ونقد كلامه فيما يتعلّق بالأشطار.

(١) هو غير الأديب الكاتب المؤرخ والحافظ الفقيه أبي عبد الله محمد بن الحدّاد الشهير بالوادي آشي نزيل

تلمسان بعد سقوط غرناطة (٨٩٧ هـ = ١٤٩٢ م). انظر نفح الطيب ٦: ٢٢، ثم ٧: ٥٠٧، ١٠٣.

(٢) راجع نفح الطيب ٧: ٢٦. قيل عرف خسوف البدر قبل مواعده، وهي الحادثة المذكورة لابن باجة المتوفى ٥٣٣ هـ (راجع نفح الطيب ٧: ٢٥).

(٣) توفي عام ١٧٠ هـ. (راجع ٢: ١١١ - ١١٦).

(٤) هو أبو عثمان سعيد بن فتحون التجيبي كان بارعاً في علوم اللغة وفي علوم الفلسفة وله في علم العروض كتاب مطوّل وكتاب مختصر وله رسائل في الفلسفة. امتحنه المنصور بن أبي عامر محنة (اتّهمه باعتقاد آراء الفلاسفة!) وسجنه. ثم أطلق سراحه فانتقل إلى جزيرة صقلية، وبقي فيها إلى أن توفي (أوائل القرن الخامس). راجع الذيل والتكملة ٤: ٤٠ - ٤١؛ بغية الوعاة ٢٥٦، نفح الطيب ٣: ١٧٥،

٣ - مختارات من آثاره

- قال ابن الحدّاد في النسيب:

هُمْ فِي ضَمِيرِكَ، خَيَّمُوا أَمْ قَوَّضُوا، وَمَنْ جُفُونِكَ أَقْبَلُوا أَمْ أَغْرَضُوا^(١)،
وَهُمْ رِضَاكَ مِنَ الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ سَخِطُوا كَمَا زَعَمْتَ وَشَأْنُكَ - أَمْ رَضُوا^(٢)،
أَهْوَاهُمْ وَإِنْ اسْتَمَرَّ قِلَاهُمْ؛ وَمِنْ الْعَجَائِبِ أَنْ يُحِبَّ الْمُبْغِضُ^(٣)!
- وقال يتغزّل في نُؤَيْرَةَ:

وَارَتْ جُفُونِي مِنْ نُؤَيْرَةَ، كَاسِمِهَا، نَاراً تُضِلُّ؛ وَكُلُّ نَارٍ تُرْشِدُ^(٤)،
وَالْمَاءُ أَنْتِ، وَمَا يَصِحُّ لِقَابِضٍ؛ وَالنَّارُ أَنْتِ، وَفِي الْحَشَى تَتَوَقَّدُ^(٥)،
- وقال في مُسَامَحَةِ الْإِخْوَانِ وَتَشْيِيهِهِمْ بِالسِّرَاجِ:

سَامِحْ أَخَاكَ إِذَا أَتَاكَ بَزَلَةٌ؛ فَخُلُوصُ شَيْءٍ قَلَمًا يَتِمَكَّنُ.
فِي كُلِّ شَيْءٍ آفَةٌ مَوْجُودَةٌ؛ إِنَّ السِّرَاجَ عَلَى سَنَاءٍ يُدَخِّنُ!
- وقال يَصِفُ إعْطَاءَ الْمَمْدُوحِ الْبِدْرَ لِلطَّالِبِينَ (وَالْبِدْرَةُ خَمْسُمِائَةُ دِينَارٍ، وَتَكُونُ عَادَةً فِي صُرَّةٍ مُكَوَّرَةٍ):

يَدِينُ نَدَاهُ دِينَ كَفْبٍ وَحَاتِمٍ؛ فَحَتَمَ عَلَيْهِ، الدَّهْرَ، وَضَلَّ صِلَاتِهَا^(٦)،
يُجَاهِدُ فِي ذَاتِ النَّدَى بَيْتُ مَالِهِ؛ وَلَا جَيْشَ إِلَّا مَنْ أَكْفَأَ عُفَاتِهَا^(٧)،
إِذَا الْبِدْرُ انْثَالَتْ عَلَيْهِمْ حَسْبَتِهَا، بِأَيْدِي مَوَالِيهَا، رُؤُوسَ عِدَائِهَا^(٨)!

(١) خَيَّمُوا أَوْ قَوَّضُوا: أَقَامُوا أَوْ رَحَلُوا (حَضَرُوا أَوْ غَابُوا). وَمَنْ جُفُونِكَ: الَّذِينَ تَتَمَنَّى أَنْ تَرَاهُمْ.

(٢) الْوُشَاةُ: الَّذِينَ يَنْقُلُونَ الْأَخْبَارَ السَّيِّئَةَ أَوْ الْمُخْتَلِقَةَ لِلْإِفْسَادِ بَيْنَ الْمُتَحَابِّينَ.

(٣) الْقَلْبُ: الْبِغْضُ.

(٤) وَارَى: أَخْفَى. كَاسِمِهَا (يَقْصِدُ: نَاراً، حَرَارَةً، حَبّاً وَشَوْقاً وَتَلَهَّفاً إِلَى رُؤْيَا الْمَحْبُوبَةِ).

(٥) أَنْتِ تَشْبِهُ الْمَاءَ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَقْبِضَ عَلَيْهِ (وَلَا أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ) وَكَالنَّارِ وَلَكِنْ تَشْتَعِلُ فِي الْقُلُوبِ.

(٦) نَدَاهُ (جُودُهُ وَكَرَمُهُ) يَدِينُ (يَسْلُكُ، يَعْمَلُ، يَسِيرُ عَلَى) دِينَ (عَادَةً) كَعْبِ (بْنِ مَامَةَ الْأَيَّادِي) وَحَاتِمِ

(الطَّائِي) كَرِيمَانَ مَشْهُورَانَ. حَتَمَ عَلَيْهِ: يَرَى مِنَ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ. الدَّهْرُ (طُولُ الدَّهْرِ) وَصَلَّ (مُوَاصَلَةً،

اسْتِمْرَاراً) الصَّلَاتِ (نَكْسَرَ الصَّادَ) الْعَطَايَا.

(٧) النَّدَى: الْكَرَمُ. الْعَفَاةُ (جَمْعُ عَافٍ: طَالِبُ الْمَعْرُوفِ وَالْعَطَاءِ). كَانَ بَيْتُ مَالِهِ (أَمْوَالُهُ) فِي جِهَادٍ (حَرْبٍ)

فِي ذَاتِ النَّدَى (فِي سَبِيلِ النَّدَى = ضِدَّ الْبَخْلِ وَالْفَقْرِ) وَالْجُنُودُ هُمْ أَكْفَأُ (أَيْدِي) طَالِبِي الْعَطَاءِ.

(٨) انْثَالَتْ: انْهَمَرَتْ، انْصَبَّتْ. مَوَالِيهَا: أَصْحَابُهَا (أَصْحَابُ الْبَدْرِ، الَّذِينَ يَسْتَحِقُّونَ هَذِهِ الْبَدْرَ).

- وقال ابن الحداد الوادي أشي يتغزل ثم أحسن التخلّص إلى مديح محمد بن معن (المعتصم بن صمادح):

- عُجْ بِالْحِمَى حَيْثُ الْفَيَاضُ الْعَيْنِ
وَأَسْتَقِيلُنْ أَرْجَ النِّسَمِ فَدَارُهُمْ
أَفُقٌّ إِذَا مَا رُمْتَ لَحْظَ شَمُوسِهِ
أَنْتَى أُرَاعُ لَهُمْ وَبَيْنَ جَوَانِحِي
أَنْتَى يَهَابُ ضِرَابَهُمْ وَطِعَانَهُمْ
فَكَأَنَّمَا بِيضُ الصَّفَاحِ جَدَاوِلُ
ذَرْنِي أَسِرَّ بَيْنَ الْأَسِنَّةِ وَالظُّبَى
فَلَعَلَّهُ يُرَوِّي صَدَايَ بِلَحْظِهِ
يَا رَبَّةَ الْقُرْطِ الْمُعِيرِ خُفُوقَهُ
تَسْوِيرُ خَدِّكَ لِلصَّبَابَةِ مَوْرَدُ
فَإِذَا رَمَقْتَ فَوْحِي حَبَّكَ مُنْزِلُ
أَنْتِ الْهَوَى، لَكِنْ سُلُوانَ الْهَوَى

فَعَسَى تَعُنْ لَنَا مَهَاءَ الْعَيْنِ^(١)
نَدِيَّةَ الْأَرْجَلِ لَا دَارِينَ^(٢)
صَدَّتْكَ لِلنَّقْعِ الْمُثَارِ دُجُونُ^(٣)
شَوْقُ يُهَوِّنُ خُطْبَهُمْ فِيهِونُ^(٤)؟
صَبَّ بِالْحَاظِ الْعَيُونَ طَعِينَ^(٥)
وَكَأَنَّمَا سُمُرُ الرِّمَاحِ غُصُونُ^(٦)
فَالْقَلْبُ فِي تِلْكَ الْقِيَابِ رَهِينُ^(٧)
وَجْهٌ بِهِ مَاءُ الْجَمَالِ مَعِينُ^(٨)
قَلْبِي، أَمَا لِحِرَاكِه تَسْكِينُ؟
وَفَتُورَ طَرَفِكَ لِلنَّفُوسِ فُتُونُ
وَإِذَا نَطَقْتَ فَإِنَّهُ تَلْقِينُ^(٩)
قَصْدُ ابْنِ مَعْنٍ، وَالْحَدِيثُ شُجُونُ^(١٠)

- (١) عاج بالمكان: أقام. الغيضة: المكان يكثر فيه الشجر ويلتفّ. الحمى: المكان الذي لا يجسر أن يقترب منه عدو. العين (جمع عينة: الجميلة المنظر، الفاتحة على غيرها). المها: الطباء (النساء الجميلات). العين جمع عيناء (بفتح العين): المرأة الواسعة العينين.
- (٢) أرج: رائحته الطيبة المنتشرة. نديّة (نسبة إلى ندى: نوع من الطيب يستخدم بخوراً). دارين مكان في الشام فيه نباتات طيبة الرائحة.
- (٣) الأفق: البلد، الجانب من الأرض. النقع: غبار الحرب. دجن: الغيوم. بلد تكثر فيه الحروب (٢).
- (٤) أنتى: كيف (لماذا). راع: أخاف (نار الحب التي في قلبي أشد خطراً من الحروب بين الجيوش).
- (٥) هاب: خاف. الضراب (بالسيف) والطعان (بالرمح). صبّ: محبّ.
- (٦) بيض الصفاح (صفحات الحديد: السيوف). جداول: أنهار.
- (٧) ذرني: دعني. السنان: الحديدية في رأس الرمح. الطبعة (بضمّ ففتح): حد السيف. القبة: الخيمة الكبيرة من الجلد (تكون للقوّاذ وللأشراف) .. سأسهّل السير بين المتحاربين حتى أصل إلى خيمة المحبوب.
- (٨) الصدى: العطش. معين: ماء كثير جار (عذب).
- (٩) رمق: نظر. إذا نظرت إليّ أوحيت إليّ (قول الشعر). تلقين: تعليم بالقراءة.
- (١٠) سلوان: نسيان. قصد «زيارة» ابن معن (المعتصم بن صمادح). زيارته تنسيي المحبوب.

فالحسنُ أجمعُ ما يُريكِ عيَانَهُ، لا ما أَرَتْهُ سَوَالِفُ وُعيون^(١)،
والروض ما اشتملت عليه سُهولُهُ، لا ما أَرَتْهُ أَبَاطِيحُ وَحُزُون^(٢)،
قصرٌ تَبَيَّنَتِ القُصورُ قُصورَهَا عنه، وَفَضْلُ الأَفْضَلينَ يَبينُ^(٣)،
هو جَنَّةُ الدُّنْيَا تَبَوَّأَ ظِلَّهَا مَلِكٌ تَمَلَّكَهُ التُّقَى والدِّينُ^(٤)،
فَمَنْ ابنُ ذِي يَزَنٍ؟ وما غُمدَانُهُ؟ النِّقْلُ شَكٌّ وَالْعِيَانُ يَقينُ^(٥)!

- وقال في النسيب (التشابه والاستعارات والكنيات هنا كثيرة):

بِعَيْشِكُمَا، ذَاتَ اليمِينِ! فَإِنِّني أُرَاحُ لِشَمِّ الرُّوحِ مِنْ عَقْدَاتِهَا^(٦)،
فَقَدْ عَبَقْتُ رِيحُ النِّعَامِ كَأَنَّمَا سَلَامٌ سُلِّمَ رَاحَ مِنْ نَفَّاحَاتِهَا^(٧)،
وَتَيْمَهُ لِلْقَلْبِ الْمُتَيِّمِ مَنْزِلٌ؛ فُعُوجًا بِتَسْلِيمٍ عَلَى سَلَامَاتِهَا^(٨)،
مُشَاعِرُ تَهْيَامٍ وَكُفْبَةٍ فِتْنَةٍ، فُؤَادِي مِنْ حَجَّاجِهَا وَدُعَاتِهَا^(٩)،

- (١) عيانه: مشاهدته. السالف: الشعر المتدلي من جانب الرأس. سواف وعيون كناية عن النساء الجميلات.
- (٢) الأبطح: الأرض الواسعة المستوية. الحزن (بالفتح) الأرض الصلبة يعسر السير فيها. بلاد المعتصم بن صامح أجل (وأفضل) من بلاد غيره....
- (٣) قصورها (تقصيرها) عنه. يبين: يظهر (من تلقاء نفسه).
- (٤) تبوأ: سكن وأقام في المكان.
- (٥) سيف بن ذي يزن: ملك مشهور في اليمن. غمدان: قصر سيف بن ذي يزن. نحن نسمع عن سيف بن ذي يزن سماعاً، ولكننا نرى مجد المعتصم بن صامح بعيوننا.
- (٦) استحللنا بحياتكما أن تميلا بنا ذات اليمين. راح لذلك الأمر يراح: فرح (قا ١: ٢٢٥، السطران ٥-٦). الروح (بفتح الراء): نسيم الريح. عقداتها (بضم العين وفتح القاف) جمع عقدة (بضم العين وسكون القاف): كل أرض مخصصة.
- (٧) النعامي: (بضم النون): ريح الجنوب، أو ريح بين الجنوب والشرق. عبقت الريح: لزقت بها رائحة الطيب. النفحة: الهبة من الرائحة الطيبة.
- (٨) تيماء بلدة في نجد (المقصود: بلد المحبوبة). المتيم: الذي تيممه (استعبده وذللّه) الحب. وتيماء للقلب المتيم منزل: قلبي لا يترك حب المحبوبة ولا يترك تذكرها. عوجا: ميلا (بنا)، دعانا نذهب إلى (بيت المحبوبة). السلمات (بفتح ففتح): جمع سلمة (بفتح ففتح): نوع من الشجر؛ أو جمع سلمة (بفتح ففتح): حجر (المقصود: ديار الحبيبة).
- (٩) مشاعر جمع مشعر (المكان المقدس الذي يزار). التهيام (غير موجودة في القاموس، مع أنها وردت في شعر كثير عزة): شدة الحب للمرأة.

فكم صافحتني في مِناها يدُ المنى، وكم هبَّ عَزفُ اللّهُو في عَرَافِها^(١).
عَهدتُ بها أَصنامَ حُسْنِ عَهدَني هَوَى عَبدُ عَزَاها وعَبدُ مَناتها^(٢).
أهلٌ بأشواقِي إليها وأَتَقِي شَرائِعَها في الحُبِّ حَقَّ تُقَاتِها .

٤ - ★★ المطمح ٨٠ - ٨٣، الذخيرة ٢: ٦٩٢ - ٧٢٩؛ جذوة المقتبس ٣٧٣ (رقم ٩٣٩)؛ ٤٩
المحمدون من الشعراء ١٠٦ - ١٠٨؛ الخريدة (المغرب) ٢: ٢٧١ - ٢٨٩؛ الخريدة
(الأندلس) ١: ١٧٧ - ٢٠٩؛ فوات الوفيات ٢: ٢٠٩؛ الوافي بالوفيات ٢:
٨٦ - ٨٨؛ التكملة ١٣٣ (رقم ٤٦١)؛ الذيل والتكملة ٦: ١٠ وما بعد؛ أزهار
الرياض ٣: ٣١٤؛ المغرب ٢: ١٤٣ - ١٤٥؛ الاحاطة (١٣١٩) ٢:
٢٥٠ - ٢٥٢؛ نفع الطيب ٣: ٢٦٣، ٥٠٢ - ٥٠٥، ٤٨ - ٥١، ٥٦،
١٠١ - ١٠٢، ٢٦: ٢٧ - ٢٨؛ دائرة المعارف الاسلامية ٣: ٧٧٥ - ٧٧٦؛ نيكل
١٩٤ - ١٩٥، مختارات نيكل ١٣٥ - ١٣٨؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢٠٧ (٥):
(٣١٥).

ابن الدبّاغ

١ - هو أبو المطرّف عبد الرّجن بن فاخر من سرقسطة، كان كاتباً عند صاحبها
المقتدر بن هود (٤٣٨ - ٤٧٤ هـ)، ف وقعت بينهما وخشة فهرب ابن الدبّاغ ولحق
بالمعتمد بن عبّاد في إشبيلية (٤٦١ - ٤٨٤ هـ) فنال عنده حظوة وسفر^(٣) بينه وبين
المُتوكل بن الأفطس صاحب بطليّوس. وكان لابن الدبّاغ حُساد وأعداء، كما كان هو
أيضاً ضيق الخلق كثير التضجر من الناس. و وقعت بينه وبين ابن عمّار (قتله المعتمد
سنة ٤٧٧ هـ) عداوة فانتقل إلى المُتوكل بن الأفطس، في ٤٧٣ هـ أو بعد ذلك بقليل
(راجع الذخيرة ٣: ٢٥٢).

- (١) منى (بكسر الميم) مشعر أو منسك من مناسك الحجّ. العرف: الرائحة الطيبة. عرفات: جبل يجتمع
عليه الحجاج للتلبية (دعاء الله).
- (٢) عهدت: عرفت. عهدنتي: تعودن أن يرينني. هوى: محبّ. المرى ومناة (من بنات الله عند عرب
الجاهلية).
- (٣) سفر: عمل سفيراً (تردّد بين الدول في مهمّات رسمية).

وكان أبو عبد الله محمد بن أئمن^(١) وزيراً لدى المتوكل - أو مستولياً على أمور الوزارة فخاف من منافسة ابن الدبّاغ فنشأت بينهما عداوة شديدة ارتحل ابن الدبّاغ بعدها إلى بلده سرقسطة. وبعد قليل قُتل ابن الدبّاغ في بعض بساتين سرقسطة. وقد رثاه ابن عبدون (ت ٥٢٩ هـ).

إنّ هذه الأحداث المتلاحقة تدلّ على أن مقتل ابن الدبّاغ كان في حدود سنة ٤٨٠ هـ (١٠٨٧ م).

٢- كان ابن الدبّاغ أديباً ناثراً شاعراً وكاتباً. وكان النثر أغلب عليه. ومُعظم رسائله إخوانيات كثيرة السجع والصناعة، وتكاد تكون كلها في الشكوى من الدهر ومن السعيايات (الذخيرة ٣: ٢٦٩). ومن رسائله المتقدمة رسالة ذكر فيها سبب خروجه عن سرقسطة (٣: ٢٧٢). أمّا شعره فسهل عذب، ولكنّ معانيه عادية. والقليل المروي من شعره في الغزل والنسيب والمديح.

٣- مختارات من آثاره

- فصل من رسالة له في الشكوى (الذخيرة ٣: ٢٥٧):

كتابي، وعندي من الدهر ما يهدّ أيسره الرواسي^(٢) ويُفتّت الصخر القاسي. فأنا وإيّاها فرسا رهان^(٣): «يُجدّ نواباً وأُجيدُ صبراً»^(٤). ومن أجّلها^(٥) قلبُ محاسني مساوي^(٦)، وأوليائي أعادي، وقصدي بالبغضة من جهة المقة، واعتادي بالخيانة من حيث الثقة^(٧). فقس بهذا على ما سواه وعارضه بما عداه^(٨). ولا أطول عليك،

(١) هو أبو عبد الله محمد بن أئمن كان وزيراً للمتوكل صاحب بطليوس (٤٦٠ - ٤٧٣ هـ).

(٢) الرواسي: الجبال.

(٣) فرسا رهان: متساويان في المقدرة.

(٤) يجدّ (يأتي بأشياء جديدة) نواب (جمع نائبة: مصيبة) وأجيد صبراً (أصبر صبراً جميلاً، كثيراً). والجملة شطر من الشعر (مستشهد به هنا).

(٥) أجّلها: أعظمها، أكبرها.

(٦) قلب (عكس، تبديل) مساوي (مساوية، جمع سيئة).

(٧) المقة: الصداقة والحبّة. من حيث الثقة (في مكان الثقة).

(٨) عارضه: قارنه. بما عداه: بما تجاوزه (بغيره).

فقد غيّر عليّ جثّي شراي وأوحشني حتّى ثيائي^(١) .. فما أنا أنّهم عياني وأستريب من بنائي^(٢) وأجني الإساءة من غرس إحساني. وقاتل الله الحطيئة^(٣) في قبره فلشدّ ما غرّ بقوله:

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ؛ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ^(٤).
 مَنْ يَزْرَعِ الْخَيْرَ يَحْصُدْ مَا يُسَرُّ بِهِ. وَزَارِعُ الشَّرِّ مَنَكُوسٌ عَلَى الرَّاسِ^(٥).
 أنا، والله، اغتررتُ به^(٦) وفعلتُ خيراً فعِدَمْتُ جَوَازِيَهُ وَأَذْمَمْتُ عَوَائِدَهُ
 وَمَبَادِيَهُ^(٧). وزرعته فلم أحصدُ إلّا شرّاً ولا اجتنيتُ معه إلّا ضرّاً. وهكذا
 جدّي^(٨)، فما أصنع، وقد أبى القضاء إلّا أن أقضي عُمرِي في بُوسٍ ولا أنفكّ في
 نُحوس^(٩). ويا ليتَ باقيه قد انصرم وغائبَ الحمام قد قدِمَ^(١٠). فعسى أن تكونَ بعدَ
 المماتِ راحة من هذا النصبِ وسلوةٌ عن هذه الخطوب والكُرب^(١١). ودعّ بنا^(١٢) هذا
 التّشكّي «فالدهرُ ليس بمُعْتَبٍ من يجزَعُ»^(١٣)، ولا مُبْشَقٍ على مَنْ يتوجّع^(١٤). واطّرخ

- (١) كذا في الأصل (لعلّها: حتّى من ثيائي).
- (٢) العيان: البصر، (النظر بالعينين). استراب: شكّ. البنان جمع بنانة: طرف الأصابع (عقد الأصابع، الأصابع).
- (٣) الحطيئة جرول بن أوس العبسيّ (ت ٥٩ هـ = ٦٧٨ م). شاعر مخضرم (أدرك الجاهلية والإسلام) اشتهر بالعنف في الهجاء.
- (٤) الجوازي: جمع جازية: الجزاء (الثواب أو العقاب). العرف: المعروف، عمل الخير.
- (٥) يبدو أن هذا البيت ليس للحطيئة (الذخيرة ٣: ٢٥٨، الحاشية الثانية).
- (٦) به (ببيت الحطيئة).
- (٧) أذمت الشيء: وجدته ذمياً (قبيحاً). العوائد جمع عائدة: راجعة (الشيء يفعل مرة بعد مرة). مبادئه: أوائله (الشيء يفعل للمرّة الأولى).
- (٨) جدّي (بالفتح): حظّي.
- (٩) بوس = بُوس: شدّة، الفقر، لا أنفكّ: لا انقطع (أبقى دائماً).
- (١٠) ويا ليت باقيه (باقي العمر) قد انصرم (انقطع، انتهى) وغائب الحمام (بالكسر: الموت) قد قدِمَ (أتى، وصل).
- (١١) النصب: التعب. الكربة (بالضم): الحزن والغم.
- (١٢) فدع بنا هذا... (بنا لا حاجة إلينا).
- (١٣) «والدهر ليس بمعتب... شطر لأي ذؤيب الهذلي (بضم ففتح): شاعر مخضرم (ت ٢٨ هـ).
- (١٤) في الأصل «توجّع» (يجس أن تكون «يتوجّع» للسجع مع «يجزَع».

بنا^(١) هذا القول في الرياح واعْدِلْ بنا عن الجِدِّ إلى المِزَاح^(٢) .
- وقال ابن الدَّبَّاح، وقد رأى غُلَاماً وسيّاً يحمل بين يديه عُصْفوراً:

يا حاملَ الطائرِ الغرِيدِ يعشقه، تَهْنَأُ العَصافِيرُ إنْ فازَتْ بُلُقْيَاكَا.
تُسمي وتصبحُ مشغولاً بعُجْمَتِهَا في غَفْلَةٍ عن دمِ أَجْرَثِهِ عَيْنَاكَا^(٣).
إذا رَأَتْكَ تَغْنَّتْ كُلُّهَا طَرِباً حتَّى كَأَنَّ طُيُورَ الجَوِّ تَهْوَاكَا.
يا لَيْتَنِي الطَيْرُ في كَفْنِكَ مَطْعَمُهُ وشُرْبُهُ، حينَ يَظْهَرُ، من ثَنَائِكَا^(٤).

- وله من رُقْعَةٍ خاطب بها الوزيرَ الكاتبَ أبا مُحَمَّدٍ عبد الله بن عبد البر^(٥)
(الذخيرة ٣: ٣١٦):

لَمَّا أَصْبَحْتَ، أَعَزَّكَ اللهُ، في صِنَاعَةِ البَلَاغَةِ إِمَاماً ولَأَشْتَاتِ الفُضَائِلِ نِظَاماً^(٦)، لَمْ
تَتَّهَمْ - في وِدَادٍ نَدَّعِيهِ واعتِلَاقٍ تَبْتَغِيهِ^(٧) - مَنْ سَمَتْ بِهِ إِلَيْكَ هِمَمٌ أَوْ تَقَدَّمَتْ لَهُ قِيَمَا
قَدَمٌ^(٨)، لَأَنَّكَ المُبْتَغَى الَّذِي إِلَيْهِ يُجْرَى وَتُبْتَغَى لَدَيْهِ الزُّلْفَى وَيُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى
الْعَلِيَا^(٩). وَأَنَا مِمَّنْ يَتَشَبَّعُ فَيْكَ تَشَرُّعاً وَيُحْيِيكَ طَبْعاً لَا تَطْبَعُ^(١٠)، وَأَسْتَنْزِلُ في الجَمْعِ
بِكَ الْأَقْدَارَ وَأَسْتَخْدُمُ^(١١) في التعلُّقِ بِأَسْبَابِكَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتُلَحِّقَهُ بِالْعِتَاقِ

-
- (١) اطَّرَحَ: (ألقى، ارم). «بنا» لا حاجة إليها.
(٢) عدل: مال.
(٣) عجمتها: غناؤها الأعجم (الذي لا يفهم).... وأنت غافل عن أن عينيك قتلنا محبين كثيرين.
(٤) يظلاً = يظلاً (يعطش). الثنايا: الأسنان (المقصود: الريق، التقبيل).
(٥) راجع، فوق، ص ٦٢٦.
(٦) النظام: السلك الذي تجمع فيه حَبَّاتُ العقد.
(٧) اعتلاق: تعلُّق (صداقة). تبتغيه: تريده.
(٨) تقدَّمتْ له قدم (سبقتْ له مقدرة) له قدم: أمر ثابت.
(٩) الزلْفَى: الوسيلة، التقرُّب بواسطة إنسان أو شيء. العلياء = العلياء: كلُّ شيء مرتفع (هنا: الشرف).
(١٠) يتشبع: يتبع، يناصر. تشرعاً (كذا في المتن) ليست في القاموس. وفي قراءتين: تشبعاً (ص ٣١٦، الحاشية الرابعة). أصحُّ. لعلها أيضاً تسرعاً (اسراعاً). التطبُّع: التكلف، التظاهر بالشيء.
(١١) استنزل واستخدم (بالبناء للمضارع في الأصل). ولكن توالي الأزمنة يقتضي أن يكون هذان الفعلان بصيغة الماضي، وإلا فيجب أن تكون القراءة: يستنزل ويستخدم مطابقة للفعلين: يتشبع ويحبك قبلهما ثم للفعل «تلحقه» بعدها.

السوابق^(١) وتُلَقِّي عليه شعاعك فيُشرق^(٢) في المغرب والمشرق.... (ثم ختم ابن الدِّبَاغ رسالته بأبيات يمدح فيها ابن عبد البر هذا). من هذه الأبيات:

حَلَمَ لَوْ أَنَّ الدَّهْرَ حُمِّلَ بَعْضَهُ لَشَكَّتْ عَوَاتِقُهُ مِنَ الإِعْيَالِ^(٣)
وَإِذَا تَنَاوَلَتِ الرِّقَاعَ بَنَانُهُ أُنْسَتْكَ طَرَزُ الْوُشْيِ فِي صَنْعَلِهِ^(٤)
تَقْضِي بَأَنَّ سَنَا الْبَلَاغَةِ لَمْ يُلْخِ مِنْ قَبْلِهِنَّ لِأَعْيُنِ الْبَلْفَاءِ^(٥)
وَلَهُ إِذَا شَاءَ النِّظَامُ غَرَائِبُ لَا تَدَّعِيهَا فِطْنَةُ الشُّعْرَاءِ^(٦)
بَرَرْتُ مِنَ التَّعْقِيدِ فِي تَأْلِيفِهَا فَأَتَتْكَ أُمْلَسٌ مِنْ زُلَالِ الْمَاءِ
مَا كُنْتُ بِالْمَدَاحِ غَيْرَكَ وَاصِلًا، لَوْ كَانَتْ الشِّعْرَى عَلَيْهِ جَزَائِي^(٧)

٤-★★ قلائد العقيان ١٢٠-١٢٣؛ الذخيرة ٣: ٢٥١-٣١٧؛ المغرب ٢: ٤٤٠؛
الخريدة (الأندلس) ٤: ٣٤٩-٣٥٦؛ الخريدة (المغرب) ٣: ٣٨٧-٣٩٣.

ابن وهبون المرسِّي

١- هو أبو محمد عبدُ الجليل بنُ وهبونِ المرسِّي المعروفُ بالدُمغة (فوات الوفيات ٢: ٣١٣)، وُلِدَ في مُرْسِيَّةَ بَيْنَ سَنَةِ ٤٣٠ وَسَنَةِ ٤٤٠ هـ (١٠٣٨ - ١٠٤٨ م) فيما يبدو. كان شاعرَ الْمُعْتَمِدِ بنِ عَبَّادٍ وَندِيماً لَهُ وَقَدْ نَالَ مِنْهُ عَطَايَا كَثِيرَةً جَزِيلَةً. وَلَمَّا غَضِبَ الْمُعْتَمِدُ عَلَى وَزِيرِهِ ابْنِ عَمَّارٍ وَقَتْلَهُ بِيَدِهِ (٤٧٧ هـ) قَالَ ابْنُ وَهْبُونٍ بَيْتاً فِيهِ حُزْنٌ عَلَى ابْنِ عَمَّارٍ وَتَقِيَّةٌ مِنَ الْمُعْتَمِدِ (الحلة السرياء ٢: ١٦٠):

- (١) العتاق (الخيل الأصيلة الكريمة) السوابق (التي تسبق غيرها).
- (٢) فيشرق (في الأصل) بضمة على القاف (والصواب بفتحة).
- (٣) العاتق: المسافة بين الكتف والعنق. الإعياء: التعب.
- (٤) صنعاء: عاصمة اليمن. الوشي: النقش (بالألوان) والتزيين. الطرز: الشكل والنمط والجيد من كل شيء. الرقاع جمع رقعة (الرسالة). إذا تناولت الرقاع بنانه (أصابه): إذا كتب رسائل.
- (٥) لاح يلوح: ظهر. السنا: الضوء.
- (٦) النظام: النظم (الشعر).
- (٧) واصلًا (٩). الشعرى اسم لنجمين (الشعرى البانية ومطلهما جنوبي بفتح الجيم ولا نراها من نصف الكرة الشمالي بفتح الشين ثم الشعرى الشامية ومطلهما شمالي ولا ترى من نصف الكرة الجنوبي) يقصد: ولو كان ثوابي على مدح غيرك عظيمًا.

عَجَبًا لِمَنْ أَبْكِيهِ مِلَّةً مَدَامِي وَأَقُولُ: لَا ثَلَاثَ يَمِينٍ الْقَاتِلِ!
وعاش ابن وهبون مُنْقَطِعًا إِلَى بِلَاطِ الْمَعْتَمِدِ فِي إِشْبِيلِيَّةَ، وَلَمَّا دَعَاهُ الْمُعْتَصِمُ بْنُ
صُهَادِحٍ صَاحِبُ الْمَرْيَةِ (٤٤٤ - ٤٨٤ هـ) لَمْ يَذْهَبْ إِلَيْهِ. وَقَدْ كَانَ صَدِيقًا لِابْنِ حَمْدِيسٍ
(ت ٥٢٩ هـ) وَلِابْنِ خَفَاجَةَ (ت ٥٣٣ هـ) وَمُعْجَبًا بِالْأَعْلَمِ الشَّنْتَمَرِيِّ (ت ٤٧٦ هـ) وَقَدْ
رثاه. وَفِي سَنَةِ ٤٨٣ هـ (١٠٩٠ م) كَانَ ابْنُ وَهْبُونٍ رَاجِعًا مَعَ ابْنِ خَفَاجَةَ مِنَ الْمَغْرِبِ،
فَبِينَا كَانَا فِي الطَّرِيقِ، بَيْنَ لُورَقَةَ وَمُرْسِيَّةَ، طَلَعَتْ عَلَيْهِمْ طَالِعَةٌ مِنَ الْجُنُودِ النَّصَارَى
سَلَبُوا ابْنَ خَفَاجَةَ مَا مَعَهُ وَقَتَلُوا ابْنَ وَهْبُونِ.

٢ - ابْنُ وَهْبُونٍ مِنْ فَطَاحِلِ الشُّعْرَاءِ وَأَهْلِ الْأَدَبِ مَتِينُ السَّبْكِ يُجِيدُ الْقَصَائِدَ
وَالْمُقَطَّعَاتِ وَيَطْبَعُ أحيانًا شِعْرَهُ عَلَى غِرَارِ الْمَشَارِقَةِ. وَرَبَّمَا نَزَعَ إِلَى أُلُوانِ الْبَيْئَةِ
الْأَنْدَلُسِيَّةِ. وَفَنُونُ شِعْرِهِ الْمَدِيحُ وَالطَّرْدُ (وَصَفِ الصَّيْدِ) وَالرِّثَاءُ وَالشُّكْوَى وَالْوَصْفُ
وَالْغَزَلُ وَيَمِيلُ إِلَى الْغَزْلِ الْمَذْكُورِ وَالْمُجُونِ. وَلَهُ وَصْفٌ لِلْأُسْطُولِ وَتَغَنٍّ بِوَقْعَةِ الزَّلَاقَةِ
(٤٧٩ هـ).

٣ - مَخْتَارَاتُ مِنْ شِعْرِهِ

- أُنْشَدَ الْمَعْتَمِدُ بْنُ عَبَّادٍ يَوْمًا بَيْتًا لِلْمَتَنِيِّ وَاسْتَجَادَهُ فَجَعَلَ يَرُدُّهُ، فَقَالَ عَبْدُ
الْجَلِيلِ بْنُ وَهْبُونٍ:

لَسْنُ جَادَ شِعْرِ ابْنِ الْحُسَيْنِ فَإِنَّمَا تَجِيدُ الْعَطَايَا، وَاللَّهُمَّ تَفْتَحْ اللَّهُا.
تَبَّأَ عَجَبًا بِالْقَرِيضِ، وَلَوْ دَرَى بِأَنَّكَ تَرْوِي شِعْرَهُ لَتَأَلَّهَا!
- وَقَالَ يَصِفُ بَرَكَةً فِيهَا زَهْرٌ نَيْلُوفَرٍ:

وَبَرَكَةٌ تَنْزَهُو بَنَيْلُوفَرٍ نَسِيمُهُ يُشِبُّ رِيحَ الْحَبِيبِ.
حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ دَنَا وَقْتُهُ وَمَالَتِ الشَّمْسُ لَعَيْنِ الْمَغِيبِ،
أَطْبَقَ جَفْنَيْهِ عَلَى إِنْفِهِ وَغَاصَ فِي الْمَاءِ حَذَارَ الرَّقِيبِ!
- وَقَالَ فِي الْغَزْلِ:

زَعَمُوا الْغَزَالَ حَكَاةً، قُلْتُ لَهُمْ: نَعَمْ! فِي صَدِّهِ عَنْ عَاشِقِيهِ وَهَجَرِهِ.
قَالُوا: الْهَلَالُ شَبِيهُهُ! فَأَجَبْتُهُمْ: إِنْ كَانَ قَيْسَ إِلَى قَلَامَةِ ظُفْرِهِ.
وَكَذَا يَقُولُونَ: الْمُدَامُ كَرِيْقِهِ! يَا رَبِّ، لَا عَلِمُوا مَذَاقَةَ ثَغْرِهِ.

- وقال في ذهاب الوفاء من الناس:

غاضَ الوفاءُ فما تلقاه في رَجُلٍ ولا يَمُرُّ بمخلوقٍ على بالٍ.
قد صار عندهم عَنقَاءُ مُغْرَبَةٌ أو مِثْلَ ما حَدَّثُوا عن ألفِ مِثْقَالٍ.

- في نفح الطيب (٣: ٢٦٨): خَرَجَ ابْنُ وَهْبُونٍ لِنَظَرِ هِلَالِ شَوَالٍ، وَأَبُو بَكْرٍ
(عبد العزيز) بن القبطرنة الوزير يُسَايرُهُ وهو يومذاك غُلَامٌ يُخْجِلُ البدرَ.....
فارتَجَلَ عَبْدُ الْجَلِيلِ (بن وهبون):

يا هِلَالُ، اسْتَبْرَ بِوَجْهِكَ عَنِّي؛ إِنَّ مَوْلَاكَ قَابِضٌ بِشِئَالِي.
هَبْكَ تَحْكِي سَنَاءَ خَدًّا بِخَدٍّ، قُمْ فَجِنِّني لِقَدْوِ بِمِثَالٍ!

- في معركة الزلاقة (٤٧٩ هـ = ١٠٨٦ م) طَعِنَ فَرَسُ الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ فُكْبَا بِهِ
فَسَقَطَ عَنْهُ. فَقَدَّمَ لَهُ أَحَدُ جُنْدِهِ فَرَسًا فَرَكِبَهُ وَقَاتَلَ عَلَيْهِ قِتَالًا شَدِيدًا. فَقَالَ ابْنُ
وَهْبُونٍ يمدحُ المعتمدَ بقصيدةٍ منها:

ولم يَثْبُتْ مِنَ الْأَشْيَاعِ إِلَّا شَقِيقُكَ وَهُوَ صَارِمُكَ الْحُسَامُ^(١)؛
يَمَانٍ فِي يَدَيَّ مَاضٍ يَمَانٍ فلا نَابِي الْفِرَارِ وَلَا كَهَامُ^(٢).
ولم يَخْمِلْكَ طَرْفُكَ، بَلْ فَوَادَّ تَعَوَّدَ أَنْ يُخَاصَّ بِهِ الْحِمَامُ^(٣)!

٤- ★★ الذخيرة: ٢: ٤٧٣-٥١٩؛ قلائد العقيان ٢٧٨-٢٨٢؛ بغية الملتبس
٣٧٤-٣٧٥ (رقم ١١٠١)؛ الخريدة (المغرب) ٢: ٩٥-١٠٣؛ المغرب ١:
٣٩١-٣٩٣؛ أخبار وتراجم أندلسية ١٩؛ المطرب ١١٨-١٢٣؛ فوات الوفيات
١: ٣١٣-٣١٥؛ أعمال الأعلام ٢٤٦؛ نفح الطيب ٣: ٣١٨-٣١٩، ٦٠٦، ٤:
٥٩-٦٠؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٦٣؛ نيكل ١٦٥-١٦٧.

-
- (١) الأشياع: الأنصار، التابعون.. الصارم: السيف القاطع.
(٢) يمان (الأولى) صفة للسيف (من صنع اليمن). ماض: رجل ذو عزم وإقدام. يمان (الثانية) نسبة إلى
اليمن (المعتمد بن عباد أصله من اليمن - عرب الجنوب). الفرار: حدّ السيف. نابي الفرار (ينبو أي
يرجع عن الضربة ولا يؤثر فيها). الكهام: كَالٌ (لا يقطع).
(٣) الطرف (بالكسر): الحصان. الحمام: الموت.

المُعْتَصِمُ بْنُ صُهَادِحٍ

١- هُوَ أَبُو يَحْيَى الْمُعْتَصِمُ مُحَمَّدُ بْنُ مَعْنٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحَدَ بْنِ صُهَادِحِ التُّجِيبِيِّ،
كَانَ مَوْلَدُهُ سَنَةَ ٤٢٩ (١٠٣٧ - ١٠٣٨ م) فِي مَدِينَةِ وَشَقَّةَ. وَجَاءَ إِلَى حُكْمِ الْمَرْيَةِ فِي
رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٤٤٣ (الْبَيَانُ الْمَغْرِبُ ٣: ١٦٧).

كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحَدَ بْنِ صُهَادِحِ (جَدُّ الْمُعْتَصِمِ بْنِ صُهَادِحِ) صَاحِبَ مَدِينَةِ وَشَقَّةَ مِنْذُ
أَيَّامِ الْمُؤَيَّدِ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ (٣٦٦ - ٣٩٩ هـ). وَلَمَّا قُتِلَ زُهَيْرُ الصَّقَلِيُّ صَاحِبُ الْمَرْيَةِ
(٤٢٩ هـ) اسْتَوْلَى عَبْدُ الْعَزِيزِ الْعَامِرِيُّ عَلَى الْمَرْيَةِ لِأَنَّ زُهَيْرًا كَانَ مِنْ مَوَالِي
الْعَامِرِيِّينَ. وَلَكِنْ مُجَاهِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَامِرِيُّ صَاحِبَ دَانِيَةَ نَازَعَ عَبْدَ الْعَزِيزِ عَلَى
الْمَرْيَةِ. فَخَرَجَ عَبْدُ الْعَزِيزِ لِلِقَاءِ مُجَاهِدٍ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَرْيَةِ صِهْرَهُ وَوَزِيرَهُ مَعْنُ بْنُ
مُحَمَّدٍ (وَالِدَ الْمُعْتَصِمِ بْنِ صُهَادِحِ)، فَخَانَهُ فِيهَا وَطَرَدَهُ عَنْهَا ثُمَّ اسْتَبَدَّ بِحُكْمِهَا سَنَةَ ٤٣٣
هـ (١٠٤١ م).

فَلَمَّا تُوُفِّيَ مَعْنُ، فِي رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٤٤٣ (١٠٥٢ م) خَلَفَهُ ابْنُهُ مُحَمَّدٌ وَعُمُرُهُ
أَرْبَعُ عَشْرَةِ سَنَةً فَتَوَلَّى عَمَّهُ الْوَصَايَةَ عَلَيْهِ. وَتَسَمَّى مُحَمَّدُ بْنُ مَعْنٍ بِالْمُعْتَصِمِ ثُمَّ بَلَغَ
رُشْدَهُ وَاسْتَقْلَلَ بِمُلْكِهِ الصَّغِيرِ فِي الْمَرْيَةِ وَبِجَايَةِ الْأَنْدَلُسِ وَمَا حَوْلَهَا مُنْصَرِفًا إِلَى لَذَائِهِ
غَيْرَ نَاهِضٍ إِلَى جِهَادٍ وَلَا دِفَاعٍ عَنِ الْبِلَادِ. وَبَنَى قَصْرًا عَظِيمًا جَمِيلًا سَمَّاهُ الصَّادِحِيَّةَ
وَجَمَعَ فِيهِ نَفَرًا عَدِيدًا مِنَ الشُّعْرَاءِ كَابْنَ شَرَفِ الْبَرْجِيِّ الْقَيْرَوَانِيِّ (ت ٤٦٠ هـ) وَابْنَ
أَخْتِ غَانِمٍ - وَهُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَعْنَرِ الْمَالِكِيِّ - وَأَبِي حَفْصِ بْنِ الشَّهِيدِ (ت
بعد ٤٤٤ هـ) وَابْنَ الْحَدَّادِ الْوَادِيَّ أَشْيَ (ت ٤٨٠ هـ) وَالسُّمَيْسِرَ الْإِلْبِيرِيَّ وَنَفَرًا مِنْ
الْعُلَمَاءِ مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي دَوْسٍ الْبَيْهَقِيُّ النَّحْوِيُّ (ت ٤٩٦ هـ) وَأَبُو عُبَيْدٍ
الْبَكْرِيُّ الْجُغْرَافِيُّ (ت ٤٨٧ هـ). وَكَانَ فِي آلِ الْمُعْتَصِمِ شُعْرَاءُ مِنْهُمْ أَوْلَادُهُ عِزُّ الدَّوْلَةِ
وَرَفِيعُ الدَّوْلَةِ وَأُمُّ الْكِرَامِ.

وَكَانَتْ وَفَاةُ الْمُعْتَصِمِ بْنِ صُهَادِحِ فِي ٢٢ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ ٤٨٤
(١٠٩١/٥/١٤ م) فِي الْمَرْيَةِ. وَحِينَئِذٍ كَانَ فِي النَّزْعِ الْأَخِيرِ حَاصِرُ الْمُرَابِطُونَ الْمَرْيَةَ
وَاسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا. فَلَمَّا سَمِعَ الْمُعْتَصِمُ اخْتِلَاطَ الْأَصْوَاتِ فِي أَثْنَاءِ الْحِصَارِ قَالَ: «لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ، نَفَّصَ عَلَيْنَا كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْمَوْتُ!»

٢- كان المعتصم بن صَاحِدٍ أديباً مُحبّاً للعلم والأدب وأهلها، وكان شاعراً مُقلّلاً يقول بديهةً وعن رويةٍ، ويقول في المناسبات الوجدانية؛ ولكن لم يجعل الشعر وكده ولا شغله. وشعره سلسٌ رقيقٌ عذبٌ. وقد لفتَ المعتصمُ بن صَاحِدٍ الأنظارَ منذ زمنٍ بعيدٍ، فقد ألفَ مُحَمَّدُ بن أيوبَ الأنصاريُّ، في سنة ٥٦٨ هـ (١١٧٢ - ١١٧٣ م)، كتاباً في ترجمة المعتصم بن صَاحِدٍ للسلطان الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي (٥٦٤ - ٥٨٩ هـ) ذكر فيه طرفاً من أخباره وشيئاً من أشعاره وحكى صورة حصاره وقوله في مرضه: نُفِصَ علينا كُلُّ شيءٍ حتّى الموت! (وفيات الاعيان ٥: ٤٤).

وكان للمعتصم بن صَاحِدٍ بضعةٌ أولادٍ يقولون الشعر: عز الدولة (بُعِيد ٥٠٤ هـ) ورفيع الدولة (نحو ٥٤١ هـ) - وقد أُفردَ لكل واحدٍ منها ترجمةٌ - ثم: مُعز الدولة أبو جعفرٍ أحدُ، لعلّه يكره، إذ كان قد رشحهُ لولاية العهد. قيل تولّى الملكَ بعد أبيه (٤٨٤ هـ) أياماً ثم تركَ المَريّةَ هرباً من المُرابطين ولجأ إلى بجاية (في الجزائر اليوم)، وقيل إنّ أباه أمره بذلك لَمَّا استولى المُرابطون على إشبيلية وخلعوا المُعتمد بن عبادٍ. وكان أبو جعفرٍ أحدُ هذا شاعراً عادياً له (المغرب ٢: ٢٠٠ - ٢٠١):

أتى بالبدرِ من فوقِ القُضيبِ فطارت نحوه طيرُ القلوبِ^(١)
وأشرقَ ما بأفقي من ظلامٍ لنورٍ منه في أفقِ الجيوبِ^(٢)
وولّى بعدَ تأنيسٍ وبرٍّ كمثلِ الشّمسِ ولتَ للمغيّبِ.
وأمّ الكرامِ وقدِ اغتنى أبوها بتأديبها لَمَّا رأى من ذكائها فقالت الشعرَ ونظمتْ قصائدَ وموشحاتٍ. غيرَ أن موشحاتها لم تصل إلينا. وكانت أمّ الكرامِ قد عَشقتَ فقي من دانية مشهوراً بالجمال يُعرفُ بالسَمّارِ وتَشوّقتَ إليه في شعرها. فلَمَّا علِمَ أبوها بذلك خفي أمرُ السمار هذا من ذلك الحين (أي قتل غيلةً وخفية). ومِمّا قالته أمّ الكرامِ في التشوّقِ إلى السَمّارِ (المغرب ٢: ٢٠٢ - ٢٠٣):

(١) البدر كناية عن الوجه الجميل. القُضيب كناية عن القوام المعتدل.

(٢) الجيب: مكان الثوب عند العنق (الوجه).

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي، هَلْ سَبِيلٌ لَخَلْوَةٍ يُنَزُّ عَنْهَا سَفْعُ كُلِّ مُرَاقِبٍ.
وَيَا عَجَبًا، أَشْتَاقُ خَلْوَةً مِنْ غَدَا وَمَتَوَاهُ مَا بَيْنَ الْحَشَا وَالتَّرَائِبِ^(١).
- وَمَا قَالَتْهُ أُمُّ الْكَرَامِ بَعْدَ مَقْتَلِ السَّمَارِ:

يَا مَعْشَرَ النَّاسِ، أَلَا فَاغْجَبُوا مِمَّا جَنَنَتْهُ لَوَعَةُ الْحُبِّ.
لَوْلَاهُ لَمْ يَنْزِلْ بِيَذِرِ الدُّجَى مِنْ أَفْقِهِ الْعُلُويِّ لِلتُّرْبِ^(٢).
حَسْبِيَ بَيْنَ أَهْوَاهُ، لَوْ أَنَّهُ فَارَقَنِي تَابَعَهُ قَلْبِي^(٣)!
وَكَانَ رَشِيدُ الدَّوْلَةِ - أَبُو يَحْيَى مُحَمَّدُ بْنُ عَزِّ الدَّوْلَةِ - حَفِيدُ الْمُعْتَصِمِ بْنِ صُبَّاحٍ
يَنْظِمُ الشَّعْرَ أَيْضًا. وَكَانَ شَعْرُهُ عَادِيًّا. مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ (الْحَلَّةُ السَّيْرَاءُ ٢: ١٩١):

صَبْرًا عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ، إِنَّ لَهُ يَوْمًا كَمَا فَتَكَ الْإِصْبَاحُ بِالظَّلَمِ.
إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ مُقْتَدِرٌ، فَتَقِ بِهِ تَلَقَّ رُوحَ اللَّهِ مِنْ أَمْرِ^(٤).
وَقَلْبًا صَبَرَ الْإِنْسَانُ مُحْتَسِبًا إِلَّا وَأَصْبَحَ فِي فَضْفَاضَةِ النِّعَمِ^(٥).

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ أَشْعَارِهِ

- وَرَدَ الشَّاعِرُ النَّحْلِيُّ عَلَى الْمَرِيَةِ فِي أَسْنَانٍ سُودٍ بِأَلِيَّةٍ فَكَتَبَ إِلَى الْمُعْتَصِمِ يَقُولُ
مُسْتَمِيعًا وَيَذْكُرُ أَنَّ الْحُجَابَ مَنَعُوهُ مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ:

أَيَا مَنْ لَا يُضَافُ إِلَيْهِ ثَانٍ وَمَنْ وَرِثَ الْعُلَى بِأَبَا فَبَابَا^(٦)،
أَيَجْمَلُ أَنْ تَكُونَ سَوَادَ عَيْنِي وَأَبْصِرَ دُونَ مَا أُبْغِي حِجَابًا،
وَيَمْنِي النَّاسُ كُلُّهُمْ حَمَامًا وَأَمْشِي بَيْنَهُمْ وَخَدِي غُرَابًا؟^(٧)

- (١) التَّرَائِبُ (جَمْعُ تَرِيَّةٍ): عِظَامُ الصَّدْرِ الْعُلْيَا. مَا بَيْنَ الْحَشَا وَالتَّرَائِبِ (فِي قَلْبِي).
- (٢) لَوْلَاهُ - لَوْلَا الْحُبِّ. بَدْرُ الدُّجَى (كُنَايَةٌ عَنِ الْحُبُوبِ). لِلتُّرْبِ (لِلْقَبْرِ).
- (٣) يَكْفِينِي أَنَّهُ إِذَا فَارَقَنِي مَحْبُوبِي (بِالْمَوْتِ) فَإِنَّ قَلْبِي يَتَّبِعُهُ (مَاتَ بِمَوْتِهِ، يَرِافِقُهُ وَلَا يَنْسَاهُ!).
- (٤) تَلَقَّ رُوحَ اللَّهِ (مُؤَيَّدًا لَكَ مِنَ اللَّهِ) مِنْ أُمِّ (مَنْ قَرَّبَ): سَرِيعًا.
- (٥) الْمُحْتَسِبُ هُوَ الَّذِي يَرْجُو الثَّوَابَ عَلَى عَمَلِهِ مِنَ اللَّهِ وَحْدَهُ.
- (٦) لَا يُضَافُ إِلَيْهِ ثَانٍ: لَيْسَ فِي الْبَشَرِ مَنْ يَدَانِيهِ فِي مَجْدِهِ وَكَرَمِهِ الْخ.
- (٧) يَكُونُ النَّاسُ فَرَحِينَ فِي مِثْلِ ثِيَابِ الْعِيدِ (لَأَنَّ الْحَمَامَ مَخْتَلِفَةُ الْأَلْوَانِ زَاهِيَةِ الرِّيشِ)، وَأَكُونُ أَنَا وَحْدِي غُرَابًا (أَلْبَسَ ثِيَابًا سُودًا حَزِينَةً، لِأَنَّ الْغُرَابَانَ كُلَّهُمَا سُودَ).

فأرسل إليه المعتصم مالا وثياباً وكتب إليه يقول:

وَرَدْتُ وَلَيْلَ الْبَهِيمِ مَطَارْفٌ عَلَيْكَ، وَعِنْدِي لِلصَّبَاحِ بُرُودٌ^(١)
وَأَنْتَ لَدَيْنَا، مَا بَقِيَتْ، مُقَرَّبٌ وَعَيْشُكَ سَلْسَالُ الْجِجَارِ بُرُودٌ^(٢)
- وَبَلَغَ إِلَى الْمُعْتَصِمِ عَنِ الشَّاعِرِ ابْنِ عَمَّارٍ (قَتْلَهُ الْمُعْتَمِدُ بْنُ عَبَّادٍ، سَنَةَ ٤٧٧ هـ)
أَنَّهُ يَغْتَابُهُ فَقَالَ:

(وَزَهَّدَنِي فِي النَّاسِ مَعْرِفَتِي بِهِمْ) وطولُ اختباري صاحباً بعد صاحب^(٣)
فَلَمْ تُرِنِي الْأَيَّامُ خِلاً تُسَرِّنِي مَبَادِيهِ إِلَّا سَاءَنِي فِي الْعَوَاقِبِ^(٤)؛
وَلَا قُلْتُ أَرْجُوهُ لِدَفْعِ مُلَمَّةٍ من الدهرِ إِلَّا كَانَ إِحْدَى الْمَصَائِبِ!^(٥)
- وَقَالَ عِنْدَ مَوْتِهِ:

تَمَتَّعْتُ بِالنِّعَاءِ حَتَّى مَلَلْتُهَا، وَقَدْ أَضْجَرَتْ عَيْنِي مِمَّا سَيَّمْتُهَا!
فِيَا عَجَباً، لَمَّا قَضَيْتُ قَضَاءَهَا وَمُلِّيتُهَا عُفْرِي تَصَرَّمْتُ وَقْتُهَا^(٦).

٤- ** قلائد العقيان ٥٣ - ٥٧؛ الذخيرة ٢: ٧٢٩ - ٧٣٦؛ المغرب ٢: ١٩٥ - ١٩٨؛
الوافي بالوفيات ٥: ٤٥ - ٤٧؛ الخريدة (المغرب) ٢: ٨٣ - ٨٩؛ المطرب
٣٤ - ٣٨؛ الحلة السراء ٢: ٧٨ - ٨٨؛ وفيات الأعيان ٥: ٣٩ - ٤٥؛ البيان
المغرب ٣: ١٦٧، ١٧٣ - ١٧٥، ١٩٢؛ أعمال الأعلام ١٩٠ - ١٩٢؛ نفح
الطيب ١: ٦٦٦ - ٦٦٧، ٣: ٢٦٣ - ٢٦٤، ٣٢٨ - ٣٢٩، ٤١٢ - ٤١٣،
٥٠٣ - ٥٠٥؛ شذرات الذهب ٣: ٣٧٢ - ٣٧٣؛ دائرة المعارف الإسلامية؛
نيكل ١٨٣ - ١٨٤، مختارات نيكل ١٢٥ وما بعده؛ الأعلام للزركلي ٧: ٣٢٧
(١٠٦).

★ ترجمة «محمد بن عبادة القرّاز» (ت نحو ٤٨٨ هـ) ستأتي (لخطأ غير مقصود) على
الصفحة ٧٤٤.

- (١) المطرف: رداء من خزّ (حرير) ذو أعلام مربّعة. البرد (بضمّ الباء): ثوب رقيق من حرير.
- (٢) السلسال: العذب (الحلو) البارد. الجمار: أطراف (حوض الماء). برود (بفتح الباء): بارد سيكون لك عيش ناعم رغيد.
- (٣) الشطر الأول للمعري، وقامه: وعلمي بأن العالمين هباء.
- (٤) مباديه = مبادئه: في أول أمره. العاقبة: آخر الأمر.
- (٥) الملّة: المصيبة.
- (٦) المعنى غامض

عبد العزيز بن أرقم

١ - هو أبو الأصْبَغ عبدُ العزيز بنُ مُحَمَّد بنِ أرقم النُمَيْرِيُّ الوادي آشيُّ كان كاتباً لدى ملوك الطوائف: كَتَبَ عن مُجاهِدِ العامريِّ صاحبِ دانيةَ (٤٠٨ - ٤٣٢ هـ) إلى المُعِزِّ بنِ باديسَ ملكِ المَغْرِبِ (٤٠٦ - ٤٥٣ هـ) وعن عبدِ الملكِ بنِ رَزينِ (٤٣٦ - ٤٩٦ هـ) صاحبِ السهْلَةِ واتَّصل بالمُعْتَمِدِ بنِ عِبَادِ ملكِ إِشْبِيلِيَّةَ (٤٦١ - ٤٨٤ هـ) وكان وزيراً للمُعْتَصِمِ بنِ صُهَادِحِ صاحبِ المَرْيَةِ (٤٤٤ - ٤٨٤ هـ) - وقيل هو ذو الوَزارَتَيْنِ (الذخيرة ١ : ٧٤٠)، كما كَتَبَ عن مُجاهِدِ العامريِّ إلى صاحبِ مِصْرَ (المستنصر أبي تَيمٍ مَعَدٍّ)، سنة ٤٥٢ هـ (١٠٦٠ م).

وكانت وفاة ابن أرقم هذا في أيام المعتمد بن عباد. ولعل ذلك كان نحو سنة ٤٧٥ هـ (١٠٨٢ م).

٢ - كان أبو الأصْبَغ بنُ أرقم «أحدَ كُتَّابِ الجزيرة المَهْرَةِ والنَّقْدَةِ الشَّعْرَةِ» بارِعاً في النثر عارفاً باللغة مُحِيطاً بفنونِ من العلم. وكان له اتِّجَاهٌ دينيٌّ في الكِتَابَةِ وفي السُّلُوكِ، كثيرَ الاستشهاد بالقرآن والحديث وبالأمثال والأشعار، حسن الرويَّةِ والارتجال كِتَابَةً وخطاباً، جَدًّا وهزلاً. وكان فوق ذلك كريم الأخلاق كثير الوفاء. كان ابنُ صمادِحِ صاحبُ المَرْيَةِ قد أرسلَ أبا الأصْبَغ بنَ أرقم في أمرٍ إلى المعتمد بن عبادٍ. فأعْجَبَ المعتمدُ بابنِ أرقم وأرادَ إفساده على المعتمد للاحتفاظ به زينةً لبَلاطه هو. فقال له ابنُ أرقم: «ما رأيتُ من صاحبي ما أكرهُ فأؤثِّرُ عندَ غيره ما أُحِبُّ. ولو رأيتُ (عنده) ما أكرهُ لَمَا كان من الوفاء تركي له في حينِ فَوْضَ إليَّ أمره ووُثِّقَ بي وحَمَلَنِي أعباءُ دولته».

فاستَحْسَنَ ابنُ عبادٍ ذلك منه وقال له (إِذْنَ) فَاكْتُمْ عَلَيَّ.

فلَمَّا عاد ابنُ أرقم إلى صاحبه (المعتمد بن صمادِحِ) سأله عن جميع ما جرى له. فقال ابنُ أرقم له:

«... وجرى لي معه (مع المعتمد) ما إنْ أَعْلَمْتُكَ به أنْ تَحْسَبَ فيه كَلامَتانِ

والاستظهار، وتَظُنُّ أَنَّ خَاطِرِي قَدْ فَسَدَ بِهِ. وَإِنْ كَتَمْتُكَ لَمْ أُؤَفِّ النَصِيحَةَ حَقَّهَا. وَخِفْتُ أَنْ تَطَّلَعَ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِي فَيَحْطِيَنَّ ذَلِكَ مِنْ عَيْنِكَ وَتَحْسَبَ فِيهِ كَيْدًا». ثُمَّ إِنَّ ابْنَ أَرْقَمَ أَخْبَرَ الْمُعْتَصِمَ بِمَا كَانَ قَدْ اتَّفَقَ لَهُ مِنَ الْحَدِيثِ فِي بَلَاطِ الْمُعْتَمَدِ.

٣ - مختارات من آثاره

- كتب أبو الأصبغ عبد العزيز بن أرقم عن إقبال الدولة علي بن مجاهد صاحب دانية (٤٣٦ - ٤٦٨ هـ) إلى المستنصر الفاطمي في مِصْرَ رسالة جاء فيها:

... إِذَا كَانَتْ نِعْمُ اللَّهِ عِنْدَ الْحَضْرَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ^(١) مُشْرِقَةَ الْمَطَالِعِ وَرَحِيبةَ الْأَرْجَاءِ وَالْمَرَاتِعِ، وَكَانَ أَنْصَارُهَا وَعَبِيدُهَا وَكُتَاتِبُهَا الْمَنْصُورَةُ وَجُنُودُهَا الْمَرْهُوبَةُ - فِي اجْتِمَاعِ كَلِمَتِهِمْ عَلَى طَاعَتِهَا وَاتِّفَاقِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ فِي مُنَاصَحَتِهَا وَتَضَافِيرِ^(٢) مِنْ جَمِيعِهِمْ عَلَى خِدْمَتِهَا - فَقَدْ عَلَتْ يَدُ الْإِسْلَامِ وَاحْتَمَى عِزُّهُ أَنْ يُضَامَ وَجَانِبُهُ أَنْ يُرَامَ. وَشَمِلَتْ نِعْمَاهَا الْأَقْطَارَ وَأَمَدَّتْ أَقَاصِي الدِّيَارِ وَأَبْرَتْ عَلَى نَائِي الْمَزَارِ^(٣). فَهِيَ جَمَاعُ الدِّينِ وَرِدْنُ الْمُؤْمِنِينَ وَمَحْفَلُ الْمُسْلِمِينَ^(٤)... وَمِمَّا وَجَبَ التَّعْرِيفُ بِهِ مَا عَمَّ أَقْطَارَ ثَغَرِنَا وَغَشِيَ جَمَاعَ أَفْقِنَا^(٥) مِنْ تَهْلُؤِ النَّصَارَى وَتَضَافِيرِهِمْ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ إِلَيْنَا جَمْعُ^(٦) لَا عَهْدَ لَنَا بِمِثْلِهِ مَلَأَ الْفَضَاءَ وَطَبَّقَ الْأَرْجَاءَ، وَشَغَلْنَا بِالْفِتْنَةِ^(٧) بَيْنَنَا عَنْ تَخْفِيفِ وَطَائِتِهِمْ وَتَضْعِيفِ سَوَرَتِهِمْ^(٨)؛ فَطَمَسُوا الْآثَارَ وَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ، مَوْفُورِينَ^(٩) لَا

- (١) الحضرة الإسلامية (يقصد: القاهرة التي هي عاصمة إسلامية قوية).
- (٢) التضافير: الاجتماع للتعاون على أمر ما.
- (٣) أبر: أحسن إلى الناس (وتفضل عليهم). نأي: بعد (بضم الباء).
- (٤) جماع (بضم الجيم وتشديد الميم، أو بكسر الجيم وتسهيل الميم): أصل الشيء ومجتمعه (مركزه، تماسكه)، الردء: المعين، الناصر. المحفل: مكان اجتماع العدد الكبير من الناس.
- (٥) الثغر: (هنا) المكان الذي يهدده العدو. غشي: غطى، عم. أفقنا (الناحية التي نسكنها).
- (٦) الأوب: الجهة. يجمع (بعدد كبير).
- (٧) واشتغلنا بالفتنة (بحرب بعضنا بعضاً).
- (٨) الوطء: الدعس بالرجل. السورة: الشدة.
- (٩) طمس: محو. الآثار: البناء القائم. جاس (تردد) خلال (بين) الديار: أفسد فيها وخربها. موفورين: لم يمسهم أذى.

مانعَ منهم ولا دافعَ لهم إلا التَّفَاتَةُ اللهُ تعالى لأهلِ دينه بأنْ أَقَلَّ فائدتَهُمْ وَخَيَّبَ مَرَامَهُمْ وَأَطَاشَ سِهَامَهُمْ^(١). والحمدُ لله على مَنَحَتِهِ وَمِخْنَتِهِ.

- وله من رُقْعَةٍ طَوِيلَةٍ خَاطَبَ بِهَا الفقيهَ أبا بكرٍ صاحبَ الأَحْبَاسِ^(٢) وشرح فيها عدداً من الكَلِمَاتِ وَرَدَّتْ في رسالته إلى صاحبِ مِصْرَ، وكان ابنُ سَيِّدِهِ^(٣)، قد انتقدها. وحمل ابنُ أَرْقَمَ في هذه الرسالة على ابنِ سَيِّدِهِ، وعلى الذين زَيَّنُوا لابن سَيِّدِهِ أَنْ يَنْتَقِدَهُ. ويبدو أَنَّ أبا بكرٍ صاحبَ الأَحْبَاسِ كان شيخَ (أستاذ) ابنِ أَرْقَمَ. والرسالةُ مَصُوغَةٌ في قَالِبٍ من التَّهَكُّمِ. وسأترك هذه الرسالة بلا شَرْحٍ، إلا في النادر، لأنَّ شرحها يقتضي مِسَاحَةً واسعةً لِمَا فيها من الأعلامِ وأسماءِ الكُتُبِ والتَّوَرِيَّاتِ والإشاراتِ التاريخية:

لَمَّا كُنْتُ - أَعَزَّ اللهُ - في أَكْفُ الآدَابِ عِلْماً وعلى لِسَانِ العربِ وَغَيْرِهِ قَيِّماً^(٤)، لَأَقْتَبِسَكَ الْعِلْمُ من كُتُبِ وَوَرَاثَتِكَ إِيَّاهُ عن كِلَالَةٍ أَبٍ^(٥). ولم تَزَلْ تتلقَّاهُ كَابِراً عن كَابِرٍ وَبَاهِراً عن بَاهِرٍ: لستَ ابنُ سَمْعِكَ ولا عَبْدَ طَبْعِكَ^(٦)، تُقَلِّدُ كَاتِباً سَاجِجاً وتَعْتَقِدُ قَارِئاً هَازِجاً^(٧) وتَقْبَلُ البَصَرَ بلا بَصِيرَةٍ وتَقْفُو الأَثَرَ على غَيْرِ وَتِيرَةٍ^(٨). تُرَاعِي الحُرُوفَ ولا تُبَالِي التَّحْرِيفَ. وتَتْلُو الصُّحُفَ ولا عَلَيْكَ بالتَّصْحِيفِ^(٩). ولم تَقْتَصِرْ على حِفْظِ سَطُورٍ من كِتَابِ سَيِّبَوْنِي، و «شرح الفصيح» لابنِ دَرَسْتَوْنِي، واستظهار

(١) أطاش سهمهم: جعل سهمهم ينحرف فلا يصيب هدفه. (لم ينالوا ما كانوا قد أملوا).

(٢) الأحباس: الأوقاف. صاحب الأحباس: الموظف المشرف على إدارة الأوقاف. أبو بكر صاحب الأحباس (٩).

(٣) ابن سَيِّدِهِ (أنظر، فوق، ز، ص ٥٦٠).

(٤) قَيِّماً: وكَيْلاً، حَافِظاً (مقتدراً في اللغات).

(٥) الكِلَالَةُ: أن يموت زجل ليس له زوجة ولا أولاد فيرثه أقاربه (المقصود: ورثت أدب رجل ليس له وريث غيرك).

(٦) لست ابن سمعك... (لم تسمع العلم عرضاً فقط ولا أنت تعرف الأشياء بالطبع وحده بلا تعلم - بل تلقيت العلم منظمًا على شيوخ أو أساتذة).

(٧) الساذج: البسيط (غير المثقف). تعتقد قارئاً هازجاً (مطرباً، متغنياً).... (٩)

(٨) تقفو (تتبع) الأثر (الطريق الذي خطه غيرك) على غير وتيرة (طريقة منظمة).

(٩) التحريف: الخروج على المعنى. التصحيف: تبديل حرف بحرف عند القراءة.

أوراقٍ من الغريب، والتَّحَفُّظُ مَعَ الشُّرُوقِ ما تنساه في المَغِيبِ. ولم تَشُدْ إلى المَخْرَقَةِ
بَفَرْفُورِيوس^(١)، ولا الْغَطْرَسَةَ بِأَرْسُطَاطَالِيَسَ، والْفَرْقَعَةَ بِقَافَاتِ أَرْثَاطَاطِيَقَا
وَأَنَالُوطِيَقَا^(٢)، والصَّفِيرِ بِسِينَاتِ قَاطِيْفُورِيَاسَ وَبَارِي أَرْمِينِيَاسَ^(٣). و (لا) ضِيَعَتِ
علومَ الْقُرْآنِ والتَّفَنُّنِ في حَدِيثِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَصَحَابَتِهِ، وَتَفَهُمَ أَغْرَاضِهِ وَلُغَاتِهِ،
وَاجْتِنَاءَ زَهْرِهِ وَثَمَرَاتِهِ. و (لا) أَغْفَلَتِ «الكامل» و «البيان» وتوَارِيخَ الْأَزْمَانِ
وَنَوَادِرَ الْبُلْغَاءِ أَهْلَ اللَّسَنِ وَالْبَيَانِ^(٤) و (لا) أَهْمَلَتِ أَشْعَارَ الْعَرَبِ وَالْمُحَدِّثِينَ^(٥)، إِلَّا
طَلَبَكَ أَثَرًا بَعْدَ عَيْنٍ، وَقَدْ أُرْبِيتَ عَلَى السِّتَيْنِ^(٦). ولم تَتَمَعَّدْ أَعْجَمِيًّا، ولم تَتَبَعَّدْ
بَذْوِيًّا^(٧)، ولم تَكُنْ مَرَّةً شَيْبِيًّا وَمَرَّةً قَطْرِيًّا^(٨)، وَتَارَةً طَبِيعِيًّا، وَتَارَةً فَلَكِيًّا. ولم
تَتَرَبَّبَ حِضْرًا، ولم تَتَشَحَّمْ وَرَمًا^(٩)..... وَأَنْتَ الَّذِي أَدْرَى لِي غَائِمُ الْأَدَبِ وَأُطْلَعُ لِي
مِنْ كَمَاثِمِهِ كُلِّ مُعْجَبٍ^(١٠)، وَمَا كَادَ الشَّبَابُ يُحِلُّ تَمَائِي، وَلَا الزَّمَانُ يُطْلَعُنِي عَلَى
كَمَاثِمِي^(١١)... فَانْدُبَ الْعِلْمَ وَأَهْلِيهِ، وَأَرْثِيهِ وَحَامِلِيهِ، وَابْكِ رُسُومَهُ وَحَيِّ طُلُوكَهُ وَسَلِّمْ

- (١) كتاب سيبويه في النحو، كتاب الفصيح في اللغة. الغريب: الكلام القليل الدوران في حديث الناس. تشد إلى (؟). شدا من العلم يشدو (حصل منه شيئاً قليلاً). المخرقة: الكذب والتمويه على الناس البسطاء. فرفوريوس الصوري له كتاب ايساغوجي (المقدمة إلى المنطق).
- (٢) أرسطوطاليس كبير فلاسفة اليونان. أَرثَاطَاطِيَقَا (علم الحساب) وَأَنَالُوطِيَقَا (القياس) من أقسام المنطق.
- (٣) قَاطِيْفُورِيَاسَ (المقولات: الألفاظ المفردة) وَبَارِي أَرْمِينِيَاسَ (العبارة، تركيب الكلمات المفردة) من أقسام المنطق (وهي من تأليف أرسطوطاليس).
- (٤) اللسن (بسكون السين): اللغة عامّة. و (بفتح اللام والسين): الفصاحة والبلاغة. البيان: المقدرة في جعل الكلام صحيحاً وواضحاً.
- (٥) أشعار العرب (البدو، الجاهليّين) والمحدثين (العباسيّين، أهل الحضرة).
- (٦) أُرْبِي عَلَى (زاد عمره على).
- (٧) لم تنتسب إلى العرب بينما أنت فارسي. ولم تتبغدد (تنتسب إلى بغداد، إلى الحضرة...).
- (٨) شبيب بن يزيد الشيباني من الخوارج الصفريّة (قتل ٧٦ هـ) وقطريّ بن الفجاءة (ت ٧٩ هـ) من الخوارج أيضاً. لم تبدل مبدأك مرة بعد مرة.
- (٩) لم تبرز في الحياة قبل أوانك ولا كان مظهرك الخارجي خلاف حقيقة أمرك.
- (١٠) أَدْرَى (سكب)، - منك تعلمت الأدب (الشعر والنثر). الكامة (بكسر الكاف): الكأس من النبات (الأوراق الخضر التي تكون فيها الزهرة قبل أن تتفتح).
- (١١) التميّة: حرز تعلقه الأمهات في أعناق أطفالهن (حلت عنه التأم: أدرك مدرك الرجال). الكاثم (هنا): المستور من المقدرة الشخصية في العلم والأدب وغيرها.

عليه تسليم وداعٍ وأشفقٍ لعلقه^(١) المضاع. واعلم أن صدعه كصدع الزجاجة أعيان الصنّاع^(٢). فيا له مغنى هجرٍ على برزٍ موقعه وبقل^(٣) زهدٍ فيه على شرف موضعه... ولم يبقَ إلّا من قدّمتْ نُعوتُه وحُلّاه، ووصفتْ حدّوه، وحُدّياه^(٤)، وأغناي. ما صدّرت^(٥) به عن إعادة ذكره... فأفتوا بغير علمٍ فضلوا وأضلّوا. ومن الأمرِ المُعجِبِ والخطبِ المُغرب^(٦) أنَّهُم يدّعون - على جهلهم وما بيّنتُ من وصفهم - التروّسَ في الأدب من غيرِ رياسة، والمنافسةَ لأهليه من غيرِ نفاسة، ومناقضةَ ذوي العلم باللسان بالهذيان^(٧) حين أنسوا^(٨) عَدَمَ المُنتقِدِ وفقدانَ المُفتَقِدِ.

... وتفسيرُ ما أجملته وتفصيلُ ما أبهمته أوردته عليك محلولَ العقدة منضوَّ البردة^(٩). وذلك أن إقبال الدولة - أيدهُ الله - أمرني بإنشاء رسالتين إلى مصر. فلَمّا علّتْ شُرُفَاتُهَا وروّضتْ عَرَصَاتُهَا^(١٠)، ورَدَ عليهم مِنْهَا المقيمُ المُقعد^(١١). وكاد يُهلكُهم الحسدُ... وطاروا طَيْرَانِ الفَرَّاشِ حولَ النارِ وجالوا جَوْلَانِ الذُّبابِ بين الأزهار، مرّةً يستفتونَ الفقهاء، ومرّةً يستشهدونَ السُّفهاء. ومرّةً يقولون: هذا يُسأل

- (١) أندب العلم (الآن): ابك عليه (لأنّه ضاع في هذا الزمان). الطلل (مكان الخيمة بعد أن ترفع من مكانها - لم يبق من العلم إلّا آثار يسيرة). العلق: الشيء النفيس.
- (٢) الصدع: الشق. أعيان: أعجز. الصنّاع: البارع في صناعته (والزجاج إذا تكسّر لا يعود إلّا إذا سبك من جديد).
- (٣) المغنى: المنزل المسكون. البقل: النبات الصالح لطعام البشر.
- (٤) الحدو: جعل الشيء على قياس معلوم. الحدّيا (ما كان قريباً منك) - وصفته هو وما يتصل به.
- (٥) صدّرت به (أوردته في صدر رسالتي).
- (٦) المعجب (الذي يتعجب منه الناس) والخطب (المصيبة) المغرب (المستغرب عند الناس).
- (٧) الهذيان: الكلام المضطرب الخارج على المعقول (من أثر مرض أو نحوه).
- (٨) أنسوا: أبصروا، علموا.
- (٩) منضو: مخلوع البردة (غير لابس ثيابه)، بصراحة.
- (١٠) الشرفة: شبه نافذة بارزة يطلّ الناس منها على ما هو خارج بيوتهم. روّض: كثر النبات (في المكان).
- (١١) العرصة (بالفتح): الباحة الواسعة أمام الدار، أو بالمراء (في الخلاه) - يقصد: لما ظهرت براعته في رسائله.
- (١٢) المقيم المقعد: (الهمّ الذي يجعل صاحبه مضطرباً لا يستقرّ من الغضب أو الفزع...)

عنه إن كان يقال، وربّما كان له في مِضْمار اللّغة مجال^(١). (ثمّ) يتسوّرون ويتسوّرون^(٢)، حديثُ النّساء بعد البُعول وهَرِيفُ الإماء دون الكفيل^(٣)... فاتّفق رأيهم واستمرّ هذّهم إلى سؤال أبي الحسن ابن سيده. فلم يُفكّر أبو الحسن في العواقب ولم ينظرُ نظرَ أهل التجارب. فسَلّم لهم واغترّ بِمِثْلِ وَشْيِ الحَيّاتِ^(٤)، وانقاد في زِمَامِ الزّخارف والترّهات^(٥).... فردّ مواضع أنا واصفها وجوابها على سرّ^(٦)، وذاكرها وما يجلو ارتيابها على حرّ^(٧)....

- لابن أرقم مقاطع من الشعر:

نشرت عليك من النعيم جناحا	خضراء صيرت الصباح وشاحا ^(٧) .
تحكي بحفقي قلب من عاديتَه	مها تُصافحُ صفحها الأرواحا ^(٨) .
ضمنت لك النعمى برأى ظافر	فترقب القال المشير صباحاً.
فنى الخيل يقتادها ذبلاً	خيفاً تُباري القنا الذابلاً ^(٩) .
ترى كلّ أجرد سامي التليد	ل تحسبه غصناً مثلاً ^(١٠) .

- (١) ينتقدون كلّ لفظ (في رسائله) فإذا وجدوا فيها شيئاً صحيحاً لا مجال (موضع) للنقد فيه، قالوا (تقليلاً لشأنه): «ربما كان جائزاً في اللغة».
- (٢) تسوّ (الجدار) تسلّقه. تسوّ: هجم على. (هنا): انتقدوا رسائلي بالباطل. تسوّ: غير موجودة في القاموس. اشتوروا: تشاوروا (تعاونوا على نقض رسائلي).
- (٣) حديث (بالرفع - وتجوز بالنصب) النساء بعد البُعول (بعد فراق أزواجهنّ بالموت أو بالطلاق، ويكنّ عادة كثيرات الكلام فيما لا ينفع). هرف الرجل: قال كلاماً غير مفهوم وغير معقول أو قال عن جهل. الأمة (بفتح ففتح): الجارية دون الكفيل (ليس معها من هو مسؤول عنها فتتحدّث في كل شيء).
- (٤) وشي الحيات (ربما كان جلد الحيّة جميل الرقش، ولكنّ الحيّة تكون مؤذية).
- (٥) الزخرف: الكلام المنمّق بلا صحت. الترهة: الباطل.
- (٦) على سر: متابع (كان الجواب بسرعة). الحرد: البعد عن الناس (هنا: البعد عن الحق).
- (٧) خضراء (راية خضراء)....
- (٨) قلوب أعدائك تحفّق (ترجف خوفاً منك) مثل خفّقها (تحركها هي. الأرواح جمع ريح. صفح جمع صفحة. مها (كلّما) مسّت الريح أحد صفحها (وجهها).
- (٩) ذابل: نحيل. القناة: الرمح. بارى: نafs. - تقود خيلاً نحيلة كأنّها رماح (النحيل النحيلة تستطيع الجري بسرعة).
- (١٠) الأجرد: الحصان الخفيف الشعر (وذلك من صفاته الحسنّة). التليل: العنق.

- وله مطلع موشحة:

★ مَبْسُومُ الْبَهْرَمَانِ

فِي الْحَيَاةِ الدُّرِّيِّ

صَادَ قَلْبِي وَبَانَ^(١)

وَأَنَا لَمْ أَذُرْ.

٤ - ★★ الذخيرة ١: ٧٤٠، ٢: ٤٦، ٣: ١٥٠، ٣٦٠ - ٤٠٩، ٥٠٥، ٥٠٦؛ التكملة ٦٢٢ (رقم ١٧٣٥)، نفع الطيب ٣: ٣٩٨ - ٣٩٩؛ نيكل ١٨٧، مختارات نيكل ١٢٨ - ١٢٩؛ الأعلام للزركلي ٤: ١٥١ (٢٥).

الراضي العبّادي

١ - هُوَ الرَّاضِي أَبُو خَالِدٍ يَزِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ، لَعَلَّ مَوْلَدَهُ كَانَ نَحْوَ ٤٤٠ هـ (١٠٤٨ م). كَانَ الْمُعْتَمِدُ بْنُ عَبَّادٍ قَدْ اسْتَنَابَ مَرَّةً عَلَى مُرْسِيَّةٍ وَزِيرِهِ ابْنِ عَمَّارٍ فَطَمَعَ ابْنُ عَمَّارٍ بِمُرْسِيَّةٍ وَأَسْتَبَدَّ بِهَا وَخَلَعَ طَاعَةَ ابْنِ عَبَّادٍ. فَاحْتَالَ ابْنُ عَبَّادٍ فِي الْقَبْضِ عَلَى ابْنِ عَمَّارٍ ثُمَّ أَرْسَلَ ابْنَهُ الرَّاضِيَّ لِتَسْلِمِ ابْنِ عَمَّارٍ مِنْ يَدِ آسِرِيهِ، وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ ٤٧٧ هـ.

وَتَوَلَّى الرَّاضِي عَلَى الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ (مَدِينَةٍ فِي أَقْصَى الْجَنُوبِ مِنَ الْأَنْدَلُسِ). فَلَمَّا أَرَادَ يُوسُفُ بْنُ تَاشْفِينَ الْجَوَازَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ اسْتَعْدَاداً لِمَعْرَكَةِ الزَّلَاقَةِ (٤٧٩ هـ) اشْتَرَطَ أَنْ تَكُونَ الْجَزِيرَةُ الْخَضْرَاءُ لَهُ مَكَاناً لِتَجْمِيعِ جُيُوشِهِ. فَنَزَلَ الْمُعْتَمِدُ عَنِ الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ وَأَمَرَ ابْنَهُ الرَّاضِيَّ أَنْ يَنْتَقِلَ وَالْيَا عَلَى رُنْدَةٍ (عَلَى مَسَافَةٍ سِيرَةٍ شَمَالَ الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ). وَبَعْدَ أَنْ اسْتَوْلَى الْمُرَابِطُونَ عَلَى إِشْبِيلِيَّةٍ وَخَلَعُوا الْمُعْتَمِدَ حَاصِرُوا رُنْدَةَ. وَرَأَى الرَّاضِي أَنْ يَنْزِلَ لِلْمُرَابِطِينَ عَنْ رُنْدَةٍ طَوْعاً، حِفَاطاً عَلَى حَيَاتِهِ وَحَيَاةِ أَبِيهِ، فَأَخَذَ مِنَ الْمُرَابِطِينَ مَوْثِقاً بَأَنْ يُبْقُوا عَلَيْهِ. وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا وَقَتَلُوهُ فِي رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٤٨٤ (خَرِيف ١٠٩١ م).

(١) مَسْمُومٌ: ثَغْرٌ (فم). الْبَهْرَمُ (وَالنَّسَبُ إِلَيْهِ بِهَرْمَانٍ): نَبْتُ ذَوْ زَهْرٍ أَحْمَرٍ يَصْبُغُ بِهِ (يَشْبَهُ بِذَلِكَ الثَّقَتَيْنِ). الْحَيَاةُ: الْوَجْهَ. الدُّرِّيُّ (نَسَبٌ إِلَى الدَّرِّ: اللَّوْلُو): الْأَبْيَضُ. بَانَ: ابْتَدَعَ (هَجَرَنِي).

٢- كان الراضي بن المعتمد العبادي من أهل العلم والأدب كلفاً بالمطالعة والدراسة قرأ كتب أبي بكر الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) وكتب ابن حزم الظاهري (ت ٤٥٦ هـ) فمهر في أصول الفقه ولكن ذهب إلى النظر والاختيار^(١). ثم إنه كان عالماً بالشرعيات واقفاً على الطبيعيات ذاكرة للعرب وأنسابها حافظاً للغة وآدابها. و«كان شاعر بني عبّاد بعد أبيه، غير أنه أقوى عارضة^(٢) من أبيه، وأبوه ألطف طبعاً وأرق صنفاً». وشعره حلّو سلس واضح المعاني يجري على السجية لا تكاد تلمح فيه أثراً للصنعة. وفنونه النسيب والعتاب والحكمة.

٣- مختارات من شعره

- قال الراضي بن المعتمد بن عبّاد في النسيب:

مرّوا بنا أصلاً من غير ميعاد فأوقدوا نارَ شوقي أيّ إيقاد^(٣).
وأذكروني أياماً لهوتُ بهم فيها ففازوا بإيثاري وإحمادي^(٤).
لا غرو أن زاد في وجدي مرورهم، فروية الماء تُذكي غلة الصادي^(٥).
- وقال يعاتبُ أباه المعتمد، «وكان أبوه قد أنهض جماعة من إخوته دونه»
(أنعم عليهم أو عهد إليهم بأمر جليل):

أعيذك أن يكون بنا خمول ويطلع غيرنا، ولنا أفول^(٦).
حنانك! إن يكن جرمي قبيحاً، فإنّ الصفح عن جرمي جميل.
وإن عثرت بنا قدم سفاهاً، فإنني من عثاري مُستقيل^(٧).
وأحسن ما سمعت به - عزيز يُناديه فيرحمه - ذليل.

-
- (١) النظر: تحكيم العقل. الاختيار (أن الإنسان حرّ في أفعاله غير مجبر عليها).
(٢) قويّ العارضة (المعجم الوسيط ٦٠٠): ذو قدرة على الكلام وذو بديهة (ارتجال) ورأى جيد.
(٣) أصل جمع أصيل: الوقت في أواخر النهار.
(٤) فازوا بإيثاري (بتفضيلي إياهم على غيرهم) واحمادي (مدحي، شكري).
(٥) لاغرو: لا عجب. الوجد: شدة الحب. يذكي: يزيد (الأمر شدة). الغلة: العطش. الصادي: العطشان.
(٦) أفول: غروب (عزل، زوال الحكم، زوال الملك).
(٧) عثر: زلّ (أخطأ). استقال فلان فلاناً - (طلب أن يقيله): يساعده على النهوض (يعفو عنه).

وها أنا ذا أناديكم، فهل لي
وأنتَ الملِّكُ تعفو عن كثير،
بعثتُ برُفعتي هذي رسولاً
لترحمه وأفراحاً إذا ما
بقيتَ لهم على عتبٍ وعُتبي،
إلى قُربٍ من الرُحى سبيل^(١)؟
فما لك ظِلَّتْ يُغْضِيكَ القليل؟
صغير السنِّ ليس له حَوِيل^(٢)
عَتَبْتَ عليَّ عادَ لهم عَوِيل^(٣).
فإنَّ حياتك الظِّلُّ الظليل^(٤)!

- وقال يَصِفُ نَكَدَ أَيَّامِهِ وَيَصِفُ أَحْوالَ الدُّنْيَا:

هِيَ الدَّارُ غَادِرَةٌ بِالرِّجَالِ
وَكُلُّ سُرُورٍ بِهَا نَافِدٌ،
وَمَوْعِدُهَا أَبَدًا كَاذِبٌ،
فَمَنْ رَامَ مِنْهَا وَفَاءً يَدُومُ
خَلَقْنَا نِيامًا، وَظَلَّتْ خَيَالًا.
نُعَذِّبُ مِنْهَا بِغَيْرِ اللِّذِيذِ
وَنَزْدَادُ مَعَ ذَاكَ عِشْقًا لَهَا.
وَقَاطِعَةٌ لِحِبَالِ الْوِصَالِ
وَكُلُّ مُقِيمٍ بِهَا لَارْتِحَالِ.
فَإِنْ أَنْجَزْتُهُ فَبَعْدَ الْمِطَالِ^(٥).
وَمُكْنَأَ لَهَا، رَامَ عَيْنَ الْمُحَالِ.
وَأَوْشَكَ شَيْءٌ فِرَاقُ الْخِيَالِ^(٦).
وَنَشْرَقُ مِنْهَا بِغَيْرِ الزُّلَالِ^(٧).
أَلَا إِنَّمَا سَعَيْنَا فِي ضَلَالِ.

- وخاطبه المعتمدُ بقصيدةٍ يهزأُ به فيها ويطعنُ عليه لأنَّه كان كثيرَ الإنصافِ
إلى العلمِ قليلَ الاهتمامِ بأمورِ الدولة وشؤونِ الحرب. ومطلعُ قصيدةِ المعتمدِ:
الْمُلْكُ فِي طَيِّ الدَّفَاتِرِ، فَتَخَلَّ عَنْ قَوْدِ الْعَسَاكِرِ^(٨).

(١) الرحى: الرحة.

(٢) الحويل (القاموس ٣: ٣٦٣، السطر الثاني من أسفل): القصد. لعله يقصد: ليس له حويل بالتصغير (قوة).

(٣) أفراح (كناية عن الأطفال).

(٤) العتب: العتاب، اللوم. العتبي: الرضا.

(٥) المطال: المطل (بالضم): قلة الوفاء بالوعد.

(٦) أوشك: أقرب.

(٧) شرق (بفتح فكسر): غص. الزلال: الماء العذب الصافي السائغ. نشرق منها (من الدنيا) بغير الزلال (بالمصائب).

(٨) ألدقتر: كتاب العلم.

طُفَ بالسريِرِ مُسَلِّمًا وَأَرْجِعْ لتوديعِ المنايِرِ^(١).
 واضْرِبْ بِسِكِّينِ الدِّوَا مَكَانَ مَاضِيِ الحَدِّ بِاتِرِ^(٢)؛
 أَوَلَسْتَ رَسْطَالِيْسَ إِنِّ ذَكَرَ الفلاسِفَةُ الأكابِرَ؟
 وَأَبُو حَنِيفَةَ سَاقِطٌ فِي الرَّأْيِ حِينَ تَكُونُ حَاضِرُ

فَكَتَبَ إِلَيْهِ الرَّاضِي بِقَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ يَتَنَصَّلُ فِيهَا مِنْ كَثِيرٍ مِمَّا رَمَاهُ بِهِ أَبُوهُ وَيَعِدُّ
 بِأَنْ يَرْجِعَ إِلَى مَا يُرْضِي أَبَاهُ. مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ:

مَوْلَايَ، قَدْ أَصْبَحْتُ كَافِرُ بِجَمِيعِ مَا تَحْوِي الدِّفَاتِرُ؛
 وَقَلَّلْتُ سِكِّينَ الدِّوَا وَظِلْتُ لِلْأَقْلَامِ كَاسِرُ.
 وَعَلِمْتُ أَنَّ الْمُلْكَ مَا بَيْنَ الْأَسِنَّةِ وَالْبَوَاتِرِ^(٣).
 وَالْمَجْدُ وَالْعَلِيَاءُ فِي ضَرْبِ الْعِسَاكِرِ بِالْعَسَاكِرِ،
 لَا ضَرْبَ أَقْوَالٍ بِأَقْدِ هَوَالٍ ضَعِيفَاتٍ مَنَاقِرِ^(٤).
 قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ، مِنْ سَفَا هِ، أَنَّهَا أَصْلُ الْمَفَاخِرِ؛
 فَإِذَا بِهَا فِرْعٌ لَهَا وَالْجَهْلُ لِلْإِنْسَانِ عَاذِرُ.
 لَا يُذَرِّكَ الشَّرَفَ الْفَتَى إِلَّا بَعْسَالٍ وَبَاتِرِ^(٥).
 وَهَجَرْتُ مَنْ سَمِيتَهُمُ، وَجَحَدْتُ أَنَّهُمْ أَكَابِرُ.
 لَوْ كُنْتُ تَهْوَى مِيتَتِي لَوَجَدْتَنِي لِلْعَيْشِ هَاجِرُ.
 ضَحِكُ الْمَوَالِي بِالْعَبِي دِ، إِذَا تُؤْمَلُ، غَيْرُ ضَائِرِ^(٦).
 إِنْ كَانَ لِي فَضْلٌ فَمِنْ لَكَ، وَهَلْ لَذَاكَ النُّورِ سَاتِرُ؟

-
- (١) السريِر: العرش.
 (٢) مكان: بدلا من. باتِر: (سيف) قاطع.
 (٣) السنان: الرمح. البواتر جمع باتر (سيف).
 (٤) ضرب أقوال بأقوال: نقاش وجدال. مناكر (جمع منكر؟): ما تحكم العقول بقبحه. ومناكر (مناكير؟):
 جمع منكور: مجهول.
 (٥) البعسال: الرمح.
 (٦) المولى: السيد. ضائر: مضر..

أَوْ كَانَ بِي نَقْصٌ فَمِنْ ذَكَرْتَ عَبْدَكَ سَاعَةً
يَا لَيْتَهَا قَدْ غَيَّبَتْ
أَتَرِيدُ مِنِّي أَنْ أَكُو
هَيْهَاتَ! هَذَا مَطْمَعٌ
لَا تَنْسَ، يَا مَوْلَايَ، قَوْ
ضَبَطَ الْجَزِيرَةَ عِنْدَمَا
أَيَّامٌ ظَلَّتْ بِهَا فَرِيدٌ
إِذْ كَانَ يُغْشِي نَاطِرِي
وَيُصِمُّ أَسْمَاعِي بِهَا
وَهِيَ الْخَضِيزُ سُهولةٌ
هَبْنِي أَسْأْتُ - كَمَا أَسْأُ
هَبْ زَلَّتِي لِبُنُوتِي

خي. غيرَ أَنَّ الفضلَ غامر^(١).
يَبْقَى لَهَا مَا عَاشَ ذَاكِرُ.
هُ عِنْدَهَا إِخْدَى الْمُقَابِرُ.
نَ كَمَنْ غَدَا فِي الدَّهْرِ نَادِرُ^(٢)؟
يُغْيِي الْأَوَائِلَ وَالْأَوَاخِرُ.
لَهُ ضَارِعٌ، لَا قَوْلَ فَاخِرٍ،
نَزَلَتْ بِعَقُوتِهَا الْعَاكِرُ^(٣)،
دَا لَيْسَ غَيْرَ اللَّهِ نَاصِرُ؛
لَمَعُ الْأَسِنَّةِ وَالْبَوَاتِرُ^(٤)،
قَرَعُ الْحِجَارَةِ بِالْخَوَافِرُ^(٥).
لَكِنْ ثَبَّتُ بِهَا مُخَاطِرُ.
تُ - أَمَا لِهَذَا الْعَثْبِ آخِرُ؟
وَإِغْفِرْ، فَإِنَّ اللَّهَ غَافِرُ.

٤ - ★★ الحلة السراء ٢: ٧٠ - ٧٥؛ المطرب ٣٨ نفح الطيب ١: ٦٢٧، ٦٦١ - ٦٦٢؛ ٤٤٦٦٢ - ٢٤٩ - ٢٥٦.

السميسر الإلبيري

١ - هو أبو القاسم خَلْفُ بْنُ فَرَجٍ الْمَعْرُوفُ بَلَقِيهِ «السُّمَيْسِرُ»، أصله من إلبيرة (قرب غرناطة) وسكن غرناطة مُدَّةً مُتَّصِلًا بِصَاحِبِهَا بَادِيسَ بْنِ حَبَّوسٍ (٤٣٠ - ٤٦٦ هـ). ثُمَّ وَقَعَتْ وَحْشَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَادِيسَ لَبَيْتَيْنِ قَالَهُمَا فِي هَجَاءِ الْبَرَبَرِ،

(١) غير أَنَّ الفضل (فضلك) غامر (يغمري: عفوك أكبر من ذنبي).

(٢) نادر: ساقط، شاذ.

(٣) العقوة: المكان المتسع أمام الدار. العساكر (إشارة إلى الجنود الأسبان).

(٤) أعشى النور البصر: جملة ضعيفاً لا يرى. الأسنة والبواتر: الرماح والسيوف.

(٥) بالخوافر: بجوافر الخيل (في الحرب).

فَهَرَبَ إِلَى الْمَرِيَّةِ لاجئاً إِلَى صَاحِبِهَا الْمُعْتَصِمِ بْنِ صُادِحٍ . وَيَبْدُو أَنَّ مَجِيئَهُ إِلَى الْمَرِيَّةِ كَانَ بَاكِراً (قَبْلَ ٤٦٦ هـ ، بَلَا رَيْبٍ) ، كَمَا يَجِبُ أَنْ تَكُونَ إِقَامَتُهُ فِي الْمَرِيَّةِ قَدْ طَالَتْ حَتَّى اسْتَحَقَّ أَنْ يُسَمَّيَهُ الْمَقْرِي « شَاعِرَ الْمَرِيَّةِ » (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٣ : ٣٩٠) . ثُمَّ بَقِيَ فِي الْمَرِيَّةِ إِلَى مَا بَعْدَ وَفَاةِ الْمُعْتَصِمِ بْنِ صُادِحٍ ، ثَامِنِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ ٤٨٤ (٣٠ / ٤ / ١٠٩١ م) .

٢ - كَانَ السُّمَيْسِرُ شَاعِراً مَطْبُوعاً سَهْلَ الشَّعْرِ ، وَكَانَ أَفْضَلَ الشُّعْرَاءِ الَّذِينَ حَفَلَ بِهِمْ بِلَاطُ الْمُعْتَصِمِ بْنِ صُادِحٍ . وَهُوَ صَاحِبُ مُزْدَوِجٍ (فِي قَوَافِي الشَّعْرِ) لَعَلَّهُ قَلَدَ فِيهِ مَنْصُورُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ التَّمِيمِيِّ الْفَقِيهَ الشَّافِعِي الضَّرِيرَ (الْمُتَوَفَّى فِي مِصْرَ سَنَةِ ٣٠٦) . ثُمَّ لَهُ طَبِيعٌ وَتَصَرُّفٌ مُسْتَحْسَنٌ فِي الْمُقْطَعَاتِ لَا فِي الْمَطْوَلَاتِ . وَأَغْرَاضُ شَعْرِهِ الشُّكُوى وَالزُّهْدُ وَالْحِكْمُ وَالنَّسِيبُ وَالْهَجَاءُ الْمُقْذَعُ ، فَقَدْ كَانَ هَجَاءً مُتَوَتِّباً عَلَى النَّاسِ مُرَّ اللِّسَانِ لَمْ يَنْجُ مِنْ لِسَانِهِ هَذَا أَحَدٌ وَلَا أَوْلَئِكَ الَّذِينَ عَاشَ فِي بِلَاطِهِمْ . وَكَذَلِكَ كَانَ لَهُ إِخْوَانِيَّاتٌ . وَيَبْدُو أَنَّهُ صَنَّفَ كُتُباً ، فَقَدْ ذَكَرُوا لَهُ كِتَاباً عَنْوَانُهُ « شِفَاءُ الْأَمْرَاضِ فِي أَخْذِ الْأَعْرَاضِ » (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٤ : ١٠٨) .

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ شَعْرِهِ

- قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ السُّمَيْسِرُ فِي الدُّنْيَا وَحَقِيقَةُ مَوْقِفِ النَّاسِ مِنْهَا :

لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا وَفِي أَهْلِهَا مُعَيَّاتٌ قَدْ فَكَّكْنَاهَا :
مِنْ بَشَرٍ نَحْنُ ، فَمِنْ طَبِيعِنَا نُحِبُّ فِيهَا الْمَالَ وَالْجَاهَا .
دَعْنِي مِنَ النَّاسِ وَمِنْ قَوْلِهِمْ ، فَإِنَّمَا النَّاسُ خَلَاهَا .
لَمْ تُقْبَلِ الدُّنْيَا عَلَى نَاسِكَ إِلَّا بِالرَّخْبِ تَلَقَّاهَا .
وَأِنَّمَا يُغْرِضُ عَنْ وَصْلِهَا مَنْ صَرَفَتْ عَنْهُ مُحَيَّاها^(١) !

- وَقَالَ ، وَقَدْ وَقَفَ عَلَى أَطْلَالِ مَدِينَةِ الزَّهْرَاءِ :

وَقَفْتُ بِالزَّهْرَاءِ مُسْتَغْبِراً مُغْتَبِراً أَنْدُبُ أَشْتَاتَا^(٢)

(١) مُحَيَّاها : وَجْهها . الَّذِينَ يَزْهَدُونَ فِي الدُّنْيَا هُمْ (عِنْدَ السُّمَيْسِرِ) أَوْلَئِكَ الَّذِينَ تَكُونُ الدُّنْيَا قَدْ ضَنَّتْ عَلَيْهِمْ بِخَيْرِهَا .

(٢) مُسْتَعْبِراً : بَاكِئاً . مُغْتَبِراً : مُتَأَمِّلاً بِالْعَوَاقِبِ . أَشْتَاتَا : أَشْيَاءٌ مُبَدَّاةٌ (مُتَفَرِّقَةٌ - مُتَهَدِّمَةٌ) .

فقلت: يا زهرا، ألا فارجمي.
فلم أزل أبكي وأبكي بها؛
كأنما آثارُ مَنْ قد مضى
- وقال في بعوضٍ كانت تلدغه:

بعوضٌ شَرِبَنَ دَمِي قَهْوَةً
وَعَيَّنَنِي بِضُرُوبِ الْأَغَانِ^(١).
كأنَّ عروقي أوتارها
وجسني الربابُ وهنَّ القيّان^(٢)!
- وفي المَرِيَّةِ يقولُ السُّميسِرُ شاعرها (نفع الطيب ٣ : ٣٩٠):

يُحِبُّ دَارُ الْمَرِيَّةِ الْيَوْمَ دَاراً
ليس فيها لساكنٍ ما يُحِبُّ.
بلدٌ لا تُمارُ إلاَّ بِرِيحٍ
ربُّما قد تَهَبُّ أو لا تَهَبُّ^(٣).
- وقال يهجو البربر:

رَأَيْتُ آدَمَ فِي نومي فَقُلْتُ لَهُ:
أبا البريَّةِ، إِنَّ النَّاسَ قَدْ حَكَمُوا
أَنَّ الْبَرَابِرَ نَسْلٌ مِنْكَ. قَالَ: إِذَنْ،
حَوَاءُ طَالِقَةٌ إِنْ كَانَ مَا زَعَمُوا.
- وقال في سوء الظنِّ بالبشر (وبأقاربه):

قَرَابَةُ السُّوءِ دَائِمٌ
فَاخْمِلْ أَذَاهُمْ تَعِشْ حَمِيداً.
وَمَنْ تَكُنْ قَرَحَةً فِيهِ
يَضُرُّ عَلَى مَصِّهِ الصَّدِيدُ^(٤)!
- وقال في العليلِ الشَّرِّهِ وموقفهِ من الطبيب:

يَا أَكْلًا كُلَّ مَا اشْتَهَاهُ
وَشَاتَمَ الطَّبَّ والطَّيِّبَ،
ثِمَارُ مَا قَدْ غَرَسْتَ تَجَنِّي.
فانتظرِ السُّقْمَ عَنْ قَرِيبٍ.
يَجْتَمِعُ الدَّاءُ كُلُّ يَوْمٍ:
أَغْذِيَةُ السُّوءِ كَالذُّنُوبِ.

- ٤- ★★ الذخيرة ٢ : ٨٨٢ وما بعد؛ الخريدة (الأندلس) ٢ : ١٥-١٦؛ المغرب ٢ :
١٠٠-١٠١؛ المطرب ٩٣؛ نفع الطيب ١ : ٥٢٧-٥٢٨، ٣ : ٢٢٧-٢٢٨،
٢٩٣، ٢٩١-٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٩، ٣٩٠، ٤١٢، ٤ : ٢٠، ١٠٨، ١١٦؛ نيكل
١٩١-١٩٣، مختارات نيكل ١٣٢-١٣٥؛ الأعلام للزركلي ٢ : ٣٥٩ (٣١١).

(١) قهوة: خمر.

(٢) الرباب والربابة آلة موسيقية وترية: القيّان جمع قينة (بالفتح): المرأة (الجميلة) الغنيّة.

(٣) تمار: تأتيها الميرة (الطعام). المَرِيَّة: ثغر في الجنوب الشرقي من الأندلس.

(٤) بفيه: في فمه. الصديد: القيح.

ابن غرسية

١ - هو ابو عامرٍ احمدُ بنُ غرسية أصله من البُشكنس (شمال غربيّ الاندلس) سُبِي صغيراً فاعتنق الإسلام ودخل في ولاء مجاهدٍ العامري صاحبِ الجُزرِ الشرقية ومدينة دانية. ويبدو انه قد قضى حياته كلها في دانية. وكانت وفاته بعيد سنة ٤٧٧ (١٠٨٤ م).

٢ - ابن غرسية اديبٌ قدير في النثر ومجيد في الشعر وكانت تَغلبُ عليه شعبية حمل بها على العرب حملة شديدة سفيهة، وان كانت هذه الرسالة (في هجاء العرب) تنكشف عن معرفة بغريب اللغة وبالأحداث التاريخية ومصادر الثقافة. والمعروف ان الشعوبيين يفضلون المسلمين على العرب (أي يفتخرون بالإسلام على الذين يتعصبون للنسب العربي). والملموح عند ابن غرسية أنه يفضل الفرس والروم واليهود على العرب، ولكنه يتستر بمدح رسول الله (الذخيرة ٣: ٧١٢ - ٧١٣). ولقد فطنَ الذين ردّوا عليه إلى ذلك فنسبَهُ بعضهم إلى النفاق. وقال بعضهم إنه بريء من الإسلام (ودخل في الكُفر مُرتدّاً) وانه يستحقُّ القتلَ على ذلك - ولكن لم يكن في الاندلس في ذلك الحين ملكٌ قويّ يستطيع أن يُقيمَ مثلَ هذا الحدّ: يُوقع مثلَ هذا القصاص).

وفي شعر ابن غرسية فخرٌ بنفسه وبأصله. غير أن شعره الذي بين أيدينا نازلٌ عن مرتبةٍ نثره (وخصوصاً من حيث المتانة) والوضوح.

ولقد ردّ على ابن غرسية نفرٌ من مُعاصريه منهم ابنُ الدودين وأبو الطيب عبدُ المنعم القرويّ ثم رجلٌ آخرٌ يدعى ابن عبّاس يبدو أنه ألّف في ذلك كتاباً. وسأوردُ أشياء من تراجم هؤلاء ومن رسائلهم في هذا الشأن، بعدَ المختاراتِ من رسالة ابن غرسية.

٣ - مختارات من آثاره

- قال ابنُ غرسية يفتخر بأصله (المغرب ٢: ٤٠٧):

إِنْ أَصْلِي كَمَا عَلِمْتَ، وَلَكِنْ (م) لَسَانِي أَعَزُّ مِنْ سَجَبَانٍ^(١).
وَأَنَا مِنْ خَيْرِ الْمُلُوكِ بِصَدْرِ، هَلْ تَرَى بِالْقَنَاقَةِ صَدْرَ سِنَانٍ^(٢)؟
- ومن الرسالة الشعوبية لابن غرسية (في هَجْوِ الْعَرَبِ) يُخَاطَبُ بِهَا الْأَدِيبُ
الشاعرَ أَبَا جَعْفَرِ بْنِ الْخَزَّازِ^(٣). قَالَ (الذخيرة ٣: ٧٠٥ - ٧١٤):

.... كَأَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ إِنْسَانٌ إِلَّا مِنْ غَسَانٍ أَوْ مِنْ آلِ ذِي حَسَّانٍ^(٤). وَإِنْ كَانَ
الْقَوْمُ أَقْنَوْكَ وَمَا أَغْنَوْكَ، عَلَى حَسَبِ الْمَذْكُورِ، فَمَا هَذَا الْإِعْمَالُ لِلْكُورِ وَتَرَكَ
الْوُكُورَ^(٥)؟ وَقُلْ مَا تَأْخُذُ الشَّعْرَةَ فِي الرَّحِيلِ إِلَّا عَنِ الرَّيْغِ الْمَحِيلِ^(٦). وَلَوْ أَنَّ الْقَوْمَ
خَلَطَوْكَ بِالْأَلِّ لَمَّا أَلْجَأَوْكَ إِلَى الْخَبْطِ فِي الْآلِ^(٧). مَهْ مَهْ. مَنْ أَخَوَجَكَ إِلَى رُكُوبِ
الْمَهْمَةِ^(٨)؟ أَحْسَبُكَ^(٩) أَنْ أُرْزَيْتَ، وَهَذَا الْجَيْلُ النَجِيبُ ازْدَرَيْتَ^(١٠)، وَمَا دَرَيْتَ
أَنْتَهُمُ الصُّهْبُ الشُّهْبُ، لَيْسُوا بِعُرْبٍ ذَوِي أَيْتَقِي جُرْبٍ^(١١). بَلْ هُمْ الْقِيَاصِرَةُ
وَالْأَكَاسِرَةُ. مُجَدِّ نَجَدِّ: بِهِمْ لَا رُعَاةَ شَوْنِهِاتٍ وَبِهِمْ^(١٢). شَغِلُوا بِالْمَاضِي وَالْمَرَّانِ عَنِ

- (١) أصلي كما علمت (بشكسي نصراني، ثم مولى). أعز: أقوى. سحبان: خطيب عربي مشهور.
- (٢) هذا البيت مضطرب الوزن في أوله (اقرأ: وأنا خيرة الملوك بصدر). القنقة: عصا الرمح. السنان: الحديد التي في أعلى الرمح.
- (٣) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الخزاز من أهل سرقسطة وسكن بلنسية وكان أديباً شاعراً.
- (٤) من غسان أو آل ذي حسان (من العرب أو من ملوك العرب؟).
- (٥) أقنوك: منحوك قنية (عطية). وما أغنوك (المفروض أن يقال: وأغنوك). على حسب المذكور (كما ذكر في التاريخ). الإعمال (بالكسر: الاستخدام، السير) بالكور (رحل الناقة): السفر (الكثير). وترك (هجر) الوكور (المساكن) يشبه بيوت العرب بالوكور احتقاراً.
- (٦) الشعرة: الشعراء. الربيع: المسكن. المحيل: المغير، المتبدل (المهدوم).
- (٧) القوم (قومك) خلطوك بالآل (أدخلوك في أهلهم). الخبط: السير على غير هدى. الآل: السراب.
- (٨) مه: أكفف، توقف (عن الادعاء). المهمة: الصحراء الواسعة.
- (٩) أحسبك (الصيغة غير واضحة. اقرأ: حسبك (يكفيك) إن (بكسر الهمة).
- (١٠) أزریت (عبت غيرك) وهذا الجيل النجيب (من الناس، أي الفرس أو الروم أو الافرنج) ازدریت (احتقرتهم) أن تعلم (تحسن زيادتها هنا).
- (١١) الأصهب: الأشقر، الأحمر. الأشهب: الأبيض. أيتق جمع ناقة.
- (١٢) في تاج العروس (الكويت ٩: ١٥٢) مجد (بضمّتين): النياق التي تشبع من المرعى. المجد (بضمّتين) جمع مجود (بالفتح): نبيل، شريف. اليهم (بضمّ ففتح) جمع بهمة بالضمّ: الشجاع. اليهم (بفتح ففتح): الغنم، البهائم.

رَغِي البُعْران^(١) ، وَجَلَبِ العَزَّ عن حَلَبِ المَغْزِ . جبابرة قياصرة ، ذَوُو المَغَافِرِ
والدُرُوعِ للتنفيسِ عن رَوْعِ المَرُوعِ^(٢) . حُماة السُّرُوحِ نُهاة الصُّرُوحِ^(٣) . صقورة غَلَبَتْ
عليهم شقورة ، وصقورة الخُرسان ، لكنَّهُم خُطْبَةُ بالخرصان^(٤) .

بُصْرٌ صُبْرٌ ، قِيُولٌ على خِيُولٍ كأنَّهُم فُيُولٌ ، بنو غابٍ مُنتَفُونَ من كُلِّ عابٍ^(٥) . لم
تَلِدْهُمُ صِواحِبُ الرِاياتِ^(٦) ، بل تَبَحَّجَتْ عَنْهُمْ سارةُ^(٧) الجِمالِ والكَمالِ ، رَبَّةُ
الإِياةِ^(٨) غَنُّوا بالإِسْتَبْرَقِ والسُّنْدُسِ عن البَتِّ المَقِيطِ المُشَّتِ المجموعِ من
النَّعَجاتِ السِّتِ^(٩) . طَعامُهُمُ الحَنِيزُ^(١٠) وشرابُهُمُ النَبِيدُ ، لا زهيدُ الهَبِيدِ في
البِيدِ^(١١)

- (١) الماضي: الدرع. المرانة (بالضم): الرمح الصلب ولكن ينثني. البعران جمع بعير.
- (٢) المغفر (بكسر فسكون ففتح): وقاء للرأس في الحرب. الروع: الخوف. المروع: الخائف.
- (٣) السروح (قطمان الماشية). نهاء الصروح (القصور): الذين يبنون قصوراً عالية.
- (٤) الذخيرة ٣: ٧٠٦ (الحاشية العاشرة): أي فيهم صقورة الخرسان، وهم الصقالبة من حرس القصر وكانوا يلقبون الخرس، وإنّا يظهرهم فصاحتهم بالخرصان (بالضم أو بالكسر) أي الرماح (كذا). صقورة جمع صقر (طائر يصاد به). شقورة (ليست في القاموس). المقصود «شقرة» (أي هم أبطال ولكن شقر: أفرنج لا عرب). الخرسان أو الخرس: حرس صقالبة اتخذهم خلفاء الأندلس، سموا خرسا (لأنهم لم يكونوا يتكلمون العربية). خطبة (يقصد خطباء). أي يحسنون الكلام بالخرصان (بالضم أو بالكسر) جمع خرص (بالكسر): الرمح اللطيف (القصير)، أي يجيدون القتال.
- (٥) الغاب جمع غابة. الغاب: العيب.
- (٦) كانت المترنات للرجال ينصن على مداخل بيوتهن راية ليعرفن. في هذا تعريض بزياد بن أبيه، وكانت أمه من صواحب الراية، ادعى معاوية أن أباه أبا سفيان أتاها (قبل اسلامه) وأن زياداً كان ابنه منها. وقد ألحقه معاوية، فيما بعد، بنسبه.
- (٧) سارة امرأة ابراهيم الخليل وأم اسحاق أبي اليهود.
- (٨) أيا وأياة (بكسر الهمزة فيها): ضوء الشمس وحسنها.
- (٩) غني الرجل أصبح غنياً وليس محتاجاً إلى شيء. الإسترقي والسندس من الحرير. البت: كساء من صوف أو وبر. المقيط المشتى (يلبس شتاء وصيفاً). وهنا إشارة إلى أخطر من الرجز لأعرابي يذكر أن له ثوباً واحداً يلبسه في جميع الفصول وقد نسجه هو من ست نعجات كانت عنده.
- (١٠) الحنيز: اللحم السمين.
- (١١) الزهيد: القليل القيمة. الهبيد: الخنظل (ثمر نبات صحراوي يشبه البطيخ، ولكنه أصفر حجماً ثم هو مر).

معشرَ البداةِ العُداة، اعتقدتم غِلاً فاستترتم صِلاً^(١).

.... أما علمتم ان الدولة النُوشرانية والدولة الأزديشيرية^(٢) بَقَرُوا أجوافكم وخلعوا أكتافكم^(٣) ثم عطفوا ورأفوا وملّكوكم الحيرة بعد عظيم الحيرة قُللاً ذُللاً^(٤) تتخيرون البناتِ عند البياتِ مَبهوراتٍ لا مهمورات^(٥). فَبَرِمَ مِنْ ذَلِكَ غَسَانُكُمْ وَنُعْمَانُكُمْ^(٦). وكان بَرْمُهُ سَبباً لِدَرْءِ أَمَانِكُمْ^(٧)، فأصبح بعدَ جَرِّ الذِيُولِ مدوساً بأخفافِ الفُيُولِ^(٨). (هذا) والكِرَامُ بنو الأصفر^(٩) الأَطْهَرُ الأَظْهَرُ عَطَفْتَهُمْ عَلَيْكُمْ الرَّحِمُ الإِبْرَاهِيمِيَّةُ والعُمومة الإِسْمَاعِيلِيَّةُ^(١٠) وَسَمَحُوا لَكُمْ مِنَ الشَّامِ بِأَقْصَى مَكَانٍ بَعْدَ أَنْ كَانَ مِنْ سَيْلِ الْعَرَمِ^(١١) مَا كَانَ....

فلا فخرَ، مَعشَرَ العُرَبَانِ الغِرَبَانِ^(١٢) بالقديمِ المُفَرَّى الأديمِ^(١٣). لكنْ بَابِنَ عَمْنَا الإِسْمَاعِيلِيَّ الحَسَبِ الإِبْرَاهِيمِي النَّسَبِ.... بهذا النَّبِيِّ أَفَاخِرُ مِنْ يَفْخَرُ وَأَكَاثِرُ مَنْ تَقْدَمُ وَتَاخِرُ.... أَصْلِي عَلَيْهِ عِدَدَ الرَّمْلِ وَمَدَدَ النَّمْلِ. وكذلك أَصْلِي عَلَى وَاصِلِي جَنَاحِهِ، سَيُوفِهِ وَرِمَاحِهِ، صَحَابَتِهِ الْكَرَامِ عَلَيْهِمْ أَفْضَلُ السَّلَامِ.

-
- (١) البداة (سكان البادية) العداة (الأعداء) اعتقدتم غلاً (حقداً). الصل: الحية الحبيثة.
 - (٢) نسبة إلى أنو شروان وأزدشير (من ملوك الفرس).
 - (٣) كان سابور (ملك الفرس) يلقب « ذا الأكتاف » لأنه كان يخلع أكتاف الأسرى.
 - (٤) قلل جمع قلال (بالضم): قليل. ذلل: مدللين.
 - (٥) البيات (هنا): النوم. مبهورات (خائفات، تفتصبونهن). مهمورات (دفع مهرهن (أي تزوجتموهن حلالاً).
 - (٦) برم بكم: ملّ منكم (غسانكم ونعمانكم: الملوك الذين جعلوا بني غسان وبني النعمان حكاماً عليكم).
 - (٧) درء أمانكم (اللموح: ذهاب الأمن عنه وعنكم).
 - (٨) جرّ الذيول (ذيل الثوب): العزّ والتبختر. مدوساً بأخفاف الفيول (إشارة إلى النعمان آخر ملوك الحيرة الذي استدعاه كسرى إليه وانتقم منه بأن ألقاه تحت أقدام الفيلة فداسته).
 - (٩) بنو الأصفر: اليونان.
 - (١٠) الرحم: القرابة. إبراهيم الخليل ثم ابنه اسحاق أخو اسماعيل، فاسحاق عم العرب لأن اسماعيل أبو العرب.
 - (١١) لما انفجر سد مأرب في اليمن هاجرت قبائل يمنية كثيرة نحو العراق والشام. العرم: الشديد.
 - (١٢) العربان (البدو) الغربان (السود الألوان).
 - (١٣) المفري (المقطع) الأديم (الجلد) كناية عن الذل وكثرة اعتداء الناس (على العرب).

- وفيما يلي أشياء من الردّ على هذه الرسالة:

من الذين ردّوا على ابن غرسية أبو جعفر أحمد بن الدودين لقيّه ابن بسّام في الأشبونة (لشبونة عاصمة البرتغال اليوم)، سنة ٤٧٧ (١٠٨٤ م) واستملى منه شيئاً من نثره وشعره فأملأه - ممّا وصل إلينا - أبياتاً في الغزل المذكّر ليس فيها براعة معنوية خاصّة ولا لفظيّة. وأمّا رسالته التي ردّ بها على ابن غرسية ففيها أشياء من المقدّرة اللغوية وصناعة البلاغة مع أشياء من المعرفة بالتاريخ والعلم. وفيما يلي مختارات من رسالة ابن الدودين (الذخيرة ٣: ٧١٥ - ٧٢٢):

اخساً، أيّها الجهول المارق والمردول المنافق. أين أمّك، ثكلتك أمّك^(١)؟ أو ما علّمت أنّا سحبت من عقلك لعقالك^(٢)، وقدمت أولّ قدمك لسفك دمك^(٣)... (ثمّ) حبرت بحبرك لذهاب خبرك^(٤)؟ فما حقيقة جوابك على خطل خطابك الآ سلبك عن إهابك^(٥) وصلبك على بابك، لو كان في الحضرة أقيال وحضرك رجال^(٦). لكنك بين همج هامج ورعاع مائج^(٧): «مذبذبين: لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء»^(٨)....

هل يجوز في التحصيل أو يصحّ في العقول أن يخمي قومك سُروح سائهم وقد أباحوا فروج نسائهم؟ أليس هذا عين المحال ومغالطة الجهال؟ فهلاًّ توهمت، يا فتى، الجواب قبل الخطاب وأبصرت الورطة^(٩) قبل السقطة؟

-
- (١) المارق (الخارج من الإسلام).
 - (٢) العقل: الرباط الذي يحمي الإنسان. العقل (الرباط الذي يتمتع الإنسان من الحركة).
 - (٣) أولّ ما عملته (من سب العرب): الكفر.
 - (٤) الخبر (حقيقة الأمر - كلامك دلّ على أنّك لم تبق مسلماً).
 - (٥) الخطل: الفساد (فساد الرأي والعقل). سلبك (سحبك) من إهابك (جلدك): قتلك.
 - (٦) الحضرة: العاصمة أو المكان الذي أنت فيه. أقيال: ملوك (حقيقة). وحضرك (كان حولك) رجال لهم رأي وعزيمة.
 - (٧) الهمج: جماعات الناس (كالبهائم). هامج: بلا نظام، سائبون، فوضى. رعاع: جماعات لا انتظام لها.
 - (٨) من القرآن الكريم (٤: ١٤٣، النساء): «مذبذبين بين ذلك، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء».
 - (٩) الورطة: الحفرة العميقة، الوحل.

وأما ما قَعَقَتَ به وَوَعَوْتَ ^(١) من صواحبِ الرايات ^(٢)، فهنَّ - وأبيك - بعضُ بناتِ الإيَّاة ^(٣)، فما عَجَنَّا بهنَّ عَمَّا عَوَّدْتُموهنَّ مِنَ الْبِغَاءِ ^(٤) للاستِرضاءِ. فَكَثُرَ مَعِشَرُ الْعُرَبَانِ مِنْ وَلَدِ سَارَتِكُمُ الْإِمَؤَانِ وَالْعُبْدَانِ ^(٥). وَفِيكَ وَ(فِي) أَبِيكَ مِنْ ذَلِكَ أَصْحُ دَلِيلٍ وَأَوْضَحُ بُرْهَانٍ ^(٦).

وَأَمَّا لَوْكُمُ الْعُرُودُ ^(٧) فَأَوْضَحُ مِنَ السِّرَاجِ الْوَهَّاجِ فِي اللَّيْلِ الدَّاجِ. لَكِنْ أَلْعَمُ بِذَلِكَ لُحْمَةٌ تَشْهَدُ بِذَاتِهَا عَلَى ذَوَاتِهَا: وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ تُحَدِّثُ أَنَّ وَلَدَانَكُمْ قَدْ عَطَلُوا فِي بَعْضِ أَعْوَامِكُمْ سَوْقَ نِسَائِكُمْ. فَنَمِي ^(٨) ذَلِكَ إِلَى مَلِيكَكُمْ فَحَكَمَ - أَكْرِمَ بِهِ مِنْ حَكَمٍ - أَنْ يُبَيِّحَ النِّسَؤَانُ مِنْ أَنْفُسِهِنَّ مَا أَبَاحَ الْوِلْدَانُ (مِنْ أَنْفُسِهِمْ). فَامْتَثَلْنَ ذَلِكَ، فَاتَّسَقَتِ الْحَالَانِ وَنَفَقَتِ السُّوْقَانِ.

وَأَمَّا مَا عَيَّرْتَ بِهِ الْعَرَبَ مِنَ الْاِغْتِذَاءِ بِالْحَيَّاتِ فَكَتَفَذَّيْكُمْ بِالْدِمَاءِ وَالْمَيْتَاتِ.... وَأَمَّا فَخْرُكَ بِالشَّرَائِعِ فَمِنْ أَوَّلِ الْبِدَائِعِ. وَأَنْتَى يَكُونُ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَلَمْ يَأْخُذْهَا عَنْ نَبِيِّ وَلَا نَقْلُهَا عَنْ حَوَارِيِّ ^(٩) إِلَى أَنْ أَصَارُوهَا فِي حَيِّزِ الْهَذْيَانِ. وَحَسْبُكَ بِهِمْ جَهْلًا أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ إِلَهًا نَبِيَّهُمْ، فَوَسَمَوْهُ بِالرَّبِّ الْمَعْبُودِ وَصَيَّرُوهُ - بَعْدُ - مَصْلُوبَ الْيَهُودِ. فَاعْجَبَ لَجَهْلٍ يَجْمَعُ بَيْنَ هَذَيْنِ الطَّرَفَيْنِ. وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُمْ مُجْمَعُونَ عَلَى أَنَّ عِيسَى يَنْزِلُ إِلَى الْأَرْضِ لِحِسَابِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْعَرَضِ. فَمَا ظَنُّكَ يَفْعَلُ الْيَهُودِيَّةُ عَلَى مَا قَدَّمُوهُ، عَلَى زَعْمِهِمْ، إِذَا (هُوَ) نَاقَشَهُمُ الْحِسَابَ ^(١٠) ؟

-
- (١) وعوى الكلب الخ: عوى وصوت.
 - (٢) صواحب الرايات (انظر، فوق، ص ٦٨٥، الحاشية ٦.
 - (٣) الإيَّاة: ضوء الشمس، حسن الشمس.
 - (٤) عاج: مال، المحرف (خالف). البغاء: النكاح غير المشروع، الزنا.
 - (٥) كثر نسل العربان (البدو) من بنات سارة (امراة إبراهيم وام اسحاق): اليهوديات. الاموان والعبدان: الارقاء من الإناث والذكور.
 - (٦) ومشابهة جماعات من اليهود للعرب دليل على ذلك.
 - (٧) لآك الشيء: حرَّكه في فمه كأنَّه يريد أن يمضغه. العرد: الصلب الشديد، عضو الرجل.
 - (٨) نمي: رفع (نقل الكلام إلى....)
 - (٩) الحواري: الصاحب (من أتباع الرسل خاصة).
 - (١٠) بماذا يدافع اليهود عن أنفسهم إذا نزل عيسى ليحاسب البشر وسأل اليهود عن دعواهم قتله.

والآن تذكرت مساقَ أبي غَبْشَانَ^(١) - وما أنسانيه إلا الشيطانُ^(٢) - ذلك الذي به ظننتَ ومن قضيتَه عظمتَ. وليس الأمرُ كما توهمت. وأبو غَبْشَانَ إنَّها باع خِدْمَتَهُ في البَيْتِ. وهَبَّها وَصَمَّةَ سَفِينِهَا العَرَبِيِّ، فالين تَقَعُ (بالإضافة إليها) قَضِيَّةُ إِمَامِكُمْ يَهُوذَا^(٣) الحَوَارِيِّ، إذ باع نَبِيَّه رُوحَ القُدُسِ بالأفْلُسِ. فكذَّبَ اللهُ ظَنَّهُ وأنجى نَبِيَّه^(٤). فدونك: ضَعَّ قَضِيَّةَ سَفِينِهَا في كِفَّةٍ^(٥)، وفي أخرى قَضِيَّةَ إِمَامِكُمْ (ثم) رَجَّحَ بينها.

وما كان أغناكَ، يا كُشاجِمُ^(٦)، عن كشف عَوْرَاتِ آلِكَ الأعاجِمِ؟ لكنَّ ضَعْفَ نظرك حَدَاكَ إلى هَذَرِكَ^(٧)، وسوءِ أدبِكَ وافى بك على عَطِيكَ. نسألُ اللهَ سِتْرًا يَمْتَدُّ ووجهًا لا يَسُودُّ.

★ ومن الذين ردّوا أيضاً على ابنِ غرسيه أبو الطيّب عبد المنعم القُرَوِيُّ (القَيرواني) المتوفى سَنَةَ ٤٩٣ (١٠٩٩ - ١١٠٠ م) دخل إلى الأندلس وحدث في الجانب الشرقي منها. وردُّ أبي الطيّب القُرَوِيُّ بارِعٌ جِدًّا. ويبدو أنَّ ثقافته العامّة كانت واسعة. وفيما يلي مختارات من رسالته الطويلة في هذا الموضوع (الذخيرة ٣: ٧٢٢ - ٧٤٦):

.... أئِها الفاجرُ بزعمه بل الفاجرُ برُغمه، ما هذه البَسالةُ في الفَسالة^(٨)؟ ما هذه الجسارةُ على الخسارة؟ لقد تجرّأتَ ومنَ المِلَّةِ تبرأتَ^(٩).... فأخبرني عنك: أما كانت

(١) أبو غبشان كان له نصيب في خدمة البيت (الكعبة) فباعه في أثناء سكره.

(٢) القرآن الكريم (١٨: ٦٣، الكهف).

(٣) يهوذا الاسخريوطي كان من أتباع المسيح الاثني عشر الأوائل فخان المسيح بأن دلّ الجنود الرومان عليه حتّى قبضوا على المسيح.

(٤) أراد اليهود لعيسى أن يقتل ويصلب، ولكن الله نجاه ورفعهم إليه.

(٥) للميزان كفتان.

(٦) كشاجم: اسم علم (فارسي). يا كشاجم (يا من يدعي نسبة الى غير العرب)

(٧) حدا: ساق، دفع. الهذر: سقط الكلام (الكلام الفث الساقط: لا معنى له).

(٨) البسالة: الشجاعة. الفسالة: سوء الرأي (الفسولة بالضم: قلة المروءة).

(٩) المِلَّة: الدين (الإسلام). تبرأت (تخلّيت عنه، وهذا تما يدلّ على أن الذين ردّوا على ابن غرسيه اعتقدوا أن رسالته الشعبية قد أخرجته من الإسلام إلى الكفر).

للعرب (عليك) يدُ تشكرها ومِنَّةٌ تذكُرها؟ أما جَبَرْتَ نقيصتك؟ أما رفعت خسيستك؟ أَلَمْ تُرَبِّكَ فينا وليداً^(١)؟ أَلَمْ تَتَّخِذْكَ تليداً^(٢)؟ أَلَمْ تُغْنِ بِتخريجك وتدريجك؟ أما أنطقتك بعدَ العجمة؟ أما أسلقتك عَقَبَ اللُكنة^(٣)؟ حتَّى إذا اشتدَّ كاهلُك^(٤) وعَلِمَ جاهلُك، وقَوِيَ ساعدك ورَقِيَ صاعدُك، كفرتَ نِعمتها لَدَيْكَ ونثرتَ عِصمتها^(٥) من يَدَيْكَ؟ أحيانَ فَكَّتْ أَسْرَكَ... ناهضتَها بِجُسامِها وجاهضتَها بكلامِها^(٦) ورَمَيْتَها بِسِهامِها:

أُعَلِّمُهُ الرِّمَايةَ كُلَّ يَوْمٍ، فَلَمَّا اسْتَدَّ ساعِدُهُ رَمَانِي^(٧).
 وهاتِ أَرِنا مَفاخرَكَ نُركَ مَساخِرَكَ.... ليس للسَّخاءِ في الروميَّةِ اسمٌ ولا للوفاءِ في العَجميَّةِ رَسمٌ^(٨). أَيْنَ أَنْتَ عَنِ السُّمْرِ القُمَرِ^(٩): البِيضِ غُرُراً وِصْفاحاً السُّودِ طُرُراً وأَوْضاحاً^(١٠).... قِمَمٌ مِنَ العِمامِ وَهَمَمٌ مِنَ الغِمامِ، سَعَّروا عَلَيْكَ نارَ الحَرْبِ بَتَلَكِ الأَيْتِقِ الجُرْبِ فَكسروا أَكاسِرَتَكُمْ وَقَصَّروا قِياصِرَتَكُمْ.
 والعربُ....، إنْ فَاخَرَتَها فَبَغِيرِ الطَّعامِ والشَّرابِ، وَلَكِنْ بِالطَّعْمانِ والضَّرِابِ.... وَمِنَ الآيَاتِ ذِكْرُ صِواحِبِ الرِّايَاتِ، والمُباضَّةِ عِنْدَكُمْ كالمُراضعةِ، ما

-
- (١) راجع القرآن الكريم (١٨: ٢٦، الشعراء): أَلَمْ نُرَبِّكَ (لجماعة المتكلمين) فينا وليداً...؟
 - (٢) التليد: القديم (اتَّخَذْتَكَ مِنْذُ زَمَنِ قَدِيمٍ؟).
 - (٣) أما أنطقتك (بالعربية) بعد العجمة (الكلام الأجنبي) أسلقتك (ليست في القاموس بمعنى موافق. لعلَّ المقصود: جعلت لك سليفة الكلام بالعربية). اللكنة: صعوبة الكلام بالعربية.
 - (٤) الكاهل: ما بين الكتف والعنق (كناية عن بلوغ الرجولة والقوَّة).
 - (٥) نثرت (خلعت) عِصمتها (رباطها)... تَخَلَّيتُ عَنْ أَهْلِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ.
 - (٦) ناهض: قاوم. جاهضه: مانعه من بلوغ مراده، قاوم.
 - (٧) اسْتَدَّ ساعِدُهُ (أصبحت يده سديدة: تصيب الهدف).
 - (٨) رسم: صورة (حقيقة، في مقابل « اسم »). العجمية (لغة نصارى الأندلس).
 - (٩) الأقمر: الأبيض الشبيه بالقمر.
 - (١٠) الفرة: مقدَّم الرأس. الصفح (بالفتح): جانب الوجه. الطرة: الشعر المشرف على الجبهة. الأوضاح (جمع لا مفرد له): كثرة الناس. أو جمع وضع (بفتح ففتح): الفرة.

في الشكر^(١) عِنْدَكُمْ نَكُرُّ تَبِيحُونَ وَلَوْجَ الْعُلُوجِ عَلَى بَدْوِ الْهُدُوجِ^(٢). والزنا عندكم سَنَا، وَفَجَارٍ بَيْنَكُمْ فَخَارٌ^(٣): تَقْتَادُونَهُنَّ وَتَسْتَأْذِنُونَهُنَّ^(٤). فكيف أنكرت ما ذكرت وَسَرَفَتْ^(٥) ما عرفتَ وَأَنْتَ عَلَى سَنَنِ تِلْكَ السَّنَنِ^(٦)؟....

وَعَلَامَ جَنَّتْ أَصْلَكَ مِنَ الْأَنْبَاطِ وَأَزَحْتَ فَصْلَكَ عَنِ الْأَقْبَاطِ^(٧)؟ ما كان ذَنْبُهُمْ إِلَيْكَ وَجَنَائِثُهُمْ عَلَيْكَ حَتَّى أَخْرَجْتَهُمْ مِنْ جُمْلَةِ الْأَعَاجِمِ وَتَفَيَّيْتَهُمْ عَنْ جَنَبَةِ أَصْحَابِ التَّرَاجِمِ^(٨).... هذا على اتِّصَالِ نَسَبِكَ بِرُومَانَ^(٩): فَإِنَّ كُنْتَ مِنْ وَلَدِ كَنْعَانَ فَمَا أَبْعَدَ دَارَكَ وَأَشْحَطَ مَزَارَكَ وَأَطْمَسَ آثَارَكَ^(١٠). وَأَمَّا الْخَيْلُ فَسَامِحِ الْعَرَبَ بِرُكُوبِهَا وَتُؤَيِّبِهَا، وَخَلِّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عُيُوبِهَا^(١١).... الْخَيْلُ حَرْتُ الْعَرَبِ وَحَصَادُهَا وَعِدَّتُهَا وَإِرْصَادُهَا^(١٢). لَيْسَتْ أُمَّةٌ مِنْ (جَمِيعِ) الْأُمَمِ الْأَعْجَمِيَّةِ تُنَازِعُهَا ذَلِكَ وَلَا تُدَافِعُهَا عَنْهَا: تُسَمِّيْهَا بِأَسْمَائِهَا وَتُنَسِبُهَا إِلَى آبَائِهَا وَتَعْرِفُهَا بِأَصْوَاتِهَا وَتُؤَثِّرُهَا^(١٣) بِأَقْوَاتِهَا. وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ

- (١) المباشرة: الصلات الجنسية. المراضعة: أن يرضع الأطفال معاً (من مرضع واحدة). الشكر (بفتح فسكون): عضو المرأة. التكاثر.
- (٢) ولوج: دخول. العُلج (الأجنبي). الحدج (بالكسر): مركب المرأة (في الهودج).
- (٣) سنا: ضوء القمر (شيء ممدوح محبوب). فجار (بالبناء على الكسر، معرفة): الفجور (يقال للمرأة السيئة: يا فجار).
- (٤) تقتادونهن (بالأجرة). وتستأذنونهن (بالصدقة)؟؟
- (٥) سرف (بفتح فسكون): اهل، أغفل.
- (٦) السن (بفتح ففتح): نهج، منهج. السنة (بالضم): الطريقة.
- (٧) جث: قطع. الأنباط (فرع من الآراميين في العراق والشام) والأقباط (فرع من الاعرابيين في مصر. والأنباط والأقباط ظلوا نصارى، وإن كان أصلهم من الأعزائيين (أشقاء العرب). لماذا تيرأت من الأنباط والأقباط وهم نصارى مثلك (في الأصل)؟
- (٨) جنبه: جانب. ناحية. أصحاب التراجم (الترجمة: تاريخ حياة شخص)؟؟.
- (٩) رومان: الرومان (نصارى أوروپية يومذاك).
- (١٠) كنعان: الأعزائيون سكان الأراضي المنخفضة الساحلية (سأهم اليونان «فينيقيين»). أشحط: أبعد. الآثار المطموسة (المحوثة المنسية).
- (١١) العرب تعرف عيوب خيلها (ومحاسنها) أكثر منك.
- (١٢) الحرث: الزرع. الحصاد: قطع الزرع (الخيل مبدأ عمل العرب ومنتهاه). العدة: وسيلة العمل (السفر، الحرب الخ). الإرصاء (بكسر الهمز): اعداد الخيل للحرب أو للسباق.
- (١٣) تؤثر: تفضل.

أَنْ خَيْلَهُمْ أَشْهُرُ مِنْ مُلُوكِكُمْ أَسْمَاءُ وَالْقَابَا وَأَطْهَرُ مِنْ نَسَائِكُمْ أَنْسَاباً وَأَعْقَاباً^(١)، قالوا: بناتُ أَعُوج^(٢)، وداحسٌ والغبراء، والنعماء والسماء، وحافلٌ والشقراء، وأسماؤها كثيرةٌ وألقابها شهيرة. ولعلَّكَ أَنْ تَذْكُرَ لَنَا مِنْ خَيْلِ آبَائِكَ الْأَوَّلِينَ وَأَفْرَاسِ أَسْلَافِكَ الْأَقْدَمِينَ قَرَساً مشهوراً وفارساً مذكوراً. فَإِنْ أَتَيْتَ بِذَلِكَ شَهِدْنَا وَآمَنَّا....

وكيف استَجَزْتَ، على فَضْلِكَ الباهرِ وشرفك - بزعمك - الظاهر، أَنْ تستعينَ على فخرِكَ بغيرِ الحقِّ وتلجأَ في تهوُّركَ إلى غيرِ الصِّدْقِ؟ هل كان النِّعمَانُ الْإِمْلَاقُ أَمْلاكَ وشمسُ أَفلاكِ: أَصْلُهُ عَرِيقٌ وَفَرْعُهُ وَرِيقٌ^(٣). اتَّخَذَ ثُمُوهُ جَبَّاراً ودون العربِ حِجَازاً^(٤). نَزَلَ الْحِيرَةُ وَأَنْتُمْ لَهُ جِيرةٌ... قَدْ كَفَاكُمْ الْعَرَبُ جَمْعاً مِنْ جَلَّقَ إِلَى صِنْعَاءَ^(٥): يَذُبُّ عَنْكُمْ بِمَالِهِ وَاحْتِمَالِهِ^(٦) بَعْدَ عَقْدٍ مُؤَكَّدٍ وَعَهْدٍ مِنْكُمْ مُؤَبَّدٍ. وَأَجَارَتْ الْعَرَبُ مَنْ أَجَارَ وَأَغَارَتْ عَلَى مَنْ أَغَارَ. وَحَسُنَتْ حَالُ الْفُرْسِ بِمَكَانِهِ وَعَزَّتْ بِسُلْطَانِهِ^(٧). فَلَمَّا شَمَخَ عَلَى أَعْلَاجِكُمْ وَامْتَنَعَ مِنْ زَوَاجِكُمْ^(٨) - وَلَمْ تَكُنِ الْعَرَبُ تَزَوِّجُ أَخْفَاهَا أَوْ يَكُونَنَّ مِنْ أَكْفَاهَا^(٩). فَقَالَ لِبَاغِي السَّوَادِ: عَلَيْكَ بِبَقَرِ السَّوَادِ^(١٠). فَاسْتَزَرْتُ ثُمُوهُ وَغَرَّرْتُ ثُمُوهُ^(١١). فَكَيْفَ رَأَيْتُمْ غَضَبَ الْعَرَبِ لِثَارِهَا وَطَلْبَهَا لِأَوْتَارِهَا؟ أَلَمْ

(١) أعقاب جمع عقب (بفتح فكسر): نسل.

(٢) أعوج، داحس، الغبراء الخ: أسماء خيل مشهورة.

(٣) عريق: قديم، كريم. وريق: كثير الورق، أخضر، جميل (كثير العدد).

(٤) جباراً: قوياً مستبداً بمن يحكم. حجاز: فاصل (جعل الفرس اشارة المناذرة (أسرة النعمان) في العراق فاصلاً بين بدو شبه الجزيرة وبلاد فارس).

(٥) جلق (في حوران في الشام)، وصنعاء؟ (عاصمة اليمن).

(٦) احتاله: طاقته، مقدرة (بأقصى ما يستطيع).

(٧) قوِي الفرس (لما آمنوا من غارات البدو على حدودهم).

(٨) طلب كسرى من النعمان أن يرسل إليه زوجة عربية فلم يفعل النعمان ذلك.

(٩) أخفاها (أكرمها؟) أكفاها = أكفاؤها جمع كفؤ (ند، مائل). كانت العرب لا توافق على زواج أحد بامرأة من نساها (ولو كان كريم الأصل) إلا إذا كان مماثلاً لها.

(١٠) باغي (مستبد، ظالم = كسرى) السواد (سواد العراق: جنوب العراق). البقر: الغزلان (كناية عن النساء الجميلات). كان النعمان قد قال: «عين» (بكسر العين) الواسعة العينين من النساء، فنقلت

الجملة إلى كسرى بمعنى البقرة أنثى الثور لا الغزال.

(١١) غرّ: خدع.

تَصْدِمُكُمْ بِذِي قَارٍ ^(١) صَدَمَةً ذِي احتقار، فأدرکتْ فَيَكُمُ رضا الرحمن وأخذتْ بشار النعمان. وطَحَطَحَتْ ^(٢) بني ساسانَ وآلَ كاسانَ ^(٣). ولم تَقُمْ للفرس بعدها قائمةٌ ولا رَعَتْ لها سائمة ^(٤). ولم تَزَلِ (الفرسُ) في قواصفَ تتقاذفُ وعواصفَ تترادفُ ^(٥) حتَّى تَمَّ اللهُ آفَتَهَا واستأصلَ الإسلامَ شأفتَهَا ^(٦).

وفَخَرَتْ بالرياضيةِ والأريضيةِ ^(٧). صدقتْ وَثُبَّتْ عَنِّي في الجواب.... والموسيقى وهو عِلْمُ فنونِ اللُّحُونِ بالعَجَمِ إليه حَاجَةٌ مُجْهِفَةٌ وضرورةٌ مُعْجِفَةٌ ^(٨)، لِعَجَزِ طِبَاعِهِمْ عن الأوزانِ وَقِلَّةِ اتِّسَاعِهِمْ في (هذا) المِيدَانِ ^(٩) لَأَنَّ لُغَاتِهِمْ قَلِيلَةٌ وَقُوَاهُمْ كَلِيلَةٌ لَا تَسْتَجِيبُ إِلَّا بوسائطَ وَلَا تَسْتَقِلُّ إِلَّا ببسائطَ ^(١٠). ليس عندهم شعرٌ موزون ولا كلامٌ مرصون ^(١١). وَلُغَةُ العربِ واسعةٌ العباراتِ ناصعةُ الإشاراتِ، لها الشِعْرُ الموزونُ والنظمُ المكنونُ والكلامُ المنثورُ والسجعُ المأثور ^(١٢) والرجزُ المشطورُ والمزدوجُ المبتورُ والموشحُ والأطواقُ والقلائدُ في الأعناقِ والخمساتُ والمربعاتُ ^(١٣)... (لهم) الأَهْزَاجُ والأَرْمالُ وغير ذلك من الأعمال: كالركباني والأغراي، والنصني والمدني، والثقيلُ

(١) ذو قار: معركة اجتمع فيها العرب على قتال الفرس (١٣ قبل الهجرة - ٦١٠ م) وانتصروا.

(٢) طحطح: فرق، أهلك، شتت.

(٣) آل ساسان وآل كاسان (الفرس). كاسان (ليست في القاموس).

(٤) السائمة: البهيمة ترعى في الغلاء.

(٥) قواصف (رعود) تتقاذف (يقذف بعضها بعضاً: تقع في كلِّ جانب). تترادف: تتتابع.

(٦) استأصل شأفتها (أزالها من أصلها).

(٧) الأريضية... (٩)

(٨) معجف: شديد الضرر. ضرورة (فقر) معجف (يجعل الإنسان هزيراً ناحلاً).

(٩) في هذا الميدان (الفناء).

(١٠) كليل: ضعيف. تستقل ببسائط: لا تستطيع إلا الأمور البسيطة (السهلة، الهينة).

(١١) مرصون: كامل محكم. في هذا المقطع ينظر عبد المنعم القروي إلى اللغة الأعجمية (لغة نصاري الأندلس التي كانت لا تزال في ذلك الحين لهجة قاصرة متقهقرة. من اللغة اللاتينية).

(١٢) المأثور: المروي. المكنون: المستور، الخبياً (القيمتة).

(١٣) الرجز المشطور: الذي يتألف من أشطر متوالية كلها على رويٍّ واحد. المزدوج النخ: أنواع من الأوزان والقوافي. القلادة: العقد (كناية عن جودة القصائد العربية التي هي كالعقود التي توضع في الأعناق).

الثاني، والماخوري والسريجي^(١) وهي كثيرة نسي معها الارغن والسلياق والصنج والكنكلة والقندورة والقيثارة^(٢) فلا يُعرفن ولا يُولفن^(٣).

وما أظنَّ مَعْبَدًا والغريصَ وأشعبَ وطُونياً وابنَ سُرِيجٍ وابنَ مُحَرِّزٍ والمَيْلَاءِ وَبُضْبُصاً^(٤) قرأوا قطُّ موسيقى ولا سمعوا بفوطيقا^(٥) . فاعرض، إن شئتَ، ألحانهم المطبوعة على أوزانكم المصنوعة^(٦) (ثمَّ) أظهر (إن استطعت) غلظهم في التنغم وخطأهم في الترتُّم وقد كان منهم مَنْ إذا غنى ثنتِ الوُحوشُ أجيادها وفارقتِ اعتيادها^(٧)، وعطفتْ خُدودها وتركتْ شُرودها، مُصْغِيَةً إليه مُقْبِلَةً عليه^(٨) . فإذا قَطَعَ عاودتْ نِفارها وطلبتْ أوكارها . هذا فعلُ الأوابدِ والوحوشِ الشوارد^(٩) ، فما ظنُّك بالقلوبِ الرقيقةِ والفِطَنِ الرشِيقَةِ؟ ولقد أَلَفَ الإسلاميونُ في الأغاني وما يتصلُّ بها من المعاني ما إنْ نظرتَ بِمَيزٍ وحكمتَ بعدلٍ وقفتَ على الفضلِ في هذا الفصل^(١٠)؛ ولم تُخَوِّجْكَ العصبيةُ والنفسُ الغَضبيةُ^(١١) إلى شَهادةِ الزورِ والجَوْرِ المأزور^(١٢).

★ ومن الذين قيلَ إنَّهم ردُّوا على ابنِ غرسيةِ ابنِ عَبَّاسٍ (الذخيرة ٣ : ٧٤٦ - ٧٥٧) ثم يَسْبِقُ الظَّنُّ إلى أَنَّهُ أبو جعفرِ بنِ عَبَّاسٍ كاتبُ زهيرِ القتيِّ المُستَبَدِّ

- (١) المَزجَ والرملَ (هنا): من أنواعِ الغناء . الركباني السريجي: (نسبة لابن سريج: مغم مشهور توفي ٩٨ هـ) من طرائق الغناء وأساليبه.
- (٢) الأرغن ... الخ: آلات موسيقية فرنجية.
- (٣) لا يعرفن (لا يعرفهنَّ أحدٌ في ذلك الحين) ولا يُولفن (لا يستضيفها أحدٌ إذا سمعها).
- (٤) مَعْبَد الخ: مغنَّون وملحنون عرب مشهورون (عزَّة الميلاء وبصيص مغنَّيتان).
- (٥) فوطيقا أو بوطيقا (فنُّ الشعر) واسم كتاب لأرسطو في قواعد الشعر.
- (٦) المطبوعة: الطبيعية (الجارية على السليقة). المصنوعة: المصطنعة التي فيها تعمل.
- (٧) ثنت (لفتت) أجيادها (أعناقها) لتستمع إلى الغناء.
- (٨) الشُرود: النفار، النفور. مصغية: مائلة (مستمعة).
- (٩) الآبدة: الحيوان يقيم في أرضه (لا يقترب من مساكن الناس). الشاردة: الحيوان الذي ينفر إذا هو شعر بدنو إنسان.
- (١٠) الفضل: الزيادة (في البراعة). الفصل (جانب من الغناء: الغناء العربي).
- (١١) النفس الغضبية (في الفلسفة): العاطفية (التي بها يفض الإنسان ويرضى).
- (١٢) الجور: الظلم. المأزور: الذي يَحْتَمِلُ صاحبه وزراً (ذنبا).

بأمر المَرِيَّة (راجع الذخيرة: ٣: ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٤) مُنْذُ سَنَةِ ٤١٩ (١٠٢٨ م). وكذلك خدم أبو جعفر بنُ عَبَّاسٍ هذا عَبْدَ الْعَزِيزِ صَاحِبَ بَلَنْسِيَّةَ كَاتِباً (ووزيراً)، وكان عبد العزيز قد تَوَلَّى بَلَنْسِيَّةَ مِنْ سَنَةِ ٤١٢ إلى سنة ٤٢٩ (١٠٢١ - ١٠٣٧ م) - راجع الذخيرة ٣: ٢٥٠. وفي فِهْرِسِ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ مِنْ كِتَابِ الذَّخِيرَةِ (ص ٩٥٤) اسم «أبو جعفر أحمد بنُ عَبَّاسِ الْوَزِيرِ «مُحَالاً عَلَى» أَحْمَدَ بْنِ عَبَّاسِ الْوَزِيرِ». وَلَكِنَّ الْأَسْمَ الْمُحَالَ عَلَيْهِ لَا يَظْهَرُ - مَعَ الْأَسْفِ - فِي هَذَا الْفَهْرِسِ.

وفي الإِحَاطَةِ تَرْجُمَةُ شَبِهُ مَفْصَلَةٍ لِأَبِي جَعْفَرٍ أَحْمَدَ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ زَكَرِيَا الْأَنْصَارِيِّ الْوَزِيرِ (١: ٢٦٧ - ٢٧٠). كَانَ مَوْلَدُ ابْنِ عَبَّاسٍ هَذَا سَنَةَ ٣٩٧ (١٠٠٦ - ١٠٠٧ م) ثُمَّ دَخَلَ فِي خِدْمَةِ نَفَرٍ مِنْ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ فِي الْمَرِيَّةِ وَبَلَنْسِيَّةِ، فِي الْكِتَابَةِ وَالْوَزَارَةِ، وَجَمَعَ - عَلَى صِغَرِ سِنِّهِ ثَرَوَةً طَائِلَةً (قِيلَ خَمْسِمِائَةَ أَلْفٍ مِثْقَالٍ مِنَ الذَّهَبِ) وَمَكْتَبَةً عَظِيمَةً (قِيلَ أَرْبَعِمِائَةَ أَلْفٍ مَجْلَدٍ كَامِلٍ). وَأَمَّا الْمَجْلَدَاتُ الْمَحْرُومَةُ الَّتِي تَنْقُصُ صَفَحَاتُهَا مِنْ أَمَاكِنَ مُخْتَلِفَةٍ فِيهَا فَكَانَتْ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ كَثِيراً). وَكَذَلِكَ كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ هَذَا أَدِيباً شَاعِراً نَائِراً حَسَنَ الْكِتَابَةِ جَمِيلَ الْخَطِّ، كَمَا كَانَ فَاحِشَ الْبُخْلِ فَاحِشَ الْإِعْجَابِ بِنَفْسِهِ وَمَعْرُوفاً أَيْضاً بِسُوءِ الْخُلُوةِ.

وَفِي سَنَةِ ٤١٩ (١٠٢٨ م) تَوَفَّى خَيْرَانُ صَاحِبُ مَرْسِيَّةَ فَصَارَ الْأَمْرُ إِلَى أَخِيهِ زُهَيْرٍ (البيان المغرب ٢: ١٦٦) وَكَانَ الَّذِي قَامَ بِهَذَا التَّرْتِيبِ بَيْنَ أَهْلِ الدَّوْلَةِ أَحْمَدُ (بْنِ عَبَّاسٍ) بَنُ أَبِي زَكَرِيَا الْوَزِيرِ (أَعْمَالُ الْأَعْلَامِ ٢١٦، رَاجِعِ الْفَهْرِسِ، ص ٣٣٩ مِنْ أَجْلِ زِيَادَةِ «ابْنِ عَبَّاسٍ»). فِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ كَانَ حَبُوسُ مُلِكِ غَرْنَاطَةِ قَدْ مَاتَ (سَنَةِ ٤٢٧) وَقَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ ابْنُهُ بَادِيسُ. (البيان المغرب ٢: ١٩١). ثُمَّ وَقَعَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ زُهَيْرٍ وَبَادِيسَ (البيان المغرب ٢: ١٦٧)، وَكَانَ أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبَّاسٍ هُوَ الَّذِي حَضَرَ زُهَيْراً عَلَى هَذِهِ الْمُغَامَرَةِ (البيان المغرب ٢: ١٧٠، ١٧١، ٢٩٣)، فَالْتَقَى الْجَيْشَانِ فِي قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا أَلْفُونْتُ عَلَى نَحْوِ أَرْبَعَةِ أَمْيَالٍ مِنْ غَرْنَاطَةِ (البيان المغرب ٢: ٢٩٣) فَانْهَزَمَ زُهَيْرٌ ثُمَّ قُتِلَ، فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ٤٢٩ (البيان المغرب ٢: ٢٩٣). وَفِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ وَقَعَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي الْأَسْرِ وَسِيقَ إِلَى بَادِيسَ فِي غَرْنَاطَةِ، فَسَجَنَهُ بَادِيسُ مَدَّةً ثُمَّ قَتَلَهُ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَعَشْرِينَ (البيان المغرب ٣: ١٩١) وَأَرْبَعِمِائَةٍ.

وفي البيان المغرب ما يمكن أن يدلّ على مقتل زهير وأحمد بن عباس في يومٍ واحد (راجع ٣ : ١٧١ ، ١٧٢ السطر ١٠). وفي الإحاطة (١ : ٢٧٠) أن مقتل أحمد بن عباس كان في الواحد والعشرين من ذي الحجة من سنة سبع وعشرين (كذا) (وأربعمئة).

وفي « نفح الطيب » (١ : ٤٢٠ - ٤٢٣) نقلاً عن « المطمح » حديث جرى في أيام الحاجب المنصور بن أبي عامر (ت ٣٩٢) يتناول جعفر المصحفي (قُتِلَ ٣٧٢) يُبدي الوزير أحمد بن عباس فيه رأياً. وفي « نفح الطيب » أيضاً (٣ : ٥٣٥ - ٥٣٦) كلام على أشياء من ترجمة « الوزير الكاتب أبي جعفر أحمد بن عباس وزير زهير الصقلي » وعلى أشياء من عناصر شخصيته وخصائصه الأدبية. وكذلك نجد في « نفح الطيب » (٣ : ٦١٠ - ٦١١) ذكر مجلس يجتمع فيه أبو عامر بن شهيد (٣٨٢ - ٤٢٦ هـ) وابن بُزْدِ الأكبر (تُوفِّي سنة ٤١٨) والأصغر (تُوفِّي سنة ٤٤٠ هـ). وحضر هذا المجلس الوزير أحمد بن عباس.

وليس في نفح الطيب ولا في الإحاطة ولا في أعمال الأعلام ذكرٌ لردِّ للوزير أبي جعفر أحمد بن عباس على ابن غرسية. وليس من المعقول أن يكون للوزير ابن عباس هذا (ت ٤٢٩) ردُّ على مقالٍ تُوفِّي صاحبه بعد سنة ٤٧٧ بمدة.

ويُصيبُ إحسانُ عباس (الذخيرة ٣ : ٧٥٥ ، الحاشية) في التساؤل عما إذا كان هنالك شخصان بهذه الكنية « أبي جعفر ».

إن الذي يبدو من الاستعراض المُفصّل الذي سبق يُجيزُ أن يكون هنالك أشخاصٌ تتفقُ كُناههم وأسمائهم وألقابهم (في الكتابة أو الوزارة). وجميعُ القرائن تدلُّ على أن الوزير أبا جعفر أحمد بن عباس المقتول سنة ٤٢٩ يصعبُ أن يكون صاحب الردِّ على ابن غرسية المتوفَّى بعد سنة ٤٧٧.

★ وفيما يلي مختاراتٌ من الردِّ الذي صنعه ابن عباس - كائناً من كان ابن عباس هذا - اعتماداً على رواية ابن بسام الشنتريني في هذا الشأن (الذخيرة ٣ : ٧٤٦ - ٧٥٤).

هذا الرُّدُّ أدنى مرتبة من الرَّدَّين الآخرين: لا يمتازُ بجديد ولا يدلُّ على براعة ثقافية خاصّة. وهو يدورُ في الأكثر على الجدال اللُّغويّ والشواهد الأدبية وعلى كثير من الإشارات التاريخية والعلمية (الفلكية مثلاً) والتي تَرَجُّعُ إلى الخصائص اللغوية.

قال ابن عباس:

عليك السَّلامُ لا السَّلَامُ - تحية آلك لا هدية آلك^(١) - يا ذا الوسن لا اللسن، واللكن لا الركن^(٢)، وابن المراغة لا البلاغة المزري^(٣) بولاء مواليه، المغري بهاجر وقد نسي أرقاه مواليه^(٤).... أما هالك ما أضناك وأمالك عن اللهج بآل ذي حسان وحللة الماء من غسان^(٥)؟ أو ما أجر منك اللسان ما في عنقك من المن والإحسان^(٦)؟ على أنك استغنيت بنمائك حين أبقيت فأقطعتهم ملك البلاد والحسب التلاد^(٧) وموارد الشرف والأعداد، السامين على الأنداد النامين بالآباء والأجداد^(٨) من عدان عادٍ وعادٍ شداد^(٩)... (والعرب هم) ذوو الفطن والهيم والآراء والمجد العمم^(١٠) والعلم بالأفلاك والرصد في الأخلاك^(١١).... أخذوا على البدر ثنانيا سفره

-
- (١) السلام (بالكسر) جمع سلمة (بفتح فكسر): الحجر. الآل: الأهل. والآلك: (الأولى): مرسل الرسالة. آلك (الثانية): أهلك. والمعنى المقصود غامض.
- (٢) الوسن: النعاس. اللسن: الفصاحة. حسن الحديث. اللكن: صعوبة الكلام.
- (٣) المراغة: الأتان، الحارة. المزري العائب (المتكلم في المعاييب).
- (٤) الولاء: القرابة، المحبة. الموالى (بالضم): التابع، المقندي. المغري: المحرض. هاجر: امرأة إبراهيم وأم اسماعيل (جدة العرب). الموالى (بالفتح) جمع مولى: سيد.
- (٥) هالك: أفزعك. أضناك: ألزمتك الفراش من الضنى (شدة المرض). اللهج: تكرار الكلام (الثابرة عليه (في هجاء الآخرين؟؟)...
- (٦) إن للعرب فضلاً كبيراً عليك، ولكنك لم تذكر ذلك.
- (٧) ويبدو أنك قد استفدت من الانتساب اليهم فأبقيت (كانت فيك بقية من خير ومعرفة للجميل) فأشرت إلى اتساع ملكهم وإلى حسبهم (أعمالهم الكريمة) التلاد (القديمة).
- (٨) النامين (المرتفعين).
- (٩) عدان: ساحل البحر وحافة النهر (أهل الحضرة).
- (١٠) العمم: العميم، العامّ الشامل.
- (١١) الأفلاك: مدارات الكواكب (علم الفلك). الحلك: الظلام (الليل).

وَنَفَضُوا عَنْ مَكَامِنَ سَرَرِهِ^(١) ، وَقَدَّوْا قُلَامَتَهُ مِنْ ظُفْرِهِ^(٢) ، وَأَذَلُّوْا الدَّلَّوْ بِالرِّشَاءِ
وَحَلَّوْا لِلْحَوْتِ سَرَبَهُ حَيْثُ شَاءَ^(٣) ، وَقَلَّدُوا الْعَقْرَبَ إِبْرَتَهُ وَالْأَسَدَ زُبْرَتَهُ وَرَاشُوا مِنْ
الطَّائِرِ قَوَادِمَهُ وَقَصَّوْا مِنَ الْوَاقِعِ مَقَادِمَهُ^(٤)

حَلَّوْا مِنَ الْأَرْضِ سِطَّتَهَا^(٥) ، وَمِنْ قِلَادَةِ الدُّنْيَا وَاسِطَّتَهَا ، وَبَيْنَ سَمْعِ الْأَرْضِ
وَبَصَرِهَا^(٦) ، وَفِي جَفْنِ كِسْرَاهَا وَقَيْصَرِهَا^(٧) لَقَاحٌ لَا يَدِينُونَ وَبِالْقَاحِ الْحُرُوبُ
يَدِينُونَ^(٨) يَسْتَأْذِنُكُمْ الْإِتَاوَةُ فِي كُلِّ وَهْدٍ وَرُبَاوَةٍ^(٩) وَيَوْمَ ذِي قَارٍ ، وَهُوَ أَشْهُرُ
مِنْ بَادٍ وَقَارٍ^(١٠) : إِذْ أَسْرَوْا أَسَاوِرَتَكَ وَكَسَرُوا أَكَاسِرَتَكَ وَقَصَّرُوا قِيَاصِرَتَكَ .
وَعَلَى ذِكْرِ الْبَغَاءِ فَانْتُمْ لَهُ بُغَاءٌ^(١١) : نَسَاؤُكُمْ عَلَيْهِ حَوَابِسُ^(١٢) وَلَا تَرَوْنَ ذَلِكَ مِنْ

- (١) ثَنَايَا سَفَرِ الْبَدْرِ (حِسَابَانِ عَمْرِهِ) . نَفَضُوا : كَشَفُوا ، مَجْثُوا . السَّرَارُ (بِالْكَسْرِ) : الْأَيَّامُ الْآخِرَةُ مِنَ الشَّهْرِ الْقَمَرِيِّ (وَيَكُونُ الْقَمَرُ فِيهَا مُسْتَسِرًّا : لَا يَظْهَرُ لِلنَّازِرِ) .
- (٢) قَدَّوْا : قَطَعُوا . قُلَامَتُهُ : طَرَفُهُ (الْقَمَرُ حَيْثَمَا يَكُونُ هَلَالًا يَشْبَهُ قِلَامَةَ الظُّفْرِ . مِنْ ظُفْرِهِ (تَمَامُهُ) : حَيْثَمَا يَكُونُ الْبَدْرُ تَامًا يَشْبَهُ ظُفْرَ الْإِبْهَامِ (بِالْكَسْرِ) : الْأَصْبَعُ الْغَلِيظَةُ مِنَ الْيَدِ أَوْ الرَّجْلِ .
- (٣) الدَّلْوُ ، الْحَوْتُ ، الطَّائِرُ ، الْخُ : مِنْ أَبْرَاجِ السَّمَاءِ (مَجَامِيعُ مِنَ النُّجُومِ حَوْلَ مَدَارِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ، فِي عِلْمِ الْفَلَكَ الْقَدِيمِ) . الرِّشَاءُ : الْحَبْلُ الَّذِي يَسْتَقْبَلُ بِهِ مِنَ الْبَشَرِ .
- (٤) زُبْرَةُ الْأَسَدِ : الشَّعْرُ الْمُتَجَمِّعُ حَوْلَ كَاهِلِي الْأَسَدِ . ثُمَّ (النَّسْرُ) الطَّائِرُ وَ (النَّسْرُ) الْوَاقِعُ . رَاشُوا : جَعَلُوا لَهُ رِيْشًا . الْقَادِمَةُ : الرِّيشَةُ الْكَبِيرَةُ فِي طَرَفِ الْجَنَاحِ . الْمُقْصُودُ أَنَّهُمْ أَدْرَكُوا صُورَ هَذِهِ الْمَجَامِيعِ مِنَ النُّجُومِ (فِي رَأْيِ الْعَيْنِ) وَسَمَّوْهَا (بِفَتْحِ الْمِيمِ الْمُشَدَّدَةِ) أَسْمَاءَهَا .
- (٥) السُّطَّةُ : الْوَسْطُ (بِفَتْحِ فَتْحٍ) .
- (٦) بَيْنَ سَمْعِ الْأَرْضِ وَبَصَرِهَا (ظَاهِرَةٌ ، وَاضِحَةٌ) .
- (٧) فِي جَفْنِهِ (فِي مَكَانِ مَرْعَجٍ لَهُ) .
- (٨) اللَّقَاحُ : الَّذِي فِيهِ مَنَاعَةٌ (إِذَا أَلْقَحَتِ النَّاقَةُ رَفَضَتِ الْفَحْلَ بَعْدَ ذَلِكَ) . وَالْقَوْمُ اللَّقَاحُ هُمُ الَّذِينَ مَا دَانُوا (مَا خَضَعُوا) لِلْمُلُوكِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَلَا أَصَابَهُمْ سِي . يَدِينُونَ بِالْقَاحِ الْحَرْبَ (يَعْتَقِدُونَ بِصَوَابِ إِثَارَةِ الْحُرُوبِ) .
- (٩) يَسْتَأْذِنُكُمْ ... الْخُ : كَانَتْ قَبَائِلُ مِنَ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَحْمُونَ قَوَافِلَ الْفَرَسِ التِّجَارِيَّةِ إِذَا مَرَّتْ فِي مَنَاطِقِهِمْ وَيَأْخُذُونَ عَلَى ذَلِكَ أَتَاوَةً (خَوْفَ ، ضَرْبِيَّة) . الْوَهْدُ (الْأَرْضُ الْمُنْخَفِضَةُ) وَالرُّبَاوَةُ : الرَّابِيَّةُ ، التَّلَّةُ .
- (١٠) ذُو قَارٍ (رَاجِعُ ، ابْنُ الْأَثِيرِ ١ : ٤٨٢) . الْبَادِي : السَّاكِنُ فِي الْبَادِيَةِ (الْمُنْتَقِلُ) . الْقَارُ (بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ) : الْمُسْتَقَرُّ (السَّاكِنُ فِي الْحَضَرِ) .
- (١١) الْبَغَاءُ (بِالْكَسْرِ) النِّكَاحُ غَيْرُ الْمَشْرُوعِ . بَغَاءُ : طَالِبُونَ .
- (١٢) حَوَابِسُ : مَحْبُوسَاتٌ عَلَيْهِ (لَا يَفْعَلْنَ غَيْرَهُ) .

النُّكْر. (أُمّا) نساؤنا (فهن) للطَّرَفِ قواصرُ وعلى بني العمِّ قواصرُ^(١) لم يُحْتَضَنَ بَغِيَّةً ولا حُصْنٌ قطُّ لِبَغِيَّةٍ ولا إقْرافٍ^(٢)، بل عن أَشرافٍ فأشراف....
فخَلَّ عن العَدْنِيَّةِ واليَزَنِيَّةِ لا الرِّسَبِيَّةِ^(٣)، فنفاستهم نفسانيةً وسياسيتهم إنسانيةً.
فقد أعْذَرْنَا وما عَذَرْنَا، و(لكن) نَذَرْنَا وما أَنْظَرْنَا^(٤). فالعصا للعبد إن عصى، ومِثْلُكَ من بني سَهْوان لا يُوصى^(٥). ولا يُقْبَلُ - ولا كرامة - ما رَأَيْتَ في سَيِّدِ المرسلين من الكرامة^(٦).

★ - ٤ - الذخيرة ٣: ٧٠٥ وما بعد؛ المغرب ٢: ٤٠٦ - ٤٠٧.

ولادة المروانية

١ - هي ولادة بنت الخليفة المستكفي بالله، وهو محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله ابن (الخليفة عبد الرحمن) الناصر (نفح الطيب ١: ٣٠١). وكانت أمها أمة (جارية) إسبانية (نصرانية) اسمها سكرى. وقد ورثت ولادة من أمها بشرتها البيضاء وشعرها الأصهب (المائل إلى الحمرة وعينها الزرقاوين وجمال قوامها، كما ورثت من أبوها كليهما ميلها إلى المرح والتفكُّت من قيود المجتمع والجرأة على الفساد.
ولما خلع المستكفي ثم قُتل (٤١٦ هـ) برزت ولادة للحياة العامة - وهي بعد في نحو الخامسة عشرة من العمر أو فوق ذلك قليلاً - وانفلتت من قيودها ثم استطاعت،

- (١) قاصرات الطرف: حبيبات (لا يرفعن أبصارهن إلى ما لا يليق بهن). على بني العمِّ قواصر: لا يتزوجن إلا في بني عمهن (لأنهم أكفأهن).
- (٢) بغية؟؟ غية: زنا. بغية: غاية، مطلب. (لغواية، لضلّال؟؟). إقراف: ذكر بالسوء. ولكن حصن (حين بضم فكسر) عن أَشرافٍ فأشراف (ليتزوجهن هن ونسلهن) أَشراف من الرجال.
- (٣) أترك أنت الكلام في العدنية (عرب الشمال؟؟) واليزنية (عرب الجنوب) لا الرسبية (٩).
- (٤) أعذرنا القوم: جعلناهم يشرفون على الهلاك (أهلكناهم)، انتقمنا. نذرنا: أوجبنا (على أنفسنا قتالهم). انظرنا: أمهلنا.
- (٥) السهوان: الساهي (الناسي، الغافل). من بني سهوان لا يوصى (إذا أوصيته بعمل شيء نسي، فلا فائدة من توصيته بشيء).
- (٦) من أجل ذلك لا يقبل منه مديح في محمد رسول الله.

بما كان لها من الجمال والجاه والمال، أن تجعل من بيتها مُنتدى لرجال الأدب والجاه والسياسة.

في هذه الحِقبة نشأت الصِلَةُ بين ولّادَة وابنِ زيدون (راجع ترجمة ابن زيدون، ت ٤٦٣ هـ). غير أن حبّ ولّادَة لابنِ زيدون لم يدُم طويلاً، بينما هَيأُ ابنِ زيدون بولادَة قد بقيَ على شيءٍ من العُنفِ إلى آخرِ حياةِ ابنِ زيدون. والذي يبدو أن ولّادَة قد أظهرت الميلَ إلى أبي عامرٍ أحدَ بنِ عبدوسٍ، في أوّلِ الأمر، إغاظَة لابنِ زيدون، كما كان ابنُ زيدون قد أظهرَ الميلَ إلى جاريتها السوداء إغاظَة لها فيما قيل. ولكن لما أجمعت ولّادَة أمرها على أن تقطعَ صِلَتها بابنِ زيدون قطعتَ صِلَتها بالاجتماع وبالسياسة أيضاً ثمّ اطمانت إلى العيش الهاديء في بيتِ ابنِ عبدوسٍ بقيّةَ عُمرها. وعاشت ولّادَة عشرين سنةً بعدَ ابنِ زيدون ثمّ ماتت - وقد تقدّمت بها السنُّ وبابنِ عبدوسٍ كثيراً - في ثانيِ صفر من سَنَةِ ٤٨٤ (١٠٩١/٣/٢٦ م) في الأغلب.

٢- كانت ولّادَة بنتُ المستكفي أديبةً شهيرةً (نفع ١: ٤٣٧) ومن أشهرِ شواعرِ الأندلس (نفع ٤: ٢٠٥) وإليها كتبَ ابنُ زيدون بقصيدته النونية المشهورة (نفع ٣: ٢٧٥): «أضحى التناي بديلاً من تدانينا». ولولّادَة أبياتٌ من الشعر يغلبُ فيها جانبُ المعنى على جانبِ الرّونق. هذه الأبياتُ وجدانية في الأكثر. ثمّ لها هجاءٌ مؤلمٌ فاحشٌ سفيه (راجع نفع الطيب ٣: ٢٠٨ و ٤: ٢٠٥ - ٢٠٦).

٣- مختارات من شعرها

- جعلتُ ولّادَة لثوبها الرسميّ (الذي تظهرُ به في المجتمعات) طِرَازاً (شِعْراً) نسجته بالذهب: جعلت على كلّ جانب منه بيتاً من البيتين التاليين:

أنا - والله - أصلحُ للمعالي وأمشي مِشيتي وأتيه تيه^(١)؛
وأمكن عاشقي من صَحْنِ خدي وأعطي قبلي من يشتميهما.
- وكتبت إلى ابنِ زيدون لما أُلِعَ بها بعدَ طولِ تمَنّع:

(١) التيه (بفتح التاء أو كسرهما): التكبير، الفخر بالنفس على الأقران.

ترَقَّبْ إذا جَنَّ الظلامُ زيارتي، فإنِّي رأيتُ الليلَ أكتَمَ للسِّرِّ (١).
وبي منك ما لو كان بالشمس لم تَلَحْ، وبالبدر لم يطلُعْ، وبالنَّجمِ لم يَسِرْ (٢).

- وكتبت إليه: (وقد اشتد شوقها إليه):

ألا هل لنا من بعدِ هذا التفرُّقِ سبيلٌ فيشكو كلُّ صَبٍّ بما لَقِيَ (٣)؟
وقد كنتُ أوقاتَ التَّزاوُرِ في الشِّتا أبيتُ على جَمْرٍ من الشوقِ مُحْرَقِ (٤).
فكيفَ وقد أُمسِيتُ في حالِ قُطْعَةٍ؟ لقد عَجَلُ المقدورِ ما كُنتُ أَتَقِي (٥).
تَمُرُّ الليالي لا أرى البينَ ينقضي ولا الصبرَ من رِقِّ التشوُّقِ مُعْتَقِي (٦).
سقى الله أرضاً قد غَدَتْ لكَ مَنزَلاً بكلِّ سَكوبٍ هاطلِ الوَبْلِ مُغْدِقِ (٧)!

- ويبدو أن عينَ ابنِ زيدونٍ قد امتدَّتْ إلى جاريةٍ سوداءٍ لولادةٍ، فكتبت ولادةً

إليه:

لو كنتَ تُنصِفُ في الهوى ما بَيَّنَّا لم تَهَوَّ جاريَتي ولم تتخَيَّرِ (٨)،
وتركتَ غُصناً مُشْمِراً بِجِماله وجَنَحْتَ للغُصْنِ الذي لم يُثْمِرِ (٩).
ولقد عَلِمْتَ بأنِّي بدرُ السماءِ، لكن وَلَغْتَ لِشَفَوقِي بالمُشْتَرِي (١٠).

- (١) جَنَّ الظلام (الأشياء): غطّاها وسترها (عن العيون).
- (٢) لاح يلوح: ظهر، بدا للنظر. سرى يسري: سار ليلاً.
- (٣) «يشكو» حقها النصب. الباء في «بما» زائدة.
- (٤) وقد كنت عند دنوّ وقت الزّيارَةِ في الشتاء (البارد) أبيت: أقضي الليل (انتظر) على جمر (أشعر بحرّ شديد، مع أن الوقت شتاء).
- (٥) فكيف، وأنت الآن قد قطعت زيارتك عني مرّة واحدة. اتقى يتقي: خاف.
- (٦) البين: الفراق، البعاد.. معتقي: منقذي، مخلصي.
- (٧) تصف ولادة المطر بأنه سَكوب وهاطل (ساقط بكثرة وشدة). الوبل: المطر الكثير. المغدق: المطر الذي يغطي الأرض.
- (٨) تتخيَّر = تتخيَّرها (تفضلها علي).
- (٩) تركتني وأنت تستطيع الوصول إليّ (لأنني أنا أحبك) وجنحت (ملت) إلى الغُصْنِ الذي لم يثمر (لا ينفعل لأنّها جاريَتي وأنا أستطيع أن أحول بينك وبين الاتّصال بها).
- (١٠) بدر السماء: كناية عن المجال وعن الظهور والوضوح. المشتري كوكب يعسر اكتشافه لبعده إلّا على العارفين بالفلك. وهو بعيد جداً. ثم هو كوكب نحس.

٤- ** الذخيرة ١: ٤٢٩ - ٤٣٣؛ الصلة ٦٥٧؛ بغية الملتبس ٥٣١ - ٥٣٢ (رقم ١٥٩٥)؛ نفح الطيب ٤: ٢٠٥ - ٢١٢؛ المطرب ٧ - ١٠؛ نيكل، راجع ١٠٧، ١٠٨؛ الأعلام للزركلي ٩: ١٣٥ - ١٣٦ (١١٨: ٨). راجع أيضاً ترجمة ابن زيدون (ت ٤٦٣ هـ) ومصادرها.

أبو عبيد البكري

١- هو أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو البكري (نسبة إلى بكر بن وائل) الأندلسي من بيت شرف وإمارة: كان آباؤه ولادة على ولبة وشلطيش من قبل خلفاء قرطبة. فلما ضعفت الخلافة الروانية في قرطبة بالمنازعات وسقطت دولة العامريين (٤٠٢ هـ) استبد آل البكري بما كان تحت أيديهم. ثم إن المعتضد بن عباد صاحب إشبيلية انتزع ولبة من أبي المصعب عبد العزيز (والد أبي عبيد) بالحرب (٤٤٣ هـ) وأخذ منه شلطيش بالشراء. فانتقل عبد العزيز بأهله إلى قرطبة التي كان يحكمها بنو جهور.

وُلد أبو عبيد البكري في ولبة أو في شلطيش، في مطلع القرن الخامس (أوائل القرن الحادي عشر للميلاد). وتلقى أبو عبيد البكري أشياء من العلم على نفر من العلماء منهم أبو مروان بن حيّان وأحمد بن عمر بن أنس العُدري (ت ٤٧٨ هـ) وأبو بكر محمد بن هشام المصنفي (ت ٤٨١ هـ) وأجاز له أبو عمر بن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ). وانتقل أبو عبيد بعد موت أبيه (سنة ٤٥٦) إلى المريّة (وفيها لقي ابن أنس العُدري). وفي المريّة أيضاً دخل في خدمة صاحبها المعتصم بن ضاحر (٤٤٤ - ٤٨٠ هـ). وكان أبو عبيد يسافر للمعتصم: ذهب مرة في سفارة له إلى إشبيلية إلى المعتمد بن عباد، فاستأله المعتمد ابن عباد فبقي في إشبيلية. ويبدو أن أبا عبيد قد تقلّب بين البلدان في الأندلس، ولكن يبدو أيضاً أنه في أواخر حياته زهد في السياسة وفي المناصب وعاد إلى قرطبة ليقيم وقته كله على العلم وحده. ومرّض في أواخر أيامه ثم توفّي في شوال من سنة ٤٨٧ (خريف ١٠٩٤ م)، في قرطبة.

٢ - أبو عبيد البكري مؤلف خصبُ الجهود له كُتُبٌ مختلفةُ الموضوعات في اللغة والدين والطب والنبات. غير أن شهرته إنما هي في كتبه الجغرافية. ومع أنه لم يرحل من الأندلس، فإن كتبه الجغرافية جامعة موثوقة حسنة التصنيف والترتيب. فمن كتبه « المسالك والممالك » (وقد ضاع إلا فصلاً منه عن المغرب والأندلس وما جاورها). ثم له كتاب « معجم ما استعجم » (وهو في أسهل المواضع في المشرق)، وله كتاب في الأمثال. وللبكري أيضاً شعرٌ قليلٌ عليه مسحةٌ من حبِّ اللهو.

٣ - مختارات من آثاره

- من مقدمة فصل المقال في شرح كتاب الأمثال:

... أما بعد، فإنني تصفّختُ « كتاب الأمثال » لأبي عبيد القاسم بن سلام^(١) فرأيتُه قد أغفلَ تفسيرَ كثيرٍ من تلك الأمثال فجاء بها مُهملةً، وأعرضَ أيضاً عن ذكر كثيرٍ من أخبارها فأوردَها مُرسلةً^(٢). فذكرتُ من تلك المعاني ما أشكل^(٣)، ووصلتُ من تلك الأمثال بأخبارها ما فصل. وبيّنتُ ما أهملَ ونَبَّهتُ على ما ربّما أجملَ^(٤)، إلى أبيات كثيرة غير منسوبة تسبّتها وأمثال جمّة غير مذكورة ذكرتها، وألفاظٍ عدّة من الغريب فسرتها. وعلى الله قصدُ السبيل، وهو حسْبنا ونعم الوكيل^(٥). وقد ربّته على عشرين باباً يتفرّع منها أبواب في محالها: في حفظِ اللسان ويتفرّع منه أبواب في معناه - في معاييب المنطق... - في مكارم الأخلاق - في الجود والجد - ... في المعاض والأموال - في العلم والمعرفة - ... في الظلم - ... في البخل وصفاته - ...

- اسم جزيرة الأندلس (من « المسالك والممالك »):

يُذكرُ أنّ اسمها القديم إبارية من وادي أبرة^(٦) ثم سميت بعد ذلك باطقة من

(١) أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (١٥٤-٢٢٣ هـ) له كتاب الأمثال السائرة.

(٢) مهملة ومرسلة (الملموح هنا): بلا تفسير ثم مقطوعة عن روايتها وما يتعلق بها.

(٣) أشكل: كان مشكلاً (غير واضح).

(٤) أجل: أوجز ولم يفصل.

(٥) « وعلى الله قصد السبيل » (١٦: ٩، سورة النحل): إنّ الله هو الذي يوجّهنا في الطريق المستقيم الصحيح. « حسبنا » (٣: ١٧٣، سورة آل عمران).

(٦) يبدأ في الشمال الشرقي من شبه الجزيرة ويصبّ في الغرب (في المحيط الأطلسي).

وادي بيطي وهو نهر قُرْطُبَة. ثُمَّ سُمِّيَتْ إِسْبَانِيَّةٌ مِنْ اسْمِ رَجُلٍ مَلَكَهَا فِي الْقَدِيمِ كَانَ اسْمُهُ إِسْبَانُ. وَقِيلَ إِنَّهَا سُمِّيَتْ بِالإِسْبَانِ^(١) لَمَّا سَكَنُوهَا فِي أَوَّلِ الزَّمَانِ عَلَى حَرْمَةِ^(٢) النَّهْرِ وَمَا وَالَاه. وَقَالَ قَوْمٌ: إِنَّ اسْمَهَا إِنَّمَا هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ إِسْبَارِيَّةٌ، مُسَمَّاةٌ مِنْ أَشْبَرَشَ وَهُوَ الْكُوكَبُ الْمَعْرُوفُ بِالْأَحْمَرِ. وَسُمِّيَتْ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْأَنْدَلُسِ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَنْدَلِيشِ الَّذِينَ سَكَنُوهَا...

- جبال الأندلس (منه):

ومن الجبال المشهورة بِالْعِظَمِ فِي بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ مِنْهَا إِبْلِيرَةُ وَهُوَ جَبَلُ الثَّلْجِ وَهُوَ مَتَّصِلٌ بِالْبَحْرِ الْمُحِيطِ الْمُتَوَسِّطِ^(٣)، مُنْتَظَمٌ بِجِبَالِ رِيَّةٍ وَلاصِقٌ بِالْجَزِيرَةِ^(٤) مَعَ الْبَحْرِ. وَيَذْكُرُ سَاكِنُوهُ أَنَّهُمْ لَا يَزَالُونَ يَرَوْنَ الثَّلْجَ نَازِلًا فِيهِ شَتَاءً وَصَيْفًا. وَهَذَا الْجَبَلُ يُرَى مِنْ أَكْثَرِ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ، وَيُرَى مِنْ عُدُوَّةِ الْبَحْرِ بِلَادِ الْبَرْبَرِ^(٥). وَفِي هَذَا الْجَبَلِ أَصْنَافُ الْفَوَاكِهِ الْعَجِيبَةِ. وَفِي قُرَاهِ الْمُتَّصِلَةِ بِهِ يَكُونُ أَفْضَلُ الْحَرِيرِ وَالْكَتَّانِ الَّذِي يَفْضَلُ كِتَّانُ الْيَوْمِ.

ومنها جبال البُرْتِ، وَهُوَ الْحَاجِزُ بَيْنَ بِلَادِ الْإِسْلَامِ وَبِلَادِ غَالِيَشَ، وَمُبْتَدَأُ مِنَ الْبَحْرِ الْقِبْلِيِّ الْمُتَوَسِّطِ الْمُجَاوِرِ طُرْطُوشَةَ وَمُنْتَهَاهُ إِلَى الْبَحْرِ الْغَرْبِيِّ بَيْنَ الْإِسْبُونَةِ^(٦) وَجَلِيْقِيَّةِ.

ومنها الجبل الحَاجِزُ بَيْنَ بِلَادِ إِفْرَنْجَةَ وَبِلَادِ الصَّقَالِبَةِ.

- قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ الْبَكْرِيُّ فِي الْخَمْرِ:

خَلِيلِي، إِنِّي قَدْ طَرَبْتُ إِلَى الْكَاسِ وَتُنَقَّتْ إِلَى شَمِّ الْبَنْفَسِجِ وَالْآسِ؛

(١) لَعَلَّ هَذَا الْاسْمَ جَاءَ مِنْ شَابَانٍ أَوْ شَيْشَابَانَ (سَابَانَ)، وَهُوَ شَجَرُ الصَّنُوبَرِ (أَوْ شَجَرٌ مِنْ فَصِيلَةِ الصَّنُوبَرِ) الَّذِي يَكْثُرُ هُنَاكَ.

(٢) فِي رِوَايَةٍ «جَرِيَّةٌ» (بِكْسَرِ الْجِيمِ: مَجْرَى).

(٣) الْمَقْصُودُ: الْبَحْرُ الْأَبْيَضُ الْمُتَوَسِّطُ الَّذِي يَحِيطُ بِشِبْهِ الْجَزِيرَةِ مِنَ الشَّرْقِ وَبَعْضِ الْجَنُوبِ.

(٤) الْجَزِيرَةُ الْخَضْرَاءُ (رَأْسُ فِي جَنُوبِ شِبْهِ جَزِيرَةِ إِسْبَانِيَّةِ).

(٥) مِنَ الْمَغْرِبِ (مِنْ قَارَةِ أَفْرِيْقِيَّةِ).

(٦) لِسْبُونَةِ عَاصِمَةِ الْبِرْتِغَالِ الْيَوْمِ (عَلَى الْحِيطِ الْأَطْلَسِيِّ).

فقوما معي نلهو ونستمعُ الفنا ونسرقُ هذا اليومَ سِرًّا من الناس .
فليس علينا في التعلُّل ساعة - وإن وَقَعَتْ في عُقْبِ شَعْبَان - من باس .

- وقال يصف خطَّ ابنِ مُقْلَةٍ (الخطاطِ العباسي المجيد المشهور):

خَطُّ ابنِ مُقْلَةٍ من أَرْعَاه مقلته ودَّت جوارحُه لو أصبحت مُقْلًا (١).
فالدُّرُ يَصْفُرُ لاستحسانِه حَسَدًا ، والورْدُ يَحْمَرُّ من إبداعِه خَجَلًا!

- ٤- المسالك والممالك، الجزائر ١٩١١ م.
- معجم ما استعجم (نشره وستنفلد)، غوتنجن (دويرليخ) ١٨٧٦ م؛ (حققه مصطفى السقا)، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٤٥ - ١٩٥١ م.
- المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب (تحقيق دي سلان)، الجزائر ١٨٥٧ م؛ (نسخة بالتصوير)، المغرب (مطبعة الحكومة) وبغداد مطبعة المثنى بلا تاريخ.
- جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك (تحقيق عبد الرحمن علي الحجّي)، بيروت (دار الإرشاد) ١٩٦٨ م.
- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال لأبي القاسم بن سلام الهروي (حققه عبد المجيد عابدين واحسان عباس)، الخرطوم (جامعة الخرطوم) ١٩٥٨ م، ثم بيروت (دار الثقافة) ١٩٧١ م.
- سبط اللّآلي في شرح الأمالي (للقاللي)، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٣٦ م.
- التنبيه على أبي علي (القاللي) في أماليه، القاهرة (مطبعة دار الكتب) ١٩٢٦ م، ثم ١٩٥٤ م؛ بيروت (دار الكتاب العربي) بلا تاريخ.
- ★★ قلائد المعيان ٢١٨ - ٢١٩؛ الذخيرة ٢: ٢٣٢ - ٢٣٨ الصلة ٢٧٧ - ٢٧٨؛ الخريدة (الأندلس) ٤: ٥٠٤ - ٥٠٦؛ الخريدة (المغرب) ٢: ٤٧٥ - ٤٧٦؛ الحلة السراء ٢: ١٨٠ - ١٨٧؛ طبقات الأطباء ٢: ٥٢؛ المغرب ١: ٣٤٧ - ٣٤٨؛ بغية الوعاة ٢٨٥؛ نفح الطيب ١: ٢٩٢، ٢: ٦٦٥، ٣: ١٨٤ - ١٨٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ١٥٥ - ١٥٦؛ م ل ع د ٢٧: ٥٢٠؛ بروكلمن ١: ٦٢٧ - ٦٢٨، الملحق ٨٧٥؛ نيكل ١٩٥؛ الأعلام للزركلي ٤: ٢٣٣ (٩٨)؛ بالنشيا ٣٠٩ - ٣١١.

(١) تمّنى أن تكون كلّ جراحة (عضو) في جسمه مقلة (عيناً) ينظر بها إلى ذلك الخط الجميل.

ابن العسال

١ - هو أبو محمد عبد الله بن فرج بن خزلون بن خالد الأنصاري اليحصبي، وُلِدَ في طليطلة في مطلع القرن الخامس. وتلقى ابن العسال العلم على أبيه وعلى نفرٍ آخرين منهم ابن عبد البر ومكي بن أبي طالب وابن شق الليل محمد بن إبراهيم الأنصاري المحدث الطليبري (ت ٤٥٥ هـ). ويبدو أن ابن العسال كان قد انتقل إلى طليطلة ليسمع من ابن شق الليل، إذ أنه تولى فيها القضاء بعد أبي الوليد الوقشي.

ثم إن ابن العسال عاد إلى طليطلة. ولكن لما استولى الإسبان عليها، سنة ٤٧٨، انتقل منها إلى غرناطة. وكان ابن العسال يُقرئ الفقه والتفسير. وفي غرناطة كان يعظ الناس في مسجدها الجامع. وفيها كانت وفاته في عاشر رمضان من سنة ٤٨٧ (١٠٩٤/٩/٢٣ م).

٢ - أبو العسال اليحصبي فقيه زاهد غلب عليه حفظ الحديث والوعظ، وكانت له معرفة واسعة بالأدب والنحو والتفسير. وكان أديباً فصيحاً وشاعراً مطبوعاً، ولكن وصل إلينا نثف من شعره فقط. وكان له تأليف في الوعظ.

٣ - مختارات من شعره

- قال ابن العسال اليحصبي، بعد سقوط طليطلة، يرى الخطر الداهم على الأندلس من الإسبان:

يا أهل أندلس، حثوا مطيكم، فما المقام بها إلا من الغلظ.
الثوب ينسل من أطرافه، وأرى ثوب الجزيرة منسولاً من الوسط
ونحن بين عدو لا يفارقنا؛ كيف البقاء مع الحيات في سَفَط^(١).

- وله في التزهيد (نفع الطيب ٣: ٢٠٨ - ٢٢٨):

انظر الدنيا فإن أبصرتها شيئاً يدوم،
فاغد منها في أمان إن يساعذك النعم.

(١) السفط: وعاء (في الأصل، يوضع فيه الطيب).

وإذا أبصرتهَا من ك على كُرهِ تَهيم،
فاسل عنها واطرحها وارتحل حيث تُقيم.
- وقال أيضاً:

أعندكم علم بأنّي مُتيم؟ وإلا فما بال المدام تسجّم^(١)؟
وما بال عيني لا تغمض ساعة كأنّي في رعي الداراي منجم^(٢).

٤ - ★★ الصلة ٢٧٦؛ المغرب ٢: ٢١؛ بغية الوعاة ٢٨٦؛ نفح الطيب ٣: ٢٠٨، ٢٢٨، ٤؛
١٣٥؛ نيكل ٣١٣؛ مختارات نيكل ١٤٨ (وفيه أبو العسال)، ١٩٩.

أبو الحسن الحصري الضرير القيرواني

١ - هو أبو الحسن علي بن عبد الغني الفهري القيرواني الضرير الحصري، نسبة إلى صناعة الحصر، وُلِدَ في القيروان سنة ٤٢٠ هـ (١٠٢٩ م) في الأغلب. وقد توفيت أمه وهو صغير لم يجاوز دور الطفولة بعد، ثم أضرب (عمي). ويبدو أنه كان قد جاوز الخامسة والعشرين وقال الشعر حينما توفي أبوه قبيل ٤٤٩ هـ (١٠٥٧ م). تلقى الحصري الضرير القراءات وعلوم اللغة والأدب على أساتذة منهم أبو بكر عتيق بن أحمد بن إسحاق التميمي القصري (ت في شعبان ٤٤٧ هـ) وأبو علي الحسن ابن حسن بن حمدون الجلولي وأبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الحميد.

وعاش الحصري في القيروان منصرفاً إلى التدريس وإلى قول الشعر، ولكن يبدو أنه لم يتصل بالمعز بن باديس (٤٠٦ - ٤٥٣ هـ). وبعد هجوم العرب (البذو) على القيروان واستباحتها، سنة ٤٤٩ هـ، انتقل الحصري إلى سبتة حيث اشتغل بالتدريس أيضاً ولمع نجمه في عالم الشعر، فاستدعاه المعتمد بن عباد، وكان لا يزال أميراً، إلى إشبيلية. فلم يشأ الحصري أن يجوز إلى الأندلس، خوفاً من ركوب

(١) سجم: سال.

(٢) رعي: (مراقبة، رصد) الداراي (النجوم).

البحر، فكان يُرأسلُ المعتمدَ ويُرسِلُ إليه غلامه ليَحْمِلَ إليه من المعتمدِ الأموالَ والجوائز.

غير أنه عادَ فانتقلَ إلى الأندلسِ، سنةَ ٤٦٢ هـ (١٠٧٠ م)، واتَّصلَ ببِلَاطِ المعتمدِ ولكن سرعانَ ما غادره - لِسَبَبٍ لا نَعْرِفُهُ - وأخذَ يتطوَّفُ ببِلَاطاتِ ملوكِ الطوائفِ الآخرينَ: نَزَلَ في دانيةَ فَمَدَحَ أميرَها إقبالَ الدولة بنَ مُجاهِدِ العامريِّ، ولَمَّا استولى المقتدرُ بنُ هودٍ أميرُ سَرَقُسطَةَ على دانيةَ وأسرَ إقبالَ الدولة، نحو سنةَ ٤٦٨ هـ (١٠٧٥ - ١٠٧٦ م) لم يَجِدِ الحُصْرِيَّ ضِيراً في أن يمدَحَ المقتدرَ بنَ هودٍ (ت ٤٧٤ هـ). ويبدو أن الحُصْرِيَّ مَدَحَ بعدَ ذلك أبا عبد الرحمنِ مُحَمَّدَ بنَ طاهرٍ أميرَ مُرسِيَّةَ (٤٥١ - ٤٧١ هـ). وكذلك مدحَ المُعْتَصِمَ بنَ ضُحَاحٍ (ت ٤٨٠ هـ) أميرَ المَرِيَّةِ. ولعلَّه بقيَ في المَرِيَّةِ مُتَّصِلاً بأحدَ بنِ المعتمدِ.

في هذه الأثناء، أو بعدَ ذلك بقليلٍ، نَجِدُ الحُصْرِيَّ في مالَقَةِ يمدَحُ القاضيَ أبا المُطَرِّفِ الشَّعْبِيَّ ثُمَّ يمدَحُ خَلَفَهُ في القضاء أبا مروانَ بنَ حَسُونٍ (ت ٥٠٥ هـ).

ثم اضطربت أحوالُ الأندلسِ اضطراباً شديداً، لأنَّ الأمورَ كانت قد فَسَدَتْ بينَ ملوكِ الطوائفِ وبينَ سُلطانِ المرابطينِ يوسفَ بنِ تاشفينَ وبدأ المرابطون يَسْتَوْلُونَ على دُوِيَلاتِ ملوكِ الطوائفِ. وعاد الحُصْرِيُّ من الأندلسِ إلى طَنجَة، سنةَ ٤٨٣ هـ ومكثَ فيها إلى أن تُوُفِّيَ سنةَ ٤٨٨ هـ (١٠٩٥ م).

٢- أبو الحسنِ الحُصْرِيُّ الضَّريرُ أديبٌ مُتَرَسِّلٌ وشاعر. على أنَّ شُهرَتَهُ إِنَّمَا هي في شعره. وَهُوَ سَهْلُ الشعرِ سَريعُ النظمِ صاحبُ بديهةٍ ذو مَعَانٍ قَريبَةٍ حِسانٍ تَسْهَلُ سَيُورُوتُها على الألسُنِ، غزيرُ المادَّةِ اللُّغَوِيَّةِ صَحيحُ الأسلوبِ ولكنَّ تراكيبَهُ تَضَعُفُ أحياناً. ثُمَّ هو متكلفٌ في تَطَلُّبِ أوجهِ البلاغةِ (في نثره وشعره) يَقلِّدُ في ذلك نفراً من المشاركةِ والمعرِّيِّ (ت ٤٤٩ هـ) منهم خاصةً في لزومِ ما لا يَلْزَمُ على الأخصِّ (الديوان ١٣٣):

يَا أديباً مَلَكْتَنِي في يَدَيهِ المَكْرُمَاتُ
لَيْتَ قوماً دَأَبُهُمْ فيَّ وفيكَ المَكْرُ ماتوا.
وشِعْرُهُ كُلُّهُ قصيدٌ (ليس له توشيحٌ أو رَجَزٌ) في قصائدَ ومقطعاتٍ. ثُمَّ له تخميسٌ

وَمُعْشَرَاتُ (مقاطعُ تتألفُ كلُّ واحدةٍ منها من عشرة أبياتٍ) هُوَ مُبْتَكِرُهَا، وقد التزم فيها أن تكون مبادئها كقوافيها:

زخارفُ دُنْيَانَا الأنيقة أصبحتُ هشيأَ كما رثَ الرداءُ المَطرُزُ.
زَمَانَ الصبَا، للهِ درُّكَ، لم تَرَكَ مواعيدُ من نَهَوَى لَنَا فيكَ تُنَجِّزُ^(١).
زَعَمْتُمْ بَأَنَّ الحَبَّ فيه تَدَلَّلُ؛ صَدَقْتُمْ! وفيهِ لِلْمِلَاحِ تَعَزُّزُ.

للحُصْرِيِّ مَدِيحٌ لِلتَكْسَبِ، وَرَبِّمَا أَحْسَنَ فِي مَدْحِ الذِّينِ يُحِبُّهُمْ. وله رثاءٌ كثيرٌ، وخصوصاً في وطنه - بعد نكبة القيروان - وفي ابنه عبد الغني، وهجاءٌ مُرَّ لاذعٌ ونسيبٌ قليلٌ فيه عذوبة وريقة وبراعة. وله أيضاً شيء من الحكمة والمواعظ والشكوى.

وآثار الحصري الضرير:

١ - رسائلُ إخوانيةٌ وخطبٌ ليس فيها براعةٌ سوى تكلفٍ أوجهِ البلاغةِ بجعلِ الخطبةِ عاطلةً (خالية من الإعجام: النقط على الأحرف) أو منقوطةً على جميع حروفها.

٢ - مجموعاتٌ مختلفةٌ من الشعر:

(أ) المُعْشَرَاتُ: مقطّعاتٌ في الغزل تتألفُ كلُّ واحدةٍ منها من عشرة أبياتٍ على جميع حروفِ الهجاء، أي مَائَتَيْنِ وَتِسْعِينَ بيتاً (باعتبار «لا» حرفاً مُستقلاً). وكلّ مقطوعةٍ تبدأ أبياتها وتنتهي بحرفٍ واحدٍ وليس هذا الكتاب للحصري صاحب «زهر الآداب»...

(ب) اقتراحُ القريحِ واجترأحُ الجريح: مجموعٌ من الشعر في رثاء ابنه عبد الغني، وقد عاشَ تِسْعَ سَنَوَاتٍ وأربعة أشهرٍ (نحو ٤٦٦ - ٤٧٥ هـ). وفي هذا الديوان قصائدٌ على حروفِ الهجاء منها تِسْعٌ وعشرون مقطوعةً على نَمَطِ المُعْشَرَاتِ (ولكنّه جعل كلَّ مقطوعةٍ منها خَمْسَةَ عَشَرَ بيتاً).

(١) أنجز الوعد: وفى به (حققه) - ما زلنا قادرين على أن نتمتع بما يعدنا به المحبون (ما زلنا في أول الشباب).

(ج) مُسْتَحْسَنُ الْأَشْعَارِ: قصائد في مدح المعتمد بن عباد.

(د) متفرقات مختلفة فيها القصيدة المشهورة: «يا ليل الصب متى غده؟».

٣ - مختارات من آثاره

- للحُصْرِيّ الضَّرِيرِ قصيدةٌ طويلةٌ مطلعها: يا ليل الصب متى غده! قالها في مدح الأمير أبي عبد الرحمن محمد بن طاهر صاحب مُرْسِيَّة (ت ٤٥٥ هـ). في ذلك الحين كان الحُصْرِيّ يُدْرَسُ في جامع مُرْسِيَّة فَوْشَى جماعةٌ به إلى الأمير وقالوا إِنَّهُ يَشْتِمُهُ في مجالسِهِ. فنظم الحُصْرِيّ هذه القصيدة ليدفع التهمة عن نفسه أو ليتبرأ منها. والقصيدة تسعة وتسعون بيتاً منها ثلاثة وعشرون في مطلعها في الغزل من هذه القصيدة:

يا ليلُ، الصبّ متى غدهُ	أقيامُ الساعةِ موعدهُ ^(١) ؟
رَقَدَ السَّارُ فَأَرَقَهُ	أُسْفُ للبين يُرَدِّدهُ ^(٢) .
فبكاه النجمُ ورقاً له	ما يرعاه ويرضدهُ ^(٣) .
كَلَفُ بَغْزَالٍ ذِي هَيْفٍ	خَوْفُ الْوَاشِينَ يُشَرِّدهُ ^(٤) .
نَصَبَتْ عَيْنَايَ لَهُ شَرْكَاءَ	فِي النَّوْمِ فَعَزَّ تَصَيِّدهُ.
صَنَمٌ لِلْفِتْنَةِ مُنْتَصِبٌ	أَهْـوَاهُ وَلَا أَتَعَبِّدهُ.
صَاحٍ - وَالْخَمْرُ جَنَى فِيهِ -	سُكْرَانُ اللَّخْظِ مُعْرِبهُ.
يَنْضَوُ مِنْ مَقْلَتِهِ سَيْفًا،	وَكأنَّ نَعَاساً يُغْمِدهُ ^(٥) .
فِيرِيقُ دَمِ الْعُشَّاقِ بِهِ؛	وَالْوَيْلُ لِمَنْ يَتَقَلَّدهُ.
كَلَا، لَا ذَنْبَ لِمَنْ قَتَلْتُ	عَيْنَاهُ وَلَمْ تَقْتُلْ يَدَهُ.
يَا مَنْ جَحَدَتْ عَيْنَاهُ دَمِي،	وَعَلَى خَدَّيْهِ تَوَرَّدَهُ،

(١) الصَّب: الحب. قيام الساعة: يوم القيامة.

(٢) السامر: الساهر بالليل يتحدث إلى رفاقه. البين: البعاد، الهجر.

(٣) رعى الرجل النجم (راقب حركته). رصده: درس مواقعه (تبدل مواقعه في السماء).

(٤) الكلف: الشديد الحب. الهيف: دقة الحصر.

(٥) نضا الرجل السيف: شهره (أخرجه من بيته ليقا تل به).

خَدَاكَ قَدْ اعْتَرَفَا بَدَمِي
إِنِّي لِأَعِيدُكَ مِنْ قَتْلِي
بِاللَّهِ، هَبِ الْمُشْتَاقَ كَرَرِي
مَا ضَرَّكَ لَوْ دَاوَيْتَ ضَنْيَ
لَمْ يُنْقِ هَوَاكَ لَهُ رَمَقًا،
وَعِدًا يَقْضِي أَوْ بَعْدَ غَدٍ؛
الْحُبُّ أَعْفُ ذَوِيهِ أَنَا
كَالدَّهْرِ أَجَلُ بَنِيهِ أَبُو
فَالْيَوْمَ هُوَ الْمَلِكُ الْأَعْلَى
هَيْنٌ لَيْنٌ فِي عِزَّتِهِ،
يَطْوِي الْأَيَّامَ وَيَنْشُرُهَا،
تَرَكَ اللَّذَاتِ، فَهَمَّتْهُ
وَهْدَى فِي الْخَيْرِ يُرْغَبُهُ،
مَنْ ذَمَّ الدَّهْرَ وَزَارَكَ، يَا
إِنْ ذَلَّ فَجِشْكَ يَنْصُرُهُ،
أَوْ رَاحَ إِلَى أُمْنِيَّتِهِ
أَنْتَ الدُّنْيَا وَالِدِينُ لَنَا
لَوْ أَنَّ الصَّخَرَ سَقَاهُ نَدَى
أَتَرَكَ غَضِبْتَ لِمَا زَعَمُوا
فَبَدَا مِنْ سَيْفِكَ مُبْرِقُهُ،

فَعَلَامَ جُفُونُكَ تَجَحَدُهُ؟
وَأَظُنُّكَ لَا تَتَعَمَّدُهُ.
فَلَعَلَّ خَيَالِكَ يُسْعِدُهُ!
صَبِّ يُذْنِيكَ وَتُبْعِدُهُ^(١)؟
فَلْيَبْكِ عَلَيْهِ عُودُهُ^(٢)
هَلْ مِنْ نَظَرٍ يَتَزَوَّدُهُ؟
- غَيْرِي بِالْبَاطِلِ يُفْسِدُهُ -
عَبْدُ الرَّحْمَنِ مُحَمَّدُهُ.
مَوْلَى مَنْ شَاءَ وَسَيِّدُهُ؛
لَكِنْ فِي الْحَرْبِ تَشَدُّدُهُ.
وَيُقِيمُ الدَّهْرَ وَيُقْعِدُهُ.
عِلْمٌ يَرْوِيهِ وَيُسْنِدُهُ^(٣)
وَتُقَى فِي الْمُلْكِ يُزَهِّدُهُ.
مَلِكُ الدُّنْيَا، فَسَيَحْمَدُهُ.
أَوْ ضَلَّ فَرَأْيُكَ يُرْشِدُهُ؛
ظَنَانٌ فَحَوْضُكَ يُورِدُهُ.
وَكَرِيمُ الْعَصْرِ وَأَوْحَدُهُ.
كَفَيْكَ لِأَوْرَقَ جُلْمَدُهُ^(٤).
وَطَمَى مِنْ بَحْرِكَ مُزْبِدُهُ^(٥)،
وَعَلَا مِنْ صَوْتِكَ مُرْعِدُهُ!

(١) الضنى: شدة المرض (مع التحول) ..

(٢) الرمق: بقية الروح (في الجسم). العائد: الذي يزور المريض.

(٣) يرويه (عن العلماء) ويسنده (يذكر الراويين الذين قبله): علمه كثير وموثوق.

(٤) الندى: الكرم. الجلمد: الصخر القاسي.

(٥) طمى الماء في النهر أو البحر: ارتفع (كثير). المزيد: الهائج (حينما يصبح الزبد عائماً على الأمواج).

أَنْتَ الْمَوْلَى، وَالْعَبْدُ أَنَا؛ فَبَأْيٍ وَعِيدِكَ تُوعِدُهُ؟
 مَا لِي ذَنْبٌ فَتَعَابَيْنِي؛ كَذِبَ الْوَاشِي تَبَّتْ يَدُهُ (١) !
 وَلَوْ اسْتَحَقَّقْتُ مُعَاقِبَةً لِأَبَى كَرَمٍ تَتَمَوَّدُهُ.
 أَهْدَيْتُ الشَّعَرَ عَلَى شَحْطٍ وَنَدَاكَ قَرِيبٌ مَوْلَدُهُ (٢).
 مَا أَجُودَ شَغْرِي فِي خَبَبٍ! وَالشَّعْرَ قَلِيلٌ جَيِّدُهُ (٣).
 لَوْلَاكَ تَسَاوَى بَهْرَجُهُ، فِي سَوْقِ الصَّرْفِ، وَعَسَجَدُهُ (٤)؛
 وَلَضَاعَ الشَّعْرَ لِنْدِي أَدَبٍ أَوْ يُنْفِقُهُ مَنْ يَنْقُدُهُ (٥) !

- وَلِلْحَضْرِيِّ الضَّرِيرِ رِسَالَةٌ يَهْجُو فِيهَا أَبَا الْحُسَيْنِ بْنِ الطَّرَاوَةِ:

..... وَزَعَمَ هَذَا الْأَهْوَجُ الْأَعْوَجُ أَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ رَسْمِي وَلَا سَمِعَ بِاسْمِي؛ كَأَنَّهُ وَلَدٌ
 بِالْأَمْسِ أَوْ بُعِثَ مِنَ الرَّمْسِ أَوْ عَمِيَ عَنِ الشَّمْسِ. لَوْ عَلِمَ قَدَرَ نَفْسِهِ لَمْ يَجْهَلِ الْعِلْمَ،
 وَلَوْ أَرَادَ السَّلَامَةَ لَأَلْقَى السَّلَامَ.....

- وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَاطِلِيَّةٍ (غَيْرِ مُعْجَمَةٍ):

الْحَمْدُ لِلَّهِ مَالِكِ الْمُلْكِ وَلَا أَمَدَ، وَمُتْسِكِ السَّمَاءِ وَلَا عَمَدَ؛ (١) سَمَكَهَا وَأَطْلَعَ مُهْلَهَا،
 وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا (٢)، لَا أَمْرَ إِلَّا أَحْكَمُهُ، وَلَا مُرَادَ إِلَّا حَكَّمَهُ. لَا إِلَهَ إِلَّا
 هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ، لَا وَلَدَ لَهُ وَلَا وَالِدَ.....

صَلَاحُ الْعَادَةِ أَصْلُ السَّعَادَةِ، وَالْوُدُّ مَعَ الْمَلَلِ أَسْوَأُ الْمَلَلِ (٣) ...

- وَقَالَ فِي مَوْتِ الْمُعْتَضِدِ وَخِلَافَةِ ابْنِهِ الْمُعْتَمِدِ لَهُ:

- (١) تَبَّتْ: انْقَطَعَتْ، هَلَكَتْ.
- (٢) الشَّحْطُ: بَعْدَ الدَّارِ وَالْمَسْكَنِ.
- (٣) الْخَبَبُ بَحْرٌ (وَزْنٌ) مِنْ بَحُورِ الشَّعْرِ يَنْدُرُ أَنْ تَنْظُمَ عَلَيْهِ الْقَصَائِدَ الطُّوَالَ.
- (٤) الْبَهْرَجُ: الْبَاطِلُ (قِطْعَةُ الْعَمَلَةِ الْمَفْشُوشَةِ الَّتِي لَا تَقْبَلُ فِي السُّوقِ). الْعَسَجَدُ: الذَّهَبُ.
- (٥) يَنْفِقُهُ (يَشْتَرِي مِنْهُ كَثِيرًا حَتَّى يَرُوجَ: يَكْثُرُ عَلَيْهِ الطَّلَبُ) مَنْ يَنْقُدُهُ (مَنْ يَعْرِفُ الْجَيِّدَ مِنْهُ مِنَ الرَّدِيِّ).
- (٦) الْأَمَدُ: الْمُدَّةُ. الْعَمَدُ جَمْعُ عُمُودٍ.
- (٧) سَمَكَهَا: رَفَعَهَا. الْمَهْلُ: أَطْلَعَ اللَّهُ مَهْلَ الْأَرْضِ: أَخْرَجَ مِنْهَا الْمَعَادِنَ. عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا (الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ: ٢ : ٣١ ، سُورَةُ الْبَقَرَةِ) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي عَلَّمَ الْإِنْسَانَ اللَّفْظَ الَّتِي يَتَكَلَّمُ بِهَا.
- (٨) الْمَلَّةُ: الدِّينُ، الشَّرِيعَةُ (الْعَادَةُ). وَالتَّاءُ الْمَرْبُوطَةُ لَا تَعُدُّ هُنَا مِنْ ذَوَاتِ النِّقْطِ.

مات عبّادٌ ولكن بقي الفرع الكريم .
فكأنّ الميّت حيّ غير أنّ الضادّ ميم^(١) .

- ٤-★★ أبو الحسن الحصري القيرواني: عصره، حياته، رسائله، ديوان المتفرقات النخ، تأليف محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحيى، تونس (مكتبة المنار) ١٩٦٣ م.
- معارضات قصيدة « يا ليل الصّب » (جمعها عيسى اسكندر المعلوف)، القاهرة (مطبعة الهلال) ١٩٢١ م؛ معارضات قصيدة الحصري (جمعها يحيى الدين رضا)، القاهرة ١٣٣٨ هـ = ١٩١٩ م، الطبعة الثانية ١٣٤٢ هـ = ١٩٢٤ م؛ « يا ليل الصّب ومعارضاتها لكبار شعراء العربية ». الطبعة الرابعة، القاهرة (دار إحياء الكتب العربية) ١٩٥١ م.
جذوة المقتبس ٢٩٦؛ بغية الملتبس ٤١٢ - ٤١٣؛ الذخيرة ٤: ٢٤٥ - ٢٦٤؛ الصلة ٤١٠؛ معجم الأدباء ١٤: ٣٩ - ٤١؛ وفيات الأعيان ٣: ٣٣١ - ٣٣٤؛ الخريدة (الأندلس) ٤: ٥٠ - ٥١؛ نكت الهميان ٢١٣ - ٢١٤؛ ابن قنفذ ٢٥٩ - ٢٦٠؛ بغية الوعاة ٣٤١ - ٣٤٢؛ شذرات الذهب ٣: ٣٨٥ - ٣٨٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٤٠ - ٦٤١؛ بروكلمن ١: ٤٠٨، الملحق ١: ٤٧٩؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٥٨؛ الأعلام للزركلي ٥: ١١٤ - ١١٥ (٤: ٣٠٠).

المعتمد بن عبّاد

- ١- هو الْمُعْتَمِدُ عَلَى اللَّهِ، الظافر المؤيد، أبو القاسم محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل بن عباد، ولد في ربيع الأول من سنة ٤٣٢ (كانون الأول ١٠٤٠) في مدينة باجة قرب إشبيلية. وتقع حياة المعتمد السياسية والأدبية في ثلاثة أدوار:
(أ) دور الشباب - حينما كان أميراً يتبع اللهو ويغشى مجالس الأنس غير مُلْقٍ بالآ إلى تكاليف الحياة. لما بلغ المعتمد الثالثة عشرة من عمره (٤٤٥ هـ = ١٠٥٣ م) عينه والده والياً على شُلب (في أقصى الجنوب الغربي من الأندلس) وبعث معه الشاعر أبا بكر بن عمّار نديماً ووزيراً. وكان ابن عمّار أَسَنَّ من المعتمد بتسع سنوات. ومكث المعتمد في شلب خمس سنوات أو تزيد قليلاً ثم استدعاه والده إلى إشبيلية على أثر ما

(١) عبّاد لقبه المعتضد (بالضاد قبل الدال) وابنه محمد لقبه المعتمد (بالميم قبل الدال).

بلغه من انغماسه في الملاذّ واندفاعه مع ابن عمّار في شيء من المجون. غير أن ابن عمار بقي وزيراً للمعتضد.

(ب) دور الرجولة - حينما بدأ والده يعهد إليه بقيادة الحملات ثم حينما أصبح ملك إشبيلية. في مطلع هذا الدور التقى المعتمد بالجارية التي تزوّجها: كان المعتمد يتنزه مع ابن عمار (٤٥١ هـ = ١٠٥٩ م) على ضفاف نهر الوادي الكبير، قرب مرج الفضة، فأخذ المعتمد بمنظر الماء المتموّج فقال:

صنع الريح على الماء زرّذ

وطلب من ابن عمار أن يُجيزه. فتوقف ابن عمار قليلاً. وكان على شاطئ النهر جوارٍ يملآن الماء فقالت احداهن:

أَيُّ دِرْعٍ لِقَتَالِ لَوْ جَمَدًا!

فأعجب المعتمدُ بذكاء تلك الجارية وبجهاها - وكان اسمُها اعتادَ جاريةَ الرُمَيْك بن الحجاج - فاشتراها من سيدها وتزوجها وهو لا يزال ولياً للعهد. ولم يرض المعتضد عن هذا الزواج في أول الأمر. ولكن لما ولدت الرُمَيْكية للمعتمد بكَرّه عباداً، بعث المعتمد بالطفل وأمه إلى أبيه المعتضد. ورأى المعتضد حفيده فامتلاً حنوّاً وعاد إليه رضاه.

في نحو ذلك الزمن غضب المعتضد على ابن عمار فأخرجه من بلاطه. فتنقل ابن عمار في عدد من بلاطات ملوك الطوائف حتى استقر في بلاط المقتدر بن هود في سرّ قُسطة.

وتوفي المعتضد في سنة ٤٦١ هـ (١٠٦٩ م) فخلفه ابنه المعتمد. وكان أول ما فعله المعتمد أن استدعى ابن عمار واستوزره. وأقام المعتمد قصوراً حول إشبيلية تزخر بالترف وتغرق في الجنات والأشجار والأزهار. واتفق أن دخل يوماً، (في نحو سنة ٤٧٤ هـ = ١٠٧٠ م) فرأى امرأته تنظر من نافذة القصر إلى شاطئ النهر. فسألها عما استأثر بانتباهها، فأشارت إلى جوارٍ كُنْ يملآن ماء من النهر وهن حافيات يَفُصْنَ في الطين وقالت إنها تذكرت أيامها الأولى يوم كانت تفعل مثلهن. فجاء المعتمد بماء

الورد وبالمسك والسكر ثم أمر بجبلها وجعلها في باحة القصر؛ فأخذت الرميكية وبناتها الصغيرات - فيما قيل - يَسِرْنَ حافيات في هذا المزيح المُتَرَف على أنه طين. ولكن يبدو أن أفكار الرميكية كانت ذاهبة في أبعد من النظر إلى الجواري الحافيات على شاطئ النهر، ذلك أن الشاعر ابن عمار كان قد أصبح ذا نفوذ عظيم على زوجها. فقالت لزوجها ذات يوم بعد ذلك: لم أَر منك يوماً صالحاً. فقال لها: « ولا يوم الطين! »

(ج) المعتمد في الأسر - وعادَ العربُ في الأندلس إلى النزاع فيما بينهم، فلم يجِد يوسفُ بنُ تاشفينُ بُدْأً من القضاء على ملوكِ الطوائف وضمَّ بقايا الأندلس إلى دولته. وكان أن خَلَعَ يوسفُ بنُ تاشفينُ المعتمدَ بنَ عبَّادٍ وحَمَلَهُ أسيراً إلى حصن أغمات، قُربَ مدينةِ مَرَّاكُش، هو وأفرادُ أسرته.

وكان للمعتمد ابنٌ اسمه عبدُ الجبار كان قد تخفَّى لما أُسِرَ أبوه فلم يَصِل المرابطون إليه. فلما خَرَجَ عبدُ الجبار من مَخْبَأه، بُعيدَ سَنَةِ ٤٨٦ هـ (١٠٩٣ م) وثار في مدينة أرقش على حُكم المرابطين غَضِبَ ابنُ تاشفينَ وقيدَ المعتمدَ في سِجْنِه. فكان ذلك مما زادَ في حُزن المعتمدِ وآلامِه. ثم إن عبد الجبار قُتِلَ بعدَ قليل. وتُوفِّيَت الرُمَيْكِيَّة بعده بَمدَّةٍ يسيرة. ثم تُوفِّيَ المعتمدُ في شَوَّالٍ من سَنَةِ ٤٨٨ (تشرين ١٠٩٥).

٢ - كان المعتمدُ بنُ عبَّادٍ من أُسرَةٍ من الشعراء: أسلافه شعراءُ وأولاده - صبياناً وبنات - شعراء، ولكنه هو كان أشعرهم قاطبةً، وأشعرَ ملوكِ الأندلس على الإطلاق. ونَعِمَت مملكةُ إشبيليةَ بالثروة والتَرَف، وكان بَلاطُ المعتمدِ عُنوانَ ذَنبِكَ الثروة والترف فجمَعَ المعتمدُ في بَلاطه هذا من الشعراء والعلماء ما لم يكن قد اجتمع مثله في بَلاطٍ ما من قبل، إلاَّ أنَّ الشعرَ كان أغلبَ فيه على جَمِيعِ فنونِ الأدب. ولم يَسْتَوِزِرِ المعتمدُ وزيراً إلاَّ أن يكونَ أديباً شاعراً، وقد كان اهتمامه بالشعر فوق اهتمامه بإدارة مملكه. وكذلك كان ناقداً للشعر عارفاً به وبرجاله وبقصائده.

وشعرُ المعتمدِ بنِ عبَّادٍ صورةٌ لحياته، وهو من هذه الناحية قِسمان: قسمٌ قاله قبل أسره (وهو شعرٌ مُتَرَفٌ أُنِيقٌ يَمِيلُ إلى التكلُّف والصناعة ويدورُ حولَ المدح والحماسة والوصف والغزل والعتاب والرثاء، ويبرُزُ بروزاً واضحاً في وَصْفِ مجالس

السُرور ووصفِ المَعارِك) ثمَّ قَسَمَ قاله بعدَ أسِرِه (وهو أَصْدَقُ أشعاره عاطفَةً وأكثَرُه أثراً في النفس - ولا ريبَ، فقد كان يُعَبِّرُ في هذا الشعرِ عن حاله التي يَخْتَبِرُها في حاضِرِه). قال أميليو غرسيه غومس (الشعر الأندلسي ١٠٧): « فالتقصائدُ التي قالها (المعتمدُ بن عبّادٍ) في مَنْفاهُ في أغْياتٍ وَصَوَّرَ فيها مراراتِ السجْنِ وَالْأَمِّ النَّفْيِ تُعَدُّ من أَرْوَعِ ما لَدَيْنَا من غُرَرِ الشِّعرِ العالَميِّ ».

٣ - مختارات من شعره

- لما كان المعتمدُ والياً على شِلْبَ (٤٤٠ - ٤٤٥ هـ) انغمسَ في اللهو انغماساً أغضبَ أباه المعتضدَ. أدرك المعتمدُ خطأه ومغبةَ هذا الخطأ على مستقبله، فكتب إلى أبيه بهذه القصيدة يمدِّحُ بها ويترضاها:

سَكَنَ فَوادَكَ لا تَدَهَبُ بِكَ الفِكرُ!	ماذا يُعيدُ عليك البَثُّ والحذرُ؟ ^(١)
وازجرُ جُفونَكَ لا تَرْضَ البُكاءَ لها،	واصْبِرْ فقد كنتَ عندَ الخطْبِ تصطَبِرُ ^(٢) .
فإن يَكُنْ قَدَرٌ قد عاقَ عن وَطَرٍ،	فلا مَرَدٍّ لما يَأْتِي به القَدَرُ ^(٣) ؛
وإن تَكُنْ خَيَبَةٌ في الدهرِ واحدةً،	فكم غَزَوْتَ ومنَ أشْياعِكَ الظفرُ ^(٤)
مَنْ مِثْلُ قَوْمِكَ؟ مَنْ مِثْلُ الهامِ أَيْ	عمرو أيبكَ له مجدٌ ومُفتخِرُ؟
سَمِيدَعٌ يَهَبُ الآلافَ مُبتدئاً	ويستقلُّ عطاياهُ ويعتذرُ ^(٥) .
له يدٌ كلُّ جَبَّارٍ يُقْبَلُها؛	لولا نداها لقلنا إنها الحجرُ ^(٦) !
يا ضِعْفاً يَقْتُلُ الفُرسانَ مُفترساً،	لا تُوهِنَنِي فَإني النابُ والظفرُ ^(٧) .

(١) البَثُّ: الحزن.

(٢) زجر: منع. الخطب: الأمر العظيم الصعب (المصيبة).

(٣) إذا كانت إرادة الله قد عاقت (أخرت) إنساناً عن وطَرٍ له (غاية) فَإِنَّه لا يستطيع أن يبدل شيئاً من قضاء الله وقدره.

(٤) إذا كنتُ (يا والدي) قد خبت مرةً واحدة (في ما أملتُ في أنا)، فكم من مرةٍ قد ظفرت بأعدائك في الغزوات.

(٥) السמידع: السيّد الشجاع الكريم.

(٦) نداها: كرمها (وفي البيت تورية: نداها: لينها أيضاً ملموحة من القرينة «الحجر»).

(٧) الضيفم: الأسد الواسع الشدق. أوهنه: أذهب قوّته وجعله ضعيفاً. فَإني الناب والظفر (لك) سادافع في المستقبل عنك وعن مجدك.

قد أَخْلَفْتَنِي صُرُوفٌ أَنْتَ تَعْلَمُهَا،
فَالنَّفْسُ جَارِعَةٌ، وَالْعَيْنُ دَامِعَةٌ،
لَمْ يَأْتِ عَبْدُكَ ذَنْبًا يَسْتَحِقُّ بِهِ
مَا الذَّنْبُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ ذَوِي دَغَلٍ
قَوْمٌ نَصِيحَتُهُمْ غِشٌّ، وَحُبُّهُمْ
يُمَيِّزُ الْبُغْضُ فِي الْأَلْفَاظِ إِنْ نَطَقُوا،
أَجِبْ نِدَاءَ أَخِي قَلْبَ تَمَلَّكُهُ
لَمْ أَوْتَ مِنْ زَمَنِي شَيْئًا أَلَذُّ بِهِ:
وَلَا تَمَلَّكَنِي دَلٌّ وَلَا خَفَرٌ،
رِضَاكَ رَاحَةٌ نَفْسِي - لَا فُجِعْتُ بِهِ -
كَمْ وَقَعَةٍ لَكَ فِي الْأَعْدَاءِ وَاضِحَةٍ
مَا تَرَكَنِي الْخَمْرَ عَنْ زُهْدٍ وَعَنْ وَرَعٍ
وإِنَّمَا أَنَا سَاعٍ فِي رِضَاكَ، فَإِنْ

وَعَالَ مَوْرَةَ آمَالِي بِهَا كَسَدٌ (١).
وَالصَّوْتُ مَنْخَفُضٌ وَالطَّرْفُ مَنكَسِرٌ (٢).
عَتَبًا، وَهَا هُوَ قَدْ نَادَاكَ يَعْتَذِرُ.
وَفِي لَهُمْ عَذْلُكَ الْمَالُوفُ إِذْ غَدَرُوا (٣).
بُغْضٌ، وَنَفْعُهُمْ - إِنْ صَرَفُوا - ضَرَرٌ (٤).
وَيُعْرِفُ الْحَقْدُ فِي الْأَلْفَاظِ إِنْ نَظَرُوا.
أَسَى، وَذِي مُقْلَةٍ أَوْدَى بِهَا سَهْرٌ (٥).
فَلَسْتُ أَعْرِفُ مَا كَأْسٌ وَلَا وَتَرٌ (٦)،
وَلَا سَبَى خَلْدِي غُنْجٌ وَلَا حَوْرٌ (٧).
فَهُوَ الْعَتَادُ الَّذِي لِلدَّهْرِ أَدْخِرُ (٨).
تَفَنَّى اللَّيَالِي وَلَا يَفْنَى بِهَا الْخَبَرُ
فَلَمْ يُفَارِقْ، لَعَمْرِي، سِنِّي الصِّغَرُ (٩).
أَخْفَقْتُ فِيهِ فَلَا يَفْسَحُ لِي الْعُمُرُ (١٠)!

- (١) إِنَّ أَحْوَالَ لَا أَمْلَكُهَا قَدْ كَثُرَتْ حَيَاتِي. الصرف (الحادث المؤلم) غال: قتل. المورد: مكان شرب الماء.
- (٢) الطرف: العين.
- (٣) الدغل: العيب والفساد (شر). عاملتهم بالعدل والإحسان فازدادوا شرًا.
- (٤) صَرَفَ الرَّجُلُ الْأَمْرَ: دَبَّرَهُ. حَتَّى لَوْ أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوا لَجَاءَ مِنْ مَحَاوِلَتِهِمُ النَّفْعَ ضَرَرٌ (لَأَنَّهُمْ جَهَالٌ لَا يَفَرَّقُونَ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَلَا بَيْنَ النَّفْعِ وَالضَّرَرِ).
- (٥) الأسى: الحزن. أودى: أهلك.
- (٦) أوت - أوتى (مبني للمجهول): أعطى.. ما كنت أعرف سببات الكأس (الخمر) والوتر (الفناء = اللهو).
- (٧) الدل: حالة من الوفاق مع الاطمئنان (يوحى بها إلى الإنسان بثقته باعجاب الناس به أو بتأثيره فيهم). الحفر: اشتداد الحياء (وهو من صفات الجاهل في النساء). سبى: أسر، ملك. الخلد: البال، النفس. الحور: اشتداد بياض العين واشتداد سوادها. الغنج: إتيان المرأة بأقوال وأفعال من الدلال تتحجب بها إلى زوجها.
- (٨) العتاد: المدة، ما يهتبه الإنسان ويستعد به للقاء المستقبل والعدو الخ. ادخر: خبأ (للمستقبل)، كثر.
- (٩) كنت أشرب الخمر، وقد تركتها الآن. لم أتركها زهداً فيها (ميلاً عنها وكرهاً بها) ولا ورعاً (للتقوى) لأنني لا أزال صغير السن، والزهد والورع يكونان عادة في أواخر العمر.
- (١٠) تركتها إرضاء لك. إن أخفقت: خبت (لم ترض أنت غني). فلا يفسح لي العمر: لا طال عمري!

- وقال يُخاطبُ أبا بكرٍ بنَ عَمَّارٍ ويُذَكِّرُهُ أَيامَهَا في شِلْبَ:

أَلَا حَيَّ أَوْطَانِي بِشِلْبَ، أبا بكرٍ،
وسَلِّمْ على قَصْرِ الشَّرَاجِبِ عن قَيَّ
منازلُ آسَادٍ وبيضٍ نواعِمِ
وكم لَيْلَةٍ قد بَتُّ أَنْعَمُ جُنْحَهَا
وبيضٍ وَسَمِرٍ فاعِلَاتٍ بُمُهَجَتِي
وليلٍ بِسَدِّ النهرِ لَهَوًا قَطَعْتَهُ
وبَاتَتْ تُسْقِيْنِي المَدَامَ بلَحْظَهَا
وتَطْرِبُنِي أوتارَهَا، فكأنَّنِي
نَضَّتْ بُرْدَهَا عن غُصْنِ بَانٍ مَنْعَمٍ

وسَلِّمْ: هل عهدُ الوصالِ كما أدري^(١)؟
له أبدأ شوقًا إلى ذلك القصر^(٢).
فناهيكَ من غَيْلٍ وناهيكَ من خِدرٍ^(٣).
بُخْصِيَةِ الأُرْدافِ مُجْدِبَةِ الحَصْرِ^(٤).
فَعَالَ الصَّفَاحِ البِيضِ والأَسَلِ السُّمْرِ^(٥).
بذاتِ سِوَارٍ مثلِ منعطفِ النهرِ^(٦).
ومِنْ كَأْسِهَا حِينًا وَحِينًا من الثغرِ.
سَمِعْتُ بأوتارِ الطُّلَى نغمَ البُتْرِ^(٧).
نَضِيرٍ كما أَنشَقَّ الكَيَّامُ عن الزهرِ^(٨).

- وقال في الخمر (يصف تَلَأُلُو الخمر بالبرق ويصف الساقية الجميلة بشمس الضحى):

رِيَمَتْ من البرق وفي كَفِّهَا
عَجِبْتُ منها وهي شمسُ الضُّحَى
- كان للمعتمد جارية يحبها اسمها سحر، ف وقعت بينها جَفْوَةٌ فتركت زيارته.
واتفق أن مرض المعتمد فجاءت سحر تزوره فقال:

- (١ و ٢) شلب في أقصى الجنوب الغربي من جزيرة الأندلس (في البرتغال اليوم). والشراجب قصر في شلب.
(٣) آساد - أسود (أبطال، شجعان) وبيض: نساء جميلات. ناهيك: يكفيك. من غَيْلٍ ومن خدر (من بلد هو في الوقت نفسه مسكن للأسود ومسكن للنساء الجميلات).
(٤) جنح الليل: قطعة منه شديدة السواد. أنعم جنحها (في أثناء جنحها: في أثنائها). مخصة: كبيرة، كثيفة. الردف (بالكسر) وسط البدن. مجدبة الحصر: نخيلة الحصر.
(٥) بيض وسمر (نساء جميلات). الصفايح البيض (السيوف) والأسل السمر (الرماح).
(٦) مثل منعطف النهر: في الجبال (؟).
(٧) أوتارها = أوتار عودها. أوتار الطلى: عروق الرقبة. البتر جمع أبتَر (المقطوع الذنب، الخ)، وهو يقصد البواتر جمع باتر (السيف). صوت عودها ذكره صوت السيوف التي كان يسمعا في المعارك التي خاضها!
(٨) نضى: خلع. البرد: ثوب من الحرير. البان: شجر أغصانه طويلة مستقيمة سمراء (يشبه بها القوام الجميل). الكأسة: الكأس (الأوراق الخضر التي تغلف الزهرة قبل تفتحها).

سأُسالُ ربِّي أنْ يَدِيمَ لي الشَّكْوَى
إذا عِلَّةٌ كانتَ لِقربِكَ عِلَّةً،
شكوتُ وسُحرَ قد أَغَيَّتْ زيارتي
فيا عَلَيَّ، دومي فأنتَ حَبِيبَةُ؛
وقد قَرَّبْتَ مِن مَضْجَعِي الرِّشَاءَ الأَحْوَى^(١).
تَمَنَّيتُ أنْ تَبْقَى بِجِسمِي وَأَنْ تَقْوَى^(٢)،
فجاءتْ بِها النِّعْمَةُ الَّتِي سَمِيتْ بِلَوَى^(٣).
ويا رَبِّ، سَمِعاً مِن نَدائِي والشَّكْوَى^(٤).

- وقال يصف شمعَةً:

وشمعةٌ تنفي ظلامَ الدُّجَى
سَاهَرَتْها، وَالكَأْسُ يَسْمَى بِها
ضياؤها لا شَكَّ مِن وَجْهِه،
نَفْيَ يَدَيِ العُدَمِ عَنِ النَّاسِ^(٥)
مَنْ رَيْقُهُ أَشْهَى مِنَ الكَأْسِ.
وَحَرُّها مِنْ حَرِّ أنْفاسي!

- وقال في الغزل:

ثلاثَةٌ منَعَتْها عَنِ زيارَتِنا،
ضوءُ الجَبِينِ ووَسْواسُ الحَلِيِّ وما
هَبَ الجَبِينُ بِفَضْلِ الكَمِّ تَسْتَرُه،
خوفُ الرَقِيبِ وخوفُ الحاسِدِ الحَقِّ^(٦).
تَحْوِي مَعاظِفَها مِنْ عَنبرِ عَيْقٍ^(٧).
والحَلِيِّ تَنْزِعُه، ما حِيلَةُ العَرَقِ^(٨)؟

- وقال وهو أسير مسجون في حصن أغمات، وقد حلَّ عيد الفطر، يوم الخميس في أول شَوالٍ من سنة ٤٨٥ (الرابع من تشرين الثاني ١٠٩٢)، قبل أن يقيد، يذكر ما هو فيه من الحبس والبؤس ويتذكر ما كان فيه من قبل من النعيم:

في ما مَضَى كُنْتُ بالأعيادِ مَسروراً
تَرى بَنائِكَ في الأطْمارِ جائِعَةً
بِرْزَنْ نَحْوَكَ لِلتَّسْلِيمِ خاشِعَةً
فَجاءَكَ العِيدُ في أَغماتٍ مأسوراً^(٩).
يَغزِلُ لِلناسِ ما يَمْلِكُنْ قَظْميراً^(١٠).
أَبْصارُهُنَّ حَـبِيراتٍ مَكاسيراً،

- (١) الرِّشَاءُ: الغزال الصغير. الأَحْوَى: ذو الشَّفة السوداء.
- (٢) إذا عِلَّةٌ (مرض) كانتَ لِقربِكَ عِلَّةً (سبباً).
- (٣) أَغَيَّتْ: تركت. إن المرض الذي يسميه الناس بلوى (بليّة، مصيبة) هو نعمة عندي لأنه كان سبباً في رضا محبوبي علي.
- (٤) لندائي. في الاصل: من ندائي.
- (٥) شمعة تبديد ظلام الليل مثل ما تقضي يدي (بالجود والعطاء) على الفقر من بين الناس.
- (٦) الرقيق العذول الذي يَنْفَعُ على كل محبين اجتماعها. الحق، الغاضب المعتاط.
- (٧) الوسواس: الصوت الخفيف. العبق: الذي تضوع (تنتشر) رائحته.
- (٨) لنفرض أنها غطت وجهها (فمنعت ضوءه) وخلعت حلاها (فبطل صوتها)، فكيف تستطيع أن تمنع انتشار الرائحة الطيبة منها؟
- (٩) يقول الشاعر: كنت (بفتح التاء)... يخاطب نفسه (وهذا في البلاغة يسمى التجريد).
- (١٠) قَظْمِير: (في الأصل) الغشاء الرقيق الذي يغلف نواة التمر، شيء يسير جداً.

بطآن في الطين، والأقدام حافية،
 أفطرت في العيد لا عادت إساءته
 قد كان دهرُك إن تأمره ممثلاً؛
 من بات بعدك في مُلك يُسر به
 كأنها لم تطأ مسكاً وكافوراً^(١)!
 وكان فطرك للأكباد تفتيراً^(٢).
 فردك الدهر منهياً ومأموراً^(٣).
 فإنما بات بالأحلام مغروراً.
 - لما حُمل المعتمد أسيراً إلى المغرب ألحف الشعراء عليه بطلب النوال، فقال
 متأففاً:

شعراء طنجة كلهم والمغرب
 سألوا العسير من الأسير، وإنه
 لولا الحياء وعزة لخميلة
 طي الحشا، ناغاهم في المطلب^(٤)
 ذهبوا من الإغراب أبعد مذهب^(٥)
 سؤلهم لأحق فأعجب وأعجب^(٦)
 وكان المرابطون قد هاجموا قصره فنشبت بينه وبينهم مناوشة تمكن في أعقابها
 من النجاة. ولكن الأحداث توالى وأدت إلى انفضاض عدد كبير من أنصاره عنه
 فتغلب المرابطون عليه وخلصوه وأسروه. فقال في ذلك:

إن يسلب القوم العدى
 فالقلب بين ضلوعه:
 قد رُمْتُ يوم نزالهم
 وبرزت ليس سوى القميد
 مُلكي، وتسلمني الجموع،
 لم تسلم القلب الضلوع!
 ألا تحصني السدوع.
 ص على الحشا شيء دفوع.
 يهواه ذلي والخضوع.
 ل وكان من أملي الرجوع.
 والأصل تتبعه الفروع.
 شيم الألى أنا منهم؛
 ما سرت قط إلى القتا
 سيم الألى أنا منهم؛

وكان للمعتمد بن عباد بضعة عشر ولداً منهم: سراج الدولة أبو عمر عباد (قتل
 سنة ٤٦٨ هـ، وعمره ست عشرة سنة) والمأمون أبو نصر الفتح (هلك في أوائل ٤٨٤

- (١) راجع قصة يوم الطين. فوق، ص ٧١٤.
- (٢) تفتير: تقطيع. كان تفتيراً للأكباد: يدعو إلى الحزن الشديد مع الإشفاق.
- (٣) كنت من قبل أمر الدهر (جميع الناس) فأطاع، فأصبحت اليوم وعلي ناه وأمر (سجان).
- (٤) الإغراب: السلوك المستغرب.
- (٥) العسير (المال الكثير أو القليل الذي لا يملكه لأنه الآن أسير). فاعجب (من حالي كيف كانت وكيف أصبحت) ثم اعجب من حالهم كيف يسألوني وهم يعرفون حالي.
- (٦) لخمية نسبة إلى لخم (بني المنذر بن ماء السماء في الحيرة، وإليهم يرد آل عباد نسبهم).

(هـ) والمُعْتَدُّ أبو بكر عبد الله وزين الدولة أبو هاشم المَعْلَى وشرف الدولة أبو بكر يحيى وذخر الدولة أبو المكارم الحَكَم وتاج الدولة أبو سليمان الربيع وعَضُد الدولة ومالك (راجع في مالك نفع الطيب ٤ : ٢٤٧) وكان مَقْتَلُهُ في أَثْناءِ اسْتِيلاءِ المُرَابِطِينَ على إِشْبِيلِيَّةَ، سَنَةَ ٤٨٤ هـ (وليسَ لهؤلاءِ كُلِّهِمْ ما يُذَكِّرُون به) ثمَّ عبدُ الجَبَّارِ الذي ثار على المُرَابِطِينَ في جَنُوبِ الأندلسِ فَغَضِبَ يوسفُ بنُ تاشفين وأمرَ بِتَقْيِيدِ المَعْتَمِدِ في السِّجْنِ انتقاماً منه لِفعلِهِ ولَدِه عبدَ الجَبَّارِ (نفع الطيب ٤ : ٢١٧-٢١٨).

وأولادُ المَعْتَمِدِ الذين طارَ لهم ذِكْرٌ في الأدب: الراضي والرشيْدُ وبُثَيْنَةُ. أمَّا الراضي فكان شاعراً مُجيداً وقد أُفْرِدَتْ له تَرْجَمَةٌ. وأمَّا بُثَيْنَةُ ففي ما يلي شيءٌ من خَبَرِها وشعرِها.

وُلِدَتْ بُثَيْنَةُ نَحْوَ سَنَةِ ٤٦٣ هـ (١٠٧٠ م) وأمَّها أَعْتَادُ الرُّمَيْكِيَّةِ. وورِثَتْ قولَ الشعرِ من أمِّها وأبيها فأَحْسَنَتْ فيه بعضَ الإحسان. وكذلك كانت قَرِيبَةً من أمِّها في الجَمال وفي النادرة: في سُرعةِ الخاطرِ مَعَ الإِتْيَانِ بالنُّكْتَةِ اللطيفةِ البارةِ. وفي سَنَةِ ٤٨٤ هـ، لَمَّا اسْتَوَلَى المُرَابِطُونَ على إِشْبِيلِيَّةَ، أُخِذَتْ سَبِيَّةً فاشترَاها تاجرٌ من إِشْبِيلِيَّةَ وَهُوَ لا يَعْلَمُ من أُمِّها شيئاً وَوَهَبَهَا لِأَبْنِهِ. وَرَفَضَتْ بُثَيْنَةُ - في حديثٍ طَوِيلٍ - أَنْ يَقْرَبَهَا ابنُ التاجرِ الإِشْبِيلِيِّ الأَبْعَدَ استشارةً والدِّها وَبَعْدَ عَقْدِ شرعي. وفي هذه المناسبةِ كَتَبَتْ بُثَيْنَةُ إلى أبيها الأسيرِ في أَغْثاتِ (بالمغرب) بالأبياتِ التالية، وَهِيَ مِنَ الشِّعْرِ العاديِّ (نفع الطيب ٤ : ٢٨٤):

اسْمَعْ كَلَامِي واسْتَمِعْ لِمَقالَتِي، فَمَهِيَ السُّلُوكُ بَدَتْ مِنْ الأَجْيَادِ^(١).
 لَا تُنْكِرُوا أَنِّي سُبَيْتٌ وَأَنَّنِي بِنْتُ لِمَلِكٍ مِنْ بَنِي عِبَادِ:
 مَلِكٍ عَظِيمٍ قَدْ تَوَلَّى عَصْرُهُ. وَكَذا الزَّمانُ يَؤُولُ لِلإِفسادِ^(٢).
 لَمَّا أَرادَ اللهُ فَرَقَةً شَمَلْنَا وَأَذاقَنَا طَعْمَ الأَسَى عن زادِ^(٣)،
 قامَ النِّفاقُ على أَيْ في مُلكِهِ؛ - فدنا الفِراقُ، ولم يَكُنْ مُبرادِ.

(١) السلك: الخيط (تنظم فيه حبات اللؤلؤ وغيرها). الجيد: أعلى الصدر. العنق.

(٢) آل يؤول: يرجع، يعود.

(٣) جعل الله الأسى (الحزن) زاداً (طعاماً) لنا. أذلنا.

فخرجت هاربةً فحازني امرؤ
 إذ باعني بيعَ العبيدِ فضمتني
 وأرادني لنكاحِ نَجَلٍ طاهرٍ
 ومضى إليك يسومُ رأيك في الرضا؛
 فعساك، يا أبتى، تُعرِّفني به،
 وعسى رُمِيكِةُ الملوكِ بفضلِها
 لم يأت في إعجاله بسداد^(١)
 من صانني إلّا من الإنكاد^(٢)
 حسنَ الخلائق من بني الأنجاد^(٣)
 ولأنتَ تنظرُ في طريقِ رشادي^(٤)
 إن كان مِنَّ يَرتجى لوداد.
 تدعو لنا باليمن والإسعاد^(٥)

- ٤ - ديوان المعتمد بن عباد (وزارة التربية والتعليم المصرية) ؛ تحقيق أحمد بدوي
 وحامد عبد المجيد ، القاهرة ١٩٥١م ؛ المعتمد وشعراء عصره (حققه محمد زهدي
 يكن)، بيروت (دار يكن للنشر) ١٩٧٥ م .
- ★★ المعتمد بن عباد: الملك الجواد الشجاع، الشاعر المرزأ، تأليف عبد الوهاب عزام،
 القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٩ م .
- المعتمد بن عباد، تأليف علي أدهم، القاهرة (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة
 والنشر - أعلام العرب، رقم ٢)، بلا تاريخ.
- راجع كتب التاريخ العامة ثم قلائد العقيان ٤ - ٣٥ ؛ المطمح ١١ - ٢٢ ؛ الذخيرة ٢
 : ٤١ - ٨١ ثم أماكن كثيرة في جميع الاقسام ؛ المطرب ٧ - ١٠ ؛ وفيات الأعيان ٥ :
 ٢١ وما بعد (ترجمة عامة لبني عباد ، وفيها استطراد كثير) ؛ الحلة السراء ٢ :
 ٥٢ - ٦٨ ؛ الوافي بالوفيات ٣ : ١٨٣ - ١٨٨ ؛ أعمال الأعلام ١٥٧ - ١٧٠ ؛
 شذرات الذهب ٣ : ٣٨٦ - ٣٩١ ؛ نفح الطيب ٤ : ٩٢ - ٩٩ ، ٢١١ - ٢٢٧ ،
 ٢٤٥ - ٢٨٥ ، ٣٥٤ وما بعد (أخبار معركة الزلاقة ويوسف بن تاشفين وما يتصل
 بذلك من أخبار ملوك الطوائف عامة والمعتمد بن عباد خاصة) ؛ بروكلمن ١ :
 ٣١٩ - ٣٢٠ ، الملحق ١ : ٤٧٩ ؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ؛ نيكل
 : ١٣٤ - ١٦٣ ؛ مختارات نيكل ٨٢ - ١٠٣ ؛ الأعلام للزركلي ٧ : ٥٠ - ٥١ (٦) :
 (١٨١).

(١) السداد: الصواب.

(٢) الانكاد: قلة الخير (الحاجة إلى أسباب الحياة)، الفقر.

(٣) النجل: الولد (ولد الرجل). النجد (يفتح فكسر أو يفتح فضم): الرجل ذو العزيمة.

(٤) سام: طلب. تنظر في طريق رشادي (تريد لي الخير).

(٥) رميكية، الرميكية: امرأة المعتمد وأمّ بشينة.

الحَمِيدِيُّ

١ - هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ قَتَّوحَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمِيدَ بْنِ يَصَلَ الْأَزْدِيُّ، كَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ الرُّصَافَةِ (بِقَرْطَبَةِ) ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى جَزِيرَةِ مَيُورَقَّةَ. وَلَدَ الْحَمِيدِيَّ هَذَا قَبْلَ ٤٢٠.

سَمِعَ الْحَمِيدِيَّ مِنْ أَبِي الْقَاسِمِ أَصْبَغَ بْنِ رَاشِدِ بْنِ أَصْبَغَ (ت ٤٤٠ هـ) ثُمَّ مِنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ وَمِنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْعُذْرِيِّ وَمِنْ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ، وَلَزِمَ ابْنَ حَزْمٍ (ت ٤٥٦ هـ) وَأَخَذَ عَنْهُ الْمَذْهَبَ الظَّاهِرِيَّ وَأَكْثَرَ مِنَ الرِّوَايَةِ عَنْهُ.

وَلَمَّا اشْتَدَّ الاَضْطِّهَادُ عَلَى أَتْبَاعِ الْمَذْهَبِ الظَّاهِرِيِّ رَحَلَ الْحَمِيدِيُّ عَنِ الْأَنْدَلُسِ، سَنَةَ ٤٤٨ هـ (١٠٥٦ م) فَحَجَّ وَسَمِعَ الْحَدِيثَ فِي مَكَّةَ مِنْ أَبِي الْقَاسِمِ سَعْدِ بْنِ عَلِيٍّ الزَّنْجَانِيِّ (ت ٤٧١ هـ). ثُمَّ إِنَّهُ عَادَ إِلَى مِصْرَ فَرَوَى عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْفَتْحِ وَسَمِعَ مِنَ الضَّرَّابِ وَمِنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامَةَ الْقُضَاعِيِّ (ت ٤٥٤ هـ). ثُمَّ رَحَلَ إِلَى الشَّامِ فَالْعِرَاقَ: نَزَلَ فِي بَغْدَادَ ثُمَّ قَضَى مُدَّةً فِي وَاسِطَ، وَبَعْدَئِذٍ عَادَ إِلَى بَغْدَادَ وَاسْتَقَرَّ فِيهَا. وَفِي بَغْدَادَ أَذْرَكَ الْخَطِيبَ الْبَغْدَادِيَّ وَرَوَى عَنْهُ. وَكَانَتْ وَفَاةُ الْحَمِيدِيِّ فِي بَغْدَادَ، فِي ١٧ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ٤٨٨ (١٩ / ١٢ / ١٠٩٥ م).

٢ - كَانَ الْحَمِيدِيُّ إِمَامًا ثَقَّةً فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ وَعِلَلِهِ وَمَعْرِفَةِ مُتُونِهِ وَرُوَايَةِ مُحِيطًا بِفَنُونِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ وَبِالْفِقْهِ عَامَّةً وَبِالْفِقْهِ الظَّاهِرِيِّ خَاصَّةً. وَهُوَ الَّذِي حَمَلَ كُتُبَ ابْنِ حَزْمٍ إِلَى الْمَشْرِقِ. وَكَانَ لَهُ شَيْءٌ مِنَ الشَّعْرِ.

وَكَانَتْ لِلْحَمِيدِيِّ مُصَنَّفَاتٌ كَثِيرَةٌ ضَاعَ كَثِيرٌ مِنْهَا وَبَقِيَ بَعْضُهَا. فَمِنْ أَشْهُرِ مَا بَقِيَ لَنَا مِنْهَا: جَدْوَةُ الْمُقْتَبَسِ فِي ذِكْرِ وِلَاةِ الْأَنْدَلُسِ وَأَسْمَاءُ رُوَاةِ الْحَدِيثِ وَأَهْلِ الْفِقْهِ وَالْأَدَبِ وَذَوِي النِّبَاهَةِ وَالشَّعْرِ - الْجَمْعُ بَيْنَ الصَّحِيحَيْنِ (جَمَعَ الْأَحَادِيثَ الْمُتَّفِقَ عَلَيْهَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَصَحِيحِ مُسْلِمٍ) - تَفْسِيرٌ غَرِيبٌ مَا فِي الصَّحِيحَيْنِ - الْذَهَبُ الْمَسْبُوكُ فِي وَعْظِ الْمُلُوكِ - تَذَكُّرَةُ الْحَمِيدِيِّ (مَخْتَارَاتٌ فِي الْأَخْلَاقِ وَالْأَدَبِ) - بَلْفَةُ الْمُسْتَعْجَلِ فِي مَعْرِفَةِ جَمَلٍ مِنَ التَّارِيخِ.

٣ - مختارات من آثاره

- قال الحميدي في مقدمة كتابه « جذوة المقتبس »:

.... أما بعد، فإنَّ بَعْضَ من أَلْتَزَمَ (١) واجبَ شُكْرِهِ على جِئِلِ بَرِّهِ - لَمَّا وَصَلْتُ إلى بَغْدَادَ وَحَصَلْتُ من إِفَادَتِهِ على أَفْضَلِ مُسْتَفَادٍ - نَبَّهَنِي على أَن أَجْعَ ما يَخْضُرُنِي من أَسْمَاءِ رِوَاةِ الْحَدِيثِ بِالْأَنْدَلُسِ وَأَهْلِ الْفَقْهِ وَالْأَدَبِ وَذَوِي النِّبَاهَةِ وَالشَّعْرِ وَمَنْ لَهُ ذِكْرٌ مِنْهُمْ أَوْ مَن دَخَلَ إِلَيْهِمْ أَوْ خَرَجَ عَنْهُمْ، في مَعْنَى من مَعَانِي الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ أَوْ الرِّئَاسَةِ وَالْحَرْبِ.

فَأَعْلَمْتُهُ عن بُعْدِي بِمَكَانِ هَذَا الْمَطْلُوبِ وَقِلَّةِ ما صَحَّحَنِي مِنَ الْغَرَضِ الْمَرْغُوبِ، وَأَنِّي إِن رُمْتُه على قِلَّةِ ما عِنْدِي وَتَعَاظَيْتُهُ على انْقِطَاعِ مَوَادِّي وَبُعْدِي لَمْ أَخُلْ من أَحَدٍ وَجْهَيْنِ: إِمَّا أَن أَبْخَسَ الْقَوْمَ حَظَّهُمْ وَأَنْقَضَهُمْ فَاتَّعَرَّضَ لِلْإِثْمَتِ فِي ما أَوْرَدْتُ وَأَقِفُ مَوْقِفَ الْإِعْتِذَارِ فِي ما إِلَيْهِ قَصَدْتُ؛ وَإِمَّا أَن أُوْهِمَ من رَأْيِ قِلَّةِ جَمْعِي وَنِهَائَةِ ما فِي وَسْئِي أَنَّهُ لَيْسَ من أَهْلِ الْفَضْلِ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ إِلَّا نَزَرُ مِنَ الْأَعْدَادِ، فَأَكُونُ بَعْدَ اخْتِفَالِي لَهُمْ قَدْ قَصَّرْتُ بِهِمْ، وَعِنْدَ اجْتِهَادِي فِي ذِكْرِهِمْ قَدْ أَخْلَلْتُ بِفَخْرِهِمْ. وما اراني مع ذلك إِلَّا مُتَّصِدِيًا لِمَذْمَةِ الطَّائِفَتَيْنِ..

- للحميدي مقطعات في الزهد منها:

★ طريق الزهد أفضل ما طريق	وتقوى الله تالية (١) الحقوق.
فشق بالله يكفك، وأستعنه	يُعنك ودع بُنَيَّاتِ الطريق (٢).
★ كلام الله عز وجلّ قولي	وما صحّت به الآثار (٣) ديني.
وما اتفق الجميع عليه بدءاً	وعوداً، فهو من حقّ مبین.
★ لقاء الناس ليس يُفيد شيئاً	سوى الهذيان من قيل وقال.
فأقلل من لقاء الناس إلّا	لأخذ العلم أو إصلاح حال.

(١) « ما » زائدة. تالية: تابعة (٢).

(٢) بنیات الطريق: الطرق الضيقة المتفرعة من غيرها.

(٣) الآثار ما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

★ أَلَفْتُ النَّوَى حَتَّى أُنِسْتُ بِوَحْشِهَا وَصِرْتُ بِهَا لَا فِي الصَّبَابَةِ مُوَلَعًا .
فَلَمْ أُحْصِ كَمْ رَافِقَتِهِ مِنْ مَرَاقِقِ وَلَمْ أُحْصِ كَمْ خِيَمَتُ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعًا .
وَمِنْ بَعْدِ جَوْبِ الْأَرْضِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا فَلَا بَدَّ لِي مِنْ أَنْ أُوَافِيَ مَصْرَعًا (١) .

٤ - جذوة المقتبس... (قام بتصحيحه محمد بن تاووت الطنجي)، القاهرة (مكتب نشر الثقافة الإسلامية) ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٢ م؛ القاهرة (الدار المصرية للتأليف والنشر) ١٩٦٦ م.

★★ بغية الملتبس ٥٣٠ - ٥٣١ (رقم ١١٣)؛ المغرب ٢: ٤٦٧ - ٤٦٨؛ معجم الأدباء ١٨: ٢٨٢ - ٢٨٦؛ وفيات الأعيان ٤: ٢٨٢ - ٢٨٤؛ الوافي بالوفيات ٤: ٣١٧ - ٣١٨؛ الخريدة (الأندلس) ٤ (الجزء الثاني): ١٢؛ شذرات الذهب ٢: ٣٩٢؛ نفح الطيب ٢: ١١٢ - ١١٥، ٣: ١٨٠، ١٨١، ٤: ٣٣٧ - ٣٣٩، ٣٣٨، ٣٤٨؛ نيكل ٢١١ - ٢١٢؛ مختارات نيكل ١٤٧ - ١٤٨؛ بروكلمن ١: ٤١٣، الملحق ١: ٥٧٨ - ٥٧٩؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢١٨ - ٢١٩ (٦: ٣٢٧).

ابن عبد الصمد

١ - هو أبو بكر (وأبو بجر) يوسف بن أبي القاسم بن خلف بن أحمد، من نسل السَّمْعِ بن مالك الخَوْلَافِيِّ الذي كان والياً على الأندلس (١٠٠ - ١٠٢ هـ) من قِبَلِ عُمَرَ بن عبد العزيز، أصله من كُورَةِ جَيَّانَ. وكان أهله من ذَوِي الجَاهِ ومن أهل الكتابة والأدب.

قَسَتْ الدُّنْيَا عَلَى ابْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ حَتَّى اتَّصَلَ بِالْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ وَحَظِيَ عِنْدَهُ فَارْتَقَتْ مَنَزِلَتُهُ وَنَالَ مِنَ الْمُعْتَمِدِ عَطَايَا كَثِيرَةً. وَلَمَّا اسْتَوْلَى الْمُرَابِطُونَ عَلَى الْأَنْدَلُسِ وَأَزَالُوا جَمِيعَ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ وَأَسْرَوْا الْمُعْتَمِدَ بْنَ عَبَّادٍ، يَوْمَ الْأَحَدِ فِي الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ ٤٨٤ (٧ / ٩ / ١٠٩١ م)، تَخَفَّى ابْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الْمَغْرِبِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَنْلِ حُظُوَّةً عِنْدَ الْمُرَابِطِينَ، وَلَكِنْ يَبْدُو أَنَّهُ عَاشَ فِي الْمَغْرِبِ بَعْدَ ذَلِكَ مُدَّةً. وَفِي عِيدِ الْأَضْحَى مِنْ سَنَةِ ٤٨٨، بَعْدَ وَفَاةِ الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ بِشَهْرَيْنِ تَامَيْنِ، اتَّفَقَ أَنْ كَانَ ابْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ فِي أَغْمَاتٍ (إحدى ضواحي مدينة

(١) جوب الأرض (الجولان فيها).

مَرَّأَشْ، وفيها قبرُ المعتمد) فزارَ قبرَ المعتمدَ معَ الزائرين وأنشدَ عنده قصيدته المشهورة الرائعة. ولسنا نعلمُ سنةَ وفاةِ ابن عبد الصمد، ويبدو أنه تُوفي في أواخر القرن الخامس للهجرة.

٢ - كان لابن عبد الصمد نثرٌ وشعر، ولكن لم يصل إلينا من آثاره في الأغلب إلا قصيدته الدالية وهي قصيدة رائعة طويلة جداً أورد منها ابن الخطيب في كتابه «أعمال الأعلام» (ص ١٦٥ - ١٧٠) مائة وأربعة أبيات. وهي قصيدة فصيحة الألفاظ سهلة التراكيب واضحة المعاني ذات تأثير في النفس. وفيها صناعة يسيرة وعددٌ من الإشارات التاريخية. وفيها رثاءٌ للمعتمد ثم فخرٌ بشعره هو.

٣ - مختارات من شعره

- في عاشر ذي الحجة من سنة ٤٨٨ (١٠ / ١٢ / ١٠٩٥) انصرف الناس من صلاة عيد الأضحى وجاء جمعٌ منهم لزيارة قبر المعتمد بن عباد، وكان فيهم ابن عبد الصمد، فوقفَ على القبر وأنشد:

مَلِكَ الملوكِ، أَسامِعُ فأنادي؛	أَمْ قَدْ عَدَّتْكَ عَنِ السَّاعِ عَوادٍ ^(١) .
لَمَّا خَلَّتْ مِنْكَ القصورُ فلم تكن	فيها كما قَدْ كُنْتَ فِي الأعيادِ ^(٢) ،
أَقْبَلْتُ فِي هذا الثرى لك خاضعاً	وَتَخَذْتُ قَبْرَكَ مَوْضِعَ الإنشادِ ^(٣) .
قَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تُبَرِّدَ أَدْمُعِي	نيرانَ حُزْنٍ أَضْرِمْتَ بِفؤادِي.
فإِذَا بَدَمْعِي كُلَّمَا أَجْرَيْتُهُ	زادتْ عَلَيَّ حِراوةَ الأكبادِ.
يَا أَيُّهَا القمرُ المنيرُ، أهكذا	يُمحى ضياءُ الكوكبِ الوَقَّادِ؟
مَا كَانَ ظَنِّي قَبْلَ مَوْتِكَ أَنْ أَرَى	قَبْرًا يَضُمُّ شِوَامَخَ الأطوادِ ^(٤) .
عَهْدِي بِمَلِكٍ وَهُوَ طَلَّقَ ضاحِكٌ	مُتَهَلِّلُ الصَّفَحَاتِ لِلقَصَادِ ^(٥) ،

(١) عواد جمع عادية: نائبة، مصيبة. عدتكَ: صرفتكَ (عن الأمر) وشغلتكَ.

(٢) خلت: فرغت (بكسر الراء). لم تبق القصور اليوم كما قَدْ كُنْتَ أَنْتِ فيها من قبل.

(٣) الثرى: التراب (هذا الجانب من الأرض، البلد)، أغات (موضع قبر المعتمد).

(٤) الطود: الجبل. الشامخ: العالي.

(٥) الصفحات (صفحتا الوجه). طلق: منطلق، ضاحك، مسرور. متهلِّل: فرح.

أَيَّامَ تَخْفِقُ حَوْلَكَ الرَايَاتُ فَوْ
وَالْأَمْرُ أَمْرُكَ وَالزَّمَانُ مُبَشِّرٌ
وَالْخَيْلُ تَمْرَحُ وَالْفَوَارِسُ تَنْحَنِي
إِذْ تَحْسَبُ الْهَيْجَاءَ رَوْضاً يَانِعاً
وَكَأَنَّ بَيْضَ الْمُرْهَقَاتِ عَلَى الطُّلَا
وَلَكُمْ هَزَزَتِ الْغُصْنُ مِنْ طَرَبٍ لَهَا
وَكَأَنَّهَا فِي الدِّرْعِ مِنْكَ رَبِيعَةٌ بَدَتْ
حَتَّى إِذَا مَا الدَّهْرُ أَظْهَرَ حِقْدَهُ،
أَلْقَتْ بِأَيْدِيهَا مَعَاظِلَكَ الَّتِي
وَتَهْدَمَتْ أَرْكَانُ كُلِّ سِيَاسَةٍ،
قَالُوا: أَضَاعَ الْحَزَمَ وَهِيَ بَوَاطِلٌ؛
وَإِذَا انْقَضَتْ أَيَّامُ مُلْكٍ فَالْعَنَا

ق كَتَائِبِ الرُّؤْسِ وَالْأَجْنَادِ،
بِمَالِكٍ قَدْ أذْغَعَتْ وَبِلَادِ،
بَيْنَ الصَّوَارِمِ وَالْقَنَا الْمِيَادِ^(١)؛
وَتَرَى الْأَزَاهِرَ مِنْ ضِيَاءِ صِعَادِ^(٢).
وَرُقُّ الْحَمَامِ عَلَى الْغُصُونِ شَوَادِ^(٣).
وَجَرَزَتْ أَذْيَالاً مِنَ الْأَزْرَادِ^(٤).
مِنْ مُكَدَّمٍ وَالْحَارِثُ بْنُ عُبَادِ^(٥)!
وَالدَّهْرُ لِلْأَحْرَارِ ذُو أَحْقَادِ،
مُلَّتْ مِنَ الْعُقْبَانِ وَالْآسَادِ^(٦).
وَأَنهَدَ حَوْلَ الْمُلْكِ كُلِّ عِمَادِ.
نُورُ الْحَقَائِقِ لِلنَّوَاطِرِ بَادِ^(٧).
فِي غَايَةِ الْإِكْثَارِ وَالْإِعْدَادِ^(٨).

- (١) تنحني (!) اقرأ: تنتمي (تفتخر)، تذكر أنسابها - والانتهاء من عادة العرب في الحروب عند المبارزات. الصارم: السيف. القناة: الرمح. المياد: المتأود (ينحني ولا ينكسر).
- (٢) الهيجاء: الحرب. اليانع (من الأثمار): الناضج. الصعدة: الرمح (إذا رأيت الرماح في أثناء المعركة خيل إليك أنها أغصان مزهرة).
- (٣) المرهف: الرقيق، القاطع. البيض: السيوف. الطلاة (بضم الطاء): جانب العنق. الوراق: الحماة. شادية: مترنمة، مغنية (أنت تحسب أصوات السيوف وهي تقطع الأعناق كأنها حائم تشدو على الأغصان).
- (٤) الغصن (هنا): الرمح. الزرد: الدرع (أنت تطرب للطنن بالرمح وتنبخر في الدرع - في أثناء المعركة - كما يسر الناس بتأيل أغصان الأشجار وبالتنبخر في ثيابهم النفيسة).
- (٥) ربيعة بن مكدم والحارث بن عباد من الفرسان الشجعان في الجاهلية.
- (٦) المعقل (يفتح فسكون فكسر): الحصن. ألق معاذك بأيديها: استسلمت (للدو). العقبان (كناية عن الخيل) والآساد (كناية عن الجنود).
- (٧) اتهموا المعتمد بأنه كان بملأه قد بعد عن الاهتمام بإدارة الملك. باد: ظاهر.
- (٨) العناء: التعب. الإعداد (الاستعداد، الاحتياط لما سيحدث في المستقبل). الإكثار: إكثار الكلام في اللوم (٢) - إذا أذن عمر الدولة في الانتهاء فإنها ستسقط حتماً، ولن يمنع سقوطها جهود أو لوم (راجع ابن خلدون - ت ٨٠٨ هـ).

حازت بنو العباس ملك أمية
 ورأى معاوية علياً هالكاً،
 والدهر أذهب تبعاً وجنوده
 أنني لأعجب بعد فقدك كيف لا
 من يفتح الأمصار بعد محمد؟
 من يترك الأسطار في الأوراق مث
 من يفهم المعنى الخفي، ومن
 من ذا يرُدُّ على العفاة ظلاله
 هيهات، مات الجود بعد محمد
 مسخ الزمان بأهله فتعوضوا
 يا ساكن القبر الذي فقدائه
 كنا نومل أن نرى لك عودة
 وتبيت خيلك في مرابطها على
 وهم ذوو الأعداد والأمداد (١).
 وعلي الليث الهزبر العادي (٢).
 وأزال ملك الأرض عن شداد (٣).
 تستنكر الأسياف في الأغاد (٤).
 من يعقد الرايات للقواد؟
 لالحلي في اللبات والأجساد (٥).
 له صدق الحديث وصحة الإيراد (٦).
 ويبلغ الآمال كل مراد (٧).
 وأصاب بز الفهم كل كساد (٨).
 من ذلك الإصلاح بالإفساد (٩).
 قتل الرجاء وف في الأعضاء (١٠).
 تعطي بها الأيام كل قياد (١١).
 وغد من الإتهام والإنجاد (١٢).

- (١) وكان بنو أمية كثيرون العدد كثيرون الثروة والجنود.
- (٢) الليث: الأسد. الهزبر: الأسد الضخم الكاسر. العادي (الجرى على القتال).
- (٢) تبع بن حسان ملك اليمن، كان قوياً مظفراً طال ملكه جداً (زعموا ثمانية وسبعين عاماً). شداد بن عاد ملك يمني قديم، غزا البلاد (زعموا أنه وصل إلى أرمينية والمغرب).
- (٤) الغمد (بالكسر): قراب (بالكسر) السيف. - كيف لا تسل السيوف للانتقام من أعداء المعتمد.
- (٥) اللبة: أعلى الصدر. المجيد (بالكسر): العنق. أدبه (شعره ونثره) جميل مثل الحلي على النساء الحسان.
- (٦) صادق في حديثه وصحيح الإيراد (النقل) لأحاديث الآخرين.
- (٧) العافي: الذي يطلب المعروف (المطاء).... وبحق كل أمل.
- (٨) ... كسد بز (حرير) الفهم: قل الاهتمام بالنجاح العقلي والأدبي (هذا تعريض بيوسف ابن تاشفين الذي خلع جميع ملوك الطوائف وقيل فيه أنه كان لا يعرف اللغة العربية ولا يقبل إنشاد الشعر في حضرته).
- (٩) الإصلاح الذي كان في أيام المعتمد حلّ عمله الفساد في أيام يوسف ابن تاشفين.
- (١٠) فت (كسر) في العضد (بفتح فضم: ما بين المرفق والكتف). فت في عضده: أوهن قوته وأياسه.
- (١١) كنا نرجو أن تعيد ملكك.
- (١٢) الإتهام: النزول إلى الأرض المنخفضة. الإنجاد. الصعود إلى الأرض العالية (تسيير جيوشك إلى جميع البلاد).

إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ ضَجِيعَتِكَ الَّتِي
 جَاوَرَتْهَا فِي قَبْرِهَا فَكَأَنَّا
 أُمَّ الْمُلُوكِ، أَمَا عَلِمْتَ بِزَائِرِ
 أُنْكَى الْعُلَا وَالْجَدِّ فَقَدْ كُفِيَ الَّذِي
 لَهْفِي عَلَى تِلْكَ السَّجَايَا إِنَّهَا
 كَمْ نِعْمَةٍ خَضَرَاءَ قَدْ أَلْبَسْتَنِي
 أَخْجَلْتَ فِي الْجُودِ الَّذِي دَقَّقْتَ حَا
 قَدْ كُنْتُ لَا أَرْضَى الْبَحَارَ مَنَاهِلِي
 فِي دَوْلَةٍ غُرَاءَ عَبَادِيَّةٍ
 وَرِثَاسَةٍ تَحْمِي الْبِلَادَ، رِثِيسُهَا
 وَالْبَدْرُ تَرْسِي وَالثَّرِيَا مَغْفِلِي
 أَغْرَقْتَنِي فِي بَحْرِكَ الطَّامِي الَّذِي
 وَسَلَّلْتَ فِي نَضْرِي سُيُوفَ مَكَارِمِ
 عَادَتْ بِجَاراً إِذْ سَقَيْتَ ضَحَاضِحِي،

قَدْ كَانَ قُرْبُكَ أُنْسَهَا فِي النَّسَادِي (١)
 قَدْ كُنْتُ فِي ذَا عَلَى مِيعَادِ (٢)
 لَكَ ذِي وَفَاءٍ مُخْلِصٍ وَوِدَادِ؟
 لَيْسَتْ لَهُ الدُّنْيَا ثِيَابَ حِدَادِ.
 زَهْرُ الرَّبِيِّ مَوْشِيَةُ الْأُبْرَادِ (٣)
 وَمَوَاهِبِ وَالْيَتَامَا وَأَيَادِ (٤)؛
 تَمَّ طَيِّبٌ وَفَضَحَتْ كَعْبَ إِيَادِ (٥)
 زَهْوًا وَلَا أَرْضَى السَّيَاكَ مِهَادِي (٦)
 فَلْتُ مِنَ الْأَمْلَاكِ كُلِّ عِنَادِ (٧)،
 يَوْمَاهُ: يَوْمُ نَدَى وَيَوْمُ جِلَادِ (٨)؛
 وَالصُّبْحُ سِنْفِي وَالرِّيَّاحُ جِيَادِي (٩)
 مَنَعَ الظِّمَاءَ وَرُودَ كُلِّ ثِيَادِ (١٠)
 تَرَكْتُ سَيْوْفَ الْهِنْدِ غَيْرَ حِدَادِ (١١)
 وَغَدْتُ هِضَاباً إِذْ رَفَعْتَ وَهَادِي (١٢)

- (١ - ٢) يشير الشاعر إلى موت اعتاد (زوج المعتمد) قبله بقليل.
- (٣) السجايَا: الطبايع (الأخلاق الجميلة). مَوْشِيَةٌ: مطرزة. البَرْد (بالضم): ثوب من حرير.
- (٤) الموهبة (الهبة) العطاء. والى الأشياء: جاء بها متوالية (متتابعة). الإيادي: النعم.
- (٥) حاتم الطائي المشهور بالكرم. كعب بن مامة الأيادي يضرب به المثل في الكرم (وكلاهما جاهلي).
- (٦) النهل: الشرب الخفيف. الزهو: الإعجاب بالنفس. السماك (الأعزل) والسماك (الرامح) مجموعتان من النجوم. المهاد: الفواش.
- (٧) الأملاك: الملوك. فَلْتُ عِنَادَ الْمُلُوكِ (أخضعتهم).
- (٨) ندى: كرم. جِلَاد: حرب.
- (٩) الثريَا: مجموع نجوم. المَعْقِل: الحصن. الجِوَاد: الحصان.
- (١٠) الطامي: المرتفع (الكثير الفائض). الظماء جمع ظمآن: عطشان. الورد: الذهاب إلى الماء. الناد: الماء القليل - كان الثمراء يأتون إليك لأنك كنت تعطي كثيراً بينما كان الآخرون يعطون قليلاً أو لا يعطون شيئاً. (عطاؤك الكثير أغنى الناس عن الذهاب إلى جميع الملوك).
- (١١) حِدَاد جمع حَدَّ: ماض، قاطع - رفعت منزلتي حتى خافني الأبطال ذوو السيوف.
- (١٢) الضحضاح: الماء القليل. الوهدة: المكان المنخفض.

وَمَدَدْتُ كَفِّي لِلْكَوَاكِبِ قَاعِدًا
نَفَقْتَنِي وَالْدَهْرُ يَبْخَسُ قِيَمَتِي
وَأَقَمْتَنِي لِمَا رَأَيْتَ حَوَا
فَالْجَفْنُ بَعْدَكَ لَيْسَ يَدْرِي مَا الْكَرَى
وَكَأَنَّ قَلْبِي فِي مَخَالِبِ طَائِرٍ،
إِنْ لَمْ تَطْبُ فَيْكَ الْمَرَاثِي وَالثَّنَا
مَا كَانَ إِلَّا الرُّوضُ مَوْشِيَّ الْحُلَى
يَهْتَرُ عِنْدَ الْحَمْدِ مِعْطَفُهُ كَمَا
يَا مَوْتُ، لَمْ تَتْرُكْ حَنِيفًا مُسْلِمًا
قَدْ كَانَ مِنْ أَعْلَى الْمُلُوكِ رِثَاسَةً،
يَا مَوْتُ، كَيْفَ رَأَيْتَ صَبْرَ مُحَمَّدٍ،
كَمْ رَامَ فِي رَجَبٍ لِقَاءَكَ جَاهِدًا،
أَهْوَى الشُّهُورَ سِوَاهُ فَهَوَ أَذْلَنِي
صَبْرًا جَيْلًا، يَا بَنِيهِ، فَرُبَّمَا
إِنِّي نَظَمْتُ لَكُمْ لَآلِيَّ قَوْلَةٍ

فَبَلَقْتُهَا لَمَّا غَدَوْتَ مَصَادِي (١)
وَأَنْفَتَ مِنْ رُخْصِي بِهِ وَكَسَادِي (٢)
دِثَ الْأَيَّامِ قَدْ أَسْرَفَنِي فِي إِقْعَادِي
(مِنْ) دَمْعَةٍ مُنْهَلَةٍ وَسُهَادٍ (٣)
وَكُنْ جَفْنِي فَوْقَ شَوْكِ قَتَادٍ (٤)
مِنْنِي فَلَسْتُ بِطَيِّبِ الْمِيلَادِ!
سُقَيْتَ أَزَاهِرَهُ بِصَوْبِ عِيَادٍ (٥)
يَهْتَرُ عِطْفُ الْأَمْلَدِ الْمِيَادِ (٦)
صَغَبَ الْلِقَاءِ عَلَى ذَوِي الْأَحْقَادِ (٧)
وَفُؤَادُهُ مِنْ أَوْرَعِ الزُّهَادِ
قَبْلَ احْتِلَالِكَ كَانَ فِي اسْتِعْدَادِ (٨)
وَالْحَظُّ لَيْسَ يُنَالُ دُونَ جِهَادِ (٩)
وَأَحِبُّ أَيَّامِي سِوَى الْآحَادِ (١٠)
نَالَ الْمُنَى قَوْمٌ بِلَا مِيعَادِ
عَرَضْتُ عَلَى الْأَيَّامِ صَفْوًا وَدَادِي (١١)

- (١) المصاد: مكان الصيد.
- (٢) يبخس (يقفل من) قيمتي (مكانتي).
- (٣) الكرى: النوم. السهاد: السهر. في الأصل: «في دمعة».
- (٤) قلبي في مخابر طائر: قلق (خائف). القتاد: نبت له شوك قاس.
- (٥) موشي: مطرز. العهاد: المطر المتتابع. الصوب: انسكاب (المطر) بكثرة.
- (٦) معطف: ثوب يلبس في الشتاء (كناية عن المعتمد نفسه). اهتز: ارتاح (طرب، سر). العطف: الجانب الأعلى من الأشياء. الأملد: (الفصن) الناعم اللين. المياد المتأيل، المتشني.
- (٧) بعد موت المعتمد لم يبق في الدنيا مسلم حنيف (حقيقي).
- (٨) قبل أن يدركه الموت كان يستعد ليستعيد ملكه بالحرب.
- (٩) في رجب من سنة ٤٨٤ استولى يوسف بن تاشفين على اشبيلية وخلق المعتمد. كان المعتمد في ذلك الحين يريد أن يموت في سبيل الدفاع عن ملكه.
- (١٠) كان خلق المعتمد في يوم أحد (راجع ترجمته).
- (١١) قولة: قصيدة. نظمها إظهاراً لخالص مودتي للمعتمد (مع العلم بأن دولة المرابطين لم تكن تريد ذلك).

ولقد رَئِيتُ وما قَضَيْتُ حُقُوقَكُمْ، والله يعلم ما يُكِنُّ فُؤادي^(١).

٤-★★ قلائد العقيان ٣٤-٣٥؛ الذخيرة ٣: ٨٠٩-٨٢١؛ المغرب ٢: ٢٠٣-٢٠٤؛
الخريدة (المغرب) ٢: ٥٣٧-٥٣٨؛ أعمال الأعلام ١٦٥-١٧٠؛ نفح الطيب ٣:
٥٣٤، ٢٢٣-٢٢٤، ٢٥٩؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٧٧؛ نيكل ١٥٣.

أبو مروان عبد الملك بن سراج

١- هو أبو مروان عبد الملك بن سراج بن عبد الله بن محمد بن سراج، قيل إنه من ذرية سراج بن قُرّة من صحابة رسول الله فيكون بذلك عربي النسب، ولكن الأقرب إلى الصواب أنه من موالي بني أمية في المشرق. ولعلّ الصحيح أن أصله من الأندلس وأنه مولى المروانيين في الأندلس. ولا ريب في أن آل سراج كانوا ذوي شهرة ومكانة كما كانوا أهل بيت ذوي خير وفضل ومن مشاهير الموالي أيضاً.

ولد عبد الملك بن سراج في قرطبة في ثاني عشر ربيع الأول من سنة ٤٠٠ (١٠٠٩/١١/٣ م). وتلقى العلم على أبيه (ت ٤٥٦ هـ) وعلى القاضي يونس بن عبد الله بن الصفار (ت ٤٢٩ هـ) وإبراهيم بن محمد الإفليبي (ت ٤٤١ هـ) وأبي مروان بن حيان المؤرخ (ت ٤٦٩ هـ) ومكي بن أبي طالب القيرواني.

وكانت وفاة عبد الملك بن سراج يوم الخميس ليلة عرفة (في ثامن ذي الحجة) من سنة ٤٨٩ ودفن يوم عرفة (تاسع ذي الحجة) أو ١٠٩٦/١١/٢٩ م، في مقبرة الربض من قرطبة.

٢- كان أبو مروان عبد الملك بن سراج إماماً في اللغة غير مدافعٍ وعالماً بعدد من الفنون من معاني القرآن ومعاني الحديث وغريب اللغة والنحو والأنساب والأيام (المعارك) كما كان حريصاً على إسناد الأخبار في ذلك إلى العلماء والرواة كثير الاستشهاد بآيات القرآن الكريم. وكذلك كان له نظم عاديّ منه مديح وعتاب وفخر ونسيب.

(١) رثائي كان أقلّ مما يجب عليّ. يكن: يضرر بكم، يخفي.

٣ - مختارات من آثاره

- جاء عبد الملك بن محمد بن جَهْوَرٍ - وهو ابن أبي الوليد محمد بن جمهور صاحب قرطبة (٤٣٥ - ٤٥٠ هـ) - لزيارة ابن سراج، ولم يكن ابن سراج يزوره ثم عاتبه في ذلك. فقال له عبد الملك بن سراج:

أَعَزَّكَ اللهُ. أنت إذا زُرْتَنِي قال الناس: أمير زار عالماً تعظيماً للعلم واقتباساً منه. وأنا إذا زُرْتُكَ قالوا: عالم زار أميراً للطمع في دنياه والرغبة في رفده ولا يصون علمه.

- قال أبو مروان عبد الملك بن سراج يمدح المظفر بن جمهور ويعاتبه على قلة العناية به:

أَمَّا هَوَاكَ ففِي أَعَزِّ مَكَانٍ	كَمْ صَارِمٍ مِنْ دُونِهِ وَسِنَانٍ ^(١) !
وَبَنُو حُرُوبٍ لَمْ تَزَلْ تَغْذُوهُمْ	حَتَّى الْفِطَامِ تُدْبِيهَا يِلْبَانٍ ^(٢) .
فِي كُلِّ أَرْضٍ يَضْرِبُونَ قِبَابَهُمْ،	لَا يُمْنَعُونَ تَخْيِيرَ الْأَوْطَانِ.
وَلَقَدْ سَرَيْتُ وَمَا صَحَبْتُ عَلَى السُّرَى	غَيْرَ النُّجُومِ إِرَادَةَ الْكِتْمَانِ ^(٣) .
فِي لَيْلَةٍ نَظَرْتُ إِلَى نَجُومِهَا،	وَمُقَحَّمُ الْغَمَرَاتِ غَيْرُ جَبَانِ ^(٤)
قَالَتْ فَتَاتُهُمْ وَقَدْ نَبَّهْتُهَا	وَاللَّيْلُ مُلْقِي كُلِّهِ وَجِرَانِ ^(٥) !
كَيْفَ اجْتَرَأَتْ عَلَى تَجَاوُزٍ مِنْ تَرَى	مَنْ نَائِمٌ حَوْلِي وَمَنْ يَقْطَانُ؟
فَأَجَبْتُهَا إِنَّ ابْنَ جَهْوَرٍ الرِّضَا	مَنْعَ الْخَافِ أَنْ تَحِلَّ جَنَانِي.
أَتَعُودُ دَلُوي مِنْ بَحُورِ سَبَاحِكُمْ	صِفْرًا وَلَيْسَتْ رَثَّةُ الْأَشْطَانِ ^(٦) ،

(١) صارم: سيف. سنان: رمح.

(٢) الثدي (بضم فكسر فتشديد) جمع ثدي (بفتح فسكون): العضو الذي يرضع منه الطفل من أمه. اللبان (بكسر اللام): الرضاع (بالكسر أو الفتح) تناول اللبن من الثدي.

(٣) سري: سار ليلاً.

(٤) - أن الذي يسير وحده في الليل لا يكون جبناً.

(٥) الكلكل: الصدر. الجران: باطن عنق البعير (الليل في أواسطه شديد الظلام).

(٦) السباح: الكرم. الشطن (بفتح ففتح): الحبل الطويل (يسحب بوساطته الماء من البئر).

ويكون رَبْعِي مُسْتَبِيناً جَدُّهُ حتى أَهَمَ بنجمة البلدان^(١) ؟
 قَسْنِي بِنِ يَنَآى بَرَفِ مَكَانِهِ بِنَدِيكَ العَالِي وَخَفَضَ مَكَانِي^(٢) .
 أَمِنَ السَّوِيَّةَ إِنْ يَحِلُّوا بِالرِّي مِنْ أَرْضِهِ وَأَحِلُّ بِالْغَيْطَانِ^(٣) ؟
 إِنْ تُرَخِّصُوا خَطَرِي فَكَمْ مُغْلٍ لَهُ يَسْتَامُ فِيهِ بِأَرْفَعِ الْأَثْمَانِ^(٤) .

★★- ٤ قلائد العقيان ٢١٧-٢١٨ ؛ الصلة ٣٤٦-٣٤٧ ؛ بغية الملتبس ٣٦٧-٣٦٨ ؛
 المغرب ١ : ١١٥-١١٦ ؛ إنباء الرواة ٢ : ٢٠٧-٢٠٨ ؛ الذخيرة ١ :
 ٨٠٨-٨١٤ ؛ الخريدة (الاندلس) ٤ : ٥٠١-٥٠٣ ؛ الديباج المذهب ١٥٧ ؛ نفع
 الطيب ٤ : ١٦٣-١٦٤ ؛ شذرات الذهب ٣ : ٣٩٢-٣٩٣ ؛ الأعلام للزركلي ٤
 : ٣٠٤ (١٥٩) .

أبو الوليد الوقشي

١- هو أبو الوليد هشام بن أحمد بن هشام بن خالد بن سعيد الكِنَانِي المعروف
 بالوقشي نسبة إلى وقش (على مقربة من طليطلة)، وفيها كان مولده سنة ٤٠٨
 (١٠١٧ م) .

تلقى الوقشي العلم على أبي عمر عثمان بن أبي بكر السفاسي (ت ٤٤٠ هـ) وأبي
 عمر أحمد بن محمد بن الحذاء (ت ٤٦٧ هـ) وأبي عمر الطلمنكي وغيرهم. وتولى
 الوقشي القضاء في طليطلة من أعمال طليطلة. وفي أواخر أيامه سكن بلنسية مدة
 يسيرة ثم غادرها، سنة ٤٨٧ هـ لما استولى عليها النصارى، وانتقل إلى دانية وفيها
 كانت وفاته في السابع والعشرين من جمادى الثانية من سنة ٤٨٩ هـ (٢٠ / ٦ /
 ١٠٩٦ م) .

٢- كان أبو الوليد الوقشي دميث الأخلاق حسن المعاشرة واسع المعرفة بفنون

-
- (١) ...حتى اضطرّ (بالبناء للمجهول) إلى أن أهم (أسير على وجهي من غير مقصد معروف) بنجمة
 (بالذهاب إلى أماكن بعيدة).....
 (٢) ينأى : يبعد (هنا: ينأى بجانبه: ينفر ويتكبر - لأنه رفيع المكان في بلاطكم). الندى: مجتمع القوم.
 (٣) الفيظ (بالفتح) المكان الكثير الماء (ويكون منخفضاً). المقصود (هنا): انخفاض المنزل.
 (٤) - ان جعلتم أنتم قيمتي عندكم قليلة، فهناك كثيرون يسامون (على ترككم ويدفعون) أعلى الأثمان.

العلم والأدب عالماً باللغة والنحو والأدب ومعاني الشعر حافظاً للحديث بارعاً في الفقه وفي الفرائض (تقسيم الإرث) قديراً في المنطق والفلسفة ومُحَقِّقاً لعلم الحساب والهندسة. والموسيقى. ثم هو أديبٌ بليغٌ وشاعرٌ مُجيدٌ يحومُ على المعاني ويسوقُها في التراكيب السهلة. وكانت له قصيدةٌ في رثاء بَلَنَسِيَّةَ لما استولى عليها الإسبانُ ولكن يبدو أنها لم تصل إلينا. والوقشيُّ هذا مُصَنَّفٌ له: نُكْتُ الكامل للمبرد - المنتخب من غريب كلام العرب - مختصرٌ في الفقه.

٣ - مختارات من شعره

- لأبي الوليد الوقشي عدد من المقطعات، منها:

★ قد بَيَّنْتُ فيه الطبيعةُ أنها	بدقيقِ أفعالِ المهندسِ ماهرة:
عُنِيْتُ بِمَنَسِمِهِ فحطَّت فوقه	بالمسك خطأً من مُحيطِ دائرته ^(١) .
★ لا أركبُ البحرَ ولو أني	ضربتُ فيه بالعصا فانفلق ^(٢) .
ما إن رأتُ عَيْنَايَ أمواجه	في فِرْقٍ إِلَّا تَنَاهَى الفِرْقُ ^(٣) .
★ برَّحَ بي أن علومَ الوري	اثنانِ ما إن فيها من مزيد:
حقيقةٌ يُعْجِزُ تحصيلُها،	وباطلٌ تحصيلُهُ لا يُفِيدُ.
★ عجباً للدمامِ ماذا استعارتُ	من سجايا مُعَدِّي وصفاته:
طيبَ أنفاسِهِ وطعمَ ثنَايا	هـ وسُكَّرَ العقولِ من لَحَظَاتِهِ،
وسَنَا وجهِهِ وتوريدَ خَدَيْهِ	هـ ولُطْفَ الديباجِ من بَشَرَاتِهِ ^(٤) ؛
والتداوي منها بها كالتداوي	برِضا من هَوَيْتُ من سَطَوَاتِهِ ^(٥) .
وهي من بعدِ ذا عليٍّ حرامٌ	مِثْلَ تَحْرِيمِهِ جنسِ رَشَفَاتِهِ.

- (١) يصف شاري ذلك الشاب وأنها منحنيان فوق شفتيه انحناء مستويلاً لا تمرَّج فيه.
- (٢) موسى ضرب البحر بالعصا فانفلق البحر وظهرت أرضه فقطع موسى وبنو إسرائيل من مصر إلى سيناء.
- (٣) الفرق (بكسر فسكون): الموجة العالية. الفرق (بفتح ففتح): الخوف. تنامى: بلغ نهايته (في الحجم، في المقدار، الخ)، أصبح عظيماً جداً.
- (٤) البشرة (بفتح ففتح): ظاهر الجلد.
- (٥) التركيب هنا معقد (المقصود: صفاته الجميلة تمرض الحب والتمتع به يشفي الحب من مرضه).

٤-★★ الصلة ٢١٧-٢١٨؛ بغية الملتبس ٤٧٠ (رقم ١٤٢٦)؛ الخريدة (المغرب) ٢: ١٨٩-١٩١؛ الخريدة (الأندلس) ٤: ٥٥-٥٧؛ المطرب ٢٢٣ وما بعد؛ معجم الأدباء ١٩: ٢٨٦-٢٨٧؛ بغية الوعاة ٤٠٩؛ نفح الطيب ٣: ٣٧٦-٣٧٧؛ ٤: ٩٠، ١٣٧-١٣٨، ١٦٢-١٦٣، ٣٠٦؛ بروكلمن ١: ٤٧٩، الملحق ١: ٦٦٢؛ نيكل ٣٠٨-٣٠٩، مختارات نيكل ١٨١-١٨٢؛ الأعلام للزركلي ٩: ٨٠-٨١ (٨: ٨٤).

ابن البين البطليوسي

١- هو أبو عبد الله محمد بن البين البطليوسي، من شعراء المائة الخامسة (المغرب ٣٧٠)، كان يعيش في مدينة بطليوس معاصراً لابن صارة (ت ٥١٧ هـ). ولعل وفاته كانت نحو سنة ٤٩٠ (١٠٩٧ م).

٢- ابن البين البطليوسي أحد الشعراء المجيدين مستظرف الألفاظ والمعاني يميل إلى طريقة ابن هاني الأندلسي (ت ٣٦٢ هـ) مشغوفاً بها. وقد برع في المدح والغزل والنسيب والوصف.

٣- مختارات من آثاره

- قال ابن البين البطليوسي في الغزل والنسيب:

غصّبوا الصباح فقسّموه خُدوداً	واستوهبوا قُضْبَ الأراكِ قُدوداً ^(١) .
ورأوا حصى الياقوتِ دُونَ محلّهم	فاستبدّلوا منه النجومَ عُقوداً ^(٢) ،
واستودّعوا حدّقَ المَها أجفانهم	فسبّوا بهنّ ضراعماً وأسوداً ^(٣) .
لم يكفِ أن سلبوا الأسنّةَ والظبي	حتى استعانوا أعيناً ونُهوداً ^(٤) .
وتضافروا بصفائرِ أبَدوا لنا	ضوءَ النهارِ بلونها معقوداً ^(٥) .

(١) الأراك: شجر تتخذ من أغصانه المساويك.

(٢) الياقوت (مأخوذ من الأرض) والنجوم (في السماء).

(٣) المهاء: بقرة الوحش (نوع من الغزلان له عيون واسعة). الضراعغ (الاسد).

(٤) السنان (الرمح) الظبة (بضم ففتح): حدّ السيف... حتى استعانوا بالعيون وبالنهود (على قتل الحيين).

(٥) تضافروا: اجتمعوا وتعاونوا.

- اجتمع ابن البين البطليوسي بـ ابن صارة الشنتريني فقال له ابن صارة: أجز:
هذي البسيطة كاعب أبرادها حُلُّ الربيع وحَلُّها الأزهار^(١).
فقال ابن البين:

وكانَ هذا الجوُّ فيها عاشقٌ قد شَفَّه التعذيبُ والإضرار^(٢).
فإذا شكا فالبرقُ قلبٌ خافقٌ، وإذا بكى فدموعه الأمطار.
من أجلِ ذلَّةِ ذا وعِزَّةِ هذه تبكي السمةُ ويضحكُ النوار^(٣).

٤-★★ الذخيرة ٢: ٧٩٩-٨٠٣؛ المغرب ١: ٣٧٠؛ رايات المبرزين ٣١ (٤)؛ الخريدة (المغرب) ١: ١٨٥-١٨٦؛ المحمدون من الشعراء ١٩٧-١٩٨؛ نفح الطيب ٣: ٤٥٣، راجع ٤٠٣.

لبّون بن عبد العزيز

١- هو ذو الوزارتين أبو عيسى لبّون بن عبد العزيز بن لبّون، وزر في طليطلة للأُمون بن ذي النون (٤٢٩-٤٦٧ هـ) ثم لأخيه وخلفه يحيى القادر (٤٦٧-٤٧٨ هـ). ثم استولى الإسبان على طليطلة (٤٧٨ هـ) فانتقل لبّون إلى بلنسية وتولى فيها القضاء، في أيام صاحبها الأمير المنصور أبي بكر بن عبد العزيز (٤٦٨-٤٧٨ هـ). ثم إن يحيى القادر (صاحب طليطلة) استولى على بلنسية، في حديث طويل، في أواخر سنة ٤٧٨ نفسها.

ويبدو أن لبّون قد فضل ولاية البلدان على القضاء فأصبح قائداً (والياً) على قلعة عبد السلام قرب وادي الحجارة (أعمال الأعلام ٢٠٩)، إلى الشمال الشرقي من مدريد. ثم إنّه استبد بحكم مُربِطَر (من أعمال بلنسية)، شمال بلنسية وعلى الساحل.

-
- (١) الكاعب: الفتاة في أول صباحها (حيناً يبدأ نهداها بالبروز). البسيطة (الأرض) أبرادها (البرد بالضم: ثوب من حرير). الحلة (بالضم): الثوب النفيس. الحلي (يفتح فسكون) الحلي (بضم ففتح): ما تزين به المرأة عنقها ويديها من الذهب وغيره.
- (٢) شَفَّ المرض المريض (أنحله وهزله): جعله نحلاً وهزيلًا.
- (٣) النوار: الزهر الأبيض.

ولكن عبد الملك بن هذيل أمير السهلة (٤٣٦ - ٤٩٦ هـ) خدعه وأخذ مُريبطر منه على أن يُعوّضه منها بلداً آخر. ولكن عبد الملك لم يَفِ للبون بذلك. ولم يكن لبون ميّالاً إلى الكفاح فانتقل إلى شتَمريّة الشرق (شرق مدريد) ليعيش في دعة.

ولعل حياة لبون قد امتدت إلى نحو سنة ٤٩٠ (١٠٩٧ م) أو إلى ما بعدها بقليل. وقيل إن وفاته كانت في شتَمريّة الشرق، وقيل: بل في سرقسطة.

٢ - كان أبو عيسى لبون بن عبد العزيز أديباً ناثراً شاعراً. وفنون شعره الوصف (للخمر والزهر في الأكثر) ثم الزهد والرتاء.

٣ - مختارات من آثاره

- قال أبو عيسى بن لبون بعد أن لحق بآبن رزين واستقل ما كان يأخذه منه (على تخليّه له عن مُريبطر):

دَرُونِي أَجُوبَ شَرْقَ الْبِلَادِ وَغَرِبَهَا	لَأُشْفِي نَفْسِي أَوْ أَمُوتَ بَدَائِي ^(١) .
فَلَسْتُ كَكَلْبِ السَّوْءِ يُرْضِيهِ مَرْبُضٌ	وَعَظُمْتُ، وَلَكِنِّي عُقَابُ سَمَاءِ
تَحُومٌ لَكَيْمًا يُذِرُكَ الْخِصْبَ حَوْمَهَا	أَمَامَ أَمَامٍ أَوْ وَرَاءَ وَرَاءِ *.
وَكُنْتُ إِذَا مَا بِلْدَةٌ لِي تَنْكَرْتُ	شَدَدْتُ إِلَى أُخْرَى مَطِيٍّ إِبَائِي ^(٢) ؛
وَسِرْتُ وَلَا أُلَوِي عَلَى مُتَعَذِّرٍ	وَصَيَّمْتُ لَا أُصْنِي إِلَى النُّصْحَاءِ ^(٣)
كَشَمْسٍ تَبَدَّتْ لِلْعَيُونِ بِمَشْرِقٍ	صَبَاحًا، وَفِي غَرْبٍ أَصِيلَ مَسَاءٍ ^(٤) .

- وقال أيضاً يَكْشِفُ عن الحِذْعَةِ التي وَقَعَ فِيهَا بِتَخْلِيهِ عَمَّا كَانَ يَمْلِكُ مِنْ

البلدان:

-
- (١) ذرني: دعني، اتركني. جاب الأرض: طاف فيها.
- * في بعض المصادر «أمام أمامي» وما اخترناه أصح. ولعل المقصود ما قصده أبو فراس «لنا الصدر دون العالمين أو القبر».
- (٢) المطية: الدابة يركبها الإنسان في أسفاره. شد المطية: أعدها للسفر.
- (٣) المتعذر: الذي ينتحل الأعذار لنفسه ليبرر أخطائه. ألوي: ألتفت (أخاصم). صم الرجل (مضى في رأيه لا يبالى بلوم الآخرين).
- (٤) الأصيل (الوقت قبيل غروب الشمس).

خَلِيلِيَّ، مَا بَالِي عَلَى صِدْقِ عَزَمَتِي
فَوَاللَّهِ، مَا أَذْرِي لِأَيِّ جَرِيمَةٍ
وَلَمْ أَكُ عَنْ كَسْبِ الْمَكَارِمِ عَاجِزًا
لَتَنْ شَانَ تَمْزِيقِ الزَّمَانِ لِدَوْلَتِي،
وَأَيْقَظَ مِنْ لَيْلِ الْغَرَارَةِ نَائِيًا
أَرَى مِنْ زَمَانِي وَنِيَّةً وَتَعَدُّرًا^(١)!
تَجَنَّى وَلَا عَنْ أَيِّ ذَنْبٍ تَغَيَّرًا^(٢)؟
وَلَا كُنْتُ فِي نَيْلٍ أُنَيْلٍ مُقْصِرًا^(٣).
لَقَدْ رَدَّ عَنْ جَهْلٍ كَثِيرٍ وَبَصْرًا^(٤)؛
وَكَسَّبَ عِلْمًا بِالزَّمَانِ وَبِالْوَرَى^(٥)!
- وَقَالَ يَصِفُ الْخَمْرَ:

يَا رَبَّ لَيْلٍ شَرَبْنَا فِيهِ صَافِيَةً
تَرَى الْفَرَّاشَ عَلَى الْأَكْوَاسِ سَاقِطَةً
حِرَاءَ فِي لَوْنِهَا تَنْفِي التَّبَارِيحَا^(٦).
كَأَنَّا أَبْصَرْتُ مِنْهَا مَصَابِيحَا^(٧).
- وَلَهُ فِي الْعِتَابِ:

لَحَا اللَّهُ قَلْبِي كَمْ يَحِنُّ إِلَيْكُمْ،
وَإِذَا نَحْنُ أَنْصَفْنَاكُمْ مِنْ نَفُوسِنَا،
وَقَدْ بَغْتُمْ حَظِّي وَضَاعَ لَدَيْكُمْ^(٨).
وَلَمْ تُنْصِفُونَا، فَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ!

٤-★★ قلائد العقيان ١١١-١١٥؛ الذخيرة ٣: ١٠٤-١٠٨؛ أزهار الرياض ٣:
١٢٠-١٢٣؛ المغرب ٢: ٣٧٦-٣٧٧؛ خريدة (المغرب) ٢: ٣٧٥-٣٨٠؛
الخريدة (الأندلس) ٤: ٣٣٢-٣٣٦؛ الحلة السراء ٢: ١٦٧-١٧١؛ أعمال الأعلام
٢٠٩؛ جيش التوشيح ١٥٨-١٦٩ (راجع ٢٦٢-٢٦٥)؛ نفح الطيب راجع ١:
٦٧٢-٦٧٣، ٣: ٥٩٧، ٤: ٣١٤؛ نيكل ٢٠٢-٢٠٤.

عبد الملك بن رزين

١- هو ذو الرئاستين حُسامُ الدين أبو مروان عبدُ الملك بن هُذَيْل بن عبدِ الملك

- (١) الونية: التعب، الضعف. التَعَدُّر: السر، المشقة.
- (٢) تَجَنَّى (زَمَانِي عَلِي): اتهمني بالذنوب والتقصير (بغير حق). وَلَا عَنْ أَيِّ ذَنْبٍ (ارتكبته أنا).
- (٣) النَيْل: العطاء. أُنَيْلُهُ: أعطيه (كرما مني).
- (٤) شَانَ: عاب.
- (٥) الْغَرَارَةُ (بِالْفَتْح): الغفلة، حادثة السن.
- (٦) التَّبَارِيح: الشدائد (الخمر تنسي الإنسان ما يحيط به من المشكلات أو كذلك يزعمون).
- (٧) الْأَكْوَاس (يقصد بها الشاعر هنا جمع كأس) وليس هذا في القاموس ولا في تاج العروس.
- (٨) لَحَا: لعن.

ابن خَلَفِ بْنِ لُبِّ بْنِ رَزِينٍ، قيل إِنَّ أَصْلَ أَهْلِهِ عَرَبٌ مِنْ هَوَّارَةَ، وقيل من بَرَابِرَةِ الثُّغَرِ (شَمَالِي الْأَنْدَلُسِ)، والاسم «لُبٌّ» في أَعْلَى نَسَبِهِ اسْمٌ إِسْبَانِي مشهور.

وُلِدَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ رَزِينٍ نَحْوَ سَنَةِ ٤١٦ هـ (١٠٢٥ م). ويبدو أَن مجيئه إِلَى الْحَكْمِ بَاكِرًا (فِي الْعِشْرِينَ مِنْ عُمُرِهِ) حَالٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّثْقِيفِ الْمُنَظَّمِ. وَكَانَ مُلْكُ آلِ رَزِينٍ فِي السَّهْلَةِ مِنْ كُورَةِ شَنْتَبَرِيَّةٍ مَا بَيْنَ سَرَقُوسْطَةَ وَوَادِي الْحِجَارَةِ (أَوْ شَنْتَمَرِيَّةِ الشَّرْقِ) عَلَى مَقَرَّةٍ مِنْ مَجْرِيَطِ (مَدْرِيدِ) شَرْقًا فِي شَمَالِ. وَهِيَ كُورَةٌ كَثِيرَةُ الْخِصْبِ كَثِيرَةُ التَّضَارِيسِ (الْجِبَالِ وَالْأَوْدِيَةِ) وَكَثِيرَةُ الْمَاعَلِ.

وَفِي سَنَةِ ٤٩٣ جَرَتْ عَلَيْهِ مَوَازِيرَةٌ، فَإِنَّ جَمَاعَةً مِنْ أَتْبَاعِهِ وَأَهْلِهِ فِيهِمْ ابْنُهُ وَصْهَرُهُ خَبَطُوهُ بِالسُّيُوفِ فَأَكْثَرُوا فِيهِ الْجِرَاحَ وَلَكِنَّهُ سَلِمَ. وَقَدْ عَاقَبَهُمْ عِقَابًا شَدِيدًا بِالتَّعْذِيبِ وَالْقَتْلِ، غَيْرَ أَنَّهُ أَمَرَ بِابْنِهِ أَنْ تُقَطَعَ رِجْلُهُ وَيُتْرَكَ. وَدَامَ مُلْكُهُ سِتِينَ سَنَةً أَوْ تَزِيدُ.

وَكَانَتْ وَفَاةُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ رَزِينٍ فِي تَاسِعِ شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ ٤٩٦ (١١٠٣ م).

٢ - يَحْمِلُ ابْنُ عِزَّارٍ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ رَزِينٍ حِمْلَةً شَدِيدَةً (٣: ٣٠٩) فيقول فِيهِ نَقْلًا عَنْ ابْنِ حَيَّانَ: سَيِّئَةُ الدَّهْرِ وَعَارُ الْعَصْرِ جَاهِلٌ خَامِلٌ قَلِيلُ النَّبَاهَةِ شَدِيدُ الْإِعْجَابِ بِنَفْسِهِ طَوِيلُ الدَّعْوَى بِمَا لَيْسَ فِيهِ، قَلِيلُ الْعِلْمِ. وَلَكِنْ لَا شَكَّ فِي أَنَّهُ كَانَ حَسَنَ الْمَعَامَلَةِ لِحُنْدِهِ وَلَكِنْ قَلِيلَ الْعَطَاءِ لِلشُّعْرَاءِ (وَلَعَلَّ النِّقْمَةَ عَلَيْهِ جَاءَتْ مِنْ هُنَا). ثُمَّ إِنَّهُ كَانَ فَظًّا قَاسِيًّا فِي الْعِقَابِ قَلِيلَ الْإِهْتِمَامِ فِي السِّيَاسَةِ وَالْمُلْكِ إِلَّا بِأَمْرِ نَفْسِهِ وَمُلْكِهِ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ لَمْ يَخْتَلَفْ مِنْ سَائِرِ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ الَّذِينَ كَانُوا يَسْتَعِينُونَ بِمُلُوكِ النَّصَارَى عَلَى مُلُوكِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَدْ اشْتَرَكَ مَعَ السَّيِّدِ الْقَمْبِيَّاطُورِ، سَنَةَ ٤٨٧ هـ، فِي حِصَارِ بَلَنْسِيَّةِ.

وَكَانَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ رَزِينٍ أَدَبٌ مِنْ نَثَرٍ وَنَظْمٍ، إِلَّا أَنَّ أَدَبَهُ كَانَ عَادِيًّا. وَمِنْ أَغْرَاضِهِ الْفَخْرُ وَالْوَصْفُ وَالْخَمْرُ وَالْأَدَبُ (الْحِكْمَةُ) وَالْغَزَلُ وَالنَّسِيبُ وَالْهَجَاءُ.

٣ - مَخْتَارَاتُ مِنْ آثَارِهِ

- مِنْ رِسَالَةِ إِخْوَانِيَّةِ كَتَبَ بِهَا إِلَى أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ طَاهِرٍ يَطْلُبُ مِنْهُ الْوَفْدَ عَلَيْهِ بَعْدَ أَنْ بَلَغَهُ مَا حَلَّ بِهِ مِنْ طَرْدِهِ مِنْ مُلْكِهِ:

أنت - أدامَ الله عِزَّكَ - عالمٌ بالزمانِ وانقلابه، عارفٌ بإعارتهِ واستلابه. ومنَ عَرَفَه حقَّ معرفته لم تَزِدْهُ شِدَّتُهُ إِلَّا مُغْتَبِراً وشُكْراً لله وتدبُّراً. وما زلتُ أَلْكَأ بالوَدِّ على البُعْد، فأَعْلَمُكَ بِتَقَدُّمِكَ في الأعيان وإن لم أَرَكْ بالعيان^(١). وأَسْتَخْبِرُ الأخبارَ فأَسْمَعُ ما يَفْرُغُ صَفَاةَ الكَيْدِ بِإِخْءاءِ الزمانِ^(٢) عليك وتَنَكُّرِهِ لَدَيْكَ... وأنا - أَعَزَّكَ اللهُ - أَعْرِضُ ما هو الأَوْفَقُ لي والأَلْيَقُ بي، عن عَزْمَةٍ مَكِينَةٍ ورَغْبَةٍ أَكِيدَةٍ: مِنِ الانتِقالِ إلى جِهَتِي والانبِساطِ في دَوْلَتِي، فأَقاسِمُكَ خاصَّ ضِياعِي ومَعْلُومِ أَمْلَأكِي وان شَقَّ عَلَيْكَ الكَوْنُ بِجِهَتِي لِبَرْدِ هَوَائِها وبُعْدِ أَنْحائِها، فها هي شنت مَرِيَّةً أَقِفُ طاعَتِها عَلَيْكَ وَأَصْرِفُ أَمْرَها إِلَيْكَ^(٣). وعِنْدِي مِنَ العَوْنِ على الارتِحالِ ما يَقْتَضِيهِ لَكَ في الحَالِ. وَلَكَ الفَضْلُ في مُراجعتِي بما يَسْتَقِرُّ عَلَيْهِ رَأْيُكَ...

- ولعبد الملك بن رزین یصف روضاً:

ورَوْضٍ كَساهِ الطَّلُّ وشيأً مُجَدِّداً	فأُضْحِي مُقِيًّا لِلنَّفوسِ ومُقْعِداً ^(٤) .
إذا صافَحَتَهُ الرِّيحُ ظَلَّتْ غُصُونُهُ	رواقِصَ في خُضْرٍ مِنَ العَصَبِ مُيِّداً ^(٥) .
إذا ما أَنَسَكَبَ المَلَأُ عَايَنَتَ خِلَتَهُ	- وقد كَسَّرَتُهُ راحَةُ الرِّيحِ - مَبْرَداً.
وان سَكَنَتْ عَنْهُ حَسِبْتَ صَفَاءَهُ	حُساماً صَقِيلًا صافيَ المَتَنِ جُرِّداً.
وَعَنَّتْ بِهِ وَرُقُ الحِماثِ حَوْلَنا	غَناءً يُنَسِّينَا الفَرِيضَ وَمَعْبَداً ^(٦) .
فلا تَحْفَوْنَ الدَّهْرَ ما دام مُسْعِداً،	ومُدَّ إلى ما قد حَبَاكَ بِهِ يَداً ^(٧) .
وَحُذِّها مُدَاماً مِنْ غَزالٍ كَأَنَّهُ،	إذا ما سَعَى، بِدَرٍّ تَحْمَلُ فَرَقِداً ^(٨) .

(١) بالعيان: برؤية العينين.

(٢) يفرغ: يدرق، يضرب. صفاة (صخرة) القلب. - يحزن النفس. انحى الزمان على الإنسان انحاء: مال على (شيء بشدة أو ظلم).

(٣) أصرف أمرها إليك: أجعل لك الحكم عليها (أجعلك حاكماً عليها).

(٤) الطل: الماء الذي ينعقد من بخار الماء في الليل على الأشجار. الوشي: النقش (بالألوان والتزيين). المقيم: المقعد (في الأصل): الهم الشديد. المقصود هنا: كثير الطرب.

(٥) العصب: نوع من الثياب الحريرية. مائد (يتأيل).

(٦) الفريض ومعيد مغنيان من العصر الأموي أولهما يجيد الغناء الحزين.

(٧) مسعد: مساعد، نافع. حبا: أعطى.

(٨) الفرقد نجم معين. وهنا: نجم.

- وأخذ عبدُ الملك بن رَزِينِ شَطْرَ الْمُتَنَبِّي « فلا مَجْدَ في الدنيا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ »
وحلّه حلاً لطيفاً في الأبيات التالية:

من كَثَّرَ الجُنْدَ يرى سَعْدَهُ يصعدُ حتَّى ينتهي حِدَّهُ (١).
ومن أَذَلَّ المالَ عزَّتْ به أَيَّامُهُ أو نصَرَتْ جُنْدَهُ (٢).
فاهدُمُ بناءَ البُخلِ وارفض به. من هدمَ البُخلَ بنى مجدَهُ (٣).
لا عاش إلا جائعاً نائماً مَنْ عاش في أمواله وحدَهُ (٤).

- وفي الذخيرة (٣: ١١٦): « ومن غريب شعر ابن رَزِينِ قوله » (في الهجاء):

أخسِنُ بمجلسٍ مَعَشِرٍ ما فيه إلا الطنْزُ برُّ (٥).
جُلَسَاؤُهُ قَوْمٌ ثَقَا لَ كُلُّهُمْ خُبْتُ وشرَّ.
ما فيهِمْ إلا دَنِي أو غَيِّ أو مُضِرَّ.
أَسَدٌ على ثَلَبِ الكِرا م، وإن ورنَتْهُمُ فذَرَّ (٦).
هذا يَفْوْثٌ، بل أضدَّ لُ، وذا يَعوقُ، وذاك نَسَرَّ (٧).
ذاك المَحَلَّ كَوادِ عَوْ في ليس يُلقَى فيه حرُّ (٨).

- وقال بين الفخر والنسيب:

دعِ الدَمْعَ يُفْنِ الجَفْنَ لَيْلَةً ودَّعُوا. إذا انقلبوا بالقلب، لا كان مدمعُ (٩).

- (١) حِدَّهُ (في الأصل أيضاً) منصوبة، ولا أدري وجه ذلك.
- (٢) في الأصل: انصرفت جنده (والتصحيح من الحلة السراء ٢: ١١١).
- (٣) رفض (بفتح الفاء) يرفض (بكسر الفاء أو ضمها): ترك الشيء. « به » لا حاجة إليها.
- (٤) النائع: العطشان، والذي يتأيل من شدة الجوع (يمكن أن تكون اتباع « جائع »).
- (٥) أخسِنُ = ما أخسَه: ما أقلَّه وأتفهه وأحقره. الطنْزُ: الهزؤ والاستخفاف.
- (٦) الثلب: السبِّ والشم. الذرُّ: صفار النمل.
- (٧) يفوْث ويعوق ونسر من الأصنام (كانت في الجاهلية).
- (٨) تضمين للمثل « لا حرَّ بوادي عوف » (الذخيرة ٣: ١١٦، الحاشية الخامسة). راجع هذا المثل وقصته في فرائد اللآلئ ١: ١٩٩ - ٢٠٠. يلقى (كذا في الأصل): يوجد (ولعل الأفصح: يلقي بالفاء، وهما بمعنى).
- (٩) أكثر من البكاء. إذا انقلبوا بالقلب (إذا ارتحلوا وأخذوا قلبك معهم، لأنك تحبهم) فلا كان مدمع (لم يبق بعدهم حاجة إلى البكاء أو الحزن على شيء).

سَرَوْا كَاغْتِدَاءِ الطَّيْرِ، لَا الصَّبْرُ بَعْدَهُمْ جَمِيلٌ وَلَا طَوْلُ النَّدَامَةِ يَنْفَعُ^(١).
أَضِيقُ بِجَمَلِ الْفَادِحَاتِ مِنَ النَّوَى، وَصَدْرِي مِنَ الْأَرْضِ الْبَسِيطَةِ أَوْسَعُ^(٢).
وَأَنْ كُنْتُ خَلَاعَ الْعِدَارِ، فَإِنِّي لَيْسْتُ مِنَ الْعِلْيَاءِ مَا لَيْسَ يُخْلَعُ^(٣).
إِذَا سَلَّتِ الْأَلْحَاطُ سَيْفًا خَشِيتُهُ، وَفِي الْحَرْبِ لَا أَخْشَى وَلَا أَتَوَقَّعُ^(٤).
- وَقَالَ فِي الْغَزْلِ وَالنَّسِيبِ:

بِاللَّهِ، إِنْ لَمْ تَزْدَجِرْ، يَا مُشْبِهَ الْبَدْرِ الْمُنِيرِ،
لَأَسْرَحَنَّ نَوَاطِرِي فِي ذَلِكَ الْخَدِّ النَّصِيرِ،
وَلَأَكُلَنَّكَ بِالْمُنَى وَلَأُشْرِبَنَّكَ بِالضَّمِيرِ.

٤- ** قلائد العقيان ٥٨-٦٤؛ الذخيرة ١٠٩: ٣-١٢٤؛ الحلة السراء ١٠٨: ٢-١١٥؛
المغرب ٢: ٤٢٨-٤٣٠؛ الذيل والتكملة ٥: ٥٢؛ الخريدة (المغرب) ٢:
٣٦٠-٣٦٣؛ البيان المغرب ٣: ١٨١-١٨٢، ٣٠٩-٣١٠؛ المطرب
٣٩-٤١؛ أعمال الأعلام ٢٠٥-٢٠٧؛ نفع الطيب ٣: ٢٤٦-٢٤٧، ٤٠٧،
٤٣٢-٤٣٣، ٥٦٧-٥٦٨؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣١٤ (١٦٥-١٦٦).

ابن الودّاني

١- هو أبو الحسن علي بن أبي إسحاق إبراهيم ابن الودّاني، نسبة إلى ودّان وهي
بلدة في إفريقية (ليبيا اليوم). وكان ابن الودّاني من العرب الذين انتقلوا إلى جزيرة
صقلية وسكنوها وأصبح لهم مكانة فيها. ثم أصبح ابن الودّاني نفسه فيها من أهل
النفاة والرئاسة وصار صاحب الديوان أو رئيس الكتاب.

وكان ابن الودّاني من أحياء القرن الخامس للهجرة (الحادي عشر للميلاد). وفي
الخريدة (قسم المغرب ١: ٨٣) أن ابن الودّاني «كان في عهد ابن رشيق و(كانت)

(١) سروا: سافروا ليلاً. اغتداء الطير: خروج الطيور من أوكارها صباحاً (باكراً جداً).

(٢) الفادح: الثقيل. الفادحة: النازلة، المصيبة. النوى: البعد، البعاد (الفراق).

(٣) خلّاع العذار (الرسن من الرقبة): أعمل الأشياء التي يستحيا منها في العادة.

(٤) إذا نظرت إليّ العيون الجميلة خفت منها. اتوقع: انتظر (أو ينتظر مني) أن أخاف.

بينها مكاتبات . وبما أن وفاة ابن رشيق كانت سنة ٤٥٦ (وفي رواية سنة ٤٦٣)، فلا يُنتظر أن يكون قد عاش إلى ما بعد سنة ٤٩٠ (١٠٩٧ م).

٢ - وصل إلينا من آثار ابن الودّاني خمسة أبياتٍ من الشعر أحبه الدارسون من أجل ثلاثةٍ منها. إنها أبياتٌ بارعةٌ في المعنى عذبةٌ في اللفظ سهلةٌ في الأداء، وفيها كلّها لفظةٌ من الابتكار في الاستعارة: « من يشتري منّي النجوم - شيبٌ أطلّ على سوادٍ شبّابي ».

٣ - مختارات من شعره

- قال ابن الودّاني يصفُ ليلةً اجتمع فيها بأصحابٍ له يتحاورون في فنونٍ من الأدب:

من يشتري منّي النجومَ بليلةٍ لا فرقَ بينَ نجومِها وصباحي^(١).
دارتُ على فلّكِ السماءَ، ونحن قد دُرنا على فلّكِ من الآداب^(٢).
وأتى الصباحُ - فلا أتى - وكأنّه شيبٌ أطلّ على سوادٍ شبّابي.
- وقال في الشيب:

وبرغمي لمّا أتاني مَشِيبِي قلتُ: أهلاً بهذا الضحوكِ القطوب^(٣).
ولعمري ما كنتُ ممّن يُحيي هـ، ولكنّ تملّقُ المغلوب.

٤ - ★★ الخريدة (المغرب) ١ : ٨٢ - ٨٣؛ أعلام ليبيا ٢٠٤؛ أعلام من ليبيا (من طرابلس؟)، تأليف علي مصطفى المصري، طرابلس - ليبيا (مكتبة دار الفكر) ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م، ص ٥٩ - ٧٤؛ المكتبة الصقلية ١٣٣، ٥٩١.

-
- (١) أنا أستغي عن نجوم الليل (عن الاستضاءة بها) لأن أصحابي مثل النجوم في الإضاءة والهداية.
(٢) نجوم الليل ثابتة في أفلاكها على الدوران مجتمعة. ونحن أيضاً ثابتون على الاجتماع بعامل الآداب (كأننا ندور في أفلاك ثابتة كالنجوم).
(٣) الضحوك (لأنه أبيض اللون). القطوب: العابس (لأنه يسيء إلى الإنسان بتذكير الإنسان بالعجز وبالموت).

ابن القزّاز محمد بن عبادة

١- هو أبو عبد الله محمد بن عبادة المعروف بابن القزّاز - ويكنى أبا بكر (أزهار الرياض ٢: ٢٥٢). ويشار إليه أحياناً باسم عبادة القزّاز (راجع الخريدة: المغرب والأندلس ٢: ١٨٢؛ وفي نفح الطيب ٧: ٦، نقلاً عن مقدّمة ابن خلدون، بيروت، المطبعة الأدبية، عام ١٩٠٠، ص ٤٨٥ ثم دار الكتاب اللبناني، عام ١٩٦١، ص ١١٣٨). وقد يقع الخلط فيما يُنسب إليه من الشعر بينه وبين عبادة بن ملك السماء. وقد وقّع مثل هذا في هذا الكتاب، فقد أثبتُ أنا (فوق، ص ٤٤٩ - ٤٥٠) الموشحة البارعة: «مَنْ وَلِي - فِي أُمَّةٍ - أَمراً وَلَمْ يَعْدِلْ، يُعْزَلْ ...» لعبادة بن ماء السماء، استناداً إلى «فوات الوفيات» (١: ٢٥٥ - ٢٥٦). ثم هي مُثبتة في «الوافي بالوفيات» (٣: ١٨٩ - ١٩٠) لابن القزّاز محمد بن عبادة صاحب هذه الترجمة.

ونحن لا نكاد نعرف من حياة ابن القزّاز هذا شيئاً من التفاصيل المفيدة. إنّ ابن خاتمة (٧٧٠ هـ) ذكر ابن القزّاز في كتابه «مزيّة المزيّة» فقال: «محمد بن عبادة يكنى أبا بكر ويعرف بالقزّاز (لا بابن القزّاز)، وأحسبه من أهل مالقة ...» (أزهار الرياض ٢: ٢٥٢).

وكان ابن القزّاز محمد بن عبادة متصلاً بالمعتمد بن عبّاد. ولكن يبدو أنّ اتصاله بالمعتصم بن صّادح وبابنه ووليّ عهده كانت أوثق.

ولعلّ وفاة ابن القزّاز كانت في سنة ٤٨٨ هـ (١٠٩٥ م) أو بعد ذلك بقليل.

٢- كان ابن القزّاز محمد بن عبادة «من مشاهير الأدباء والشعراء. وأكثر ما اشتهر اسمه وحُفِظَ نَظْمُه في أوزان الموشحات» (الذخيرة ١: ٨٠١). أمّا قصائده فليست بالمكان الذي يستحقّه، فيما يبدو، بموشحاته. وفنون شعره المديح والغزل. وله هجاء فيه إقذاع ثم له وصف. وله أيضاً ترسلٌ فيه كثيرٌ من السهولة برغم كثرة الصناعة فيه.

٣ - مختارات من آثاره

- من رسالة كتبها محمد بن عبادة المعروف بابن القزاز إلى أبي بكر الخولاني المنجم (الذخيرة ١ : ٨٠٢):

إن لم تتقدّم بيننا مخاطبة ولا جرت مكاتبة، فقد علّم الله تعالى أن ودادي لك محض لا يشوبه^(١) كدر، وأن ثنائي عليك غصّ يتضوّع^(٢) تضوّع الزهر. فحال قدري^(٣) لوصفك الجليل مطرزة بذكرك الجميل، وتيجانه على مفارق مجدك الأثيل^(٤) مرصعة بلالء حمّدك الجزيل^(٥). وكنت عند حُلُولك بالمرية قد باشرت من أفعالك السنية وشهدت من محاضرك الحسان ما يكلّ عن وصفه كلّ لسان. وما زلت منذ غبت عنها - لا غاب نجم سعدك ولا أصلد واري زندك^(٦) - أذكر مآثر^(٧)ك وأنشر مفاخر^(٨)ك وأبث ما عاينت من مناقبك، كالذي يتعين من واجبك أعان الله على أدائه والقيام بأعبائه^(٩).....

- وله من قصيدة (الذخيرة ١ : ٨٠٤ = الوافي بالوفيات ٣ : ١٨٩):، وهي في استجدك من المدوح (من آل عبد الحميد؟) ظاهر:

يا دَوْحَةً بظلالها أتقيًا، بل مَفِيلًا آوي إليه وأجأ^(١)،
رَمِدَتْ جُفُونِي مَذْ حَلَلْتُ هُنَا، وَلَوْ كُحِلَتْ بَرُؤَيْتُكُمْ لَكَانَتْ تَبْرًا.

- (١) المحض: الخالص الذي لا يشوبه (لا يخالطه شيء آخر).
- (٢) الغصّ (من النبات): الطريّ الناضر. تضوّع: انتشر (فاحت رائحته).
- (٣) فحال قدري.. حلمي.....
- (٤) الأثيل: الأصيل (الثابتة أصوله والمعروف بالشرف).
- (٥) الجزيل: الكثير العظيم من كلّ شيء.
- (٦) أصلد: أصبح صلدًا (قاسيًا). واري زندك (الزند: حديدة تقدح بها النار من حجر النار. الواري: المشعل). وإذا أصلد الزند بطل تأثيره في الحجر فلا يخرج من الحجر نارًا.
- (٧) المآثر (بضمّ التاء): العمل الكريم المتوارث أبا عن جدّ.
- (٨) بثّ: نشر، أذاع. المنقبة (بفتح فسكون ففتح): العمل الكريم. يتعين عليّ (يجب عليّ). العبء: الحمل (الثقل).
- (٩) الدوحة: الشجرة الكبيرة. المعقل: الحصن الذي يحمي من فيه.

فَدَعْ عَذَلِي يَا مَنْ يَلُومُ.
 فَلَوْمُوكَ لِي فِي الْحُبِّ لُومُ.
 أَقْصَى أَمَلِي ظَنِّي رَخِيمُ
 ابْتَزَّ الْجَلْدُ بِلَحْظٍ مُرَقَّدُ
 وَلَمَّةٍ عَسَجْدُ، قَتْلِي قَدْ تَعَمَّدُ،

دَمِي تَقْلَدُ (١) ..

آه!

★ ★ ★

وَلَا أَنْبِرِي لِلْعَامِرِي
 خَيْالٌ سَرَى فِعْلَ الْكَمِي
 شَدَوْتُ الْوَرَى شَدَوُ الشَّجِي.
 الْبَدْرُ سَجَدُ وَالرِّيمُ أَسَجَدُ
 لِنَعْلٍ مُحَمَّدُ بِالْخَدِّ الْمُرَدُّ.

وَالْجَيْدِ الْأَغِيدُ (٢).

تاه!

٤- المغرب ٢: ١٣٤-١٣٧؛ الذخيرة ١: ٨٠١-٨٠٥؛ الخريدة (المغرب والأندلس)
 ٢: ١٨٢-١٨٣، راجع ٣: ٧٠٨؛ الترجمة المشار إليها في معجم الأدباء لياقوت

- (١) العذل: اللوم. لوم = لؤم. ظي: ولد الغزال أو الغزال. الرخيم: اللين الصوت (صاحب الصوت المطرب). ابتز: سلب. الجلد: احتمال المشاق. مرقد: ناعس. اللمة: شعر الرأس المجاور للأذن (الشعر عموماً). عسجد: ذهب (أشقر). تقلد (لبس) دمي (أَنْ تَوَرَّدَ خَدَّيْهِ مِنْ دَمِي الْمُسْفُوكِ فِي حَبِّهِ).
 (٢) انبري: عرض، تصدّى. للعامري: قيس بن الملوح (مجنون ليلي) للمحب. سرى: سار ليلاً. الكمي: الشجاع التامّ عدة الحرب. شدوت (غنيت) الوري (للوري: للناس كلّهم) شدو (الحن) الشجي (الحزين). البدر والريم (الغزال الأبيض كناية عن المحبوب الجميل). سجد: خضع. أسجد: نظر بعين مسكورة (مطمئنة). محمد (هو الشعر: محمد بن عبادة). الجيد: العنق. الأغيد: الناعم المتشّبي. الضمير في « تاه » يرجع إلى محمد (٣).

١٩ : ١٠٥ (والصواب ١٨ : ١٠٥ وما بعد) هي لمحمد بن جعفر القزّاز القيرواني المتوفى سنة ٤١٢ للهجرة؛ قلائد العقيان (ستة أبيات حائية في ترجمة المعتمد بن عبّاد)؛ الخريدة (الأندلس) ٢ : ٤٢ - ٤٣؛ الوافي بالوفيات ٣ : ١٨٩ - ١٩٠؛ فوات الوفيات، راجع ١ : ٢٥٥ - ٢٥٦؛ نفح الطيب ٣ : ٤١١، ٤٩٢، ٦١٠، ٤ : ١٣، ١٠٣، ٧ : ٦؛ أزهار الرياض ٢ : ٢٥٢، ٢٥٤.

يقف هذا الجزء عند أصحاب التراجم الذين شهدوا
عصر ملوك الطوائف أو جانباً منه. ويبدأ الجزء التالي
بتراجم الذين شهدوا عصر المرابطين في الأندلس.

فهرس هجائي لأعلام الأشخاص

لا يدخل في هذا الفهرس أسماء الأشخاص تما يرد في قسم المصادر والمراجع (القسم ٤) من كل ترجمة، ولا الأسماء التي ترد (عند الاستشهاد بمصدر أو مرجع، في المتن أو في الحاشية) إلا إذا كان صاحب هذا المصدر أو المرجع قد أبدى رأياً معيناً أو قال قولاً صريحاً في بحث ما. وكذلك لا تظهر في هذا الفهرس أسماء المؤلفين والمحررين والمحققين والناشرين للكتب الموجودة في ثبوت المصادر والمراجع.

إذا كان للاسم صيغة مشهورة جداً، نحو: أي بكر الصديق، أي تمام، البحتري، ابن خلدون، فأنا أكتفي بإيراد هذه الصيغ المشهورة من غير إحالة عليها من: عبد الله بن أبي قحافة - حبيب بن أوس - الوليد بن عبيد - عبد الرحمن بن خلدون.

م = مكرر، ح = في الحاشية، ح م = مكرر في الحاشية فقط.
= (انظر الاسم الذي بعدها).

أ - أ

آدم ١٠٥، ٣٠٦، ٤٨٠، ٦٨٢.	ابراهيم بن أحمد الشيباني = أبو اليسر
الأمدي - الحسن بن بشر ٣٥١.	الشيباني
أبان بن عبد الحميد اللاحقي ٤١٨ ح.	ابراهيم (الأصغر) بن أحمد بن الأغلب
إبراهيم (الخليل) ١٤٧ م، ٤٨٤ م،	٦٠ م، ١٣٩ - ٤٠، ١٤٦،
٦٨٥، ٦٨٦ ح، ٦٨٨ ح، ٦٩٧ ح.	١٤٩ م، ١٥١ م، ١٥٤.

- ابراهيم بن حجّاج اللخمي ٢٢١ .
- ابراهيم بن الأغلب (الكبير) ٦٠ ، ٦٩ ،
- ٧٠ م ، ٧١ ، ٩٦ م ، ٨٣ - ٨٤ ،
- ٩٦ م .
- ابراهيم بن سالم = ابن الأغلب
- ابراهيم بن السريّ = الزجّاج
- ابراهيم بن سهل الأندلسي ٤٣٠ .
- ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن
- ٩٤ .
- ابراهيم بن عثمان = ابن الوزان
- القيرواني = ابن الوزان القيرواني
- النحوي
- ابراهيم بن عليّ بن تميم = الحصري
- صاحب زهر الآداب
- ابراهيم بن غانم بن عبدون الكاتب
- (٣٧٠ - ٣٧٢) .
- ابراهيم بن القاسم القرويّ = الرقيق
- القيرواني
- ابراهيم بن قيس ١٢٢ .
- ابراهيم بن ابن الأغلب = ابن الأغلب
- ابراهيم بن محمّد بن ابراهيم بن مزين
- ٦٥ .
- ابراهيم بن محمّد الشافعي ١٤٠ .
- ابراهيم - محمّد أبو الفضل ٦١٨ .
- أبقراط = بقراط
- ابليس ١٠٥ .
- ابن الأتار - أحمد بن محمّد (٤٧٢) -
- (٤٧٣) .
- ابن الأتار - محمّد بن عبد الله ٦٥ م ،
- ١٤٣ ح ، ٢٣٤ ، ٢٤٤ ح ، ٢٨٢ -
- ٢٨٣ ، ٢٨٥ ح ، ٢٩١ ح م ،
- ٢٩٢ (٩) .
- ابن إباح = عبد الرحمن بن إباح
- ابن أبان = محمّد بن أبان القرطبي
- ابن أبي الأزهر ١٨٧ .
- ابن أبي الحباب - أحمد بن عبد العزيز
- ٣٢٨ (٩) ، ٦١٥ .
- ابن أبي الحسن (شخصان ٩) ٤٢٩ م .
- ابن أبي حنيفة النعمان المغربي
- (٢٩٧ - ٢٩٩) .
- ابن أبي دوس البياسي - أبو بكر محمّد
- ٦٦٦ .
- ابن أبي الرجال (٤٦٢ - ٤٦٤) ،
- ١٩١ م .
- ابن أبي الرقاق ١٠٥ .
- ابن أبي زمنين (٣٢٦ - ٣٢٨) ، ١٨١ ،
- ٥٧٢ .
- ابن أبي زيد القيرواني (٣٠٧ - ٣٠٩) ،
- ١٧٥ ، ١٨١ م ، ٢٢٧ ، ٣٣٧ ،
- ٤٧٦ .
- ابن أبي العرب ٣٤٩ م ، ٣٥٢ ، ٤٦٨ .
- ابن أبي الفتح = عبد الله بن أبي الفتح
- ابن أبي لبابة - محمّد بن يحيى ٢٨٧ م .

عبد الله ٦٠ ، ١٥٤ ، ٢٩١ ح ،

٢٩٢ م .

ابن الأغلب - عبد الله بن ابراهيم

٧٠ م ، ١٥٤ م .

ابن الأغلب - أبو العباس محمد بن

الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب

٧٢ - ٧٣ .

ابن الأغلب - محمد (لم يتولّ الإمارة)

١١٣ .

ابن الأغلب - محمد بن زيادة الله ١١٣ .

ابن الأغلب - يعقوب

ابن الأفتس - أبو محمد عبد الله

المنصور ٤٨٥ م .

ابن الأفتس - المتوكل أبو حفص عمر

٦٥٢ ، ٦٥٩ - ٦٦٠ .

ابن الأفتس - المظفر أبو بكر محمد بن

عبد الله (٥٨١ - ٥٨٢) ، ٣٨٨ ،

٣٩٤ ، ٤٨٣ ، ٤٨٥ م ، ٤٨٧ م ،

٥٨٥ ، ٥٩٣ .

ابن الأفتس - يحيى المنصور بن محمد

٦٣٩ .

ابن الأنباري - أبو بكر محمد ١٨٧ .

ابن أمين - أبو عبد الله محمد ٢٣٠ ،

٢٦٣ ، ٦٦٠ م .

ابن باجّه ٤٤٢ ، ٥٤٩ ، ٦٥٥ ح .

ابن بدر - أحمد بن اسماعيل ٢٥١ م .

ابن أبي مطحنة ١٤٧ .

ابن الأبيض = أبو بكر بن الأبيض

ابن الأجداني - ابراهيم (٦٢٠) -

(٦٢٢) .

ابن أخت العاهة = الداروني

ابن أخت غانم = محمد بن معمر ٦٦٦ ح .

ابن أرفع رأسه (٦٤٦ - ٦٥٠) .

ابن أرقم - محمد بن محمد ٢٠٤ .

ابن أصبغ - عباس ٤٧٣ .

ابن الأصفر = زياد بن الأصفر

ابن أضحى - أحمد بن محمد (٢٤٤) -

(٢٤٦) .

ابن أضحى - محمد ٢٤٤ .

ابن الأعراي ١٢٩ .

ابن الأغش - محمد بن بشير ٢٨٦ (؟) ،

٣٢٨ .

ابن الأغلب (ابراهيم بن سالم) = ابراهيم

ابن الأغلب

ابن الأغلب (ابراهيم بن محمد) ٦٠ م ،

١٣٩ - ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ،

١٥١ ، ١٥٤ .

ابن الأغلب - الأغلب بن ابراهيم

٧٢ - ٧٣ .

ابن الأغلب - زيادة الله (الأول) بن

ابراهيم ٦٠ ، ٧١ - ٧٢ ، ١٧٧ .

ابن الأغلب - زيادة الله (الثاني) بن

- ابن برتق - عمر بن حفص ١٩٣ .
 ابن برد (الأصغر) (٥١٠ - ٥١٤) ،
 ٤٠٩ .
 ابن برد (الأكبر) (٣٦٥ - ٣٦٧) ،
 ٢٠١ ، ٥١٠ .
 ابن برغوث الرياضي - م بن عمر
 ٥٣٣ .
 ابن البزلياني (٥٠٧ - ٥١٠) .
 ابن بسام الشنتريني ١٥٥ م ، ٤٢٧ -
 ٤٢٩ ، ٤٣٧ ، ٤٤٢ ، ٤٩١ ، ٥٣٠ ،
 ٦٠٢ ، ٦٨٧ ، ٦٩٦ .
 ابن بقي - يحيى ٤٢٧ ، ٤٣٦ ، ٤٤٠ .
 ابن بنت منيع = البغوي
 ابن البيساري - أبو الفرج ٢٠٤ .
 ابن البين البطليوسي - محمد (٧٣٥ -
 ٧٣٦) .
 ابن تاويت الطنجي - محمد ٦١٨ ح .
 ابن تقي - محمد ٢٢٣ - ٢٢٤ .
 ابن تيفاوت - عبد الله بن محمد ٥٤٣ .
 ابن جاح البطليوسي (٦٥٢ - ٦٥٤) .
 ابن الجباب - أحمد بن خالد ١٨٣ .
 ابن جبير ٤٤٢ - ٤٤٣ .
 ابن الجزار القيرواني - أحمد بن ابراهيم
 ١٩٢ - ١٩٣ ، ٥٨٣ - ٥٨٤ .
 ابن جني - عثمان ٤٦٩ .
 ابن جلجل - سليمان (٣٠٤ - ٣٠٧) ،
 ١٩٢ م .
- ابن جهور - عبد الملك (٣٢١ -
 ٣٢٢) ، ٣١٨ ، راجع ٦١٥ ، ٧٣٢ .
 ابن جهور - أبو الوليد محمد ٣٧٢ ،
 ٥٩٢ - ٥٩٣ ، ٦١٥ - ٦١٦ .
 ابن جهور - المظفر (?) ٧٣٢ .
 ابن جودي - سعيد
 ابن الحاجب - أبو الأصبغ موسى
 (١٦٢ - ١٦٣) ، ٢٠٤ ، ٤٩٦ م .
 ابن حبّوس (عامل تاهرت الفاطمي)
 ١٧٣ .
 ابن الحدّاد = السرقسطي المعافري
 ابن الحدّاد الوادي آشي - محمد (الفقيه)
 ٦٥٥ م ح .
 ابن الحدّاد الوادي آشي - محمد بن أحمد
 (الشاعر) (٦٥٥ - ٦٩٥) ، ٤٠٤ -
 ٤٠٥ ، ٦٦٦ .
 ابن حدير - أحمد بن موسى ٢٠٥ ،
 ٢٦١ ، ٢٦٢ .
 ابن حدير - موسى بن محمد ٢٦١ ح .
 ابن الحذاء - أحمد بن محمد ٧٣٣ .
 ابن حزم - أبو بكر ٤٥٦ م .
 ابن حزم - أحمد بن سعيد ٢٥٣ ،
 ٣٠٠ ، ٤٤٧ م .
 ابن حزم - عبد الوهاب أبو المغيرة
 (٤٨٧ - ٤٩٠) ، ٤٦٦ .
 ابن حزم - علي بن أحمد ١٤١ ، ٣٧٢ ،
 ٣٩٣ - ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٨ ، ٤٠٩ ،

- ابن خاتمة - أحمد بن علي ٤٤٤، ٧٤٤ .
 ابن خاقان المصري - خلف بن ابراهيم ٤٩٨ .
 ابن خاقان = الفتح
 ابن الخزاز - محمد بن أحمد ٨٦٤ م .
 ابن الخزاز - محمد بن يحيى ٣٣٧ .
 ابن الخزاز - يحيى بن عبد العزيز ١٨٣ .
 ابن خرداذبه ١٨٨ .
 ابن خزرون - خليفة ٥٤٦ م .
 ابن خزرون - سعيد ٣٩٠ .
 ابن الخطيب = عبد العزيز بن الخطيب
 ابن الخطيب = لسان الدين
 ابن خفاجة ٦٦٤ م .
 ابن خلّكان ٣٠٠، ٣٣٨ م، ٣٧٥، ٤٩١ ح .
 ابن خلدون ١١٣، ١٧٥ - ١٧٧، ١٩٨، ٢١١، ٣٠٦، ٣١٦، ٤٢١ - ٤٢٢، ٤٢٥، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٤، ٤٥١، ٥٤٧، ٥٥١، ٥٥٢ .
 ابن خلدون - عمر بن أحمد ٣٩٥ .
 ابن خلصة الشذوني - محمد (٦١٨ - ٦٢٠) .
 خلف بن ابراهيم = ابن خاقان
 ابن خلّوف الحروري (٤٦٥ - ٤٦٨) .
 ابن خلّوف المغربي النحوي
 ٤٢٨، ٤٥٦ ح، ٤٨٧، ٥٨٢، ٥٩٩ .
 ٦٣٠، ٧٢٣ م .
 ابن الحصار = ابن مضاء
 ابن حصن الإشبيلي (٥١٤ - ٥١٧) .
 ابن حفصون - أحمد (الفيلسوف) ٣٧٢ .
 ابن حفصون - جعفر ٢١٨ م .
 ابن حفصون - عمر = عمر بن حفصون
 ابن الحكيم الأندلسي - محمد بن اسماعيل (٢٢٢ - ٢٢٤)، ٢٠٤ (؟)، ٢٢١ .
 ابن حماد = عبد الرحمن بن بكر ١٥١ م، ١٥٣ .
 ابن حمدون (حدويه) - عبد الله ١٨٥ .
 ابن حمدون الجلولي - الحسن ٧٠٧ .
 ابن حمديس - عبد الجبار ٣٩٨، ٤٠٢، ٤٠٣، ٦٦٤ .
 ابن حمّود - محمد المهدي بن القاسم (؟) ٦٢٣، ٦٢٦ .
 ابن حمّود - محمد بن القاسم (آخر) ٤٨٣ .
 ابن حمّود = المعتلي
 ابن حمّوش ١٨٠ - ١٨١ .
 ابن الحنّاط - سليمان بن محمد (٤٨٢ - ٤٨٧)، ٤٦٥ ح م .
 ابن حيّ التجيبي - الحسن بن محمد
 ابن حيان - خلف بن حسين ٦١٥ .
 ابن حيّان - حيّان بن خلف (٦١٥ - ٦١٨)، ٤٥١، ٤٨٣، ٧٠٢، ٧٣١، ٧٣٨ .

ابن رشيقي القيرواني (٥٥١ - ٥٥٩)،

٢٦٨ ، ٣٩٦ م ، ٣٩٨ ، ٤٠٣ ،

٤٠٩ م ، ٤١٤ - ٤٢١ ، ٤٢٥ -

٤٢٦ ، ٤٥١ ، ٤٦٣ - ٤٦٥ ،

٦٣٤ ، ٧٤٢ - ٧٤٣ .

ابن رشيقي (والي ميورقة) ٦٣٢ .

ابن رومان - أبو الوليد ١٤٣ - ١٤٤ .

ابن الرومي ١١٦ ، ١٩٦ م ، ٢٣٤ ،

٣٧٨ ، ٣٩٧ ، ٤٠٢ م ، ٤٣٥ ،

٥٥٧ م .

ابن الزبيب (ابن الريب)

ابن زرقون - محمد بن سعد ٢٩٢ م .

ابن زرياب (الزرياب) ١٣٨ ح .

ابن زريق البغدادي - أبو الحسن

٤٧٦ .

ابن زكرويه = أحمد القرمطي

ابن زمرك ٤٤٠ .

ابن زهر - أبو بكر ٤٢٩ - ٤٣١ ،

٤٣٣ ، ٤٣٤ م ، ٤٣٦ ، ٤٤٠ ،

٤٤٣ م .

ابن زهر - أبو العلاء زهر ٥٤٩ .

ابن زهر - أبو مروان عبد الملك

٥٤٩ .

ابن الزيات = محمد بن عبد الملك

ابن زيد (= ابن دريد)

ابن زيدون - أبو بكر ٤٤٧ م ،

٤٤٨ م ، ٥٩٤ .

(٦٣٤ - ٦٣٥) .

ابن الخياط الأندلسي (٥٠٥ - ٥٠٦) .

ابن الخياط الربيعي الصقلي (٥٢١ -

٥٢٤) ، ٣٩٨ .

ابن خيرون - أبو القاسم ٦٣٠ م .

ابن خيرون - يوسف بن عبد الله ٦٠٢ .

ابن داوود الإصفهاني ٢٨٢ م .

ابن الدبّاغ (٦٥٩ - ٦٦٣) .

ابن دحية ٣٤٠ ، ٤٤٣ .

ابن الدخيل الصيدلاني ٣٣٨ .

ابن درّاج القسطلّي (٣٧٧ - ٣٨٥) ، ٦٠ ،

١٩٧ م ، ٣٤٠ ، ٥٦٨ : ٦٢٣ .

ابن درستويه ١٨٧ ، ٦٧٢ .

ابن دريد ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢٦٢ ، ٣٣٦ ،

٤٢١ م ، ٤٦٩ ، ٢٦٢ ح (ابن زيد :

خطأ) .

ابن الدودين - أحمد ٦٨٣ ، ٦٨٧ وما

بعد .

ابن ذكوان أحمد بن عبد الله ٣٦٧ ،

٥٨٩ ، ٥٩٠ .

ابن ذي يزن = سيف بن ذي يزن

ابن رحيم - أبو بكر ٣٤٦ .

ابن رزين - عبد الملك (٧٣٨ - ٧٤٢) ،

٤٠٦ - ٤٠٧ ، ٦٧٠ ، ٧٣٧ .

ابن رشيقي (الحافظ) ٣١٢ .

ابن رشيقي (قائد وصاحب مرسية)

٦٣٩ .

ابن زيدون - أبو الوليد (٥٨٩ - ٦٠٢)، ٦، ١٩٥، ٣٩٨، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٧٧ ح، ٥١٤ - ٥١٥، ٥٦٠ م، ٦٢٦ م، ٧٠٠ - ٧٠١.

ابن سناء الملك ٤٢٧ - ٤٢٨، ٤٣٧، ٤٣٨.

ابن سهيل - حبيب بن نصر = حبيب ابن نصر

ابن سواد = أحمد بن سفيان

ابن سيد الأندلسي ١٨٦.

ابن السيد البطليوسي ٤١٠.

ابن سيده (٥٦٠ - ٥٦٤)، ٤٠٩، ٦١٩، ٦٧٢، ٦٧٥ م.

ابن سيرافي ٤٦٩ م.

ابن شبلون - عبد الخالق ١٨١.

ابن شخيص القرطبي (٣٢٩ - ٣٣١).

ابن شرف القيرواني - محمد (٥٦٤ - ٥٧٠)، ٣٩٨، ٤٠٢، ٤٦٣، ٥٥٣، ٦٦٦.

ابن شقّ الليل - محمد بن ابراهيم ٧٠٦ م.

ابن شهيد - أبو عامر أحمد بن عبد الملك (٤٥٤ - ٤٦١)، ١٨٩، ١٩٩ - ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٧، ٣١٨ ح، ٤٨٣، ٤٨٥ - ٤٨٦، ٥١٠، ٦٩٦.

ابن شهيد - أبو عمر أحمد بن عبد الملك ٣١٨ ح.

ابن شهيد - عبد الملك (٣١٨ - ٣٢٠)، ١٨٩، ٣٢١، ٤٥٤.

ابن الشهيد - أبو حفص ٦٦٦.

ابن الربيب القيرواني (٤٦٥ - ٤٦٨).

ابن سراج - عبد الملك (٧٣١ - ٧٣٣).

ابن السراج - أبو بكر محمد ١٨٦، ٤٨٠ م.

ابن السراج - أبو عبد الله

ابن سريج ٦٩٤ م.

ابن سعد الخير البلنسي ٤٤٢.

ابن سعيد - أبو عبد الله بن الحسين ٢٨٩.

ابن سعيد - علي بن موسى العنسي ٤٤٣، ٢٨٩.

ابن السكيت ٢٤٩، ٤٦٩، ٥٦١.

ابن سلام الجمحي ٢٠٦.

ابن سلام الهروي ٢٤٨ ح م، ٧٠٣ م.

ابن سلام بن عمر (عمرو) مؤرخ إياضي ٧٤ م.

ابن السلام - محمد بن يحيى ٢٢٦ م.

ابن سلامة القضاءي - أبو عبد الله ٧٢٣.

ابن السليم - محمد بن اسحاق ٣١٤.

ابن سمحون = مروان بن سمحون

ابن السمينه - يحيى بن يحيى ١٩٣.

- ابن الطوي - أبو عبد الله ٢٠٩ .
 ابن عائذ - يحيى بن مالك ٣٣٧ .
 ابن عامر - أبو عمران عبد الله الشامي
 ٤٧٩ م ، ٤٩٩ .
 ابن عامر = عبد الله بن محمد بن عامر
 ابن عبّاد - اسماعيل بن المعتضد ٥٠٧ ،
 ٥٠٤ - ٥١٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ،
 ٦٤٢ .
 ابن عبّاد (راجع: بشينة* بنت عبّاد)^(١)
 ابن عبّاد - حكم* (ذخر الدولة أبو
 المكارم) ٤٧٠ ، ٧٢١ .
 ابن عبّاد - الربيع* (تاج الدولة أبو
 سليمان) ٧٢١ .
 ابن عبّاد - الرشيد* ٧٢١ .
 ابن عبّاد - عبد الجبار* ٧١٥ ، ٧٢١ .
 ابن عبّاد - عبيد الله* ٤٧٠ .
 ابن عبّاد - عضد الدولة* ٧٢١ .
 ابن عبّاد - الفتح* (المأمون أبو نصر)
 ٧٢٠ .
 ابن عبّاد - مالك* ٧٢١ م .
 ابن عبّاد - محمد بن اسماعيل (أبو
 القاسم) (٤٧٠ - ٤٧١) ، ٤٧٢ .
 ابن عبّاد - محمد (والد المعتضد)
 ٥٠٧ (٢) .
- ابن صارة الشنتريني ٣٩٨ ، ٧٣٥ ،
 ٧٣٦ م .
 ابن صبغون - عبد الرحمن بن أحمد
 ٥٣٠ - ٥٣١ .
 ابن الصغير (مؤرخ إياضي) ٧٤ - ٧٥ .
 ابن الصفّار - أحمد بن محمد ١٩٠ -
 ١٩١ .
 ابن الصفّار - محمد بن محمد ١٩٠ ،
 ١٩١ .
 ابن الصفّار - يونس بن عبد الله ٤٧٦ .
 ابن صلا الله - أحمد ١٨٣ - ١٨٤ .
 ابن صمّاح - أحمد ٧٠٨ .
 ابن صمّاح - محمد بن أحمد ٦٦٦ .
 ابن صمّاح - أبو الأحوص معن ٦٦٦ .
 ابن صمّاح = أمّ الكرام بنت
 ابن صمّاح - رشيد الدولة ٦٦٨ .
 ابن صمّاح - رفيع الدولة ٦٦٦ ، ٦٦٧ .
 ابن صمّاح = عز الدولة ٦٦٦ ، ٦٦٧ .
 ابن صمّاح = المعتصم بن صمّاح
 ابن صمّاح = معز الدولة
 ابن طاهر - أبو عبد الرحمن ٧٣٩ .
 ابن الطراوة - أبو الحسين ٧١٢ .
 ابن طريف التاهرتي - الحسن بن عليّ
 ٣٩٦ ، ٢٥٥ .

(١) النجوم تدلّ على أولاد المعتمد بن عبّاد (ت ٤٨٨ هـ) . وكثيراً ما يقال في أشخاص أسرة آل عبّاد :
 « فلان بن عبّاد » بقطع النظر عن اسم والده .

- ابن عبد الحكم (المؤرخ) ٧٣ .
- ابن عبد ربّه أبو عمر أحمد صاحب
العقد (٢١٠ - ٢٢٠) ، ١٩٤ ،
١٩٨ - ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ -
٢٠٦ ، ٢٢١ ، ٢٣٦ ، ٤٢٩ ،
٤٣٩ - ٤٤١ .
- ابن عبد ربّه - أبو عمر أحمد (ابن أخي
صاحب العقد) ٢١١ .
- ابن عبد ربّه - سعيد بن ابراهيم
(٢٣٥ - ٢٣٧) ، ١٨١ .
- ابن عبد السلام الحشني = الحشني
- ابن عبد الصمد - يوسف (٧٢٥ -
٧٣١) .
- ابن عبد العزيز = أبو بكر المنصور بن
عبد العزيز
- ابن عبد الملك المراكشي ٢٩٠ .
- ابن عبدوس - أبو عامر أحمد ٤٠٥ ،
٥٩١ ، ٥٩٨ ، ٧٠٠ م .
- ابن عبدون - ابراهيم بن غانم
- ابن عبدون الجلي - محمد ١٩٠ ، ٣٧٢ .
- ابن عبدون - عبد الجليل ٣٩٨ ،
٤٠١ م ، ٤٠٦ ، ٦٤٠ ، ٦٦٠ .
- ابن عتاب - محمد ٣٩٣ .
- ابن عذارى ٢٦٩ ، ٥١٥ ، ٧٣٩ .
- ابن العريف = أبو القاسم
- ابن العسال - عبد الله بن فرج
(٧٠٦ - ٧٠٧) ، ٤٠١ ، ٤٠٨ ،
- ابن عبّاد - محمد بن المعتضد ٥٠٧ م .
- ابن عبّاد - أبو القاسم محمد
المعتمد = المعتمد بن عبّاد
- ابن عبّاد - المعتدّ (أبو بكر عبد الله*)
٧٢١ .
- ابن عبّاد - عبّاد* (سراج الدولة أبو
عمر) ٧٢٠ .
- ابن عبّاد - المعتضد بن محمد بن عبّاد
- ابن عبّاد - محمد بن اسماعيل ٤٧٠ ح .
- ابن عبّاد - المعلّى* زين الدولة أبو
هاشم ٧٢١ .
- ابن عبّاد - يحيى* شرف الدولة أبو
بكر ٤٧٠ ، ٧٢١ .
- ابن عبّاد - يزيد* أبو خالد الراضي
٤٧٠ ، ٧٢١ م .
- ابن عبادة القرّاز - محمد (٧٤٤ -
٧٨٨) ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٦٤٦ .
- ابن عبّاس - أبو جعفر أحمد (٦٩٤ -
٦٩٩) ، ٦٨٣ ، ٦٩٥ (٢) .
- ابن عبّاس - أبو جعفر أحمد (آخر)
٦٩٥ .
- ابن عبد البرّ - محمد بن عبد الله
(٦٢٦ - ٦٣١) ، ٢٣٠ م ،
٦٦٢ - ٦٦٣ .
- ابن عبد البرّ - أبو عمر يوسف
(٥٨٤ - ٥٨٨) ، ٣٢٨ ، ٣٩٢ ،
٣٩٤ ، ٦٢٦ ، ٧٠٢ ، ٧٠٦ ، ٧٢٣ .

- ابن فرج البيساري = البيساري .
 ابن فرج الجيّاني - أحمد بن محمد ٢٣٠ .
 ابن علقمة - محمد ٣٩٥ .
 ابن عمّار - أبو بكر (٦٣٨ - ٦٤٦) ،
 ٣٩٩ ، ٤٠٣ ، ٥٩٣ ، ٦٥٢ م ،
 ٦٥٩ ، ٦٦٣ م ، ٦٦٩ ، ٦٧٦ م ،
 ٧١٣ - ٧١٤ ، ٧١٨ م .
 ابن عمرو بن الوهرازي ٣٩٦ م .
 ابن عيزون = القالي
 ابن الغازي - محمد بن عبد الله ١٦٣ ،
 راجع ٢٢٢ - ٢٢٣ .
 ابن غانم - عبد الحميد ١٢٦ .
 ابن غرسية - أبو عامر أحمد
 (٦٨٣ - ٦٩٩) ، ٣٩٢ م .
 ابن غصن الحجاري - عبد الملك
 ١٢٣ .
 ابن غلبون الخولاني (ت ٤٤٨ هـ)
 ٣٩٢ .
 ابن غلبون - طاهر بن عبد المنعم
 ٤٧٦ .
 ابن غلبون - أبو الطيّب عبد المنعم
 ٤٧٦ .
 ابن الفارض - عمر ٣٥٥ .
 ابن الفاسي اللواتي - أبو جعفر ٣٩٦ .
 ابن فتحون بن مكرم - سعيد ٣٣٦ ،
 ٥٨٤ ، ٦٥٥ م .
 ابن فحلون - سعيد ٣٣٠ ، ٣٢٨ .
 ابن فرق - محمد بن عبد الله ٢٨٦ .
 ابن فضال - علي (٦٥٠ - ٦٥٢) .
 ابن فضل الله العمري ٤٦٥ ح .
 ابن فندي ١٠٩ .
 ابن قادم - محمد ١٨٥ .
 ابن قارلمان = ابن فرلمان
 ابن القبطرنة - أبو بكر عبد العزيز
 ٦٦٥ .
 ابن قتيبة الدينوري ١٥٤ ، ١٨٥ -
 ١٨٧ ، ٢٠٦ ، ٢١٢ ، ٥١٨ ، ٥٨١ .
 ابن القرطي - القاسم بن شعبان ١٨١ .
 ابن القرطي - سعيد بن ابراهيم ١٨١ .
 ابن قرلمان - أحمد (٢٩٩) ١١٤ ح .
 ابن قرلمان - عبيد الله ٢٩٩ ح .
 ابن قرلمان - عيسى بن عبد الله
 (١١٤ - ١١٥) ، ٢٩٩ ح .
 ابن قرلمان آخر ٢٩٩ ح .
 ابن القزاز = ابن عبادة القزاز
 (٧٤٤ - ٧٤٨) .
 ابن القزاز البربري (٣٢٨) .

- ابن قزلمان (قرلمان) - فرج ٢٩٩ ح .
 ابن قطن = عبد الملك الفهري
 ابن قطن = عبد الملك المهري
 ابن القوطية - محمد بن عمر (٢٨٥ - ٢٨٨)، ١٨١، ١٨٨ - ١٨٩، ٣٠٩، ٣١٢، ٣١٤، ٣٣٦ م .
 ابن كثير - عبد الله ٤٧٩ م، ٤٩٩ .
 ابن اللباد - محمد بن أحمد ١٨١، ٣٠٧ .
 ابن اللبانة ٣٩٨، ٤٠٠، ٤٣٦ م، ٤٤٠، ٤٤٢ .
 ابن لبّون = لبّون بن عبد العزيز
 ابن ماء السماء = عبادة
 ابن المثنى = ابن صبغون
 ابن محرز ٦٩٤ .
 ابن محفوظ الجيزي - أحمد بن محمد ٤٩٨ .
 ابن مرتيل (شيخ المالكية) ١٤٠، ١٤١ .
 ابن مرتين ٥٩٣ .
 ابن مروان الجليقي = عبد الرحمن
 ابن مزين - يحيى بن ابراهيم ١٦٣ .
 ابن مسرة (قارئ) ٤٧٩ م .
 ابن مسرة - محمد بن عبد الله ١٩٣ - ١٩٤، ٢٢٢ م، ٢٥١، ٣٠٠ .
 ابن مسرة - وهب ٣٠٤ .
 ابن مضاء - أبو عمر أحمد ٢٠٣ .
 ابن معافى = مقدم بن معافى
 ابن المعتز ١٩٦، ٣٩٧، ٤٢٠ م، ٥٥٧ .
 ابن مغلس البلسني (٤٦١ - ٤٦٢) .
 ابن مغيث الأنصاري - محمد بن عبد الله (٢٥٣ - ٢٥٤) .
 ابن مغيث - محمد بن عبد الوهاب ٢٨٦ .
 ابن مغيث - محمد المغربي (٣٣٦ - ٣٣٧) .
 ابن مفرج - أبو عبد الله ٤٧٣ .
 ابن مقانا (٥٧٨ - ٥٨١) .
 ابن مقبل - تميم ٤٦٧ م .
 ابن المقفع ٢١٢ .
 ابن مقلة ٧٠٥ م .
 ابن مقنة ٦٢٣ م .
 ابن منذر (سليمان صاحب دانية أو يحيى المظفر بن هود) ٥٠٨ م .
 ابن المنمر ٥٤٧ .
 ابن المهند ٣٥٠ م .
 ابن ميثم - ادريس ١٨٩ - ١٩٠ .
 ابن نابل - عمر بن حسين ٦١٥ .
 ابن نباتة - عبد الرحيم ٤٨١ م .
 ابن النجاد = محمد بن يوسف القرطبي
 ابن النحاس المصري - أحمد بن محمد ٢٥٧، ٢٦١ .

ابن وضاح - محمد ٢١٠، ٢٢٢، ٢٣٢،
٢٥٠ - ٢٥١.

ابن الوقشي = الوقشي

ابن وكيع التنسي ٤٢٠ م.

ابن وكيع (٩) ٤٨١ ح.

ابن ولاد - أحمد بن محمد ٢٥٧، ٢٦١.

ابن الوليد بن خلف = ابن رومان

ابن وهبون المرسى (٦٦٣ - ٦٦٥)،
٤٠٦.

ابن يحيى بن يحيى الليثي ٢٥٧.

ابن يوليش ١٣٨ م.

أبو الأجر الكلاي (٤٩ - ٥٠).

أبو اسحاق الالبيري (٥٧٢ - ٥٧٨)،
٤٠٨ م، ٤٠٢.

أبو الأسود الدؤلي ٣٠١، ٥٠١.

أبو بكر الصديق ٥٦، ٣٥٤، ٣٧٣.

أبو بكر بن الأبيض الوشاح ٤٣٢.

أبو بكر الخولاني المنجم ٧٤٥.

أبو بكر الزبيدي = الزبيدي

أبو بكر بن زهر = ابن زهر الحفيد

أبو بكر صاحب الأحباس ٦٧٢ م.

أبو بكر الصولي ٢٥٣.

أبو بكر المنصور بن عبد العزيز ٧٣٦.

أبو بكر بن معاوية القرشي ٣١٤.

أبو تمام ١٢٢ م، ١٢٩ م، ١٥٤،

١٦٤ ح، ١٩٥، ٢٠٤، ٢٠٦.

ابن النغدة: النجدلة (لا النغرة أو
النغيلة اليهودي) - اسماعيل

٣٨٧ - ٣٨٨، ٥٣٥، ٥٧٢.

ابن النحوي التوزري ٣٩٨.

ابن النقاش الزرقالي = الزرقالي

ابن هانش - عبد الله بن محمد ٦٢٠ -
٦٢١.

ابن هاني الأندلسي (٢٦٦ - ٢٧٧)،

٦، ١٩٥، ١٩٦، ٣٤٣، ٣٧٤،

٣٧٨، ٥٣٠، ٥٤٨، ٧٣٥.

ابن هاني = أبو نواس

ابن هاني - محمد بن ابراهيم بن مفضل
٢٦٧ ح.

ابن هبيرة (شاعر) ٨٧.

ابن هذيل الكفيف ٣٤٠.

ابن هذيل بن رزين = ابن رزين - عبد
الملك

ابن هلال - عبد الله بن محمد ١٨٤.

ابن هود - أحمد بن سليمان ٦١٩.

ابن وافد ٣٩٥.

ابن وانسوس - سليمان ٧٤، ٧٥.

ابن الودائي - علي (٧٤٢ - ٧٤٤).

ابن ورو - محمد بن خزرون بن خليفة
٥٤٦ م.

ابن الوزان القيرواني (٢٤٨ - ٢٥٠)،

٢٠٣ م.

أبو حنيفة النعمان بن ثابت ٧٣ ،
٢٤٩ ح ، ٢٧٧ ، ٥٨٨ ، ٦٧٩ .

أبو حنيفة النعمان المغربي - محمد بن
منصور (٢٧٧ - ٢٧٩) ، ١٨٢ -
١٨٣ ، ٢٩٧ ح .

أبو حيّان = ابن حيّان
أبو الخطّاب = عبد الأعلى المعافري
٥٢ ، ٥٥ ح ، ٦١ ، ٦٢ ، ٧٤ .
أبو الخطّار = حسام بن ضرار ٤٣ -
٤٧ ، ٤٩ .

أبو حمزة الضيّ ٤١١ .
أبو داود السجستاني ٢٣٢ م .
أبو ذرّ الغفاري ٥٦ .
أبو ذؤيب الهذلي ٦٠٠ ، ٦٠٦ .
أبو ركوّة ١٧٤ .
أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي
٢٩٢ ح .

أبو الرّيان = الصلت بن السكن
أبو زبيد الطائي ١٦٠ .
أبو زيد الأنصاري ٣٣٦ .
أبو السريّ = سهل بن أبي غالب
الخزرجي
أبو سفيان بن حرب ٦٨٥ ح .
أبو سليمان الخطاطي ٣٧٢ م .
أبو الشعثاء = جابر بن زين الأزديّ
أبو الصلت - أميّة بن عبد العزيز
٣٩٨ ، ٥٤٩ .

٢٩٢ ، ٣٥١ ، ٣٧٨ ، ٤٧٥ ،
٤٩٦ ح ، ٥٥٧ م ، ٦٣٦ .

أبو جعفر الابلبي (الأبليّ ؟) ١٤٩ .
أبو جعفر بن عبّاس (الوزير) = ابن
عباس

أبو جعفر اللواتي = ابن الفاسي
أبو جعفر المروزي ٢٣٧ - ٢٣٨ .
أبو جعفر المنصور العبّاسي ٥١ م ،
٥٤ م ، ٦١ ، ٦٥ ، ٧٥ ، ٩٤ ، ٩٥ .
أبو جعفر النحاس ٣١٢ .

أبو حاتم السجستاني ٣٣٦ .
أبو الحزم جهور بن عبيد الله (٢٣٣ -
٢٣٥) .

أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور
(٤٧٣ - ٤٧٥) ، ٤٧٧ ، ٥٩٠ ،
٥٩٣ ، ٥٩٩ - ٦٠٠ .

أبو الحسن البلّوني - علي بن عبد
الرحمن = البلّوني
أبو الحسن الكاتب المغربي (٣٤٨ -
٣٥٠) .

أبو الحسن المنمّر ١٧٥ .
أبو حفص (ابن عمّ هاشم بن عبد
العزيز) ١٢٣ م .
أبو حفص الحوزي - عمر بن الحسن
(٥٧٠ - ٥٧٢) .

أبو الحكم الكرمانيّ = الكرمانيّ
السرّسقي

أبو طاهر الذهلي ٣١٢ .
أبو العاصي = الحكم الربضي
أبو عبادة القزاز = ابن عبادة
أبو العباس السفاح ٥١ .
أبو العباس العذري = العذري
أبو عبد الله بن أبي الفتح ٧٢٣ .
أبو عبد الله التميمي ٣٩٥ - ٣٩٦ .
أبو عبد الله الصنعاني الشيعي ١٧٠ .
أبو عبيدة = حسان بن مالك بن عبد الله
أبو عبيد = البكري
أبو عبيد - القاسم بن سلام ٢٤٨ -
٢٤٩ ح (٢) .
أبو عبيدة - معمر بن المنثي ١٨٥ ح
(٢) ، ٢٣٦ ، ٢٤٨ ح .
أبو عبيدة (المستبد بمدينة وادي
الحجارة) ٢٥٦ م .
أبو العتاهية ٤١١ - ٤١٢ ، ٤١٨ .
أبو العرب التميمي - محمد بن أحمد
(٢٢٦ - ٢٢٩) .
أبو العشائر بن حدان ٥٨١ .
أبو العلاء المعري ٦ ، ٧ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ،
٢٠٢ - ٢٠٣ ، ٤١٠ ، ٥٣٠ م .
٤٥٦ م ، ٥٩٩ م ، ٦٦٩ .
أبو علي الفارسي ٣٦٢ ، ٤٧٩ م .
أبو علي القالي = القالي
أبو عمر ميمون (الإباضي) ١٨٢ .

أبو عمران الفاسي ١٨٢ ، ٥٤٣ م ،
٥٦٤ .
أبو عمرو السداني (٤٩٨ - ٥٠٥) ،
٣٩٢ م ، ١٨٠ م .
أبو عمرو بن العلاء - زبّان البصري
٤٧٩ م ، ٤٩٩ .
أبو عمرو (والد المعتضد بن عبّاد)
٧١٦ .
أبو العميثل - عبد الله بن خلود
٤٦٧ م .
أبو غبشان - المحترش بن حليل (بالضمّ):
تاج العروس - الكويت ١٧ :
(٢٨٨) ٦٨٩ م .
أبو الفتوح الجرجاني (٤٩٩ - ٤٧٠) .
أبو فراس الحمداني ١٤٦ م ، ٥٦٧ -
٥٦٨ ، ٥٨١ .
أبو الفضل (الإباضي) - سهل ١٨٢ .
أبو القاسم الزهراوي ٦٩٣ م .
أبو القاسم بن العريف (٣١٢ - ٣١٣) .
أبو القاسم الفزاري (٢٤٦ - ٢٤٨) .
أبو القاسم المعافري السبتي ٣٩٥ .
أبو القاسم = المعتمد بن عبّاد ٦٤٥ م .
أبو القاسم المنيشي = المنيشي
أبو القاسم الوهراني ٤٨٧ .
أبو لقمان بن يوسف الغساني ١٨٥ .
أبو الحشّي (٨٧ - ٨٨) ، ٩٧ .

- أبو يزيد مغلد = مغلد بن كيداد .
أبو اليسر الشيباني (١٥٤ - ١٥٥) ،
٢٩٢ ، ٢٩١ .
أبو يوسف بن محمد (الرستمي) ١٥١ .
أحمد = محمد رسول الله
أحمد بن إبراهيم اللؤلؤي (١٦٠) -
(١٦١) .
أحمد بن أبي طاهر طيفور ١٥٤ .
أحمد بن اسماعيل بن بدر = ابن بدر
أحمد بن اسماعيل الرسي الحسيني ٢٣٩ .
أحمد بن بقي بن مغلد ٢٠١ .
أحمد بن حنبل ١٤٠ .
أحمد بن خالد (اسم لثلاثة) ٢٣٨ م .
أحمد بن زكرويه القرمطي ٢٩٠ -
٢٩١ .
أحمد بن سعيد الشماخي ٧٤ - ٧٥ .
أحمد بن سفيان بن سودة ١٥١ ،
١٥٣ م .
أحمد بن عبد الملك بن هاشم ٥٨٤ -
٥٨٥ .
أحمد بن غالب ٣٠٩ .
أحمد بن الفضل الدينوري ٣٠٤ .
أحمد بن القاسم كنون ١٧١ .
أحمد بن محمد - أبو عبد الله ٧٢٣ .
أحمد بن محمد الكتاني ١٢٣ .
الأخطل ٣٨٤ ح .
- أبو مروان الجزيري (٣٢٤ - ٣٢٦) .
أبو مروان الطبري ٦٠٨ ح .
أبو مروان بن سراج = ابن سراج
أبو مسلم (في شعر) (٣٠٢ - ٣٠٣) .
أبو المصعب الزهري ١٤٠ - ١٤١ .
أبو المطرف عبد الله = الأصم
أبو المطرف الشعبي (القاضي) ٧٠٨ .
أبو معشر الفلكي ٣٠٥ م .
أبو المغيرة = ابن حزم
أبو المنيع الأعراي ١٢١ .
أبو النجم الراجز ٤١٩ م .
أبو نواس ٥٠ ، ٧٨ - ٧٩ ، ١٠٦ م ،
١٠٨ ، ١١٦ ، ١١٩ ، ١٣٤ ،
١٥٢ م ، ١٨٧ ، ١٩٥ ، ١٩٧ م ،
٢٠٦ ، ٢٦٧ ح ، ٣٤٠ ، ٣٦٤ ،
٣٧٧ ، ٣٧٩ ، ٣٩٧ ، ٤٠٢ ، ٤١٩ ،
٤٣٥ ، ٤٥٧ ، ٥٥٧ م .
أبو هلال العسكري ٣٤٣ .
أبو الوليد الأعرج ٢٨٦ .
أبو الوليد الباجي (٦٣١ - ٦٣٤) ،
٣٩٣ ، ٥٣٥ .
أبو الوليد الوقشي - هشام بن أحمد
(٧٣٣ - ٧٣٥) ، ٥٨٢ ، ٧٠٦ .
أبو وهب العبّاسي (٢٤٢ - ٢٤٣) .
أبو يحيى زكريا الأرجاني (الإباضي)
١٨٢ .

١٧٧ م، ١٨٣ - ١٨٥ .
 الأسعد بن بليطة (٤٩١ - ٤٩٤) .
 الأسعد بن عبد الوارث ٣٠٤ .
 أسلم بن عبد العزيز هاشم ١٨٣ .
 اسحاق بن ابراهيم المغربي (٣٧٣ - ٣٧٤) .
 اسحاق بن عبد الحميد الأوربي ٦٢ - ٦٣ .
 اسحاق الموصلي ٥٨ ، ٨٠ م .
 اسماعيل بن ابراهيم ٣٤٢ م، ٤٨١ ح .
 اسماعيل بن أبي أويس ١٠٤ .
 اسماعيل بن أبي المهاجر ٤١ .
 اسماعيل بن أحمد التجيبي البرقي (٥١٧ - ٥٢٠) ، ٦٠٨ ح م .
 اسماعيل بن اسحاق الأزدي ٢٣٢ .
 اسماعيل بن بدر (٢٥٠ - ٢٥٣) .
 اسماعيل بن جعفر الصادق ١٧٠ .
 اسماعيل بن محمد بن عامر (٤٩٤ - ٤٩٦) .
 اسماعيل بن خلف (شاعر) ٤٦١ .
 اشبان (ملك قديم) ٧٠٤ .
 أشعب ٦٩٤ .
 أشهب بن عبد العزيز ٢٦٥ م .
 أصبغ بن راشد بن أصبغ ٧٢٣ .
 أصبغ بن الفرج ١٠٤ .
 أصبغ بن محمد بن السمح الغرناطي ١٩٠ - ١٩١ .

الأخفش الأصغر ١٧٦ ، ١٨٧ .
 الأخفش الأوسط ٤١١ ح ، ٤١٤ .
 إخوان الصفا ٤٩٤ م .
 ادريس الأزهر - بن ادريس بن عبد الله بن الحسن (٩٤ - ٩٧) .
 ادريس الأكبر - بن عبد الله بن الحسن ٦٢ - ٦٣ ، ٩٤ م ، ٥٤٤ .
 ادريس العالي - بن يحيى بن حمود ٥٧٨ - ٥٨٠ ، ٥٩٣ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ .
 إدريس بن ميثم = ابن ميثم
 ادريس بن البان (٦٢٣ - ٦٢٦) .
 الأدفوي - أبو بكر ٤٨٠ - ٤٨١ .
 الأرجاني - أبو يحيى زكريا الإباضي ١٨٢ .
 أربست: أرتباس: أرتباش ٢٨٧ - ٢٨٨ .
 أرذون بن أذفونش (ملك جيليقية) ١٣٨ ح .
 أرسطو: أرسطوطاليس ٥٩٨ م ، ٦٤٩ ح ، ٦٧٣ م ، ٦٧٩ .
 أروى (في شعر) ٤١٩ م .
 أزدشير ٦٨٦ ح .
 اسحاق بن ابراهيم ٣٠٤ ، ٤٨١ ح ، ٦٨٥ ح ، ٦٨٦ ح م ، ٦٩٧ ح .
 أسد (السنة) بن موسى الأموي ١٠٤ .
 أسد بن الفرات ٦٠ ، ١١٣ ، ١٤٦ ح ،

إقبال الدولة بن مجاهد العامري ٣٨٧،

٥٦١ - ٥٦٢، ٦٢٩، ٦٣٠ ح م،

٦٧١، ٦٧٤، ٧٠٨ م.

الأقشطين = محمد بن عاصم النحوي

أقليدس ١٩٠.

ألبارو اليهودي ٥٨.

ألبن = يلبن

ألفونس الثالث (ملك قشتالة) ١٢٧ ح.

آلن (مؤلف) ١١٦ ح.

الألهاني = يحيى بن معمر

الياس بن حبيب ٦٢.

اليسع بن سمفو المكناسي ٦٤ م.

أم البنين الفهرية = فاطمة بنت محمد
الفهري

أم العلاء بنت يوسف الحجارية

(٥٠٦ - ٥٠٧).

أمّ الكرام بنت صمدح ٦٦٦ - ٦٦٨.

أمّ الوليد بن خلف بن رومان

(رومانس) ١٤٣ - ١٤٤.

أماري - ميخائيل ٥٢١.

الإمام = عليّ بن أبي طالب

إمام بن الصمصامة بن الطرمّاح ١٢١.

امرأة أبي حمزة الضبيّ ٤١١.

امرأة العزيز (فرعون) ٥٨٤.

امروّ القيس ٣٣، ١٦١، ١٩٥، ٤١٦،

٤٢٠، ٤٥٩ - ٤٦٠، ٥٥٢.

الأصمّ - أبو المطرف عبد الله ١٩٩.

الأصمعي ٨٦، ١٠٦ ح، ٣٣٦.

الأصيلي - عبد الله بن ابراهيم ١٨١،
٤٧٣.

اعتاد الرميكية ٧١٤ - ٧١٥، ٧٢١،

٧٢٢.

الأعراييون ٣٣.

الأعرج - أبو الوليد

الأعشى - عبد الحميد بن أويس

٤٧٩ م.

الأعشى ميمون ١٨٧، ٥٥٦ م،

٥٦٧ م.

الأعلم البطليوسي ٦٣٦ ح.

الأعلم الشتمري (٦٣٦ - ٦٣٨)،

٤٠٩ - ٤١٠، ٦٦٤.

الأعمى التطيلي ٣٩٤، ٤٣٦، ٤٣٨،

٤٤٠، ٤٤٢ م.

الأغلب بن ابراهيم - ابن الأغلب

الأغلب بن سالم ٦٠، ٦٦ - ٦٧، ٦٩.

أفلاطون ٥٩٨، ٥٩٩ ح.

أفلق بن عبد الرحمن ٢٤١.

أفلق بن عبد الوهّاب (١٠٨ - ١١٢)،

٦٢، ٥٤٤.

الافليلي - أبو القاسم ابراهيم بن محمد بن

زكريا (٤٩٧ - ٤٩٨)، ٤٠٩،

٦٣٦، ٧٣١.

ب

- الباجي - أبو عبد الله ٥٧٠ .
 الباجي - أبو عمر
 الباجي = أبو الوليد الباجي
 باديس بن بلقين (بلقين) المنصور بن
 زيري ١٧١ م ، ١٧٤ ، ٣٤٣ ،
 ٣٤٥ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ .
 باديس بن حبّوس ٣٨٧ ، ٤٦٩ م ،
 ٥٧٢ - ٥٧٥ ، ٦٠٢ م ، ٦٠٣ ،
 ٦٠٥ م ، ٦٠٦ ، ٦٣٤ ، ٦٨٠ م ،
 ٦٩٥ م .
 بارودي - واصف ٤٢٤ ح .
 الباروني - سليمان ٥٦ ، ١٠٩ ح ، ١٨٢ .
 الباقلاني - أبو بكر ٦٧٧ .
 بالنشيا - أنخل جنثالث ١٣٠ ح م ،
 ١٨٥ - ١٨٦ ، ٤٢٢ .
 البتاني ١٩٠ م .
 بثينة (محبوبة جميل) ٤١٥ .
 بثينة بنت المعتمد بن عبّاد ٤٧٠ ،
 ٧٢١ .
 البحري ٦ ، ١٥٤ ، ١٩٨ م ، ٢٠٦ ،
 ٣٥١ ، ٣٩٧ ، ٤٠٢ ، ٥٥٧ م ،
 ٥٩٣ .
 بحري الغرب (المغرب) ٦ . ثم = ابن
 زيدون
 البخاري ٢٢٧ - ٢٢٨ ، ٥٧١ م ،
 ٦٣٢ ، ٧٢٣ .

- ٥٥٦ م ، ٥٥٧ م ، ٥٦٧ م ، ٥٧٦ م .
 ٥٩١ ، ٦٣٧ ح .
 الأمين العبّاسي (بن الرشيد) ٣٦٨ ح م .
 أميّة بن عبد الرحمن الداخل ٢٧٩ .
 أميّة بن عبد العزيز = أبو الصلت
 الأنباري - محمد بن القاسم ٢٤٨ ح .
 انتصار الدولة (؟) ٥٢٢ ، ٥٢٣ .
 أنس القلوب ٤٨٧ م ، ٤٨٩ - ٤٩٠ .
 الأنطاكي (قاري) ٤٧٩ م .
 أنعم (سلف لعبد الرحمن بن زياد) ٥٢ .
 أنوشروان ٤٩٢ م ، ٦٨٦ ح .
 أورورا = صبح
 أوروميوس = هروسيس
 أوس بن سعدى ٢٤٧ م .
 أوغسطين = محمد بن عاصم النحوي:
 الأقتنين
 الأوزاعي ٨٦ ، ٩٣ .
 أوفيميوس = فيمي
 أولوغيوس الراهب ٥٨ .
 الإيادي - علي بن محمد
 إيفلي - فرانس ٤٤٦ .
 الأيلي = أبو جعفر
 أيوب ١٤٧ .
 أيوب بن حبيب اللخمي ٤١ م .
 أيوب بن العبّاس - أبو الحسن ١٠٨ -
 ١٠٩ .

بقيّ بن مخلد (١٤٠-١٤١)، ١٨١،
١٨٣، ٢١٠، ٢٣٠، ٢٥٠.

بكر بن حمّاد (١٥١-١٥٤).
البكري- أبو عبيد عبد الله بن عبد
العزیز (٧٠٢-٧٠٥)، ٣٩٤،
٣٩٨، ٦٦٦.

بلج بن بشر بن عياض ٣٩، ٤٣ م،
٤٤ م، ٤٧، ٨٤، ٢٤٤، ٢٨٧ ح.
البلخي- أبو زيد أحمد ٤٧٧ ح م.
بلقین (بلکین) بن باديس بن حبّوس
٥٧٢ م.

بلقین بن محمد الحمّادي ٥٤٤-٥٤٥.
بلکین بن زيري ١٧١، ١٧٤.
البلّوني- أبو الحسن عليّ (٦٠٧-
٦١٠).

البلّوني- أبو القاسم عبد الرحمن
٦٠٧-٦٠٨.

البنبلوني (أمير مسيحي؟) ٢١٧ م.
بنفسج بنت المنصور بن أبي عامر
٣٢٥-٣٢٦.

بهار (أمّ الأمير عبد الله بن محمد) ١٥٦.
بهلول (البهلول) بن عبد الواحد
المدغري (المضغري) ٦٩-٧٠،
٩٦.

البوصيري ٤٠٨، ٦١١.
البيّاني= قاسم بن محمد بن سيّار

البخاري= عبد الرحيم بن نصر
التميمي

البرّادي- أبو القاسم بن ابراهيم ٧٤.
البراذعي- خلف بن أبي القاسم ١٨١.
برنزل- أوتو ٤٩٨ ح.
برمودة الأوّل (ملك جيليقية) ٥٧.

بروفنسال= ليفي بروفنسال
بروكلمن ٢٠٣، ٣٥٥، ٣٧٥ ح،
٥٢١.

البريدي= محمد بن أحمد
بريهة بنت يحيى التميمية ٣١٣.

البيستاني- فؤاد أفرام ٤٢٤ ح.
البيستاني- بطرس سليمان ٤٠٤ م،
٤٢٤ ح.

بسّطام بن قيس ٢٤٧ م.
البيسكري= يوسف بن عليّ
بشّار بن برد ١٩٥، ٣٩٨، ٤٠٢،
٤٢٠ م، ٥١٧ ح، ٥١٨، ٦٠٧.

بشر بن صفوان ٤٦، ٤٧.
بشر بن المعتمر ٤٢٠.

البشكنس (أمير الجلالقة) ٢١٧ م.
بصبص ٦٩٤ م.

بطليموس ٥٤٩، ٥٩٨، ٥٩٩ ح.
البغوي- أبو القاسم عبد الله بن محمد
١٨٦.

بقراط ٢٣٦ م، ٥٩٩ م.

بيدال - ر. مينندث ٤٢٥، ٤٣٧.
البيساري - ابن فرج ٢٠٤.

ت - ث

التاريخي الوراق - محمد بن يوسف
١٨٧ - ١٨٨.

تاسرت اللمتوني = عبد الله بن محمد بن
تيفاوت

تبع بن حسان ٢٧١، ٧٢٨ م.
الترمذي ٢٣٢، ٥٧١.

تقي الدين - خليل ٤٢٤ ح.
تمام بن أبي العرب ٢٢٧.

تمام بن تميم الدارمي ٦٩.

تمام بن عامر بن علقمة (١٤٣ - ١٤٤).
تمام بن علقمة (من أنصار الداخل)

١٤٣ ح.

تمام بن علقمة - أبو غالب تمام بن عامر
١٤٣ ح.

تمام بن عامر (آخر) ١٤٣ ح.

تمام بن غالب التياني (٤٧٥ - ٤٧٦)،
٢٩٢ م.

تميم بن أبي العرب ٢٢٧.

تميم بن تمام (جد أبي العرب التميمي)
٢٢٦.

تميم بن المعز الفاطمي ٤٢٠ م.

تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي
٣٩٨، ٥٤٥ م، ٥٦٤.

التميمي = القاسم بن عبد الله

تود (الملكة) ١١٦، ١١٨ - ١١٩.

تميم الله بن ثعلبة ٢٤٧ ح.

ثابت بن عبد العزيز السرقسطي
١٨٥ م.

ثابت بن محمد الجرجاني = أبو الفتوح
الثعالي - عبد الملك (صاحب يتيمة
الدهر) ٥٣٠.

ثعلب - أبو العباس ١٥٤، ١٨٧،
٢٤٨ ح.

ثوبة بن سلامة الجذامي ٤٤ م.

ج

جابر بن أفلح الإشبيلي ٥٤٩.

جابر بن زيد الأزدي - أبو الشعثاء
٥٦ م.

جابر بن لبيد (والي إلبيرة) ٩٧ - ٩٨.

الجاحظ ٦، ١٧، ١٥٤، ٢١٢،
٤٢٠ م، ٥٩٩ م.

جالينوس ٢٣٦ م.

جبريل ٤٨٥، ٥٨٠ م.

جبلة بن حمد الصديقي ٢٢٧.

الجرجاني = ثابت بن محمد

الجرجاني - حمزة بن يوسف ٤٧٧ -
٤٧٨.

الجرجاني - عبد القاهر ٤٧٧ - ٤٧٨.

الجرجاني - علي بن عبد العزيز ٤٧٧ -
٤٧٨ .

جزير ١٨ ، ٥٠ ، ٧٢ ، ٢٠٦ ، ٤٠٢ .
جعفر = صبح

جعفر الصادق ١٧٠ م .

جعفر المصحفي (٢٩٤ - ٢٩٧) ،

١٦٧ م ، ٢٨٩ - ٢٩٠ ، ٣١٤ -

٣١٦ ، ٣٤٠ م ، ٦٩٦ .

جعفر بن علي بن حمدون ٢٦٧ ، ٢٦٨ ،
٣١٥ .

جعفر بن فلاح ٢٦٧ ، ٢٧٠ - ٢٧٢ .

جعفر المصدق ١٧٠ .

جعونة = أبو الأجر الكلابي

جمال الدين - محسن ١٨٧ ح .

جميل بثينة ١٨٧ ، ٤٠٣ ، ٤١٥ .

جميل (معشوقة ابن الحداد الوادي

آشي) ٦٥٥ ، ٦٥٦ .

الجنائوي = عبد الحميد

الجنووني - يحيى بن الخير ١٨٢ .

جمهور بن عبيد الله = أبو الحزم جمهور

جمهور بن محمد = أبو الحزم جمهور

جواد الطبيب ١٩٢ .

جودي بن عثمان (٨٥ - ٨٦) .

جوليان = يليان .

جوهر الصقلي ١٧١ - ١٧٢ ، ٢٦٧ م .

الجوهري - أبو نصر اسماعيل ٤١٩ م ،

٦٣٦ ح .

الجويني - أبو المعالي ٦٥٠ .

جيحان (اسم ثلاث جوار) ١٤٤ -

١٤٥ .

جيروم = يرونم الترجمان

ح

حاتم الطائي ١٨٧ ، ٢١٦ م ، ٦٤٤ م ،

٦٥٦ م ، ٧٢٩ م ، ٧٤٦ .

حاتم بن محمد - أبو القاسم ٢٩٢ م .

حاجب بن زرارة ٢٤٧ م .

الحارث بن أسامة التميمي ٢٣٢ .

الحارث بن ظالم ٢٤٧ م .

الحارث بن عباد ٧٢٧ م .

الحارث بن مسكين ١٤٩ م .

الحاكم بأمر الله الفاطمي ١٧٤ ، ٤٥١ .

الحاكم النيسابوري ٢٢٧ - ٢٢٨ .

حام بن نوح ١٢٦ .

حبان بن أبي جبلة ٤٦ .

الحبhab بن رواحة ٤٨ .

حبّوس بن ماكسن بن زيري ٣٨٧ ،

٥٠٧ م ، ٦٠٥ ، ٦٩٥ .

الحبيب = محمد رسول الله

حبيب = أبو تمام

حبيب بن أحمد الشطجيري ١١٧ ح .

حبيب بن عبد الرحمن بن حبيب بن

أي عبدة ٥١ ، ٦١ ، ٦٢ .

الحسن بن الربيب = ابن الربيب
القيرواني

حسن بن عبد الله = الزبيدي

الحسن العسكري ١٧٠ .

الحسن بن علي بن أبي طالب ١٧٠ ،
٣٣٧ ح م .

الحسن بن علي بن الحسين الكلبي
١٧٢ - ١٧٣ .

الحسن بن علي بن طريف = ابن طريف
التاهرتي

حسن بن محمد العنبري = الداروني
حسن بن (القاسم بن) قنّون (كنّون)
١٧١ - ١٧٢ ، ٣١٥ م .

الحسن بن محمد بن الحيّ التجيبي ٣٩٤ .

الحسن بن هاني = أبو نواس

الحسن بن يحيى بن عليّ بن حمّود ٤٦٩ .

الحسين بن اسماعيل الحاملي ١٨٦ .

الحسين التجيبي القرطبي (٥٣٣ -
٥٣٤) .

الحسين بن عليّ بن أبي طالب ١٧٠ ،
٣٣٧ ح م .

الحسين بن عليّ بن الحسن بن الحسن بن
الحسن بن عليّ ٩٤ .

الحسين بن المنصور الفاطمي ٢٦٩ .

الحسين بن الوليد = ابن العريف
النحوي

حبيب بن عبد الملك بن عمر بن الوليد
٦٥ .

حبيب بن نصر بن سهل ٢٢٦ ، ٤٣٤ ،
٤٤٠ .

حبّبة بنت سليمان المستعين ٣٥٨ م .
حتّي - فيليب ٣١٦ .

الحجّاج السلوي ٤٧ .

الحجّاج بن يوسف ٣١٦ .

الحجاري (صاحب «المسهب») ٢٠ ،
٤٤٣ ، ٤٤٢ .

الحريّ بن عبد الرحمن الثقفي ٤١ م .

الحريّاني - أحمد بن يونس ١٩٢ م .

الحريّاني - عمر بن يونس ١٩٢ م ،
٣٧٢ .

الحريّاني - يونس ١٩١ - ١٩٢ ، ٦٣٦ .

الحرون = حمزة بن السبال

حسام بن ضرار = أبو الخطّار

حسان بن ثابت ١٨٧ .

حسان بن سعد ٢٣٠ م ، ٢٩٩ .

حسان بن مالك بن أبي عبدة (٣٦٧ -
٣٧٠) .

حسان بن مالك بن عبد الله بن جابر
٢٣٣ .

حسانة التميمية (٩٧ - ٩٨) .

الحسن بن حرب الكندي ٦٦ - ٦٨ .

الحسن (?) بن سعد = حسان بن سعد

- الحصري- أبو اسحاق ابراهيم (٣٧٥-
(٣٧٧)، ٢٠١، ٥١٧، ٥٦٤.
الحصري- علي بن عبد الغني (٧٠٧-
(٧١٣)، ٣٧٥ ح، ٣٩٩، ٤٠٢-
٤٠٣، ٦٠٤.
الخطيئة ١٨٧، ٤٠٢، ٦٦١ م.
حفصة الحجارية (٢٣٣).
الحكم بن ثابت السعدي ٦٧، ٦٨.
الحكم الربضي (بن هشام بن عبد الرحمن
الداخل) (٨٨-٩٣)، ٥٧-٥٨،
٦٤-٦٥، ٨٤، ٨٥، ٨٧، ٩٧-
٩٨، ١٠٦-١٠٩، ١٢٦، ١٣٥.
الحكم المستنصر (ابن عبد الرحمن
الناصر) ١٦٦-١٦٧، ١٨١،
١٨٣، ١٨٤، ١٨٧، ١٩٤ م،
٢٢٠، ٢٢٣ م، ٢٣٢، ٢٥٣،
٢٦٣، ٢٦٤، ٢٨٢ م، ٢٨٤-
٢٨٥، ٢٨٩، ٢٩٤ م، ٣٠٠-
٣٠٢، ٣١٤ م، ٣١٥، ٣١٨،
٣٤٠.
حلاوة (أم عبد الرحمن الأوسط) ٩٩.
الحمار (لقب جماعة) ٣٣٥-٣٣٦.
الحمار السرقسطي = ابن فتحون
حمامة بن المعز ٣٨٨.
حمدون النحوي ١٦٠.
حدونة (اقرأ: حفصة) الحجارية
٢٣٣ م.
- حدونة بنت زرياب ٨١ م.
حديس القطان ١٤٢ م، ٢٢٦.
حدين بن أبان الطبيب ١٩٢.
حمزة بن حبيب الزييات (قارىء)
٤٧٩ م، ٤٩٩-٥٠٠.
حمزة بن السبال الحرون ٦٩، ٧١ م.
حمزة الكسائي = الكسائي
الحميدي- محمد بن فتوح (٧٣٢-
٧٣٥)، ٢٢٠، ٣١٠، ٤١٠ م،
٥١٠.
حنين بن اسحاق ١٩٢.
حواء ١٠٥، ٦٨٢.
حيان- أبو وهي (جد المؤرخ ابن
حيان) ٦١٥.
خ
خالد بن أبي عمران التجيبي ٧٣ م.
خالد بن حبيب ٤٢، ٤٣.
خالد بن حميد الزناقي ٤٣ م.
خالد بن ربيعة الإفريقي ٦٦ م.
خالد بن سعد ٢٥٣.
خالد الغريب (جد ابن أضحى) ٢٤٤.
خالد القناص ٤١٧.
الخالديان- أبو بكر محمد وأبو سعيد
عثمان ٥٢٠ م.
خريش بن عبد الرحمن (٨٣-٨٤)،
٦٩.

الخوارزمي - محمد بن موسى ١٩٠ م ،
٢٩٢ م .

خيران الصقلي العامري ٣٧٨ م ،
٣٨٧ ، ٤٨٤ م ، ٦٩٥ .

د - ذ

الداخل - عبد الرحمن بن معاوية
الداني = أبو عمرو
الداروني (٢٣٧ - ٢٣٨) .
داود ٥٠١ .

داود بن علي الأصفهاني الظاهري
١٨٤ م .

الدب - أبو جعفر ٣٦٣ .
دعامة بن محمد ١٨٥ .

دعبل الأندلس = أحمد بن محمد
الكتاني - الحجاري

دعبل الخزاعي ١٥٢ ، ١٥٤ .
دغفل بن حنظلة ٤٦٧ م .

دي خويه ٢٨٩ .

دوزي ١٩٧ م .

ديك تيس الجن = أحمد بن محمد الكتاني
ديك الجن الحمصي ٤٠٥ .

ديوسقوريدس ١٩٢ ، ٣٠٤ .

الذهبي - عبد الله بن محمد ٣٩٥ .

الذهلي = أبو طاهر

ذو الرمة ١٨٧ ، ٢٣٧ .

خزرون بن خليفة ٣٩٠ .

خزرون بن سعيد ٣٩٠ .

الخشني - عبد العزيز (٣٤٥ - ٣٤٦) .

الخشني - محمد بن ابراهيم ٦٤٦ .

الخشني - محمد بن الحارث (٢٦٣ -
٢٦٦) ، ٢٧٧ .

الخشني - محمد بن عبد السلام (١٤٧ -

١٤٨) ، ١٦٣ ، ٢١٠ ، ٢٢٢ ،

٢٣٢ ، ٢٥٠ ، ٣٢٨ .

الخصيب (عامل مصر) ١٥٢ ح ، ٣٧٩ .

الخصيب الكلبي اللغوي ١٦٣ .

الخطيب البغدادي - أحمد بن علي
٧٢٣ .

خلف بن أبي القاسم = البراذعي

خلف بن أحمد السعدي (٣٦٠) .

خلف بن حسين = ابن حيّان

خلف بن السمع بن أبي الخطاب

١٠٨ م ، ١٠٩ .

خليفة بن خزرون ٥٤٦ م .

الخليل بن أحمد ٢٤٨ - ٢٤٩ ح ، ٣٠٠

٤١٣ - ٤١٤ ، ٦٥٥ .

خليل بن اسحاق (٢٢٤ - ٢٢٦) ،

١٨٥ ح .

الخنساء ١٨٧ ، ٤١٠ .

الخنوت بنت مخزومة ٣٦٣ .

رشيق (غلام ابن الجزار القيرواني)

١٩٣ م.

رشيق (والد ابن رشيق القيرواني)

رضوان ١٢٥ م، ٣٤١ م.

رقيع الدولة = ابن صلاح

الرقيق القيرواني (٤٥١ - ٤٥٤).

الرمادي - يوسف بن هرون (٣٣٩ -

٣٤٢)، ١٩٩، ٣٠٩، ٤٢٩ م.

٤٣٩ م، ٤٤١.

الرميك بن الحجّاج ٤١٧.

الرواسي ٨٥.

الروح الأمين = روح القدس = جبريل

روح القدس = عيسى

روح بن حاتم (والي إفريقية) ٧٤.

رولان ٥٧.

ريبيرا ٤٢٢ - ٤٢٣، ٤٢٥، ٤٣٧.

ز

زا (الملك) ٥٥٠.

زاوي بن زيري ٦١٧ - ٦١٨.

الزبركة = عيسى بن قرلمان (قرلمان)

زبيدة (امراة هرون الرشيد) ٣٦٨ ح.

الزبيدي (٣٠٠ - ٣٠٤)، ١٠٦ ح م،

١٠٨، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧ ح م،

٢٠٣ م، ٢٠٥ م، ٢٤٨ ح، ٢٦٢،

٢٩٩ ح، ٣١٢، ٣٢٨، ٣٦٧،

٤٤٧، ٤٩٧.

ر

راح (أم عبد الرحمن الداخل) ٨١.

الرازي - أحمد بن محمد بن موسى

(٢٣٨ - ٢٤١)، ١٣٠ ح م، ١٨٨ م،

٦١٦.

الرازي - عيسى بن أحمد بن محمد

١٨٨ م.

الرازي - محمد بن زكريّا ٥٣٥.

الرازي - محمد بن موسى (١٣٠ -

١٣١)، ١٨٨ م.

راشد (مولي إدريس الأكبر) ٦٣ م،

٩٤ م.

الراضي العبّادي بن المعتمد (٦٧٦ -

٦٨٠)، ٧٢١.

الراضي العبّاسي ٢٣٠، ٣٠٦ م.

الرباحي - محمد بن يحيى (٢٦١ -

٢٦٣)، ٢٠٥ م، ٣٠١، ٣٠٤.

الرباعي - سعيد ١٨٦.

ربيعة بن تيودولفو ٥٧، ٨٩.

ربيعة بن مكدّم ٧٢٧ م.

رداح = راح (أم عبد الرحمن الداخل)

رسطاليس = أرسطو

رسول الله = محمد رسول الله

الرسّي الحسني = أحمد بن اسماعيل

الرشيد بن المعتمد = ابن عبّاد

رشيد الدولة = ابن صلاح

- الزبيدي - عبد الله بن حمّود ٢٠٥ .
الزبيدي - حسن بن عبد الله ٢٨٦ .
الزبير بن بكّار ٦٢١ .
الزجاج ١٨٦ ، ٣١٢ .
الزجاجي - عبد الرحمن بن اسحاق
٤١٧ - ٤١٩ ، ٦٣٦ .
زخرف (أمّ الحكم بن هشام الرضوي)
٨٩ .
الزرقالي - ابراهيم بن يحيى النقّاش
٣٩٤ .
الزركلي - خير الدين ٦٢١ .
زرياب - علي بن نافع ٥٨ ، ٨٠ - ٨١ ،
٩٩ ، ١٠٥ م ، ١١٦ ، ٣٦١ .
زكريّا بن أبي زائدة ٧٣ .
زكريّا الأرجاني - أبو يحيى = الأرجاني
زكي - أحمد ٦١٨ ح .
الزنجاني - أبو القاسم سعد بن عليّ
٧٢٣ .
الزهرابي - أبو القاسم ١٩٣ م .
زهير بن أبي سلمى ٤٩ ، ١٨٧ ، ٢٦٨ ،
٥٥٦ .
زهير (الفتى العامري) الصقلي ٣٨٧ ،
٦٠٥ ، ٦٦٦ ، ٦٩٤ - ٦٩٦ .
زهير بن نمير (جنّي) ٤٥٥ ، ٤٥٩ -
٤٦٠ .
الزواوي - طاهر أحمد ٥٤٧ .
زياد بن أبيه ٦٤٢ م ، ٦٨٥ ح .
- زياد بن الأصفر ٤٢ ح ، ٥٥ ح .
زياد بن عبد الرحمن = شبطون
زيادة الله = ابن الأغلب
زيادة الله الطبري (٣٦٠ - ٣٦٢) .
زيري بن عطية المغراوي ٣٨٨ م .
زين العابدين - علي بن الحسن بن عليّ
١٧٠ .
زينب (وردت في شعر) ١١٧ ، ١٥٦ م ،
٢٢٥ ، ٢٥٦ .
- س
- سابور ٦٨٦ م .
سارة ٦٨٥ ، ٦٨٨ م .
سارة القوطية ١٨٩ ، ٢٨٥ م ، ٢٨٧ ح .
سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطّاب
٧٣ .
سالم القرطبي (مولى هشام بن عبد
الرحمن الداخل) ٢١٠ ، ٢٣٥ .
سام بن نوح ٣٣ ح .
سحبان وائل ٦٨٤ .
سحر (جارية المعتمد بن عبّاد) ٧١٨ -
٧١٩ .
سحنون بن سعيد (١١٢ - ١١٤) ، ٦٠ ،
١٤٢ م ، ١٤٩ م ، ١٥١ ، ١٨٥ ،
٢٢٧ - ٢٢٩ .
سراج بن قرة (الصحابي) ٧٣١ .
السرقسطي الحمار = ابن فتحون

- السرقسطي المعافري (٣٣٥ - ٣٣٦).
 سعد بن عبادة ٤٤٧ ح.
 سعد بن علي الزنجاني = الزنجاني
 سعد بن مسعود التجيبي ٤٦.
 سعدى (وردت في شعر) ٣٧٣.
 سعدى (أمّ أوس بن سعدى) ٢٤٧ ح.
 سعيد بن أبي مخلد الأزدي العثماني ٥١٨.
 سعيد بن اسحاق الكلبي ٢٢٧.
 سعيد بن جابر ٢٨٦.
 سعيد (بن سليمان) بن جودي (١٤٤ - ١٤٦)، ١٥٥ م، ١٥٦، ٤٢٨.
 سعيد بن الحدّاد ٢٢٧.
 سعيد بن حميد الكاتب ١٥٤.
 سعيد بن خزرون = ابن خزرون
 سعيد الرباعي = الرباعي
 سعيد (والد سحنون) ٢٢٨.
 سعيد بن عبد ربّه = ابن عبد ربّه
 سعيد بن عثمان = ابن القرّاز البربري
 سعيد بن فتحون = ابن فتحون
 سعيد بن الحدّاد الحمار (غير السرقسطي)
 المعافري (٣٣٦ ح).
 سعيد بن محمّد القرطبي النحوي ٣٣٦ ح.
 سعيد بن محمّد المعافري = السرقسطي
 المعافري
- سعيد بن منذر البلوطيّ (٢٥٧ - ٢٦١)، ١٥٥.
 السّفّاح = أبو العبّاس
 السفاقسي - أبو عمر عثمان ٧٣٣.
 سفر بن عبيد الله الكلاعي ٢٨٤ م.
 سفيان الثوري ٧٣.
 سفيان بن عُيَيْنَة ٩٣، ٩٩.
 سكرى (أمّ المستكفي المرواني) ٦٩٩.
 سلامة بن جندل (جاهلي) ٦٧.
 سلمى (جارية أبي بكر الزبيدي) ٣٠١ م.
 سليمى (في الشعر) ٦٥٨.
 سليمان بن أبي هارون ١٨٢.
 سليمان بن خلف = أبو الوليد الباجي
 سليمان المستعين المرواني (٣٤٦ - ٣٤٨)، ١٦٨ - ١٦٩، ٣٣٨، ٣٦٣ م، ٣٧٧ - ٣٧٨، ٤٥٤، ٥٠٥ م، ٥١٠.
 سليمان بن جرير الشّماخ ٩٤ م.
 سليمان بن جرير الشّماخ (آخر) ٩٤.
 سليمان بن حسان = ابن جلجل
 سليمان بن الحكم الربضي ٨٩ م.
 سليمان بن عبد الرحمن بن معاوية ٥٧، ٨٧ م، ٨٩ م.
 سليمان بن عبد الملك ٣٨ م، ٤١.
 سليمان بن موسى الكلاعي = أبو الربيع
 سليمان بن وهب الكاتب ١٥٤.

شارلمان ٥٧ م، ٩٠ م.
 الشافعي ١٤١ م، ١٨٣ م، ٢٠٣ م،
 ٥٨٨ - ٥٨٧، ٢٥٠.
 شاكر (صاحب الرباط) ٤١.
 شانجه الصغير = شنجول
 شاه ملك ٥٤٦ م.
 شبطون - زياد بن عبد الرحمن (٩٣ -
 ٩٤)، ٩٨، ٩٩، ١٠٤.
 شبيب بن يزيد الشيباني ٦٧٣ ح.
 شدّاد، راجع ٦٩٩.
 شدّاد بن عاد ٧٢٨ م.
 الشطجيري = حبيب بن أحمد
 الشريف الرضيّ ١٨، ٣٨١ ح،
 ٤١٢ ح، ٦٠٣.
 الشعبي = أبو المطرف الشعبي
 الشقراطيسي (٦١٠ - ٦١٥)، ٤٠٠،
 ٤٠٨ م.
 الشماخ = سليمان بن جرير
 الشماخي = أحمد بن سعيد
 الشمر بن غير القرطي ١٠٢.
 الشتجالي - أبو محمد ٥٧٠.
 شنجول = عبد الرحمن المنصور بن أبي
 عامر
 شنف (زوج سليمان المستعين) ٣٥٨.
 الشوباشي - محمد مفيد ٤٤٦.

سليمان بن يسار ٧٣.
 السمار (عشقه أم الكرام بنت صمادح)
 ٦٦٧ - ٦٦٨.
 السمع بن مالك الخولاني ٤١ م، ٤٢،
 ٧٢٥.
 السمعاني ٦١٨ ح
 سمفو المكناسي - أبو القاسم ٦٤.
 السمنطاري = عتيق
 السمسير الألبيري - خلف بن فرج
 ٦٨٠ - ٦٨٢)، ٤٠٢، ٦٦٦.
 سهل بن غالب الخزرجي ٣٦٨.
 سهل - أبو الفضل (إباضي) ١٨٢.
 سهل بن هارون ٥٩٩ م.
 سوار بن حمدون القيسي ٨٠ م.
 سيبويه ٧٤، ٨٦، ١٥٩ م، ٢٦١ م،
 ٣٠٤، ٦٣٦ م، ٦٧٢ - ٦٧٣.
 سيّد المرسلين = محمد رسول الله
 السيّد القمبياطور ٧٣٩.
 السيرافي - أبو سعيد ٣٦٢.
 سيف الدولة ٥٢٠، ٥٦٧ م.
 سيف بن ذي يزن ٦٥٨ م.
 السيوطي - جلال الدين ١٠٦ ح،
 ١٣٠ ح، ٢٤٨ ح، ٤٦٥ ح.

ش

شارل مارتل = قارله

ص - ض

صاحب الحمار = مخلد بن كيداد

صاحب الشامة = أحمد بن زكرويه

الصاحب بن عبّاد ١٩٤، ٢١٢.

صاعد بن الحسن الربيعي البغدادي

(٣٦٢ - ٣٦٥)، ٣١٢ م، ٣٢٨،

٣٣٦، ٤٦١، ٥٦٠.

صاعد الطليطلي (٥٨٢ - ٥٨٤)،

٣٩٥.

صبح (أمّ هشام المؤيد) ١٦٧ م، ٢٩٤،

٣١٤ - ٣١٥.

الصدفي = يونس بن عبد الأعلى

صخر (أخو الخنساء) ٣١٠ م.

الصفار = يونس بن عبد الله

صفيّ الدين الحلّيّ ٤٩٤.

صقر قریش = عبد الرحمن الداخل

صلاح الدين الأيوبي ٦٦٧.

الصلت بن السكن بن سلامان ٥٦٦ -

٥٦٧.

الصليحي - علي بن محمد ٥٣٣ م.

صموئيل = اسماعيل بن النفذلة

الصميل بن حاتم ٤٤ - ٤٦، ٤٨ -

٥١، ٥٤، ٥٥.

الصنوبري ١٩٦.

الصولي = أبو بكر الصولي

الصيقل = عثمان بن سعيد

الضحّاك بن قيس ٤٧ ح.

الضّراب ٧٢٣.

ضيف - شوقي ٤٤١، ٤٩١.

ط

الطائع العبّاسي ٣٠٦ م.

طارق بن زياد ٣٧ - ٤١، ١٤٣،

٢٨٧ ح، ٣١٣، ٣٧٧.

طالوت بن عبد الجبار ٥٧ - ٥٨، ٨٩.

طاهر بن عبد العزيز ٢٨٦.

طاهر بن المنصور الفاطمي ٢٦٩.

الطبري ١٤١، ١٨٩ م، ٢٨٩ م، ٢٩٠.

الطبي - محمد بن الحسين (٣٢٢ -

٣٢٤).

الطبيخي - وليد بن عيسى (٢٥٤ -

٢٥٧)، ٢٠٥، ٢٠٦ م.

طرفة بن العبد ١٨٧، ١٩٥، ٥٦٧ م،

٦٣٦ - ٦٣٧.

الطرمّاح بن حكيم ١٨٧.

طروب (جارية عبد الرحمن الأوسط)

٩٩ - ١٠١.

طريف بن صالح البرغواطي ٦٢.

طريف (مولى موسى بن نصير) ٣٧.

طلحة بن عبد الله العوفي ٤١٥ م.

الظلمنكي - أحمد بن محمد ٥٦٠،

٧٣٣.

الطليق المرواني (٣٣١ - ٣٣٤).

طويس ٦٩٤.

طيفور - أحمد بن أبي طاهر ١٨٨.

ع

عائشة بنت أحمد (٣٣٤ - ٣٣٥).

عاج (جارية هاشم بن عبد العزيز) ٧٥،

٧٩، ١٣٤.

عاد ٦٩٩ م.

عاصم بن أبي النجود ٤٧٩ م، ٤٩٩.

عاصم بن أيوب البطلوسي ٤١٠.

عاصم بن زيد = أبو الخشّي

عامر ذو رياش ٤٧١ م.

عامر بن عمرو العبدي ٤٨.

عامر بن معمر بن سنان التميمي ٦٩.

عبّاد - أبو عمرو ٤٧٠.

عبّاد بن المعتمد بن عبّاد ٧١٤، ٧٢٠.

عبادة القرّاز = ابن عبادة

عبادة بن ماء السماء (٤٤٧ - ٤٥٠)،

٤٢٧ - ٤٢٩، ٤٣٩، ٧٤٤.

عبّاس - إحسان ١٩، ٢٨٩ - ٢٩٠،

٢٩٩ ح، ٣٩٨، ٤٠٤ م، ٤٤١ -

٤٤٣، ٥٢١ م، ٥٦٥ ح، ٦١٨ ح.

العبّاس بن الأحنف ٣١٢، ٤٠٣.

عبّاس بن فرناس (١٣٥ - ١٣٩)،

١٢٣ م.

عبّاس بن ناصح الجزيري (١٠٦ -

١٠٧).

عبّاسة (في شعر) ٣١٣.

عبد الله (في شعر) ٥٢٥.

عبد الله بن إباح ٥٥ - ٥٧، ٢٢٩ ح.

عبد الله بن إبراهيم = ابن الأغلب

عبد الله بن إبراهيم الأصيلي ١٨١.

عبد الله بن أبي زيد = ابن أبي زيد

عبد الله بن أبي سرح ٣٦.

عبد الله (البلنسي) بن عبد الرحمن

الداخل ٥٧، ٧٥، ٨٩ م.

عبد الله بن جابر (جدّ أبي الحزم بن

جهور) ٢٣٣.

عبد الله بن الجارود العبدي ٦٥، ٦٦،

٦٧ - ٦٩.

عبد الله بن حسنّ اليحصي ٧٤.

عبد الله بن حمدون = ابن حمدون

عبد الله بن حمّود الزبيدي = الزبيدي

عبد الله بن الزبير ٤٧ ح.

عبد الله بن سعيد الوجدي ٣٩٦.

عبد الله بن سليمان بن يخلف = يخلف

عبد الله بن الشعر (الشاعر) (١٠٢ -

١٠٣)، ١٠٠.

عبد الله بن الصقّار ٤٢ م.

عبد الله بن طاهر بن الحسين ٧١ - ٧٢.

عبد الله بن عامر = ابن عامر الشامي

عبد الله بن عباس ٥٦.

عبد الله بن عبد الرحمن الناصر
(٢٢٩ - ٢٣١)، ١٨٣.

عبد الله بن عمرو بن الحارث ٢٤٧ ح.
عبد الله بن فروخ الفارسي ٧٣ - ٧٤.
عبد الله بن محمد البغوي = البغوي

عبد الله بن محمد الذهبي = الذهبي
عبد الله بن محمد (أمير الأندلس)
(١٥٦ - ١٥٩)، ٥٩ م، ٦٥، ٧٤،

٧٥، ١٢٤ - ١٢٦، ١٢٩، ١٣١،
١٣٥، ١٤٣ - ١٤٥، ١٥٥ م،
١٦٢ م، ١٦٦ م، ١٨٨، ٢١٠،
٢١٤، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٤٤، ٤٢٣،
٤٣٩.

عبد الله بن أبي مطحنة = ابن أبي
مطحنة

عبد الله بن محمد الأصم = الأصم
عبد الله بن محمد بن تيفاوت = ابن
تيفاوت

عبد الله بن محمد الخلنجي (الخلنجي؟)
١٦١ ح.

عبد الله بن محمد (الكاتب) ٣٤٦.
عبد الله بن محمد بن عامر المعافري
٣١٣.

عبد الله بن محمد بن مغيث = الأنصاري
عبد الله بن محمد المكفوف (النحوي)
(١٦٠)، ٢٤٩.

عبد الله بن مسلمة (الوزير) ٣٦٣.
عبد الله بن المعتز ٣٣١.

عبد الله بن موسى بن نصير ٣٨ م.
عبد الله بن ياسين الجزولي ٣٩٥،
٥٤٣ - ٥٤٤.

عبد الأعلى = أبو الخطاب الإباضي
عبد الجبار بن خالد السري (١٤٢ -
١٤٣).

عبد الجبار بن المعتمد = ابن عبّاد
عبد الحميد (?) ٧٤٥.
عبد الحميد الجناوي - أبو عبيدة
١٠٩ م.

عبد الحميد بن غانم ١٢٦.
عبد الحميد بن يحيى (الكاتب) ٦٦،
٥٩٩.

عبد الخالق بن شبلون = ابن شبلون
عبد خزاعة = عبد الله بن طاهر بن
أحسين

عبد الرحمن بن أبي البشر ٥١٨.
عبد الرحمن بن بكر بن حمّاد = ابن حمّاد
عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبدة بن
عقبة بن نافع ٤٤ م، ٥١ م، ٥٤ -
٥٥، ٦٢، ٦٦ م.

عبد الرحمن (الأوسط) بن الحكم (٩٩ -
١٠٢)، ٥٨ م، ٦٥ م، ٧٥، ٨٠ -
٨١، ٨٧ م، ٩٧ م، ١٠٣ م،

عبد الرحمن بن مروان الجليقي ١٢٢ م،
١٢٧ م، ١٣١، ١٣٢، ١٣٩،
٢١٧.

عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن
الناصر ٣٣١.

عبد الرحمن (الداخل) بن معاوية
(٨١ - ٨٣)، ٤٦، ٤٨، ٥٤ -
٥٨، ٦٤، ٦٥، ٨١ - ٨٣، ٨٦،
٨٧ م، ١٢٢، ١٢٦، ١٤٣ ح م،
١٦٥، ٢١٤ م، ٢٨٤ ح، ٢٨٧ ح،
٤٧٣، ٦١٥.

عبد الرحمن بن ملجم ١٥٢.

عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر
١٦٨، ٣٦٥، ٣٦٦ م، ٣٧٧.

عبد الرحمن بن نافع ٤٦.

عبد الرحمن بن هشام بن عبد
الجبار = المستظهر المرواني

عبد الرحمن بن يوسف الفهري ٥٤ م،
٥٥.

عبد الرحيم بن نصر التميمي البخاري
٣٥٥ م.

عبد السلام بن الحسن البصري ٤٦٩.

عبد السلام بن سعيد = سحنون

عبد العزيز بن أرقم - أبو الأصبع بن
محمد (٦٧٠ - ٦٧٦).

عبد العزيز الخشني = الخشني - عبد
العزيز

١٠٦ م، ١٠٧، ١٠٩ م، ١١٤ -

١١٨، ١٢٦، ١٢٩، ١٣١، ١٣٥،

١٣٨، ١٤٣، ١٦٥، ١٦٦،

٢٤٠ م، ٢٦٥ م، ٢٩٩ ح.

عبد الرحمن بن خالد العتيقي ١١٣.

عبد الرحمن بن رستم الفارسي ٥٥ ح،
٦١ - ٦٢.

عبد الرحمن بن زياد (٥١ - ٥٣).

عبد الرحمن العبّاسي = أبو وهب
العبّاسي

عبد الرحمن بن عبد الحميد بن
غانم = ابن غانم

عبد الرحمن الغافقي ٤٢ م.

عبد الرحمن بن القاسم ١١٣.

عبد الرحمن بن محمد التجيبي ٣٤٠.

عبد الرحمن (المرتضى) بن محمد ١٦٩،
٣٧٨، ٤٨٤.

عبد الرحمن (الناصر) بن محمد ٥٨ م،

٥٩، ٦٥، ١٢٧ م، ١٥٧، ١٦٢،

١٦٦ - ١٦٨، ١٧٤ م، ١٧٨ -

١٨٠، ١٨٣، ١٨٨، ١٩٨،

٢٠٤ م، ٢١١، ٢١٤ - ٢٢١،

٢٣٠، ٢٣٤، ٢٤٤ - ٢٤٥،

٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٧ - ٢٥٩،

٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٨٩،

٣١٣ - ٣١٥، ٣١٨، ٣٢١،

٣٣١، ٤٢٨ ح.

عبد الملك بن حبيب السلمي (١٠٤ - ١٠٦)، ٧٠، ٧٨.

عبد الملك بن رزين = ابن رزين

عبد الملك بن سراج = ابن سراج

عبد الملك الطنبلي (٥٥٩ - ٥٦٠).

عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم
٦٥، ١٣١ ح.

عبد الملك بن غصن الحجاري (٥٢٦ - ٥٢٩).

عبد الملك بن قطن الفهري (والي
الأندلس) ٤٣ م، ١٢١ ح.

عبد الملك بن قطن المهري القيرواني
(النحوي) (١٢١ - ١٢٢)، ١٦٠.

عبد الملك بن الماشون ١٠٤.

عبد الملك بن محمد بن جمهور = ابن جمهور
عبد الملك بن مروان ٥٦، ١٣١ ح،
٤٧٣.

عبد الملك المظفر بن المنصور بن أبي
عامر ١٦٨ م، ٢٠٢.

عبد الملك المعافري القحطاني =
المعافري

عبد الملك بن هشام الرضي ٨٩.

عبد المليك (الملك) من أجداد المنصور
ابن أبي عامر ٣١٨.

عبد المنعم القروي - أبو الطيب ٦٨٣.
عبد مناف ٢٤٧ ح.

عبد الواحد المراكشي ٤٤٣ - ٤٤٤.

عبد العزيز بن الخطيب ٢٦٩ ح.

عبد العزيز بن خلّوف = ابن خلّوف
الحروري

عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبي عامر
٣٨٧، ٥٩٣.

عبد العزيز بن عبد الرحمن الناصر بن
أبي عامر ٢٣٠، (راجع ٦٦٦ م: في
المرتبة)، ٦٩٥ م.

عبد العزيز بن محمد بن عبد الحميد
٧٠٧.

عبد العزيز أبو المصعب (صاحب ولبة
ووالد أبي عبيد البكري) ٧٠٢ م.
عبد العزيز بن موسى بن نصير ٣٨ م،
١٣١ ح.

عبد الغنيّ (ابن أبي الحسن عليّ
الحصري الضير) ٧٠٩ م.

عبد الكريم النهشلي (٣٤٢ - ٣٤٥)،
٢٠٥ - ٢٠٧، ٤٠٩، ٤٦٦،
١٥٥، ٢٥٥.

عبد الملك بن بشر بن عبد الملك بن بشر
ابن مروان ٦٥ م.

عبد الملك بن أبي الجعد الورفجومي
٦١ م.

عبد الملك بن ادريس = أبو مروان
الجزيري

عبد الملك بن جمهور = ابن جمهور

- عبد الوهّاب - حسن حسني ٣٧٥ ح ،
٤٠٨ ، ٤٦٥ ، ٥٢٢ .
- عبد الوهّاب بن الحسين بن جعفر
٤٥٣ .
- عبد الوهّاب بن عبد الرحمن بن رستم
٦٢ .
- عبدويه = عبد الله بن الجارود
عبيد بن الأبرص ٥٦٧ م .
- عبيد الله بن أبي عبدة الفهري ١٧٦ .
- عبيد الله بن الحبحاب ٤٢ م ، ٤٧ م ،
٤٨ .
- عبيد الله بن عبّاد = ابن عبّاد
عبيد الله بن سلمة اليحصي ٤٩٨ .
- عبيد الله بن قارلمان = بن قارلمان
عبيد الله (أبو عثمان) بن محمد بن الفمر
٢٣٣ - ٢٣٤ .
- عبيد الله المهدي ١٦٩ - ١٧١ ، ٢٢٤ -
٢٢٦ ، ٢٣٩ م ، ٢٧٧ - ٢٧٨ ،
٢٩٢ م .
- عبيد الله بن موسى الكوفي ١٠٤ .
- عبيد الله بن يحيى ٢٥١ ، ٢٥٧ .
- عبيدة بن عبد الرحمن (والي المغرب)
٤٦ .
- العقبسي - أحمد بن فراس ٤٧٦ .
- العتبي - محمد بن أحمد ١٢٤ ح ، ١٦٣ .
- العتبي - محمد بن عبد العزيز (١٢٤ -
١٢٣) .
- عبلة ٥٩١ .
- عتيبة (اسم) ...
- عتيق بن أحمد بن اسحاق القصري -
أبو بكر ٧٠٧ .
- عتيق السمنطاري ٢٠٩ .
- عثمان بن سعيد الصيقل ٢٩٢ م .
- عثمان بن عفّان ٣٦ م ، ٥٦ ، ١٣١ .
- عثمان بن المثني النحوي (١٢٩ -
١٣٠) ، ١٠٧ .
- العجيتي - محمد بن محمد بن جبريل
٤٧٦ .
- عدنان (جدّ عرب الشمال) ٤٣٥ م .
- العدوي - أبو جعفر ٣٥٢ .
- عديّ بن زيد ١٨٧ .
- العذري - أبو العبّاس أحمد بن عمر
٧٠٢ م ، ٧٢٣ .
- عروة بن الورد ١٨٧ .
- عريب بن سعد القرطبي (٢٨٩ -
٢٩٤) ، ١٨٩ ، ١٩٢ .
- عزّ الدولة = ابن صمّاح
عزرائيل ١٢١ ح .
- عزّة الميلاء ٦٩٤ م .
- العزير الفاطمي ٣٥١ .
- عضد الدولة - أحمد بن محمد من بني
القاسم بألفنت (؟) ٥٠٨ م .
- عضد الدولة بن المعتمد = بن عباد
عطاء البيّاني ٢٣٢ .

عطاف (جدّ لآل عبّاد) ٤٧٠ م.

عفراء (المدجحية) ٣٦٣.

عقبة بن الحجّاج السلولي ٤٧.

عقبة بن نافع ٣٦ م، ٤١ م.

العلاء بن سعيد بن مروان المهلبّي

٦٨ - ٦٩.

علقمة الفحل ٦٣٦ - ٦٣٨.

علوية ١٦١ ح.

عليّ (في شعر) ...

عليّ بن أبي حنيفة النعمان (المغربي) =

ابن أبي حنيفة

عليّ بن أبي الرجال = ابن أبي الرجال

عليّ بن أبي طالب ٣٦، ٥٦، ١٥٢،

١٦٩ م، ١٧٠ م، ٢٢٥ م، ٢٢٩ ح،

٣٣٧ ح، ٤١٣ م، ٤٤٧ م، ٥٢٥ م،

٧٢٨ م.

عليّ بن الإيادي (٢٧٩ - ٢٨٢)،

٣٤٣ م.

عليّ بن أحمد - أبو محمّد (من أهل

المرّة).

عليّ بن الجهم ١٥٤.

عليّ بن حبش الشيباني ٥١٨.

عليّ بن الحسين = زين العابدين

عليّ بن حمد (الناصر) ١٦٩ م، ٣٤٧ م،

٤٤٧ م، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٧ م،

٥١١، ٥٣٥، ٦٠٥، راجع ٣٧٨.

عليّ بن حمدون ٢٧١.

عليّ الرضا ١٧٠.

عليّ بن زياد العبسي (تونس) ٧٤.

عليّ بن سليمان = الأخفش الصغير

عليّ بن عيسى الربعي ٤٦٩.

عليّ بن غالب = ابن حصن الإشبيلي

عليّ بن فضال = ابن قضال

عليّ بن محمّد القيرواني - القاسي ١٨٢.

عليّ بن نافع = زرياب

عليّ الهنادي ١٧٠.

عليّ بن يوسف بن تاشفين ٥٤٤.

عليّة بنت زرياب ٨١، ٣٦١، ٣٦٢.

عمّار (بن) محمّد الاسكندراني ٥١٨.

عمر (في شعر) ٦٠٤.

عمر بن أبي ربيعة ١٨٧، ٤٠٣، ٥٩١.

عمر بن حفص = ابن برتق

عمر بن حفصون ٥٩، ١٤٤، ١٥٦ م،

١٦٥، ١٦٦، ٢١٨ م، ٢١٩ م،

٢٣٨.

عمر بن الخطّاب ٤٦، ٥٦ م، ١١٨ م،

٣٧٣، ٣٨٠ ح.

عمر بن خلدون = ابن خلدون

عمر بن عبد العزيز ٤١ م، ٤٢، ٤٦،

٧٢٥.

عمر المتوكّل = ابن الأفطس

عمر بن يونس = الحرّاني

عمران بن حطان ١٥٢ م.

عمران بن مجالد بن يزيد الربيعي ٦٩ ،
٧٠ م ، ٨٣ م .

عمرو (جدّ هاشم بن عبد العزيز) مولى
عثمان بن عفان ١٣١ .

عمرو بن حفص ٢٦٦ .

عمرو بن العاص ٣٦ ، ٣٨٠ ح .

عمرو بن عامر بن ماء السماء ٤٧١ م .

عمرو بن كلثوم ٢٤٧ م ، ٥٧٩ ح .

عمرو النصراني (تغرّل به مدرك بن
عليّ الشيباني) ٤٠٥ .

عمرو بن يوسف (والي طليطلة) ٥٨ .

عميد الدولة (أبو القاسم زهير صاحب
المرية؟) ٥٠٩ .

عنان - محمد عبد الله ٣٨٧ - ٣٨٨ ح .

عنيسة بن سحيم الكلبي ٤٢ م .

عنبرة ٢٦٨ ، ٥٩١ م .

عنبرة الأندلس = أبو الأجر الكلابي
٤٩ .

عوض الكريم - مصطفى ٤٢٤ -

٤٢٥ ، ٤٣٧ ، ٤٤١ م ، ٤٤٢ ح .

عون بن يوسف الخزاعي ١٥١ .

عيسى بن أحمد الرازي = الرازي

عيسى بن مريم ٢٣٥ ح م ، ٤٠٤ ،

٦١١ ، ٦٨٨ م ، ٦٨٩ م .

عيسى بن مزاحم ٢٨٥ م .

عيسى بن مسكين (١٤٩ - ١٥٠) ،

٢٢٦ .

عيسى بن يزيد الأسود ٦٢ .

غ

الغاي (الفسّاني) - أبو عبد (عبيد) الله
٢٠٤ م ، ٢٥٤ .

الغازي بن قيس (٨٦ - ٨٧) ، ٩٣ .

غالب بن عبد الرحمن الصقلي ١٦٧ م ،
٣١٤ - ٣١٥ .

غالب بن فهر بن مالك ١٠٢ .

غانم بن وليد الخزومي (٦٠٢ - ٦٠٥) .

غريب الطليطي (٩٢ - ٩٣) .

غرسية (ملك البشكنس) ٣١٦ -
٣١٧ .

غرسية بن شانجه (ملك قشطالة)
٣٦٤ م .

غوميث - أميليو غرسية ٤٣٧ ، ٧١٦ .

الغريض ٦٩٤ ، ٧٤٠ م .

الغزال = يحيى بن الحكم

الغزالي ٥٤٤ ، ٦٥٠ م .

الفسّاني = الغاي

الفسّاني = أبو لقمان بن يوسف

غلبون بن الحسن بن غلبون - أبو عقّال
١٥٠ ح .

غيطشة ١٨٩ ، ٢٨٧ ح .

ف

فارس بن أحمد الحمصي ٤٩٨ .

القائم الفاطمي ١٧١، ٢٢٤ م، ٢٧٨ -
٢٨١.

القاسي - علي بن محمد القيرواني ١٨٢،
٣٣٧، ٤٧٦، ٥٦٤.

قارلمان (= قرلمان) - عبد الله
- أحمد

قارله ٤٢.

قارون ٥٩٨.

قاسم بن أصبغ البياي (٢٣٣-٢٣٢)،
١٨١، ٢٣٨، ٢٦٣، ٢٨٦، ٢٩٩،

٣٠٠، ٣١٨، ٣٢٨.

قاسم بن ثابت بن عبد العزيز
السرقي ١٨٥ ح م.

القاسم بن حمود ١٦٩، ٣٨٧، ٤٧٠ م،
٤٨٣، ٤٨٤ م، راجع ٥٠٥.

قاسم بن زرياب ٨١.

القاسم بن سلام = ابن سلام

القاسم بن عبد الله (وزير عباسي)
٢٩٠.

القاسم بن عبد الله التميمي ٢٠٩ -
٢١٠.

القاسم كنون (قنون) ١٧١.

القاسم بن الأمير محمد بن عبد الرحمن
الأوسط ١٢٤ - ١٢٥.

القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق
٧٣.

قاسم بن محمد بن سيار البياي ١٨٣ م.

فاطمة بنت محمد رسول الله ١٦٩،
١٧١ م، ٢٢٧ م، ٢٧٣ م،

٣٣٧ ح م، ٤٨٣، ٤٨٦ م.

فاطمة بنت محمد الفهري ٦٣.
الفتح (في شعر) ٤٤٨.

الفتح بن خاقان ٣٩٨، ٤٤٢.

الفتح بن قاسم ٥٨٢.

الفتح بن المعتمد = ابن عبّاد

فتح الله - زهير ٢٠ م.

الفراء ٨٥، ١٨٧.

فرحون بن عبد الله ٣٤٠.

الفرزدق ١٨، ٥٠، ١٩٥، ٢٠٦،
٦٥٠.

الفرضي (ابن الفرضي؟) ١٦٣.

فرعون ١٤٧ ح، ٣٥٨ ح.

فرفور يوس الصوري ٦٧٣ م.

فرناس (من بني سليط) ١٣٥ ح.

الفزاري = أبو القاسم

الفضل بن روح بن حاتم بن قبيصة ٦٥،
٦٦، ٦٨ - ٦٩.

فيستيزا = غيطشة

الفيروز ابادي ١٠٧ ح، ١٩٨.

فيمي ١٧٧ م.

فيوري - سيلفسترو ٤٤٦.

ق

القائم العباسي ٥٢٩ - ٥٣٠، ٥٣٣.

١٩٠، ١٩١، ٤٦٢.

قيس بن عاصم ٢٤٧ م.

قيصر ٦٩٨ م.

ك

كافور ٣١٦.

الكتّاني - محمد بن الحسن (٣٧٢ -

٣٧٣)، ٣٢٩.

الكتّاني - محمد بن الحسين ٣٧٢.

الكرماني السرقسطي ٣٩٤.

الكسائي ٧٤، ٨٥، ٨٦، ٥٠٠، ٥٠١.

كسرى ٢٤٧ ح، ٥٥٦ م، ٦٨٦ ح،

٦٩٢ ح م، ٦٩٨ م.

الكسنياني = محمد بن عبد البرّ

كعب بن مامة ٢١٦ م، ٢٤٧ م،

٦٥٦ م، ٧٢٩ م.

الكمي = المنجي الكمي

كلثوم بن عياض القشيري ٤٣ م.

كليب بن ربيعة ٥٩٨.

كنزة (جارية إدريس الأكبر) ٦٣، ٩٤.

كنون (القاسم) = القاسم

الكوهي = القوهي

ل

لبّون بن عبد العزيز - أبو عيسى

(٧٣٦ - ٧٣٨).

قالون ٤٧٩ م.

القالبي - أبو عليّ ١٩، ١٨٥ م، ١٧٦ -

١٨٧، ٢٠١ م، ٢٤٨ م، ٢٥٨ م،

٢٨٦، ٣٠٠، ٣١٤، ٣٢٨ م،

٣٤٠ - ٣٤٢، ٣٦٣، ٤٩٧.

القاهر العبّاسي ١٦٦.

القبري - محمد بن محمود الضرير ٤٢٨ م.

القبري = مقدّم بن معافى

قدامة بن جعفر ٣٤٣، ٤١٤، ٥٢٤ م.

قرلمان = قارلمان

القزّاز - أبو عثمان ٣٦٧.

القزّاز - أبو عبد الله محمد بن جعفر

(٣٥١ - ٣٥٤)، ٤٦٦، ٥٥١.

٥٦٤.

القزّاز = محمد بن عبادة القزّاز

قسطنطين (بطريق صقلية) ١٧٧.

قصيّ بن كلاب ٢٤٧ ح م.

قطرب ١٢٢، ٢٤٨ ح.

قطريّ بن الفجاءة ٦٧٣ ح.

قعطل المذحجي ٣٦٣.

القلفاط = محمد بن يحيى القرطي

(٢٢٠ - ٢٢٢)، ٢٠٤ م، ٢١١ م،

٢٢٣ م.

القلفاط = الرباحي - محمد بن يحيى

القلمندر (الشاعر) ٥٨١.

القمبياطور = السيّد

القوهي - أبو سهل ويحّام بن رستم

ليبد ٥٦٧ م.

لذريق ٣٧ م، ١٨٩، ٢٨٧ ح.

لسان الدين بن الخطيب ٢٤٤ ح م،

٣٨٧ ح، ٤٤٠، ٤٤٤، ٧٢٦.

اللمائي - أبو جعفر أحمد (٦٠٥ -

٦٠٧).

اللؤلؤي = أحمد بن ابراهيم

لؤي بن غالب بن فهر بن مالك ١٠٢ ح.

الليث بن سعد ٩٣، ٩٩.

ليفي بروفنسال ١١٦ ح، ٣٨٧.

ليلي (في شعر) ٣٣٠ م، ٣٤٩، ٣٦٠.

م

مارية بنت ظالم ٤٩٢ م.

مازن (لقب ابن الحداد الوادي آشي)

٦٥٥.

المازني ١٨٧، ٢٤٩.

مالك بن أنس ٤٦، ٦٠، ٧٣، ٧٤ م،

٨٤، ٨٦، ٩٣، ٩٨ م، ٩٩ م،

١٠٤، ١١٣ م، ١٤١، ١٨١ م،

١٨٤ - ١٨٥، ٢٢٧، ٢٣٢،

٢٥٨، ٢٥٨ م، ٢٩٩، ٣٠٧،

٣٠٨، ٣٨٩، ٤٧٧، ٤٨٠، ٥٤٧،

٥٨٥، ٥٨٧، ٥٩٨، ٦٣٢، ٦٤٦.

مالك بن المعتمد = ابن عبّاد

مالك بن المنذر الكلبي ٦٨ - ٦٩.

المأمون العباسي ٧١ م.

المأمون بن حنّ = القاسم بن حنّود

المأمون بن ذي النون = يحيى بن عليّ

مافي ٥٣٨ م.

مبارك - زكي ٤٥٦ م.

المبرد ١٥٤، ١٥٩، ١٨٥ م، ١٨٧،

٢١٢، ٧٣٤.

المتنبي ٦، ١٨، ١٩٥، ١٩٦ م، ٢٠٦،

٢٨٦، ٣٥٢، ٣٧٨، ٤١٥، ٤٣٥،

٤٣٩، ٤٦٩، ٤٧٢، ٤٩٧ -

٤٩٨، ٥٥٧، ٥٦١، ٥٦٧، ٥٦٨،

٥٩٩ ح، ٦٣٦، ٦٦٤ م، ٧٤١،

٧٤٦.

متنبي الغرب (المغرب) ٦، ثم ابن

درّاج القسطلّي ٣٧٨؛ ابن هاني

الأندلسي ٦، ٢٦٧؛ الرمادي

(٩٤٣٩؟ ٩٤٤١).

المتوكّل بن الأفطس = ابن الأفطس -

عمر

مجاهد بن مسعدة ٤١٢.

مجاهد العامري ١٨٠ م، ١٨١،

٣٦٢ م، ٣٨٧، ٣٩٢، ٤٥٥،

٤٦٩، ٤٩٩، ٥١٠، ٥١١، ٥٦١،

٥٧٨، ٦٢٣، ٦٦٦ م، ٦٧٠ م،

٦٨٣.

مجير بن سفيان (١٤٦ - ١٤٧).

مجنون ليلي ٤٠٣.

محمد بن أبي دوس = ابن أبي دوس
البياسي

محمد بن أبي زيد القيرواني ١٨١ .
محمد بن أبي عامر = المنصور بن أبي عامر
محمد بن أبي العرب = ابن أبي العرب
محمد بن أحمد الإشبيلي الزاهد ٢٥٣ .
محمد بن أحمد البريدي (١٣٩ - ١٤٠) .
محمد بن أحمد العتيبي = العتيبي
محمد بن أحمد الكاتب البغدادي ٤٩٨ .
محمد بن ادريس بن ادريس بن عبد الله
٦٣ ح .

محمد بن اسماعيل العبّادي = ابن عبّاد
محمد بن اسماعيل بن اسحاق = أبو الحسن
الكاتب المغربي

محمد بن اسماعيل = حمدون النحوي
محمد بن اسماعيل القرطبي ٢٥٤ .
محمد بن الأشعث الخزاعي (أمير
إفريقية) ٥٥ ح ، ٦٠ م ، ٦١ .
محمد بن أضحى = ابن أضحى

محمد بن الأغلب بن ابراهيم = ابن
الأغلب

محمد بن الأغلب بن زيادة الله = ابن
الأغلب

محمد بن أيوب الأنصاري ٦٦٧ .
محمد الباقر (الإمام) ١٧٠ .
محمد بن بشير = المعافري

الحاملي = الحسين بن اسماعيل

محرز بن خلف (٣٥٤ - ٣٥٧) ، ٣١٨ .

محمد رسول الله ١٢ ، ١٦ ح ، ١٧ ح ،

٣٢ - ٣٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٥٥ م ، ٥٨ ،

٦٣ ، ٦٨ م ، ٩٣ - ٩٦ ، ١٠٥ ،

١١٠ م ، ١١١ ، ١٢٦ ، ١٢٨ -

١٣٨ ، ١٤٠ - ١٤١ ، ١٤٨ -

١٤٩ ، ١٥٧ م ، ١٦٥ ، ١٦٩ -

١٧٠ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٩٥ ، ٢٠٠ ،

٢٢٤ - ٢٢٥ ، ٢٣٥ ح م ،

٢٤٥ ، ٢٤٧ م ، ٢٥٨ ، ٢٧٣ ح ،

٢٧٦ ح ، ٢٨٢ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ،

٣٠٨ ، ٣٣١ ، ٣٣٧ ح م ، ٣٩٢ ،

٤٤٧ م ، ٤٧٨ م ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ،

٤٨٢ م ، ٤٨٤ ، ٥٠٠ م ، ٥٠٢ ح ،

٥١٢ م ، ٥٤٧ ، ٥٦٣ ، ٥٨٥ م ،

٥٨٧ ، ٦١١ - ٦١٤ ، ٦٤٥ م ،

٦٨٣ ، ٦٨٦ ، ٦٩٩ م ، ٧٣١ ،

٧٣٣ .

محمد بن أبان بن سيد القرطبي ١٨٥ -

١٨٦ .

محمد بن ابراهيم بن الأغلب = ابن

الأغلب

محمد بن ابراهيم بن زياد المّواز ١٤٩ .

محمد بن ابراهيم بن سعيد القيسي ٥٨٩ .

محمد بن ابراهيم = المروذي

محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ٩٤ .

محمد بن عبد الله بن الحكم ١٤٩ .

محمد بن عبد الله بن عيسى = ابن أبي زمنين

محمد بن عبد الله الفزاري = أبو القاسم الفزاري

محمد بن الأمير عبد الله بن محمد ٥٩ .

محمد بن عبد الله النجاد ٤٩٨ .

محمد بن عبد البر الكسنياني ٢٥٧ - ٢٥٨ .

محمد بن عبد الرحمن الأوسط ٥٩ ، ٧٤ ،

٧٦ ، ٧٧ ، ١٠٩ م ، ١٢٢ ، ١٢٤ -

١٣٦ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٦٦ ، ١٨٣ ،

١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٤١ ح ، ٢٩١ ح .

محمد بن عبد الرحمن الخالص الذهبي ٥٢٩ .

محمد بن عبد الرحمن = المستكفي المرواني

محمد بن عبد السلام الخشني = الخشني

محمد بن عبد العزيز العتي = العتي

محمد بن عبد الملك بن أمين = ابن أمين

محمد بن عبد الملك الزيات ٣٢٤ .

محمد بن عبد الواحد البغدادي (٥٢٩ - ٥٣٣) .

محمد بن عبد الوهاب بن مغيث - ابن مغيث

محمد بن جعفر التميمي = القزاز القيرواني

محمد بن جمهور (أبو الوليد) = ابن جمهور

محمد الجواد (الإمام) ١٧٠ .

محمد بن الحارث الخشني = الخشني

محمد بن الحسن بن الحسين المذحجي = الكتاني

محمد بن الحسن بن دريد = ابن دريد

محمد بن الحسين الطنبي = الطنبي

محمد (أبو الوليد) بن الحسين = الكتاني

محمد بن الحسين المغربي (٥٢٤ - ٥٢٦) .

محمد بن الحكم الأندلسي ٢٠٣ .

محمد بن حمود (حمود) ١٥٥ ح .

محمد بن حميد الطوسي ١٢٩ .

محمد بن خزون بن خليفة = ابن ورو

محمد بن زيادة الله = ابن الأغلب

محمد بن سحنون ١٤٩ .

محمد بن السري بن السراج = ابن السراج

محمد بن سعيد الزجالي ١٠٥ - ١٠٦ .

محمد بن سعيد المالكي ٦٣٢ .

محمد بن سليمان الحنفي الكاتب ٢٩٠ - ٢٩١ .

محمد بن طاهر (صاحب مرسية) ٧٠٨ ،

٧١٠ - ٧١٢ .

محمد بن عاصم النحوي (١٥٩ - ١٦٠) .

محمد بن عبدون الجبلي = ابن عبدون الجبلي

محمد بن علقمة = ابن علقمة

محمد بن عيسى المعافري = المعافري

محمد بن الغازي = ابن غازي

محمد بن قادم = ابن قادم

محمد بن القاسم الأنباري = الأنباري

محمد بن القاسم بن حمود

محمد بن معاوية القرشي ٢٣٠ .

محمد بن محمد بن وشاح = ابن اللباد

محمد بن مسعود القرطبي الشاعر ٤٠٥ -

٤٠٦ .

محمد بن مطرف = ابن شخيص القرطبي

محمد المظفر بن الأفطس = ابن

الأفطس - المظفر محمد

محمد والد المعتضد العبّادي = ابن عبّاد

محمد بن المعتضد بن عبّاد = ابن عبّاد

محمد بن معمر = ابن أخت غانم

محمد بن مغيث الأنصاري = ابن مغيث

محمد بن مغيث المغربي = ابن مغيث

محمد بن مقاتل العكّي ٦٠ م ، ٦٩ .

محمد (المقتول) بن عبد الله (والد عبد

الرحمن الناصر) ١٦٦ .

محمد المكتوم ١٧٠ .

محمد بن المنذر النيسابوري ٢٥٧ .

محمد بن مهدي البكري ١٤٢ م .

محمد المهدي = محمد بن عبد الله بن الحسن (٩)

محمد المهدي (العبّاسي) = المهدي

محمد المهدي (الأندلسي) = المهدي

المرواني

محمد المهدي المنتظر = المهدي المنتظر

محمد بن هشام المصحفي = المصحفي

محمد بن هلال ٣٠٤ .

محمد بن أبي الوليد الباجي ٦٣٣ م .

محمد بن يحيى = ابن الخزاز

محمد بن يحيى الرباحي = الرباحي

محمد بن يحيى (؟) الشاعر ٢٠٤ .

محمد بن يزيد (والي المغرب) ٣٨ ، ٤١ م .

محمد (أبو يوسف) سادس الأئمة

الرستميين ١٥١ .

محمد بن يوسف النّجاد ٤٩٨ .

محمد بن يوسف الورّاق = التاريخي

الورّاق

محمود بن أبي جميل ١٣٨ م .

محمود الغزنوي ٥٢٩ .

مخلد بن كيداد ١٧٣ - ١٧٤ ، ٢٢٤ م ،

٢٢٧ ، ٢٤٦ م .

المخلص الذهبي = محمد بن عبد الرحمن

مدرك بن عليّ الشيباني ٤٠٥ .

المراكشي = ابن عبد الملك المراكشي

المراكشي = عبد الواحد

مسلم بن أحمد القرطبي النحوي - أبو بكر ٥٨٩ - ٥٩٠.

مسلم بن الحجاج ٢٢٧ - ٢٢٨.

مسلم بن عقبة المري ٥٦.

مسلم بن الوليد ٢٥٤ - ٢٥٦، ٣٩٩.

مسلمة بن أحمد المرحطي (المجريطي) ١٩٠ م، ١٩١، ٣٧٢، ٥٠٥.

مسلمة بن عبد الرحمن الداخل ٨٩، ١٢٥.

مسلمة بن القاسم ٢٣٠.

مسلمة بن الأمير محمد ١٢٥.

المسيح = عيسى بن مريم
مشنف = شنف

المصحفي = جعفر بن عبد الرحمن

المصحفي - محمد بن هشام ٧٠٢.

المصراقي - علي ٥٤٧.

المصطفى = محمد رسول الله

المصعب بن عمران (القاضي) ٨٤ م.

مطرّف بن الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط ٥٩، ٧٤ -

٧٦.

المطرّف بن محمد بن عبد الرحمن - أبو

القاسم ٧٦.

مطرّف بن قيس ٢٥١.

المظفرّ بن الأفتس = ابن الأفتس

المظفرّ بن جهور = ابن جهور

المرتضى العبّاسي ١٦٦.

المرتضى الروافى = عبد الرحمن (المرتضى) بن محمد

مروان بن الحكم ٤٧ ح، ٢٣٣.

مروان بن سمحون ٣٩٥.

مروان بن عبد الرحمن الجليقي ٢٣٨.

مروان بن عبد الرحمن بن مروان = الطليق الروافى

مروان بن محمد ٥١ م.

مروان بن موسى بن نصير ٣٨.

المروذي = أبو جعفر

المروذي - محمد بن ابراهيم ٤٧٦.

مريم الشلبية (٣٥٠ - ٣٥١).

مراحة بنت مزاحم الثقفي ١٠٦.

المستظهر (عبد الرحمن) الروافى (٣٥٧ - ٣٦٠)، ١٦٩، ٣٦٧ -

٣٦٨، ٤٥٤، ٤٨٨.

المستعين = سليمان المستعين

المستكفي الروافى ١٦٩، ٤٩٧، ٥٩٠ م.

المستنصر الروافى = الحكم بن عبد الرحمن الناصر

المستنصر الفاطمي - معدّ بن علي ٥٣٢ م، ٦٠٨.

مسعود بن بسطام ٢٤٧ ح.

مسعود بن محمود الغزنوي ٥٢٩ م.

المظفر - عبد الملك بن محمد بن أبي

عامر ٣٢٤، ٣٢٩، ٣٣٥، ٣٦٥،

٣٦٧، ٣٧٢، ٣٧٧، ٤٧٦.

المظفر يحيى بن المنذر التجيبي ٤٨٨ -

٤٨٩.

معاfer (جدّ المنصور بن أبي عامر)

٣١٨.

المعافري = عبد الله بن محمد بن عامر

المعافري = أبو القاسم السبتي

المعافري - عبد الملك ٣١٣.

المعافري - محمد بن بشير المعافري

(٨٤ - ٨٥)، ١٢٤.

المعافري - محمد بن عيسى ١٤٠.

معاوية بن أبي سفيان ٥٦، ١٧٧،

٢٢٩ ح، ٦٨٥ ح م، ٧٢٨.

معاوية بن صالح الحضرمي الحمصي

٨٦، ٩٣.

معاوية بن يزيد بن معاوية ٥٦.

معبد (بن وهب) المغني ٦٩٤ م، ٧٤٠.

المعتدّ = هشام (المعتدّ) بن عبد الرحمن

المعتدّ بن المعتمد بن عبّاد

المعتصم بن صمّاح (٦٦٦ - ٦٦٩)،

٢٨٥، ٣٨٧، ٤٠٤، ٤٣٩، ٤٤٠،

٤٩١ - ٤٩٣، ٥١٠ - ٥١١،

٦٥٥ م، ٦٦٤، ٦٧٠ - ٦٧١،

٦٨١ م، ٧٠٢، ٧٠٨، ٧٤٤،

٧٤٦.

المعتصم العبّاسي ١٥٢ م.

المعتضد بن عبّاد ٣٩٧ - ٤٠٠، ٤٧٢،

٤٩٤ م، ٥٠٧ م، ٥١٤ - ٥١٥،

٥٦٥، ٥٧٠ م، ٥٧١ م، ٥٨٥ -

٥٨٦، ٥٩٣ م، ٦٢٣، ٦٢٦ م،

٦٢٧ م، ٦٣٨ م، ٦٤٢ - ٦٤٥،

٧٠٢، ٧١٢ - ٧١٤، ٧١٦.

المعتضد العبّاسي ١٦٦، ٤٢٠.

المعتلي - يحيى بن علي بن حمّود ١٦٩ م،

٤٥٤، ٤٥٧ - ٤٥٩، ٤٦٩ م،

٤٧٠، ٦٢٣ م.

المعتمد بن عبّاد (٧١٣ وما بعد)،

٤٧٠ م، ٥٨١، ٥٩٣، ٦١٥،

٦٣٦، ٦٣٩ - ٦٤٠، ٦٤٢ -

٦٤٥، ٦٥٢ - ٦٥٤، ٦٥٩ م،

٦٦٣ - ٦٦٥، ٦٦٧، ٦٦٩ -

٦٧١، ٦٧٦ - ٦٨٠، ٧٠٢،

٧٠٧ - ٧٠٨، ٧١٠، ٧١٢،

٧٢٥ - ٧٣١، ٧٤٤.

معدّ بن اسماعيل = المعزّ لدين الله

الفاطمي

معدّ بن علي = المستنصر الفاطمي

المعريّ = أبو العلاء

المعزّ بن بديس الصنهاجي ١٧١ م،

١٩١، ٣٥٦ م، ٣٧٣، ٣٧٤ م،

٤٦٢ م، ٤٦٤، ٥٢٤ م، ٥٣٠ م،

٥٤٤، ٥٥١ م، ٥٥٤، ٥٦٤ م،

مكي بن أبي طالب (حوش) (٤٧٦) -
(٤٨٢)، ٧٠٦، ٧٣١.

مكي - محمود علي ١٢٦ ح.
المتجالي - أحمد بن سعيد الصديقي
٣٠٤.

المنتصر بن خزرون بن سعيد =
خزرون بن سعيد

المنجي الكمي ٣٥١ ح م.
المنذر (الأول: المنصور) بن يحيى التجيبي
٣٧٨، ٣٨٢، ٣٨٧، ٥٧٨.

المنذر (الثاني: المظفر) بن يحيى
التجيبي ٤٨٨ ح.

منذر بن سعيد البلوطي (٢٥٧) -
(٢٦١)، ١٥٥، ١٨٤، ٢٠١،
٤٨٠ م.

المنذر بن ماء السماء ٤٧٠، ٥٥٦ م.
منذر بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط
٥٩، ١٢٧، ١٣٠، ١٣٢، ١٤٣،
١٤٦، ١٤٩، ١٥٩، ١٦٦، ٢١٠.

المنصور بن أبي عامر ١٦٥، ١٦٧ -
١٦٨، ١٨٠، ١٩٤، ٢٦٨ -
٢٦٩، ٢٨٩ م، ٢٩٤ - ٢٩٦،
٣٠٠ م، ٣١٢ م، ٣٢٢ - ٣٢٦،
٣٢٩، ٣٣١ م، ٣٣٥، ٣٤٠،
٣٦٠ - ٣٦٨، ٣٧٢، ٣٧٧ م،
٣٧٩ - ٣٨١، ٣٨٦ - ٣٨٨،
٤٤٧، ٤٥٤، ٤٨٧، ٤٨٩ - ٤٩٠.

٦٣٥، ٦٧٠، ٧٠٧.
المعز بن زيري بن عطية ٢٠٢ م، ٣٨٨.

معز الدولة بن صامح - أبو جعفر
أحمد ٦٦٧ م.

المعز لدين الله الفاطمي ١٦٩، ١٧١ م،
٢٦٧ م، ٢٦٨، ٢٧٢، ٢٧٤ م،
٢٧٨، ٢٩٨، ٣٤٣، ٥٤٤، ٥٤٨.

المعلّى (مدحه امرؤ القيس) ٥٥٦ م.
معمّر بن المثنّى = أبو عبدة
معن بن مجاهد العامري - أبو الأحوص
٥١٠، ٥٦١.

المعّوج (أديب بغدادي) ٢٠٣ - ٢٠٤.
المقتدر العباسي ١٦٦.
المقتدر بن هود (صاحب سرقسطة)
٥٢٦، ٦٣٢، ٦٥٥، ٦٥٩، ٧٠٨،
٧١٤.

مقدم بن معافى القبري (مقدم بن معافر
الفريري، ٤٢٨ ح، خطأ في
الأصول) (١٥٥ - ١٥٦)، ٦٤ م،
١٤٥، ٤٢٣، ٤٣٩.

المقري (جدّ صاحب نفع الطيب)
٣٥٥.

المقري (صاحب نفع الطيب) ٢٨٣،
٣٩٨، ٤٤٤ م، ٤٤٨، ٦٨١.

المكتفي العباسي ٢٩٠ م.

مكرم بن سعيد (?) ٤٢٩ م.

المكفوف النحوي = عبد الله بن محمد

موسى بن أبي العافية ١٧١ .

موسى بن عيسى بن حجّاج (حاجّ)

الفججومي - أبو عمران

موسى الكاظم ١٧٠ م .

موسى بن محمد بن حدير = ابن حدير

موسى بن محمد بن سعيد = ابن الحاجب

أبو الأصبح

موسى بن موسى (قائد) ١٣٨ .

موسى بن نصير ٣٧ إلى ١٤١ ،

١٣١ ح م .

الموقّ (من ملوك الطوائف) ٥٠٨ م .

مؤمن بن سعيد (١٢٢ - ١٢٤) ،

٨٥ ح ، ١٢٥ ، ١٣٦ ، ١٥٦ .

مؤنس - حسين ٧٦ ح ، ٤٩١ ح .

المؤيد (المنصور) المعان: عبد الرحمن

الناصر

ميخائيل الثاني الألتخ ١٧٧ .

ميسرة المدغري (المضغري) ٤٢ ، ٦٢ ،

٤٧٠ .

الميلاء = عزّة الميلاء .

ميمون العابد ٢٨٧ - ٢٨٨ .

ميمون - أبو عمر (الإباضي) ١٨٢ .

ن

النابعة الذيباني ٨٠ ، ١٨٧ ، ٥٥٢ ،

٥٥٦ .

٥٣٥ م ، ٥٨٤ ، ٦١٥ ، ٦١٧ ح ،

٦٥٥ ح ، ٦٨١ ، ٦٩٦ .

المنصور بن الأفطس = ابن الأفطس

المنصور بن بلقين (بلكين) ١٧١ ،

٣٤٣ ، ٤٥١ ، ٤٥٤ .

المنصور العبّاسي = أبو جعفر

المنصور بن عبد العزيز = أبو بكر بن

عبد العزيز

المنصور الفاطمي - اسماعيل ١٧١ .

المنصور بن الناصر بن علّاس ٥٤٥ .

المنمرّ = أبو الحسن المنمرّ

المنذر الأسلمي اليافى الإفريقي ٤١ م .

المنيشي - أبو القاسم ٤٤٠ ، ٤٤٢ ،

٤٤٦ .

مهجة القرطبية ٤٠٢ .

المهدي العبّاسي ٩٤ .

المهدي المرواني ١٦٨ ، ١٦٩ م ، ٣٣٨ ،

٣٤٧ ، ٤٧٧ .

المهدي المنتظر ١٧٠ .

مهرية الأغلبية (١٥٠ - ١٥١) .

المهلل ٥٩٨ .

المهندس - أحمد بن محمد ٣٣٧ .

المواز - محمد بن ابراهيم بن زياد

المؤتمن (?) من ملوك الطوائف ٥٠٨ م .

المؤتمن بن هود ٦٣٩ - ٦٤٠ .

مودود بن مسعود الغزنوي ٥٢٩ .

موسى ١٤٧ م ، ٢٤٥ ح ، ٦١١ .

- ناجي - هلال ٤٣٧ م .
 ناصح (والد عباس بن ناصح) ١٠٦ م .
 الناصر الحمادي ٥٤٤ .
 الناصر بن علّاس ٣٨٩ - ٣٩٠ ، ٥٤٥ م .
 نافع بن الأزرق ٥٥ ح ، ٥٦ .
 نافع (مولى عمر بن الخطاب) ٧٣ .
 نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم ٨٦ ، ٥٠٠ ، ٤٧٩ .
 النباهي - محمد بن الحسن ٦٠٢ .
 النبيّ = محمد رسول الله
 النجاد = محمد بن عبد الله
 النجاد = محمد بن يوسف
 النجيرمي - أبو يعقوب ٤٦١ ، ٥١٨ .
 النحلي (شاعر) ٦٦٨ .
 النضر بن شميل ٢٤٨ .
 نظام الملك السلجوقي ٦٥٠ - ٦٥٢ .
 النعجة = حمدون النحوي
 النعمان بن المنذر - أبو قابوس ٤٧٠ ، ٥٥٦ ، ٦٨٦ ح ، ٦٩٢ ح ، ٦٩٣ .
 النعمان بن محمد بن منصور = أبو حنيفة
 النعمان المغربي
 نعيم (جدّ آل عبّاد) ٤٧٠ م .
 النفريلة (النفدة، النجدلة)
 النفس الزكية = محمد بن عبد الله بن
 الحسن بن الحسن
 نفطويه ١٨٧ .
- النقاش - زكي ٣٣ ح .
 النقاش = الزرقالي
 النهشلي = عبد الكريم
 النواصي = أبو نواس
 نويرة النصرانية = (جميلة معشوقة ابن
 الحدّاد الوادي آشي)
 نويهض - عادل ٤٦٥ ح .
 نيكل - ع . ر . ٤٢٥ ، ٤٤٦ ، ٦٥٢ .
- هـ
- هاجر (امراة ابراهيم) ٦٩٧ م .
 هارتمان - مارتن ٤٢٧ .
 هاشم بن رجاء - أبو خالد ٥٧٥ .
 هاشم بن عبد شمس ١٠٢ ح م .
 هاشم بن عبد العزيز (١٣١ - ١٣٥) ،
 ٧٩ - ٨٠ ، ١٢٢ م ، ١٢٣ م ،
 ١٢٧ ، ١٢٨ .
 هاني بن محمد بن سعدون ٢٦٦ ح .
 الهجفجف بن غيدقان ٣٦٣ .
 هرم بن سنان ٤٩ ، ٥٥٦ .
 هروسيش ٣٠٥ م .
 هرون الرشيد ٦٠ م ، ٦٣ ، ٦٨ ، ٧٩ ،
 ٨٣ ، ١٥٢ ح ، ٢٥٥ ح ،
 ٣٦٨ ح م .
 هشام (?) (قاريء) ٤٧٩ م .
 هشام بن أحمد الوقشي = ابن الوقشي

ورش - عثمان بن سعيد (قاريء)
٤٧٩ م.

ورّو (من آل خزرون - ليبيا) ٣٩٠.
الوقشي - أبو الحزم خلف بن عيسى
٢٨٦.

الوقشي - أبو الوليد هشام بن أحمد
٣٩٢ - ٣٩٤.

ولادة بنت المستكفي (٦٩٩ - ٧٠٢)،
١٦٩، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤٠٥ ح،
٥٩٠، ٥٩٤.

الوليد بن طريف الخارجي ٢٥٥ -
٢٥٦.

الوليد بن عبد الرحمن بن غانم (١٢٦) -
١٢٨، ١٣٢.

الوليد بن عبد الملك ٣٨ م، ١٣١ ح،
٢٣٢.

وليد بن عيسى الطبيخي = الطبيخي
الوليد بن هشام = أبو زكوة
الوليد بن هشام (من نسل بني أمية)
١٧٤.

الوهراني = أبو القاسم

ي

اليازوري - الحسن بن علي ٦٠٨.
ياقوت الحموي ٢٤٨ ح، ٣٧٥،
٤٦٥ ح، ٥٦٥ ح.

هشام الرضيّ بن عبد الرحمن الداخل
٥٧ م، ٦٤، ٧٤ - ٧٦، ٨٧ م،

٨٩، ٩٣، ١٠٢، ٢١٠، ٢٣٥.
هشام بن عبد الملك ٤٢، ٤٣، ٤٦ ح،
٤٧، ٥١، ٥٢ م، ٦٦، ١٠٢ ح م،
٢٨٥ م، ٤٧٠.

هشام المعتدّ بن عبد الرحمن المرتضى
١٦٩، ٤٥٤، ٤٧٣ م، ٤٧٤،
٤٩٧، ٥٧٨.

هشام المؤيد بن الحكم المستنصر ١٦٧ -
١٦٩، ١٩٢، ٢٩٤ م، ٣٠٠ م،
٣٠٤، ٣٠٦ م، ٣١٤ - ٣١٥،
٣٦٦ م، ٣٧٧، ٥٣٥ م، ٦٦٦.

الهشامان = هاشم بن عبد شمس ثم هشام
ابن عبد الملك

الهمداني = يوسف بن محمد
هند (وردت في شعر) ٤١٦ م.
الهوزني = أبو حفص

و

واجاج اللمطيّ ٥٤٣ م.

الواقدي ٧٣، ١٢٢.

الورّاق = التاريخي الورّاق
ورد النصرانية (تغرّل بها ديك الجنّ
الحمصي)

يحيى بن هذيل القرطبي الكفيف
(٣٠٩ - ٣١١).

يحيى بن يحيى = ابن السمينة
يحيى بن يحيى الليثي (٩٨ - ٩٩)،
٨٩، ١٤٠.

يحيى بن يزيد اللخمي ٨٦.
يخلف - عبد الله بن سليمان ٢٠٧ -
٢٠٨.

يدير بن حباسة ٤٦٩ م.
يزوم الترجان ٣٠٥ م.
يزيد بن أبي مسلم ٤٢ م.
يزيد بن الياس العبدي ٩٤.
يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ٥١،
٦٦، ٢٦٦ م.

يزيد بن عبد الملك ٤٢ م.
يزيد الفصيح (١٦٣ - ١٦٤).
يزيد بن مزيد الشيباني ٢٥٥ م.
يعقوب ١٤٧ ح، ٢٥١.
يعقوب بن الأغلب = ابن الأغلب
يعقوب بن حبيب - أبو حاتم ٧٤.
يعقوب بن عبد الرحمن الأوسط ٧٥.
يعقوب بن المضاء (الأغلي) ٧٢ م.
يليان ٣٧ م.
يهودا الأسخريوطي ٦٨٩ م.
يوسف بن أحمد بن الدخيل = ابن
الدخيل الصيدلاني

يحيى (في شعر) ١٢٠.

يحيى بن ابراهيم الكدالي ٥٤٣ م.
يحيى بن الأفتس = ابن الأفتس
يحيى بن جعفر التونسي ٢٢٦ - ٢٢٧.
يحيى بن حريث ٤٥.
يحيى بن حكم الغزال (١١٥ - ١٢١)،
٧٨ - ٧٩، ١٤٩، ١٩٧ م، ١٩٨.
يحيى بن عبد العزيز = ابن الجزائر
القرطبي

يحيى بن علي بن حمدون الأندلسي
(اقرأ: ابن الأندلسية) ٢٦٧،
٢٧٠ - ٢٧٢، ٢٧٤ وما بعد.
يحيى بن علي بن حمود = المقتلي
يحيى بن الفضل بن النعمان التميمي
٦٩.

يحيى القادر بن ذي النون ٧٣٦ م.
يحيى بن مالك = ابن عائد
يحيى المأمون بن ذي النون ٣٨٧،
٤٨٨، ٥٢٦ - ٥٢٨، ٥٣٠،
٥٣١ م، ٥٦٥، ٥٨١، ٥٨٢،
٦٢٣، ٦٤٦ - ٦٤٧، ٦٥٠،
٧٣٧.

يحيى بن مضر القيسي الأندلسي ٩٨.
يحيى بن المعتمد = ابن عبّاد
يحيى بن معمر الألهاني ٢٦٥ م.
يحيى بن المنذر بن يحيى التجيبي ٣٧٨،
٣٨٢، ٤١٤ - ٤١٥.

يوسف بن اسماعيل بن النفذلة ٥٧٢ -
٥٧٥ .

يوسف بن بجت ٤٧٣ .

يوسف بن تاشفين ٣٨٥ - ٣٨٦ ،

٥٤٤ - ٥٤٥ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ،

٦٧٦ ، ٧٠٨ ، ٧١٥ م ، ٧٢١ ،

٧٢٨ ح م ، ٧٣٠ ح .

يوسف بن عبد الرحمن الفهري ٤٥ م ،
٤٨ - ٤٩ .

يوسف بن محمد - أبو حاتم الرستمي
١٥٢ م .

يوسف بن محمد الهمداني ١٨٤ .

يوسف بن هرون = الرمادي

يوسف بن يعقوب ١٤٧ ، ٢٥١ ،

٥٣٨ م ، ٥٩٨ .

يوسف بن يعقوب البصري القاضي
١٨٦ .

يونس الحرّاني = الحرّاني

يونس بن عبد الأعلى الصدي ١٤٩ .

يونس بن عبد الله الصفّار ٧٣١ .

١٩٨١/٢/١١

منظمة العالم
خسارة خسران - لبنان